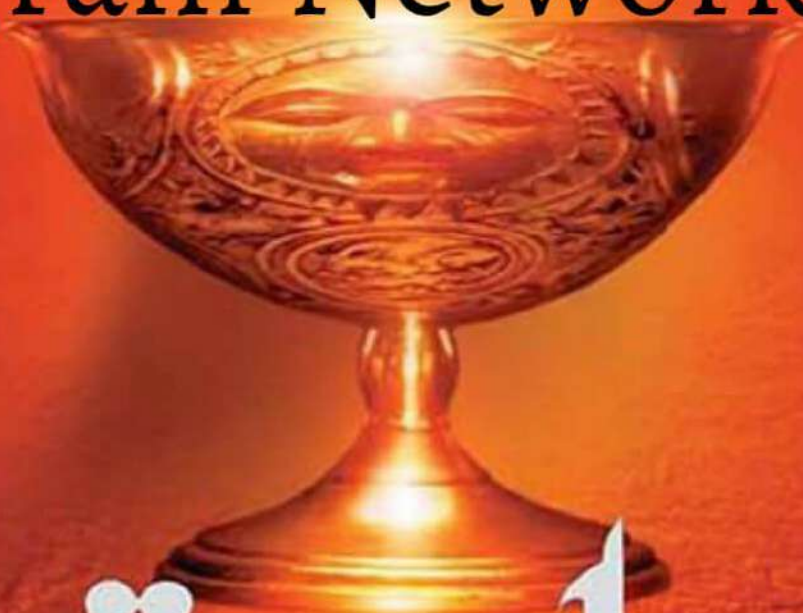


الكتاب الرابع من اثني عشر مجلداً والنار

جورج ر. ر. مارتن

مكتبة [Telegram Network]



وليمة للغربان

ترجمة هشام فهمي

الشويع

مكتبة (Telegram Network)

المكتبة النصية

قام بتحويل رواية (وليمة للغربان)

أغنية الجليد والنار

(الكتاب الرابع)

الي صيغة نصية: (فريق الكتب النادرة)

من الكويت:

(منصور التميمي)

من لبنان:

(حسن العاملي)

(أحمد لحاف)

من مصر:

(شمس الحياة)

(ماجدة علي)

(هشام حسني)

(A.Awakeel)

(م. محمد خضر)

(ماجد حنا)

(محمد مصطفى كمال)

(مروة جمال)

(هشام حسني)

من السعودية:

(د. طارق التميمي)

(زينه)

(نجاح السبيعي)

(أريج محمد)

(خالد مريع)

(The-Inspired)

(ن. أبو قصي الراشديّ)

من سلطنة عمان:

(معالي)

من الجزائر:

(سعدي إلياس)

من سوريا:

(هادي إبراهيم)

(حذيفة محمد)

(رنا وليد)

(محمد المقداد)

من العراق:

(سماهر)

(علي الشمري)

(آيات علي)

من اليمن:

(عبد الله الحبابي)

من المغرب:

(رشيد تاديست)

OCR:

(طارق دردوري)

(منصور التميمي)

مراجعته وتنسيق:

(ماجدة علي)

وليمة للغربان

أغنية الجليد والنار

(الكتاب الرابع)

جورج ر. ر. مارتين

ترجمة:

هشام فهمي

الترقيم الدولي: 7-054-472-614-978

الطبعة الأولى: 2019

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:

A Feast for Crows by George R. R. Martn

All rights reserved Copyright © 2005 by George R. R. Martn

Maps by James Snclar Heraldic Crests by Vrgna Norey

Published by Agreement with the author and the author's agent The
.Lotts Agency Ltd

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©

الناشر دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2 شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن
سييتي

هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: caro@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tuns@dar - altanweer.com

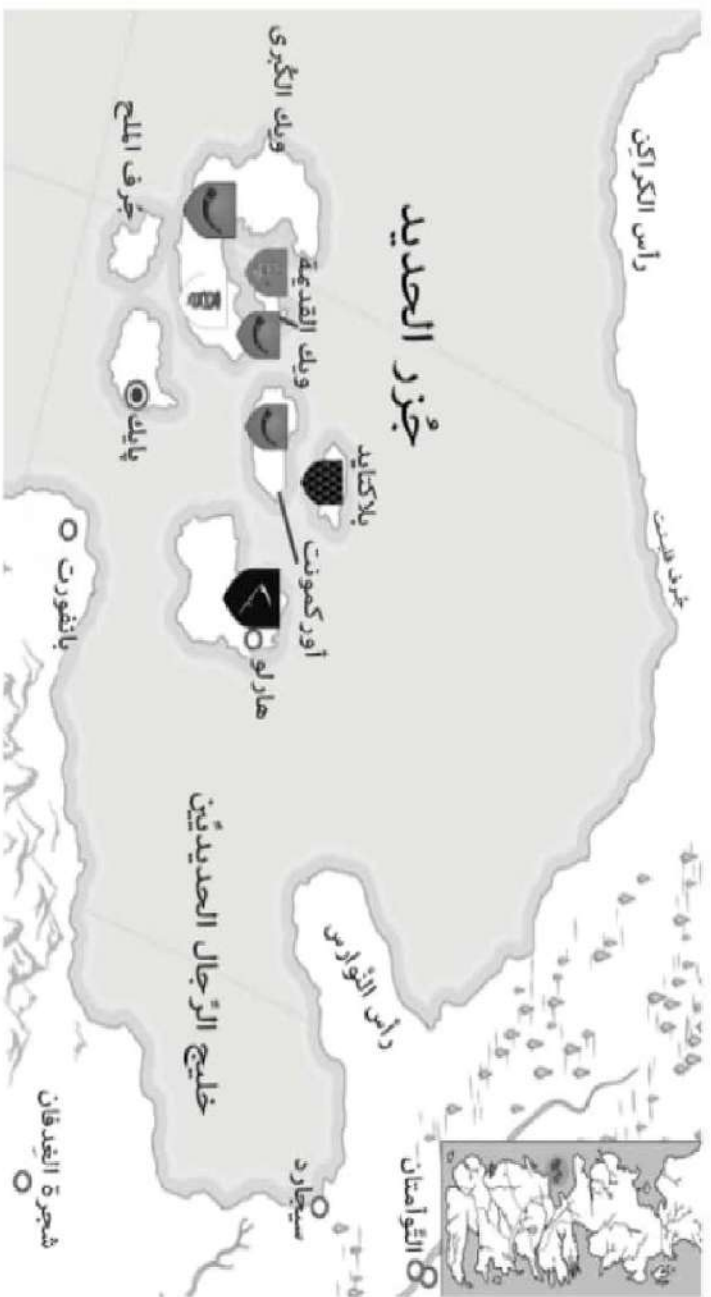
موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

اهداء

إلى ستيغن بوشيه
ساحر الويندوز وتنين الدوس
الذي لولاه لُكُتبت هذه الرّواية بأقلام الشّمع.

الجزء الأول





تمهيد

- «التنانين»، قالها مولاندر واختطفَ تَفَّاحَةً ذابِلَةً من على الأرض وراحَ يتقادَفُها بين يديه.

قال أليراس أبو الهول مستحثًا إياه: «ارمِ التُّفَّاحَةَ»، والتقطَ سهمًا من جَعْبته وسحبَه على وتر قوسه.

قال روون: «كم أودُّ أن أرى تَيْنًا، أودُّ هذا حقًّا». الصَّبِي الممتلئ أصغرهم سِنًا، وما زالَ يفصله عامان كاملان عن بلوغ مبلغ الرِّجال.

فكَّرَ پايت مبدِّلاً جلسته على الدِّكَّة بتملُّل: وكَم أودُّ أن أنام بينما تُطَوِّقني روزي بذراعيها. بحلول الغد ستكون الفتاة قد أصبحت له. سأخذها بعيدًا عن (البلدة القديمة)، أعبرُ بها (البحر الضيق) إلى واحدةٍ من المُدن الحُرَّة. هناك لا يوجد مايسترات، لا أحد يتَّهمه.

تناهت إلى مسامعه ضحكات إما الآتية من نافذةٍ مغلقةٍ المصراعين بالأعلى، ممتزجةً بالصَّوت الأعْمَق للرَّجل الذي تستضيفه. إنها أكبر العاملات سِنًا في (الرَّيشة والدَّورق)، في الأربعين من العُمُر على الأقل، وإن كانت لا تزال تتمتع بنوعٍ معيَّن من حُسْن ممتلئات الجسد. أمَّا روزي فاينتها، فتاة في الخامسة عشرة أزهرت لتوها، وقد قصَّت إما أن بكارة روزي ستُكَلِّف مَن يفضُّها تَيْنًا ذهبيًا كاملًا. كان پايت قد ادَّخر تسعة أياثل فضيَّة ومِلء جَرَّةٍ من النُّجوم والبنسات النَّحاسيَّة، وعلى الرغم من هذا لا يزال بعيدًا كلَّ البُعد عن المبلغ المطلوب، وفُرصة أن يجعل بيضة تَيْنٍ حقيقي تفقس أفضل من فرصة ادِّخاره ما يكفي من مالٍ لتَيْنٍ ذهبي.

قال آرمن المُعاون لروون: «وُلِدَت متأخِّرًا للغاية على رؤية التَّنانين يا فتى». يضع آرمن حول عنقه شريطًا جلدِيًّا علَّقَ منه حلقات من القصدير والصفيح والرَّصاص والنُّحاس، ويبدو أنه -كأغلب المُعاونين- يعتقد أن ما على أكتاف المبتدئين ثمار لِفَت لا رؤوس. «آخر تَيْن مات في عهد الملك إجون الثالث».

ردَّ مولاندر بإصرار: «آخر تَيْن في (وستروس) فقط».

عادَ أليراس يستحثُّه قائلاً: «ارمِ التُّفَّاحَةَ». الشَّاب وسيم الطَّلعة، صديقهم أبو الهول الذي صارَ محطَّ شغف جميع العاملات في المكان، وحتى روزي تمسُّ ذراعه أحيانًا عندما تُقدِّم له النَّبيذ، فيضطرُّ پايت إلى الضغط على أسنانه والتَّظاهر بأنه لم يَر.

قال آرمن بعناد: «آخر تَيْن في (وستروس) كان آخر تَيْن، هذا معلوم للجميع».

كرَّر أليراس: «التُّفَّاحَةَ، ما لم تكن تنوي أن تأكلها».

قال مولاندر: «هاك»، وجَرَّ قدمه المعوجَّة ووثبَ وثبةً قصيرةً، ثم دارَ وألقى

الثَّقَّاحَةُ بِزاوِيَةٍ مُستَقِيمة فِي الضَّبَابِ العَالِقِ فَوْقَ (نَهْرِ البَيْتِ)¹. لَوْلَا التَّشَوُّهُ فِي قَدَمِهِ لَكَانَ قَدْ أَصْبَحَ فَارَسًا كَأَيْهِ، فَفِي ذِرَاعِيهِ الْغَلِيظَتَيْنِ وَكَتْفِيهِ الْعَرِيضَتَيْنِ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَكْفُلُ لَهُ هَذَا. هَكَذَا حَلَقَتِ الثَّقَّاحَةُ مُبْتَعِدَةً بِسُرْعَةٍ...

... وَلَكِنْ لَيْسَ بِسُرْعَةِ السَّهْمِ الَّذِي انْطَلَقَ وَرَاءَهَا صَافِرًا فِي الْهَوَاءِ، قَنَاتَهُ طَوْلُهَا يَارِدَةٌ كَامِلَةٌ مِنَ الْخَشَبِ الذَّهَبِيِّ الْمَزُودَ بِالرَّيشِ الْقِرْمِزِيِّ. لَمْ يَرَ پَايَتِ السَّهْمِ يُصِيبُ الثَّقَّاحَةَ، لَكِنَّهُ سَمِعَ صَدَى الْارْتِطَامِ الْخَافِتِ يَتَرَدَّدُ عِبرَ النَّهْرِ، يَتَّبِعُهُ صَوْتُ سَقُوطِ الثَّمَرَةِ فِي الْمَاءِ.

صَفَرَ مَوْلَانَدِرَ، وَقَالَ: «قَوَّرْتَهَا، جَمِيلٌ!».

لَكِنْ لَيْسَ يَنْصِفُ جَمَالَ رُوزِي. يَحِبُّ پَايَتِ لَوْنِ الْبُنْدُقِ فِي عَيْنَيْهَا وَيَحِبُّ ثَدْيِيهَا النَّابِتَيْنِ، وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي تَبْتَسِمُ بِهَا كُلَّمَا رَأَتْهُ، وَيَحِبُّ الْغَمَّازَتَيْنِ فِي وَجْهَتِيهَا. أَحْيَانًا تَمْشِي حَافِيَةً وَهِيَ تَدُورُ عَلَى الزَّبَائِنِ، لَتَشْغُرَ بِمَلْمَسِ الْعُشْبِ تَحْتَ قَدَمَيْهَا، وَهَذَا أَيْضًا يَحْبُّهُ پَايَتُ، تَمَامًا كَمَا يَحِبُّ رَائِحَتَهَا النَّظِيفَةَ الْمُنْعَشَّةَ وَشَعْرَهَا الَّذِي يَتَلَوَّلُ وَرَاءَ أُذُنَيْهَا، بَلْ وَيَحِبُّ أَصَابِعَ قَدَمَيْهَا. ذَاتَ لَيْلَةٍ سَتَدَعُهُ يُدَلِّكُ هَاتَيْنِ الْقَدَمَيْنِ وَيُدَاعِبُهُمَا، وَسَيُؤَلِّفُ لَهَا حِكَايَةً طَرِيفَةً عَنْ كُلِّ إصْبَعٍ لِيَجْعَلَهَا تَضْحَكُ بِلَا انْقِطَاعٍ.

لَعَلَّ الْأَصْلَحَ لَهُ أَنْ يَبْقَى عَلَى هَذَا الْجَانِبِ مِنَ (الْبَحْرِ الضَّرِيقِ). يُمَكِّنُهُ أَنْ يَبْتَاعَ حِمَارًا بِالنُّقُودِ الَّتِي ادَّخَرَهَا، وَيَتَبَادَّلَ هُوَ وَرُوزِي رُكُوبَهُ بَيْنَمَا يَجُولَانِ فِي أَنْحَاءِ (وَسْتَرُوس). رُبَّمَا لَا يَرَاهُ إِبْرُوزٌ جَدِيرًا بِوَضْعِ حَلَقَةٍ فَضِيَّةٍ فِي سِلْسِلَتِهِ، لَكِنْ پَايَتُ يَعْرِفُ كَيْفَ يُجَبِّرُ الْعِظَامَ

الْمَكْسُورَةَ وَيُعَلِّقُ الْعَلَقَ² لِلْمَصَابِينِ بِالْحُمَّى. سَيَمْتَنُّ الْعَامَّةُ لِمَسَاعِدَتِهِ، وَإِذَا تَعَلَّمَ أَنْ يَقْصُرَ الشَّعْرَ وَيَحْلِقَ اللَّحْيَ فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَصِيرَ حَلَّاقًا كَذَلِكَ. قَالَ لِنَفْسِهِ: يَكْفِينِي هَذَا مَا دَامَتَ مَعِيَ رُوزِي. مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا لَا يُرِيدُ إِلَّا رُوزِي.

عَلَى أَنْ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا دَائِمًا. فِي السَّابِقِ كَانَ حُلْمُهُ أَنْ يُصْبِحَ مَایِس-تَرِ فِي قَلْعَةٍ، فِي خِدْمَةِ لِيُورْدِ سَخِي يُكْرِمُهُ لِحْكْمَتِهِ وَيَهْبِ لِهِ حَصَانًا أَبْيَضَ مَطَهَّمًا عَرَفَانًا بِخِدْمَتِهِ. كَانَ لِيَمْتَطِيهِ بِسُمُوءٍ وَنُبُلٍ، وَيَبْتَسِمُ لِلْعَوَامِ مِنْ أَعْلَى حِينَ يَمُرُّ بِهِمْ عَلَى الطَّرِيقِ...

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي قَاعَةِ (الرَّيْشَةِ وَالذَّوْرُقِ) الْعَامَّةِ، بَعْدَ أَنْ شَرِبَ دُورِقَهُ الثَّانِي مِنَ خَمْرِ الثَّقَّاحِ الْقَوِيَّةِ لِلْغَايَةِ، قَالَ پَايَتُ مُتَبَحِّحًا إِنَّهُ لَنْ يَظُلَّ مُبْتَدَأًا إِلَى الْأَبَدِ، فَردَّ لِيُو الْكُسُولُ: «صَحِيحٌ تَمَامًا، سَتَكُونُ مُبْتَدَأًا سَابِقًا يَرعى الْخَنَازِيرَ».

أَفْرَغَ ثُمَالَةَ الشَّرَابِ فِي جُوفِهِ. كَانَتْ شُرْفَةُ الْخَانِ الْمَضَاءَةِ بِالْمِشَاعِلِ جَزِيرَةً مِنَ الضَّوءِ فِي بَحْرِ مِنَ الضَّبَابِ هَذَا الصَّبَاحِ، وَفِي اتِّجَاهِ مَصْبِ النَّهْرِ تَسْبِيحُ مَنَارَةِ (الْبُرْجِ الْعَالِي) الْبَعِيدَةِ فِي رَطُوبَةِ اللَّيْلِ كَقَمَرٍ بَرْتَقَالِيٍّ مِبْهَمٍ، لَكِنْ الضَّوءُ لَمْ يُفْلِحْ فِي رَفْعِ مَعْنَوِيَّاتِهِ إِلَّا قَلِيلًا.

كان يُفترض أن يأتي الخيميائي. هل المسألة كلّها دُعاة قاسية أم أن شيئاً جرى للرجل؟ لن تكون المرة الأولى التي يعبس فيها الحظ في وجه پايت، فقد حدث أن عدّ نفسه محظوظاً من قبل عند اختياره لمساعدة المايستر الرئيس والجريف العجوز على العناية بالغدّان، دون أن يتصوّر أنه سرعان ما سيُكلّف أيضاً بإحضار وجبات الرجل وكنس مسكنه وإلباسه ثيابه كلّ صباح. يقول الجميع إن والجريف نسي عن حرفة الغدّان أكثر مما يتعلّمه معظم المايسترات في حياتهم كلّها، فقدّر پايت أن حلقة من الحديد الأسود هي أقلّ ما يأمله، فقط ليكتشف أن والجريف لا يستطيع أن يمنحه إياها، لأن العجوز ما زال ماستر رئيساً على سبيل المجاملة لا أكثر، وعلى الرغم من أنه كان ماستر عظيم في الماضي، فالآن يُواري رداؤه ثياباً داخلية متسخة أكثر الوقت، وقبل نصف عامٍ وجده عدد من المَعاونين يبكي في المكتبة وقد عجز عن العثور على طريق العودة إلى مسكنه. حالياً يجلس المايستر جورمون تحت القناع الحديد بدلاً من والجريف، جورمون نفسه الذي سبق أن اتهم پايت بالسرقة.

على شجرة التفاح المجاورة للماء بدأ عندليب يُغني، صوته الجميل راحة مستحبة من صرخ الغدّان الخشن ونعيقها المتصل بعد أن ظلّ پايت يعتني بها طيلة اليوم. تعرف الغدّان البيضاء اسمه ويُتميم بعضها به لبعض كلما وقعت أعينها عليه، فتردد «پايت، پايت، پايت» إلى أن تنتابه الرغبة في الصراخ. تلك الطيور البيضاء الكبيرة مفخرة المايستر الرئيس والجريف، ويُريدها أن تأكله عندما يموت، وإن كان پايت يظن أنها تُريد أن تأكله أيضاً.

ربما تكون خمر التفاح القويّة للغاية السبب -ولم يكن پايت قد أتى ليشرب، غير أن ألباس دعاهم إلى الشراب احتفالاً بحصوله على حلقة النحاسية، والشعور بالذنب أصاب پايت بالظماً- ولكن بدا له كأن عندليب يُردد بصوتٍ راجف: «الذهب مقابل الحديد، الذهب مقابل الحديد، الذهب مقابل الحديد»، وهو العجيب نوعاً، لأن هذا ما قاله الغريب ليلة رُتبت روزي لقاءهما. حينها سأله پايت: «من أنت؟»، فأجاب الرجل: «خيميائي، أستطيع تحويل الحديد إلى ذهب»، ثم ظهرت قطعة العملة في يده، تتراقص على مفاصل أصابعه ويلمع ذهبها الأصفر الخالص في ضوء الشموع، على أحد وجهيها تين ذو ثلاثة رؤوس، وعلى الآخر رأس ملك ميت ما. تذكر پايت ما قاله الرجل: الذهب مقابل الحديد، لن تجد صفقة أفضل. هل تُريدها؟ هل تُحبّها؟ قال للرجل الذي دعا نفسه بالخيميائي: «لست لَصاً، إنني مبتدئ في (القلعة)»، فحنى الخيميائي رأسه مجيباً: «إذا غيّرت رأيك، سأعود بعد ثلاثة أيام من الآن ومعني تينيني».

ومرّت ثلاثة أيام، وعاد پايت إلى (الريشة والدورق) وهو غير واثق بعد إن كان لَصاً حقاً أم لا، لكن بدلاً من الخيميائي وجد مولاندر وأرمن وأبا الهول وفي أعقابهم روون، ولو لم ينضم إليهم لأثار شكوكهم.

(الرَّيشة والدَّورق) مفتوح دائماً. طيلة ستمئة عام وهو قائم على جزيرته في (نهر البتغ)، دون أن تنغلق أبوابه في وجه الزَّبائن قط، ومع أن المبنى الخشبي يميل نحو الجنوب كما يميل المبتدئون فوق دوارق الشراب أحياناً، فإن پايت يتوقع أن يظلَّ الخان قائماً ستمئة عام أخرى، يبيع النَّبيذ والميزر³ وخمر التُّفاح القويَّة للغاية لملاحِي النهر والبحر، والحدَّادين والمطربين، والرُّهبان والأمراء، ومبتدئي (القلعة) ومُعاونيها.

أعلن مولاندر بصوت أعلى من اللازم: «(البلدة القديمة) ليست العالم». إنه ابن فارس، وسكران الآن لأقصى درجة، فمنذ أتوه بخبر مقتل أبيه في معركة (النهر الأسود) وهو يسكر كلَّ ليلة تقريباً. لقد مسَّتْهم حرب الملوك الخمسة جميعاً على الرغم من كونهم آمنين وراء أسوار (البلدة القديمة) بعيداً عن القتال... وإن كان المايستر الرَّئيس بنيدكت يصرُّ على أن الحرب لم تكن بين خمسة ملوكٍ حقاً، بما أن رنلي باراثيون مات قبل أن يُتَّوَّج بالون جرايچوي نفسه. واصل مولاندر: «كان أبي يقول دوماً إن العالم أكبر من قلعة أيِّ لورد. لا بدَّ أن التَّنانين أقلُّ ما يُمكن أن يجده المرء في (كارث) و(أشاي) و(يبي تي). حكايات البحَّارة تلك...».

قـاطعه آرمـن: «... ليست أكثر من حكايات بحَّارة. إنهم بحَّارة يـ عزيزي مولاندر. اذهب إلى أرضـة الميناء وأراهـن أنـك سـتجد بحَّارة يحكـون لك عـن عـرائس البحر اللاتي ضاجعهن، أو كيف قضاوا عاماً في بطن سمكة».

قال مولاندر وهو يبحث بقدمه في العُشب عن المزيد من التُّفاح: «وكيف تعلم أنهم لم يفعلوا؟ عليك أن تدخل بطن السمكة بنفسك لتجزم بأن هذا لم يحدث. حكاية من بحَّار واحد، نعم، من الممكن أن تسخر منها، لكن حين يحكي بحَّارة من أربع سُفنٍ مختلفة الحكاية نفسها بأربع لغاتٍ مختلفة...».

ردَّ آرمـن بإصرار: «الحكايات ليست واحدةً. تنانين في (أشاي)، تنانين في (كارث)، تنانين في (ميرين)، تنانين مع الدوثراكي، تنانين تُحرِّر العبيد... كل حكاية تختلف عن الأخرى».

- «في التفاصيل فقط»، قال مولاندر الذي يزداد عناداً عندما يشرب، وهو متصلِّب الرَّأي أصلاً حتى وهو مغيق. «الجميع يحكون عن التَّنانين، وملكةٍ شابةٍ جميلة».

التَّنين الوحيد الذي يُبالي به پايت مصنوع من الذهب الأصفر. تساءلَ عما جرى للخيميائي. اليوم الثالث، قال إنه سيكون هنا.

خاطبَ أليراس مولاندر قائلاً: «ثمَّة تفاحة أخرى قرب قدمك، وما زالَ معي سهمان في جعبتي».

قال مولاندر: «سُحِقًا لَجَعْبَتِكَ»، ثم التقطَ ثمرةً أسقطَها الرِّيح من الشَّجرة، وأضاف متذمِّرًا: «فيها ديدان»، لكنه رماها رغم ذلك، وأصابَ السَّهم الثَّقَاحَة إذ بدأت تَسْقُط وشطَرها نصفين، هبط أحدهما على سطح بُرج ثم هوى إلى سطح أدنى وارتدَّ وأخطأ أرمن بقدمٍ واحد، فقال لهم المُعاون: «إذا قطعت دودة نصفين تُصبح هناك دودتان».

ردَّ أليراس بواحدة من ابتساماته النَّاعمة: «ليت الأمر كان كذلك مع الثَّقَاح، فما كان أحد ليجوع أبدًا». دائمًا يبتسم أبو الهول كما لو أنه مطلع على دعاية سرِّيَّة ما، وقد منحَه هذا مظهرًا خبيثًا يتماشي جيّدًا مع ذقنه البارز ومقدِّمة شعره المدبَّبة وخُصلاته الفاحمة الكثيفة المشدَّبة بعناية.

سوف يُصبح أليراس مایستر ذات يوم. لقد جاءَ (القلعة) منذ عامٍ واحد فقط، لكنه كوّن ثلاث حلقاتٍ من سلسلته بالفعل. صحيحٌ أن حلقات أرمن أكثر، إلّا أنه استغرقَ عامًا كاملًا حتى استحقَّ كلاً منها، ومع ذلك سوف يُصبح مایستر أيضًا. روون ومولاندر ما زالا مبتدئين عاريي العُنق، لكن روون صغير جدًا، ومولاندر يُؤثر الشرب على القراءة. أمّا پایت...

إنه في (القلعة) منذ خمسة أعوام، جاءَها وهو في الثالثة عشرة من العُمر لا أكثر، لكن عُنقه لا يزال عاريًا كما كان يوم وصلَ من أراضي الغرب. مرّتين اعتقدَ نفسه مس-تعدًّا؛ الأولی مث-لَ في-ها أم-ام المایس-تر الرّئيس قایل-ین ل-يُدلّل على معرفته بالأجرام السّم-اویّة، وب-دلّالٍ من ه-ذا تع-لم كيف حصلَ قایل-ین على لقب «ال-خل»، ثم استغرقَ الأمر پایت عامين ليستجمع شجاعته من جديدٍ ويُحاول ثانيةً. تلك المرّة قدّم نفسه إلى المایستر الرّئيس إیروز العجوز العطوف، الشّهير برقة نبرته وخفّة يديه، غير أن زفرات إیروز كانت بوسيلةٍ ما مؤلمةً ككلمات قایلین الشّائكة.

وعدهم أليراس قائلًا: «ثَقَاحَة أخيرة وسأخبركم بطنوني بتلك التّنانين». دمدمَ مولاندر: «وما الذي تعرفه وأجهله أنا؟»، ولمحَ ثَقَاحَة على فرع فوئبَ وقطعها ورماها، فسحبَ أليراس وتر قوسه إلى أذنه وهو يدور برشاقةٍ متابعًا هدفه المحلّق، وأطلقَ سهمه لحظة أن بدأت الثَّقَاحَة تَسْقُط.

قال روون: «دائمًا تُخطئ الرّمية الأخيرة». وسقطت الثّمرة في النّهر دون أن يمسّها السَّهم.

قال روون: «أرأيت؟». أجابَ أليراس: «إذا أص-بتّها جم-یعا س-تكفّ ع-ن التّح-سُن»، وأرخى وتر قوسه الطّويل ودَسَّه بخفّةٍ في قِرابه الجِل-دي. القوس منحوت من القلب الذهبي، ذلك الخشب النّادر الممتاز الذي يأتي من

(جُزِر الصَّيْف)، وقد جَرَّبَ پايت أن يسحب الوتر عليه مرَّةً وفشل. قال پايت لنفسه متأمِّلاً: أبو الهول يبدو هزلياً، لكن ثَمَّة قوَّة في هاتين الدِّراعين النَّحيلتين، فيما جلسَ أليراس وساقاه على جانبي الدِّكَّة ومدَّ يده إلى كأس نبذه معلناً بلهجة الدورنية المتشدِّقة: «التَّين له ثلاثة رؤوس».

تساءلَ روون: «أهذه أحجية؟ دائماً ما يكون كلام آباء الهول ملغزًا في الحكايات». رشفَ أليراس من النَّبذ مجيباً: «ليست أحجية». كانت بقيتهم تعبٌ من خمر الثُّفَّاح القويَّة للغاية التي يشتهر بها (الرَّيشة والدَّورق)، لكنه يُفَضِّل الخمر المحلَّاة الغريبة من بلاد أمِّه، وحتى في (البلدة القديمة) لا تُباع تلك الخمر بثمانٍ رخيص.

كان ليو الكسول هو من لقَّبَ أليراس بأبي الهول. أبو الهول كائن هجين؛ وجهه وجه إنسان وجسمه جسم أسد وله جناحا صقر، وأليراس مثله، فأبوه دورني وأمُّه امرأة سوداء البشرة من (جُزِر الصَّيْف)، أمَّا بشرته هو فداكنة كخشب السَّاج، وكتمثالي أبي الهول وأم الهول المنحوتين من الرُّخام الأخضر ويقفان على جانبي بؤابة (القلعة) الرُّئيسة، لأليراس عينان من الجَزَع الأخضر.

قال آرمن المُعاون بحزم: «ليست هناك تنانين بثلاثة رؤوس إلَّا على الثُّروس والرَّيات. إنه رمز لا أكثر، ثم إن آل تارجارين ماتوا جميعاً».

ردَّ أليراس: «ليس جميعهم. الملك الشَّحاذ كانت له أخت».

قال روون: «حسبتهم هَشَّموا رأسه على جدار».

قال أليراس: «لا. إجابون ابْن الأمير ريجار الصَّغير هو من هَشَّم رجال الأسد لانستر الشُّجعان رأسه على جدار. إننا نتكلم عن أخت ريجار التي وُلدت في (دراجونستون) قبل سقوطها، تلك المسمَّاة دنيرس».

قال مولاندر: «وليدة العاصفة، تذكَّرتها الآن»، ورفعَ دورقه عاليًا ليدور ما تبقى فيه من خمر الثُّفَّاح، وصاح: «نخبها!»، ثم جرَّعَ وضربَ المائدة بالدَّورق الخالي وتجشَّأ، قبل أن يمسح فمه بظهر يده ويسأل: «أين روزي؟ ملكتنا الشرعية تستحقُّ دورًا آخر من الشراب، أليس كذلك؟».

لاحَ الانزعاج على آرمن المُعاون وهو يقول: «اخفض صوتك أيها الأحمق. لا يجدر بك أن تمزح مجرد مُزاح بشأن تلك الأشياء، فلست تدري من يتنصت. العنكبوت له آذان في كلِّ مكان».

- «آه، لا تبُل في سراويلك يا آرمن. كنتُ أقترحُ شرابًا لا ثورة».

سمعَ پايت قهقهةً، ثم نادى صوت خبيث ناعم من وراءه قائلاً: «لطالما عرفتُ أنك خائن أيها الصَّفدع النُّطاط». كان ليو الكسول واقفاً بتراجيح عن دم الجسر الخشبي القديم، يرتدي الساتان

المخطَّط بالأخضر والذهبي تحت حرملة⁴ من الحرير الأسود، يُثَبَّتُها إلى كتفه مشبك على شكل وردة من اليشب، وقد بدا من البقع على صدره أن النبيذ الذي شربه كان أحمر قانيًا، بينما سقطت خُصلة من شعره الذهبي الشاحب على إحدى عينيه.

اشتعلَ مولانَ در غضبًا لم يراه، وقال: «تَبَّاً لهذا، ارجل، ليس مرحبًا بك هنا»، فوضَعَ أَليراس يده على ذراعَه ليُهَدِّئَه، فـي حين عبَسَ آرمن قائلًا: «ليو، سيدي، حسبتك ستظل محتجزًا في (القلعة)....».

قاطعه ليو: «... ثلاثة أيام أخرى»، وهَزَّ كتفيه مضيقًا: «پيرس-تان يقول إن العالم عُمره أربعون ألف عام، ومولوس يقول إنها خمس مئة ألف، فما قيمة ثلاثة أيام؟»، وعلى الرغم من وجود دسنة من الموائد الخالية في الشُرْفَة، فقد جلسَ ليو إلى مائدتهم مردفًا: «ادعُني إلى كأس من نبيذ (الكرمة) الذهبي أيها الضفدع النطاط ولن أخبر أبي بأمر نخبك. الحظ لم يُحالفني في لعب البلاطات في (الترد المربع) وبددتُ أيلي الفضي الأخير على العشاء. خنزير رضيع في صلصة البرقوق، محشو بالكستناء والكمأة البيضاء. الإنسان يحتاج إلى الطعام. وماذا أكلتم أنتم يا أولاد؟».

غمغمَ مولانَ وقد بدا مستاءً من الإجابة: «أكلنا ضأنًا، تقاسمنا فخذ ضأنٍ مسلوقة».

قال ليو: «أنا واثق بأنها كانت مشبعة»، والتفتَ مخاطبًا أليراس: «المفترض أن يكون ابن لورد مثلك سخيًا يا أبا الهول. بلغني أنك فُزت بحلقتك النحاسية. سأشربُ نخب هذا».

ابتسمَ أليراس مجيبًا: «لستُ أدعو إلا الأصدقاء إلى الشراب، ثم إنني لستُ ابن لورد كما أخبرتك. أمي كانت تاجرة».

قال ليو وفي عينيه البندقيتين لمعة النبيذ والنقمة: «أملكُ كانت قردهً من (جُزر الصيف). الدورنيون يُضاجعون أيَّ شيءٍ له فتحة بين ساقيه. لا أقصدُ إساءةً. ربما تكون نبيًا كحبة من الجوز، لكنك تستحم على الأقل، على عكس فتى الخنازير المبقع هذا»، ولَوَّح بيده نحو پايت.

فكَّرَ پايت: إذا ضربته في فمه بدورقي فيمكنني أن أكسر نصف أسنانه. پايت المبقع فتى الخنازير هو بطل ألف من القصص البذيئة، صعلوك أبله طيب القلب استطاع دومًا أن يتغلب على السادة السيِّمان والفُرسان المتغطرسين والسيِّتونات المبهرجين الذين يُزعجونهم، وبشكل ما يتضح أن غباءه نوع من الذكاء غير المألوف، ودائمًا تنتهي به الحكايات جالسًا على مقعد لورد عالٍ أو في الفراش مع ابنة أحد الفُرسان. لكنها مجرد قصص، ففي عالم

الـواقـع لا يُحـالـف التّوـفـيق صـبـيـة الخـنـازـير. أحيـانـًا يُفـكّر پـايت أن أمّه كانت تـكرهه بالتّأكـيد ما دامـت قد أطلّقت عليه هذا الاسم.

قال أليراس وقد غابت ابتسامته: «ستعذر».

- «حقًا؟ وكيف أعذرُ وحلّقي بهذا الجفاف؟».

قال أليراس: «إنك تجلب العار على عائلتك مع كلّ كلمةٍ تقولها، وتجلب العار على (القلعة) بكونك واحدًا منا».

- «أعرفُ، فادعُني إلى القليل من النّبـيـذ إذن كي أغرق عاري».

قال مولاندر: «أريدُ أن أقتلع لسانك من جذوره».

ردّ ليو: «حقًا؟ وكيف أحكي لكم عن التّنانين إذن؟»، وعادَ يهزُّ كتفيه متابعًا: «الهجين على حق، ابنة الملك المجنون حيّةٌ ومعها ثلاثة تنانين».

ردّد روون مندهشًا: «ثلاثة؟».

رَبَّت ليو على يده مجيبًا: «أكثر من اثنين وأقلّ من أربعة. لو كنتُ مكانك لما حاولتُ الحصول على حلقتي الذهبية بعدُ».

قال مولاندر منذرًا: «دعه وشأنه».

- «يا لشهامتك أيها الضّفدع النّطّاط. كما تشاء. كلّ رجلٍ من كلّ سفينةٍ أبحرت على مسافة مئة فرسخٍ من (كارث) يتحدّث عن تلك التّنانين، وستجد بعضهم يقول إنه رآها بنفسه. المُشعوذ يميل إلى تصديقهم».

زَمَّ آرمن شفّتيه استنكارًا، وقال: «ماروين معتلّ العقل. المايستر الرّئيس پيرستان أول من سيقول لك هذا».

قال روون: «هذا ما يقوله المايستر الرّئيس ريام أيضًا».

تثاءبَ ليو، وقال: «البحر مبتلّ والشّمس دافئةٌ ومعرض الوحوش يكره الدّرواس⁵».

فكّر پايت: لديه اسم ساخر لكلّ أحد، لكنه لا يستطيع أن يُنكر أن ماروين يبدو أقرب إلى درواس من مايستر بالفعل. كأنه يُريد أن يعضك. ليس المُشعوذ كِبقيّة المايسترات، ويقول النّاس إنه يُرافق العاهرات والسّحرة الجوّالين، ويكلّم الإيبينزيين المُشعرين وأهل (جُزر الصّيف) ذوي البشرة السّوداء كالقار بلُغتهم، ويُقدّم القرابين لآلهة غريبة في معابد البحّارة الصّغيرة عند أرصفة المرفأ، وهناك

من يتكلّمون عن رؤيته في الأنحاء الكريهة من المدينة، في حلبات الجرذان والمواخير السّوداء، يُسامِر الممّثلين والمُطربين والمرتزة، بل والمتسوّلين أيضًا. ثم إن هناك من يتهاَمسون قائلين إنه قتلَ رجلًا ذات مرّةٍ بقبضتيه العاريتين.

حينمـا رجـعَ ماروين إلـى (البلـدة القـديـمة)، بعـد أن أمضى ثمانـيـة

أعوام في الشرق يرسِم خرائط الأرضِ البعيدة ويبحث عن كتبٍ مفقودة ويـدرس مع الدّجّالين وأسرى الظّلال، لقبه قايلين الخلّ بماروين المشعوذ، وسرعان ما انتشرَ اللقب في جميع أنحاء المدينة، وهو ما أثار ضيق قايلين لأقصى درجة. في مرّة قال المايستر الرّئيس ريام لپايت على سبيل النّصيحة: «دع الصّلوات والتّعاويز للرّهبان والسّيّتونات، وكرّس عقلك لتعلم الحقائق التي يستطيع أن يثق بها الإنسان»، لكن خاتم ريام وصولجانه وقناعه من الذهب الأصفر، وسلسلته تخلو من حلقةٍ من الفولاذ القاليري.

لآرمن أنف طويل رفيع مدبّب، مناسب تمامًا للنّظرة التي رمقَ بها ليو الكسول من فوقه وهو يقول: «المايستر الرّئيس ماروين يعتقد بالعديد من الأشياء الغريبة، لكنه لا يملك دليلًا على وجود التّنانين أكثر من مولاندر. مزيد من قصص البحّارة لا أكثر».

قال ليو: «أنت مخطئ. ثمّة شمعة زُجاجيّة متّقدة في مسكن المشعوذ». ران الصّمت على الشّرفة المضّاءة بالمشاعل، ثم تنهّد آرمن وهزّ رأسه، وبدأ مولاندر يضحك، وتفرّس أبو الهول في وجه ليو بعينه السوداوين الواسعتين، وبدت الحيرة على روين.

يعرف پايت بأمر الشّموع الرّجـاجيّة، وإن لم يرَ واحدةً مشـتعلّةً من قبل قط. إنـها السّر الأكثر انفضـاحًا في (القلعة)، ويُقـال إنـها جُلبت إلـى (البلدة القديمة) من (قاليريا) قبل ألف عامٍ من هلاكها. كان پايت قد سمعَ بوجود أربعٍ منها، إحداها خضراء والبقية سوداء، وكلها طويلة ملتوية.

سأل روين: «ما تلك الشّموع الرّجـاجيّة؟».

تنحّح آرمن المُعاون، وأجاب: «في اللّيلة السّابقة لحلف كلّ مُعاون اليمين، عليه أن يسهر في القبو، وغير مسموح له أن يأخذ معه فانوسًا أو مشعلًا أو مصباحًا أو فتيلًا مكسوفًا بالشّمع... فقط شمعة من الرّجاج البركاني. هكذا يجب أن يقضي الليل في الظلام ما لم يستطيع أن يُشعل تلك الشّمعة. بعضهم يُحاول، الحمقى والعنيـدون، أولئـك الـذين درسـوا الغـوامض العـليـا إيـّاها، وكثـيرًا ما يـجـرحون أصـابعهم، لأن حـواف الشّمعة حـادّة كالـموسـى حـسـب ما يُقـال، ثم يكـون عليـهم أن ينتظروا بزوغ الفجر بأيـدٍ دامية وهم يُفكّرون في فشلهم. الحُكماء يخلّدون إلى النّوم ببساطة، أو يقضون الليل في الصّلاة، لكن هناك دائمًا من يُصرون على التّجربة كلّ عام».

قال پايت الذي سمعَ القصص نفسها: «نعم، لكن ما الفائدة من شمعةٍ لا تُلقي ضوءًا؟».

جاوبه آرمن: «إنه درس، آخر درس يجب أن نتعلّمه قبل أن نضع سلسلة المايسترات. المفترض أن تُمثّل الشّمعة الرّجـاجيّة الحقيقة والمعرفة، وهما شيان نادران وجميلان وهشّان، وهي مصنوعة على شكل شمعة كي تُذكّرنا

بأن علي المايستر أن يُلقي الضوء أينما خدم، وحادة كي تُذكّرنا بأن المعرفة من شأنها أن تكون خطيرة.

قد تُصيب الحكمة أصحابها بالغرور، لكن علي المايستر أن يبقى متواضعًا دومًا، وهذا ما تُذكّرنا الشمعة الزجاجة به أيضًا، فحتى بعد أن يحلف اليمين ويضع سلسلته ويبدأ خدمته، سيُفكر المايستر في سهرته تلك ويتذكر أن شيئًا لم يكن في وسعه لإشعال الشمعة... بعض الأشياء ليس ممكنًا حتى في وجود المعرفة».

انفجر ليو الكسول في الضحك، وقال: «تعني أنه ليس ممكنًا لك. لقد رأيت الشمعة مشتعلة بعيني هاتين».

ردّ آرمن: «رأيت شمعة ما مشتعلة بلا شك، من الشمع الأسود ربما».

- «أعرف ما رأيت. الضوء كان غريبًا وساطعًا، أكثر سطوعًا من ضوء أي شمعة من شمع العسل أو الشحم، وألقى ظلالًا غريبة دون أن يتذبذب اللهب إطلاقًا، حتى عندما هبّ تيار الهواء من الباب المفتوح ورائي».

عقد آرمن ذراعيه على صدره قائلاً: «الزجاج البركاني لا يشتعل».

قال پايت وقد بدت له المعلومة مهمة بشكلٍ ما: «زجاج التين، العامة يُسمونه زجاج التين».

علق أليراس أبو الهول متأملًا: «صحيح، وإذا عادت التنانين إلى العالم حقًا...».

قال ليو: «التنانين وأشياء ألغن. الخراف الرمادية أغلقت أعينها، لكن الدّرواس يرى الحقيقة. القوى القديمة تستيقظ من سباتها والظلال تتحرك، وقریبًا سيبدأ عصر من العجائب والرعب، عصر للآلهة والأبطال»، وتمطى راسمًا على شفّيه ابتسامته الكسول، وأضاف: «أعتقد أن الأمر يستحق دورًا من الشراب».

قال آرمن: «شربنا بما فيه الكفاية. سرعان ما سيطلع الصبح علينا، والمايستر الرّئيس إيبروز سيتحدّث اليوم عن خواص البول، وعلى من يرغب في حلقة من الفضة ألا يُقوّت حديثه».

ردّ ليو: «حاشا لي أن أعطلكم عن تذوق البول، أمّا أنا فأفضّل مذاق نبيذ (الكرمة) الذهبي».

قال مولاندر: «إذا كان الخيار بين البول وبينك، فإنني أختار البول»، ودفع مقعده عن المائدة مخاطبًا ررون: «هيا بنا».

التقط أبو الهول قراب قوسه قائلاً: «أنا أيضًا سأخلد إلى النوم. أتوقّع أن أحلم بالتنانين والشموع الزجاجة».

تساءل ليو: «كلّكم راحلون؟»، وهزّ كتفيه مردفًا: «ليكن، روزي ستبقى. ربما أوقظ قطعة الحلوى الصّغيرة وأجعل منها امرأة».

رأى أليراس النظرة على وجه پايت، فقال له: «إذا كان لا يملك قطعة نحاسية لكأس من التّبِيد، فلا يُمكن أن معه تَبِينًا للفتاة».

قال مولاندر: «نعم، ثم إن الأمر يتطلب رجلًا كي يجعل منها امرأة. تعال معنا يا پايت. والجريّف العجوز سيستيقظ حين تُشرق الشمس، وسيحتاج إلى مساعدتك في الذهاب إلى المرحاض».

هذا إذا تذكّر من أنا اليوم. لا يجد المايستر الرئيس والجريّف صعوبة في التّمييز بين عُدافي وآخر، لكنه لا يملك المهارة نفسها مع البشر، وفي بعض الأيام يحسب پايت شخصًا آخر اسمه كرسن. قال لأصدقائه: «ليس بعدُ، سأبقى قليلًا». الفجر لم يطلع بعدُ، ليس تمامًا، وربما يكون الخيميائي ما زال قادمًا، وإذا جاء فپايت ينوي أن يجده هنا.

قال آرمن: «كما تُريد»، وحدج أليراس پايت بنظرة طويلة، ثم علّق قوسه على كتفه النّحيلة وتبع الآخرين نحو الجسر. كان مولاندر سكران لدرجة جعلته يضطرُّ إلى المشي مسندًا إلى كتف روون كي لا يـقـع. ليسـت (القلعة) بعـيـدة بسـرعة طـيران العـُداف، لكن لا أحـد منـهم عُـداف، و(البلدة القديمة) متاهة فعلية، مـلأى بالمنعطفات والأزقة المتقاطعة والشوارع الضيقة الملتوية. سمع پايت آرمن يقول إذ ابتلع ضباب النّهر أربعتهم: «احذروا، الليلة كانت رطبةً وستجدون حجارة الشوارع زلقة».

لما رحلوا تطلّع ليو إلى پايت بنظرة فظة عبر المائدة، وقال: «محزن، أبو الهول هجرني بفضته كلّها وتركني لپايت المبقّع فتى الخنازير»، وعاد يتمطى متثائبًا، وسأل: «كيف حال حلوتنا روزي يا تُرى؟».

أجاب پايت باقتضاب: «إنها نائمة».

قال ليو بانفسامة عريضة: «عارية بلا شك. أتحسب أنها تستحق تَبِينًا كاملاً بحق؟ أظن أن عليّ أن أعرف الإجابة بنفسي ذات يوم»، وحين لم يتكلم پايت الأعقل من أن يردّ، تابع ليو الذي لم يحتج إلى ردّ: «أتوقّع بمجرد أن ألج الفتاة سينهار سِعَرها بحيث يقدر عليه صبية الخنازير أنفسهم. يجدر بك أن تشكرني».

فكر پايت: يجدر بي أن أقتلك، وإن لم يكن سكران لدرجة أن يُبَدّد حياته، فليو ممرّن على السّلاح، ومعروف بأنه مميت حقًا حين يُقاتل بسيف مُبارزي البرافو والخنجر، وحتى إذا استطاع پايت بوسيلة ما أن يقتله، فمعنى هذا أن يفقد رأسه بالتّبعيّة. ليو اسمان في حين أن لپايت اسم واحد، واسمه الثّاني تايرل. السير مورين تايرل قائد حرس المدينة في (البلدة القديمة) هو أبو ليو، ومايس تايرل سيّد (هايجاردن) وحاكم الجنوب ابن عمّه، ناهيك بأن شيخ (البلدة القديمة) اللورد لايتون سيّد (البرج العالي) -الذي تضم ألقابه العديدة لقب

«حامي القلعة»- من حملة راية عائلة تايرل والمقسمين لها على الولاء. قال بايت لنفسه: لا عليك، إنه يقول ما يقوله ليجرحني لا أكثر.

كان الضباب قد بدأ ينقشع في الشرق، فأدرك بايت أنه الفجر. الفجر طلع والخيميائي لم يأت. لم يدر إن كان عليه أن يضحك أم يبكي. هل سأظل لصًا إذا وضعتُ كلَّ شيءٍ في مكانه ولم يدر أحد؟ سؤال آخر بلا إجابة عنده، كالأئلة التي طرحها عليه إيبروز وقايلين من قبل.

عندما دفع نفسه عن المائدة ونهض، صعدت خمر التفاح القويّة للغاية إلى رأسه دُفعةً واحدةً، واضطرَّ إلى وضع يده على المائدة ليقف ثابتًا، ثم إنه قال على سبيل الوداع: «دع روزي وشأنها، دَعها وشأنها وإلا ربما أقتلك».

نقرَ ليو تايرل خُصلة الشعر عن عينه بإصبعه، وقال: «لا أبارزُ صبية الخنازير. ارحل».

دارَ بايت وقطعَ الشُرفة، وتعلّات دَقّات كعبيه على ألواح الجسر الخشبي القديم البالية، ولدى بلوغه الضِقة الأخرى كانت سماء الشرق قد بدأت تصطبغ بلونٍ وردي. قال لنفسه: العالم فسح. إذا اشتريتُ حملاً فمّا زال يُمكنني أن أجول في طرقات (الممالك السبع) ومسالكها، أعلق الـعَلق للعامّة وأفلي شعيرهم من القمل. يُمكنني أن ألتحق بطاقم سفينةٍ ما وأعمل مُجدّقًا، أبحرُ إلى (كارث) عن طريق (بوّابات اليشب) وأرى تلك التنانين اللعينة بنفسي. لا يوجد ما يدعوني إلى العودة إلى والجريف العجوز والغدّان. ولكن بشكلٍ ما قادته خطاه إلى طريق (القلعة).

حين نفذَ أولَ خيوط ضوء الشمس من السحب إلى الشرق بدأت أجراس الصباح تدق في (سيت البحارة) عن الميناء، وبعد لحظة انضمت إليها أجراس (سيت اللورد)، ثم (المقامات السبعة) من حدائقها عبر النهر، وأخيرًا (السيت النجمي) الذي كان مقرّ السيتون الأعلى طيلة ألف عامٍ قبل أن يرسو إجون في (كينجز لاندنج). معًا صنعت الأجراس موسيقى جليّة حقًا. وإن لم تكن بعذوبة صوت عندليبٍ واحدٍ صغير.

ترامى إلى مسامعه الإنشاد أيضًا بصوت أدنى من رنين الأجراس. في كلّ صباحٍ مع أول ضوءٍ يجتمع الرهبان الحمر للترجيب بالشمس خارج معبدهم المتواضع المجاور لأرصعة الميناء. فالليل مظلم ومغمم بالأهوال. لقد سمعهم يهتفون بتلك الكلمات مئة مرّة، يسألون إلههم راهلور أن يُنقذهم من الظلمات. يكتفي بايت بالآلهة السبعة، لكنه سمع أن ستانيس باراثيون يتعبّد عند النّار الليلية الآن، بل ووضع قلب راهلور النّاري على راياته بدلًا من الوعل المتوجّج. فكّر بايت: إذا ارتقى العرش الحديدي سيكون علينا جميعًا أن نتعلّم كلمات أنشودة الرهبان الحمر، لكنه لا يعتقد أن شيئًا كهذا محتمل، فقد

حطّم تايويين لانستر ستانيس وراهلور في معركة (النّهر الأسود)، وقريبًا سيُجهز عليهما ويُعلّق رأس المدّعي باراثيون فوق بوابات (كينجز لاندنج).

إذ زال ضباب الصّبح بدأت (البلدة القديمة) تستردُّ شكلها من جوله، تَبَرُّز ككيانٍ شبحي من عتمة ما قبل الفجر. لم يَرِ پايت (كينجز لاندنج) قط، لكنه يعلم أنها مدينة أُنيتْها من الحِصِّ والأغصان المجدولة، امتداد من الشّوارع الطّينية والسّقوف القش والبيوت الخشبيّة. أمّا (البلدة القديمة) فمبنية بالحجارة، وشوارعها كلّها معبّدة بحجر الإسكافي، بل وأحقر أزقتها كذلك. لا تبدو المدينة أجمل أبدًا مما تبدو عند بزوغ الفجر، فغرب النّهر تصطفُ دور الرّابطات المختلفة على الضّفة كالقصور، وفي اتّجاه المنبـع تـرتفع قـباب وأبراج (القلعة) على الضّفتين، تربط بينهما الجسور الحجريّة المتخمة بالقاعات والمنازل، وفي اتّجاه المصب، أسفل أسوار (السّيت الحجري) الرّخام السّوداء ونوافذه المقنطرة، تحتشد إيوانات المتديّنين كأطفالٍ مجتمعين عند قدّمي أرملةٍ عجوز من الأعيان.

وراء كلّ هذا، حيث يتّسع (نهر اليتع) ويمتزج بـ(النّهر الهامس)، يرتفع (البرج العالي) وتُتقد نار منارته في ضوء الفجر، ومن مكانه فوق جُروف (جزيرة المعركة) يقطع ظلّه المدينة كالسّيف. مَن وُلِدوا ونشأوا في (البلدة القديمة) يعرفون ساعات النّهار عن طريق هذا الظل، ويَزعم بعضهم أنك تستطيع أن ترى (الجدار) نفسه إذا وقفت على القمّة. ربما لهذا السّبب لم ينزل اللورد لايتون من أعلى منذ أكثر من عقدٍ من الزّمن، مفضّلًا أن يحكّم مدينته من بين السّحاب.

قعقعت عربة جزارٍ مارةٍ بِپايت في طريق النّهر وفي مؤخّرتها خمسة خنازير صغيرة تصرّخ مذعورة، وقد تحاشاها پايت في الوقت المناسب فتفادى أن تتناثر عليه الفضلات التي أفرغتها امرأة من نافذة بالأعلى. فكَر: حين أصبح مایستر في قلعة سامتطي حصانًا، ثم إنه تعثر في حجرٍ وتساءلَ مَن يُحاول أن يخدع. لا سلسلة له، لا مقعد إلى مائدةٍ عاليّة عن داحل اللوردات، لا حصان أبيض طويلاً يركبـه. سيمضي أيامه في الإصغاء إلى نعيب الغدافان وتنظيف ثياب المایستر الرّئيس والجريف الدّاخليّة من بُقع الغائط.

كان جاثيًا على رُكبته يُحاول مسح ردائه من الطّين حين سمعَ صوتًا يقول: «طاب صباحك يا پايت».

وكان الخيميائي واقفًا فوقه.

نهض پايت قائلاً: «اليوم الثّالث... قلت إنك ستكون في (الرّيشة والدّورق)».

- «كنت مع أصدقائك، ولم أرغب في التّطفّل على صُحبّتك». يرتدي الخيميائي معطف مُسافرين مزوّدًا بقلنسوة، بني اللون ويخلو من أيّ علاماتٍ مميّزة، وقد بدأت الشّمس المشرقة تطلُّ من فوق سقوف المباني وراء كتفه جاعلةً إِبصار

الوجه تحت القلنسوة صعبًا. «هل قرّرت ماذا تكون؟». أجب أن يجعلني أقولها؟ «أظنّ أني لص».

- «هذا ما حسبته».

أصعب ما في الأمر كان أن يركع على يديه ورُكبتيه ليسحب الصندوق المنيع من تحت فراش المايستر الرّئيس والجريّف، وعلى الرغم من أن الصندوق قوي ومدعم بالحديد، فقفله مكسور، وكان المايستر جورمون قد شكّ في أن پايت قد كسره، لكن ذلك غير صحيح، فقد كسرَ والجريّف القفل بنفسه بعد أن فقد مفتاحه.

ففي الدّاخل وجدَ پايت كـيسًا من الأيـائل الفـضيّة، وخُصـلةً من الشّعـر الأصـفر مربوطةً بشـريط، وصـورةً منمنمةً مرسومةً لامرأةٍ تُشبهه والجريّف (بما في ذلك الشّارب)، بالإضافة إلى قُفّاز فارسٍ مصنوعٍ من الفولاذ المقعّر لتسهيل حركة اليد. يزعم والجريّف أن القُفّاز كان ملكًا لأمير، ولكن يبدو أنه نسي أي أمير هو، ولمّا رجّ پايت القُفّاز سقط منه المفتاح على الأرض.

يذكر أنه فكّر لحظتها: إذا أخذته فأنا لص. المفتاح قديم وثقيل، مصنوع من الحديد الأسود، ويُفترض أنه يفتح كلّ بابٍ في (القلعة). لا أحد إلا رؤساء المايسترات يحمل مفاتيح كهذه، ويحتفظ الآخرون بمفاتيحهم معهم طوال الوقت أو يُخفونها في مكانٍ آمن، لكن لو أخفى والجريّف مفتاحه لما رآه أحد ثانيةً أبدًا. اختطفَ پايت المفتاح، وكان قد قطعَ نصف الطريق إلى الباب قبل أن يعود أدراجه ويأخذ الفضة أيضًا. اللّص لصٌ سواء أسرق القليل أم الكثير. سمعَ أحد الغدّافان البيضاء يُناديه: «پايت، پايت، پايت!».

سأل الخيميائي: «هل معك تيّني؟».

- «إذا كان معك ما أطلبه».

قال پايت الذي لا ينوي أن ينخدع: «أعطني إياه، أريدُ أن أراه».

- «طريق النّهر ليس المكان المناسب. تعال».

لم يجد وقتًا ليُفكّر، ليزن خياراته. كان الخيميائي يبتعد، وعلى پايت أن يتبعه أو يفقد روزي والتّيين في آنٍ واحدٍ إلى الأبد. هكذا تبعه، وإذ مشيا دسّ يده في كمّه متحسّسًا المفتاح الموضوع بأمانٍ في الجيب الخفي الذي خاطّه هناك. ثياب المايسترات مليئة بالجيوب، وهو يعرف هذا منذ كان صبيًا صغيرًا.

اضطرّ إلى الهروء كي يلحق بخطوات الخيميائي الواسعة. قطعًا زُقاقًا ودارًا حول منعطفٍ وعبرا (سوق اللّصوص) القديمة وسارا بطول (عطفة الزبّالين)، وأخيرًا دخلَ الرّجل زُقاقًا آخر أكثر ضيقًا من الأول، فقال پايت: «ابتعدنا بما يكفي. لا أحد في الجوار. سنجري المبادلة هنا».

- «كما ترغب».

- «أريدُ تَينِي».

- «بالتأكيد». وظَهَرَتِ العُملَةُ، وراحَ الخيميائي يُنْقِلُهَا على مفاصل أصابعه مثلما فعلَ حينَ أجَرَتِ روزي اللِّقَاءَ بينهما، والتمَعَ التَّينَ في ضوء الصَّبَاحِ ملقِيًا وهَجًا ذهبيًا على أصابع الخيميائي.

التقطَهَ پايت من يد الرَّجُلِ ليحسَّ بدفءِ الذَّهَبِ على راحته، ثم إنه رفعَه إلى فمه وعَضَّ عليه كما رأى النَّاسُ يفعلون، مع أن الحقيقة أنه لا يعرف مذاقِ الذَّهَبِ، لكنه لم يُرد أن يبدو كالحمقى.

تساءَلَ الخيميائي بنبرةٍ مهذَّبة: «المفتاح؟».

جعلَ شيء ما پايت يتردَّد ويسأل: «هل تُريدُ كتابًا ما؟». يُقال إن بعض المخطوطات القاليريَّة القديمة في الخزائن المغلقة هي آخر النُّسخ الموجودة في العالم.

- «ما أريده ليس من شأنك».

- «لا». انتهى الأمر. اذهب، اجرِ إلى (الرَّيشة والدَّورق) وأيقِظِ روزي بقُبلة وُقْلٍ لها إنها لك. هكذا فكَرَ پايت، وعلى الرغم من هذا لم يتحرَّك وقال: «أرني وجهك».

قال الخيميائي: «كما ترغب»، وأنزَلَ قلنسوته.

مجرَّدَ رجُلٍ ووجهه مجرَّدَ وجهه، وجهه رجُلٍ شاب، تقليدي، لحيتـه خفيفة للغاية ووجنتـاه ممتلئتان، وعلى اليُمْنَى ندبة باهتة، وأنفـه معقوف وشعره الأسود الكثيف يتجعَّد بشدَّةٍ حول أذنيه، ليس وجهًا مألوفًا لپايت الذي قال: «لستُ أعرفك».

- «ولا أنا أعرفك».

- «مَن أنت؟».

- «غريب، لا أحد حقًّا».

- «أوه». كان الكلام قد نفذَ من پايت، فأخرجَ المفتاح ووضعه في كَفِّ الغريب شاعرًا بالدُّوار يكاد يكتنف رأسه. قال لنفسه مذكِّرًا: روزي، ثم قال للرَّجُل: «انتهينا إذن».

كان قد قطعَ نصفَ الرُّقَاق حينَ أحسَّ بحجارة الرِّصَفِ تتحرَّك تحت قدميه، ففكَّر: الحجارة مبتلة وزلقة، لكن الأمر لم يكن كذلك. كان قلبه يدق بعُنْفٍ في صدره، وقال شاعرًا بقدميه تستحيلان إلى ماء: «ماذا يحدث؟ لستُ أفهم».

قال صوت بحُزن: «ولن تفهم أبدًا».

مسرعةً، ارتفعت حجارة الشَّارع لثَقِيلَه، وحاولَ پايت أن يصيح طالبًا النُّجدة، إلَّا

أَن صَوْتَهُ تَخَلَّى عَنْهُ أَيْضًا.
وَأَخِرَ مَا فَكَّرَ فِيهِ كَانَ رَوْزِي.

النَّبي

كان النَّبي يُغْرِقُ عددًا من الرِّجال في (ويك الكُبرى) حين أتوه بنبأ موت الملك. في هذا الصَّباح البارد الكئيب تلَوَّن البحر مِثْل السَّماء بدرجةٍ قاتمة من الرَّمادي، وكان أول ثلاثة رجالٍ قد قدَّموا حياتهم للإله الغريق بلا خوف، لكن رابعهم ضعيف الإيمان، وقد بدأ يُقاوم بينما راحت رثاه تصرُّخان طالبتين الهواء. واقفًا وسط الأمواج المتكسِّرة المرتفعة حتى خصره، أطبقَّ آرون على كتفي الصَّبي العاري وعادَ يدفع رأسه تحت الماء وهو يُحاول انتزاع بضعة أنفاس، وقال له: «تشجَّع. من البحر جننًا وإلى البحر نعود. افتح فمك وانهل من بركة الإله، املاً رثيتك بالماء كي تموت وتُولد من جديد. لن تُجديك المقاومة نفعًا».

إمَّا أن الصَّبي لم يسمعه ورأسه تحت الأمواج، وإمَّا أن إيمانه تخلَّى عنه بالكامل، إذ بدأ يركل ويتلوى بضراوةٍ أرغمت آرون على طلب المساعدة، فأقبل أربعة من رجاله الغرقى خائضين ليقبضوا على المأفون ويُنقذوه تحت الماء، وبصوتٍ عميق كالبحر نفسه صلى الرَّاهب قائلاً: «إلهنا الذي غرقَ من أجلنا، اجعل خادمك إموند يُولد ثانيةً من البحر كما وُلدت. باركه بالملح، باركه بالحجر، باركه بالفولاذ».

أخيرًا انتهى الأمر؛ كَفَّت فقايق الهواء عن الخروج من فم الصَّبي، وغادرت القوة كلها أطرافه، وطفأ إموند على وجهه في مياه البحر الضحلة، جسده شاحب بارد ساكن.

عنـدئذٍ انتبه ذو الشَّعر الرَّطب إلى وجود ثلاثة خيالة انضَمُّوا إلى رجاله الغرقى على حصى الشَّاطئ. تعرَّف آرون ابن سبار، العجوز ذا الوجه الطويل النحيف والعينين الدَّامعتين، الذي يُعدُّ صوته الرَّاجف قـانونًا في هذه المنطقة من (ويك الكُبرى)، وقد اصطحبه ابنه سـتيفاريون وشاب آخر يرتدي معطفًا مبطنًا بالفرو الأحمر القاني، يُنَيِّته إلى كتفه مشبك منمَّق عليه رمز عائلة جودبرادر، البوق الحربي بلونه الذهبي والأسود. أدرك الرَّاهب مَنْ يكون بمجرد النَّظر، وقال لنفسه: أحد أبناء جورولد. ثلاثة أبناء أنجبَتْهم زوجة جودبرادر في سنِّ متأخرة بعد دسنةٍ من الفتيات، ويُقال إن لا أحد يستطيع التَّمييز بين الإخوة الثلاثة، فلم يتكرَّم آرون ذو الشَّعر الرَّطب بمجرد المحاولة. سواء أكان هذا جرايدون أم جورموند أم جران، فليس لدى الرَّاهب وقت له.

زمجرَ بأمر مقتضب، فقبضَ رجاله الغرقى على ذراعي الصَّبي الميت وساقيه ليحملوه فوق منسوب المياه، وتبعهم الرَّاهب عاريًا إلَّا من خرقَةٍ من جلد الفقمات تسُرُّ عورته. ببشرةٍ مقشعة يَقطر منها الماء عادَ إلى اليابسة خاطيًا فوق الرِّمال الباردة المبتلة والحصى الذي جلاه البحر، وناولَه أحد رجاله الغرقى

ثوبًا من الخيش المبرقش بدرجات الأخضر والأزرق والرمادي، ألوان البحر والإله الغريق. ارتدى آرون الثوب وحلَّ خُصَلات شعره، ذلك الشعر الأسود المبتل الذي لم تمسّه شفرة منذ لفظه البحر، لينسدل على كتفيه كمعطفٍ خفيف رث ويتجاوز خصره، وقد حبك آرون جدائل من الطحالب البحرية في ثناياه وفي لحيته المتشابكة الطليقة.

كُون رجاله الغرقى حلقةً حول الصّبي الميت وشرعوا في الصّلاة، وتولّى نورجن تحريك ذراعيه بينما ركع روس فوقه منفرج السّاقين وأخذ يضغط على صدره، لكن الجميع أفسحوا الطريق لآرون، الذي دَسَّ أصابعه بين شفتي الصّبي الباردتين وفتحهما، ثم أعطى إيموند قبلة الحياة مرّةً ثم أخرى ثم أخرى، إلى أن تدفق البحر من فمه، وبدأ الصّبي يسعل ويصق، وانفتحت عيناه المليئتان بالخوف.

واحد آخر يعود. يقولون إنها أمانة على مُحاباة الإله الغريق، فكلُّ راهبٍ سواه يفقد رجلًا بين الحين والآخر، حتى تارل الغارق ثلاثًا الذي رآه النَّاس ذات يومٍ رجلًا تقيًا للغاية، لدرجة أنه اختير لأن يُتَّوَّج ملكًا بنفسه... الكلُّ باستثناء ذي الشعر الرّطب الذي رأى أبهاء الإله المائيّة رأي العين وعاد ليحكى عنها. قال للصّبي الذي يبصق الماء وهو يُرَبِّت على ظهره العاري: «انهض. لقد أغرقت وأعدت إلينا. ما مات لا يُمكن أن يموت أبدًا».

غمغم الصّبي: «بَل يُبَعَث»، وسعل بعنفٍ مُخرِجًا المزيء من الماء. «يُبَعَث من جديد». كلُّ كلمةٍ ينقُطها معاناة، لكن هذا ديدين العالم، ويحب أن يُكافح المرء ليعيش. كرر إيموند: «يُبَعَث من جديد»، ونهض بصعوبةٍ مكملًا: «أقوى وأصلب».

قال له آرون: «إنك تنتمي إلى الإله الآن»، وتجمّع باقي الرّجال الغرقى حول الصّبي، لينال من كلِّ منهم لكزةً وقُبلةً على سبيل التّرحيب به في أخوتهم. ساعده أحدهم على ارتداء ثوبٍ من الخيش المصبوغ بالأزرق والأخضر والرمادي، وقدم له آخر هراوةٍ من الخشب المجروف، فيما قال آرون: «إنك تنتمي إلى البحر الآن، ولذا سلّحك البحر. ندعو إلهنا أن تحمل هراوتك بضراوةٍ ضد كلِّ أعدائه».

لحظتها فقط التفت الراهب إلى الرّاكبين الثلاثة الذين يُشاهدون من فوق خيولهم، وسألهم: «هل جئتم لتُغرّقوا أيها السّادة؟».

سعل ابن سبار، وأجاب: «لقد أغرقت في صباي، وابني يوم ميلاده».

أطلق آرون نخيرًا ساخرًا. لا شكّ لديه في أن ستيفاريون سبار وُهبَ إلى الإله الغريق عقب مولده، بل ويعرف الكيفيّة أيضًا؛ غمسة سريعة في حوض مليء بماء البحر الذي بلل رأس الرّضيع بالكاد. لا عجب في أن حديدَي الميلاق قد قُهرُوا، أولئك الذين كانوا فيما مضى يبسطون سُلطانهم على كلِّ مكان يُسمَع فيه صوت الموج. خاطب الراهب الرّاكبين قائلاً: «ذلك ليس إغراقًا حقًا. مَنْ لا

يموت فعلاً لا أمل له في العودة من الموت. لماذا أتيتم إذن إن لم يكن لإثبات إيمانكم؟».

أشار ابن سبار برأسه إلى الشاب في المعطف الأحمر مجيباً: «ابن اللورد جورولد جاء يسعى إليك حاملاً أخباراً».

لا يبدو أن الصبي يتجاوز السادسة عشرة من العمر، وقد سأله آرون: «نعم، وأيهم أنت؟».

- «جورموند، جورموند جودبراذر، إذا سمح سيدي».

- «الإله الغريق هو من يجب أن نطلب سماحه. هل أغرقت يا جورموند جودبراذر؟».

- «يوم ميلادي يا ذا الشعر الرطب. لقد أرسلني أبي لأجدك وأخذك إليه، يُريد أن يراك».

ردّ آرون: «هأنذا، فليات اللورد جورولد ويُمَتِّع نظره»، وتناول من روس قربة جلدية مملوءة للتوّ بماء البحر، وخلع ساداتها وأخذ رشفةً.

قال جورموند الشاب بإصرارٍ من فوق حصانه: «المفترض أن آخذك إلى القلعة».

يخشى أن يترجّل وإلاّ ابتلّ حذاؤه. «إنني مشغول بعمل الإله». آرون جرايچوي

نبي، ولا يطيق أن يلقي عليه اللوردات التافهون الأوامر كأنه قن⁷ من الأقنان.

قال ابن سبار: «جورولد وصل إليه طائر».

أضاف جورموند مؤكّداً: «طائر من المايستر في (بايك)».

أجنحة سوداء، أخبار سوداء. «الغدقان تطير فوق الملح والحجارة. إذا كانت هناك أخبار تعنيني فتكلّم الآن».

أجاب ابن سبار: «الأخبار التي نحملها لأذنيك وحدك يا ذا الشعر الرطب، ليست أشياء أرغبُ في الكلام عنها هنا أمام هؤلاء الآخرين».

- «هؤلاء الآخرون رجال الغرقى، خدم الإله، مثلي تماماً، ولست أخفي أيّ أسرارٍ عنهم أو عن إلها الذي أقفُ عند بحره المقدّس».

تبادل الرّاكبون نظرةً، ثم قال ابن سبار: «أخبره»، فاستجمع الشاب في المعطف الأحمر شجاعته، وأعلن: «الملك مات». بهذه البساطة قالها، كلمتان صغيرتان لكن البحر نفسه ارتجف حين نطقهما.

في (وستروس) ملوك أربعة، لكن آرون لم يحتج إلى سؤاله من يقصد. بالون جرايچوي لا غيره كان حاكم (جُزر الحديد). الملك مات. كيف هذا؟ كان آرون قد رأى أخاه الأكبر قبل أقلّ من دورة قمر، لمّا عادَ إلى (جُزر الحديد) من الإغارة على (السّاحل الحجري). في غياب الرّاهب ابيضّ نصف شعير بالون الأشيب، ولاحت انحناءة كتفيه أكثر مما كانت عندما أفلعت السفن الطويلة من الوطن،

لكن إجمالاً لم تبدُ على الملك علامات المرض.

لقد شيد آرون جـرايچوي حياتـه على عـمـادـين راسـخـين، وتلكمـا الكلمـتان الصغـيرتان هـدمتا أحـدهما. لم يبقَ لـي إلا الإله الغريق، فعسى أن يجعلني قـويًا مثـابراً كالبحر. «أخبرني كيف مات أخي».

- «كان جلالته يعبرُ جسراً في (بايك)، وسقط ليتحطم جسده على الصُخور».

ينتصب معقل آل جرايچوي على لسان أرضي محطم، حصونه وأبراجه مبنية فوق ثلاث كوماتٍ عملاقة من الحجارة المرتفعة من البحر، وتربط الجسور بعض (بايك) ببعض؛ جسور مقنطرة من الحجر المنحوت، وأخرى متارجحة من الألواح الخشبية وحبال القنب.

سألهم آرون: «هل كانت العاصفة ثائرة حين سقط؟».

أجابَه الشاب: «نعم، كانت ثائرة».

أعلنَ الرَّاهب: «إله العواصف أطاحَ به». منذ ألف عام والحرب بين البحر والسماء مضطربة. من البحر جاءَ حديدو الميلاَد والأسماء التي يقتاتون بها حتى في عُـمق الشـيـتاء، لكن العواصف لا تأتي إلا بالويل والحُزن. «أخي بالون جعلنا عظاماً من جديد، وهو ما جلبَ عليه غضبة إله العواصف. إنه يأكل وليمة الآن في أبهاء الإله الغريق المائية، حيث تُلبّي عرائس البحر كلَّ رغبةٍ له، وعلينا نحن الباقون في هذا الوادي الموحش اليابس أن نتمَّ عمله العظيم»، ودسَّ آرون السِّدادة في قِربة الماء مضيئاً: «سأتكلّم مع السيّد والدك. كم المسافة من هنا إلى (هامرهورن)؟».

- «سته فراسخ. ستركب معي».

- «واحد يركب أسرع من اثنين. أعطني حصانك وسيُبارِكك الإله الغريق».

قال ستيفاريون سبار: «خُذ حصاني يا ذا الشَّعر الرطب».

- «لا، حصانه أقوى. حصانك يا فتى».

تردّد الشاب لحظةً خاطفةً قبل أن يترجّل ويُمسِك العِنان لآرون، الذي دسَّ قدمًا سوداء حافيةً في أحد الرِّكابين، ثم وثبَ فوق السَّرج. إنه ليس مغرمًا بالخيل، فهـي مخلوقـات مـن الأراضـي الخضرَاء تُسـاعـد على إضـاعـاف البشـر، لكن الحاجة تُجـبره على الـركوب. أجنحة سوداء، أخـبار سوداء. ثـمّة عاصـفة فـي طـور المـيلاـد، بإمكانه أن يسمعها في الأمواج، والعواصف لا تجلب إلا الشرور. قال لرجاله: «قابِلوني في (بلدة الحصى) أسفل بُرج اللورد مرلين»، وأدارَ رأسَ حصانه وانطلقَ.

الطريق وعـر، وقد مضى آرون فيه صاعداً تـلّالاً ومجتازاً غاباتٍ وأخاديد حجريّة محدودة، ثم قطعَ درباً ضيقاً أخذَ يختفي بين الحين والآخر تحت حوافر الحصان.

(ويك الكُبرى) أوسع (جُزر الحديد)، ضخمة لدرجة أن لعددٍ من لورداتها أملاكاً لا

تطلُّ على البحر المقدَّس، وجورولد جودبراذر أحد هؤلاء، فقلعته مقامة في تلال (الحجر الصُّلب)، أبعد عن ملكوت الإله الغريق من أيِّ مكانٍ آخر في الجُزر كُلِّها، ويكدح قومه في ظلمة مناجمه الحجرية تحت الأرض، حتى إن بعضهم يعيش ويموت دون أن يرى المياه المالحة ولو مرَّة. لا غرو أن قومًا كهؤلاء فاسدو الطِّباع وغُرباء الأطوار.

وبينما ركبَ آرون تحوَّلت أفكاره إلى إخوته.

تسعة أبناء وُلدوا من صُلب كويلون جرايچوي سيِّد (جُزر الحديد). هارلون وكوينتون ودونل أنجبَتْهم زوجة اللورد كويلون الأولى التي كانت من عائلة ستون تري، وبـالون ويـورون وفيكتـاريون ويـوريجون وآرون جـاءوا من زوجتـه الثَّانية التـي كـانت من آل سـندرلي أولاد (جُرف الملـح)، أمَّا زوجتـه الثَّالثة فكـانت فتـاة من الأراضـي الخضراء أعطته ابنًا أحمق سقيمًا اسمه روبن، الأخ الذي يُستحسن أن يُنسى. لا يذكُر الرَّاهب كوينتون أو دونل اللذين ماتا وأظفارهما لا تزال ناعمةً، وهارلون يذكُرهُ بشكلٍ ضبابي، جالسًا بثباتٍ ووجهٍ رمادي في عُرْفَة بُرج بلا نوافذ، يتكلَّم بهمسٍ يخفُّ يومًا بعد يومٍ والدَّاء الأرمد يُحيل شفّتيه ولسانه إلى حجر. ذات يومٍ سنحتفل بمأدبةٍ من الأسماك معًا في أبهاء الإله الغريق المائيَّة، نحن الأربعة ومعنا يوري أيضًا.

تسعة أبناء وُلدوا من صُلب كويلون جرايچوي، لكن أربعةً منهم فقط عاشوا وبلغوا سنَّ الرُّجولة. إنه سَمَت هذا العالم البارد، حيث يصطاد الرِّجال من البحر ويحفرون في الأرض ويموتون، بينما تلد النِّساء أطفالًا قصار الأجل في أسرة الدَّم والألم. آرون أصغر وأدنى الكراكين⁸ الأربعة، وبالون أكبرهم وأجراًهم، صبيٌّ قويٌّ مقدام لم يَعبش إلا لإعادة حديدِّي الميلاد إلى مجدهم التَّليد. في سنِّ العاشرة تسلَّق (جُروف الصَّوَّان) إلى بُرج اللورد الأعمى المسكون، وفي الثَّالثة عشرة كان بإمكانه أن يُبحر بسفينةٍ طويلة ويَرُقُص رقصة الأصابع ببراعة أيِّ رجلٍ من الجُزر، وفي الخامسة عشرة أبحرَ مع داجمر ذي الفلكِ المفلوق إلى (الأعتاب) وأمضى صيفًا في الإغارة، وهناك قتلَ رجلًا للمرَّة الأولى واتَّخذ لنفسه أول زوجتين ملحيتين، وفي السَّابعة عشرة صارَ بالون رُبَّانًا على سفينته الخاصَّة. كان بالون كلِّ ما ينبغي أخٌ كبير أن يكونه، مع أن آرون لم يرَ منه إلا الازدراء. كنتُ ضعيفًا ومحمَّلًا بالخطايا، والازدراء أكثر مما استحققتُ. خيرٌ لي أن يزدريني بالون الشُّجاع من أن يُحبِّني يورون عين الغُراب. لكن إذا أفعمت السِّنون والأحزان بالون بالمرارة، فقد جعلته أيضًا أشدَّ عزمًا من أيِّ رجلٍ على قيد الحياة. لقد وُلِدَ ابنًا للورد وماتَ ملكًا، قتله إله غيور، والآن العاصفة آتية، عاصفة لم تشهد لها هذه الجُزر مثيلًا.

كان الظَّلام قد حَلَّ منذ مدَّةٍ طويلة عندما لمحَ الرَّاهب شُرَفات (هامرهورن) ذات البروزات الحديد الحادَّة تخدش وجه القمر الهلال. قلعة جورولد ضخمة متناسقة

البناء، حجارته الكبيرة مقتلعة من الجُرف اللّائح وراءها، وأسفل أسوارها تنفتح
مداخل الكهوف والمناجم العتيقة متثابرة كأفواه سوداء بلا أسنان. وجدَّ آرون
بِوَابَةِ (هامرهورن) الحديدية مغلقة وموصدة مع حلول الليل، فدَقَّ عليها بصخرةٍ
إلى أن أيقظ الضجيج أحد الحرس.

الشَّابُّ الذي أدخله كان نُسخةً من جورموند الذي أخذَ حصانه، فسأله آرون:
«أَيُّهُمْ أَنْتَ؟».

- «جران. أبي ينتظرك في الدّاخل».

دخلَ الرَّاهِبُ القاعة الرّطبة المملأى بالظُّلال وتيارات الهواء، حيث قدّمت له إحدى
بنات جورولد قرناً من الميزر، وحرّكت أخرى جمر نارٍ متواضعة ينبعث منها دُخان
أكثر من الحرارة، فيما انشغلَ جورولد جودبراذر نفسه بحديثٍ خفيض مع رجلٍ
نحيل في رداءٍ رمادي أثيق، يضع حول عُنقه سلسلةً حلقاتها من مختلفِ
المعادن، معلنةً أنه مايستر من (القلعة).

سألَ جورولد حالما رأى آرون: «أين جورموند؟».

- «عائد على قدميه. اصرف فتاتيك يا سيّدي، والمايستر أيضاً». إنه لا يُكِنُّ أَيَّ وُدٍّ
للمايسترات، فغدّفانهم من مخلوقات إله العواصف، كما أنه لا يثقُ بأساليبهم
في العلاج منذ ما حدثَ ليوري. لا رجل حقيقياً يختار حياةً من العبودية أو يسعى
إلى تكوين سلسلةٍ قِنٍ يضعها حول عُنقه.

قال جودبراذر باقتضاب: «جايزلا، جوين، اترُكنا، وأنت أيضاً يا جران. المايستر
مورنميور سيبقى».

ردَّ آرون بإصرار: «سيذهب».

- «هذه قاعتي يا ذا الشَّعر الرّطب، وليس لك أن تُقرّر من يبقى ومن يذهب.
المايستر سيبقى».

قال آرون لنفسه: الرَّجُل يحيي - بعِي - دَا جَدًّا عَن البحر، ثم
خاطبَ جودبراذر معلناً: «إنني راجل إذن»، وأصْدَرَ الحصىير الجاف
حفيفاً تحت قدميه الحافيتين السّوداوين المشققتين إذ دارَ وبدأ يبتعد،
وقد بدا له أنه ركَبَ كلَّ هذه المسافة بلا طائل.

كان قد بلغَ الباب تقريباً حين تنحنحَ المايستر، وقال: «يورون عين الغُراب جالس
على كُرسي حجر اليم».

التفتَ ذو الشَّعر الرّطب، وقد ازدادت برودة القاعة فجأةً. عين الغُراب على
الجانب الآخر من العالم. بالون طرده منذ عامين وأقسمَ أن يدفع حياته ثمناً إذا
عادَ.

قال بصوتٍ مبحوح: «أخبرني».

وأخبره جورولد جودبراذر: «لقَدْ رسا في (لوردزپورت) بَعْدَ مَوتِ

الملك بيوم واحد وأخذ القلعة والتاج باعتباراه أكبر إخوة بالون،
والآن يُرسِل غُدفانًا لاسـتدعاء الربانة والملوك من كل جزيرة إلى (بايك)
ليركعوا له ويُبایعوه ملكًا عليهم».

قال آرون ذو الشَّعر الرُّطب دون أن يزن كلماته: «لا، لا حقَّ إلا لمؤمن في
الجلوس على كُرسی حجر الیم. عين الغراب لا یَعْبُد إلا كبرياءه».

تساءل جودبرادر: «كنت في (بايك) منذ فترة قصيرة ورأيت الملك، فهل ذكر لك
شيئًا عن الخلافة؟».

نعم. كانا قد تكلمنا في (بُرج البحر) بينما تعوي الرِّيح خارج النوافذ وتتكسر الأمواج
بلا انقطاع في الأسفل، وهَزَّ بالون رأسه بقنوطٍ حين أخبره آرون بما جرى لابنه
الحـي الأخيـر، وقال: «الـدُّتاب أضـعـفـته كـمـا خـشـیتُ. أدعـو إلـاهـه
أنـهم قـتـلـوه، كـي لا یـعـتـرض طـريق آسـا». فـي هـذا كـان بـالون أعمـى
البصيرة، إذ رأى نفسه في ابنته الجامحة العنيدة واعتقد أنها تستطيع أن
تخلفه. كان مخطئًا، وقد حاول آرون أن يُخبره بهذا، فقال بإصرار: «لا امرأة
ستحکم حديدیّ الميلاد أبدًا، حتى لو كانت امرأة كاشا»، إلا أن بالون اعتاد أن
يصم أذنيه عن كل ما لا يرغب في سماعه.

قبل أن يُجيب الرَّاهب جورولد جودبرادر، انفتح فم المايستر ثانية ليقول: «شرعًا
كُرسی حجر الیم من حقَّ ثيون، أو آسا إذا مات الأمير. إنه القانون».

ردَّ آرون باحتقار: «قانون الأراضي الخضراء، ما قيمته عندنا؟ إننا حديدو الميلاد،
أولاد البحر ومُختارو الإله الغريق. ليس من حقَّ امرأة أن تحكمنا، أو من حقَّ أيّ
رجل كافر».

سأل جورولد جودبرادر: «وفيكтариون؟ الأسطول الحديدي تحت قيادته. هل
سيُطالِب فيكتاريون بالحكم يا ذا الشَّعر الرُّطب؟».

بدأ المايستر يتكلم: «يورون الأخ الأكبر...».

غير أن آرون أخرسه بنظرة. في فُرى الصَّيد الصَّغيرة والقلاع الحجرية العظيمة
على حدِّ سواء، نظرة كهذه من ذي الشَّعر الرُّطب كفيلة بإصابة الفتيات بالدوار
ودفع الأطفال إلى الهروع صارخين إلى أمهاتهم، والآن كانت أكثر من كافية كي
يلوذ هذا العبد مغلول العُنق بالصَّمت. قال الرَّاهب: «يورون الأكبر، لكن فيكتاريون
أتقى».

سأله المايستر: «هل ستقوم الحرب بينهما إذن؟».

- «يجب ألا يُريق حديدو الميلاد دماء حديدیّ الميلاد».

قال جودبرادر: «فكرة ورعة يا ذا الشَّعر الرُّطب، لكنها ليست فكرة يُشاركك أخوك
إياها. لقد أمر بإغراق ساوان بوتلي لقوله إن كُرسی حجر الیم من حقَّ ثيون
شرعًا».

- «إذا أغرقَ فلم تُرقِ دماء».

تبادلَ المايستر واللورد نظرةً، ثم قال جورولد جودبراذر: «عليَّ أن أرسلَ خبرًا إلى (بايك) قريبًا، وأريدُ نصيحتك يا ذا الشَّعر الرُّطب. ماذا سيكون إذن؟ البيعة أم العصيان؟».

شدَّ آرون شَعرَ لحيته مفكِّرًا: لقد رأيتُ العاصفة، واسمها يورون عين الغُراب، ثم أجابَ اللورد قائلاً: «لا تُرسِلِ إلَّا الصَّمت في الوقت الحالي. يجب أن أصلي قبل أن أجيب».

قال المايستر: «صلِّ كما تشاء، لكن ذلك لن يُغيِّر القانون. ثيون الوريث الشرعي، وبعده آشا».

هدرَ آرون: «صمًّا! لطالما أصغى حديدُّو الميلاد إليكم أيها المايسترات مغلولو الأعناق وأنتم تُثَثِّرون عن الأراضي الخضراء وقوانينها. حانَ الوقت لأن نُصغي للبحر مجدِّدًا، حانَ الوقت لأن نُصغي لصوت الإله». تردَّد صوته في القاعة المملأى بالدُّخان رنًّا مفعمًا بالقوة لدرجة أن جورولد جودبراذر ومايستره لم يجروءا على الرَّد.

الإله الغريق معي، وقد أراني السَّيل.

عرضَ عليه جودبراذر أن يقضي الليلَ مستريحًا في القلعة، لكن الرَّاهب رفضَ، فنادرًا ما ينام تحت سقف قلعة، ولا ينام أبدًا على هذا البُعد من البحر. «سأعرفُ الرَّاحة في أبهاء الإله الغريق المائيَّة تحت الأمواج. لقد وُلدنا لنُعاني ونستمدَّ القوَّة من معاناتنا. لستُ أطلبُ إلَّا حصانًا جديدًا يحملني إلى (بلدة الحصى)».

أسعدَ جودبراذر أن يُزوِّده بالحصان، وأرسلَ ابنه جرايدون أيضًا ليُري الرَّاهب الطريق الأقصر عبر التَّلأل إلى البحر. كانت تفصلهما عن الفجر ساعة كاملة حين تحرَّكا، لكن حصانيهما قويَّان ثابتا الخُطى، وقد قطعوا مسافةً لا بأس بها على الرغم من الظَّلام. أغلقَ آرون عينيه وردَّد دُعاءً صامتًا، وبعد قليل بدأ الوسن يئنابه وهو راكب.

جاءَه الصَّوت بخفوت، صرخة مفصلة الباب الصَّدئة. تمتَم: «يوري»، واستيقظَ خائفًا. لا توجد مفصلة هنا، لا باب، لا يوري. فأُس مقذوفة بتَّرت نصف يد يوري وهو في الرَّابعة عشرة من العُمُر بينما يرقُص رقصة الأصابع في غياب أبيه وإخوته الأكبر في الحرب. كانت زوجة اللورد كويلون الثالثة من آل پاير أولاد (قلعة العذراء الوردية)، فتاة ذات ثدين كبيرين غصين وعيني طبيَّة بنيتين، وبدلاً من علاج يدي يوري على النَّهج القديم بالنَّار وماء البحر تركته لُمَيس-ترها القِادم من الأراضي الخضراء بدورها، فأكد الرَّجل أنَه يس-تطيع أن يخيط الأصابع المبتورة في مكانها، وقد فعلَ هَذَا ثم اس-تخدم أدويَّة وكَماداتٍ وأعشابًا، لكن اليَد تعفنت وأصيبَ يوري بالحُمى، ولمَّا بتَر

المَيسِر ذراعُه كامِلَةٌ كان أوان إنقاذه قد فاتَ.

لَم يَرجع اللورد كويلون مِن رحلتِه الأخيرة، إذ أنعمَ عليهِ الإله الغريق بالموت في البحر. اللورد بالون هو مِن رجَع ومعه أخواه يورون وفِيكتاريون، وحَين سَمِعَ بالون بِمِـأ أصـابَ يوري بـتـرَ ثلاثَةً مِن أصـابـع المَيسِر بـسـاطور طاهٍ وأرسلَ زوجة أبيهِ ابنَةَ پاپير لتخيطها، لتأتي الأدوية والكَمادات بالنتيجة نفسـها مـرـع المَيسِر كـمـا فعلت مع يوريجون، فماتَ الرَّجل وهو يهذي، وسرعان ما تبعتَه زوجة اللورد كويلون الثالثة بينما أخرجت القابلة فتاةً جَهِيزَةً من رحمها. سُرَّ آرون لهذا، وقد بُتِرَت أصابع يوري بفأسه هو في أثناء رقصهما رقصة الأصابع معًا كما يفعل الأصدقاء والإخوة.

ما زالَ يَشـعُر بِـالـخـزي كَلَمـا تـذكَّر السِّينين التـي تـلَـت مـوت يـوري. فـي سِنِّ السَّادسـة عـشـرة وـصـفَ نـفـسـه بِالرُّجولـة، لـكـن الحقيقـة أنـه لـم يـكـن أَكـثـر مِن جـوال نـبيذٍ بِساقين، وقد تَعوَّد أن يُغَيِّي وَيَرْقُص -ولكن ليس رقصة الأصابع التي كَفَّ عنها تَمَامًا- ويمزح ويثرثر ويسخر من النَّاس، بالإضافة إلى العزف على المزمار وممارسة ألعاب الحواة وركوب الخيل، والقدرة على الشرب أكثر من آل وينش وآل بوتلي كَافَّة، ونصف آل هارلو أيضًا. الإله الغريق يمنح كلَّ رجلٍ موهبةً، حتى هو، فلم يكن هناك من يُمكنه أن يبول أطول أو يُوجِّه بوله أبعد من آرون جرايچوي، كما أثبتَ في كلِّ مَادبة. في مرَّةٍ رَاهَنَ بِسفينته الطويلة الجديدة مقابل قطيع من الماعز على أنه يستطيع أن يُطفئ نارَ مستوقِدٍ بقضيبه لا أكثر، والتهمَ آرون لحم الماعز طيلة عامٍ كاملٍ وسمَّى سفينته (العاصفة الذهبية)، وإن هدَّده بالون بتعليقه من صاريها حين عرفَ شكل المِدَكِّ الذي أرادَ أخوه أن يُركِّبه على مقدِّمتها.

في النِّهاية غرقت (العاصفة الذهبية) عند (الجزيرة القصية) خلال ثورة بالون الأولى، وقد شطرَها نصفين قادمٌ ⁹ حربي هائل اسمه (الثورة)، لَمَّا أوقع ستانيس باراثيون فيكتاريون في فخِّه وحطم الأسطول الحديدي. على أن الإله لم يَفْرُغَ من آرون وحمله إلى الشَّاطِئ، حيث أسره بعض الصَّيَّادين وساقوه إلى (الانسپورت) مكبَّلًا بالأغلال، فقضى بقية الحرب في أعماق (كاسترلي روك) مَثبَّتًا أن الكراكن تستطيع أن تبول أطول وتُوجِّه بولها أبعد من الأسود أو الخنازير البرية أو الدَّجاج.

ذلك الرَّجل ماتَ. لقد غرقَ آرون وُبِعَتْ مِن جَدِيدٍ من البحر نبيًا للإله، لا يحسُّ خوفًا من أيِّ رجلٍ فإن ولا يحسُّه من الظلام... أو الذِّكريات، عظام الرُّوح. صوت بابٍ يُفْتَحُ، صرخة مِفصَلة صدئة. يورون جاءَ ثانيةً. لا يهتم. إنه الرَّاهِب ذو الشَّعر الرطب، محبوب الإله.

سأله جرايدون جودبراذر وقد بدأت الشَّمْسُ تُضيء التِّلَال: «هل ستقوم حرب؟

حرب بين أخ وأخيه؟».

- «إذا شاء الإله الغريق. ليس لكافر أن يجلس على كرسي حجر اليم». لكن عين الغراب سيقاتل، هذا مؤكد. لا امرأة تستطيع أن تهزمه، ولا حتى آشا، فالنساء مخلوقات لخوض معاركهن في فراش الولادة. أمّا ثيون -إذا كان حيًا- فلا رجاء منه أيضًا، مجرد صبي يعبس ويبتسم لا أكثر. لقد برهن في (وينترفل) على قيمته المحدودة أصلًا، لكن عين الغراب ليس صبيًا قعيًا. أسطح سفينة يورون مطلية بالأحمر كي تخفي الدماء التي تشبعت بها ألواحها. فيكتاريون، يجب أن يكون الملك فيكتاريون وإلا دمرتنا العاصفة جميعًا.

تركه جرايدون عندما ارتفعت الشمس في السماء، ليحمل خبر موت بالون إلى أبناء عمومته في أبراجهم ب-(الحفرة العميقة) و(قلعة قرن الغراب) و(بحيرة الجثث)، وواصل آرون الطريق وحده صاعدًا تلالًا ونازلًا إلى وديان صغرة، يقطع دربًا حجريًا أخضر يتسع ويظهر عليه ناس أكثر مع اقترابه من البحر. في كل قرية توقف ليعط، وفي ساحات اللوردات الصغار أيضًا، وقد قال للأهالي بصوت عميق كالمحيط راعدًا كالموج: «من البحر وُلدنا وإلى البحر نعود جميعًا. في غضبته انتزع إله العواصف بالون من قلعته وأطاح به، والآن يأكل وليمة تحت الأمواج في أبهاء الإله الغريق المائية»، ورفع يديه متابعًا: «مات بالون! مات الملك! لكن ملكًا جديدًا سيحيي! عسى الميت ألا يموت أبدًا، بل يُبعث من جديد أقوى وأصلب! سيأتينا ملك!».

ألقي بعض من سمعوه معازقهم ومعاولهم ليتبعوه، وهكذا حين سمع الأمواج تتكسر كانت دسته من الرجال تمشي وراء حصانه، وقد مسهم الإله وانتابتهم الرغبة في الغرق.

تضم (بلدة الحصى) عدّة آلاف من الصيادين الذين شيّدوا أكواخهم حول قاعدة منزل مربع يرتفع بُرج من كل ركن من أركانه، وهناك وجد آرون أربعين من رجاله الغرقى في انتظاره مخبئين على شاطئ رمالهم رمادية، في خيام من جلد الفقمات ومأوى من الخشب المجزوف. أيديهم أخيشوشنت من الماء المالح، وخلفت فيها الشباك والصنارات الندوب، وغلظتها المجاذيف والمعاول والفؤوس، لكن الآن تحمل تلك الأيدي هراوات من الخشب المجزوف قويّة كالحديد، إذ سلّحهم الإله من ترسانته في أعماق البحر.

كانوا قد بنوا للراهب مأوى فوق منسوب المياه مباشرة، وقد زحف داخلًا إياه شاعرًا بالسرور بعد أن أغرق أتباعه الجدد، ثم صلى: إلهي، حدّثني بهدير الموج ودلّني على ما يجب أن أفعله. الربّانة والملوك ينتظرون كلمتك. من سيكون

ملكنا بدلًا من بالون؟ غنّ لي بلغة اللويثانات¹⁰ كي أعرف اسمه. أخبرني يا إلهي الساكن تحت الأمواج، من يملك القوة لمواجهة العاصفة الثائرة في

(بايك)؟ على الرغم من الإرهاق الذي أصابته به الرحلة إلى (هامرهورن)، ظلَّ آرون ذو الشعر الرطب يتقلب متململاً في فراشه داخل المأوى المبنى بالخشب المجروف وتحت سقفه المصنوع من الطحالب البحرية السوداء، وقد احتشدت السحب حافية القمر والنجوم، وجثم الظلام الدامس على البحر كما يجثم على روحه. بالون أثر أشا ابنة جسده، لكن ليس لامرأة أن تحكم حديدي الميلا. لا بُدَّ أن يكون الملك فيكتاريون. تسعة أبناء وُلدوا من صلب كويلون جرايچوي، وفيكتاريون أصلهم، رجل قوي كالثيران، شجاع ومطيع. وفي هذا يكمن الخطر. الأخ الصغير مدين بالطاعة لأخيه الكبير، وفيكتاريون ليس بالرجل الذي يُبحر ضد تيار التقاليد. لكنه لا يحبُّ يورون منذ ماتت المرأة.

من الخارج، بصوت أدنى من غطيظ رجاله الغرقى وعويل الريح، تنهأت إلى مسامعه دقات الأمواج، مطرقة إلهه تسدعيه إلى المعركة. خرج آرون من مأواه الصغير إلى برد الليل، وعاريًا وقف، شاحبًا هزيلًا طويلًا، وعاريًا خاض في البحر الأسود المالح. كانت المياه باردة كالجليد، لكنه لم يجفل من تربيته إلهه، وانكسرت موجة على صدره جاعلة إياه يترنح، والتالية انكسرت فوق رأسه. تذوق الملح على شفثيه وأحس بالإله يحفه وبجلال أغنيته يتردد في أذنيه. تسعة أبناء وُلدوا من صلب كويلون جرايچوي، وكنت أدناهم، ضعيفًا خائفًا كالفتيات، لكنني لم أعد كذلك. ذلك الرجل غرق ومدني الإله بالقوة. أحاط به البحر المالح البارد واحتضنه، مدَّ يده مخترقًا لحمه البشري الضعيف ومسَّ عظامه. العظام، عظام الروح، عظام بالون ويوري. الحقيقة في عظامنا، فاللحم يفنى والعظام تبقى، وعلى (تل ناجا) عظام (بهو الملك الأشيب)...

وهزيلًا وشاحبًا ومرتعجًا، عاد آرون ذو الشعر الرطب إلى الشاطئ رجلاً أكثر حكمة مما كان عندما خاض في البحر، إذ عثر على الإجابة في عظامه وصار الطريق جليًا أمامه. كان الليل باردًا للغاية لدرجة أن البخار بدا كأنه ينبعث من جسده وهو يمشي بشموخ عائدًا إلى مأواه، لكن في قلبه اضطربت النار، وأتاه النوم بسهولة هذه المرة، دون أن يوقظه صراخ المفصلات الحديد.

حين استيقظ وجد النهار صافيًا قويَّ الريح، وأفطر على مرق المحار وطحالب البحر المطبوخ فوق نار حطبها من الخشب المجروف. لم يكد يفرغ من الطعام حتى نزل ابن مرلين من منزله يسعى إليه مع نصف دسنة من رجاله، فقال له ذو الشعر الرطب: «الملك مات».

- «نعم وصل إلي طائر، والآن وصل آخر». ابن مرلين رجل أصلع مستدير الجسد وممتلئ، يلقب نفسه بـ«اللورد» على غرار أهل الأراضي الخضراء، ويرتدي الفراء والمخمل. «هناك غداً يسدعيني إلى (بايك) والثاني إلى (البروج العشرة). أنتم أيها الكراكين لكم أذرع كثيرة كفيلة بتمزيق

المرء إربًا. مرا قولك أيها البرّاهب؟ أيـن أرسلُ سُفني الطّويلة؟». (البروج العشرة) مقرُّ سيّد (هارلو)، وهو ما جعلَ آرون يُقَطِّب وجهه ويسأل: «تقول (البروج العشرة)؟ أيُّ كراكن يستدعيك إلى هناك؟».

- «الأميرة آشا. لقد أبحرت إلى الوطن، والقارئ أرسلَ غِدْفًا يستدعي جميع أصدقائها إلى (هارلو). يقول إن بالون أرادَ أن يكون كُرسي حجر اليم لها».

قال الرّاهب: «الإله الغريق سيُقرّر من يجلس على كُرسي حجر اليم. اركع كي أباركك»، فركَع اللورد مرلين على رُكبتيه، وخلَعَ آرون سِدادة قِربته وصَبَّ خيطًا من ماء البحر على رأس الرّجل الأُصْلَع مبتهلًا: «إلهنا الذي غرق من أجلنا، اجعل خادمك ملدريد يُولد ثانيةً من البحر. باركه بالملح، باركه بالحجر، باركه بالفولاذ».

سالَ الماء على وجنتي ملدريد مرلين اللّحيمتين ليتخلَّل لحيته ومعطفه المصنوع من فرو الثّعالب، في حين ختمَ آرون صلاته: «عسى الميت ألا يموت أبدًا، بل يُبعث من جديدٍ أقوى وأصلب»، لكن عندما نهضَ مرلين قال له: «ابقَ وأصغِ كي تنشر كلمة الإله».

على بُعد ثلاثة أقدامٍ من حافة الماء تتكسّر الأمواج حول جُلُودٍ دائري من الجِرانيت، وعليه وقفَ آرون ذو الشّعر الرّطب ليراه جميع أتباعه ويسمعه، ثم بدأ يتكلّم كما فعلَ مئة مئة مرّة من قبل بقوله: «من البحر وُلدنا وإلى البحر نعود جميعًا»، قبل أن يُتابع: «في غضبته انتزعَ إله العواصف بالون من قلعتة وأطاحَ به، والآن يأكل وليمةً تحت الأمواج»، ورفعَ يديه صائحًا: «ماتَ الملك! لكن ملكًا جديدًا سيحيي! عسى الميت ألا يموت أبدًا، بل يُبعث من جديدٍ أقوى وأصلب!».

هتفَ الرّجال الغرقى مجيبين: «سيأتينا ملك!».

قال ذو الشّعر الرّطب: «سيأتي، يجب أن يأتي، لكن مَن؟»، وأصغى لحظةً ولم يسمع ردًّا إلا من الأمواج، فكرّر: «مَن سيكون ملكنا؟».

بدأ الرّجال الغرقى يضربون بعض هراواتهم ببعض هاتفين: «ذو الشّعر الرّطب! ذو الشّعر الرّطب ملكًا! آرون ملكًا! أعطنا ذا الشّعر الرّطب!».

هزَّ آرون رأسه نفيًا، وقال: «إذا كان لأبٍ ابنان، أعطى أحدهما فأسًا والثّاني شبكةً، فأيهما يُريد أن يكون مُحاربًا؟».

صاحَ روس مجيبًا: «الفأس للمُحارب والشّبكة لصيَّاد البحر».

- «نعم. لقد أخذني الإله إلى الأعماق تحت الموج وأغرقَ الشّيء الحقيّر الذي كنته، ولمّا لفظني البحر وهبَ لي عينيّ أرى بهما وأذنين أسمع بهما وصوتًا أنشرُ بها كلمته، كي أكون نبيّه الذي يُعلِّم حقيقته لمن نسوا. إنني لم أخلق للجلوس على كُرسي حجر اليم... وكذا يورون عين الغراب، ذلك أني سمعتُ الإله يقول: ليس لكافرٍ أن يجلس على كُرسي حجر اليم!».

عقدَ ابن مرلين ذراعيه على صدره متسائلًا: «أهي آشا إذن؟ أم فيكتاريون؟

أخبرنا أيها الرّاهب!»،

قال آرون: «الإله الغريق سيُخبركم، ولكن ليس هنـا»، وأشـار إلى وجه مرلين الأبيض البدين مواصلاً: «لا تتطلعوا إليّ أو إلى قوامين البشر، بل إلى البحر. ارفع أشرعتك وأنزل مجاذيفك يا سيدي وخُذ نفسك إلى (ويك القديمة)، أنت وجميع الرّبابنة والملوك. لا تذهبوا إلى (بايك) لتركعوا للكافر، ولا إلى (هارلو) لتُخادِنوا النِّساء المتآمرات، بل وجّهوا سُفنكم إلى (ويك القديمة)، حيث كان (بهو الملك الأشيب). باسم الإله أستدعيكم، أستدعيكم جميعاً! اتركوا قاعاتكم وبيوتكم، اتركوا قلاعكم وحصونكم، وارجعوا إلى (تل ناجا) لتُقيموا انتخاب الملك!»،

حدّق ابن مرلين إليه قائلاً: «انتخاب الملك؟ لم يحدث أن أقيمَ انتخاب ملكٍ حقيقي منذ...».

قاطعَه آرون محزوناً: «... زمن طويل للغاية! لكن في فجر الزّمان كان حديدُو الميلاد يختارون ملوكهم ويرفعون الأجر بينهم. آنّ أوان العودة إلى نهجنا القديم، فما من شيءٍ غيره سيردُّ إلينا عظمتنا. بانتخاب الملك اختيرَ أوراس ذو القدم الحديد ملكاً أعلى ووُضِعَ تاج من الخشب المجروف على رأسه، وسايلاس ذو الأنف الأفطس، وهـاراج هـور، والكـراكن العجـوز، جميعهم رفعَهم انتخاب الملك، ومن انتخاب الملك هـذا سيأتينا رجل يتـمّ العمل الذي بدأه الملك بالون ويسـتردُّ لنا حريّتنا. أقول مجدّداً ألا تذهبوا إلى (بايك) أو بروج (هارلو) العشرة، بل اسعوا إلى (تل ناجا) وعظام (بهو الملك الأشيب)، ففي ذلك المكان المقدّس، عندما يغرق القمر ويطلع من جديد، سنختار لأنفسنا ملكاً يستحقُّ، ملكاً مؤمناً!»، وعادَ يرفع يديه التّاحلتين مردفاً: «أصغوا! أصغوا إلى الأمواج! أصغوا إلى الإله! إنه يُكلِّمنا ويقول لنا: لا ملك إلا بانتخاب الملك!»،

قال قوله هذا فتعالى هدير الحاضرين، ومن جديد دقّ رجّاله الغرقى بعض هراواتهم ببعض هاتفين: «انتخاب، انتخاب، انتخاب! لا ملك إلا بانتخاب الملك!»، وكان لضجيجهم دويٌّ لا بُدَّ أن عين الغراب سمعَه في (بايك) وسمعَه إله العواصف في بهوه وسط السّحاب، وعلمَ آرون ذو الشّعر الرّطب أنه أحسنَ البلاء.

قائد الحرس

بصوتٍ متعَبٍ علّقَ الأمير حين دحرجَ القائدُ كُرسيَّه المتحرّك إلى الشُرْفة: «البُرتقال الدّموي نضجَ أكثر مما ينبغي».

وبَعدها مرّت ساعات دون أن يتكلّم مرّةً أخرى.

ما قاله عن البُرتقال صحيح، وكان بعض الثّمار قد سقطَ لينفطر على الرّخام الوردي الباهت، لتُفعم الرائحة اللّاذعة الحُلوة أنف آريو هوتا مع كلّ نفسٍ يلتقطه.

لا ريب أن الأمير يشمّها أيضًا وهو جالس تحت الأشجار على الكرسي المتحرّك الذي صنّعه له المايستر كاليوت، بوسائده المحشوّّة بريش الإوز وعجلتيّه الثّقيلتين المصنوعتين من خشب الأبنوس والحديد.

فترة طويلة مرّت لم يُسمع فيها صوتٌ إلّا للأطفال العائمين في المسابح والنّوافير، وفي مرّة ارتطام بُرتقالٍ أخري بأرض الشُرْفة وانفطارها، قبل أن تنهـى إلى مسامع قائد الحرس دقات الحذاء الخافتة على الرّخام آتيةً من جانب القصر البعيد.

أوبارا. يعرف مشيتها الطّويلة المتعجّلة الغاضبة، ولا بُدّ أن حصانها في الاسطبل الآن، غارق في الرّغوة¹¹ وينزف من غُف همزها. دائمًا ما تمتطي أوبارا الفُحول، وقد سمعها النّاس تقول مزهوّةً إنّها تستطيع ترويض أيّ حصانٍ في (دورن)... وأيّ رجلٍ كذلك. سمعَ القائد أيضًا خُطواتٍ سريعةً لقدمين أخريين، وقد جدّ المايستر كاليوت السّير بخُفيه اللينين ليلحق بها.

دائمًا تمشي أوبارا ساند مسرعةً، تُطارِد شيئًا لا تستطيع الإمساك به أبدًا، كما سمعَ القائد الأمير يقول لابنته ذات مرّة.

حين ظهرت تحت القنطرة الثّلاثيّة، دفعَ آريو هوتا فأسه الطّويلة إلى الجانب ليسدّ الطريق، الفأس ذات الرّأس المثبّت على قناةٍ من خشب الدّرّدار الجبلي طولها ستّة أقدام، فلم تستطع أوبارا الدّوران من حولها، وقال لها القائد مدممًا بصوته الجهير المثقل بلكنات (نورفوس): «لا تقتربي أكثر يا سيّدي، الأمير لا يُريد أن يُزعجه أحد».

قبل أن يتكلّم كان وجهها حمرًا... ثم قسا. قالت له: «أنت في طريقي يا هوتا». أوبارا ساند أكبر أفاعي الرّمال سينًا، امرأةً كبيرة العظام تُقارب الثّلاثينات من العُمُر، ورثت عينيها الضيّقتين وشعرها البني كفرو الجرذان من عاهرة (البلدة

القديمة) التي ولدتها. تحت معطفها المفصّل من الحرير الرّملي¹² المبرقش بالذهبي والبني المائل إلى الرّمادي ترتدي ثياب ركوبٍ من الجلد البني الدّين البالي، وتلك الثّياب أرق ما فيها. على أحد وركبيها

تَثَبَّتْ سَوْطًا مَلْفُوفًا، وَعَلَى ظَهْرِهَا تَضَعُ ثُرْسًا مِنْ الْفُولاذِ وَالنُّحَاسِ، أَمَّا حَرْبَتُهَا فَتَرْكُتُهَا فِي الْخَارِجِ، وَهُوَ مَا أَشْعَرَ آريو هُوتَا بِالْأَمْتَنَانِ، فَعَلَى الرِّغْمِ مِنْ سُرْعَتِهَا وَقَوَّتِهَا فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ يَدًّا لَهُ... لَكِنِهَا لَا تَعْلَمُ، وَهُوَ لَا يَرِغِبُ فِي رُؤْيَا دِمَائِهَا مِرَاقَةً عَلَى الرُّخَامِ الْوَرْدِيِّ الْبَاهِتِ.

نَقَلَ الْمَايسْتَرُ كَالِيوتَ ثِقْلَهُ مِنْ سَاقٍ إِلَى سَاقٍ قَائِلًا: «لِيَدِي أُوْبَارَا، حَاوَلْتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ...».

- «هَلْ يَعْرِفُ أَنْ أَبِي مَاتَ؟»، سَأَلَتْ أُوْبَارَا الْقَائِدَ دُونَ أَنْ تُغَيِّرَ الْمَايسْتَرُ أَهْتِمَامًا أَكْثَرَ مِنْ دُبَابَةٍ، هَذَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دُبَابَةٌ بِالْحِمَاقَةِ الْكَافِيَةِ لِأَنْ تَطُنَّ حَوْلَ رَأْسِهَا. أَجَابَ الْقَائِدُ: «نَعَمْ، وَصَلَ إِلَيْهِ طَائِرٌ».

جَاءَ الْمَوْتُ (دُورِن) مَحْمُولًا عَلَى جَنَاحَيْ غُدَافٍ، مَكْتُوبًا بِخَطِّ صَغِيرٍ وَمَخْتُومًا بِلَطْخَةٍ مِنَ الشَّمْعِ الْأَحْمَرِ الْيَابِسِ. لَا بُدَّ أَنْ كَالِيوتَ قَدْ خَمَّنَ مَا تَحْتَوِيهِ الرِّسَالَةُ، إِذْ أُعْطِيَ هُوتَا إِيَّاهَا كَيْ يُسَلِّمَهَا لِلْأَمِيرِ، فَشَكَرَهُ هَذَا وَإِنْ قَضَى وَقْتًا طَوِيلًا لِلْغَايَةِ دُونَ أَنْ يَكْسِرَ الْخَتْمَ، وَجَلَسَ طِيلَةً فَتْرَةً الْأَصِيلِ وَفِي حِجْرِهِ الرَّقِّ، يُشَاهِدُ الْأَطْفَالَ يَلْعَبُونَ، وَظَلَّ يُشَاهِدُ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ وَدَفَعَهُ هَوَاءُ الْمَسَاءِ الْبَارِدِ إِلَى الدُّخُولِ، ثُمَّ أَخَذَ يُشَاهِدُ انْعِكَاسَ ضَوْءِ النُّجُومِ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمَّا طَلَعَ الْقَمَرُ أَرْسَلَ هُوتَا يُحْضِرُ شَمْعَةً لِيَقْرَأَ رِسَالَتَهُ تَحْتَ شَجَرِ الْبُرْتِقَالِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ.

مَسَّتْ أُوْبَارَا سَوْطَهَا قَائِلَةً: «الْآلَافُ يَقْطَعُونَ الرِّمَالَ سَيْرًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَيَصْعَدُونَ إِلَى (طَرِيقِ الْعِظَامِ) لِيُسَاعِدُوا الْإِرْيَا عَلَى إِعَادَةِ أَبِي إِلَى الْوَطَنِ. السَّيِّئَاتُ مَزْدَحِمَةٌ عَنْ آخِرِهَا بِالنَّاسِ، وَالرُّهْبَانُ الْحُمْرُ أَشْعَلُوا نَارَ مَعْبَدِهِمْ. فِي بَيْوتِ الْهَوَى تُعَاشِرُ النِّسَاءُ كُلَّ رَجُلٍ يَأْتِيهِنَّ وَيَرْفُضْنَ الْأَجْرَ. فِي (صَنْسِپِيرِ)، عَلَى (الذَّرَاعِ الْمَكْسُورَةِ)، بِطُولِ ضِفَافٍ (الدَّمُ الْأَخْضَرُ)، فِي الْجِبَالِ وَفِي غُمُقِ الرِّمَالِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ مَكَانٍ تُمَرِّقُ النِّسَاءُ شَعْرَهُنَّ وَيَصْرُخُ الرِّجَالُ غَضَبًا، وَالسُّؤَالُ نَفْسَهُ يَتَرَدَّدُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ: مَاذَا سَتَفْعَلُ (دُورِن)؟ مَاذَا سَيَفْعَلُ أَخُو أَمِيرِنَا الْقَتِيلِ انْتِقَامًا لَهُ؟»، وَدَنَّتْ مِنَ الْقَائِدِ مُضِيفَةً: «وَتَقُولُ إِنَّهُ لَا يَرِغِبُ فِي أَنْ يُزَعِّجَهُ أَحَدًا».

كَرَّرَ آريو هُوتَا: «لَا يَرِغِبُ فِي أَنْ يُزَعِّجَهُ أَحَدٌ».

يَعْرِفُ قَائِدَ الْحَرَسِ الْأَمِيرَ الَّذِي يَحْرُسُهُ. ذَاتَ يَوْمٍ فِي زَمَنِ بَعِيدٍ أَتَى شَابٌّ غَرٌّ مِنْ (نُورْقُوسِ)، صَبِيٌّ كَبِيرٌ الْجَسَدِ عَرِيضُ الْمَنْكَبَيْنِ لَهُ شَعْرٌ أَسْوَدٌ فَاحِمٌ. ذَلِكَ الشَّعْرُ أَبْيَضُ الْآنَ، وَذَلِكَ الْجَسَدُ يَحْمِلُ نَدُوبَ مَعَارِكٍ عَدِيدَةٍ... لَكِنْ قَوَّتَهُ لَمْ تَتَخَلَّ عَنْهُ، وَفَاسَهُ الطَّوِيلَةُ يُحَافِظُ عَلَى حَدَّتِهَا دَوْمًا كَمَا عَلَّمَهُ الرُّهْبَانُ الْمَلْتَحُونَ. قَالَ لِنَفْسِهِ: لَنْ تَمُرَّ، وَلَهَا قَالَ: «الْأَمِيرُ يُشَاهِدُ الْأَطْفَالَ يَلْعَبُونَ، وَلَيْسَ مَسْمُوحًا بِإِزْعَاجِهِ أَبَدًا بَيْنَمَا يُشَاهِدُ الْأَطْفَالَ يَلْعَبُونَ».

قَالَتْ أُوْبَارَا سَانِدًا: «هُوتَا، سَتُزِيحُ نَفْسَكَ عَنْ طَرِيقِي وَإِلَّا أَخَذْتُ هَذِهِ الْفَاسَ...».

أتى الأمر من ورائه مقاطعاً إياها بصوتٍ مبجوح: «أيها القائد، دَعها تمر، سأتكلم معها».

سحبَ آرِيو هوتا فأسه الطويلةَ معيـداً إيـها إلى وضـعها العمودي وأخذَ خُطوةً إلى الجانب، ورمقتـه أوبارا بنظرةٍ طويلةٍ أخيرة ثم مرّت به مسـرعةً وفي أعقابـها المايستر. لا يتعدّى كاليوت الأقدام الخمسة طوًلاً، وله رأسٌ أصـلـع كالبيضة ووجه شديد النعومة والامتلاء لدرجة أنك لا تستطيع أن تُخـمّن سِنّه الفعلية، لكنه هنا من قبل القائد، بل وخدمَ أم الأمير كذلك، وعلى الرغم من سِنّه وحجمه فلا يزال رشيق الحركة بما فيه الكفاية وبالغ الذكاء، ولو أنه يتّسم بالخنوع. ليس نِداً لأيٍّ من أفاعي الرّمال.

في ظلّ أشجار البُرتقال جلسَ الأمير على كُرسيّه رافعاً ساقيه المصابتين بالنّقرس أمامه، وتحت عينيه أكياس ثقيلة... إلّا أن هوتا يجهل إن كان مصدر أرقه الحُزن أم النّقرس. في الأسفل ما زال الأطفال يلعبون في النّوافير والمساح، أصـغرهم لا يتجاوز الخامسة وأكـبـرهم لا يتجاوز العاشرة، مزيـج من الصّبيّة والفتيات، وباستطاعة هوتا أن يسمعهم يَنثرون المياه ويتصايحون بأصوات عالية حادّة. قال الأمير عندما جثّت المرأة على رُكبتيها أمام الكرسي المتحرّك: «لم يمضِ وقت طويل منذ كنتِ واحدةً من هؤلاء الأطفال في المسابح يا أوبارا».

ردّت ساخرة: «مضي ما يقربُ من عشرين عاماً، كما أني لم أبقَ طويلاً هنا. إنني ابنة العاهرة، أم أنك نسيت؟»، ولمّا لم يُجب نهضت ووضعت يديها على وركيها قائلة: «لقد اغتيلَ أبي».

قال الأمير دوران: «لقد قُتلَ في نزالٍ فردي خلال محاكمة بالقتال. طبقاً للقانون ليس هذا اغتيالاً».

- «كان أخاك!».

- «نعم».

- «وماذا تنوي أن تفعل بشأن موته؟».

دور الأمير كُرسيّه بصعوبة ليواجهها. على الرغم من أنه لم يتجاوز الثانية والخمسين، فإن دوران مارتل يبدو أكبر كثيراً، جسده واهن مشوّه تحت ثيابه الكتّان، وقدماه من الصّعـب النّظر إليهما، إذ ألـهـب النّقرس مفاصله وخضبها بالأحمر على نحوٍ بشـع، فصارت رُكبته اليسرى كحبة تقاح، واليمنى كحبة شـمّام، واستحالت أصابع قدميه إلى حبّات عنب حمراء قانية تبدو ناضجةً عن آخرها كان لمسة واحدة كفيلة بفلقها. مجرد ثقل غطاءٍ خفيف يجعله يرتجف ألماً، مع أنه يتحمّله بلا شكوى. ذات مرّة سمعه القائد يقول لابنته: الصّمت صديق الأمراء. الكلام كالسيّهام يا آريان، ما إن ينطلق فلا سبيل لاستعادته. قال الأمير: «لقد كتبتُ للورد

تايوين...».

- «كتبت؟ لو كنت نصف الرجل الذي كانه أبي...».

- «أنا لستُ أباك».

قالت أوبارا بصوتٍ مفعَم بالازدراء: «أعرفُ هذا».

- «تُريدنني أن أذهب إلى الحرب».

- «إنني أعقل من هذا. لن تضطرَّ إلى القيام من كُرسِيّك حتى. دَعني أنا أنتقمُ لأبي. إن لديك جيشًا في (ممر الأمير)، واللورد يرونوود لديه جيش آخر على (طريق العظام) سلِّمني قيادة أحدهما ونيم قيادة الثاني، دَعها تتسلَّك (طريق الملوك) بينما أخرجُ لوردات (الثُخوم) من قلاعهم وأدورُ لأزحف على (البلدة القديمة)».

- «وكيف تأملين في السَّيطرة على (البلدة القديمة)؟».

- «يكفيني نهبها. ثروة عائلة هايتاور...».

- «أهو الذَّهب ما تُريدن؟».

- «ما أريده هو الدَّم».

- «اللورد تايوين سيُسَلِّمنا رأسَ الجبل».

- «ومَن سيُسَلِّمنا رأسَ اللورد تايوين؟ لطالما كان الجبل حيوانه المدلَّل».

أشارَ الأمير إلى المسابح قائلاً: «أوبارا، انظري إلى الأطفال إذا سمحت».

- «لا أسمعُ. سيُرضيني أكثر أن أطعن اللورد تايوين بحربتي في بطنه. سأجعله يُغَيِّي (أمطار كاستامير) بينما أنتزعُ أحشاه وأبحث فيها عن الذَّهب».

ردَّد الأمير: «انظري، هذا أمر».

كان بعض الأطفال الأكبر سنًا متمدِّدين على بطونهم على الرُّخام الوردي الأملس لتَحَمِّصهم الشَّمس، في حين سبَح بعضهم في البحر أمام القصر، وانشغل ثلاثة منهم ببناء قلعةٍ من الرَّمْل تُحاكي (برج الحربة) في (القصر القديم)، واجتمعَ عشرون أو أكثر في المسبح الكبير ليشاهدوا المعارك الدَّائرة بين الأطفال الأصغر حجمًا الرَّاكِبين على أكتاف كبار الحجم، وقد خاضوا حتى الخصر في المياه الضَّحلة وراحَ كلٌّ منهم يُحاول إسقاط الآخر في الماء، وكلِّما سقط زوجان تبعَ صوت سقوطهما الضَّحْك المدوِّي. شاهدًا فتاةً بشرتها بنية كالجوز تسحب صبيًا فاتح الشَّعر من على كتفي أخيه لتُسْقِطه مقلوبًا في مياه المسبح.

قال الأمير: «كان أبوك يلعب هذه اللَّعبة نفسها ذات يوم، مثلما لعبتها قبله. كان أصغر مني بعشرة أعوام، وحين كبرَ بما يكفي لأن يلعبها كنتُ قد كُفِّتُ عن نزول المسابح، لكنني اعتدْتُ أن أشاهده كلَّما أتيتُ لزيارة أمِّنَا».

لِكِم لِكْ إِنْ قَوِيًّا، حَتَّى فِي صَبَاه، وَسَرِيحًا كَثَعَابِينَ الْمَاءِ. كَثِيرًا مَا رَأَيْتَهُ يُسْقِطُ صَبِيحَةً أَكْبَرَ مِنْهُ حَجْمًا بكَثِيرٍ، وَقَدْ ذَكَرْنِي بِهَذَا يَوْمَ غَادَرٍ إِلَى (كِينَجَز لَانْدَنج)، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ سَيَفْعَلُهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَإِلَّا لَمَّا سَمَحْتُ لَهُ بِالذَّهَابِ». رَدَّدَتْ أُوبَارَا: «سَمَحْتُ لَهُ بِالذَّهَابِ؟»، وَضَحَكَتْ مُرْدِفَةً: «كَأَنَّكَ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَعَهُ. أَفَعَوَان (دُورِن) الْأَحْمَرُ كَانَ يَذْهَبُ حَيْثُمَا يَشَاءُ».

- «صَحِيحٌ. لَيْتَ لَدَيَّ كَلَامٌ أَوَاسِيكَ بِهِ...».

قَاطَعَتَهُ بِصَوْتٍ مَلِيٍّ بِالْإِسْتِهَانَةِ: «لَمْ آتِ طَلِبًا لِمَوَاسَاتِكَ. يَوْمَ جَاءَ أَبِي يَأْخُذْنِي لَمْ تُرِدْنِي أُمِّي أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّهَا فَتَاةٌ، وَلَا أَظُنُّ أَنَّهَا ابْنَتُكَ. لَقَدْ عَاشَرْتُ أَلْفَ رَجُلٍ غَيْرِكَ، فَالْقَى حَرْبَتَهُ عَنْ دَقْدَمِي وَلَطَمَ أُمِّي بِظَهْرِي دَهْ عِلَى وَجْهِهَا، وَقَالَ لَهَا وَهِيَ تَبْكِي: فَتَاةٌ أَوْ فَتَى، كُلُّنَا نَخْضُوضُ مَعِ إِرْكُنَا، لَكِنَّ الْأَلْهَةَ تَتْرُكُنَا نَخْتَارُ أَسْلِحَتَنَا، وَأَشَارَ إِلَى الْحَرْبَةِ ثُمَّ إِلَى دِمُوعِ أُمِّي، فَالْتَقَطْتُ الْحَرْبَةَ، وَقَالَ أَبِي: قُلْتُ لَكَ إِنَّهَا ابْنَتِي، وَأَخَذْنِي. اسْتَغْرَقْتُ أُمِّي فِي الشَّرَابِ حَتَّى مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَنْقُضِيَ الْعَامُ، وَيَقُولُونَ إِنَّهَا كَانَتْ تَبْكِي وَهِيَ تَلْفِظُ أَنْفَاسَهَا الْأَخِيرَةَ»، وَدَنَّتْ أُوبَارَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَمِيرِ فِي كُرْسِيِّهِ مُضِيفَةً: «دَعْنِي أَسْتَخْدِمُ الْحَرْبَةَ، لَسْتُ أَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا».

- «إِنَّهُ طَلَبَ كَبِيرَ يَا أُوبَارَا. سَأَفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ وَأَتَّخِذُ الْقَرَارَ بَعْدَمَا أَنَامُ».

- «لَقَدْ نَمْتُ طَوِيلًا لِلْغَايَةِ بِالْفِعْلِ».

- «رَبِّمَا تَكُونِينَ مُحَقَّةً. سَأَرْسِلُ لَكَ خَبْرًا فِي (صَنْسِپِر)».

قَالَتْ أُوبَارَا: «مَا دَامَ خَبَرُ الْحَرْبِ»، وَدَارَتْ عَلَى عَقْبِهَا وَغَادَرَتْ غَاضِبَةً كَمَا أَتَتْ، عَائِدَةً إِلَى الْأَسْطَبَلِ مِنْ أَجْلِ حِصَانٍ جَدِيدٍ تَوَطُّنَةً لَانْطِلَاقِ مَتَهَوِّرَةٍ أُخْرَى عَلَى الطَّرِيقِ.

بَقِيَ الْمَایِسْتَرُ كَالْيُوتُ بِجَسَدِهِ الْمُسْتَدِيرِ وَقَامَتِهِ الْقَصِيرَةِ، وَسَأَلَ: «هَلْ تُؤْلِمُكَ سَاقَاكَ يَا سَمُوُّ الْأَمِيرِ؟».

ابْتَسَمَ الْأَمِيرُ بِشَحُوبٍ قَائِلًا: «هَلِ الشَّمْسُ سَاخِنَةٌ؟».

- «هَلْ أَجْلِبُ دَوَاءً لِلْأَلَمِ؟».

- «لَا، أَحْتَاجُ إِلَى الْإِحْتِفَاطِ بِقُدْرَتِي عَلَى التَّفَكِيرِ».

تَرَدَّدَ الْمَایِسْتَرُ لِحِظَةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: «سَمُوُّ الْأَمِيرِ، هَلْ... هَلْ مِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ تَسْمَحَ لِلْيَدِيِّ أُوبَارَا بِالْعُودَةِ إِلَى (صَنْسِپِر)؟ مُؤَكَّدٌ أَنَّهَا سَتُلْهِبُ مَشَاعِرَ الْعَامَّةِ. لَقَدْ أَحْبَبُوا أَخَاكَ كَثِيرًا».

قَالَ الْأَمِيرُ: «كُلُّنَا أَحْبَبْنَاهُ كَثِيرًا»، وَضَغَطَ بِأَصَابِعِهِ عَلَى صُدْغِيهِ مُضِيفًا: «لَا، أَنْتَ مُحَقٌّ. يَجِبُ أَنْ أَعُودَ إِلَى (صَنْسِپِر) أَيْضًا».

عَادَ الرَّجُلُ الْمُسْتَدِيرُ الصَّغِيرُ يَتَرَدَّدُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ: «أَهَذَا تَصْرُفُ حَكِيمٍ؟».

- «ليس حكيمًا لكنه ضروري. الأفضل أن تُرسلَ خيَالًا إلى ريكاسو وتجعله يفتح مسكني في (بُرج الشمس)، وبلغ ابنتي آريان أنني سأصلُ غدًا».

أميرتي الصَّغيرة. كم يفتقدها قائد الحرس.

قال المايستر محذّرًا: «سوف يراك النَّاس».

يفهم القائد ما يعنيه. قبل عامين، حين رحلوا من (صنسبير) إلى سكيّنة (الحدائق المائيّة) وعُزلتها، لم يكن يقرس الأمير دوران بهذا السوء. في تلك الأيام كان لا يزال يمشي -ولو ببطء- متّكئًا على عُكَّاز وتلتوي قسماته ألماً مع كلّ خُطوة، لكن الأمير لم يُرد أن يعرف أعداؤه كم صارَّ ضعيفًا، و(القصر القديم) ومدينته الظِّليلة مليئان بالأعْيُن. أعْيُن وسلالم لا يستطيع أن يصعدّها. عليه أن يطير كي يبلُغ قِمّة (بُرج الشمس).

قال الأمير: «يجب أن يراني النَّاس. لا بُدَّ أن يُهدّئ أحدهم الموقف، ولا بُدَّ من تذكير (دورن) بأنّها ما زالت لها أمير»، وابتسم بوهنٍ مضيقًا: «حتى إن كان عجزًا أقعده النِّقرس».

قال كاليوت: «إذا عُدت إلى (صنسبير) فعليك أن تلتقي الأميرة مارسلا. سيكون فارسها الأبيض معها... وأنت تعلم أنه يكتُب رسائل لملكته».

- «أظنُّ هذا».

فكّر القائد عابسًا: الفارس الأبيض. كان السير أريس قد جاء (دورن) ليعتني بأميرته، تمامًا كما جاء أريو هوتا مع أميرته هو ذات يوم. حتى الاسمين متشابهان على نحوٍ غريب: أريو وآريس، لكنّ التّشابه بينهما لا يتعدّى هذا، إذ تركّ القائد (نورفوس) ورُهبانها الملتحين، أمّا السير أريس أولكهارت فمّا زال يخدّم العرش الحديدي. يشعُر هوتا بِنوعٍ معيّن من الحُزن متى رأى الرّجل في معطفه النَّاصع الطويل كلّما أرسله الأمير إلى (صنسبير)، ويحسُّ أن يومًا سيأتي ويتقاعّل فيهِ الاثنان، وفي ذلك اليوم سيموت أوكهارت بجمجمةٍ هشّمتها فأس القائد الطويلة. مرّ يده على قناة الفأس الملساء متسائلًا إن كان ذلك اليوم يدنو.

كان الأمير يقول: «الأصيل في نهايته. سننتظر حتى الصّباح. احرص على أن يكون هودجي جاهزًا مع أول خيوط الضّوء».

حنى كاليوت رأسه قائلاً: «كما تأمر»، وتنحّى القائد جانبًا ليجعله يمرُّ، وأصغى إلى خُطواته المبتعدة.

قال الأمير بصوتٍ خافت: «أيها القائد».

تقدّم هوتا مطوّفًا فأسه الطّويلة بيده وشاعراً بنعومة الدّرّدار كأنه بشرة امرأةٍ على كفّه، ولمّا بلغ الكرسي المتحرّك دقّ الأرض بكعبها بقوةٍ معلّناً حضوره،

لكن الأمير ظلّ مسليطاً عينيه على الأطفال وحدهم، وسأله: «هل كان لك إخوة في صباك في (نورفوس) أيها القائد؟ أو أخوات؟».

أجاب هوتا: «الاثنتان، أخوان وثلاث أخوات. كنتُ أصغرهم». أصغرهم وغير مرغوب فيّ، فمّ آخر يحتاج إلى الطعام، صبيّ كبير يأكل كثيراً وسرعان ما كبر على ثيابه. لا عجب أن أهله باعوه للرهبان الملتحين.

قال الأمير: «كنتُ الأكبر، ومع ذلك فأنا الأخير. بعد موت مورس وأوليغار في مهديهما تخلّيتُ عن الأمل في أن يكون لي إخوة. حين وُلدتُ إليا كنتُ في التاسعة، مُرافقاً أخدم على (ساحل الملح)، وعندما وصلَ إلينا الغُداًف حاملاً خبر ولادة أمي مبكراً بشهر كامل، كنتُ كبيراً بما فيه الكفاية لأن أفهم أن الطفل لن يعيش، وحتى عندما أخبرني اللورد جارجالن بأن أمي أنجبت لي أختاً أكّدتُ له أنها ستموت قريباً، لكنها عاشت برحمة (الأم)، وبعد عامٍ وصلَ أوبرين يصرخ ويركل. كنتُ رجلاً بالغاً وهما يلعبان في هذه المسابح، لكن هانذا جالس هنا بينما رحل كلاهما».

لم يدر آريو هوتا بمَ يردُّ. إنه مجرد قائد حرس، ولم يزل غريباً على هذه الأرض وإلهها ذي الوجوه السبعة، حتى بعد كلّ تلك السنين. اخيم، أطع، احم. هذه هي اليمين التي حلفها وهو في السادسة عشرة من العمر، يوم تزوّج فأسه. يمين بسيطة لرجل بسيط كما قال الرهبان الملتحون، لكنه ليس مدرّباً على نصيحة الأمراء الحزائى.

كان ما زالَ يبحث عن كَلام يردُّ به حين سقطت بُرتقالـة أخرى بصوتٍ ثقيـل على بُعد أقيـلٍ من قـدم من حيث يجلس الأمير، وقد جفـل دوران للـصوت كأنـه آلمـه بوسيلةٍ ما، ثم إنه تنهّد وقال: «كفى، يكفي هذا. اتركني يا آريو، دعني أشاهد الأطفال بضع ساعاتٍ أخرى».

عندما غرّبت الشَّمس اكتسبَ الهواء شـيئاً من البرودة ودخلَ الأطفال بحـثاً عن العـشاء، ومـع ذلك ظلَّ الأمير جالساً تحت أشـجار البُرتقال متطليعاً إلى المسابح الساكنة ومن ورائها البحر. جلبَ له أحد الخدم وعاءً من الزيتون الأرجواني مع الخُبز المدوّر والجُبنة ومعجون الجِمْص، فأكلَ القليل وشربَ كأساً من التّبيز الحلو القوي الذي يحبّه، ولمّا فرغت الكأس عادَ يملأهـا. أحيـاناً في ساعات الصبـاح الـسوداء يغلبـه النـوم وهو جالس في مكانـه، وعنـدئذٍ فقط دحرجَ القائد كرسـيّه في الشرفة المضاءة بنور القمر ماراً بصَفٍّ من الأعمدة الرّفيعة وتحت قنطرة أنيقة، ودخلَ به حُجرة تطلُّ على البحر فيها فراش عليه ملأءات خفيفة من الكتّان. أن دوران عندما حرّكه القائد، لكن الآلهة كانت رحيمةً ولم يستيقظ.

تُجاور حُجرة نـوم القائد حُجرة الأمير، وهنـاك جـلسَ على السريـر الضيق والتقـط المشـحذ والقُمـاش الـمزيّت من كُوتـهما وبدا

يعمل. يوم وسَموه قـال لـه الرُّهبـان الملتحون أن يُحافظ على حدّة فأسه، وهذا ما التزمه دائماً.

وبينما سَنَّ هوتا الفأس اتّجهت أفكاره إلى (نورفوس)، إلى المدينة العالية على التلّ والمدينة الواطئة على النّهر. ما زال بإمكانه أن يسمع أصوات الأجراس الثلاثة؛ جلجلة (نووم) العميقة التي كانت تبعث الرّجفة في عظامه ذاتها، ودقات (نارا) القويّة الفخور، وضحكات (نايل) الفضيّة العذبة. من جديد ملأ فمه مذاق الكعك الشّيتوي الغني بالزّنجبيل وجوز الصنوبر وقطع الكرز، والذي يتلوه شراب الناشا، وهو حليب ماعز مخمّر منكه بالعسل يُقدّم في كوبٍ من الحديد. رأى أمّه في فُستانها ذي الياقة المصنوعة من فرو السّناجب، الذي اعتادت أن ترتديه مرّة واحدة فقط في العام، عند ذهابهم لمشاهدة الدّبة ترقص على (سلالم الخطاة)، وشمّ رائحة الشّعّر المحترق المنقّرة إذ مَسَّ الرّاهب الملتحي منتصف صدره بالوسم. كان الألم شنيعاً لدرجة أنه حسبَ أن قلبه سيتوقّف، لكن آريو هوتا لم يجفل، ولم ينمُ الشّعّر ثانية فوق وسم الفأس.

فقـط حـين أصـبحت حـافتا الفأس حـادّتين لـدرجة أنـك تسـتطيع أن تحلـق لحيـتك بـهما، وضـع القائـد زوجـته المصـنوعة مـن البـدردار والحـديد علـى السّريـر، ثـم خلـع مـلابسه المتّسخة وهو يتشأب وألقاها على الأرض، وتمدّد على الحشيرة المبطّنة بالقش. تفكيره في الوسم جعله يستحكه، فحكّه قبل أن يُسدل جفنيه مفكّراً: كان حريّاً بي أن أجمع البُرتقالات التي سقطت، وغابَ في النّوم حالماً بمذاقها الحلو اللاذع، وبلمس العُصارة الحمراء اللّزجة على أصابعه.

تعجّل الفجر في طلوعه، وخارج الاسطبلات وقف أصغر الهوداج التي تجرّها ثلاثة أحصنة جاهزاً للأمير، الهودج المصنوع من خشب الأرز بستائرهِ الحريري الحمراء.

انتقى القائد لاصطحابه عشرين من حملة الجراب من الثلاثين المكلفين بحراسة (الحدائق المائية)، وسيبقى الآخرون لحماية المكان والأطفال الذين يضمّون عدداً من أولاد اللوردات الكبار والتّجار الأثرياء.

على الرغم من أن الأمير ذكر الرّحيل مع أول خيوط الضّوء، كان آريو هوتا يعلم أنه سيتلکأ، وبينما ساعد المايستر دوران مارتل على الاستحمام ثم ضمّد مفاصله الملتهبة بالكثبان المغموس في المسـ تحضرات الملطفة، ارتدي القائـد قمـيصاً مـن الأقـراص النّحاسية يلائم رُتبته، وفوقه معطفاً فضفاضاً من الحرير البرملي المصبوغ بالذهبي والبني المائل إلى الرمادي، ليحجب الشّمس عن النّحاس. يُنذر هذا النّهار بأنه سيكون حارّاً، وقد مضى زمن طويل منذ تخلص القائد من معطفه الثّقل المصنوع من شعـر الخيـل وسُترته الجلـد المطعمـة بالحـديد، اللتـين اعتـادَ ارتـداءهما فـي (نـورفوس)، فارتـداؤهما هـنـا فـي (دورن) كفيـل بـأن يسـلـقه، علـى

أنه احتفظَ بخودته الحديد القصيرة بريشتها ذات البروزات الحادة، وإن كان يعتمرها الآن ملفوفةً بالحرير البرتقالي، حابكًا إياه في البروزات وحولها، فلولا هذا ستُصيبه أشعة الشمس التي تضرب المعدن بالصّداع قبل أن يُبصروا القصر. وما زال الأمير لم يستعدَّ للرحيل. قرَّر أن يُفطر قبل أن يتحرَّك، وأكلَ بُرتقالةً دُمويَّةً وطبقًا من بيض الثَّوَّارس بقطع اللحم المقدَّد والفلفل الحريِّف، وبعدها لم يكن هناك مفرُّ من أن يُودَّع عددًا كبيرًا من الأطفال الذين صارت لهم أفضلية خاصة عنده؛ ابن دالت، وولدي الليدي بلاكمونت، والفتاة اليتيمة التي كان أبوها يبيع الأقمشة والثَّوابل على ضفاف (الدَّم الأخضر). غطَّى دوران ساقيه بدثارٍ فاخر من (مير) وهو يُكَلِّمهم، ليقى الصِّغار منظر مفاصله الملتهبة المضمَّدة.

كان النَّهار قد انتصفَ عندما تحرَّكوا، الأمير في هودجه، والمَيسِتر كاليوت على ظَهر حمار، والبقية على الأقدام. أمامهم سارَ خمسة من حملة الجِراب ووراءهم خمسة، وخمسة آخرون على كلِّ من جانبي الهودج، أمَّا آريو هوتا نفسه فاتَّخذ موقعه المعتاد على يسار الأمير، مريحًا فأسه الطويلة على كتفه وهو يمشي. يمضي الطَّريق من (ص-نسبير) إلى (الح-دائق المائيَّة) على س-احل البحر، فصاحبهم النَّسيم البارد المنعش إذ قطعوا اليابسة القاحلة بجارتها ورمالها البنيَّة الضاربة إلى الحمرة وأشجارها الملثوية ناقصة النمو.

وفي منتصف الطريق لحقت بهم أفعى الرِّمال الثَّانية.

فجأةً ظهرت فوق كثيبٍ راكبةٌ جواد ص-حراء ذهبيةً له عُرف ك-الحرير الأبيض النَّاعم. جت-ى على متن الحصان تب-دو اللي-دي نيم ب-هية الطلعة، وقد ت-ألقت في ثوبها الأرجواني الفاتح وحرملتها الحريري الكبيرة بلوني-ها القش-دي والنحاس-ي، الت-ي تُرفرف مر-ع ك-هبة ري-ح وتجعلها تب-دو كأنها على وشك التَّحل-يق. ن-ايميريا س-اند في الخامسة والعشرين من العُمر، هيفاء كصفافة، ويُكَلِّل رأسها شعر أسود مسترسل عقده في جديلةٍ مربوطة بسلكٍ من الذهب الأحمر، وتنسحب مقدِّمته المدببة إلى ال-وراء فوق عيني-ها ال-داكنتين كع-يني أبي-ها. بعظم وجنتي-ها المرتفع وشفتيها الممتلئتين وبشرتها الشَّاحبة ك-الحليب تتح-لِّي بك-لِّ الجَمال ال-ذي تفت-قِر إلي-ه أختها الأكبر... لكن أم أوبارا كانت عاهرةً من (البلدة القديمة)، أمَّا نيم فتنحدر من أنبل دماء (قولانتيس القديمة). كانت تتبعها دسته من حاملي الجِراب الرَّاكبين الذين تلتمع تروسهم المستديرة في الشمس، وقد نزلوا الكثيب وراءها.

كان الأمير قد أزاح ستائر هودجه ليستمتع أكثر بنسيم البحر، وأبطأت الليدي نيم حركة قَرسها الذهبية الجميلة لتُجاري حركة الهودج، وصاحت كأن وجودها هنا مصادفة محضة: «ما أحسن لُقياك يا عمَّاه! أسمح بأن أركب معك إلى

(صنسيبير)؟». كان القائد راكبًا على الجانب الآخر من الهودج، لكن كلام الليدي نيم كلّه بلغ مسامعه.

أجاب الأمير: «يسرّني هذا»، ولو أن نبرته بدت للقائد خاليةً من السُّرور، وأضاف: «النِّقرس والحُزن رفيقان بائسان على الطّريق»، وهو ما يعلم القائد أنه يعني أن كلّ حصاةٍ على الأرض تغرس مسمارًا في مفاصله المتورّمة.

قالت: «النِّقرس لا أستطيعُ أن أعينك عليه، أمّا الحُزن فلم يكن أبي يراه ذا جدوى. الانتقام كان يُناسب ذوقه أكثر. أصحّح أن جريجور كليجاين اعترف بقتل إلبا وطفليها؟».

- «لقد أعلنَ ذنبه على مسمعٍ من البلاط كلّهِ. اللورد تايوين وعدنا برأسه».

قالت الليدي نيم: «واللانستر يُسدّد ديونه دائمًا، لكن يبدو لي أن اللورد تايوين ينوي أن يدفع لنا بعمَلتنا. وصلَ إليّ طائرٌ من السير ديمون العزيز، الذي يُقسِم أن أبي دغدغَ ذلك الوحش بحربته أكثر من مرّةٍ خلال نزالهما، وإذا كان ذلك صحيحًا فالسير جريجور في عداد الموتى، وليس بفضل اللورد تايوين».

تقلّصت ملامح الأمير، ولكن سواء أمن ألم النِّقرس أم كلام ابنة أخيه فالقائد لا يدري.

- «ربما يكون صحيحًا».

- «ربما؟ أقولُ إنه كذلك».

- «أوبارا تُريدني أن أحارب».

ضحكت نيم قائلةً: «نعم، تُريد أن تُضرمَ النّار في (البلدة القديمة). إنها تكره تلك المدينة قدر ما تحبّها أختنا الصّغيرة».

- «وأنتِ؟».

ألقت نيم نظرةً من فوق كتفها إلى حيث يركب رفاقها على مسافةٍ لا بأس بها وراءها، وسمِعها القائد تقول: «كنتُ في الفراش مع التّوأمين فاوُلر حين بلغني الخبر.

هَلِ تعرف كلمات آل فاوُلر؟ دَعُونِي أَحْلِقُ! هذا كلُّ ما أطلبه منك يا عمّاه، دَعْنِي أَحْلِقُ. لستُ أحتاجُ إلى جيشٍ جرّار، بل إلى واحدةٍ من أخواتي الجميلات فحسب».

- «أوبارا؟».

- «تايين. أوبارا صاحبة أكثر من اللازم، لكن تايين أكثر رقةً وعذوبةً من أن يرتاب فيها أحد. أوبارا تُريد أن تجعل من (البلدة القديمة) محرقة جنازة أبينا، لكني لستُ طمّاعةٌ لـهذا الـحد، وتكفـيني أربـع أنـفس لا أكثـر؛ توأمـا الـلـورد تـايـوين الـذهبيّان عـوضًا عـن طفـلي إلـيا، والأسـد العـجـوز عـوضًا

عن إليا نفسها، وأخيراً الملك الصغير مقابل أبي». - «الصبي لم يخطئ في حقنا قط».

- «الصبي نغل وليد الخيانة وزنى المحارم، إذا صدق ما يقوله اللورد ستانيس». اختفت النبرة العابثة من صوتها، ووجد القائد نفسه يُراقبها مضيقاً عينيه. أختها أوبارا تضع سوطها على وركها وتحمل حربتها على مرأى من الجميع، ومع أن الليدي نيم لا تقل عنها خطورة فإنها تُواري سكاكينها جيداً. «لن يغسل اغتيال أبي إلا الدماء الملكية».

- «أوبرين مات في نزالٍ فردي وهو يُقاتل في مسألةٍ لا علاقة له بها. لا أعد هذا اغتيالاً».

- «فلتعدّه كما تشاء. لقد أرسلنا إليهم خيرة رجال (دورن)، ويُرسِلون إلينا كيساً من الرُّفات».

- «لقد تجاوزَ كلَّ ما طلبته مني. قيم هذا الملك الصبي ومجلسه وسجل نقاط ضعفهم وقوتهم. هذا ما قلت له ونحن في الشرف، وكننا نأكل البُرثقال. جد لنا أصدقاء إذا استطعت، واعرف ما تستطيع عن نهاية إلينا، لكن احرص على عدم استفزاز اللورد تايوين بلا داع. كان هذا كلامي له، لكن أوبرين ضحك وقال: متى استفزرت أحداً... بلا داع؟ الأفضل أن تُحذِر آل لانستر من استفزازي أنا. لقد أرادَ العدالة لإلينا، لكنه رفض أن ينتظر...».

قاطعت الليدي نيم: «أبي انتظر سبعة عشر عاماً. لو قتلوك أنت لقادَ جيوشه شمالاً قبل أن تبرد جثتك، لو قتلوك أنت لكنت الحراب تنهمر كالمطر على (الثخوم) الآن». - «ليس لدي شك في هذا».

قالت: «ولا يجدر بك أن تشك في هذا أيضاً يا سمو الأمير... أنا وأخواتي لن ننتظر سبعة عشر عاماً لننال انتقامنا»، وهمزت فرسها وانطلقت تركّض إلى (صنسيبر)، تتبعها حاشيتها بكل سرعتها.

أسند الأمير ظهره إلى وسائده وأغمض عينيه، وإن أدرك هوتا أنه لم ينم. إنه يتألم. فكر لحظة أن يُنادي المايستر كاليوت إلى الهودج، لكن لو أرادَه الأمير دوران لناداه بنفسه.

كانت ظلال الأصيل طويلةً داكنةً والشمس حمراء ملتبهةً كمفاصل الأمير قبل أن يلمحوا أبراج (صنسيبر) إلى الشرق؛ أولاً (برج الحربة) الرفيع الذي يرتفع مئة وخمسين قدماً وتُتوجّه حربة من الفولاذ المذهب تُضيف ثلاثين قدماً أخرى إلى طوله، ثم (برج الشمس) المهيب بقُبته الذهبية وزُجاجة المطلّي بالرصاص،

وأخيراً (سفينة الشمس) بلونه البني الضارب إلى الرمادي الذي يبدو كدرمونة¹³

هائلة جرفها التَّيَّار إلى الشَّاطِئ وتحوَّلت إلى حجر.

ثلاثـة فراسـخ فقـط مـن الطَّريـق السَّاحـلـي تفصـل (صـنـسـيـر) عـن (الحـدائق المـائـيـة)، إلّا أنـهـما عـالـمان مـختـلفـان تمـامًا. هـنـاك يـمرح الأطفـال عـرّاءة فـي الشَّمـس وتُعزَف الموسـيقي فـي سـاحاتٍ مـن الرُّخام ويحمل الهـواء رائحة الليمون والبرتقال الدّموي اللاذعة، وهـنا تُفـعـم الهـواء روائـح الغُبار والعـرق والدُّخان ولا يعرف اللـيل سـكـوتًا مـن أصـوات المـثـرثـرين، وبـدلاً مـن الرُّخـام الـوردـي الـذي بُنـيت بـه (الحـدائق المـائـيـة)، فـإن بنـايـات (صـنـسـيـر) مـن الطَّمـي والـقش وتـتـأرجح ألوانـها بـين درجـات البـيـنـي والرّمادي. يـرتفع معقل عائـلة مارـتل العتيق فـي أقصـى شـرق لسانٍ أرضـي مـن الحـجر والرّمـال، محاطاً بالبحر مـن ثلاث نواحٍ، وإلى الغرب، فـي ظلّ أسوار (صنـسـيـر) العمـلاقـة، تتشـبّث المـحال المـبنيّة بالطوب اللبـن والأكوـاخ الخالية مـن التّوافـذ بالقلعة كما تتشـبّث الكـلابـات بأبدان السّفـن، وغـرب الأكوـاخ والمحال تتشـر الاسـطبلات والخانات والخمّارات وبيوت الهوى، كثير مـنـها مطوّق بأسـواره الخاصّة، وعلى الرـغم مـن هـذا يـرتفع المـزيد مـن الأكوـاخ عند تلك الأسوار. وهكذا وهكذا، كما يقول الرّهـيـان المـلتحون. مقارنـةً بـ(تايروش) أو (مير) أو (نورفوس الكُبرى)، لا تعدّ مـدينـة الظلّ أكـثر مـن بلدـة عاديّة، لكنـها أقـرب ما لدى الدورنـيين إلى مـدينـة حقيقيّة.

سـبقَ وصول الـليـدي نـيم وصولهم بعدّة سـاعات، ولا بُدّ أنـها نـبّهت الحُرّاس إلى مجيئهم، لأنهم وجدوا (البوّابة الثلاثيّة) مـفتوحـةً عندما بلغوها. فـي هـذه البُقعة فقط تصطفُ البوّابات بعضها وراء بعض لتُتيح للزّائرين أن يمرّوا أسفل الأسوار المـلتقّة إلى (القصر القديم) مباشرةً، دون أن يضطروا إلى قطع أميالٍ مـن الأزقة الضيّقة والأفنية الخفيّة والأسواق المزدحمة.

كان الأمير دوران قد أسدل ستائرـه ما إن أبصروا (برج الحـربة)، ومع ذلك راح العوام يصيحون منادين إياه فـي أثناء مروره، ففكر القائد بتوتّر: أفاعي الرّمـال أثـاروهم حدّ الغليـان. تجـاوزوا الـسُّور الـهـلالـي الخـارجـي بقـذارته ودخلوا مـن البوّابة الثـانيـة، حيث أفعـمت الـريـح روائـح القطران والميـاه المـالحـة والطحـالب البحريّة المتعفّنة، وازدادت أعداد الجموع مع كلّ خُطوة. صاحَ فيهم آريو هوتا بصوته الجهوري وهو يدق القرميد بكعب فأسه الطويلة: «أفسحوا الطريق للأمير دوران! أفسحوا الطريق للأمير (دورن)!».

صرخت امرأة من ورائه: «الأمير مات!».

وهدر رجل من شُرفة: «إلى الجِراب!».

وهتف أحد عليـة القوم: «دوران! إلى الجِراب!».

تخلّى هوتا عن محاولة تعرّف المتكلّمين، فالزّحام شديد وتُلتهم يهتف. «إلى الجِراب! الثّار للأفعوان!».

لدى وصولهم إلى البوّابة الثالثة كان الحُرّاس يدفعون

النَّاسَ جانبًا لإفساح الطريق لهودج الأمير، وبدأ النَّاسُ يُلقون أشياء. اندفع صبي رَثَ الثَّياب متجاوزًا حاملي الجراب وفي يده ثمرة رُمَّان شبيهة متعقِّنة، لكن حين رأى أريو هوتًا في طريقه وفأسه الطويلة جَاهِزَةً تترك الثمرة تسقط دون أن يُلقِيها وتراجع مسرعًا، في حين ألقى آخرون غيره على مسافة أبعد البُرتقال والليمون أصفره وأخضره هاتفين: «الحرب! الحرب! إلى الجراب!»، فأصيب أحد الحُرَّاس في عينه بليمونة وانفجرت بُرتقالة على قدم القائد نفسه.

لم تأتِ إجابة من داخل الهودج، وظلَّ دوران مارتل مستترًا وراء جدرانهِ الحرير إلى أن ابتلعتهم أسوار القلعة السَّميكة جميعًا وانزلت الشبكة الحديد من ورائهم بصِلصلة صاخبة، وبدأت أصوات الصَّيَّاح تَخْفُت ببطء. كانت الأميرة آري-ان منتظرة في السَّاحة الخارجيّة لتُحَيِّي أباهَا وحولها نصيف البلاط؛ القيهرمان ريكاسو، والسير مانفري مارتل أمين القلعة، والمبايستر مايلز الشَّاب بردائه الرَّمادي ولحيته النَّاعمة المعطرة، وأربعون من الفُرسان الدورنيين بثيابهم الكُتَّان عديدة الألوان، بينما وقفت مارسلا باراثيون الصَّغيرة مع سيِّنتها والسير آريس فارس الحرس الملكي الذي يتصبَّب عرقًا في درعه المطلية بالمينا الأبيض.

تقدَّمت الأميرة آري-ان من الهودج في خُفَّين من جلد الثَّعابين مربوطين حتَّى فخذيها، شعرها خُلِقَات من السَّواد الفاحم منسدلة حتَّى أسفل ظهرها، وحول جبهتها حلقة من الشُّموس النحاس. قال القائد لنفسه: ما زالت ضئيلة الحجم. أفاعي الرِّمال طويلات القامة، بينما ورثت آريان قامة أمِّها التي لم تتجاوز أقدامًا خمسة وبوصتين، لكن تحت نطاقها المحلي بالجواهر وطبقات الحرير الأرجواني والسَّميت¹⁴ الأصفر الفضفاضة لها جسد امرأة غَض مستدير المنحنيات. أعلنت والسَّتائر تُفَتَّح: «أبي، (سنسبير) مبتهجة لعودتك».

قال الأمير: «نعم، سمعتُ البهجة»، وابتسم بشحوب ووضغ يَدًا حمراء منتفخة على وحنه ابنته مضيفًا: «تبدين بخير. أيها القائد، ساعدني على النزول من فضلك».

دَسَّ هوتًا فأسه الطويلة في حزامها على ظهره والتقط الأمير بذراعيه برفق لئلا يُزعج مفاصله الملتهبة، وعلى الرغم من هذا حبس دوران مارتل شهقة ألم.

5% 1409 دقيقة متبقية من «وليمة للغربان - الكتاب الرابع من أغنية الجليد والنار» قالت آريان: «لقد أمرتُ الطَّهاة بتجهيز وليمة بكلِّ أصنافك المفضَّلة لهذا المساء».

ردَّ الأمير: «أخشى أن لا شهية عندي»، وتطلَّع بتؤدة في أنحاء السَّاحة، وأردف: «لا أرى تايين».

- «لقد طلبت الكلام معك على انفراد، وأرسلتها تنتظرك في قاعة العرش».
تنهّد الأمير، وقال: «ليكن. أيها القائد، فلنفرغ من هذا الأمر بسرعةٍ لأستريح».
حمله هوتا صاعدًا سلالم (برج الشمس) الحجرية الطويلة إلى القاعة الدائرية الكبيرة تحت القبة، حيث تتسرب خيوط ضوء الأصيل الأخيرة من زجاج النوافذ السميكة ذي الألوان المتعددة لتُرَقِّط الرُخام بماساتٍ من مئة لون، وهناك كانت أفعى الرِّمال الثالثة تنتظرهم.

وجدوها جالسةً متقاطعة السَّاقين على وسادةٍ أسفل المنصة المرتفعة التي يعتليها المقعدان العاليان، لكنها نهضت لدى دخولهم، وقد ارتدت فُستًا ضيقًا من السميت الأزرق الباهت بكُمّين من شرائط الزينة المايرية التي جعلتها تبدو براءة (العذراء) نفسها، وفي إحدى يديها قطعة تطريز تعمل عليها، وفي الثانية زوجان من الإبر الذهب. شعرها ذهبي أيضًا، وعيناها لجّتان زرقاوان عميقتان... ومع ذلك فإنهما بشكل ما تُذكّران القائد بعيني أبيها، رغم أن عيني أوبرين كانتا سوداوين كالليل. قال أريو هوتا لنفسه وقد فطنَ إلي الحقيقة فجأة: كل بنات الأمير أوبرين لهن عيناها الأفعوانيتان، بغضّ النظر عن اللون.

قالت تايين ساند: «عمي، كنتُ أنتظرك».

- «أيها القائد، ساعدني على الجلوس على المقعد العالي».
على المنصة مقعدان أقرب إلي توأمين، مع فرق أن أحدهما على ظهره حربة آل مارتل المزخرفة بالذهب، والثاني يحمل شمس الروينار الوهاجة التي رُفِرت على صواري سُفن نايميريا حين رست على سواحل (دورن). أجلس القائد الأمير أسفل الحربة وابتعد.

- «هل الألم بالغ؟»، سألت الليدي تايين بنبرة رقيقة وقد بدت عذبة كالغراولة في الصيف. كانت أمها سيّئة، ولتايين طابع من الرقة كأنه من عالمٍ آخر. «أهناك ما يُمكنني أن أفعله لأخفف الألم؟».

- «قولي ما لديكِ واتركيني أستريح، إنني مرهق يا تايين».
قالت: «صنعتُ هذه من أجلك يا عمّاه»، وبسطت القطعة التي تُطرزها، التي تُظهر الأمير أوبرين مبتسمًا على صهوة جوادٍ صحراوي في درعٍ حمراء. «إنها لك حين أفرغ منها، لتُساعدك على تذكره».

- «ليس واردًا أن أنسى أباك».

- «جيد أن تقول هذا، فكثيرون يتساءلون».

- «اللورد تايوين وعدنا برأس الجبل».

- «يا للطفه... لكن سيف الجلاّد ليس نهايةً تليق بالسير جريجور الشجاع. لقد صلبنا من أجل موته طويلًا جدًّا، وعين العدل أن يُصلي من أجله أيضًا. إنني أعرفُ السم الذي استخدمه أبي، وليس هناك سم في الدنيا أبطأ مفعولًا أو أكثر

إيلامًا. قد نسمع صُراخ الجبل قريبًا، حتى هنا في (صنسبير).
زفرَ الأمير دوران قائلاً: «أوبارا ترعق فيّ مطالبةً بالحرب، ونيم قانعةً بالاغتيال، فماذا عنك؟».

قالت تايين: «الحرب، لكن ليس حرب أختي. أحسن قتال الدورنيين على أرضهم، لذا أقولُ أن نشحذ حِرابنا وننتظر، ولمّا يأتينا آل لانس-تر وتايرل سنُدميهم في الممرّات وندفنهم في الرّمال كما فعلنا مئة مرّة من قبل».

- «هذا إذا أتوا».

- «أوه، من المحتم أن يأتوا، وإلاّ عادت البلاد تتمزّق كما كانت قبل أن نتزوَّج التّنانين. أبي من أخبرني بهذا، قال إن علينا أن نشكر العفريت لأنه أرسل إلينا الأميرة مارسلا. إنها جميلة جدًّا، أليس كذلك؟ ليت لي خُصلات كخُصلاتها. لقد خُلقت لتكون ملكةً، تمامًا مثل أمّها»، وأزهرت الغمّازتان في وجنتي تايين وهي تُواصل: «سُشرفني أن أرتب الزّفاف وأشرف على صنّع التّاجين كذلك. تريس-تان ومارس-لا شديدا البراءة، لذا فكّرتُ أن يكون التّاجان من الذهب الأب-يض... مع الزّمرد ليتماشى مع عيني مارسلا. أوه، لا بأس بالماس واللؤلؤ أيضًا ما دام الطّفلان سيتزوَّجان ويُتوّجان، وما علينا عندئذٍ إلاّ أن نُعلن مارسلا الأولى ملكةً على الأنداليين والروينار والبشّر الأوائل، باعتبارها الوريثة الشرعيّة لممالك (وستروس) السّبع، وننتظر مجيء الأسود».

ردّد الأمير ساخرًا: «الوريثة الشرعيّة؟».

شرحت تايين كأنه أحمق: «إنها أكبر من أخيها، والمفترض بالقانون أن ينتقل العرش الحديدي إليها».

- «القانون الدورني».

- «عندما تزوّج الملك دايرون الكريم الأميرة ميريا وضمّنا إلى المملكة كان هناك اتّفاق يقضي أن يُطبّق القانون الدورني في (دورن) دومًا، وللصدفة مارسلا في (دورن) الآن».

قال بنبرة متذمّرة: «هي كذلك. دعيني أفكّر في الأمر».

ردّت تايين بصرامة: «إنك تُفكّر كثيرًا جدًّا يا عمّاه».

- «حقًّا؟».

- «هذا ما كان أبي يقوله».

- «أوبرين كان يُفكّر لِمأمّا».

- «بعض النّاس يُفكّر لأنه يخاف أن يفعل شيئًا».

- «هناك فرق بين الخوف والحذر».

قالت تايين: «أوه، أدعو ألا أراك خائفًا أبدًا يا عمّاه، فقد تنسى أن تنقّس»، ورفعت يدها...

ودقّ القائد الرّخام بكعب فأسه قائلاً: «إنك تتجرّئين يا سيّدتى. ابتعدي عن المنصّة إذا سمحت».

ردّت تايين: «لا أقصدُ أدّى أيها القائد. إنني أحبُّ عمّي مثلما أعلمُ أنه أحبُّ أبي»، وجثت أمام الأمير مردفةً: «لقد قلتُ كلَّ ما جئتُ لأقوله يا عمّاه. سامحني إذا أسأتُ إليك، فقلبي كسير عن آخره. أما زلتُ أحظى بحبك؟».

- «دائمًا».

- «أعطيني بركتك إذن وسأذهب».

تردّد دوران هنيهةً قبل أن يضع يده على رأس ابنة أخيه، ويقول: «تشجّعي يا صغيرتي».

- «وكيف لا؟ إنني ابنته».

لم تكد تُغادر حتى هرعَ المايستر كاليوت إلى المنصّة قائلاً: «سموّ الأمير، إنها لم... دّعني أرى يدك»، وتفحص الكفّ أولاً ثم قلبها برفقٍ ليتشَمّم أصابع الأمير، ثم قال: «لا، جيّد، هذا جيّد، ليست هناك خدوش، لذا...».

قال الأمير ساحبًا يده: «هل لي بالقليل من حليب الخشخاش ¹⁵ أيها المايستر؟ كوب صغير يكفي».

- «الخشخاش، نعم، بالتأكيد».

حنّه الأمير قائلاً بهدوء: «الآن»، فأسرعَ كاليوت إلى السّلام.

كانت الشّمس قد غربت في الخارج، واصطبغَ الضّوء داخل القُبّة بزُرقة الغسق، فيما بدأت الماسات على الأرض تُحتضّر وتزول، والأمير جالس على مقعده العالي تحت حربة آل مارتل بوجهٍ ممتقع من الألم، وبعد صمتٍ طال التفت إلى أريو هوتا سائلاً: «أيها القائد، ما مدى إخلاص حُرّاسي؟».

أجابَ القائد غير عالمٍ بأيّ شيءٍ آخر يردُّ: «إنهم مخلصون».

- «بعضهم أم جميعهم؟».

قال القائد: «إنهم رجال صالحون، دورنيون صالحون، وسيفعلون ما أمرهم به»، ودقّ الأرض بفأسه مردفًا: «سأقطعُ رأس أيّ رجلٍ يخونك».

- «لا أريدُ رؤوسًا، أريدُ الطّاعة».

- «هي لك». اخِدم، أطع، احمِ. يمين بسيطة لرجلٍ بسيط. «كم رجلًا تُريد؟».

- «سأتركُ لك هذا القرار. ربما تُفيدنا قِلّة من الرّجال البارعين أكثر من عشرين. أريدُ أن يتمّ الأمر بأسرع وأهدأ ما يُمكن، دون أن تراق دماء».

- «بسرعةٍ وهدوءٍ ودون دماء، نعم. ما أوامرك؟».

- «ستجد بنات أخي وتقبض عليهن وتحبسهن في الزنازين على قمة (برج الحربة)».

قال القائد بحلق جَفَّ: «أفاعي الرِّمال؟ كلُّهن... ثمانيتهن يا سمو الأمير؟ والصَّغيرات أيضًا؟».

فكَّر الأمير لحظةً قبل أن يُجيب: «بنات إلاريا أصغر من أن يُمثِّلن خطرًا، لكن ربما يسعى أحدهم إلى استغلالهن ضدي. الأفضل أن يكن آمناَتٍ في متناول اليد. نعم، الصَّغيرات أيضًا... لكن تايين ونايميريا وأوبارا أولًا».

قال القائد بقلبٍ منزعج: «كما يأمر سمو الأمير». لن يُعجِب هذا أميرتي الصَّغيرة. «وماذا عن ساريلا؟ إنها امرأة ناضجة، تُقارب العشرين».

- «ما لم ترجع إلى (دورن) فليس هناك ما يُمكنني أن أفعله بشأنها غير أن أصِلِّي أن تكون أعقل من أخواتها. دَع ساريلا ل... للعبتها، واقبض على الأخريات. لن أنام إلى أن أعرف أنهن آمناَت وتحت الحراسة».

قال القائد: «سيتمُّ الأمر»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُضيف: «عندما يبلُغ الخبر الشَّوارع سيثور العاصَّة».

ردَّ دوران مارتل بصوتٍ تعبٍ: «(دورن) كلُّها ستثور. آملُ فقط أن يسمعهم اللورد تايوين في (كينجز لاندنج) ليعلم أن له صديقًا وفيًّا في (صنسبير)».

سرسي

في الحُلم رأت نفسها جالسةً على العرش الحديدي، ساميةً عنهم جميعًا. كان أفراد الجاشية فئرانًا زاهية الألوان في الأسفل. أمامها ركع كلُّ لورد عظيم وليدي مترفعة، ووضعَ الفُرسان الشُّبان الأشاوس سيوفهم عند قدميها مستجدين حظوتها، وابتسمت لهم الملكة من عليائها... إلى أن ظهرَ القزم كأنه برز من العدم، يُشير إليها ويعوي ضحكًا، فبدأ اللوردات والليديجات في القهقهة بدورهم وقد أخفوا ابتساماتهم وراء أيديهم، ولحظتها فقط أدركت الملكة أنها عارية.

مذعورةً، حاولت أن تُغطّي نفسها بيديها، وانغـرست نصـال العـرش الحـديدي وأشـواكه فـي لحمـها إذ انـحـنت علـى نفسـها محاولـةً تخبئـة عورتـها، فسـالت الـدماء حمراء على ساقـيها ونهشـت أسنان من الفولاذ رديفـها، ولمّا حاولت أن تنهض انزلقت قدمها في فجوة في المعدن المشوّه، وكلّما قاومت ناشدةً التّحرّر ابتلعها العرش أكثر، ممزّقًا قطعًا من اللحم من ثدييها وبطنها ومشرّحًا ذراعيها وساقـيها، إلى أن اكتست بلمعة الحُمرة الزَّلقة. وطوال الوقت يتوتّب أخوها في الأسفل ضاحكًا.

كانت ضحكاته الجذلة لا تزال تتردّد في أذنيها حين أحسّت بلمسة خفيفة على كتفها واستيقظت فجأةً، ولأقلّ من لحظة بدت اليد جزءًا من الكابوس، فأطلقت سرسي صيحةً، لكنها كانت يد سينل لا غير، وقد لاحَ الخوف على وجه الوصيعة الممتقع.

قالت الملكة لنفسها وقد أتاها الإدراك: لسنا وحـدنا. كانت الـظلال تُحـيط بفراشـها، أشـباح طويلة تلتـمع حلقاتـها المعـدنيّة تحـت معاطفـها، ولكـن لـيس للـرجـال المسلّحين شأن هنا. أين حُرّاسي؟ كانت غُرفة نومها مظلمةً تمامًا، لا ضوء فيها إلّا ذلك المنبعث من المصباح الذي يرفعه أحد المتطفّلين عاليًا. يجب ألا أبدي خوفًا.

أزاحت سرسي شعرها الذي شعثه النوم سائلةً: «ماذا تُريدون مني؟»، فتقدّم رجل داخلاً دائرة الضوء، وعندما رأت معطفه الأبيض قالت: «چايمي؟». أحلمُ بأخٍ فيأتي الثاني لإيقاظي.

أجابها الصّوت الذي ليس لأخيها: «جلالة الملكة، حضرة القائد قال أن نأتي ونُحـضركَ». له شعـر متمـوّج كچايمي، لكـن شعـر أخـيها كالـذهب المطرّق، مِثـلها بالضبط، أمّا هذا الرّجل فشعره أسود دُهني، وقد حدّقت إليه وهو يُغمغم بكلامٍ ما عن مرحاض ونُشّابيّة ويذكر اسم أبيها. ما زلتُ أحلمُ، لم أستيقظ ولم ينته كابوسي. قريبًا سيزحف تيريون خارجًا من تحت الفراش ويضحك مني.

لكن ما تُفَكِّر فيه سُخْفٌ. أخوها القزم حبّيس الزَّنازين السَّوداء، ومحكوم عليه بالموت اليوم تحديداً. تطلَّعت إلى يديها وقلبتهما لتتأكَّد من أن أصابعها كلّها لا تزال موجودةً، وحين تحسَّست ذراعها وجدت جِلدها مقشعراً ولكن سليماً، ولا جروح في ساقها أو شقوق في باطن قدميها. حُلْمٌ، لم يكن أكثر من حُلْم. شربت الكثير ليلـة أمـس، وهذه المخـاوف وليـدة التَّبيـذ فقـط. سـأكون أنـا الصّاحكـة مـر عـ حلـول الغسـق، سـ يصير ولـداي آمـنـين وعـرش تـومن محفـوطاً، ويفقـد قالـونكاري الصّغـير الشّائـه رأسـه ويتعقـن.

وجدت چوسلين سويغت عند مِرْفَقها تُناولها كوباً، فأخذت سرسي رشفةً لتذوق الماء المخلوط بعصير اللِّيمون، وكان لأذعاً لدرجة أنها بصقته. سمعت رياح الليل تـرج مصـاريع النّوافـذ، وأصـبح بإمكانـها الآن أن تـرى بوضـوح كـامل غـريب. كـانت چوسـلين تـرتجف خـوفاً كورقـة شـجر مـثل سـينل، ورأت سـرسي السـير أوزمونـد كـتلبلاك واقفاً فوقها، ووراءه السّير بوروس بلاونت حاملاً المصباح، وعند الباب حرس لانستر الذين تلتمع الأسود المذهبة على ريشات خوداتهم، وقد بدوا خائفين أيضاً. تساءلت الملكة: أهذا حقيقي؟ أيُمكن أن يكون حقيقياً؟ نهضت وتركت سينل تضع معطف نوم على كتفيها لتستّر عُريها، ثم ربطت الحزام بنفسها بأصابع متبيسة خرقاء، وقالت: «السيد والذي يحتفظ بحراسه حوله ليـل نـهار». أحـست بلسـانها ثقيـلاً، فأخـذت رشـفة أخـرى مـن المـاء بـاللِّيمون ودوّرتـه فـي فمـها لثـن عـش أنفاسـها. كـانت عُثـة قد دخـلت المصـباح الـذي يحمله السـير بوروس، وسمعت سرسي طنينها ورأت ظلّ جناحيها وهما يضربان الرُّجاج.

قال أوزموند كـتلبلاك: «الحراس كانوا في مواقعهم يا جلالة الملكة. لقد وجدنا باباً خفياً وراء المستوفد، طريقاً سرّياً. حضرة القائد نزل ليري أين يقود». استحوذ عليها الفزع فجأة كالعاصفة، وقالت: «چايمي؟ المفترض أن يكون چايمي مع الملك...».

- «لم يمسّ الصّبي أذى. السير چايمي أرسل دسنة من الرّجال لحراسته. جلالته نائم في سلام».

فليحظ بحُلْمٍ أجمل من حُلْمِي، وبإيقاظٍ أرحم. «مَن مع الملك؟».

- «السير لوراس له هذا الشّرف، بعد رضاك».

لكن هذا لا يُرضيها. آل تايرل مجرّد وكلاء رفّعهم ملوك التّنانين فوق مكانتهم كثيراً، وليس أكبر من غرورهم إلّا طموحهم. قد يكون السير لوراس وسيماً كأحلام العذراوات، لكنه تايرل حتى النُّخاع تحت معطفه الأبيض، وعلى حدّ علمها فربما تكون ثمرة اللّيلة التّالفة قد زُرعت وترعرعت في (هايجاردن).

لكنه شكٌّ لا تستطيع المجاهرة به. هكذا قالت: «اسمحوا لي بلحظة لارتداء

ثيابي. سير أوزموند، ستصحبني إلى (برج اليد). سير بوريوس، أيقظ السجّانين وتأكد من أن القزم ما زال في زنزانه». ترفض أن تنطق اسمه. حدّثت نفسها قائلة: مُحال أن يجد شجاعة أن يرفع يداً ضد أبينا، لكن عليها أن تتيقن.

قال بلاونت: «كما تأمرين يا صاحبة الجلالة»، وناول السير أوزموند المصباح، فلم يُثر استياء سרسي أن تراه يرحل. لم يكن يجدر بأبي أن يُعيد إليه معطفه الأبيض قط. لقد برهن الرجل على جُبنه.

لدى خروجهم من (حصن ميجور) كانت السماء قد اصطبغت بزرق عميقة الكوبالت، ولو أن النجوم لا تزال تلتهمع. جميعها باسـتثناء واحد. نجم الغرب الساطع هوى، والآن سـتُصبح الليالي أكثر حلكة. توقفت على الجسر المتحرك الممدود فوق الخندق الجاف متطلعة إلى الخوازيق في الأسفل، وفكرت: ما كانوا ليـجسروا على الكذب عليّ في شأن كهذا، ثم إنها سألت: «من وجدّه؟».

أجاب السير أوزموند: «أحد خراسه، لوم. ذهب يلبّي نداء الطبيعة ووجد حضرة اللورد في المرحاض».

لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. ليس هكذا يموت الأسد. أحسّت الملكة بهدوء غريب، وتذكرت أول مرّة فقدت فيها سينا في صغرها وكيف لم تشعُر بأي ألم، وإن ولدت الفجوة إحساساً غريباً في فمها جعلها لا تستطيع الكفّ عن لمسها بلسانها. والآن ثمة فجوة في العالم كان يسدّها أبي، والفجوات تحتاج إلى ملء. إذا ماتت ايبوين لانستـتر حقاً فلا أحد في أمان... لا سيما ابنها على عرشه. حين يموت الـليث تنقـض الحيوانات الأقل شأناً، العقبان وبنات آوى والكـلاب الضارية.

سيحاولون تنحيها جانباً كما فعلوا دوماً، وعليها أن تتحرّك بسرعةٍ مثلما فعلت حين مات روبرت. قد يكون هذا من صنع ستانيس باراثيون من خلال أجير ما، وربما يكون تمهيداً لهجوم جديد على المدينة، وهي تأمل أن يكون كذلك. فليأت. سأسحقه كما سحقه أبي، وهذه المرّة سيموت. لا يُخيفها ستانيس أكثر ممّا يُخيفها مايس تايرل، لا أحد يُخيفها. إنها اللبوة ابنة (الصخرة). لن يكون هناك المزيـد من الكـلام عن إرغامـي على الزواج مجدداً. (كاسترلي روك) لها الآن، وكـلّ سلطة عائلة لانستر، ولن يستخفّ بها أحد ثانية أبداً، وحتى عندما تنتهي حاجة تومن إلى وصية ستظلّ سيّدة (كاسترلي روك) قوّة لا يُستهان بها في البلاد.

خضبت الشمس المشرقة قمم الأبراج بالأحمر الفاقع، لكن تحت الأسوار ظلّ الليل رابضاً، وخيم على القلعة الخارجية صمت مطبق لدرجة أن سـرسي كانت لتصدّق أن أهلها جميعاً قد ماتوا. حري بهم

أن يموتوا، فلا يليق بتايوين لانستر أن يموت وحده. رجل مثله يستحق حاشيةً تخدمه في الجحيم.

عند باب (بُرج اليد) وقفَ أربعة من حاملي الحراب في المعاطف الحمراء والخوذات ذات ريشة الأسد، فقالت لهم: «لا أحد يدخل أو يخرج دون إذني». صدرَ منها الأمر بسهولة. أبي أيضًا كان في صوته فولاذ.

أزعجَ دُخان المشاعل عينيها داخل البُرج، إلّا أن قطرة دمع لم تسيل من سرسي كما لم تكن لتسيل من أبيها. أنا الابن الحقيقي الوحيد الذي أنجبته. احتكَّ كعياها بالحجر وهي تصعد السلالم، ولم يزل بإمكانها أن تسمع ضربات جناحي العُثة العنيفة داخل مصباح السير أوزموند، فخاطبتها الملكة في سريرتها بضيق: موتي، حلّقي إلى اللهب وافرّغي من الأمر.

على قمة السلالم وقفَ حارسان آخران بمعطفين أحمرين، وتمتمَ لستر الأحمر بكلمة عزاءٍ إذ مرّت به. أحسّت الملكة بأنفاسها سريعةً قصيرةً وبقلبها يرتجف في صدرها، فقالت لنفسها: إنها السلالم، هذا البُرج الملعون سلالمه كثيرة للغاية. الحقيقة أنها تشعُر بميلٍ في نفسها إلى هدمه.

ألقت القاعة مليئةً بالحمقى الذين يتكلمون همسًا، كأن اللورد تايوين نائم ويخشون أن يوقظوه، وانكمش الحرس والخدم على حدٍّ سواءٍ منها لدى مروره. وأفواههم تنفتح وتنغلق، فرأت لثاهم الوردية وألسنتهم المتراقصة، لكن كلامهم لم يعن لها شيئًا أكثر من طنين العُثة. ماذا يفعلون هنا؟ كيف عرفوا؟ المفترض أن يكونوا قد استدعوها هي أولاً. إنها الملكة الوصيّة على العرش، أم أنهم نسوا؟ أمام غرفة نوم يد الملك وقفَ السير مرين ترانت بمعطفه ودرّعه الأبيضين، وقد فتحَ مقدّمة خوذته فجعلته الأكياس الثقيلة تحت عينيه يبدو كأنه ما زالَ نصف نائم. قالت له: «أبعد هؤلاء الناس. هل أبي في المرحاض؟».

فتحَ لها السير مرين الباب مجيبًا: «حملوه إلى سريريه يا سيّديتي».

كانت خيوط الضوء المائلة تتسرّب من مصاريع النوافذ راسمةً خطوطًا ذهبيةً على الحصائر المفروشة على أرضية غرفة النوم، ووجدت الملكة عمّها كيثان على رُكبتيه إلى جوار الفراش، يُحاول أن يُصلي وبالكاد يستطيع إخراج الكلمات من بين شفتيه. تجمّع الحرس قرب المستوقد، وقد لاح الباب السري الذي ذكره السير أوزموند مفتوحًا وراء الرّماد، لا يتعدّى حجمه حجم قرن، وهو ما يعني أن المتسلّل منه عليه أن يزحف. أصابتها الفكرة بالغضب. لكن تيريون نصف رجل فقط. لا، القزم محبوس في زنزانية سوداء. ليس ممكّنًا أن هذا من صنعه. ستانيس، ستانيس وراء الأمر. ما زالَ له مناصرون في المدينة. إمّا هو إمّا آل تايرل...

لطالما تردّد الكلام عن وجود ممّراتٍ سريّة داخل (القلعة الحمراء)، ويُفترض أن

ميجور المتوجّش قتلَ الذين بنوا القلعة ليُحافظ على السّير. كم عُرفة نومٍ أخرى فيها أبواب خفية؟ تكوّنت في عقل سرسي فجأةً صورةً للقرمز يخرُج زاحقًا من وراء إحدى المعلّقات في عُرفة تومن وفي يده سكين، لكنها حدّثت نفسها قائلةً: تومن تحت حراسةٍ قويّة. واللورد تايوين كان تحت حراسةٍ قويّة أيضًا.

مرّت لحظة دون أن تتعرّف الرّجل الميت. إن له شعراً كشعر أبيها، نعم، وإنما مؤكّد أن هذا رجل آخر، رجل أصغر حجمًا وأكبر سنًا بكثير، معطف نومه مرفوع حول صدره تاركًا إياه عاريًا تحت الخصر. كان السّهم قد أصابه فوق خاصرته بين الذّكر والسّرة، وقد انغرسَ في لحمه تمامًا لدرجة أن ريشته فقط بارزة، وبيّست الدّماء الجافة شعر عانته، بينما بدأ المزيد منها يتخثر في سرّته.

جعلت رائحته أنفها يتقلّص اشمئزازًا، وقالت أمرّة: «أخرجوا السّهم منه. إنه يد الملك!». ووالدي، السيّد والدي. أيجدُر بي أن أصرخ وأمزّق شعري؟ يقولون إن كاتلين ستارك مزّقت وجهها تمزيقًا حين قتلوا عزيزها روب. أرادت أن تسأله: هل كان هذا ليروقك يا أبي أم كنت لتريدني أن أتحلّى بالثبات؟ هل بكيت أنت أباك؟ لقد مات جدّها وسينها عام واحد لا أكثر، لكنها تعرف قصة اللورد تايئوس الذي صارَ في غاية البدانة، وفي يومٍ انفجر قلبه وهو يصعد السلّالم إلى عشيقته. كان أبوها في (كينجز لاندنج) عندما حدثَ هذا، يدًا للملك المجنون، وقد اعتادَ اللورد تايوين أن يغيب طويلًا في المدينة وقت طفولتها هي وچايمي، فإذا كان بكى حين أتوه بخبر موت أبيه فقد فعلها في مكانٍ لم يرَ أحد فيه دموعه.

قالت الملكة شاعرةً بأظفارها تنغرس في راحتي يديها: «كيف تتركوه هكذا؟ أبي كان يدًا لثلاثة ملوك، أعظم رجل عرفته (الممالك السّبع). لا بُدَّ أن تُدقّ له الأجراس كما دُقّت لروبرت، ولا بُدَّ أن يُغسّل ويكسى بثيابٍ تليق بمكانته، بفراء

الفاقوم¹⁶ وفُماش الذهب والحرير القرمزي. أين پايسل؟ أين پايسل؟!»، والتفتت إلى الحُرّاس قائلةً: «پوكنز، أحضر المايستر الأكبر پايسل. عليه أن يتولّى العناية باللورد تايوين».

ردّ پوكنز: «لقد رآه بالفعل يا جلالة الملكة، أتى ورأى وذهبَ يستدعي الأخوات الصّامّات».

كنتُ آخر مَنْ أرسَلوا يسـتدعونه. أصـابها الإدراك بحـنـق كـاد يُعـجزهـا عـن الكـلام. ويـهرب پايـسل لـيُرسل رسـالـةً بـدلًا مـن أن يُلَوّث يـديه الرّقـيقتين المتغصّـنـتين. هـذا الرّجل عديم الفائدة. قالت بنبرة أمرّة: «اعثر على المايستر بالابار، اعثر على المايستر فرنكن، هذا أو ذاك»، فهرعَ پوكنز وذو الأذن القصيرة لتلبية الأمر، وتساءلت هي: «أين أخي؟».

- «نزلَ في النّفق. ثمة بئر فيها درجات حديد مثبتة في الحجر. السير چايمي ذهبَ ليرى عمقها».

أرادت أن تزعق فيهم: إن له يدًا واحدةً فقط. كان على أحدكم أن يذهب، فليس

لچايمي أن يتسلّق السّلالم. قد يكون مَن قتلوا أبي كامنين في الأسفل في انتظاره.

لطالما كان توأمها متهوّرًا، ويبدو أن فقدانه يده لم يُعلِّمه الحذر. كانت على وشك أن تأمر الحرس باللّجّاق به عندما عادَ بوكنز وذو الأذن القصيرة وبينهما رجل أشيب، وقال ذو الأذن القصيرة: «جلالة الملكة، هذا الرّجل يقول إنه كان مايستر».

انحنى الرّجل بشدّة قائلاً: «كيف أخدمُ جلالتك؟».

وجدت سرسي وجهه مألوفًا على نحو طفيف، وإن لم تستطع أن تتذكّره. عجوز، لكن ليس هَرِمًا كپايسل، ما زالَ يتمتّع بالقليل من الحيويّة. الرّجل طويل القامة لكن ظهره محنيّ بعض الشيء، وحول عينيه البنيّتين الجريئتين تجاعيد. ورقبته عارية. قالت له: «لست تضع سلسلة مايستر».

- «أخذت مني. اسمي كايرن، بعد إذن صاحبة الجلالة. لقد عالجتُ يد أخيك».

- «تقصد جدعة يده». الآن تذكّر أنه جاء مع چايمي من (هارنهل).

- «لم أستطع أن أنقذ يد السير چايمي، هذا صحيح، لكن فنوني أنقذت ذراعه، وربما حياته ذاتها. لقد أخذت (القلعة) سلسلتي، لكن ليس بمقدور أحدٍ هناك أن يأخذ معرفتي».

قالت وقد حزمت أمرها: «قد تصلّح. إذا خذلتني ستفقد أكثر من مجرد سلسلة، هذا وعد. أخرج السّهم من بطن أبي وجهّزه للأخوات الصّامتات».

قال كايرن: «كما تأمر مليكتي»، وذهب إلى الفراش، ثم توقف ونظر خلفه متسائلًا: «وكيف أتعاملُ مع الفتاة يا جلالة الملكة؟».

- «الفتاة؟». لم تنتبه سرسي إلى الجئة الثانية، لكنها أسرعَت الآن إلى الفراش وطوّحت كومة الأغطية الدّامية جانبًا، وها هي ذي الفتاة، عارية باردة متورّدة...

باستثناء وجهها المسود كوجه خوف في مآدبة زفافه، وقد اندفنت سلسلة من الأيدي الذهبية التي يشد بعضها على بعض في لحم عنقها، والتوت بشدّة جعلتها تخرق الجلد. هسهست سرسي كهرة غاضبة، وقالت: «ماذا تفعل هذه هنا؟».

قال ذو الأذن القصيرة: «وجدناها هنا يا جلالة الملكة. إنها عاهرة العفريت». كأن قوله يُفسّر وجودها هنا.

فكّرت: لم يكن السيّد والدي يُطيق العاهرات، ولم يمسّ امرأةً بعدما ماتت أمنا. حدّجت الحارس بنظرة تُجمّد الدّماء، وقالت: «هذا ليس... حين مات أبوه عادَ اللورد تايبوين إلى (كاس-ترلي) روك ليچ-د... امرأةً من هذا النوع... تتحلّى بجواهر أمّه وترتدي أحد فساتينها، فجرّدها منها ومن كلِّ

شيءٍ آخر، وطيلة أس-بوعين جُرست عارية في شوارع (لانسپورت)، لتقرّ لكلّ رجلٍ تلتقيه بأنها لصّة وبغي. هكذا كان اللورد تايوين يتعامل مع العاهرات. إنه لم... هذه المرأة كانت هنا لسببٍ آخر، وليس لـ...».

قال كايرن مقترحًا: «ربما كان حضرة اللورد يستجوب الفتاة بشأن سيّدها. سانزا ستارك اختفت ليلة قُتل الملك حسب ما سمعتُ».

تمسّكت سرسي بالاقترح بحماسة، وقالت: «بالضبط. لا بدّ أنه كان يستجوبها، لا شكّ في هذا على الإطلاق». كانت ترى تيريون ينظر إليها شزرًا بغمٍ ملتبسٍ بابتسامةٍ كالقروء تحت أنفه الخرب، وتسمع القزم يهمس لها: وهل من وسيلةٍ أفضل لاستجوابها من أن تكون عارية فاتحة ساقها؟ هكذا أحب أن أستجوبها أيضًا.

أشاحت الملكة بوجهها. لن أنظر إليها. فجأةً أصبح وجودها في الغرفة نفسها مع المرأة الميتة فوق الاحتمال، فاندفعت متجاوزةً كايرن وخرجت إلى الردهة.

كان أوزني وأوزفريد أخوا السير أوزموند قد انضمّا إليه، فقالت سرسي للإخوة كتلبلاك الثلاثة: «هناك امرأة ميتة في غرفة اليد. يجب ألا يعلم أحد أبدًا بأنها كانت هنا».

- «حاضر يا سيّدي»، قال السير أوزني الذي تلوح على وجنته خدوش باهتة حيث خمشته واحدة أخرى من عاهرات تيريون. «وماذا نفعل بها؟».

- «أطعموها لكلابكم، احتفظوا بها في سريركم، لا أبالي. إنها لم تكن هنا قطّ. سأقطع لسان من يتجرأ ويقول إنها كانت هنا، مفهوم؟».

تبادل أوزني نظرةً مع أوزفريد، ثم قال: «نعم يا جلالة الملكة».

تبعّت الأخوين إلى الدّاخل وشاهدت بينما لقّا الفتاة بأغطية أبيها الدّامية. شيّ، كان اسمها شيّ. آخر مرّة رأتها كانت في الليلة السّابقة لمُحاكمة القزم، بعد أن عرض الثّعبان الدورني الباسم أن يُناصره في مُحكمةٍ بالنّزال. سألت شيّ عن بعض الجواهر التي أعطها لها تيريون، وعن وعودٍ معيّنة تقول إن سرسي قطعّتها بخص-وص إي-وان في الم-دينة وف-ارس يتزوّجها، فقالت الملكة بمنتهى الوضوح إن العاهرة لن تنال شيئًا من-ها إلى أن تُخبره-م بمكان س-انزا س-تارك، وأض-اقت: «كنت وصيفتها، فهل تتوقعين أن أصدّق أنك لم تعلمي شيئًا عن مخططاتها؟»، وغادرت شيّ باكيةً.

رفع السير أوزفريد الجثة الملفوفة على كتفه، وقالت له سرسي: «أريدُ هذه السّلسلة. احرص على ألا تخدش الذهب»، فأومأ أوزفريد برأسه إيجابًا وبدأ يتحرّك نحو الباب، إلّا أنها استوقفته قائلةً: «لا، ليس عبر السّاحة»، وأشارت إلى الطريق السّريّ مردفةً: «ثمّة بئر تقود إلى الزّنازين، اذهب من هناك».

وبينما جثا السير أوزفريد على رُكبةٍ واحدة أمام المستوقد توهّج الضّوء في

الدَّاخل وسمعت الملكة جلبةً، ثم ظهرَ چايمي محنيّ الظَّهرِ كامرأةٍ مسنَّة، يَرُكِّلُ حذاؤه سُخام نار اللورد تايوين الأخيرة ويُطَيِّرُه، وقال للأخوين كِتْلَبلاك: «ابتعدا عن طريقي».

هرعت سرسي إليه متسائلة: «هل وجدتهم؟ هل وجدت القتلة؟ كم عددهم؟». مؤكِّد أن هناك أكثر من واحد. لا يُمكن أن رجلاً وحيداً قتل أباهما.

أجاب توأمها وعلى وجهه نظرة منهكة: «البئر تنزل إلى حُجرةٍ تتفرَّع منها دسّته أنفاق مغلقة بأبواب حديدية موصدة بالسلاسل. يجب أن أعثر على المفاتيح»، وجال ببصره في الغرفة مضيئاً: «قد يكون من فعلها أيّاً كان لا يزال كامناً وراء الجدران. إنها متاهة مظلمة».

تخيَّلت تيريون يزحف بين الجدران كجرذٍ وحشي. لا، دعك من هذه الأفكار السخيفة، القزم في زنانيته. «اهدم الجدران بالمطارق، اهدم البرج كله إذا لزم الأمر. أريد العثور عليهم. أيّاً كان من فعلها أريده أن يُقتل».

عانقها چايمي ضاغطاً بيده السليمة على أسفل ظَهرها، تفوح منه رائحة الرَّماد وإن كان نور شمس الصَّباح في شَعْره يُضفي عليه وهجاً ذهبياً. أرادت أن تسحب وجهه إلى وجهها لتُقبِّله، لكنها قالت لنفسها: لاحقاً، لاحقاً سيأتيني بنشد المواساة. همست له: «إننا وريثاه يا چايمي، وعلينا أن نتمَّ عمله. لا بُدَّ أن تحلَّ محلَّ أبينا كيد الملك. مؤكِّد أنك ترى هذا الآن. تومن سيحتاج إليك...».

دفعها عنه ورفع ذراعه لتواجه جَدْعته وجهها مباشرةً، وقال: «يد بلا يد؟ دُعاة رديئة يا أختاه. لا تطلبي مني أن أحكم».

سمعَ عمُّهما صِدَّته لَهَا، وكذا كِابيرن والأخوان كِتْلَبلاك اللذان يحمِلان الكومة عبر الرَّماد بصعوبة، وحتَّى الحرس سَمِعُوهُ؛ بوكِيز وهوك وساق الحصان وذو الأذن القصيرة. سيذيع الكلام في القلعة كُلِّها بحلول المساء. أحسَّت سرسي بالحرارة ترتفع إلى وجنتيها، وقالت: «تَحْكُم؟ لم أقل شيئاً عن الحُكم. سأحكمُ أنا إلى أن يَبْلُغ ابني».

قال أخوها: «لا أدري على مَنْ أشفقُ أكثر، تومن أم (الممالك السَّبع)».

هَوَّت على وجهه بصفعة، وارتفعت ذراع چايمي تصدُّها بسُرعةٍ إلِقط... لكن هذا إلِقط له جَدْعَة مُعاقٍ بدلاً من يَدٍ يُمنى، فتركت أصابعها علاماتٍ حمراء على خَدِّه.

دفع الصَّوت عمَّهما إلى التَّهْوُض قائلاً: «أبوكما مسجى ميتاً هنا. تحلَّيا باللياقة وخُذا شجاركما إلى الخارج».

حنى چايمي رأسه معتذراً، وقال: «سامحنا يا عمَّاه. أختي أسقمها الحزن ونسيَت نفسها».

أرادت أن تصفحه ثانيةً لقوله هذا. لا بُدَّ أني جُئْتُ حين حسبتُ أنه يصلح لأن

يكون يدًا. خيرٌ لها أن تُلغى المنصب برُمته. منذ متى جلبَ عليها يد الملك إلاّ البلاء؟ چون آرن وضعَ روبرت باراثيون في فراشها، وقبل أن يموت بدأ يحوم حول علاقتها بچايمي أيضًا، ثم بدأ إدارد ستارك من حيث توقّف آرن، وأجبرها تطفّله على الخلاص من روبرت في وقتٍ أقرب مما أرادت، قبل أن تتعامل مع أخويه المزعجين، أمّا تيريون فباعَ مارسلا للدورنيين واتّخذ أحد ابنيها رهينةً واغتالَ الثاني، وحين عادَ اللورد تايوين إلى (كينجز لاندنج)...

وعَدَت نفسها قائلةً: اليد التالي سيعرف مقامه. لا بُدَّ أن يكون السير كيغان، فعمُّها دُوب متعقِّل ومطيع لأقصى الحدود، وتستطيع الاعتماد عليه مثل أبيها من قبلها. اليد لا تُجادل الرأس. ثمّة مملكة عليها أن تحكّمها، لكنها ستحتاج إلى رجالٍ جُدّد لمساعدتها على الحكم. پايسل منافق خرف، وچايمي فقدَ شجاعته مع يده، ومايس تايرل وصديقاه الحميمان ردواين وروان ليسوا أهل ثقة، وعلى حدِّ علمها ربما يكون لهم دور في هذا. لا ريب أن اللورد تايرل على ما أنّه لن يحكم (الممالك السبع) أبدًا ما عاش تايوين لانستر.

عليّ أن أتصرّف بحذر معه. المدينة تعجُّ برجاله، كما أنه نجحَ في زرع أحد أبنائه في الحرس الملكي، ويُزعم أن يزرع ابنته في فراش تومن. ما زالت تتميز غيظًا من موافقة أبيها على خطبة تومن ومارچري تايرل. الفتاة في ضعف سيئه وترملت مرّتين. يزعم مايس تايرل أن ابنته بكر، لكن سرسي تشكُّ في صحّة هذا. چوفري اغتيلَ قبل أن يُعاشِر الفتاة، لكنها كانت زوجة رنلي أولًا... قد يُفضّل

المرء مذاق الهيبوكراس¹⁷، لكن ضَع دورقًا من المِزر أمامه وسيعبّه في لحظات. عليها أن تأمر اللورد فارس بأن يجمع ما يستطيع من معلومات.

أوقفها الخاطر في مكانها. لقد نسيت أمر فارس. المفترض أن يكون هنا، إنه موجود دائمًا. متي حدث شيء مهم في (القلعة الحمراء) يظهر الخصي كأن العدم انشق ولغظه. چايمي هنا، والعم كيغان، وپايسل جاءَ وذهبَ، لكن فارس غائب. أحست بإصبع بارد يمسُّ عمودها الفقري. إنه جزء من هذا. لا بُدَّ أنه خشي أن يضرب أبي عُنقه، فوجّه ضربته أولًا. لم يكن اللورد تايوين يكن وُدًا لوليّ الهامسين بابتساماته المتكيفة، وإذا كان هناك رجل واحد يعرف أسرار (القلعة الحمراء) فمؤكد أنه وليّ الهامسين. لا بُدَّ أنه تحالفَ مع اللورد ستانيس. لقد خدما معًا في مجلس روبرت رغم كلِّ شيء...

اتّجهت سرسي مسرعةً إلى باب الغرفة حيث يقف السير مرين ترانت، وقالت له: «ترانت، أحضر لي اللورد فارس، أحضره صارخًا مكبّلاً إذا دعت الحاجة، لكن دون أن يمسه أذى».

- «كما تأمرين يا جلالة الملكة».

لكن لم يكد فارس الحرس الملكي يرحل حتى عادَ آخر. كان السير بوروس

بلاونت محتقن الوجه متقطّع الأنفاس من اندفاعته المتعجّلة على السّلالم، ولمّا رأى الملكة قال لاهثاً: «اختفى»، ونزلَ على رُكبته متابعاً: «العِفريت... زنانتة مفتوحة يا جلالة الملكة... لا أثر له في أيِّ مكان».

كان الحُلم حقيقةً. «لقد أمرتُ بأن يبقى تحت الحراسة ليل نهار...». ردّ بلاونت وصدره يعلو ويهبط بسُرعة: «أحد السّجّانين مفقود أيضاً، اسمه روجن، ووجدنا رجلين آخرين نائمين».

قالت باذلةً قصارى جهدها كي لا تصرّخ: «أملُ أنك لم تُوقِظهما يا سير بوروس. انترُكهما نائمين».

رفعَ عينيه إليها وتساءلَ بارتباكٍ ولُغده يهتّز: «نائمين؟ أمرك يا جلالة الملكة. إلى متى أترك...».

- «إلى الأبد. اعمل على أن يناما إلى الأبد أيها الفارس. لن أسمح بأن ينام الحُرّاس في أثناء مناوَبتهم». إنه بين الجُدران. قتلَ أبي كما قتلَ أمّي كما قتلَ جوف. تعلم الملكة أن القزم سيأتيها أيضاً، تماماً كما توعّدتُها العجوز في عتمة الخيمة إياها. ضحكتُ في وجهها، لكنها كانت تتمتّع بقُدّراتٍ حقيقيّة. لقد رأيتُ مستقبلتي في قطرة دم، رأيتُ هلاكي. شعرتُ بقدميها ضعيفتين كالماء، وحاولَ السير بوروس أن يلتقط ذراعها، لكن الملكة جفّلت من لمستته. ربما يكون واحداً من مخلوقات تيريون أيضاً. صاحَت: «ابتعد عني، ابتعد!»، وترنّحت قبل أن تُثبّت نفسها.

قال بلاونت: «هل أحضرُ كوباً من الماء يا جلالة الملكة؟».

ما أحتاجُ إليه هو الدّم لا الماء، دمُ تيريون، دمُ الغالونگار. راحَت المشاعل تدور حولها، فأغلقتُ سرسي عينيها ورأت القزم يبتسم لها باتّساع. لا، لا، كنتُ أوشكتُ على الخلاص منه. لكن أصابعه انغلقت حول رقبتها، وأحسّت بها تبدأ في الانطباق.

بريان

قالت للعقيلة الشَّيْبَاء الواقعة عند بئر القرية: «أبحثُ عن بنتٍ في الثالثة عشرة، بنت رقيقة النَّسب رائعة الجَمال، عيناها زرقاوان وشعرها كستنائي. قد تكون مُسافرةً مع فارسٍ سمين في الأربعين، أو ربما مع مهرَج. هل رأيَتها؟». أجابت العقيلة وهي تنفُّر على جبهتها بمفاصل أصابعها: «ليس حسب ما أذكرُ أيها الفارس، لكن أعدك بأن أبقي عيني مفتوحة».

الحَدَّاد كـذلك لـم يرَـهـا، ولا السَّيِّتـون فـي سـيـت القريـة، ولا راعـي الخنـازير بقطيعـه، ولا الفتـاة التـي تـقلـع البصل فـي حـديقـتها، أو أي من العـامَّة البُـسـطاء الـذيـن وجـدَـتـهم عـذراء (تـارث) وسـط أكـواخ (روزبـي) المبنـيَّة بـالحِصِّ والأغصـان المجـدولة، وعلى الرغـم من هـذا ثـابـرت بريـان وقـالت لنفسـها: هـذا أقصـر الطـرق إلـى (وادي الغسق). إذا مرَّت سانزا من هنا فلا بُدَّ أن أحداً رآها. عند بؤابة القلعة ألقت

سؤالها على حارسين يحملان الجراب، على شارة كلٍّ منهما ثلاثة جملونات حمراء على خلفيَّة بيضاء مرقطة بالأسود، رمز عائلة روزبي. قال لها أكبرهما سيِّئاً: «إذا كانت على الطريق هذه الأيام فلن تظلَّ بنتاً طويلاً»، أمَّا أصغرهما فسألها إن كان للبنت ذلك الشعر الكستنائي بين ساقها أيضاً.

لن أجد عوناً هنا. بينما امتطت بريان فرسها مجدداً لمحت فتى نحيلاً على متن حصان أرقط في أقصى القرية، ففكرت: لم أتكلم مع هذا الصبي، لكنه اختفى وراء السَّيِّت قبل أن تسعى إليه، فلم تُكَلِّف نفسها عناء اللحاق به، فعلى الأرجح لا يعرف شيئاً أكثر من الآخرين. (روزبي) ليست أكثر من مكان واسع على الطريق، وليس هنالك مـا يـحمـل سـانزا علـى البقـاء فـيـها. هـكـذا عـادَـت بريـان إلـى الطـريق واتَّجـهت شـمـالاً وشـرقاً، مـارَّةً ببسـاتين تـفـاح وحقـول ذرة، وسـرعان مـا غـابـت القريـة وقلعتها وراءها. قالت لنفسها إن (وادي الغسق) هي المكان الذي ستجد فيه بُغيثها. إذا كانت قد سلكت هذا الطريق أصلاً.

- «سأعثرُ على الفتاة وأحافظُ على سلامتها، لأجل خاطر أمِّها ولأجل خاطرك». هكذا وعدت بريان السير چايمي في (كينجز لاندنج). كلمات نبيلة، لكن الكلام سهل والفعل صعب. لقد ظلت في المدينة وقتاً أطول من اللازم، وما توصَّلت إليه يكاد لا يُذكر. كان عليَّ أن أتحرك مبكراً... لكن إلى أين؟ سانزا ستارك اختفت ليلة موت الملك چوفري، وإذا كان أحدهم قد رآها منذ ذلك الحين، أو إن كانت عنده معرفة ولو طفيفة بالمكان الذي ذهبت إليه، فلا أحد يتكلم. لا أحد يتكلم معي أنا على الأقل.

تعتقد بريان أن الفتاة غادرت المدينة، فلو كانت لا تزال في (كينجز لاندنج) لعثر

عليها ذوو المعاطف الذهبية. لا بُدَّ أنها ذهبت إلى مكان آخر... لكن ذلك المكان الآخر قد يكون أي مكان. سألت نفسها: لو كنت فتاةً أزهرت مؤخرًا، وحيدةً وخائفةً وفي خطرٍ داهم، فماذا أفعل؟ أين أذهب؟ بالنسبة إلى بريان نفسها الإجابة سهلة، إذ ستعود إلى (ت-ارث) وإلى أبيها... أمّا أبو سانزا فقد قطعوا رأسه على مراءى منها، والسيدة والدتها مرّاتٍ أيضًا، اغتيلت في (التوأمتين)، وقلعة عائلة ستارك العظيمة (وينترفيل) نُهبت وأحرقت وقُتل أهلها. ليس لها وطن تهرب إليه، ولا أب ولا أم ولا إخوة. قد تكون الفتاة في البلدة التالية أو على متن سفينةٍ راحلة إلى (أشاي)، الاحتمالات كافة متساوية.

حتى إذا أرادت سانزا ستارك أن تعود إلى وطنها، فكيف تصل إليه؟ (طريق الملوك) ليس آمنًا، وكلُّ طفلٍ يعلم هذا، وحديدو الميلاد مسيطرون على (خندق كايلن) التي تسدّ (العنق)، وفي (التوأمتين) يستقرُّ آل فراي الذين اغتالوا أخا سانزا والسيدة والدتها. تستطيع الفتاة أن تُسافر بحرًا إذا كانت تملك المال، لكن الميناء في (كينجز لاندنج) لا يزال خربًا، والنهر فوضى من الأرصفة المحطّمة والقوادم المحروقة والغارقة. كانت بريان قد سألت عند أحواض السفن، لكن لا أحد تذكر رؤية سفينة ترحل ليلة مات الملك چوفري، وقال لها أحد الرجال إن بعض السفن التجارية الرّاسية في الخليج تُفرغ حمولتها بالقوارب، لكن عددًا أكبر يُواصل طريقه على الساحل إلى (وادي الغسق) التي تضم ميناءً مزدحمًا عن آخره.

تمتطي بريان قرسًا جميلة المنظر سريعة الحركة، وعلى الطريق قابلت مسافرين أكثر مما كانت تحسب، فرأت إخوة شحّاذين يمشون بخطى بطيئة وأوعيتهم معلقة بسيورٍ جلدية من رقابهم، وهول سبتون شاب مارًا بها على متن حصانٍ صغير يليق بأيّ لورد، ولاحقًا التقت جماعة من الأخوات الصّامات اللواتي هززن رؤوسهن نغيًا حين ألقت عليهن سؤالها، ومضت قافلة من العربات التي تجرّها الثيران جنوبًا حاملةً غلالًا وأجولةً من الصوف، وبعدها مرّت براعي خنازير يسوق قطعها، وامرأة عجوز في هودج تجرّه الخيول وتُصاحبه مجموعة من الحرس الدراكبين. سألتهم جمعيًا إن كانوا قد رأوا بن-تًا في الثالثة عشرة لها عينان زرقاوان وشعر كستنائي، إلا أن أحدًا لم يرها. سألت عن الطريق أمامها أيضًا، فأجابها رجل: «إنه آمن بما فيه بين هنا و(وادي الغسق)، لكن بعد (وادي الغسق) هناك خارجون عن القانون ورجال مكسورون¹⁹ في الغابات».

وحدها أشجار الصنوبر الجُندي والحارس²⁰ ما زال فيها اخضرار، أمّا الأشجار الأخرى ذات الأوراق العريض فاتّشحت بالخمرى والذهبي، أو تجرّدت لتخـدش السماء بفروعٍ بيّنة عارية. كلُّ هبةٍ ريحٍ تدفع سحبًا دوّارة من

الأوراق الميتة على الطريق المليء بالحُفر، فتُصدِر حفيفًا وهي تتناثر حول حوافر القَرس الكستنائية التي منحَها چايمي لانستر ليريان. العُثور على فتاةٍ مفقودة في (وستروس) كالعثور على ورقةٍ في مهبِّ الرِّيح. وجَدَت نفسها تتساءل إن كان چايمي قد كلَّفها بهذه المهمَّة على سبيل الدُّعابة القاسية. ربما تكون سانزا ستارك ميتةً، قطعوا رأسها للدَّور الذي لعبته في موت الملك چوفري ودفنوها في قبر بلا شاهد. وهل من وسيلةٍ أفضل لإخفاء قتلها من إرسال فتاةٍ حمقاء كبيرةٍ من (تارث) للبحث عنها؟ ما كان چايمي ليفعل هذا. كان صادقًا، وأعطاني السِّيف وسمَّاه (حافظ العهد). لا فرق على كلِّ حال. لقد وعدت الليدي كاتلين بأن تُعيد ابنتيها، وما من يمين مقدَّسة كتلك التي حُلِّفت للموتى. چايمي زعمَ أن الفتاة الصَّغرى ماتت منذ فترةٍ طويلة، أمَّا آريا التي أرسلها آل لانستر شمالًا لتتزوَّج نغل رووس بولتون فزائفة، أي أنه لم يَعد هناك إلا سانزا، ويجب أن تُعثَر عليها ليريان.

قُرب الغسق أبصرت نار مخيِّمٍ إلى جوار غدير، يجلس عندها رجلان يشويان أسماك الترويت، وقد كوَّما أسلحتهما وعتادهما أسفل شجرة. أحدهما عجوز والثاني أصغر بعض الشيء، وإن كان بعيدًا عن الشَّباب، وهو من نهضَ يُحيِّيها، فرأت أن له بطنًا كبيرًا يضغط على أربطة سترته المبقعة المصنوعة من جلد الظِّباء، ولحية خشنَّة مشعثةً لونها كالذهب القديم تُغطِّي وجنتيه وذقنه. ناداها قائلاً: «لدينا سَمَك يكفي ثلاثة أيها الفارس».

ليست هذه أول مرَّةٍ يحسب أحدهم ليريان رجلًا. خلعت خوذتها محرَّرةً شعراً أصفر كالقشِّ المتسخ ويُدانيه في الهشاشة، فتطاير حول كتفيها طويلاً خفيفًا وهي تقول: «أشكرك أيها الفارس».

زَرَّ الفارس المتجول عينيه متفرِّسًا في ملامحها بشدَّة جعلتها تُدرك أنه قصير النَّظر، وقال: «امرأة؟ مسلحة ومدرَّعة؟ إليي، انظر إلى حجمها بحقِّ الآلهة». ردَّ الفارس الأكبر سنًّا وهو يُدوِّر السَّمَك على النَّار: «حسبتها فارسًا أيضًا».

لو كانت ليريان رجلًا لقل إنه رجل كبير الحجم، لكن بالنِّسبة إلى النِّساء فهي ضخمة حقًا. «مسوخ» هي الكلمة التي سمعتها طوال حياتها. إن لها كتفين عريضتين ووركين أعرض، وساقاها طويلتان وذراعاها غليظتان، وعضلات صدرها تجعل حجم ثدييها لا يُذكر، ويداها كبيرتان وقدماهما ضخمتان، وكلُّ هذا علاوةً على قُبْح ملامحها، فوجهها منمَّش ويبدو كوجه الحصان، وأسنانها تكاد تكون كبيرةً على فمها، وهي ليست في حاجةٍ إلى أن يُذكرها أحدٌ بكلِّ هذا. قالت: «أيها الفارسان، هل رأيتما بنتًا في الثالثة عشرة على الطريق؟ لها عينان زرقاوان وشعر كستنائي، وربما كانت في صُحبة رجلٍ سمين متورِّد الوجه في الأربعين».

حكَّ الفارس المتجول قصير النَّظر رأسه، وقال: «لا أذكرُ بنتًا على شاكلتها. وما

هذا الشعر الكستنائي؟».

أجاب الأكبر سينا: «أحمر مائل إلى البني. لا، لم نرها».

وقال الأصغر: «لم نرها يا سيدي. هلمّني، ترجلي. السمك على وشك النضوج. أنت جائعة؟».

كانت جائعة بالفعل، لكنها حذرة أيضًا. للفُرسان المتجولين هؤلاء سمعة سيئة، ويُقال إن الفارس المتجول والفارس اللص وجهان لسيف واحد. لكن هذين الاثنين لا يبدوان خطرين لهذه الدرجة. «هل لي أن أعرف اسمكما أيها الفارسان؟».

قال ذو البطن الكبير: «يُشرفني أن أكون السير كرايتون لونجبو الذي يُغني عنه المطربون. ربما تكونين قد سمعت عن مآثري في معركة (النهر الأسود). ورفيقي هو السير إيليفر المُفلس».

إذا كانت هنالك أغنية عن كرايتون لونجبو فهي واحدة لم تسمعهما. بريان، واسم الفارسين لا يعنيان شيئًا لها أكثر من رمزيهما. على ترس السير كرايتون ليس هناك إلا شريط بني وشق عميق صنعته فأس حربية، أما السير إيليفر فترسه مقسم إلى ثمانية مثلثات نصفها ذهبي ونصفها أبيض مرقط بالأسود كفرو القاقوم، ولو أن كل شيء في مظهر الرجل يُوحى بأنه لم يعرف في حياته من الذهب وفرو القاقوم إلا النوع المظلي. إنه في الستين من العمر على الأقل، وجهه هزيل مسحوب تحت قلنسوة معطفه الخيش المرقع، وقد ارتدى تحته قميصًا من الحلقات المعدنية، وإن بقع الصدا الحديد كأنه النمش. تفوق بريان كليهما طولًا برأس كامل، ناهيك بأن مطيئها وسلاحها أفضل. إذا خشيت أمثالهما فحري بي أن أستبدل بسيفي الطويل إبرتي خياطة.

قالت: «أشكركما أيها الفارسان الكريمان. يسرّني أن أشرككما سمككم»، ووثبت من فوق فرسها وخلعت سرجها وسمكتها قبل أن تُقيدها وتُرخي لها الحبل لترعى، ثم كومت أسلحتها وترسها وجراي السرج تحت شجرة دردار، وعندئذ كان سمك الترويت قد نضج تمامًا، فناولها السير كرايتون واحدة جلست تأكلها متقاطعة الساقين على الأرض.

قال لها لونجبو وهو يُفسّخ سمكته بأصابعه: «إننا متوجّهان إلى (وادي الغسق) يا سيدي. خير لك أن تركبي معنا، فالطرق محفوفة بالمخاطر».

كانت بريان لتحكي له عن مخاطر الطرق أكثر مما يُريد أن يعرف، لكنها أجابته: «أشكرك أيها الفارس، لكنني لست في حاجة إلى حمايتكما».

- «إنني مصرّ. لا بدّ أن يُدافع الفارس الحقيقي عن الجنس اللطيف».

مست مقبض سيفها قائلة: «هذا سيُدافع عني».

- «السَّيف لا ينفع إلَّا بقدر مهارة من يحمله».

- «إنني ماهرة في حمله بما فيه الكفاية».

- «كما ترغبين. ليس من الكياسة أن يُجادِل المرء سيِّدةً. سنصحبكِ سالمةً إلى (وادي الغسق). ثلاثة معًا يركبون في أمانٍ أكثر من واحدٍ وحده».

كنا ثلاثةً حين خرجنا من (ريقرن)، ومع ذلك فقدَ چايمي يده وكلْيوس فراي حياته. «حصانكما لا يستطيعان مجاراة فرسي». حصان السير كرايتون البنيّ المخصي مجرَّد مخلوق عجوز أقعس الظَّهر دامع العينين، وحصان السير إيليفر يبدو مهزولًا يتصوَّر جوعًا.

قال السير كرايتون بإصرار: «جوادي خدمني جيّدًا في معركة (النَّهر الأسود)، بل وقتلتُ ذات اليمين وذات الشِّمال وفزتُ بدستةٍ من الفديات. هل سمعت سيِّدتي بالسير هربرت بولينج؟ لن تُقابليه أبدًا، فقد قتلتَه حيث كان يقف. عندما تتقارَع السُّيوف لن تجدي السير كرايتون لونجبو في المؤخِّرة أبدًا».

أطلقَ رفيقه قهقهةً جافَّةً، وقال: «دَعك منها يا كراي. أمثالها ليسوا في حاجةٍ إلى أمثالنا».

سألته بريان غير مدركةٍ ما يرمي إليه: «أمثالي؟».

أشارَ السير إيليفر بإصبع رفيع إلى ثُرسها. على الرغم من أن طلاءه مشقّق متقشِّر فما زالَ الرَّمز عليَّه واضحًا؛ خُفَّاش أسود على خلفيّةٍ مقسومةٍ قُطريًا إلى ذهبي وفضي. «إنكِ تحملين ثُرس شخصٍ كاذب لا حقَّ لك فيه. لقد ساعدَ جدُّ جدِّي على قتل آخر أفراد عائلة لوشتون، ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد على إظهار هذا الخُفَّاش الأسود كأفعال من كانوا يحملونه».

إنه الـثُرس الذي أخذه السير چايمي من مسـتودع الـسِّلاح في (هارنـهال)، وقد وجـدته بريـان في الاسـطبلات مع فرسـها بالإضـافة إلى أشـياء أخرى كثيرة؛ الـسَّرج واللِّجام، وقميص من الحلقات المعدنيَّة وخوذة كبيرة، وصُرتين من العُمَلات الذهب والفضة، وورقة رُقوق أثمن من الاثنين. قالت مفسِّرةً: «لقد فقدتُ ثُرسي».

أعلنَ السير كرايتون بحزم: «الثُرس الوحيد الذي تحتاج إليه فتاة هو فارس حقيقي».

لم يُعِره السير إيليفر انتباهًا وهو يقول: «حافي القدمين يبحث عن حذاءٍ ينتعله، والبردان يبحث عن معطفٍ يرتديه، لكن من ذا الذي يختار أن يرتدي العار؟ اللورد لوكاس القوَّاد كان يضع هذا الرَّمز، وابنه مانفريد ذو القلنسوة السوداء، وإنني أسأل نفسي عن سبب اتِّخاذكِ رمزًا كهذا ما لم تكن خطيئتكِ أقبح... وأحدث»، واستلَّ خنجره القبيح المصنوع من الحديد الرّخيص مواصلًا: «امرأة كبيرة كالمسوخ وقويَّة كالمسوخ تُخفي ألوانها الحقيقيَّة. كراي، انظر إلى عذراء (تارث)

التي شقَّت لرنلي حَلَقه الملكي».

- «هذه أكذوبة». بالنسبة إليها كان رنلي باراثيون أكثر من ملك. لقد أحبَّته منذ جاءَ (تارث) في رحلته المتمهِّلة إلى اللوردية احتفالاً ببلوغه سنَّ الرجولة، ورَحَّبَ به أبوها بمأدبةٍ وأمرها بأن تحضرها، ولولا هذا لكانت قد اختبأت في غُرفتها كحيوانٍ جريح. حينئذٍ لم تكن أكبر من سانزا، تخاف الضحكات السَّاخرة المكتومة أكثر من السيوف، فقالت للورد سلوين: «سيعلمون بأمر الوردية ويضحكون مني»، لكن نجم المساء لم يتزحَّج عن قراره.

وقد رأت من رنلي باراثيون كلَّ كياسةٍ كما لو أنها فتاةٌ طبيعِيَّةٌ حسناء، بل ورقصَ معها فأحسَّت بين ذراعيه بأنها رشيقةٌ وطفَّت قدماها فوق الأرض، ولاحقًا طلبَ آخرون الإذن في الرِّقص معها بسبب المثل الذي ضربَه لهم، ومنذ ذلك اليوم لم ترغب إلا في أن تكون قريبةً من اللورد رنلي، أن تخدمه وتحميه... لكنها في النِّهاية خذلته. قالت لنفسها: رنلي ماتَ بين ذراعي، لكني لم أقتله، على أن هذين الفارسين المتجولَّين لن يتفهَّما أبدًا. قالت لهما: «كنتُ لأدفع حياتي فداءً للملك رنلي وأموتُ سعيدةً. لم أمتَّه بسوء، أقسمُ على هذا بسيوفي».

قال السير كرايتون: «الفرسان فقط يُقسِمون بسيوفهم».

وأضاف السير إيليفر المُفلس: «أقسِمي بالآلهة السَّبعة».

- «بالآلهة السَّبعة إذن. لم أمتَّه الملك رنلي بسوء. أقسمُ بـ(الأم)، عسى ألا أعرف رحمتها أبدًا إذا كنتُ كاذبةً. أقسمُ بـ(الأب) وأدعوه أن يحكُم عليَّ بالعدل. أقسمُ بـ(العذراء) و(العجوز)، وبـ(الحدَّاد) و(المُحارب)، وأقسمُ بـ(الغريب) الذي أسأله أن يأخذني الآن إن كنتُ أقولُ الباطل».

علَّق السير كرايتون: «إنها تُجيد القسم بالنسبة إلى فتاة».

قال السير إيليفر المُفلس: «نعم»، وهزَّ كتفيه مضيقًا: «طَيِّب، إذا كانت كاذبةً ستتولَّى الآلهة أمرها»، وعادَ يدسُّ خنجره في غِمدِه، وأردف: «نوبة الحراسة الأولى لك».

بينما غابَ الفارسان المتجولَّان في النَّوم دارَت بريان حول المخيم الصَّغير مصغيةً إلى طقطقة النَّار. يجدرُ بي أن أوصل طريقي والفرصة سانحة. إنها لا تعرف هذين الرَّجلين، لكنها لا تقوى على تركهما دون حماية، فحتى في جوف الليل هناك عابرون على الطَّرِيق، وأصوات في الغابة ربما يكون مصدرها البوم والثَّعالب وربما لا، وهكذا راحت بريان تذرع المكان جيئةً وذهابًا وقد خلخلت سيفها في غِمدِه.

كانت حراستها سهلةً إجمالًا، لكن ما بعدها هو الصَّعب، حين استيقظَ السير إيليفر وقال إنه سيحلُّ محلَّها. بسطت بريان دثارًا على الأرض وانثنت على نفسها لتُغلق عينيها، وعلى الرغم من جسدها المكدود قالت لنفسها: لن أنام. إنها لم تتعوَّد النَّوم مستريحةً قط في وجود الرَّجال، وحتى في معسكرات اللورد

رنلي كان خطر الاغتصاب حاضراً دوماً، وهو الدرس الذي تعلّمته عند أسوار (هايجاردن)، ومرةً أخرى عندما سقطت وچايمي في أيدي رفقة الشجعان.

تسرّبت برودة الأرض عبر أغطية بريان لتنغذ إلى عظامها، وسرعان ما أحسّت بكلّ عضلة في جسدها متيبّسة متشجّجة، من فكّها إلى أصابع قدميها. تساءلت إن كانت سانزا ستارك بردانة أيضاً أينما كانت. لقد قالت الليدي كاتلين إنها فتاة مرهفة الحسّ تحبّ كعكات الليمون والفساتين الحرير وأغاني الفُروسيّة، لكن سانزا شهدت رأس أبيها يُبترّ وأرغمت بعدها على الزواج بأحد قتلته، وإذا كان نصف ما يُحكى صحيحاً فالقزم أقسى آل لانستر جميعاً. إذا سمّمت الملك چوفري حقاً فلا بُدّ أن العفريت أجبرها. لقد كانت وحيدة بلا أصدقاء في ذلك البلاط. في (كينجز لاندنج) سعت بريان إلى العثور على امرأة اسمها بريلا كانت من وصيفات سانزا، وقالت لها المرأة إنه لم يكن هناك ودّ بين سانزا والقزم، وربما تكون الفتاة هاربة منه كذلك علاوة على هربها من قتل چوفري.

أيّاً كانت الأحلام التي رأتها بريان فقد تلاشت حينما أيقظها الفجر. شعرت بساقيها يابستين كالخشب من برودة الأرض، لكن لا أحد تحرّش بها وظلت حاجياتها كما هي. وجدت الفارسيّين المتجوّلين مستيقظين بالفعل، وقد انشغل السير إيليفر بتقطيع سنجاب للإفطار، ووقف السير كرايتون مواجهاً شجرة ليبول طويلاً.

فارسان متجوّلان، عجوزان ومغروران وبدينان وقصيرا النّظر، لكنهما رجلان لطيفان على الرغم من هذا. سرّها أن تعلم أن هناك رجالاً لطافاً في العالم حتى الآن. أفطروا على لحم السّنجاب المشوي ومعجون جوز البلوط والخيار المخلّل، فيما روى لها السير كرايتون قصص بطولاته في معركة (النّهر الأسود)، حيث قتلّ دسّته من الفُرسان الصّناديد الذين لم تسمع عنهم قط، وقال لها: «أوه، لكم كان قتالاً نادراً يا سيّدتني، معمرة نادرة دامية»، وأضاف أن السير إيليفر قاتلّ ببسالة في المعركة أيضاً، أمّا إيليفر نفسه فلم يقل إلا القليل.

حين أنّ أوان استئناف الرّحلة ركب الفارسان على جانبيها كحارسين يحميان ليدي عظيمة ما... وإن كانت هذه الليدي تجعل من حاميتها قزمين مقارنةً بحجمها، بالإضافة إلى تفوّقها عليهما في السّلاح والعتاد. سألتها بريان: «هل مرّ أحد خلال حراستكما؟».

قال السير إيليفر المُفلس: «كبت في الثّالثة عشرة لها شعر كستنائي؟ لا يا سيّدتني، لا أحد».

عقب السير كرايتون: «رأيت بعضهم. صبيّ مزرعة ما على حصانٍ أرقط مرّ بنا، وبعد ساعة نصف دسّته من السّائرين حاملي الهراوات والمناجل. لمحوا نارنا وتوقّفوا ليُلْقُوا نظرةً طويلةً على الخيول، لكنني أريتهم لمحةً من فولاذي وقلتُ

لهم أن يُواصلوا طريقهم. رجال خشنون كما يوحى منظرهم، ويأثسون أيضًا، لكن ليس لدرجة أن يعثوا مع السير كرايتون لونجبو».

فكّرت بريان: نعم، ليس لهذه الدرجة، وأشاحت بوجهها لتُخفي ابتسامتها، ولحُسن الحظ أن السير كرايتون كان أكثر استغراقًا في حكاية معركته الملحمية مع فارس الدّجاجة الحمراء من أن يلحظ سخريّة العذراء، التي سرّها أن يكون معها رفيقان على الطريق، حتى إذا كانا هذين الرجلين.

كان النهار في منتصفه عندما سمعت بريان التّرنيم آتيًا عبر الأشجار البنية الجرداء، وتساءل السير كرايتون: «ما هذا الصّوت؟».

- «إنها أصوات مرفوعة بالصّلاة». تعرف بريان هذه التّرنيمة. يتضرّعون إلى (المُحارب) أن يحميهم وإلى (العجوز) أن تُنير طريقهم.

جرّد السير إيليفر المُفلس سيفه البالي وشدّ عِنان حصانه لينتظر مجيئهم قائلاً: «إنهم قريبون».

أفعمت التّرانيم هواء الغابة كرعٍ خاشع، وفجأة ظهر مصدر الصّوت على الطريق أمامهم. كانت مجموعة من الإخوة الشّحّاذين تقود القادمين، رجال ملتحمون مغبّرون يرتدون الخيش، بعضهم حافي القدمين وبعضهم ينتعل الأحفاف، ووراءهم تتحرّك مجموعة تتألف من سبّتين من الرجال والنساء والأطفال مهترئي الثياب، ومعهم خنزيرة رقطاء وعدد كبير من الخراف، وقد حمل كثير من الرجال فؤوسًا وأكثرهم مضارب وهراوات خشبية بسيطة الصنع، ووسطهم تتدحرج عربة من الخشب الرّمادي المتشطي على عجلتين، كومت عليها على ارتفاع كبير الجماجم والعظام المكسورة. توقّف الإخوة الشّحّاذون لدى رؤيتهم الفارسين المتجولين وسكنت التّرانيم، وقال أحدهم: «أيها الفارسان الكريمان، (الأم) تحبّكما».

ردّ السير إيليفر: «وتحبّكم يا أخي. من أنتم؟».

أجاب رجل كبير يحمل فأسًا: «صعاليك». على الرغم من برودة الغابة الخريفية كان عاري الجذع، وعلى صدره نُقِشت نجمة سباعية، النّجمة نفسها التي نقشها المُحاربون الأنداليون على لحمتهم حين عبروا (البحر الضيق) ليقهروا ممالك البشر الأوائل.

قالت امرأة طويلة ممسكة بأحد مَقاود العربة: «إننا متّجهون إلى المدينة لنجلب هذه العظام المقدّسة لبيّلق المبارك ونطلبّ العون والحماية من الملك».

وقال رجل قصير ضئيل على جسده رداء سبيّتون رث وحول عنقه سير جلدي تتدلّى منه بلّورة: «انضمّا إلينا أيها الصّديقان. (وستروس) في حاجةٍ إلى كلّ سيف».

أعلن السير كرايتون: «إننا في الطريق إلى (وادي الغسق)، لكن ربما يمكننا أن نصحبكم بأمانٍ إلى (كينجز لاندنج)».

أضاف السير إيليفر الذي يبدو عملياً إضافةً إلى كونه مفلساً: «إذا كان معكم مال تدفعون به ثمن اصطحابنا إياكم».

قال السيِّتون: «نحن العصافير لا نحتاج إلى الذهب».

ردّد السير كرايتون حائراً: «العصافير؟».

- «العصافير أكثر الطيور تواضعاً وشيوعاً، مثلما نحن أكثر الناس تواضعاً وشيوعاً». للسيِّتون وجه نـاحل حادّ ولحية قصيرة شابها الرّمـادي والبـي، وشعره الخفيف مسحوب ومربوط وراء رأسه، وقدماه الحافيتان سوداوان خشنتان وقاسيتان كجذور الشجر. «هذه عظام أناسٍ أبقوا قتلوا لإيمانهم، وقد خدموا الآلهة السبعة حتى الموت. بعضهم جوعوه وبعضهم عذبوه. لقد انتهكت السيِّتات ونهبت، والعذراوات والأمّهات اغتصبهن الزنادقة وعبدت الشياطين، وحتى الأخوات الصّامتات تعرّضن للتحرّش. (الأم في الأعلى) تصرّخ لوعةً. حان الوقت لأن يتخلّى جميع الفرسان المحلفون عن سادتهم الدنيويين ويدافعوا عن عقيدتنا المقدّسة.

تعاليا معنا إلى المدينة إذا كنتما تحبان (السبعة)».

قال السير إيليفر: «أحبّهم كثيراً، لكن يجب أن أكل».

- «وكذا كلُّ أطفال (الأم)».

ردّد السير إيليفر بجمود: «إننا ذاهبون إلى (وادي الغسق)».

بصق أحد الإخوة الشحّاذين، وأطلقت إحدى النِّساء أنيناً، وقال الرّجل الكبير ذو النّجمة على صدره: «أنتما فارسان زائفان»، وشرع عدد من الآخرين في التلويح بهراواتهم مهدّدين.

على أن السيِّتون هدّأهم قائلاً: «لا تدينوا، فالإدانة لـ(الأب) وحده. دعوهم يمرّون بسلام. إنهم صعاليك مثلنا، ضائعون في الأرض».

تقدّمت بريان بفرسها، وقالت: «أختي ضائعة أيضاً. إنها بنت في الثالثة عشرة لها شعر كستنائي وجميلة المحيّا».

قال السيِّتون: «كلُّ أطفال (الأم) جميلو المحيّا. عسى (العذراء) أن تقي تلك الفتاة المسكينة... وتقيكِ أيضاً على ما أظن»، ورفع أحد مَقاود العربة على كتفه وبدأ يسحب، وعاد الإخوة الشحّاذون يردّدون ترنيمتهم، وظلّت بريان والفارسان المتجولان على متون خيولهم بينما مرّ الرّكب بتؤدّة سالكاً الطّريق المحفّر صوب (روزبي)، وببطءٍ خفت أصواتهم المترنّمة وغابت.

رفع السير كرايتون فلقة مؤخّرتة عن السّرج وحكّها متسائلاً: «من ذا الذي يقتل

سيبتون يخدم الآلهة؟».

تعرف بريان هذا النوع من البشر، وتذكر أن رجال رفقة الشُّجَّعان علَّقوا سبتون قُرب (بركة العذاري) من قدميه من فرع شجرة واستخدموا جثته هدفًا لتمرين الرِّماية. تساءلت إن كانت عظامه مكومة على العربة مع بقية العظام.

كان السير كرايتون يقول: «لا بد أن من يغتصب أختًا صامتةً أحمق. مجرد أن يضع يديه عليها... يُقال إنهن زوجات (الغريب)، وإن أعضاءهن الأنثوية باردة مبتلة كالجليد»، ورمق بريان مردقًا: «آه... أستميحك العذر».

همزت بريان فرسها لتُسرع إلى (وادي الغسق)، وبعد وهلةٍ لحق بها السير إيليفر وتبعهما السير كرايتون في المؤخرة.

بعد ثلاث ساعاتٍ صادفوا ركبًا ثانيًا يتقدّم ببُطءٍ نحو (وادي الغسق). كان تاجرًا وخدمه، يصحبهم فارس متجول آخر، وقد امتطى التاجر فرسًا رماديةً مرقطةً في حين تبادل رجاله جرّ عربته، يكدح أربعة من هم على مقاديرها ويمشي الاثنان الآخران إلى جوار العجلتين، لكن حين سمعوا صوت الخيول أحاطوا بالعربة في تشكيل استعدادٍ رافعين التبايت، وأخرج التاجر نُسابةً والفارس سيفًا. نادى التاجر قائلاً: «سامحوني إذا كنت شكّاكًا، لكننا في أوقاتٍ عصيبة، وليس هناك إلا السير شادريك الكريم يُدافع عني. من أنتم؟».

ردّ السير كرايتون بنبرة جريح الكرامة: «إنني السير كرايتون لونجبو الشهير بالطبع، جئت لتوي من معركة (النهر الأسود)، وهذا رفيقي السير إيليفر المُفلس».

وقالت بريان: «لسنا نُضمر لكم سوءًا».

حدجها التاجر بريبةً قائلاً: «سيديتي، حريّ بك أن تكوني آمنةً في بيتك. لماذا ترتدين ثيابًا غريبةً كهذه؟».

أجابَت دون أن تحرؤ على ذكر اسم سـانزا مع اتّهامها بقتل الملـك: «أبحث عن أختي. إنها بنت جميلة رفيعة النسب، عينها زرقاوان وشعرها كسـتائي. ربما رأيتموها مع فارسٍ سمين في الأربعين، أو مع مهرّج سكير».

- «الطرق ملأى بالمهرّجين السيّكرين والفتيات المختطفات، وبالنسبة إلى الفارس السمين فمن الصّعب على أيّ رجل شريف أن يظلّ بطنه ممتلئًا بينما يعوز كثيرين الطعام... وإن كان السير كرايتون لم يدق الجوع على ما يبدو».

قال السير كرايتون بعناد: «إن لدي عظامًا كبيرة. هل نركب معًا بعض الوقت؟ لسـت أشـكّك في شجاعة السير شادريك، لكنّه يبدو صـغير الحجم، وثلاثة سـيوفٍ أفضل من واحد».

فَكَرَّتْ بِرِيَان: أَرْبَعَةَ سَيُوفٍ، لَكِنِهَا لَزِمَتْ الصَّمْتُ.

نَظَرَ التَّاجِرَ إِلَى رَفِيقِهِ مُتَسَائِلًا: «مَا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ؟».

- «أَوْه، لَا خَوْفَ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ». السَّيْرُ شَادِرِيكَ رَجُلٌ نَحِيفٌ قَوِيٌّ لَهُ وَجْهٌ كَالثَّعَالِبِ وَأَنْفٌ حَادَةٌ وَشَعْرٌ بُرْتُقَالِيٌّ، وَيَمْتَطِي جَوَادًا حَرْبِيًّا رَشِيقًا السَّيِّقِ إِنْ بَلَغَ الْكُسْتَنَاءَ، وَمَعَ أَنْ طَوْلُهُ لَا يَتَجَاوَزُ أَقْدَامًا خَمْسَةً وَبُوصَتَيْنِ، إِلَّا أَنْ لَهُ أَسْلُوبًا وَاثِقًا فِي الْكَلَامِ. «أَحَدُهُمْ عَجُوزٌ وَالثَّانِي بَدِينٌ وَتِلْكَ الْكَبِيرَةُ امْرَأَةٌ. فَلْيَأْتُوا».

خَفَضَ التَّاجِرُ نُشَابِيَّتَهُ قَائِلًا: «كَمَا تَقُولُ».

إِذْ وَاصَلُوا رَحْلَتَهُمْ تَقَهَّقَرَ الْفَارِسُ الْمَاجُورُ وَأَمْعَنَ النَّظَرَ إِلَى بِرِيَانٍ كَأَنِهَا شَرِيحَةٌ مِنْ لَحْمِ الْخَنْزِيرِ الْمَمْلُوحِ الْمَمْتَّازِ، وَقَالَ لَهَا: «يَبْدُو أَنَّكَ فَتَاةٌ قَوِيَّةُ الْبَنِيَةِ تَتَمَتَّعُ بِصَحَّةٍ طَيِّبَةٍ يَا هَذِهِ».

سُخِرِيَةُ السَّيْرِ جَايِمِي جَرَحَتْهَا فِي الصَّمِيمِ، لَكِنْ كَلَامُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ مَسَّهَا بِالْكَادِ، وَلِذَا قَالَتْ لَهُ: «إِنِّي عَمَلَاةٌ مُقَارَنَةٌ بِبَعْضِهِمْ».

ضَحَكَ مُجِيبًا: «إِنِّي كَبِيرٌ بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ حَيْثُ يَهْمُ يَا هَذِهِ».

- «التَّاجِرُ قَالَ إِنْ اسْمُكَ شَادِرِيكَ».

قَالَ: «السَّيْرُ شَادِرِيكَ مِنْ (الْوَادِيِ الطَّلِيلِ)، وَبَعْضُهُمْ يَدْعُونِي بِالْفَأْرِ الْمَجْنُونِ»، وَدَوَّرَ ثُرْسَهُ لِجُرِيهَا رَمَزَهُ، الْفَأْرُ الْأَبْيَضُ الْكَبِيرُ ذَا الْعَيْنَيْنِ الْحُمْرَاوَيْنِ الشَّرْسَتَيْنِ عَلَى شَرَائِطٍ مُتَعَرِّجَةٍ مِنَ الْبَيْتِيِّ وَالْأَزْرَقِ، ثُمَّ تَابَعَ: «الْبَيْتِيُّ لِلْأَرَاضِيِ الَّتِي جُبَّتْهَا، وَالْأَزْرَقُ لِلْأَنْهَارِ الَّتِي عَبَرْتَهَا، وَالْفَأْرُ أَنَا».

- «وَهَلْ أَنْتَ مُجْنُونٌ؟».

- «أَوْه، جَدًّا. الْفَأْرُ التَّقْلِيدِيُّ يَفِرُّ مِنَ الدِّمَاءِ وَالْمَعَارِكِ، وَالْمَجْنُونُ يَسْعَى إِلَيْهَا سَعْيًا».

- «يَبْدُو أَنَّهُ نَادِرًا مَا يَجِدُهَا».

- «أَجِدُّ مَا يَكْفِينِي. صَحِيحٌ أَنِّي لَسْتُ فَارِسٌ مُبَارِيَاتٍ، لَكِنِّي أَدْخُرُ شَجَاعَتِي لِلْمَعَارِكِ يَا امْرَأَةٌ».

قَدَّرَتْ أَنْ مَخَاطَبَتَهَا بِ-«يَا امْرَأَةٌ» أَفْضَلَ مِنْ «يَا هَذِهِ» بِشَكْلِ طُفِيفٍ، وَقَالَتْ: «أَنْتِ وَالسَّيْرُ كَرَايَتُونَ الْكَرِيمُ مُشْتَرِكَانِ فِي أَشْيَاءٍ عَدَّةٍ إِذَنْ».

رَدَّ السَّيْرُ شَادِرِيكَ ضَاحِكًا: «أَوْه، أَشْكُ فِي هَذَا، لَكِنْ رُبَّمَا أَشْتَرِكُ أَنَا وَأَنْتِ فِي مَهْمَةٍ مُعَيَّنَةٍ. تَقُولِينَ إِنَّهَا أُخْتُ صَغِيرَةٍ مُفْقُودَةٍ؟ عَيْنَاهَا زُرْقَاوَانٌ وَشَعْرُهَا كُسْتَنَائِي؟»، وَعَادَ يَضْحَكُ مُرَدِّقًا: «إِنَّكَ لَسْتَ الصَّيَّادَةُ الْوَحِيدَةُ فِي الْغَابَةِ. أَنَا أَيْضًا أَبْحَثُ عَنْ سَانِزَا سِتَارِكْ».

حَافَظَتْ بِرِيَانُ عَلَى جُمُودٍ مَلَامَحَهَا كَالْقِنَاعِ لِتُخْفِيَ وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: «مَنْ سَانِزَا

ستارك تلك؟ ولم تبحث عنها؟».

- «من أجل الحبِّ، وهل هناك سبب سواه؟».

عقدت حاجبها مرددةً: «الحب؟».

- «نعم، حبُّ الذهب. على عكس فارسك الكريم السير كرايتون، قاتلتُ أنا بالفعل في معركة (النَّهر الأسود)، لكن مع الجانب الخاسر، ودمرتني فديتي. لا بُدَّ أنك تعرفين من هو فارس، أليس كذلك؟ الخصيُّ عرضَ صُرةٍ ممثلةً بالذهب مقابل هذه الفتاة التي لم تسمعي بها. إنني لستُ طمَّاعًا. إذا ساعدتني فتاة كبيرة الحجم على العثور على تلك الطفلة المُشاغبة فسأقتسمُ معها مال العنكبوت».

- «حسبتك أجيرًا عند هذا التَّاجر».

- «حتى (وادي الغسق) فحسب. هيبالد بخيل قدر ما هو جبان، وهو جبان للغاية. ما قولك يا هذه؟».

ردَّت بإصرار: «لا أعرفُ سانزا ستارك تلك. إنني أبحث عن أختي، بنت رفيعة النسب...».

- «... ذات عينيَّ زرقاوين وشعر كستنائي، نعم. أخيريني، من هذا الفارس الذي مع أختك؟ أم أنك قلت إنه مهرِّج؟»، ولم ينتظر السير شادريك إجابةً منها، وهو ما ناسبها لأن لا إجابةً لديها، وواصل: «ثمَّة مهرِّج معيَّن اختفى من (كينجز لاندنج) ليلة مات الملك چوفري، رجل سمين له أنف مليء بالعروق الزرقاء، اسمه السير دونتوس الأحمر، الذي كان تابعًا لـ(وادي الغسق) فيما مضى. أتمنَّى ألا يخلط أحد بين أختك ومهرِّجها السيِّئ وبين سانزا ستارك والسير دونتوس. سيكون هذا مؤسفًا للغاية»، وهمز جواده الحربي وخبَّ ساعيًا إلى مقدِّمة الرِّكب.

حتى چايمي لانستر نفسه نادرًا ما أشعرَ بريان بهذا الحُرق. إنك لستِ الصَّيَّادة الوحيدة في الغابة. كانت المرأة بريلا قد أخبرتها كيف جرد چوفري السير دونتوس من فُروسيَّته، وكيف توسَّلت سانزا إلى چوفري أن يُبقي على حياته، وعندما سمعت الحكاية حزمتَ بريان أمرها قائلةً لنفسها: لقد ساعدتها على الهرب. إذا عثرتُ على السير دونتوس سأعثرُ على سانزا. كان حريًا بها أن تعلم أن آخرين سيتوصلون إلى النِّتِيجة ذاتها. وقد يكون بعضهم أقلَّ كياسةً من السير شادريك. ليس في وسعها إلا أن تأمل أن يكون السير دونتوس قد أخفى سانزا جيِّدًا. لكن إذا فعلَ هذا فكيف سأجدها؟ وحتَّ بريان كتفيها وواصلت الطريق مقبِبةً.

كان اللَّيل يتوغَّل لدى وصولهم إلى الخان، وهو بناية طويلة من الخشب تطلُّ على ملتقى فرعيَّ نهرٍ وتعلو جسرًا حجريًا قديمًا. قال لهم السير كرايتون إن هذا هو اسم الخان، (الجسر الحجري القديم)، وإن صاحب الخان

صديقه، وأضاف مؤكِّدًا: «ليس طاهيًا سيِّئًا، وليس في الغُرف براغيث أكثر من معظم الخانات. من يرغب في فراشٍ دافئ الليلة؟». قال السير إلبيفر المُفلس: «ليس نحن، ما لم يكن صديقك يُوجِّرها مجَّانًا. لسنا نملك مالًا للغرف».

قالت بريان: «يُمكنني أن أدفع لثلاثين!». إنها لا تفتقر إلى النقود، ففي جرابي سرجها وجدت صُرَّةً متخمةً بالأيايل الفضيَّة والنجوم النحاسيَّة، وواحدةً أصغر محشوةً بالتنانين الذهبيَّة، بالإضافة إلى رقيٍّ أمر جميع رعايا الملك الأوفياء بمساعَدة حاملته بريان التارثيَّة التي تُمارس عملاً يخصُّ جلالته، وقد وقع به خطه الطفولي تومن الأول ملك الأندالين والروينار والبشر الأوائل وسيد (الممالك السبع).

أثر هيبالد التَّوقُّف أيضًا، وأمر رجاله بترك العربة قُرب الاسطبل. كان الضوء الأصفر الدافئ يسطع من وراء زُجاج النَّوافذ ذي الشَّكل الماسي، وسمعت بريان فحلاً يصهل إذ اشتتم رائحة فريسيها، وبينما بدأت تخلع السَّرج خرج صبي من باب الاسطبل قائلاً: «دعني أتولَّى هذا أيها الفارس».

ردَّت: «لستُ فارسًا، لكن يُمكنك أن تأخذ الفرس. احرص على إطعامها وسقايتها وتمشيَّطها».

تورَّد وجه الصَّبي، وقال: «اعذُريني يا سيِّدتي، حسبتُ...».

قاطعته بريان: «إنه خطأ شائع»، وناولته العنان وتبعَت الآخرين إلى داخل الخان وقد حملت جرابي السَّرج على كتفها ودست لفافة النَّوم تحت إبطها.

في الدَّاخل كانت الأرضيَّة مغطَّاة بنُشارة الخشب، والهواء تُفَعِّمه روائح حشيشة الدِّينار²¹ والدُّخان واللَّحم، وقد وُضِعَ فوق النَّار تيس يُطَقِّق وينزُّ الدَّهن، وإن غابَ من يُتَابِعُه في الوقت الحاضر، واستقرَّ ستَّة من السُّكَّان المحليين حول مائدة يتكلَّمون، لكنهم قطعوا حوارهم ما إن دخل الغُرباء. أحسَّت بريان بنظراتهم المسلَّطة عليها، وعلى الرغم من قميصها المعدني ومعطفها وسُترتها الجِلديَّة أحسَّت كأنها عارية، ولمَّا قال أحدهم: «انظُّروا»، علَّمت أنه لا يعني السير شادريك.

ظهرَ صاحب الخان ممسكًا بثلاثة دوارق بكلِّ يدٍ ويسكُب المِزر مع كلِّ خُطوة، فسأله التَّاجر: «أليكَ غُرف شاغرة أيها الرَّجل الطَّيب؟».

أجابَ صاحب الخان: «ربما، لمن يملكون المال».

لاحَ الاستياء على السير كرايتون لونجبو وهو يقول: «ناجل، أهكذا تُحَيِّي صديقًا قديمًا؟ هذا أنا، لونجبو».

- «هو أنت بالفعل. إنك مدين لي بسبعة أيايل. أرني الفضة وسأريك السرير»،

ووضعَ صاحبُ الخانِ الدَّوارقَ واحدًا تلو الآخر، ساكبًا المزيدَ من المِزر على المائدة.

قالت بريان مشيرةً إلى السير كرايتون والسير إيليفر: «سأدفعُ ثمنَ غُرْفَةٍ لي وأخرى لرفيقي».

وقال التَّاجر: «وسأخذُ غُرْفَةً أيضًا، لي وللسير شادريك الكريم، وسينام خدمي في الاسطبل إذا كان هذا يُناسِبُك».

تطلَّع إليهم الرَّجل، ثم قال: «لا يُناسِبُنِي، ولكن ربما أسمحُ به. هل تُريدون عشاءً؟ عندي تيسٌ جيّدٌ جدًّا على السيِّخ».

أعلنَ هيبالد: «سأحكمُ على جودته بنفسي، وسيكتفي رجالي بالخُبز ومرق الشِّواء».

وهكذا تناولوا عشاءهم، وجرت بريان التَّيس بنفسها بعد أن تبعت صاحب الخان إلى الطَّابق العلوي ودست بضع عُملاتٍ في يده ووضعت حاجياتها في ثاني غُرْفَةٍ أراها إياها. طلبت لحم التَّيس للسير كرايتون والسير إيليفر أيضًا، بما أنهما تقاسما معها سَمَكهما، وشربَ الفُرسان المتجولون والتَّاجر المِزر مع اللحم، في حين اكتفت بريان بكوبٍ من حليب الماعز، وقد أنصتت إلى الحديث الدَّائر حول المائدة آملَةً رغمَ ضعف الأمل أن تسمع شيئًا يُساعدُها على التَّوصُّل إلى سانزا.

قال أحد المحليين لهيبالد: «إنكم قادمون من (كينجز لاندنج). أصحيح أن قاتِل الملك أصبحَ مُعاقًا؟».

أجاب هيبالد: «صحيح، فقد يد سيفه».

أضاف السير كرايتون: «نعم، قضمَها ذئب رهيب ²² كما سمعتُ، أحد تلك الوحوش التي أتت من الشَّمال. لا خير يأتي من الشَّمال أبدًا. حتى آلهتهم غريبة».

سمعت بريان نفسها تقول: «لم يكن ذئبًا. السير چايمي فقدَ يده بأمرٍ من مرتزق كوهوري».

علَّق الفأر المجنون: «ليس سهلًا أن يُقاتل المرء بيدٍ لم تعرف التَّدريب».

أطلق السير كرايتون لونجيو صيحة استنكار، وقال: «يتصادفُ أنني أجيدُ القتال بكلتا يدي».

قال السير شادريك: «أوه، لا أشكُّ في هذا»، ورفعَ دورقه على سبيل التَّحيَّة. تذكرت بريان قتالها مع چايمي لانستر في الغابة. يومها استنفرت قُواها كُلَّها كي تتفادى سيفه. كان ضعيفًا بعد طول السِّجن ومعصماه مقيدَين بالسَّلاسل. لا فارس في (الممالك السَّبع) بأسرها كان ليصمُد أمامه وهو بكامل قوَّته دون

سلاسل تُعيقه. لقد اقتترفَ چايمي شرورًا كثيرةً، ولكن يا لبراعته في القتال! كان تشويهه قسوة ما بعدها قسوة، لكن أن تقتل أسدًا شيء وأن تبتر كفه وتتركه كسيرًا مبهورًا شيء آخر.

فجأة صار صخب القاعة العامة يفوق تحملها البقاء فيها لحظة أخرى، فغمغمت متمنية لهم ليلة طيبة وأخذت نفسها إلى الفراش. السقف في غرفتها واطئ، وإذا دخلت بريان حاملة فتيلًا مكسواً بالشَّمع اضطرت إلى الانحناء لئلا تصدم رأسها. الأثاث الوحيد في المكان عبارة عن سرير واسع بما فيه الكفاية لنوم ستة أفراد، بالإضافة إلى بقايا شمعة من الشَّحم على عتبة النافذة، فأشعلتها بنار الفتيل وأنزلت مزلاج الباب وعلقت حزام سيفها من أحد أعمدة السرير. غمدها تقليدي تمامًا، خشب مغلف بالجلد البني المشقق، وسيفها أكثر تقليديةً، وقد ابتاعته في (كينجز لاندنج) بدلًا من السيف الذي سرقته رفقة الشجعان. سيف رنلي. ما زال يؤلمها فقدانه.

على أن هناك سيفًا طويلًا آخر خبأته في لفافة النوم، وقد جلست على السرير وأخرجته، ليلتمع الذهب الأصفر والياقوت بالأحمر في ضوء الشمعة، وحين سحبت بريان (حافظ العهد) من غمده المنمق احتبست أنفاسها لمراى التَّموجات السوداء والحمراء في أعماق الفولاذ. فولاذ فاليري، مطرق بالتعاويز. سيف يليق ببطل. في صغرها ملأت مربيتها أذنيها بحكايات البسالة وقصت عليها المآثر النبيلة للسير جالادون المورني وفلوريان المهرج والأمير إيمون الفارس التين وغيرهم من الأبطال، وكان لكل رجل منهم سيف شهير، ولا بد أن (حافظ العهد) يصلح لصحبته حتى إن لم تكن هي تصلح. «ستدافعين عن ابنة ند ستارك بفولاذ ند ستارك». هكذا وعدّها چايمي.

ركعت بين السرير والحائط ممسكةً بالسيف، ورددت صلاة صامتة لـ (العجوز) التي يُنير مصباحها الذهبي السبيل للبشر في الحياة. أرشيديني، أنيري طريقي وأريني كيف أصل إلى سانزا. لقد خذلت رنلي وخذلت الليدي كاتلين، ويجب ألا تخذل چايمي أيضًا. لقد ائتمنتني على هذا السيف، ائتمنتني على شرفه.

بعدها تمددت على السرير قدر المستطاع، وعلى الرغم من اتساعه لم تجده طويلًا كفاية، فنامت عليه بالعرض. تناهت إلى مسامعها قعقة الدّوارق من الأسفل، والأصوات التي يحملها الهواء على السّلام، ثم ظهرت البراغيث التي ذكرها لونجبو، فساعدها الحكُّ على البقاء مستيقظةً.

سـمعت هيبالـد يصـعد الدّرج، وبـعد فترة الفرسـان بـدورهم، وكان السير كـرايتون يـقول وهو يـمر: «... لـم أعرف اسـمه قط، لكن كـانت على ثرسـه دجاجة حمراء قانية، ومن نصله يقطر الدّم...»، ثم خبا صوته، وفي مكانٍ ما في الأعلى انفتح باب وانغلق.

احترقت شمعتها عن آخرها، واستقرّ الظلام فوق (الجسر الحجري القديم)،

ورآنَ على الخانِ صمتَ تامٍ جعلَها تسمعُ خريرَ مياهِ النَّهرِ، وعندها فقط نهَضَتِ
بريانُ تجمَعُ أغراضَها. فتَحَتِ البابَ بِـرفقٍ وأنصَرَّتْ لحظةً،
ثم نزلتِ السَّلالِمَ بقـدمينِ حـافيتينِ، وفي الخـارجِ انتعـلتِ حـذاءها
وأسـرعتِ إلى الاسـطبلِ لِـتُجَهِّزَ فرسَها الكسـتنائيةَ، قبلَ أنَ تمتطِـيها
مستمِحةً السـيرِ كرايتونَ والسـيرِ إيليفرَ عُذراً صامتاً. استيقظَ أحدُ رجالِ هيبالد
حينَ مرَّتْ به، لكنه لم يتحرَّكْ من مكانه ليمنعها، ورنتَ حوافرُ فرسها على
حجارةِ الجسرِ القديمِ، وسرعانَ ما ابتلعتْها الأشجارُ السَّوداءُ كالقارِ المَلأى
بالأشباحِ والذِّكرياتِ، وإذ انطلقتِ بـريانُ في ظلمةِ اللَّيلِ قالتِ في أعماقها: إنني
قادمةٌ يا ليدي سانزا. لا تخافي، فلنَ أستريحَ حتى أجدكِ.

سامويل

بينما يقرأ عن (الآخرين) رأى سام الفأر.

كانت عيناه محمّرتين رطبتين، وكلّمهما فركّهما قال لنفسه: ينبغي ألا أفركهما كثيرًا. الغبار يُصيّبهما بالحكة ويجعلهما تدمعان، والغبار في كلّ مكان هنّا، ثمّ لا سُحبهِ الصّغيرة الهواء متى قلبَ سام صفحةً، ويرتفع كغمامٍ رمادي متى رفعَ كومةً من الكتب ليرى ما قد يكون متواريًا في قاعها.

لا يدري كم مضى من ذنّام آخر مرّة، لكن أقبل من بوصة واحدة تبقّى من الشمعة الثّخينة المصنوعة من الشّحم، التي أشعلها حين بدأ مطالعة رزمة أوراق مخلوعة وجدّها مربوطةً بخيط. كان منهكًا لأقصى درجة، إلا أن التّوقف صعب، وفي البداية ظلّ يقول لنفسه: كتاب آخر ثم أتوقّف. ملزمة أخرى فقط. صفحة أخرى ثم أصدّ وأستريح وأكل. لكن هناك دائمًا صفحة أخرى بعد تلك الصّفحة، ثم أخرى وأخرى، وكتاب آخر قابع تحت الكومة، فيُخير نفسه: سألقي نظرة سريعة فقط لأرى موضوعه، وقبل أن يدري يكون قد قرأ نصفه. لم يكن قد أكل شيئًا منذ حساء الفاصوليا واللحم المقدّد الذي تناوله مع پيپ وجرن. باستثناء الخبز والجبنّة، لكنها كانت مجرد وجبة خفيفة. وتلك هي اللحظة التي رمقَ فيها الطبق الفارغ فأبصرَ الفأر يلتهم فتات الخبز.

لا يتجاوز الفأر نصف طول خنصره، وله عيان سوداوان وفرو رمادي ناعم، ويعلم سام أن عليه أن يقتله، فمع أن الفئران تُفضّل الخبز والجبنّة فإنها تأكل الورق أيضًا، وقد وجدَ الكثير من فضلاتها وسط الرّفوف والأكوام، وبدأ بعض أغلفة الكتب الجلدية مقرّوصًا.

لكنه مخلوق ضئيل للغاية، وجائع. كيف يضنّ عليه بالقليل من فتات الخبز؟ لكنه يأكل الكتب...

بعد ساعاتٍ من الجلوس أصبحَ ظهر سام متيبّسًا كلوح من الخشب وساقاه شبه نائميتين. يعرف أنه ليس سريعًا بما يكفي للإمساك بالفأر، ولكن ربما يستطيع أن يسحقه. عند مرفقه كانت تستقرُّ نسخة ضخمة مغلفة بالجلد من

(حوليات القنطور الأسود)²³، تقرير السيّتون چوركوين الذي يحوي أدقّ تفاصيل السنوات التسع التي قضّاها أوربرت كـازويل قائّدًا لحرس اللّيل، وفيه صفحة لكليّ يومٍ من خدمته، كلّ منّها مسـتهلة بعـبارة «اسـتبقظ اللـورد أوربرت في الفجر وأفرغ أمعاءه»، باستثناء الصّفحة الأخيرة التي تقول: «وُجدَ اللورد أوربرت وقد مات خلال اللّيل». ما من فأر يندّ للسيّتون چوركوين. هكذا أمسك سام الكتاب بيسراه بمنتهى البطء

فوجده سـميكًا ثقيـلًا، ولمّا حاولَ أن يرفعه بيـدٍ واحدَة انزلـقَ مـنْ أصـابعه السّمينـة وسـقطَ علـى المنضـدة، وفـي أقـلِّ مـن لحظةٍ اختفى الفـأر بمنتهى السّـرعة. أحسَّ سام بالراحَة، فسحقه المخلوق الصّغير المسكين كان ليُصيبه بالكوابيس، وقال بصوتٍ مسموع: «لكن لا يجدر بك أن تأكل الكُتب». ربما عليه أن يجلب معه القليل من الجُبنة عندما يأتي المرّة القادمة.

أدهشَه القليل الذي تبَقَّى مـن الشّـمعة. هل كان حَساء الفاصـوليا واللّحم المقـدّد اليـوم أم البارحة؟ البارحة، لا بُدَّ أنـه كان البارحة. جعـلـه إدراك الوقت يتثاءب.

مؤكّد أن چون يتساءل عمّا حلَّ به، وإن كان المايستر إيمون سيتفهم بالتأكيد. قبل أن يفقد بصره كان المايستر يحبُّ القراءة قدر ما يحبُّها سامويل تارلي، ويُدرك الطّريقة التي يَسْقُطُ بها المرء سقوطًا في الكتب أحيانًا، كأن كلَّ صفحةٍ فجوة تُفضي إلى عالمٍ آخر.

دفعَ سام نفسه عن المنضدة ناهضًا، والتوت قسماته من التّـنميل في ربّـلتي ساقيه. مقعده صُلب للغاية، وينغرس في لحم فخذه من الخلف عندما ينحني فوق كتاب. علـيَّ أن أتـذكّر أن أجـلـب وسـادة. بـل ومـن الأفضل أن ينـام هـنـا، فـي الحُجـيرة التـي وـجـدها نصـف متواريـة وراء أربعة صـناديق مـلأى بـالصفحات المخلوعة مـن كُتبها، لكنه لا يرغب في ترك المايستر إيمون وحده طويلًا، فقوى الرّجل بدأت تخور في الفترة الأخيرة وأصبح يتطلّب العون، خصوصًا في العناية بالغدّان. صحيحُ أن كلايداس يُساعد إيمون، لكن سام أصغر سنًا وأمهر في التّعامل مع الطيور.

بكومةٍ من الكُتب والمخطوطات تحت إبطه الأيسر وشمعةٍ في يده اليمنى شقَّ سام طريقه عبر الأنفاق التي يُسمّيها الإخوة المسالك الدّوديّة، وقد أنارَ خيط شاحب من الضوء الدّرجات الحجرية المرتفعة التي تقود إلى السّطح، فعرف أن النّهار طلّع. تركَ الشّـمعة مشتعلةً في كوّةٍ في الحائط وبدأ يصعد، وعند الدّرجة الخامسة كان يلهث، وعند العاشرة توقف لينقل الكُتب إلى ذراعه اليمنى.

خـرجَ تحـت سـماءٍ بـلـون الرّصـاص الأبـيض، فضـيَّقَ عينيـه ورفّعهمـا قـائلًا لنفسـه: سـماء ثلجـيّة. أصـابته الفـكرة بـالتوتّر، وتـذكّر اللـيلة إيـها علـى قـمّة (قبضة البشـر الأوائل) حـين أتت الجُـثـث الحـيّة والثلـوج فـي آنٍ واحـد. لا تـكـن جبـانًا هـكـذا. إخوتـك المحـلفون يُحـيطون بـك، نـاهيك بـسـتـانيس بـاراثيون وجمـيع فُرسـانه. مـن حـولـه ارتفعت حصون وأبراج (القلعة السّوداء)، وإن قرّمتها ضخامة (الجدار)، وقد لاحَ جيش صغير يزحف على الجليد في رُبع المسافة إلى أعلى، حيث ترتفع سلالم متعرّجة جديدة بتؤدةٍ لتتصل ببقايا القديمة. على الجليد تردّدت أصدا

مناشير ومطارق البنّائين الذين أمرهم چون بالعمل ليل نهار، وقد سمعَ سام بعضهم يشكو على العشاء، ويقول إن اللورد مورمونت لم يُجَسِّمهم مشقةً كهذه قط. ولكن من دون السِّلالم الضَّخمة ليست هناك وسيلة لبلوغ قَمَّة (الجِدَار) إلَّا القفص المتحرِّك، ومهما كرهَ سامويل تارلي السِّلالم فإنه يكره القفص أكثر، ودائمًا يُغلق عَينيه متى ركبَه وفي نفسه يقين بأن السِّلسلة على وشك أن تنكسر، وكلما احتكَّ القفص الحديد بالجليد يتوقف قلبه عن الخفقان لحظةً.

وجدَ سام نفسه يُفَكِّر وهو يُشاهد القفص ينخفض ببطء: كانت توجدَ تنانين هنا قبل مئتي عام، تطير ببساطةٍ إلى قَمَّة (الجِدَار). لقد زارت الملكة أليس (القلعة السوداء) على متن تَيننتها، ولحقَ بها زوجها الملكُ چهيرس على تَيننه. أيمكن أن سيلفروينج تركت بيضةً وراءها؟ أو هل وجدَ ستانيس بيضةً في (دراجونستون)؟ حتى إذا كانت في حوزته بيضة، فكيف يجعلها تفقس؟ بيلور المبارك صلى على بيضاته، وغيره من آل تارجارين حاولوا جعل بيضهم يفقس بالسِّحر، فلم ينالوا إلَّا المهازل والمآسي.

قال صوت واجم: «سامويل، كنتُ قادمًا لإحضارك. قيلَ لي أن آخذك لحضرة القائد».

تساءلَ سام وندفة ثلج تحطُّ على أنفه: «چون يُريد أن يراني؟».

أجابَ إد توليت الكتيب: «لا أدري. إنني لم أرغب في رؤية نصف الأشياء التي رأيتهَا، ولم أرَ نصف الأشياء التي رغبتُ في رؤيتها. لا أظنُّ أن للرَّغبة علاقة بالأمر. لكن من الأفضل أن تذهب. اللورد سنو يُريد الكلام معك ما إن يفرُغ من زوجة كراستر».

- «جيلي».

- «بالضَّبْط. لو كانت مُرضعتي تُشبهها لظللتُ أَرْضُعُ حتى الآن. مُرضعتي كان لها شارب».

- «معظم الماعز له شوارب»، صاحَ پيپ إذ ظهرَ مع جرنٍ عند أحد الأركان، وكلُّ منهما يحمل قوسًا طويلًا في يده وجعبة سهامٍ على ظهره. «أين كنتَ أيها القاتِل؟ افتقدناك ليلة أمس على العشاء. ثمة ثور مشوي كامل لم يأكله أحد».

- «لا تُنادِني بالقاتِل»، ردَّ سام متجاهلًا مزحة الثور، فهذا ديدن پيپ لا أكثر. «كنتُ أقرأ. كان هناك فأر...».

- «لا تذكُر الفئران أمام جرنٍ، إنه مرعوب منها».

أعلنَ جرنٌ بغیظ: «غير صحيح!».

- «سِيرْعَبِكَ أن تأكل واحدًا».

- «يُمكنني أن أكل فئرانًا أكثر منك».

تنهّد إد الكئيب، وقال: «في صغري كنا نأكل الفئران في أيام الأعياد فقط. كنت الأصغر، فلم أنل إلا الدّيل دائماً. ليس هناك لحم في الدّيل».

سأل جرن: «أين قوسك الطويل يا سام؟ أولمر كان ينتظرك في ساحة التّدريب». اعتاد السير أليسر أن يلقّب جرن بـ«الثور»، ويبدو أن الاسم ينطبق عليه أكثر فأكثر كلّ يوم. لقد أتى (الـجدار) كـبير الحجم لكـن بطيئاً، برقبة غليظة وخصر ممتلئ ووجه أحمر وحركة خرقاء، ولئن كانت رقبتـه لا تزال تحمّر كـلّما أوقـعه بيـب في حـائل واحدة من دُعاباته، فإن ساعات التّدريب الطويلة بالسيف والتّرس سوّت بطنه وقوّت ذراعيه وفلطحّت صدره. إنه قويّ حقاً، وأشعث كالثيران.

ردّد سام بارتباك: «أولمر». أول شيء تقريباً فعله چون سنو باعتباره القائد أنه قضى أن تكون تدريبات الرّماية يوميةً لأفراد الحامية كلّها، حتى الوُكلاء والطّهاة، قائلاً إن حرس الليل ركّزوا أكثر من اللازم على السيف وأقلّ من اللازم على القوس، وهو أثر باقٍ من الأيام التي كان فيها فارس من كلّ عشرة إخوة بدلاً من كلّ مئة. رأى سام ما في القرار من حصافة، لكنه يكاد يكره تدريبات الرّماية بالقوس الطويل مثلما يكره صعود السّلام. عندما يضع فُفّازيه لا يستطيع أن يُصيب شيئاً أبداً، وعندما يخلعهما تتقرّح أصابعه. تلك الأقواس خطيرة بحق، والدّليل أن ساتان قطع نصف ظُفر إبهامه بوتر أحدها. «نسيْتُ».

قال بيـب: «كسرت قلب الأميرة الهمجيّة أيها القاتل». في الفترة الأخيرة تعودت قال أن تُشاهدَهم يتمرّنون من نافذة عُرفتْها في (برج الملك). «كانت تبحث عنك».

- «غـير صـحيـح! لا تـقـل هـذا!». لـم يـتـكـلّم سـام مـرّ عـ قال إلّا مرّتين، حين اسـتـدعـاها المـايـسـتر إيمـون لتـتـأكـد مـن أن الرّضـيعـين فـي صـحـة جيّـدة، والأميرة رائعة الجمال بحق، لدرجة أنه يجد نفسه يتلعثم ويتورّد خجلاً في حضورها.

قال بيـب: «ولمَ لا؟ إنها تُريد أن تحمل أطفالك. ربما علينا أن ندعوك بسام المغوي».

أحمرّ وجهه سام. إنـه يعلـم أن عنـد الملـك سـتـانيس خُطـطاً لـقال، أنـها الأداة التي ينـوي أن يُحـكـم بـها الـسّـلام بـين الشّـمـاليّين وشـعب الأحرار. «لا أملُك وقتاً للرّماية اليوم. يجب أن أذهب لأرى چون».

- «چون؟ چون؟ هل نعرف أحداً اسمه چون يا جرن؟».

- «يقصد حضرة القائد».

- «أووه، اللورد پسـنو العظيم، بالتّأكيد. لمـاذا تُريد أن تـراه؟ إنـه لا يسـتـطيع هزـزة أذنيـه»، وهزّز بيـب أذنيـه الكبـيرتين المحمـرّتين مـن البـرد ليُريـهم أنـه يسـتـطيع، وأضـاف: «إنـه اللورد سنو فعلياً الآن، أعلى

نسبًا من أن يُجالس أمثالنا».

قال سام مدافعًا عنه: «چون عليه واجبات. (الجدار) تحت قيادته، وكلُّ ما يتضمَّنُه هذا المنصب».

- «والمرء عليه واجبات نحو أصدقائه أيضًا. لولانا لأصبح چانوس سلينت قائدنا. كان اللورد چانوس ليرسل سنو في جولة تقصّ وهو عارٍ على ظهر بغل، ولقال له: اذهب إلى (قلعة كراستر) وعُد لي بمعطفٍ وحذاء الدّب العجوز. لقد أنقذناه من هذا، والآن واجباته أكثر من أن يشرب معنا كوبًا من النّبذ المتبل إلى جوار النار؟».

أيّده جرن بقوله: «واجباته لا تحول دون نزوله السّاحة. ستجده يُبارز أحدهم هناك معظم الأيام».

أقرّ سام مضطّرًا بصحّة هذا. ذات مرّة، عندما جاء چون يتشاور مع المايس-تر إيمون، سألّه سام لماذا يقضي كلّ هذا الوقت في تدريبات المبالزة، وأضاف: «الدّب العجوز لم يعتد أن يتدرب كثيرًا حين كان قائدًا»، وهو ما أجاب عنه چون بأن وضع سيفه (المخلب الطويل) في يد سام وتركه يستشعر خفّته وتوازّنه، وجعله يدور التّصل لتبرّق تموجات المعدن الدّاكن كالّدخان، ثم قال: «هذا فولاذ قاليري، مطرّق بالتّعاويز وحاد كالْموسى، يكاد يكون غير قابل للإتلاف. لا بُدّ أن يكون حامل السّيف بجودة سيفه يا سام. (المخلب الطويل) من الفولاذ القاليري، أمّا أنا فلا، وكان باستطاعة ذي النّصف يد أن يقتلني بسهولة سحقك بعوضة».

أعاد سام السّيف قائلاً: «كلّما حاولتُ أن أسحق بعوضة طارت، فلا أفعل إلا أن أضرب ذراعي. شيء مؤلم».

أضحك قوله چون الذي ردّ: «كما تُريد. كان باستطاعة كورين أن يقتلني بسهولة أكلك وعاء من الثّريد». سام مولع بالثّريد، خصوصًا المحلّى بالعسل.

- «ليس عندي وقت لهذا»، قالها سام لأصدقائه وشقّ طريقه إلى مس-تودع السّلاح ضامًا كُتبه إلى صدره. أنا الدّرع التّي تقى بلدان البشر. تساءل عمّا سيقوله هؤلاء البشر إذا أدركوا أن بلدانهم يقىها من على شاكلة جرن وبيب وإد الكئيب.

(برج القائد) خرّبه النّار، و(برج الملك) اتّخذهُ ستانيس باراثيون مقرًا لإقامته، ومن ثم استقرّ چون سنو في مسكن دونال نوي المتواضع وراء مستودع السّلاح. كانت جيلي مغادرة حين وصل سام، جسدها ملفوف بالمعطف القديم الذي أعطاه إياه في أثناء فرارهما من (قلعة كراس-تر). كادت الفتاة تندفع متجاوزة إياه، لكنّه أمسك ذراعها ليسقط منه كتابان، وقال: «جيلي».

ردّت بصوتٍ مبحوح: «سام». لجيلي شعر داكن وجسد ناحل وعينان بنيّتان

واسعتان كعيني ظبية، وقد ابتلعتها طيات معطف سام القديم وكاد وجهها يتوارى تحت قلنسوته، وإن كانت ترتجف على الرغم من هذا، ولاخ على ملامحها الخوف والامتقاع.

سألها سام: «ما الخطب؟ كيف حال الطفلين؟».

سحبت جيلي ذراعها منه مجيبة: «بخير يا سام، بخير».

قال بلطف: «عجيب أنك تستطيعين النوم في وجود الاثنين. من الذي سمعته يبكي ليلة أمس؟ حسبه لن يتوقف أبدًا».

غمغمت: «صبي دالا، دائمًا يبكي حين يُريد أن يرضع. أمّا صبي... صبي يكاد لا يبكي أبدًا. أحيانًا يُقرقر، ولكن...»، وبتت عبارتها واستطردت بعينين أغرقتهما الدُموع: «يجب أن أذهب. تأخرت على إطعامهما. سأغرق نفسي باللبن إذا لم أذهب»، واندفعت تجتاز الساحة تاركة سام حائرًا.

اضطر إلى الركوع على ركبتيه ليلتقط الكتابين اللذين أسقطتهما. لم يكن ينبغي أن أجلب عددًا كبيرًا، قال لنفسه وهو يمسح الوحل عن (خلاصة اليشب) لكولوكو فوت-ار، المجلد السمي ك الذي يضم حكايات وأساطير من الغرب وأمره المايس-تر إيمون بالعثور عليه. بهذا الكتاب س-ليما، ولو أن الحظ نفسه لم يُحالف (عشيرة الثنائين، تاريخ عائلة تارجارين من المنفى إلى التآليه، مع بحث في حياة الثنائين وموتها) للمايس-تر ثوماكس. انفتح الكتاب إذ سقط، وتلوثت بضع صفحات بالوحل، منها واحدة تحوي صورة ممتازة بالأحبار الملونة للرعب الأسود بالريون. سب سام نفسه وخرقها وهو يسوي الصفحات ويمسحها. دائمًا يُربكه وجود جيلي ويثير فيه... ما يُثيره! لا يجدر بأخ محلف في حرس الليل أن يشعر بما تُشعره به جيلي، لا سيما حين تتكلم عن ثديها...

- «اللورد سنو ينتظرك». عند باب مستودع السلاح وقف حارسان متكئان على حربتيهما، كلاهما يرتدي معطفاً أسود ويعتمر خوذة قصيرة من الحديد. كان هال المشعر من تكلم، بينما ساعد مولاي سام على النهوض، فتمتم شاكرًا وأسرع يتجاوزهما متشبثًا باستماتة بكومة الكتب وهو يمر بورشة الحدادة بسندانها وكيرها، وقد استقر قميص نصف مكتمل من الحلقات المعدنية على طاولة العمل. رأى جوست متمددًا أسفل السندان يقضم عظمة ثور ليصل إلى النخاع، ورفع الذئب الرهيب الأبيض الكبير عينيه حين مر سام، وإن لم يُصدر صوتًا.

تقع حجرة چون الشمسية وراء رفوف الجراب والثرؤوس، ولدى دخوله ألفاه سام يق-رأ رقا، وقد جثم غداق اللورد مورمونت على كتفه محذقًا إلى الورقة كأنه يقرأها أيضًا، لكن حين أبصر الطائر سام بسط جناحيه وحلق صوبه صائحًا: «ذرة، ذرة!».

عدل سام وضع الكتب ودس يده في الكيس المجاور للباب ليخرج حفنة من

الحبوب، فحطَّ الغُذاف على معصمه والتقطَ واحدةً من كَفِّه نَاقِرًا بِقوَّةٍ حَدَّتْ بِسام إلى الصَّيَاح وانتزاع يده بِسرعة، وعادَ الغُذاف يُحَلِّق وتناثرت الحبوب الصَّفراء والحمراء في كلِّ مكان.

قال چون: «أغلق الباب يا سام. هل جرحَ المأفون جِلْدك؟». على وجنته لا تزال تلوح الندوب الباهتة التي خلَّفتها محاولة نسِرٍ أن يفقأ عينه.

وضعَ سام الكُتب برفقٍ وخلعَ قُفَّازَه، وأجابَ شاعرًا بالدُّوار: «نعم، إنني أنزفُ!».

ردَّ چون: «كلُّنا ننزف من أجل حَرس اللَّيْلِ. ارتدِ قُفَّازاتِ أغلظ»، ودفعَ مقعدًا بِقدمه نحو سام مردفًا: «اجلس وألقِ نظرةً على هذا»، وناولَه الرِّق.

سأله سام بينما بدأ الغُذاف يلتقط الحَبَّ من وسط الحِصائر: «ما هذا؟».

- «دِرْع من ورق».

امتصَّ سام الدَّم من راحة يده وهو يقرأ، وقد تعرَّفَ خطَّ المَيسِر-ترِيمون بِمجرَّد النَّظر. للعجوز خطٌّ صَغير دَقِيق، لكنَّه لا يَرى المواضع التي يُلَطِّخ فيها الحبر الورقة، فيتَّرك أحيانًا بُقعًا قبيحةً. «رسالة إلى الملك تومن؟».

قال چون: «في (وينترفِل) تبارزَ تومن وأخي بران بِسيفين خشبيَّين. كان يرتدي بطانةً سميكةً لدرجة أنه بدا كإوزةٍ محشوة، وطرحه بران أرضًا»، وذهبَ إلى التَّافذة مواصلاً: «ومع ذلك مات بران، والآن يجلس تومن السَّمين ذو الوجه المتورِّد على العرش الحديدي، ووسط خُصلاته الذهبية يستقرُّ التَّاج».

أرادَ سام أن يقول: بران لم يَمُت، بل ارتحلَ وراء (الجدار) مع ذي اليدين الباردتين، لكن الكلمات احتبست في حلقه. لقد أقسمتُ ألا أقول. «لم تُوقِّع الرِّسالة».

- «الدُّب العجوز توسَّل العون من العرش الحديدي مئة مرَّة، فأرسلوا له چانوس سَلِنت. لا رسالة من شأنها أن تجعل آل لانستر يحبُّونا أكثر ما إن يسمعونَا ساعِدنا ستانيس».

قال سام: «في الدِّفاع عن (الجدار) فقط، وليس في تمرُّده»، وقرأ الرِّسالة ثانيةً بِسرعةٍ قبل أن يُضيف: «هذا هو المكتوب هنا».

قال چون: «قد يغيب الفرق عن اللورد تايوين»، وتناولَ الرِّسالة من سام متسائلًا: «لِمَ يُساعِدنا الآن؟ إنه لم يفعلها من قبل قط».

- «لأنه لن يُريد أن يقول النَّاس إن ستانيس هَبَّ للدِّفاع عن البلاد بينما يلعب الملك تومن بلعبة. شيء كهذا سيؤدِّي إلى السُّخرية من عائلة لانستر».

قال چون: «ما أريده لعائلة لانستر هو الموت والدَّمار»، ورفعَ الرِّسالة وقرأ: «حَرس اللَّيْلِ لا يتدخَّلون في حروب (الممالك السَّبع). إننا نحلف أيمانًا للبلاد، والبلاد في خطرٍ داهم الآن. ستانيس باراثيون يُساعِدنا ضد أعدائنا من وراء (الجدار)، لكننا لسنا رجاله...».

قال سام بارتباك: «طيب، نحن لسنا رجاله بالفعل، أليس كذلك؟».

- «لقد أعطيتُ ستانيس الطعام والمأوى و(قلعة الليل)، بالإضافة إلى السماح له بتوطين عددٍ من شعب الأحرار في (الهدية)، هذا كل شيء».

- «اللورد تايوين سيقول إن هذا كثير للغاية».

- «ستانيس يقول إنه لا يكفي. كلما أعطيت ملكًا المزيد أرادَ أكثر. إننا نمشي على جسر من الجليد على جانبه هاوية. إرضاء ملكٍ واحد عسير بما فيه الكفاية، أمّا إرضاء اثنين فيكاد يكون مستحيلًا».

- «نعم، لكن... إذا كانت الغلبة لآل لانستر وقرّر اللورد تايوين أننا خُتْنَا الملك بدعمنا ستانيس فقد يعني هذا نهاية حرس الليل. إن وراءه آل تايرل وقوّة (هايجاردن) بأكملها، كما أنه هزَمَ اللورد ستانيس في معركة (النهر الأسود)». ربما يُصيب منظر الدماء سام بالدوار، لكنه يعلم كيف تُربح الحروب. أبوه حرصَ على هذا.

- «(النهر الأسود) معركة واحدة. روب انتصرَ في معاركه كلّها وفقدَ رأسه رغم ذلك. إذا استطاع ستانيس أن يحشد الشمال...».

أدركَ سام أن چون يُحاول إقناع نفسه. لكنه غير قادر. لقد حُلِّقت الغدبان من (القلعة السوداء) في عاصفةٍ من الأجحمة السوداء، تسدّعي لوردات الشمال لإعلان تأييدهم ستانيس بإراثيون وضمّ قوَّاتهم إلى قوَّاته، وقد أرسلَ سام معظم الطيور بنفسه، وحتى الآن لم يرجع إلّا واحد، الطائر الذي أرسله إلى (كارهولد)، وفيما عدا ذلك فالصمت يصم الآذان.

حتى إذا استطاع ستانيس أن يربح الشماليين في صفّه، فسام لا يرى كيف يأمل في معادلة قوّة (كاسترلي روك) و(هايجاردن) و(التوأمتين) مجتمعة... لكن قضيته خاسرة لا محالة دون الشمال. خاسرة كحرس الليل إذا وصمنا اللورد تايوين بالخيانة. «آل لانستر معهم الشماليون في صفوفهم، اللورد بولتون ونغله».

- «ستانيس معه آل كارستارك. إذا فاز بتأييد (الميناء الأبيض)...».

قاطعَه سام ضاغطًا على الكلمة: «إذا. وإذا لم يحدث... سيّدي، حتى درع من ورق أفضل من لا شيء».

لجّح چون بالورقة قائلاً: «أظنُّ هذا»، وتنهد ثم التقطَ ريشةً وذيلَ الرّسالة بتوقيع، وقال: «أحضر الشمع». وهكذا سَخَنَ سام قِالبًا من الشمع الأسود فوق شمعةٍ وقطر القليل منه على الرّق، ثم شاهدَ وچون يضغط ختم حرس الليل بقوةٍ في الشمع الطّري، قبل أن يقول أمرًا: «خُذها إلى المايستر إيمون حين تغادر وقل له أن يُرسل طائرًا إلى (كينجز لاندنج)».

قال سام: «سأفعل»، وتردد لحظة ثم استطرد: «سيدي، إذا سمحت لي بالسؤال... لقد رأيتُ جيلي وهي ذاهبة، وكانت مجهشة بالبكاء». - «قال أرسلتها تتشقق لمانس مجدداً».

- «أوه». قال أخت المرأة التي اتخذها ملك ما وراء الجدار ملكة له، ويُطلق عليها ستانيس ورجاله «الأميرة الهمجية»، وقد ماتت أختها دالا خلال المعركة، مع أن نصلاً لم يمسه، بل فاضت نفسها وهي تلد ابن مانس رايدر. قريباً سيتبعها رايدر نفسه إلى القبر، إذا صدقت الهمسات التي سمعها سام. «ماذا قلت لها؟».

أجاب چون: «إنني سأتكلم مع ستانيس، وإن كنت لا أظن أن كلامي سيؤثر فيه. أول واجبات الملك أن يُدافع عن بلاده، ومانس رايدر هاجم البلاد، وليس وارداً أن ينسى جلالته هذا. لقد اعتاد أبي أن يقول إن ستانيس باراثيون رجل عادل، لكن لا أحد قال قط إنه متسامح»، وصمت لحظةً مقطّبةً وجهه قبل أن يتابع: «أوثر أن أقطع رأس مانس بنفسي، فقد كان رجلاً في حرس الليل ذات يوم، وبالحق يُفترض أن تكون حياته في أيدينا نحن».

- «بيب يقول إن الليدي مليساندرا تنوي أن تُحرقه لتصنع سحراً ما».

- «على بيب أن يتعلم أن يصون لسانه. الكلام نفسه سمعته من آخرين. دم الملوك الذي من شأنه أن يُوقظ تينياً، لكن لا أحد يدري أين تحسب مليساندرا أنها ستجد تينياً نائماً. إنها ثرعات. دماء مانس ليست أكثر ملكيةً من دمائي. إنه لم يعتمر تاجاً أو يجلس على عرش قط. الرجل قاطع طريق لا أكثر، وليست هناك قوة في دماء قُطاع الطرق».

على الأرض رفع الغداف عينيه وصرخ: «دماء!».

لم يُعِره چون اهتماماً، وقال: «سأصرفُ جيلي من هنا».

غمغم سام: «أوه»، وأوماً برأسه قائلاً: «حسنٌ، هذا... هذا جيد يا سيدي». أفضل شيءٍ لها أن تذهب إلى مكانٍ آمنٍ دافئ، بعيداً عن (الجدار) والقتال.

- «هي والصبي. علينا أن نجد مُرضعةً أخرى لأخيه في الرضاعة».

- «لا بأس بحليب الماعز حتى تجدوا واحدة. إنه أفضل للرضع من حليب الأبقار». لكن سام قد قرأ هذا في مكانٍ ما. اعتدل في جلسته قائلاً: «سيدي، بينما أقرأ الحوليات عثرتُ على قائدٍ صبي آخر قبل أربعمئة عامٍ من الغزوة. أوزريك ستارك كان في العاشرة من العمر حين اختير، لكنه خدم ستين عاماً. هكذا أصبحوا أربعةً يا سيدي، أي أنك لست قريباً حتى من أن تكون أصغر رجلٍ يُنتخب للقيادة. إنك الخامس حتى الآن».

- «والأربعة الأصغر كلهم أبناء أو إخوة أو نغول للملك في الشمال. أخبرني بشيءٍ مفيد، حدّثني عن عدونا».

قال سام: «(الآخرون)»، ولعقَ شفّتيه مستدرّكًا: «إنهم مذكورون في السّجّلات، وإن لم يكن بالكثرة التي حسبتها... في السّجّلات التي وجدتُها وقرأتها بالأحرى، لكنني أعرفُ أن هناك المزيد مما لم أجده. بعض الكتب الأقدم متفسّخ، والصفّحات تتفتّت حين أحاولُ أن ألقبها. وبالنّسبة إلى الكتب العتيقة... إمّا أنها تفتّتت تمامًا وإمّا أنها مدفونة في مكانٍ ما لم أبحث فيه بعد، وربما... ربما لا تكون هناك كتب كهذه من الأصل ولم يكن لها وجود قط. أقدم التّواريخ المدوّنة كان بعد مجيء الأنداليين إلى (وستروس)، بينما تركَ لنا البشر الأوائل نقوشًا على الصّخور فحسب، لذا فإن كلّ شيءٍ نظنُّ أننا نعرفه عن عصر الأبطال والليل الطويل يأتي من حكاياتٍ كتبها سيّتونات بعد آلاف الأعوام من تلك الأحداث، وهناك مايسترات رؤساء في (القلعة) يُشكّكون فيها جميعًا. تلك التّواريخ القديمة ملأى بالملوك الـذين حكموا مئـات السّنين، والفُرسـان الـذين جاؤا بالـلاد قبل الـف عامٍ من وـجود فُرسـان. أنـت تـعرف تلك الحـكاياـت؛ برانـدون البـنّاء وسـيميون ذو العـينين النّجمتين وملك الليل... نحن نقول إنك القائد التّسعة وثمانية وتسعون لحرس الليل، لكن أقدم قائمةٍ وجدتُها تضمُّ ستمئة وأربعة وسبعين قائدًا، وهو ما يُفيد بأنها كُتبت...».

قاطعَه چون: «منذ زمنٍ طويل. ماذا عن (الآخريـن)؟».

- «وجدتُ ذِكرًا لزُجاج التّنين. أطفال الغابة تعوّدوا أن يُعطوا حرس الليل مئة خنجر من الزّجاج البركاني كلّ عامٍ خلال عصر الأبطال. معظم الحكايات متّفق على أن (الآخريـن) يأتون في البرد، أو أن البرد يأتي معهم. أحيانًا يظهرون وقت العواصف الثلجيّة ويختفون حين تصفو السّماء، ويختبئون من ضوء الشّمس ويخرّجون ليلاً... أو أن الليل يحلّ حين يخرّجون. بعض القصص يتكلّم عن ركوبهم الحيوانات الميته؛ الدّببة والدّئاب الرّهيبة والماموثات والخيول، لا فرق ما دام الحيوان ميتًا. الذي قتلَ پول الصّغير كان يمتطي حصانًا ميتًا، فواضح أن هذا الجزء صحيح. بعض الحكايات يذكّر عناكب جليديّة أيضًا، لكنني لا أدري ماهيتها. من يسقطون في المعركة أمام (الآخريـن) لا بُدّ أن يُحرّقوا وإلّا سينهض الموتى من جديدٍ كعبيدٍ لهم».

- «نعرف كلّ هذا. السّؤال هو كيف تُقاتلهم؟».

قال سام: «دروع (الآخريـن) منيعة ضدّ معظم الأسـلحة التّقليديّة، إذا صـدّقنا ما وردَ في الحكـاياـت، وسـيوفهم باردة للغاية لدرجة أنـها تُحطّم الفـولاد، لكنـهم يهابون النّار، ومن شأن زُجاج التّنين أن يؤذيهم». تذكّر (الآخر) الذي واجهه في (الغابة المسكونة)، وكيف بدا أنه يذوب ذوبانًا عندما طعنه بخنجر الزّجاج البركاني الذي صنّعه له چون. «وجدتُ حكايةً عن الليل الطويل تقول إن البطلي الأخير قتلَ (الآخريـن) بسيفٍ من فولاذ التّنين. المفترَض أنهم لا يستطيعون الصمود أمامه».

قطَّب چون جبينه قائلاً: «فولاذ التَّين؟ الفولاذ القاليري؟».

- «هذا أول ما خطرَ لي أيضاً».

- «إذن إذا استطعتُ أن أقنع لوردات (الممالك السَّبع) بإعطائنا سيوفهم المصنوعة من الفولاذ القاليري فستنتهي المشكلة؟»، وأطلقَ چون ضحكةً خاليةً من المرح، وأردف: «هل عرفت من يكون (الآخرون)؟ من أين يأتون؟ ماذا يريدون؟».

- «ليس بعدُ يا سـيـيـدي، لكـن لعـلـي كـنـتُ أقرأ الـكُـتـب الخـطـأ فقـط. هـنـاك مـئـات الـكُـتـب الـتـي لـم أفتـحـها حـتـى الـآن. أُعـطـنـي مـزـيـدًا مـن الـوـقـت وسـأجـدُ كـلَّ مـا يُمكـن إيجـاده».

بنبرةٍ حزينةٍ قال چون: «ليس هناك مزيد من الوقت. عليك أن تحزم أغراضك يا سام، إنك راحل مع جيلي».

مرَّت لحظة دون أن يستوعب سام، ثم قال: «راحل؟ أنا راحل؟ إلى (القلعة الشرقيّة) يا سيدي؟ أم... أين...».

- «(البلدة القديمة)».

- «(البلدة القديمة)؟!». خرجت الكلمة منه صريراً. (هورن هيل) قريبة من (البلدة القديمة). الديار. مجرد الفكرة جعل رأسه يدور. أبي.

- «وإيمون أيضاً».

- «إيمون؟ المايسـتر إيمون؟ لكـن... لقد تجـاوزـ المئـة بعـامـين يـا سـيـيـدي، ولا يقـوى علـى... سـيُـرْسـِلـه ويُـرْسـِلـنـي أيـضًا يـا سـيـيـدي؟ ومـن سـيـعـتـنـي بـالـغـدـفان؟ إذا مـرـضـت أو جـرحـت، فمـن...».

- «كلايداس، إنه مع إيمون منذ سنوات».

- «كلايداس مجرد وكيل، وبصره يزداد ضَعْفًا. أنت محتاج إلى مايسـتر. المايسـتر إيمون واهن، ورحلة في البحر...». فكَرَّ في (الكرمة) والسَّفينَة (ملكة الكرمة) فكادَ يختنق بلسانه. «ربما... إنه شيخ، و...».

- «ستكون حياته في خطر، أدركُ هذا يا سام، لكن الخطر هنا أكبر. ستانيس يعرف من هو إيمون، وإذا كانت تعاويز المرأة الحمراء تقتضي دم الملوك...».

رَدَّ سام بوجهٍ شحَبَ: «أوه».

- «سـيـنـضمُّ دارـيـون إلـيـكم فـي (القلعة الشرقيّة). أملـي أن تُكسِبـنـا أغـانـيـه بعـض الرّجـال فـي الجنـوب. سـيـحـمـلكم (الطائر الأسـود) إلـى (برافوس)، ومـن هـنـاك علـيـكم ترـتيب رحلتكم إلى (البلدة القديمة). إذا كنت لا تزال تعتزم أن تُعلن ابن جيلي نغلك، فأرسلها إلى (هورن هيل)، وإن لم يكن فسيجد لها إيمون عملاً كخادمةٍ في (القلعة)».

- «ن-نغلي». لقد قال هذا، نعم، ولكن... كلُّ تلك المياه، يُمكن أن أغرق. السفن تغرق طوال الوقت، والخريف فصلٌ عنيف العواصف. لكن جيلي ستكون معه، وسينشأ الطفل في أمان. «نعم، أنا... أمِّي وأخواتي سيُساعدن جيلي على العناية بالصَّبي». يُمكنني أن أرسل رسالة. لا حاجة إلى الذهاب إلى (هورن هيل) بنفسِي.

«داريون يستطيع أن يصحبها إلى (البلدة القديمة) مثلي تمامًا. إنني... إنني أتمرّن على الرّماية كلَّ أصيل مع أولمر كما أمرت... إلّا عندما أكون في القبو، لكنك قلت لي أن أكتشف ما يُمكن اكتشافه عن (الآخرين). القوس الطويل يُؤلم كتفِي ويجعل أصابعي تتقرّح»، ورفعَ يده يُريّ چون أحد القروح المفتوحة مواصلاً: «لكنني ما زلتُ أتمرّن، وأُس-تطيعُ أن أص-يب ال-هدف معظم ال-وقت الآن، إلّا أن-ي لا أزالُ أس-وأ رام حم-ل ق-وسًا ف-ي الع-الم. لكن-ي أح-بُّ قص-ص أولمر. عل-ى أح-دهم أن يُدوّن-ها ويضعها في كتاب».

- «دوّن-ها إذن. إن ل-ديهم حب-راً وورقًا ف-ي (القلعة)، بالإض-افة إل-ى الأق-واس الطويل-ة. س-أتوقّع من-ك أن تُواصل ت-دريباتك. س-ام، ف-ي حرس ال-ليل مئ-ات الرّج-ال ال-ذين يستطيعون الرّمي بالسّهام، لكن ليس بينهم إلّا شردمة ممن يُجيدون القراءة والكتابة. أريدك أن تكون مايس تري الجديد».

جعلته الكلمة يجفل. لا، أرجوك يا أبي، لن أتكلّم عن هذا ثانية، أقسمُ بالآلهة السبعة. أخرجني، أرجوك أخرجني. «سيّدي، أنا... إن عملي هنا. الكتب...». - «ستكون هنا عندما تعود إلينا».

وضعَ سام يده على عنقه وهو يكاد يحسُّ بالسلسلة حوله، تَخُنقه. «سيّدي، (القلعة)... إنهم يجعلونك تُشرّح الجُثث هناك». إنهم يجعلونك تضع سلسلة حول عنقك. إذا كنت تُريد سلسلة فتعالَ معي. طيلة ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ ظلُّ سام ينتحب حتى يغلبه النّوم وهو مقيّد بالأصفاد إلى الحائط، تُحيط بعنقه سلسلة مشدودة عن آخرها لدرجة أنها جرحَت جلده، ومتى التفتَ في اتّجاهٍ خاطئ في نومه انقطعت أنفاسه. «لا يُمكنني أن أضع سلسلة».

- «بل يُمكنك، وستفعل. المايستر إيمون عجوزٌ كفيف وقوّته تتسرّب منه. من سيحلُّ محله عندما يموت؟ المايستر مولين في (بُرج الظلال) مُقاتل أكثر من نطاسي، والمايستر هارميون في (القلعة الشرقيّة) يسكر أكثر مما يستفيق». - «إذا سألت (القلعة) أن تُرسل المزيد من المايسترات...».

- «هذا ما أنتويه، فسنحتاج إلى كلِّ واحدٍ منهم، لكن إيمون تارجارين لا يُستبدل بسهولة»، ولاحت الحيرة على چون وهو يُضيف: «كنتُ واثقًا بأن الأمر سيسرُّك. في (القلعة) كُتب أكثر مما يأمل أحد أن يقرأها كلّها. ستُبلي بلاءً حسنًا هناك يا سام، أعلمُ هذا».

- «لا. يُمكنني أن أقرأ الكُتب، لكن... على المايستر أن يكون مُعالجًا أيضًا، والدَّدَم يُصيبني بالدُّوار»، ورفعَ سام يَدًا مرتعدَةً لچون مضيقًا: «أنا سام الخائف لا سام القاتِل».

- «خائف؟ ممّ؟ توبيخ بضعة رجالٍ مسيئين؟ سام، أنت رأيت الجُثث الحيّة تجتاح (القبضة)، رأيت طوفانًا من الموتى الأحياء بأيدي سوداء وأعين زرقاء لامعة. لقد قتلت واحدًا من (الآخرين)».

- «قتله زُرُزُرجاج التّنين وليس أنا».

- «صمتًا. لقد كذبت وتحالّلت وتأمّرت لتجعلني القائد، ستُطيعني إذن. ستذهب إلى (القلعة) وتُكوّن سلسلةً، وإذا كان عليك أن تُشرّح الجُثث فليكن. على الأقل لن تعترض الجُثث في (البلدة القديمة)».

إنه لا يفهم. «سيّدي، إن أأأأبي، اللورد راندل، إنه، إنه، إنه، إنه، إنه... حياة المايستر حياة خدمة». يعلم سام أنه يتكلّم الآن كأنه يهذي، لكنه تابع: «لا أحد من أبناء عائلة تارلي يضع سلسلةً حول عنقه أبدًا. رجال (هورن هيل) لا ينحنون للوردات الأدنى ويُعظّمونهم». إذا كنت تُريد سلسلةً فتعالَ معي. «چون، لا أستطيع أن أعصي أبي».

قال سام: «چون»، لكن چون لم يَعد هناك، ومن يُواجهه الآن هو اللورد سنو بعينه الرّماديتين وصلابته الجليديّة، وقد قال اللورد سنو: «أنت لا أب لك، بل إخوة فق-ط، نحن فق-ط. إن حي-اتك تنتمي إلى حرس الليل، فإذهب واح-شرْ ثي-ابك إل-الداخليّة في ج-والٍ ومع-ها لك ش-يء آخر تُريد أن تأخ-ذه إل-ي (البلدة القديمة)».

ستُغادر قبل ساعةٍ من الشروق. وهاك أمر آخر: من اليوم فصاعدًا لن تنعت نفسك بالجبن. لقد واجهت في العام المنصرم أشياء أكثر مما يرى معظم النّاس في حياتهم كلّها. يُمكنك أن تُواجه (القلعة)، لكنك ستُواجهها باعتبارك أخًا محلّقًا في حرس الليل. لا أستطيع أن أمرك بأن تكون شجاعًا، لكني أستطيع أن أمرك بأن تُخفي مخاوفك. لقد حلفت اليمين يا سام، أتذكّر؟».

أنا السيف في الظُّلمات. لكنه أخرق تمامًا في استعمال السيف، والظُّلّة تُخيفه. «س... سأحاول».

- «لن تُحاول، وإنما ستُطيع».

خفقَ عُذاف مورمونت بجناحيه الأسودين الكبيرين مرّددًا: «تُطيع!».

- «كما يأمر سيّدي. هل... هل يعرف المايستر إيمون؟».

قال چون: «إنها فكرت-ه قدر ما هي فك-رتي»، وفتح له الباب مردفًا: «لا وداع. كلّمنا قلّ عدد من يعلمون بالأمر لكن أفضل.

ساعة قبل طلوع الفجر في ساحة الأشنة²⁴».

لا يَذْكُرُ سام أنه غادرَ مستودَعَ السِّلَاح، وإذا به يمشي متعثراً في الأوحال ورُقَع الثلج القديم إلى مسكن المايستر إيمون. قال لنفسه: يُمكنني أن أختبئ، يُمكنني أن أختبئ في الأقبية وسط الكُتُب، يُمكنني أن أعيش هناك مع الفأر وأنسلل إلى السطح ليلاً لأسرق الطعام. يعلم أنها خواطر جنونية، عديمة الجدوى قدر ما هي يائسة. ستكون الأقبية أول مكان يبحثون عنه فيه، أما آخر مكان يبحثون عنه فيه فوراء (الجدار)، لكن هذا خاطر أكثر جنوناً. ربما يقبض عليّ الهَمَج وَيَقْتُلُونِي ببطء، ربما يُحْرِقُونِي حياً كما تنوي المرأة الحمراء أن تُحْرِق مانس رايدر.

حين وجدَ المايستر إيمون في المِغْدَفَة²⁵ أعطاه رسالة جون واندفع يروح بمخاوفه بكلماتٍ مرتبكةٍ صاخبة وهو يَشْعُرُ بالغثيان: «إنه لا يفهم! إذا وضعتُ سلسلةً فإن السيّد ووووالدي س... س... سوف...».

قال الشَّيْخ: «أبي أيضاً أبدى الاحتجاج نفسه حين اخترتُ حياة الخدمة، وكان أبوه هو من أرسلني إلى (القلعة). لقد أنجبَ الملك دايرون أربعة أبناء، وثلاثة منهم أنجبوا أبناءً. يوم ودّعوني سمعتُ جلالته يقول للسيّد والدي: التّنانين الأكثر من اللازم خطرة كالتّنانين الأقل من اللازم»، ورفع إيمون يداً مَبْقَعَةً إلى سلسلته ذات المعادن العديدة التي تتدلّى مِرْتَحِيَةً حول رقبتة الرّفيعة، وأضاف: «السّلسلة ثقيلة يا سام، لكن جدّي كان محقاً، وكذا اللورد سنو».

تمتّم أحد الغدّافان: «سنو!»، وردّد آخر: «سنو!»، ثم استشرى الصّياح بين بقيّة الطيور التي راحت تُرَدِّد: «سنو، سنو، سنو، سنو، سنو!». سام هو من علّمها هذه الكلمة. أدركَ أن-ه لن يجد مساعداً هنـا، فالمايس-تر إيمون مغلوب على أمره مثل-ه تماماً، وفكّر بي-أس: س-يموت في البحر. إن-ه أكثر ع-جزاً من أن يحتمل رحلةً كذلك. وقد يموت ابن جيلي أيضاً. الصّبي ليس كبيراً وقوياً كابن دالا. هل يُريد جون أن يقتلنا جميعاً؟ في الصّباح التّالي وجدَ نفسه يضع السّرج على الفرس التي ركبها من (هورن هيل) ويقودها إلى ساحة الأشنة على الطريق الشرقي، وقد انتفخ جرابا السّرج بالجبن والسّجق والبيض المسلوق، بالإضافة إلى نصف فخّ مملحة من لحم الخنزير أهده له هوب ذو الثلاثة أصابع يوم ميلاده، وقال له الطّاهي: «أنت رجل يُقدّر الطّهو حقّ قدره أيها القاتل. نحن محتاجون إلى المزيد من أمثالك». سيُساعدهم اللحم لا ريب، فبين هنا و(القلعة الشرقيّة) طريق بارد طويل، وليست هناك بلدات أو خانات في ظلّ (الجدار).

كانت السّاعة السّابقة للفجر مظلمةً ساكنةً، وعلى (القلعة السّوداء) خيم صمت عجيب. في ساحة الأشنة انتظرته عربتان بعجلتين، ومعهما چاك بولوار الأسود ودسته من الجوّالة المخضرمين الأصلاب كخيولهم. أطلقَ كِدْج ذو العين البيضاء سبّاباً عاليّاً عندما أبصرَ سام بعينه السّليمة، فقال له چاك الأسود:

«دَعَكَ مِنْهُ أَيُّهَا الْقَاتِلُ. لَقَدْ خَسَرَ رَهَانًا، قَالَ إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْنَا أَنْ نَجْرِكَ صَارِحًا مِنْ تَحْتِ فِرَاشِي مَا».

لَأَنَّ الْمَايِسْتَرِ إِيْمُونُ أَوْهَنْ مِنْ أَنْ يَرْكَبَ حَصَانًا، فَقَدْ جُهِزَتْ لَهُ عَرَبَةٌ وَكُوِّمَتْ عَلَيْهَا الْأَغْطِيَةُ الْفَرُوزُ، وَثُبَّتْ فَوْقَهَا مِظْلَةٌ جِلْدٌ لَتَقِيهِ مِنَ الْمَطَرِ وَالثَّلْجِ. سَتَرَكَبَ جِيلِي وَطَفَلَهَا مَعَ الْمَايِسْتَرِ، أَمَّا الْعَرَبَةُ الثَّانِيَةُ فَتَحْمَلُ ثِيَابَهُمْ وَأَغْرَاضَهُمْ، بِالإِضَافَةِ إِلَى صَنْدُوقٍ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الْيَّادِرَةِ الَّتِي خَطَرَ لِإِيْمُونِ أَنْ (الْقَلْعَةَ) قَدْ تَفْتَقِرُ إِلَيْهَا، وَكَانَ سَامٌ قَدْ أَمْضَى نِصْفَ اللَّيْلِ بَحْثًا عَنْهَا، وَإِنْ لَمْ يَعْثُرْ إِلَّا عَلَى كِتَابٍ وَاحِدٍ مِنْ كُلِّ أَرْبَعَةٍ. لَا بَأْسَ، وَإِلَّا كُنَّا سَنَحْتَاجُ إِلَى عَرَبَةٍ أُخْرَى.

عِنْدَمَا ظَهَرَ الْمَايِسْتَرُ كَانَ مَتَدِيرًا بِفَرُوزَةٍ دُبِّيٍّ تَفُوقَهُ حَجْمًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذْ قَادَهُ كَلَايِدَاسٌ إِلَى الْعَرَبَةِ هَبَّتِ الرِّيحُ بِقُوَّةٍ جَعَلَتْ الرَّجُلَ الْهَرَمَ يَتَرَنَّحُ، فَهَرَعَ إِلَيْهِ سَامٌ وَطَوَّقَهُ بِذِرَاعِهِ. هَبَّةٌ أُخْرَى كَهَذِهِ كَفِيلَةٌ بِأَنْ تُطَيِّرَهُ فَوْقَ (الْجِدَارِ). «أَمْسِكْ ذِرَاعِي أَيُّهَا الْمَايِسْتَرُ. الْعَرَبَةُ لَيْسَتْ بَعِيدَةً».

أَوْمَأَ الرَّجُلُ الْكَفِيفُ بِرَأْسِهِ بَيْنَمَا أَزَاحَتْ الرِّيحُ قَلَنْسُوتَهُ عَنْ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «الطَّقْسُ دَافِئٌ دَوْمًا فِي (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ). ثَمَّةَ خَانَ مُقَامٌ عَلَيَّ جَزِيرَةٍ فِي (نَهْرِ الْبَيْتِ) اعْتَدْتُ الدَّهَابَ إِلَيْهِ وَأَنَا مُبْتَدِئُ شَابٍ. سَيَكُونُ جَمِيلًا أَنْ أَجْلِسَ هُنَاكَ ثَانِيَةً وَأَشْرَبَ خَمْرَ التُّقَّاحِ».

لَدَى وَضْعِهِمِ الْمَايِسْتَرِ عَلَى الْعَرَبَةِ كَانَتْ جِيلِي قَدْ ظَهَرَتْ بِدَوْرَهَا حَامِلَةً الرِّضْعِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا، وَتَحْتَ قَلَنْسُوتِهَا بَدَتْ عَيْنَاهَا حَمْرَاوِينَ مِنَ الْبُكَاءِ. فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ وَصَلَ چُونُ وَمَعَهُ إِدُ الْكُتَيْبِ، فَنَادَاهُ الْمَايِسْتَرُ إِيْمُونُ قَائِلًا: «لِوَرْدِ سَنُو، لَقَدْ تَرَكْتُ لَكَ كِتَابًا فِي مَسْـكِنِكَ، (خُلَاصَةُ الْيَشِبِ) الَّتِي كَتَبْتَهُ الْمُغَامِرُ الْقَوْلَانْتِيْنِي كُولُوكُو قُوتَارَ، الَّذِي سَافَرَ إِلَى الشَّرْقِ وَزَارَ جَمِيعَ أَرْضِي (بَحْرِ الْيَشِبِ). هُنَاكَ فُقْرَةٌ قَدْ تُثِيرُ اهْتِمَامَكَ، قُلْتُ لَكَلَايِدَاسَ أَنْ يُعَلِّمَهَا لَكَ».

رَدَّ چُونُ سَنُو: «سَأَحْرِصُ عَلَى قَرَاءَتِهَا».

سَالَ خَيْطٌ مِنَ الْمَخَاطِ الشَّاحِبِ مِنْ أَنْفِ الْمَايِسْتَرِ إِيْمُونِ، فَمَسَحَهُ بِظَهْرِ قُفَّازِهِ، وَقَالَ: «الْمَعْرِفَةُ سِلَاحٌ يَا چُونُ، فَسَلِّحْ نَفْسَكَ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ تَخُوضَ الْمَعْرَكَةَ».

- «سَأَفْعَلُ». كَانَ ثَلْجٌ خَفِيفٌ قَدْ بَدَأَ يَسْقُطُ، تَنْزِلُ رُقَاقَاتُهُ الْكَبِيرَةُ النَّاعِمَةُ بِكَسَلٍ مِنَ السَّمَاءِ، فَالْتَفَتَ چُونُ إِلَى چَاكٍ بُولُورِ الْأَسْوَدِ قَائِلًا لَهُ: «أَسْرِعُوا قَدْرَ الْإِمْكَانِ، لَكِنْ لَا دَاعِيَ لِلْمُخَاطَرَاتِ الْحَمَقَاءِ. إِنْ مَعَكُمْ رَجُلًا عَجُوزًا وَطِفْلًا رَضِيعًا. احْرِصْ عَلَى دَفْنِهِمْ وَإِطْعَامِهِمْ جَيِّدًا».

قَالَتْ جِيلِي: «أَفْعَلِ الْمِثْلَ يَا سَيِّدِي، أَفْعَلِ الْمِثْلَ مَعَ الْآخَرِ، اعْثُرْ لَهُ عَلَى مُرْضِعَةٍ كَمَا قُلْتَ، لَقَدْ وَعَدْتَنِي بِأَنْكَ سَتَفْعَلُ. الصَّبِيُّ... صَبِيٌّ دَالًا... أَعْنِي الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ...»

اعْثُرْ لَهُ عَلَى امْرَأَةٍ صَالِحَةٍ لِيَكْبُرَ قَوِيًّا».

قال چون سنو برصانة: «لكِ كلمتي».

- «إياكم أن تُسمّوه، لا تفعلوا هذا قبل أن يتجاوزَ العامين. تسميتهم وهُم ما زالوا يرضعون طالع سيّئ. ربما لا تعرفون هذا أيها الغربان، لكنه صحيح».

- «كما تأمرين يا سيّديتي».

اشتعلَ وجه جيلي غضبًا، وصاحت: «لا تُناديني بهذا. أنا أم ولستُ سيّدة أحد، أنا زوجة كراستر وابنته، وأم».

أخذَ إد الكئيب الطّفل فيما صعّدت جيلي إلى العربة وغطّت ساقها بالجلود الرّنخة، وعندئذٍ كانت سماء الشّرق قد صارت رماديّة أكثر من سوداء، وأبدى ليو الأعسر استعجاله الرّحيل. ناولَ إد الطّفل لجلي فالقمته ثديها، وفكّر سام وهو يمتطي فرسه: ربما تكون هذه آخر مرّة أرى (القلعة السّوداء). قدر ما كان يكره (القلعة السّوداء) ذات يومٍ فإن فؤاده يتمزّق الآن لتركها.

قال بولوار آمرًا: «هيا بنا»، وطرقَ سوطٌ وبدأت العربتان تتحرّكان بتؤدّة على الطريق المحفّر بينما نزلت الثلوج حولهم.

ظلّ سام إلى جوار كلايداس وإد الكئيب وچون سنو ليقول: «حسنٌ، وداعًا».

ردّ إد الكئيب: «وداعًا لك يا سام. لا أظنّ أن سفينتك ستغرق. السفن لا تغرق إلا عندما أكون على متنها».

قال چون وهو يُراقب العربتين: «أول مرّة رأيتُ جيلي كان ظهرها ملتصقًا بجدار (قلعة كراستر)، تلك الفتاة النّحيلة ذات الشّعْر الدّاكن والبطن المنتفخ، منكمشة رُعبًا من جوست. كان قد افترسَ أرانبها، وأظنّ أنها خافت أن يُمزّق بطنها ويلتهم جنينها... ولكن الذّئب لم يكن ما عليها أن تخافه، أليس كذلك؟».

فكّر سام: نعم. كراستر كان الخطر، أبوها. «إنها تمتلك شجاعة أكثر مما تحسب».

قال چون: «وكذلك أنا يا سام. رحلة سريعة آمنة، واعتنِ بها وبإيمون والطّفل»، وارتسمت على شفّتيه ابتسامة غريبة حزينة وهو يُضيف: «وارفع قلنسوتك. تُدفع الثلج تذوب في شعرك».

آريا

خافتًا بعيدًا اتَّقد الضَّوء الواطئ في الأفق، يتلألأ متخلِّلًا ضباب البحر.
قالت آريا: «يبدو كنجمة».

فقال دينيو: «نجمة الوطن».

كان أبوه يزعم ملقيًا الأوامر، والبحَّارة يتحرَّكون صاعدين ونازلين الصَّواري الطَّويلة الثلاثة ويشدُّون الحبال ليطووا الأشربة الأرجوانية الثقيلة، وفي الأسفل يكدح المجذِّفون على صفِّي المجاذيف الكبيرين، فمالت الأسطح مصدرةً صريرًا مع ميل القاليون²⁶ (ابنة المارد) إلى الميمنة توطئةً لتعديل اتِّجاهه.

نجمة الوطن. وقفت آريا عند المقدِّمة مريحةً يدها على التِّمثال المذهب الذي يتَّخذ شكل فتاةٍ تحمل وعاء فاكهة، وتركت نفسها تتظاهر لأقلِّ من لحظةٍ بأن القابع أمامهم وطنها هي.

لكن هذا سُخف. وطنها ضاع، وأبواها ماتا، وإخوتها قُتلوا جميعًا باستثناء چون سنو على (الجدار)، وهو المكان الذي أرادت أن تذهب إليه، وهذا ما قالتها للربَّان، لكن حتى العُملة الحديد لم تُقِنَّه. يبدو أن آريا تعجز دائمًا عن بلوغ الأماكن التي تُريد الذهاب إليها. لقد أقسمَ يورن على أن يُوصِّلها إلى (وينترفل)، وانتهى بها المطاف في (هارنغال) وبيورن في قبره، وحين هربت من (هارنغال) ساعيةً إلى (ريقرن) أسرها ليم وأنجاي وتوم أبو السَّبعات وجروها إلى التِّلِّ الأجوف، ثم اختطفها كلب الصَّيد وجرها إلى (التَّوأميتين)، قبل أن تتركه يُحتضر عند النهر وتتَّجه إلى (الملاحات) آملةً أن تستقلَّ سفينةً إلى قلعة حرس الليل الشرقيَّة على البحر، ولكن...

ربما لا تكون (براقوس) بذلك السَّوء. سيُريو كـان من (براقوس)، وقد أجـدُ چاكن هـنـاك أيـضًا. چاكن هو من أعطاهـا العُملـة الحـديـد. لـم يـكن صـديـقـها حـقـا مـثـل سـيـريـو، ولكن يـم نـفـعـها الأصدقاـء من قبل على كلِّ حال؟ لست في حاجةٍ إلى أصدقاء ما دامت إبرتي معي. مسَّت قبعة السَّيف الملساء بعُقلة إبهامها وهي تتمنَّى أن... تتمنَّى أن...

الحقيقة أن آريا لا تدري ماذا تتمنَّى، تمامًا مثلما لا تدري ما ينتظرها هناك تحت ذلك الضَّوء البعيد. لقد سمحَ لها الربَّان بركوب السَّفينة، لكنه لم يملك وقتًا للكلام معها، كما أن عددًا من أفراد الطاقم تجنَّبها، وإن كان بعضهم قد أعطاهـا هدايا، منها شوكة فضة وفُقازان بلا أصابع وقبعة عريضة من الصَّوف المرفَّع بالجلد، وأراهـا أحـد الرِّجـال كـيف تـعـمـل العُـقـد الشـراعيَّة، وصَبَّ لـهـا آخـر فنـاجين صـغـيرة من النِّبيـذ النّاري. الودودون منـهم يـنـقـرون علـى صـدورهم مرردين أسـماءهم مرارًا وتكرارًا إلى أن تـردَّ بـهـا آريـا، ولو أن أحـدًا لـم يـسـألها عـن اسـمها هـي، وبـدلاً من

هَذَا يُسَمُّونَهَا «مِلْحَة»، بِمَا أَنَّهَا رَكِبَتْ مَعَهُمْ مِنْ (الْمَلَّاحَاتِ) قُرْبَ مَصْبِ (الثَّلَاثِ)، وَعَلَى مَا تَظُنُّ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَيِّ اسْمٍ آخَرَ. اخْتَفَى آخِرُ نَجُومِ اللَّيْلِ... كُلُّهَا بِاسْتِثْنَاءِ الْاِثْنَتَيْنِ الثَّابِتَتَيْنِ أَمَامَهُمْ مُبَاشَرَةً، فَقَالَتْ: «إِنَّهُمَا نَجْمَتَانِ الْآنَ».

قال دينيو: «عينان. (المارد) يرانا».

المـارد البراقوسـي. فيـي (وينترفـل) حـكـت لـهـم العـجـوز نـان عـن (المـارد)، وكـيف أنـه عـمـلاق يُنـاهـز الجـبال طـولاً، ومـتـى حـاق الخـطـر بـ(براـقوس) تـدبُّ فيـه الحـيـاة وتـشـتـعل عـيـناه نـاراً، وتـصـرُّ أطـرافـه الصـخـريـة وتُطـقـطـق إذ يـخـوض في البـحـر لـيـسـحـق الأـعـداء. «البراـقوسـيـون يُطـعـمـونه لـحـم بنات عليـة القوم الطـازج الغـضّ». بـهـذه العبـارة كـانت نـان تـخـتـم حـكايتـها، فتـصـدـر سـانـزا صـريـراً خائفاً سـخـيفاً، لـكن المـايـسـتر لـوين قال إن (المارد) مـجـرّد تـمـثـال، وقـصـص العـجـوز نـان مـا هـي إلّا قـصـص.

حدّثت آريا نفسها مذكّرةً: (وينترفـل) احترقت وسقطت. وغالباً مات المايستر لوين والعجوز نان، وسانزا أيضاً، ولن ينفعها أن تفكر فيهم. كل البشر يدركهم الموت.

هذا ما تعنيه الكلمتان، الكلمتان اللتان علّمها چاكن إياهما عندما أعطاهما العُملة الحديد البالية. منذ رحلوا من (الملاحات) تعلّمت المزيد من الكلمات البراقوسية أيضاً، مرادفات «مـن فضـلك» و«شكراً» و«البـحـر» و«النـجـوم» و«النبيذ الناري»، لكنّها أتتـهم عالمـة أن كـلّ البـشـر يـدركـهم الموت. معظم طاقم (ابنة المارد) يعرف كلمات متناثرة من اللغة العامية لقضائهم ليالي وليالي عليّ البرّ في (البلدة القديمة) و(كينجز لاندنج) و(بركة العذارى)، وإن كان الرّبان وأبناءؤه يجيدانها بما يكفي للكلام مع آريا. دينيو أصغر الأبناء، غلام ممتلئ بشوش في الثانية عشرة، يُعنى بقمرة أبيه ويُساعد أخاه الأكبر في الحساب.

قالت له آريا: «أمل أن (المارد) ليس جائعاً».

ردّد حائراً: «ليس جائعاً؟».

- «لا عليك». حتى لو كان (المارد) يأكل لحم البنات الطّازج الغضّ حقاً، فأريا لا تخافه. إنها مخلوقة هزيلة، ليست وجبة تصلح لعملاق، وعلى وشك بلوغ الحادية عشرة من العمر، أي أنها -عملياً- امرأة ناضجة. ثم إن ملحّة ليست من بنات عليّة القوم. سألت: «هل (المارد) إله (براقوس) أم أنكم تعبّدون الآلهة السبعة؟».

يحبّ ابن الرّبان الكلام عن مدينته قدر ما يحبّ الكلام عن سفينة أبيه تقريباً، وقد قال لها: «كلّ الآلهة مكرّمون في (براقوس). سبعتك لهم سيّت هنا، (سيّت ما وراء البحر)، لكن البحّارة الوستروسيين وحدهم يتعبّدون هناك».

ليسوا سبعتي. لقد كانوا آلهة أمي، ومع ذلك تركوا آل فراي يغتالونها في (التوأمتين). تساءلت إن كانت ستجد في (براقوس) أكلة آلهة في قلبها شجرة ويروود. ربما يعرف دينيو، لكنها لا تستطيع أن تسأله. ملحمة أتت من (الملاحات)، وما الذي تعرفه فتاة من (الملاحات) عن آلهة الشمال القديمة؟ قالت لنفسها: الآلهة القديمة ماتت، ماتت مع أمي وأبي وروب وبران وريكون، الموت أخذ الجميع. تذكر أنها سمعت منذ زمن طويل أباهما يقول إنه عندما تهب الرياح الباردة ينشق الذئب الوحيد وينجو القطيع. لم يعرف أن العكس هو الصحيح. آريا، الذئبة الوحيدة، لم تزل حية، لكن ذئاب القطيع صيدت وقُتلت وسُلِخت.

قال دينيو: «شدة القمر قادونا إلى هذا الملاذ، حيث لم تستطع تنانين (قاليريا) العثور علينا. معبدهم أعظم المعابد في المدينة. إننا نُجِلُّ أبا المياه كذلك، لكن داره تُبنى من جديد كلما اتخذ لنفسه عروساً جديدة، وبقية الآلهة تستوطن جزيرة في منتصف المدينة معاً. هناك ستجدين الـ... الإله عديد الوجوه».

ازداد الألق في عيني (المارد) وبدت أكثر تباعداً الآن. لا تعرف آريا أي إله عديد الوجود، لكن إذا كان يُجيب الدعاء فربما يكون الإله الذي تبحث عنه. السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي. ستة فقط الآن. جوفري مات، وكلب الصيد فتك ببوليفر، وآريا طعنت المُدغِغ بنفسها بالإضافة إلى المرافق الأحمر ذي الثور. لم أكن لأقتله إذا لم يضع يده عليّ. وكلب الصيد كان يلفظ أنفاسه القليلة الأخيرة حين تركته على ضفاف (الثالوث)، تحرقه الحُمى التي سببها جرحه. كان يجدر بي أن أعطيه هدية الرحمة وأغرس سكين في قلبه.

أخذها دينيو من ذراعها ودورها صائحاً: «ملحة، انظري! هل ترين؟»، وأضاف مشيراً: «هناك».

انجأ الصَّبَاب أمامهم كس-تائر رمادية مهترئة تشقها مق-دِّمة السفينة، وشقت (ابنة المارد) عباب المي-اه الخضراء الرمادية محلقة بأجنحة أرجوانية منفوشة، وسامت آريا صياح طيور البحر من فوقهم. هناك، حيث أش-ار دين-يو، يرتفع صف من الجروف الحجرية فجأة من البحر، تُغطي منحدراتها الشاهقة أش-جار الصنوبر الجندي والتنوب الأسود، لكن أمامهم مباشرة خرق البحر ثغرة في الصخر، وفوق الماء يقف (المارد) بعينين متقدتين وشعر أسود طويل يُرفرف في الريح.

ساقاه مفتوحتان فوق الثغرة، وقدماه مزروعتان على الجبلين على جانبيه، وترتفع كتفاه عن القمم المحززة. قدماه منحوتتان من الحجر المصمت، من الجرانيت الأسود نفسه كالجبلين البحريين اللذين يقف عليهما، وإن كان يرتدي حول وركيه تنورة مدرعة من البرونز المخضر، وواقى صدره من البرونز أيضاً، وكذا رأسه في خوذته الصغيرة ذات الريشة، أما شعره المُرفرف فمن حبال القنب

المصبوغة بالأخضر، وفي كهفي عينيهِ تشتعل بؤرتا نارٍ عظيمتان. على القمة اليسرى تستريح يده وقد تكوّرت أصابعه حول كتلةٍ من الحجر، ويده الأخرى مرفوعة في الهواء ممسكةً بمقبض سيفٍ مكسور.

قالت آريا لنفسها وهُم لا يزالون بعيدين في البحر: إنه أكبر من تمثال الملك بيلور في (كينجز لاندنج) قليلاً فقط، لكن مع دنوّ القاليون من البُقعة التي تتكسّر فيها الأمواج على خطِ الجُروف تعاضمَ حجم (المارد). كانت تسمع أبا دينيو يرفع عقيرته العميقة بالأوامر، في حين بدأ الرّجال يشدّون الحبال لإنزال الأشرعة. سينمر من بين ساقِي (المارد). رأت آريا فتحات الرّماية في وافي الصّدر البرونزي الضّخم، والبُقع على ذراعي التّمثال وكتفيه حيث تُعشّش طيور البحر، ورجعت برأسها إلى الوراء قائلةً لنفسها: بيلور المبارك لا يبلُغ طول رُكبتيه حتى. إنه يستطيع أن يخطو فوق أسوار (وينترفل) بكلِّ بساطة.

ثم أطلق (المارد) هديرًا عظيمًا.

صوته هائل مثله، مزيج شنيع من الأنين والصّري، هادر لدرجة أنه طغى على صوت الرّبان وارتطام الأمواج بتلك الجُروف المكسّوة بالصّنوبر. في لحظةٍ واحدة خلق ألف من طيور البحر، وانكمشّت آريا على نفسها إلى أن رأت دينيو يضحك وسمّعتَه يصيح: «إنه يُخطِر (الترسانة) بوصولنا لا أكثر. لا داعي للخوف».

ردّت صائحةً: «لم أكن خائفةً. الصّوت عالٍ فقط».

الآن أصبحت (ابنة المارد) في قبضة الرّياح والموج، فساقتها بسرعة صوب المجرى، وبنعومةٍ تحرّك صفاً مجاذيفها التي راحت تضرب المياه مكوّنةً رغوّةً بيضاء فيما سقط ظلُّ (المارد) عليهم. بدا لحظةً أنهم سيرتطمون حتمًا بالأحجار تحت ساقيه، وقد ربضت آريا عند المقدّمة مع دينيو متذوّقةً الملح الذي تركه الرّذاذ على وجهها.

حنت رأسها تمامًا إلى الـوراء لتـرى رأس التّمثال، ومبرّةً أخرى سمّعت العجوز نان تقول: «البرافوسيون يطعمونه لحم بنات عليّة القوم البطّازج الغصّ»، لكنّها ليست بنتًا صغيرةً، ولن يُخيفها تمثال سخيف! وعلى الرغم من هذا أبقت يدها على إبرتها وهُم يمرّون من بين ساقيه. رأت المزيد من فتحات الرّماية المصطّقة داخل الفخذين الحجريّتين العظيمتين، ولمّا لوت عنقها لشاهد منصّة المراقبة أعلى الصّاري تمرّ وفوقها عشر ياردات كاملة من الفراغ، لمحت عددًا من المزاغل ²⁷ تحت ثنّورة (المارد) المدرّعة، ووجوهًا شاحبةً تُحدّق إليهم من فوق من وراء قضبان حديدية.

ثم تجاوزوا التّمثال.

ارتفع الظلُّ وتراجعت الجُروف المكسّوة بالصّنوبر على الجانبين وهدأت الرّيح، ووجدوا أنفسهم يتحرّكون في هَوْرٍ ²⁸ عظيم.

أمامهم يقف جبل بحري آخر، كتلة من الصخر تبرز من الماء كقبضة شائكة تنتشر عليها كالشعيرات المنتصبة المقاذيف والعرّادات²⁹ ونافثات اللهب. «إنها ترسانة (برافوس)»، قال دينيو بفخر كأنه سيدها بنفسه. «يستطيعون أن يبنوا قادسًا حربيًا هنا في يومٍ واحد». رأت آريا عشرات القوادس المربوطة إلى المراسي والقابعة على أرصفة الإنزال، وطلت المقدمات المطلية لقوادس أخرى من عددٍ لا يُحصى من السقائف الخشبية ككلابٍ صيدٍ في وجارها، رشيقة شرسة جائعة تنتظر أن يدوي بوق الصياد ويستدعيها. حاولت أن تُحصيها لكنها وجدتْها كثيرةً للغاية، وهناك المزيد من الأحواض والسقائف والأرصفة حيث ينعطف خط الساحل مبتعدًا.

كان قادسان قد خرجا للقائهم منزلقين على الماء بخفة اليعاسيب ومجازيفهما الباهتة تومض في الضوء. سمعت آريا الرّبان يصيح لهما فيردُّ ربّاناهما الصّياح، لكنها لم تفهم الكلام. دوى نغير قويٍّ ومَرَّ القادسان على جانبيهما على مقربةٍ شديدة جعلتها تسمع دقات الطبول المكتومة الآتية من داخل بدنهما الأرجوانيين، يوم يوم يوم يوم يوم يوم، كخفقان قلبٍ حي.

ثم أصبح القادسان وراءهم وكذا (الترسانة)، وأمامهم امتدّت مساحة شاسعة من المياه الخضراء كالبازلاء، تترقّق كلوح من الرّجاج الملوّن، ومن قلبها البليل ترتفع المدينة نفسها، امتداد مترامي الأطراف من القباب والأبراج والجسور، رمادي وذهبي وأحمر. جُزر (برافوس) المئة في بحرّها.

لقد درّس لهم المايستّر لوين حقائق عن (برافوس)، لكن آريا نسيت معظم ما قاله. إنها مدينة مسطحة، وباستطاعتها أن ترى هذا حتى من بعيد، على عكس (كينجز لاندنج) القائمة فوق تلالها الثلاثة العالية. التلال الوحيدة هنا هي تلك التي بناها النّاس بالقرميد والجرانيت والبرونز والرّخام، وثمة شيء آخر غائب أيضًا، وقد استغرقت آريا عدّة لحظات حتى أدركته. المدينة بلا أسوار. لكن حين ذكرت هذا لدينيو ضحك منها، وقال: «أسوارنا من الخشب وملونة بالأرجواني. قوادسنا هي أسوارنا، ولسنا في حاجةٍ إلى سواها».

صرّ سطح السفينة من وراءهما، والتفتت آريا لتجد أبا دينيو واقفًا فوقهما في معطفه الصّوف الأرجواني الطويل. الرّبان التّاجر ترنيسيو تيريس حلق الوجه ويحرص على العناية بشعره الأشيب القصير وتشذيبه، ليصنع إطارًا حول وجهه المربّع الذي لوّحته الرّيح. كثيرًا ما رآته خلال الرّحلة يمزج مع أفراد طاقمه، لكن حين يتجهّم يفرد منهُ الرّجال كمًا يفرون من عاصفة، والآن كأن متجهّمًا وهو يقول لآريا: «رحلتنا في نهايتها. سننتجه إلى (المرفأ المربّع)، حيث سيصعد مأمورو جمارك أمير البحر إلى المتن لتفتيش مخازننا. سيقضون نصف يومٍ في العمل كالمعتاد، لكن ليس هناك ما يدعو إلى انتظارك فروغهم. اجمعني

حاجياتك، سأنزلُ قاربًا ليأخذك يوركو إلى البرّ.

عصّت آريا شفتها مفكّرةً: البرّ. لقد عبرت (البحر الضيّق) كي تصل إلي هنا، لكن لو سألتها الرّبّان لقاتل إنها تُريد البقاء على متن (ابنة المارد). ملحّة أصغر حجمًا من أن تعمل على مجذاف، وهي تعلم هذا الآن، غير أن بإمكانها أن تتعلّم كيف تجدل الحبال وتثني الأشرعة وتوجّه الدّفّة في البحار المالحة الفسيحة. في مرّة أخذها دين-يو إلى من-صّة المراقبة بالأعلى فلم تش-غر بأيّ خوف على الرغم من حج-م سطح السفينة الذي بدا ضئيلًا أسفلها. أجي-د الحسّاب أي-ضًا، وتنظيف القمّرات وتنسيقها.

لكن الق-اليون ليس في حاجةٍ إلى عامل نظاميّة ثانٍ، ثم إن ما علي-ها إلا أن تن-ظر إلى وجه الرّبّان لتري رغبت-ه الملحّة في الخ-لاص من-ها، وهكذا اكت-فت آريا ب-الإيماء، وقالت: «البرّ»، مع أن البرّ لا يعني إلا الغرباء.

مَسَّ جبهته بإصبعين قائلاً: «قالار دوهايرس. أرجو أن تتذكّري ترنيسيو تيريس والصنّيع الذي أسداك إياه». ردّت بصوتٍ خفيض: «سأفعل».

وشدّت الرّيح معطفها بإصرار الأشباح، وعلمت آريا أن وقت الرّحيل حان. قال الرّبّان أن تجمع حاجياتها، لكن حاجياتها قليلة للغاية، ليست أكثر من الثّياب على جسدها وصُرة الثّقود وهدايا الطاقم والخنجر على وركها الأيسر و(الإبرة) على الأيمن.

كان القارب جاهزًا قبلها، وجلسَ يوركو عند المجذافين بالفعل. هو أيضًا ابن الرّبّان، لكنه أكبر من دينيو وأقلُّ وُدًا. فكّرت وهي تنزل لتنضمّ إليه: لم أوّدع دينيو، وتساءلت إن كانت ستري الغلام ثانية. كان عليّ أن أوّدعه.

تضاءلت (ابنة المارد) وراءهم-ا بينما تع-اظمت الم-دينة مر-ع ك-لّ ضربةٍ بمج-ذافي ي-وركو، وبعي-دًا إلى يمين-ها لآح-د الموان-ي بش-بكته المع-قّدة من الأح-واض والأرص-فة المزدحمة عليها سُفن صيد الحيتان كبيرة البطن الآتية من (إيبين) والسُفن البجعيّة من (جُزر الصّيف) والقوادم الأكثر من أن تُحصيها الفتاة. إلى يسارها ميناء آخر أبعد، وراء مساحةٍ غائصة من اليابسة ترتفع فيها سطوح المباني شبه الغارقة فوق صفحة الماء. لم ترَ آريا كلّ هذا العدد من المباني الكبيرة معًا في مكانٍ واحد. في (كينجز لاندنج) هناك (القلعة الحمراء) و(سيّت بيلور الكبير) و(جُب الثّنانين)، في حين يبدو أن (برافوس) تزخر بعشرات المعابد والأبراج والقصور التي تُعادل تلك البنايات الثلاث أو تفوقها حجمًا. فكّرت بكآبة: سأعودُ فأرا من جديدٍ كما كنتُ في (هارنهال) قبل أن أهرب.

من حيث يقف (المارد) بدت المدينة كجزيرةٍ واحدة كبيرة، لكن إذ دنا بهما يوركو

رأت أنها جُزر صغيرة عديدة متقاربة، تربط بينها الجسور الحجرية المقنطرة الممتدة فوق قنـواتٍ لا تُحصـى. وراء الميناء أبصرت شـوارع منازلها من الأحجار الرمادية، متدانية لدرجة أن بعضها يميل على بعض، وقد بدت غريبة المنظر في عيني آريا بطوابقها التي تبـلـغ أربعة أو خمسةً وبنائها الرفيع للغاية وسطوحها المكسوة بالقرميـد والمـدبـبة كـالقـبـعات. لم تـرَ قـشـا على السطوح، ومن المنزل الخشبية التي تعرف مثلها في (وستروس) رأت القليل. تبين أن لا أشجار في المدينة. (برافوس) كلها من الحجر، مدينة رمادية في بحر أخضر.

توجّه يـوركـو بـهـما شـمال الميناء ودخل قنـاةً كبيرةً يقود مجراها الأخضر الواسع إلى قلب المدينة. مرّا تحت قنـاطر جسرٍ حجريّ نُقشت علىه عشرات من أشـكال السمك والسرطان والحبار، ثم ظهر أمامهم جسر ثانٍ منقوش بأشكال النباتات المعترشة المورقة، وبعده جسر ثالث يُحدّق إليهم من أعلى بالف عين مرسومة. على جانبيهما تنفتح مداخل قنـواتٍ أصغر، ومنها تتفرّع قنـوات أصغر فأصغر، ورأت آريا أن بعض المنزل مبني فوق الميـاه محوّلًا القنـوات إلى أنفاق بشـكل مـا، وبين المنازل تتحرّك قوارب رفيعة على شكل أفاع مائية برؤوس ملوّنة وذيول مرفوعة. تلك القوارب لا تتحرّك بالمجاديف وإنما بالعصي التي يدفعها رجال يقفون عند مؤخرة كلّ قارب في معاطف تتراوح ألونها بين الرمادي والبني والأخضر الطحلي الداكن. رأت أيضًا صنادل ضخمة مسطحة القيعان تتكدّس عليها عاليًا الأقفاص والبراميل ويدفع كلّ منها عشرون رجلًا بعصيّهم، ومنازل عائمة أنيقة ذات مصابيح من الزجاج الملون وستائر من المخمل وتماثيل مقدّمة نحاسية. بعيدًا، فوق القنـوات والمنـازل في آنٍ واحد، يرتفع ما يُشبه طريقًا ضخمًا من الحجر الرمادي، تحملـه ثلاثة صـفوف من القنـاطر الصلبة التي تبتعد جنـوبًا لتغيب في الضباب، فسألت آريا يونكو مشيرة: «ما هذا؟»، وأجابها: «نهر المياه العذبة، يجلبها من البرّ الرئيس عبر السهول الطينية والمياه المالحة الضحلة. مياه عذبة نقيّة للنوافير».

حين نظرت وراءها وجدت أن الميناء والهـور قد غابا عن بصرها، وأمامها رأت صفًا من التماثيل الكبيرة الواقفة على ضفتي القناة، تماثيل لرجالٍ وقورين من الحجر يرتدون ثيابًا طويلةً من البرونز لطختها فضلات الطيور البحرية، يحمل بعضهم كُتبًا وبعضهم خناجر أو مطارق، ويُمسك أحدهم نجمة ذهبية بيده المرفوعة، ويقلب آخر إبريقًا حجريًا يتدفق منه الماء في القناة بلا انقطاع. سألت آريا: «أهؤلاء آلهة؟».

أجابها يوركـو: «أمرء بحر. (جزيرة الآلهة) أبعد قليلًا. هل ترينها؟ بعد ستة جسور على الضفة اليمنى. هذا (معبد شدة القمر)».

كان أحد المعابد التي لمحتّها آريا من الهـور، كُتلة هائلة من الرخام الأبيض

كالثلج تعلوها قبة مفصصة ضخمة، وتُظهر نوافذه المصنوعة من الزجاج اللبني أطوار القمر، وقد وقفت فتاتان من المرمر على جانبي بوابته، كلتاهما طويلة كأمرء البحر ومعًا تدعمان عتبةً عليا على شكل هلال.

ووراءه يقف معبد آخر، صرح من الحجر الأحمر يبدو مهيبًا كأَيِّ قلعة، وعلى قمة بُرجة المربع العظيم تشتعل النار في مستوقدٍ حديدي عرضه عشرون قدمًا، بينما تتقد ناران أصغر على جانبي بابه النحاسي. قال لها يوركو: «الرهبان الأحمر يحبون النار. إله الضياء ربهم، راهلور الأحمر».

أعرفُ. تذكرت آريا ثوروس المايري بقطع الدروع القديمة التي يرتديها فوق ملابس بهتت لدرجة أنه بدا كراهبٍ وردي لا أحمر، وعلى الرغم من ذلك أعادت قبْلته اللورد بريك من الموت. شاهدت بيت الإله الأحمر يمر وهي تتساءل إن كان بإمكان رهبانه البرافوسيين أن يفعلوا الشيء نفسه.

بعده كان بناء ضخم من القرميد تنبت على جذرانه الأشنة، وكانت آريا لتظنّه مخزنًا لولا أن يوركو قال: «هذا هو (الملاذ المقدّس)، حيث نُكرّم الآلهة الصغيرة التي نسيها العالم. ستسمعِين النَّاس يُسمُّونه (جُحر الأرانب) أيضًا». بين جُدران (جُحر الأرانب) العالية المغطاة بالأشنة تمضي قناة صغيرة، فوجّه يوركو القارب يمينًا ليمرّ من نفقٍ سرعان ما خرجا منه إلى الضوء مجددًا، ورأت آريا على جانبيهما مزيدًا من المقامات، فقالت: «لم أكن أعلم أن هناك آلهة بهذه الكثرة».

أصدرَ يوركو خوارًا، ودارا حول منعطفٍ ثم عبرا تحت جسرٍ آخر، وعلى يسارهما ظهرت هضبة صخرية مدوّرة يستقرُّ على قمّتها معبد من الحجر الرّمادي القاتم يخلو من النّوافذ، وتقود درجات حجرية من بابه إلى مرسى مغطى.

سحبَ يوركو المجذافين ليرتطم القارب برفقٍ بالدّعائم الحجرية، ومدَّ يده يُطبق على حلقةٍ حديدٍ مثبتةٍ لإبقائهم في مكانهم، وقال لها: «هنا أترككِ».

رأت آريا المرسى مظللًا والسّلاالم عاليةً، وسقف المعبد المبني بالقرميد الأسود يرتفع في قمةٍ حادّةٍ كالمنازل المطلة على القنوات، ومضغت شفتها مفكّرةً: سيرى أُنّى من (برافوس). ربما زارَ هذا المعبد، ربما تسلق هذه الدّرجات، ثم أمسكت حلقةً ودفعَت نفسها إلى المرسى.

قال يوركو من القارب: «تعرفين اسمي».

- «يوركو تيريس».

قال: «قالار دوهايَريس»، ودفعَ القارب بمجذافٍ وعادَ يَمُخِر المياه العميقة، وشاهدته آريا يعود أدراجه إلى أن غابَ في ظلّ الجسر، وإذ تلاشى صوت المجذافين خيّلَ لها أنها تسمع نبض قلبها. فجأةً أضحت في مكانٍ آخر... في (هارنهال) مع جندري ربما، أو مع كلب الصيد في الغابة على ضفاف (الثالوث). قالت لنفسها: ملحة طفلة حمقاء. أنا ذئبة، ولن أخاف، وربّبت على مقبض إبرتها

طلبًا للخطِّ واندفعت وسط الظلال صاعدةً السَّلالِم درجتين درجتين كي لا يقول أحد أبدًا إنها خائفة.

عند القمة وجدت بابًا بمصراعين خشبيين يرتفعان اثني عشر قدمًا، الأيسر من خشب الويروود الشَّاحِب كالعظام، والأيمن من الأبنوس اللَّامع، وفي منتصفهما نُقشَ وجه مستدير كالقمر، أبنوس على جانب الويروود وويروود على جانب الأبنوس. ذكرها شكله بعض الشيء بشجرة القلوب في أيكَة الآلهة في (وينترفِل)، وفكرت: الباب يُراقِبني. دفعت المصراعين في آن واحدٍ براحتي يديها المقفَّرتين لكنهما لم يتزحزحا. موصدان ومزجان. قالت للباب: «أدخلني أيها الأحمق. لقد عبرتُ (البحر الضيق)»، وكوّرت قبضتها ودقّت مواصلةً: «چاكن قال لي أن آتي. معي عملة حديد»، وأخرجتها من كيسها ورفعتها مضيفةً: «أترى؟ قالار مورجولس».

ولم يُجر الباب جوابًا إلَّا بالانفتاح.

انفتح المصراعان إلى الدَّاخل بصمتٍ تام دون أن تُحرَّكهما يد إنسان، وتقدّمت آريا خطوةً ثم أخرى، قبل أن ينغلق الباب وراءها ليتمضي لحظة وقد كفَّ بصرها، ووجدت إبرتها في يدها وإن كانت لا تذكّر أنها استلتها.

كانت شموع قليلة مشتعلةً عند الجدران، لكن ضوءها خافت للغاية حتى إن آريا لا ترى قدميها، وتناهى إلى مسامعها همس أحدهم بخفوتٍ شديد فلم تُميّز الكلام. سمعت أيضًا بُكاء شخصٍ غيره، وخُطواتٍ خفيفةٍ لقدمين يحتكُ نعلاهما الجِلد بالأرض الحجريّة، وبابًا يُفتح ويغلق. وماء، أسمعُ خرير ماء أيضًا.

بـبطءٍ تكـيّفـت عينـها مـرـع العتمـة، وبـدا المعبـد مـن الـدّاخل أكبر كـثـيرًا ممـا بـدا مـن الخـارج. لسـيـتـات (وسـتروس) سـبـعة جـوانب وفـي كـلٍّ مـنـها سـبـعة مـذابح للـسـبـعة آلهة، لكن الآلهة هنا أكثر من سبعة، تقف تماثيلها عند الجدران عملاقةً متوعدةً، وحول أقدامها يتذبذب ضوء الشموع الحمراء الخافت كالنجوم البعيدة. أقربها امرأة من المرمر طولها اثنا عشر قدمًا، ومن عينيها تنضح عبرات حقيقيّة لتملأ الوعاء الذي تحمله بين ذراعيها، ووراءها رجل له رأس أسدٍ جالس على عرش من الأبنوس، وعلى جانب الباب الآخر يرفع جواد من البرونز والحديد قائمته الأماميتين العظيمتين. على مسافةٍ أبعد ميّزت وجهًا حجريًا كبيرًا، ووضيعةً شاحبًا في يده سيف، وكبشًا أسود أشعث بحجم ثور بري، ورجلاً مغطى الرأس يتكئ على عُكاز، أمّا البقية فلاحت لها كمجرّد أشكالٍ غامضةٍ شبه مرئيةٍ في العتمة. بين الآلهة ثمة فجوات في الجدران تملأها الظلال، وهنا وهناك شمعة موقدة.

بصمت الظلال سارت آريا بين صقّين من الدِّكك الحجريّة الطويلة وسيفها في يدها، وقالت لها قدماها إن الأرضيّة من الحجر الخشن وليس الرُّخام المصقول كما في (سيّت بيلور الكبير). مرّت ببضع نساء يتهاَمسن وهي تحسُّ بالهواء

دافئًا ثقيلًا، ثقيلًا لدرجة أنها تثاربت، واشتممت رائحة الشموع أيضًا، وإن كانت غير مألوفة لها، فقدّرت أنه نوع غريب من البخور، لكن مع توغلها في المعبد أكثر بدأ كأن للشموع روائح الثلج وإبر الصنوبر واليخنة الساخنة. قالت آريا لنفسها: روائح طيبة، وأحسّت بشجاعة أكبر بعض الشيء، كفيّلة بأن تجعلها تدس إبرتها في غمدها.

في منتصف المعبد وجدت الماء الذي سمعت خبره، بركة عرضها عشرة أقدام سوداء كالحرير مُضاءة بالشموع الحمراء شاحبة الضوء، وإلى جوارها يجلس شاب في معطف يميل لونه إلى الفضي يبكي بصوت خافت. شاهذته يغمس يده في الماء صانعًا تموجات قرمزية على صفحة الماء، وحين سحبها راح يمص أصابعه واحدًا تلو الآخر. لا بُدّ أنه عطشان. على حافة البركة أكواب حجرية، فملأت آريا أحدها وأخذته إليه ليشرب، وحملق الشاب إليها وهلة طويلة حين قدّمته له، قبل أن يقول: «قالار مورجولس».

ردّت: «قالار دوهائرس».

عَبّ الماء عبًا، ثم ترك الكوب يسقط في البركة محدثًا صوتًا خفيًا، ثم دفع نفسه إلى النهوض مترجّحًا وقد وضع يده على بطنه، وحسبت آريا لحظة أنه سيقع.

عندها فقط رأت البقعة الداكنة تحت حزامه تتسع، فاندفعت تقول: «أنت مطعون»، لكن الشاب لم ينتبه لها، وتحرّك بلا ثبات نحو الجدار ودخل إحدى الفجوات ليمتدّد على سرير من الحجر القاسي. تطلعت آريا حولها فرأت مزيدًا من الفجوات، وفي بعضها ينام أناس مسنون.

ومن أعماق ذاكرتها سمعت صوتًا كأنه يهمس في رأسها قائلاً: لا، إنهم موتى، أو يموتون. انظري بعينيك.

ثم مست يد كتفها.

دارت آريا مبتعدة، لكنها لم تجد إلا فتاة صغيرة شاحبة في رداء مزود بقلنسوة يكاد يبتلعها، أسود على اليمين وأبيض على اليسار، وتحت القلنسوة وجه ناحل مهزول وخدّان أجوفان وعينان داكنتان تبدوان كبيرتين كصحون الفناجين. قالت آريا للقيطة محدّرة: «لا تمسكيني. لقد قتلت آخر صبي أمسكني»، ولمّا ردّت الفتاة بكلام لم تفهمه هزت رأسها وسألتها: «ألا تعرفين اللغة العامية؟».

قال صوت من ورائها: «أنا أعرفها».

لم ترق آريا الطريقة التي يُباغتونها بها. رأت رجلًا طويلًا تُخفي وجهه قلنسوة ردائه الذي يعدّ نسخة أكبر من الذي ترتديه الفتاة، وتحت القلنسوة لا تلوح إلا لمعة الشموع الحمراء الخافتة المنعكسة في عينيه. سألته: «ما هذا المكان؟».

أجابها بصوتٍ رفيعٍ: «مكان للسلام. أنتِ آمنة هنا. هذه هي (دار الأبيض والأسود) يا صغيرتي، وإن كنتِ أصغر من أن تنشدي هدية الإله عديد الوجوه».

- «أهو كالإله الجنوبي ذي الوجوه السبعة؟».

- «سبعة؟ لا. إن وجوهه لا تُحصى أيتها الصغيرة، وجوه بعدد ما في السماء من نجوم. في (برافوس) يتعبد الناس كما يشاؤون... لكن في نهاية كلِّ طريق يقف هو ذو الوجوه العديدة منتظرًا. سيكون في انتظاركِ ذات يوم، لا تخافي، فلا تتعجلي ضمته».

- «لم آتِ إلَّا لأجد چاكن هاجار».

- «لستُ أعرفُ هذا الاسم».

قالت وقد غاص قلبها بين قديميها: «إنه من (لوراث)، وشعره أبيض على جانب وأحمر على الآخر. قال إنه سيُعَلِّمُني أسرارًا وأعطاني هذه». كانت تقبض على العملة الحديد، وعندما فتحت أصابعها ظلت ملتصقةً بكفها المبللة بالعرق.

أمعن الكاهن النظر إلى العملة وإن لم يُحاول أن يلمسها، وتطلعت إليها اللقطة ذات العينين الكبيرتين، وأخيرًا قال الرجل ذو القلنسوة: «أخبريني باسمكِ أيتها الصغيرة».

- «ملحة. جئتُ من (الملاحات) على نهر (الثالوث)».

على الرغم من أنها لا ترى وجهه فإنها بشكلٍ ما أحسَّت به يبتسم وهو يقول: «لا. أخبريني باسمكِ».

أجابت هذه المرة: «الكتكوت».

- «اسمكِ الحقيقي أيتها الصغيرة».

- «أمِّي سمَّتني نان، لكنهم كانوا يدعونني ببنت عرس...».

- «اسمكِ».

ابتلعت ريقها، وقالت: «آري، أنا آري».

- «أقتربت. والآن الحقيقة».

أخبرت نفسها: ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ثم قالت: «آريا». في المرة الأولى همست بالاسم، وفي الثانية ألقت في وجهه: «أنا آريا سلية عائلة ستارك».

قال: «أنتِ كذلك، لكن (دار الأبيض والأسود) ليست مكانًا لآريا سلية عائلة ستارك».

- «أرجوك، ليس هناك مكان أذهب إليه».

- «هل تخافين الموت؟».

عَصَّتْ شَفَتَهَا مَجِيبَةً: «لا».

قَالَ الْكَاهَنُ: «لَنَرِ إِذْنَ»، وَأَنْزَلَ قَلَنْسُوتَهُ. تَحْتَهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ،
وَأَنْمَأَ جَمْعُ مَصْفَرَّةٍ مَا زَالَتْ بَعْضُ رُقْعِ الْجِلْدِ مَتَشَبِّثَةً بِوَجْنَتَيْهَا،
وَتَمَّةٌ دُودَةٌ بِيضَاءٍ تَخْرُجُ مَتَلَوِيَّةً مِنْ أَحَدِ الْمَحْجَرَيْنِ الْخَاوِيَيْنِ، وَبَصُوتٍ جَافٍ
مَبْحُوحٍ كَخَشْخَشَةِ الْمَوْتِ هَمْسَ الرَّجُلِ: «قَبِّلْنِي أَيْتَهَا الصَّغِيرَةُ».

هَلْ يُرِيدُ أَنْ يُخِيفَنِي؟ قَبَّلَتْهُ آرِيَا حَيْثُ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ أَنْفُهُ، وَالتَقَطَتْ دُودَةَ الْقُبُورِ
مِنْ عَيْنِهِ لِتَأْكُلَهَا، لَكِنَّا تَلَاشَتْ كَظِلٍّ فِي يَدِهَا.

وَتَلَاشَتْ الْجَمْعُ مَصْفَرَاءَ أَيْضًا، وَأَمَامَ آرِيَا كَانَ وَجْهٌ أَطْيَبُ رَجُلٍ رَأَتْهُ فِي حَيَاتِهَا
يَبْتَسِمُ لَهَا قَائِلًا: «لَمْ يُحَاوِلْ أَحَدٌ أَنْ يَأْكُلَ الدُّودَةَ مِنْ قَبْلِ. أَنْتِ جَائِعَةٌ أَيْتَهَا
الصَّغِيرَةُ؟».

أَجَابَتْ فِي أَعْمَاقِهَا: نَعَمْ، لَكِنَّا لَيْسَ جُوعًا لِلطَّعَامِ.

سرسي

انهزمَ المطر البارد محيلاً لون أسوار القلعة ومتاريسها إلى حُمْرٍ قانية كالدم، بينما أمسكت الملكة الملك من يده وقادته بحزمٍ عبر السّاحة الملوّثة بالأوحال إلى حيث ينتظر الهودج ومُرافقوه، لكن الصّبي قال معترضاً: «الخال چايمي قال إنه يُمكنني أن أركب حصاني وألقي البنسات للعامة».

- «هل تُريد أن تُصاب بالبرد؟». لن تُجازف بحدوث ذلك، فتومن لم يكن قوياً كچوفري قط. «كان جدك لُريد أن يليق مظهرك بالملوك حين تحضر تأبينه. لن نظهر في (السّبت الكبير) مبتلين متّسخين». سيّئ بما فيـه الكفاية أن علـي أن أرتدي ملابس الـجِداد ثانيّة. ليس الأسـود باللون البهيج عليـها البتّة، ومـرع بشـرتها البـصّة يجعلها هي نفسها تبدو أقرب إلى جثّة. كانت سرسي قد استيقظت قبل ساعة من الفجر لتستحم وتُصَفِّف شعرها، ولا تنوي أن تترك المطر يُفسد جهودها.

دخل الهودج أسنداً تومن ظهره إلى وسائده وتطلّع إلى المطر السّاقط في الخارج قائلاً: «الآلهة تبكي جدّي. الليدي چوسلين تقول إن قطرات المطر دموعها».

- «چوسـلين سـويغت حمقـاء. لو كانت الآلهة تبكي لبكت أخاك. المطر هو المطر. أغلق السّتارة قبل أن تُدخل المزيـد. هذا المعطف من فرو الـسمّور، هل تُريـده أن يبتل؟».

فعلَ تومن كما أمرته، وإن أقلقها خنوعه. المفترض أن يكون الملك قوياً. كان چوفري لُجّادٍ لني. إنه لم يكن سهل الإخضاع قط. قالت لتومن: «لا تجلس متراخياً هكذا، أعد كتفيك إلى الوراء واضبط تاجك. هل تُريد أن يقع من فوق رأسك أمام جميع لورداتك؟».

قال الصّبي: «لا يا أمّاه»، واعتدلَ في جلسته ومدّ يده يضبط تاجه الذي اعتمره خوف من قبله، وإن كان كبيراً على تومن. لطالما مالَ جسد ابنها إلى الامتلاء، غير أن وجهه يبدو أنحل الآن. هل يأكل جيّداً؟ يجب أن تتذكّر أن تسأل الوكيل. لن تُخاطر بأن يمرض تومن، خصوصاً مع وجود مارسلا في أيدي الدورنيين. مع الوقت سيكبر ويُناسبه تاج چوف. وحتى ذلك الحين فربما يحتاج إلى واحدٍ أصغر لا يُهدّد بابتلاع رأسه. ستُفَاتِح الصّاغة بالأمر.

شقّ الهودج طريقه البطيء نازلاً (تَل إجون العالي)، يتقدّمه رجلان من الحرس الملكي، فارسان أبيضان على حصانين أبيضين ومن أكتافهما يتدلّى معطفان أبيضان تشبّعاً بالماء، وفي المؤخّرة خمسون من حرس لانستر يرتدون الذهبى والقرمزي.

اختلسَ تومن النّظر إلى الشّوارع الخالية من بين السّتائر، وقال: «حسبتُ أنه

سيكون هناك ناس أكثر. حين مات أبي خرج الجميع ليُشاهدوا موكبنا». - «المطر دفعهم إلى الدُخول». لم تحبّ (كينجز لاندنج) اللورد تايوين قطُّ. لكنه لم يرغب في الحُبِّ على كلِّ حال. ذات مرّة سمعته يقول لچايمي: «لا يُمكنك أن تأكل الحُب، أو تبتاع به حصانًا، أو تُدفئ به بيتك في ليلة باردة». حينئذٍ لم يكن أخوها أكبر من تومن.

عند (سِيت بيلور الكبير)، ذلك البناء الرُّخامي المهيب على قِمّة (تَل فيزينا)، بدت بوضوح قلة أعداد المعزّين مقارنةً بذوي المعاطف الذهبية الذين نشرهم السير أدام ماربراند في السّاحة. قالت الملكة لنفسها بينما ساعدّها السير مرين ترانت على النزول من الهودج: سيظهر المزيد لاحقًا. ليس مسموحًا إلا للنبلاء وحاشيتهم بحضور مراسم العزاء الصّباحية، على أن تُقام مراسم أخرى للعوام بعد الظهر، ثم تُفتح الصّلاة للجميع في المساء. على سرسي أن تعود لحضور الأخيرة كي يراها العامّة تنـدب الفقيد، فلا بدّ أن يُنـصب للغوغاء العـرض الـذي ينتظرونـه. مسـألة مزعـجة. إن عليـها أن تجـد من يشـغل المناصـب الشّاغرة وتـربح الحـرب وتـحمّكم المملـكة، وكان أبوها ليتفهم هذا.

على قِمّة الدّرج قابلهما السيّتون الأعلى، رجل عجوز محنيّ الظهر له لحية شائبة خفيفة، أثقل كاهله رداؤه المطرّز المنمّق لدرجة أن عينيه صارتا في مستوى نهدي سرسي... ولو أن تاجه بالغ الفخامة المصنوع من البلّور والذهب المغزول أضاف إلى طوله قدمًا ونصفًا دفعةً واحدة. اللورد تايوين هو من أعطاه هذا التّاج بدلًا من الآخر الذي ضاع حينما قتل الرّعاع السيّتون الأعلى السّابق. يومها سحبوا الأحمق البدين من هودجه ومزّقوه إربًا، اليوم نفسه الذي أبجرت فيه مارسلا إلى (دورن).

الآخر كان نهمًا سهل الانقياد، أمّا هذا... تذكّرت سرسي بغتةً أن السيّتون الأعلى صنّعة تيريون، وأزعجتها الفكرة كثيرًا.

بدت يد العجوز المبقّعة أشبه بمخلب دجاجةٍ إذ مدّها من داخل كُمّه المحلّي بزخارف قشرة الذهب والبلّورات الصّغيرة. ركعت سرسي على الرُّخام المبتل وطلبت من تومن أن يحذو حذوها سائلةً نفسها: ما الذي يعرفه عني؟ يمّ أخبره القزم؟ ابتسم السيّتون الأعلى وهو يقودهما إلى داخل السيّت، لكن أهّي ابتسامة تهديدٍ من عليم ببواطن الأمور أم مجرد اختلاجةٍ بلهاء لشفتي العجوز المتغصّنين؟ ليست الملكة متأكّدة من الجواب.

شرفًا طريقهما ويـد تـومن فـي يـدها عبـر (بـهو القنـاديل) تحـت كُرات الرُّجـاج المـطلـي بالـرّصـاص المـلـوّن، وقـد سـار تـرانت وكتـلب لـاك علـى جانبيـهما والمـاء يتقـاطر مـن معطفيـهما المـبتلّين لـيُكوّن برّكًا علـى الأرض، والسيّتون الأعلى يتحرّك ببطءٍ

مَتَكَ نَأَى عُنَاكَ مِنْ خَشَبِ الْوَيْرُودِ تُتَوَّجُهُ كُرَّةٌ مِنَ الْبَلُّورِ، وَفِي صُحْبَتِهِ سَبْعَةٌ مِنْ مَجْلِسِ الْقَائِمِينَ يَتَأَلَّقُونَ فِي ثِيَابِهِمُ الْمَفْصَلَةَ مِنْ قُمَاشِ الْفُضَّةِ. كَانَ تَوْمن يَرْتَدِي قُمَاشَ الذَّهَبِ تَحْتَ مَعْطَفِ فِرْوِ السَّمُورِ، وَالْمَلِكَةُ قُسْتَانًا قَدِيمًا مِنَ الْمَخْمَلِ الْأَسْوَدِ الْمَوْشَى بِفِرْوِ الْقَاقُومِ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقْتُ لَتَفْصِيلِ وَاحِدٍ جَدِيدٍ، وَلَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَرْتَدِي الْقُسْتَانِ نَفْسَهُ الَّذِي حَضَرَتْ بِهِ جَنَازَةَ چَوْفَرِي أَوْ الَّذِي ذَهَبَتْ تَدْفِنُ رُوبَرْتِ فِيهِ.

عَلَى الْأَقْلَلِ لَنْ يَنْتَظِرَ مِنْ يَ أَحَدٌ أَنْ أَرْتَدِي ثِيَابَ الْإِحْدَادِ عَلَى تَيْرِوِنِ. مِنْ أَجْلِ هِ سَأَرْتَدِي الْحَرِيرَ الْقِرْمَازِيَّ وَقُمَاشَ الذَّهَبِ وَأَزِينُ شَعْرِي بِالْيَاقُوتِ. لَقَدْ أَعْلَنْتُ أَنْ مَن يَأْتِيهَا بِرَأْسِ الْقَزْمِ سَيُرْفَعُ إِلَى مَرْتَبَةِ لُورْدٍ مَهْمَا كَانَ مَوْلِدُهُ وَعَمَلُهُ وَضِعُّهُ، وَالْآنَ تَحْمِلُ الْغِدْفَانَ وَعِدْهَا إِلَى أَرْجَاءِ (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ) كُلِّهَا، وَقَرِيبًا سَيَعْبُرُ الْخَبْرُ (الْبَحْرَ الضَّيِّقَ) وَيَبْلُغُ تَسْعَةَ الْمُدُنِ الْحُرَّةِ وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ بِلْدَانٍ. فَلْيَهْرَبِ الْعِيفَرِيَّةُ إِلَى أَقْصَايِ الْأَرْضِ، فَلَنْ يَفْلَتَ مِنْ يَ.

مَرَّ الْمُوَكَّبُ الْمَلِكِي مِنَ الْبَابِ الدَّاخِلِيِّ إِلَى قَلْبِ (السَّيِّتِ الْكَبِيرِ) الْفَسِيحِ، وَقَطَعَ مَمْشًى وَاسِعًا هُوَ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعَةٍ تَلْتَقِي تَحْتَ الْقُبَّةِ. إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ رَكَعَ الْمَعْزُونُ مَرَّةً مَرُورَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ، وَقَدْ حَضَرَ كَثِيرُونَ مِنْ حَمَلَةِ رَايَةِ أَبِيهَا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى فُرْسَانِ قَاتِلُوا إِلَى جِوَارِ الْلُورْدِ تَايُوِينِ فِي مَعَارِكِ عَدَّةٍ، فَأَكْسَبَتْهَا رُؤْيَتُهُمْ مَزِيدًا مِنَ الثِّقَةِ. لَسْتُ بِأَصْدَقَاءِ.

تَحْتَ قُبَّةِ (السَّيِّتِ الْكَبِيرِ) الشَّامُخَةِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْبَلُّورِ كَانَ جُثْمَانُ الْلُورْدِ تَايُوِينِ لَانِسْتَرِ مَسْجًى فَوْقَ مَنْصَةِ مَدْرَجَةٍ مِنَ الرُّخَامِ، عِنْدَ رَأْسِهَا يَقِفُ

چَايْمِي مُؤَدِّيًا شَعِيرَةَ السَّهْرِ ³⁰ وَتُطَوَّقُ يَدَهُ السَّلِيمَةُ مَقْبُضُ سَيْفٍ عَظِيمٍ مِنَ الذَّهَبِ يَسْتَقِرُّ رَأْسُهُ عَلَى الْأَرْضِ. الْمَعْطَفُ ذُو الْقَلْنِسُوءَةِ الَّذِي يَرْتَدِيهِ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ الطَّازِجِ، وَحُلَقَاتُ سُتْرَتِهِ الْمَعْدَنِيَّةُ الطَّوِيلَةُ مِنْ عِرْقِ الْهَلُولُؤِ الْمَرْصَعِ بِالذَّهَبِ، وَهُوَ مَا جَعَلَ سِرْسِي تَقُولُ لِنَفْسِهَا: كَلَّا إِنَّ الْلُورْدَ تَايُوِينِ لَيُرِيْدُهُ أَنْ يَرْتَدِيَ الْذَهَبِيَّ وَالْقِرْمَازِيَّ كَلَانِسْتَرِ. لَطَالَمَا أَغْضَبَهُ أَنْ يَرَى چَايْمِيَّ مُرْتَدِيًا الْأَبْيَضَ. كَانَ أَخُوهَا قَدْ بَدَأَ يُطْلِقُ لِحِيَّتَهُ مِنْ جَدِيدٍ أَيْضًا، فَغَطَّى الزَّغَبُ فَكَّهُ وَوَجَنْتِيهِ مَضْفِيًّا عَلَيْهِ مَظْهَرًا خَشِنًا فَظًا.

كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى يُدْفَنَ رُفَاتُ أَبِينَا تَحْتَ (الصَّخْرَةِ) عَلَى الْأَقْلَلِ.

صَعَدَتْ سِرْسِي بِالْمَلِكِ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ قَصِيرَةٍ لِيَرَكِعَا إِلَى جِوَارِ الْجُثْمَانِ، وَلَمَّا رَأَتْ عَيْنَيَّ تَوْمن مَمْتَلِئَتَيْنِ بِالْأَدْمُوعِ مَالَتْ عَلَيْهِ قَائِلَةً: «أَبُكَ بِصِمْتٍ. أَنْتَ مَلِكٌ لَا طِفْلَ صَارَخَ. لُورْدَاتُكَ يُشَاهِدُونَكَ»، فَمَسَحَ الصَّبِي دُمُوعَهُ بِظَهْرِ يَدِهِ. إِنَّ لَهُ عَيْنِيهَا، عَيْنَيْنِ خَضِرَاوِينِ كَالزَّمْرَدِ وَكَبِيرَتَيْنِ كَعَيْنَيَّ چَايْمِي حِينَ كَانَ فِي سِنِّهِ. لَطَالَمَا كَانَ أَخُوهَا صَبِيًّا جَمِيلَ الطَّلَعَةِ... وَإِنَّمَا قَوِي أَيْضًا، قَوِي كچَوْفَرِي، شَبْلُ ابْنِ أَسَدٍ. طَوَّقتِ الْمَلِكَةُ تَوْمن بِذِرَاعِهَا

ولثمت خُصلاته الذهبية مفكّرةً: سيحتاج إليّ كي أعلمه كيف يحكم وأحميه من أعدائه. ومنهم من يُحيطون بهما في هذه اللحظة، يتظاهرون بأنهم أصدقاء.

كـانت الأخوات الصّامتات قد ألبسن اللورد تاويين أفضل دروعه كـأنما يستعدّ لمعركة أخيرة. هـكذا ارتدى الفولاذ الثقيـل المطلـي بالمينا القـرمزي القـاني والمحلّى بالزّخرفة الذهبية على قُفّازيه وواقِيي ساقيه وواقِي صدره، مع الأقراص الواقية ذات أشكال الشّمس الذهب المتفجّرة، وقد قبعت لبؤة ذهبية على كلّ كتف، واتّخذت ريشة الخوذة العظيمة الموضوعة إلى جوار رأسه شكل أسدٍ غزير اللبدة، وعلى صدره استقرّ سيفه الطويل في قرابٍ مذهب مرصّع بالياقوت، تُحيط يداه بمقبضه في قُفّازين من الحلقات المعدنية المذهّبة. حتى في الموت يبدو وجهه نبيلًا، مع أن فمه... كان رُكنا شفّتي أبيها منحنيّين إلى أعلى على نحوٍ طفيف للغاية، لتبدو عليه سيماء الاستمتاع الغامض. لا يُفترّض أن يبدو هكذا. لامت پايسل الذي كان عليه أن يُخبر الأخوات الصّامتات بأن اللورد تاويين لانستر لم يبتسم قطّ.

ذلـك الرّجـل عـديم الفأـدة كحلمتـين علـى واقـي الصـدر. تلـك الـابتسـامة الخافـة تجعـل اللـورد تاويـن يـبدو أقـلّ مـهابةً بشـكل مـرأ، بالإضـافة إلـى حقيـقة أن عينيـه مغلقـتان. دائـمًا كانت عينا أبيها مشيرتين للتوجّس، لونهما الأخضر الشّاحب يكاد يكون مضيئًا، وفيهما شذرات من الذهب، وكانت نظراته تسير أغوارك وترى كم أنت ضعيف تافه قبيح من الدّاخل. كنت تعرف حين ينظر إليك أن نظراته تخرقك.

بلا دعوةٍ استعادت ذكرى المأدبة التي أقامها الملك إيرس لدى مجيء سرسي إلى البلاط أول مرّة، فتاة خضراء كالعُشب في الصّيف. كان ميريوذر العجوز يُثرثر عن زيادة الجمارك على الخمور عندما قال اللورد ريكز: «إذا كنا نحتاج إلى الذهب فحريّ بجلالته أن يجلس اللورد تاويين على وعاء فضلاته»، فدوّت ضحكات إيرس ومناققيه، في حين حدّق أبوها إلى ريكز من فوق كأسه، وطويلاً بعد خبّو المرح ظلت نظرتة مسلّطة على ريكز الذي أشاح بوجهه ثم عادَ ينظر في عيني أبيها، قبل أن يتجاهلها ويشرب دورقًا من المِزر ويُغادر بوجهٍ محتقن وقد هزمت عينا لا تطرفان.

عينا اللورد تاويين هاتان انغلقتا إلى الأبد. الآن ستُجفّلهم نظراتي أنا، وعليهم أن يخافوا عبوسي أنا. إنني أسد أيضًا.

مع تلبّد السّماء بالغيوم في الخارج كان الضّوء معتمًا داخل السيّت، لكن إذا توقفت الأمطار سيتدفق نور الشّمس عبر البلورات المعلقة ليكسو الجُثمان بأقواس قزح، وسيّد (كاسترلي روك) يستحق أقواس قزح. لقد كان رجلًا عظيمًا. لكنني سأكون أعظم. بعد ألف عامٍ من الآن، حين يُدوّن المايسترات وقائع زماننا هذا، لن يتذكرك أحد إلا باعتبارك والد الملكة سرسي.

شَدَّ تومن كَمَّها قائلًا: «أُمِّي، ما هذه الرَّائحة؟».

قالت لنفسها: رائحة السيِّد والدي، وقالت له: «الموت». هي أيضًا تشمُّها؛ رائحة تعفُّن ضعيفة جعلت أنفها يُريد أن يتقلَّص، لكن سرسي لم تُعرها اهتمامًا. كان السيِّتُونات السَّبعة واقفين وراء النَّعش يتضرَّعون إلى (الأب في الأعالي) أن يَحْكُم على اللورد تاويين بالعدل، وحين فرغوا اجتمعت سبع وسبعون سيِّتة أمام مذبح (الأم) وشرعن يترنَّمن متوسِّلاتٍ رحمتها. عندئذٍ كان تومن قد بدأ يتملَّل، وحتى الملكة نفسها بدأت رُكبتاها تُؤلِّمانها. ألقت نظرةً نحو چايمي، فرأت توأمها واقفًا كأنه منحوت من الحجر، يَرْفُض أن تلتقي عيناه عينيها.

على الدِّكِّ ركعَ عمُّهما كيغان بكتفين محنَّتين وإلى جواره ابنه. لانسل يبدو أسوأ من أبي. على الرغم من أن سيِّته لا تتعدَّى السَّابعة عشرة فمن الممكن أن تحسبه في السَّبعين، بوجهه المريد وهزاله وخديَّه الأجوفين وعينه الغائصتين وشعره الأبيض الهش كالطباشير. كيف يظلُّ لانسل بين الأحياء ويموت تاويين لانستر؟ هل فقدت الآلهة عقلها؟ راح اللورد جايلز يسعُلُ أكثر من المعتاد ويُغَطِّي أنفه بمنديل مربَّع من الحرير الأحمر. هو أيضًا يشمُّ الرَّائحة. وأغلق المايستر الأكبر پايسل عينيه. إذا غابَ في النَّوم فأقسمُ أن أمر بجلده. إلى يمين النَّعش ركعَ آل تايرل؛ سيِّد (هايجاردن) وأُمُّه الشَّنيعة وزوجته السَّمجة وابنه جارلان وابنته مارچري. أخبرت نفسها مذكِّرةً: الملكة مارچري. أرملة چوفري وعروس تومن المقبلة. تُشبه مارچري أخاها فارس الزُّهور كثيرًا، فتساءلت الملكة إن كانت ثمة أشياء أخرى مشتركة بينهما. وردتنا الصَّغيرة حولها ليديها عديدات يُحِطْنَ بها ليل نهار. إن معها الآن نحو دسِّتةٍ منهن، وفي وجوههن تفرَّست سرسي متسائلةً: من أكثرهن خوفًا وأكثرهن استهتارًا وأكثرهن جوعًا للحظوة؟ من أكثر واحدةٍ لسانها متبرِّئ منها؟ عليها أن تحرص على معرفة الإجابات.

أراحها أن انتهت التَّرائيم أخيرًا. الرَّائحة المنبعثة من جثة أبيها تبدو كأنها صارت أقوى، ولئن تحلَّى أكثر المعزَّين بالكياسة وتظاهروا بأن كلَّ شيءٍ على ما يرام، فقد رأت سرسي اثنتين من بنات عمومة الليدي مارچري تُقْلِصان أنفيهما الصَّغيرين، وبينما قطعَت الممشى عائدةً مع تومن خيَّلَ لها أنها سمعت أحدهم يُتمِّم بكلمة «مرحاض» ويُطْلِق ضحكةً مكتومةً، لكن حين دوَّرت رأسها لترى من تكلم وجدت بحرًا من الوجوه الوقورة التي ترمُقها بخواء. ما كانوا ليَجسُّروا على التَّنَدُّر عليه هكذا وهو لا يزال حيًّا. كان ليُحيل ما في أحشائهم إلى ماء بمجرد نظرة.

في (بهو القناديل) احتشدَ المعزُّون حولهما كالذُّباب الطَّنان وكلُّهم حماسة لإغراقها بالتَّعازي الفارغة. لثمَّ التَّوَّمان ردواين يدها وأبوهما وجنتها، ووعدها هالالين البايرومانسر³¹ بأن يدًا ناريَّة ستضطرم في السَّماء فوق المدينة يوم

رحيل رُفات أبيها إلى الغرب، وبين سعدة وسعدة قال لها اللورد جايلز إنه استأجر واحدًا من أساتذة النَّحاتين ليصنع تمثالًا للورد تايوين سيسهر حراسةً إلى الأبد عند (بوابة الأسد)، وظهر السير لامبرت ترنبري برُقعةٍ على عينه اليمنى مقسمًا أنه سيضعها إلى أن يأتيها برأس أخيها القزم.

لم تكد الملكة تفرُّ من براثن ذلك الأحمق حتى وجدت نفسها تحت حصار الليدي فاليس ابنة (ستوكوورث) وزوجها السير بيرش، وهمممت فاليس قائلة: «السيدة والدتي تُبْلِغُكِ اعتذارها يا جلالة الملكة. لوليس أخذت إلى الـفراش لتضع طفلها وشـعرت أمي بالحاجة إلى البقاء معها. إنها تُنـاشدُكِ أن تُسـامحِها، وقلـت أن أسألك... لقد كانت أمي معجبةً بأبيك الرَّاحل أكثر من أيِّ رجلٍ آخر، وإذا ولدت أختي صبيًا فإنها رغبة في أن تُسميه تايوين، بعد... بعد إذنكِ».

حدّثت سرسي إليها مشدوهة، وقالت: «أختكِ البلهاء يغتصبها نصف أهل المدينة وتاندأ تُفكّر في إطلاق اسم أبي على النّغل؟ لا أظنّ». جفـلت فاليس كأنـها صُفِعت، لكن زوجـها اكتفـى بالتّملّيس علـى شاربه الأشـقر الـكـثـابـهـامه قـائلاً: «هـذا مرّا قـلتـه للـيـدي تانـدا. سـنـجد اسـمًا، أه... أنسـب لنـغـل لوليس، لكِ كلمتي».

قالت سرسي: «أحرصوا على هذا»، والتفتت عنهما مبتعدة، لترى أن تومن وقع في براثن مارچري تايرل وجدّتها. لملكة الأشواك قامة قصيرة للغاية، حتى إن سرسي حسبّتها طفلةً أخرى للحظة. قبل أن تستطيع إنقاذ ابنها من اللوردات دفع بها الزّحام إلى مواجهة عمّها، وعندما ذكّرت به بلقائهما لاحقًا أوماً السير كيثان برأسه بتعبٍ واستأذنها في الانصراف، على أن لانسل تلكاً وقد بدا نموذجًا لرجل قدمه في القبر. لكن أهو داخل أم خارج؟ أرغمت سرسي نفسها على الابتسام، وقالت: «لانسل، يُسعدني أن أراك أقوى كثيرًا. المايستر بالابار نقلَ لنا أخبارًا مؤسفةً وخشينا على حياتك. كنت لأحسبك في الطريق إلى (داري) الآن لتتولّى لورديتك». كان أبوها قد رفع لانسل إلى مرتبة لورد عقب معركة (النّهر الأسود) استرضاءً لأخيه كيثان.

- «ليس بعدُ. هناك خارجون عن القانون في قلعتي». تكلم ابن عمّها بصوتٍ بالغ الخفّة كذلك الشّارب فوق شفّته العلّيا، وعلى الرغم من ابيضاض شّعره ظلّ زغب شاربه محتفظًا بلونه الرّملي. كثيرًا ما تطلّعت سرسي إليه والصّبي في داخلها يدفع نفسه جيئةً وذهابًا بطاعة. يبدو كلطخة تُراب فوق شفّته. لقد اعتادت أن تُهدّده بمسحه بالقليل من اللّعب. «أبي يقول إن أراضي النّهر محتاجة إلى يدٍ قوية».

أرادت أن تقول: مؤسفٌ أنها ستنال يدك أنت، إلّا أنها ابتسمت بدلًا من هذا، وقالت: «كما أنك ستتزوَّج أيضًا».

مرّت على وجه الفارس الشاب السّقيم نظرة كئيبة، ورَدَّ: «واحدة من بنات فراي، وليست من اختياري. إنها ليست عذراء حتي، بل أرملة من دم داري. أبي يقول إن هذا سيُساعِدني في التّعامل مع الفلاحين، لكن الفلاحين كلّهم ماتوا»، ومَدَّ يده إلى يدها مواصلاً: «إنها قسوة يا سرسي. جلالتكِ تعلمين أنني أحب...».

قاطعتَه منهيةً العبارة: «... عائلة لانستر. لا أحد يشكُّ في هذا يا لانسل. أتمنّي أن تُنجِب لك زوجتك أبناءً أقوياء». لكن خيرٌ لك ألا تدع جدّها يُقيم الرّفاف. «أعرف أنك ستقوم بصنائع نبيلةً عديدةً في (داري)».

أومأ لانسل برأسه والبؤس يبـدو عليـه بوضوح، وقـال: «حـين بـدا أنـي سـأموثُ جـلـبَ أبـي السـيـتـون الأعلـى لـيُصـلـي لأجلـي. إنـه رجـل صـالح»، وتـابـع أبـن عمّهـا بعـينين مبتلتين لامعتين كعيني طفلٍ في وجه عجوز: «يقول إن (الأم) أبقت على حياتي من أجل هدفٍ سامٍ، كي أتوب عن خطاياي».

تساءلت سرسي كيف ينوي أن يتوب عن خطاياها معها. تنصيبه فارساً كان خطأ، ومُضاجعته خطأ أكبر. لانسل ضعيف لا يُعتمد عليه، ولا يُعجبها ورعه المستجدُّ هذا على الإطلاق، ثم إنه كان مسلياً أكثر بكثير عندما كان يُحاول أن يكون چايمي. ما الذي قاله هذا الأحمق الدّامع للسّيّتون الأعلى؟ وماذا سيقول لابنة فراي وهما نائمان معاً في الظلام؟ إذا اعترف بمُضاجعة سرسي فيمكنها أن تدحض هذا، فالرجال يكذبون بشأن النّساء طوال الوقت، وتستطيع أن تعزو الأمر إلى صلف صبيٍّ غرّفته جمالها. لكن إذا تفوّه بشيءٍ عن روبرت والتّبذ القوي... قالت له سرسي: «أفضل السُّبل لنيل التّوبة الصّلاة... الصّلاة الصّامّة»، وتركته يُفكّر في قولها وهيأت نفسها لمواجهة جيش تايرل.

عانقتها مارچري كأخت، وهو ما وجدته الملكة اجترأً، ولكن ليس هذا بالمكان المناسب لتوبيخها. قنعت الليدي أليري وبنات العُمومة بلثم أصابعها، وطلبت الليدي جريسفورد الحُبلى إذن الملكة في تسمية وليدها تايوين إن كان صبياً أو لانا إن كانت بنتاً. كادت سرسي تتنّ ضيقاً، وقالت لنفسها: واحد آخر؟ سيُغرق من اسمهم تايوين البلاد، لكنها أبدت موافقتها بأكبر قدرٍ ممكن من الكياسة وتظاهرت بالسُّرور.

من سرّرتها حَقّاً هي الليدي ميريويذر، التي قالت بلكنتها المـايـريّة المـثـيرة: «جلالة الملكة، لقد أرسلتُ خبراً لأصـدقائي عبر (البحر الضيّق)، أسـألهم أن يقبضوا على العـفريت في الحال إذا ظهر وجهه القبيح في المـدن الحرة».

- «هل عندك أصدقاء كثيرون وراء البحر؟».

- «كثيرون في (مير)، وفي (ليس) أيضاً، و(تايروش). رجال ذوو نفوذ».

لم تجد سרسي عُسرًا في تصديق هذا، فالمرأة المايرية رائعة الجمال بحق، طويلة الساقين وممتلئة التَّهدين، ولها بشرة زيتونية ملساء وشفتان ناضجتان وعينان كحيلتان واسعتان للغاية وشعر أسود غزير يبـدو دائـمًا كأنـها نـهضت لتوّهـا من الـفراش. بل وتضـوع منـها رائحة الخطيئة، كأنـها زهرة لوتس غريبة. قالت المرأة بصوت كخـير الـقطط: «الـلورد ميريويـذر وأنـا لا نتمـنّى إلّا أن نخدم جلالـتك والملك الصغـير». كـانت علـى وجـهها نظرة حُبـلى بـالإيحاءات تكـاد تُنـافس بطن اللـيـدي جريسفورد المنتفخ.

ثم انقضَّ عليها سيّد (هايجاردن).

لا يكبر مايس تايرل سרسي إلّا بأعوامٍ عشرة، ومع ذلك تُفكّر فيه باعتباره في سنٍّ أبـيها لا سـنّـها. ليس الرّجل طويل القامة كما كان اللورد تاويين، لكن بقيّة جسده أكبر، فصـدره مكتـنز وبطنـه أكثر اكتنـازًا، ولشعره لون الكسـتـاء وإن بـداً الأبـيض والرّمادي يشـوبان لحيـته، ويبـدو وجـهه محمـرًا أغلـب الـوقت. أعلـن تـايرل بـلهجة ثقيلة بـعد أن قبّل كلتا وجنتيها: «اللورد تاويين كان رجلًا عظيمًا، رجلًا فلتة، وأخشى أنـا لن نرى مثيلاً له أبـدًا».

ردّت سـرسي علـيه فـي سـريرتها: إنـك تـنـظر إلـى مثيلـته أيـها الأحمـق. ابنتـه هـي الواقفة أمامك، لكنـها محتاجة إلـى تـايرل وقوّة (هـايجاردن) لإبقـاء تـومن علـى عرشـه، فاكثفت بقولها: «سنفتقده كثيرًا».

وضـع تـايرل يـده علـى كتفـها قائلاً: «لا رجـل علـى قـيد الحـياة يصـلح لأن يـحلّ محلّ اللـورد تاويين، هـذا جـلـي، لكـن البـلاد باقية ولا بُدّ أن تُحـكم. إذا كـان هـنـاك مـا يُمكنني أن أفعله على الإطلاق في هذه السّاعة السّوداء، فما على جلالـتك إلّا أن تطلّبي».

فكّرت الملكة: إذا كنـت تبغـي أن تكـون يـد الملك يـا سـيـدي فتـحلّ بالشّجاعة وقُلـها، ورسـمت علـى شـفتيها ابتسـامة مضـيفة لنفسـها: فليسـ تنتج منـها مـا يُريد أن يستنتجه، ثم إنـها قالت: «مؤكّد أن هناك حاجة إلـى سيّدي في (المرعى)، أليس كذلك؟».

أجاب الرّجل رافضًا أن يلحظ تلميحتها الواضح تمامًا: «ابني ويلاس فتى قدير. ربما تكون ساقه مشوّهة لكنه لا يفتقر إلى الذّكاء. قريبًا سيستولي جارلان على (قلعة المياه الوضاء) أيضًا، وبين الاثنين سيصير (المرعى) في أيـد أمينة إذا دعت الحاجة إلـى وجودي في مكانٍ آخـر. لا بُدّ أن يأتـي حُكم البـلاد أوّلـا كما اعتاد اللورد تاويين أن يُردّد، ويسـرّني أن أنقـل لجلالـتك خبرًا طيـبًا فـي هـذا الصّد. عـمّي جـارث وافـق علـى الخـدمة أمـينًا للنّقـد كما كـان السـيّد والدك يـرغب، وهـو فـي الطـريق إلـى (البـلدة القديمة) الآن ليستقلّ سفينةً في صُحبة ابنـيه. كان اللورد تاويين قد ذكّر شيئًا عن العثور على مكانين

لهما أيضًا، في حرس المدينة ربما».

على وجه الملكة تجمّدت ابتسامتها بشدّة لدرجة أنها خشيت أن تتشقق أسنانها. جارت السّمين في المجلس الصّغير وابناه مع ذوي المعاطف الذهبية... هل يحسب آل تايرل أنني سأقدّم لهم البلاد على طبقٍ من ذهب بهذه البساطة؟ هذه الغطرسة تُذهّلها حقًا.

كان تايرل يُواصل: «جارت أحسنَ خدمتي كقهرمان كما خدمَ أبي من قبلي. صحيحٌ أن الإصبع الصّغير كان موهوبًا في إيجاد الذهب، لكن جارت...».

قاطعتَه سرسي: «سيّدي، أخشى أن في المسألة سوء فهم. لقد سألتُ اللورد جايلز أن يكون أمين نقدنا الجديد، وقد شرفني بالقبول».

حملقَ مايس إليها قائلاً: «روزبي؟ ذلك ال... السّعال؟ لكن... لقد اتّفقنا على الأمر. جارت في طريقه إلى (البلدة القديمة)».

قالت الملكة: «الأفضل إذن أن تُرسِلَ عُداًفاً إلى اللورد هايتاور وتطلّب منه أن يحرص على عدم ركوب عمّك السّفينة. سنكره أن يُواجه البحر في الخريف بلا طائل»، وابتسمت له ببشاشة.

قال تايرل والأحمر يزحف على عنقه الثّخين: «هذا... السيّد والدك أكّد لي...»، وبدأ يلفظ كلامًا مختلطًا غير مفهوم.

ثم ظهرت أمّه وتابّطت ذراعَه قائلةً: «يبدو أن اللورد تايرل لم يُطْلِعَ وصيّتنا على العرش على خطّطه، ولا أتصوّر السّبب. لكن الأمر منتهٍ، فلا داعي لإزعاج جلالتها. إنها محقّة تمامًا. عليك أن تكُتّب للورد لايتون قبل أن يستقلّ جارت السّفينة. تعلم أن البحر سيُغيثه ويجعل فساه أسوأ»، ومنحتَ الليدي أولينا سرسي ابتسامَةً بلا أسنان متابعَةً: «سيكون رائحة قاعة مجلسك ألطف في وجود اللورد جايلز، وإن كنتُ أظن أن سُعاله كفيّل بتشتيت انتباهي. كلن! مغرمون بالعم جارت العجوز العزيز، لكن الرّجل متطلّب البطن ولا أحد يُنكر هذا. إنني أمقتُ الرّوائح الكريهة حقًا»، وتغصن وجهها المتغصن أكثر وهي تُضيف: «لقد شممتُ رائحة مزعجة داخل السيّت المقدّس في الحقيقة. هل شممتها أيضًا؟».

أجابَت سرسي ببرود: «لا. تقولين إنها رائحة؟».

- «رائحة كريهة».

- «ربما تفتقدين وردك الخريفي. لقد أبقيناك هنا أطول من اللازم». كلّما عجّلت بتخليص البلاط من الليدي أولينا كان أفضل، فلا شكّ أن اللورد تايرل سيُرسل عددًا لا بأس به من فرسانه ليصحبوا أمّه بأمانٍ إلى وطنها، وكلّما قلّ عدد رجال تايرل في المدينة ستعرف الملكة نومًا أفضل.

قالت العجوز: «أعترفُ أنني مشتاقة إلى عطور (هايجاردن)، لكنني لا أستطيعُ أن

أغادر بالطَّبع قبل أن أشهد زفاف حُلوتي مارچري إلى عزيزكِ الصَّغير تومن». أضافَ تايرل: «أنا أيضًا أنتظرُ ذلكَ اليومَ بلهفة. أنا واللورد تاويين كنا على وشك تحديد موعدٍ بالفعل. ربما يُمكننا أن نناقشَ هذا معًا يا جلالة الملكة». - «قريبًا».

قالت الليدي أولينا متنشِّقةً: «لا بأس. هيا بنا يا مايس، لنَدع جلالتهَا لـ... حُزنهَا».

تركَت سرسي ملكة الأشواك تبتعد بين حارسيها الفارعين، رجلين يبلُغ كلُّ منهما الأقدام السَّبعة طولًا ويروق المرأة أن تُسمِّيَهما شِمال ويمين، وإذ شَاهَدَتها تبتعد وعدَّت نفسها: سأشهدُ موتكِ أيتها العجوز، وسنرى كم ستكون جثتكِ جميلة المنظر. واضحٌ تمامًا أن العجوز أذكى من ابنها اللورد مرَّتين.

أنقذَت الملكة ابنها من مارچري وبنات عمومتهَا واتَّجهت به إلى الباب، وفي الخارج كان المطر قد توقَّف أخيرًا وصارت لهواء الخريف رائحة طازجة نقيَّة. خلَع تومن تاجه، لكن سرسي قالت له أمره: «ضعه على رأسك».

قال الصَّبي: «إنه يُؤلم عُنقي»، لكنه أطاعَ الأمر، وأردف: «هل سأتزوَّج قريبًا؟ مارچري تقول إننا نستطيع الذهاب إلى (هايجاردن) حالما نتزوَّج».

ردَّت سرسي: «لن تذهب إلى (هايجاردن)، لكن يُمكنك ركوب حصان إلى القلعة»، وأشارت إلى السير مرين ترانت، وقالت له: «اجلب حصانًا لجلالته، واطلُب من اللورد جايلز أن يُشَرِّفني بالانضمام إليَّ في الهودج». الأمور تمضي بسرعة أكبر مما توقَّعت، وما من وقتٍ تُبَدِّده.

أسعدت تومن فكرة الرُّكوب، وبالطَّبع شرَّفت اللورد جايلز دعوتها... ولكن عندما سألتَه أن يكون أمين نقدِها الجديد بدأ الرَّجل يسْغُلُ بمنتهى العُنف، حتى إنها خشيت أن يموت هنا والآن، لكن (الأم) كانت رحيمةً وفي النِّهاية تعافى جايلز بما يكفي لأن يقبل المنصب، بل وبدأ يسْغُلُ أسماء الرِّجال الذين يُريد استبدالهم، ومنهم قيِّمو الجمارك ومصنِّعو الأصواف الذين عيَّنه الإصبع الصَّغير، بالإضافة إلى أحد حفظة المفاتيح.

- «سَمَّ البقرة التي تُريدها ما دامت تنضح حليبًا. وإذا أثيرَ السُّؤال، فقد انضمت إلى المجلس البارحة».

- «البار...». انتابته نوبة من السُّعال جعلته يلتوي على نفسه. «البارحة، بالتَّأكيد». يستخدم اللورد جايلز منديلًا من الحرير الأحمر يسْغُلُ فيه كأنما يُحاول إخفاء الدَّم في لُعابه، وهو ما تظاهرت سرسي بأنها لا تلاحظه.

حين يموت سَأجدُ أحدًا غيره. ربما عليها أن تستدعي الإصبع الصَّغير إلى البلاط. إنها لا تتصوَّر أن بيتر بايلش سيُسَمَّح له بالبقاء حافطًا لـ(الوادي) طويلًا وقد ماتت لايسا آرن، خصوصًا أن لوردات (الوادي) بدأوا يتحرَّكون بالفعل إذا صَحَّ ما

قاله پايسل. بمجرد أن يأخذوا منه ذلك الصبي المأفون سيعود اللورد بيتر زحفاً.
- «جلالة الملكة»، قال اللورد جايلز وسعلَ ومسحَ فمه. «هل لي...»، وسعلَ ثانيةً. «... أن أسأل مَنْ...»، وعصفت به نوبة أخرى من السعال قبل أن يتمالك نفسه ويكمل: «... مَنْ سيكون يد الملك؟».

أجابت بشرود: «عمي».

تنقست الملكة الصعداء لرؤية أسوار (القلعة الحمراء) ترتفع عاليةً أمامها، وهناك عهدت بتومن إلى مرافقيه وخلت إلى نفسها في مسكنها شاعرةً بالامتنان لفُرصة الراحة.

لكن ما إن خلعت حذاءها حتى دخلت چوس-لين على اس-تحياي لتقول إن كايبرن في الخارج ويلتمس المثلول أمامها، فقالت الملكة: «أدخليه». الحكام لا يعرفون الراحة.

كايبرن عجوز، لكن ما زال الرماد يغلب الثلج في شعره، وتجاعيد الضحك حول فمه تجعله يبدو كجد فتاة صغيرة المفضل. وإن كان جدًا رث الملبس. ياقة ردايه مهترئة، وأحد كمييه تمزق ورقيق بلا براعة. قال لها: «أرجو من جلالتك ألا تؤاخذيني لمجيئي. كنت في الزنازين أحقق في هروب العفريت كما أمرت».

- «والأم توصلت؟».

- «ليلة اختفاء اللورد فارس وأخوك اختفى رجل ثالث أيضًا».

- «نعم، السجّان، ماذا عنه؟».

- «الرجل اس-مه روجن، مُشرف س-جّانين كان مس-ؤولاً عن الزنازين السوداء. رئيس السجّانين يصفه بأنّه رجل ممتلئ طليق اللحية وغليظ الكلام. الملك القديم إيرس هو من كلّفه بوظيفته، واعتاد أن يروح ويجيء كما يحلو له، بالذات مع شغور الزنازين السوداء معظم الوقت في السنوات الأخيرة. يبدو أن باقي السجّانين كانوا يخافونه، لكن لا أحد يعرف الكثير عنه. كان بلا أهل أو أصدقاء، ولم يعتد أن يشرب أو يتردد إلى المواخير. حُجيرة نومه رطبة موحشة، والقش الذي كان ينام عليه متعفن، ووعاء فضلاته طافح».

- «أعرفُ كلَّ هذا». چايمي فحص حُجيرة روجن، ثم فحصها رجال السير أدام مرّة أخرى.

قال كايبرن: «نعم يا جلالة الملكة، لكن هل تعرفين أن تحت وعاء الفضلات المقرّز هذا حجرًا مخلوعًا يسدّ تجويفًا صغيرًا؟ إنه من تلك الأماكن التي يُخبئ فيها أحدهم مقتنيات ثمينة لا يُريد أن يكتشفها أحد».

معلومة جديدة هذه. «مقتنيات ثمينة؟ أتعني المال؟». طيلة الوقت كانت الشكوك تُخالجها في أن تيريون اشترى هذا السجّان بوسيلةٍ ما.

- «قطعًا. صحيحٌ أنني وجدتُ التجويف خاليًا، فلا بُدَّ أن روجن أخذ ثروته الحرام

معه حين هرب، ولكن بينما قرفصت فوق التَّجويف بمشعلي رأيتُ شيئاً يلتمع، فنقبتُ في التُّراب حتى أخرجته»، وفتحَ كايبرن يده مضيقاً: «إنها عُملة ذهبية». هو ذهب، نعم، لكن لحظة أن التقطت سرسي العُملة أدركت أنها ليست سليمة. صغيرة ورفيعة للغاية. كانت قديمةً باليةً، على أحد وجهيها صورة جانبية لملك، وعلى الآخر نقش ليد. قالت: «هذا ليس تينناً».

أيدها كايبرن قائلاً: «نعم. إنها تعود إلى ما قبل الغزوة يا جلالة الملكة. الملك هو جارت الثاني عشر، واليد رمز آل جاردنر».

سادة (هايجاردن). أغلقت سرسي يدها على العُملة متسائلة: أيُّ خيانة هذه؟ مايس تايرل كان أحد قُضاة تيريون، ودعا إلى إعدامه على الملأ. أكانت مجرد حيلة؟ هل كان يتآمر مع العفريت طوال الوقت ويُخَطِّطان لموت أبي؟ مع وجود تايوين لانستر في القبر يُصبح اللورد تايرل الاختيار التلقائي لليدوية، ولو أن... قالت امرأة: «لن تذكر شيئاً عن هذا لأيٍّ أحد».

- «لك أن تثقي بكتماني يا صاحبة الجلالة. مَنْ يركب في صُحبة المرتزقة يتعلَّم أن يصون لسانه خشية ألا يحتفظ به طويلاً».

قالت الملكة: «وفي صُحبتَي أيضاً»، ووضعت العُملة جانباً مقررةً أن تُفكر في أمرها فيما بعد، ثم سألت: «ماذا عن المسألة الأخرى؟».

أجابَ كايبرن: «السير جريجور»، وهزَّ كتفيه متابعاً: «لقد فحصته كما أمرت. السُّم على حربة الأفعوان كان زُعاف مانتيكور³² من الشرق، أراهنُ بحياتي على هذا».

- «پايسل ينفي هذا. قال لأبي إن زُعاف المانتيكور يَقْتُل ما إن يَلُغ القلب».

- «صحيح، لكن هذا الزُعاف مخفَّف بوسيلةٍ ما ليُطيل احتضار الجبل».

- «مخفَّف؟ مخفَّف كيف؟ بمادَّةٍ أخرى؟».

- «ربما يكون الأمر كما تقولين يا صاحبة الجلالة، ولو أن في معظم الحالات لا تتسبَّب إضافة مواد أخرى إلى السُّموم إلا في الحدِّ من مفعولها. قد يكون السَّبب...

لنقل إنه أقلُّ طبيعيَّةً، تعويذة على ما أعتقد».

أهذا الرَّجل أحقَّ كبير كپايسل؟ «تقول لي إذن إن الجبل يموت بالسِّحر الأسود؟».

قال متجاهلاً التَّهكُّم في صوتها: «إنه يموت بالزُعاف، ولكن ببطءٍ وبألمٍ لا يوصَف. كجهود پايسل لم تُثمر جهودي لتخفيف الألم شيئاً. أخشى أن السير جريجور تعود تناوُل الخشخاش. مُرافقوه قالوا لي إنه مبتلى بالصُّداع العنيف، وكثيراً يجرع حليب الخشخاش كما يجرع الرِّجال الأصغر منه المِزر. أياً كان، لقد اسودَّت

عروقـه من رأسـه إلى قـدميه، وبولـه ملـوث بـالقـيح، والزّعـاف جـعلـ جانبـه يتـأكـل صـانـعاً فـجـوةً بحـجم قبـضـتي. وجـود الرّجـل علـى قـيـد الحـيـاة حتـى الآن أعـجوبة فـي الحـقيـقة».

علّقت الملكة بوجهٍ مقطّب: «إنه حجمه. جريجور رجل كبير للغاية، وغبي للغاية أيضاً، أغبي من أن يعرف متى يموت على ما يبدو»، ورفعت كأسها لتملأها سينل مجدّداً، وأردفت: «صراخه يُخيف تومن، بل ويوقظني في الليل أيضاً أحياناً. رأيي أن الوقت حان لاستدعاء إلين باين».

قال كايرن: «جلالة الملكة، هل تأذنين لي في نقل السير جريجور إلى الزنازين؟ لن يُزعجك صراخه هناك، وسأتمكن من العناية به بحريّة أكبر». ردّت ضاحكة: «العناية به؟ دَع السير إلين يعتني به».

- «إذا كانت هذه رغبة جلالتي، لكن ذلك السّم... سيكون من المفيد أن نعرف المزيد عنه، أليس كذلك؟ أرسلي فارساً فارساً ليقُتل فارساً ورامياً ليقُتل رامياً كما يقول العامة، ولمواجهة الفنون السوداء...»، ولم يتمّ كايرن كلامه واكتفى بالابتسام لها.

واضح أنه ليس بايسل. أمعنت الملكة النّظر إليه متسائلة: «لماذا أخذت (القلعة) سلسلتك؟».

- «رؤساء المايسترات كلّهم جُبناء في قلوبهم، خراف رماديّة كما يدعوهم ماروين. كنتُ معالِجاً ماهراً كايروز، لكنني طمحتُ إلى أن أتفوّق عليه. طيلة مئات السّنين ورجال (القلعة) يفتحون جُثث الموتى ليدرسوا طبيعة الحياة، في حين أردتُ أنا أن أدرس طبيعة الموت ففتحتُ أجساد الأحياء، ولهذه الجريمة وصمّنتني الخراف الرّماديّة بالعار ودفعّتني إلى المنفى... لكنني أفهم طبيعة الحياة والموت أفضل من أيّ رجلٍ في (البلدة القديمة)».

أثار قوله اهتمامها، فقالت له: «حقاً؟ ليكن إذن، الجبل لك، افعل به ما تُريد، لكن احصُر دراساتك في نطاق الزنازين السوداء، ولمّا يموت اجلب لي رأسه، فقد وعدَ أبي بتسليمه لـ(دورن). لا شكّ أن الأمير دوران يُؤثر أن يَقُتل جريجور بنفسه، لكن علينا جميعاً أن نُعاني خيبة الأمل في هذه الحياة».

قال كايرن: «عظيم يا جلالة الملكة»، ثم تنحّج قبل أن يُضيف: «لكنني أفترقُ إلى الإمكانات المتوفّرة لبايسل، ويجب أن أجهّز نفسي بـ...».

- «سأكلّف اللورد جايلز بتزويدك بذهبٍ يكفي احتياجاتك. اشترِ لنفسك ثياباً جديدةً أيضاً. إنك تبدو كأنك صعدت من (جُحر البراغيث)»، وتمعّنت الملكة في عينيه متسائلةً إلى أيّ مدى تستطيع الثّقة به، وأضافت: «هل من داع لأن أقول إن خيراً لن يحدث لك على الإطلاق إذا تسرّبت كلمة واحدة عن... عملك... إلى خارج هذه الجدران؟».

منحها كايبرن ابتسامه مطمئنه، وقال: «لا يا جلالة الملكة. أسراركِ آمنة معي». بعد رحيله صبت سِرسي لنفسها كأسًا من النَّبِذ القوي، وشربتها عند النَّافذة وهي تُشاهد الظلال تستطيل في السَّاحة وتُفَكِّر في العُملة. ذهب من (المرعى). لماذا يملك مُشرف سَجَّانين في (كينجز لاندنج) ذهبًا من (المرعى) ما لم يكن قد نُقِدَ إياه لمساعدته في موت أبي؟ مهما حاولت لم تستطع أن تتخيَّل وجه اللورد تايوين دون أن ترى تلك الابتسامه الصَّغيرة السَّخِيفه وتذكَّر الرَّائحه النَّتنه المنبعثه من جثته، وتساءلت إن كان تيريون وراء هذا أيضًا. حيلة حقيرة قاسية مثله. هل جعل تيريون پايسل أجيره؟ لقد أرسلَ العجوز إلى الزَّنازين السَّوداء، الزَّنازين نفسها التي كان روجن مسؤولًا عنها. الخيوط كلها متشابكة بطريقة لا تُعجِبها. تذكَّرت سِرسي فجأة أن السَّيِّتُون الأعلى من مخلوقات تيريون أيضًا. وجُثمان أبي المسكين كان في عنايته من اللَّيل إلى الفجر.

وصلَ عمُّها بلا إبطاء عند الغروب، يرتدي سُتره ضيقه مبطنه، صوفها فاحم مربدٌ كوجهه. ككل بني لانستر للسير كيغان بشرة شاحبة وشعر أشقر، وإن كان قد فقد أكثره مع بلوغه الخامسة والخمسين، لكن ما من أحدٍ يُمكن أن يصفه بالوسامة، بخصره المكتنز وكتفيه المستديرتين وذقنه المربع البارز الذي لم تُفْلِح لحيته الصَّفراء المشدبة في مواراته. إنه يُذكِّرها بكلب درواس عجوز... لكن درواسًا عجوزًا مخلصًا هو ما تتطلبه تحديدًا.

تناولا عشاءً بسيطًا من الشَّمندر والخُبز ولحم البقر الدَّامي مع النَّبِذ الدورني الأحمر، ولم يتكلم السير كيغان إلا قليلًا وبالكاد مَسَّ كأسه. إنه واجم للغاية. لا بُدَّ من تكليفه بعمَلٍ كـي يتجـاوز حُزنه. وهذا ما قالت له بهـدـما رُفِعت أطباق الطَّعام وغادر الخدم. «أعرفُ كم كان أبي يعتمد عليّ».

قال: «تحتاجين إلى يد، وچايمي رفض».

بتكلم بلا مواربة، ليكن. «چايمي... لقد شعرتُ بالضَّياع مع موت أبي، وكنتُ أجهلُ ما أقوله. چايمي شجاع، لكنه أحمق نوعًا، لنكن صُرحاء. تومن محتاج إلى رجلٍ متمرس أكثر، شخص أكبر...».

- «مايس تايرل أكبر».

اتَّسعت طاقتا أنفها غضبًا، وقالت: «مستحيل»، وأزاحت خُصلة شعرٍ عن جبهتها مضيفة: «آل تايرل يتخطون حدودهم».

قال السير كيغان: «ستكونين حمقاء إذا جعلتِ مايس تايرل يدًا، لكن حمقاء أكبر إذا جعلته عدوك. لقد سمعتُ ما قيلَ في (بهو القناديل). كان حريًا بمايس أن يكون أعقل من أن يفتح تلك المسائل علنًا، وعلى الرغم من هذا لم تكوني حكيمة حين أهنته أمام نصف البلاط».

رَدَّتْ وَقْدَ ضَـايِقِهَا تَأْنِيْبَـه: «أَفْضَلُ مَنَ أَنْ نَسـِمَحَ لَتـَايِرْلِ آخِرِ بـِدخُولِ
المَجْلِـسِ. رَوْزِـبـِي سـيـكُونُ أَمـرِينَ نَقـِدِ مَلَائِـمًا. أَنْـتِ رَأَيْتِ هُودَجَـه
بِزَخَارِفِـه وَسِـتَائِرِـه الحـرِيرِ. خِيُولَـه كَسَوْتَهَا أَفْضَلُ مِنْ ثِيَابِ مَعْظَمِ القُرْسَانِ.
رَجُلٌ بِهَذَا الثَّرَاءِ لَنْ يَجِدَ مَشْكَلَةً فِي العُثُورِ عَلَى الذَّهَبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى
الْيَدَوِيَّةِ... فَمَنْ أَفْضَلُ لِإِتْمَامِ عَمَلِ أَبِي مِنْ الْآخِ الَّذِي شَارَكَهُ خُطَطُهُ كُلُّهَا؟».

- «كُلُّ رَجُلٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ يَثِقُ بِهِ. كُنْتُ أَنَا هَذَا الشَّخْصَ عِنْدَ تَايَوِينَ، وَمِنْ
قَبْلِي السَّيِّدَةُ وَالِدَتُكَ».

قَالَتْ سِرْسِي رَافِضَةً التَّفَكِيرَ فِي الْعَاهِرَةِ الْمَيِّتَةِ فِي فِرَاشِهِ: «لَقَدْ أَحَبَّهَا لِلْغَايَةِ.
أَعْرِفُ أَنَّهُمَا مَعًا الْآنَ».

قَالَ السَّيْرُ كَيْفَانُ: «هَذَا مَا أَتَمَنَّا»، وَتَفَحَّصَ وَجْهَهَا طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ: «إِنَّكَ
تَسْأَلِينَنِي الْكَثِيرَ يَا سِرْسِي».

- «لَيْسَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ أَبِي يَسْأَلُكَ».

التَقَطَ عَمُّهَا كَأْسَهُ وَأَخَذَ رَشْفَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا مَتَعَبٌ. إِنْ لِي زَوْجَةً لَمْ أَرَهَا مِنْذُ
عَامِينَ، وَابْنًا مَيِّتًا أُرِيدُ أَنْ أَرِثِي لَهُ، وَابْنًا آخَرَ عَلَى وَشِكِّ الزَّوْاجِ وَتَوَلِّي اللُّورْدِيَّةِ. لَا
بُدَّ مِنْ تَحْصِينِ (قَلْعَةِ دَارِي) مِنْ جَدِيدٍ، وَحِمَايَةِ أَرَاضِيهَا وَحَرْثِ وَزَرَاعَةِ حَقُولِهَا
الْمَحْرُوقَةِ. لَانْسَلُ مُحْتَاجٌ إِلَى عَوْنِي».

لَمْ تَكُنْ سِرْسِي تَتَوَقَّعُ أَنْ يَطْلُبَ كَيْفَانُ تَمَلُّقًا، لَكِنِهَا قَالَتْ: «وَتُومِنْ أَيْضًا». إِنَّهُ
لَمْ يَدَّعِ الْاسْتِحْيَاءَ مَعَ أَبِي قَطُّ. «الْبَلَادُ تَحْتَاجُ إِلَيْكَ».

غَمَغَمَ: «الْبَلَادُ، أَجَلٌ، وَعَائِلَةٌ لَانْس-تَر»، وَأَخَذَ رَشْفَةً أُخْرَى مِنْ نَبِي-ذِهِ،
ثُمَّ قَالَ: «لَيْكُنْ. س-أَبْقَى وَأَخ-دُمْ ب-اعتباري الي-د...»، فَبَدَأَتْ تَقُولُ:
«عَظِيم...»، لَكِنِ السَّيْرُ كَيْفَانُ رَفَعَ صَوْتَهُ وَدَاهَمَهَا مَتَابَعًا: «... بِشَرَطِ أَنْ
تُسَمِّيَنِي وَصِيًّا عَلَى الْعَرْشِ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْيَدَوِيَّةِ وَتَأْخُذِي نَفْسَكَ وَتَعُودِي إِلَى
(كَاسْتَرَلِي رُوكْ)».

لِلْحِظَةِ لَمْ تَقَوَّ سِرْسِي إِلَّا عَلَى الْحَمْلَقَةِ إِلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ مَذْكُورَةً: «أَنَا الْوَصِيَّةُ
عَلَى الْعَرْشِ».

- «كُنْتُ. تَايَوِينَ لَمْ يَنْتَوْ أَنْ تَسْتَمِرِّي فِي هَذَا الدَّوَرِ، وَأَخْبَرَنِي بِخُطَطِهِ لِإِعَادَتِكَ
إِلَى (الصَّخْرَةِ) وَإِيجَادِ زَوْجٍ جَدِيدٍ لَكَ».

أَحْسَتِ سِرْسِي بِغَضَبِهَا يَتَصَاعَدُ فِي أَعْمَاقِهَا وَهِيَ تَقُولُ: «تَكَلَّمْ عَنْ هَذَا، نَعَمْ،
وَقُلْتُ لَهُ إِنَّنِي لَا أُرِيدُ الزَّوْاجَ ثَانِيَةً».

رَدَّ عَمُّهَا بِلَا تَأَثُّرٍ: «إِذَا كُنْتُ عَازِمَةً عَلَى عَدَمِ الزَّوْاجِ ثَانِيَةً فَلَنْ أُجْبِرَكَ، لَكِنِ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْآخَرَى... أَنْتِ سَيِّدَةٌ (كَاسْتَرَلِي رُوكْ) الْآنَ، وَمَكَانُكَ
هَنَّا».

أَرَادَتْ أَنْ تَصْرُخَ: كَيْفَ تَجْرَؤُ؟ لَكِنِهَا بَدَلًا مِنْ هَذَا قَالَتْ: «أَنَا الْمَلِكَةُ الْوَصِيَّةُ عَلَى

العرش أيضاً، ومكاني مع ابني».

- «ليس هذا ما ارتآه أبوك».

- «أبي مات».

- «ويا لحُزني، وويلٌ للبلاد كُلِّها. افتحي عينيكَ وانظري حولك يا سرسي. المملكة خراب. كان يُمكن لتايوين أن يُصَحِّح الأوضاع، ولكن...».

صاحت سرسي: «سأصحِّحُ أنا الأوضاع!»، ثم خَفَّت نبرتها مردفةً: «بمسَاعَدَتِكَ يا عَمِّي. إذا خدمتني بإخلاصك نفسه لأبي...».

- «أنتِ لستِ أباك، ولطالما عَدَّ تايوين چايمي وريثه الشرعي».

- «چايمي... چايمي حلفَ يمينًا. چايمي لا يُفَكِّرُ أبدًا، بل يسخر من كلِّ شخصٍ وكلِّ شيءٍ ويقول ما يعنُّ له أيًّا كان. چايمي أحمق وسيم».

- «ومع ذلك كان اختيارك الأول ليد الملك، فماذا يجعلك هذا يا سرسي؟».

- «قلتُ لك إن الحُزن أسقَمَنِي ولم أفكِّر...».

- «نعم، ولهذا السَّبَبِ يَجْدُرُ بك أن ترجعي إلى (كاسترلي روك) وتتركِي الملك مع من يُفَكِّرون».

نهضت سرسي زاعقةً: «الملك ابني!».

قال عمُّها: «أجل، وممَّا رأيتُ من چوفري فانتِ لا تَصْلُحِينَ للأمومةِ مثلما لا تَصْلُحِينَ للحُكم».

وألقت سرسي محتويات كأسها في وجهه مباشرةً.

وبكرامةٍ نهضَ السير كيغان متثاقلاً والتَّبِيذ يسيل على وجنتيه وَيَقْطُر من لحيته المشدَّبة، وقال: «هل تسمحين لي بالانصراف؟».

- «بأيِّ حَقٍّ تتجرأ وتُملي عليَّ الشُّروط؟ إنك لست أكثر من واحدٍ من فُرسان أبي».

- «لستُ أملكُ أراضِي، هذا ص-حيح، لكن عن-دي مص-ادر دخ-لٍ معي-نةٍ وص-ناديق من الم-ال احتف-طُ بها ج-انبا. أبي ل-م ين-سَ أح-دًا من أولاده حين م-ات، وت-ايوين ل-ان يعرف كيف يُكافئُ الخد-مة الوفيّة. إنني أطعمُ مئتي فارسٍ وأستطيعُ مضاعفةَ هذا العدد إذا دَعَت الحاجة، وثمةُ مُحاربون غير نظاميين سيتبعون رايتي، كما أني أملكُ الذَّهَب لاستئجار المرتزقة. من الحكمة ألا تستخفِّي بي يا جلالة الملكة... وأكثر حكمةً ألا تصنعي مني خصمًا».

- «هل تُهدِّدني؟».

- «إنني أنصحك. إذا كنتِ لا تُريدين التَّنَازُلَ عن الوصاية لي فعَيِّنيني أمينًا للقلعة في (كاسترلي روك) واجعلي ماثيس رومان أو راندل تارلي يدًا للملك».

أخرسها الاقتراح. كلاهما من حملة راية تايمل. هل اشتروه؟ هل أخذ ذهب تايمل

ليخون عائلة لانستر؟ واصلَ عمُّها الغافل عن خواطرها: «ماثيس روان متعقِّل وحكيم ومحبوب، ورائد تارلي أبرع جُندي في البلاد. إنه يد غير مناسب لزمن السَّلام، لكن مع موت تايوين فلا رجل أفضل منه لإنهاء الحرب. لن يَشْعُر اللورد تايرل بالإهانة إذا اخترتِ أحدَ حمَلةِ رايته يَدًا. تارلي وروان كلاهما رجل قدير... ومخلص، فعَيَّنِي أحدَ الاثنَين وسـتجعلينه رجلـك، وبـهذا تُقَوِّيـن نفسـك وتُضـعِفـين (هـايـجاردن)، ومـرـع ذلـك سـيـشكرك مـايس غـالبًا»، وهَزَّ كتفيـه مضـيقًا: «هـذه نصـيحتي، خُذِيـها أو ارفُضِيـها. يُمكنك أن تجعلي فتى القمر يَدًا ولن أبالي. لقد ماتَ أخي يا امرأة، وسأخذه إلى الوطن». خائن، مارق. تساءَلت كم دفعَ له مايس تايرل. «تُريد أن تتخلَّى عن مليكك وهو في أمسِّ الحاجة إليك، تُريد أن تتخلَّى عن تومن».

قال السير كيثان: «تومن معه أمُّه»، ولاقَت عيناه الخضراوان عينيها دون أن تطرفا، وارتجفت قطرة أخيرة من التَّبِيد تحت ذقنه ثم سقطت أخيرًا، وأتبَعَ هو بَعْد بُرْهة صمت: «أجل، وأبوه أيضًا على ما أعتقد».

چایمی

وقفَ السير چایمی لانستر مرتديًا أبيض على أبيض إلى جوار النَّعش الذي يحمل جُثمان أبيه، وقد أغلقَ أصابعه الخمسة على مقبض سيفٍ عظيم من الذهب.

مع حلول الغسق انتشج (سيت بيلور الكبير) من الدّاخل بالعتمة والغموض، وتسرّبت خيوط النّهار الأخيرة من النّوافذ العالية مضيئةً قتامةً حمراء على تماثيل الآلهة السّبعة الذين تُومض الشّموع المعطّرة حول مذابحهم، فيما احتشدت الظلال الكثيفة في الأجنحة وزحفت بصمتٍ على الأرضيّة الرّخام، وخفّت أصداً أناشيد المساء برحيل آخر المعزّين.

مكثَ بالون سوان ولوراس تايرل بعد رحيل الآخرين، وقال السير بالون: «لا أحد يستطيع أن يقف ساهراً سبعة أيام وسبع ليالٍ. متى نمت آخر مرّة يا سيّدي؟». أجابَ چایمی: «عندما كان السيّد والدي حيّاً».

قال السير لوراس مقترحاً: «اسمح لي بالوقوف اللّيلة بدلاً منك». - «لم يكن أباك أنت». ولم تقبله، أنا قتلته. ربما أطلقَ تيريون سهم النّشابيّة الذي أزھقَ روحه، لكنني أطلقتُ تيريون. «اتركاني».

قال سوان: «كما يأمر سيّدي». لاحَ على السير لوراس أنه يُريد أن يُجادل أكثر، لكن السير بالون أخذه من ذراعه وسحبَه مبتعداً، وأصغى چایمی إلى أصداً خُطواتهما تخفت بدورها. هكذا عادَ بمفرده مع السيّد والدة، وسط الشّموع والبُلورات ورائحة الموت العطّرة المغثيّة. كأن ظهّره يُؤلمه بسبب وزن درعه، وساقاه شبيه خدرتين، فعَدَل وقفتَه بعرض الشّيء وأحكمَ إغلاقَ أصابعه على مقبض السّيف الذهبي. إنه لا يستطيع المبارزة بسيف، لكنه يستطيع أن يُمسكه. أحسَّ بيده المفقودة تنبض، وهو ما يكاد يكون طريقاً، ففي الطرف الذي فقده إحساس أكثر من سائر الجسد الذي تبقى له.

يدي تشتهي السّيف. احتاجُ إلى أن أقتل أحداً، فارس كبدية، لكن عليّ أولاً أن أجد الصّخرة التي اختبأ تحتها. قال للجُثمان: «أمرتُ الخصيَّ بأن يأخذه إلى سفينة، لا إلى غرفة نومك. يداه ملوّثتان بالدماء تماماً ك... كيدي تيريون». كان يقصد أن يقول: يداه ملوّثتان بالدماء تماماً كيدي، لكن الكلمات احتبست في حلقه. أيّاً كان ما فعله فارس فأنا من جعله يفعل.

ليلتها انتظرَ في مسكن الخصيِّ، حين قرّر أخيراً ألا يدع أخاه الصّغير يموت، وبينما انتظرَ راح يشحذ خنجره بيدٍ واحدة، مستمداً سلواناً غريباً من صوت الفولاذ إذ يحتك بالحجر ويحتك ويحتك. عندما سمعَ الخُطوات وقفَ إلى جوار الباب، ودخلَ فارس وعلى وجهه المساحيق ومنه يفوح عبير الخُزامى، فخطا

چایمی وراءه ورکله فی باطن رُکبته، ثم جثمَ فوق صدره ودفعَ الخنجر تحت ذقنه الأبيض النَّاعم رافعًا رأسه، وقال له بأساریر منبسطة: «أهلاً يا لورد فارس، عجیب أن ألتقیك هنا».

قال فارس لاهتًا: «السير چایمی؟ أخفّنتی».

- «هذا ما قصدته»، ودورَ چایمی الخنجر لتسلیل قطرة من الدّم علی نصله، وأردف: «كنتُ أفکرُ فی أن تُساعدني علی انتزاع أخي من زنانتہ قبل أن یقطع السیر إلین رأسه. إنه رأس قبیح لا شکّ، لكنه لا یملك غیره».

ردّ الخصی: «نعم... حسن... إذا سمحت بأن... ترفع الخنجر... نعم، برفق بعد إذن سیّدي، برفق، أوه، لقد وخّزني...»، ومَسَّ عُنقه وحدّق إلى الدّم علی أصابعه قائلاً «لطالما بغضتُ منظر دمائي».

- «سأریقُ المزيد لتبغضه حالًا ما لم تُساعدني».

اعتدلَ فارس جالسًا بصعوبةٍ وهو یقول: «أخوك... إذا اختفی العِفریت بلا تفسیر من زنانتہ ستُثار أ-أسئلة، وسأ-أخشی علی حیاتي...».

- «حیاتك ملکی. لا أبالي بالأسرار التي تعرفها. إذا ماتَ تیریون فلن تبقی حیًا بعده طویلًا، أعدك بهذا».

امتصّ الخصی الدّم من علی أصابعه، وقال: «إنك تَطْلُب شيئًا فظیغًا... أن تُطلق سراح العِفریت الذي قتلَ ملكنا المحبوب. أم أنك تعتقد أنه بريء؟».

وبكلّ حماقةٍ قال چایمی: «بريء أو مذنب، اللانستر یُسَدِّد دیونہ». یا للسّهولة التي أتته بها الكلمات.

منذ ذلك الحین لم یَنَمْ، والآن یُمكنه أن یرى أخاه، والطريقة التي ابتسمَ بها القزم تحت جدعة أنفه وضوء المشعل یلحق وجهه، وكيف زمجرَ بصوتٍ مثل بالغل: «يا لك من مُعاق مسکین أعمى أحمق! سرسبي عاهرة كذّابة، كانت تُضاجع لانسِل وأوزموند کِتلبلاك وربما فتی القمر أيضًا. وأنا الوحش الذي یقولون. نعم، قتلتُ ابنك الکریه».

لم یقل إنه ینوي أن یقتلَ أبانا. لو قالها لمنعته، ولأصبحتُ أنا لا هو قاتِل الأقربین. یتساءل چایمی أين اختبأ فارس. لم یَرجع ولیُّ الهامسین إلى مسکنه بالطبع، ولم یُسفر عنه تفتیش (القلعة الحمراء)، فربما إذن استقلّ الخصی السفینة نفسها مع تیریون بدلًا من البقاء للإجابة عن الأسئلة المربكة. إذا كان هذا صحیحًا فالاثنان فی عرض البحر الآن، یتقاسمان إبریقًا من نبیذ (الکرمة) الذهبی فی قمرة قادس.

ما لم یکن أخي قد قتلَ فارس أيضًا وتركَ جثّته تتعفن تحت القلعة. قد تمرُّ سنوات كاملة هناك بالأسفل قبل أن یَعثر أحد علی عظامه. لقد قادَ چایمی دسّته من الحرس إلى أسفل بالمشاعل والحبال والمصابیح، وطوال ساعاتٍ

تلمّسوا طريقهم عبر ممرّاتٍ ملتوية وسراييب ضيقة وأبوابٍ خفية وسلالم سرّية وآبار قيعانها غارقة في الظلام الدّامس. قلما شعرَ چايمي بكلّ هذا العجز. المرء يعدّ أشياء كثيرةً من المسلّمات حين يملك كلتا يديه، كالسلّالم على سبيل المثال. حتى الزّحف لم يكن سهلاً عليه، فلا أحد يتكلّم عن الزّحف «على يديه ورُكبتيه» عبثاً، ولا استطاعَ كذلك أن يحمل مشعلاً على السلّالم كالآخرين.

وكلّ هذا سُدى، فلم يجدوا إلّا الظّلام والثّراب والجردان. والتّنانين أيضاً، تنانين كامنة بالأسفل. تذكّر وهج الفحم البرتقالي الكثيب في فم التّنين الحديدي الذي يتّخذ شكله مستوقّد يُدفئ هواء حُجرةٍ في قرار بئرٍ تلتقي فيه دسّته من الأنفاق. على الأرض رأى رسمًا باليًا من الفُسيفساء الحمراء والسّوداء لتنين عائلة تارجارين ذي الثلاثة رؤوس، وبدا كأن الوحش يقول له: إنني أعرفك يا قاتل الملك، كنتُ هنا طيلة الوقت أنتظرُ أن تأتي، وخيّلَ لچايمي أنه يعرف الصّوت، التّبرة الحديديّة التي كانت سمة ريجار أمير (دراجونستون).

كان نهارًا قويّ الرّيح يوم ودّع ريجار في ساحة (القلعة الحمراء)، وقد ارتدى الأمير درعه السّوداء كالليل، وازدان صدره بالياقوت علي شكل التّنين ذي الرّؤوس الثلاثة. ساعتها قال چايمي متوسّلاً: «يا سموّ الأمير، دَع داري يبقى لحراسة الملك هذه المرّة، أو السير باريستان. إن معطفيهما أبيضان كمعطفي».

هَزَّ الأمير ريجار رأسه، وقال: «والدي الملك يخشى أباك أكثر مما يخشى ابن عمومنا روبرت. إنه يُريدك على مقربةٍ منه كي لا يستطيع اللورد تاويين أن يؤذيه، ولا أجروُ على أن أسلبه تلك الدّعامة التي يستند إليها في ساعة كهذه».

ارتفع سُخط چايمي حتى بلغَ حُلُومه وهو يقول: «أنا لستُ دِعامَةً، إنني فارس في الحرس الملكي».

رَدَّ عليه السير چون داري بحدّة: «احرُس الملك إذن. حين ارتدّيت هذا المعطف أقسمت على الطّاعة».

ووضعَ ريجار يده على كتف چايمي قائلاً: «أنوي بعد أن تنتهي هذه المعركة أن أعقد مجلساً. ستحدّث تغييرات. لقد أردتُ أن أفعل هذا منذ فترةٍ طويلة، ولكن... لا داعي للكلام عن الطرق التي لم نسلّكها. سنتحدّث حين أرجع».

كانت تلك آخر كلمات قالها له ريجار تارجارين على الإطلاق. خارج الأسوار احتشد جيش، وفي الأثناء نفسها زحفَ جيش آخر إلى (الثّالوث)، وهكذا اعتمرَ أمير (دراجونستون) خوذته السّوداء الطويلة وركبَ إلى نهايته.

كان على حقٍّ أكثر مما أدرك. حين انتهت المعركة حدثت تغييرات. قال لجنّة أبيه: «إيرس ظنّ أن أدّى لن يمسه إذا أبقاني قريباً منه، أليس هذا طريقاً؟». بدا أن هذا رأي اللورد تاويين أيضاً، إذ كانت ابتسامته متّسعة الآن عن ذي قبل. كأنه

مستمتع بكونه ميئًا.

الغريب أنه لا يَشْعُرُ بِالْحُزْنِ. أين دموعي؟ أين غضبي؟ چايمي لانستر لم يفتقر إلى طاقة الغضب قط. قال للجنّة: «أنت الذي قلت لي إن الدُموع دلالة على ضَعْفٍ في الرَّجُل، فلا تتوقَّع مني أن أبكيك».

ألف لورد وليدي أتوا في الصَّباح ليصطفُّوا في الطَّابور المارِّ بالنَّعش، ثم عدَّة آلاف من العامَّة بعد الظَّهر، ثيابهم داكنة ووجوههم خاشعة، إلَّا أن چايمي ارتابَ في أن كثيرين منهم مبتهجون في سريرتهم لمراى سقوط الرَّجل العظيم. حتى في الغرب كان اللورد تايوين محترمًا أكثر من محبوب، و(كينجز لاندنج) لم تزل تذكُر يوم النَّهب.

من بين جميع المعزَّين بدا المايستر الأكبر پايسل الأكثر اضطرابًا، وبعد الشَّعائر قال لچايمي وهو يتشَمَّم حول الجنَّة بريبة: «لقد خدمتُ ستَّة ملوك، لكن ها هنا أمامنا يَرُقِدُ أعظم رجلٍ عرفته على الإطلاق. لم يكن اللورد تايوين يعتمر تاجًا، لكنه تحلَّى بكلِّ ما يجب أن يكونه الملك».

دون لحيته لا يبدو پايسل مسنًا فحسب بل وواهن أيضًا. حلاقة لحيته كانت أقسى ما يُمكن أن يفعله تيريون به. يعلم چايمي معنى أن تفقد جزءًا منك، الجزء الذي يجعلك أنت، ولقد كانت لحية پايسل رائعة فعلاً، بيضاء كالثلج وناعمة كصوف الجمالان، نبتة فـاخرة غطت وجنتيه وذقنه وانسدلت طويلة حتى دانت حزامه، وقد اعتاد المايستر الأكبر أن يُمَلِّس عليها وهو يتكلَّم بمنتهى الوقار، فمنحته سمات الحكماء وأخفت جميع أنواع المناظر المنفرة، من الجلد الرخو المتدلي تحت فكِّ العجوز، إلى الفم الصَّغير الرَّاجف والأسنان المفقودة، والثَّاليل والتَّجاعيد وبُقَع الشَّيخوخة الأكثر من أن تُحصى. حاول پايسل أن يُعيد تربية ما فقده، لكن محاولاته مُنيت بالفشل، ولم ينبت من وجنتيه المتغضنتين وذقنه الضَّعيف إلَّا خُيوط وشُعيرات خفيفة للغاية، لدرجة أن چايمي يرى الجلد الوردي المبقع أسفلها.

قال العجوز: «سير چايمي، لقد رأيتُ أشياء رهيبَةً في حياتي، حروبًا ومعارك واغتيالاتٍ أثمة... كنتُ صبيًا في (البلدة القديمة) عندما أتى الطَّاعون الأرمد على نصف المدينة وثلاثة أرباع (القلعة). حينها أحرق اللورد هايتاور كلَّ سفينةٍ في الميناء وأغلقَ البوَّابات وأمرَ حُرَّاسه بقتل كلِّ مَنْ يُحاول الفرار، سواء أكان رجلًا أم امرأة أم حتى طفلًا رضيعًا. بعد أن جرى الطَّاعون مجراه الطبيعي وانزاح قتلوه، في اليوم نفسه الذي أعادَ فيه فتح الميناء جرَّوه من على حصانه وذبحوه هو وابنه الشَّاب.

حتى يومنا هذا يَبْصُقُ الجُهلاء في (البلدة القديمة) لسماح اسمه، لكن كوينتون هايتاور فعلَ ما كان ضروريًا. أبوك كان من هذا النوع من الرِّجال أيضًا، رجلًا يفعل ما هو ضروري».

- «ألهدا يبدو مسرورًا من نفسه؟».

قال پايسل والأبخرة المتصاعدة من الجثة تُدَمِّعُ عينيه: «اللحم... مع جفاف اللحم تشتدُّ العضلات وتسحب شفثيه إلى أعلى. هذه ليست ابتسامة وإنما... جفاف لا أكثر»، وأغمضَ عينيه وفتحَهما محاولًا منع الدُموع، وأردفَ: «أرجو أن تعذّرني، إنني مرهقٌ للغاية»، واثكأ بثقل على عُكازه وتحركَ مغادرًا السّيت على مهل. هذا الرّجل على عتبة الموت أيضًا. لا غرو أن سرسي تقول إنه عديم الفائدة.

بالطّبع تعتقِد أختَه العزيزة أن نصِف مَنْ فِي البـلاط إمّا عـديمو الفائدة وإمّا خونـة؛ پايسـل والـحرس الملكـي وآل تـايرل وچايمـي نفسـه... وحتـى السـير إلـدين پاين، الفارس الصّامت الذي يعمل جلاّدًا. عند شغله منصب عدالة الملك أضحت الزّنازين مسؤوليته، وبما أنه بلا لسانٍ فغالبًا ما تركَ پاين واجب إدارة تلك الزّنازين لمروّوسيه، غير أن سرسي تلومه هو على هرب تيريون رغم ذلك. كادَ يقول لها: كان هذا من صُنعي لا صُنعه، لكنه وعدَ بدلًا من ذلك بأن يحصُل على ما يستطيع من إجاباتٍ من رئيس السّجّانين، وهو عجوز محني الظهر اسمه رينيفر لونجووترز.

قهقهَ الرّجل بصوتٍ كقوقاة الدّجاج حين ذهبَ چايمي يستجوبه، وقال له: «أراك تتساءل عن اسمي هذا. إنه اسم قديم، هذا صحيح. لستُ أحبّ التّباهي، لكن في عروقي دمَاءٌ ملكيَّة. إنني أنحدرُ من ذُرِّيَّة أميرة. أبي حكى لي الحكاية وأنا صبيٌّ صغير». لم يَعدْ لونجووترز صبيًّا صغيرًا منذ سنين عدّة كما يشي رأسه المبقع والشّعر الأبيض الثّابت من ذقنه. «كانت أجمل كنوز (قفص العذراوات)، وسلّبت الأميرال العظيم اللورد أوكنفيست قلبه رغم أنه كان متزوّجًا بأخرى. أطلّقت على ابنهما اسم الثّغول «ووترز» تكريمًا لأبيه، وكبرَ الابن ليصبح فارسًا عظيمًا، وكذا ابنه الذي وضعَ «لونج» في اسمه قبل «ووترز» ليعرف النّاس أنه ليس ابن حرام عن نفسه، وهكذا هناك القليل من دم الثّنانين في عروقي».

ردّ چايمي: «نعم، كدتُ أحسبك إجون الفاتح». ووترز من أسماء الثّغول الشّائعة في منطقة (الخليج الأسود)، وعلى الأرجح جاءَ لونجووترز القديم من ذُرِّيَّة أحد فُرسان العائلات الصّغيرة لا من أميرة. «لكن يتصادف أن عندي اهتمامات أكثر إلحاحًا من نسبك».

حنى لونجووترز رأسه قائلاً: «السّجين الضّائع».

- «والسّجّان المفقود».

عقبَ العجوز: «روجن، مُشرف سجّانين. كان مسؤولًا عن المستوى الثّالث، الزّنازين السّوداء».

قال چايمي مرغمًا: «حدّثني عنه». مهزلة لعينة. إنه يعلم هويّة روجن، حتى إن كان لونجووترز يجهلها.

- «أشعث الشَّعر، طويل اللِّحية، فَظَّ الأسلوب. لم يكن الرَّجل يروقني، صحيح، أَعترفُ بهذا. كان روجن هنا حين وُصِلْتُ قبل اثني عشر عامًا. الملك إيرس هو من كلفه بوظيفته، ولكني يجب أن أقول إنه نادرًا ما ظهرَ هنا، وقد دَوَّنتُ هذا في تقاريري يا سيِّدي، أوْكِدْ لك وأعطيك كلمتي، كلمة رجلٍ في عروقه دماء ملكيَّة».

اذْكُرْ تلك الدِّماء الملكيَّة مرَّةً أخرى وسأريقُ القليل منها. «من رأى تلك التَّقارير؟».

- «بعضها ذهبَ إلى أمين النَّقد وبعضها إلى وليِّ الهماسين، وكلُّها إلى رئيس السَّجَّانين الأعلى وعدالة الملك. لطالما جرَّتْ الأمور على هذا المنوال في الزَّنازين»، وَحَكَّ لونجووترز أنفه متابعًا: «روجن كان يظهر عند الحاجة يا سيِّدي، لا مفرَّ من قول هذا. قليلًا ما تُستخدمُ الزَّنازين السَّوداء. قبل أن ينزل فيها أخو جنابكم الصَّغير قضى المايستر الأكبر بايسل فترةً عندنا، وقبله اللورد ستارك الخائن، وكان هناك ثلاثة آخرون من العوام، لكن اللورد ستارك سلَّمهم لحرس اللَّيل. لم أر إطلاق سراح أولئك الثلاثة خيرًا، لكن الأوراق كانت سليمةً. هذا أيضًا دَوَّنته في التَّقارير، لك أن تثق بكلمتي».

- «حَدِّثني عن السَّجَّانين اللذين راحا في النَّوم».

تنشَّق لونجووترز قائلاً: «تقول سَجَّانين؟ لم يكونا سَجَّانين، بل مجرَّد حاملَي مفاتيح. التَّاج يدفع أجور عشرين حامل مفاتيح يا سيِّدي، لكن طيلة خدمتي لم يزد عددهم على الاثني عشر. المفترض أن يكون عندنا ستَّة مُشرفي سَجَّانين أيضًا، اثنان في كلِّ مستوى، لكن لا يوجد إلَّا ثلاثة».

- «أنت واثنان آخران؟».

عادَ لونجووترز يتنشَّق، وقال باعتداد: «أنا رئيس مُشرفي السَّجَّانين يا سيِّدي، أي أنني أعلى من مُشرفي السَّجَّانين. إنني مكلف بمراجعة الدَّفاتر. إذا كان سيِّدي يرغب في إلقاء نظرةٍ عليها فسيرى أن الأرقام كلها مضبوطة»، ثم إنه راجعَ الدَّفتر الضخم المغلف بالجلد المفتوح أمامه، وأردف: «حاليًّا عندنا أربعة سُجناء في المستوى الأول وواحد في الثاني، بالإضافة إلى أخي جنابكم»، ثم قطَّب وجهه مضيئًا: «الذي فرَّ، هذا صحيح، سأشطبُ اسمه»، والتقطَ ريشة كتابةٍ وبدأ يسنُّها.

فكَّر چايمي بجِهامة: ستَّة سُجناء، بينما ندفع أجور عشرين حامل مفاتيح وستَّة مُشرفي سَجَّانين ورئيس مُشرفي سَجَّانين وسجَّان وعدالة الملك. «أريدُ أن أستجوب حاملَي المفاتيح هذين».

تخلَّى رينيفر لونجووترز عن سَنِّ ريشته ورفعَ عينيه رامقًا چايمي بارتيا، ثم سأل: «تستجوبهما يا سيِّدي؟».

- «كما سمعتني».

- «سمعتك يا سيدي، سمعتك بالتأكيد، ولكن... يستطيع سيدي أن يستجوب من يشاء، هذا صحيح، فليس لي أن أقول إنه لا يستطيع، ولكن أيها الفارس، إذا سمحت لي، لا أظن أنهما سيُجيبان. إنهما ميتان يا سيدي».

- «ميتان؟! بأمر من؟».

- «بأمرك كما حسبت... أو ربما بأمر الملك؟ لم أسأل. ليس... ليس لي أن أراجع رجال الحرس الملكي».

صَبَّ الجواب الملح على جرحه. لقد استخدمت سرسي رجاله ليقوموا بعملها الدامي، هُم وأعزَّأوها الإخوة كِتْلَبلاك.

بعدها، في الزَّزَانة التي فاحت فيها رائحة الدِّماء والموت، زمجرَ چايمي في بوروس بلاونت وأوزموند كِتْلَبلاك قائلاً: «أيها الأحمقان عديما العقل، ماذا حسبتما نفسيكما فاعليْن؟».

أجاب السير بوروس الأقصر قامَةً من چايمي لكنه أثقل: «ليس أكثر مما قيلَ لنا يا سيدي. جلالتها أمرت بهذا، أختك».

ودسَّ السير أوزموند إبهامه في حزام سيفه مضيئاً: «طلبت أن يناما إلى الأبد، فحرصت وإخوتي على هذا».

هذا ما حرصتم عليه حقاً. كانت إحدى الجثتين ملقاةً علي وجهها على المائدة كرجل غابَ عن الوعي في أثناء مأدبة، لكن ما تحت رأسه بركة من الدَّم لا التَّبيدُ. أمَّا حَامل المِفْـاتِيح الثَّانِي فيبـدو أنـه اسـتطاع أن ينـهض مـن علـى الـدِّكَّة ويسـحب خنجره قبل أن يغرس أحـدهم سـيفاً طويـلاً فـي ضـلوعه، فكـانت نـهايته الأطول والأكثر فوضى. قلتُ لفارس ألاّ يمَسَّ الأذى أحدًا في تلك المسألة، ولكن كان عليّ أن أقول لأخي وأختي أيضاً. «أسأتم التَّصَرُّف أيها الفارس».

هَزَّ السير أوزموند كتفيه قائلاً: «لن يفتقدهما أحد. أراهن أنهما لعبا دورًا في ما جرى، بالإضافة إلى الآخر المفقود».

لـإن يُمْكـن لـچايمي أن يـقـول لـه: لا. فارس دَسَّ مـخـدِّراً فـي نـبيـذـهـما لـينـاما، لـكنـه قـال: «إذا صَحَّ هـذا لـكنـا اسـتطعنا أنـتـزاع الحـقيـقـة مـنـهـما»... لـكـانت تُضـاجع لانسـل وأوزموند كِتْلَبلاك وربما فتـى القـمر أيـضاً... «لو كنـتُ ذا طـبيعـة شـكـاكـة لتـسـاءلـتُ عـن سـبب اسـتـعـجالكم الـتَّأكـد مـن عـدم اسـتـجواب هـذين الـاثـنـين أبـدًا. هـل أردتـم إـخـراسـهـما لإخفاء دوركم في المؤامرة؟».

رَدَّ كِتْلَبلاك مَبْغُوتًا: «نحن؟ لم نفعل إلَّا ما أمرت به الملكة، أقسمُ بكلمتي كأخيك المحلف».

اختلجت أصابع چايمي الشَّبحيَّة وهو يقول: «أحضر أوزني وأوزفريد ونظفوا

الفوضى التي صنعتموها، وعندما تأمرك أختي المرة القادمة بقتل أحدٍ تعالَ إليَّ أولاً.

فيما عدا هذا اغرُب عن وجهي أيها الفارس».

تردّدت أصداء الكلام في عقله وهو واقف في عتمة (سيّت بيلور)، وقد اسودّت النوافذ كلها من فوقه، وأصبح يرى ضوء النجوم البعيدة الخافت إذ غابت الشمس تماماً. ما زالت رائحة الموت النتنة تزداد قوّة على الرغم من الشموع المعطّرة، وذكرت تلك الرائحة چايمي لانستر بـالممرّ أسـفل (الناب الذهبي) حيث حـقق نصراً عظيماً في أيام الحرب الأولى. في الصّباح التّالي للمعركة التهمت الغربان وليمةً من لحم المنتصرين والمهزومين على حدّ سواء، مثلما التهمت لحم ريجار تارچارين بعد (الثالوث). ما قيمة التّاج إذا كانت الغربان تتعشّى بلحم الملوك؟ يظنّ چايمي أن هناك غرباناً تدور حول أبراج (سيّت بـيلور) السّبعة وقتبته العظيمة الآن تحديداً، تضرب أجنحتها السوداء هواء المساء وهي تبحث عن سـبيل للدّخول. حريّ بكلّ غرابٍ في (الممالك السّبع) أن يأتي ويُعرب عن تقديره لك يا أبي. لقد أطعمتها جميعاً، من (كاستامير) إلى (النهر الأسود). سرّت الفكرة اللورد تايوين الذي اتّسعت ابتسامته أكثر، ففكر چايمي: بحقّ الجحيم، إنه يبدو كعريسٍ في أثناء إضجاعه! كان الخاطر شاذاً لدرجة أن چايمي أطلق ضحكةً عاليةً.

وتردّد صداها في الأجنحة والسّراديب والمصّليات كأن الموتى المدفونين داخل الجدران يضحكون أيضاً. ولمَ لا؟ الأمر أكثر عبثاً من مسرحيّة هزليّة؛ وقوفي ساهراً على الأب الذي ساعدت على قتله، وإرساله رجلاً للقبض على الأخ الذي ساعدت على إطلاق سراحه... كان قد أمر السير أدام ماربراند بتفتيش (شارع الحرير)، وقال له: «ابحثوا تحت كلّ سرير. أنت تعلم غرام أخي بالمواخير». سيجدّ ذوو المعاطف الذهبية أشياء أكثر إثارةً للاهتمام تحت فساتين العاهرات مما سيجدون تحت أسرّتهم، حتى إن چايمي يتساءل كم نغلاً سيؤلّد من جرّاء هذا البحث عديم الجدوى.

دون إرادةٍ منه انتقلت أفكاره إلى بريان التارثيّة. فتاة حمقاء عنيدة قبيحة. تُرى أين هي الآن؟ امنحها القوّة يا أبت. يكاد يكون دُعاء... لكن إلى الإله يبتهل؟ إلى (الأب في الأعالي) الذي يتألّق تمثاله المذهب الشّاهق في ضوء الشموع عبر المكان؟ أم أنه يُصليّ للجُثمان المسجّى أمامه؟ هل يهمّ؟ كلاهما لم يُنصت قط. منذ كبر چايمي حتى استطاع حمل السّيف كان (المُحارب) إلهه. قد يكون من عداه من الرّجال آباءً وأبناءً وأزواجاً، أمّا چايمي لانستر فلا. إنه الرّجل ذو السّيف الذهبي كشعره، مُحارب، وأبداً لن يكون إلّا هذا.

يجدّر بي أن أخبر سرّسي بالحقيقة، أن أعترف بأنّي من حرّ أخانا الصّغير من زنّانته. قول الحقيقة أتى بنتيجة رائعة مع تيريون في النّهاية. قتلتُ ابنك الكريه،

والآن سـأذهبُ لأقتـل أبـإنا أيـضًا. سـمعَ چایمی العفـريت یضـحك فـي العتمـة، فـالتفتَ بـنـظرٍ لـلـكن الـصوت لـم یـكن إلّا صـیدی ضـحکته هـو. أغلـق عینـیه، وبالسـرعة نفسـها فتخـهما مجدّدًا. یجب ألا أنام. إذا نامَ فربما یحلم. أوه، یا لضحکة تیریون السّاخرة تلك... عاهرة کذّابة... تُضاجع لانسـل وأوزموند کتلـبلاک...

فـي منتـصف الـلیل صـرّت مفصـلات (بـاب الأب) مـع دخـول عـدة مئـات مـن السـیّتونـات لإقامـة صـلواتهم، یرتـدي بعضـهم الأردیة المفصّـلة مـن قمـاش الفـضة ویعتمـر الأكالیـل البـلور الـتي تُمیز مجلس القانـتین، فـي حین علّق إختـهم الأدنی شـأنًا بـلّواتهم مـن سیورٍ حـول أعناقهم وأوثقوا أردیتهم البیضاء بأحزمةٍ مـن سبع جدائل بسبعة ألوان مختلفـة. مـن (باب الأم) دخلت السـیّتوات مـن معزلهن، سبع یرتدين الأبيض ویمشین متجاورات ویترنمن بنعومة، بینما نزلت الأخوات الصّامتات (سلالم الغریب) فـي طابور، وقد ارتدت وصیفات الموت الرّمادي الفاتح، وفوق رأس کلّ مـنهن قلنسوة وعلى وجهها لثام، فلا یُرى مـنها إلّا عیناها. ظهرَ حشد مـن الإخوة ایضًا، یرتدون البـیّی والعسلي والرّمادي الدّاکن، وحـتى الخیش غیر المصبوغ، ویشدّون ما یرتدونه على خصورهم بحبال القنب، ویعلّق بعضهم مطرقة (الحـدّاد) الحـدید مـن الأعناق، وبعضهم أوعية الشّحادة.

لم یُعر أحد مـن المصلّین چایمی اهتمامًا، بل داروا فـي محیط السـیّت متعبّـین على کلّ مـن المذابح السّبعة تکریمًا لسبعة أوجه الإله، ولكلّ إله قدّموا قـربانًا، ولكلّ واحدٍ أنشدوا لترتفع أصواتهم وقورًا عذبةً. أسدلَ چایمی جفنیه لیصغي، لکنه رفعهما مـن جـدید لـمّا بدأ یتمایل. إننی مرهق أكثر ممّا حسبتُ.

لقد مضت سنوات منذ أدّى شعيرة السّهر آخر مرّة. كنتُ أصغر حینئذٍ، غلامًا فـي الخامسة عشرة. لم یکن یرتدي درعًا وقتها، بل مجرد سـترة بیضاء تقلیدیّة، ولم یبلُغ السـیّت الذی أمضى فیه اللیل ثلث مساحة أيّ مـن أجنحة (سـیّت بیلور) السّبعة. لیلتها وضعَ چایمی سیفه على رُکبتی (المُحارب) وکوم درعه عند قدمیه ورکعَ على الأرض الحجریّة الخشنة أمام المذبح، وحين بزغ الفجر کانت رُکبتاه مسحوجتین دامتین، فقال له السیر آرثر داین لـمّا رآه: «لا مناص مـن أن ینزف کلّ الفُرسان یا چایمی. الدّم ختم إخلاصنا»، ثم إنه رفعَ سیفه (فجر) مرّبتًا به على کتفی چایمی، وکان النّصل الشّاحب حادًا لدرجة أن تلك اللـمسة الخفیفة للغایة شقّت سـترته ومن جـدید نزف... لکنه لم یَشعر بالجرح لحظةً. غلامًا رکعَ، وفارسًا نهض. الأسد الصّغیر لا قاتل الملک.

لکن ذلك کان منذ زمن، والغلام مات.

لا یـدري متـی انتـهت الصّـلوات. ربـما نـام وهـو واقـف. حـین خرّج المتعـبّـدون عـاد السـکون یُخیم علـی (السـیّت الکبـیر)، والشّمـوع

- «غير صحيح».

قالت متوسِّلةً: «كُنْ يدي وسنَحْكُم (الممالك السَّبْع) معًا كملكٍ ومليكته».

- «كنتِ مليكة روبرت، ولكنكِ تأبين أن تكوني مليكتي».

- «كنتُ لأفعلها إذا جرؤْتُ، لكن ابنا...».

قاطَعها بقسوة: «تومن ليس ابني كما لم يكن چوفري. لقد جعلتِهما ابني روبرت أيضًا».

جَفلت أخته قائلةً: «لقد وعدت بأن تحبَّني دائماً، وليس من المحبَّة أن تجعلني أتوسَّلُ».

أفعمت أنف چايمي رائحة خوفها على الرغم من نثانة الجثَّة، وأرادَ أن يحتويها بذراعيه ويُقبِّلها، أن يدفن وجهه في خُصلاتها الذَّهب ويَعدها بأن لا أحد سيمسُّها بسوءٍ أبداً... لكنه أخبر نفسه: ليس هنا، ليس هنا أمام الآلهة وأبينا، وقال لها: «لا، لا أستطيعُ، ولن أفعل».

قالت وهو يسمع المطر ينهمر على التَّوافذ بالأعلى: «إنني محتاجة إليك، محتاجة إلى نصفي الآخر. أنت أنا وأنا أنت. أحتاجُ إليك إلى جواري، في داخلي، أرجوك يا چايمي، أرجوك».

نظرَ چايمي ليستوثق بأن اللورد تايوين لا ينهض في هذه اللَّحظة من على منصَّته غاضبًا، لكن أباه ظلَّ متمدِّدًا في مكانه، باردًا يتعقَّن. «لقد خِلقتُ لميادين المعارك لا قاعة مجلس، والآن يبدو أنني لم أعد أصلحُ لذلك أيضًا».

مسحت سرسي دموعها بكُمِّ بَنِي رَث، وقالت: «ليكن، إذا كانت ميادين المعارك ما تشتهي فميادين المعارك ما سأعطيك»، ورفعت قلنسوتها بغضبٍ مردفةً: «كنتُ حمقاء لمجيئي، كنتُ حمقاء عندما أحبتك»، وردَّدت خُطأها المبتعدة أصداءً عاليةً شقَّت الهدوء وتركت بُقعًا مبتلَّةً على الأرض الرُّخام.

كادَ الفَجْر يأخذ چايمي على حِين غرَّة، وإذ بدأ زُجَاج القُبَّة يسـتنير راحَت أقـواس قزح تتـلألأ على الجُدران والأرضيَّات والأعمـدة، وغمرت جُثمـان اللـورد تـايوين بسديمٍ من الضوء عديد الألوان. يد الملك يتعقَّن بوضوح، وقد شابَ وجهه اخضرار خفيف وغاصت عيناه كثيرًا فأصبحتا حُفرتين سوداوين عميقتين وبدأت وجنتاه تنفتقان، بينما تسرَّب سائل أبيض كرية من مِفصلات درعه الفاخرة بلونيهما الذَّهبي والقرمزي ليتجمَّع تحت جثته.

أول من رأى المنظر السيِّئونات عندما عادوا لأداء صلوات الفَجْر، فأنشدوا أناشيدهم ودعوا أدعيتهم وقلَّصوا أنوفهم، لكن رأس واحدٍ من القانتين دارَ لدرجة أنهم اضطروا إلى مساعِدته على الخروج من السيِّت، وبعدها بفترةٍ قصيرة دخلت جماعة من التَّلامذة مؤرَّجحين المباخر، فأفعم البَخور الكثيف الهواء حتي بدا النَّعش ملتحفًا بالدُّخان، وغابت أقواس قزح كلها في ذلك الضباب المعطر، إلا

أن الرائحة ظلت قويّة، رائحة هي مزيج من العفن والشّذا جعلت الرّغبة في القبيء تتاب چایمی.

عندما فُتحت الأبواب كان آل تايرل بين أول الدّاخلين بما يُناسب مكانتهم، وقد أحضرت مارچري باقةً كبيرةً من الورد الذهبية وضعتها بحركةٍ مسرحيّة عند قدم نعش اللورد تاويين، وإن احتفظت بواحدةٍ أبقتها تحت أنفها وهي تتخذ مقعدها. إذن فالفتاة ذكيّة كما هي جميلة. إنها أفضل من كثيراتٍ غيرها كملكةٍ لتومن. ملوك قبله تزوّجوا من هن أسوأ.

حدّت رفيقات مارچري حذوها، أمّا سرسي فانتظرت حتى أخذ الباكون أماكنهم كي تدخل وإلى جوارها تومن، يُصاحبهما السير أوزموند كِتلبلاك في درعه البيضاء المطلية بالمينا ومعطفه الصوف الأبيض.

- «... كانت تُضاجع لانسِل وأوزموند كِتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا...».

رأى چایمی كِتلبلاك عاريًا في الحَمّام، ورأى الشّعر الأسود على صدره وذلك الأشبه بالقشّ الخشن بين ساقيه، وتخيل ذلك الصّدر مضغوطًا إلى صدر أخته وذلك الشّعر يحكّ جلد ثدييها الناعم. ما كانت لتفعل شيئًا كهذا. العفريت كاذب. الذهب المغزول والشّعر الأسود مشتبكان، يتصبّبان عرقًا، وفلقنا مؤخّرة كِتلبلاك الضيّقتان تنضمّان كلّما دفع نفسه في داخلها، ويسمع چایمی أنين أخته. لا، إنها كذبة.

بعينين محمّرتين ووجهٍ ممتقّع صعدت سرسي الدّرجات وركعت إلى جوار أبيهما وسحبت تومن ليركع معها. تراجع الصّبي لم رأى المنظر لكن أمّه أطبقت على معصمه قبل أن يتعد، وهمست له: «صلّ»، فحاول تومن أن يطيع الأمر، غير أنه مجرد طفلٍ في الثامنة والـلورد تاويين رعب حقّ يقوي. نفيس يائس واحد من الهواء وأجهش الملك بالبكاء. قالت سرسي: «كفّ عن هذا!»، ودور تومن رأسه وانثنى على نفسه مفرغًا معدته، وسقط تاجه ليتدحرج على رُخام الأرض. تراجع أمّه باشمئزاز، وفي غمضة عين كان الملك يركض إلى الباب بأقصى سرعةٍ تُتيحها له ساقاه ذاتا الأعوام الثمانية.

قال چایمی بحدّةٍ بينما التفت كِتلبلاك ليُطارِد النَّاج: «سير أوزموند، خذ مكاني»، وناول الرّجل سيفه الذهبي وهرع وراء مليكه. في (بهو القناديل) لحق به أمام أعين دسّة من السيّتوات الجافلات، وقال تومن باكيًا: «إنني أسف. سأبلي بلاءً أحسن غدًا. أمي تقول إن على الملك أن يري الناس الطريق، لكن الرائحة قلبت معدتي».

لن يصلح هذا. آذان مرهفة كثيرة وأعين تُراقب. قال چایمی: «الأفضل أن نخرج يا جلالة الملك»، وقاد الصّبي إلى الخارج حيث الهواء نظيف نقيّ قدر المستطاع في مدينة كـ (كينجز لان-دنج). رأى أربعين من ذوي المعاطف الذهبية

منتشرين في السّاحة لحراسة الخيل والهوارج، فأخذَ الملك جانباً على مسافةٍ لا بأس بها من الجميع، وأجلّسه على الدّرجات الرّخام، حيث قال الصّبي بإصرار: «لم أكن خائفاً، الرّاحة قلّبت معدي. ألم تقل معديك أيّضاً؟ كيف تحملها يا خالي الفارس؟».

لقد شممتُ يدي وهي تتعقّن عندما جعلني فأرجو هوت أعلّقها كقلادة. قال چايمي لابنه: «الرّجل يستطيع أن يحتمل أيّ شيءٍ إذا لزم الأمر». لقد شممتُ رائحة شواء رجل طهاه الملك إيريس في درعه. «العالم مليء بالأهوال يا تومن، فإمّا أن تُقاومها وإمّا أن تنظر دون أن ترى... تنسحب داخل نفسك». فكّر تومن لحظةً، ثم قال بنبرة اعتراف: «كنت... كنتُ أنسحبُ داخل نفسي أحياناً عندما كان چوفي...».

- «چوفري». كانت سرسي واقفةً فوقهما والريّح تضرب ساقها بتثورتها. «أخوك كان اسمه چوفري، وما كان ليُخزيني هكذا».

- «لم أقصد، لم أكن خائفاً يا أمي، لكن رائحة السيّد والدك كانت سيئة...». قالت: «هل تظنّ أنني شممتُ رائحةً أفضل؟ إن لي أنفاً أيضاً»، وأمسكتُ أذنه وسحبته ليقف مضيفةً: «اللورد تايرل له أنف. هل رأيته يتقيّاً في السيّت المقدّس؟ هل رأيته الليدي مارچري تنوح كالرّضع؟». قامَ چايمي قائلاً: «سرسی، كفى».

اشتعل الغضب على مُحيّاها، وقالت: «ماذا تفعل هنا أيها الفارس؟ لقد أقسمت أن تسهر على جثة أبينا حتى ينتهي التّأبين على ما أذكر». - «التّأبين انتهى. اذهبي وانظري إليه».

- «لا. سبعة أيام وسبع ليالٍ كما قلت. مؤكّد أن حضرة القائد يعرف كيف يعدّ إلى سبعة. خذ عدد أصابعك وأضيف اثنين».

كان آخرون قد بدأوا يتدفّقون من الدّاخل إلى السّاحة هاربين من الرّائحة الشّنيعة، فقال لها چايمي محدّراً: «سرسی، اخفضي صوتك، اللورد تايرل يقترب».

سبّرت كلماته غضبتها وسحبّت الملكة تومن إلى جانبها، وانحنى مايس تايرل أمامهما قائلاً: «أرجو أن يكون جلالته بخير».

قالت سرسي: «حزن الملك غلبه لا أكثر».

- «كما يغلبنا جميعاً. إذا كان هناك ما بإمكانني أن أفعله...».

بعيداً بالأعلى أطلق غراب صرخةً مرتفعةً وهو جاثم على تمثال الملك بيلور ويتبرّز على الرّأس المقدّس.

قال چايمي: «هناك الكثير جدًا بإمكانك أن تفعله من أجل تومن يا سيدي. هلاً شَرَفَتْ جلالتها بتناول العشاء معها بعد صلوات المساء؟».

رَمَتْه سرسي بنظرة تُذيل الزَّرْع، لكنها تعقَّلت وحفظت لسانها هذه المرَّة، في حين بدا تايرل مندهشاً، وقال: «العشاء؟ أظن... بالطبع، سنتشرَّف بهذا أنا والسيدة زوجتي».

أجبرت الملكة نفسها على الابتسام ورددت كلاماً فارغاً عن سرورها، لكن حين انصرف تايرل وصُرف تومن مع السير أدام ماربران-د التفَّتت إلى چايمي ساخطةً، وقالت: «أأنت سكران أم تحلم أيها الفارس؟ أخبرني من فضلك، لماذا أتناول العشاء مع هذا الأحمق الجشع وزوجته البلهاء؟»، وحركت هبة ريح شعرها الذهبي وهي تُضيف: «لن أعينه يدًا إذا كان هذا ما...».

قاطعها: «أنت في حاجةٍ إلى تايرل، ولكن ليس هنا. سليه أن يستولي على (ستورمز إند) من أجل تومن. أطري عليه وقولي له إنك تحتاجين إليه في الميدان بدلاً من أبي. مايس يتخيَّل نفسه مُحاربًا مغوارًا، فإمَّا يُسَلِّمك (ستورمز إند) وإمَّا يُفسد الأمر ويبدو كالحمقى. في الحالتين أنتِ الرَّابحة».

لاحت أمارات التَّفكير على سرسي وهي تقول: «(ستورمز إند)؟ نعم، ولكن... اللورد تايرل جعل من الواضح تمامًا أنه لن يبرح (كينجز لاندنج) قبل أن يتزوَّج تومن مارچري».

تنهَّد چايمي، وردَّ: «دعيهما يتزوَّجان إذن. ستمضي سنوات قبل أن يكبر تومن ويستطيع إتمام الزَّيجة، وحتى ذلك الحين فإبطالها متاح دائماً. أعطي تايرل زفافه وأرسله يلعب لعبة الحرب».

زحفت ابتسامة حذرة على وجه أخته، وغمغمت: «حتى الحصار له أخطاره، بل وربما يفقد سيِّد (هايجاردن) حياته في مغامرةٍ كذلك».

أيَّدها قائلاً: «تلك المخاطرة واردة، خصوصاً إذا نفذ صبره هذه المرَّة واختارَ اقتحام البوابة».

ثبَّتت سرسي عينيها عليه لحظات، ثم قالت: «أتدري؟ للحظةٍ كنت تتكلَّم كأنك أبونا بالضبط».

بريان

كانت بَوَّابة (وادي الغسق) مغلقةً موصدةً. في عتمة ما قبل الفجر التمعت أسوار البلدة بشحوب، وعلى متاريسها تحركت خيوط الضباب كخُرَّاس شبحيين، فيما توقفت عربات اليد والعربات التي تجرها التيَّران خارج البوابة منتظرةً شروق الشمس. أخذت بريان مكانها وراء عربٍ محملة باللفت، ولما كانت ربلت ساقيها تؤلمانها فقد أراحها أن تترجل وتفردهما. لم يمض وقت طويل قبل أن تُقيل عربة يدٍ أخرى من الغابة، وحين بدأت السماء تُنير كان الطابور يمتدُّ رُبع ميل.

حدَّجها المزارعون بنظرات فضولية وإن لم يُخاطبها أحد. قالت لنفسها: عليَّ أنا أن أخاطبهم، لكن الكلام مع الأغراب كان صعبًا عليها دومًا. حتى في صغرها كانت خجولًا، ولم تُفْلِح سنوات السخريَّة الطويلة إلا في جعلها أكثر خجلًا. يجب أن أسأل عن سانزا، وإلا كيف سأجدها؟ تنحنحت وقالت للمرأة الجالسة على عربة اللفت: «أيتها العقيلة، هل عساك رأيت أختي على الطريق؟ إنها بنت في الثالثة عشرة، جميلة الملامح ولها عينان زرقاوان وشعر كستنائي. ربما تكون راكبةً مع فارس سكير».

هزَّت المرأة رأسها نفيًا، لكن زوجها قال: «أراهنُ إذن أنها لم تعد بنتًا. ما اسم المسكينة؟».

وجدت بريان رأسها خاليًا. كان عليَّ أن أخلق لها اسمًا. أيُّ اسمٍ على الإطلاق يصلح، إلا أنها لم تنجح في التفكير في واحد.

- «لا اسم؟ طيب، الطرق مليئة بالبنات اللاتي بلا اسم».

أضافت زوجته: «وساحات الأشنة أكثر امتلاءً».

مع بزوغ الفجر ظهرَ الحرس في الشرفات، فصعدَ المزارعون إلى عرباتهم وهزُّوا أزمَّة دوابهم، وامتطت بريان فرسها أيضًا وألقت نظرةً وراءها. معظم من في الطابور المنتظر دخول (وادي الغسق) مزارعون بأحمالٍ من الخضراوات والفواكه في طريقها إلى البيع، ووراءها بنحو دسنةٍ من المنتظرين ثمة اثنان من رجال البلدة الأثرياء يركبان حصانين أصيلين، وعلى مسافةٍ أبعد لمحت صبيًا نحيلًا على حصانٍ أرقط تقليدي، لكنها لم تر أثرًا للفرسين المتجولين أو السير شادريك الغار المجنون.

لوَّح الحرس للعربات بالمرور دون أن يُكلِّفوا أنفسهم مجرَّد النظر، ولكن حين بلغت بريان البوابة جعلتَهم يعدلون عن وتيرتهم، وصاح قائدهم: «توقفي يا هذه!»، وقاطعَ رجلان يرتديان الحلقات المعدنية حربتيهما ليسدَّا طريقها، بينما أضاف القائد: «أفصحي عن غرضك هنا».

- «أبحثُ عن سيّد (وادي الغسق) أو مايستره».
ثَبَّتَ القائدُ نظرته على تُرسها قائلاً: «خُفَّاش لوشستون الأسود، رمز سيّئ السمعة».

- «ليس رمزي، وأنوي أن أعيد طلاء التُّرس».
حَكَّ القائدُ ذقنَه المغَطَّى بِالزَّغَبِ، وقال: «حَقًّا؟ أختي تُزاول هَذَا الْعَمَلَ بِالْمُنَاسَبَةِ. سَتُجَدِّينَهَا فِي الْمَنْزِلِ ذِي الْبَابِ الْمَلَوَّنِ، قُبَالَةِ (السِّيُوفِ السَّبْعَةِ)»، وَأَشَارَ إِلَى الْحَارِسِينَ مُرَدِّفًا: «دَعَاهَا تَمْرٌ. إِنِّهَا فَتَاةٌ».

يَنْفَتِحُ مَبْنَى الْبَوَّابَةِ عَلَى مِيدَانِ السُّوقِ، حَيْثُ يُفَرِّغُ مِنْ سَبْقُوهَا إِلَى الدُّخُولِ حَمُولَاتُهُمْ مِنَ اللَّفْتِ وَالْبَصْلِ الْأَصْفَرِ وَالشَّعِيرِ لِيَنَادُوا عَلَيْهَا، بَيْنَمَا يَبِيعُ آخَرُونَ أَسْلِحَةً وَدُرُوعًا، وَبِأَسْعَارٍ رَخِيصَةٍ لِلْغَايَةِ أَيْضًا كَمَا تُشِي الْأَرْقَامُ الَّتِي سَمِعْتُهُمْ يَزْعُقُونَ بِهَا وَهِيَ تَمْرٌ. مَعَ غِرْبَانٍ الْجَيْفِ يَأْتِي اللَّصُوصُ بَعْدَ كُلِّ مَعْرَكَةٍ. مَضَتْ بَرِيَانُ بِفَرَسِهَا لِتَشْهَدَ قِمَصَنَا حَلَقَاتِهَا الْمَعْدَنَ لَا تَزَالُ مَلَوَّثَةً بِالِدِّمَاءِ الْبَنِيَّةِ وَخِوَذَاتِ مَنبَعَجَةٍ وَسُيُوفًا طَوِيلَةً ثَلَمَةً، بِالإِضَافَةِ إِلَى الثِّيَابِ الْمَعْرُوضَةِ لِلْبَيْعِ الَّتِي تَضُمُّ أَحْذِيَّةَ جِلْدٍ وَمَعَاطِفَ فُرُو وَسُتُرَاتٍ مَنَسَخَةً فِيهَا تَمَرُّقَاتٌ فِي بَقَاعٍ مَرِيَّةٍ. تَعَرَّفْتُ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الشَّارَاتِ، كَالْقَبْضَةِ الْمَقْفُوزَةِ بِالْحَلَقَاتِ الْمَعْدَنِيَّةِ وَالْمَوْظِ³⁴ وَالشَّمْسِ الْبَيضاءِ وَالْبَلْطَةِ ذَاتِ النَّصْلَيْنِ. كُلُّهَا رَمُوزٌ شِمَالِيَّةٌ، غَيْرُ أَنَّ رِجَالَ تَارْلِي لَقُوا حَتْفَهُمْ هُنَا أَيْضًا، وَكَثِيرِينَ مِنْ أَرَاضِي الْعَوَاصِفِ كَذَلِكَ، إِذْ رَأَتْ تَقَاحًا أَحْمَرَ وَأَخْضَرَ، وَتُرْسًا عَلَيْهِ صَوَاعِقُ عَائِلَةٍ لَا يَجُودُ إِلَّا ثَلَاثُ، وَكَسْوَةٌ حَصَانٍ مَزْرُكْشَةٍ بِنَمَلٍ عَائِلَةٍ أَمْبَرُوزٍ، كَمَا ظَهَرَ صِيَادُ اللَّيْلِ وَتَارْلِي طَوِيلُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى كَثْرَةِ لُئَامَاتِهِ مِنَ الشَّارَاتِ وَالِدَّبَابِيْسِ وَالسُّتُرَاتِ. عَدُوٌّ كَانَ أَمَّ صَدِيقًا، الْغِرْبَانُ لَا تَبَالِي.

وَجَدْتُ بَرِيَانُ تُرُوسًا مِنْ خَشَبِ الصَّنُوبَرِ وَخَشَبِ الزَّيْفُونِ تُشْتَرَى بِبَنَسَاتٍ مَعَ دُودَةٍ، لَكِنْهَا تَجَاوَزَتْهَا بِلا اِكْتِرَاحٍ، إِذْ تَنْوِي الْاِحْتِفَاطَ بِالْأُتْرُسِ الْبَلُوطِ الثَّقِيلِ الَّذِي أُعْطَاهَا چَايْمِي إِيَاهُ وَحَمَلَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ (هَارِنْهال) إِلَى (كِينْجَزْ لَانْدَنْج). لِلْأُتْرُسِ الْمَصْنُوعِ مِنْ خَشَبِ الصَّنُوبَرِ مُمَيِّزَاتُهُ، فَهُوَ أَخْفَ وَزْنًا وَمِنْ ثَمَّ أَسْهَلُ فِي الْحَمْلِ، وَمِنْ شَأْنِ الْخَشَبِ الطَّرِيقِيِّ أَنْ يَجْعَلَ سَيْفَ الْخَصْمِ أَوْ فَأْسَهُ يَنْغَرَسُ فِيهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ انْتِزَاعَهُ، عَلَى أَنَّ الْبَلُوطَ يَحْمِي حَامِلَهُ أَكْثَرَ إِذَا كَانَ قُوِيًّا كَفَايَةً لِاحْتِمَالِ وَزْنِهِ.

(وادي الغسق) مَبْنِيَّةٌ حَوْلَ مِينَائِهَا. شِمَالُ الْبَلَدَةِ تَرْتَفِعُ جُرُوفُ الطَّبَاشِيرِ، وَإِلَى الْجَنُوبِ يَقِي لِسَانُ أَرْضِ صَخْرِيَّةِ السُّفْنِ الرَّاسِيَةِ مِنَ الْعَوَاصِفِ الْهَابَةِ مِنَ (الْبَحْرِ الضِّيْقِ)، فِي حِينٍ تَطْلُ الْقَلْعَةُ عَلَى الْمِينَاءِ وَتُمْكِنُ رُؤْيَا حَصْنِهَا الْمَرْبَعِ وَأَبْرَاجِهَا الْمُسْتَدِيرَةِ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ فِي الْبَلَدَةِ. أَلْفَتْ الْمَشِي أَسْهَلُ مِنَ الرُّكُوبِ فِي الشَّوَارِعِ الْمَرْصُوفَةِ الْمَزْدَحْمَةِ، فَتَرَكْتُ بَرِيَانُ فَرَسَهَا فِي اسْطَبْلِ وَوَاصَلْتُ الطَّرِيقَ

على قدميها، وقد علقت ثُرسها على ظهرها ودست لفافة النوم تحت إبطها. لم يكن العثور على أخت القائد صعبًا، فـ(السُّيوف السَّبعة) أكبر خانٍ في البلدة، بناءً من أربعة طوابق يرتفع فوق جيرانه، ويُقابلُه منزل بابُه من مصراعين مزينين برسـمٍ رائـع الجـمـال لقلعةٍ في غابةٍ خـريفيّة، أشـجارها ملوّنة بـدرجات الخـمري والذهبي، ويـزجـف الـلّـباب علـى جـذوع السـنـديانات العجـوز، وحتـى أشـجار البـلوط مرسـومة بعنايـة وشـغف، ولـمّا أمـعـنت برّـيـان التّـظـر رأت مخلوقـاتٍ وسـط ورق الشّجـر، منـها ثعلـب أحمر مـكـار وعُصـفوران علـى فـرع، غـير ظِلّ الـدّبّ البـادي وراء الأوراق.

قالت للمرأة داكنة الشّعر التي فتحت الباب حين دقّته: «بابك جميل. أيّ قلعةٍ هذه؟».

أجابَت أخت القائد: «جميع القلاع. الوحيدة التي أعرفها هي (قلعة التّبة) عند الميناء. الأخرى اختلقتها من خيالي، ما ينبغي لقلعةٍ أن تبدو. إنني لم أرَ تيّناً من قبل كـذلك، ولا جـريفيـن³⁵ أو يونـيـكورن³⁶». كـانت تتكـلم بأسـلوبٍ مرّح، لكـن عـنـدما أرّتـها برّـيـان الـثـُرس أظـلـم وجمـها، وقـالت: «أمي العجـوز اعتـادت أن تقـول إن الخفـافيش العملاقـة تطير من (هارنـهال) في الليـالي غـير المـقـمـرة، لتحمـل الأطفـال سـيئـي الخُلـق إلـى دانـل المـجنونـة لتطبخـهم. أحيـانًا أسـمعـها تُخربش مصـاريع النّوافذ»، ثم شـفطت أسنانها مصدرةً صوتًا حادًا وفكرت لحظةً قبل أن تسأل: «ماذا تُريدين مكانه؟».

رمز عائلة تـارث أربعة مربّعات، اثـنـان لونـهما وردي واثنـان أزرق سـماوي، وعليـه شـمس صـفراء وهـلال، لكـن مـا دامـ النّاس يعتقـدونـها قاتلـةً فبرّـيـان لا تجرؤ علـى حمل هذا الرّمز. هكذا قالت: «بابك ذكّرني بـُرسٍ قديم رأيته مرّةً في مستودع سلاح أبي»، ووصفته لها قدر ما أسعفتها الذاكرة. أومأت المـرأة قائلـةً: «أسـتطيعُ أن أرسـمه في الحـال، لكـن الـطـلاء سـيـحتاج إلـى وقـتٍ لـيـجفّ. خُذي غُرفةً في (السُّيوف السَّبعة) إذا أردتِ وسـأجلبُ لـكِ الـثـُرس في الصّباح».

لم تكن نيّة برّيان أن تقضي اللّيل في (وادي الغسق)، ولكن قد يكون هذا خيرًا، فهي لا تدري إن كان سيّد القلعة موجودًا، وإن كان سيؤافق على رؤيتها. شكرت الرّسامة وعبرت الشّارع إلى الخان الذي تتأرجح فوق بابُه لافتة عليها سبعة سيوف خشبيّة معلقة من مسمار كبير من الحديد، وعلى الرغم من أن الجير الذي رُسِمَت به السُّيوف يبدو مشـققًا متقشّرًا فـإن برّـيـان تعرّف معنـى الـلّافـة، وأن السُّيوف ترمز إلـى أبـناء عائلـة داركلـين السَّبعة الـذين ارتـدوا معـاطف الـحـرس المـلكـي البـيضاء. لا عائلة أخرى في

البلاد كُلِّها يُمكنها أن تتباهى بهذا العدد. كانوا مفخرة عائلتهم، والآن غدوا لافتةً فوق باب خان. دفعت الباب داخلةً القاعة العامة وطلبت من صاحب الخان غرفةً وحمّامًا.

أنزلها في غرفةٍ في الطابق الثاني، وأحضرت لها امرأة ذات وجمةٍ بلون الكبد على وجهها حوضًا خشبيًا، ثم جلبت الماء سطلًا سطلًا. سألتها بريان وهي تضع جسدها في الحوض: «هل تبقى أحد من آل داركلين في (وادي الغسق)؟».

أجابَت المرأة: «هناك آل دارك. أنا منهم عن نفسي. زوجي يقول إنني كنتُ منهم قبل زواجنا ولذا سوّدتُ معيشته بعد الزواج»، وضحكت مضيئةً: «لا يُمكنك أن ترمي حجرًا في (وادي الغسق) دون أن تُصيبني أحدًا من آل دارك أو داركوود أو دارجود، لكن لوردات آل داركلين بادوا عن آخرهم. اللورد دينس كان الأخير، ذلك الشاب الأحمق الجميل. هل تعلمين أن آل داركلين كانوا ملوكًا في (وادي الغسق) قبل مجيء الأنداليين؟ لن تُخميني هذا من مجرد النظر إليّ، لكن في عروقي دماء ملكيّة، هل ترين؟ المفترض أن أجعلهم يقولون: كوب آخر من المِزر يا صاحبة الجلالة، وعاء الفضلات في حاجةٍ إلى إفراغ يا صاحبة الجلالة، واجلبي لي المزيد من الحطب، النار تكاد تهمد يا صاحبة الجلالة اللعينة»، وضحكت ثانيةً وأفرغت آخر قطرات الماء من السّطل، وقالت: «هاك. هل الماء ساخن كفاية؟». أجابت وهي جالسة في الماء الفاتر: «لا بأس به».

- «كنتُ لأجلب المزيد، لكنه سينسكب من فوق الحافة. فتاة بحجمك تملأ حوضًا كهذا».

فقط لأنه حوض صغير ضيق. في (هارنغال) كانت الأحواض ضخمةً ومصنوعةً من الحجارة، وامتلاً الحمّام بالبُخار المتصاعد من الماء الساخن، وأتى چايمي يخترق تلك الغشاوة عاريًا كيوم مولده، يبدو نصف جثةٍ ونصف إله. قالت لنفسها متذكّرةً ووجهها يتورّد: يومها نزل إلى الحوض معي. أطبقت على قطعةٍ من صابون القلي الصلب وحكت بها إبطيها محاولةً أن تستدعي وجه رنلي إلى الذّاكرة مرّةً أخرى.

مع برود الماء كان جسدها قد صارَ نظيفًا تمامًا، فعادت ترتدي الملابس نفسها التي خلعتها وأوثقت حزام سيفها حول وركيها، وإن تركت قميصها المعدني وخوذتها لكي لا يبدو منظرها مهذّبًا في (قلعة اللّتّة). أراحها أن تفرد ساقيها، وعنَد بوّابة القلعة وجَدَت حارسين يرتديان سُترتين من الجلد على كِلِيٍّ منهما شارة تُظهر مطرقتين حربيتين متقاطعتين على صليبٍ مائل. قالت لهما: «أريدُ أن أتكلّم مع سيّدكما». ضحك أحدهما قائلاً: «الأفضل أن تزعقي إذن».

وقال الثاني: «اللورد ريكز خرجَ إلى (بركة العذارى) مع راندل تارلي وترك السير

روفوس ليك أمينًا للقلعة، ليعتني بالليدي ريكرو والصغار». وإلى ليك اصطحابها، فوجدت السير روفوس رجلًا قصيرًا مكتنزًا أشيب اللحية، تنتهي ساقه اليسرى بجذعة. قال لها: «أرجو أن تعذريني لعدم نهوضي». أخرجت بريان رسالتها ليقرأها، لكن لأن ليك أمي فقد أرسلها إلى المايستر الأصلع ذي فروة الرأس المنمشة والشارب الأحمر اليابس.

بدا أن وجهها وشي بها، وحين سمع المايستر اسم هولارد قطب وجهه ضيقًا، وقال: «كم مرة علي أن أكرّر هذا الكلام؟ هل حسبت أنك أول من جاء يبحث عن دونتوس؟ إنك الأولى بعد العشرين على الأقل. ذوو المعاطف الذهبية كانوا هنا في غضون أيام بعد اغتيال الملك ومعهم تفويض اللورد تايوين. ماذا تحملين أنت يا ثري؟».

أرته بريان الرسالة الممهورة بختم تومن وتوقيعه الطفولي، وهمهم الرجل ودمدم وهو يفحص الشمع قبل أن يعيدها إليها أخيرًا، ويقول: «تبدو سليمة»، ثم جلس على كرسي وأشار لبريان بالجلوس على آخر مردف: «لم أعرف السير دونتوس قط. كان صبيًا عندما رحل من (وادي الغسق). آل هولارد كانوا عائلة نبيلة، هذا صحيح. هل تعرفين رمزهم؟ أحمر توتي ووردي، مع ثلاثة تيجان ذهبية على شريط أزرق. كان آل داركلين ملوكًا صغار الشان خلال عصر الأبطال، وثلاثة منهم اتخـذوا زوجات من عائلة هولارد. لاحقًا ابتلعت الممالك الأكبر مملكتهم الصغيرة، لكن آل داركلين اسـتمروا وخـدمهم آل هولارد... نعم، حتى في التحدّي. هل تعرفين القصة؟».

- «بعض الشيء». كان مايسترها يقول إن تحدي (وادي الغسق) هو ما قاد الملك إيرس إلى الجنون.

- «ما زالوا يحبون اللورد دينس في (وادي الغسق) على الرغم من الويلات التي جلبها عليهم. إنهم يصبون اللوم على الليدي سيرالا، زوجته المايسترة الملقبة بالأفعى الحريية. لو كان اللورد دينس قد تزوج واحدة من بنات ستونتون أو ستوكوورث... تعلمين كيف يتمادى العامة في الكلام. يقولون إن الأفعى الحريية وسوست في أذن زوجها وملأتها بالسم المايري إلى أن هب اللورد دينس ضد مليكه وأخذته أسيرًا، وخـلال عملية الأسر نفسـها قتـل قـيم سـلاحه السير سـايمون هولارد السير جواين جونت رجل الحرس الملكي. طوال نصف عام ظل إيرس حبيس هذه الجدران، بينما جلس يد الملك خارج (وادي الغسق) على رأس جيش جرار، وكان اللورد تايوين يملك قوة كافية لاقتحام البلدة في أي وقت يشاء، لكن اللورد دينس أرسل له يقول إنه سيقتل الملك مع أول بادرة هجوم».

تذكرت بريان ما جرى بعدها، وقالت: «وتحرر الملك، السير بارستان أنقذه وأخرجه».

قال المايستر: «نعم، وما كادَ اللورد دينس يفقد رهينته حتى فتحَ بواباته وأنهى التَّحْدِي بدلاً من أن يدع اللورد تايوين يأخذ بلدته، وركعَ وتوسَّل الصَّح، لكن الملك لم يكن في مزاج متسامح. فقدَ اللورد دينس رأسه، بالإضافة إلى إخوته وأخته وأعمامه وأولادهم، آل داركلين قاطبةً. أمَّا الأفعى الحريَّة فقد أحرقت حيةً، تلك المسكينة، لكنهم قطعوا لسانها أولاً، وأعضاءها الأنثويَّة التي يُقال إنها أسرت زوجها بها. حتى الآن سيقول لكِ نصف أهل (وادي الغسق) إن إيرس ترفق بها كثيراً».

- «وآل هولارد؟».

- «أدينوا واستؤصِلت شأفتهم. كنتُ أكوِّن سلسلتي في القلعة في ذلك الحين، لكنني قرأتُ تقارير محاكماتهم وعقوباتهم. السير جون هولارد الوكيل كان زوج أخت اللورد دينس وماتَ مع أخته، وكذا ابنهما الشاب الذي كان نصف داركلين. روبن هولارد كان مُرافقاً، ولَمَّا قُبِضَ على الملك راحَ يَرُقُص حوله ويشدُّ لحيته، فماتَ على المِخلعة³⁷ والسير سايمون هولارد قتله السير باريس-تان خ-لال هروب الملك. هكـذا صـودرت أراضـي آل هولارد وهُدِمَت قلعتهم وأحرقت قُراهم، وكعائلة داركلين فتت عائلة هولارد».

- «باستثناء دونتوس».

- «صحيح. دونتوس الصَّغير كان ابن السير ستفون هولارد، توأم السير سايمون الذي ماتَ قبل التَّحْدِي بسنواتٍ ولم يكن له دور فيه. أرادَ إيرس أن يضرب عُنق الصَّبي رغم ذلك، لكن السير باريس-تان سأله أن يعفو عنه، فلم يستطع الملك أن يَرُقُص طلب الرِّجل الذي أنقذه، فأخذَ دونتوس إلي (كينجز لاندنج) كمُرافق، وعلى حَدِّ علمي لم يرجع إلى (وادي الغسق) قط. ولمَ يفعل؟ إنه لا يملك أراضٍ هنا وليس له أهل أو قلعة. إذا كان دونتوس وتلك الفتاة الشَّمالِيَّة قد لعبا دوراً في اغتيال ملكنا الحبيب، فيبدو لي أنهما سيرغبان في أن يفصل أكبر عددٍ ممكن من الفراسخ بينهما وبين العدالة. ابحتي عنهما في (البلدة القديمة) إذا لزمَ الأمر، أو عبـر (البحـر الضـيِّق)، ابحتـي عنـهما فـي (دورن) أو علـى (الـجـدار)، ابحتـي فـي مـكانٍ آخـر»، ونـهضَ المايـسـتر مضـيقاً: «أسـمعُ غـد فـاني تصـيح. أرجـو أن تـعـذِّريني وطابَ يومك».

بدت لها مسيرة العودة إلى الخان أطول من مسيرة الذهاب إلى (قلعة التَّبة)، وإن كان السَّبب مزاجها على الأرجح. واضحٌ الآن أنها لن تجد سائراً ستارك في (وادي الغسق)، وإذا أخذها السير دونتوس إلى (البلدة القديمة) أو عبـرَ بها (البحر الضيِّق) -كما يظنُّ المايستر- فمهمَّة بريان مستحيلة. قالت لنفسها: وما لها في (البلدة القديمة)؟ المايستر لا يعرفها أكثر مما يعرف هولارد. ما كانت لتذهب إلى غرباء.

في (كينجز لاندنج) وجدت بريان واحدةً من وصيفات سائرا السَّابقات تعمل

غَسَّالَةً فِي مَاحُورٍ، وَقَالَتْ لَهَا الْمَرْأَةُ بَرِيلاً شَاكِيَةً بِمَرَارَةٍ: «خَدِمْتُ اللُّوردَ رِنْلِي قَبْلَ الْيَدِيِّ سَانْزَا، وَكِلَاهُمَا تَحَوَّلَ إِلَى خَائِنٍ. لَا أَحَدٌ مِنَ السَّادَةِ سِيَمْسْنِي الْآنَ، لِذَا عَلَيَّ أَنْ أَغْسِلَ ثِيَابَ الْمَوْمَسَاتِ»، لَكِنْ حِينَ سَأَلَتْهَا بَرِيَانُ عَنْ سَانْزَا أَجَابَتْ: «سَأَقُولُ لَكَ مَا قَتَلَهُ لِلُّوردِ تَايَوِين. تِلْكَ الْفَتَاةُ كَانَتْ تُصَلِّي دَائِمًا، اعْتَادَتْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى السَّيِّئَةِ لِتُشْعِلَ شَمُوعَهَا كَمَا يَلِيقُ بِكُلِّ لَيْدِي، لَكِنْهَا كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى أَيْكَةِ الْأَلْهَةِ أَيْضًا كُلَّ لَيْلَةٍ تَقْرِيْبًا. لَقَدْ عَادَتْ إِلَى الشَّمَالِ، إِلَى الشَّمَالِ. إِنْ أَلْهَتْهَا هُنَاكَ».

عَلَى أَنْ الشَّمَالُ شَاسِعٌ، وَبَرِيَانُ تَجَهَّلَ مَنْ مِنْ حَمَلَةٍ رَايَةً أَبِيهَا تَمِيلُ سَانْزَا إِلَى الثِّقَّةِ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ. أَمْ عَسَاهَا سَعَتْ إِلَى لِحْمِهَا وَدَمِهَا؟ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ إِخْوَتَهَا قُتِلُوا جَمِيعًا، فَبَرِيَانُ تَعْلَمُ أَنَّ لِسَانْزَا عَمًّا وَأَخًّا نَغْلًا يَخْدُمَانِ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ عَلَى (الْجِدَارِ)، وَهُنَاكَ أَيْضًا خَالَهَا إِدْمِيُورُ تَلِي الْأَسِيرِ فِي (التَّوَأْمَتَيْنِ)، لَكِنْ عَمَّهُ السَّيْرُ بَرَايْنْدُنُ مَا زَالَ مَسِيطَرًا عَلَى (رِيْفَرَرَن)، وَأَخْتُ الْيَدِيِّ كَاتَلِينُ الصَّغِيرَةِ تَحْكُمُ فِي (الْوَادِي). الدَّمُ يُنَادِي الدَّمَّ. رُبَّمَا هَرَعَتْ سَانْزَا إِلَى أَحَدِهِمْ بِالْفِعْلِ، لَكِنْ إِلَى أَيِّهِمْ؟ (الْجِدَارُ) بَعِيدٌ جَدًّا مِنْ غَيْرِ رَيْبٍ، ثُمَّ إِنَّهُ مَكَانٌ كَثِيبٌ مَوْحِشٌ، وَكَيْ تَبْلُغَ الْفَتَاةُ (رِيْفَرَرَن) عَلَيْهَا أَنْ تَقْطَعَ أَرْضِي النَّهْرِ الَّتِي مَرَّقَتْهَا الْحَرْبُ وَتَمُرَّ مِنْ خُطُوطِ حِصَارِ لَانْسْتِر. (الْعُش) الْخِيَارُ الْأَسْهَلُ، وَلَا بُدَّ أَنَّ الْيَدِي لَا يَسَا سَتُرَجَّبُ بَابِنَةَ أَخْتِهَا...

أَمَامَهَا انْعَطَفَ الزُّفَاقُ. بِشَكْلِ مَا سَلَكَتِ بَرِيَانُ مَسَارًا خَاطِئًا، فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي طَرِيقٍ مَسْدُودٍ، فَنَاءً صَغِيرٍ مَوْحِلٍ تُنْقَبُ فِيهِ ثَلَاثَةُ خَنَازِيرٍ عَنِ الطَّعَامِ حَوْلَ بئرٍ حَجْرِيَّةٍ وَاطْنَةٍ. قَبَعَ أَحَدَهَا لَمَرَّأَهَا، وَرَمَقَتْهَا عَجُوزٌ تَسْحَبُ الْمَاءَ بِشَكْلٍ سَائِلَةٍ: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟».

- «أَبْحَثُ عَنِ (السُّيُوفِ السَّبْعَةِ)».

- «عُودِي مِنْ حَيْثُ أَتَيْتِ، يَسَارًا عِنْدَ السَّيِّئَةِ».

قَالَتْ بَرِيَانُ: «أَشْكُرُكَ»، وَالتَفَتَتْ لَتَعُودَ أَدْرَاجَهَا... وَارْتَطَمَتْ مَبَاشِرَةً بِشَخْصٍ كَانَ يُسْرِعُ لِيَدُورَ حَوْلَ الْمَنْعِطِ. طَرَحَتْهُ الصَّدْمَةُ أَرْضًا، وَوَقَعَ عَلَى مَوْجَرَّتِهِ فِي الْوَحْلِ، فَتَمَتَّتْ: «مَعْذَرَةً». وَجَدَتْهُ مَجْرَّدَ صَبِيٍّ نَحِيلَ لَهُ شَعْرٌ خَفِيفٌ مَفْرُودٌ وَذُمَّلٌ تَحْتَ عَيْنِهِ. أَضَافَتْ: «هَلْ تَأْذَيْتَ؟»، وَمَدَّتْ يَدَهَا تُعَاوِنُهُ عَلَى النُّهُوضِ، لَكِنْ الصَّبِيُّ تَرَاوَعَ مَتَمَلِّصًا مِنْهَا عَلَى كَعْبِيهِ وَمِرْفَقِيهِ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ سِنَّهُ تَتَجَاوَزَ الْعَاشِرَةَ أَوْ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ يَرْتَدِي سُتْرَةً مِنَ الْحَلَقَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَعَلَى ظَهْرِهِ سَيْفٌ طَوِيلٌ فِي غِمْدٍ جِلْدِي. سَأَلَتْهُ بَرِيَانُ: «هَلْ أَعْرِفُكَ؟». بِشَكْلِ ضَبَابِي يَبْدُو وَجْهَهُ مَأْلُوقًا، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَذَكَّرَ أَيْنَ رَأَتْهُ مِنْ قَبْلُ.

قَالَ: «لَا، لَا تَعْرِفِينِي، إِنَّكَ لِم...»، وَنَهَضَ مُوَاصِلًا: «سَسَامَحِينِي يَا سَيِّدَتِي. لِمَ أَكُنْ أَنْظَرُ، أَعْنِي أَنْ يَكُنْتُ أَنْظَرُ».

ولكن إلى أسفل، كنت أنظر إلى أسفل، إلى قدمي»، وأطلق ساقيه للريح عائداً إلى حيث جاء.

شيء ما فيه أثار شكوك بريان، غير أنها لم تكن لتطارده في شوارع (وادي الغسق) بالطبع. ثم إنها تذكرت. خارج البوابة هذا الصباح، هناك رأيته. كان يمتطي حصاناً أرقط. ويخيل لها أنها رآته في مكان آخر أيضاً، لكن أين؟ عندما عادت بريان إلى (السُّيوف السبعة) كانت القاعة العامة قد ازدحمت. قرب النار تجلس أربع سيبتوات في أودية لوثها وتربها الطريق، وفي باقي المكان يملأ أهل البلدة الذِّكَّ ويغمسون يخنه السرطان البحري الساخنة بقطع من الخبز. جعلت الرائحة بطنها يُقرقر، لكنها لم تر مقاعد شاغرة، ثم قال صوت من خلفها: «سيديتي، تفضلي، خذي مكاني». حتى وثب من على الذِّكَّة لم تُدرك بريان أن المتكلم قزم. لا يبلغ الرجل الصغير الأقدام الخمسة طولاً، وله أنف منتفخ معرق وأسنان محمّرة من مضغ التبغ المر، ويرتدي الخيش البني كالأخوة المتديّنين، ومن عنقه الثخين تتدلى مطرقة (الحدّاد).

قالت: «احتفظ بمقعدك. أستطيع الوقوف مثلك تماماً».

- «نعم، لكن رأسي ليس قميئاً بأن يخطب السقف». يتكلم القزم بخشونة وإنما بكياسة، ورات بريان قمة رأسه التي حلقها كثير من الإخوة المتديّنين الذين يُبقون هذه البُقعة جرداء. في مرّة قالت لها السيبتة روبل إن الغرض من هذا أن يروا أنهم لا يخفون شيئاً عن (الأب)، فسألتها بريان: «ألا يستطيع (الأب) أن يرى عبر الشَّعر؟». سؤال سخيف. لطالما كانت طفلة بطيئة الفهم، وكثيراً ما ردّدت السيبتة هذا، والآن تكاد تشعُر بالسّخافة نفسها، ولذا أخذت مكان الرجل الصغير في طرف الذِّكَّة وأشارت طالبة اليخنة، ثم التفتت تشكر القزم، وقالت: «هل تخدم في دار عبادة في (وادي الغسق) أيها الأخ؟».

أجاب الرجل وهو يقضم من رغيف من الخبز: «كنت أخدم قرب (بركة العذارى) يا سيديتي، لكن الذئاب أحرّقوا المكان. أعدنا البناء قدر الإمكان، إلى أن أتى بعض المرتزقة. لا أدري رجال من كانوا، لكنهم أخذوا خنازيرنا وقتلوا الإخوة. دسست نفسي في جذع شجرة أجوف واختبأت، لكن الآخرين كانوا أكبر حجماً من أن يفعلوا مثلي. استغرقت وقتاً طويلاً حتى دفنتهم جميعاً، لكن (الحدّاد) مدّني بالقوّة، وحين فرغت نقت عن القليل من المال الذي أخفاه الأخ الكبير وخرجت وحدي».

- «التقيت عدداً من الإخوة الدّاهبين إلى (كينجز لاندنج)».

- «نعم، هناك مئات على الطرق، وليسوا إخوة فقط، بل سيبتونات وعوام أيضاً، كلهم عصابير. ربما أكون عُصفوراً أيضاً. لقد خلّفتني (الحدّاد) صغيراً»، وقهقهة الرجل الصغير، وأردف: «وما حكايتك الحزينة يا سيديتي؟».

- «أبحث عن أختي. إنها رفيعة النّسب، في الثالثة عشرة فقط، بنت جميلة لها

عينان زرقاوان وشعر كستنائي. لعلك رأيته مسافراً مع رجل، فارس أو ربما مهرج.

هناك ذهب لمن يُساعدني على العثور عليها».

منحها الأخ ابتسامة حمراء، وقال: «ذهب؟ يكفيني وعاء من هذه اليخنة كمكافأة، لكنني أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك. من المهرجين قابلت الكثير، لكن من البنات الحسنات فلا»، ثم مال برأسه إلى الجانب وتفكر لحظة، ثم أضاف: «تذكرت الآن أنني رأيت مهرجاً في (بركة العذارى). كان يرتدي أسماًلاً متسخة على حد ما رأيت، لكن تحت الوسخ ارتدى ثياب مهرجين».

هل كان دونتوس هولارد يرتدي ثياب المهرجين؟ لا أحد قال لبريان إنه يرتديها... لكن لا أحد قال لها العكس كذلك. لكن لماذا يرتدي الرجل الأسمال؟ هل حاقت به بلية ما هو وسانزا بعـداً فـراً من (كينجز لانـدنـج)؟ وارد جـداً في ظل الأخطار التي تكتنف الطرق. وربما لم يكن هو أصلاً. «هل كان لهذا المهرج أن يف أحمر ملـيء بالعروق الزرقاء؟».

- «لا يمكنني أن أجزم بذلك. الحقيقة أنني أعرتة انتباهاً قليلاً. لقد ذهبت إلى (بركة العذارى) بعد أن دفنت إخوتي مفكراً أنني قد أجد سفينة تحملني إلى (كينجز لاندنج)، ورأيت المهرج أول مرة على أرصفة الميناء. كان له طابع مكر، وحرص على أن يتحاشى جنود اللورد تارلي، وبعدها صادفته ثانية في (الإوزة التتنة)».

رددت حائرة: «(الإوزة التتنة)؟».

أجاب القزم: «مكان كرهه. رجال اللورد تارلي يقومون بدوريات حول الميناء في (بركة العذارى)، لكن (الإوزة) مليئة بالبجارة دوماً، والبحارة معروفون بتهريب الناس على أسطح سفنهم إذا كان الثمن مناسباً. المهرج كان يبحث عن مسلكٍ لثلاثة عبر (البحر الضيق). كثيراً ما رأيته هناك يتكلم مع ملاحٍ القوادس، وأحياناً كان يُغني أغاني طريفة».

- «يبحث عن مسلكٍ لثلاثة لا اثنين؟».

- «ثلاثة يا سيديتي، أقسم على هذا بالآلهة السبعة».

ثلاثة، سانزا والسير دونتوس... ومن الثالث؟ العفريت؟ «هل وجد المهرج سفينة؟».

قال لها القزم: «لا أدري، لكن في ليلة زار بعض جنود اللورد تارلي الحانة يبحثون عنه، وبعدها بأيام قليلة سمعت رجلاً يقول مزهواً إنه خدع مهرجاً وإن معه الذهب الذي يُثبت هذا. كان سكران وبيتاع المزور للجميع».

- «خدع مهرجاً. ماذا يعني؟».

- «أجهلُ الإجابة، لكن اسمه ديك الرشيقي، أذكر هذا»، وبسط القزم كفيه، وقال:

«أخشى أن هذا هو كلُّ ما أستطيعُ أن أقدمه لك، بالإضافة إلى دعوات رجلٍ صغير».

مصدقًا لكلمتها اشترت له بريان وعاءً من يخنة السرطان الساخنة، بالإضافة إلى خُبز طازج وكوبًا من النّبِيذ، وإذ أكلَ الرَّجُل وهو واقف إلى جوارها فكرت مليًا في ما أخبرها به. أيُمكن أن العِفريت انضمَّ إليهما؟ إذا كان تيريون لانستر وليس دونتوس هولارد وراء اختفاء سانزا، فمن المنطقي أن يلوذا بالفرار عبر (البحر الضيق).

حين فرغَ الرَّجُل الصَّغير من وعاء اليخنة أنهى ما تبقى في وعائها أيضًا، وقال لها: «المفترض أن تأكلي أكثر. امرأة كبيرة مثلك عليها الاحتفاظ بطاقتها. المسافة إلى (بركة العذارى) ليست طويلةً، لكن الطرق محفوفة بالمخاطر هذه الأيام».

أعرف. على هذا الطريق تحديداً مرات السير كل-يوس فراي وأسرها الممثلون السقّاحون مـرع السير چايمـي. حاول چايمـي أن يقتلني على الرغم من وهنه وهزاله والأصفاة التي قيّدت معصميه. ومع كلِّ هذا كادَ يغلبها، لكن ذلك كان قبل أن يبتُر زولو يده. كان زولو وروچ وشاجويل ليغتصبوها نصفمئة مرّة لولا أن السير چايمـي قال لهم إنها تستحق وزنها من الياقوت الأزرق.

قال القزم: «سيّدتني؟ تبدين حزينةً. هل تُفكّرين في أختك؟»، وربّت على يدها، وأتبع: «(العجوز) ستُنير طريقك إليها، لا تخافي، و(العذراء) ستحفظها».

- «أدعو أن تكون محقًا».

ردّ: «إنني محقٌّ»، ثم انحنى قائلاً: «لكن عليّ الآن أن أنصرف. ما زالَ أمامي طريق طويل قبل أن أبلغ (كينجز لاندنج)».

- «هل تملك حصانًا؟ أو بغلاً؟».

ضحك الرَّجُل الصَّغير، وجاب: «بغلان، ها هما ذان في طرفي ساقَي. إنهما يُوصِلانني إلى حيث أبغي الذهاب»، وانحنى ثانيةً ثم اتّجه إلى الباب متمايلًا مع كلِّ خطوة.

ظلت جالسةً إلى المائدة بعد ذهابه وقد أطرقت ومعهما كوب من النّبِيذ المخفّف بالماء. لا تشرب بريان النّبِيذ كثيرًا، وإن وجدت من فترةٍ طويلة إلى فترةٍ طويلة أنه يُساعد على تهدئة معدتها. سألت نفسها: وأين أريدُ أنا أن أذهب؟ إلى (بركة العذارى) لأبحث عن رجل اسمه ديك الرّشيق في مكان اسمه (الإوزة النّتنة)؟ حين رأت (بركة العذارى) آخر مرّةٍ كانت البلدة خرابًا، ولكن إن سيّدها حبّيس قلّعتِه وأهلها موتى أو مبروا أو مختبئين. تذكرت المنازل المحروقة والشوارع الخالية والبوابات المحطّمة والكلاب الضّارية التي مشّت خلسةً وراء خيولهم، بينما طفت الجُثث المنتفخة كزنابق ماءٍ

شاحبة ضخمة على سطح البركة التي يُغذّيها ينبوع واستمدّت البلدة منها اسمها. چایمی غنّی (سیت عذارى في بركة)، وضحك حين طلبت منه أن يصمّت. ثم إن راندل تارلي في (بركة العذارى) الآن أيضاً، وهو سبب آخر لتحاشي البلدة. ربما الأفضل لها أن تستقلّ سفينةً إلى (بلدة النواريس) أو (الميناء الأبيض). ويُمكنني أن أفعل هذا وذاك، أزور (الإوزة النتنة) وأتكلّم مع المدعو ديك الرّشيق، ثم أجد سفينةً هناك تأخذني شمالاً أكثر.

بدأت القاعة العامّة تفرّغ، ومزّقت بريان قطعةً من الخُبز نصفين وأصغت إلى الكلام الدّائر على الموائد الأخرى، والذي كان معظمه عن موت اللورد تايوين لانستر.

قال أحد سُكّان البلدة يبدو من منظره أنه إسكافي: «يقولون إن ابنه قتله، ذلك القزم الصّغير الآثم».

أضافت كُبرى السّپتوات الأربع: «والملك مجرّد صبيّ صغير. مَنْ سيحكمنا حتى يبلّغ؟».

قال أحد الحرس: «أخو اللورد تايوين، أو ربما اللورد تايرل، أو قاتل الملك».

أعلن صاحب الخان: «ليس هو، ليس ذلك الحانث بالقسم»، وبصق في النّار.

أفلتت بريان الخُبز من يديها ومسحت الفُتات على سراويلها ونهضت. لقد سمعت ما فيه الكفاية.

ليلتها في المنام رأت نفسها في خيمة رنلي ثانيةً. الشّموع كلّها تنطفئ والبرد قارس حولها، وثمة شيء ما يتحرّك في الظلمة الخضراء، شيء كريبه مريع ينقض على مليكها. أرادت أن تحميّه، لكنّها أحسّت بأطرافها يابسةً متجمّدةً، ومجرّد رفْع يدها تطلّب قوّة أكبر ممّا تملك، وحين شقّ السّيف الظّل واقى العنق الفيولاذي الأخضر وبدأت الدّماء تتدفق رأت أن الملك المحتضر ليس رنلي على الإطلاق وإنما چایمی لانستر، ولقد خذّله.

وجدتها أخت قائد البوّابة في القاعة العامّة تشرب كوباً من الحليب المخلوط بالعسل وثلاث بيضات نيئة، وعندما أرّتها المرأة الثّرس المطلّي قالت لها: «عمل جميل».

المرسوم أقرب إلى صورةٍ من رمز، وقد أعادها منظرها عبر السّنين الطّوال إلى ظلام مستودع سلاح أبيها البارد، وتذكّرت كيف مرّرت أناملها على الطّلاء الباهت المتشقّق، على أوراق الشّجرة الخضراء وعلى مسار نجمٍ هوى.

زادت بريان الرّسامة نصف الأجر الذي اتّفقتا عليه، وعلّقت الثّرس على كتفها حين غادرت الخان، بعد أن ابتاعت القليل من الخُبز الجامد والجبن والطّحين من الطاهي، ثم إنها خرجت من البلدة من البوّابة الشّماليّة وركبت على مهل وسط الحقول والمزارع التي دار فيها السّواد الأقبح من القتال حين هاجم الذّئاب

(وادي الغسق).

حينئذٍ كان اللورد راندل تارلي يقود جيش چوفري المكوّن من رجال الغرب وأراضي العواصف وفرسان (المرعى)، ومن ماتوا من رجاله هنا حُمِلوا إلى داخل البلدة ليستريحوا في قبور الأبطال تحت سيّطات (وادي الغسق)، أمّا موتى الشماليّين فدُفِنوا في مقبرة جماعيّة تطلُّ على البحر، وفوق الرُّكام الذي يُعَيِّن مكان رقودهم رفع المنتصرون لافتةً تقليديّةً من الخشب كُتِبَ عليها «هنا يرقّ د الذّئب» لا غير. توقفت بريان إلى جوار المقبرة وردّدت صلاةً صامتةً لهم ولليدي كاتلين ستارك وابنها روب وجميع من ماتوا معهما.

عادَت بذاكرتها إلى اللّيلة التي بلغَ فيها الليدي كاتلين خبر موت ابنيها، الصّبيّين الصّغيرين اللّذين تركتهما في (وينترفل) حفاظًا على أمنهما. ساعتها علمت بريان أن حدثًا جليلاً قد وقعَ، وسألَت الليدي كاتلين إن كانت هناك أنباء عن ابنيها، فأجابَت: «ليس لي أبناء غير روب». تكلمت كأنما يتلوّى سكّين في أعماقها، ومدّت بريان يدها عبر المائدة رغبةً في موااساتها، لكنها توقفت قبل أن تمسَّ أصابعها أصابع المرأة التي كانت تكبرها سيّناً. قلبت الليدي كاتلين يديها لتُريها النّدوب في كفّيها وأصابعها حيث انغرسَ خنجر في عُمق لحمها، ثم شرعت تتكلّم عن ابنتيها، فقالت: «سانزا ليدي صّغيرة، شديدة الكياسة دائماً وتوّاقة لإسعاد من حولها، ولم تُغرَم بشيءٍ قطّ كغرامها بحكايات الفرسان ومآثرهم الشّجاعة. ستكبر لتُصبح امرأةً أجمل مني بكثير، وهذا واضح في ملامحها. كثيراً اعتدْتُ أن أصفّف شعرها بنفسِي. شعرها كستنائي، وشديد الكثافة والنّعومة... ما فيه من أحمر يعكس ضوء المشاعل فيتألّق كالنّحاس».

تكلمت أيضًا عن آريا، ابنتها الصّغرى، لكن آريا مفقودة، وعلى الأرجح ماتت، أمّا سانزا... أقسمت بريان لشبح الليدي كاتلين القلق: سأعثرُ عليها يا سيّدتِي. لن أكفّ عن البحث أبدًا. سأدفعُ حياتي ثمناً إذا لزم الأمر، سأتخلّى عن شرفي وعن أحلامي كلّها، لكنني سأعثرُ عليها.

وراء أرض المعركة يمتدُّ الطّريق مـوازيًا السّاحل، بين البحر الأخضر الرّماديّ بأمواجه المتلاطمة وخطّ تلال الجـير المنخفضة. ليست بريان وحدها المسافرة على الطّريق، فهناك قُرى صـيد تنتشر على السّاحل لعدّة فراسخ، ويسلُك الصّيّادون هذا الطّريق ليأخذوا أسـماكهم إلى السّوق. قابلت بائعة سمك وبناتها وهن عائدات إلى بيتهن وقد حملن السّلال الفارغة على الأكثاف، وبسبب درعها حسن بنها فارسان حتّى رأين وجهها، ثم راحت الفتيات يتهاَمسن ويرمّقنـها بنظرات فضوليّة، لكنها سألتهن: «هل رأيتم بنتًا في الثّالثة عشرة على الطّريق؟ بنتًا رفيعة النّسب بعينين زرقاوين وشعر كستنائي؟». لقد دفعها السير شادريك إلى توخّي الحذر، ولكن لم يزل عليها أن تُحاول. «ربما كانت مسافرةً مع مهرج». لم تُجر الفتيات

جوابًا غير هَزَّ رؤوسهن نفيًا والضَّحْكُ منها من وراء ظَهرها.

في القرية الأولى جرى الصَّبيّة حُفَاةً الأقدام إلى جوار فَرَسها، وكانت قد اعتمدت خوذتها متألِّمةً من ضحك الصِّبَّادات، فحسبها الآخرون رجلًا. عرضَ أحد الصِّبِّية أن يبيعها المحار، وعرضَ آخر السَّرطان، وعرضَ ثالث أخته.

اشترت بريان ثلاثة سَرطانات من الصَّبِي الثَّاني، ولدى خروجها من القرية لَأن المطر قد بدأ يَسْقُط والريِّح تشدُّ، فألقت نظرةً صوب البحر مفكِّرةً: ثَمَّة عاصِفة وشيكة. دَقَّت قطرات المطر فولاذ خوذتها ورنَّت في أذنيها وهي راكبة، إلَّا أن هذا ما زالَ أفضل من أن تكون على قاربٍ في البحر الآن.

بعد ساعةٍ من توغُّلها شِمَالًا وجَدَت الطَّريق ينقسم عن كومةٍ من الحجارة تنم عن كونها أطلال قلعةٍ صغيرة. يمضي الفرع الأيمن مرع السَّاحل ويتعرَّج نحو (الرَّأس المتصدِّع)، وهي منطقةٌ موحشةٌ ملأى بالمستنقعات وأراضي الصَّنوبر القاحلة، والفرع الأيسر يشقُّ التِّلال والحقول والغابات إلى (بركة العذاري). كان المطر ينهمر بغزارةٍ أكثر عن دُنْجٍ، فترجَّلت بريان وقادَت فرسها بعيدًا عن الطَّريق لتجد مأوىً بين الأطلال. ما زالت حدود أسوار القلعة قابلةً للتَّمييز ووسط الغُليق والحشائش وشجر الدَّردار البرِّي، لكن الأحجار التي شَيِّدَت بها قديمًا متناثرة الآن بين الطُّريقين كمكعبات الأطفال، وإن ظلَّ جزء من الحصن الرئيس قائمًا، أبراجه الثلاثة من الجرانيت الرمادي كالأسوار المهدومة، وشُرَّافاتها³⁸ من الحجر الرَّملي الأصفر، وإذ تطلَّعت إليها بريان أدركت كنهها وفكرت: ثلاثة تيجان، ثلاثة تيجان ذهبية. كانت هذه قلعة عائلة هولارد، وغالبًا وُلِدَ السير دونتوس هنا.

قادت الفرس ووسط الدَّبَش إلى مدخل الحصن الرئيس. من الباب لم يتبق إلا المِفصَّلات الحديد الصَّديئة، لكن السَّقْف لا يزال سليمًا، والملك انجاف في الداخل.

ربطت بريان الفرس بحامل مشاعل في الجدار وخلعت خوذتها ونفضت شعرها، وكانت تبحث عن حطبٍ جاف لإشعال نار حين سمعت صوت حصانٍ آخر يقترب. دفعَتها غريزة ما إلى التَّراجُع بين الظُّلال حيث لا يراها أحد من الطُّريق. إنه الطريق عينه الذي وقَّعت عليه في الأسر مع السير چايمي، ولا تنوي أن تسمح لهذا بالتَّكرار.

تبَيَّن أن الرَّاكب رجل صغير الحجم، وما إن رآته فكرت: الفأر المجنون، تبعني بوسيلةٍ ما. امتدَّت يدها إلى مقبض سيفها، ووجدت نفسها تتساءل إن كان السير شادريك يخالها لُقمةً سائغةً لمجرَّد أن لها امرأة. لقد ارتكَبَ أمرين قلة اللورد جرانديسون الخطأ نفسه من قبل. لَأن اسمه

همفري واجس-تاف، عجز متك-بر في الخامسة والستين له أنف كمنقار الصقر ورأس أصلع مبقع، ويوم خطبتهما حذر بريان قائلاً إنه يتوقع منها أن تكون امرأة قديمة فور أن يتزوجا، وأضاف: «لن أسمح للسيدة زوجتي بأن تعبت وتلهو مرتدية دروع الرجال. في هذا ستطيعيني وإلا أجبرتني على تأديك».

كانت في السادسة عشرة آنذاك وليست السيوف غريبة عليها، ولكن خجلت أيضاً على الرغم من براعتها الفائقة في الساحة، ومع هذا وجدت بطريقة ما الشجاعة الكافية لأن تقول للسير همفري إنها لن تقبل التأديب إلا من رجل قادر علي هزيمتها في النزال، فاربذ وجه الفارس العجوز لكنه وافق على ارتداء درعه ليعلّمها مقام النسوة، وتنازل الاثنان بأسلحة المباريات الثلثة، فاستخدمت بريان هراوة بلا بروزات. يومها كسرت ترقوة السير همفري واثنين من ضلوعه واضعة بهذا نهاية خطبتهما، وكان الرجل زوجها المنطور الثالث والأخير، ولم يصر أبوها ثانية على زواجها.

إذا كان السير شادريك هو من يتعقبها فعلاً فلربما تكون على وشك القتال. إنها لا تنوي أن تشارك الرجل بحته عن سانزا أو تتركه يتبعها إليها. إنه يتسم بتلك الغطرسة التي تنتاب المهرة في السلاح بسهولة، لكن حجمه صغير. مدى ذراعي أوسع منه، ولا بد أنني أقوى أيضاً.

بريان قوية كأكثر الفُرسان، وقد اعتاد قيم السلاح الذي علّمها قديماً أن يقول إنها أسرع مما يمكن أن تكون أي امرأة بحجمها، كما أن الآلهة أنعمت عليها بقوة الاحتمال أيضاً، وهو ما عدّه السير جودوين موهبة ثمينة، فالقتال بالسيف والترس عمل متعب، وكثيراً ما ينال النصر من يتمتع بجلد أكثر. علّمها السير جودوين أن تُقاتل بحذر، أن تدّخر طاقتها بينما تترك خصومها يستهلكون طاقتهم في الهجمات الضارية، وقال لها: «سيخس الرجال قدرك دوماً، وستجعلهم كبرياءهم يرغبون في هزيمتك سريعاً خشية أن يُقال إن امرأة أرهقتهم ودوّختهم». تعلّمت بريان حقيقة تلك المقولة حالما خرجت إلى العالم، وحتى چايمي هاجمها بتلك الطريقة في الغابة قرب (بركة العذارى)، وإذا شاءت الآلهة سيقع الفار المجنون في الخطأ ذاته. قالت لنفسها: ربما يكون فارساً متمرساً لكنه ليس چايمي لانستر، واستلّت سيفها من غمده.

لكن الذي توقّف عند مفترق الطريق ليس جواد السير شادريك الحربي الكستنائي، وإنما حصان أرقط عجوز بائس يمتطيه صبي نحيل، ولما رأت بريان الحصان تراجعت بارتباك مفكّرة: مجرد صبي، إلى أن لمحت الوجه تحت القلنسوة. الصبي الذي ارتطم بي في (وادي الغسق)، إنه هو.

لم يرفع الصبي ناظريه إلى القلعة المتهدّمة على الإطلاق، بل تطلّع إلى أحد الطريقين ثم الثاني، وبعد هنيهة تردّد وجه الحصان نحو التلال وعاد يتحرّك، وبينما شاهده بريان يختفي في المطر المنهمر تذكرت بغتة

أَنَّهَا رَأَتْ ذَلِكَ الصَّبِي فِي (رُوزْبِي). إِنَّهُ يَتَّبَعْنِي خَلْسَةً، لَكِنْهَا لُعْبَةٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْعَبَهَا اثْنَانِ. هَكَذَا حَلَّتْ رِبَاطَ فَرَسِهَا وَامْتَطَتْهَا وَتَحَرَّكَتْ وَرَاءَهُ.

أَبْقَى الصَّبِي عَيْنِيهِ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ رَاكِبٌ، يُحَدِّقُ إِلَى الْحُفْرِ فِي الطَّرِيقِ وَهِيَ تَمْتَلِي بِالْمَاءِ. كَتَمَ الْمَطَرُ صَوْتَ حَوَافِرِ فَرَسِهَا، وَلَا بُدَّ أَنْ قَلَنْسُوءَةُ الصَّبِيِّ لَعَبَتْ دَوْرًا أَيْضًا، فَلَمْ يَنْظُرْ وَرَاءَهُ وَلَوْ مَرَّةً، حَتَّى لَحَقَتْ بِهِ بَرِيَانٌ وَضَرَبَتْ حِصَانَهُ عَلَى الْكَفْلِ بِالْجَانِبِ الْمُسَطَّحِ مِنْ سَيْفِهَا الطَّوِيلِ، لِيَرْفَعَ الْحِصَانُ قَائِمَتِيهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ وَيَطِيرَ رَاكِبُهُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهِ وَمَعْطَفِهِ يُرْفَرِفُ كَجَنَاحَيْنِ عَلَى جَانِبِيهِ. سَقَطَ الصَّبِي فِي الْوَحْلِ، ثُمَّ رَفَعَ وَجْهَهُ وَبَيْنَ أَسْنَانِهِ الْأَوْسَاخَ وَالْعُشْبَ الْبَيْيَ الْمَيِّتَ لِيَجِدَ بِرِيَانًا وَقَافَةً فَوْقَهُ.

أَدْرَكْتُ أَنَّهُ الصَّبِي نَفْسَهُ دُونَ شَكٍّ وَقَدْ تَعَرَّفْتُ الدُّمْلَ تَحْتَ عَيْنِهِ، فَسَأَلْتُهُ: «مَنْ أَنْتَ؟».

تَحَرَّكَ فَمِ الصَّبِي بِلا صَوْتٍ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى صَارَتْ كَبِضَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُولَ إِلَّا: «پوه، پوه»، وَارْتَجَفَ لثُخْشِخِشِ سُتْرَتِهِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَهُوَ يُكْرِّرُ: «پوه، پوه». قَالَتْ بَرِيَانُ: «مَاذَا تَقُولُ؟»، وَوَضَعَتْ رَأْسَ سَيْفِهَا عَلَى تَقَاحَةِ حَلْقِهِ مَرْدِفَةً: «أَرْجُوكَ أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ وَلِمَ تَتَّبَعْنِي».

دَسَّ الصَّبِي إصْبَعًا فِي فَمِهِ وَنَقَرَ كُتْلَةً مِنَ الطِّينِ، ثُمَّ قَالَ: «پوه-پوه-پود، اسْمِي، پوه-پوه-پودريك، پوه-پاين».

خَفَضَتْ بَرِيَانُ سَيْفَهَا وَقَدْ غَمَرَهَا التَّعَاطُفُ مَعَ الصَّبِيِّ، وَتَذَكَّرَتْ يَوْمًا فِي (بَهُوِ الْمَسَاءِ) وَفَارِسًا شَابًّا بوردِ فِي يَدِهِ. أَحْضَرَ الْوَرْدَةَ لِيُعْطِيَنِي إِيَّاهَا. أَوْ أَنَّ هَذَا مَا أَخْبَرْتَهَا بِهِ سَيِّئَتِهَا. لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا سِوَى أَنْ تُرَجِّبَ بِهِ فِي قَلْعَةِ أَبِيهَا. كَانَ فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ، وَلَهُ شَعْرٌ أَحْمَرٌ طَوِيلٌ يَنْسَدِلُ عَلَى كَتْفَيْهِ، وَكَانَتْ هِيَ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةِ، تَرْتَدِي فُسَّاتَانَا يَابِسًا جَدِيدًا مُحْكَمًا عَلَى جَسَدِهَا وَيُزَيِّنُ صَدْرَهُ الْعَقِيْقُ الْأَحْمَرُ. الْاِثْنَانِ لَكَانَ طَوْلُهُمَا وَاحِدًا تَقْرِيْبًا، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْظُرَ فِي عَيْنَيْهِ أَوْ تُرَدِّدَ الْكَلَامَ الْبَسِيطَ الَّذِي عَلَّمَتْهَا سَيِّئَتِهَا إِيَّاهُ. سِيرَ رُونِيْتُ، مَرْحَبًا بِكَ فِي دَارِ السَّيِّدِ وَالِدِي. يَسْرُنِي أَنْ أَرَى وَجْهَكَ أَخِيرًا.

سَأَلْتُ الصَّبِي: «لِمَاذَا تَتَّبَعْنِي؟ هَلْ قِيلَ لَكَ أَنْ تَتَجَسَّسَ عَلَيَّ؟ هَلْ تَخْدُمُ قَارِسَ أُمِّ الْمَلِكَةِ؟».

- «لَا، لَا هَذَا وَلَا تِلْكَ، لَا أَحَدٌ».

قَدَّرْتُ بَرِيَانُ أَنَّهُ فِي الْعَاشِرَةِ، وَإِنْ كَانَتْ خَائِبَةً تَمَامًا فِي تَقْدِيرِ أَعْمَارِ الْأَطْفَالِ، وَلَطَالَمَا حَسِبْتَهُمْ أَصْغَرَ مِنْ سَيِّئِهِمُ الْفَعْلِيَّةِ، رُبَّمَا لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْبَرَ حِجْمًا مِنْ سَيِّئِهَا طَوِيلَةَ حَيَاتِهَا، «كَبِيرَةٌ عَلَى نَحْوِ مَمْسُوخٍ وَمُسْتَرْجَلَةٍ» عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ السَّيِّئَةِ رُوِيْلٍ. قَالَتْ لَهُ: «هَذَا الطَّرِيقُ أَخْطَرُ مِنْ أَنْ يَسْلُكَهُ صَبِيٌّ بِمُفْرَدِهِ».

- «ليس إذا كان مُرافقًا. إنني مُرافقه، مُرافق اليد».

أغمَدَت بِريان سيفها متسائلةً: «اللورد تاويين؟».

- «لا، ليس ذلك اليد، الذي قبله، ابنه. لقد قاتلتُ معه في المعركة، وصحتُ: النِّصف رجل! النِّصف رجل!».

مُرافق العِفريت. كانت بِريان تجهل أن عنده واحدًا، فتيريون لانستر ليس فارسًا. من الوارد على ما تعتقد أن يكون عنده خادم أو اثنان يُلبَّيان طلباته، ووصيف وساقية وأحد يُساعدُه على ارتداء ثيابه... لكن مُرافق؟ «لماذا تتبعني؟ ماذا تُريد؟».

نهض الصَّبِي قائلاً: «لأجدها، سيِّدته التي تبحثين عنها. بريلا قالت لي. إنها زوجته، الليدي سانزا لا بريلا، فخطرَ لي أنكِ ربما تَعثُرِينَ عليها...»، والتَوَت قسِماته بأسى مفاجئ، وكرَّر والمطر يسيل على وجهه: «إنني مُرافقه... لكنه تركَّني!».

سانزا

ذات مرّة في طفولتها مكثَ مغنٍّ متجولٌ معهم في (وينترفِل) نصف عام. كان عجوزًا مبيض الشعر له وجنتانٌ لوحتهما الريح، لكنه غنى عن الفُرسان والمغامرات والحسناوات، ولمّا حانَ وقت رحيله بكت سانزا بمرارةٍ وتوسّلت إلى أبيها ألا يسمح له بالذهاب، إلّا أن اللورد إدارد قال لها برفق: «الرجل غنى لنا كل أغنيةٍ يعرفها أكثر من ثلاث مرّات، ولا يُمكنني أن أبقيه هنا ضد إرادته. لكن لا داعي لبُكائك. أعدكِ بأن مغنّين آخرين سيأتون».

لكن أحدًا لم يأت طيلة عامٍ أو أكثر. صلّت سانزا للآلهة السبعة في سبتِها ولآلهة شجرة القلوب القديمة سائلة إياها أن تُعيد العجوز، أو -وهذا أفضل- أن تُرسل مطربًا آخر شابًا ووسيمًا، لكن الآلهة لم تُجب، وظل الصمت يُخيّم على قاعات (وينترفِل).

كان ذلك وهي فتاة صغيرة حمقاء، أمّا الآن فهي شابة في الثالثة عشرة تفتّحت زهرتها، تمتلئ لياليها كلها بالأغاني، وبالنهار تُصلي مستجدية الصمت.

لو كانت (العُش) كسائر القلاع لما سمعَ غناء الرجل الميت إلّا السجّانون والجرذان، فجدران الزنازين التقليديّة سميكة بما يكفي لابتلاع الأغنيات والصراخات على حدّ سواء، على عكس زنازين السّماء التي لها جدار من الهواء، ولذا تنساق كلُّ نغمةٍ يعزفها الرجل الميت حُرّة لتتردّد أصدائها على مناكب الجبل المسمّى (رُمح العملاق). والأغاني التي يختارها... دائمًا يُغني عن رقصة التّنانين وعن چونكويل ومهرجها، عن جيني بنت (الحجر العتيق) وأمير (قلعة البعاسيب)، عن خياناتٍ واغتيالاتٍ آثمة ورجالٍ معلّقين من المشانق وانتقاماتٍ دامية، يُغني عن الحزن واللوعة.

أينما ذهبَت في القلعة لا تجدُ سانزا مفرًا من الموسيقى. دومًا تنجرف من أسفل وتصعد سلالم البرج الملتقّة، فتجدها عارية في حمّامها، وتتناول معها العشاء عند الغسق، وتتسلّل إلى غرفة نومها حتى عندما تُحكّم إغلاق النّافذة. تأتيها الموسيقى محمولةً على الهواء البارد، وكالهواء تبعث جسدها على القشعريرة. على الرغم من أن الثلج لم يسقط على (العُش) منذ يوم سقوط الليدي لايسا فالليالي كلها هنا قارسة البرودة.

صوت المغنّي قويّ وعذب، وتظنُّ سانزا أنه أفضل من قبل أيضًا، أنه بشكل ما أغنى، مفعم بالألم والخوف والاشتياق، لكنها لا تفهم لماذا وهبت الآلهة صوتًا كهذا لرجل شرير مثله، واضطرت إلى أن تُذكّر نفسها قائلة: كان سيأخذني عنوةً ونحن في (الأصابع) لولا أن بيتر كلّف السير لوثر بالعناية بي، وعزف موسيقاه لتطغى على صريخي حين حاولت الخالة لايسا أن تقتلني.

لكن هذا لم يجعل سماع الغناء أسهل، حتى إنها قالت للورد بيتر متوسّلة:

«أرجوك، ألا يُمكنك أن تجعله يتوقّف؟».

- «لقد أعطيتُ الرَّجُلَ كلمتي يا حُلوتي»، قالها بيتر بايلش، سيّد (هارنهل) وسيّد أراضِي (الثالوث) الأعلى واللورد حافظ (العُش) و(وادي آرن)، ورفعَ عينيه عن الرّسالة التي يَكْتُبُها. كان قد كتبَ زُهاء مئة رسالة منذ سقطة الليدي لايسا، ورأت سانزا الطيور تُحَلِّق من المِغْدفة وإليها. «أفضّلُ أن أتحمّل غناءه على أن أسمع نحيبه».

الأفضل أن يُغَنِّي، نعم، ولكن... «أُجب أن يظلّ يعزف طيلة اللّيل يا سيّدي؟ اللورد روبرت لا يستطيع النّوم. إنه يبكي...».

قاطعها بيتر: «... أمّه، ولا شيء يُمكننا أن نفعله حيال هذا. المرأة ماتت»، وهزّ كتفيه مضيّعًا: «لن يطول الأمر كثيرًا. اللورد نستور سيصعد الجبل غدًا».

التقت سانزا اللورد نستور رويس مرّةً من قبل بعد زفاف بيتر وخالتها. رويس هو وليّ (بوابات القمر)، القلعة العظيمة القائمة عند سفح الجبل وتحرّس الدّرجات الصّاعدة إلى (العُش)، وقد نزلَ حاضرو الرّفاف ضيوفًا عنده ليلةً قبل أن يبدأوا رحلة الصّعود. ليلتها لم يُكَلِّف اللورد نستور نفسه النّظر إليها مرّتين، لكن فكرة مجيئه هنا تُرعبها. إنه وكيل (الوادي) الأعلى أيضًا، تابعٌ چون آرن والليدي لايسا المؤتمن. قالت: «إنه لن... إنك لن تدع اللورد نستور يرى ماريليون، أليس كذلك؟».

لا بدّ أن رُعبها لاحَ على وجْهها، لأن بيتر وضَعَ ريشة الكتابَة، وقال: «بالعكس، سأصرُّ على أن يراه»، وأشارَ لها بالجلوس على مقعدٍ مجاور له، وتابع: «أنا وماريليون عقدنا اتّفاقًا. من شأن مورد أن يكون مقنعًا للغاية في الحقيقة، وإذا خيب مطربنا العزيز أملنا وغنّى أغنيّةً لا نريد أن نسمعها، فما عليّ أنا وأنتِ إلّا أن نقول إنه كاذب. من تخالين اللورد نستور سيصّدق؟».

قالت سانزا وهي تتمنّى لو تتأكّد: «نحن؟».

- «بالطّبع، لأن كذبنا سيُفيدة».

كانت الغُرفة الشّمسيّة دافئةً والنّار تُطَقِّق على نحوٍ مبهِج، لكن سانزا ارتجفت رغم ذلك، وقالت: «نعم، لكن... ماذا لو...».

قال بيتر: «مَـاذا لو وضَعَ اللـورد نسـتور الشّرف فوق المصـلحة؟»، ووضعَ ذراعَه حولها مواصـلاً: «مَـاذا لو أنـه يـبغـي الحـقيقـة والعـدالة لسـيّدته القـتيلـة؟»، وأضـاف مبتسـمًا: «إنني أعرف اللورد نستور يا حُلوتي. أتصوّرُني أنني سأسمحُ له بإيذاء ابنتي؟».

لستُ ابنتك، إنني سانزا ستارك ابنة اللورد إدارد والليدي كاتلين ودم (وينترفل). لكنها لم تقل هذا. لولا بيتر بايلش لكانت سانزا نفسها التي هوت ستمئة قدمٍ

في فراغ السَّماء الزَّرَقاء الباردة إلى ميتةٍ حجريَّةٍ بدلًا من لايسا آرن. يا لجرأته. تتمنَّى سانزا لو أنها تتحلَّى بشجاعته، لكنها لا تُريد إلا أن تعود إلى الفراش وتختبئ تحت دثارها وتغيب في نومٍ عميق. إنها لم تتم ليلةً كاملةً منذ ماتت لايسا آرن. «ألا يُمكنك أن تقول للورد نستور إنني متوعِّكة... أو...».

- «سيُريد أن يسمع شهادتكِ على موت لايسا».

- «سيدي، إذا... إذا قال ماريليون الحق...».

- «تعنين إذا كذب؟».

- «كذب؟ نعم... إذا كذب، إذا كانت كلمتي ضد كلمته ونظرَ اللورد نستور في عيني ورأى كم أنا خائفة...».

- «لن تكون لمحة من الخوف في غير محلِّها يا إليني. لقد رأيت شيئًا مخيفًا، وسيُتأثر نستور»، وتفرَّس بيتر في عينيها كأنه يراها للمرة الأولى، وأردف: «إن لك عيني أمِّك، عيني صادقيتين بريئتين، زرقاوين كبحر تُنيره الشَّمس. عندما تكبرين قليلًا سيغرق رجال كثر في هاتين العينين». لم تدر سانزا بِمَ تردُّ، وأكملَ هو: «ما عليكِ إلا أن تحكي للورد نستور الحكاية نفسها التي حكيتها للورد روبرت».

روبرت مجرَّد صبيٍّ صغير سقيم. اللورد نستور رجل ناضج، صارم وشكَّاك. روبرت ليس قويًّا ولا بُدَّ من حمايته، حتى من الحقيقة، وكان بيتر قد قال لها مطمئنًا إن بعض الأكاذيب حُب، فذكرته بهذا الآن قائلةً: «عندما كذبنا على اللورد روبرت كان هذا لنُغنيه عن الألم».

قال بيتر: «وهذه الكذبة تُغنينا أيضًا عنه، وإلا سنُغادر أنا وأنتِ (العُش) من الباب نفسه كلايسا»، وعادَ يلتقط ريشته مضيقًا: «سنسقيه الأكاذيب ونبيذ (الكرمة) الذهبي وسيشرب ويطلب المزيد، هذا وعد».

أدركت سانزا أنه يسقيها الأكاذيب أيضًا، وإن كانت أكاذيب مريحة، وتحسب أن النِّية منها الرِّافة. ليست الأكاذيب بهذا السَّوء ما دامت النِّية منها الرِّافة. ليتها فقط تُصدِّقها...

لا تزال الأشياء التي قالتها خالتها قُبيل سقوطها تُزعج سانزا، لكن بيتر وصفها بالهذيان، وقال: «زوجتي كانت مجنونةً وقد رأيت هذا بنفسك». وهو ما رآته سانزا بالفعل. كلُّ ما فعلته أني بنيتُ قلعةً من الثلج، وأرادت هي أن تدفعني من (باب القمر). بيتر نجَدني. لقد أحبَّ أمِّي كثيرًا، و... ويحبُّها؟ كيف يُخالجها شكُّ في هذا؟ لقد أنقذَها.

همسَ صوت في داخلها: لا، بل أنقذَ إليني ابنته. لكنها سانزا أيضًا... وأحيانًا يتراءى لها أن حضرة اللورد الحافظ شخصان أيضًا. إنه بيتر، حاميتها الودود الطريف الرقيق، لكنه الإصبع الصَّغير كذلك، اللورد الذي عرفته في (كينجز لاندنج)،

يبتسم بخبثٍ ويُمَلِّس على لحيته وهو يهمس في أذن الملكة سرسي... والإصبع الصغير ليس صديقها. حين جعلهم خوف يضربونها دافع عنها العفريت لا الإصبع الصغير. حين حاول الدَّهْمَاء اغتصابها حملها إلى الأمان كلب الصَّيد لا الإصبع الصغير.

حين أكرهها آل لانستر على الزَّواج بتيريون واساها السير جارلان الهُمام لا الإصبع الصغير. الإصبع الصغير لم يرفع ولو إصبعه الصغير لِيُسَاعِدَهَا قَطُّ.

إلا عن-دما أخ-رجني. هو من فع-ل ه-ذا من أجل-ي. ظن-تُ الس-ير دونت-وس وراء الأمر، فارس-ي فلور-يان العج-وز السي-كي-ر الب-ائس، لكن-ه ل-أن بيت-ر طوال ال-وقت. الإص-بع الصغير لم يكن أكثر من قناع عليه أن يضعه. على أن التَّمييز بين الرِّجل والقناع يستعصي على سانزا أحياناً، ذلك أن الإصبع الصغير وبيتر بايلش متشابهان لأقصى درجة. ربما كانت لتفر من الاثنين لو أن هناك مكاناً تذهب إليه. (وينترفل) احترقت وهُجرت، وبران وريكون جثتان باردتان، وروب عُدر به واغتيل في (التَّوأميتين) مع السيِّدة والدتهم، وتيريون أعدم بثَّمة قتل چوفري، وإذا عادت إلى (كينجز لاندنج) ستضرب الملكة عُنقها بدورها، والخالة التي أملت أن تحفظ سلامتها حاولت قتلها بدلاً من ذلك، وخالها إدميور أسير آل فراي، وعمُّه السَّمكة السوداء تحت الحصار في (ريقرن). بتعاسةٍ قالت سانزا لنفسها: لا مكان لي إلا هنا، ولا صديق حقيقياً إلا بيتر.

ليلتها غنى الرِّجل الميت (يوم شنقوا روبن الأسود) و(دموع الأم) و(أمطار كاستامير)، ثم توقف فترةً، ولكن بينما أثقل الوسن رأس سانزا عاد الغناء مجدداً، وغنى الرِّجل (سنة أحزان) و(الأوراق الساقطة) و(أليسين). أغاني حزينة كلها. لما أغلقت عينيها رآته في زنارته السماوية رابضاً في الركن بعيداً عن السماء السوداء الباردة تحت غطاءٍ من الصُّوف ويوسِّد قيثارته الخشبية صدره. يجب ألا أشفق عليه. لقد كان مغروراً قاسياً، وقريباً سيموت. إنها لا تستطيع إنقاذه، ولماذا قد ترغب في ذلك؟ ماريليون حاول أن يغتصبها، وبيتر أنقذ حياتها مرتين لا واحدة. بعض الأكاذيب يجب أن يُقال. لم يُحافظ على حياتها في (كينجز لاندنج) إلا الأكاذيب، ولو لم تكذب على چوفري لضربها رجال الحرس الملكي حتى أراقوا دماءها.

بعد (أليسين) توقف المغني ثانية لتختطف سانزا ساعة من الرَّاحة، ولكن إذ بدأت خيوط الفجر الأولى تنفذ من خصاص نافذتها سمعت أنغام (ذات صباح غائم) النَّاعمة تتصاعد من أسفل، واستيقظت في الحال. المفترض أنها أغنية نسائية، مرثاة تُغنيها أم في الفجر التالي لمعركة رهيبة بينما تبحث بين القتلى عن جثة ابنها الوحيد. الأم تُغني عن حرقها على ابنها الميت، لكن ماريليون حزين على أصابعه، وعلى عينيهِ.

طقت الكلمات من أسفل كالسيِّهام، وفي الظلام طعنتها.

أوه، أيها الفارس الكريم هل رأيت ولدي؟ إن شعره بيّني كالكستناء وقد وعدني بالعودة إليّ وإلى ديارنا التي في (بلدة ونديش) غطت سانزا أذنيها بوسادة محشوة بريش الإوز لتحجب عنهما بقية الأغنية، ولكن بلا جدوى. لقد طلع النهار واستيقظت، واللورد نستور رويس يصعد الجبل.

بلـغ الوكيـل الأعلى ومجموعته (العُش) في أواخر الأصـيل، وقد صـبغ الذهبـي والخمـري الوادي أسـفلهم واشـتدّت الريح، ومعـه جاء ابنـه السـيـر ألبـار ودسـتة مـن الفـرسـان وعشرون مـن الجنود. غـرباء كثيرون جدّا. تطلّعت سانزا إلى وجوههم بقلق متسائلة إن كانوا أصدقاء أم أعداء.

رحّب پيتر بزوّاره مرتدياً سترّة من المخمل الأسود لها كُمان رماديّان كسراويله الصوف، فأضفى اللون نوعاً معيّناً من الظلمة على عينيه الخضراوين الرماديتين. إلى جواره وقف المايستر كولمون وحول عنقه الطويل الرفيع ترتخي سلسلته ذات المعادن العديدة، وعلى الرغم من أن المايستر أطول الرجلين قامّة فاللورد الحافظ هو من لفّت الأنظار. يبدو أنـه تخـلّى عـن تبسّمـه المعتـاد اليـوم، فأصـغى بوقـار واللـورد رويـس يُقَدِّم الفـرسـان الـذين راققـوه، ثم قال: «مرحباً بك أيها السّادة. إنكم تعرفون المايستر كولمون بالطّبع. لورد نستور، هل تذكر ابنتي الطّبيعيّة³⁹ إليني؟».

- «بالتأكيد». للورد نستور مظهر صارم ورقبة غليظة وصدر عريض، يزحف على رأسه الصّلع ويخطّ الشّيب لحيته، وقد حنى رأسه نصف بوصة كاملاً تحيّة لها. انحنّت سانزا بدورها خائفة أن تنطق فتقول شيئاً خطأ، ثم سـحبها پيتر مـن يـدها قـائلاً: «كوني فتاة مـهذبة يا حـلوتي واجلبـي اللـورد روبرت إلـى (القاعة العالـية) لـيستقبل ضيوفه».

- «حاضر يا أبي». بدا صوتها رفيعاً مشدوداً، وبينما أسرعّت تصعد الدّرج وتعبّر الشّرفة إلى (برج القمر) قالت لنفسها: صوت كاذبة، صوت مذبنة.

كـانت جرتشـل ومـادي تُسـاعـدان اللـورد روبرت علـى ارتـداء سـراويله عنـدما دخـلت غُرفة نومـه. كـان سـيّد (العُش) يبكـي ثانيّة، كمـا تـنـم عيـناه المحمّرتان الرّطبتان وأهدابه اليايسة وأنفه المنتفخ السائل، وقد التّمع خيط من المخاط تحت أحد منخريه ولوّث الدّم شفّته السفلى حيث عضها. فكّرت سانزا بقنوط: يجب ألا يراه اللـورد نسـتور هكـذا، وطلـبت مـن جرتشـل أن تُحـضر الطسـت، ثم أخـذت الصّبـي مـن يـده وسـحبته مـن علـى الـفـراش قائلّة: «هل نـام غـصـفوري الجميـل جيّداً ليلة أمس؟».

أجاب متنشّفاً: «لا، لم أنم إطلاقاً يا إليني. كان يُغَيّي ثانيّة، ووجدتُ بابي موصداً. ناديتهم ليُخرجوني لكن لا أحد أتى. أحدهم حبسني في عُرفتِي».

- «يا لهم من أشرار». غمست قُماشةً ناعمةً في الماء الدافئ وشرعت تُنظف وجهه... برفق شديد، بمنتهى منتهى الرفق. إذا حكّت جسد روبرت بقوة أكبر من اللازم فربما يبدأ في الارتجاف. الصبي هَشّ، وصغير للغاية بالنسبة إلى سنّه. أي نعم هو في الثامنة، لكن سانزا عرفت أطفالاً في الخامسة أكبر منه حجماً.

ارتعشت شفة روبرت، وقال: «كنت سأتي لأنام معكِ». أعرِفُ هذا. لقد اعتادَ العُصفور الجميل النَّوم إلى جانب أمّه إلى أن تزوّجت اللورد پيتر، ومنذ موت الليدي لايسا عمدَ الصّبي إلى التّجوال في أنحاء (العُش) بحثاً عن أسرةٍ أخرى، وأكثر ما راقه منها سرير سانزا... ولهذا السّبب طلبت من السير لوثر برون أن يُوصِد بابَه ليلة البارحة. ما كانت لتُمانع لو أنه ينام فقط، لكنه يُحاول دومًا أن يُمرِّغ أنفه في ثدييها، ثم إنه غالبًا ما يُبلّل الفراش عندما تُصيبه نوبة الرّجفة.

قالت سانزا وهي تمسح تحت أنفه: «اللورد نستور سعدَ من (بوابات القمر) ليراك».

- «لا أريدُ أن أراه. أريدُ قصّةً، واحدةً عن الفارس المجنّح».

- «فيما بعدُ. أولاً عليك أن ترى اللورد نستور».

قال روبرت: «اللورد نستور لديه شامة. مامي قالت إنه شنيع». إنها تعلم أن الصّبي يخاف من لهم شامات.

سوّت سانزا شعره قائلةً: «عُصفوري الجميل المسكين. أعرِفُ أنك تفتقدها. اللورد پيتر يفتقدها أيضًا. لقد أحبّها مثلما تحبّها تمامًا». تلك أكذوبة، لكن الغرض منها الرّأفة. المرأة الوحيدة التي أحبّها اللورد پيتر في حياته هي أم سانزا القتيلة، وقد اعترف بهذا لليدي لايسا قبل أن يدفعها من (باب القمر) مباشرةً. كانت مجنونةً وخطرةً. لقد قتلت السيّد زوجها، وكانت لتقتلني أيضًا لو لم يأت پيتر ويغيثني. لكن روبرت ليس في حاجةٍ إلى معرفة ذلك. إنه مجرد صبيّ صغير مريض أحبّ أمّه.

قالت: «هكذا يليق مظهرك باللوردات. مادي، أحضري معطفه». المعطف من صوف الحملان، ناعم ودافئ وأنيق بلونه الأزرق السّماوي الذي أبرز لون سُترة الصّبي القشدي، وثبّته سانزا على كتفيه بدبوسٍ فضي على شكل هلال، ثم أخذته من يده فمضى معها بخنوع هذه المرّة.

ظلت (القاعة العالية) مغلقةً منذ سقطت الليدي لايسا، وقد بعث دخولها ثانيةً في سانزا القشعريرة. إنها تراها طويلةً فخمةً جميلةً، لكنها لا تحب وجودها هنا في هذا المكان الشّاحب الذي تسوده البرودة حتّى في أحسن الأوقات، حيث تبدو الأعمدة الرّفعيّة كعظم الأصابع وتذكّر العروق الزّرقاء في الرّخام الأبيض بالعروق في ساق حيزبون هرمة.

على الرغم من اصطاف خمسين حامل فضي على الجدران فالمشاعل الموقدة تقل عن دسنة، فراحت الظلال تتراقص على الأرضية وتحتشد في كل ركن بينما ترددت أصداً خطواتهم على الرخام وسمرت سائر الرياح ترح (باب القمر)، فأخبرت نفسها: يجب ألا أنظر إليه وإلا اعترتني رجفة عنيفة مثل روبرت.

بمساعدة مادي أجلس روبرت فوق كومة من الوسائد على عرشه المصنوع من خشب الويروود، ثم أرسلت خبراً بأن حضرة اللورد مستعد لاستقبال ضيوفه، ففتح حارسان في معطفين من الأزرق السمّاء البواب في طرف القاعة القصي، ليقود بيتر الضيف إلى الدّاخل على البساط الأزرق الطويل الممتد بين صفيّين من الأعمدة البيضاء كالعظام.

حيّ الصبي اللورد نستور بأسلوب كئيب وصوت كالصّير ولم يذكر شامته، وعندما سأله الوكيل الأعلى عن السيّدة والدته سرت في يدي روبرت رعشة طفيفة، وقال: «ماريليون أذى أمي، ألقاها من (باب القمر)».

- «هل رأى حضرة اللورد هذا بنفسه؟»، سأل السير ماروين بلمور، وهو فارس طويل نحيف له شعر بني محمر، كان قائد حرس لايسا إلى أن عين بيتر السير لوثر برون بدلاً منه.

أجاب الصبي: «إليني رأت، والسيّد زوج أمي».

رمقها اللورد نستور، ووجدتهم ينظرون إليها، السير البار والسير ماروين والمايستر كولمون، الجميع. كانت خالتي لكنها أرادت أن تقتلني، جرّتني إلى (باب القمر) وحاولت أن تدفعني منه. لم أرغب في تلك القُبلة قط. كنتُ أبني قلعة في الثلج. احتضنت سائرنا نفسها لتمنعها من الارتجاف.

قال بيتر بهدوء: «سامحوها أيها السّادة، إنها لا تزال ترى ذلك اليوم في الكوابيس. لا عجب أنها لا تطيق الكلام عنه»، ثم وقف وراءها ووضعه يديه بخفة على كتفيها قائلاً: «أدرك صعوبة الأمر عليك يا إليني، لكن يجب أن يسمع أصدقاؤنا الحقيقة».

أحسّت بحلقها جافاً مشدوداً لدرجة أن الكلام كاد يؤلمها وهي تقول: «نعم، رأيت... كنتُ مع الليدي لايسا عندما...»، وسالت دمعة على وجنتها ففكرت: جيّد، جيّد أن تنزل مني دمعة، وواصلت: «... عندما... دفعها ماريليون»، وحكت الحكاية ثانية وهي تكاد لا تسمع الكلمات التي تدفقت منها.

قبل أن تبلغ منتصف الحكاية بدأ روبرت يبكي، ومالت الوسائد على نحو خطر تحته إذ صاح: «لقد قتل أمي. أريده أن يطير!»، واشتدت رجفة يديه وبدأت ذراعاها ترتجفان أيضاً، ثم انتفض رأس الصبي بحركة عنيفة وراحت أسنانه تصطك وضربت ذراعاها وساقاه الهواء بضراوة وهو يصرخ: «يطير، يطير، يطير!»، فأسرع لوثر برون إلى المنصة في الوقت المناسب ليلقف الصبي الذي انزلق ساقطاً

عن عرشه، ووراءه بخطوةٍ واحدة المايستر كولمون، وإن لم يكن هناك ما يُمكنه أن يفعله.

عاجزةً كالآخرين، وقفت سانزا وشاهدت حتى جرت التوبة مجراها. ركلت إحدى ساقَي روبرت السير لوثير في وجهه، فأطلق سبَابًا وإن ظلَّ متمسِّكًا بالصَّبي وهو يرتجف ويتشجج ويُبَلِّل نفسه، في حين لم ينبس أيُّ من زائريهم بكلمة، فاللورد نستور على الأقل شهد تلك التَّوَيَّات من قبل. لحظات طويلة مرَّت قبل أن تهمد تشنَّجات روبرت، بل وبَدَت أطول من هذا كـذلك، وفي النِّهاية كأن اللورد الصَّغير واهنًا عاجزًا حتَّى عن الوقوف، فقيال اللورد پيتر للمايستـر: «الأفضل أن تأخذ حضرة اللورد إلى فراشه وتعلِّق له العلق». هكذا حمل برون الصَّبي بين ذراعيه وخرج به من القاعة، وتبعه المايستر كولمون بوجهٍ متجهم.

حين تلاشت خطوات أقدامهما رانَ صمت تام على قاعة (العُش) العالية، وسمعت سانزا رياح المساء تنثُّ في الخارج وتخمش (باب القمر)، وتساءلت شاعرةً ببرِد وإرهاقٍ شديدين: أيجب أن أحكي الحكاية ثانية؟ لكن لا بُدَّ أنها أحسنت حكايتها، لأن اللورد نستور تنحَّج ودمدم: «ذلك المغني لم يُعجِبني من البداية. لقد حثتُ الليدي لايسا على صرفه، عدَّة مرَّاتٍ ألححتُ عليها». قال پيتر: «لطالما مددتها بالنصائح السَّديدة يا سيِّدي».

ردَّ رويس بتذمُّر: «لكنها لم تُصغ، سمعتني كرهًا على كرهٍ ولم تُصغ». قال پيتر بحنانٍ بالغ كان ليجعل سانزا تُصدِّق أنه أحبُّ زوجته حقًّا: «سيِّدتي كانت أسرع ثقةً من أن يستأهلها هذا العالم. لم يكن بمقدور لايسا أن ترى الشرَّ في البشر، بل الخير فقط. كان ماريليون يُغني أعذب الأغاني، واعتقدت أن تلك طبيعته».

قال السير ألبار رويس: «لقد دعانا بالخنازير». بملامحه الصَّارمة وكتفيه العربضتين يبدو السير ألبار نُسخةً أصغر سنًّا من أبيه، وقد حلق الفارس ذقنه وإن أطلقَ شعر وجنتيه الأسود الكثيف ليصنع إطارًا كسياج من الشَّجيرات حول وجهه التَّقليدي. «ألف أغنية عن خنزيرين يرعيان حول جبلٍ وياكلان فضالة صقر، وبهذا كان يعنينا نحن، لكن حين قلت له هذا ضحكٌ مني، وردَّ: إنها مجرد أغنية عن زوجين من الخنازير أيها الفارس!».

أضاف السير ماروين بلمور: «وسخرَ مني كذلك، سيِّماني السير جلاجل، ولَمَّا أقسمتُ أن أقطع لسانه هرعَ إلى الليدي لايسا واختبأ وراء ثُورتها».

قال اللورد نستور: «كما تعود أن يفعل. الرَّجل كان جبانًا، لكن تحيَّز الليدي لايسا له أصابه بالخطرسة. لقد ألبسته كاللوردات، وأهدت إليه خواتم ذهبية وحزامًا مرصعًا بأحجار القمر».

عقب فارس على سُترته شموع عائلة واكسلي البيضاء السيِّت: «وحتى صقر

اللورد چون المفضل، ولكم أحب حضرة اللورد ذلك الصقر. لقد أهداه الملك روبرت إليه».

زفرَ بيتر بايلش، وقال مؤيدًا: «لم يكن الوضع يليق، وقد وضعتُ نهايةً له. لايسا وافقتُ عليّ صرفه، ولذا التفتّه هنا يومها. كان عليّ أن أكون معها، لكنني لم أتخيل قط أن... لو لم أصمم... أنا الذي قتلتها».

فكرت سانزا بهلع: لا، لا تقل هذا، لا تُخبرهم، لا تفعلها، لكن البار رويس هزّ رأسه قائلاً: «لا يا سيدي، يجب ألا تلوم نفسك».

ووافقَه أبوه بقوله: «المغني هو من فعلها. فلتأت به أيها اللورد بيتر، دعونا نكتب نهايةً لهذه القصة المؤسفة».

بجنانٍ ثابتٍ قال بيتر بايلش: «كم تشاء يا سيدي»، والتفت إلى حارسه وألقى أمرًا، وجيء بالمغني من الزنزين. جاء معه السجّان مورد ذو الملامح الوحشية والعينين السوداوين الصغيرتين والوجه المائل الشائه. في معركة ما طارت إحدى أذنيه وجزء من وجنته، وإن ظلت في جسده أكوام من اللحم الأبيض الممتقع، وقد ارتدى ثيابًا لا تُناسب مقاسه وفاحت منه رائحة منفرة.

على النقيض بدا ماريليون أقرب إلى الأناقة. وقد حمّاه أحدهم وألبسه سراويل من الأزرق السماوي وسترة قصيرة فضفاضة بكُمّين منتفخين، مربوطة بزناز فضي كان هديةً من الليدي لايسا، بينما غطى يديه قفازان من الحرير الأبيض، وأغنت عصابة حريرية بيضاء السادة الحاضرين عن رؤية منظر عينيه.

وقفَ مورد وراءه حاملًا كُرباجًا، وحين نكزه السجّان في ضلوعه هوى المغني على ركبته قائلاً: «أتوسّل مغفرتكم أيها السادة».

سأله اللورد نستور بعبوس: «هل تعترف بجريمتك؟».

كان صوت المغني القوي الواثق ليلاً راجعًا هامسًا الآن وهو يُجيب: «لو أن لي عينين لبكيتُ. لقد أحببتها كثيرًا، ولم أحتمل أن أراها بين ذراعي رجل آخر، أن أعلم أنها تُشاركه فراشه. لم أكن أنوي أن أمسّ سيديتي الجميلة بأذى، أقسمُ على هذا، وأوصدتُ الباب فقط كي لا يُزعجنا أحد بينما أعترف لها بعاطفتي، لكن الليدي لايسا كانت باردةً للغاية معي... لمّا قالت لي إنها تحمل طفل اللورد بيتر... تملكني الجنون...».

حدّقت سانزا إلى يديه وهو يتكلّم. مادي البدينة زعمت أن مورد بتر ثلاثة من أصابعه، كلا الخنصرين وإحدى السبّابتين، وبشكلٍ ما بدا إصبعاه الصغيرين أكثر تيبسًا من البقية بالفعل، لكن من الصعب أن تتيقن في وجود هذين القفازين. ربما لا تكون أكثر من قصة مختلقة. وما أدري مادي؟ قال المغني الأعمى: «اللورد بيتر تكرم وتترك لي قيثارتي، قيثارتي و... لساني... كي أغني. كم كانت الليدي لايسا مولعةً بأغاني...».

قال اللورد نستور بغلظة: «خُذُوا هذا المخلوق من هنا وإلَّا قتلته بنفسه. مجرد النَّظَر إليه يُغثيني».

خاطَبَ بيتر السَّجَّانَ قائلاً: «مورد، أعده إلى زنانتة».

رَدَّ مـورد: «نعم سيِّدي»، وأمسَكَ مـاريليون مَن ياقته بخشونة، وقال له: «لا مزيـد كـلام». حين تكلَّم رأت سـانزا - لدهشـتها- أن أسـنان الـسَّجَّان مـن الـذهب، وشاهدته مع الآخرين وهو يجرُّ المغنِّي ويدفعه نحو الباب.

أعلنَ ماروين بلمور عقب خروجهما: «لا بُدَّ أن يموت هذا الرَّجل. كان ينبغي أن يتبع الليدي لايسا من (باب القمر)».

أضافَ السير ألبار رويس: «دون لسانه، دون هذا اللِّسان الكاذب السَّاخر».

بلهجة اعتذارية قال بيتر بايلش: «أعرفُ أنني ترفَّقتُ به كثيراً. الحقيقة أنني أشفقُ عليه. لقد قتلَ من أجل الحب».

قال بلمور: «من أجل الحب أو الكراهية، لا بُدَّ أن يموت».

قال اللورد نستور بفضفاضة: «قريباً. لا أحد يبقى طويلاً في زنازين السَّماء. سوف يُناديه الأزرق».

قال بيتر بايلش: «ربما، لكن سواء أجابَ ماريليون النِّداء أم لم يُجِبْه فهو وحده يعرف»، وأشار ليفتح حارساه الباب في نهاية القاعة، واستطرد: «أيها الفُرسان، لا يُدَّ أنكم متعبون من صعودكم. لقد أعددنا عُرفاً لكم جميعاً لقضاء الليل، والطعام والنَّبيذ في انتظاركم في (القاعة السفلى). أوزويل، أرهم الطَّريق واحرص على تلبية احتياجاتهم كُلِّها»، ثم التفت إلى نستور رويس قائلاً: «هلاً تناولت معي كأساً من النَّبيذ في عُرفتي الشَّمسية يا سيِّدي؟ إليني يا حُلوتي، تعالي وصُيِّي لنا».

كانت نار خافتة مشتعلة في العُرفة الشَّمسية حيث ينتظرهم إبريق من النَّبيذ. نبيذ ذهبي من (الكرمة). وملأت سانزا كأس اللورد رويس فيما حرَّك بيتر الحطب بمسعرٍ حديدي.

جلسَ اللورد نستور إلى جوار النَّار، وقال لبيتر كأن سانزا ليست موجودة: «لن تكون هذه النِّهاية. ابن عمِّي ينوي استجواب المغنِّي بنفسه».

دفعَ بيتر قطعةً من الحطب جانباً قائلاً: «يون البرونزي لا يثق بي».

- «إنه يُزِمع المجيء على رأس قوَّة، وسينضمُّ إليه سايموند تمپلتون، إياك أن تشكَّ في هذا، والليدي واينوود أيضاً كما أخشى».

- «واللورد بلمور واللورد هنتر الشَّاب وهورتون ردفورت، وسيجلسون معهم سام ستون القوي وآل توليت وآل شيت وآل كولدووتر وعدداً من آل كوربراي».

- «أنت واسع الاطلاع. مَنْ مِنْ آل كوربراي؟ اللورد لا يونل؟».

- «لا، أخوه. السير لين لا يحبني لسبب ما».

قال اللورد نستور بإصرار: «لين كوربراي رجل خطير. ماذا تنوي أن تفعل؟».

ردّ پيتر: «وما الذي بإمكانني أن أفعله إلّا التّرحيب بهم إذا أتوا؟»، وحرّك المِسعر لِيُزكي النّار أكثر ثم وضعه.

- «ابن عمّي ينوي أن يخلعك من منصب اللورد الحافظ».

- «إذا كان هذا صحيحًا فليس بمقدوري أن أمنعه. إنني أحتفظ بحامية لا تزيد على العشرين رجلًا، واللورد رويس وأصدقاؤه يستطيعون حشد عشرين ألف»، وذهب پيتر إلى الصّندوق البلوط الموضوع أسفل النّافذة، وأضاف وهو يركع أمامه: «يون البرونزي سيفعل ما يُريد أن يفعله»، ثم فتح الصّندوق وأخرج رفا ملفوفًا وناول اللورد نستور إياه قائلاً: «سيّدي، هذه أمانة على الحبّ الذي كانت سيّدتني تُكِنّه لك».

شاهدت سانزا رويس يبسط الرّق ويقول: «هذا... هذا غير متوقّع يا سيّدي»، وأذهلها أن ترى في عينيه دموعًا.

- «غير متوقّع لكنه ليس غير مستحقّ. لقد قدّرتك سيّدتني أكثر من سائر حملة رايتها، وقالت لي إنك صخرتها».

قال اللورد نستور بوجهٍ تورّد: «صخرتها. هي قالت هذا؟».

أجاب پيتر: «مرارًا»، وأشار إلى الورقة مستدرّكًا: «وها هو ذا الدّليل».

- «هذا... يسرّني أن أعرف هذا. أعلم أن چون آرن كان يُقدّر خدمتي، لكن الليدي لايسا... لقد استخفّت بي حين أتيتُ أخطبُ وُدّها، وخشيتُ أن...»، وعقد اللورد نستور حاجبيه مغمغمًا: «أرى أنه يحمل ختم آرن، لكن التّوقيع...».

- «لايسا قُتِلت قبل أن تُقدّم لها الوثيقة لتوقيعها، فوقعتها باعتباري اللورد الحافظ. أعلم أنها كانت لترغب في هذا».

قال اللورد نستور: «مفهوم»، وطوى الرّق متابعًا: «أنت... وفيّ يا سيّدي، نعم، ولا تعوزك الشّجاعة. سيقول بعضهم إن هذه المنحة لا تليق ويلومونك على تقديمها. منصب الولي لم يكن متوارثًا قط. آل آرن هم من سيّدوا (بوابات القمر) في إبان اعتمارهم تاج الصّقر وحكمهم ملوكًا في (الوادي). كانت (العُش) مقرّهم الصّيفي، لكن مع بدء سقوط الثّلوج اعتاد البلاط أن ينزل الجبل. ستجد مَنْ يقولون إن (بوابات القمر) لا تقلّ ملكيّة عن (العُش)».

علّق پيتر بايلش: «لم يعد هناك ملك في (الوادي) منذ ثلاثمئة سنة».

أيدّه اللورد نستور قائلاً: «حين أتى الثّنائين، لكن حتى بعدها ظلّت (بوابات

القمر) قلعةً تابعةً لعائلة آرن. چون آرن نفسه كان وليّ البوّابات في حياة أبيه، وبعد تولّيه الحكم كرّم أخاه رونل بالمنصب، ولاحقًا دينس ابن عمّه». - «اللورد روبرت بلا إخوة، وأبناء عمومته بعيدون».

أطبق اللورد نستور على الوثيقة، وقال: «صحيح. لن أقول إنني لم أتمنّ هذا. حين كان اللورد چون يحكم البلاد بصفته يد الملك وقعَ على عاتقي أن أحكم (الوادي) من أجله، وفعلتُ كلَّ ما طلبه مني ولم أسأله شيئًا لنفسي، لكنني استحققتُ هذا بحقّ الآلهة!».

قال بيتر: «استحققتَه بالفعل، واللورد روبرت ينام بارتياح أكثر عالمًا أنك موجود دائمًا، صديق صدوق عند سفح جبله»، ورفع كأسه مردفًا: «إذن... لنشرب نخبًا يا سيّدي. في صحّة آل رويس أولياء (بوّابات القمر)... الآن وإلى الأبد». ردّد رويس: «الآن وإلى الأبد، أجل!»، وتقرّعت الكأسان الفضيّتان.

لاحقًا، بعدها بوقتٍ طال، بعد أن فرغَ إبريق نبيذ (الكرمة) الذهبي، استأذنَ اللورد نستور في الانصراف لينضمَّ إلى رفقة فرسانه من جديد، وعندئذٍ كان النُّعاس يُغالب سائزًا الواقعة بلا رغبةٍ إلّا في الذهاب إلى فراشها، لكن بيتر أمسكَ معصمها قائلاً: «أترين الأعاجيب التي يصنعها الكذب ونبيذ (الكرمة) الذهبي؟». لماذا تُريد أن تبكي إذن؟ من الجيّد أن نستور رويس معهما. سألتَه: «أكان كلُّ ما قيلَ كذب؟».

- «ليس كلّ. كثيرًا ما دعت لايسا اللورد نستور بالصّخرة، وإن كنتُ لا أظنُّ أنها قصّدتها كإطراء، وتعوّدت أن تدعو ابنه بكنتلة الطّين. كانت تعلم أن اللورد نستور يحلُم بالانفراد يحكم (بوّابات القمر)، أن يكون لورد حقيقةً لا اسمًا فقط، لكن لايسا كانت تحلُم بإنجاب أبناء آخرين وانتوت أن تذهب القلعة إلى أخي روبرت الصّغير»، ونهض بيتر سائلًا إياها: «هل تفهمين ما حدث هنا يا إيليني؟». تردّدت سائزًا برهّة، ثم قالت: «منحت اللورد نستور (بوّابات القمر) لتتأكّد من دعمه لك».

- «نعم، لكن صخرتنا من آل رويس، أي أنه شديد الاعتداد بالنّفس وسريع الغضب. لو كنتُ سألتَه عن سعره لانتفخَ كضفدع غاضب لإهانتني شرفه، أمّا بهذه الطّريقة... الرّجل ليس غبيّا تمامًا، لكن الأكاذيب التي قدّمتها له أحلى من الحقيقة. إنه يُريد أن يُصدّق أن لايسا قدّرتَه أكثر من بقيّة حملة رايته، فأحد هؤلاء الآخرين يون البرونزي في النّهاية، ونستور يعي جدًّا حقيقة أنه من فرع أدنى لعائلة رويس، ويرغب في المزيد لابنه. الشرفاء يفعلون في سبيل أولادهم أشياء ما كانوا ليُفكّروا في فعلها لأنفسهم بتاتًا».

أومأت برأسها متفهمّة، وقالت: «التّوقيع... كان يُمكنك أن تجعل اللورد روبرت يُووِّع الوثيقة ويختمها، لكن بدلًا من هذا...».

- «... وقّعتها بنفسى باعتبارى اللورد الحافظ. لماذا؟».

- «لأن... فى حالة إزاحتك أو... أو قتلك...».

- «... سيُصبح امتلاك اللورد نستور (بوابات القمر) فجأةً محلّ شك. أوكد لك أن شيئاً كهذا لم يَفُتْه. براعة منك أن تلحظى، وإن لم أتوقّع أقلّ من هذا من ابنتى».

- «أشكرُ»، قالت شاعرةً بفخر شديدٍ باستنتاجها السليم، ولو أن فخرها امتزج بالحيرة. «لكنى لستُ ابنتك، ليس حقاً. أعنى أننى أظاهرُ بكونى إبنى، لكنك تعلم...».

وضعَ الإصبع الصّغير إصبعة على شفّتها، وقال: «أعلمُ ما أعلمُ وتعلمين ما تعلمين. الأفضل ألا يُقال بعض الأشياء يا حُلوتى».

- «حتى ونحن وحدنا؟».

- «بالذات ونحن وحدنا، وإلاّ قد يأتى يوم ويدخلُ خادمُ غُرْفَةٍ دون تنبيه أو يسمع حارس على الباب شيئاً لا ينبغى أن يسمعه. هل تُريدان المزيد من الدماء على يدك الجميلتين يا عزيزتى؟».

رأت وجه ماريليون يسبح فى الهواء أمامها وعلى عينيه العصابة الباهتة، ووراءه رأت السير دونتوس وسهام النشّابيّة مغروسة فى جسده. هكذا قالت سانزا: «لا، أرجوك».

- «وددتُ لو أقول إننا لسنا فى لعبةٍ يا بنيتى، لكنها كذلك بالطبع. إنها لعبة العروش».

لم أطلب أن ألعب قطُّ. واللّعبة محفوفة بالمخاطر. زلّة واحدة وأموتُ. «أوزويل... سيّدى، أوزويل جدّف بي من (كينجز لاندنج) ليلة هروبى. لا بدّ أنه يعرف هويّتى الحقيقية».

قال: «مؤكّد أنه يعرفها إذا كان يملك نصف ذكاء خروف، والسير لوثر يعرف أيضاً، لكن أوزويل يعمل فى خدمتى منذ زمن طويل، وبرون كتوم بطبيعته. كتلبلاك يُراقب برون من أجلى، وبرون يُراقب كتلبلاك. ذات مرّة قلتُ لإدارد ستارك ألا يثق بأحد، لكنه أبى أن يُصغى. أنتِ إبنى، ويجب أن تكونى إبنى طوال الوقت»، ووضعَ إصبعين على ثديها الأيسر متابعاً: «حتى هنا، فى قلبك. هل يُمكنك أن تفعلنى هذا؟ هل يُمكنك أن تكونى ابنتى فى قلبك؟».

- «إننى...». كادت تقول: لا أدري يا سيّدى، لكن ذلك ليس ما يُريد أن يسمعه، فقالت لنفسها: الأكاذيب ونبيذ (الكرمة) الذهبى، وأجابته: «إننى إبنى يا أبى، ومن غيرها؟».

لثمَ اللورد الإصبع الصّغير وجنتها، وقال: «بعقلي وجَمال كات سيكون العالم ملك يمينك يا حُلوتى. والآن إلى الفراش».

وجدت سائرا أن جرتشل أشعلت نارا في مستوقدها ونفشت حشية فراشها الرئيس، فخلعت ثيابها ودخلت تحت الأغطية، وترجّت في قرارة نفسها: لن يُغني الليلة في وجود اللورد نستور والآخرين في القلعة، لن يجرؤ، وأسدت جفنيها.

وفي هزيـع ما من الليل اسـتيقظت إذ انضـم إليـها روبرت الصـغير فـي الفـراش. نسـيت أن أقـول للسـير لـوثور أن يحبسـه ثانية. لم يكـن هـنـاك ما يُمكنـها أن تفـعلـه، فطوّقته بذراعها قائلة: «عُصفوري الجميل، يُمكنك أن تبقى، لكن حاول ألا تتقلب. أغلق عينيك ونم أيها الصـغير».

قال: «حاضر»، والتصق بها ووضع رأسه بين ثدييها، وسألها: «إليني، أنت أمي الآن؟».

أجابته: «أظنُّ هذا».

لا أذى في أكذوبة النية منها الرأفة.

ابنة الكراكن

صَجَّت القاعة بصخب رجال هارلو السِّكرانين، كلُّهم من أبناء حُؤولتها، وكلُّ لورد منهم يُعَلِّق رأيته وراء مجموعة الدِّكِّ التي يجلس عليها رِجاله، وقد تطلعت آشا جرايچوي إليهم من الشُّرفة مفكِرةً: قِلَّة قليلة للغاية، قِلَّة لا تُذكر. ثلاثة أرباع الدِّكِّ كان شاغراً.

لِـكارل البكر قال ما مؤدَّاه الخُلاصة نفسِها وهمـا على مِتـن (الـريِّح الـسَّوداء) المقبلـة من البحر، إذ أحصى السفن الطويلة الرّاسية أسـفل قلعة خالـها، ثم زَمَّ فـاه مـعلِّقاً: «لم يأتوا، أو لم يأت عدد كافٍ». لم يكن مخطئاً، إلّا أن آشا لم تستطع أن تُؤمِّن على كلامه في مكان مفتوح حيث يُمكن أن يسمعها أفراد طاقمها. إنها لا تشكُّ في إخلاصهم، لكن حتى حديدَيّ الميلاد يتردّدون في بذل حياتهم في سبيل قضيةٍ من الجليّ للعيان أنها خاسرة.

أأصدقائي قلائل لهذه الدّرجة حقّاً؟ ضمن الرّايات رأت سمكة آل بوتلي الفضية، وشجرة آل ستونتري الحجرية، ولويathan آل قولمارك الأسود، وأناشيط آل ماير. أمّا البقية فمنـاجل آل هـارلو. يضـع بورمونـد منجلـه على خلفـية زرقاء شـاحبة، ومنجلـه هوـثو محـاط بـإطار لـه شـكل شـرفـات الحصن، والفارس أضـاف إلـى منجلـيه الطّاووسين المبهرجين رمز عائلة أمّه، علاوةً على راية سيجفريد ذي الشّعر الفضي التي تُظهر منجلين متعارضين على خلفيّة مقسومة بميل إلى لونين. وحده اللورد هـارلو على رايته منجل في ضي خـالص على خلفيّة بسـواد الـليل، تماماً كما كنت تخفق في فجر الزّمان. إنـه رودريـك الملـقّب بـالقارئ، سـيد (البروج العشرة) وسـيد (هارلو)، زعيم عائلة هارلو في (هارلو)... والمفضل عندها من بين أشقاء أبيها وأمها.

لِـإن مقعد اللورد رودريـك العـالي شـاغراً أيـضاً، وقد تقاطع فوقه منجلان من الفضة المطرّقة، هائلان حتّى إن واحداً من العمالقة أنفسهم كان ليجد عُسرًا في حملهما، لكن تحتكما تستقرّ الوسائد خالية. لم تندهش آشا، فالمأدبة انتهت منذ مدّة طويلة، وعلى الموائد لم يبق غير العظام والأطباق المتسخة بالدهون. الآن ليس هناك في المكان إلّا من يشربون، وخالها رودريك لم يكن ميّالاً قط إلى ضجة السّكارى المشاكسين.

التفتت إلى ذات الثلاث أسنان، امرأة في أرذل العُمر تعمل وكيلةً لخالها منذ كانت تُدعى ذات الاثنتي عشرة سن، وسألتها: «خالي مع كتبه؟».

- «نعم، وهل هناك غيرها؟». المرأة طاعنة في السنّ لدرجة أن أحد السيّتونات قال في مرّةٍ إنها حتماً أرضعت (العجوز)، لكن ذلك كان في عهد التّسامح مع عقيدة الآلهة السبعة على الجُزر. الآن يحتفظ خالها بعددٍ من السيّتونات في

(البروج العشرة)، ليس من أجل خلاص روحه وإنما من أجل الكتب. «مع الكتب وبوتلي. هو أيضًا كان معه».

راية بوتلي أيضًا معلقة في القاعة، سرب من السمك الفضي على خلفيّة خضراء باهتة، وإن لم ترَ أشا سفينته (الزّعنفة السريعة) وسط السفن الطويلة الأخرى.

قالت: «سمعتُ أن عمّي عين الغراب أغرقَ العجوز ساوان بوتلي».

- «أقصدُ اللورد تريستيفر بوتلي».

تريس. تساءلتَ عمدًا جرى لابن ساوان الأكبر هارن. لا شكّ أني سأعرفُ قريبًا. لن يكون موقفًا مريحًا. إنها لم ترَ تريس بوتلي منذ... لا، يجب ألا تُسهب في التفكير في ذلك. «والسيّدة أمّي؟».

- «في فراشها في (برج الأرملة)».

نعم، وهل هناك مكان غيره؟ الأرملة التي استمدّ البرج منها اسمه هي خالتها الليدي جوينيس، التي أتت ترثي زوجها الذي ماتَ عند (الجزيرة القصيّة) خلال تمرد بالون جـرايچوي الأول، ومعلّوم أنـها قالـت لأخيـها: «سأبقى حتّى ينتـهي جدادي فقـط، مـرّ ع أن المفتـرّض حـقا أن تـكون (الـبروج العـشرة) لـدي، لأنـي أكـبرك بـسـبعة أعوام». سنوات طويلة مرّت منذ ذلك الحين، وظلت الأرملة في جدادها، وبين الآن والآخر تُتميّم أن القلعة من حقّها. والآن عند اللورد رودريك أخت أرملة شبيهة مجنونة أخرى تحت سقفه. لا عجب أنه يسعى إلى العزاء وسط كتبه. حتّى الآن يصعب استيعاب أن الليدي ألانيس السقيمة الهشّة حيّة بينما ماتَ زوجها اللورد بالون الذي بدا شديد القوّة والصلابة. عنـدما أبـحـرت أشـا إلـى الحـرب كـان قلبـها مثقـلاً بالـهم، وتخشى أن تموت أمّها قبل عودتها، ولم يخطر لها مرّة أن أبـاها سيموت أوّلًا. الإله الغريق يُمازحنا مزاحًا قاسيًا، لكن البشر أشدّ قسوة. عاصفة مفاجئة وحبل مقطوع ألقيا بالون جـرايچوي إلى مصرعه. أو هكذا يزعمون.

آخر مرّة رأت أمّها كانت حين توقّفت في (البروج العشرة) لتعبئة الميـاه العذبة وهـي فـي الطـريق شـمالاً لمـهاجمة (ربوة الغابة). لم تتمرّع ألانيس هـارلو قـط بنـوع الجـمال الـذي يـُتمنّه المغنّون، لكن لطالما أحبّت ابنتها ملامحها الحادّة القويّة وعينيها الضحكتين، على أنها في تلك الزيّارة الأخيرة وجّدت الليدي ألانيس جالسةً على مقعدٍ مجاور للتأفذة تحت كومةٍ من الفرو، تُحدّق إلى البحر، وتذكّر أشا أنها تساءلت في نفسها وهي تُقِيل وجنتها: أهذه أمّي أم شبحها؟ كان جلد أمّها رقيقًا كورق الرقّوق وشعرها الطويل مبيضًا، ولئن تبقى شيء من الكبرياء في الطريقة التي ترفع بها رأسها، فقد بدت عيناها منطفئتين غائمتين، واختلجَ فمها وهي تسأل عن ثيون قائلة:

«هل أتيتِ بابني الصَّغير؟». كان ثيون في العاشرة من العُمر حينما أخذَ رهينةً إلى (وينترفل)، ويبدو أنه سيظلُّ هكذا دوماً في مخيلة الليدي ألانيس. أجابتها آشا مضطَّرةً: «ثيون لم يأتِ. أبي أرسله يُغير على (السَّاحل الحجري)»، فلم تردَّ الليدي ألانيس، بل اكتفتْ بالإيماء برأسها ببطء، وإن كان الجرح البليغ الذي أصابتها به كلمات ابنتها جلياً تماماً.

والآن على أن أخبرها بموت ثيون وأغمـد في فؤادهـا خنجـراً آخر. ثمة سـكـينان مغروسـان هنـاك بـالفعل، وعلى نصـليهما نُقشـ اسمـا رودريـك ومـارون، وكثـيراً مـا يُمَرِّقان نياط قلب أمِّها في جوف الليل. قالت آشا لنفسها متعهَّدةً: سأراها غداً. لقد قطعتْ رحلةً طويلةً مرهقةً، وليس بمقدورها أن تُواجه أمِّها الآن.

خاطبت ذات الثلاث أسنان قائلةً: «يجب أن أتكلَّم مع اللورد رودريك. اعتني بأفراد طاقمي بمجرد أن ينتهوا من تفريغ حمولة (الريِّح السوداء). سيكون معهم أسرى. أريدهم أن يناموا في أسرةٍ دافئة ويأكلوا وجبةً ساخنةً».

ردَّت العجوز: «هناك لحم بقري بارد في المطابخ، وخردل في جرةٍ حجريةٍ كبيرة من (البلدة القديمة)»، وجعلها ذكر ذلك الخردل تبتسم، لتلوح سِنٌ بيَّنة طويلة واحدة متمسكةً بلثتها.

قالت آشا: «لن يصلح هذا. رحلتنا كانت شاقَّةً، وأريدُ شيئاً ساخناً في بطونهم»، ودست إبهامها في الحزام المرصَّع بالحديد المحيط بوركبيها، وأضافت: «يجب ألا يعوز الليدي جلوثر وصغيريها الطعام أو الدِّفء أبداً. ضعهم في بُرج وليس في الرِّنازين. الرضِعة مريضة».

- «الرُّضْع يمرضون طول الوقت، ويموت معظمهم ويشعر الناس بالأسف. سأسأل سيدي أين أضع قوم الدِّئاب هؤلاء».

أمسـكت أنـف العـجـوز بـين إـبـهامـها وسـبـابتها وقرصتـه قائلـةً بغلظة: «سـتفعلين كمـا أقـولُ، وإذا مرأت هذه الرضِعة فلن يأسف أحد أكثر منكِ»، فصاحت ذات الثلاث أسنان بحدَّةٍ ووعدت بأن تُطيع، إلى أن أطلقت آشا سراحها وذهبت إلى خالها.

جميل أن تمشي في هذه الأروقة من جديد، فلطالما عدَّت آشا (البروج العشرة) بيتها أكثر من (بايك)، وعندما رأتها أول مرَّةٍ فكَّرت: ليست قلعةً واحدةً وإنما عشر قلاعٍ منحشرةٍ معاً. لا تزال تذكُر سباقات لاهثةً على السَّلام وبطول مماشى الأسوار والجسور المغطاة، وصيد الأسماك على (الرَّصيف الحجري الطويل)، وأياماً وليالي أمضتها مستغرقةً في ثروة خالها من الكتب. جدُّ جدِّه هو من أقام القلعة التي تعدُّ الأجدد على الجُزر، وكان للورد ثيومور هارلو ثلاثة أبناء ماتوا في المهـد، وقد ألقى اللوم على الأقبية المغمورة والأحجار الرطبة والنَّطرون الفاسد في (بهو هارلو) العريق، أمَّا (البروج العشرة) فأحسن تهويةً وأكثر راحةً وأفضل

موقعًا...

لكن اللورد ثيومور كان رجلًا متقلب الأطوار كما كانت أيُّ من زوجاته لتشهد، وقد كانت له سِت منهن، كلهن متباينات كأبراجه العشرة.

(بُرج الكُتب) أوسع العشرة، مَثَمَن الأضلاع ومشيد بقوالب ضخمة من الحجارة المنحوتة، وسلالمه مبنية داخل الجدران السميكة. صعدت أشا مسرعةً إلى الطابق الخامس حيث الغرفة التي يقرأ فيها خالها. ولو أنه لا توجد عُرف لا يقرأ فيها. نادرًا ما يرى اللورد رودريك دون كتاب في يده، سواء أكان هذا في المرحاض أم على سطح سـفينة (أغنية البحر) أم في أثناء مقابلاته، وكثيرًا ما رآته أشا يقرأ على مقعده العـالي تحت المنجلين الفضيين، فيُنصت إلى حالة تُطرح عليه ويُصـدر حكمه... ثم ينال قسطًا من القراءة بينما يذهب قائد حرسه للإتيان بالملتئم التـالي.

وجدته مائلًا على منضدة عند نافذة، تُحيط به مخطوطات ربما أتت من (قاليريا) نفسها قبل هلاكها، وكُتب ثقيلة مغلّفة بالجلد ولها مشابك من البرونز والحديد، وعلى جانبيه تشتعل شموع سميكة طويلة كذراع رجل في شمعدانات حديدية منمّقة. ليس اللورد رودريك هارلو بدينًا أو نحيفًا، ولا طويلًا أو قصيرًا، ولا قبيحًا أو وسيماً، وله شعر بني كعينيه، وإن شابت اللحية القصيرة المشدبة التي تعود العناية بها. إجمالاً يبدو الرجل تقليديًا، ولا يُميّزه إلا حبه للكلمة المكتوبة، وهو ما يعده كثيرون جدًا من حيديي الميلاد تخنثًا وانحرافًا.

أغلقت الباب وراءها قائلة: «خالي، ما القراءة العاجلة التي تجعلك تترك ضيوفك بلا مضيف؟».

قال: «(كتاب الكُتب المفقودة) للمايستر الرئيس ماروين»، ورفع ناظره عن الصفحة يرمقها متابعًا: «هوثنو أحضر لي نسخة من (البلدة القديمة). إن له ابنة يُريدني أن أتزوجها»، ونقر اللورد رودريك على الكتاب بظفر طويل، وأردف: «انظري هنا، ماروين يزعم أنه عثر على ثلاث صفحات من (علامات وآيات)، الرؤى التي دونتها ابنة إينار تارجارين العذراء قبل أن يأتي الهلاك (قاليريا). هل تعرف لاني أنك هنا؟».

لاني هو اسم التـدليل الذي يُطلقه علي أمها، ووحده القارئ يدعوها به. أجابت أشا: «ليس بعد. دَعها تستريح»، ونقلت كومة من الكُتب من على كُرسِي وجلست مستطرده: «يبدو أن ذات الثلاث أسنان فقدت سِنين أخريين. هل تدعوها بذات السِّن الواحدة الآن؟».

- «نادرًا ما أدعوها على الإطلاق. تلك المرأة تُخيفني. ما السّاعة الآن؟»، ونظر اللورد رودريك من النّافذة إلى البحر الذي أناره القمر، ثم أردف: «حَلّ الظلام بهذه السرعة؟ لم ألاحظ. لقد تأخرت، انتظرنا مجيئك منذ أيام».

- «كانت الرّيح ضدنا وقلقتُ على أسراي، زوجة روبت جلوغر وطفلاه. الصغرى لا

تزال رضيعَةً، ولبن الليدي جلوغر جَفَّ خلال رحلتنا، فلم أجد خيارًا إلا الرِّسو
بـ (الرَّيح السَّوداء) على (السَّاحل الحجري) وإرسال رجالي للعثور
على مريضَةٍ، وبدلاً من هذا وجدوا عِزَّةً. الفتاة ليست في صحَّةٍ
طَيِّبَةٍ. هل هناك أم تُرضع في القرية؟ (ربوة الغابة) مهمَّةٌ لخططي».

- «يجب أن تتبدَّل خططك. لقد أتيت متأخِّرةً كثيراً».

قالت: «متأخِّرةٌ وجائعَةٌ»، ومدَّت ساقها الطويلة بين تحت المنضدة
وقلبت صفحات أقرب كتاب إليها، محاضرة أحد السيِّتونات عن حرب
ميجور المتوجِّش على جماعة الصَّعاليك، وأضافت: «أوه، وظمأى أيضاً. لا
بأس بقرنٍ من المِزر الآن يا خالي».

زَمَّ اللورد رودريك شفتيه قائلاً: «تعلمين أنني لا أسمح بالطَّعام والشراب في
مكتبي. الكتب...».

أكملت آشا عبارته ضاحكةً: «... ربما يُصيبها أذى».

قطَّب خالها جبينه، وقال: «تحيَّين استفزازي حقًّا».

- «أوه، لا تبدو متضرِّراً هكذا. إنني لم ألتقي رجلاً لم أستفزّه قطُّ، والمفترض أنك
تعلم هذا جيِّدًا. لكن كفى كلامًا عني. هل أنت بخير؟».

هَزَّ كتفيه مجيبًا: «بخير بما فيه الكفاية. نظري يَضُغُ. بعثتُ إلى (مير) أطلبُ
عدسةً تُساعدني على القراءة».

- «وكيف حال خالتي؟».

تنهَّد اللورد رودريك، وقال: «ما زالت تكبرني بسبع سنوات
ومقتنعةٌ بأن (البروج العشرة) يجب أن تكون لديها. أصيحت جوينيس
كثيرة النَّسيان، لكن هذا ما لا تنساه أبدًا. إنها ترثي زوجي الميت بالحرارة
نفسها كيوم موته، مع أنها لا تتذكَّر اسمه دائماً».

قالت آشا: «لستُ واثقةٌ بأنها كانت تعرف اسمه أصلاً»، وأغلقت كتاب السيِّتونات
بقوَّة متسائلةً: «هل قُتِلَ أبي؟».

- «هذا ما تعتقده أمك».

ثمَّة أوقات معيَّنة كان يُسعدها فيها أن تَقُله بنفسها. «وما الذي يعتقد
خالتي؟».

- «بالون هوى إلى موته عندما انقطعَ جسر من الجبال من تحته. كانت العاصفة
ثائرةً والجسر يتمايل ويتلوَّى مع كلِّ هبَّة ريح»، وعادَ رودريك يهزُّ كتفيه مضيِّفًا:
«أو أن هذا ما قيلَ لنا. أمك وصلَ إليها طائر من المايستر ويندامير».

سحبت آشا خنجرها من غِمدِه وطفقت تُنظِّف ما تحت أظفارها من وسخ،
وقالت: «يغيب عين الغراب ثلاثة أعوام ثم يعود يوم موت أبي تحديدًا».

- «في اليوم التالي كما سمعنا. (الصمت) كانت لا تزال في البحر عندما مات بالون، أو أن هذا ما يُقال، ومع ذلك أُؤيّدك في أن عودة يورون... لنقل إنها كانت في حينها».

عَلَّقت آشا: «لَمْ أَكُنْ لأَصِفْهَا هَكَذَا»، ثُمَّ إِنَّهَا غَرَسَتْ رَأْسَ خَنْجَرِهَا فِي الْمَنْضَدَةِ، وَقَالَتْ: «أَيُّنَ سُفْنِي؟! لَقَدْ أَحْصَيْتُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ مِنَ السُّفُنِ الطَّوِيلَةِ الرَّاسِيَةِ بِالْأَسْفَلِ، لَيْسَ عِدَدًا يَكْفِي وَلَوْ بَعْضُ الشَّيْءِ لِإِزَاحَةِ عَيْنِ الْغُرَابِ عَنْ كُرْسِيِّ أَبِي».

- «لَقَدْ أَرْسَلْتُ الْاسْتِدْعَاءَاتِ بِاسْمِكَ لِأَجْلِ مَا أَكُنْتُ لَكَ وَلَأُمِّكَ مِنْ حُبِّ عَائِلَةِ هَارْلُو اجْتَمَعَتْ، وَكَذَا عَائِلَتَا سْتُونْتري وَقَوْلْمَارِكِ وَبَعْضُ عَائِلَةِ مَاير...».

- «كُلُّهُمْ مِنْ (هَارْلُو)... جَزِيرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَبْعٍ. رَأَيْتُ رَايَةَ بَوْتَلِي وَحِيدَةً مِنْ (بَايِك) فِي الْقَاعَةِ. أَيُّنَ سُفْنٍ سَوَلْتُكَ وَأُورِكُ وَوُدُّ؟ أَيُّنَ سُفْنٍ (وَيْكِ الْقَدِيمَةِ) وَ(وَيْكِ الْكُبْرَى)؟».

- «بِيلُورُ بِلَاكْتَايْدِ أَتَى مِنْ (بِلَاكْتَايْدِ) يَتَشَاوَرُ مَعِي وَسُرْعَانِ مَا رَحَلَ مِنْ جَدِيدٍ»، وَأَغْلَقَ رُودْرِيكُ (كِتَابَ الْكُتُبِ الْمَفْقُودَةِ) مُضِيقًا: «إِنَّهُ فِي (وَيْكِ الْقَدِيمَةِ) الْآنَ».

- «(وَيْكِ الْقَدِيمَةِ)؟». كَانَتْ آشَا تَخْشَى أَنْ يَقُولَ إِنَّهُمْ ذَهَبُوا جَمِيعًا إِلَى (بَايِكِ) لِيُبَايَعُوا عَيْنَ الْغُرَابِ. «لِمَاذَا (وَيْكِ الْقَدِيمَةِ)؟».

- «حَسْبَتْكَ سَمِعْتُ. أَرُونِ ذُو الشَّعْرِ الرَّطْبِ دَعَا إِلَى انْتِخَابِ مَلِكٍ».

أَلْقَتْ آشَا رَأْسَهَا إِلَى الْوَرَاءِ ضَاحِكَةً، ثُمَّ قَالَتْ: «لَا بُدَّ أَنْ الْإِلَهَ الْغَرِيقِ دَسَّ سِمَكَةً شَائِكَةً فِي دُبُرِ الْعَمِّ أَرُونِ. انْتِخَابِ مَلِكٍ؟ أَهَذِهِ دُعَابَةٌ أَمْ أَنَّهُ يَعْنِي مَا يَقُولُ حَقًّا؟».

- «ذُو الشَّعْرِ الرَّطْبِ لَمْ يَمِزْجْ قَطُّ مِنْذُ غَرَقَ، ثُمَّ إِنَّ الرُّهْبَانَ الْآخَرِينَ تَبَنُّوا الدَّعْوَةَ؛ بِيْرُونِ بِلَاكْتَايْدِ الْأَعْمَى وَتَارِلُ الْغَارِقِ ثَلَاثًا... حَتَّى الثُّورْسِي الرَّمَادِي الْعَجُوزُ تَرَكَ الصَّخْرَةَ الَّتِي يَعِيشُ عَلَيْهَا لِيُشِيرَ بِهَذَا الْانْتِخَابِ فِي أَنْحَاءِ (هَارْلُو). الرِّبَابَنَةُ يَجْتَمِعُونَ فِي (وَيْكِ الْقَدِيمَةِ) حَالِيًا».

سَأَلَتْهُ آشَا مِنْدَهْشَةً: «هَلْ وَافَقَ عَيْنَ الْغُرَابِ عَلَى حُضُورِ تِلْكَ الْمَهْزَلَةِ الْمَقْدَسَةِ وَالْإِذْعَانِ لِقَرَارِهَا؟».

- «عَيْنَ الْغُرَابِ لَا يُطْلِعُنِي عَلَى قَرَارَاتِهِ. مِنْذُ اسْتَدْعَانِي إِلَى (بَايِكِ) لِأُبَايِعَهُ لَمْ تَصْلُنِي أَخْبَارٌ مِنْ يورُون».

انْتِخَابِ مَلِكٍ. شَيْءٌ جَدِيدٌ هَذَا... أَوْ بِالْأَحْرَى شَيْءٌ قَدِيمٌ لِلْغَايَةِ. «وَعَمِّي فَيَكْتَارِيُونَ؟ مَا رَأْيُهُ فِي فِكْرَةِ ذِي الشَّعْرِ الرَّطْبِ؟».

- «فَيَكْتَارِيُونَ أَعْلِمَ بِمَوْتِ أَبِيكَ، وَبِانْتِخَابِ الْمَلِكِ إِيَّاهُ أَيْضًا لَا رَيْبَ، لَكِنِّي لَا أَدْرِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا».

مَجِيءُ مَلِكٍ بِالْانْتِخَابِ أَفْضَلُ مِنْ مَجِيئِهِ بِالْحَرْبِ. قَالَتْ آشَا: «أَعْتَقِدُ أَنِّي سَأَقْبِلُ قَدَمِي ذِي الشَّعْرِ الرَّطْبِ رَغْمَ رَائِحَتِهِمَا الْكَرِيهَةِ وَأَلْتَقِطُ طَحَالِبَ الْبَحْرِ مِنْ بَيْنِ

أصابعهما»، وانتزعت خنجرها من خشب المنضدة ودسّته في الغمد مضيفة: «انتخاب ملكٍ لعين!».

- «فـي (ويـك القـديمة)، وإن كنتُ أصـلّي ألا يكون لعـينًا. كنـتُ أراجـعُ (تـاريخ حـديديّ المـيلاد) لـهايرج. عنـدما اجتمـعَ الملـوك الملـحيون والملـوك الصّخريون آخـر مرّةٍ فـي انتخاب ملكٍ أطلقَ أوروـن ابن (أوركـمونت) رجـاله حاملي الفؤوس بينهم واصطبغت ضلوع ناجا بخـمرة الدّمـاء، وبـعد ذلك اليـوم الملـعون حكمت عائلة جـرايـايرون غير مختارة طيلة ألف عامٍ إلى أن جاء الأنداليون».

- «يجب أن تُعيرني كتاب هايرج هذا يا خالي». عليها أن تتعلّم كلّ ما يُمكنها عن انتخابات الملوك قبل وصولها إلى (ويك القديمة).

ردّ: «يُمكنك قراءته هنا. إنه قديم وهش»، وأمعن النّظر إليها عاقدًا حاجبيه، وقال: «المـايستـر الرّئيس ريجني كتبَ يقول إن التّاريخ عجلة، لأن سـليقة الإنسان لا تتغيّر أبدًا، وإن ما حدث من قبل سيحدث ثانية بالضرورة. كلّما تأملتُ في طبيعة عين الغراب فكّرت في هذه المقولة. إن ليورون جـرايـچوي وقـعًا على هاتين الأذنين العجوزين لا يختلف عن أوروـن جـرايـايرون. لن أذهب إلى (ويك القديمة)، ولا ينبغي لك أن تذهبي كذلك».

ابتسمت آشا قائلةً: «ويفوتني أول انتخاب ملكٍ يُعقد منذ... منذ متى يا خالي؟».

- «أربعة آلاف عام إذا صدّقنا هايرج، أو نصف تلك المدة إذا قبلنا حُجج المـايستـر دنستان في (الأسئلة). الذّهاب إلى (ويك القديمة) لن يُجدي نفعًا. ذلك الحُلم بالملك جنون في دمنّا، وهذا ما قلته لأبيك حين تمرّد أول مرّة، وكلامي أصدق الآن مما كان آنذاك. إننا في حاجةٍ إلى الأرض لا التّيجان، ومع تنافس ستانيس باراثيون وتـايوين لانـسـتر على العرش الحـديدي أمـامنا فُرصة نـادرة لتـحسـين أوضـاعنا. لنأخذ هذا الجـانب أو ذاك ونُعينه على النّصر بأسـاطيلنا ونحـصّل على الأرضـي التـي نحتاج إليها من ملكٍ شكور».

- «قد تستحقّ هذه الفكرة التّفكير حالما أجلسُ على كرسي حجر اليم».

تنهّد خالها، وقال: «لن تُريدي أن تسمعي هذا يا آشا، لكنك لن تُختاري. لم يحدث قطّ أن حكمت امرأة حديديّ الميلاد. جوينيس تكبرني بسبع سنوات بالفعل، لكن حين مات أبي انتقلت (البروج العشرة) إليّ، وسيحدث المثل معك. أنت ابنة بالون لا ابنه، ولك ثلاثة أعمام».

- «ثلاثة أعمام وخال».

- «ثلاثة أعمام كراكن. أنا لا أحسب».

- «أنت محسوب عندي. ما دامَ معي خالي سيّد (البروج العشرة) فمعي

(هارلو)». ليست (هارلو) أكبر (جُزر الحديد)، لكنها الأغنى والأكثر عمارةً بالسكان، وسطوة اللورد رودريك لا يُستَتهان بها. ليس لـهارلو من منـافس في (هارلو)، وصـحـيـح أن آل قولـمارك وسـتـونـتري لـهم أمـلاك كبيرة على الجزيرة ويتبـاهون بربابنة مشـاهير ومُحاربين أشدّاء من بين ظهرائهم، لكن حتى أقواهم ينحني تحت رمز المنجل، أمّا عائلتا كنينج وماير اللتان كانتا عدوين لدودين في الماضي فقد هُزمتا منذ زمنٍ طويل وتحوّلا أولادهما إلى أتباع.

قال اللورد رودريك: «أبناء عمومتي مدينون لي بالطاعة، وفي الحرب تكون سيوفهم وأشرعتهم تحت إمرتي، أمّا في انتخاب الملك...»، وهزّ رأسه مستدرّكاً: «تحت عظام ناجا يقف جميع الربّانة سواسيةً. ربما يهتف بعضهم باسمك، لا أشكّ في هذا، ولكنهم لن يكفوا، وحين يُدوي الهتاف لفيكتاريون أو عين الغراب سينضم بعض من يشربون الآن في قاعتي إلى البقية. أقول لك ثانيةً ألا تُبجري إلى تلك العاصفة. معركتك يائسة».

- «لا معركة يائسة إلى أن تُخاض. الدّعوى الأفضل دعواي. إنني وريثة بالون ومن صُلبه».

- «ما زلت طفلةً عنيدةً. فكّري في أمك البائسة. لم يتبقّ للاني إلّاك. سأضرم النار في (الريح السوداء) إذا لزم الأمر لأبقىك هنا».

- «وتجعلني أسبحُ إلى (ويك القديمة)؟».

- «ستكون سباحةً طويلةً باردةً من أجل تاج لا تستطيعين الاحتفاظ به. أبوك كان يتمتّع بالشّجاعة أكثر من الحكمة. لقد نفع النّهج القديم جُزرنا حين كنا مملكةً واحدةً صغيرةً من بين كثيرات، لكن غزوة إجون وضعت نهايةً لذلك. بالون رفض أن يرى الجليّ أمامه، أن النّهج القديم مات مع هارن الأسود وأبنائه».

- «أعرفُ هذا». لقد أحبّت آشا أباهما لكنها لم تُحاول أن تُضلل نفسها، ذلك أن بالون كان أعمى في بعض النّواحي بالفعل. رجل شجاع لكن حاكم سيّئ.

«أيعني هذا أن علينا أن نعيش ونموت خدماً للعرش الحديدي؟ إذا كانت هناك صخور إلى ميمنة السفينة وعاصفة إلى ميسرتها فالرُبان الحكيم يختار مساراً ثالثاً».

- «أريني ذلك المسار الثالث».

- «سأفعل... في انتخاب الملكة. خالي، كيف تُفكّر مجرد تفكيرٍ في عدم الحضور؟ سيكون هذا تاريخاً حياً...».

- «أفضّل التاريخ ميتاً. التاريخ الميت مكتوب بالحبر، أمّا الحي فبالدم».

- «أُريد أن تموت عجوزاً جباناً في سريرك؟».

قال اللورد رودريك: «وهل هناك غير هذا؟ ولكن ليس قبل أن أفرغ من القراءة»،

ثم ذهبَ إلى النَّافذة مردفًا: «لم تسألني عن السيِّدة والدتكِ». كنتُ خائفةً. «كيف حالها؟».

- «أقوى. ربما تظلُّ حيَّةً بعد موتنا جميعًا، ومؤكَّد أنكِ ستموتين قبلها إذا أصررتِ على هذه الحماقة. إنها تأكل أكثر مما كانت عندما أتت هنا، وكثيرًا ما تنام الليل بطوله».

- «عظيم». في سـنينها الأخيرة في (پايـك) جـافى الـنوم الـليـدي الـآنـيس، واعتـادت أن تجـوب الأروقة والأبـهاء ليـلاً بحـثاً عـن أبـنائـها، فـتـنـادي بصـوتٍ حـاد: «مارون؟ رودريك، أين أنت؟ ثـيون يـا صـغـيري، تعـال إلـى أمـك». مرَّاتٍ عـديدة شـاهدتِ آشـا بيـنمـا أخـرج المـايسـتر الشـطايـا مـن كـعـبي أمـهـا في الصـباح بـعد أن عبـرت الجـسر الخـشبي المـتمايل إلـى (بُرج البحر) بـقدمين حـافيتين. «سأراها في الصـباح».

- «ستسأل عن ثيون».

أمير (وينترفل). «ماذا قلت لها؟».

أجاب: «أقلَّ القليل. لم يكن هناك ما يُقال»، وتردَّد لحظةً قبل أن يسألها: «أأنتِ واثقة بأنه مات؟».

- «لستُ واثقةً بشيء».

- «هل وجدتم جثَّة؟».

- «وجدنا أجزاءً مـن جُثـثٍ كـثـيرة. الـدِّئـاب سـبـقتنا إلـى هـنـاك... ذئـاب مـن الـنوع ذي الأربـع سـيقان، لكنـها لـم تُبـدِ تقـديراً لأقربائـها ذوي السَّاقـين. كـانت عظام القـتلـى متناثـرةً في كلِّ مكانٍ ومكسورةً لاستخلاص النـخاع. أـعـترف بأن معرفة ما حدث هناك عصيَّة. لقد بدا كان الشِّمالِيِّين قاتلوا بعضهم بعضًا».

قال اللـورد رودريك: «الغـربـان تتقـاتل علـى لحـم المـوتـى ويـقـتـل بعضـها بـعضاً مـن أجـل التـهام أعـيـنـهم»، وحـدِّق إلـى البـحر مشـاهدًا ترافـقـص نور القمر علـى الأمـواج، وأردف: «كان لنا ملك واحد ثم خمسة، والآن لا أرى إلَّا غـرباناً تتنازع على جثَّة (وستروس)»، وأغلق النَّافذة مضيغًا: «لا تذهبي إلى (ويك القديمة) يا آشا، ابقِي مع أمـكِ. أخشى أنها لن تظلَّ معنا طويلاً».

اعتدلت آشا في جلستها، وقالت: «أمِّي ربَّتني على أن أكون جريئةً. إذا لم أذهب سأقضي بقيَّة حياتي أسأَلُ نفسي عمَّا كان ليحدث لو ذهبتُ».

- «إذا ذهبتِ فربما تكون بقيَّة حياتكِ أقصر من أن تقضيها في التَّساؤل».

- «ذلك أفضل من أن أظلَّ أشكو ما تبقى لي من عُمرٍ من أن كُرسی حجر اليم

جعل قولها ملامحـه تتقـلص انزعـاجًا، وقال: «آشـا، ابنـاي الطويلان تحـولـا إلـي طعـام للسرّاطين عنـد (الجزيرة القصـيّة)، ولبـيس محتمـلًا أن أتزوّج ثانيـه. ابقـي وسأسميـك وريثـة لـ(البروج العشرة). اقنـعي بهذا».

- «إِنْ لَهُمْ أَرْضِيهِمْ وَمَقَرَّاتُهُمُ الْخَاصَّةُ».

رَدَّ خَالَهَا: «الْفَارِسِ سَيُصِيحُ سَيِّدَ (هَارِلُو) مِنْ بَعْدِي، لَكِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ مِنَ (الْحَدِيقَةِ الرَّمَادِيَّةِ) بِالسَّهْوَةِ نَفْسَهَا. قَدْ مَيَّ لِلسَّيْرِ هَارَاسَ فَرُوضِ الْوَلَاءِ مِنْ أَجْلِ الْقَلْعَةِ وَسَيُحْمِيكَ».

قال اللورد رودريك: «إذن فأنت مجرد غرابٍ آخر يصرخ مريدًا الجيفة»، وعادَ يجلس مردفًا: «أذهبي. أريدُ أن أعود إلى ماروين وبحته».

- «أَعْلِمْنِي إِذَا عَثَرَ عَلَى صَفْحَةٍ أُخْرَى». خَالِهَا هُوَ خَالِهَا وَلَنْ يَتَغَيَّرَ أَبَدًا، لَكِنَّهُ سَيَأْتِي إِلَيَّ (وَيْكَ الْقَدِيمَةَ) بَغْضٍ النَّظَرِ عَنْ كَلَامِهِ.

لَا بُدَّ أَنْ أَفْرَاد طَاقِمِهَا يَتَنَاوَلُونَ طَعَامَهُمْ فِي الْقَاعَةِ الْآنَ، وَتَعْلَمُ أَشَأْ أَنْ عَلَيْهَا أَنْ نَنْضُمَ إِلَيْهِمْ لِتَتَكَلَّمَ عَنْ هَذَا الْجَمَاعَةِ فِي (وَيْكَ الْقَدِيمَةِ) وَمَا يَعْنِيهِ لَهُمْ. سَيَقِفُ رِجَالُهَا وَرِئَاءُهَا رَاسِخِينَ، لَكِنْهَا سَتَحْتَاجُ إِلَى الْبَقِيَّةِ أَيْضًا، أَبْنَاءَ خُؤُولَتِهَا مِنْ عَائِلَةِ هَارْلُو وَآلِ قَوْلْمَارِكِ وَآلِ سْتُونْتِرِي. هَؤُلَاءِ مَنْ يَجِبُ أَنْ أَكْسِبَهُمْ. سَيَنْفَعُهَا أَنْتِصَارُهَا فِي (رَبْوَةِ الْغَابَةِ) حَالَمَا يَبْدَأُ رِجَالُهَا فِي التَّفَاخُرِ بِهِ، وَهِيَ تَعْرِفُ أَنَّ هُمْ سَيَفْعَلُونَ. يَجْدُ رِجَالُ طَاقِمِ (الْبَرِّيْحِ الْسَّودَاءِ) نَوْعًا مَنَحْرَفًا مِنَ الْفَخْرِ بِمِثَرِ رَبَّانَتِهِمْ. نِصْفُهُمْ يَحِبُّهَا كَابْنَةٍ وَالنِّصْفُ الْآخَرُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ سَاقِيهَا، لَكِنْ كَلَّا الصَّنْفَيْنِ مُسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِهَا. وَأَنَا مِنْ أَجْلِهِمْ، قَالَتْ

لنفسها وهي تَخْرُجُ من الباب عند قاعدة السَّلام إلى السَّاحة المضاءة بنور القمر.

وهناك خرجَ ظِلٌّ من وراء البئر قائلاً: «أشأ؟».

ذهبت يدها إلى خنجره - من فوره - ... ثم إن نور القمر حوّل التَّكويين الأسود إلى رجلٍ في معطفٍ من جلد الفقمات. شبح آخر. «تريس، حس-بطني س-أجذك في القاعة».

- «أردتُ أن أراك».

قالت بابتسامةٍ عريضة: «أيّ جزءٍ مني يا تُرى؟ حسن، هأنذا، بالغة راشدة. انظر كما تشاء».

دنا منها قائلاً: «امرأة، وجميلة».

امتلاً جسـد تريس-تيفر بوتلي من ذ آخر مرّةٍ رأتـه، ولكـن ما زالَ له الشَّعر الأشـعث نفسـه الـذي تذكـره، والعينين الواسـعتين الصّادقتين كـعـيون كـلاب البحـر. عينـان طيـبتان بحق. وتلك مشكلة تريسـتيفر المسكين، أنه أطيب قلباً من أن يكون من بني (جُزر الحديد). أصبحت ملامحه وسميةً. في صباه ابْتُلِيَ تريس بالبثور، وقاست أشا البلوى نفسها، ولعلّ هذا ما اجتذب كلاهما إلى الآخر.

قالت: «أسفتُ لما سمعتُ بما جرى لأبيك».

- «وأنا حزين على أبيك».

كادت تسأله: لماذا؟ بالون هو من صرف الصّبي من (پايك) ليغدو ربيب بيلور بلاكتايد. «أصحيح أنك اللورد بوتلي الآن؟».

- «اسمًا على الأقل. هارن مات عند (خندق كايلن)، أحد شياطين المستنقعات أصابه بسهمٍ مسموم. لكنني لا أتسيّد شيئًا. عندما أنكرَ أبي حقَّ عين الغُراب في كُرسى حجر اليم أغرقه وجعلَ أعمامي يُقسِمون له على الولاء، وحتى بعد ذلك ضمَّ نصف أراضى أبي إلى (الأجمة الحديدية)، لأن اللورد وينش كان أول من يركع له ويدعوه بالملك».

لعائلة وينش نفوذ في (پايك)، لكن أشا حرصت على عدم إظهار انزعاجها وهي تقول: «وينش لم يتحلّ بشجاعة أبيك قط».

قال تريس: «عمك اشتراه. (الصمت) عادت بمخازن مكتظة بالكنوز؛ دروع ولاءي، زمرّد وياقوت، صقير بحجم البيض، أجولة من العملة ثقيلة لدرجة أن لا رجل يستطيع أن يرفعها... عين الغُراب يشتري رجالاً ذات اليمين وذات الشمال. عمي جرموند يُسمّي نفسه اللورد بوتلي الآن، ويحكّم في (لوردزپورت) باعتباره رجل عمك».

قالت له مطمئنةً: «أنت اللورد بوتلي الشرعي. بمجرد أن أجلس على كُرسى

حجر اليم سأعيدُ أراضِي أبيك».

- «إذا أردتِ الأمر لا يعنيني في شيء. تبدين رائعة الجمال في نور القمر يا آشا. إنكِ امرأة بالغة الآن، لكنني أذكرُ عندما كنتِ فتاةً نحيلةً بوجهٍ مليءٍ بالبثور».

لماذا يصرون على ذكر البثور دومًا؟ «أذكرُ هذا أيضًا». وإنما ليس بالحنين ذاته مثلك. من بين الصبية الخمسة الذين جلبتهم أمها إلى (بايك) لتربيتهم -بعد أن أخذَ نَد ستارك ابنها الحي الأخير رهينة- كان تريس الأقرب إلى آشا في السِّن. لم يكن أول صبيّ قبّلتَه، لكنه كان أول من يحلُّ أربطة سترتها ويدسُّ يده المبللة بالعرق ليتحسّس ثدييها الصغيرين.

كنتُ لأسمح له بتحسّس المزيد لو تجرّأ كفايةً. لقد أزهرت في أثناء الحرب واستيقظت رغبتها، لكن حتى قبل ذلك كانت آشا تحسُّ بالفضول. كان موجودًا، كان في سِنِّي وراغبًا... هذا كلُّ ما في الأمر... بالإضافة إلى التزييف القمري. وعلى الرغم من ذلك سمّته حُبًّا، إلى أن راحَ تريس يتكلّم عن الأبناء الذين ستحملهم له، ستة من-هم على الأقل... أوه، وبع-ض الفتيات أي-ضًا، إلّا أن-ها قالت له مدعورة: «لا أريدُ أن أنجب دس-تة من الأبناء، أريدُ أن أخوض مغامرات». لم يمضِ وقت طويـل بعدها حتى ضبطهما المايستر كالن يلعبان، وأرسلَ تريس تيفر بوتلي الصغير إلى (بلاكتايد).

قال: «كتبْتُ لكِ رسائل، لكن المايستر جوزران رفضَ أن يُرسلها. في مرّةٍ نقدتُ ملاحًا على سفينةٍ تجاريةٍ متّجهةٍ إلى (لوردزپورت) أيلًا فضيًّا ووعدني بأن يضع الرسالة في يدك».

- «الملاح خدعك وألقى رسالتك في البحر».

- «هذا ما خشيتَه. إنهم لم يُعطوني رسائلِك كذلك».

لأنني لم أكتب أيّ رسائل. الحقيقة أنها أحسّت بالراحة عندما صُرفَ تريس، ففي ذلك الحين كانت قد بدأت تشعُر بالملل من عبثه بصدرها، لكن ذلك ليس بالشيء الذي يرغب في سماعه، وهكذا قالت: «أرون ذو الشعر الرطب دعا إلى انتخاب ملك. هل ستأتي وتحدّث نيابةً عني؟».

- «سأذهبُ إلى أيّ مكانٍ معك، لكن... اللورد بلاكتايد يقول إن انتخاب الملك هذا حماقة خطيرة، ويظنُّ أن عمك سيُهاجمهم ويقتلهم جميعًا كما فعلَ أرون». إنه مجنون بما يكفي لأن يفعلها. «إنه لا يملك القوة».

- «لكنكِ تجهلين قوّته. إنه يجمع الرّجال في (بايك). أوركوود سيّد (أوركمونت) جلبَ له عشرين سفينةً طويلةً، وچون ماير ذو الوجه المسحوب دسّته. لوكاس كود الأعسر معهم، وهارن البّصف هور، والملاح الأحمر، وكيميت بايك التّغل، ورودريك المولود حُرًّا، وتوروولد ذو السِّن البنيّة...».

قالت آشا التي تعرفهم جميعًا: «رجال ضئيلو الشّأن، أبناء الزوجات الملحيات

وأحفاد الأقنان. آل كود... هل تعرف كلماتهم؟».

أجاب تريس: «مع أن كلَّ النَّاسِ يحتقروننا... لكن إذا أوقعوك في شباكهم فستموتين كما لو أنهن من سادة الثَّنائين. وثمة ما هو أسوأ. عين الغراب جلبَّ معه وحوشًا من الشَّرق... نعم، وسحرة أيضًا».

- «لطالما كان عمِّي مولعًا بالمسوخ والحمقى. كثيرًا ما تشاجر أبي معه في هذا الصَّد. دَع السَّحرة يبتهلون لآلهتهم وسيبتهل ذو الشَّعر الرُّطب لإلهنا ويُغرقهم. هل سأحظى بصوتك في انتخاب الملكة يا تريس؟».

- «ستحظين بي كلِّي. إنني رجلك إلى الأبد. أريد أن أتزوَّجك يا آشا. لقد وافقت السيِّدة والدتك بالفعل».

كتمت آهة استنكارٍ مفكِّرةً: كان يُمكنك أن تسألني أولاً... مع أن الجواب لم يكن ليروقك.

واصلَ هو: «لم أعد ابنًا ثانيًا. إنني اللورد بوتلي الشرعي كما قلتِ بنفسك، وأنتِ...».

- «ما سأكونه أنا سيتحدَّد في (ويك القديمة). تريس، إننا لم نَعُد طفلين يلعبان ويُحاولان أن يريا ماذا يوضع أين. إنك تحسب أنك تُريد أن تتزوَّجني، لكنك لا تُريد حقًا».

- «لكنني أريدُ. إنني لا أحلمُ بسواك. آشا، أقسمُ بعظام ناجا أنني لم ألمس امرأةً أخرى».

- «أذهب والمس واحدةٌ إذن... أو اثنتين، أو عشرًا. عن نفسي لمستُ رجالًا أكثر مما أستطيعُ أن أحصي، بعضهم بشفَّتي والمزيد بفأسي». في سِنِّ السادسة عشرة سلَّمت آشا بتولتها لبحَّارٍ أشقر جميل الطَّلعة على سفينةٍ تجاريةٍ من (ليس). لم يكن يعرف إلا كلماتٍ ستًا من اللُّغة العامية، لكن «مضاجعة» كانت واحدةً منها، الكلمة التي أمَلت أن تسمعها تحديدًا. بعدها تصرَّفت بعقلٍ وذهبت إلى ساحة غابةٍ أرَّتها كيف تعدُّ شاي القمر كي لا ينتفخ بطنها.

حملقَ بوتلي إليها كأنه لم يستوعب ما قالته، وقال: «أنتِ... خلتكِ ستنتظرين. لماذا...»، وفركَ فمه سائلًا: «آشا، هل كنتِ مرغمةً؟».

- «كنتُ مرغمةً لدرجة أنني مرَّقتُ سُترته. لستُ أُريد أن تتزوَّجني، ثِق بكلمتي. أنت صبيٌّ طيِّب ولطالما كنت كذلك، لكنني لستُ بنتًا طيِّبةً. إذا تزوَّجنا فسرعان ما ستكرهني».

- «مستحيل. لقد أَلمني الاشتياق إليك يا آشا».

قرَّرت أنها سمعت ما فيه الكفاية. أم مريضة وأب قتيل ووبال من الأعمام، كلُّ هذا يكفي أيَّ امرأةٍ ويزيد، وليست في حاجةٍ إلى جرو أضناه الغرام أيضًا. هكذا

قالت: «اذهب إلى ماخور يا تريس وسيُعالِجُكَ هناك من هذا الألم». هَزَّ تريسُ-تيفر رأسَه نفِياً قِائلاً: «لا يُمكنُ-ي أبَداً أن... أنا وأن-تِ قِدرنا أن نُكونَ مِعاً ي-أش-ا. لقد علمتُ دوماً أن-كِ س-تصيرين زوجت-ي وأمَ أبْن-ائي»، وأطبَقَ بي-دَه على عضدِها.

وفي غمضة عين كان خنجرها على حلقه وكلماتها في أُذنيه: «ارفع يدك وإلا لن تعيش لَتُنَجِبَ أيَّ أبناء، الآن»، ولَمَّا فَعَلَ خَفَضَتِ السِّلاحَ قائلةً: «تُريدُ امرأةً، لا ب-أس، س-أضعُ واحِدةً ف-ي فِراش-ك اللَّيلة. تَظَاهَرُ بأن-ها أنا إذا ك-ان ه-ذا س-يسرُّك، لك-ن إي-اك أن تتجَرَّأ وتَض-ع ي-دك عَليَّ ثانيَّة. إن-ي ملكت-ك لا زوجت-ك، ت-ذكر ه-ذا»، وأغمدتَ أشا خنجرها وتركته واقفاً هناك بقطرةٍ كبيرة من الدَّم تسيل على عُنقه، سوداء في نور القمر الشَّاحِب.

سرسي

قالت چوسلين سويغت وهي تعقد أربطة فُستان الملكة: «أوه، أرجو ألا تجعل الآلهة المطر يَسْقُط على زفاف الملك».

- «لا أحد يُريد المطر». عن نفسها تُريد سرسي ثلوجًا وجليدًا، ريحًا تعوي ورعدًا يرجُّ أحجار (القلعة الحمراء) ذاتها، تُريد عاصفة تُضاهي الثورة في داخلها. قالت لچوسلين: «أكثر، أحكمي شدَّ الأربطة أكثر أيتها البلهاء المتملِّقة».

الزَّفاف مصدر غضبها الحقيقي، وإن كانت ابنة سويغت بطيئة البديهة تُشَكِّل هدفًا أكثر أمنيًا تصبُّ عليه هذا الغضب. قبضة تومن على العرش الحديدي ليست مُحكمة بما يكفي لأن تُقدِّم على إهانة (هايجاردن)، ليس وستانيس باراثيون لم يزل مسيطرًا على (دراجونستون) و(ستورمز إند)، و(ريفررن) مستمرة في تحدِّيها، والحديديون يجوبون البحار كالذئاب. هكذا على چوسلين أن تأكل الوجبة التي كانت سرسي تُؤثِّر أن تُقدِّمها لمارجري تايرل وجَدَّتْها المتغصنة المقيتة.

من أجل إفطارها أرسلت الملكة إلى المطابخ تَطْلُب بيضتين مسلوقتين ورغيفًا من الخُبز ووعاءً من العسل، لكن حين قشَّرت أول بيضة ووجدت في داخلها كتكوتًا داميًا نصف مكتمل التَّكوين انقلبت معدتها، وقالت لسينل: «خُذي هذا وأحضري لي نبيذًا متبَّلًا ساخنًا». كان البرد في الهواء يَنخُر عظامها، وما زال أمامها يوم طويل كربه.

كما أن چايمي لم يُسَاعِد على تحسُّين مزاجها عن-دما جاء مرتدًّا الأب-يض دون أن يحلِّق لحيته، ليُحدِّثها عن التَّدابير التي اتَّخَذها للحيلولة دون تس-ميم ابن-ها، فقال: «سأضع رجالًا في المطبخ يُراقبون بينما يعدُّ كلُّ صنف، وسيصحب رجال السير أدام الخدم وهم يحملون الطعام إلى الموائد ليتأكَّدوا من عدم التَّلَاعُب به في الطريق، والسير بوروس سيتذوَّق كلُّ صنف قبل أن يضع تومن لُقمة في فمه. وإذا لم ينجح شيء من هذا سيكون المايستر بالاپار جالسًا في نهاية القاعة ومعه عقاقير مطهِّرة وترياقات لعشرين نوعًا معروفًا من السُّموم. أعدكِ بأن تومن سيكون آمنًا».

- «آمنًا». كان للكلمة مذاق مُرٌّ على لسانها. چايمي لا يفهم، لا أحد يفهم. وحدها ميلارا كانت موجودة في الخيمة لتسمع العجوز الشَّمطاء تُلقِي تهديداتها بنبرة كالنَّعيق، وميلارا ماتت منذ زمنٍ طويل. «تيريون لن يَقْتُل بالوسيلة نفسها مرَّتين، إنه أَمَكْر من أن يفعل ذلك. ربما يكون تحت الأرضية الآن تحديدًا، يتنصَّت على كلِّ كلمةٍ يقولها ويُخَطِّط لذبْح تومن».

قال چايمي: «لنفترض جدًّا أن هذا صحيح. أيًّا كانت الخُطط التي يضعها سيظلُّ صغيرًا قصيرًا، وتومن سيكون محاطًا بخيرة فرسان (وستروس). رجال الحرس الملكي سيحُمونه».

نظرت سرسي إلى حيث طوي كَمْ سُترة أخيها الحرير البيضاء وثبت بدبوس فوق جَدْعته، وردت: «أذكر كَمْ أحسن فُرسانك المغاوير هؤلاء حماية جوفري. أريدك أن تبقى مع تومن طوال الليل، مفهوم؟».

- «سأضع حارسًا أمام باب».

أطبقت على ذراعه قائلة: «لا حُرَّاس، أنت، وداخل غرفة نومه».

- «في حال خروج تيريون من المستوقد؟ لن يحدث».

- «هذا ما تقوله أنت. هل ستُخبرني بأنك عثرت على جميع الأنفاق الخفية وراء هذه الجدران؟». كلاهما يعلم أن ذلك مستبعد. «لن أسمح لمارجري بالانفراد بتومن ولو لجزء من لحظة».

- «لن يكونا وحدهما، بنات عمومتهما سيكن معهما».

- «وأنت أيضًا. أمرك بهذا باسم الملك».

لم تكن سرسي تريد أن ينام تومن وزوجته في فراش واحد على الإطلاق، إلا أن آل تايرل أصرُّوا، وقالت ملكة الأشواك: «المفترض أن ينام الزوج والزوجة معًا حتى إذا لم يفعلوا ما هو أكثر من النوم. مؤكَّد أن سرير جلالته يسع اثنين، أليس كذلك؟».

أبدت الليدي آيري حمايتها قائلة: «دعي الطفلين يستدفئ كلاهما بالآخر في الليل، سيجعلهما هذا أقرب. كثيرًا ما تُشارك مارجري بنات عمومتهما فراشها، ويُغنيين ويلعبن ويتهامسن الأسرار بعدما تنطفئ الشموع».

ردت سرسي: «يا للبهجة. يُمكنهن الاستمرار في هذا بالطبع... في (قفص العذراوات)».

قالت الليدي أولينا لليدي آيري: «أنا واثقة بأن جلالتهَا تعرف الأصلح. إنها أم الصبي في النهاية، ونحن من هذا متأكدون. لا بدُّ أننا نسطيع الاتفاق على ليلة الزفاف على الأقل، أليس كذلك؟ لا ينبغي أن ينام العريس وعروسه منفصلين ليلة زفافهما. فال سيئ لزواجهما أن يفعلا».

تعهدت الملكة في نفسها: يومًا ما سأعلِّمكِ معنى الفأل السيئ، لكنها وجدت نفسها مرغمة على أن تقول: «يُمكن لمارجري أن تنام في غرفة تومن تلك الليلة فقط، لكن ليس أكثر من ذلك».

ردت ملكة الأشواك: «جلالتك شديدة الكرم»، وتبادل الجميع الابتسامات.

كانت أصابع سرسي مغروسة في ذراع چايمي بقوة كفيلة بترك كدمات وهي تُواصل: «أريدُ عينيْن داخل تلك الغرفة».

- «لرؤية ماذا؟ خطر الجماع ليس واردًا لأن تومن صغير للغاية».

- «وأوسيفر پلوم كان ميتًا للغاية، لكن هذا لم يمنعه من إنجاب طفل!».
لاحت الحيرة على أخيها إذ قال: «مَنْ أوسيفر پلوم؟ هل كان أبا اللورد فيليب أم... مَنْ؟».

يكاد يكون جاهلاً كروبرت. عقله كله كان في يد السيف. «انسَ پلوم. تذكر فقط ما قلته لك. أقسم لي أنك ستبقى إلى جانب تومن حتى تُشرق الشمس». قال بلهجة تُوحى بأنه يرى مخاوفها بلا مبرر: «كما تأمرين. أما زلتِ تنتوين المضي في إحراق (بُرج اليد)؟».

- «بعد المأدبة». إنه الجزء الوحيد من احتفالات اليوم الذي تعتقد سرسي أنها ستستمتع به. «السيد والدنا قُتل في هذا البُرج ولا أطيعُ النظر إليه. إذا شاءت الآلهة ستدفع النار بعض الجردان إلى الخروج من الأنقاض.
دور چایمی عینیہ قائلاً بملل: «تعنين تيريون».

- «هو واللورد فارس وذلك السجان».

- «لو كان أيهم مختبئاً في البُرج لوجدناه. لقد كلفْتُ جيشاً صغيراً بالتنقيب فيه بالمعاول والمطارق، وهدمنا جدراناً وحطمتنا أرضياتٍ واكتشفتنا عشرات الممرات السريّة».

- «وربما تكون هناك عشرات الممرات الأخرى». بعض الأنفاق السريّة وجدوه صغيراً للغاية، حتى إن چایمی لجأ إلى عددٍ من الخدم وصبيان الاسطبلات لاستكشافها، وأسفر البحث عن ممرٍ إلى الزنازين السوداء وبئر حجريّة تبدو بلا قرار، بالإضافة إلى حُجرة ملأى بالجماجم والعظام المصفرة، وأربعة أجولةٍ من العملات الفضيّة المعيوبّة من عهد الملِك فسیرس الأول، ناهيك بآلاف الجردان... لكن لا تيريون ولا فارس كانا بينها، وفي النهاية أصرَّ چایمی على وضع نهايةٍ للبحث. أحد الصبية انحسر في ممرٍ ضيقٍ واضطروا إلى سحبه من قدميه وهو يصرخ، وآخر سقط في بئرٍ سلّم وكسر ساقه، واختفى حارسان بينما يستكشفان نفقاً جانبياً. أقسمَ بعض الحُرّاس الآخرون أنهم سمعوا صياحهما الخافت عبر الأحجار، لكن حين هدمَ رجال چایمی الجدار لم يجدوا على الجانب الآخر إلا التربة والركام. «العفريت صغير أريب، وربما لا يزال مختبئاً بين الجدران. إذا كان كذلك فستُجيره النار على الخروج».

- «حتى إذا كان تيريون ما زال مختبئاً في القلعة فلن يكون في (بُرج اليد). إننا لم نُبقي منه إلا هيكله».

- «لبيتنا نستطيع أن نفعل المثل ببقية هذه القلعة الكريهة. بعد الحرب أنوي أن أبني قصرًا جديدًا وراء النهر». لقد حلمت به ليلة أول من أمس، بصريح أبيض بديع

تُحيط به الغابات والبساتين ويَبْعُدُ فراسخ طويلةً عن (كينجز لاندنج) بضوائها وروائعها المقرفة. «هذه المدينة مجرور. مقابل نصف جروت⁴⁰ يُمكنني أن أنقل البلاط إلى (لانسپورت) وأحكم البلاد من (كاسترلي روك)».

- «تلك حماقة أكبر من إحراق (برج اليـد). ما دامَ تـومن جـالسًا على العرش الحديدي سـتراه البلاط الملـك الحـقـيقي، لكـن خـيـئـيـه تحـت (الصـخـرة) وسـيُصـيـح مـجـرّد مُطالبٍ آخـر بالعرش لا فرق بينه وبين ستانيس».

بحدّة قالت الملكة: «أعني هذا. قلتُ إنني أريدُ أن أنقل البلاط إلى (لانسپورت) وليس إنني سأفعلها حقًا. هل كنت بطيء الفهم هكذا دومًا أم أن فقدانك يدك أصابك بالغباء؟».

تجاهل سؤالها قائلاً: «إذا انتشرَ الـلـهب بعـيـدًا عـن نطاق الـبرج فربما ينتـهي بـك الأمر وقد أحـرقـت القلعة حـقًا سـواء أقصـدت أم لـم تقصـدي. الـنـار الشـعـواء⁴¹ خـدّاعة».

منذ أسـبوعين ورابطة الخيميائيين تُصنّع نـارًا شـعـواء طازجـة. «الـلـورد هـالـاين أكـد لـي أن إلـيـا رومـانـسـرات يسـتـطـيعون التـحـكـم فـي الـنـار. فلتـر (كـينـجز لاندنج) كلـهـا الـلـهب، سيـكون درسًا لأعدائنا».

- «الآن تتكلمين كأنك إيرس».

ردّت غاضبة: «احفظ لسانك أيها الفارس».

- «أنا أيضًا أحبك يا أختي الجميلة».

بعد أن رحل سألَت نفسها: كيف أحببتُ هذا المخلوق التّعس يومًا؟ وهمس صوت آخر في داخلها مجيبًا: كان توأمك، ظلك، نصفك الآخر، فجأوبته: ربما فيما مضى، لكنه لم يَعد كذلك. لقد أصبح غريبًا عني.

مقارنةً بزفاف چوفرِي كان زفاف الملك تـومن صـغيرًا متواضعًا. لا أحد أرادَ احتفالًا باذخًا آخر، لا سيّما الملكة، ولا أحد أرادَ أن يـدفع تكلفتـه، لا سيّما آل تـايرل، وهكذا اتّخذ الملك الصّغير مارچري تـايرل زوجةً له في سِيت (القلعة الحمراء) الملكي، في حضور أقلّ من مئة ضيفٍ بدلًا من الآلاف الذين شهدوا قران أخيه بالمرأة نفسها.

بـدّت العـروس رائقـةً مرحةً جميلـةً، والعـريس لا يزال طفولـيَّ الوجـه ممتلئًا، وقد ردّد نـذوره بصـوت صـبـاني مـرتفع، واعـدًا ابنة مـايس تـايرل المـترمّلة مـرتين بـحبّه وإخلاصـه، فيمـا ارتـدّت مارچري الفـسـتان ذاتـه الـذي ارتـدّته يـوم زفافـها إلـى چوفرِي، بتصـميمه الـرقـيق مـن الحـرير العـاجي الـشـفاف وشـرائط الزينـة المـايرية والـلآلئ الصّغيرة. أمّا سرسي

نفسها فما زالت ترتدي الأسود علامةً على رثائها ابنها البكري القتل. ربما يحلو لأرملته أن تضحك وتشرب وترقص وتزيح ذكرى خوف برُمَّتْها من عقلها، لكن أمّه لن تنساه بهذه البساطة.

فكّرت سرسي: ليس هذا سليماً. لقد تعجّلوا جداً. عام، عامان، كان ذلك ليكفي. كان على (هايجاردن) أن تقنع بالخطبة فقط، وألقت نظرةً وراءها إلى حيث يقف مايس تايرل بين زوجته وأمّه، وقالت له: أنت الذي أجبرتني على مهزلة الزفاف هذه يا سيّدي، ولن أنسى هذا في أيّ وقتٍ قريب.

لَمَّا آنَ أوان تبادل المعطفين نزلت العروس على رُكبتَيها بحركةٍ رشيقةٍ أنيقة، وكساها تومن بالذّاهية الثقيلة المفصّلة من قُماش الذهب التي ألبسَ روبرت سرسي إيّاها يوم زفافهما، المعطف الذي خيَطَ وعِلَ بـأراثيون على ظهره بحبّات الجزع. أرادت سرسي أن ترتدي مارجري المعطف الحريري الأحمر الناعم الذي اسـتخدمه خوفري، وشـرحت لآل تايرل قائلةً: «إنه المعطف الذي اسـتخدمه السيّد والدي حين تزوّج السيّدة والدتي»، لكن ملكة الأشـواك عارضتـها في هذا أيّضاً، وقالت الحيزبون: «ذلك الشّيء القديم؟ إنه يبدو لي مهترئاً بعض الشّيء... وأجسرُ على أن أقول إنه... منحوس أيضاً. وألن يكون الوعل أليقُ بابن الملك روبرت الشرعي؟ في زمني كانت العروس ترتدي ألوان زوجها لا ألوان السيّدة والدته».

بسبب ستانيس ورسالته القذرة ثمة شائعات كثيرة للغاية بالفعل تحوم حول نسب تومن، فلم تجرؤ سرسي على صَبِّ المزيد من الزيت على النار بأن تُصمّم على أن يُلبس ابنها عروسه معطف لانستر القرمزي، وهكذا رضخت بقدر ما أمكنها من كياسة، وإن كان منظر كلّ هذا الذهب والجزع يُفعمها بالسُّخط. كلّما أعطينا آل تايرل طالبونا بالمزيد.

لدى فروغهما من ترديد التذوّر خطا الملكة والملكة إلى خارج السيّت ليتلقيا التّهاني، وقال لهما السير لایل كراكهول بصوتٍ جهوري: «(وستروس) لها ملكتان الآن، والصّغيرة جميلة كالكبيرة». كراكهول هذا فارس مأفون يُذكر سرسي كثيراً بزواجها الرّاحل غير مأسوفٍ عليه، وقد أرادت أن تصفعه لحظتها. حاول جایلز روزبي أن يلثم يدها ولم ينجح إلّا في السُّعال على أصابعها، ولثمها اللورد ردواين على وجنتها ومايس تايرل على كلتا الوجنتين، وقال لها المايستر الأكبر پايسل إنها لم تفقد ابناً بل كسبت ابنةً، لكنها على الأقل لم تُبتل بأحضان الليدي تاندا الدّامعة، إذ لم تظهر أيّ من نساء ستوكورث، وهو ما أشعر الملكة بالامتنان.

بين أواخر المهنّئين كان كيفان لانستر، الذي قالت له الملكة: «بلغني أنك ستتركنا لتحضر زفافاً آخر».

- «الحجر الصُّلب أجلى الرِّجال المكسورين من (قلعة داري). عروس لانسل تنتظرنا هناك».

- «هل ستنضمُّ إليك السيِّدة زوجتك لحضور الرِّفاف؟».

- «ما زالت أراضي النَّهر محفوفةً بالأخطار. حُثالة فارجو هوت طُلُقاء، وبريك دونداريون يشنق أبناء فراي. أصحیحُ أن ساندور كليجاين انضمَّ إليه؟».

كيف عرفَ هذا؟ «هكذا يقول بعضهم. التَّقارير مرتبكة». كان الطَّائر قد وصلَ ليلة

البارحة من سِپتري⁴² على جزيرةٍ عند مصبِّ (الثَّالوث) مباشرةً، والأخبار أن بلدة (الملاحات) القرية تعرَّضت إلى غارةٍ ضارية من جماعةٍ من الخارجين عن القانون، ويدَّعي بعض النَّاجين أن شخصاً وحشياً يعتمر خوذةً على شكل كلب صيدٍ كان بين المُغيرين، ويُفترَض أنه قتلَ دسنةً من الرِّجال واغتصبَ فتاةً في الثَّانية عشرة. «لا شكَّ أن لانسل يتوق إلى القبض على كليجاين واللورد بريك ليسود سلام الملك أراضي النَّهر من جديد».

حدَّق السير كيفان إلى عينيها وهلةً، ثم قال: «ابني ليس الرِّجل المناسب للتعامل مع ساندور كليجاين».

هذا على الأقل نَتَّفَق عليه. «قد يكون أبوه كذلك».

ضغطَ عمُّها فكَّيه قائلاً: «ما دامت خدمتي ليست مطلوبةً في (الصَّخرة)...».

خـدمتك كـانت مطلوبـة هـنـا. عـيَّنت سـرسي دامـيون لانـسـتر ابـن خـوولتـها أمـيناً للقلعة فـي (كاسـترلي روك)، وابـن خـالٍ آخـر هـو السـير دافن لانـسـتر حـاكماً للغـرب.

للعجرفة ثمنها يا عمَّاه. «اثنتا برأس ساندور وأعلمُ أن جلالته سيكون في غاية الامتنان. ربما كان الرِّجل يروق چوف، لكنه لطالما أخافَ تومن... ولسببٍ وجيه على ما يبدو».

قال السير كيفان: «عندما يُسيء الكلب التَّصرُّف فاللَّوم على سيِّده»، ثم دارَ على عقبه وابتعدَ.

رافقها چايمي إلى (القاعة الصُّغرى) حيث يجري تجهيز المأدبة، وبينما يمشيان همستَ له: «إنني ألومك أنت على كلِّ هذا. قلت أن أدعهما يتزوَّجان. المفترَض أن تكون مارچري في حدادٍ على چوفري لا أن تتزوَّج أخاه، المفترَض أن تكون غارقةً في الأحزان مثلي. لا أصدِّق أنها عذراء. رنلي كان له قضيب، أليس كذلك؟ لقد كان أخا روبرت، فمؤكَّد أنه كان له قضيب. إذا كانت تلك الحيزبون العجوز المقرَّزة تظنُّ أنني سأسمحُ لابني ب...».

قاطعها چايمي بهدوء: «قريباً جدًّا ستتخلَّصين من الليدي أولينا. إنها راحلة إلى (هايجاردن) غدًا».

قالت سرسي التي لا تثق بأيّ من وعود آل تايرل: «هكذا تقول».
رَدَّ بإصرار: «إنها راحلة. مايس سيأخذ نصف قوَّات تايرل إلى (ستورمز إند)،
والنَّصف الثَّاني عائد إلى (المرعى) مع السير جارلان ليأخذ حقه في (قلعة
المياه الوضاءة).

بضع أيامٍ أخرى ولن تتبقَّى في (كينجز لاندنج) ورود إلَّا مارچري ورفيقاتها
وحرَّاس قلَّائل».

- «والسير لوراس، أم أنك نسيت أخاك المحلَّف؟».

- «السير لوراس فارس في الحرَّس الملكي».

- «السير لوراس ينتمي إلى آل تايرل لدرجة أنه يتبوَّل ماء ورد. لم يكن ينبغي أن
يُعطى معطفاً أبيض».

- «لم أكن لأختاره، هذا صحيح، لكن أحداً لم يستشيرني. أظنُّ أن لوراس
سُيِّل بلاءً حسناً. المعطف الأبيض يُغيِّر الرِّجل حالما يرتديه».

- «لقد غيَّرك بالتأكيد، وليس إلى الأفضل».

قال: «أنا أيضاً أحبُّكِ يا أختي الجميلة»، وفتحَ لها الباب وسارَ معها إلى المائدة
العالية حيث مقعدها إلى جوار الملك، بينما ستجلس مارچري على جانب تومن
الآخر في موضع الشرف. حين دخلت الملكة متأبطَّة ذراع الملـك
الصَّغير تمدَّت أن تتوقف لتلتـم سـرسي علـى وجنتيـها وتُعانيـها،
وبجـرأةٍ برّاقـة كـالنُّحاس الأصـفر المصقول قالت الفتاة: «جلالة الملكة، أشعرُ
كان لي أما ثانيةً الآن. أدعو الآلهة أن نكون قريبتين للغاية ويوجد بيننا حُبنا لابنك
الجميل».

- «لقد أحببتُ كلا ابني».

قالت مارچري: «چوفري في صلواتي أيضاً. لقد أحببته حُباً جمًّا مع أنني لم أُنل
فُرصة معرفته».

كاذبة. لو أحببته ولو لحظةً لما اسـتعجلتِ الزَّواج بأخيـه علـى هـذا
النَّحو المـخزي. إنـك لـم تُريـدي إلَّا تاجـه. مقـابل نصـف جـروت كـانت
سـرسي لتصـفح العـروس علـى وجـهها المتورِّد في مكانها على المنصَّة
على مرأى من نصف البلاط.

على غرار المراسم كانت مأدبة الزَّفاف متواضعةً. الليدي آيري هي من قامَت
بالتَّرتيبات كُلِّها، إذ لم تكن لدى سرسي أدنى رغبةٍ في مواجهه تلك المهمة
الجسيمة ثانيةً بعد الطريقـة التـي انتـهـى بـها زفـاف چوفـري.
لـم يُقدِّم أكثـر مـن سـبـعة أصـناف، وسـلَّى برميـل الزُّبـدة وفتـى
القمر الضيـوف بـين كـلِّ طبـقٍ وطبـق، فيمـا عزف الموسيقيون وهُم

يأكلون، فاستمعوا إلى المزممار والكمنجة والعود والنّاي والقيثارة السّامية .
المغنيّ الوحيد في الحفل كان أحد المفضلين عند الليدي مارچري، شاب متأنّق
مختال كالطاووس ثيابه كلّها درجات من اللازورد ويدعو نفسه بالشّاعر الأزرق،
وقد غنّى عددًا من أغاني الحُبِّ ثم انسحب، فقالت الليدي أولينا متبرّمةً بصوتٍ
مسموع: «يا لها من خيبة أمل. كنتُ أرجو أن أسمع (أمطار كاستامير)».

متى نظرت سـرسي إلى الحـيزبون رأت وجهـه مـاجي الضّفـدعة
سـابحًا في الـهواء أمامـها بتجاعـيـده وبشـاعته وحكمتـه. حـاولت أن
تُطمئن نفسـها قائلة: لكـ العجـائز يتشـابهن، هـذا لكـ ما هـنـالك.
والحقيقة أن المشـعوذة ذات الطهر المحنـي لـم تـكن تُشـبه ملكة
الأشـواك على الإطلاق، ومـر ع ذلك ظلّ منظر ابتسـامة اللـيـدي أولينا
البعيضة كفيلاً بإعادتها إلى خيمة مـاجي من جديد. ما زالت تذكّر رائحتها العابقة
بالتوابل الشّرقيّة الغريبة، وطراوة لثة مـاجي إذ امتصّت الدّم من إصبعها، وكيف
وعدتّها العجوز والدّم لا يزال يُبلل شفّتها ويلتصع عليهما: ملكة ستكونين، إلى
أن تأتي أخرى أصغر منك وأجمل، لتطيح بك وتسلبك كلّ ما تعدينه عزيزًا.

تجاوزت سـرسي تـومن ببصرها لترمق مارچري الجالسة تضحك
مـر ع أبيـها، وقـالت لنفسـها: حُسنـها لا بأس بـه، لكـن معظمـه
شـباب. حتـى بنـات الفـلاحين يكـن حـسناوات في سـنّ معيـة، وهن لا
يزلن يافعات بريئات عفيفات، وأكثرهن لهن نفس العيون البنيّة والشّعر البني
مثلهـا. لا أحد يدّعي أنها أجمل مني إلّا وكان أحمق. غير أن العالم مليء
بالحمقى، وكذا بلاط ابنها.

لم يتحسن مزاجها عندما نهض مايس تايرل ليبادر برفع الأنخاب، فرفع كأسًا
ذهبيّة عاليًا وهو يتسم لابنته الحسناء، وبصوتٍ مدوّ قال: «نخب الملك
والملكة!»، وتعالى ثغاء الخرفان وهي تقزع الكؤوس وتُرّدد: «الملك والملكة!
الملك والملكة!». لم تجد سـرسي خيارًا إلّا أن تُشاركهم الشرب بينما تتمنّى
في أعماقها لو أن جميع الضيوف لهم وجه واحد كي تُلقي نبيذها في أعينهم
وتذكّرهم بأنها هي الملكة الحقيقيّة. الوحيد الذي بدا أنه يتذكرها على الإطلاق
من بين مُداهني تايرل هو باكستر ردواين، إذ نهض يرفع نخبه وجسده يترنح
بعض الشّيء، وصاح بمرح: «نخب ملكتيـنا! نخب الملكة الصّغيرة والكبيرة!».

شربت سـرسي عدّة كؤوس من التّبـيـذ وراحت تُحرّك طعامها في طبق ذهبي،
أمّا چايمي فأكل أقلّ منها، ونادرًا ما حاول احتلال مقعده على المنصة. أدركت
الملكة أنه متوتّر مثلهـا تمامًا وهي تُشاهده يذرع القاعة جيئةً وذهابًا، يُزيح
المعلقات بيده السّليمة ليتأكّد من أن لا أحد مختبئ خلفها. إنها تعلم أن رجال
لانسـتر حاملـي الحـراب منتشرون حول المبنى، بينما يحرس السير أوزموند
كتلبلاك أحد البابين والسير مـرين ترانت الثّاني، وقد وقف بالون سوان وراء مقعد

الملك ولوراس تايرل وراء مقعد الملكة، وتعلم كذلك أن الشيوف الوحيدة المسموح بها في المأدبة هي تلك التي يحملها رجال الحرس الملكي.

قالت لنفسها: ابني آمِن. لا أذى يُمكن أن يمسّه، ليس هنا، ليس الآن، ورغم ذلك كلّما نظرت إلى تومن رأيت چوفري يخمش حلقه، ولمّا بدأ الصّبي يَسْغُل توقّف قلب الملكة عن الخفقان لحظةً، وفي خضمّ استعجالها بلوغه أوقعت إحدى الخادومات.

طمأنتها مارچري تايرل قائلةً: «لقد شرقَ بالقليل من النّبذ لا أكثر»، والتقطت يد تومن وقبّلتها مضيئةً: «على حبيبي الصّغير أن يأخذ رشقاتٍ أصغر. انظر، كدت تُخيف السيّدة والدتك حتى الموت». قال تومن بخجل: «آسف يا أمّي».

كان الموقف يفوق احتمال سرسي، وحين أحسّت بالدموع تترقرق في عينيها قالت لنفسها: لا يُمكنني أن أدعهم يرون دموعي، وتحركت مارّةً بالسير مرين وخرجت إلى الرّواق الخلفي، وعندما باتت بمفردها تحت شمعةٍ من الشّحم سمحت لنفسها بانتحابةٍ راجفة، ثم أخرى. يُمكن للمرأة أن تبكي، ولكن ليس الملكة.

قال صوت من ورائها: «جلالة الملكة، هل أتفكّر عليك؟».

صوت امرأةٍ هو، منكِه بلكنات الشّرق، وللحظةٍ خشيت سرسي أن ماجي الصّفدعة تُكلمها من القبر، لكن المرأة لم تكن إلّا زوجة ميريويدز، الجميلة داكنة العينين التي تزوّجها اللورد أورتون في منفاه وأخذها معه إلى دي-اره في (الطاولة الطويلة). سيمعت سرسي نفسها تقول: «هواء (القاعة الصّغرى) فاسد. الدّخان أدمع عيني».

- «وعيني أيضًا يا جلالة الملكة». تُضاهي زوجة ميريويدز الملكة طولًا، لكنها سمراء بدلًا من بيضاء، شعرها أسود كرش الغدقان وبشرتها زيتونيّة وتصغرها بعقدٍ كامل، وقد قدّمت للملكة مندبلاً أزرق باهتًا من الحرير المؤطر بشرائط الزيّنة قائلةً: «إن لي ابنًا أيضًا، وأعرفُ أنني سأبكي أنهارًا يوم زفافه».

مسحت سرسي وجنتيها وقد أحنقها أن يرى أحد دموعها، وقالت بجمود: «أشكرك».

قالت المرأة المايريّة: «جلالة الملكة، إنني...»، وخفضت صوتها مكملةً: «ثمّة شيء يجب أن تعرفيه. وصيفتك مرتشية، إنها تُخبر الليدي مارچري بكلّ شيءٍ تفعلينه».

- «سينل؟». تلوّت ثورة مفاجئة في بطن سرسي. ألا يوجد من يُمكنها الثّقة به؟ «أنت متأكّدة؟».

- «مُري أحدهم بأن يتبعها. مارچري لا تلتقيها وجهاً لوجه أبداً، لكّن

بنات عمومتها هن غدفانها ويحملن إليها الرّسائل. أحيانا إلينور، أحيانا آلا، أحيانا ميج.

كلهن قريبات من مارچري كأنهن أخواتها. إنهن يلتقن بها في السّبت ويتظاهرن بالصّلاة. ضعي أحد رجلك في الشّرفة غداً وسيري سـينل تهمس لميجاً عنـد مـذبـح (العذراء)».

- «إذا كان هذا صحيحاً فلماذا تُخبريني؟ إنكِ واحدة من رفيقات مارچري، فلم تخوينيها؟». لقد تعلّمت سرسي الأرتياب وهي لا تزال تجلس على رُكبة أبيها. ربما يكون هذا فخاً، كذبة تزرع الخلاف بين الأسد والوردة.

أجابَت المرأة ملقية شَعرها الأسود إلى الوراء: «ربما تكون (الطاولة الطويلة) مقسمة على الولاء لـ(هايجاردن)، لكنني من (مير)، وولائي لزوجي وابني، ولا أريد إلا الأفضل لهما».

- «مفهوم». في الممرّ الضيّق أفعـم أنـف الملكة عطر المرأة الأخرى، أريج كالمسك هو مزيـج من رائحة الطّحالب والتّربة والأزهار البرّية، وتحتـه شـمّت سـرسي رائحة الطموح. قالت لنفسها وقد تذكّرت فجأة: لقد شهدت في محاكمة تيريون، رأت العفريت يضع السّم في كأس خوف ولم تخف أن تتكلّم. وعدتها قائلة: «سأنظر في هذه المسألة، وإذا كان ما تقولينه صحيحاً فستنالين مكافأة». وإذا كنتِ تكذبين عليّ فسأقطع لسانكِ وأصادر أراضـي زوجك وذهبـه أيضاً.

قالت الليدي ميريوذر: «جلالتكِ لطيفة، وجميلة أيضاً»، وابتسمت لتلوح أسنانها البيضاء بين شفّتيها الممتلئتين الدّاكتين.

حين عادت الملكة إلى (القاعة الصّغرى) ألقت أختها يمشي جيئةً وذهاباً بتوتّر، وقال لها: «مجرّد رشفة من التّبـيد جعلته يشرّق، لكنها أفرغتني أيضاً».

دمدمت في وجهه: «بطني مقلوب لدرجة أني لا أستطيع الأكل، والتّبـيد مذاقه كالمرّة. هذا الرّفاف غلطة».

- «هذا الرّفاف ضروري. الصّبي في أمان».

قالت: «أحمق. لا أحد يعتمر تاجاً في أمان أبداً»، وجاست بنظرها في القاعة لترى مايس تايرل يضحك وسط فرسانه، واللوردين ردواين وروان يتكلّمان بصوت خفيض، والسير كيغان جالساً بوجوم مع كأسه في نهاية القاعة، بينما يهمس لانسـل بشيء ما لأحد السّبتونات، وتتحرك سينل بطول المائدة مألئة كؤوس بنات عمومة العروس بنبيذ أحمر كالدم، في حين غاب المايستر الأكبر پايسل في النّوم. فكّرت بكآبة: لا أحد بإمكانه الاعتماد عليه، ولا حتى چايمي. عليّ أن أزيح كلّ هؤلاء وأحيط الملك بأناسي.

لاحقاً، بعدما قدّمت الحلويات والمكسّرات والجُبنة ورُفِعت، بدأت مارچري وتومن

الرَّقْص، وقد بدوا على قدر لا بأس به من السُّخف وهما يدوران. ابنة تايرل تفوق زوجها الصغير بقدم ونصف طولاً، وتومن راقص أخرق في أحسن أحواله، لا يملك أياً من رشاقة جوفري التَّلْقائية، وإن بذلَ قصارى جهده وبدا غافلاً عن الفُرجة التي صنعها من نفسه... ولم تكذ العذراء مارچري تَفْرِغ منه حتى انقضت عليه بنات عمومتهما واحدة تلو الأخرى مصمِّماتٍ على أن يرقص صاحب الجلالة معهن أيضاً. فكَّرت سرسي بامتعاض وهي تُشاهد: سيجعلنه يتعثَّر ويترنَّح لما يَفْرُغن منه. يصف البلاط سيتهكم عليه من وراء ظهره.

بينما أخذت كلُّ من آلا وإلينور ومِجا دورها مع تومن، رقصت مارچري مرَّةً مع أبيها ثم مع أخيها فارس الزُّهور، الذي ارتدى الحرير الأبيض وأوثقَ حول خصره حزاماً من الورد الذهبية وثبتَ معطفه بدبُّوس على شكل وردةٍ من اليشب. فكَّرت سرسي وهي تُشاهد هما: كأنهما توأمان. يكبر السير لوراس أخته بعام، لكن كليهما له العينان البنيتان الواسعتان نفسيهما والشَّعر البني الكثيف الذي ينسدل في حُلقاتٍ طبيعيَّة على أكتافهما، وكذا البشرة الملساء التي لا تشوبها شائبة.

قدر وافر من البثور سيُعَلِّمهما شيئاً من التَّواضع. لوراس أطول قامَةً وله زغب بني ناعم خفيف على وجهه، ومارچري لها جسد امرأة، لكن فيما عدا ذلك فإنهما متشابهان أكثر من سرسي وچايمي، وهو ما أثار استياءها أيضاً. قطعَ توأمها أفكارها بقوله: «هل تسمح صاحبة الجلالة بتشريف فارسها الأبيض برقصة؟».

حدجته بنظرةٍ مُهلكة قائلةً: «وأتركك تتلمَّسني عبثاً بهذه الجَدعة؟ لا. لكني سأتركك تملأ كأسي، إذا كنت تحسب أنك تقدر دون أن تسكُب التَّبيذ». ردَّ: «مُعاق مثلي؟ لا أظنُّ»، وابتعدَ وعادَ يدور في أرجاء القاعة، وملأت هي الكأس بنفسها.

رفضت سرسي أن ترقص مع مايس تايرل ثم لانسِل، ففهم الآخرون التَّلْميح ولم يَطْلُب أحد آخر الرَّقْص معها. أصدقاؤنا الصَّديقون ولورداتنا المخلصون. إنها لا تستطيع الثِّقة بالغربيين منهم حتى، حملة راية أبيها ورجاله المقسمين على الولاء، لا تستطيع إذا كان عمُّها ذاته يتأمَّر مع أعدائها...

كانت مارچري ترقص مع ابنة عمومتهما آلا، ومِجا مع السير تالاد الطَّويل، وابنة العمومة الأخرى إلينور تشرب كأساً من التَّبيذ مع أوران ووترز، نغل (دريغتمارك) الوسيم. ليست هذه أول مرَّةٍ تلحظ الملكة ووترز، الشابَّ النَّحيل ذي العينين الخضراوين الضَّاربتين إلى الرَّمادي والشَّعر الطَّويل الذهبي المائل إلى الفضي. حين رآته للمرَّة الأولى كادت تحسب لأقلَّ من لحظةٍ أن ريجار تارجارين قد عادَ من الرَّماد. قالت لنفسها: شَعْرهُ السَّبب. إنه ليس بنصف الوسامة التي كانها ريجار، ووجهه ضيقٌ للغاية وهنالك ذلك الشَّقُّ في ذقنـه.

على أن آل فيلاريون ينحدرون من ذُرِّيَّةِ قَالِيريَّة قديمة، ولبعضهم الشَّعر المائل إلى الفضي الذي كَان لملوك التَّنانين القدامى. عادَ تومن إلى مقعده ليقضم من كعكة تَفَّاح، ونظرت الملكة إلى مقعد عمِّها لتجده شاغراً، وأخيراً وجدته في رُكنٍ يتكلَّم باهتمامٍ بالغ مع ابن مايس تايرل جارلان.

عمَّ يتكلَّمان؟ ربما يُلقَّب أهل (المرعى) السير جارلان بالهُمام، لكنها لا تثق به أكثر من مارچري أو لوراس. إنها لم تنسَ العُملة القديمة التي اكتشفها كايبرن تحت وعاء فضلات السَّجَّان. يد ذهبية من (هايجاردن)، ومارچري تتجسَّس عليَّ. عندما ظهرت سينل لتملاً كأسها قاومت الملكة مضطرةً رغبتها الملحَّة في أن تقبض على رقبتها وتخنقها، وقالت لها في سريرتها: لا تتظاهري بالتَّبسُّم لي أيتها الحقيرة الخائنة. ستتوسَّلين مني الرَّحمة قبل أن أفرغ منك.

سيمعت شقيقها چايمي يقول: «أظنُّ أن صاحبة الجلالة شرَّبت نبيدًا بما يكفي الليلة».

لا، كَلِّ ما في العالم من نبيذٍ لن يكفي لأن أتحمِّل هذا الزِّفاف. نهضت بسرعة جعلتها تُوشِك على السَّقوط، لكن چايمي أمسكها من ذراعها وثبَّتَها، فانتزعت الذِّراع منه وصفقت لتتوقف الموسيقى وتصمَّت الأصوات، وبصوت عالٍ قالت سرسي: «أيها السَّادة والسَيِّدات، أرجو أن تفضلوا وتخرُجوا معي لِتُشعل شمعاً احتفالاً باتِّحاد (هايجاردن) و(كاسترلي روك) وبعصرٍ جديد من السَّلام والرَّخاء لممالكنا السَّبع».

مظلماً كئيباً وقِفَ (بُرج اليـد)، تحت لُ الفتحات الواسعة مكَّان أبوابه البـلوط الثَّقيلـة ومصـاريع نوافذه، لكن حتـى في خرابه وتجرُّده من زينته ظلَّ مرتفعاً فوق السَّاحة الخارجیَّة، ومَرَّ ضـيوف الزِّفاف في ظِلِّه إذ خرجوا من (القاعة الصَّغرى). حين نظرت

سرسي إلى أعلى رأت شُرَافات البُرج تنهش قمر الصَّيَّادين ⁴⁴، وتساءلت كم يَدًا لكم ملك قطن في هذا المكان على مَرِّ القرون الثلاثة المنصرمة.

على بُعد مئة ياردة من البُرج أخذت نفساً عميقاً لتُوقِف رأسها عن الدَّوران، وصاحت: «لورد هالاین، يُمكنك أن تبدأ!».

قال هالاین الپایرومانسر: «هممممم»، ولوَّح بالمشعل الذي يحمله، فلَقَم الرُّماة على الأسوار أقواسهم وأطلقوا دسَّة من السِّهام النَّارية عبر النَّوافذ المفتوحة.

وشبَّت النار في البُرج بصوت كـالفحيح. خـلال أقـلِّ من لحظة دبَّت الحـياة في داخلـه بالأحمر والأصـفر والبُرْتُقـالي... والأخضر، أخضر

داكـن يُنـذـر بـالـويل، لـيـون الـيـمـرّة والـيـشـب وبـول الـپـايـرومانسـرات.
يُسَمِّيـها الخـيـمـيـائـيـون «المـادّة»، لكـن العـامّة يُطـلـقون عـلـيـها «الـنّـار
الشّـعـواء»، وقـد وُضِعَت خـمـسـون جـرّة مـنـها داخـل (بُـرج الـيـد)، بالإضـافـة
إلى الحطب وبراميل القار والسّواد الأعظم من مقتنيات قزيم اسمه تيريون
لانسـتر.

شعرت الملكة بحرارة اللّهب الأخضر. يقول الپايرومانسرات إن أشياء ثلاثة
فحسب أشدّ حرارة من مادّتهم: لهب التّنانين والنّار في باطن الأرض وشمس
الصّيف.

شهقت بعض الليديّات عندما ظهر اللّهب في النّوافذ يلحق الجدران من الخارج
كالسنة خضراء طويلة، في حين هلّل آخرون ورفعوا الأنخاب.

قالت لنفسها: جميلة، جميلة كچوفري حين وضعوه بين ذراعَي. لم يُشعرها
رجل قطّ بذلك الاستمتاع الذي أحسّت به عندما التقمّ حلمتها ليرضع.

حدّق تومن إلى النّيـران بعـيـنين ممتّسـعتين، مفتونًا بقـدر ما هو
خائف، إلى أن همست مارچري في أذنه بشيءٍ جعله يضحك، وبدأ
بعض الفُرس أن يتراهنون على الفترة التي سيستغرقها البُرج قبل أن ينهار،
بينما وقف اللورد هالايـن يُهمهم لنفسه ويتأرجح على كعبيه.

فكرت سرسي في جميع أيادي الملوك الذين عرقّتهم على مرّ السنين؛ أوين
ميريويذر، وچون كوننجتون، وكارلتون تشيلستد، وچون آرـن، وإدارد ستارك،
وشقيقها تيريون... وفي أبيها اللورد تايوين لانسـتر، وفي أبيها
على وجه الخصوص. قالت لنفسها مسـتمتعةً بالفكرة: كلّهم
يحترقون الآن، موتـى ويحترقون جمـيعًا ومعهم مخطّطاتهم ومؤامراتهم
وخياناتهم. لقد أتى زماـني. هـذي قلعتي وهـذي مملكتي.

أصدرَ (بُرج اليد) قعقةً مباغتةً دوت بشدّة لدرجة أن المحادثات جميعها توقّفت
دُفعةً واحدةً، وتشقّقت الحجارة وتصدّعت وهوى جزء من الشّرفة العلّيا وحطّ
بارتظام صمّ الأذان ورَجّ التّلّ مثيرًا سحابةً من الغبار والدخان، وإذ تدفق الهواء
الطلق من الثّغرات الجديدة في الحجر تاجّجت النّار أكثر واندفعت إلى أعلى،
لتشبّ السنة اللّهب الأخضر في السّماء ويدور بعضها حول بعض. نكصَ تومن، إلّا
أن مارچري أمسكت يده قائلةً: «انظر، اللّهب يرقّص كما كنا نرقّص يا حبيبي».

ردّ بصوتٍ أفعمته الدّهشة: «نعم. أمي، انظري، اللّهب يرقّص».

- «أراه. لورد هالايـن، كم ستبقى النّار مشتعلةً؟».

- «طوال اللّيل يا مولاتي».

قالت أوليـنـا تـايـرل المسـتندة إلى عكازها بـيـن حارسـيها شـيـمال
ويـمـيـن: «شـمعة جميلة بـالفعل، مـضـيئة بـما يكفـي لأن نـخـلد إلى

الـنّوم فـي أـمـان عـلـى مـا أظنّ. العظام العجوز تتعب، وهذان الصّغيران شهدا
إثارةً تكفي هذه اللّيلة. حان الوقت لأن يذهب الملك والملكة إلى الفراش».

قالت سرسي: «نعم»، وأشارت إلى چايمي مردفةً: «حضرة القائد، اصحب
جلالته وملكته الصّغيرة إلى فراشهما إذا سمحت».

- «كما تأمرين. وأنتِ أيضًا؟».

- «لا داعي». تحسُّ سرسي بحيويّةٍ لا تحتاج معها إلى النّوم. النّار الشّعواء
تُطهرها، تحرق غضبها وخوفها كلّهُ وتملأها بالعزيمة. «اللّهب جميل للغاية. أريدُ
أن أشاهده فترةً».

قال چايمي بتردّد: «لا ينبغي أن تكوني وحدك».

- «لن أكون وحدي. السير أوزموند يُمكنه أن يبقى ويحميني، أخوك المحلّف».

قال كِتلبلاك: «إذا كان هذا يسرُّ صاحبة الجلالة».

ردّت: «يسرُّني»، وتأبّطت ذراعه، وجنّبًا إلى جنبٍ شاهدًا النّيران تستعرُ.

الفارس الملوّث

الليّلة باردة على غير العادة، حتى بالنّسبة إلى الخريف، وفي الأزقة تلتفّ دَوّامات الرّيح البليّلة السّريّعة محرّكةً أتربة النّهار. ريح شماليّة مشبّعة بالبرودة. رفع السّير أريس أو كهارت قلنسوته ليخفي وجهه، فليس في صالحه أن يتعرّفه أحد. قبل أسبوعين ذبح تاجر في مدينة الظّل، رجل مسالم أتى (دورن) لأجل فواكهها وبدلاً من الثّمور وجد نحه، وجريته الوحيدة أنه كان من (كينجز لاندنج). سيجدني الرّاع خصماً أشدّ بأساً. الحقيقة أنه يكاد يُرَجّب باعتدائٍ عليه. تحرّكت يده تتحسّس بخفّة مقبض السّيف الطويل شبيه المتواري بين طيّات ملابسه الكتّان التي يرتدى طبقتين منها، المعطف الخارجي بخطوطه الفيروزيّة وصفوف الشّموس الذهبيّة، والدّاخلي الأخف بلونه البُرّتقالي. الثّياب الدورنيّة مريحة، إلّا أن أباه كان لينزعج أيّما انزعاج لو أنه عاش ليرى ابنه يرتديها. إنه من أبناء (المرعى)، والدورنيون أعداؤه منذ عصور سحيقة كما تشهد المعلقات في (السّنديانة القديمة). ما على أريس إلّا أن يغلق عينيه ليراها؛ اللورد إدجيران السّخي جالساً بسموٍ وقد تكوّمت حول قدميه رؤوس مئة من الدورنيين، وورقات الشّجر الثّلاث -رمز عائلة أو كهارت- التي اخترقها حِراب الدورنيين في (ممر الأمير)، والسّتر ينفخ في بوقه الحربي لافطاً آخر أنفاسه، والسّير أوليفار الملقب بالسّنديانة الخضراء يرتدي أبيض على أبيض بينما يُحتضر إلى جانب الثّنين الصّغير. (دورن) ليست مكاناً ملائماً لأيّ من آل أو كهارت.

حتى قبل موت الأمير أوبرين أصاب الفارس التّوتّر متى خرج من (صنسيير) ليمشي في أزقة مدينة الظّل. أينما ذهب يشعُر بأعينهم المسلّطة عليه، أعين دورنيّة سوداء صغيرة ترمقه بعداوة بيّنة، وفي كلّ رُكن يبذل أصحاب الحوانيت قصارى جهدهم للاحتيال عليه، حتى إنه يتساءل أحياناً إن كان سُقاة الحانات يَبْصُقون في مشروباته. في مرّةٍ راحَت مجموعة صبية يرتدون الأسمال ترجمه بالحجارة، إلى أن سحب سيفه فولوا الأدبار. ثم جاء موت الأفعوان الأحمر ليُلْهب الدورنيين أكثر، مع أن الشّوارع هدأت نوعاً منذ حبس الأمير دوران أفاعي الرّمال في بُرج، لكن لو ارتدى معطفه الأبيض في مدينة الظّل على الرغم من هذا فكانه يدعوهم للهجوم عليه. كان قد جلب ثلاثة معاطف بيضاء معه؛ اثنين من الصّوف أحدهما خفيف والثّاني ثقيل، وواحدًا من الحرير النّاعم، والآن يحسّ كأنه عارٍ دون واحدٍ يتدلّى من على كتفيه.

قال لنفسه: العُري أفضل من الموت. إنني ما زلتُ حارساً ملكيّاً، حتى من دون معطفى. لا بُدّ أن تحترم هذا، لا بُدّ أن أجعلها تفهم. ما كان يجدر به قطّ أن يترك نفسه يتورّط، لكن المغنيّ قال إن الحبّ قمين بإصابة أيّ رجلٍ بالبلاهة.

غالبًا تبدو المدينة الواقعة في ظلّ (صنسيير) مهجورةً في قيظ التّهار، الفترة التي لا يتحرّك فيها في الشّوارع المتربة إلا الدّباب

الطَّان، لَكِن حَالَمَا يَأْتِي الْمَسَاءُ تَدْبُ الْحَيَاةُ فِي تِلْكَ الشَّوَارِعِ. سَمِعَ السَّيْرَ أَرِيْسَ مُوسِيقَى خَافَتَةٍ تَتَسَرَّبُ مِنَ النَّوَافِذِ الْمَزُودَةِ بِفَتْحَاتِ تَهْوِيَةٍ وَهُوَ يَمُرُّ أَسْفَلَهَا، وَفِي مَكَانٍ مَا كَانَتْ الطُّبُولُ الْيَدَوِيَّةُ تُدَقُّ بِإِيقَاعِ رَقْصَةِ الْحِرَابِ السَّرِيعِ جَاعِلَةً لِلَّيْلِ نَبْضًا. حَيْثُ تَلْتَقِي ثَلَاثَةُ أَزْقَةٍ أَسْفَلَ ثَانِي الْأَسْوَارِ الْمَلْتَقَةِ نَادَتِهِ إِحْدَى بَنَاتِ الْهَوَى مِنْ شُرْفَةٍ وَلَيْسَ عَلَى جَسَدِهَا إِلَّا الْجَوَاهِرُ وَالزُّيُوتُ، فَأَلْقَى نَظْرَةً سَرِيعَةً عَلَيْهَا ثُمَّ ثَنَى كَتْفَيْهِ وَوَاوَلَ طَرِيقَهُ مُتَوَعِّلًا وَسِطَ أَنْيَابِ الرِّيحِ. نَحْنُ مَعَشَرَ الرِّجَالِ ضَعَافٍ. حَتَّى أَنْبَلْنَا تَخَوْنَهُمْ أَجْسَادَهُمْ. فَكَّرَ فِي الْمَلِكِ بِيْلُورِ الْمُبَارَكِ الَّذِي اعْتَادَ الصِّيَامَ إِلَى حَدِّ السَّقُوطِ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لِيَرَوْضَ الشَّهَوَاتِ الَّتِي أَخْزَتْهُ. أَعْلِيَهُ أَنْ يَحْذُو حَذْوَهُ؟ رَأَى رَجُلًا قَصِيرًا وَاقِفًا فِي مَدْخَلٍ مَقْنَطَرٍ يَشْوِي قِطْعًا مِنْ لَحْمِ الثَّعَابِينَ عَلَى مُسْتَوَقٍ وَيَقْلِبُهَا بِمِلْقَطٍ خَشْبِيٍّ بَيْنَمَا تَنْضُجُ، وَأَدْمَعَتْ رَائِحَةُ صَلْصَاتِ الرَّجْلِ النَّقَّازَةِ عَيْنِي الْفَارِسِ، الَّذِي سَمِعَ أَنْ أَفْضَلَ صَلْصَاتِ الثَّعَابِينَ يَحْتَوِي عَلَى قِطْرَةٍ مِنَ الزَّعَافِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى بَذُورِ الْخَرْدَلِ وَفَلْفَلِ الثَّنَانِينَ. اسْتَهْوَى الطَّعَامَ الدُّورَنِيَّ الْأَمِيرَةَ مَارَسَ لَا بِالسَّرْعَةِ نَفْسَهَا الَّتِي اسْتَهْوَاهَا بِهَا أَمِيرُهَا الدُّورَنِيَّ، وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ يُجَرَّبُ السَّيْرَ أَرِيْسَ صَنِقًا لِأَرْضَائِهَا، فَيَسْفَعُ الطَّعَامَ فَمَهُ وَيَجْعَلُهُ يَشْهَقُ طَالِبًا التَّبِيدَ، وَيَحْرِقُهُ خُرُوجَهُ مِنْ جَسَدِهِ أَكْثَرَ مِنْ دُخُولِهِ، لَكِن أَمِيرَتَهُ الصَّغِيرَةَ تَحِبُّهُ.

كَانَ قَدْ تَرَكَّهَا فِي مَسْكَنِهَا مَنْحَنِيةً فَوْقَ طَاوِلَةٍ لَعِبَ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَمِيرِ تَرِيَسْتَانَ، تُحَرِّكُ قِطْعًا مَنْمَقَةً عَلَى خَانَاتٍ مِنَ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ وَاللَّازُورْدِ. كَانَتْ شِفْطًا مَارَسَ لَا الْمَمْتَلِئَتَانِ مَفْتَرِقَتَيْنِ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَقَدْ ضَيَّقَتْ عَيْنِيهَا تَرْكِيزًا. اللَّعْبَةُ اسْمُهَا السَّايْقَاسُ، وَوَصَلَتْ إِلَى (بَلَدَةِ الْأَخْشَابِ) عَلَى قَادِسٍ تَجَارِيٍّ مِنْ (فُولَانْتِيَسِ)، فَنَشَرَهَا الْأَيْتَامُ بِطُولِ ضَفَافِ (الْدَّمِ الْأَخْضَرِ)، وَوَقَعَ الْبَلَاطُ الدُّورَنِيَّ فِي غَرَامِهَا. أَمَّا السَّيْرُ أَرِيْسَ فَيَجِدُهَا مَثِيرَةً لِلْجَنُونِ، فَثَمَّةَ عَشْرِ قِطْعٍ مُخْتَلِفَةٍ، كُلٌّ مِنْهَا لَهَا خَصَائِصُهَا وَقُدْرَاتُهَا، وَالرُّقْعَةُ تَتَبَدَّلُ مِنْ مِبَارَاةٍ إِلَى مِبَارَاةٍ اعْتِمَادًا عَلَى تَرْتِيبِ اللَّاعِبِينَ لِخَانَاتِهِمْ. رَاقَتْ اللَّعْبَةُ الْأَمِيرَ تَرِيَسْتَانَ فِي الْحَالِ، وَتَعَلَّمَتْهَا مَارَسَ لَا كَيْ تَلْعَبَ مَعَهُ. إِنَّهَا لَمْ تَبْلُغِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ بَعْدُ، وَخَطِيبُهَا فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ، لَكِن عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا بَدَأَتْ تَغْلِبُهُ أَكْثَرَ فَاكْثَرٍ فِي الْفَتْرَةِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَبْدُو أَنَّ تَرِيَسْتَانَ يُمَانِعُ. لَا يُمَكِّنُ أَنَّ يَبْدُو هَذَا الْطِفْلَانِ أَكْثَرَ اخْتِلَافًا؛ هُوَ بِبَشَرَتِهِ الزَّيْتُونِيَّةِ وَشَعْرُهُ الْأَسْوَدَ الْمَفْرُودَ، وَهِيَ بِبَشَرَتِهَا الشَّاحِبَةِ كَالْحَلِيبِ وَخُصَلَاتِهَا الذَّهَبِيَّةِ، الْفَاتِحِ وَالْغَامِقِ، كَالْمَلِكَةِ سَرَسِيٍّ وَالْمَلِكِ رُوبَرْتِ. يَتَمَنَّى أَنْ تَجِدَ مَارَسَ لَا مَسْرَّةً أَكْثَرَ فِي صَبِيَّهَا الدُّورَنِيَّ مِمَّا وَجَدَتْ أُمُّهَا فِي زَوْجِهَا سَيِّدَ أَرْضِي الْعَوَاصِفِ.

أَشْعَرَهُ تَرَكَّهَا بِالْقَلْقِ، مَرَعَ أَنَّ الْمَفْتَرَضَ أَنَّ تَكُونُ آمِنَةً كَفَافَةً دَاخِلَ الْقَلْعَةِ. هُنَاكَ بَابَانِ فَقَطٍ يَقُودَانِ إِلَى مَسْكَنِ مَارَسَ لَا فِي (بُرْجِ الشَّمْسِ)، وَقَدْ عَيَّنَ السَّيْرُ أَرِيْسَ رَجُلَيْنِ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا، وَكُلُّهُمَا مِنْ

حرس لانستر، رجال أتوا معهم من (كينجز لاندنج)، وإن كان لهم باع في المعارك، ثم إنهم أوفياء حتى الثخاع. ومع مارسلا وصيفاتها والسيّطة إجلانتين أيضاً، والأمير تريس-تان يُرافق-ه حارس-ه الشخص-ي الس-ير جاس-كوين اب-ن (الدم الأخضر). قال لنفس-ه: لن يُزعج-ها أحد، وفي غضون أسبوعين سنكون قد رحلنا إلى الأمان.

هذا ما وعدّه به الأمير دوران. على الرغم من صدمة آريس لمرأى منظر الأمير الدورني العاجز الهرم، فإنه لم يشكّ في كلمته، وقد قال له مارتل حين أدخلوه غرفته الشمسيّة: «أسفٌ لأنني لم أستطع أن أراك حتى الآن أو ألتقي الأميرة مارسلا، لكنني واثق بأن ابنتي آريان احتفت بوجودك هنا في (دورن) أيها الفارس».

أجاب راجياً ألا تخونه حُمرّة الخجل: «نعم يا سموّ الأمير».

- «أرضنا قاسية وفقيرة، لكنها لا تخلو من المحاسن. يُؤسفنا أنك لم ترَ من (دورن) أكثر من (صنسبير)، لكنني أخشى أن لا أنت ولا أميرتك ستكونان آمنين خارج هذه الأسوار. نحن الدورنيون قوم جارو الدماء، غضبتنا سريعة ومغفرتنا بطيئة. كان ليُفرح قلبي أن أوكد لك أن أفاعي الرمال وحدهن الرّغبات في الحرب، لكنني لن أكذب عليك أيها الفارس. لقد سمعت رعاياي في الشّوارع يُطالبونني بأن أحشد حِرابي، وأخشى أن نصف لورداتي متفقون معهم».

واتّ الفارس الجرأة على أن يسأل: «وأنت يا سموّ الأمير؟».

إذا كان السؤال الفجّ قد أساء إلى الأمير دوران فقد أخفى مشاعره جيّداً وهو يُجيب: «منذ زمنٍ طويّل علمتني أمي أن المجانين وحدهم يخوضون حروباً لا يستطيعون الانتصار فيها، لكن سلامنا هذا هَش... هَش كأميرتك».

- «لا يؤذي بنتاً صغيرةً إلّا وحش».

قال الأمير: «أختي إليا كانت لها بنت صغيرة اسمها رينيس، وكانت أميرةً أيضاً، وتنهد متابعاً: «من يرغبون في طعن الأميرة مارسلا بالخناجر لا يَكُونون لها ضغينةً ما، تماماً كالسير أموري لورك عندما قتلَ رينيس، لو أنه قتلها حقاً. إنهم يسعون فقط إلى إرغامي على الحرب، فمن سيصدّق إنكاري إذا قُتِلت مارسلا وهي في (دورن) تحت حمايتي؟».

- «لا أحد سيمسُّ مارسلا بسوءٍ ما دمتُ حيّاً».

ردّ دوران مارتل بابتسامةٍ واهية: «تعهدُ نبيل، لكنك مجرد رجل واحد أيها الفارس. لقد أملتُ أن يُهدّي حبس بنات أخي العنيدات الأمور، لكننا لم نُفلح إلّا في دفع الصّراصير إلى الاختباء في جحورها. كلّ ليلةٍ أسمعها تتهاَمَس وتشدّ سكاكينها».

لحظتها أدركَ أريس أنه خائف. انظر، يده ترتجف. أمير (دورن) مرعوب. خذله الكلام ولم يستطع أن يُعَلِّق.

قال الأمير دوران: «تقـبَّل اعـتـذاري أيـها الفـارس. إنـي واهـن وفـي صـحـة متـدهورة، وأحيـاناً... تُتعبـني (صـنـسـيـر) بجلبـتها وأتربـتـها وروائـحـها. إنـي أنـوي العـودة إلـى (الحدائق المائيـة) حالما تُتيح لي واجباتي، ووقتـها سأخذُ الأميرة مارسلا معي»، وقيل أن يعترض الفارس رفع الأمير يداً مفاصلها حمراء متورمة، وواصل: «أنت أيضاً ستذهب، علاوةً على سيئتها ووصيفاتها وخُرَّاسها. أسوار (صنسيير) قويّة، لكن أسفلها تقع مدينة الظل، وحتى داخل القلعة يجيء المئات ويذهبون بصفة يومية.

(الحدائق) ملاذي. لقد ابتناها الأمير مارون كهدية لعروسه ابنة تارجارين احتفالاً بزواج (دورن) بالعرش الحديدي. الخريف فصل جميل هناك... النّهارات حارة والليالي معتدلة البرودة، والنّسيم المالح يهبُّ من البحر، بالإضافة إلى النّوافير والمسابح، كما أن هناك أطفالاً آخرين، صبيةً وصبايا من أولاد عليّة القوم. سيكون لمارسلا أصدقاء من سينّها تلعب معهم، لن تشعُر بالوحدة».

- «كما تشاء». دقّت كلمات الأمير في رأسه. ستكون آمنةً هناك. لماذا إذن ألح عليه دوران مارتل ألاّ يكتُب لـ (كينجز لاندنج) بشأن انتقالها؟ الأكثر أماناً لمارسلا ألاّ يعلم أحد مكانها. ووافقَه السير أريس، لكن أكان يملك خياراً آخر؟ إنه فارس في الحرس الملكي، غير أنه رجل واحد فقط رغم ذلك، تماماً كما قال الأمير.

انفتح الرّفاق فجأةً على باحةٍ يُنيرها القمر. في رسالتها كتبت: بعد محلّ صانع الشموع، بوابة وسلالم خارجية قصيرة. دخل من البوابة وصعد الدّرجات البالية إلى بابٍ لا علامة عليه. هل عليّ أن أطرقه؟ بدلاً من هذا فتح الباب، ليجد نفسه في غرفةٍ واسعة معتمّة ذات سقفٍ واطئ، مضاءة بشمعتين معطّرتين تتذبذبان في تجويفيّ في الجدار الفخّاري السّميك، وتحت خُفّيه رأى بُسطاً مايريّة منقوشةً، ومعلقةً على الحائط، وسريراً.

نادى: «سيّدتي، أين أنت؟».

أجابت: «هنا»، وخرجت من الظلّ وراء الباب، على ساعدها الأيمن يلتفُ نُعبان منمّق التمتع حراشفه النّحاسيّة والذهبيّة حين تحرّكت، وهو كلُّ ما ترتدي.

كـانت نيّتـه أن يـقول لـها: لا، لـم آت إلّا لأخـبرك بـأن علـي الرّحـيـل، لكـن عـنـدما رآهـا تـألّق فـي ضـوء الشّمـعـتـين بـدا كـأنـه فقـد الـقدرة علـى النّطـق وأحـسّ بـخلقـه جـافاً كالرّمـال الدورنيّة. صامتاً وقفَ ينهل من مفاتن جسدها؛ من غور خلقها، والنّهدين المستديرين الشّامخين بحلمتيهما الدّاكنتين الكبيرتين، والانحناءات النّاضرة في الخصر والوركين... وإذا به بوسيلةٍ ما يحتويها وبها تخلع ثيابه، ولمّا بلغت سُترته التّحتيّة أمسكتها من الكتفين ومزّقت الحرير حتى سُرتّه، لكن أريس كان قد تجاوزَ مرحلة المبالاة بالفعل.

بشرتها ملساء تحت أصابعه، دافئة الملمس كالرمل في شمس (دورن). رفع رأسها ووجد شفتيها، وانفتح فمها تحت فمه وملأ نهذاها كفيها، وشعر حلمتيها تنتصبان إذ مسهما بإبهاميه. شعرها أسود غزير رائحته كزهور الأوركيد، رائحة كالثربة الخصبة جعلت انتصابه يكاد يُوجِّعه.

همست المرأة في أذنه: «المسني أيها الفارس»، وزحفت يده على بطنها الصغير المستدير إلى البقعة الحلوة المبتلة تحت أيكة الشعر الأسود، وتمتمت هي حين ولجها بإصبعه: «نعم، هناك»، وتأوَّهت وسحبته إلى الفراش ودفعته عليه. «أكثر، أوه، أكثر، نعم، جميل، فارسي، فارسي، فارسي الأبيض الجميل، نعم، أنت، أنت، أريدك أنت». قادته يداها إلى داخلها، ثم طوّقتا ظهره مقربتين إياه أكثر، وهمست: «أعمق، نعم، أوه». حين لقت ساقها حوله شعر بقوتها التي تُداني الفولاذ، وخدشت أطرافها ظهره وهو يغوص فيها مرّة ومرّة ومرّة، إلى أن صرخت وقوّست ظهرها تحته، وبينما فعلت هذا وجدت أصابعها حلمتيه وقرصتهما إلى أن أفرغ لذته في داخلها. قال الفارس لنفسه: يُمكنني أن أموت سعيدًا الآن، ولفترة قصيرة أحسّ بالسكينة.

ولم يمُت.

رغبته كانت عميقة لا متناهية كالبحار، لكن مع مجيء الجَرر ارتفعت صخور الذنب والخزي من الأعماق بحدّتها المعهودة. أحيانًا تُغطّيها الأمواج، لكنها باقية تحت الماء، قاسية، سوداء، زلقة. سأل نفسه: إنني فارس في الحرس الملكي. ما هذا الذي أفعله؟ تدحرج من فوقها ليمتدّد محدّقًا إلى السقف الذي يمتدّ صدع كبير فيه من حائطٍ إلى حائط. لم يلحظ هذا من قبل، مثلما لم يلحظ المشهد المرسوم على المعلقة الذي يُصوّر نايميريا وسُفنها العشرة آلاف. لم أكن أرى إلّاها. لو أن تيّنا أدخل رأسه من النافذة لما رأيتُ إلّا ثديها ووجهها وبسمتها.

غمغمت وهي تُريح رأسها على عنقه: «هناك نبّذ»، ووضعت يدها على صدره سائلة: «أأنت عطشان؟».

قال: «لا»، واعتدلَ جالسًا على حافة الفراش. الغُرفة ساخنة، وعلى الرغم من هذا يرتجف.

- «إنك تنزف، خدشتك بقوة».

حين مسّت يده جفلَ كأن أصابعها مشتعلة نارًا، ونهض عاريًا وقال: «لا، كفى».

- «معني بلسم للخدوش».

لكن لا بلسم لعاري. «الخدوش لا شيء. سامحيني يا سيّديتي، يجب أن أذهب...».

- «بهذه السرعة؟». لها صوت مبحوح رخيم، وفم واسع مخلوق للهمس،

وشفتان ممتلئتان يانعتان جاهزتان دوماً للقبلات، وينسدل شعرها الفاحم الكثيف على كتفيها العاريتين إلى قمّتي نهديها العامرين متجعّداً في خُلّقاتٍ طبيعيّة ناعمة، وحتى الشّعْر على جبل زهرتها ناعم مجعّد. «ابقَ معي الليلة أيها الفارس. ما زالت عندي أشياء كثيرة أعلمك إياها».

- «تعلّمتُ منك الكثير بالفعل».

- «بدوت مسروراً كفايةً بالدُّروس في حينها أيها الفارس. أنت واثق بأنك لست ذاهباً إلي فراشٍ آخر وامرأةٍ أخرى؟ قل لي مَنْ هي. سأقاتلها من أجلك بصدر عارٍ، سكين في مواجهةٍ سكين»، وابتسمت مردفةً: «ما لم تكن من أفاعي الرّمال. إذا كانت كذلك فيمكننا أن نتقاسمك. إنني أحبُّ بنات عمّي كثيراً».

- «تعلمين أن لا امرأة أخرى لي. هناك فقط... الواجب».

استندت على مرفقها لترفع بصرها إليه فتبرّق عيناها السوداوان الواسعتان في ضوء الشمّعتين، وقالت: «تلك الحقيبة المجدورة؟ إنني أعرفها؛ جافة كالتراب بين السّاقين وثريق قُبلاتها دماءك. دَع الواجب ينام وحده هذه المرّة وابقَ معي الليلة».

- «مكاني في القصر».

تنهّدت معقّبةً: «مع أميرتك. ستُثير غيرتي. أظنُّ أنك تحبُّها أكثر مما تحبُّني. الفتاة صغيرة للغاية عليك. إنك في حاجةٍ إلى امرأة لا فتاة صغيرة، لكن أستطيع أن ألعب دور البريئة إذا كان هذا يُثيرك».

- «لا يَجْدُر بك أن تقولي تلك الأشياء». تذكر أنها دوريّة. في (المرعى) يقولون إن الطّعام هو ما يجعل الدورتيين حارّي المزاج ونساءهم ضارياتٍ خليعات. الفلفل الحريّف والبهارات الغريبة تحمي الدّماء. لا تستطيع أن تمنع نفسها. «إنني أحبُّ مارسلا كأنها ابنتي». لا يُمكنه أن يُنجب ابنةً أو يتخذ لنفسه زوجةً، وبدلاً من هذا عنده معطف أبيض ناصع. «نحن ذاهبون إلى (الحدائق المائية)».

- «في النّهاية، مع أن كلّ شيءٍ يستغرق أربعة أضعاف الوقت المفترَض مع أبي. إذا قال إنه ينوي أن يُغادر غدًا فالأكيد أنكم لن تتحرّكوا قبل أسبوعين كاملين.

ستشعر بالوحدة في (الحدائق)، أو كُذِّ لك. وأين الفارس الباسل الشّاب الذي قال إنه يتمنّى أن يقضي بقية حياته بين ذراعي».

- «كنتُ ثملاً عندما قلتُ هذا».

- «لم تشرب إلّا ثلاثة أكواب من النّبذ المخفّف بالماء».

- «كنتُ ثملاً بك. لقد مرّت عشرة أعوام منذ... إنني لم ألمس امرأةً قبلك منذ ارتديتُ المعطف الأبيض. لم أعرف قط معنى الحب، لكني الآن... خائف».

- «وما الذي يُخيف فارسي الأبيض؟».

- «أخافُ على شَرَفِي وشَرَفِكِ».

قالت: «يُمْكِنُنِي أَنْ أَعْتَنِي بِشَرَفِي»، وَمَسَّتْ ثَدْيَهَا بِإصْبَعِهَا مَدَوْرَةً إِيَّاهُ بَطْءٍ حَوْلَ حَلْمَتِهَا، وَأَضَافَتْ: «وَأَنْ أَعْتَنِي بِلَدَّتِي أَيْضًا إِذَا لَزِمَ الْأَمْرُ. إِنْنِي أَمْرَأَةٌ بِالْغَةِ».

هِيَ كَذَلِكَ دُونَ شَكٍّ. رُؤْيَتْهَا هَكَذَا عَلَى الْفِرَاشِ الْمَحْشُوِّ بِالرِّيشِ، تَبْتَسِمُ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةَ الْخَبِيثَةَ وَتَعْبَثُ بِثَدْيِهَا... أَهْناكَ أَمْرَأَةٌ فِي الْعَالَمِ لَهَا هَاتَانِ الْحَلْمَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ وَسُرْعَةً اسْتَجَابَتْهُمَا؟ بِالْكَادِ يَسْتَطِيعُ النَّظَرُ إِلَيْهِمَا دُونَ أَنْ يَرِغِبَ فِي الْإِمْسَاكِ بِهِمَا وَأَخْذِهِمَا فِي فَمِهِ إِلَى أَنْ تَنْتَصِبَا وَتَبْتَلاَ وَتَلْتَمَعَا...

أَشَاحَ بِنَظَرِهِ. كَانَتْ ثِيَابُهُ الدَّاخِلِيَّةَ مُلَقَاةً عَلَى الْأَرْضِ، وَانْحَنَى الْفَارِسُ يَلْتَقِطُهَا.

قَالَتْ: «يَدَاكَ تَرْتَعْشَانِ. أَظُنُّ أَنَّهُمَا تُحَيِّزَانِ التَّمْلِيسَ عَلَيَّ. أَيْنَبَغِي أَنْ تَسْتَعْجَلَ ارْتِدَاءَ ثِيَابِكَ هَكَذَا أَيُّهَا الْفَارِسُ؟ إِنْنِي أَفْضِلُكَ كَمَا أَنْتَ. فِي الْفِرَاشِ دُونَ مَلَابِسٍ نَكُونُ فِي أَصْدَقِ حَالَاتِنَا، رَجُلًا وَامْرَأَةً، حَبِيبَيْنِ، جَسَدًا وَاحِدًا، أَقْرَبُ مَا يُمَكِّنُ لاثْنَيْنِ أَنْ يَكُونَا. أَوْثَرُ أَنْ أَكُونَ لَحْمًا وَدَمًا عَلَى الْحَرِيرِ وَالْجَوَاهِرِ، وَأَنْتَ... أَنْتَ لَسْتَ مَعْطَفُكَ الْأَبْيَضُ أَيُّهَا الْفَارِسُ».

قَالَ السَّيْرُ آرِيْسَ: «لَكِنِّي كَذَلِكَ، أَنَا مَعْطَفِي، وَمَا بَيْنَنَا لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ، لِأَجْلِ صَالِحِكِ عِلَاوَةً عَلَى صَالِحِي. إِذَا افْتَضَحَ أَمْرُنَا...».

- «سَيَعِدُّكَ النَّاسُ مُحْظُوظًا».

- «سَيَعِدُّنِي النَّاسُ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ. مَاذَا لَوْ ذَهَبَ أَحَدُهُمْ إِلَى أَبُوكِ وَحَكَى لَهُ كَيْفَ لَوُثْتُ شَرَفُكَ؟».

- «لَأَبِي خَصَالٍ سَيِّئَةٍ كَثِيرَةٍ، لَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَقُلْ قَطُّ إِنَّهُ أَحْمَقُ. نَعْلُ (عَطِيَّةُ الْآلِهَةِ) قُضِيَ بِكَارْتِي حِينَ كَانَ كِلَانًا فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ. هَلْ تَعْلَمُ مَا فَعَلَ بِهِ أَبِي عِنْدَمَا سَمِعَتْ؟»، وَضَمَّتِ الْأَعْطِيَّةُ فِي قَبْضَتِهَا وَسَحَبَتْهَا تَحْتَ ذَقْنِهَا لَتُؤَارِيَ عُرْيُهَا، وَتَابَعَتْ: «لَا شَيْءَ. أَبِي بَارِعٌ لِلْغَايَةِ فِي فِعْلِهِ إِلَى شَيْءٍ، وَيُسَمِّي هَذَا تَفْكَيرًا. اصْدِقْنِي الْقَوْلَ أَيُّهَا الْفَارِسُ، هَلْ يُقْلِقُكَ تَلَوِثُ شَرَفِي حَقًّا أَمْ شَرَفُكَ أَنْتَ؟».

رَدَّ وَقَدْ أَلَمَهُ إِتْهَامُهَا: «كِلَاهُمَا، وَلِذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ مَرَّتَنَا الْأَخِيرَةَ».

- «هَذَا مَا قَلْتَهُ مِنْ قَبْلِ».

قَلْتَهُ وَعَنِيتَهُ أَيْضًا، لَكِنِّي ضَعِيفٌ، وَإِلَّا لَمَا كُنْتُ هُنَا الْآنَ. لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُخْبِرَهَا بِهَذَا لِأَنَّهَا مِنَ النِّسَاءِ اللَّائِي يَحْتَقِرْنَ الضَّعْفَ كَمَا يُؤَكِّدُ لَهُ إِحْسَاسُهُ. فِيهَا مِنْ عَمِّهَا أَكْثَرُ مِنْ أَبِيهَا. التَفَتَ عَنْهَا وَوَجَدَ سُبْرَتَهُ الْحَرِيرَ الْمَخْطُطَةَ تَحْتَ كُرْسِيِّ السُّتْرَةِ الَّتِي مَزَّقَتْهَا حَتَّى السُّرَّةِ عِنْدَمَا أُنْزِلَتْهَا عَلَى ذِرَاعِيهِ. قَالَ مَتَذَمِّرًا: «إِنَّهَا تَالِفَةٌ. كَيْفَ أُرْتَدِيهَا الْآنَ؟».

- «بِالْعَكْسِ. لَنْ يَرَى أَحَدٌ الْمَزْقَ بِمَجَرَّدِ أَنْ تَرْتَدِي مَعْطَفُكَ. رُبَّمَا تَرْتَقِهَا لَكَ أَمِيرَتُكَ الصَّغِيرَةُ، أَمْ أَنْ عَلَيَّ أَنْ أُرْسِلَ وَاحِدَةً جَدِيدَةً إِلَى (الْحَدَائِقِ الْمَائِيَّةِ)؟».

- «لا تُرسـلي لـي أيَّ هـدايا». لـن يتسـبّب ذلـك إلّا فـي لفـت الانتبـاه. نفـض الستـرة وارثـداها بـالعكس، وشـعر بحريـهـا بـاردًا علـى جلـده، وإن التصـقت بظـهـره حـيث خدشـته، لكنـها ستكفي لإعادته إلى القصر على الأقل. «لا أريدُ إلّا أن أنهي هذه الـ... الـ...».

- «أهذه شهامة أيها الفارس؟ إنك تُؤلمني، وبدأتُ أظنُّ أن كلَّ كلامك عن الحبِّ كان كذبًا».

ليس بمقدوري أن أكذب عليك أبدًا. قال السير آريس شاعرًا كأنها صفعته: «إن لم يكن من أجل الحبِّ فلمَ تخلّيتُ عن شرفي برُمته؟ حين أكونُ معك... أكادُ لا أقوى على التّفكير. إنك كلُّ ما حلمتُ به في حياتي، ولكن...».

- «الكلام هواء. إذا كنت تحبُّني فلا تتركني».

- «لقد أقسمتُ...».

- «ألا تتزوَّج أو تُنجب أطفالًا. طيّب، لقد شربتُ شاي القمر، وأنت تعلم أنني لا أستطيع أن أتزوَّجك»، وابتسمت مردفة: «وإن كان يُمكنني أن أقنع بأن أحتفظ بك خليلاً لي».

- «الآن تسخرين مني».

- «قليلاً ربما. أتحسب أنك الحارس الملكي الوحيد الذي أحبَّ امرأة؟».

أقرَّ مجيبًا: «لطالما وُجدَ رجال أسـهل عليـهم أن يحلفوا الأيمان من أن يحفظوهـا». السير بـوروس بلاونـت لـيس غريبًا علـى (شـارع الحـريـر)، والسـير پرسـتون جرينفيلد اعتاد أن يزور منزل تاجر أجواخ معين كلما غاب صاحبه، لكن آريس يرفض أن يُخزي إخوته المحلفين بالحديث عن تلك النقائص، وبدلاً من هذا قال: «السير تيرانس توين ضُبطَ في الفراش مع عشيقه مليكه. أقسم إنه حُب، لكنه كلّفه حياته وحياتها، وجلبَ انهيار عائلته وموت أنبل فارسٍ عرفه العالم».

- «نعم، وماذا عن لوكامور الشّهواني وزوجاته الثلاث وأطفاله الستة عشر؟ تلك الأغنية تُضحكني دومًا».

- «الحقيقة ليست بهذه الطرافة. لم يكن يُسمّى لوكامور الشّهواني وهو حي، بل كان اسمه لوكامور سترونج، وحياته كلها كانت كذبة. حين اكتُشف خداعه خصاه إخوته المحلفون وأرسله الملك العجوز إلى (الجدار)، وترك أولئك الأطفال الستة عشر لدموعهم. لم يكن فارسًا حقيقياً، تمامًا مثل تيرانس توين...».

أزاحت الأغطية جانبًا وأنزلت قدميها على الأرض قائلة: «والفارس التّين؟ تقول إنه أنبل فارسٍ عرفه العالم، ومع ذلك أخذَ مليكته إلى الفراش وحبلت منه».

ردَّ شاعرًا بالإهانة: «لن أصدّق ذلك. حكاية خيانة الأمير إيمون والملكة نييرس ليست أكثر من حكاية، كذبة قالها أخوه عندما أرادَ أن يُزيح ابنه الشرعي محاباةً

لنغله. إجون لم يُلقَّب بغير الجدير بلا داع»، ووجدَ حزام سيفه وربطه حول خصره، ورغم أنه يبدو غريب المنظر وهو يُحيط بالسُّترة الدورنية الحرير فقد ذكره ثقل السيف الطويل والخنجر المألوف بهويته، فأعلن: «لن أجعل الناس يتذكرونني باعتباري السير آريس غير الجدير، لن ألوث معطفي».

- «نعم، ذلك المعطف الأبيض الأنيق. إنك تنسى أن عمي الكبير ارتدى معطفًا مماثلًا. لقد مات وأنا صغيرة، لكنني أذكره. كان طويلًا كالبرج، واعتاد أن يُدغدغني حتى تنقطع أنفاسي من الضحك».

- «لم أشرّف بمعرفة الأمير ليوين، لكن الجميع متفقون على أنه كان فارسًا عظيمًا».

- «فارسًا عظيمًا له خلية. إنها عجوز الآن، لكن الناس يقولون إنها كانت ذات جمالٍ نادر في شبابها».

الأمير ليوين؟ تلك الحكاية لم يسمعها السير آريس، وقد صدمته حقًا. خيانة تيرانس توين وخداع لوكامور الشَّهواني مدونان في (الكتاب الأبيض)، لكن ليست هناك إشارة على الإطلاق لامرأة في صفحة ليوين مارتل.

واصلت: «اعتاد عمي أن يُرَدِّد دومًا أن السيف في يد الرجل هو ما يُحدِّد قيمته، وليس الذي بين ساقيه، فأعفني من كلامك الورع هذا عن المعاطف الملوثة. حبنا ليس ما لوَّث شرفك، بل الوحوش الذين خدمتهم والحيوانات الذين دعوتهم باخوتك».

طعنته كلماتها على مقربةٍ شديدة من الجرح، فقال: «روبرت لم يكن وحشًا».

- «لقد ارتقى عرشه على جُثث الأطفال، وإن كنتُ أعتزُّ بأنه لم يكن كچوفري».

چوفري. كان فتى وسيماً، طويلًا وقويًا بالنسبة إلى سِنِّه، إلَّا أن هذا كلُّ ما يُمكن أن يُقال عنه من خير. ما زال يُخجل السير آريس أن يتذكر المرات التي ضربَ فيها ابنة ستارك المسكينة بأمر الصبي، وحين اختاره تيريون للذهاب مع مارسلا إلى (دورن) أشعلَ شمعةً لـ(المُحارب) شكرًا. «چوفري مات، العفريت سممه». لم يكن يخال القزم قادرًا على جريمةٍ منكرة كهذه قط. «تومن الملك الآن، وتومن ليس كأخيه».

- «وليس كأخته».

ما تقولُه صـحيح. تومن رجل صـغير طيِّب القلب يبذل أقصى جهده دائمًا، لكن آخر مرَّةٍ رآه السير آريس كان الصَّبـي يبكي على رصيف الميناء، في حين لم تذرف مارسلا ولو دمعَةً، مرع أنها هي التي كانت مغادرةً بيتها وأهلها لتُبرم حلًّا بـعُذريتها. الحقيقة أن الأميرة أشـجع من أخيها، وأذكى وأكثر ثقةً بنفسها

كذلك، وبديعتها أسرع ومجاملاتها أفضل تهذيبًا، وما من شيء يُرهِّبها أبدًا، حتى چوفري نفسه. النساء هن الأقوى حقًا. لحظتها لم يكن يُفكر في مارسلًا وحدها، بل في أمِّه وأُمِّه أيضًا، وفي ملكة الأشواك وأفاعي الرمال بنات الأفغوان الأحمر الحسناوات المميتات... وفي الأميرة آري-ان مارتل، فيها تحدِّدًا. قال بصوتٍ أجش: «لن أقول إنك مخطئة».

- «لن تقول؟ ولا يُمكنك أن تقول! مارسلًا تصلح للحكم أكثر من...».

- «الابن يسبق الابنة».

- «لماذا؟! من الإله الذي فرضَ هذا؟ إنني وريثة أبي، فهل عليَّ أن أتخلَّى عن حقوقي لأخوي؟».

- «إنك تلوين كلامي. لم أقل إطلاقًا... (دورن) تختلف. لم تكن لـ(الممالك السَّبع) ملكة حاكمة قط».

- «فسيرس الأول انتوى أن تخلفه ابنته رينيرا، هل تُنكر هذا؟ لكن بينما يُحتصر الملك قرَّر قائد حرسه الملكي أن يكون الأمر غير هذا».

السير كريستون كول. كريستون صانع الملوك وضع الأخ في مواجهة أخيه وجعل حرس الملك ينقسمون على أنفسهم، لتنشب الحرب الرهيبة التي يُسمِّيها المغنُّون رقصة التناين. بعضهم يزعم أنه تصرف بدافع الطموح، لأن الأمير إجون كان أسهل انقيادًا من أخته الأكبر العنيدة، في حين يتذرَّع له غيرهم بدوافع أكثر نُبلًا، ويحاولون أن يُبرهنوا على أنه كان يُدافع عن التقاليد الأنـدالية القديمة، وثمة قلائد يـقولون همـسًا إن السير كريستون كان عشيق الأميرة رينيرا قبل أن يرتدي المعطف الأبيض وأراد أن ينتقم من المرأة التي نبذته. قال السير آريس: «صانع الملوك جلب أدَّى شنيعًا على البلاد ودفع الثمن غالبًا، ولكن...».

- «ولكن ربما أرسلتَ الآلهة السَّبعة إلى هنا كي يعـدل فارـس أبـيض ما ميـله فارـس أبـيض آخر. إنك تعلم أن أبي ينوي أن يأخذ مارسلا معه حينما يعود إلى (الحدائق المائية)، أليس كذلك؟».

- «ليحميها ممَّن يُريدون إيذاءها».

قالت: «لا، بل لـيُبعدها ممَّن يُريدون تتويجها. كان الأمير أوبرين الأفغوان ليضع التاج على رأسها بنفسه لو عاش، لكن أبي يفتقر إلى الشجاعة»، ونهضت متابعَةً: «تقول إنك تحبُّ الفتاة كما لو أنك تحبُّ ابنةً من دمك، فهل تسمح بأن تُسلَب ابنتك حقوقها وتُسجَن؟».

ردَّ محتجًا بضعف: «(الحدائق المائية) ليست سجنًا».

- «لأن لا سجن فيه نوافير وأشجار تين، أهذا ما تعتقده؟ لكن بمجرد أن تصل الفتاة فلن يُسمح لها أو لك بالمغادرة. هوتا سيحرص على ذلك. أنت لا تعرفه

مثلي.

إنه رهيب عندما يُستثار».

عقد السير آريس حاجبيه. لطالما أشعره القائد النورقوشي الضخم بوجهه النديب بانزعاج بالغ. يقولون إنه ينام وتلك الفأس إلى جواره. «ماذا تريدني أن أفعل؟».

- «ليس أكثر مما أقسمت عليه. احرم مارسلا بحياتك، دافع عنها... وعن حقوقها. صاع التاج على رأسها».

- «لقد حلفتُ يمينًا!».

- «لجوفري لا لتومن».

- «نعم، لكن تومن صبي طيب القلب. سيكون ملكًا أفضل من جوفري».

- «ولكن ليس أفضل من مارسلا. إنها تحب الصبي أيضًا، وأعلم أنها لن تسمح بأن يحلَّ به أذى. (ستورمز إند) له شرعًا بما أن اللورد رنلي لم يترك وريثًا واللورد ستانيس حُرِمَ من أملاكه، وبعد فترةٍ ستنتقل (كاسترلي روك) إليه أيضًا من خلال أمه. سيكون من أعظم اللوردات في البلاد... لكن الواجب أن تجلس مارسلا على العرش الحديدي».

- «القانون... لا أدري...».

قالت: «أنا أدري»، ووقفت أمامه لتسقط خصلات شعرها السوداء الطويلة حتى أسفل ظهرها، وواصلت: «إجون التين أنشأ الحرس الملكي وأيمانه، لكن ما فعله ملك يس تطيع آخر أن يعكسه، أو يُغيّره. في السابق كان رجال الحرس الملكي يخدمون مدي الحياة، لكن جوفري صرف السير باريس-تان ليوفر معطفاً لكلبه».

ستريدك مارسلا أن تكون سعيدًا، كما أنها مولعة بي أيضًا، وستُعطينا الإذن في الزواج إذا طلبنا»، ووضعت آريان ذراعيها حوله وأراحت وجهها على صدره فبلغ رأسها أسفل ذقنه، وأضافت: «يمكنك أن تحظى بي وبمعطفك الأبيض في آنٍ واحد إن كان هذا ما تريده».

إنها تُمزّقني إربًا. «تعرفين أنني أريده، لكن...».

قالت بصوتها المبحوح: «أنا أميرة دورنية، ولا يليق أن تجعلني أتوسّل».

اشتّم السير آريس العطر في شعرها وشعرَ بنبضات قلبها وهي تضغط جسدها إلى جسده الذي بدأ يستجيب لقربها منه، ولا شكّ لديه أنها تشعُر باستجابته أيضًا. حين وضع ذراعيه على كتفيها أدرك أنها ترتجف، فسألها: «آريان، أميرتي، ما الخطب يا حبيبتني؟».

- «أوجب أن أقولها أيها الفارس؟ إنني خائفة. تقول إنني حبيبتك، ومع ذلك

تَرْفُضْنِي وَأَنَا فِي أَمْسٍ حَاجَتِي إِلَيْكَ. أَهِيَ جَرِيْمَةٌ أَنْ أَرْغَبَ فِي فَارْسٍ يَحْمِينِي؟».

لَمْ يَسْمَعْهَا تَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْهَشَاشَةِ مِنْ قَبْلِ قَطُّ، فَقَالَ: «لَا، لَكِنْ عِنْدَكَ حَرَسٌ أَبْيَكُ يَحْمُونُكَ، فَلِمَ...».

لِلْحِظَةِ بَدَتْ نَبْرَتُهَا أَصْغَرَ مِنْ نَبْرَةِ مَارَسْلَا وَهِيَ تَقُولُ: «حَرَسُ أَبِي هُمْ مِنْ أَخْشَاهُمْ، حَرَسُ أَبِي هُمْ مِنْ جَرُّوا بَنَاتٍ عَمِّيَّ مَكْبَلَاتٍ بِالسَّلَاسِلِ».

- «لَمْ يَكُنْ مَكْبَلَاتٍ. سَمِعْتُ أَنْ كُلَّ سُبُلِ الرَّاحَةِ مَتَاحَةٌ لِهِنَّ».

أَطْلَقَتْ ضَحْكَةً مَرِيرَةً، وَسَأَلَتْهُ: «هَلْ رَأَيْتِهِنَّ؟ أَتَعْلَمُ أَنَّهُ مَنَعَنِي مِنْ رُؤْيَتِهِنَّ؟».

- «كُنْ يَتَكَلَّمَنَّ عَنِ الْخِيَانَةِ، يُحَرِّضَنَّ عَلَى الْحَرْبِ...».

- «لُورِيْزَا فِي السَّادِسَةِ وَدُورِيَا فِي الثَّامِنَةِ، فَمَا الْحُرُوبُ الَّتِي حَرَّضْنَا عَلَيْهَا؟ وَرَغْمَ ذَلِكَ سَجَنَهُمَا أَبِي مَعَ أَخَوَاتِهِمَا. أَنْتِ رَأَيْتِهِ. الْخَوْفُ يَجْعَلِي الْأَقْوِيَاءَ يَفْعَلُونَ أَشْيَاءَ مَا كَانُوا لِيَفْعَلُوهَا فِي ظُرُوفٍ أُخْرَى، وَأَبِي لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا قَطُّ. أَرَيْسَ يَا قَلْبِي، اسْمَعْنِي لِأَجْلِ الْحُبِّ الَّذِي تَقُولُ إِنَّكَ تَكُنُّهُ لِي. إِنْنِي لَمْ أَكُنْ مُقَدِّمَةً كِبَنَاتٍ عَمِّيَّ قَطُّ لِأَنَّ يَنْبَغِي نَبْتَةً بِذُرَّةٍ أَضْعَفَ، لَكِنَّ تَابِيْنَ وَأَنَا قَرِيبَتَانِ فِي الْبَيْتِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا وَنَحْنُ كَأَخَوَاتَيْنِ. لَيْسَتْ هُنَاكَ أَسْرَارُ بَيْنِنَا. إِذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تُسَجَّنَ هِيَ فَالْمِثْلُ يَنْطَبِقُ عَلَيَّ لِلْسَّبَبِ ذَاتِهِ... مَارَسْلَا».

- «لَا يُمَكِّنُ لِأَبُوكِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا».

- «أَنْتِ لَا تَعْرِفُ أَبِي. إِنْنِي أَخِيْبٌ أَمْلُهُ مِنْذُ خَرَجْتُ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ دُونَ قَضِيْبٍ. عِدَّةُ مَرَّاتٍ حَاولَ تَزْوِيْجِي بِمَسْنِيْنَ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُمْ، كُلُّ مَنْهُمْ أَوْضَعَ مِنْ سَابِقِهِ».

صَحِيْحٌ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْنِي بِالزَّوْاجِ بِأَيِّهِمْ، لَكِنْ الْعُرُوضُ وَحْدَهَا تُثَبِّتُ كَمْ يَبْخَسُ قَدْرِي».

- «وَمَعَ ذَلِكَ أَنْتِ وَرِثَتِهِ».

- «أَنَا وَرِثَتُهُ حَقًّا؟».

- «لَقَدْ تَرَكْتُكَ تَحْكُمِينَ فِي (صَنْسَپِر) لَمَّا أَخَذَ نَفْسَهُ إِلَى (الْحَدَائِقِ الْمَائِيَّةِ)، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

- «أَحْكُمُ؟ لَا، بَلْ تَرَكَ السَّيْرَ مَانْفَرِي ابْنَ عَمِّهِ أَمِينًا لِلْقَلْعَةِ، وَرِيْكَاسُو الْعَجُوزِ الْأَعْمَى قَهْرْمَانًا، وَوُكَلَاءَ أَمْلَاكِهِ لِيَجْمَعُوا الضَّرَائِبَ وَالْجِمَارَكَ لِتُحْصِيَهَا خَازِنَتُهُ أَلَيْسَ لِيْدِيْبَرَايْتِ، وَمَفْوَضِيْهِ لِيَكُونُوا عَسَسَ مَدِيْنَةِ الظِّلِّ، وَقَضَايَتُهُ لِيُحْكِمُوا فِي الْقَضَايَا، وَالْمَايِسْتَرُ مَايْلَزُ لِيَتَعَامَلَ مَعَ الرِّسَائِلِ الَّتِي لَا تَتَطَلَّبُ عَنَايَةَ الْأَمِيرِ، وَفَوْقَهُمْ جَمِيعًا وَضَعَ الْأَفْعَوَانَ الْأَحْمَرِ. تَكْلِيْفِي أَنَا كَانِ الْمَادَبُ وَالْحَفَلَاتُ وَضِيَاْفَةُ الزَّائِرِينَ عَوَالِي الْمَقَامِ. أَوْبَرِيْنَ اعْتَادَ أَنْ يَزُورَ (الْحَدَائِقِ الْمَائِيَّةِ) مَرَّتَيْنِ كُلَّ أَسْبُوعَيْنِ، أَمَّا أَنَا فَاسْتَدْعَانِي أَبِي مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ. إِنْنِي لَسْتُ الْوَرِثُ الَّذِي

أَرَادَهُ أَبِي، وَقَدْ جَعَلَ هَذَا وَاضِحًا. قَوَانِينَا تُقَيِّدُهُ، لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يُؤَثِّرُ أَنْ يَخْلِفَهُ أَخِي».

رَدَّدَ السَّيْرَ آرِيَسَ: «أَخَوُكُ؟»، وَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ ذَقْنِهَا لِيَرْفَعَ رَأْسَهَا وَيَنْظُرَ فِي عَيْنَيْهَا، وَقَالَ: «لَا يُعْقَلُ أَنَّكَ تَعْنِينِ تَرِيَسْتَانَ. إِنَّهُ مَجَرَّدُ صَبِي».

أَجَابَتْهُ بِنَظَرَةٍ لَا تَطْرَفُ مِنْ عَيْنَيْهَا الْجَرِيئَتَيْنِ كَنُورِ الشَّمْسِ: «لَيْسَ تَرِيَسَ، بَلِ كَوِينَتِنِ. إِنِّي أَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ مِنْذُ كُنْتُ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ، مِنْذُ الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلْتُ فِيهِ غُرْفَةَ أَبِي الشَّمْسِيَّةِ لِأَعْطِيَهُ قُبْلَةَ الْمَسَاءِ وَلَمْ أَجِدْهُ. لَاحِقًا سَمِعْتُ أَنَّ أُمِّي أَرْسَلَتْ تَطْلُبَهُ. لَكِنْ قَدْ تَرَكَتُ شَمْعَةً مَشْتَعِلَةً، وَجِئْتُ ذَهَبْتُ أَطْفِئُهَا وَجَدْتُ إِلَى جَوَارِهَا رِسَالَةً غَيْرَ مَكْتَمَلَةٍ، رِسَالَةً إِلَى أَخِي كَوِينَتِنِ الَّذِي كَانَ غَائِبًا فِي (يِرُونُودِ)، وَكُتِبَ فِيهَا أَبِي لَكَوِينَتِنِ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ الْمَایِسْتَرُ وَقِيَمُ السِّلَاحِ، لِأَنَّكَ ذَاتَ يَوْمٍ سَتَجْلِسُ حَيْثُ أَجْلِسُ وَتَحْكُمُ (دُورِن) كُلَّهَا، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَاكِمُ قَوِيَّ الْعَقْلِ وَالْجَسَدِ»، وَسَالَتْ عَبْرَةً عَلَى خَدِّ آرِيَانَ النَّاعِمِ، وَتَابَعَتْ: «كَلِمَاتُ أَبِي الْمَكْتُوبَةِ بِخَطِّ يَدِهِ. لَقَدْ وَسَمَتُ نَفْسَهَا فِي ذَاكَرَتِي. لَيْلَتُهَا بِكَيْتُ حَتَّى غَلَبَنِي النَّوْمُ، وَلِيَالِي كَثِيرَةٌ بَعْدَهَا».

لَمْ يَلْتَقِ السَّيْرَ آرِيَسَ لَكَوِينَتِنِ مَرَاتِلَ بَعْدُ، فَالْصَّبِيُّ رَبِيبُ اللُّورْدِ يِرُونُودِ مِنْ ذُنُومَةِ أَطْفَالِهِ، وَخَدَمُهُ كُوصِيْفِثُ مِ كَمْرَافِقِ، بَلْ وَجَدَ أَنَّهُ يُقَلِّدُهُ الْفُرُوسِيَّةَ عَلَى الْأَفْعَوَانِ الْأَحْمَرِ. فَكَّرَ: لَوْ كُنْتُ أَبًا لَأَرَدْتُ أَنْ يَخْلِفَنِي ابْنِي أَيْضًا، لَكِنَّهُ سَمِعَ الْأَلَمَ فِي صَوْتِهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْقِدُهَا إِذَا بَاحَ لَهَا بِمَا يُفَكِّرُ فِيهِ. هَكَذَا قَالَ: «رَبِّمَا أَسَاتِ الْفَهْمِ. لَقَدْ كُنْتُ طِفْلَةً، وَرَبِّمَا قَالَ الْأَمِيرُ هَذَا لِيُشَجِّعَ أَخَاكَ عَلَى الْجَهْدِ أَكْثَرَ فَحَسَبَ».

- «أَتَظُنُّ هَذَا؟ أَخْبِرْنِي إِذَنْ، أَيْنَ كَوِينَتِنِ الْآنَ؟».

أَجَابَ السَّيْرَ آرِيَسَ بِحَذَرٍ: «الْأَمِيرُ مَعَ جَيْشِ اللُّورْدِ يِرُونُودِ فِي (طَرِيقِ الْعِظَامِ)». هَذَا مَا أَخْبَرَهُ بِهِ أَمِينُ قَلْعَةٍ (صَنْسِپِيرِ) الشَّيْخِ لَدَى وَصُولِهِ إِلَى (دُورِنِ)، وَالْمَایِسْتَرُ ذُو اللَّحْيَةِ الْمَلَسَاءِ قَالَ الْكَلَامَ نَفْسَهُ.

عَلَى أَنَّ آرِيَانَ خَالَفَتْهُ قَائِلَةً: «هَذَا مَا يُرِيدُ أَبِي أَنْ نَعْتَقِدَهُ، لَكِنْ لِي أَصْدِقَاءٌ يُخْبِرُونَنِي بِأَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ. أَخِي عَبْرَ (الْبَحْرِ الضَّيِّقِ) فِي السَّيْرِ مُتَنَكِّرًا فِي هَيْئَةٍ تَاجِرِ تَقْلِيدِي، فَلِمَ؟».

- «وَمَا أَدْرَانِي؟ قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ مِئَةُ سَبَبٍ».

- «أَوْ سَبَبٍ وَاحِدٍ. هَلْ تُدْرِكُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ الذَّهَبِيَّةَ فَسَخَتْ عَقْدَهَا مَعَ (مِيرِ)؟».

- «الْمَرْتَزِقَةُ يَفْسُخُونَ الْعُقُودَ طَوَالَ الْوَقْتِ».

- «لَيْسَ الْجَمَاعَةُ الذَّهَبِيَّةُ. كَلِمَتُنَا مِنْ ذَهَبٍ. هَكَذَا يَتَبَاهَوْنَ مِنْ ذِيَامِ الْفُولَازِ الْأَلِيمِ. (مِيرِ) عَلَى شِيفَا الْحَرْبِ مَرَعِ (لِيَسِ) وَ(تَايِرُوشِ)، فَلِمَ يَفْسُخُونَ عَقْدًا يَعْدهم بِالْأَجْرِ الْوَافِرِ وَالْغَنَائِمِ الْجَزِيلَةِ؟».

- «ربما عرضت عليهم (ليس) أو (تايروش) أجرًا أكبر».

قالت: «لا. أصدِّقُ أن تفعل هذا أيُّ جماعةٍ حرَّةٍ أخرى، فمعظمها يُبَدِّل ولاءه ولو مقابل نصف جروت إضافي، لكن الجماعة الذهبية مختلفة. إنها أخوة من المنفيين وأبناء المنفيين يُوجِّدها حلم الفولاذ الأليم، يُريدون الوطن بقدر ما يُريدون الذهب، واللورد يرونود يعلم هذا مثلي تمامًا. لقد ركب أسلافه مع الفولاذ الأليم في ثلاث من ثورات بلاكفاير»، وأمسكت يد السير آريس وشبكت أصابعها في أصابعه مردفة: «هل رأيت رمز آل تولاند أولاد (تل الأشباح)؟».

فكر لحظة، ثم قال: «تتبنين يلتهم ذيله؟».

- «التبنين هو الزمن، بلا بداية أو نهاية، وهكذا تتكرَّر الحوادث كلها. أندرز يرونود هو كريستون كول وقد وُلِدَ ثانيةً. إنه يهمس في أذن أخي قائلًا إن الأجدر به هو أن يخلف أبي في الحكم، إنه ليس من الصواب أن يركع الرجال للنساء... إن آريان على وجه الخصوص لا تصلح حاكمة لكونها عنيدة لعوبًا»، وألقت آريان شعرها إلى الوراء بتحدٍّ مضيفة: «إذن فأمرتاك مشتركتان في قضية واحدة أيها الفارس... ومشاركتان أيضًا في فارس يزعم أنه يحبهما لكنه يأبى القتال في سبيلهما».

هوى السير آريس على ركبته قائلاً: «سأقاتل. مارسلا الأكبر والأصلح للتاج. من سيُدافع عن حقوقها إن لم يكن حارسها الملكي؟ سيفي وحياتي وشرفي لها... ولك يا بهجة القلب. أقسم أن لا رجل سيسرق حقك بالميلاد ما دمت أملك قوَّة تكفي لأن أرفع سيفي. أنا لك، فماذا تسأليني؟».

انحنَّت تُقبِّل شفتيه، وقالت: «كلَّ شيء، كلَّ شيء يا حبيبي، يا حبيبي الوحيد، يا حبيبي الجميل، وإلى الأبد. لكن أولاً...».

- «سلي وهو لك».

- «... مارسلا».

بريان

السُّور الحجري قديم متداعٍ، لكن منظره عبر الحقل جعل الشُّعيرات على مؤخِّرة عُنقها تنتصب.

هنا اختبأ الرُّماة وقتلوا المسكين كليوس فراي... لكنها بعد نصف ميل مرَّت بسور آخر يُشبه الأول إلى حدِّ كبير، فلم تُعدَّ متأكِّدةً. الطريق المحفَّر ينعطِف ويلتوي، والأشجار البنيَّة الجرداء تبدو مختلفةً عن الخضراء التي تذكَّرها. هل تجاوزت البُقعة التي انتزعَ فيها السير چايمي سيف ابن عمِّته من غِمدِه؟ أين الغابة التي تقاُتلا فيها؟ والغدير الذي خاضا في مياهه وتقاُرع سيفاهما إلى أن لفتا انتباه رجال رفقة الشُّجعان إليهما؟ - «سيِّدتي، أيتها الفارس»، قال پودريك الذي يبدو أنه لا يَعرف أبدًا بِمَ يدعوها. «عَمَّ تبحثين؟».

الأشباح. «سور مررتُ به مرَّةً، ليس شيئًا ذا بال». آنذاك كان السير چايمي لا يزال يملك كلتا يديه. لكم احتقرته باستهزائه وابتساماته. «الزم الهدوء يا پودريك. ربما ما زال هناك خارجون عن القانون في هذه الغابة».

تطلَّع الصَّبِي إلى الأشجار البنيَّة العارية والأوراق المبتلة والطَّريق الموحد أمامهما، وقال: «معي سيف طويل، أستطيعُ أن أقاتل».

ليس ببراعةٍ كافية. لا تشكُّ بريان في شجاعة الصَّبِي، وإنما في تدريبه فحسب، فربما يكون مُرافقًا -اسمًا على الأقل- لكن الرِّجال الذين رافقهم عادوا عليه بالضرر حقًا.

استخلصت بريان قصَّة الصَّبِي منه على فتراتٍ متقطَّعة وهما في الطَّريق من (وادي الغسق). إنه ينتمي إلى فرع أدنى من عائلة پاين، ذُرِّيَّة فقيرة يعود أصلها إلى أحد أبناء العائلة الأصغر، وقد أمضى أبوه حياته مُرافقًا لأبناء عمومتِه الأغنياء، وأنجب پودريك من ابنة صانع شموع تزوَّجها قبل أن يرحل لليموت في تمرُّد جراجيوي، وبعدها تخلَّت عنه أمه لأحد أبناء العمومة هؤلاء وهو في الرَّابعة من العُمُر، لتلاحق مطربًا متجوِّلاً وضعَ طفلًا آخر في بطنها. لا يذكُر پودريك شكلها.

أقرب ما عرفَ في حياته إلى أبٍ أو أمٍّ كان السير سدريك پاين، وإن بدا لبريان من روايته المتلعثمة أن الرِّجل كان يَعْمَل پودريك كخادمٍ أكثر من ابن. حين استدعت (كاسترلي روك) راياتها أخذَه الفارس معه ليعتني بحصانه ويُنظِّف دِرْعَه، ثم قُتِل السير سدريك في أراضي النُّهر بينما يُحارب في جيش اللورد تاويين.

بعيدًا عن الدِّيَار ووحيدًا ومفلسًا، ألحق الصَّبِي نفسه بخدمة فارسٍ متجوِّل بدين اسمه السير لوريمر الكرَش، كان جزءًا من فرقة اللورد ليفورد المكلفة بحماية قافلة المؤن، وقد أحبَّ السير لوريمر أن يُرَدِّد أن الصَّبِيَّة الذين يحرسون الأطعمة

يأكلون أفضل من غيرهم دومًا، إلى أن ضبطوه ومعه فخذ خنزير مملحة يسرقها من مخازن اللورد تايوين الخاصة، فاختار تايوين لانستر أن يشنقه كدرس للصوص الآخرين. كان بودريك قد شاركه اللحم ولربما شاركه المشنقة كذلك، لكن اسمه أنقذه وتولّى السير كيثان لانستر مسؤوليته، وبعد فترة أرسله يعمل مُرافقًا لتيريون ابن أخيه.

السير سدريك علّم بودريك أن يسوس الخيول ويتفقد حدودها بحثًا عن الحجارة، والسير لوريمر علّمه السرقة، لكن كليهما لم يُدرّبه على المبارزة إلا قليلًا، أمّا العِفريت فعلى الأقل أرسله إلى قِيَم سلاح (القلعة الحمراء) حين ذهب إلى البلاط، إلّا أن السير أرون سانتاجار كان بين القتلى خلال فِتنة الخُبز، وبهذا كانت نهاية تدريب بودريك.

قطّعت بريان سيفين خشبيين من الغصون السّاقطة كي تُقيّم مهارات بودريك، وسرّها أن تُدرك أن الصّبي سريع اليد على الرغم من بُطء كلامه، لكنه على الرغم من إقدامه وانتباهه ما زال ناحلًا ناقص التّغذية، وليس قويًا كفايةً على الإطلاق. إذا كان قد نجا حقًا من معركة (النّهر الأسود) كما يدّعي، فالسبب الوحيد أن أحدًا لم يحسب أن لقتله قيمة. قالت له: «ربما تدعو نفسك بالمرافق، لكنني رأيتُ وُصفاءً في نصف سيّك يُمكنهم أن يضربوك حتى تسيل دماؤك. إذا بقيت معي ستخلد إلى النّوم بقروح على يدك وكدماتٍ على ذراعك كلّ ليلة تقريبًا، وسيكون الألم في جسدك الّمتخشّب بالغًا حتى إنك بالكاد ستنام. لست تُريد ذلك».

ردّ الصّبي بإصرار: «بل أريده، أريدُ ذلك، الكدمات والقروح. أعني أنني لا أريدها، لكنني أريدها أيتها الفارس، يا سيّديتي».

حتى الآن والصّبي موفٍ بكلمته، وكذا بريان. لم يشتك بودريك البتّة، وكلّما ظهر قرح جديد على يد سيفه أحسّ بالحاجة إلى أن يُريها إياه بفخر، ثم إنه يُحسّن العناية بحصانيهما أيضًا. قالت لنفسها مذكّرةً: إنه ليس مُرافقًا رغم ذلك، كما أنني لستُ فارسًا مهما ناداني بـ«أيتها الفارس». كانت لتصرفه لولا أن لا مكان يذهب إليه، وبالإضافة إلى هذا، ومع أن بودريك قال إنه يجهل أين ذهبت سانزا ستارك، فربما يعلم أكثر مما يظن، وربما يَكْمُن مفتاح مهمّة بريان في ملاحظة عابرة شبه منسيّة.

قال بودريك مشيرًا: «أيتها الفارس، سيّديتي، هناك عربة أمامنا».

رأتها بريان، عربة خشبيّة يجرّها عادةً ثور، لديها عجلتان وجوانب مرتفعة، لكن بدلًا من الثور يكـدح رجل وامرأة على مقوديها ويسحبانها وسبط الحُفـر في اتّجاه (بركة العذارى). مُزارعان كما يدك منظرهما. قالت للصّبي: «تجرّك ببطء. قد يحسباننا من الخارجين عن القانون. تفوّه بما هو ضروري فقط وتكلّم بدماثة».

- «سأفعلُ أيها الفارس، سأكون دمثًا يا سيّدتِي». يبدو الصّبي أقرب إلى السّرور بفكرة أن يحسبه أحدهم خارجًا عن القانون.

راقبهم المزارع أن يحذرهم يخبّان بحصّانيهما مقتربين، لكنّ بمجرّد أن أوضحت بريّ أنهما لا ينويّان إيذاءهما تركّها تركب إلى جوارهم، وبينما يشقون طريقهم وسط الحقول المختنقة بالحشائش وبحيرات الطمي اللين والأشجار المحروقة المسوّدة قال لها الرّجل العجوز بوجه محتقن من مجهود جرّ العربة: «كان لدينا ثور لكن الذّئاب سرقوه، وخطفوا ابنتنا أيضًا وفعلوا بها ما فعلوه، لكنها عادت بعد المعركة في (وادي الغسق)، أمّا الثّور فلم يعد. اعتقد أن الذّئاب أكلوه».

لم تُضف المرأة شيئًا إلى كلامه. إنَّها تصّغره بنحو عشرين عامًا، ومع أنّها لم تقل شيئًا لبريّان فقد تطلّعت إليها بالطريقة نفسها التي كانت لتحجّج بها عجلاً برأسين. رأت عذراء (تارث) نظراتٍ مشابهة من قبل، ولئن عاملتها الليدي ستارك بعطفٍ فإن معظم النّساء يتّسمن بالقسوة نفسها كالرّجال. لا تدري من تُؤلّمها نظراتهن أكثر؛ الفتيات الحسناوات بالسنّتهن اللّاذعة كالذبّابير وضحكاتهن الجافّة، أم الليديّات ذوات الأعين الباردة اللاتي يُوارين ازدراءهن تحت قناع من الكياسة... ونسوة العوام أسوأ من كلا النوعين أحيانًا. قالت: «(بركة العذاري) كانت خرابًا عندما رأيتهما آخر مرّة، البوابة محطّمة ونصف البلدة محترق».

- «أعادوا بناءها نوعًا. تارلي هذا رجل قاس، لكنه لورد أشجع من موتون. ما زال في الغابة خارجون عن القانون، لكن ليس بالأعداد نفسها كما من قبل. تارلي قبض على أسوأهم وضرب أعناقهم بسيفه الكبير إياه»، ودور الرّجل رأسه وبصق، ثم أضاف: «ألم تريا خارجين عن القانون على الطريق؟».

- «إطلاقًا». ليس هذه المرّة. كلّما ابتعدا عن (وادي الغسق) خلا الطريق أكثر، والمُسافرون الوحيدون الذين لمحاهم ذابوا في الغابة قبل أن يبلغاهم، باستثناء سيّتون ملتج كبير الجسد قابلاه يمشي جنوبًا مع نحو أربعين من الأتباع متقرّحي الأقدام. الخانات التي مرّا بها كانت منهوبة مهجورة أو حوّلت إلى مخيمات مسلّحة، والبارحة قاتلوا إحدى دوريات اللورد الحافلة بحاملي النّشاب والرمح، وقد أحاط بهما الخيالة فيمّا استجوب قائدهم بريّان، لكنّه تركّهما يمضيان في سبيلهما في النهاية، وقال لها: «عليّ بالاحتراس يا امرأة. ربّما لا يكون الرّجال الذين تُقابلينهم بعَدنا آمناء كفتيتي. لقد عبّر كلّ ب الصّيّد (الثالوث) بمئة من المجرمين، ويُقال إنهم يغتصبون كلّ أنثى في طريقهم ويقطعون أثداءهن ويأخذونها غنائم».

أَحْسَتِ بَرِيَانُ أَنَّ وَاجِبَهَا أَنْ تَنْقُلَ التَّحْذِيرَ إِلَى الْمُزَارِعِ وَزَوْجَتِهِ، وَأَوْمَأَ الرَّجُلُ بِرَأْسِهِ بَيْنَمَا أَخْبَرَتْهُ، لَكِنْ حِينَ فَرَعَتْ بَصَقَ ثَانِيَةً، وَقَالَ: «الْكَلَابُ وَالذِّئَابُ وَالْأَسُودُ، فَلْيَأْخُذْهُمْ (الْآخَرُونَ) جَمِيعًا. لَنْ يَجْرُو هَؤُلَاءِ الْمَجْرُمُونَ عَلَى الْاقْتِرَابِ مِنْ (بِرْكَةِ الْعِذَارَى) مَا دَامَ اللَّوردُ تَارِلِي الْحَاكِمَ هُنَاكَ».

تَعْرِفُ بَرِيَانُ اللَّوردَ رَانْدِلَ تَارِلِي مِنْذُ الْفَتْرَةِ الَّتِي قَضَتْهَا فِي جَيْشِ رَنْلِي، وَمَعَ أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ فِي نَفْسِهَا الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ تَحَبَّ الرَّجُلَ، فَلَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَنْسِيَ الدِّينَ الَّذِي عَلَيْهَا لَهُ أَيْضًا. إِذَا شَاءَتِ الْآلِهَةُ سَنَمُرُّ مِنْ (بِرْكَةِ الْعِذَارَى) قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ أَنِّي هُنَاكَ. قَالَتْ لِلْمُزَارِعِ: «الْبَلَدَةُ سَتُرَدُّ إِلَى اللَّوردِ مَوْتُونَ حَالِمًا يَنْتَهِي الْقِتَالُ. حَضْرَةُ اللَّوردِ تَلْقَى عَفْوًا مِنَ الْمَلِكِ».

رَدَّ الرَّجُلُ ضَاحِكًا: «عَفْوًا؟ عَمَّ؟ جُلُوسُهُ عَلَى مُؤَخَّرَتِهِ فِي قَلْعَتِهِ اللَّعِينَةِ؟ لَقَدْ أُرْسِلَ رَجُلًا إِلَى (رِيْفَرَرَن) لِلْقِتَالِ لَكِنْهُ لَمْ يَذْهَبْ بِنَفْسِهِ. الذِّئَابُ نَهَبُوا الْبَلَدَةَ، ثُمَّ الْأَسُودُ، ثُمَّ الْمَرْتَزَقَةُ، وَظَلَّ حَضْرَةُ اللَّوردِ وَرَاءَ أَسْوَارِهِ فِي أَمَانٍ. مَا كَانَ أَخُوهُ لِيَخْتَبِئَ هَكَذَا إِطْلَاقًا. الْسِيرُ مَا يَلْزُكَ كَانَ شَدِيدَ الْجَرَاةِ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ رُوبَرْتُ هَذَا».

مَزِيدٌ مِنَ الْأَشْبَاحِ. «إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ أُخْتِي، بِنْتِ جَمِيلَةٍ فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ. رُبَّمَا رَأَيْتَهَا».

- «لَمْ أَرِ بَنَاتًا جَمِيلَاتٍ أَوْ قَبِيحَاتٍ».

لَا أَحَدٌ رَأَاهَا. لَكِنْ عَلَيْهَا أَنْ تُوَاصِلَ السُّؤَالَ.

تَابَعَ الرَّجُلُ: «فَتَاةٌ مَوْتُونَ بِنْتٌ، حَتَّى الْإِضْجَاعُ عَلَى الْأَقْلِ. هَذَا الْبَيْضُ لِرَفَافِهَا إِلَى ابْنِ تَارِلِي. سَيَحْتَاجُ الطَّهَاءَةَ إِلَى بَيْضٍ لِلْكَعْكَ».

- «صَحِيحٌ». ابْنُ اللَّوردِ تَارِلِي، دِيكُونُ الصَّغِيرِ سَيَتَزَوَّجُ. حَاوَلْتُ أَنْ تَتَذَكَّرَ سِنِّيهِ، وَتَظُنُّ أَنَّهُ فِي الثَّامِنَةِ أَوْ الْعَاشِرَةِ. فِي السَّابِعَةِ خُطِبْتُ بَرِيَانُ إِلَى صَبِيٍّ يَكْبُرُهَا بِثَلَاثَ سِنْيَاتٍ، ابْنُ اللَّوردِ كَارُونُ الْأَصْغَرِ، وَكَانَ صَبِيًّا خَجُولًا لَهُ شَامَةٌ فَوْقَ شَفْتِهِ. مَرَّةً وَحِيدَةً التَّقِيَا، وَتِلْكَ الْمَرَّةُ كَانَتْ بِمُنَاسَبَةِ خُطْبَتِهِمَا، وَبَعْدَ عَامَيْنِ مَاتَ بَنُوبَةُ الْبَرْدِ نَفْسُهَا الَّتِي أَتَتْ عَلَى اللَّوردِ وَاللَّيْدِي كَارُونُ وَبَنَاتِهِمَا. لَوْ عَاشَ لَتَزَوَّجَا فِي غُضُونِ عَامٍ مِنْ إِزْهَارِهَا، وَلاَخْتَلَفَتْ حَيَاتُهَا كَلِيَّةً. مَا كَانَتْ لِتُصْبِحَ هُنَا الْآنَ، تَرْتَدِي دُرُوعَ الرِّجَالِ وَتَحْمِلُ سَيْفًا وَتُلَاحِقُ طِفْلَةَ أَمْرَأَةٍ مَيِّتَةٍ، وَإِنَّمَا لَكَانَتْ غَالِبًا فِي (التَّغْرِيدَةِ)، تَلْفُ طِفْلَتَهَا هِيَ بِالْقِمَاطِ وَتُرْضِعُ طِفْلًا آخَرَ. لَيْسَتْ هَذِهِ بِالْفِكْرَةِ الْجَدِيدَةِ عَلَى بَرِيَانٍ، وَدَائِمًا مَا تُشْعِرُهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْحُزَنِ، لَكِنْهَا تَبْتُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الرَّاحَةِ أَيْضًا.

كَانَتْ الشَّمْسُ شَبِهُ مَخْتَبِئَةٍ خَلْفَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ السُّحُبِ حِينَ خَرَجُوا مِنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ الْمُتَفَجِّمَةِ لِيُبْصِرُوا (بِرْكَةَ الْعِذَارَى) أَمَامَهُمْ، وَقَدْ لَاحَتْ مِيَاهُ الْخَلِيجِ الْعَمِيقَةِ وَرَاءَهُ. رَأَتْ بَرِيَانُ عَلَى الْفُورِ أَنَّ بَوَابَ الْبَلَدَةِ قَدْ بُنِيَتْ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَادَ رُمَامَةُ النُّشَابِ يَمْشُونَ فَوْقَ الْأَسْوَارِ الْحَجَرِ الْيُورْدِيَّةِ. فَوْقَ

مبنى البوابة تُزفرف راية تومن الملكيّة، الوعل الأسود والأسد الذهبي المتواجهان على خلفيّة مقسومة إلى ذهبي وقرمزي، وعلى راياتٍ أخرى يظهر صياد تارلي، بينما لا ترتفع راية عائلة موتون ذات سمكة السلمون الحمراء إلا على قلعة فوق تلّها.

عند الشبّكة الحديدية وجدوا دستهً من الحرس المسلّحين بالمطارد⁴⁵، تشي شاراتهم بأنهم جنود في جيش اللورد تارلي، وإن لم يكن أحد منهم من رجاله. رأت قنطورين وصاعقة برقٍ وخنفساة زرقاء وسهمًا أخضر، ولكن ليس صياد (هورن هيل) طويل القدمين. على صدر رقيبهم طاووس بهت ذيله الزاهي من العُرصة الشّمس، ولمّا أوقف المزارعان عربتهما أطلق صغيرًا، وقال: «ما هذا؟ بيض؟»، والتقط واحدةً وألقاها في الهواء وتلقّفها، وأضاف بابتسامةٍ عريضة: «سناخذه».

صاحّ العجوز بحدة: «بيضا للورد موتون، لكعك الرّفاف وما إلى ذلك». قال الرّقيب: «اجعل دجاجاتك تبيض المزيد. إنني لم أكل بيضًا منذ نصف عام. هاك، كي لا تقل إنك لم تتلقَ ثمنًا»، وألقى حفنةً من البنسات عند قدمي العجوز.

نطقت الزّوجة للمرّة الأولى قائلةً: «هذا لا يكفي، لا يكفي إطلاقًا». ردّ الرّقيب: «أقولُ إنه كافٍ، مقابل البيض ومقابلك أيضًا. اتتوا بها يا أولاد، إنها صغيرة جدًا على هذا العجوز».

أسند حارسان مطرديهما إلى الجدار وسحبا المرأة بعيدًا عن العربة وهي تُقاوم، وشاهد المزارع بوجهٍ مربد لكنه لم يجرؤ على الحركة، أمّا بريان فهمزت فرسها متقدّمةً، وقالت: «أطلقا سراحها».

جعلت نبرتها الحارسين يتردّدان لحظةً تملّصت خلالها زوجة المزارع من قبضتيهما، وقال أحد الآخرين: «ليس هذا من شأنك. احفظي لسانك يا هذه». وبدلًا من هذا امتشقت بريان سيفها.

قال الرّقيب: «هكذا إذن، فولاذ مجرّد. يبدو أنني أشتم رائحة خارجة عن القانون. أتعرفين ما يفعله اللورد تارلي بالخارجين عن القانون؟». كان لا يزال ممسكًا بالبيضة التي أخذها من العربة، وانطبقت يده عليها ونزّ الصّغار من بين أصابعه. قالت بريان: «أعرفُ ما يفعله اللورد تارلي بالخارجين عن القانون، وأعرفُ ما يفعله بالمغتصبين أيضًا».

كأنت تأمل أن يُرهبهم الاسم، لكن الرّقيب اكتفى بنفض البيض عن أصابعه وأشار لرجالهِ بالانتشار لتجذب بريان نفسها محاصرةً بالرؤوس الفولاذ، وقال لها: «ماذا كنتِ تقولين يا هذه؟ ماذا يفعل اللورد تارلي بال...».

- «... بالمغتصبين»، قال صوت أعمق متمًا العبارة. «إنه يخصيهم أو يُرسلهم إلى (الجدار)، وأحيانًا هذا ثم ذاك. حضرته يقطع أصابع اللصوص أيضًا». خرج شاب متراخ من مبنى البوابة متمنطقًا بحزام سيف، وقد ارتدى فوق درعه الفولاذ معطףًا كان أبيض ذات يوم، وهنا وهناك لا يزال كذلك، لكن معظمه ملوث ببقع العشب والدِّماء الجافة، وعلى صدره رمز غزالٍ بِنِي ميت ومعلق من عودٍ خشبي.

هو. صوته بمثابة لكمّةٍ في بطنها، ووجهه كنصلٍ انغرسَ في أحشائها. قالت بجمود: «سير هایل».

قال السير هایل هَنت محدّرًا: «الأفضل أن تدعوها تمرُّ يا أولاد. هذه بريان المليحة، عذراء (تارث) التي قتلت الملك رنلي ونصف حرس قوس قزح. إنها شرسة بقدر ما هي قبيحة، وليس هناك من هو أقبح منها... ربما باستثناءك أنت يا وعاء البول، لكن أباك كان يُشبهه دُبر ثورٍ برّي، فلك عُذر مقبول، أمّا هي فأبوها نجم المساء سيّد (تارث)».

ضحك الحُرّاس، لكنهم أراحوا مطاردتهم، وسأل الرّقيب: «ألا يجب أن نقبض عليها أيها الفارس؟ لقتلها رنلي؟».

- «لم-أذا؟ رنلي-إن متمرّدًا، تمامًا كما-كنّا-جمعيًّا متمرّدين عن-آخرنا، لكننا-فتية-تومن الأوفياء الآن»، وأشار الفارس للمُزارعين بالمرور من البوابة قائلاً لهما: «سيُسرّ وكيل حضرة اللورد لرؤية هذا البيض. ستجدانه في السوق».

دَقَّ العجوز بمفاصل أصابعه على جبهته، وقال: «أشكر يا سيّدي. واضح تمامًا أنك فارس حقيقي. هيا يا زوجتي»، وعاد الاثنان يدفعان بأكتافهما العربة التي مرّت مقعقةً من البوابة.

دخلت بريان وراءهما وفي أعقابها پودري-ك، وفكّرت عابسةً: فارس حقيقي. جذبت عنان الفرس داخل البلدة، وإلى يسارها رأت أنقاض اس-طبل تطلُّ على زُقاقٍ موحدٍ تقف قبالتها في شرفة ماخور ثلاث عاهرات شبه عاريات يتهاَمسن، وتُشبه إحداهن نوعًا تابعة معسكراتٍ ذهبت إلى بريان في مرّةٍ لتسألها إن كان ما بين ساقها أيرًا أم فرجًا.

قال السير هایل مشيرًا إلى حصان پودري-ك: «أظن أن هذا أقبح حصانٍ رأيته على الإطلاق. يُدهشني أنك لم تركبي-ه يا-س-يّدتي. هل تنوين أن تش-كّريني على مساعدتي؟».

وثبت بريان من فوق قُرسها لتقف أمام السير هایل الذي تفوقه طولًا برأسٍ كامل، وردّت: «ذات يومٍ سأشكرك في التحامٍ جماعي أيها الفارس».

سألها هایل ضاحكًا: «كما-ش-كّرت رونيت الأحمر؟». ضحكته عميقة رنانة على الرغم من وجهه الذي لا يُميّزه شيء، وجهه

حسبته صَادِقًا يَوْمًا قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمِ الْحَقِيقَةَ. لَهُ شَعْرٌ بَيِّنٌ أَشْعَثَ
وعَيْنَانِ بِلَوْنِ الْبُنْدُقِ وَنَدْبَةٌ صَغِيرَةٌ عِنْدَ أُذُنِهِ الْيُسْرَى، وَذَقْنُهُ مَشْقُوقٌ وَأَنْفُهُ
مَعُوجٌ، لَكِنْ ضَحِكَاتُهُ قَوِيَّةٌ وَمَتَكَرِّرَةٌ.
- «أَلَا يُفْتَرَضُ أَنْ تُرَاقِبَ الْبَوَّابَةَ؟».

قَالَ بَامْتِعَاضٍ: «أَلَنْ أَيْنَ عَمِّي خَرَجَ يُطَارِدُ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ. لَا شَكَّ أَنْ
سَيَعُودُ بِرَأْسِ كَلْبِ الصَّيْدِ وَقَدْ كَلَّلَ نَفْسَهُ بِالزَّهْوِ وَالْمَجْدِ. أَمَّا أَنَا فَمَبْتَلَى بِحِرَاسَةِ
هَذِهِ الْبَوَّابَةِ بِسَبَبِكَ. أَمَلٌ أَنْ تَكُونِي مَسْرُورَةً يَا جَمِيلَتِي. عَمَّ تَبْحَثِينَ؟».

- «اسْطَبِلْ».

- «هَنَّاكَ عِنْدَ الْبَوَّابَةِ الشَّرْقِيَّةِ. هَذَا احْتَرَقَ».

أَرَى هَذَا. قَالَتْ: «مَا قَلْتَهُ لِهَؤُلَاءِ الرِّجَالِ... كُنْتُ مَعَ الْمَلِكِ رَنَلِي حِينَ مَاتَ فَعَلًّا،
لَكِنْ شَعُودَةً مَا هِيَ الَّتِي قَتَلْتَهُ أَيُّهَا الْفَارِسُ، أَقْسَمُ بِسَيْفِي»، وَوَضَعَتْ يَدَهَا
عَلَى الْمَقْبِضِ مَتَأَهِّبَةً لِلْقِتَالِ إِذَا نَعَتْهَا هَنَّتْ بِالْكَذِبِ فِي وَجْهِهَا.

- «نَعَمْ، وَفَارِسُ الزُّهُورِ هُوَ مَنْ فَتَكَ بِحَرَسِ قَوْسِ قَرْحٍ. رُبَّمَا كَانَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَهْزِمَنِي
السَّيْرَ إِمُونٌ فِي ظُرُوفٍ مَوَاتِيَّةٍ، فَقَدْ كَانَ مُحَارَبًا مَتَهَوِّرًا وَيَتَعَبُ بِسَهُولَةٍ. لَكِنْ
رَوَيْسٌ؟ لَا. السَّيْرُ رَوْبَارٌ كَانَ مُبَارَزًا أَبْرَعَ مِنْكَ مَرَّتَيْنِ... مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ مُبَارَزًا، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ؟ هَلْ لِكَلِمَةِ «مُبَارَزَةٌ» وَجُودٌ؟ تُرَى مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى (بِرْكَةِ الْعِذَارَى)؟».

كَادَتْ تَقُولُ: أَبْحَثُ عَنْ أُخْتِي، بِنْتُ فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ، لَكِنْ السَّيْرُ هَائِلٌ يَعْلَمُ أَنَّهَا
بَلَا أُخَوَاتٍ، وَلِذَا قَالَتْ: «هَنَّاكَ رَجُلٌ أَبْحَثُ عَنْهُ، مَوْجُودٌ فِي مَكَانٍ اسْمُهُ (الْإِوْزَةُ
الْتَّنَةُ)».

قَالَ بَابْتِسَامَةٍ لَا تَخْلُو مِنْ قَسْوَةٍ: «حَسِبْتُ أَنَّ بَرِيَانَ الْمَلِيحَةِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى
الرِّجَالِ. (الْإِوْزَةُ الْتَّنَةُ)، اسْمٌ عَلَى مَسْمِي... الْجِزْءِ الْخَاصِّ بِالْتَّنَةِ عَلَى الْأَقْلِ.
الْحَانَةُ عِنْدَ الْمِينَاءِ، لَكِنَّكَ سَتَأْتِينَ مَعِي أَوَّلًا لِرُؤْيَةِ حَضْرَةِ اللُّورْدِ».

لَا تَخْشَى بَرِيَانَ السَّيْرِ هَائِلٌ، لَكِنَّهُ أَحَدُ قَادَةِ رَانْدَلِ تَارَلِي، وَبِصْفِيرٍ وَاحِدٍ مِنْ فَمِهِ
سَيَهْرَعُ مِئَةُ رَجُلٍ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ. هَكَذَا سَأَلَتْ: «هَلْ سَيُقَبِّضُ عَلَيَّ؟».

قَالَ: «لِمَاذَا؟ لِقَتْلِ رَنَلِي؟ مَنْ كَانَ رَنَلِي؟ لَقَدْ بَدَّلْنَا الْمُلُوكَ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، بَعْضُنَا
مَرَّتَيْنِ. لَا أَحَدٌ يَعْبَأُ، لَا أَحَدٌ يَتَذَكَّرُ»، وَوَضَعَ يَدَهُ بِخَفَّةٍ عَلَى ذِرَاعِهَا مُرَدِّفًا: «مَنْ هُنَا
إِذَا سَمَحْتَ».

انْتَزَعَتْ ذِرَاعَهَا قَائِلَةً: «لَكَ شُكْرِي إِذَا لَمْ تَلْمَسْنِي».

رَدَّ بَابْتِسَامَةً هَازِنَةً: «الشُّكْرُ أَخِيرًا».

حِينَمَا رَأَتْ (بِرْكَةَ الْعِذَارَى) آخِرَ مَرَّةٍ كَانَتْ الْبَلَدُ مَقْفِرَةً، مَكَانًا
كَثِيبًا شَوَارِعَهُ خَالِيَةٌ وَبُيُوتُهُ مُحْتَرَقَةٌ، لَكِنَّ الْآنَ تَعُجُّ الشُّوَارِعُ
بِالْخَنَازِيرِ وَالْأَطْفَالِ، وَأَكْثَرُ الْمَبَانِي الْمُحْتَرَقَةِ سُوِّيَ بِالْأَرْضِ، لِتَحُلَّ مَحَلَّ
بَعْضِهَا خَضِرَاوَاتٍ مَزْرُوعَةٍ وَمَحَلَّ غَيْرِهَا خِيَامُ التُّجَّارِ وَسُرَادِقَاتُ الْفُرْسَانِ. رَأَتْ

بريان منازل جديدة تُبنى، وخانًا حجريًا يرتفع مكان السَّابِق الخشبي، ووسطًا جديدًا من ألواح الأردواز فوق السَّيْت. في هواء الخريف البارد تردَّدت أصوات المطارق والمناشير، بينما حملَ الرِّجال الأخشاب في الشَّوارع ودفعَ عُمال المحاجر عرباتهم في الأزقة الموحلة، كثيرون منهم على صدورهم رمز الصَّيَّاد. قالت مندهشة: «الجنود يُعيدون بناء البلدة».

- «لا شكَّ أنهم يُفضِّلون أن يلعبوا النِّرد ويشربوا وينكحوا، لكن اللورد راندل يُؤمن بتكليف العاطلين بالعمل».

توقَّعت أن يأخذها إلى القلعة، لكن هَنت قادهما بدلًا من ذلك إلى الميناء المزدحم، حيث سرَّها أن ترى التِّجارة عادت إلى (بركة العذارى). في المرسى قادس وقاليون وكوج⁴⁶ له صاريتان، بالإضافة إلى عشرين تقريبًا من قوارب الصَّيد الصَّغيرة، وفي الخليج لاحَ المزيد من صيَّادي الأسماك. حَزَمَت بريان أمرها، وقالت لنفسها: إذا لم تُثمر زيارة (الإوزة التَّنَّة) شيئًا سأستقلُّ سفينة. (بلدة الثَّوارس) لا تَبْعُد كثيرًا، ومن هناك يُمكنها أن تشقَّ طريقها إلى (الوادي) بسهولة.

وجدوا اللورد تارلي في سوق السَّمك يُقيم العدل.

قُرب الماء منصَّة منصوبة يستطيع حضرة اللورد أن يَنظُر من فوقها إلى المتهَمين، وإلى يساره تمتدُّ مشنقة طويلة تكفي حبالها عشرين رجلًا، وقد تدلَّت منها أربع جُثث، إحداها تبدو جديدة في حين يقول منظر الثلاث الأخريات بوضوح إنها هنا منذ مُدَّة. كان غراب ينتزع قطعًا من لحم أحد الموتى المتهكِّك، بينما تشبَّتت الغريبان الأخرى حذرًا من أهل البلدة الذين احتشدوا على أمل أن يتفرَّجوا على أحدٍ يُشنق.

تقاسم اللورد راندل المنصَّة مع اللورد موتون، وهو رجل شاحب لحيم له مظهر لِن، يرتدي سُترة بيضاء وسراويل حمراء، ويُنْبِت معطفه المصنوع من فرو القاقوم إلى كتفه مشبك من الذهب الأحمر على شكل سُمكة سلْمون. أمَّا اللورد تارلي فارتدى الحلقات المعدنية والجِلْد المقوَّى بالزَّيت المغلّي وواقِي صِدْرٍ من الفولاذ الرَّمادي، ومن وراء كتفه اليُسرى برزَ مقبض السَّيف العظيم المسمَّى (آفة القلوب)، مفخرة عائلة تارلي.

كان مراهق في معطفٍ من الخيش وسُترة جلدِيَّة مَنسُخة يتكلَّم حين وصلوا، وسمَّعته بريان يقول: «لم أضُرَّ بأحدٍ يا سيِّدي. أخذتُ فقط ما تركه السيِّتونات عندما هربوا. إذا كان عليك أن تقطع إصبعي مقابل هذا فاقطعه».

ردَّ اللورد تارلي بنبرة صارمة: «العُرف إن يُقَطَّع لِصِّصٍ، لكن من يسرق من سيِّت يسرق من الآلهة»، والتفت إلى قائِد حرسه قائلاً: «سبعة أصابع، اترك الإبهامين».

رَدَّ اللَّصِ بُوْجِهَ امْتَقَعَ: «سبعة؟!». حين قبضَ عليه الحُرَّاس حاول أن يُقاوم وإنما بوهي كان أصابعه بُتِرَت بالفعل، وإذ شاهَدته بريان لم تستطع إلا أن تُفَكِّر في السير چايمي وكيف صرخَ عندما هوى أراخ زولو على يده.

التَّالِي كان خَبَّازًا مَثَمًّا بَغَشَّ طحينه بُنْشَارَة الخشب، فغَرَّمه اللورد راندل خمسة أيائل فضيَّة، ولمَّا أقسَمَ الخَبَّاز أنه لا يملك ذلك المبلغ من الفضة قضى حضرة اللورد أن يُجْلَدَ بِدَلَا مِنْ كَلِّ أَيْلٍ يَنْقُصُهُ. بَعْدَهُ حَانَ دور عَاهِرَة مَهْزُولَة الجسد سَـقيمة الملامح مَثَمَّة بِأَصَابَة أَرْبَعَةٍ مِنْ جَنُود تَارْلِي بِالْجُدْرِي، فَقَالَ تَارْلِي أَمْرًا: «اغسلوا عورتها بصابون القَلِي وألقوا بها في ززانة».

بينما جَرَّ الجنود العَاهِرَة باكيَّةً أَبْصَرَ حضرة اللورد بريان على حافة الزَّحَامِ بَيْنَ يودريك والسير هــايل، وعَبَسَ فِي وَجْهِهَا لَكِنْ نَظَرَتْهُ لَمْ تُوحِ بِأَنَّهُ تَعَرَّفَهَا عَلَى الْإِطْلَاق.

تلا العَاهِرَة بَحَارَ مِنَ الْقَالِيُون، وَالْمَثَمِّم قَوَّاسَ مِنْ حَامِيَة اللورد موتون يده مضمَّدة وعلى صدره سمكة سلمون، وقد خاطَبَ تارلي قائلاً: «بَعْدَ إِذْنِ سَيِّدِي، هَذَا الْوَعْدُ غَرَسَ خَنْجَرَهُ فِي يَدِي، قَالَ إِنَّنِي كُنْتُ أَغْشُهُ فِي لَعَبِ التَّرْد».

أَشَاحَ اللورد تارلي بنظره عن بريان ليتطلَّعَ إِلَى الرَّجْلَيْنِ أَمَامَهُ، وَسَأَلَ: «وَهَلْ كُنْتَ تَغْشُ؟».

- «لَا يَا سَيِّدِي، لَا أَغْشُ أَبَدًا».

- «سَاقُطْعُ إِصْبَعًا جِزَاءَ السَّرْقَةِ، لَكِنْ أَكْذِبْ عَلَيَّ وَسَاشْنَقْ. هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَطْلُبَ أَنْ أَرَى ذَلِكَ التَّرْد؟».

- «التَّرْد؟». نَظَرَ الْقَوَّاسُ إِلَى مَوْتُون، لَكِنْ حُضْرَة اللورد كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَى قَوَارِبِ الصَّيْدِ، فَابْتَلَعَ الرَّجُلُ لَعَابَهُ، وَقَالَ: «رَبْمَا أَكُونُ... ذَلِكَ التَّرْدُ يَجْلِبُ لِي الْحَظَّ، حَقًّا، لَكِنِّي...».

قَالَ تَارْلِي وَقَدْ سَمِعَ مَا يَكْفِي: «اقطعوا إصبعه الصَّغِيرَ. يُمَكِّنُهُ أَنْ يَخْتَارَ الْيَدَ. وَلَيُذَقَّ مَسَمَارَ فِي كَفِّ الْآخَرِ»، وَنَهَضَ مُرْدَقًا: «أَنْتَ هِينَا. خُذُوا الْبَقِيَّةَ إِلَى الزَّنَازِينِ».

سَاطَعَمَلُ مَعَهُمْ غَدًا»، وَالتَفَتَ مَشِيرًا إِلَى السِير هَايَلِ بِالتَّقَدُّمِ، فَتَقَدَّمتْ بَرِيَانُ بِدَوْرَهَا، وَقَالَتْ عِنْدَمَا وَقَفَتْ أَمَامَ اللورد راندل شاعرةً بِأَنَّهُا فِي الثَّامِنَةِ مِنَ الْعُمْرِ مِنْ جَدِيدٍ: «سَيِّدِي».

- «سَيِّدَتِي، إلامَ ندين بهذا... الشَّرَف؟».

أَجَابَتْ: «لَقَدْ أُرْسِلْتُ لِأَبْحَثَ عَنْ... عَنْ...»، وَتَرَدَّدَتْ بِاتْرَةً عِبَارَتَهَا.

- «كَيْفَ سَتَعُثِّرِينَ عَلَيْهِ إِذَا كُنْتَ لَا تَعْرِفِينَ اسْمَهُ؟ هَلْ قَتَلْتَ اللورد رنلي؟».

- «لَا».

وزنَ تارلي الكلمة. إنه يحكم عليّ كما حكمَ على أولئك الآخرين. أخيرًا قال: «لا، لكنك تركته يموت فقط».

لقد مات رنلي بين ذراعيها وأغرقتها دماؤه المسفوكة، وقد جفّلت بريان من الاتّهام، وقالت: «كانت شعودةً. إنني لم...».

قاطعها بصوتٍ استحالَ إلى سوط: «لم؟! بلى، لم يكن عليكِ قطُّ أن ترتدي الحلقات المعدنية أو تحملي سيفًا، لم يكن عليكِ قطُّ أن تبرحي دار أبيك. إننا في حربٍ وليس احتفالٌ حصاد. بحقِّ الآلهة كلّها حربيّ بي أن أشحنك في سفينةٍ إلى (تارث)».

خرجت نبرتها بناتيةً عاليةً في حين أرادت أن تكون صلبةً إذ قالت: «افعل ذلك وسيكون عليك أن تشرح أسبابك للعرش. يودريك، في جرابي ستجد رَقًا. اجلبه إلى حضرة اللورد».

تناولَ تارلي الرّسالة وبسطها عابسًا، وتحركت شفتاه وهو يقرأ، ثم قال: «عملًا يخصُّ الملك؟ عملًا من أيّ نوع؟».

اكذب عليّ وسأشنعك. «س-سانزا ستارك».

- «لو كانت ابنة ستارك هنا لعرفتُ. أراهن أنها هربت عائدةً إلى الشّمال على أمل أن تجد ملاذًا عند أحد حملة راية أبيها. خيرٌ لها أن تختار الرّجل الصّحيح».

سمعت بريان نفسها تقول باندفاع: «ربما تكون قد ذهبت إلى (الوادي)، إلى أخت أمّها».

رمقها اللورد راندل بازدراء، وقال: «الليدي لايسا ماتت، مغنيّ ما دفعها من فوق جبل. الإصبع الصّغير يسود (الوادي) الآن... لكنه وضع مؤقت. لوردات (الوادي) ليسوا رجالات يركعون لقردي مختال تخطى منزلته وبلا مـواهـب غـير عـدّ النـقـود»، وأعادَ إليها الرّسالة متابعًا: «اذهبـي حيث شئتـي وافعلـي ما تريـدين... لكـن عـنـدما تُغتصبين لا تتطلعي إليّ ناشدة العـدالة. ستكونين قد استحققت هذا بحماقتك»، ورمقَ السير هايل قائلاً: «وأنت أيها الفارس يُفترض أن تكون على بوابتك. لقد كلّفتك بالقيادة هناك، أليس كذلك؟». أجاب السير هايل: «بلى يا سيّدي، لكنني فكّرتُ أن...».

قاطعها اللورد تارلي: «إنك تُفكّر أكثر من اللازم»، وابتعدَ بخطواتٍ واسعة.

لايسا تلي ماتت. وقفت بريان تحت المشنقة وفي يدها الوثيقة الثّمينة، وقد تفرّق الجمهور وعادت الغربان تستأنف وليمتها. مغنيّ دفعها من فوق جبل. هل التهمت الغربان لحم أخت الليدي كاتلين أيضًا؟ قال ألسير هايل: «ذكرت (الإوزة النّتنة) يا سيّدتني. إذا أردت فيمكنني أن أريك...».

- «عُد إلى بوابتك».

لاحت على وجهه نظرة ضيقٍ عابرة. وجه لا يميّزه شيء، ليس وجهًا صادقًا. «إذا

كانت هذه رغبتك».

- «إنها كذلك».

قال: «كأنت مجرّد لعبة لتزجيّة الوقت، لم نقصد أذى»، وتردّد قبل أن يُصـيـف: «بـن مـات، قُـتِلَ في معركة (النّهر الأسـود)، وفـارو أيـضاً، وويـل الـلّـقـلـق، ومـارك مالندور أصيـب بجرحٍ كلفه نصف ذراعـه».

أرادت بريـان أن تقول: عظيم، عظيم، لقد اسـتـحقّ هـذا، غـير أنـها تـذكـرت مالـنـدور جـالساً أمام سُرّادقـه وعلى كتفـه قـردـه في بـذلة صـغيرة مـن الحلقـات المـعـدنيّة، وكلاهما يرسم علي وجهه تعبيراتٍ مضحكة. بمَ دعّتهم كاتلين ستارك ليلتها في (جسر العلقم)؟ فرسان الصّيف. والآن حلّ الخريف وها هم يتساقطون كأوراق الشّجر...

أدارت ظهرها للسير هایل هنت، وقالت: «هلمّ يا بودريك».

تبعها الصّبي قائداً حصانيهما، وتساءل: «هل سنبحت عن ذلك المكان؟ (الإوزة النّتنة)؟».

- «أنا سأبحثُ عنه. أنت ستذهب إلى الاسطبل عند البوّابة الشرقيّة. سلّ السّائس عن خانٍ نقضي فيه الليل».

قال بودريك: «حاضر أيتها الفارس، يا سيّدتى»، وبينما سارا حدّق إلى الأرض راكلاً الحجارة بين الحين والآخر، ثم إنّه سألها: «هل تعرفين مكان الإوزة؟ أعني (الإوزة النّتنة)».

- «لا».

- «قال إنه سيُرينا، ذلك الفارس، السير كايـل».

- «هايل».

- «هايل. ماذا فعل بك أيتها الفارس؟ أعني يا سيّدتى».

الصّبي متلعثم لكنه ليس غيباً. «في (هايجاردن)، عندما استدعى الملك رنلي راياته، لعبَ عدد من الرّجال بي لعبة. السير هایل أحدهم. كانت لعبة قاسية، مؤذية وتخلو من النّبل»، ثم توقفت بريان وقالت له: «البوّابة الشرقيّة من هنا. انتظرني هناك».

- «كما تقولين يا سيّدتى، أيتها الفارس».

لا لافتة تُحدّد مكان (الإوزة النّتنة)، فاستغرقت نحو ساعةٍ حتى وجدت الحانة عند قاعدة سلالـم خشبيّة تحت زريبة قصّاب لحم جيف. كان القبو معتماً وسقفـه واطئاً، واختبأ رأس بريان في إحدى عوارضه وهي تدخّل. لم تر أيّ إوزٍ في المكان، وقد تناثرت بضعة مقاعد هنا وهناك، ووُضعت دكة عند حائط طيني، ورُصّت موائد هي براميل نبذ قديمة رماديّة نخر بها الدّود. اشتمّت بريان النّتانة

الموعودة المتغلغلة في كل شيء، معظمها نبيذ ورطوبة وعفن فطري، لكن فيها شيئاً من رائحة المراحيص أيضاً، والقليل من رائحة القبور.

الشَّاربون الوحي-دون في المك-ان ثلاثة ب-حارة تايروش-يُون يُخ-اطب بعض-هم بع-ضاً بلغت-هم الخش-نة من وراء لح-اهم الخض-راء والأرجوان-يَّة، وقد تَقَّص-وها بأعْيُن-هم باقتضابٍ وقال أحدهم شيئاً أضحك الآخرين. كانت مالكة الحانة واقفة وراء لوح من الخشب مرفوع على برميلين، امرأة شاحبة مستديرة الجسد ويزحف الصَّلَع على رأسها، ولها نهذان ضخمان متهدَّلان يتأرجحان تحت منزرٍ متَّسخ، وإجمالاً تبدو كأن الآلهة خلقتها من عجيين نيين.

لم تجرؤ بريان على طلب الماء هنا، وبدلاً منه طلبت كوباً من التَّبيذ، وقالت: «أبحث عن رجل اسمه ديك الرِّشيق».

أجابَت المرأة: «ديك كراب، يأتي كل ليلة تقريباً»، ورمقت قميص بريان المعدني وسيفها مضيفة: «إذا كنت تنوين قتله فافعلي ذلك في مكانٍ آخر. لا تُريد متاعب مع اللورد تارلي».

ردَّت: «أريد أن أتكلَّم معه. لماذا أؤذيه؟». هزَّت المرأة كتفها بلا جواب، فقالت لها بريان: «إذا أشرت عليه عندما يأتي سأكون شاكراً».

- «شاكراً لأيِّ درجة؟».

وضعت بريان نجمة نحاسية على اللوح الخشبي بينهما، ثم وجدت مكاناً وسط الظلال ترى منه السَّلام بوضوح.

جرَّبت التَّبيذ. له مذاق زيتي على اللِّسان، وفي الكوب وجدت شعرة طافيةً فكرت وهي تُزيلها: شعرة ضئيلة كأملِي في العثور على سانزا. لقد طارَدَت السير دونتوس بلا طائل، وبموت الليدي لايسا لم يَعُد (الوادي) ملاذاً محتملاً. أين أنت يا ليدي سانزا؟ هل فررتِ إلى دياركِ في (وينترفل) أم أنكِ مع زوجكِ كما يحسب پودريك؟ لا تُريد بريان أن تُلَاحِق الفتاة عبر (البحر الضيق) حيث اللغة نفسها غريبة عليها. سأبدو كالمسوخ أكثر فأكثر هناك وأنا أزمجرُ وأشيرُ كي يفهمونني. سيضحكون مني كما ضحكوا في (هايجاردن).

زحفت الحُمرة على وجنتيها إذ تذكَّرت.

حين نَوَّج رنلي نفسه ركبت عذراء (تارث) قاطعة (المرعى) كلَّه لتنضمَّ إليه، واستقبلها الملك بكياسةٍ ورَّحِب بها في خدمته، ولكن ليس لورداته وفُرسانه. لم تكن بريان تتوقَّع استقبالا حاراً، وهَيَّات نفسها للبرودة والسُّخرية والعُدوانية، فكلُّ هذا ألغته من قبلها. ليس تهكم الكثرة ما يُحَيِّرُها ويجرحها، وإنما لطف القِلَّة، ذلك أن عذراء (تارث) خُطبت ثلاث مرَّات، إلَّا أن أحداً لم يُغازِلها قط حتى ذهبت إلى (هايجاردن).

أولهم كان بن بوشي الكبير، أحد الرجال القلائل في معسكر رنلي الذين يتجاوزونها طولاً، وقد أرسل إليها مُرافقه لِيُنْظِفَ درعها وأهدى إليها قرن شرابٍ فضيًّا، لكن السير إدموند أمبروز تفوَّق عليه بدرجةٍ إذ جلبَ لها زهورًا وسألها أن تركب معه، أمّا السير هایل هَنت فغلبَ الاثنين وأعطاهما كتابًا زاحراً بالرُّسوم الجميلة وعشرات الحكايات عن بسالة الفُرسان، وأحضرَ تقاحًا وجزرًا لأحصنتها وريشةً حريزيَّةً زرقاء لخوذتها، وأخبرها بما يدور في المعسكر من نَمِمةٍ وألقى تعليقاتٍ ذكيَّةٍ لاذعة جعلتها تبتسم، بل وتدرَّب معها أيضًا ذات يوم، وهو ما عنى لها أكثر من سائر ما فعله.

ظنَّت أن بسببه بدأ الآخرون يُعاملونها بكياسةٍ بدورهم. بأكثر من الكياسة. علي المائدة تشاجرَ الرجال على مكانٍ إلى جوارها عارضين أن يملأوا كأسها أو يُناولوها الكعك، وعزفَ السير ريتشارد فارو أغاني الحُبِّ على عوده خارج سُرادقها، وجلبَ لها السير هيو بيزبوري جرَّةً من العسل «الخُلُو كعذراوات (تارث)»، وأضحكها السير مارك مالندور بطرائف قرده الصَّغير الذي أتى بلونه الأبيض والأسود من (جُزر الصَّيف)، وعرضَ فارس متجوِّل اسمه ويل اللقلق أن يَدْلِكَ كتفها ليبسط عضلاتهما المشدودة.

ورفضته بريان، رفضتهم جميعًا. عندما أمسكها السير أوين إنشفيلد ذات ليلةٍ وقبلها رَغْمًا عنها أسقطته على مؤخرته في بؤرة نار، وبعدها تطلَّعت إلى نفسها في المرأة، فرأت وجهها عريضًا منمَّشًا كبير الأسنان كما كان دومًا، وشفتيها كبيرتين وفكَّها سميكا. يا للقبح. لم تكن تُريد إلا أن تُصيح فارسًا وتخدم الملك رنلي، لكن الآن...

لم تكن المرأة الوحيدة هنالك. حتى تالعات المعسكرات كن أجمل من هنا، وفي القلعة اعتاد اللورد تايرل أن يُقيم مأدبةً للملك رنلي كلَّ ليلةٍ فيما ترُقِّص الفتيات عالياً المقام والليدييات الحسان على أنغام المزممار والبوق والقيثار. متى ألقى عليها فارس غريب مجاملةً ما أرادت أن تصرَّخ فيهِ: لماذا تُعَامِلني بلطف؟! ماذا تُريد؟!

وحلَّ راندل تارلي اللُّغز يوم أرسل اثنين من جنوده لاستدعائها إلى سُرادقه، حيث قال لها إن ابنه الصَّغير سيكون سمعَ أربعة فُرسانٍ يضحكون وهم يضعون على خيولهم سروجها، وأخبر أباه بما قالوه.

كانوا متراهنين عليها.

أخبرها بأن ثلاثة من الفُرسان الشَّباب بدأوا الرِّهان، أمبروز وبوشي، بالإضافة إلى هایل هَنت الذي ينتمي إلى حرس أهل بيته، لكن إذ انتشر الخبر في المعسكر انضمَّ آخرون إلى اللعبة. كان على كلِّ رجل يرغب في الانضمام إلى المسابقة أن يدفع تَينًا ذهبيًّا، على أن يجني المبلغ الإجمالي مَن يفض

بِكَارْتِهَا.

قال لها تارلي: «لقد وضعتُ نهايةً للعبتهم. بعض هؤلاء ال... المتنافسين... بعضهم أقلُّ شرفاً من غيرهم، والرَّهانات كانت تتزايد كلَّ يوم. كانت مسألة وقتٍ فقط قبل أن يُقَرَّر أحدهم أن ينال غنيمته بالإكراه».

قالت مذهولة: «إنهم فُرسان، فُرسان منصَّبون».

- «ورجال شُرفاء. أنتِ الملوثة».

ردَّت وقد أجفلها الاتِّهام: «إنني لم... سيّدي، أنا لم أفعل شيئاً لأشجّعهم».

- «وجودكِ هنا شجّعهم. إذا تصرّفت امرأةٌ كتابعةٍ معسكرات فلا يُمكنها أن تحتجَّ على معاملتها كواحدة. الجيش ليس مكاناً للفتيات. إذا كنتِ تحترمين عَقَّتِكِ أو شُرف عائلتكِ على الإطلاق فاخلعي هذه الدِّرع وارجعي إلى دياركِ وتوسّلي إلى أبيكِ أن يجد لكِ زوجاً».

قالت بإصرار: «جنّت لأقاتل، لأكون فارساً».

قال راندل تارلي: «الآلهة خلقت الرِّجال للقتال والنِّساء لحمل الأطفال. حرب المرأة في فراش الولادة».

رأت بري-ان أحدهم نازلاً السَّلالِم إلى القبو، فنَحَّت نبي-ذها جانباً بينما دخلَ رجلَ رَثَّ الملبس مهزول القوام مدبِّب الوجه له شعْر بنيّ متّسخ. ألقي على البَحَّارة التايروشييين نظرةً سريعةً وعلى بريان نظرةً أكثر إمعاناً، ثم ذهبَ إلى المشرب، وقال: «نبيذ، ومن دون بول خيول، شُكراً».

نظرت المرأة إلى بريان وأومات برأسها، فنادت: «سأشتري لك النّبيذ مقابل كلمةٍ معكِ».

تفرّس الرّجل فيها بعينين حذرتين، ثم قال: «كلمة؟ أعرفُ كلمات كثيرة»، وجلسَ على الكرسي المقابل لها متابعاً: «أخبريني أيُّ كلمةٍ تُريد سيّدتني أن تسمعها وسيقولها ديك الرّشيق».

- «سمعتُ أنكِ خدعتِ مهرجاً».

لأن الرّجل الضّاوي يرتدي سُترةً باهتةً ممزّقةً ان تُرعت من على صدرها شارة لورد ما، وقد رشف من نبي-ذها مفكراً، قبل أن يقول: «ربما وربما لا. من يُريد أن يعرف؟».

أجابَت: «الملك روبرت»، ووضعت قطعةً فضيَّةً على البرميل بينهما، على أحد وجهيهما رأس روبرت وعلى الثاني رمز الوعل.

قال الرّجل: «حقاً؟»، والتقطَ العُملة ودورها، وأردف: «أحبُّ أن أرى ملكاً يرقُص،

هاي-نونني هاي-نونني هاي-نونني هو⁴⁷. ربما رأيتُ مهرجكِ هذا».

- «أكانت معه بنت؟».

أجابَ من فوره: «بنتان».

- «بنتان؟!». هل يُمكن أن تكون الثانية آريا؟ - «لم أرَ الحُلوتين الصَّغيرتين، لكنه أرادَ رحلةً لثلاثة».

- «رحلة إلى أين؟».

- «إلى البَرِّ الآخر من البحر على ما أذكر».

- «هل تذكُر شكله؟».

اختطفَ العُملة التي تدور على سطح المائدة وقد بدأت حركتها تتباطأ وجعلها تختفي مجيبًا: «مهرِّج، مهرِّج خائف».

- «خائف ممَّ؟».

هَزَّ كتفيه قائلاً: «لم يقل، لكن ديك الرّشيق يعرف رائحة الخوف. اعتادَ أن يأتي هنا كلّ ليلةٍ تقريبًا، يدعو البحّارة إلى الشّراب ويُلقِي النِّكات ويُغَنِّي. ثم في ليلةٍ جاءَ رجال على صدورهم الصّيّاد فشحبَ وجه مهرِّجك كالحليب وخرسَ حتى رحلوا»، ودنا منها أكثر مواصلاً: «تارلي هذا جنوده يجوبون الميناء مراقبين كلّ سفينةٍ آتية أو ذاهبة. مَنْ يُريد غزاًلاً يذهب إلى الغابة، ومَنْ يُريد سفينةً يذهب إلى الميناء. مهرِّجك لم يجرؤ، فعرضتُ عليه المساعدة».

- «مساعدَة من أيّ نوع؟».

- «النّوع الذي يُكَلِّف أكثر من قطعة فضّة واحدة».

- «أخبرني وسأعطيك أخرى».

قال: «لنرّها»، فوضعتَ عُملةً أخرى على البرميل، ليُدَوِّرها وبيتسم ويلتقطها مجيبًا: «مَنْ لا يستطيع الدّهاب إلى السُّفن يحتاج إلى أن تذهب السُّفن إليه. قلتُ له إنني أعرف مكانًا يُتاح فيه هذا، مكان خفي».

اقشعرَّ جلد بريان على ذراعيها، وقالت: «وكر مهرِّبين، أرسلت المهرِّج إلى مهرِّبين».

ردّ مقهقهاً: «هو والبنتان. المشكلة فقط أن المكان الذي أرسلته إليه لم تأتِه سفينة منذ فترة، نحو ثلاثين عامًا»، وحكَّ أنفه متسائلاً: «ما أهميّة هذا المهرِّج عندك؟».

- «هاتان البنتان أختاي».

- «حقاً؟ مسكينتان. كانت لي أخت ذات يوم، فتاة نحيلة برُكبتين ناتئتين، لكن بعد ذلك نما لها زوج من الأثداء ودخل ابن فارس بين ساقَيْها. آخر مرّة رأيتهَا كانت في طريقها إلى (كينجز لاندنج) لتكسب قوتها على طهرها».

- «أين أرسلتهم؟».

عادَ يهزُّ كتفيه قائلاً: «هذا لا أذكره».

دَقَّتْ بِرِيَانِ المائدة بِأَيْلٍ فَضَيَّ آخَرَ مَكْرَرَةً: «أَيْنَ؟». دَفَعَ العُملَةَ نَاحِيَتِهَا بِسَبَابَتِهِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ مَكَانٌ لَمْ يَدْخُلْهُ أَيْلٌ مِنْ قَبْلِ... لَكِنْ تَتَيْنَا يَسْتَطِيعُ».

أَدْرَكَتْ أَنَّ الفِضَّةَ لَنْ تَسْتَخْلَصَ مِنْهُ الحَقِيقَةُ. رُبِمَا يُفْلِحُ الذَّهَبُ، وَرُبِمَا لَا. الْفُولاذُ أَضْمَنَ. مَسَّتْ بِرِيَانِ خَنَجَرَهَا، لَكِنِهَا بَدَلًا مِنْ هَذَا دَسَّتْ يَدَهَا فِي صُرَّتِهَا وَالتَقَطَتْ تَتَيْنًا ذَهَبِيًّا وَضَعَتْهُ عَلَى الْبَرْمِيلِ، وَكَرَّرَتْ: «أَيْنَ؟».

اِخْتَطَفَ الرَّجُلُ الْأَشْعَثَ الْعُمْلَةَ وَعَضَّ عَلَى-هَا، ثُمَّ قَالَ: «جَمِ-لُ، يُذَكِّرُنِي بِ- (الرَّأْسِ الْمُتَصَدِّعِ)، شَيْ-مَالًا مِنْ هُنَا. إِنَّهَا بِرَارِي مَلِيئَةٌ بِ-الْثَّلَالِ وَالْمَس-تَنْفَعَاتِ، لَكِنْ-يَ وُلِدْتُ وَتَرَبَّيْتُ هُنَاكَ. اسْمِي دِيكَ كِرَابُ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ الْقَوْمِ يَدْعُونَنِي بِدِيكَ الرَّشِيقِ».

لَمْ تُجَاوِبْهُ بِاسْمِهَا، وَسَأَلَتْ: «أَيْنَ فِي (الرَّأْسِ الْمُتَصَدِّعِ)؟».

- «(قَلْعَةُ الْهَمْسِ). مُؤَكَّدٌ أَنَّكَ سَمِعْتَ عَنْ كَلَارَنْسِ كِرَابِ».

- «لَا».

قَالَ وَقَدْ لَاحَتَ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ: «السَّيْرُ كَلَارَنْسِ كِرَابِ كَمَا قُلْتُ. إِنْ دَمَهُ فِي عُرُوقِي. كَانَ يَبْلُغُ ثَمَانِيَةَ أَقْدَامٍ طَوِيلًا، وَقُوَّتُهُ هَائِلَةٌ لِدَرَجَةٍ أَنْ يَجْتَثَّ شَجَرَةَ صَنْوَبَرٍ مِنَ الْأَرْضِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ وَيُلْقِيهَا عَلَى بُعْدِ نِصْفِ مِيلٍ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حِصَانٌ يَحْتَمِلُ ثِقْلَهُ، فَامْتَطَى ثَوْرًا بَرِيًّا».

- «مَا عِلَاقَتُهُ بِوَكْرِ الْمَهْرَبِينَ؟».

- «زَوْجَتُهُ كَانَتْ سَاحِرَةً غَابَةً. كَلَّمَا قَتَلَ السَّيْرُ كَلَارَنْسَ رَجُلًا أَخَذَ رَأْسَهُ مَعَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ، فَتَقَبَّلَ الرَّأْسَ عَلَى الشَّفَتَيْنِ وَتُعِيْدَهُ إِلَى الْحَيَاةِ. كَانَتْ رُؤُوسَ لِبُورَدَاتٍ وَسِحْرَةٍ وَفُرْسَانٍ وَقِرَاصِنَةٍ مَشَاهِيرٍ، وَأَحَدُهَا كَانَ رَأْسَ مَلِكٍ (وَادِي الْغَسَقِ). تِلْكَ الرُّؤُوسُ أَسَدَتْ لِكِرَابِ نَصَائِحَ مَفِيدَةٍ، لَكِنْ لِأَنَّهَا رُؤُوسَ فَقَطْ فَلَمْ تَسْتَطِيعْ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَصْمُتْ لِحِظَةٍ. عِنْدَمَا يَكُونُ الْمَرْءُ رَأْسًا فَقَطْ فَالْكَلَامُ كُلُّ مَا لَدَيْهِ لِيَتَمُضِيَ الْوَقْتُ. هَكَذَا سُمِّيَتْ قَلْعَةُ كِرَابِ (قَلْعَةُ الْهَمْسِ)، وَمَا زَالَ هَذَا اسْمُهَا مَعَ أَنَّهَا خَرِبَتْ مِنْذُ أَلْفِ عَامٍ. مَكَانٌ مُوحِشٌ»، وَقَلَّبَ الرَّجُلُ الْعُمْلَةَ بِرِشَاقَةٍ عَلَى مِفَاصِلِ أَصَابِعِهِ مُرَدِّقًا: «تَتَيْنِ وَاحِدٌ تُصِيبُهُ الْوَحْدَةُ، أَمَّا عَشْرَةٌ تَنَانِينَ...».

- «عَشْرَةٌ تَنَانِينَ ثَرَوَةٌ. أَتَحْسِبُنِي بِلِهَاءٍ؟».

رَدَّ وَالْعُمْلَةُ تَتَرَاقَصُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ: «لَا، لَكِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُودَكَ إِلَى الْمَهْرَجِ، أَقُودَكَ إِلَى (قَلْعَةِ الْهَمْسِ) يَا سَيِّدَتِي».

لَمْ تَرُقْ بِرِيَانِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَتَلَاعَبُ بِهَا أَصَابِعُهُ بِالْعُمْلَةِ الذَّهَبِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ... «سِتَّةُ تَنَانِينَ إِذَا وَجَدْنَا أَخْتِي، اثْنَانِ إِذَا وَجَدْنَا الْمَهْرَجَ، وَلَا شَيْءَ إِذَا لَمْ نَجِدْ شَيْئًا».

هَزَّ كِرَابَ كَتْفِيهِ قَائِلًا: «لَا بَأْسَ بَسْتَّةَ، سِتَّةَ مَبْلَغٍ مَنَاسِبَ».

قَبْلَ بَسْرَعَةٍ بِالْغَةِ. أَطْبَقَتْ عَلَى مَعْصَمِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْسَ الْعُمْلَةَ فِي جَيْبِهِ، وَقَالَتْ: «إِيَّاكَ أَنْ تُحَاوِلَ خِدَاعِي. لَنْ تَجِدَنِي لُقْمَةً سَائِغَةً»، وَلَمَّا أَطْلَقَتْ سِرَاحَهُ فَرَكَ كِرَابَ مَعْصَمِهِ مَتَمَتَّمًا: «تَبًّا، أَلَمَتْ يَدِي».

- «آسَفُهُ لِهَذَا. أُخْتِي بِنْتُ فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ، وَيَجِبُ أَنْ أُعْثِرَ عَلَيْهَا قَبْلَ...».

- «... قَبْلَ أَنْ يَضَعَ فَارَسُ نَفْسِهِ فِي فَتْحَتِهَا. نَعَمْ، أَفْهَمَكِ. اْعْتَبِرِيهَا فِي عِدَادِ النَّاجِينَ. دِيكَ الرَّشِيقُ مَعَكِ الْآنَ. قَابِلِينِي أَمَامَ الْبَوَّابَةِ الشَّرْقِيَّةِ عِنْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ. هُنَاكَ رَجُلٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَاهُ بِخُصُوصِ حَصَانٍ».

سامويل

أصابَ البحر سامويل تارلي بغثيانٍ فظيع.

ليس السَّببُ بالكامل خوفه من الغرق، ولو أن جزءًا كبيرًا منه كذلك بالفعل، وإنما حركة السفينة أيضًا، الطريقة التي يتمايل بها السطح ويهتز تحت قدميه. يوم أبحروا من (القلعة الشرقيّة) اعترفَ لداريون قائلًا: «بطني يُصيبه الغثيان بسهولة»، فربّت المغنيّ على ظهره ورَدَّ: «مع بطني كبير كبطنك أيها القاتِل فهذا إفراط في الغثيان».

حاولَ سام أن يرسم على وجهه قناعًا من الشّجاعة، لأجل خاطر جيلي قبل كلّ شيء، فالفتاة لم ترَ بحرًا في حياتها قط. لمّا خاضا الثلوج بشيق الأنفُس بعد الهرب من (قلعة كراستر) صادفًا بُحيراتٍ عدّة في طريقهما، لكن حتى تلك البُحيرات كانت لها بمثابة أعجوبة. بينما ابتعدت (الطائر الأسود) عن اليابسة راحت الفتاة ترتجف وسالت قطرات الدُموع المالحة الكبيرة على وجنتيها، وسمّعها سام تهمس: «يا للآلهة». اختفت (القلعة الشرقيّة) أولًا، ثم أخذَ (الجدار) يتضاءل ويتضاءل حتى غابَ عن الأنظار تمامًا، وحينئذٍ كانت الرّيح قد بدأت تشتدّ. للقلوع لون رمادي باهت كمعطفٍ أسود غُسلَ مرارًا وتكرارًا، ووجه جيلي كان أبيض ممتقعًا من فرط الخوف، فقال لها سام مبتغيًا طمأننتها: «هذه سفينة قويّة، لا داعي للخوف»، غير أنها نظرت إليه فحسب وضمت رضيعها إليها أكثر وفرت إلى أسفل.

سرعان ما وجدَ سام نفسه يتشبّث بحافة السفينة ويُشاهد حركة المجاذيف الرّتيبة، فألقى التّطلع إلى الطريقة التي تتحرّك بها معًا جميلًا، بل وأفضل من النّظر إلى الماء. النّظر إلى الماء لا يجعله يُفكر إلا في الغرق. في صِغره جرّب السيّد والده أن يُعلّمه السّباحة بالقائه في البركة التي تطلُّ عليها (هورن هيل)، فدخلت المياه أنفه وفمه ورئتيه، ولازمه السعال والتّنفّس الممزوج بالصّفير طيلة ساعاتٍ بعد أن أخرجه السير هايل، ومنذ ذلك الحين لم يجسُر على النّزول في الماء على عمقٍ أعلى من خصره.

(خليج الفقّعات) أعمق من خصره كثيرًا، وليس ساكنًا كبركة الأسماك الصّغيرة عند قلعة أبيه، مياهه رماديّة وخضراء ومتقلّبة، والسّاحل المحرّج بالأشجار الذي يمضون بمحاذاته غابة من الصّخور والدّوّامات. حتى إذا استطاع بوسيلةٍ ما أن يقطع كلّ تلك المسافة رفسًا وزحًا فالأرجح أن الأمواج ستدفعه ليرتطم بحجرٍ ما ويهشّيم رأسه تهشيمًا.

قال داريون حين رأى سام واقفًا يتطلّع عبر الخليج: «هل تبحث عن عرائس البحر أيها القاتِل؟». بشعره الفاتح وعينيّه البندقيّتين يبدو المغنيّ الشاب الوسيم الآتي من (القلعة الشرقيّة) أقرب إلى أمير ظلامٍ من أخٍ أسود.

- «لا». لا يدري سام عمَّ يبحث أو ماذا يفعل على متن هذه السفينة. قال لنفسه: أنا ذاهب إلى (القلعة) لأكون سلسلةً وأصبح مايستر كي أخدم حرس الليل بشكل أفضل، لكن الفكرة أصابته بالضجر لا أكثر. إنه لا يريد أن يصبح مايستر يلف حول عنقه سلسلةً ثقيلةً حلقاتها باردة على جلده، لا يريد أن يتزك إخوته والأصدقاء الوحيدين الذين عرفهم طول حياته، وقطعاً لا يريد أن يواجه أباه الذي أرسله إلى (الجدار) ليموت.

الأمر مختلف مع الآخرين، فبالنسبة إليهم للرحلة نهاية سعيدة. جيلي ستكون آمنة في (هورن هيل)، وبينها وبين الأهوال التي خبرتها في (الغابة المسكونة) عرض (وستروس) بأكمله. باعتبارها خادمة في قلعة أبيه ستحظى بالدِّفء وحسن التغذية، ستكون جزءاً صغيراً من عالم رحب لم تحلم به قط وهي زوجة كراستر، وسترى ابنها ينمو كبيراً قوياً ويصير صياداً أو عامل اسطبل أو حدّاداً، وإذا أبدى الصبي جدارةً بحمل السلاح فربما يتّخذهُ فارس ما مُرافقاً كذلك.

والميس-تر إيمون ذاهب إلى أي مكان أفضل أي-ضاً، ومن ال-سار أن يُفكر س-ام في-ه إذ يقضي م-ا تب-قى ل-ه من عُمر يس-تمتع بنس-يم (البل-دة الق-ديمة) ال-دافي وبتن-اقش م-ع زملائه المايسترات وينقل حكمته إلى المُعاونين والمبتدئين. لقد استحقَّ الرجل راحته أضعافاً مضاعفةً.

حتى داريون سيكون أسعد. إنه يزعم دوماً أنه بريء من تُهمة الاغتصاب التي نجمَ عنها إرساله إلى (الجدار)، ويصرُّ على أن مكانه يُفترض أن يكون في بلاط أحد اللوردات ليُعَيِّن له على العشاء، والآن سينال تلك الفرصة وقد عيّنه چون مجنّداً ليحلَّ محلَّ رجل اسمه يورن اختفى وأصبح في عِداد الموتى. مهمّته أن يجوب (الممالك السبع) ويُعَيِّن عن بأس حرس الليل، وبين الحين والآخر يعود إلى (الجدار) بدفعةٍ جديدة من المجنّدين.

ستكون الرحلة طويلةً مضطربةً ولا أحد يُنكر ذلك، لكن على الأقل تنتظر الآخرين نهاية سعيدة، وهذا عزاء سام الذي قال لنفسه: إنني ذاهب من أجلهم، من أجل حرس الليل والنّهاية السعيدة. على أنه كلما تطلّع إلى البحر أكثر بدا أبرد وأعمق.

لكن عدم النّظر إلى الماء أسوأ وأسوأ، كما أدرك سام في القمرة الضيّقة التي يشترك فيها المُسافرون تحت السّلوقيّة⁴⁸ الخلفيّة. حاول أن ينادى بأفكاره عن الهياج في معدته بأن يُكلّم جيلي بينما تُرضع ابنها، فقال: «هذه السفينة ستأخذنا حتى (برافوس)، وهناك سنجد سفينةً أخرى ترحلنا إلى (البلدة القديمة). قرأتُ كتاباً عن (برافوس) في طفولتي. المدينة كلّها مبنية في هور على مئة جزيرةٍ صغيرة، وعندهم مارد هناك، رجل حجري طوله مئات الأقدام. إنهم يركبون القوارب بدلاً من الخيول، ويُقدّم ممثلوهم قصصاً مكتوبةً بدلاً من اختلاق المهازل السخيفة المعتادة. الطعام جيّد جداً أيضاً، خصوصاً الأسماك،

لأنهم يصطادون مختلف أنواع الحلزون والمحار وثناعبين الماء الطازجة من الهور. المفترض أن نقضي بضعة أيامٍ هناك بين الرحلتين، وإذا فعلنا فلنذهب لمشاهدة عرضٍ تمثيلي ونأكل المحار».

حسبَ أن ذلك سيثير حماسها، لكنه كان مخطئًا تمامًا، إذ حدّقت جيلي إليه بنظرة فاترة خاوية من بين خُصلات شعرها المتسخ، وقالت: «إذا أردت يا سيّدي».

سألها سام: «ماذا تريدان أنتِ؟».

ردّت: «لا شيء»، والتفتت عنه ونقلت ابنها من ثدي إلى الآخر.

كانت حركة السفينة تُقلّب ما في معدة سام من البيض واللحم المقدّد والخبز المحمّر الذي أكله قبل بداية الرحلة، وعلى حين غرةٍ لم يعد يستطيع البقاء في القمرة لحظةً أخرى، فدفع نفسه إلى القيام وتسلق السلم ليُعطي إفطاره للبحر. داهمه الغثيان بقوةٍ شديدة حتى إنه لم يتوقّف ليُعيّن اتجاه هبوب الريح، فتقيأ من الجانب الخطأ ولوّث نفسه بالقيء، وعلى الرغم من هذا أحسّ بتحسّنٍ كبير بعدها... ولكن ليس لفترةٍ طويلة.

(الطائر الأسود) أكبر قوادس الحرس الثلاثة. (غراب العواصف) و(البرثن) أسرع، كما أخبر كوتر پايك المايستر إيمون وهم في (القلعة الشرقيّة)، لكنهما سفينتان حربيتان، طائران كاسـران سـريغان رشـيقان يجلـس فيـهما المـلاحون على السطح المفتوح، أمّا (الطائر الأسود) فخيـار أفضل لميـاه (البحر الضيق) الـهائجة وراء (سكاجوس). قال لهم پايك محدّرًا: «ثمّة عواصف منذ فترة. عواصف الشّتاء أسوأ، لكن عواصف الخريف متكرّرة».

الأيام العشرة الأولى كانت هادئةً فيما مخّرت السفينة عباب (خليج الفقمت) دون أن تتعد عن منظر اليابسة إطلاقًا، ورغم أن الجوّ يبرّد عندما تهبّ الريح ففي رائحة الملح في الهواء شيء منشيطٍ منعش كذلك. بالكاد استطاع سام أن يأكل، وكلّما أرغم نفسه على ابتلاع شيءٍ لا يبقى في معدته طويلًا، لكنه لم يُعان كثيرًا بغضّ النظر عن هذا.

حاول أن يشـحذ هـمة جـيلي ويبـثّ فيـها ما يسـتطيع مـن ابتـهاج، إلّا أنّه وجـد المـهمة عسـيرة، فمـهما قال رفـضت أن تصـعد إلى السطح وفصلت أن تبقى قابعةً في الظلام مع ابنها. ويبدو أن الرضيع لا يروقه وجوده على السفينة أكثر من أمّه، فحين لا يصرخ يتقيأ اللبن الذي أرضعته إياه، بالإضافة إلى الإسهال الذي أصابه ليلوث الفرو الذي تلقه به جيلي لتدفئته ويملاً الهواء برائحة بنية كريهة، ولا يهم كم شمعةً معطرةً يُشعلها سام، فرائحة الخراء لا تزال باقية.

يطيب لسام أكثر أن يبقى بالأعلى في الهواء الطلق، بالذات عندما يُغني

داريون. يعرف ملاحو (الطائر الأسود) المطرب الذي تعود أن يُغني لهم بينما يُجذفون، كما أنه يعرف جميع أغانيهم المفضلة؛ منها الحزين كـ (يوم شنقوا روبن الأسود) و (مرثية عروس البحر) و (خريف عُمرى)، والحماسي كـ (الرماح الحديد) و (سبعة سيوف لسبعة أبناء)، والخليل كـ (عشاء سيدتي) و (زهرة ها الصغيرة) و (ماجيت كانت فتاة مرحّة، فتاة مرحّة كانت)، وحين يُغني (الجميل والذّب) ينضمُّ إليه الملاحون فيبدو كأن السفينة تطير على الماء طيرانًا. ليس داريون بالمبارز الماهر - كما يعلم سام منذ أيام تدريبهما تحت إمرة أليس ثورن - لكن له صوتًا جميلًا، «عسل مصبوب على رعد» على حدّ تعبير المايستر إيمون ذات مرّة. إنه يعزف على القيثارة الخشبية والكمنجة أيضًا، بل ويكتب أغانيه الخاصة... مع أن سام لا يحسبها جيّدة إلى هذا الحد. ومع ذلك فمن المستحبّ عند سام أن يجلس ويصغي، ولو أن الصندوق الذي يجلس عليه صلب كثير الشظايا، لدرجة أنه يكاد يشعر بالامتنان لسُمنة مؤخرته. البدين يحمل معه وسادة أينما ذهب.

يُفضّل المايستر إيمون أيّ ضًا أن يقضي النهار على السطح قابعًا تحت كومة من الفرو ويتطلّع إلى الماء، وذات يوم تساءل داريون قائلًا: «إلام ينظر؟ بالنسبة إليه الظلام هنا وبالأسفل في القمرة واحد».

سمعه العجوز. رغم أن عيني إيمون انطفأتا إلى الأبد فما زالت أذناه تعملان بكفاءة تامة، وقد قال لهما مذكّرًا: «إنني لم أولد أعمى. حين مررتُ من هذا الطريق آخر مرّة رأيتُ كلّ صخرة وشجرة وموجة، وشاهدتُ النوارس الرمادية تُحلّق في أعقابنا. كنتُ في الخامسة والثلاثين، وأصبحتُ مايستر مسلسلًا قبلها بستّة عشر عامًا. إجماع أن أعينه على الحكم، لكنني كنتُ أعرف أن مكاني هنّا. أرسلني شمالًا على متين (التيين الذهبي) وأصرّ على أن يصحبني صديقه السير دنكان إلى (القلعة الشرقية). لم يصل مجنّد إلى (الجدار) قطّ بتلك الأبهة منذ أرسلت نايميريا إلى حرس الليل ستّة ملوكٍ مقيدين بالأصفاد الذهبية. أفرغ إجماع الزنازين أيضًا كي لا أضطرّ إلى حلف اليمين بمفردي. سمّاهم حرس شرف، وأحدهم لم يكن أقلّ من بريندن ريفرز شخصيًا، الذي اختير فيما بعد ليكون حضرة القائد».

قال داريون: «غداً الدم؟ أعرف أغنية عنه، اسمها (ألف عين وعين). لكنني حسبتُ أنه عاش منذ مئة عام».

- «كلّنا عشنا منذ مئة عام. لقد كنتُ شابًا مثلك ذات يوم». بدا أن الفكرة أحزنته، وسعل وأغلق عينيه وغاب في النوم، وكلّما هزّت موجة ما السفينة تمايل تحت أغطيته.

تحت سماواتٍ رمادية أبجروا، شرقًا وجنوبًا ثم شرقًا من جديد فيما اتّسع (خليج الفقمات) من حولهم. الرّبّان أخ أشيب له بطن كبرميل المزر ويرتدي ثيابًا

مَنْسَخَةً لِلْغَايَةِ وَبَاهِتَةً لِدَرَجَةِ أَنْ أَفْرَادَ الطَّاقِمِ لَقَّبُوهُ بِذِي الْأَسْمَالِ الْمَالِحَةِ الْعُجُوزِ. نَادِرًا مَا يَنْبَسُ الرَّجُلُ بِنْتَ شِفَةِ، وَيَعْوِضُ نَائِبَهُ صَمْتَهُ بِتَلَوِيثِ الْهَوَاءِ بِالسَّيَّابِ وَاللَّعْنَاتِ مَتَى سَكَنَتِ الرِّيَّاحُ أَوْ تَلَكَّاءَ الْمَلَّاحُونَ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُونَ ثَرِيدَ الشُّوْفَانِ، وَبَعْدَ الظَّهْرِ ثَرِيدَ الْبَازِلَاءِ، وَلِيلاً اللَّحْمَ الْبَقْرِيَّ الْمَمْلُوحَ وَلَحْمَ الصَّانِ الْمَمْلُوحَ وَسَمَكَ الْقُدِّ الْمَمْلُوحَ، وَيَشْرَبُونَ مَعَ وَجِبَتِهِمُ الْقَلِيلَ مِنَ الْمِزْرِ.

يُغَنِّي دَارِيُونَ، وَيَتَقَيَّأُ سَامٌ، وَتَبْكِي جِيلِي وَتُرْضِعُ صَغِيرَهَا، وَيَنَامُ الْمَايَسْتَرُ إِيْمُونَ وَيَرْتَجِفُ، وَتَشْتَدُّ بَرُودَةُ الرِّيحِ وَسُرْعَتُهَا بِمَرُورِ كُلِّ يَوْمٍ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَلِّ هَذَا فَالرَّحْلَةَ أَفْضَلَ مِنْ آخِرِ مَرَّةٍ أَبْجَرَ فِيهَا سَامٌ. لَمْ يَكُنْ يَتَجَاوَزُ الْعَاشِرَةَ عَنْ دَمَا رَكْبَ قَالِيُونَ الْإِلَّاءُ رَدَاوِيْنَ الْمَسْمَى (مَلَكَةُ الْكِرْمَةِ). كُنْتُ السَّفِينَةَ أَكْبَرَ مِنْ (الطَّائِرِ الْأَسْوَدِ) خَمْسَ مَرَّاتٍ وَمَهْيَبَةُ الْمَنْظَرِ، لَهَا ثَلَاثَةُ أَشْرَعَةٍ خَمْرِيَّةٍ وَصَفُوفٍ مِنْ الْمَجَازِيْفِ تُؤَمِّضُ بِالذَّهَبِيِّ وَالْأَبْيَضِ فِي نَوْرِ الشَّمْسِ، وَقَدْ احْتَبَسَتْ أَنْفَاسُ سَامٍ أَنْبَهَارًا بِمَرَّأَتِهَا تَرْتَفِعُ وَتَنْخَفِضُ وَهُمْ يَتَحَرَّكُونَ مِنَ (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ)... لَكِنْ تِلْكَ آخِرُ ذِكْرِي طَيِّبَةٍ لَدَيْهِ عَنْ (بُوغَازِ رَدَاوِينَ)، فَحِينَهَا كَمَا الْآنَ أَصَابَهُ الْبَحْرُ بِالْغَثِيَانِ، وَبِالتَّالِيِ أَصَابَ هُوَ السَّيِّدَ وَالِدَهُ بِالْأَشْمِئَزَازِ.

وَحِينَ بَلَّغُوا (الْكِرْمَةَ) تَذَهَوَّرَتِ الْأُمُورُ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى أَسْوَأٍ. مِنَ النَّظَرَةِ الْأُولَى احْتَقَرَ ابْنَا اللَّوْرْدِ رَدَاوِينَ التَّوَامَ سَامٌ، وَكُلَّ صَبَاحٍ وَجَدَا وَسِيلَةً جَدِيدَةً لِتَكْلِيلِهِ بِالْخَزْيِ فِي سَاحَةِ التَّدْرِيبِ. فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ جَعَلَهُ هَوْرَاسُ رَدَاوِينَ يَصْرُخُ كَالْخَنَازِيرِ مَتَوَسِّلًا الرَّحْمَةَ، وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ أَلْبَسَ أَخُوهُ هَوْبِرُ إِحْدَى عَامِلَاتِ الْمَطَابِخِ دِرْعَهُ وَتَرَكَهَا تَضْرِبُ سَامَ بِسَيْفٍ خَشْبِيٍّ إِلَى أَنْ أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ، وَلَمَّا أَفْصَحَتْ عَنْ نَفْسِهَا تَفَجَّرَتْ ضَحَكَاتُ جَمِيعِ الْمُرَافِقِينَ وَالْوُصَفَاءِ وَعَامِلِي الْأَسْطِطَلَاتِ الْمَدْوِيَّةِ.

لِيلَتَهَا قَالَ أَبُوهُ لِلْوَرْدِ رَدَاوِينَ: «الصَّبِّي يَحْتَاجُ إِلَى الْقَلِيلِ مِنَ التَّمَرُّسِ لَا أَكْثَرَ»، لَكِنْ مَهْرَجَ رَدَاوِينَ رَجَّ حُشْخِيشَتَهُ وَرَدَّ: «بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْفُلْفُلِ وَالْقُرْنَفْلِ وَتَفَّاحَةٍ فِي فَمِهِ»، وَبَعْدَهَا حَرَّمَ اللَّوْرْدُ رَانْدَلُ عَلَى سَامٍ أَنْ يَأْكُلَ التُّفَّاحَ مَا دَامُوا تَحْتَ سَقْفِ پَاكِسْتَرِ رَدَاوِينَ. انْتَابَهُ دُورُ الْبَحْرِ فِي رَحْلَةِ الْعُودَةِ إِلَى الدِّيَارِ أَيْضًا، لَكِنَّهُ كَانَ يَحْسُ بُرَاحَةً بِالْغَةِ لِلرَّحِيلِ حَتَّى إِنَّهُ كَادَ يُرَجِّبُ بِطَعْمِ الْقِيءِ فِي مَوْجِرَةِ حَلْقِهِ. انْتَضَرَتْ أُمُّهُ رَجُوعَهُمْ إِلَى (هَوْرَنِ هِيلِ) لِتُخْبِرَهُ بِأَنْ أَبَاهُ لَمْ يَكُنْ يَنْوِي عُودَتَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: «كَانَ هَوْرَاسُ سَيَّاتِي مَعَنَا بَدَلًا مِنْكَ، فِي حِينٍ كُنْتُ سَتَبْقَى أَنْتَ فِي (الْكِرْمَةِ) وَصَيْفًا وَسَاقِيًا عِنْدَ اللَّوْرْدِ پَاكِسْتَرِ، وَلَوْ سَرَرْتَهُ لَخَطَبْتَ ابْنَتَهُ». مَا زَالَ سَامٌ يَذْكُرُ لِمَسَةِ يَدِ أُمِّهِ النَّاعِمَةِ إِذْ مَسَحَتْ وَجْهَهُ مِنَ الدَّمُوعِ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْمَبْلَلِ بِلُعَابِهَا وَهِيَ تُغْمِغِمُ: «صَغِيرِي الْمَسْكِينِ سَامُ، صَغِيرِي الْمَسْكِينِ الْمَسْكِينِ سَامُ».

فَكَرَّ وَهُوَ يَتَمَسَّكُ بِحَاجِزِ (الطَّائِرِ الْأَسْوَدِ) وَيُشَاهِدُ الْأَمْوَاجَ تَتَكَسَّرُ عَلَى السَّاحِلِ

الحجري: سيكون جيّدًا أن أراها ثانيةً، بل وربما تفخر بي إذا رأته في ثيابي السوداء.

يُمكنني أن أقول لها: «إنني رجل الآن يا أمّاه، وكيل وأخ في حرس الليل. أحيانًا بدعوني إخوتي بسام القاتل». وسيُرى أخاه ليكون وأخواته أيضًا. يُمكنني أن أقول لهم: «انظروا، انظروا، اتّضح أنني أصلحُ لشيء».

لكن إذا ذهبَ إلى (هورن هيل) فربما يكون أبوه هناك.

جعلَ الخاطر معدته تثور من جديد، ومالَ سام من فوق الحاجز وعادَ يقبيء، ولكن ليس في اتجاه الرّيح، إذ ذهبَ إلى الحاجز الصّحيح هذه المرّة. لقد بدأ يبرع في التّفقُّ.

أو أن هذا ما كان يحسبه، إلى أن ابتعدت (الطائر الأسود) عن اليابسة وتوجّهت شرقًا عبر الخليج نحو سواحل (سكاجوس).

تقع الجزيرة في مدخل (خليج الفقمات)، مساحتها هائلة وجبالها ضخمة وأرضها قاسية وعرة يسكنها البرابرة. سبقَ لسام أن قرأ أنهم يقطنون بالكهوف والجبال المنعزلة، ويمتطون اليونيكورنات الشعثاء الضخمة إلى الحرب. في اللغة القديمة كلمة «س-كاجوس» معناه «حجر»، ويسمّي الس-كاجوسيون أنفسهم حجريّي الميلاد، لكن من عداهم من أهل الشمال يُسمّونهم «سكاجيين» ولا يُكنون لهم مودّة. قبل مئة عام فقط تمرّد السكاجيون، واستغرق إخماد ثورتهم سنواتٍ وأتى على حياة سيّد (وينترفل) ومئات من جنده. يقول بعض الأغاني إن السكاجيين أكلة لحوم بشر، ويُفترَض أن مُحاربيهم يأكلون قلوب وأكباد من يقتلون، وفي الماضي السّحيق أبحر السكاجوسيون إلى جزيرة (سكاين) القريبة وسبوا نساءها وذبحوا رجالها وأكلوهم على الشّاطئ في وليمةٍ استمرّت أسبوعين كاملين، وحتى اليوم تظلّ (سكاين) مقفرةً.

داريون أيّضًا يعرف الأغاني، فحين ارتفعت قِمَم (س-كاجوس) الرّمادية الكثيبة من البحر انضمَّ إلى سام عن دمومة السّفينة، وقال: «إذا شاءت الآلهة س-نلمح يونيكورن».

- «إذا شاءت الآلهة لن نقرب لتلك الدّرجة. التّيّارات خدّاعة حول (سكاجوس)، وثمة صخور يُمكن أن تكسر بدن السّفينة كقشرة البيضة. لكن لا تذكّر هذا لجيلي، إنها خائفة بما فيه الكفاية».

- «هي وابنها الذي لا ينقطع عن البكاء. لا أدري أيّهما أكثر صخبًا. الوقت الوحيد الذي لا يبكي فيه لمّا تدسّ حلمتها في فمه، وعندئذٍ تشرع هي في البكاء!».

كان سام قد لاحظَ هذا أيضًا، لكنه قال بكلل: «ربما يؤلمها الرّضيع. إذا كان قد بدأ يُسنّن...».

نقرَ داريون على أوتار عوده بإصبعٍ واحد عازفًا نغمةً ساخرةً، وقال: «سمعتُ أن الهمج أشجع من هذا».

ردَّ سام بإصرار: «إنها شجاعة»، ولو أنه هو نفسه عليّ أن يقرَّ بأنه لم يجرَّجيلي في تلك الحالة المزريّة من قبل. على الرغم من أنها تُخفي وجهها أغلب الوقت وتُحافظ على عتمة القمرّة فإنّه يرى عينيها محمّرتين دائميًا والدموع تُبيل وجنتيها، لكن عن دما سألها عما هنالك اكتفت بهزّ رأسها وتركته يبحث عن الإجابات بنفسه. قال لداريون: «البحر يُخيفها لا أكثر. قبل ذهابها إلى (الجدار) لم تعرف في حياتها إلّا (قلعة كراستر) والغابة المحيطة بها. لا أظنُّ أنها ابتعدت أكثر من نصف فرسخ عن المكان الذي وُلدت فيه. إنها تعرف الجداول والأنهار، لكنها لم ترَ بحيرة قط إلى أن صادفنا واحدة، والبحر... البحر مخيف».

- «اليابسة لم تغب عن أعيننا إطلاقًا».

- «لكنها ستغيب». سام أيضًا لا يتطلّع إلى تلك المرحلة من الرحلة.

- «مؤكد أن القاتل لا يخشى القليل من الماء».

قال سام كاذبًا: «ليس أنا، بل جيلي... قد يُساعد الرضيع على النوم أن تُغني لهما بعض أغاني المهد».

التوى فم داريون اشمئزازًا، وقال: «فقط إذا دسّت سداذة في مؤخرته. لست أطيق الرائحة».

في اليوم التالي بدأت الأمطار وازداد البحر تقلبًا، فقال سام لإيمون: «الأفضل أن ننزل بعيدًا عن البلل»، لكن المايستر الهرم ابتسم قائلاً: «أحبُّ الشّعور بالمطر على وجهي يا سام، كأنه دموع. دعني أبقى فترةً أطول قليلًا أرجوك. لقد مضى زمن طويل منذ بكيْتُ».

إذا أراد المايستر إيمون أن يبقى على السطح على الرغم من شـيخوخته وهشاشته فلا خيار لـدى سام إلّا البقاء معه. هكذا جلس إلى جوار الرّجل ما يقرب من ساعة، وقد ربض بمعطفه الذي غاصت فيه قطرات المطر الناعمة الثابتة وتخلّلتها حتى الجلد، أمّا إيمون فبدأ أنه يشعّر به بالكاد. تنهّد العجوز وأغلق عينيه، ودنا سام منه أكثر ليقبه من الريح قدر الإمكان قائلاً لنفسه: سيطلب مني أن أخذه إلى القمرّة قريبًا، لا بدّ أن يفعل، لكن إيمون لم يفعل، وأخيرًا بدأ هزيم الرّعد يتردّد من بعيد ناحية الشرق، ليقول سام مرتعدًا: «يجب أن ننزل». لم يُجبه المايستر إيمون، وعندئذٍ فقط تبين سام أن العجوز غاب في النوم، فقال وهو يهزه من كتفه برفق: «أيها المايستر، مايستر إيمون، استيقظ».

انفتحت عينا إيمون البيضاء والكيفتان، وقال والمطر ينهمر على وجنتيه: «إح؟ إح، حلمتُ بأني عجوز».

لم يدر سِيام ماذا يفعل. انحنى ورفعَ العجوزَ وحمله إلى أسفل. لم يصفه أحد بالقوَّة قط، وقد تشبَّعت ملابس المايستر إيمون السَّوداء بالماء مضاعفةً وزنه، ومع ذلك لم يكن أثقل من طفل. حين اندفعَ إلى القمرة وإيمون بين ذراعيه وجد أن جيلي تركت الشَّموع كلها تنطفئ. كان الرضيع نائمًا، وتكوَّرت هي على نفسها في رُكنٍ باكيةً بخفوتٍ بين طيَّات المعطف الأسود الكبير الذي أعطاهَا سام إياه. قال مستعجلاً إياها: «ساعديني، يجب أن نُجفِّفه ونُدْفِئَه».

نهضت من فورها، ومعًا خلعا عن المايستر العجوز ثيابه المبتلة ودفناه تحت كومة من الفرو، لكن جلده كان رطبًا باردًا ديق الملمس، فقال سام لجيلي: «ادخلي معه تحت الأغشية، ضمِّيه إليك، دِفِّئِه بجسدك، يجب أن تُدْفِئِه». أطاعته في هذا أيضًا دون أن تقول كلمةً وإن ظلت تنشَّق. سأل سام: «أين داريون؟ سندفأ أكثر إذا كنا كلنا معًا. ينبغي أن يكون هنا أيضًا». كان في الطريق إلى أعلى ثانيةً ليجد المغيبي عندما ارتفعت الأرض من تحته ثم هوت. ولولت جيلي، وسقط فاقداً توازنه، واستيقظ الرضيع صارخًا.

وأنت رجَّة السفينة التالية بينما يُحاول النُّهوض بصعوبة، فألقت جيلي بين ذراعيه وتشبَّت به الفتاة الهمجية بشدَّةٍ مستميتة جعلته يكاد لا يستطيع التقاط أنفاسه، لكنه قال لها: «لا تخافي، هذه مغامرة فحسب. ذات يوم ستحكين لابنك عنها». لم يُفلح قوله إلا في جعلها تغرس أظفارها أكثر في ذراعيه، وارتعدت واهتزَّ جسدها كله من عُنف نحيبها. مهما قلتُ أزيدُ الأمر سوءًا. احتواها بقوةٍ وهو يعي على نحو غير مريح أن ثدييها ملتصقان ب صدره، وعلى الرغم من دُعره كان هذا كافيًا لاستثارتِه. قال لنفسه خجلًا: ستشعرُ به، لكن إذا شعرت جيلي بشيءٍ فإنها لم تُبدِ أمارَةً على ذلك، بل تمسَّكت به أكثر. اختلطت الأيـام مـعًا يـعـد ذلك. لـم يـروا الشـمـس قط، واصلـطـبـغت النـهـارات بـالـرَّمادي والـليـالي بـالـأسـود، إلّا عنـدما يُضـيء البرق السـمـاء فـوق دُرى (سـكاجوس)، وجميعهم يتضوَّر جوعًا لكن لا أحد يقدر على الأكل. فتح الرِّبان برميل نبيذ ناري لتقوية الملاحين، وجرب سام كوبًا منه وتنهد إذ أحسَّ بثعابين ساخنة تزحف داخل حلقه إلى صدره، وأعجب الشَّراب داريون أيضًا، ومنذ حينها لا يستفيق إلا نادرًا.

ارتفعت القلوع وانخفضت، وتمزَّق أحدها من صـاريته وطار مبتعدًا كطائر رمادي ضخم، وإذا دارت (الطائر الأسود) حول ساحل (سـكاجوس) الجنوبـي أبـصروا حُطام قادسٍ على الصخور، وقد انجرف عدد من أفراد طاقمه إلى الشَّاطئ، واحتشدت طيور الرُّخ ⁴⁹ والسَّراطين تحتفي بهم على طريقتهما. دمدم ذو الأسماك المالحة العجوز: «قريبون للغاية. نفخة واحدة قويَّة كفيلة بتحطيمنا إلى جوارهم». على الرغم من إعيائهم مالَ ملاحوه على مجاذيفهم من جديد، وبُغسرٍ راحت السفينة تشق الأمواج المعتلجة جنوبًا صوب (البحر

الضيق)، إلى أن تضاءلت (سكاجوس) ولم يعد يلوح منها إلا بضعة أشكالٍ قاتمة في السماء ربما تكون رُكامًا رعديًا⁵⁰ أو قمم جبالٍ سوداء شاهقة، أو هذا وذاك. بعدها مرّت عليهم أيام ثمانية وليالٍ سبع من الإبحار الهادئ في أجواءٍ صافية. ثم هبت عواصف أخرى أسوأ من سابقتها.

أكنت ثلاث عواصف أم عاصفة واحدة تخللتها فترات هدوء؟ لم يعرف سام الإجابة، وإن حاول بكلي جوارحه أن يكتري، حتى إن داريون صرخ فيه مرةً بينما تلملموا معًا في القمرة: «ما الفرق؟!»، فأراد سام أن يقول له: لا فرق، لكن ما دمت أفكر في هذا فلن أفكر في الغرق أو الغثيان أو رجفة المايستر إيمون. أجاب بنبرة كالصرير: «لا فرق...»، لكن الرعد طغى على بقية كلامه، وتمايلت السفينة ورمته إلى الجانب. كانت جيلي تنوح، والرضيع يعوي، ومن الأعلى بلغ مسامع سام صوت ذي الأسماك المألحة العجوز يهدر في طاقمه، الربان الأشعث الذي قلما يتكلم.

كم أكره البحر، كم أكره البحر، كم أكره البحر، كم أكره البحر. ومضة البرق التالية كانت ساطعةً لدرجة أنها أضاءت القمر من خلال الشقوق في ألواح الخشب أعلاهم. هذه سفينة قوية متينة، سفينة قوية متينة، سفينة قوية، لن تغرق، لست خائفًا.

خلال واحدة من فترات الهدوء بين عاصفتين، وبينما تشبث سام ومفاصل أصابعه مبيضةً بالحاجز راغبًا بقوة في أن يقيء، سمع بعضًا من أفراد الطاقم يقولون متذمرين إنهم ألوا إلى هذا الموقف بسبب وجود امرأة على السفينة، بل وامرأة همجية أيضًا. سمع أحدهم يقول والرياح تشتدّ مجددًا: «ضاجعت أباه. هذا أسوأ من العهر، أسوأ من أي شيء. سنغرق جميعًا ما لم نتخلص منها ومن ذلك المسخ الذي ولدته».

لم يحرؤ سام على مواجهتهم. إنهم رجال فُساة أصلاب، أذرعهم وأكتافهم غلظت بها سنونات العمل على المجاذيف، لكن هجرص على شحذ سكينه والذهاب مع جيلي متى خرجت من القمرة لتقضي حاجتها. حتى داريون لم يقل خيرًا عن الفتاة الهمجية. في مرةٍ بالحاح من سام بدأ يُعني تهويدهً لتهدئة الرضيع، لكن في منتصف البيت الأول انفجرت جيلي في بكاءٍ عنيف، فقال داريون بحدة: «بحق الجحائم السبع اللعينة! ألا يمكنك أن تنقطعي قليلًا لتسمعي أغنية؟!».

ناشده سام قائلاً: «اعزف فقط، غن لها الأغنية».

ردّ داريون: «ليست تحتاج إلى أغنية، بل إلى الصفع على مؤخرتها، أو ربما إلى أن ينكحها أحد بقوة. ابتعد عن طريقي أيها القاتل»، ودفع سام جانبًا وخرج من القمرة ليجد شيئًا من السلوى في كوبٍ من النبيذ الناري مع أخوة الملاحين

الخشنة.

عندئذٍ كانت الأسباب قد تقطعت بسام. إنه يكاد يعتاد الرّوائح، لكن بين العواصف وبُكاء جيلي لم يُراوده النّوم منذ أيام. حين رأى المايستر إيمون مستيقظاً سأله بخفوتٍ شديد: «أما من شيءٍ يُمكنك أن تُعطيها إياه؟ عُشباً أو عقاراً كي لا تخاف؟».

قال له العجوز: «ليس صوت الخوف ما تسمع وإنما الحُزن، وليس هناك عقار يُداوي هذا. دَع دموعها تنهمر حتى تنفد يا سام، فلا يُمكنك أن تسدّ النّبع». لم يفهم سام، فسأل: «إنها ذاهبة إلى مكانٍ آمن، مكانٍ دافئ، فلمَ تحزن؟». همسَ العجوز: «سام، إن لك عينيّن سليمتين ورغم ذلك لا ترى. إنها أم حزينة على طفلها».

- «إنه مصاب بالغثيان لا أكثر، كلُّنا مصابون بالغثيان. حالما نرسو في (برافوس)...».

- «... سيظلُّ الرّضيع ابن دالا وليس الطّفل الذي خرجَ من جسدها».

استغرق سام وهلةً حتى أدركَ ما يرمي إليه إيمون، ثم قال: «لا يُمكن أن... إنها لا... هو ابنها بالطبع. ما كانت جيلي لتترك (الجدار) دون ابنها إطلاقاً. إنها تحبّه».

- «لقد أرضعت الاثنين وأحبّت الاثنين، لكن ليس على حدّ سواء. لا أم تحبُّ أطفالها جميعاً بالدرجة نفسها، ولا حتى (الأم في الأعلى). إنني واثق بأن جيلي لم تترك الطّفل برغبتها. ما ألقاه حضرة القائد من تهديداتٍ أو وعودٍ ليس بوسعي إلّا أن أخمّنه... لكن المؤكّد أنه وعدٌ وتوعّد».

- «لا، لا، خطأ، ما كان چون لـ...».

- «ما كان چون ليفعل ذلك، أمّا من فعله فحضرة القائد. أحياناً لا توجد خيارات سعيدة يا سام، بل خيارات أقلّ جسامَةً من غيرها».

لا خيارات سعيدة. فكّر سام في كلّ المِحَن التي مرّ بها مع جيلي؛ في (قلعة كراستر) ومصرع الدّب العجوز، في الثّلج والجليد والريّاح التي تُجمّد النّخاع في العظم، في أيامٍ وأيامٍ من المشي، في الجُثث الحيّة في (وايتري)، في ذي اليدين الباردتين وشجرة الغدّافان، في (الجدار)، (الجدار)، (الجدار)، والبوّابة السّوداء تحت الأرض. وإلامَ أفضى كلّ ذلك؟ لا خيارات سعيدة ولا نهايات سعيدة.

أرادَ أن يصرّخ. أرادَ أن يُولول وينتحب ويرتجف ويتكوّر على نفسه في الرّكن ويبيكي. بدّل الطّفلين، بدّلهما ليحمي الأمير الصّغير، لئبيّده عن نيران الليدي مليساندرا وإلهها الأحمر. إذا أحرقت ابن جيلي فمَن سيُبالي؟ لا أحد إلّا جيلي. إنه ابن كراستر لا أكثر، مسخٌ وُلدَ من زني المحارم، وليس ابن ملكٍ ما وراء الجدار. لا يصلح رهينةً، ولا يصلح قرباناً، لا يصلح لشيءٍ، بل إنه بلا اسمٍ حتى.

بـلا كلمة صـعد سـام متـرنِّحًا إلـى السّـطح لـيُفرغ مـعـدته، لكنـه وجـدَها خاويـةً. كـان الـلّـيل قـد حَلَّ علـيـهم، ليـل سـاكـن غـريب لـم يـروا مثـيلـه مـن ذـأيـام. البـحر أـسـود كالزُّجـاج، والمـلّـاحون مـسـتـريحون علـى المـجـاذيف وقـد غـابَ وـاحـد أو اثنان مـنـهم فـي النّـوم فـي مـوضـعـيـهما، والريـح تـدفع الأشرعة، وإلى الشّـمال كوكبة مـن النّـجوم رآها سـام علاوةً علـى الرّجـال الأحمـر الذـي يُسمّـيه شـعب الأحرار (اللّـص)، ففكّر ببؤس: المفترّض أن يكون هذا نجمي. لقد ساعدتُ علـى جـعل چون القائد وجلبتُ له جيلي والرّضيع. ليست هناك نهايات سعيدة.

ظهِرَ داريون إلى جواره غير واعٍ لألمه، وقال: «أيها القاتِل، ليلة حلوة أخيرًا. انظر، النّـجوم بدأت تـظـهر، وقـد نرى لـمـحةً مـن القـمر أيضًا. ربـما انـتهى الأسوأ».

رَدَّ سـام: «لا»، ومـسـحَ أنفه وأشارَ جنوبًا بإصبع سـمـين إلى الظّلام الحالك، وأضاف: «هناك». ولم يكـد يتكلم حتى ومضَ البرقُ مـباغتًا صامتًا ساطعًا يُعمي الأعين، ولأقلّ من لحظةٍ توهّجت السّحب البعيدة، جبال مكوّمة على جبال، أرجوانيّة وحمراء وصفراء، أطول من العالم ذاته. «الأسوأ لم ينته، الأسوأ في بدايته فقط، وليست هناك نهايات سعيدة».

ضاحكًا قال داريون: «بحقّ الآلهة أيها القاتِل، يا لك من جبان».

چایمی

دخلَ اللورد تايوين لانستر المدينة على صهوة جواده، درعه المطلية بالميّنا القرمزي مصقولة برّاقة وتتألق فيها الجواهر والزّخارف الذهب، وخرجَ منها في عربةٍ طويلة مكسوّة بالرايات القرمزية، بينما تركب سِت أخواتٍ صامتات مصاحباتٍ رُفاته.

غادرَ الموكب الجنائزي (كينجز لاندنج) من (بوابة الآلهة) الأوسع والأفخم من (بوابة الأسد)، غير أن چایمی أحسَّ بخطأ هذا الاختيار، فأبوه كان أسدًا ولا أحد يُنكر ذلك، لكن حتى اللورد تايوين نفسه لم يدعِ الألوهية قط.

أحاطَ بعربة اللورد تايوين حرس شرف من خمسين فارسًا تُرفرف الأعلام القرمزية على رماحهم، وقد راحت الرّيح تلهو براياتهم جاعلةً رموزهم تتراقص وتنتفض، وإذ خبَّ چایمی بحصانه نحو مقدّمة الموكب مرَّ بخنازير بريّة

وغريرات ⁵¹ وخنافس، وبسهمٍ أخضر وثورٍ أحمر، ومطردين متقاطعين وحربتين متقاطعتين، وقطّ أشجار وثمره فراولة وكُمٍ سيّدة ⁵²، وأربع شמוש متفجرة في مربعاتٍ متباينة الألوان.

ارتدى اللورد براكس سترّة رماديّة باهتة مشرّطة بقماش الفضة، وثبت فوق قلبه دُبوسًا من الجَمْشَت على شكل يونيكورن، ودرّع اللورد چاست نفسه بالفولاذ الأسود، وقد زخرقت واقبي صدره ثلاثة رؤوس أسودٍ ذهبيّة، وإن كان منظره يشي بأن شائعات موته لم تُبالغ كثيرًا، إذ تركته الإصابات وفترة السّجن ظلًّا للرجل الذي كانه من قبل، أمّا اللورد بانفورت فقد خلصَ من المعركة في حالٍ أفضل وبدأ مستعدًا للعودة إلى الحرب في الحال. كان پلوم يرتدي الأرجواني وپرستر الأبيض المزركش بالأسود ومورلاند الخمري والأخضر، لكن كلاّ منهم وضعَ على كتفيه معطفاً من الحرير القرمزي تكريمًا للرجل الذي يصحبونه إلى الوطن.

وراء اللوردات تحرّك مئة من رُماة النُشّابيّة وثلاثمئة من الجنود المُشاة الذين ينسدل القرمزي من على أكتافهم أيضًا، في حين شعرَ چایمی في معطفه الأبيض ودرعه البيضاء بأنه في غير محله في هذا البحر الأحمر.

ولم يُهَوّن عمّه عليه الأمر. قال السير كيثان عندما لحقَ به چایمی في مقدّمة الرّكب: «حضرة القائد، هناك أمر أخير من صاحبة الجلالة لي؟».

- «لستُ هنا من أجل سرسي». بدأت طبلّة تدقُّ وراءهما بإيقاع جنائزيّ بطيء موزون، فبدأ كأنها تقول: ميت، ميت، ميت. «جئتُ أودّعه. لقد كان أبي».

- «وأباها».

- «أنا لستُ سرسي. إن لي لحيّة ولها ثديان. إذا كنت لا تزال تخلط بيننا يا عمّاه

فاحصٍ أيدينا. سرسي لها اثنتان».

قال عمّه: «كلاكما يتلذذ بالسُّخْرية. أعفني من نِكَاتِكَ أيها الفارس، فأنا لا أجدُ لَذَّةً فيها».

- «كما تشاء». الكلام لا يمضي على الوتيرة التي أملتَها. «كنت سرسي لترغب في توديعك بنفسها، لكن عليها واجباتٌ كثيرة ملحة». رَدَّ السير كيقان ساخرًا: «كلُّنا كذلك. كيف حال مليكك؟». جعلت نبرته السؤال تانيبًا.

أجابَ چايمي بلهجةٍ دفاعيّة: «بخير. بالون سوان يقضي معه الصِّباح. إنه فارس صالح شجاع».

- «في الماضي كان هذا من نافلة القول عندما يتكلّم النَّاس عمّن يرتدون المعطف الأبيض».

فكّر چايمي: لا رجل يختار إخوته. اترُكوا لي فرصة اختيار رجالي بنفسي وسيعود الحرس الملكي عظامًا من جديد. لكن دَعه يقولها على المكشوف وستبدو ذريعةً واهيةً، خيلاء فارغةً من رجل تُلقِّبه البلاد بقاتل الملك. رجل شرفه خراء. صرف چايمي المسألة من ذهنة، فهو لم يأت ليتجادل مع عمّه، وبدلًا من ذلك قال: «أيها الفارس، عليك أن تُهادِن سرسي».

- «أنحن في حرب؟ لا أحد أخبرني».

تجاهلَ چايمي التعلّيق، وقال: «الشِّقاق بين لانستر ولانستر لن يُؤدِّي إلّا إلى مساعَدة أعداء عائلتنا».

- «إذا كان هناك شِّقاق فهو ليس من صُنْعي. سرسي تُريد أن تحكّم، ليكن إذن، البلاد لها. لا أريدُ إلّا أن أترك في سلام. إن مكاني في (داري) مع ابني. لا بُدّ من ترميم القلعة وزرع الأراضي وحمايتها»، وأطلقَ السير كيقان ضحكةً مريرةً قصيرةً، ثم أضاف: «كما أن أختك تركت لي قليلًا يشغل وقتي غير ذلك. عليّ أن أحضر زفاف لانسل. عروسه صبرها ينفد وهي جالسة تنتظر ذهابنا إلى (داري)».

عروسه الأرملة ابنة (التّوأمتين). كان لانسل ابن عمّه راكبًا وراءهما على بُعد عشر ياردات، وقد بدا بنظراته الخاوية وشعره الأبيض الجاف أكثر عجزًا من اللورد چاست. أحسَّ چايمي بأصابعه الشَّبَحِيّة تستحكه لمجرّد مرآه... تُضاجع لانسل وأوزموند كِتْلِبلاك وربما فتى القمر أيضًا... لقد حاولَ أن يتكلّم مع لانسل مرّاتٍ أكثر مما يستطيع أن يُحصي، لكنه لم يجده بمفرده قط، فإذا لم يكن أبوه معه فهناك سيّتون ما يُلازمه دومًا. ربما يكون ابن كيقان، لكن ما في عروقه لبن. تيريون كذب عليّ، لم يقل ما قاله إلّا ليجرحني.

نَحَى چايمي لانسل عن باله، وعادَ يلتفت إلى عمّه متسائلًا: «هل ستبقى

في (داري) بَعْدَ الزَّفَافِ؟».

- «فترةً ربما. يبدو أن ساندور كليجاين يشنُّ الغارات في أنحاء (الثالث). أختك تُريد رأسه. محتمل أنه انضمَّ إلى دونداريون».

سمعَ چايمي بما حاقَ بـ(الملاحات)، ولا بُدَّ أن نصف البلاد سمعَ أيضًا. الغارة كانت استثنائيةً في وحشيَّتها؛ النِّساء اغتُصِبْنَ وقُطِعَتْ أثداءهن، والأطفال دُبحوا بين أذرع أمهاتهم، ونصف البلدة أضرمَ فيه النَّار. «راندل تارلي في (بركة العذارى). دَعَه يتعامل مع الخارجين عن القانون. عن نفسي أفضل أن تذهب إلى (ريقرن)».

- «السير دافن له القيادة هناك، حاكم الغرب. ليس هو من يحتاج إليَّ بل لانسِل».

- «كما تقول يا عمَّاه». كان رأس چايمي يدقُّ بنفس إيقاع الطَّبلَة، ميت، ميت، ميت. «خيرٌ لك أن تحتفظ بفُرسانك حولك».

رمقه عمُّه ببرودٍ سائلًا: «أهذا تهديد أيها الفارس؟».

تهديد؟ ردَّ وقد باغتته الكلمة: «إنه تنبيه. قصدتُ فقط أن... ساندور رجل خطر».

- «إنني أشنقُ الخارجين عن القانون والفُرسان اللُّصوص وأنت لا تزال تتبرَّز في قِماطك. لن أذهب وأواجه كليجاين ودونداريون بنفسي إذا كان هذا ما تخشاه أيها الفارس. اشتها المجد بكلِّ حماقةٍ ليس من خصال جميع أبناء لانستر».

أعتقدُ أنك تتكلَّم عني أنا يا عمَّاه. «أدام ماربراند يستطيع التَّعامل مع هؤلاء المجرمين مثلك تمامًا، وكذا براكس أو بانفورت أو پلوم أو أيُّ الآخرين، لكن لا أحد منهم مناسب لأن يكون يد ملكٍ صالحًا».

- «أختك تعرف شروطي، وشروطي لم تتغيَّر. قُل لها هذا عندما تذهب إلى غُرفة نومها المرَّة القادمة»، وهمز السير كيغان جواده الحربي وهرولاً إلى الأمام واضعًا نهايةً مبتورةً لحوارهما.

تركه چايمي يذهب شاعرًا بيد سيفه المفقودة ترتعش. كان يأمل رغم وهن الأمل أن سرسي أساءت الفهم بشكلٍ ما، لكن الواضح أن ذلك خطأ. إنه يعلم بأمرنا، بأمر تومن ومارسلا، وسرسي تعلم أنه يعلم. السير كيغان عمُّهما لانستر من أولاد (كاسترلي روك)، ولا يُصدِّق چايمي أنها تستطيع أن تُؤذيه بأيِّ وسيلة، ولكن...

لقد أخطأتُ بشأن تيريون، فلمَ لا أكونُ مخطئًا بشأن سرسي أيضًا؟ في زمان يَقْتُل فيه الأبناء آباءهم ما الذي يردع ابنة أخٍ عن الأمر بقتل عمِّها؟ وهو عمُّ مزعج يعرف أكثر من اللازم. ولو أن محتملاً أن سرسي تأمل أن يقوم كلب الصيد بعملها بدلًا منها. إذا قتل ساندور كليجاين السير كيغان فلن تحتاج إلى تلويث يديها بالدماء. وإذا التقيا فسيقُتله. في الماضي كان كيغان لانستر رجلًا صلبًا، إلَّا

أنه لم يعد شابًا، وكلب الصيد...

لحق به الموكب، وإذ مرَّ به ابن عمِّه وعلى جانبه سيِّتونان ناداه چايمي قائلاً: «لانسِل يا ابن العم، أردت أن أهينك على زواجك. لا يُؤسفني إلَّا أن واجباتي لا تسمح لي بالحضور».

- «لا بُدَّ أن يظلَّ صاحب الجلالة محميًّا».

- «وسيكون كذلك. لكنني أكره أن يفوتني إضجاعك. إنها زيجتك الأولى وزيجتها الثانية حسب ما فهمتُ. أنا واثق بأن سيِّدتي سيسرها أن تُريك ما الذي يُوَضَع أين».

دفعَت الملاحظة البذيئة عددًا من اللوردات القريبين إلى الضحك وسيِّتونَي لانسِل إلى التَّظر إليه باستنكار، في حين اعتدلَ ابن عمِّه متململاً فوق سَرجه، وقال: «أعرف ما يكفي لأن أوْدِّي واجبي كزوجٍ أيها الفارس».

- «بالضبط ما تُريده العروس ليلة زفافها، زوجًا يعرف كيف يُودِّي واجبه».

زحفَ الاحتقان على وجنَّتي لانسِل، وقال: «إنني أصلي من أجلك يا ابن العم، ومن أجل جلالتها أيضًا. عسى أن تقوده (العجوز) إلى الحكمة وأن يُدافع عنها (المُحارب)».

قال چايمي: «ولمَ تحتاج إلى (المُحارب) وأنا أدافع عنها؟»، ودارَ بحصانه ليخفق معطفه الأبيض في الرِّيح. العِفريت كان يكذب. سرسي تُؤثر أن تأخذ جثة روبرت بين ساقَيْها على أحمقٍ متدبِّين كلانسِل. تيريون أيها الوغد الشرير، كان يجدُّ بك أن تكذب بشأن أحدٍ أكثر قابليَّةً للتَّصديق.

هروِل مجتازًا عربة جنازة أبيه صوب المدينة التي تلوح من بعيد.

بدت شوارع (كينجز لاندنج) أقرب إلى القفر بينما شقَّ چايمي لانستر طريقه إلى (القلعة الحمراء) فوق (تِل إجون العالي). إلى حدِّ كبير رحلَ الجنود الذين كانوا يشغلون أوكار القمار ومحال الأكل في المدينة، إذ عادَ جاران الهُمام بنصف قُوَّات تايرل إلى (هايجاردن) وذهبت السيِّدة والدته وجدَّته معه، في حين زحفَ النِّصف الآخر جنوبًا مع مايس تايرل ومائيس روان لتطويق (ستورمز إند).

وبالنِّسبة إلى جيش لانستر فما زالَ ألفان من المُحاربين المحنَّكين مخيِّمين خارج أسوار المدينة في انتظار وصول أسطول باكستر ردواين ليحملهم عبر (الخليج الأسود) إلى (دراجونستون). يبدو أن اللورد ستانيس تركَ وراءه حاميةً صغيرةً عندما أبحرَ شمالًا، أي أن ألفين عدد يكفي ويزيد كما قدَّرت سرسي.

باقي الغربيِّين عادوا إلى زوجاتهم وأطفالهم، ليُعيدوا بناء بيوتهم ويزرعوا حقولهم في سبيل حصاد محصولٍ آخر. قيل أن يُغادروا أخذت سرسي تومن في جولةٍ في مخيماتهم ليحيُّوا مليكهم الصَّغير. لم تبدُ جميلةً قط كما بدت يومها، على شفتيها ابتسامة وضوء شمس الخريف يلتمع في شعرها. أيًا كان ما يُمكن

لامرئ أن يقوله عن أخته، فإنها تعرف كيف تجعل الرجال يهيمون بها حُبًا عندما تأبه كفايةً بالمحاولة.

حين دخلَ چايمي من بَوَّابة القلعة لاقى نحو دستتين من الفرسان يتمرنون على الطَّاووس⁵³ في السَّاحة الخارجيّة، فقال لنفسه: شيء آخر لم يعد بمقدوري أن أفعله. الرُّمح أثقل وأكثر إرهاقًا من السَّيف، والسُّيوف ثبت استعصاء المبارزة بها عليه بالفعل. ربما يُمكنه أن يُجرب حمل الرُّمح بيُسراه، لكن ذلك يعني أن ينقل تُرسَه إلى ذراعَه اليمنى، وفي الزَّال يكُون الخصم دائِمًا إلى اليسار، أي أن تعلِّق التُّرس على ذراعَه اليمنى عديم الجدوى كحلمتين على واقى الصدور. فكّر وهو يترجل: لا، أيامي في مضمار الزَّال انتهت... لكن على الرغم من هذا توقف يُشاهد بعض الوقت.

سقط السير تالاد الطَّويل من فوق حصانه عندما دارَ كيس الرَّمْل وارتطم برأسه، وهوى السير لابل كراكهول الملقَّب بالعُفر القوي⁵⁴ على التُّرس بضربةٍ عنيفة شققته، ثم حطم كينوس ابن بلدة (كايس) بقيته، ليعلّق تُرس جديد للسير درموت ابن (الغابة المطيرة). وجه لامبرت ترنبري ضربةً عابرةً فحسب، لكن چون بتلي الحلّيق وهمفري سـويغت وآلـن سـتاكسبير وجهوا ضربةً مُحكمةً جمعيًا، وحطم رونيت كـوننجتون الأحمر رُمحه إذ أصاب الهدف... ثم امتطى فارس الزهور حصانه وأخزى الآخرين كلهم.

لطالما آمنَ چايمي بأن فنَّ ركوب الخيل يُمثّل ثلاثة أرباع الزَّال، والسير لوراس يركب ببراعةٍ فائقةٍ ويحمل الرُّمح كأنه ولدٌ قابضٌ عليهِ... وهو ما يُفسِّر التَّعبير المتقلِّص دومًا على وجه أمِّه لا ريب. يضع الرُّأس حيث يُريد أن يضعه بالضبط ويتمتّع بتوازُن القِططة. ربما لم يكن إسقاطه إياي عن حصاني خطأً محضًا. مؤسفٌ أنه لن ينال فرصة مواجهة الصَّبي ثانيةً أبدًا.

هكذا تركَ الرِّجال لرياضتهم، ليجد سرسي في عُرفتِها الشَّمسيّة في (حصن ميجور)، ومعها تومن وزوجة اللورد ميريويدر المايريّة ذات الشَّعر الدّاكن، وكان ثلاثتهم يضحكون من المايستر الأكبر پايسل، فقال چايمي حين دخلَ من الباب: «هل فاتتني مزحة طريفة ما؟».

قررت الليدي ميريويدر: «أوه، انظري، لقد عادَ أخوك الشُّجاع يا جلالة الملكة». - «معظمه عادَ». لاحظَ چايمي أن الملكة ثملة. في الفترة الأخيرة يبدو أن في تناول سرسي إبريقًا من التَّبيذ طوال الوقت، وهي التي كانت من قبل تزجر روبرت باراثيون لإسرافه في الشُّرب. لا يُعجبه هذا، لكن لا شيء تفعله أخته هذه الأيام يُعجبه. قالت: «أيها المايستر الأكبر، أطلع حضرة القائد على الخبر من فضلك».

بدا پاپسل مرتبًا للغاية وهو يقول: «وصلَ إلينا طائر من (ستوكوورث)، الليدي تاندا أرسلت خبرًا بوضع ابنتها لوليس ابناً قوياً في صحّة طيّبة».

- «ولن تُخَمِّن أبداً الاسم الذي أطلقوه على النّغل الصّغير يا أخي».

- «أذكرُ أنهم أرادوا تسميته تايوين».

- «نعم، لكنني نهيتهم عن ذلك. قلتُ لغاليس إنني لن أسمح بأن يُطلق اسم أينا النبيل على ابن حرام أنجبَه راعي خنازير من خنزيرةٍ بلهاء».

قال المايس-تر الأكبر پاپسل وقد نضجت جبّهته المتغصّنة عرقاً: «الليدي ستوكوورث تُؤكّد أن اسم الطّفل لم يكن من اختي-ارها، وكتبت أن زوج لوليس هو من اختاره، ذلك الرّجل برون... يبدو أنه...».

قال چايمي مخمّناً: «تيريون، سمّي الطّفل تيريون»، وأوماً العجوز برأسه باضطرابٍ وهو يُجفّف جبّهته بكُمّ رداءه، فضحك چايمي رغماً عنه قائلاً: «هاك يا أختي الجميلة. كنتِ تبحثين عن تيريون في كلّ مكانٍ وهو مختبئ في رَحِم لوليس».

- «طريف. أنت وبرون شديدا الطّرافة. لا شكّ أن النّغل يمتصّ اللّبن من أحد ضرعَي لوليس بينما نتكلّم، بينما يُشاهد المرتزق مبتسماً لصفاقته».

علّقت الليدي ميريويدر: «ربما بين هذا الطّفل وأخيك شبه ما، ربما وُلد مشوّهاً أو بلا أنف»، وأطلقت ضحكةً مبحوحةً.

أعلنت الملكة: «علينا أن نُرسِل هديّةً إلى الصّغير العزيز، أليس كذلك يا تومن؟».

- «يُمكننا أن نُرسِل إليه هَرّةً صغيرةً».

قالت الليدي ميريويدر: «فلنُرسِل له شِبلاً»، وقالت ابتسامتها: لِيَمَرِّقَ حَلَقه الصّغير.

ردّت سرسي: «كنتُ أفكّر في هديّةٍ من نوعٍ آخر».

زوج أمّ جديد على الأرجح. يعرف چايمي هذه النّظرة في عينيّ أخته. لقد رآها من قبل، أقرب مرّةٍ كانت ليلة زفاف تومن حين أحرقت (بُرج اليد). ساعتها غمر ضوء النّار الشّعواء الأخضر وجوه المشاهدين فلم يبدوا إلّا أشبه بجثثٍ تتعفن، قطع من الغيلان المطّروب، لكن بعض الجثث كان أجمل من غيره. حتّى في البوهج المشؤوم ظلت سرسي رائعة الجمال، وقد وقفت واضحةً يداً على صدرها وافترقت شفتاها وتألّقت عيناها الخضراوان. تبين چايمي أنها تبكي، لكن سواء أكان بكاءها ناجماً عن الحزن أم النّشوة فلا يدري.

أفعمه المشهد بالانزعاج إذ ذكره بإيرس تارجارين وكيف كان الحرق يُهيّج شبقه. لا يُخفي الملِك أسراراً عن حرسه الملكيّ، وقد كانت العلاقة بين إيرس وملكته متوتّرةً خلال السّنوات الأخيرة من

حُكْمه، فناما منفصلين وبذلا قصارى جهدهما ليتحاشى كلٌّ منهما الثاني في ساعات اليقظة، لكن متى سلّم إيرس رجلًا للنَّار كان يأتي الملكة ريبلا زائر ليلي. يوم أحرَق يد الصَّولجان والخنجر وقفَ چايمي وچون داري خارج غُرْفَتها بينما قضى الملك وطره، وسمعا ريبلا تصيح من وراء الباب البـلـوطي السّميـك: «إنـك تُؤلـمـنـي». علـى نـحـو غـرـيب كـان هـذا أسـوأ مـن صُراخ الـلـورد تشـيلـستد، وأخـيرًا وـجـدَ چايمي نـفسـه مـرغـمًا علـى أن يقـول: «لقـد أقـسـمنا علـى حمايتـها أيـضًا»، فرَدَّ داري باقتضاب: «نعم، ولكن ليس منه».

رأى چايمي ريبلا مرَّةً واحدةً فقط بَعْدَها في صبيحة اليوم الذي غادرت فيه إلى (دراجونستون). كانت الملكة ترتدي معطفاً رفعت قلنسوته وهي تدخل المركبة الملكيّة التي ستنزل بها (تل إجون العالي) إلى السفينة المنتظرة، لكنه سمع وصيفاتها يتهاמשن عقب رحيلها، ويقلن إن الملكة بدت كأن وحشًا افترسها، خمش فخذها ومضع ثديها. وحش متوج.

قُرب النِّهايـة أضـحى الملـك المجـنـون خـوَّافًا لـدرجة أنـه حـرم وـجـود أيّ نصـالٍ فـي حـضـوره باسـتثناء سـيـوف الـحـرس الملـكي، وقـد تـلـبـدت لحيـتـه وأنـسـخت، وصـارَ شـعـره الذّهـبي الفـضي شـبـكَةً تـصل إلـى خـصره، واستحالت أظفاره إلى مخالب صفراء متشققة طولها تسع بوصات. لكن النِّصال ظَلَّت تُعَذِّبه، تلك التي لم يستطع منها فرارًا، نصال العرش الحديدي. طيلة الوقت كانت الجَلْب والجروح شبه المندملة تُغَطِّي ذراعيه وساقيه.

تذكّر چايمي كلماته بينما يُمعِن النَّظر إلى وجه سرسي: فليكن ملكًا على العظام المتفجّمة واللّحم المشوي، فليكن ملكًا على الرَّماد. ثم إنه قال: «جلالة الملكة، هل تسمحين بأن نتكلّم على انفراد؟».

- «كما ترغب. تومن، تأخّرت على الدّهّاب إلى درس اليوم. اذهب مع المايستر الأكبر».

- «حاضر يا أمّاه. إننا ندرس قصّة بيلور المبارك».

استأذنت الليدي ميريوذر في الانصراف أيضًا، وقبّلت الملكة على وجنتيها متسائلة: «هل أعود على العشاء يا صاحبة الجلالة؟».

- «سأستاء منك كثيرًا إذا لم تفعلني».

لم يستطع چايمي أن يمنع نفسه من ملاحظة الطّريقة التي تُحرّك بها المايريّة وركيها وهي تمشي. كلُّ خُطوةٍ إغراء. حين انغلق الباب وراءها تنحنح وقال: «أولًا الإخوة كتلبلاك، ثم كايرن، والآن هي. تحتفظين بمجموعة وحوشٍ غريبة هذه الأيام يا أختي الجميلة».

- «أصبحتُ مولعةً بالليدي تاينا، إنها تُسلِّيني».

- «إنها واحدة من رفيقات مارچري تايرل. لا بُدَّ أنها تتجسَّس عليك لحساب الملكة الصَّغيرة».

قالت سرسي: «طبعًا»، وذهبت إلى الخوان لتُعِد مَلء كأسها، وأردفت: «مارچري اهتزت طربًا عندما طلبتُ إذنها في أن آخذ تاينا رفيقةً لي. كان يجب أن تسمعها.

ستكون أختًا لك كما كانت لي. يجب أن تأخذها بالطَّبع! إن معي بنات عمومتي ورفيقاتي الأخريات. ملكتنا الصَّغيرة لا تُريدني أن أشعر بالوحدة».

- «إذا كنت تعلمين أنها جاسوسة فلمَ أخذتها؟».

برقت عينا سرسي خُبثًا وهي تُجيب: «مارچري ليست بنصف الذَّكاء الذي تخاله. إنها لا تملك أدنى فكرةٍ عن الأفعى الغاتنة في أعماق تلك المايرية القذرة، بينما أستغلُّ أنا تاينا في إطعام الملكة الصَّغيرة ما أريدها أن تعرفه، وبعضه صحيح كذلك، وتاينا تُخبرني بكلِّ ما تفعله العذراء مارچري».

- «حقًا؟ ما الذي تعرفينه عن تلك المرأة؟».

- «أعرفُ أنها أم لها ابن صغير تُريده أن يسمو إلى مكانةٍ عالية في هذا العالم، وستفعل كلَّ ما يلزم لتحرض على تحقيق ذلك. الأمَّهات كلهن واحد. ربما تكون الليدي ميريوذر أفعى، لكنها بعيدة كلَّ البعد عن الغباء، وتعرف أنها تستطيع الاستفادة مني أكثر من مارچري، ولذا تجعل نفسها مفيدةً لي. سيُدْهشك أن تسمع الأشياء الشائقة التي أخبرتني بها».

- «أشياء مثل ماذا؟».

جلست سرسي عند النَّافذة، وقالت: «هل تعلم أن ملكة الأشواك تحتفظ بصندوقٍ من النقود في مركبتها؟ إنه ذهب قديم من قبل الغزوة، فإذا تحامقَ تاجر ما وطلبَ ثمن بضاعته ذهبًا نقدته إياه بعملة (هايجاردن) التي تزِن الواحدة منها نصف واحدٍ من تانيننا. مَن التَّاجر الذي يجرؤ على الشَّكوى من أن السيِّدة والدة مايس تايرل غشَّته؟»، ورشفت من نبيذها، وسألته: «هل استمتعت برحلتك القصيرة؟».

- «عمُّنا علَّق على غيابك».

- «تعليقات عمِّنا لا تهمُّني».

- «المفتـرض أن تـهمِّك. بإمكانك أن تُحسِنَ اسـتـغلاله، إن لم يكـن فـي (ريفرن) أو (الصَّخرة) ففـي الشَّمـال ضـد اللـورد سـتـانيس. لـطـالما اعتمـد أبونـا علـى كـيفان عندما...».

- «رووس بولتون حاكم الشَّمال، سيتعامل هو مع ستانيس».

- «اللورد بولتون محبوس تحت (العُنق)، الحديدِيُّون في (خندق كايلن) يعترضون طريقه إلى الشَّمال».

- «لن يدوم هذا طويلًا. قريبًا سيُزيل ابن بولتون النّغل هذه العقبة الصّغيرة، وسيكون مع اللورد بولتون مدد من جنود فراي قوامه ألفا رجل لدعم قوّاته، تحت قيادة هوستين وإينس ابني اللورد والدر. المفترض أن يكفي هذا للتّعامل مع ستانيس وبضعة آلاف من الرّجال المكسورين».

- «السير كيفان...».

- «... س-يكون مش-غولًا تم-امًا ف-ي (داري) بتعل-يم لانس-ل ك-يف يمس-ح مؤخّرت-ه. لق-د جرّده م-وت أبين-ا م-ن شجاعت-ه وأص-بح رج-لًا عج-وزًا انت-هي أمره. دافن ودام-يون سيُحسِنان خدمتنا أكثر».

قال چايمي الذي لا يرى ما يعيب ابني خوّولته: «لا بأس بهما، لكنك ستحتاجين إلى يد. إن لم يكن عمّا فمّن؟».

قالت أخته ضاحكة: «ليس أنت، لا تخف. ربما زوج تاينا. جدّه كان يد إيرس».

يد قرن الوفرة⁵⁵. ما زال چايمي يذكّر أوين ميريويدز جيّدًا. كان رجلًا دمّثًا لكن غير فعّال في منصبه. «حسب ما أذكر فقد أبلى الرّجل بلاءً رائعًا حتى إن إيرس نفاه وصادر أراضيه».

- «روبرت أعادها، بعضها على الأقل. ستسعد تاينا إذا استغلّ الباقي».

- «وهل الغرض إسعاد عاهرة مايريّة؟ حسبت أنه حُكم البلاد».

- «أنا أحكم البلاد».

ص-حيح، ولترحمنا الآلهة. تحبُّ أخت-ه أن تعتب-ر نفس-ها الل-لورد ت-ايويين بث-ديين، لكن-ها مخطئ-ة. أبوهم-ا ك-ان ش-ديد القس-وة والعن-اد كن-هر جلي-دي، أمّا س-رسي فن-ار شعواء خالصة، خصوصًا عندما يُعارضها أحد. لقد تاهت فرحًا كفتاة صغيرة حين علّمت أن ستانيس هجر (درآجونستون) وقد أيقنت بأنه تخلّى عن القتال أخيرًا وأبحر إلى المنفى، لكن حين وصل الخبر من الشّمال بأنه ظهر مجدّدًا عند (الجدار) كانت غضبتها تُخيف النّاظرين. إنها لا تفتقر إلى الذّكاء، لكن يعوزها حُسن التّقدير والصّبر. «إنك محتاجة إلى يد قوي يُساعدك».

قالت: «الحاكم الضّعيف يحتاج إلى يد قوي، كما احتاج إيرس إلى أبينا، لكن الحاكم القوي لا يتطلّب إلا خادمًا مطيعًا يُنفّذ أوامره»، ودوّرت نبيذها في الكأس متابعًا: «ربما يصلح اللورد هالاين. لن يكون أول پايرومانسر يشغل منصب يد الملك».

نعم. لقد قتلتُ السّابق. «ثمّة كلام عن نيتك تعيين أوران ووترز قيّمًا للسّفن».

سألته: «هل هناك من يتجسّس عليّ؟»، ولمّا لم يُجب ألّقت سرسي شعرها إلى الوراء، وقالت: «ووترز مناسب جدًا للمنصب. لقد قضى نصف حياته على

متون السفن».

- «نصف حياته؟ إنه يبدو في العشرين على الأكثر».

- «في الثانية والعشرين، وماذا في هذا؟ أبونا لم يكن قد بلغَ الحادية والعشرين عندما عيّنه إيرس تارجارين يدًا. حانَ الوقت لأن يُحيط بتومن شُبَّان بدلًا من أولئك المسنين المتغصّنين. أوران قوي ونشيط».

قوي ونشيط ووسيم... كانت تُضاجع لانسِل وأوزموند كِتْلَبلاك وربما فتى القمر أيضًا... «باكستر ردواين خيار أفضل. إنه يقود أكبر أسطول في (وستروس)، في حين يستطيع أوران ووترز أن يقود قاربًا، بشرط أن تبتاعه له».

- «أنت طفل يا جايمي. ردواين من حملة راية تايرل وابن شقيق أمّه الشنيعة تلك. لست أريدُ أيًا من مخلوقات اللورد تايرل في مجلسي».

- «تعنين مجلس تومن».

- «تعلم ما أعنيه».

جيدًا جدًا. «أعلم أن أوران ووترز فكرة سيئة وهالين فكرة أسوأ، وبالنسبة إلى كايرن... بحق الآلهة يا سرسي، لقد كان من جماعة قارجو هوت، (القلعة) جرّده من سلسلته!».

- «الخراف الرّماديّة. كايرن جعل نفسه مفيدًا لي لأقصى درجة، كما أنه مخلص، وهذا أكثر مما يُمكن أن أقول عن أهلي أنفسهم».

ستلتهم الغربان وليمةً من لحومنا جميعًا إذا استمررت في هذا الطريق يا أختي الجميلة. «سرسى، أنصتي إلى نفسك. إنك ترين الأقزام في كلِّ ظلٍّ وتصنعين من الأصدقاء أعداء. العَمُّ كيغان ليس عدوّك، أنا لستُ عدوّك».

انقلبت سحتنها حنقًا، وقالت: «لقد توسّلتُ إليك أن تُساعدني، ركعتُ على رُكبتي أمامك ورفضتني!».

- «قسمي...».

- «... لم يردعك عن قتل إيرس. الكلام هواء. كان بإمكانك أن تحظى بي، لكنك اخترت معطًا أبيض بدلًا مني. اخرج».

- «أختاه...».

- «قلتُ اخرج. لقد سئمتُ من النَّظر إلى جدعتك القبيحة هذه. اخرج!»، ولتدفعه إلى المغادرة بسرعةٍ ألقت كأس نبيذها نحو رأسه. أخطأت سرسي التصويب، لكن جايمي فهم التلميح.

حَلَّ عليه المساء وهو جالس وحده في الحُجرة المشتركة بـ(برج السيف الأبيض) ومعه كأس من التَّبِيذ الدورني الأحمر و(الكتاب الأبيض)، وكان يقلب الصفحات بجَدعة يده المبتورة ح-ين دخَلَ فارس الزهور وخلَعَ

معطفه وحزامه وعلّقهما على مشجب على الحائط إلى جوار معطف وحزام چایمی، الذي قال: «رأيتك في السّاحة اليوم. أحسنت الرّكوب».

ردّ السير لوراس: «أحسنتُ وأكثر بالتأكيد»، وصَبَّ لنفسه كأسًا وجلسَ قُبالة إلى الطاولة ذات الشّكل الهلالي.

- «كان رجل أكثر تواضعًا ليقول: أشكرُ لسَيّدي لطفه، أو كان حصاني جيّدًا».

- «الحصان كان ملائمًا، وسَيّدي لطيف بقدر ما أنا متواضع»، وأشار لوراس إلى الكتاب مستطردًا: «اعتادَ اللورد رنلي أن يقول إن الكُتب للمَياسترات».

- «هذا الكتاب لنا. تاريخ كلّ رجل ارتدى المعطف الأبيض مدوّن هنا».

- «ألقيت نظرةً على-ه. الثُّروس جميل-ة. أف-ضِلُّ ال-كُتب الت-ي تحت-وي على رس-وم أكثر. ال-لورد رن-لي ك-إن يمل-ك مجموعةً في-ها رس-وم كفيلة ب-أن تُعمي السّيتون الذي يقرأها».

ابتسمَ چایمی رغمًا عنه، وقال: «لا شيء من هذا هنا أيها الفارس، لكن القصص ستفتح عينيك. مفيدٌ لك أن تعلم سِير من سبقوك».

- «أعرفها. الأمير إيمون الفارس التّين، السير رايمان ردواين، القلب الكبير، باريستان الباسل...».

- «... جواين كوربراي، آلن كونجتون، شيطان (داري)، نعم. لا بُدَّ أنك سمعت بلوكامور سترونج أيضًا».

أجابَ السير لوراس وقد لاحَ عليه الاستمتاع: «السير لوكامور الشّهواني؟ ثلاث زوجات وثلاثون طفلًا، أليس كذلك؟ لقد قطعوا قضيبه. هل أغني لك الأغنية يا سَيّدي؟».

- «والسير تيرانس توين؟».

- «ضاجعَ عشيقه الملك وماتَ صارخًا. الدّرس المستفاد أن على من يرتدون السّراويل البيضاء أن يعقدوا أربطتها بإحكام».

- «وجايلز ذو المعطف الرّمادي؟ وأوريغل طليق اليدين؟».

- «جايلز كان خائنًا وأوريغل كان جبانًا، رجلين لوّثا المعطف الأبيض. ما الذي يرمي إليه سَيّدي؟».

- «لا شيء. لا تشعّرَن بإهانةٍ لم تُوجّه أيها الفارس. ماذا عن توم كوستاين الطويل؟».

هَزَّ لوراس رأسه نفيًا.

- «كان فارسًا في الحرس الملكي طيلة سِتّين عامًا».

- «متى كان ذلك؟ إنني لم...».

- «السير دونل ابن (وادي الغسق) إذن؟».
- «ربما سمعتُ الاسم، لكن...».
- «أديسون هيل؟ البومة البيضاء مايكل مرتينز؟ چيفوري نوركروس؟ كانوا يُلقَّبونه باللا مستسلم. روبرت فلاورز الأحمر؟ بِمَ يُمكنك أن تُخبرني عنهم؟».
- «فلاورز اسم نغولة، وكذا هيل».
- «لكن كليهما ترقَّى حتى قادَ الحرس الملكي. حكايتاهما في الكتاب. رولاند داركلين هنا أيضًا، أصغر رجلٍ خدمَ في الحرس الملكي على الإطلاق، إلى أن جئتُ أنا. لقد مُنِحَ معطفه في ميدان القتال وماتَ خلال ساعةٍ من ارتدائه».
- «لا يُمكن أنه كان بارعًا إذن».
- «كان بارعًا بما فيه الكفاية. لقد ماتَ، لكن مليكه عاشَ. رجال شُجعان كُثر ارتدوا المعطف الأبيض، لكن أكثرهم طواه النِّسيان».
- «أكثرهم استحقَّ النِّسيان، لكن الأبطال سيُذكِّرون دومًا، الأفضل».
- «الأفضل والأسوأ». أي أن أحَدنا سـيعيش فـي الأغـاني غـالبًا. أضـافَ چايمـي وهو يَنـقُرُ علـى الصَّفـحة التـي كـان يقرأهـا: «وقلائـل مـمَّن كـانوا مزيـجًا مـن هـذا وذاك، مثله».
- اشـرأبَّ السـير لوراس بـُعُنقه ليرى، وقال: «مَن؟ عشر كُريات سوداء على خلفيَّة قرمزيَّة. لا أعرفُ هذا الرَّمز».
- قال چايمي: «كان رمز كريستون كول الذي خدمَ قسيس الأول وإجون الثاني»، وأغلقَ (الكتاب الأبيض) مضيئًا: «كانوا يُسمُّونه صانع الملوك».

سرسي

قالت الملكة لنفسها إذ خَرُّوا راکعين أمامها: ثلاثة حمقى مافونين معهم كيس من الجلد. لم تجد منظرهم مشجِّعًا على الإطلاق. لكن هنالك فرصة دائماً على ما أظن.

خاطبها كايرن قائلاً بهدوء: «جلالة الملكة، المجلس الصَّغير...».

- «... سينتظر ذهابي علي راحتتي. محتمل أن نزل إليهم خبر موت أحد الخونة». عبر المدينة تترنم أجراس (سپت بيلور) بلحن الجداد، لكن سرسي فكَرت: لا أجراس ستدق لك يا تيريون. سأغمس رأسك في القطران وأرمي جسدك المشوّه للكلاب. قالت للثلاثة الراغبين في أن يكونوا لوردات: «أروني ما جلبتموه لي».

نهضوا، ثلاثة رجال قباح يرتدون أسمالاً، أحدهم على عنقه دُمْل ولا أحد منهم استحم منذ نصف عام. وجدت فكرة رفع أمثالهم إلى اللوردية طريفة. يُمكنني أن أجلسهم إلى جوار مارچري في المآدب. حين حلّ كبير الحمقى رباط الكيس ودسّ فيه يده أفعمت رائحة العفونة قاعة اجتماعات الملكة كوردية زنخة، ثم إنه أخرج رأساً استحال لونه إلى الأخضر والرّمادي ويغصُّ باليرقات. رائحته كأبي. شهقت دوركاس وغطت چوسلين فمها وأفرغت معدتها.

تطلّعت الملكة إلى غنيمتها بجنانٍ ثابت، وأخيراً قالت ضاغطةً أسنانها مع كل كلمة: «قتلتم القزم الخطأ».

تجرّأ أحد الحمقى على أن يقول: «لا، إطلاقاً، لا بُدّ أنه هو يا سيّديتي. إنه قزم، انظري. تعقّن قليلاً فقط».

علّقت سرسي: «ونبت له أنف جديد، بل وأنف منتفخ أيضاً. أنف تيريون قُطِعَ في معركة».

تبادل ثلاثة الحمقى النظرات، ثم قال الممسك بالرأس: «لا أحد أخبرنا. هذا جاء يمشي متبخترًا بكل جرأة، قزم قبيح ما، فحسبنا...».

أضاف ذو الدُمْل: «قال إنه عُصفور»، وأشار إلى الرجل الثالث متابعًا: «وأنت قلت إنه يكذب».

أحسّت الملكة بالغضب لفكرة أنها تركت مجلسها الصَّغير ينتظر من أجل هذه المهزلة، وقالت: «لقد ضيعتم وقتي وقتلتهم رجلاً بريئاً. حريُّ بي أن أمر بقطع رؤوسكم». لكن إذا فعلت ذلك فربما يتردّد الرجل التالي ويترك العفريت يفلت، وسرسي لن تسمح بحدوث ذلك حتى لو صنعت كومة من جُثث الأقزام ترتفع عشرة أقدام كاملة. هكذا قالت لهم: «اغربوا عن وجهي».

قال الدُمْل: «حاضر يا جلالة الملكة، نستميحك العذر».

وسألها حامل الرأس: «هل تُريدينه؟».

- «أعطِ السير مَرين إياه. لا، في الكيس أيها الأبله! نعم. سير أوزموند، اصحبهم إلى الخارج».

خرجَ ترانت بالرَّأس وكتلبلاك بَمَن قطعوه، تاركينَ إفطار الليدي جوسلين على الأرض الدَّلِيل الوحيد على الزَّيَّارة. قالت لها الملكة أمرَّة: «نظِّفي هذا في الحال». إنه ثالث رأس يأتيها به أحدهم. على الأقل كان رأس قزم هذه المرَّة. السَّابق كان مجرد طفلٍ قبيح.

قال السير أوزموند مطمئنًا عندما عادَ: «سيعثر أحدهم على القزم، لا تخافي، وحينها سنفتك به».

حقًّا؟ ليلة البارحة حلَّمت سِرسي بالعجوز بلُغدها المتغصِّن ونبرتِها النَّاعبة. في (الانسپورت) كانوا يُسمُّونها ماجي الضِّفدعة. لو علمَ أبي بما قالته لي لقطعَ لسانها.

علي أن سِرسي لم تُخبر أحدًا قطُّ، ولا حتَّى چايمي. ميلارا قالت إننا إذا لم نتكلَّم عن الثُّبُوت فسننساها، قالت إن الثُّبُوة المنسيَّة لا يُمكن أن تتحقَّق.

قال كايبرن: «عنـدي مُخبـرون يتقـصُّون عـن العـفـريت فـي كـلِّ مكانٍ يا جلالـة الملكـة». كـان قـد ألـبسَ نـفسـه رداءً يُشـبه أردـية المـايسـترات كـثـيرًا، لكنـه أبيض بـدلًا مـن الرِّمـادي، ناصع كمعاطف رجال الحرس الملكي، وتُزيِّن دوائر لولبيَّة من الخيط الذهبي حاشيته وكُمَّيه وياقته العالية اليابسة، وحول خصره وشاح ذهبي مربوط.

«(البلدة القديمة)، (بلدة النُّوارس)، (دورن)، وحتَّى المُدن الحرَّة. أينما فرَّ سيعثر عليه هامِسوي».

- «إنـك تفتـرض أنـه تـركَ (كـينـجز لـانـدنـج). علـى حـدِّ علـمـنـا قـد يكـون مـختبـئًا فـي (سـيـت بـيلور) الآن، يتـأرَّجـ علـى حـبـال الأجراس ليصـنع هـذه الضُّوضاء الشَّنيعة»، ورسمت سِرسي على وجهها الامتنعاض وتركت دوركاس تُساعدُها على النهوض قائلةً: «هلمَّ يا سيِّدي، مجلسي ينتظر»، وبينما ينزلان السَّلالِم تأبَّطت ذراع كايبرن، وسألته: «هل نَقَّذت المهمَّة الصَّغيرة التي كلَّفْتُك بها؟».

- «نعم يا جلالـة الملكـة. آسفٌ لأنـها استغرقت وقتًا طويلاً. إنه رأس كبير جدًّا، والخنافس استغرقت ساعاتٍ كثيرة حتَّى نظَّفته من اللحم. على سبيل الاعتذار بطنتُ صندوقًا من خشب الأبنوس والفضة باللباد ليكون تقديم الجمجمة لائقًا».

- «كيس من القُماش يَصْلُح أيضًا. الأمير دوران يُريد الرَّأس، ولن يُبالي مقدار ذرَّة بالصندوق الذي يتسلَّمه فيه».

كانت جلجلة الأجراس أعلى في السَّاحة، فقالت لنفسها: كان مجرد سيِّتون

أعلى. إلى متى علينا أن نتحمّل هذا؟ أي نعم في الرّنين لحن أكثر من صرخات الجبل قبل أن تَصُمْتُ، ولكن...

بدا أن كايرن استشفّ ما يجول بباليها، فقال: «الأجراس ستَصُمْتُ عند الغروب يا جلالة الملكة».

- «ستكون راحةً عظيمةً. كيف عرفت؟».

- «المعرفة طبيعة خدمتي».

فارس جعلنا جميعًا نُصدّق أنه غير قابل للاستبدال. كم كنا حمقى. حالما أذاعت الملكة خبر شغل كايرن منصب الخصي لم يُبدّد الهوام المعتادون وقتًا قبل أن يُقدّموا أنفسهم له، ليُبادِلوا ما لديهم من همساتٍ بالقليل من المال. طوال الوقت كانت الفضة ما يُحرّكهم وليس العنكبوت. كايرن سيخدمنا بالكفاءة نفسها.

كم تتطلّع إلى رؤية التّظرة على وجه پايسل عندما يأخذ كايرن مكانه.

دائمًا يقف فارس من الحرس الملكي على باب قاعة المجلس الصّغير عندما يجتمع أعضاؤه، واليوم دور السير بوروس بلاونت، الذي قالت له الملكة ببشاشة: «سير بوروس، تبدو متوجّعًا للغاية هذا الصّباح. أهو شيء أكلته ربما؟». كان چايمي قد جعله ذوّاق الملك. واجب لذيد، لكنه مخجل إذا كنت فارسًا. وبلاونت يكره واجبه هذا، وقد ارتجفَ لُغده المتدلي إذ فتحَ لهما الباب.

بتر المستشارون كلامهم لدى دخولها. سعلَ اللورد جايلز علي سبيل التّحيّة بصوتٍ عالٍ أيقظَ پايسل، ونهضَ الآخرون لافظين المجاملات، فأباحت سرسي لنفسها ابتسامةً خافتةً للغاية، وقالت: «أعلمُ أنكم ستغفرون لي تأخري أيها السّادة».

ردّ السير هاريس سويفت: «نحن هنا لنخدم جلالتك، ومن دواعي سرورنا أن ننتظر وصولك».

- «مؤكّد أن جميعكم يعرف اللورد كايرن».

لم يُخيّب المايس-تر الأكبر پايسل أملها، وقال بوجهٍ كظيم: «اللورد كايرن؟! جلالته الملكة، هذا... المايس-تر يحلّف يمينًا مقدّسةً بعدم امتلاك أراضٍ أو حيازة لوردية...».

قالت سرسي: «قلعتكم جرّدتة من سلسلته. إن لم يكن مايس-تر فلا يُمكن إلزامه بيمين المايسترات. لقد دعونا الخصي باللورد أيضًا إذا كنت تذكّر».

اندفع پايسل يقول: «هذا الرّجل... إنه لا يصلح...».

- «لا تُكَلِّمني عن الصّلاح بعد المهزلة العفنة التي صنعتها من جثّة السيّد والدي».

رفعَ يده المبقعة كأنما يردأ عن نفسه ضربةً، وقال: «لا يُمكن أن جلالتكِ تظنّين... الأخوات الصّامتات أزلن أحشاء اللورد تايوين وأعضاءه الدّاخليّة وأفرغن دماءه... لقد التزمنا العناية الكاملة... حشونا الجثّة بالأملّاح والأعشاب العطّرة...».

- «أوه، أعفني من التّفاصيل المقرّزة. لقد شملتُ نتيجة عنايتك. فنون اللورد كايرن العلاجيّة أنقذت حياة أخي، ولا أشكُّ في أنه سيخدم الملك ببراعةٍ أكثر من ذلك الخصي المتزلف. سيّدي، هل تعرف زملاءك المستشارين؟».

أجاب كايرن: «إذا لم أعرفهم فأنا مُخبر خائب يا جلالة الملكة»، واتّخذ مقعدًا بين أورتون ميريوذر وجايلز روزبي.

أعضاء مجلسي. اقتلعت سـرسي كـلّ وردةٍ وكلّ مـدينٍ بمعـروف لعمّـها وأخيـها، ووضعت مكانهم رجـالًا إخلاصـهم لها هـي، بل وأطلقت عليـهم ألقـابًا جـديدةً اسـتعارتها من المـدن الـخـرّة، فلـن يـكون فـي البـلاط «قـيّمون» إلّا هـا. أورتون ميريوذر كـبير قـضاةـها، وجـايلز روزبي خـازنـها، وأوران ووترز -نـغـل (دريغتمـارك) الـشّاب الوسيم- أميرالها الأعلى.

ويدها السير هاريس سويغت.

رجـل لـيـن أصـلح خـنـوع هـو، لـه لحيـة صـغيرة بيضاء سـخيفة تُغطّي ذقنـه، وعلى وجـهه سُترتـه القطيفة الصّفراء الـديك الأزرق الصّغير رمز عائلتـه مطرّزًا بحـبّات اللـازورد، وقد ارتدى فوقها معطفاً من المخمل الأزرق مزيّنًا بمئة يدٍ ذهبيّة. طار السير هاريس فرحًا بتكليفه لكونه أكثر بلاهةً من أن يعي أنه أقرب إلى الرّهينة من اليـد، فابنتـه زوجة عمّ سـرسي، وكـيفان يحبُّ زوجتـه التّافهـة على الـرغم من صـدرها المسـطح وسـاقـيها الـرفيعتين كسـيقان الـدّجاج. ما دام السـير هـاريس تحـت تصرّفها فعلى السير كيفان لانستر أن يُفكّر مرّتين قبل أن يُعارضها. صحيح أن الحم ليس رهينةً مثاليّةً لكن وقايةً ضعيفةً أفضل من لا شيء.

سألها أورتون ميريوذر: «هل سينضمُّ إلينا الملك؟».

- «ابني يلعب مع ملكته الصّغيرة. في الوقت الرّاهن فكرته عن المُلْك أن يضع الختم الملكي على الأوراق. ما زال جلالته صغيرًا للغاية على استيعاب شؤون الدّولة».

- «وحضرة القائد الهُمام؟».

- «السـير چايمـي عنـد صـانع الـسّلاح يُركّب يـدًا. أعرفُ أنـنا جمـيعًا سـئمنا من منظر تلـك الجـدعة القبيحـة، ولـدي أن أضيف أنـه سـيجد جلسـتنا هـذه مضـجرةً كمـا سيجدها تومن». قهقهة أوران ووترز لقلولها،

فكّرت سرسي: جيّد، كلّما ضحكوا أكثر شكّل چايمي تهديدًا أضعف. فليضحكوا. «هل عندنا نبيذ؟».

- «نعم يا جلاله الملكة». ليس أورتون ميريويدر بالرجل الوسيم، بأنفه الكبير وشعره البُرْتُقالي المحمّر الأشعث، لكن الكياسة لا تعوزه أبدًا. «عندنا نبيذ أحمر من (دورن) ونبيذ ذهبي من (الكرمة)، وهيوكراس حُلُو ممتاز من (هايجاردن)».

- «الذهبي على ما أظنّ. إنني أجِدُ الخمر الدورنيّة رديئةً كالـدورنيّين أنفسهم»، وبينما ملأ ميريويدر كأسها أضافت سرسي: «أرى أن نبداً بهم إذن».

كانت شفتا المايستر الأكبر پايسل ما زالتا ترتعدان، لكنه وجدَ القدرة على الكلام بوسيلةٍ ما، فقال: «كما تأمرين. الأمير دوران قبضَ على نغلات أخيه المشاغبات، لكن (صنسيپر) لم تزل تغلي. الأمير كتبَ أن لا أمل لديه في تهدئة الأوضاع إلى أن يتلقّى العدالة التي وُعدَ بها».

- «بالتأكيد». كائن متعب هذا الأمير. «انتظاره الطويل يُشارف نهايته. سأرسلُ بالون سوان إلى (صنسيپر) ليُوصِّلَ له رأس جريجور كليجآين». وعلى السير بالون مهمّة أخرى يُنفّذها أيضًا، لكن الأفضل ألا تذكر هذا الجزء.

داعبَ السير هاريس سويفت لحيته الصّغيرة المضحكة بسبّابته وإبهامه متسائلًا: «آه، هل ماتَ إذن؟ السير جريجور؟».

أجابَه أوران ووترز بجفاف: «أظنّ هذا يا سيّدي. قيلَ لي إن قطع الرأس عن الجسد مميت في أغلب الحالات».

تحبُّ سرسي القليل من الطّرافة بشرط ألا تكون هدفها، ولذا أيّدتَه بابتسامة، وقالت: «السير جريجور ماتَ متأثرًا بجراحه، تمامًا كما تنبأ المايستر الأكبر پايسل».

تنحنحَ پايسل ورمقَ كايرن بعبوسٍ قائلاً: «الحربة كانت مسمّمةً، لم يكن باستطاعة أحد أن يُنقّذه».

علّقت الملكة: «هذا ما قلته من قبل، أذكره جيّدًا»، والتفتت إلى يدها تسأله: «عمّ كنتم تتكلّمون حين دخلتُ يا سير هاريس؟».

- «العصافير يا جلاله الملكة. السيّتون راين-ارد يقول إن هناك زهاء ألفين في المدينة، والمزيد منهم يصل كلّ يوم. قادتهم يرَدّدون مواعظ عن الهلاك وعبادة الشّياطين...».

رشفت سرسي من التّبيذ. لذيذ جدّا. «وهو ما كان يجب أن يحدث منذ زمن، أليس كذلك؟ ماذا نُسمّي ذلك الإله الأحمر الذي يعبّده ستانيس إن لم يكن شيطانًا؟ المفترض أن تُعارض العقيدة هذا الشرّ». كايرن -هذا الرجل الفطن- هو من ذكرها بالأمر. «أخشى أن السيّتون الأعلى الرَّاحل تغاضى عن الكثير. السيّن أضعفت بصره واستنزفت قوّته».

ابتسم كايبرن لپايسل قائلاً: «كان رجلاً هَرَمًا يا جلالة الملكة، ولم يكن ينبغي أن يُفاجئنا موته. لا أحد يَطْلُب أكثر من أن يموت بسلامٍ في فراشه وقد عاش سنينًا طويلاً».

قالت سرسي: «نعم، لكن علينا أن نأمل أن يكون خليفته أكثر نشاطًا. أصدقائي على التِّلِّ الآخر يقولون لي إنه سيكون توربرت أو راينارد على الأرجح».

عادَ المايستر الأكبر پايسل يتنَحَّح، وقال: «إن لي أصدقاءً في مجلس القانتين أيضًا، ويتكلمون عن السيِّتون أوليدور».

قال كايبرن: «ولا تستبعدوا ذلك الرَّجل لوشن أيضًا. ليلة أمس أولمَ لثلاثين من مجلس القانتين، أطعمهم الخنازير الرُّضيعة وسقاهاهم نبيذ (الكرمة) الذهبي، وبالنَّهار يُحسِن إلى الفقراء بالخُبز الجامد لِيُثَبِّت تقواه».

بدأ أوران ووترز شاعرًا بالملل كسرسي بالضبط من كَلِّ هذه الثَّرترة عن السيِّتونات. حين تراه على مقربةٍ يتَّضح أن شَعْره أقرب إلى الفضي من الذهبي، وعينيَّه خضراوان مائلتان إلى الرمادي في حين كانت عينا الأمير ريجار أرجوانيتين، وعلى الرغم من هذا فالشَّبه... تساءلت إن كان ووترز يقبل أن يحلق لحيته من أجلها. مع أنه يصغرها بعشرة أعوامٍ فإنه يصبو إليها، وسرسي ترى هذا في الطريقة التي يَرْمُقها بها، الطريقة نفسها التي يَرْمُقها بها الرِّجال منذ بدأ ثدياها ينبتان. لأنني كنتُ جميلةً جدًا كما قالوا، لكن چايمي كان جميلًا أيضًا، ومع ذلك لم ينظروا إليه بتلك الطريقة قَط. في صِغرها كانت أحيانًا ترتدي ثياب أخيها على سبيل اللُّهو، ولطالما أذهلتها المعاملة المختلفة تمامًا التي وجدتها من النَّاس وهُم يحسبونها چايمي. حتى اللورد تاويين نفسه...

كان پايسل وميريويذر ما زالا يتجادلان بشأن الرَّجل الجدير بأن يكون السيِّتون الأعلى الجديد، فأعلنت باترةً كلامهما: «أيُّهم يصلح، لكن أيًّا كان من يعتمر التَّاج البلُّوري عليه أن يقضي بالحرمان العقائدي على العِفريت». كان التزام السيِّتون الأعلى السَّابق الصَّمْت بخصوص تيريون جليًّا على نحوٍ فاضح. «وبالنِّسبة إلى هؤلاء العصافير المتحمِّسين، فما داموا لا يُخَرِّضون على الخيانة فهُم مشكلة العقيدة لا مشكلتنا».

تمتَّ اللورد أورتون والسير هاريس موافقين، أمَّا محاولة جايلز روزبي أن يفعل المثل فدحضتها نوبة من السُّعال، وأشاحت سرسي بوجهها باشمئزاز إذ سعلَ كُتْلَةً من البلغم الدَّامي، وسألت: «أيُّها المايستر، هل جلبت الرِّسالة التي وصلت من (الوادي)؟».

أجاب پايسل: «نعم يا جلالة الملكة»، والتقطَ الرِّسالة من بين كومة أوراقه وسوَّاهَا متابعًا: «إنه أقرب إلى بيانٍ من رسالة، وقَّعه في (رونستون) كلٌّ من يون رويس البرونزي والليدي واينوود واللوردات هنتر وردفروت وبلمور، بالإضافة

إلى سايموند تمپلتون فارس (النجوم التسع). كلهم وضعوا أختامهم، ويكتبون قائلين...».

... قدرًا لا بأس به من الهراء. «يُمكنكم أن تقرأوا الرسالة إذا شئتم أيها السادة. رويس والآخرين يحشدون الرجال أسفل (العُش)، وينوون إزاحة الإصبع الصغير عن منصب اللورد حافظ (الوادي)، بالإكراه إلى لزم الأمر. السؤال الآن، هل نسمح بهذا؟».

سألها هاريس سويفت: «هل يطلب اللورد بايلش مساعدتنا؟».

- «ليس بعد. الواقع أنه لا يبدو قلقًا على الإطلاق. في رسالته الأخيرة ذكر عابر للمتمردين قبل أن يُناشدني أن أشحن له بضع معلقات قديمة كانت ملكًا لروبرت».

داعب السير هاريس لحية ذقنه متسائلًا: «وهؤلاء اللوردات الذين وقَّعوا البيان، هل يلتمسون من الملك أن يتدخل؟».

- «لا».

- «إذن... ربما ليس علينا أن نفعل شيئًا».

قال پايسل: «نشوب حرب في (الوادي) سيكون أمرًا مأساويًا للغاية».

ردَّ أورتون ميريويدز ضاحكًا: «حرب؟ اللورد بايلش رجل مسلَّ جدًا، لكن المرء لا يخوض الحروب بالدعابة. أشكُّ أن دمًا سيُراق، وهل يهمُّ من الوصي على اللورد روبرت الصغير ما دام (الوادي) يدفع ما عليه من ضرائب؟».

قالت سـرسـي لنفسـها وقد حزمت أمرهـا: لا. الحقيقة أن الإصـبع الصغير كـان مـفيـدًا أكـثـر فـي البـلاط. كـان مـوهـوبًا فـي إيجـاد الـذهـب، وـلـم يـسـعـل قط. هـكـذا قـالت: «اللـورد أورتون أقنـعـي. مـايسـتر پايسـل، أـمـل عـلـى لـوردات البـيـان هـؤلـاء ألا يـمـسـ پـيـتر أـذـى، وفـيـمـا عـدا ذلـك فـالتـاج راضـ عـن أيّ تـرتـيـبات يـتـخـذونـها إزاء الحـكـم فـي (الوادي) خـلال فـتـرة قـصور روبرت أرن».

- «أمرِك يا جلالـة الملكـة».

قال أوران ووترز: «هَلَّا ناقشنا الأسطول؟ أقلُّ من دسـتـة من سـُفـننا نـجا من جـحـيم (النهر الأسود)، ولا بُدَّ أن نسترجع قوتنا في البحر».

أومأ هاريس سويفت برأسه قائلًا: «القوة البحرية ضرورية للغاية».

سأل أورتون ميريويدز: «هل نستطيع استغلال الحديديين؟ أعداء أعدائنا؟ ما الذي قد يطلبه كُرسى حجر اليم منا ثمنًا لحلف؟».

أجاب المايستر الأكبر پايسل: «يُريدون الشمال، ووالد ملكتنا النبيل وعدَّ اللورد بولتون بالشمال».

قال ميريويدز: «مؤسف. لكن الشمال كبير ويُمكن تقسيم أراضيه. ليس ضروريًا أن يكون الاتفاق دائمًا، وربما يقبل بولتون إذا أكدنا له أن قوتنا ستكون في صفه بمجرد تدمير ستانيس».

قال السير هاريس سويغت: «سمعتُ أن بالون جرايچوي مات. هل نعرف مَنْ يَحْكُم الجُزر الآن؟ هل كان للورد بالون ابن؟».

سعل اللورد جايلز متسائلًا: «ليو؟ ثيو؟».

قال كايرن: «ثيون جرايچوي نشأ في (وينترفيل) ربيبًا لإدارد ستارك، وليس محتملًا أن يكون صديقًا لنا».

قال ميريويدز: «سمعتُ أنه قُتِلَ».

شدَّ السير هاريس سويغت لحيته الصَّغيرة، وسأل: «أكان له ابن واحد فقط؟ إخوة، كان هناك إخوة، أليس كذلك؟».

فكرت سرسي بضيق: كان فارس ليعلم، ثم إنها قالت: «لا أقترحُ أن نتحالف مع سرب الأسماك البائس هذا. دورهم سيحين بعد أن نتعامل مع ستانيس. إننا نحتاج إلى أسطولنا الخاص».

قال أوران ووترز: «أقترحُ أن نبني دُرمونات جديدة، عشرًا كبداية».

سأل پايسل: «وأنتى لنا بالتكلفة؟».

اعتبر اللورد جايلز السؤال دعوةً للشُّعال من جديد، فخرج منه المزيد من اللُّعاب الوردي الذي جفَّه بمنديل مرَّع من الحرير الأحمر، ثم إنه استطاع أن يقول: «ليس هناك... لا... ليس لدينا...»، قبل أن يبتلع الشُّعال كلامه.

أثبت السير هاريس أنه سريع كفايةً في إدراك المعنى على الأقل، وقال معترضًا: «دخول التَّاج لم تكن أكبر مما هي الآن قط. السير كيثان أخبرني بهذا بنفسه».

قال اللورد جايلز ساعلاً: «...المصروفات... ذوو المعاطف الذهبية...».

قالت سرسي التي سبقَ لها أن سمعت اعتراضاته: «اللورد الخازن يُحاول أن يقول إن عندنا كثيرين من ذوي المعاطف الذهبية وقليلًا من الذهب». بدأ سعال روزبي يُضايقها. ربما لم يكن جارت السَّمين بهذا السُّوء. «مع أن دخول التَّاج كبيرة فإنها لا تكفي لتسديد ديون روبرت، وبناءً عليه قرَّرتُ أن نُؤجِّل دفعنا المبالغ التي ندين بها للعقيدة المقدَّسة ومصرف (برافوس) الحديدي حتى نهاية الحرب». لا شكَّ أن السَّيِّتون الأعلى الجديد سيُولول احتجاجًا ويرغي البرافوسيون ويُزبدوا في وجهها، لكن وماذا في هذا؟ «المبالغ الموفرة ستُستخدَم في بناء أسطولنا الجديد».

قال اللورد ميريويدز: «جلالتك رشيدة. إنه إجراء حكيم، وضروري أيضًا حتى تضع الحرب أوزارها. أوافق».

قال السير هاريس: «وأنا أيضًا».

وبصوتٍ راجف قال پايسل: «جلالة الملكة، أخشى أن هذا سيُسبِّب متاعب أكثر مما تحسب. (المصرف الحديدي)...».

- «... سيظلُّ في (برافوس)، بعيدًا وراء البحر. سينالون ذهبهم أيها المايستر. اللانستر يُسَدِّد ديونه».

رنت حلقات سلسلة پايسل ذات الجواهر بصوتٍ ناعم وهو يقول: «البرافوسيون عندهم مقولة أيضًا، يقولون: (المصرف الحديدي) سينال ما له».

- «(المصرف الحديدي) سينال ما له عندما أقولُ إنه سيناله، وحتى ذلك الحين سينتظر (المصرف الحديدي) باحترام. لورد ووترز، اشرع في بناء دُرموناتك».

- «ممتاز يا جلالة الملكة».

قلَّب السير هاريس بعض الأوراق، ثم قال: «المسألة التالية... وصلت إلينا رسالة من اللورد فراي يعرض فيها عددًا من الدَّعاوى...».

قاطعتَه الملكة محتدَّة: «كم يُريد هذا الرَّجل من أراضٍ وتكريم؟ لا بُدَّ أن أمَّه كانت لها ثلاثة أثداء!».

قال كايبرن: «ربما لا يعمل سادتي هذا، لكن في الخِمَّارات ومحال الأكال في هذه المدينة من يُلَمِّحون إلى أن التَّاج كان متواطئًا على نحوٍ ما مع اللورد والدر في جريمته».

حدَّجَه المسـتشارون الآخرون حائرين، ثم سأل أوران ووترز: «هل تُشير إلى الزِّفاف الأحمر؟»، وردَّ السير هاريس: «جريمة؟»، وتنحنح پايسل بصوتٍ مزعج، وسعل اللورد جايلز.

قال كايبرن منبِّهًا: «هؤلاء العصافير يتكلَّمون بجرأةٍ أكثر من غيرهم بكثير، يقولون إن الزِّفاف الأحمر كان إهانةً لكلِّ شرائع الآلهة والبشر، وإن من كانت لهم يد فيه ملعونون».

أدركت سـرسي ما يعنيه بـلا إبطاء، فقالت: «مؤكَّد أن اللورد والدر سـيخضع لحُكْم (الأب) قريبًا. إنـه طاعن في السِّن. فلـيَبْصُق العصافير على ذكره. لا علاقة لنا بالأمر».

قال السير هاريس: «نعم»، وقال اللورد أورتون: «نعم»، وقال پايسل: «لا أحد يُمكنه أن يظنَّ هذا»، وسعل اللورد جايلز.

أيدهم كايبرن قائلاً: «القليل من البُصاق على قبر اللورد والدر لن يُزعج الدُّود، لكن من المفيد أيضًا أن يُعاقب أحد على الزِّفاف الأحمر. بعض رؤوس أبناء فراي سينفع كثيرًا في تهدئة الشَّمال».

قال پايسل: «اللورد والدر لن يُضجِّي بذويه أبدًا».

رَدَّتْ سرسي متأملّة: «صحيح، لكن ربما لا يميل ورثته إلى الاعتراض. اللورد والدٍ سيتعطف علينا ويموت قريباً كما نأمل، فهل يملك سيّد (المعبر) الجديد وسيلةً لتخليص نفسه من أنصاف الإخوة المزعجين وأبناء العمومة السّمجين والأخوات المتآمرات أفضل من إلصاق الذّنب بهم؟».

قال أوران ووترز: «بينما ننتظر موت اللورد والدٍ ثمة مسألة أخرى. الجماعة الذهبية فسخت عقدها مع (مير). سمعتُ على أرصفة الميناء من يقولون إن اللورد ستانيس استأجرهم وسيعبّر بهم البحر».

سأل ميريوذر: «وكيف سيدفع أجرهم؟ ثلجاً؟ إن اسمها الجماعة الذهبية. كم يملك ستانيس من الذهب؟».

أجابَت سرسي: «القليل جدّاً. اللورد كايرن تكلم مع طاقم القادس المايري الرّاسي في الخليج، الذي يقول إن الجماعة الذهبية في طريقها إلى (قولانتيس). إذا كانوا ينتوون عبور البحر إلى (وستروس) فإنهم يتحرّكون في الاتجاه الخاطئ».

اقترح اللورد ميريوذر قائلاً: «ربما سئموا من القتال مع الجانب الخاسر». أيّدته الملكة قائلة: «هناك هذا السّبب أيضاً. أعمي فقط من يفشل في رؤية أننا في حُكم المنتصرين في حربنا. اللورد تايرل يُطوّق (ستورمز إند)، و(ريقرن) يُحاصرها آل فراي وداقن ابن خالي حاكم الغرب الجديد، وسُفن اللورد ردواين عبرت (مضيق تارث) وتُبحر مسرعةً بمحاذاة السّاحل. لم يتبقّ في (دراجونستون) إلّا قوارب صيدٍ قليلة تُواجه رسو ردواين. قد تَصُمّد القلعة فترةً، لكن ما إن نستولي على المرفأ سنقطع الحامية عن البحر، وعندها لن يبقى إلّا ستانيس نفسه يُزعجنا».

قال المايستر الأكبر پايسل منبّهاً: «إذا صدّقنا ما قاله اللورد چانوس فإنه يُحاول أن يعقد حِلَقاً مع الهَمج».

أعلن اللورد ميريوذر: «برابرة يرتدون الجلود. مؤكّد أن اللورد ستانيس يائس حقّاً ما دام يسعى إلى تحالفٍ كهذا».

قالت الملكة موافقةً: «يائس وأحمق. الشّماليّون يكرهون الهَمج، فلن يُواجه رويس بولتون مشكلةً في كسبهم إلى صفوفنا. بعضهم انضمّ إلى ابنه النّغل بالفعل لمساعدته على إجلاء هؤلاء الحديديين الدّمام من (خندق كالين) وإخلاء الطريق لعودة اللورد بولتون. أومبر وريزويل... نسيّتُ أسماء الآخرين. حتى (الميناء الأبيض) على وشك الانضمام إلينا. سيّدها وافقَ على تزويج كلتا حفيدتيه باثنين من أصدقائنا أبناء فراي وفتح المرفأ لسُفننا».

قال السير هاريس حائراً: «حسبتُ أن لا سُفن عندنا».

قال المايستر الأكبر پايسل: «وايمان ماندرلي حامل راية إدارد ستارك المخلص.

هل يُمكن أن نثق برجلٍ مثله؟».

لا أحد جدير بالثقة. «إنه رجل عجوز بدين وخائف، لكنه ما زال يُعائِد في نقطة واحدة، يصِرُّ على أنه لن يخضع حتى يُعاد وريثه إليه».

سأل السير هاريس: «وهل وريثه عندنا؟».

- «سيكون في (هارنهال) إذا كان حيًّا. حريجور كليجاين أسرَه». لم يكن الجبل يترقُّ بسُجنائه دائمًا، حتى من يستحقون فديةً لا بأس بها. «إذا ماتَ فأظن أن علينا أن نُرسل للورد مان-درلي رؤوس من قتلوه، مص-حوبة بخ-الص اعت-ذارنا». إذا كان رأس واحد يكفينا لاس-ترضاء أم-ير (دورن)، ف-لا بُدَّ أن ك-يسًا من ال-رؤوس يُن-اسب شماليًا بدينًا يرتدي جلد الفقمة.

سأل پايسل: «ألن يسعى اللورد ستانيس إلى الفوز بولاء (الميناء الأبيض) أيضًا؟».

- «أوه، لقد حاول. ال-لورد مان-درلي بعثَ لنا برسائله وأجابهـا بالأع-ذار. س-تانيس يُطالب بس-يوف (الميناء الأبيض) وفضت-ها، ومقابل-ها يعرض... لا شيء». ذات يومٍ علي-ها أن تُش-عل ش-معة لـ(المُحارب) ال-ذي أخ-ذ رنل-ي وترك س-تانيس، فل-و ح-دث العك-س لك-انت حيات-ها أش-ق كثرًا. «ص-بيحة ال-يوم تح-ديدًا وصل- إلينا طائر آخر.

ستانيس أرسلَ مهرَّب البصل للتعامل مع (الميناء الأبيض) نيابةً عنه، فألقى ماندرلي المأفون في زنزانه ويسألنا ماذا يفعل به».

قال اللورد ميريويدز مقترحًا: «فليُرسله إلينا هنا كي نستجوبه. ربما يعرف الرَّجل الكثير من المعلومات القيِّمة».

وقال كايرن: «فليُمت. سيكون موته درسًا للشماليين، يُريهم ما يحلُّ بالخونة».

ردَّت الملكة: «أُتفقُ تمامًا. لقد أمرتُ اللورد ماندرلي بأن يقطع رأسه في الحال. سيكون هذا قمينًا بأن يضع نهايةً لقرص تاييد (الميناء الأبيض) ستانيس».

علّق أوران ووترز مقهقهًا: «ستانيس سيحتاج إلى يدٍ جديد. فارس اللِّفت ربما؟».

قال السير هاريس سويغت حائرًا: «فارس لِّفت؟ مَنْ هذا الرَّجل؟ لم أسمع عنه من قبل»، فلم يُجر ووترز جوابًا إلا بتدوير عينيه في محجريهما استهجانًا، في حين سأل ميريويدز: «وماذا لو رفض اللورد ماندرلي؟».

قالت س-رسي: «لن يجرؤ. رأس فارس البصل هو العُمل-ة الت-ي علي-ه أن يش-تري بها حي-اة ابن-ه»، وابتس-مت مردفةً: «ربما لأن العجوز الأحمق البدين مخلصًا لآل ستارك على طريقته، لكن مع فناء ذئاب (وينترفل)....».

قال پايسل: «جلالتك نسيت الليدي سانزا».

- «بكل تأكيد لم أنس تلك الذئبة الصغيرة»، قالت الملكة مغضبة، رافضة أن تنطق اسم الفتاة. «كان الأحرى بي أن ألقها في الزنازين السوداء باعتبارها ابنة خائن، وبدلاً من هذا جعلتها من أهل بيتي. لقد شاركتني الدِّفء والمأوى ولعبت مع أطفالتي، وأطعمتها وألبستها وحاولت أن أجعلها أقل جهلاً بالعالم، فكيف ردت لي الجميل؟ ساعدت على اغتيال ابني. حين نَعَثُر على العفريت سنَعَثُر على الليدي سانزا أيضاً. إنها لم تَمُت... لكني أعدكم بأنني لن أفرغ منها قبل أن أجعلها نُعَيَّي لـ (الغريب) متوسِّلةً قبلته».

تلا كلامها صمت متوتر، فسألت سرسي نفسها بضيق: هل ابتلعوا أسننتهم جميعاً؟ صمتهم يكفي لأن تتساءل لِمَ تُتعب نفسها وتجتمع مع المجلس من الأصل.

تابعت الملكة: «على كل حال، ابنة اللورد إدوارد الصغرى عن-د اللورد بولتون، وس-تتزوج ابن-ه رامزي ما إن تَس-قُط (خن-دق ك-ايلن)». شريطة أن تلعب الفتاة دورها ببراعة كافية لتوطيد حق مطالبتهما بـ (وينترف)، فلن يُبالي ابنا بولتون كثيراً بأنها في الحقيقة ابنة وكيل ما دبر الإصبع الصغير هويتها الزائفة. «ما دام محتماً أن يكون في الشمال ستارك فسنعطيهم ستارك». تركت اللورد ميريويدز يُعيد ملء كأسها، وواصلت: «لكن ثمة مشكلة أخرى ظهرت على (الجدار). إخوان حرس الليل فقدوا عقولهم واختاروا ابن ند ستارك النغل قائداً لهم».

- «اسمه سنو»، قال پايسل فلم يُضف جديداً.

قالت الملكة: «لمحت-ه مرّة ف-ي (وينترف-ل)، ولو أن آل س-تارك بذلوا أقصى جهدهم لموارات-ه. إن-ه يُش-به أباه كثيراً». كأن نغول زوجها يُش-بهونه أي-ضاً، وإن تم-تّع روبرت بالكياسة وأبقى-اهم بعيداً عن الأنظار على الأقل. ذات مرّة، بع-د تلك الحادثة المؤسفة مر-ع الق-طة، جعج-ع ق-ائلاً شيئاً ما عن الإتيان ببن-ة غير شرعية إلى البلاط، فقالت له: «افعل ما تشاء، لكنك قد تجد المدينة مكاناً ضاراً بفتاة في طور النّمو». استعصى عليها إخفاء الكدمة التي نالتها من جرّاء تلك الكلمات عن چايمي، لكن-هم لم يس-معوا المزي-د عن تلك النّغلة. ك-اتلين تلي-ك-انت ف-أرّة، وإلا لك-انت كت-مت أنفاس چون س-نو هذا ف-ي المهد، وبدلاً من هذا تركت المهمة الق-ذرة ل-ي. «س-نو يشترك مع اللورد إدوارد في الجنوح إلى الخيانة أيضاً. الأب أراد أن يُسَلِّم البلاد لستانيس، والابن أعطاه أراضٍ وقلاعاً».

قال پايسل مذكراً إياهم: «حرس الليل مقسمون على عدم التّدخل في حروب (الممالك السبع). منذ آلاف السنين والإخوة السود يصونون هذا التقليد».

قالت سرسي: «حتى الآن. النغل كتب لنا مؤكّداً أن حرس الليل لا يتدخلون،

لكن أفعاله تفضح أكاذيبه. لقد أعطى ستانيس الطعام والمأوى، ومع ذلك ما زال بالصفاقة الكافية لأن يُناشِدنا أن تُرسل إليه أسلحةً ورجالاً». أعلن اللورد ميريويدر: «مهزلة! لا يُمكن أن نسمح لحرس الليل بضَمِّ قوَّتهم إلى اللورد ستانيس».

قال السير هاريس سويغت متفَقًّا: «يجب أن نُعلنَ سنو هذا خائنًا ومتمرِّدًا. لا بُدَّ أن يُزيحه الإخوة السود».

أومأ المايستر الأكبر پايسل برأسه بتؤدة، وقال: «أقترحُ أن نُبلغ (القلعة السوداء) بأننا لن نبعث إليهم بمزيدٍ من الرجال حتى يرحل سنو».

قال أوران ووترز: «دُرمونا اتنا الجديدة سـ تحتاج إلـى مـلأحين. لنُملـى علـى اللـوردات أن يُرسِلـوا اللـصوص ومنـتـهـكي حُرمة الأرضـي إلـى مـن الآن فصـاعدًا بـدلاً مـن (الجدار)».

مالَ كايرن إلى الأمام قائلاً بابتسامة: «حرس الليل يُدافعون عنا جميعًا ضد السناركات والجرامكنات ⁵⁶ أيها السادة، رأيي أن علينا أن نُساعِد إخوتنا السود الشُّجعان».

رمقته سرسي بحدة متسائلة: «ماذا تقول؟».

- «ما قلتـه. من ذـسـنوات وحـرس اللـيل پلتمسـون الرّجـال، وقـد أجـاب اللـورد سـتانيس التماسـهم، فـهل يُمكن أن يفـعل الملـك تـومن مـا هـو أقـل؟ يـجـدُر بجلالتـه أن يُرسِل مئة رجلٍ إلى (الجدار)... ليرتدوا المعاطف السوداء ظاهريًا، أمّا في الحقيقة...».

أكملت سرسي العبارة مسرورة: «... ليقصوا چون سنو عن القيادة». كنتُ أعلمُ أنني محقة حين أردته في مجلسي. قالت ضاحكة: «وهذا ما سنفعله بالضبط». إذا كان ذلك التعلُّل ابن أبيه حقًا فلن يرتاب في شيء، بل وربما يشكرني قبل أن ينغرس النّصل بين ضلوعه. «يجب أن يُتَقَدَّ هذا بحرصٍ بالتأكيد. اتركوا لي الباقي أيها السادة». هكذا ينبغي التّعامل مع العدو، بخنجرٍ لا بإعلان. «أحسنًا عملاً اليوم أيها السادة، أشكركم. هل من شيءٍ آخر؟».

أجاب أوران ووترز بنبرة اعتذارية: «شيء واحد أخير يا صاحبة الجلالة. أتردّد في أن أستهلك وقت المجلس في التّوافه، لكن هناك كلامًا غريبًا يدور في الميناء في الفترة الأخيرة. البحارة الآتون من الشّرق يتكلّمون عن التّنانين...».

قاطعته سرسي: «... والمانتيكورات والسناركات الملتحية أيضًا دون شك، أليس كذلك؟»، وأطلقت ضحكة قصيرة مردفة: «عُد إليّ عندما تسمع شيئًا عن الأقزام يا سيّدي»، ونهضت مشيرةً بهذا إلى نهاية الاجتماع.

كانت ريح خريفية عاتية تهبُّ عندما غادرت سرسي قاعة المجلس، ولا تزال أجراس بيلور المبارك تصدح بأغنية الجِداد في هواء المدينة من بعيد، وفي

السّاحة نحو أربعين من الفُرسان يكرُّ بعضهم على بعض بالسُّيوف والتُّروس مضيفين إلى الصَّخب صخبًا. رافقَ السير بوروس بلاونت الملكة إلى مسكنها، حيث وجدت الليدي ميريوذر تضحك مع چوسلين ودوركاس، فسألتهن: «ما الطَّريف لهذه الدَّرَجَة؟».

أجابَت تايِنا: «التَّوأمان ردواين، كلاهما وقعَ في هوى الليدي مارچري. من قبل اعتادا أن يتشاجرا على من سيُصبح سيِّد (الكرمة) التَّالي، أمّا الآن فكلاهما يرغب في الانضمام إلى الحرس المَلِكِي لمجرّد أن يكون قُرب الملكة الصَّغيرة».

- «النَّمش على وجوه آل ردواين أكثر دائميًا من الذِّكاء في عقولهم». على أنْها معلومة مفيدة. إذا ضُبط هورور أو سلوبر في الفِراش مع مارچري... تساءَلت سرسي إن كانت الملكة الصَّغيرة تحبُّ النَّمش. «دوركاس، اجلبي السير أوزني كِتَلبلاك».

تورّد وجه دوركاس، وقالت: «كما تأمرين».

لَمّا خرّجت الفتاة رمقت تايِنا ميريوذر الملكة بنظرة فضوليّة، وسألتهَا: «لماذا احمرَّ وجهها هكذا؟».

أجابتهَا سرسي وقد حانَ دورها في الضَّحك: «إنه الحُب. فارسنا السير أوزني يستهويها». إنه أصغر الإخوة كِتَلبلاك، صاحب الوجه الحليق، ومع أن له نفس الشَّعر الأسود والأنف المعقوف والابتسامة العفويّة كأخيه أوزموند، فعلى إحدى وجنتيه ثلاثة خدوش طويلة بفضل واحدةٍ من عاهرات تيريون. «أظنُّ أن نُدوبه تُعجبها».

التمعَ الحُبث في عيني الليدي ميريوذر الدَّاكتين وهي تقول: «بالضُّبط. النُّدوب تجعل الرّجل يبدو خطيرًا، والخطر مثير».

قالت الملكة مداعبةً: «إنك تصدميني يا سيِّدتي. إذا كان الخطر يُثيرك هكذا فلمَ تزوّجت اللورد أورتون؟ كلنا نحبه، هذا صحيح، ولكن...». كان پيتر قد علّق مرّةً قائلًا إن بوق الوفرة الذي يُزيّن رايات عائلة ميريوذر يُلائم اللورد أورتون على نحو رائع، بما أن شَعْرَه له لون الجزر وأنفه منتفخ كثمرة شمندر وذكاءه يُضاهي وعاءً من ثريد البازلاء.

قالت تايِنا ضاحكةً: «سيِّدي يتمتّع بالوفرة أكثر من الخطر بالفعل، ورغم ذلك... أملُ أني لن أخطّ من قدر نفسي في نظر جلالتك، لكني لم أذهب عذراء إلى فِراش أورتون».

لكن عاهرات في المُدن الحُرّة، أليس كذلك؟ جيّد أن تعلم هذا، فربما تتمكّن من استغلاله ذات يوم. «وُثِرَى من هذا الحبيب الذي كان... مليئًا بالخطر؟».

ازدادت بشرة تايِنا الزَّيتونيّة دُكنةً إذ تخضّبت بالأحمر، وقالت: «أوه، لم يكن يجب أن أتكلّم. جلالتك ستُحافِظين على سرِّي، أليس كذلك؟».

قالت سرسي: «للرجال التدوب وللنساء الأسرار»، وقبلتها على وجنتيها مفكرة: سأستخلص هذا الاسم منك قريباً.

صرفت الملكة رفيقاتها حين عادت دوركاس بالسير أوزني كتيللاك، ثم قالت له: «تعال اجلس معي عند النافذة يا سير أوزني. هل تريد كأساً من النبيذ؟»، وصبت واحدة لنفسها متابعة: «معطفك مهترئ. أفكر في أن أضعك في واحدٍ جديد».

- «ماذا؟ معطف أبيض؟ من مات؟».

- «ليس بعدُ. أهذه رغبتك؟ أن تنضمَّ إلى أخيك أوزموند في الحرس الملكي؟».

- «أفضل أن أكون حارس الملكة فقط، بعد إذن جلالتك»، وابتسم أوزني ابتسامة عريضة لتلمع التدوب على وجنته بالأحمر، فتحسستها سرسي بأناملها قائلة: «لسانك جريء أيها الفارس. ستجعلني أنسى نفسي ثانية».

أجاب السير أوزني: «جيد»، والتقطَ يدها وقبل أصابعها بخشونةٍ مضيئة: «ملكتي الجميلة».

همست الملكة: «أنت رجل شرير، ولا أظنك فارساً حقيقياً كذلك»، وتركته يلمس ثدييها من فوق حرير فستانها، ثم قالت: «كفى».

- «لا. إنني أريدك».

- «لقد نلتني».

قال: «مرةً فقط»، وأمسك ثدييها الأيسر واعتصره بخرقٍ ذكَّرها بروبرت.

- «ليلة طيبة لفارس طيب. لقد أسديتني صنيعاً شجاعاً ونلت مكافأتك»، ومشَّت سرسي أصابعها على أربطة سراويله وشعرت به ينتصب. سألتها: «أهذا حصان جديد الذي كنت تمتطيه في الساحة صباح أمس؟».

- «الفحل الأسود؟ أجل. هدية من أخي أوزفريد. أسميه منتصف الليل».

يا للابتكار!

قالت: «مُطية رائعة للمعارك، أمّا للمتعة فلا شيء يُقارَن بركوب مَهْرٍ صَغيرةٍ مفعمة بالحياة»، ومنحتَه ابتسامَةً واعتصرتَ ذكَّره مرةً متابعَةً: «اصدقني القول، هل تحسب ملكتنا الصغيرة جميلة؟».

تراجع السير أوزني قائلاً بحذر: «أظنُّ هذا، بالنسبة إلى فتاة. أفضل أن أحظى بامرأة».

همست: «ولمَ ليس الاثنتين؟ اقطف الوردة الصغيرة من أجلي ولن تجدني ناكرةً للجميل».

ردَّ السير أوزني وحرارته تخمد في سراويله: «الملكة... تعنين مارچري؟ إنها زوجة الملك. ألم يكن هناك حارس ملكي فقد رأسه لمضاجعة زوجة الملك؟».

- «منذ عصور». كانت عشيقه الملك لا زوجته، ورأسه الشَّيء الوحيد الذي لم يفقده. إجون مثل به قطعةً قطعةً وجعلَ المرأة تُشاهد. غير أن سرسي لا تُريده أن يُفكر في تلك الحادثة الكريهة الموغلة في القدم، فقالت: «تومن ليس إجون غير الجدير. لا تخف، سيفعل ما أطلبه منه. إنني أنوي أن تفقد مارچري رأسها وليس أنت».

جعلَه هذا يتردّد لحظةً ويسأل: «تقصدين بكارتها؟».

- «وهذه أيضًا. طريف أنها ما زالت محتفظةً بها»، وعادت تتحسّس ندوبه مردفةً: «ما لم تكن تحسب أن مارچري لن تستجيب إلى... سيحرك».

رمقها أوزني بنظرةٍ جريئة، وقال: «إنني أعجبها بما فيه الكفاية بالفعل. بنات عمومتها يُعابثنني بشأن أنفي دائمًا، كم هو كبير وما إلى ذلك، لكن آخر مرة فعلت مجا ذلك أمرتهن مارچري بالتوقف وقالت إن لي وجهًا جميلًا».

- «هكذا إذن».

قال الرَّجل بنبرةٍ ملؤها الشك: «هكذا إذن، لكن أين سأذهب إذا كانت... إذا كنت... بعد أن...».

- «... تفعلنا فعلتكما؟». منحته سيسي ابتسامةً شائكةً، وأجابت: «النوم مع الملكة خيانة. لن يجد تومن خيارًا إلا إرسالك إلى (الجدار)».

ردّد مذعورًا: «(الجدار)؟!».

بذلت لك جـهدًا لتمنـع نفسـها من الضحك مفـكّرةً: لا، الأفضل ألا أضحك. الرَّجال يكـرهون أن يضحك من هم أحد، وبـدلاً من ذلك قالـت: «المعطف الأسود سيتماشى جيّدًا مع عينيك وشعرك الأسود هذا».

- «لا أحد يعود من (الجدار)».

- «أنت ستعود، وما عليك إلا أن تقتل صبيًا؟».

- «من؟».

- «صبيُّ نغل متواطئ مع ستانيس. إنه صغير وأخضر، وسيكون معك مئة رجل».

اشتمت رائحة الخوف المنبعثة من كتلبلاك، وإن كان أكثر غرورًا من أن يعترف بخوفه. كلُّ الرَّجال واحد. قال بإصرار: «لقد قتلتُ صبيةً أكثر مما أستطيع أن أحصي».

بمجرد أن يموت ذلك الصّبي هل سأنال عفوي من الملك؟».

- «العفو بالإضافة إلى لوردية». ما لم يشنقك إخوة سنو أولًا. «لا بُدَّ أن يكون للملكة رفيق لا يعرف الخوف».

قال: «اللورد كتلبلاك؟»، وزحفت ابتسامة بطيئة على وجهه والتهبت ندوبه

بالأحمر، وأردف: «نعم، يروقني وقع الكلمة، لورد من اللوردات...».
- «... ولائق بأن يُضاجع ملكة».

قطَّب وجهه قائلاً: «(الجِدَار) بارد».
وضَعَت سرسي ذراعيها حول عُنقه، وردَّت: «وأنا دافئة. ضاجع فتاةً واقتُل صبيًا وأنا لك. هل تملك الشَّجاعة؟».

فكَّر أوزني لحظةً قبل أن يُومئ إيجابًا ويقول: «أنا رجلِك».
قالت: «أنت رجلي أيها الفارس»، وقبَّلته وجعلته يتذوَّق لسانها قليلًا قبل أن تتراجع قائلةً: «يكفي هذا الآن، يجب أن ينتظر الباقي. هل ستحلُم بي الليلة؟».
أجابَ بصوتٍ مبحوح: «أجل».

سألته مداعبةً: «وحين تكون في الفراش مع مارچري؟ حين تكون في داخلها هل ستحلُم بي؟».
أقسمَ أوزني كِتْلَبلاك قائلاً: «أجل».
- «عظيم».

بعد ذهابه استدعت سرسي چوسلين لثَمَشِيط شَعَرها بينما خلعت حذاءها وتمطَّت كهرةً. قالت لنفسها: إنني مخلوقة من أجل هذا. أناقة الخطَّة الخالصة أكثر ما يسرُّها. حتى مايس تايرل نفسه لن يجرؤ على الدِّفاع عن ابنته الغالية إذا ضُبِطَت متلبِّسةً مع أمثال أوزني كِتْلَبلاك، ولن يجد ستانيس باراثيون أو چون سنو ما يَدعو إلى التَّسَلُّوْل عن سبب إرسال أوزني إلى (الـجِدَار). سوف تحرص على أن يكون السير أوزموند هو من يكتشف أخاه مـرع الملكة الصَّغيرة، وبـهذه الطَّريقة لن يطعن أحد في ولاء الأخوين كِتْلَبلاك الآخرين. لو رأني أبي الآن لما سارع بالكلام عن تزويجي ثانيةً. مؤسفٌ أنه مات، هو وروبرت وچون آرن وإدارد ستارك ورنلي باراثيون، كلهم ماتوا وما بقيَ إلَّا تيريون، وليس طويلًا.

ليلتها استدعت الملكة الليدي ميريوذر إلى غُرْفَة نومها، حيث سألتها: «هل تشربين كأسًا من التَّبِيد؟».
أجابَت المايريَّة ضاحكةً: «واحدةً صغيرةً، واحدةً كبيرةً».

قالت سرسي بينما تضع دوركاس عليها ثياب النَّوم: «أريدكِ أن تزوري زوجة ابني غدًا».

- «الليدي مارچري تسعد لرؤيتي دومًا».
- «أعرفُ». لم يَفُت الملكة أن تلحظ اللَّقب الذي تستخدمه تاينا عند الإشارة إلى زوجة تومن الصَّغيرة. «قولي لها إنني أرسلتُ سبع شموعٍ من شمع النَّحل إلى (سِيت بيلور) إحياءً لذكرى السِّيتون الأعلى العزيز».

ضحكت تاينا، وقالت: «إذن فسُترسل هي سبعة وسبعين شمعة كي لا تتفوقني عليها».

أجابت الملكة باسمّة: «سأستاء كثيرًا إذا لم تفعل. أخبريها أيضًا بأن لها معجبًا سرّيًا، فارسًا مفتونًا للغاية بجمالها حتى إنه لا يستطيع النوم ليلاً».

برق المكر في عيني تاينا الواسعتين الدّاكنتين وهي تسألها: «هل لي أن أسأل جلالتك أيُّ فارس؟ أيُّمكن أنه السير أوزني؟».

- «ربما، لكن لا تُقدّمي لها الاسم طواعيةً، اجعليها تنتزعه منك. هلّا فعلت ذلك؟».

- «إذا كان يسرُّكِ. هذا كلُّ ما أتمنّى يا صاحبة الجلالة».

في الخارج كانت الرّيح الباردة تشتدّ. ظلّت الاثنتان ساهرتين حتى ساعة متأخرة من الصّباح، تشربان نبيذ (الكرمة) الذهبي وتتبادّلان الحكايات. سكرت تاينا تمامًا واستخلصت منها سرسي اسم حبيبها السّرّي، الذي كان ربّانًا من (مير)، نصف فُرصانٍ له شعر أسود ينسدل على كتفيه ونُدبة على وجهه من الدّقن إلى الأذن.

قالت لها المرأة الأخرى: «مئة مرّة قلتُ له لا وقال نعم، إلى أن وجدتُ نفسي أقولُ نعم في النّهاية أيضًا. لم يكن رجلًا يُرفض».

قالت الملكة بابتسامة ملتوية: «أعرفُ هذا النوع».

- «هل عرفت صاحبة الجلالة رجلًا كهذا يا تُرى؟».

أجابت كاذبةً وهي تُفكّر في چايمي: «روبرت».

لكن حين أسدلت جفنيها كان الأخ الآخر هو من حلمت به، وبثلاثة الحمقى المأفونين الذين بدأت بهم يومها. في الحلم أتوها برأس تيرون في الكيس الجِلدي، فطلّته بالبرونز واحتفظت به في وعاء الفضلات.

الرَّبَّانُ الْحَدِيدِي

كَانَتْ الرِّيحُ تهبُّ مِنَ الشَّمالِ فِيمَا دَارَتْ (النَّصْرُ الْحَدِيدِي) حَوْلَ الرَّأْسِ الْأَرْضِي وَدَخَلَتْ الْخَلِيجَ الْمُقَدَّسَ الْمَسْمَى (مَهْدُ نَاجَا).

انْضَمَّ فَيْكْتَارِيونَ إِلَى نِيوتِ الْحَلَّاقِ عَنْ دَمَقِ دِمَّةِ السَّفِينَةِ، وَقَدْ لَاحَ أَمَامَهُمَا سِلَاحُ (وَيْكَ الْقَدِيمَةِ) الْمُقَدَّسِ وَالنَّيْلُ الْمُعْشِ وَشَبَّ فَوْقَهُ، حَيْثُ تَرْتَفِعُ ضُلُوعُ نَاجَا مِنَ الْأَرْضِ كَجَذْوَعِ أَشْجَارٍ بَيْضَاءٍ عَظِيمَةٍ، كُلُّ مِنْهَا يُنَاطِرُ صَارِي الدَّرْمُونَةِ فِي الْعَرَضِ وَيَبْلُغُ ضِعْفَهُ طَوْلًا.

عِظَامُ (بَهُو الْمَلِكِ الْأَشِيبِ). شَعَرَ فَيْكْتَارِيونَ بِمَا فِي هَذَا الْمَكَانِ مِنْ سِحَرٍ، وَقَالَ مُتَذَكِّرًا: «بِالْوَنِ وَقَفَ أَسْفَلَ هَذِهِ الْعِظَامِ حِينَ نَصَبَ نَفْسَهُ مَلَكًا. أَقْسَمَ أَنْ يَسْتَرِدَّ لَنَا حَرِيَّتَنَا، وَوَضَعَ تَارِلَ الْغَارِقِ ثَلَاثًا تَاجًا مِنَ الْخَشَبِ الْمَجْرُوفِ عَلَى رَأْسِهِ، وَهَتَفَ النَّاسُ: بِالْوَنِ! بِالْوَنِ! بِالْوَنِ مَلَكًا!».

قَالَ نِيوتُ: «سَيَدَّوِي هَتَافُهُمْ بِاسْمِكَ أَيْضًا».

أَوَمَّا فَيْكْتَارِيونَ بِرَأْسِهِ مُؤَمِّنًا، وَلَوْ أَنَّهُ لَا يُشَارِكُ الْحَلَّاقَ ثِقَتَهُ حَقًّا. بِالْوَنِ كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءَ، وَابْنَةُ أَحَبِّهَا كَثِيرًا.

هَذَا مَا قَالَهُ لِرَبَابْنَتِهِ فِي (خَنْدَقِ كَايِلِن) حِينَ أَوْعَزُوا إِلَيْهِ بِأَنْ يُطَالِبَ بِكُرْسِيِّ حَجَرِ الْيَمِّ، وَقَالَ رَالْفُ سَتُونَهَاوَسُ الْأَحْمَرُ: «أَبْنَاءُ بِالْوَنِ مَاتُوا، وَأَشَا امْرَأَةً. لَقَدْ كُنْتُ ذِرَاعَ أَخِيكَ الْيُمْنَى الْقَوِيَّةَ، وَيَجِبُ أَنْ تَلْتَقِطَ السَّيْفَ الَّذِي أَفْلَتَهُ»، لَكِنْ عِنْدَمَا ذَكَرَهُمْ فَيْكْتَارِيونَ بِأَنْ بِالْوَنِ أَمَرَهُ بِالِدِّفَاعِ عَنْ (الْخَنْدَقِ) ضِدَّ الشَّمَالِيِّينَ قَالَ رَالْفُ كَنِينَجُ: «الذُّبَابُ انْكَسَرُوا يَا سَيِّدِي. مَا جَدَوِي أَنْ نَكْسِبَ هَذَا الْمُسْتَنْقِعَ وَنَخْسِرَ الْجُزْرَ؟»، وَأَضَافَ رَالْفُ الْأَعْرَجُ: «عَيْنُ الْغُرَابِ غَابَ عَنَّا طَوِيلًا، إِنَّهُ لَا يَعْرِفُنَا».

يُورُونُ جَرَايِجُوِي، مَلِكُ الْجُزْرِ وَالشَّمالِ. أَيْقَظَ الْخَاطِرَ غَضَبَةً قَدِيمَةً فِي قَلْبِهِ، وَرَغِمَ ذَلِكَ...

قَالَ لَهُمْ فَيْكْتَارِيونَ: «الْكَلَامُ هَوَاءٌ، وَالْهَوَاءُ الْجَيِّدُ الْوَحِيدُ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ أَشْرَعَتَنَا. هَلْ تُرِيدُونَنِي أَنْ أَقَاتِلَ عَيْنَ الْغُرَابِ؟ الْأَخُ ضِدَّ الْأَخِ وَالْحَدِيدِي ضِدَّ الْحَدِيدِي؟».

مَا زَالَ يُورُونُ أَخَاهُ الْكَبِيرَ مَهْمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ ضَغَائِنَ. مَا مِنْ أَحَدٍ مُلْعُونٍ كَقَاتِلِ الْأَقْرَبِينَ.

لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ حِينَ وَصَلَ اسْتَدْعَاءُ ذِي الشَّعْرِ الرَّطْبِ وَدَعْوَتُهُ إِلَى انْتِخَابِ الْمَلِكِ.

ذَكَرَ فَيْكْتَارِيونَ نَفْسَهُ قَائِلًا: آرونُ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتِ الْإِلَهِ الْغَرِيقِ، وَإِذَا كُنْتَ مَشِيئَةُ الْإِلَهِ الْغَرِيقِ أَنْ أَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّ حَجَرِ الْيَمِّ... فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَلَّى رَالْفُ كَنِينَجَ قِيَادَةَ (خَنْدَقِ كَايِلِنِ)، وَتَحَرَّكَ بَرًّا صَوْبَ (النَّهْرِ الْمَحْمُومِ) حَيْثُ يَرْسُو الْأَسْطُولُ الْحَدِيدِي وَسَطَ أَحْرَاجِ الْقَصْبِ وَأَشْجَارِ الصَّفْصَافِ. بَعْدَهَا أَخْرَهُمُ هَيَاجُ الْبَحْرِ وَتَقَلُّبُ الرِّيَّاحِ، لَكِنْ سَفِينَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ

فُقِدَت، وعادَ فيكتاريون إلى الوطن.

تحرَّكت (الـثَّار الحـديدي) و(الثُّبور) على مقربةٍ وراء (النَّصر الحـديدي) بينما تجـاوزت لسان اليابسة، ووراءهما جاءت (اليـد القـويَّة) و(الرَّيح الحـديد) و(الشَّبَح الرَّمـادي) و(الـورد كـويلون) و(الـورد فيكـون) و(الـورد داجـون) والبقـيَّة، تسـعة أعشـار الأسـطول الحـديدي المبحر في تـيّار المساء في صَفٍّ غـير منتظم يمتدُّ فراسـخ عديدةً إلى الـوراء. ملأَ منظر القلوع فيكتاريون جرايچوي بالرِّضا. لا رجل في الدنيا أحبَّ زوجاته كما يحبُّ حضرة الرُّبَّان القائد سُفنه.

على شاطئ (ويك القديمة) المقدَّس تصطفُ السُّفن الطويلة على مدى البصر بصوارٍ مرتفعة كالجراب، وفي البُقع الأعـمق من المياه ترسو الغنائم؛ أكواج

وقراقير ⁵⁷ ودُرمونات طُفِرَ بها في الغارات أو الحروب، وتمنعها أحجامها الكبيرة من الدُّنو من الشَّاطئ، وعلى مقدِّماتها ومؤخِّراتها وصواريخها تخفق رايات مألوفة.

ضـيِّق نـيوت الحـلَّاق عينيـه ناظراً إلى الشَّاطئ، وتسـاءل: «أهـذه (أغنـيَّة البحـر) سـفينة الـورد هـارلو؟». الحـلَّاق رجـل غلـيظ البنية لـه سـاقان متقوَّستان وذراعان طويلتان، لكن بصره لم يَعدَّ حادًّا كما كان في شبابه. في تلك الأيام كان بإمكانه رمي الفأس بمنتهى البراعة، حتى إن النَّاس قالوا إنه يستطيع أن يحلق لحيتك بها.

يبدو أن رودريك القـارئ تـركَ كُتبه. «(أغنـيَّة البحـر)، نـعم. وهـذه هـي (الرَّاعـد) سـفينة دروم العجـوز، وإلى جوارها (طـيّار الـليل) سـفينة بلاكتايـد». ما زالت عينـا فيكتـاريون تتمتّعـان بحـدَّتـهما المعـهودة، وعلى الرـغم من انطواء الأشـرعة وإرتخاء الرّايـات فقـد تعرّف السُّفن كمـا يـليق بحضرة الرُّبَّان قائـد الأسـطول الحـديدي.

«و(الرَّعنفة الفضيَّة) أيضًا. لا بُدَّ أنه من أقرباء ساوان بوتلي». سمعَ فيكتاريون أن عين الغراب أغرق اللورد بوتلي، كما أن وريثه مات في (خندق كايلن)، لكن هناك إخوةٌ وأبناء آخريـن أيضًا. كم؟ أربعة؟ لا، خمسة، ولا أحد منهم عنده سبب يجعله يحبُّ عين الغراب.

ثم إنه رآها. للسُّفينة صارية واحدة، بدنـها رفيع واطئ وله لون أحمر قاني، وأشرعتها -المطوية الآن- سوداء كسماءٍ بلا نجوم. حتى في المرسى تبدو (الصَّمت) قاسيةً سريعةً. على مقدِّمتها فتاة حديدية سوداء تمدُّ أحد ذراعيها، خصرها ممشوق ونهداها عاليان شامخان وساقاها طويلتان رشيقتان، ومن رأسها يُرفرف شعرها الحديد الأسود كأن الرِّيح تُطَيِّره، وفي عينيها يلتمع عرق اللؤلؤ، لكنها بلا فم.

انغلقت قبضتا فيكتاريون. بهاتين اليـدين ضربَ أربعة رجـالٍ حتـى الموت، وزوجـةً أيـضًا. رَغـم الشَّيـب الـذي وخـطَ شـعره فإنـه لا يزال

محتفظًا بقوة كاملة، صَدْره عريض كالثيران ويطنه مسطح كالصبيان. قاتل الأقربين ملعون في أعين الآلهة والبشر. هذا ما ذكره به بالون يوم صرف عين الغراب إلى البحر.

قال فيكتاريون للحلاق: «إنه هنأ. أنزلوا الأشرعة، سننتقدم بالمجاديف فقط. ومُر (الثبور) و(الشار الحديدي) بالوقوف بين (الصمت) والبحر، ولنغلق بقية السفن الخليج. لا أحد يغادر إلا بأمر، سواء أكان رجلًا أم غرابًا».

كان من على الشاطئ قد أبصروا أشرعتهم، وتردد هتافهم عبر الخلج إذ رفع الأصـدقاء والأهل عقائـرهم بالتحيات... لكن صـوتًا لم يخـرج من (الصمت). على ظهرها لم تصدر كلمة واحدة من طاقمها المتنفر من البكم والهجان إذ دنت (النصر الحديدي)، وحدق إليه رجال سود كالقار وآخرون قصار مكتنزون مشعرون كقردة (سوثيريوس). وحوش.

ألقوا المرساة على بُعد عشرين ياردة من (الصمت)، وقال فيكتاريون: «أنزلوا قاربًا، أريد الذهاب إلى الشاطئ»، ثم إنه تمنطق بحزامه فيما أخذ الملاحون أماكنهم، ليسـتقر سـيفه الطويل على أحد وركبيـه وخنجـره على الثاني. حول كتـفي حـضرة القائد ثـبت نـيوت الحـلاق معطفه المصـنوع من تسـع طـيقات من قـماش الـذهب والمفصل على شكل كراكن عائلة جرايچوي وتتدلى ذراعاه حتى حذائه، وقد ارتدى تحته قميصًا ثقيلًا من الحلقات المعدنية الرمادية فوق الجلد الأسود المقوي. كان قد اعتاد ارتداء الحلقات المعدنية في (موت كايلن) ليل نهار، فاحتمال تيبس كتفيه وألم ظهره أسهل من الإسهال الدمو، إذ يكفي أن يخدش أحد سهام شياطين المسـتنقعات المسـومة المرء مجـرد خـدش، وخـلال سـاعات قليلة سـتجده يصـرخ بينمـا تسـيل حياـته من بـين سـاقيه فـي دقـات من الأحمر والبـني. سـاتعامل مـع شياطين المستنقعات أيـا كان الفائز بكـرسي حجر اليم.

اعتمر فيكتاريون خوذة حربية سوداء طويلة، مطرقة على شكل كراكن حديدي تلتف أذـرعه حول وجنتيه وتلتقي أسفل فكـه. عندئـذ كان القارب قد صار جاهـزًا، فقال لنيوت وهو ينزل على جانب السفينة: «لقد وضعت الصناديق في عهدتك. احـرص على وضع حـراسة مشددة عليها». الكثير يعتمد على هذه الصناديق.

- «كما تأمر يا جلالة الملك».

أجاب فيكتاريون بوجه عابس: «لست الملك بعد»، ونزل إلى القارب.

وكان آرون ذو الشـعر الرطب فـي انتظاره وسـط الأمـواج المتكـسرة على الشاطئ، وقد علق قـربة المـاء المـالح تحـت ذراعـه. البراهـب نحـيـل طويـل ولكـن أقصـر قامـة من فيكتاريون، ويبرز أنفه كزعنفة

سـمكة قـرش مـن وـجـهـه المـهـزول تـحـت عـيـنـين مـن حـديـد، وتـبـلـغ لـحـيـتـه خـصـرـه، وعـنـدما تـهـبُّ الـريـح يـصـفـع شـعـره الطـويـل المـتـشـابـك كـالـحـبال مـؤخـرة سـاقـيه. قال والموج الأبيض البارد يتكسر حول كاحليه: «أخي، ما ماتَ لا يُمكن أن يموت أبداً».

رَدَّ فيكتاريون: «بلى يُبعث من جديد أقوى وأصلب»، وخلعَ خوذته وركعَ لتملأ مياه الخليج حذاءه وتبلل سراويله بينما صبَّ آرون خيطاً من الماء المالح على جبهته، وشرعَ الاثنان في الصلاة، ولمَّا فرغاً سألَ حضرة القائد ذا الشعر الرطب: «أين أخونا عين الغراب؟».

- «خيمته تلك المصنوعة من قماش الذهب، هناك حيث اللُغَط أَشدُّ. إنه يُحيط نفسه بالكافرين والوحوش، أسوأ من قبل. فيه فسدت دماء أبينا».

- «ودماء أمنا أيضاً». يَرْفُضُ فيكتاريون أن يتكلَّم عن قتل الأقربين هنا في هذا المكان المقدس أسفل عظام ناجا و(بهو الملك الأشيب)، ولكن كم من ليلةٍ حلمَ فيها بنفسه يهوي على وجه يورون الباسم بقبضةٍ مقفزة بالحديد، إلى أن يتشقق لحمه وتسيل دماؤه الفاسدة حمراء حرةً. إياك أن تفعل ذلك. لقد أعطيت بالون كلمتك. سألَ أخاه الرَّاهب: «هل أتى الجميع؟».

- «جميع من لهم أهميَّة، الرِّبابة والملوك». في (جُزر الحديد) الاثنان سيَّان، لأن كلَّ رُبَّانٍ ملك على سطح سفينته، وكلَّ ملكٍ لا بُدَّ أن يكون رُبَّاناً. «هل تنوي المطالبة بتاج أبينا؟».

أجابَ فيكتاريون متخيلاً نفسه يجلس على كُرسي حجر اليم: «إذا شاءَ الإله الغريق».

قال آرون ذو الشعر الرطب وهو يلتفت مبتعداً: «سيقول الموج كلمته، فأصغِ إلى الموج يا أخي».

- «أجل». تساءلَ كيف سيكون وقع اسمه إذ تهمسه الأمواج ويهتف به الرِّبابة والملوك. إذا أتنني الكأس فأنا ذائقها.

كـانوا قـد ازدحموا يتمـنُّون لـه التَّوفـيق وبتـوددون إلـيـه، فـرأى فيكتاريون رجـالاً مـن كـلِّ جـزيرة، مـن آل بلاكتايـد وآل تـاوني وآل أوركـوود وآل سـتونـتري وآل وينـش وكثيرين غيرهم، وقد حضرَ أيضاً آل جودبراذر أولاد (ويك القديمة) وآل جودبراذر أولاد (أوركـمونت) جميعاً، بالإضافة إلى آل كود على الرغم من احتقار الجميع لهم، بينما خالطَ آل شيبارد وآل ويفر وآل نتلي المتواضعون رجالاً من عائلاتٍ عريقةٍ أبيةٍ، بل وخالطهم آل همبل المتواضعون أيضاً مع أنهم من نسل الأقبان والزَّوجات الملحيات. ربَّتْ واحد من آل فولمارك على ظهر فيكتاريون بقوة، ودسَّ اثنان من آل سپار قربةً نبيذٍ في يده، فشربَ كثيراً ومسحَ فمه وتركهم يحملونه إلى بُور النَّار ليسمع كلامهم عن الحرب والتَّيجان والغنائم وما ينتظرهم من

أمجادٍ وحرية في عهده.

ليلتها نصبَ رجال الأسطول الحديدي خيمةً ضخمةً من قُماش الأشرعة فوق خطِّ المد، وأقامَ فيكتاريون مأدبةً لنصفمئةٍ من مشاهير الرِّبانية، أطعمهم فيها لحم الجديان المشوي وسمك القَد المملح والكرkend، وجاءَ آرون أيضًا وأكل السمك وشربَ الماء، في حين تجرَّع الرِّبانية مِرًّا يكفي لأن يُجر فيه الأسطول الحديدي. وعدّه كثيرون بأصواتهم، منهم فرالج القوي وألغن شارپ الأريب، وكذا هوثو هارلو الأحذب الذي عرضَ عليه ابنته لتكون ملكته، فقال له فيكتاريون: «حظي في الزَّواج سيِّئ». زوجته الأولى ماتت في أثناء الولادة ومنحته ابنةً جهيضةً، والثانية فنكَّ بها الجُدري، والثالثة...

قال هوثو بإصرار: «لا بُدَّ أن يكون للملك وريث. عين الغراب جلبَ ثلاثةً من أبنائه يعرضهم في انتخاب الملك».

- «نغول وهيجان. كم سينُ ابنتك هذه؟».

أجاب هوثو: «اثنا عشر عامًا، جميلة وخصبة، أزهرت حديثًا، وشعرها بلون العسل. ما زالَ ثدياها صغيرين، لكن وركيها قويتان. إنها تُشبه أمَّها أكثر مني».

أدركَ فيكتاريون أن معنى هذا أن الفتاة بلا حـدبةٍ في ظهرها، لكن حين حاولَ أن يتصوَّرها لم يـرَ إلا الزَّوجة التي قتلها. مرَّ على ضربيةٍ هوى عليها بها انتحـبَ، وبعدها حملها إلى الصُّخور ليُعطي سراطين البحر إياها. قال: «يسرُّني أن ألقى نظرةً على الفتاة حالما أتوجَّ». كان هذا أقصى ما جرَّو هوثو على أن يأمله، فابتعدَ قانعًا.

على أن إرضاء بيلور بلاكتايد أصعب، وقد جلسَ إلى جوار فيكتاريون بوجهه النَّاعم الوسيم وقميصه المفصل من صوف الجملان المضلع بالأسود والأخضر، وقد ارتدى فوقه معطفًا من فرو السمُّور تُثبِّته نجمة سُبَاعِيَّة من الفضة. أمضى الرَّجل ثمانِي سنوات رهينةً في (البلدة القديمة)، وعادَ منها عابِدًا لآلهة الأراضي الخضراء السَّبعة. قال اللورد بيلور: «بالون كان مجنونًا وآرون أكثر جنونًا ويورون الأكثر جنونًا على الإطلاق، فماذا عنك يا حضرة القائد؟ إذا هتفتُ باسمك فهل ستضع نهايةً لهذه الحرب المجنونة؟».

قطَّب فيكتاريون جبينه متسائلًا: «هل تُريدني أن أركع؟».

- «إذا لزم الأمر. إننا لا نسـتطيع الصُّمود وحـدنا أمـام (وسـتروس) كلِّهـا. الملـك رُوبـرت أثبـت هـذا وأدأقـنا الويـل. بالون قال إنـه يُريد أن يـدفع الثمن الحـديدي لِقـاء الحـرية، لكن نساءنا اشتريـن تيجان بالون بالأسـرة الخالية. أمـي كانت واحدةً منهن. النُّهج القديم مات».

- «ما مات لا يُمكن أن يموت أبدًا، بل يُبعث من جديدٍ أقوى وأصلب. بعد مئة عامٍ سيظلُّ النَّاس يُعْثون عن بالون المقدم».

- «الأحرى أن تُسمِّيَه بالون صانع الأرامل. كنتُ لأبادل حُرِّيَّتَه تلكَ بابٍ بكلِّ سرور. أعندك أب تُعطيني إياه؟»، ولمَّا لم يُجب فيكتاريون أطلقَ بلاكتايد نخيرًا ساخرًا وترَّكه.

ارتفعت الحرارة داخل الخيمة وامتلات بالدُّخان. قلبَ اثنان من أبناء جورولد جودبراذر مائدةً في شجار، وخسرَ ويل همبل رهانًا ترتَّب عليه أن يأكل حذاءه، وعزفَ لينوود تاووني الصَّغير على الكمنجة، بينما غنَّى رومني ويقر (الكأس الدَّامية) و(أمطار من فولاذ) وغيرهما من أغاني المُغيرين، ورقصَ كارل البكر والدريد كود رقصة الأصابع، فدوَّى الضَّحك عندما طارَ أحد أصابع إلدريد وسقطَ في نبذ رالف الأعرج.

بين الصَّاحين كانت امرأة. نهضَ فيكتاريون ورآها عند سديلة الخيمة، تهمس بشيءٍ ما في أذن كارل البكر جعله يضحك بدوره. كان يأمل أنها ليست بالحماقة الكافية لأن تأتي، غير أن مرآها حدا به إلى الابتسام رغم ذلك، فنادى بصوتٍ أمر: «آشا، ابنة أخي».

شَقَّت طريقها إلى جانبه وقد بدت نحيلةً رشيقةً في حذاءها العالي الذي بَقَّ جِلده الملحُ وسراويلها الصُّوف الخضراء وقميصها البني المبطن وسُترتها الجلدية عديمة الأكمـام التي عَقِدَتِ نِصْفَ أربطتها. آشا جـرايچوي طويلة القامة بالنسبة إلى امرأة، وعلى الرغم من هذا شَبَّت على أصابع قـدميها لتلتـم وجنتـه قائلة: «عمَّاه، يسرُّني أن أراك في انتخاب الملكة». ردَّ ضاحكًا: «انتخاب الملكة؟ أنتِ سكرانة يا ابنة أخي؟ اجلسي. لم ألمح سفينتك (الريِّح السوداء) على الشَّاطئ».

- «رسـوتُ بها عنـد قلعة اللـورد جودبراذر وقطعتُ الجزيرة ركـوبًا»، وجلـست آشا على كُرسـي، وبـلا إذنٍ تنـاولت نبيـذ نـيوت الحـلاق وشـربت منـه، إلّا أن نـيوت لـم يعترض، إذ كان قد غابَ في التَّوم سكران منذ مدَّة. «لَمَن القيادة في (الخندق)؟».

- «رالف كنينج. بموت الذِّئب الصَّغير لم يَعد يقضُّ مضاجعنا إلّا شياطين المستنقعات».

- «آل ستارك لم يكونوا الشَّماليين الوحيدين. العرش الحديدي قلَّد سيِّد (معقل الخوف) حُكم الشَّمال».

- «هل تُلقِّنيني دروسًا في الحرب؟ إنني أخوضُ المعارك وأنتِ ما زلتِ ترضعين لبن أُمَّكِ».

أضافت آشا: «وتخسر المعارك أيضًا»، وأخذت رشفةً من النَّبذ.

لا يحبُّ فيكتاريون أن يُذكِّره أحد بـ(الجزيرة القصية)، فقال: «على كلِّ رجلٍ أن يخسر معركةً في شبابه كي لا يخسر حربًا حين يكبر. أملُ أنكِ لم تجيئي

للمطالبة بالحكم».

قالت بابتسامة عابثة: «وماذا لو أني جئتُ لهذا؟».

- «هناك رجال يذكرونك عندما كنتِ بنتًا صغيرةً تسبح عاريةً في البحر وتلعب بدُميتها».

- «ولعبتُ بالفؤوس أيضًا».

قال مقررًا: «نعم... لكن المرأة تحتاج إلى زوجٍ لا إلى تاج. حين أصبحُ ملكًا سأعطيكِ واحدًا».

- «يا لحنان عمِّي عليَّ. هل أجِدُ لك زوجةً حسنة حين أصبحُ ملكة؟».

- «حطِّي في الزَّواج سيِّئ. منذ متى وأنتِ هنا؟».

- «منذ فترةٍ تكفي لأن أرى أن ذا الشَّعر الرُّطب أثارٌ أكثر مما كان ينتوي. دروم يُزِيع أن يُطالب بالحكم، وتارل الغارق ثلاثًا سُمِعَ يقول إن مارون قولمارك الوريث الشرعي لذوي النَّسب الأسود من العائلة».

- «لا بُدَّ أن يكون الملك من الكراكين».

قالت آشا: «عين الغُراب كراكين. الأخ الكبير يسبق الصَّغير»، ومالت آشا دانيَّةً، وأردفت: «لكني ابنة الملك بالون ومن صُلبه، ولذا أسبقُ كليكم». اسمعني يا عمَّاه...».

غير أن الصَّمت ران فجأةً على المكان. سكتَ الغناء وخفضَ لينوود تاوني الصَّغير كمنجته، ودور الرجال رؤوسهم، بل وسكنت جلبة الأطباق والسكاكين.

دسَته من الوافدين الجدد دخلت خيمة المأدبة، ورأى فيكتاريون چون ماير ذي الوجه المسحوب، وتورولدي الذي السن البنيَّة، ولوكاس كود الأعسر، إضافةً إلى جرموند بوتلي الذي عَقِدَ ذراعيه على واقِي صدره المذهب الذي أخذه من جثة أحد قادة لانس-ترخال تمرَّد بالون الأول، وقد وقف إلى جواره أورك-وود سييد (أورك-مونت)، ووارهما ذو اليد الحجر وكويلون همبل والملاح الأحمر بشعره النَّاري المضفور، ومعهم رالف الرَّاعي ورالف ابن (لانسپورت) وكارل القن. وعين الغُراب، يورون جرايچوي.

قال فيكتاريون لنفسه: لا يبدو عليه تغيير، يبدو تمامًا كما كان يوم سخرَ مني ورحل. يورون أوسم أبناء اللورد كويلون، ولم تُغيَّر ثلاثة أعوام في المنفى هذا. ما زالَ شعره أسود كالبحر في منتصف الليل دون أيِّ لمحةٍ من الأبيض، وما زالَ وجهه ناعمًا شاحبًا تحت لحيته الفاحمة المشدَّبة. تُغطِّي عين يورون اليُسرَى رُقعة جلدِيَّة سوداء، لكن اليُمْنَى زرقاء كسماء الصَّيف.

فكَّر فيكتاريون: عينه الباسمة، وقال: «عين الغُراب».

- «الملك عين الغُراب يا أخي»، ردَّ يورون مبتسمًا، فبدت شفتاه داكنتين للغاية في ضوء المصابيح، مكدومتين مزرقَتين.

نهض ذو الشَّعر الرُّطب قائلاً: «لا ملك إلَّا بانتخاب الملك. ليس لكافر...».

قاطعَه يورون: «... أن يجلس على كُرسي حجر اليم، نعم»، وتطلَّع عبر الخيمة متابعًا: «يتصادفُ أني جلستُ على كُرسي حجر اليم كثيرًا في الفترة الأخيرة ولم يعترض»، والتمعت عينه الباسمة وهو يُواصل: «من يعرف عن الآلهة أكثر مني؟ آلهة خيول وآلهة نارِيُون، آلهة من الذهب أعينها أحجار كريمة، آلهة منحوتة من خشب الأرز وآلهة منحوتة في الجبال وآلهة من هواء... أعرفها جميعًا. رأيتُ عبادها يضعون على رؤوسها أكاليل الزَّهر ويصفحون دماء الماعز والثَّيران والأطفال باسمها، وسمعتُ الصَّلوات بعشرات اللغات. اشفِ ساقِي العاجزة، اجعل الفتاة تحبُّني، امنحني ابنًا سليمًا معافي، أنقِذني، أسعِفني، أثرنِي... احمِني! احمِني من أعْدائي، احمِني من الظلام، احمِني من المرض في بطني، من سِادة الخيول، من النِّخاسين، من المرتزقة على بابي، احمِني من (الصَّمت)!!»، وضحك قائلاً: «كافر؟ آرون، إنني أكثر رجلٍ إيمانيًا في التَّاريخ! تخدِم أنت إلهاً واحداً يا ذا الشَّعر الرُّطب، أمّا أنا فخدِمتُ عشرة آلاف. من (إي-ب) إلَي (آش-اي)، حين يرى الـنَّاس أشرعتي يُصلُّون».

رفعَ الرَّاهبُ إصبعًا رفيعًا، وقال: «إنهم يُصلُّون للأشجار والأصنام الذهب والمسوخ ذات رؤوس الكباش، آلهة زائفة...».

قال يورون: «بالضُّبط، ولهذه الخطيئة أقتلهم جميعًا، أريقُ دماءهم في البحار وأزرعُ في نسوتهم الصَّارخات بذرتي. ألهمتهم التَّافهة لا تقوى على صدِّي، فواضح إذن أنها آلهة زائفة. إنني أكثر تقوى منك شخصيًا يا آرون. ربما عليك أنت أن تركع أمامي طالبًا البركة».

أطلقَ المَلَّاحُ الأحمر ضحكةً صاخبةً لقوله، وحذا الآخرون حذوه، في حين قال الرَّاهبُ: «حمقى، ما أنتم إلَّا حمقى وأقنان وعُمي. ألا ترون الواقف أمامكم؟».

قال كويلون همبل: «نرى ملكًا».

بصقَ ذو الشَّعر الرُّطب على الأرض، وخرجَ إلى اللَّيل بخطواتٍ واسعة.

وحين رحَلَ التفتَ يورون بعينه الباسمة إلى فيكتاريون قائلاً: «حضرة القائد، ألن تُحيي أخاك الذي طالَ غيابه؟ ولا أنت يا أشا؟ كيف حال السيِّدة والدتك؟».

أجابَت أشا: «ليست بخير، رجل ما جعلها أرملة».

هَزَّ يورون كتفيه، وقال: «سمعتُ أن إله العواصف ألقي ببالون إلى حتفه. من هذا الرَّجل الذي قتله؟ أخبريني باسمه يا ابنة أخي لأثار لنفسي منه».

قامَت أشا قائلةً: «تعرف اسمه مثلما أعرفه. ثلاث سنواتٍ غبت عنا، ثم ترجع

(الصَّمت) في غضون يومٍ واحدٍ من موت أبي». سألها يورون بوداعة: «هل تتَّهميني؟».

- «هل يجذُر بي أن اتَّهمك؟». حدّت نبرة آشا الحادّة بفيكتاريون إلى العبوس. من الخطر أن يُكلِّم المرء عين الغُراب بهذا الأسلوب، حتى والعبث يلتمع في عينه الباسمة.

سأل عين الغُراب حيواناته المدلّلة: «هل تأتمر الرّيح بأمرى؟». قال أوركوود سيّد (أوركمووند): «لا يا جلاله الملك».

وقال جرموند بوتلي: «الرّيح لا تأتمر بأمر إنسان».

وقال الملاح الأحمر: «ليتها تأتمر بأمرك. كنت لثُبحر حيثما شئت ولا تُعاني سكونها أبدًا».

- «ها قد سمعتِ الحقيقة من ثلاثة رجالٍ شُجعان. (الصَّمت) كانت في البحر حين مات بالون. إذا كنتِ تُشكِّكين في كلمة عمِّك فلكِ الإذن في سؤال طاقمي».

- «طاقمك الآخرس؟ نعم، سينفعني هذا حقًا».

قال يورون: «سينفعك أن تتزوَّجي»، وعادَ يلتفت إلى أتباعه متسائلًا: «توروولد، لقد نسيْتُ، ألك زوجة؟».

- «زوجتي الوحيدة»، أجابَ توروولد ذو السِّن البنيّة بابتسامةٍ عريضةٍ لئريهم كيف اكتسبَ لقبه.

أعلنَ لوكاس كود الأعسر: «أنا أعزب».

قالت آشا: «لسببٍ وجيه. كلُّ النِّساء يحتقرن آل كود. لا تنظُر إليّ بهذا الحُزن يا لوكاس، فما زالتَ لديك يدك الشَّهيرة»، وصنعت حركةً بذينةً بقبضتها.

راحَ كود يسبُّ ويلعن إلى أن وضعَ عين الغُراب يده على صدره قائلاً: «أهذه لباقة يا آشا؟ لقد جرحتِ لوكاس في الصِّميم».

- «أسهل من جرحه في القضيبي. إنني أجيّد رمي الفؤوس كأَيِّ رجل، لكن عندما يكون الهدف صغيرًا هكذا...».

زمجرَ چون ماير ذو الوجه المسحوب: «هذه الفتاة تنسى نفسها. بالون تركّها تعتقد أنها رجل».

ردّت آشا: «أبوك ارتكبَ الغلطة نفسها معك».

قال الملاح الأحمر: «أعطني إياها يا يورون. سأصفعها على مؤخّرتها إلى أن تحمرّ كشعري».

قالت آشا: «تعال وحاول، وبعدئذٍ سنُسَمِّيك الخصيّ الأحمر»، وظهرت في يدها فأس ألقتها في الهواء والتقطتها ببراعةٍ متابعَةً: «ها هو ذا زوجي يا عمّاه. على

الرَّجُلُ الَّذِي يُرِيدُنِي أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَهُ أَوَّلًا».

هوى فيكتاريون بقبضته على المائدة صائحًا: «لن أسمح بإراقة الدِّماء هنا. يورون، خُذ... حيواناتك الأليفة... واخرُج».

- «كنتُ أتطلَّعُ إلى ترحيبٍ أكثر دفئًا منك يا أخي. إنني أخوك الكبير... وقريبًا ملكك».

اغبرَّ وجه فيكتاريون، وقال: «حين يقول انتخاب الملك كلمته سنرى من يعتمر تاج الخشب المجروف».

قال يورون: «على هذا نتَّفَق»، ورفعَ إصبعين إلى الرُّقعة التي تُغَطِّي عينه اليسرى وانصرف، وخرجَ الآخرون في أعقابهِ ككلابٍ مهجَّنة. ظلَّ الصَّمتُ مخيمًا عقب خروجهم، إلى أن أمسكَ لينوود تاووني الصَّغيرَ كمنجته مجدِّدًا وعادَ التَّنبُّذ والمِرز يتدفقان، وإن لآحَ على مجموعةٍ كبيرةٍ من الضيوف أنهم لم يعودوا ظمانين. انسلَّ إلدريد كود من الخيمة محتضنًا يده الدَّامية، ثم تبعه ويل همبل وهوثو هارلو وعدد لا بأس به من أبناء جودبراذر.

وضعتْ أشا يدها على كتف فيكتاريون قائلةً: «عمَّاه، تمشَّ معي إذا سمحت».

لُـانَت الـريـح تشـتدُّ خـارج الخـيمة، والسَّحـاب يـجـري أـمام وـجـه القمر السَّاحـب فيبـدو كقـوـادس تنـدفع لـتـدكَّ سُفـن العـدو، والتَّجـوم قـلـيلـة خافـتـة. بطول الشَّاطئ السفن الطويلة راسية، صواربها العالية ترتفع كغابةٍ وسط الأمواج. سمعَ فيكتاريون صرير أبدانها وهي تستريح على الرَّمال، وسمع صوت انشداد حبالها الحادَّ وخفقان الرَّايات عليها، ووراءها في الجزء الأعظم من الخليج رأى السفن الأخرى الأكبر تتمايل في مرساها كظلالٍ قاتمةٍ يتغلَّفها الضباب.

قالتْ أشا إذ سارا معًا على الشَّاطئ فوق خَطِّ المَد مباشرةً وبعيدًا عن المخيمات وبؤر النَّار: «اصدِّقني القول يا عمَّاه، لماذا رحلَ يورون فجأة؟».

- «عين الغُراب اعتادَ الذَّهاب للإغارة كثيرًا».

- «لكن ليس لفتراتٍ طويلة».

- «لقد أخذَ (الصَّمت) إلى الشَّرْق. إنها رحلة طويلة».

- «سألتُ لماذا رحلَ وليس أين»، فلمَّا لم يُجِبها تابعتْ أشا: «كنتُ غائبةً عندما أفلعتُ (الصَّمت)، أخذتُ (الرَّيح والسَّوداء) ودرتُ حول (الكرمة) إلى (الأعتاب) لأسرق القليل من الغنائم من القراصنة اللايسينيين، وحين عدتُ كان يورون قد رحلَ وماتت زوجته الجديدة».

- «كانت مجردَ زوجةٍ ملحيَّة». إنه لم يمَسَّ امرأةً أخرى منذ أعطى سراطين البحر إياها. عليَّ أن أتَّخذَ زوجةً حين أتَّوَجُ ملكًا، زوجةً حقيقيَّةً تكون ملكتي وتحمل لي أبنائي. يجب أن يكون للملك وريث.

قالت آشا: «أبي رفض أن يتكلّم عنها».
رَدَّ: «لا ينفع المرء الكلام عن أشياء لا يستطيع أحد تغييرها»، واستطردّ وقد
سئم من الموضوع: «رأيتُ سفينة القارئ».

- «إخراجه من (بُرج الكُتب) تطلّب سِجري كلّهُ».
آل هارلو يُؤيّدونها إذن. ازدادَ وجه فيكتاريون عبوسًا، وقال: «لا أمل لك في
الحُكم. إنك امرأة».

ضاحكةً قالت آشا: «أل هذا أخسرُّ دومًا في مسابقات التّبؤل؟»، ثم إنها أردفت:
«عمّي، يُؤسفني أن أقولها، لكن ربما تكون مصيبًا. منذ أربعة أيام وأربع ليالٍ وأنا
أشربُ مـع الرّبابنة والملوك وأصـغي لمـا يقولونـه... ومـا لا يقولونـه.
إن رجـالي معـي، وكثـيرين مـن آل هـارلو، ومعـي تـريس بوتلـي أيـضًا
وبعـض الآخرـين. لا يكفون»، وركلتَ صخرةً وطيرتها لتسقط في الماء بين
سفينتين طويلتين، وأضافت: «أفكرُ في أن أهتف باسم عمّي».
سألها: «باسم أيّ عم؟ إن لك ثلاثة».

- «ثلاثة أعمام وخال. اسمعني يا عمّاه. سأضعُ تاج الخشب المجروف على
رأسك بنفسي... إذا وافقت على مشاركة الحُكم».

- «مشـاركة الحُكم؟ كـيف؟». المـرأة لا تقول كـلامًا معقـولًا. هـل
تُريد أن تكون ملكتي؟ وجـدَ فيكتاريون نفسـه يَنـظر إلـى آشا
بطريقـة جـديدة تمـامًا، وأحـسَّ بـذكره يتحرّك، فذكر نفسه قائلاً: إنها ابنة
بالون، وتذكرها وهي فتاة صغيرة ترمي الفؤوس على باب. عقدَ ذراعيه على
صدره، وقال: «لا مكان على كرسي حجر اليم إلا لواحد».

- «فليجلس عمّي عليه إذن، وسأقفُ وراءك أحمي ظهرك وأهمسُ في أذنك. لا
ملك يستطيع أن يحُكم وحده. حتى عندما جلسَ التّنانين على العرش الحديدي
كان هناك مَن يُساعدونهم، أيادي الملوك. دعني أكونُ يدك يا عمّاه».

لم يحتج ملك للجزر إلى يدٍ في تاريخها كلّهُ، ناهيك بكون ذلك اليد امرأةً.
سيسخر مني الرّبابنة والملوك وهم يشربون. «لماذا ترغبين في أن تكوني
يدي؟».

- «لنضع نهايةً لهذه الحرب قبل أن تضع نهايتنا. لقد كسبنا كلّ ما يُمكننا أن
نكسبه... ومعرّضون لأن نخسر كلّ شيءٍ بالسرعة نفسها ما لم نعقد صلحًا.
لقد أريـتُ اللـيـدي جـلـوفر كـلّ كـياسـة ممكـنة، وثقـسيم أن
سـيـدها سـيتفاوـض معـي. تقول إنـه إذا رددنا (ربوة الغابة) و(مربّع
تـورين) و(خنـدق كـايلن) فسـيتنازـل لـنا الشّماليون عن (رأس التّنين
البحري) و(السّاحل الحجري) بأكمله. تلك الأراضي معمورة بقليل من السّكان،
لكنها تفوق مساحة الجزر مجتمعةً عشر مرّات. سنُبـرم الصّفقة بتبادل الأسرى،

وسُيُوفِق كلُّ طرفٍ على التَّحَالَف مع الثَّاني إذا ما قرَّر العرش الحديدي...». قاطعها فيكتاريون مقهقهًا، وقال: «اللي دي جل وقر هذه تس تحمقك يا ابنة أخي. (رأس التِّي بن البحري) و(السَّاحل الحجري) لنا بفعل، فلم نرد أي شيء؟ (وينترفل) احترقت وتهذمت، والدِّئْب الصَّغير تحت الأرض بلا رأس. سوف ننال الشَّمال كله كما كان أبوك يحلم». - «عندما تتعلَّم السفن الطَّويلة الإبحار وسط الأشجار ربما. قد يعلق خُطَّاف صيَّاد بلويathan رمادي، لكن اللويathan سيجرُّه إلى موته في الأعماق ما لم يقطع الحبل.

الشَّمال أوسع من أن نستطيع السَّيطرة عليه، ومليء للغاية بالشَّماليين». قال فيكتاريون: «عودي إلى دُمَاك يا ابنة أخي، واتركي ربح الحروب للمُحاربين، وأراها قبضتيه مردفًا: «إن لي يدين. لا أحد يحتاج إلى ثلاث». - «لكنني أعرف رجلًا يحتاج إلى عائلة هارلو». - «هوئو الأحب عرض عليَّ ابنته لتكون الملكة. إذا قبلتها فسأحظى بعائلة هارلو».

أدهش قوله آشا التي قالت: «اللورد رودريك يحكم عائلة هارلو». - «رودريك ليس عنده بنات وإنما الكُتب فقط. هوئو سيكون خليفته، وسأكون الملك». ما إن قالها بصوت عالٍ حتى بدا وقعها واقعياً. «عين الغراب غاب طويلاً جداً».

قالت آشا منذرةً: «بعض الرجال يبدو أكبر من حجمه الحقيقي من بُعد. امش بين بؤر النَّار إذا جرؤت وأنصت. إنهم لا يحكون ويتحاكون عن قوتك أو جمالي الشَّهير، بل يتكلمون عن عين الغراب فحسب، البلاد البعيدة التي رآها والنِّساء اللاتي اغتصبهنَّ والرجال الذين قتلهم والمدائن التي نهبها، وكيف أحرقت أسطول اللورد تايوين في (لانسپورت)».

قال بإصرار: «أنا أحرقتُ أسطول الأسد. بيدي هاتين ألقى المشعل الأول على سفينته الأم».

قالت آشا: «عين الغراب هو من وضع الخطَّة»، ووضعت يدها على ذراعه مضيغةً: «وقتل زوجتك أيضاً... أليس كذلك؟».

كان بالون قد أمرهم بعدم الإتيان على ذكر تلك المسألة، لكن بالون مات. «لقد وضع طفلاً في بطنها وجعلني أقتلها بنفسي. كنت لأقتله أيضاً لولا أن بالون رفض قتل الأقربين تحت سقفه رفضاً قاطعاً، ونفى يورون بلا عودة...». - «... ما دام بالون حياً؟».

رمى فيكتاريون قبضتيه قائلاً: «لقد ركبت لي قرنين. لم أملك خياراً». لو افترض

الأمر لضحك النَّاس مني، كما ضحكَ عين الغُراب حين واجهته وقال متبجِّحًا:
«لقد أتتني مبتلَّةٌ رغبةً. يبدو أن فيكتاريون كبير في كلِّ شيءٍ باستثناء الجزء
المهم». لكنه لم يستطع أن يبوح لها بذلك.
قالت آشا: «آسفةٌ لما جرى لك، وأكثر أسفًا لما جرى لها... لكنك لا تترك لي
اختيارًا إلَّا المطالبة بكُرسى حجر اليم لنفسى». لا يُمكنك. «حياتك ملكك، فبدِّديها كما شئتِ يا امرأة». ردت: «هي كذلك»، وتركته.

الغريق

فقط حينما خدَّر البرد ذراعيه وساقيه تمامًا عادَ آرون جرايچوي أدراجه إلى الشَّاطئ وارتدى ثيابه.

لقد فرَّ من عين الغُراب كأنه لا يزال ذلك الشَّيء الضَّعيف الذي كانه، لكن حين تكسَّرت الأمواج فوق رأسه ذكرته بأن ذلك الرَّجل مات. وُلدتُ ثانيةً من البحر، رجلًا أقوى وأصلب. لا فاني يُخيفه، ولا الظلام يُخيفه، ولا عظام روحه، تلك العظام الرَّماديَّة العجوز. صوت بابٍ ينفُتَح، وصرخة مِفصَلةٍ حديديةٍ صدئة.

طقطقَ رداؤه إذ سحبته على جسده والملح لا يزال يُبيِّسه منذ غسله آخر مرَّة قبل أسبوعين، والتصقَ النَّسيج بصدرة المبتل متشربًا الماء المالح الذي يسيل من شعره، ثم إن الرَّاهب ملأ قُربتَه وعلَّقها من كتفه.

بينما يقطع الشَّاطئ بخطواتٍ واسعة في الظَّلام عثرَ فيه رجل غارق عائد من تلبية نداء الطَّبيعة، فتمتمَ: «ذو الشَّعر الرُّطب»، ووضعَ آرون يده على رأسه وباركه وواصلَ طريقه. بدأت الأرض ترتفع تحت قدميه، باعتدالٍ أولًا ثم بحدَّةٍ أكثر، ولمَّا أحسَّ بالغُشب القصير بين أصابعه عرفَ أن الشَّاطئ أصبحَ وراءه الآن، وبتأنيٍّ صعدَ مصغيًّا إلى الموج. البحر لا يكلُّ أبدًا، ومثله يجب ألا أكلَّ.

على قمَّة التَّل ترتفع من الأرض أربع وأربعون ضلعًا حجريَّة هائلة الحجم كجذوع أشجار شاحبة ضخمة، وجعلَ منظرها نبض قلب آرون يتسارع. ناجا كانت تنينة البحر الأولي، أعتى التَّنَّانين التي انشقت عنها الأمواج، وكانت تقتات بلحوم الكراكين واللويثانات وتُغرِق جُزْرا كاملةً في خضمِّ ثورتها، إلا أن الملك الأشيب قتلها وحوَّلَ إلهه الغريق عظامها إلى حجرٍ كي لا يكفَّ النَّاسُ عن التَّعجُّب من شجاعة الملوك الأوائل أبدًا، وصارت ضلوع ناجا أعمدة وعوارض قاعته الطويلة، تمامًا كما صارَ فكاها عرشه. طيلة ألف عامٍ وسبعة حكمَ هنا، وهنا اتَّخذ عروس البحر زوجةً له وخطَّط لحروبه ضدَّ إله العواصف، ومن هنا كان سيِّدًا على الملح والحجر، يرتدي ثيابًا من طحالب البحر المجدولة ويعتمر تاجًا طويلًا شاحبًا من أسنان ناجا.

لكن ذلك كان في فَجَر الزَّمان، حين كان جبابرة البَشَر ما زالوا يستوطنون البحر واليابسة. كانت تُدْفَى القاعة نيران ناجا الحيَّة التي سخرها الملك الأشيب لخدمته، وعلى جُدرانها تَدَلَّت معلقَات مجَدولة من طحالب بحريٍّ فضيَّة تسرُّ الأعْيُن، والتَّهمَّ مُحاربو الملك الأشيب ولأئِم من فضل البحر على ماء دية شـكلها كنجم بحريٍّ عظيمة، بينما يجلسون على عروشٍ منجوتة من عِرْق اللؤلؤ. وراح المجد كله، رَاح. الآن البَشَر أضال وأعمارهم أقصر. أطفأ إله العواصف نيران ناجا بعد وفاة الملك الأشيب، وسُرقت المقاعد والمعلقات، وتعلَّقت السُّقوف والجُدران وزالت، وحتى عرش الأنبياء العظيم الذي جلسَ عليه الملك الأشيب ابتلعَه البحر، ولا يبقى إلا عظام ناجا لتُذكِر

الحديديين بالأعجوبة التي كانت.

قال آرون جرايچوي لنفسه: وهذا يكفي.

في قمة التلّ تسع درجات منحوتة في الحجر، ومن ورائها تلوح تلال (ويك القديمة) العاصفة، وفي الخلفية البعيدة الجبال السوداء الموحشة. توقف آرون حيث كانت البوابة في الماضي، وخلع سداة قِربته وأخذ رشفة من الماء المالح، ثم التفت يُوَاجِه البحر. من البحر وُلِدنا وإلى البحر نعود. حتى من هذا الارتفاع يسمع هدير الأمواج اللا متناهي ويشعر بقدرة الإله الكامن في الأعماق. ركع آرون على رُكبتيه، وصلى: قد أرسلت إليّ قومك، تركوا منازلهم وأكواخهم وقلاعهم وحصونهم وأتوا هنا إلى عظام ناجا، من كل قرية صيد وكل وادٍ خفي، فامنحهم في هذه الساعة الحكمة ليعرفوا الملك الحق حين يقف أمامهم، والقوة لينبذوا الباطل. ظلّ يصلي طيلة الليل، فعندما يحل فيه الإله لا يحتاج آرون جرايچوي إلى النوم، تمامًا كما لا يحتاج إليه الموج أو السمك في البحر.

أزجت الريح السحاب القاتم بينما تسَلَّلت خيوط الضوء الأولى إلى العالم. استحالت السماء من الأسود إلى رماديّ صخر الأردواز، وتحول سواد البحر إلى أخضر رمادي، واصطبغت جبال (ويك القديمة) السوداء عبر الخليج بدرجات الأخضر المزرق كأشجار الصنوبر الجندي. مع عودة الألوان على استحياء إلى الدنيا ارتفعت مئة راية خفاقة، ورأى آرون سمكة بوتلي الفضية وقمر وينش الدامي وأشجار أوركوود الخضراء الداكنة، علاوة على أبواق الحرب واللويثانات والمناجل، وفي كل مكان الكراكن الذهبية العظيمة. تحت الرايات بدأ الألقان والزوجات الملحيات يتحركون في المكان، يُقَلِّبون الجمر الخامد ويُعيدونه إلى الحياة، ويُنظفون الأسماك لإفطار الربانة والملوك. مَسَّ ضوء الفجر الشاطئ الحجري وشاهد الرّاهب الرّجال يقومون من نومهم مزيحين أغطية من جلد الفقمة ويطلبون قرن المِزر الأول، فقال لهم في نفسه: اشربوا وارتووا، فعلينا اليوم أن نعمل عمل الإله.

كان البحر يتحرك أيضًا. تعاظمت الأمواج مع اشتداد الريح دافعةً أعمدة من الرّذاذ تتكسر على أبدان السفن الطويلة، ففكر آرون: الإله الغريق يستيقظ. سمع صوته ينبع من أعماق البحر قائلاً له: سأكون معك هنا اليوم يا خادمي القوي الأمين. لا كافر سيجلس على كرسي حجر يمّي.

هناك تحت ضلوع ناجا المقوسة وجدّه رجاله الغرقى واقفاً باعتدالٍ وصرامةٍ وشعره الأسود الطويل يُرَفِّف في الريح.

سأله روس: «هل حان الوقت؟»، فأوماً آرون برأسه إيجاباً، وقال: «حان الوقت. اذهبوا وارفعوا أصوات الاستدعاء».

التقط الرّجال الغرقى هراواتهم المصنوعة من الخشب المجروف وطفقوا يضربون

بعضها ببعض وَهُمْ يُعَادُونَ نَزُولَ اللَّيْلِ، وانضمَّ إِلَيْهِمْ آخَرُونَ لَتَنْتَشِرَ الضَّجَّةُ بِطَوْلِ الشَّاطِئِ، مَزِيحٌ مُخَيِّفٌ مِنَ الطَّقْطُقَةِ وَالْقَعَقْعَةِ كَأَن مَثَّةَ شَجَرَةٍ تَتَلَاظِمُ بَأَغْصَانِهَا. بدأتِ الطبولُ تدقُّ أيضًا، بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم، ودوىٌّ يوقُّ حربى ثم آخر، ااااااوووووووووووووووووووو!

تَرِكَ الرِّجَالُ يَوْمَ النَّارِ لِيَشْفُوا طَرِيقَهُمْ إِلَى (بِهِوَ الْمَلِكِ الْأَشْيَبِ)؛ مَلَّاحُونَ وَمَوْجَّهُونَ دَفْعًا، صَنَاعَ أَشْرَعَةٍ وَسُقَّانُونَ، الْمُحَارِبُونَ بِغَوْسِهِمْ وَالصَّيَّادُونَ بِشِبَاكِهِمْ، بَعْضُهُمْ مَعَهُ أَقْنَانٌ وَبَعْضُهُمْ مَعَهُ زَوْجَاتٌ مَلْحِيَّاتٌ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ أَبْحَرُوا أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ إِلَى الْأَرْضِ الْخَضِرَاءِ رَافِقَهُمْ مَا يَسْتَرَاتُ وَمَغْنُونٌ وَفُرْسَانٌ، فِيمَا تَزَاحَمَ الْعَامَّةُ مُشْكِلِينَ هَلَالًا حَوْلَ سَفْحِ التَّلِّ، وَنَحْوِ الْمُؤَخَّرَةِ وَقَفَ الْأَقْنَانُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ. سَلَكَ الرَّبَّابَةُ وَالْمُلُوكُ الْمُنْحَدِرَاتُ صَاعِدِينَ، وَرَأَى آرُونَ سَيَجْفِرِي سَتُونْتَرِي بِوَجْهِهِ الْبَشُوشِ وَأَنْدَرِيكَ الْلَا مِتْسَمِ وَالْفَارِسِ السَّيْرِ هَارَاسِ هَارْلُو، وَاللُّوردِ بِلُورِ بِلَاكْتَايِدِ إِلَى جَوَارِ اللَّوردِ سَتُونْهَآوَسِ فِي مَعْطَفٍ مَهْتَرٍ مِنْ جِلْدِ الْفَقَمَاتِ.

وقفَ أخوه فيكتاريون مجاوزًا الجميع طولًا باستثناء أندريك، ولئن لم يعتمر خودته فقد ارتدى درعه كاملةً وتسربلَ بمعطف الكراكين الذهبي. سيكون ملكنا. مَنْ ذا الذي ينظرُ إليه ويُخالجه الشكُّ؟

حين رفع ذو الشَّعر الرُّطب يديه المعروقتين صمَّت الطُّبُول والأبواق وخفَضَ الرَّجَالُ الغرقى هراواتهم وسكَّتْ كُلُّ الأصوات. بـهدوءٍ قال آرون أولاً كـي يُرهِفُوا أَسْمَاعَهُمْ: «من البحر وُلِدْنَا وإِلَى البحر نَعُودُ جميعًا. في غَضَبِهِ انْتَزَعَ إِلَهُ العواصف بالون من قلعته وأطاحَ به، لكنه الآن يَأْكُلُ وليمةً تحت الأمواج في أبْهَاءِ الإله الغريق المائيَّة»، ورفعَ عينيه إلى السَّمَاءِ صائحًا: «مَاتَ بالون! مَاتَ المَلِكُ!».

رَدَّ رجاله الغرقى: «ماتَ الملك!».

- «لكن عسى الميت ألا يموت أبدًا، بل يُبعث من جديد أقوى وأصلب. سقط بالون، أخي بالون الذي برّ بالنّهج القديم ودفع الثمن الحديدي. بالون الشّجاع، بالون المبارك، بالون الغارق مرّتين، الذي استردّ لنا حرّيتنا وإلهنا. مات بالون... لكن ملكًا حديدًا سيأتينا ليجلس على كرسي حجر اليم ويحكم الجزر».

ردُّوا: «سيأتينا ملك! سيأتينا ملك!».

بصوتٍ كَرَعَدِ الأمواج قال آرون: «سَيَأْتِينَا، لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِي، لَكِنْ مَن هُوَ؟ مَن سَيَجْلِسُ فِي مَكَانِ بَالُون؟ مَن سَيَحْكُمُ هَذِهِ الْجُزُرَ الْمُقَدَّسَةَ؟ أَهُوَ بَيْنَنَا الْآنَ؟»، وَبَسَطَ الرَّاهِبُ كَفَّيْهِ عَنْ آخِرِهِمَا مُرَدِّقًا: «مَن سَيَكُونُ مُلَكًا عَلَيْنَا؟».

رَدَّ عَلَيْهِ نОРْس صَارِخًا، وَبَدَأَ الْمُحْتَشِدُونَ يَتَحَرَّكُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ كَأَنَّهُمْ يَسْتِيقِظُونَ مِنْ حُلُمٍ، كُلُّ رَجُلٍ يَتَطَّلِعُ إِلَى جِيرَانِهِ لِيرَى مَنْ مِنْهُمْ ثَوَاتِيهِ الْجَرَاةُ عَلَى الْمَطَالِبَةِ بِالنَّجَا. قَالَ أَرَوْنُ ذُو الشَّعْرِ الرَّطْبِ لِنَفْسِهِ: عَيْنَ الْعُرَابِ لَمْ يَكُنْ

صَبُورًا قَطًّا. ربما يتكلّم أولًا. وإذا فعلَ فهي نهايته. لقد قطعَ الرَّبَّابنة والملوك طَرَقًا طويلةً من أجل هذه المأدبة، ولني يختاروا أولَ صنفٍ يوضعُ أمامهم. سيُريدون أن يتذوّقوا ويُعابِنوا، قِصْمة من هذا ولقمة من ذاك، إلى أن يجدوا أكثرَ من يُناسِبهم. لكن لا بُدَّ أن يورون يعي هذا أيضًا، إذ وقفَ عاقِدًا ذراعيه على صدره وسط خُرسه ووحوشه، ولم يُجِب نداءَ آرون إلا الرِّيح والموج.

وبعدَ صمتٍ طالَ كرَّر الرَّاهِب: «لا مناص من أن يكون للحديديين ملك. أسألكم ثانيةً، مَنْ سيكون ملكًا علينا؟».

أتى الجواب من أسفل: «أنا».

في الحال ارتفع هتاف «جيلبرت! جيلبرت ملكًا!» بأصوات خشنة، وأفسحَ الرَّبَّابنة الطريقَ للمُطالب وأنصاره ليصعدوا التلَّ ويقفوا إلى جوار آرون أسفل ضلوع ناجا.

هذا الذي يُريد أن يكون ملكًا لورد فارغ القامة مهزول الجسد، تبدو عليه سيما الكآبة وله وجه طويل نحيل مخلوق بعناية. أخذَ أنصاره الثلاثة أماكنهم أسفلهُ بـدرجتين حـاملين سـيفه وثـرسـه ورايتـه، وقـد بـدا عليـهم تشـابـه معـيـن مـع اللـورد الطويـل، فقـدَّر آرون أنـهم أبـنـاؤه. بسـطَ أحـدهم الرّايـة التـي تُصوِّر سـفينـةً طويـلةً سوداء أمام شمس غاربة، وقال اللورد لناخبي الملك: «أنا جيلبرت فارويند، سيّد (المنارة الوحيدة)».

يعرف آرون بعض آل فارويند، وهُم قوم غُرباء الأطوار يملكون أراضي على السّواحل في أقصى غرب (ويك القديمة) والجُزر الصّغيرة المتفرّقة وراءها، صخور صغيرة للغاية يتّسع معظمها لأسرةٍ واحدةٍ فقط، و(المنارة الوحيدة) أبعدُها على الإطلاق، فلكي تَبْلُغها عليك الإبحار ثمانية أيامٍ وسط مستعمرات الفقمات وسباع البحر في محيطٍ رمادي مترامٍ الأطراف. آل فارويند هنّاك أغرب أطوارًا من البقية، ويُقال إنهم مخلوقات آئمة تُبدّل هياكلها فتأخذ شكل سباع البحر والأفراط⁵⁸، وحتى الحيتان الرّقطاء التي تعدُّ ذئاب البحر المائج.

بدأ اللورد جـيلبرت حـديثه، فتكلّم عـن أرضٍ عجيبـة تقـع وراء (بحر الغروب)، أرض بلا شتاءٍ أو فاقةٍ وليس للموت فيها من سلطان. صاَح: «اجعلوني ملككم وسأقودكم إلي هناك. سنبنّي عشرة آلاف سفينة كما فعلت نايميريا ونُبحر بشعبنا كلّهُ إلى تلك الأرض وراء مغرب الشّمس، وهناك سيصير كلّ رجلٍ ملكًا وكلُّ زوجةٍ ملكةً».

عينـاه... رآهمـا آرون تتغـيّران، الآن رمـاديّتان، الآن زرقـاوان، متقلّبتان كالبحر. عينان مجنونتان، عينان أحمرّتان. لا ريب أن الرؤيا التـي يتكلّم عـنها شـرك نصـبـه إلـه العواصف ليستدرج الحديديين إلى دمارهم. تضمّنت الهبات التي سكّبتها رجال اللورد جيلبرت من الصّناديق أمام ناخبي

الملك جلود فقمات وأنياب أفضاظ وحلقات أذرُع من عظام الحيتان وأبواقاً حربيةً مطعمَةً بالبرونز، وقد تطلَّع الربابة إليها ثم أشاحوا بأنظارهم تاركين الرجال الأدنى شأنًا ينتقون ما يُري-دون. حين فرغ الأحمق من الكلام وبدأ أنصاره يهتفون باسمه لم يُسمع صوت إلا لآل فارويند، وليس جميعهم كذلك، وسرعان ما خفت هتاف «جيلبرت! جيلبرت ملكًا!» حتى صمت.

صرخ الثورس بازعاج من فوقهم وخطَّ فوق أحد ضلوع ناجا بينما عادَ سيّد (المنارة الوحيدة) ينزل التلّ، وتقدّم آرون ذو الشعر الرطب، وقال: «ثانيةً أسألكم، من سيكون ملكًا علينا؟».

دوى صوت عميق معلّنًا: «أنا»، ومرةً أخرى أفسح المتزاحمون الطريق.

حُمِلَ المتكلّم إلى قمة التلّ على مقعدٍ منقوش من الخشب المجروف فوق أكتاف أحفاده. رجل ضخم متهاك يبلغ أربعمئة رطل وزنًا ويُنَاهِز التسعين عمُرًا ويرتدي معطفاً من جلد الفقمات الأبيض، شعره ناصع البياض أيضاً، ولحيته المديدة تُغطّيه كأنها دثار من خدّيه إلى فخذه مصعبةً التّمييز بينها وبين المعطف، وعلى الرغم من أن أحفاده ض-خام أقوياء البنية فقد ناضلوا لاحتمال وزنه على الدّرجات الحجرية المنحدرة قبل أن يض-عوه أمام (ب-هو الملك الأشيب)، وظلّ ثلاثة من-ه واقفين أدناه باعتبارهم أنصاره.

فكّر آرون: قبل ستّين عامًا كان النّاخِبون لينحازوا إلى هذا الرّجل، لكن الدّهر عفا عليه.

هدر الرّجل من حيث يجلس بصوتٍ يُعادل بدنه ضخامةً: «نعم، أنا! ولمَ لا؟ ومَن أفضل؟ أنا إريك أيرونميكر إذا كان العميان لا يرون، إريك العادل، إريك محطّم السّنادين. أريهم مطرقتي يا ثورمور». رفعها أحد أنصاره ليراها الجميع بحجمها الهائل، مقبضها ملفوف بالجلد القديم ورأسها قالب من الفولاذ بحجم رغيف الخبز. قال إريك: «لا أستطيع أن أحصي كم يدًا حوّلتها إلى عجّين بهذه المطرقة، ولكن ربما تجدون لصًا ما يُخبركم. ولا أدري كم رأسًا سحقْتُ على سنداني كذلك، لكن هناك أرامل يُمكنهن أن يقلن لكم. أستطيع أن أحكي لكم عن كلّ ماثري في المعارك، لكنني في الثامنة والثمانين ولن أعيش حتى أفرغ. إذا كانت الشّيوخوة تعني الحكمة فليس هناك من هو أكثر حكمةً مني، وإذا كانت الضّخامة تعني القوّة فلن تجدوا من هو أقوى مني. هل تُريدون ملكًا له ورثة؟ إن عندي منهم أكثر مما يُمكنني أن أحصي. الملك إريك، نعم، يروقني وقعها. هلمّوا، قولوها معي. إريك!

إريك محطّم السنادين!

إريك ملكًا!«.

وَإِذْ رَفَعَ أَحْفَادَهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالْهَتَافِ تَقَدَّمَ أَبْنَاؤُهُمْ بِصَنَادِيقٍ عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَحِينَ قَلْبُوهَا عِنْدَ قَاعَةِ الدَّرَجَاتِ الْحَجَرِيَّةِ انْهَمَرَ وَابِلٌ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْبُرُونِزِ وَالْفُؤْلَادِ؛ حَلَقَاتٍ أَذْرُعَ وَأَطْوَاقٍ وَسَكَكِينَ وَخَنَاجِرَ وَفُؤُوسٍ. اخْتَطَفَ بَعْضُ الرِّبَابَةِ صَفْوَةَ الْقِطْعِ وَأَضَافُوا أَصْوَاتَهُمْ إِلَى الْهَتَافِ الْمُتَزَايِدِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكِدْ يَبْدَأُ يَتَفَاقَمُ حَتَّى شَقَّهَ صَوْتُ امْرَأَةٍ صَائِحًا: «إِيرِيكَ!». أَفْسَحَ لَهَا الرِّجَالُ الطَّرِيقَ لَتَمَرَّ، وَبَقْدَمٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الدَّرَجَةِ الْأَدْنَى قَالَتْ: «إِيرِيكَ، انْهَضْ».

سَادَ الصَّمْتُ. اسْتَمَرَّتِ الرِّيحُ فِي الْهَبُوبِ وَالْمَوْجُ فِي الْانْكَسَارِ عَلَى السَّاحِلِ وَرَاحَ بَعْضُ الرِّجَالِ يُهَمِّمُهُمْ فِي آذَانٍ بَعْضٍ، وَحَدَّقَ إِيرِيكَ آيِرُونْمِيكَرَ الْحَدِيدِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَشَا جَرَايُجُوِي قَائِلًا: «أَيْتَهَا الْفَتَاةُ، أَيْتَهَا الْفَتَاةُ الْمَلْعُونَةُ ثَلَاثًا، مَاذَا قُلْتِ؟». صَاحَتْ: «انْهَضْ، انْهَضْ يَا إِيرِيكَ وَسَاهُتِفْ بِاسْمِكَ مَعَ الْبَقِيَّةِ، انْهَضْ وَسَاكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُكَ. تُرِيدُ التَّاجَ، نَعَمْ، فَانْهَضْ وَخُذْهُ».

فِي مَكَانِهِ فِي الرِّجَامِ ضَحَكَ عَيْنِ الْغُرَابِ، فَحَمَلَ قَإِيرِيكَ إِلَيْهِ عَابِسًا. أَطْبَقَ الرِّجْلُ الْكَبِيرُ بِإِحْكَامٍ عَلَى ذِرَاعِي عَرْشِ الْخَشَبِ الْمَجْرُوفِ، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ اسْوَدَّ، وَارْتَجَعَتْ ذِرَاعَاهُ مِنَ الْمَجْهُودِ، وَرَأَى آرونَ عِرْقًا أَزْرَقَ ثَخِينًا يَنْبُضُ فِي عُنُقِهِ بَيْنَمَا يُكَافِحُ لِلنُّهُوضِ. لِلْحِظَةِ بَدَأَ كَانِهِ عَلَى وَشْكَ أَنْ يَفْعَلَهَا، لَكِنْ قَوَاهُ كُلُّهَا خَارَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً وَأَطْلَقَ أَنْيْنًا وَعَادَ يَنْحَطُّ عَلَى وَسَادَتِهِ.

طَاطَأَ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ رَأْسَهُ وَهَرَمَ فِي غَمْضَةٍ عَيْنٍ، وَحَمَلَهُ أَحْفَادُهُ نَازِلِينَ بِهِ التَّلَّ. مِنْ جَدِيدٍ صَاحَ آرونُ ذُو الشَّعْرِ الرَّطْبِ: «مَنْ سَيَحْكُمُ حَدِيدِيَّيِ الْمِيلَادِ؟ مَنْ سَيَكُونُ مَلِكًا عَلَيْنَا؟».

تَطَلَّعَ بَعْضُ الرِّجَالِ إِلَى بَعْضٍ، بَعْضُهُمْ إِلَى يورُونِ وَبَعْضُهُمْ إِلَى فَيَكْتَارِيُونِ وَبَعْضُهُمْ إِلَى أَشَا، وَتَكَسَّرَتِ الْأَمْوَاجُ خَضِرَاءَ وَبَيْضَاءَ عَلَى أَبْدَانِ السُّفُنِ الطَّوِيلَةِ وَصَاحَ النَّورُسُ مَرَّةً أُخْرَى، صَرَخَتْهُ كَثِيبَةٌ خَشْنَةً.

نَادَى ابْنُ مَرَلِينَ: «اطْرَحْ دَعْوَاكَ يَا فَيَكْتَارِيُونِ، دَعْنَا نَفْرُغَ مِنْ هَذِهِ الْمَهْزَلَةِ».

رَدَّ فَيَكْتَارِيُونِ الْبِدَاءَ: «حِينَ أَسْتَعِدُّ».

سَرَّ هَذَا آرونُ. الْأَفْضَلُ أَنْ يَنْتَظِرَ.

التَّالِي كَانَ ابْنُ درُومِ، عَجُوزٌ آخَرٌ وَإِنْ كَانَ لَا يُدَانِي إِيرِيكَ فِي هِرَمِهِ، فَصَعَدَ التَّلَّ عَلَى سَاقِيهِ وَقَدْ اسْتَقَرَّ عَلَى وَرْكَهَ سَيْفِهِ الشَّهِيرِ (الْمَطَرُ الْأَحْمَرُ) الْمَطْرَقُ مِنَ الْفُؤْلَادِ الْقَالِيرِيِّ فِي أَيَّامِ مَا قَبْلَ الْهَلَاكِ. أَنْصَارُهُ رِجَالٌ مَرْمُوقُونَ، فَابْنَاهُ دِينَسُ وَدُونِلُ مَقَاتِلَانِ قَوِيَّانِ، وَبَيْنَهُمَا أَنْدِيرِيكَ الْإِلَا مَبْتَسِمٌ، الرَّجُلُ الْعَمَلَاقُ ذُو الذِّرَاعَيْنِ الْغَلِيظَتَيْنِ كَجَذُوعِ الْأَشْجَارِ، الَّذِي يَعُدُّ تَأْيِيدَ رَجُلٍ مِثْلِهِ بِشِيرِ خَيْرٍ لِابْنِ درُومِ.

بَدَأَ درُومُ خُطْبَتَهُ قَائِلًا: «مَكْتُوبٌ أَيْنَ أَنْ مَلِكُنَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِكِرَاكِنٍ؟ مَا أَحَقُّ يَّةَ (يَايِكَ) فِي حُكْمِنَا؟ (وَيْكَ الْكُبْرَى) أَكْبَرُ الْجُزْرِ،

و(هـ-ارلو) أغن-اها، و(وي-ك الق-ديمة) أقدسها. حين التهمت نار التنانين الخطّ الأسود من العائلة ولى الحديدون فيكون جرايچوي عليهم، نعم... لكن باعتباره لورد لا ملكًا».

بداية موفقة. سمع آرون صيحات تأييد، لكنها خفتت عندما بدأ الرجل يحكي عن أمجاد آل دروم، فتكلم عن داييل المُرعب ورورين المُغير والأبناء المئة الذين أنجبهم جورمون-د دروم الأب العجوز، واس-تل (المطر الأحمر) وحك-ي لهم كيف أخذه هيلم-ار دروم الم-اكر من فارسي مدرّع بعقله وهراوة خشبية لا أكثر، وتكلم عن سُفين ضاعت منذ زمن ومعارك تُسييت من ثمانمئة عام، وبدأ الجمهور يُصاب بالضجر. تكلم وتكلم، ثم إنه تكلم أكثر.

ولمّا فُتحت صناديق دروم رأى الربانة هدايا الضنين التي أتاهم بها، وقال ذو الشَّعر الرطب لنفسه: لا أحد اشترى عرشًا بالبرونز قط. وصارت حقيقة هذا جليةً للأسماع إذ خفتت هتافات «دروم! دروم! دروم ملكًا!» وصمتت.

أحسَّ آرون بمعدته تتلبك، وخيّل إليه أن الموج يتلاطم بهدير أصخب من قبل، ففكر: الآن، حان الوقت لأن يطرح فيكتاريون دعواه. مرّة أخرى صاح الرَّاهب: «مَن سيكون ملكًا علينا؟»، لكن هذه المرّة وقعت عيناه السوداوان الثاقبتان على أخيه في الزحام، وأضاف: «تسعة أبناء وُلدوا من صُلب كويلون جرايچوي، أحدهم أقوى من سائرهم ولا يعرف الخوف».

قابل فيكتاريون نظرتَه وأوماً إيجابًا، وعندما بلغَ القمة قال: «باركني يا أخي»، وركع وحنى رأسه، فخلع آرون سداة قِربته وصَبَّ خيطًا من ماء البحر على جبهة أخيه، ثم قال الرَّاهب: «ما مات لا يُمكن أن يموت أبدًا»، وردَّ فيكتاريون: «بل يُبعث من جديدٍ أقوى وأصلب».

حين قام فيكتاريون ارتصَّ أنصاره على درجة أدنى منه؛ رالف الأعرج ورالف ستونهاوس الأحمر ونيوت الحلاق، وكلهم مُحاربون ذائعو الصيت. رفع ستونهاوس راية ج-رايچوي، الكراكن الذهبية على خلفية سوداء كبجر منتصف الليل، وما إن رفرت ح-ي بدأ الربانة والملوك يهتفون باسم حضرة الربّان القائد، فانتظر فيكتاريون حتى سكتوا، ثم قال: «كلّكم تعرفونني. إذا كنتم تُريدون الكلام المعسول فتطلعوا إلى أحدٍ غيبي. إنني لا أتمتعُ بلسان المغيّين، بل بغأس، وبهاتين»، ورفع لهم يديه الضخمتين المقفّزتين بالحلقات المعدنية، ورفع نيوت الحلاق فأسه الفولاذية المخيفة. تابع فيكتاريون: «كنتُ أخًا مخلصًا. عندما تزوّج بالون أرسلني أنا إلي (هارلو) لآتي بعروسه، وقدتُ سفنه الطويلة في معارك عديدة ولم أخسر إلا واحدة. أول مرّة اعتمرَ بالون تاجًا أبحرتُ أنا إلى (لانسپورت) لأحرق ذيل الأسد، وفي المرّة الثانية أرسلني أنا لأسلخ الذئب الصّغير إذا ما قرّر أن يعود عاويًا إلى وطنه. كل ما ستنالونه مني هو المزيد مما نلتُم من بالون، وهذا كلُّ ما عندي».

بختام كلامه بدأ أنصاره يصيحون: «فيكتاريون! فيكتاريون! فيكتاريون ملكًا!»، وفي الأسفل سكب رجاله محتويات صناديقه في شلالٍ من الفضة والذهب والجواهر، ثروة من الغنائم تسابق الرّبابنة للاستيلاء على أفضلها بينما يهتفون: «فيكتاريون! فيكتاريون! فيكتاريون ملكًا!».

راقب آرون عين الغراب متسائلًا في نفسه: هل سيبتكلم الآن أم يترك الانتخاب ينتهي؟ كان أوركود سيد (أوركمونت) يهمس في أذن يورون بشيءٍ ما.

على أن يورون ليس من وضعٍ نهايةٍ للهِتاف، وإنما المرأة. وضعت آشا إصبعين في فمها وأطلقت صغيرًا حادًا صاحبًا شقّ الهرج والمرج كما يشقّ السكين قالبًا من الزبدة، ثم صاحت: «عمّا! عمّا!»، وانحنت تختطف طوقًا ذهبيًا ملتويًا وأسرعت تصعد الدّرجات. أطبق نيوت على ذراعها، ولجزءٍ من لحظة راود آرون الأمل في أن ينجح أنصار أخيه في إسكاتها، إلا أن آشا انتزعت ذراعها من الحلاق وقالت شيئًا لـرالف الأحمر جعله يُفسح لها الطريق، وإذ تجاوزته صمت التّهليل. إنها ابنة بالون جرايجوي، والناس راغبون في سماعها.

قالت آشا لفيكتاريون: «لطف منك أن تجلب تلك الهدايا لانتخاب الملكة يا عمّي، لكن ليس هناك ما يدعوك إلى تدريع نفسك لهذه الدّرجة. أعدّ باني لن أذيك»، والتفتت تُواجه الرّبابنة متابعَةً: «لا أحد أشجع من عمّي، ولا أحد أقوى، ولا أحد أضرب في القتال، ويُمكنه أيضًا أن يعدّ إلى عشرة أسرع من أيّ أحد. لقد رأيته يفعل هذا... ولو أنه يضطرّ إليّ خلع حذائه عندما يعدّ إلى عشرين». جعلهم قولها هذا يضحكون. «لكنه بلا أبناء، وزوجاته يمتن. عين الغراب أكبر منه ودعواه أقوى...».

زعق الملاح الأحمر من أسفل: «نعم!».

- «آه، لك-ن دع-واي أقوى وأقوى»، ووضعت آشا الطّوق على رأسها بزواوية عابثة ليلتصق الذهب في شعرها الدّاكن، وأردفت: «لا يجوز أن يسبق أخو بالون ابن بالون!».

صاح رالف الأعرج: «أبناء بالون ماتوا ولا أرى إلّا ابنته الصّغيرة!».

رددت آشا: «ابنته؟»، ودست يدها في سترتها الجليديّة قائلة: «أوهو! ما هذا؟ هل أريكم؟ بعضكم لم ير واحدًا منذ فطمتهم»، وضحكت مواصلة: «وجود ثديين عليّ ملِكٍ شيء شنيع، أهذا ما تقول-ه؟ رالف، إنك على حق، أنا امرأة... ولو أنني لست امرأة عجوزًا مثلك. رالف الأعرج... ألا يُفترض أن يكون اسمك رالف الرّخو؟»، وسحبت آشا خنجرًا من بين ثدييها رفعتة معلنة: «إنني أم أيضًا، وهذا ابني الرّضيع! وها هم أولاء أنصاري!». تقدّموا متجاوزين أنصار فيكتاريون الثلاثة ووقفوا أسفلها؛ كـارل البكر وتريس-تيفر بوتلي والفارس السير هـاراس هـارلو الذي لا يقلّ سيفه (غروب) شهرة عن (المطر الأحمر) سيف دنس-تان دروم. «عمّي قال إنك-م

تعرفونه. إنكم تعرفونني أيضًا...».

صاح أحدهم: «أريدُ أن أعرفك أفضل!».

ردّت آشا: «عُدْ إلى بيتك واعرف زوجتك»، ثم إنها استدركت: «يقول عمّي إنه سيُعطيكم المزيد مما أعطاكم أبي. طيّب، وماذا كان هذا؟ سيقول البعض الذهب والمجد، الحرية الثمينّة. نعم، بالفعل، هذا ما أعطانا إيّاه... والأرامِل أيضًا كمّا سيقول لكم اللورد بلاكتاي. لكم منكم احتراق بيت هـ جـين أتـى روبرت؟ لكم منكم اغتصبت ابنته وانتهك عرضها؟ القرى المحروقة والقلاع المتهدّمة، هذا ما نلتموه من أبي، نلتم الهزيمة. عمّي سيُعطيكم المزيد، أمّا أنا فلا».

سألها لوكاس كود: «وماذا ستُعطينا أنت؟ الحياكة؟».

أجابّت: «أجل يا لوكاس، سأحيكُ لينا مملكةً»، وتقدّمت خنجرها من يدي إلى يدي مردفة: «علينا أن نتعلّم درسًا من الذئب الصّغير الذي انتصرَ في كلّ معركة...».

وخسر كلّ شيء».

قال فيكتاريون باستهجان: «الذئب ليس كراكن. ما يُطبق عليه الكراكن لا يُفليته أبدًا، سواء أكان سفينةً طويلةً أم لويثان».

- «وعلامَ نُطبق يا عمّاه؟ الشّمال؟ وما الشّمال إلّا فراسخ وفراسخ من الفراسخ والفراسخ بعيدًا عن صوت البحر؟ لقد استولينا على (خندق كايّين) و(ربوة الغابة) و(مربع تورين)، بل وعلى (وينترفل) ذاتها، فماذا جنينا؟»، وأشارت آشا فتقدّم رجالها من طاقم (الريّح السّوداء) حاملين صناديق من البلوط والحديد، وقالت بينما سكّبت محتويات أولها: «أقدّم لكم ثروة (السّاحل الحجري)»، وانهمر سيل من الحصى على الدّرجات، حصى رمادي وأسود وأبيض صقلته مياه البحر. قالت والصنّـدوق الثّاني يُفتح: «أقدّم لكم ثروات (ربوة الغابة)»، وتدفّقت أكواز الصنوبر لتتدحرج وترتطم بأجساد المتزاحمين. قالت: «وأخيرًا أقدّم لكم ذهب (وينترفل)»، ومن الصنّـدوق الثّالث سقطت ثمار اللّفت الأصفر المستديرة الصّلبة الكبيرة كـرأس رجل، وحطّت وسط الحصى وأكواز الصنوبر. غرست آشا خنجرها في إحداها، وصاحت: «هارموند شارپ، ابنك هاراج مات في (وينترفل) من أجل هذا»، ونزعت النّصل من الثّمرة وألقته إليه مضيغة: «أظنّ أن لك أبناء آخرين. إذا كنت ترغب في مبادلة حياتهم بالّفت فاهتف باسم عمّي!».

سألها هارموند: «وماذا لو هتفتُ باسمك؟».

أجابّت آشا: «السّلام، الأرض، النّصر. سأعطيكم (رأس التّين البحري) و(السّاحل الحجري)، تُربة سوداء وأشجار طويلة وأحجار تكفي لأن يبنّي كلّ ابن صغير قاعةً لنفسه. سنكسب الشّماليين أيضًا... كأصدقاء يقفون معنا ضدّ

العرش الحديدي. خياركم بسيط. تَوَجُّوني في سبيل السَّلام والنَّصر أو تَوَجُّوا عَمِّي في سبيل المزيد من الحروب والهزائم»، ودسَّتْ خنجرها في مكانه متسائلة: «ماذا تختارون أيها الحديديون؟».

زَعَقَ رُودْرِيكَ الْقَارِئُ وَقَدْ كَوَّرَ يَدِيهِ حَوْلَ فَمِهِ: «النَّصْرُ! النَّصْرُ وَأَشَا!».

ورَدَّ اللورد بيلور بلاكتايد: «آشا! آشا ملكة!».

وانضمَّ رجال طاقم آشا إلى الهتاف مرّدين: «آشا! آشا! آشا ملكة!». دبّوا على الأرض بأقدامهم وهزّوا قبضاتهم في الهواء بينما أصغى ذو الشَّعر الرّطب مذهولاً. تُريد أن تُدمّر ما بناه أبوها!

لكن تريستيفر بوتلي يهتف باسمها، ومعه كُثر من آل هارلو وبعض آل جودبراذر والورد مرلين ذو الوجه المحتقن، رجال أكثر مما كان الرَّاهب ليتخيل... ومن أجل امرأة!

على أن آخرين لاذوا بالصَّمت أو راحوا يُتَمَتِّمون لجيرانهم، وهدرَ رالف الأعرج: «لا لسلام الجُبَّاء!»، ولوّح رالف ستونهاوس الأحمر بـ «أية جرايچوي مجعجعا: «فيكتاريون! فيكتاريون! فيكتاريون!»». بدأ الرّجال يتدافعون، وألقى أحدهم كوز صنوبر على رأس آشا، فلمّا انحَتَّت تتفاداه سقطَ تاجها المرتجل عن رأسها، وللحظاتٍ خيّلَ إلى الرّاهب أنه واقف على قِمّة كُثيب نملٍ عملاق، وعند قدميه ألف نملةٍ ثائرة. جاشت الهتافات باسمي آشا وفيكتاريون جيئةً وذهابًا، وبدا كأن عاصفةً عاتيةً على شفا ابتلاعهم جميعًا. إله العواصف بيننا، يَبْذُرُ الْفِتْنَةَ والشَّقَاقَ.

وَكَطَعَنَةُ السَّيْفِ النَّجْلَاءُ شَقَّ النَّفِيرِ الْهَوَاءُ شَقًّا.

ثاقِبٌ مَفْجَعٌ صَوْتُهُ، صِرَخَةٌ حَارَّةٌ رَاجِفَةٌ تَجْعَلُ عِظَامَ الْمَرْءِ تَهْتَزُّ كَالْأَوْتَارِ فِي دَاخِلِهِ،
صِيحَةً طَالَ مَقَامُهَا فِي هَوَاءِ الْبَحْرِ الرَّطْبِ، آآآآرِّيي-يِيِيِيِيِيِيِيِيِيِيِيِيِيِيِيِي!

التَفَتَتِ الْأَعْيُنُ كُلُّهَا نَحْوَ الصَّوْتِ. كَأَن وَاحِدَ مَنْ هِجَانَ يَوْرُونَ
يَنْفُخُ فِي بوقٍ، رَجُلٍ رَهيبِ الْحِجْمِ لَهُ رَأْسٌ حَلِيقٌ، تَلْتَمِعُ عَ حَلَقَاتِ مَنْ
الذَّهَبِ وَالْيَشِبِّ وَالْكَهْرْمَانِ الْأَسْوَدِ عَلَى ذِرَاعِيهِ، وَعَلَى صَدْرِهِ الْعَرِيضِ وَشَمِّ
لِطَائِرٍ مَا مِنَ الْكَوَاسِرِ تَقْطُرُ مِنْ بَرَاثِنِهِ الدِّمَاءُ.

[illegible]

البوق الذي يَنفُخ فيهِ أسود لامرء ملتو، وأطول من قامة رجلٍ
إذ حمَلَه بكتلي-ي-ديه، وتُطَعِّمُه حلقات من ألذهب الأحمر والفولاذ
الـدَّاكن منقوشة عليـها رموز بالغالبية توهَّجت بالأحمر إذ تعظَم الصوت.

[illegible]

صوتٌ فظيع، عويلٌ أليمٌ وغضبٌ يُلهب الآذان. غطّى آرون ذو الشعر الرطب أذنيه ودعا الإله الغريق أن يرفع موجةً عارمةً تُهشّم البوق وتُخرسه، إلا أن الصرخة استمرت واستمرت. أرادَ هو أن يصرخ: إنه بوق الجحيم، ولكن ما كان أحدٌ ليسمعه. انتفخت وجنتا الرجل الموشوم عن آخرهما حتى بدّتا على وشك الانفجار، واختلجت عضلات صدره بطريقة جعلت الطائر يلوح كأنه يُشارف الانسلاخ من جلده والتّحليق، والآن كانت الرّموز متّقدةً بسطوعٍ مُعمٍ وكل سطرٍ وحرفٍ يُومض بنارٍ بيضاء. اس-تمرّ ال-صوت واس-تمرّ واس-تمرّ، تتردّد أصداؤه بين التلال العاصفة من ورائهم وعبر ميّاه (مهذّنا) لتُدوي وسط جبّال (ويك القديمة)، واس-تمرّ واستمرّ واستمرّ حتى ملأ العالم المبتل بأسره.

وحين بدا كأن الصوت لن يتوقّف أبدًا توقّف.

انقطعت أنفاس نافخ البوق أخيرًا وترنّح وكاد يقع، ورأى الراهب أوركوود سيّد (أوركمون) يُمسكه من ذراعه ليثبته، في حين تناول لوكاس كود الأعسر منه البوق الذي يتصاعد منه خيط رفيع من الدخان، أمّا من نفخ فيه فرأى الراهب دمًا وقروحًا على شفّتيه، وكان الطائر على صدره ينزف أيضًا.

صعد يورون جرايچوي التلّ بتؤدّة وأعين الجميع عليه، وأعلاهم صرخ النّوس وصرخ. فكر آرون: ليس لكافر أن يجلس على كرسي حجر اليم، لكنه يعلم أن عليه أن يدع أخاه يتكلم، فتحرّكت شفّته بصلاصة صامتة.

انتحى أنصار أشا وفيكتاريون جانبًا، وتقهقر الراهب خُطوةً وأسند يده إلى أحد أحجار ضلوع ناجا الخشنة. توقف عين الغراب على قمّة الدّرجات أمام باب (بهو الملك الأشيب) ورمق الرّبابة والملوك بعينه الباسمة، لكن آرون شعر بعينه الأخرى أيضًا، العين التي يُخفيها.

قال يورون جرايچوي: «أيها الحديديّون، قد سمعتم بوقي، والآن اسمعوا كلامي. أنا أخو بالون، أكبر أبناء كويلون الأحياء، في عروقي دماء اللورد فيكون ودماء الكراكن العجوز، لكنني أبجرتُ أبعد منهم جميعًا. كراكن حيّ واحد لم يعرف الهزيمة قطّ، واحد فقط لم يركع قطّ، واحد فقط أبحر إلى (أشاي) عند (بلاد الظلّ) ورأى عجائب وأهوالًا تفوق الخيال...».

صاح كارل البكر نصير أشا ذو الوجه المتورّد: «إذا كنت تحبّ (بلاد الظلّ) كثيرًا هكذا فعُد إليها».

تجاهلّه عين الغراب مستكملًا: «أخي الصّغير يُريد أن يُنهي حرب بالون ويحوز الشّمال، وابنة أخي العزيزة تُريد إعطاءنا السّلام وأكواز الصّنوبر»، والتوت شفّته الرّقاوان في ابتسامة، وتابّع: «أشأ تؤثّر النّصر على الهزيمة، وفيكتاريون يرغب في مملكةٍ وليس بضع ياردات تافهة من الأرض. مني ستبالون الاثنين. تُسمّونني عين الغراب. حسن، ومن بصره أثق بـ من الغراب؟ عجب

كُلَّ معركةٍ تَأْتِي الْغُرَبَانِ بِـالْمِائَاتِ وَالْآلَافِ وَتَلْتَهُمَ وَلِيمةٌ مِنْ لَحْمِ السَّاقَطِينَ. الْغُرَابُ يُبْصِرُ الْمَوْتَ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَقْوَلُ لِلْكَمِ الْآنَ إِنْ (وَسْتَرُوس) قَاطِبَةً تُحْتَـصَرُ، وَمَنْ يَتَّبِعُونِي سـيَلْتَهُمُونَ الْوَلَائِمَ مَا تَبَقِيَ لَهُمْ مِنْ عُمْرٍ. إِنْـا حـدِيدِيُو الْمـيـلاد، وَفِي ماضـينا كـنا غُزاةً فَـاتْحِينَ، لـنا سـطوة عـلى كـلِّ حـدبٍ وَصـوبٍ يُسـمَعُ فِيـه صـوت المـوج. أَخـي يُرِيـدكـم أَنْ تَقْنَعُوا بـالشَّمالِ الْبـاردِ الْكـئيبِ، وَابـنةُ أَخـي بـما هـوَ أَقـلُّ... أَمَّا أَنْـا فَسـأَعْطِيكـم (لـانـسـپورت) وَ(هـاـيـجاردن)، (الـكرمـة) وَ(الـبلـدة القـديـمة)، أَرْضـي النَّـهـرِ وَ(الـمرعى)، (غـابـة المـلـوك) وَ(الـغـابـة المـطـيرة)، (دورن) وَتُخومـها، (جـبال القـمر) وَ(وادي آرـن)، (تـارث) وَ(الأعتاب). أَقُولُ لَكُمْ أَنْ نَأْخُذَ كُلَّ شَيْءٍ، أَقُولُ أَنْ نَأْخُذَ (وَسْتَرُوس)!!»، وَرَمَقَ الرَّاهِبَ مُضِيقًا: «وَكُلُّ هَذَا لِأَجْلِ مَجْدِ إِلَهِنَا الْغَرِيقِ بِالطَّبْعِ».

لَأَقْلَّ مِنْ لَحْظَةٍ فَتَنَّتْ جَسَارَةَ كَلَامِهِ آرون. لَقَدْ حَلَمَ الرَّاهِبُ الْحُلْمَ نَفْسِهِ حِينَ رَأَى الْمَذْتَبَ الْأَحْمَرَ فِي السَّمَاءِ أَوَّلَ مَرَّةٍ. سَنَكْتَسِحُ الْأَرْضِي الْخَضِرَاءَ بِالنَّارِ وَالسَّيْفِ، نَجْتِثُ آلِهَةَ السَّيِّئَاتِ السَّبْعَةَ وَأَشْجَارَ الشَّمَالِيِّينَ الْبِيضَاءَ...

رَفَعَتْ أَشـا عَقِيرَتـها قَائِلَةً: «هـل تـركت عـقلـك فـي (أشـاي) يـا عـين الغـراب؟ إِذَا كـنا لـا نـسـطيع السَّيِّطـرة عـلى الشَّـمـال -ولـسـنا نـسـطيع- فكـيف نـظـفر بـكـامل (المـمـالك السَّـبـع)؟».

- «سَبَقَ أَنْ حَدَثَ هَذَا. أَلَمْ يُعَلِّمَ بِالْوَنِ ابْنَتَهُ إِلَّا الْقَلِيلَ عَنْ طِبَائِعِ الْحَرْبِ؟ فَيَكْتَارِيُونَ، ابْنَةُ أَخِينَا لَمْ تَسْمَعْ بِإِجُونِ الْفَاتِحِ عَلَى مَا يَبْدُو».

عَقَدَ فَيَكْتَارِيُونَ ذِرَاعِيَهُ عَلَى صَدْرِهِ الْمَدْرَعُ مَتَسَائِلًا: «إِجُونُ؟ وَمَا صِلَةُ الْفَاتِحِ بِنَا؟».

قَالَتْ أَشـا: «أَعْرِفُ الْحَرْبَ مِثْلَكَ تَمَامًا يَا عَيْنَ الْغُرَابِ. إِجُونُ تَارْجَارِيْنَ غَزَا (وَسْتَرُوس) بِالنَّانِينَ».

رَدَّ يورون جَرَايِچُوي: «كَمَا سَنَغْزُوهَا نَحْنُ. الْبُوقُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ وَجَدْتُهُ وَسْطَ الْأَطْلَالِ الدَّاخِنَةِ الَّتِي كَانَتْ (قَالِيرِيَا)، حَيْثُ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى الذَّهَابِ إِلَّاي. لَقَدْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ وَشَعَرْتُمْ بِقُوَّتِهِ. إِنَّهُ بُوقُ تَنَانِينَ، مَطْعَمٌ بِالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْفُولاذِ الْغَالِيرِيِّ الْمَنْقُوشِينَ بِالتَّعَاوِيزِ. كَانَ سَادَةُ التَّنَانِينَ الْقُدَامَى يَنْفُخُونَ فِي أَبْوَاقٍ مُشَابِهَةٍ قَبْلَ أَنْ يَلْتَهُمَهُمُ الْهَلَاكُ، وَبِهَذَا الْبُوقِ أَيُّهَا الْحَدِيدِيُّونَ اسْتَطِيعُ أَنْ أَسْخِرَ التَّنَانِينَ لِإِرَادَتِي».

أَطْلَقَتْ أَشـا ضَحْكَةً عَالِيَةً، وَقَالَتْ: «سَتَجِدُ نَفْعًا أَكْثَرَ فِي بُوقٍ يُسَخِّرُ الْمَاعِزَ لِإِرَادَتِكَ يَا عَيْنَ الْغُرَابِ. لَمْ تَعُدْ هُنَاكَ تَنَانِينَ».

- «مَرَّةً أُخْرَى تُخْطِئِينَ يَا فَتَاةَ. هُنَاكَ ثَلَاثَةٌ، وَأَعْرِفُ أَيْنَ أَجْدهَا. مُؤَكَّدٌ أَنَّ هَذَا يَسْتَأْهِلُ تَاجًا مِنَ الْخَشَبِ الْمَجْرُوفِ».

صَاحَ لُوكَاسُ كُودَ الْأَعْسَرِ: «يُورُون!!».

وهتَفَ المَلَّاحُ الأحمر: «يورون! عين الغراب! يورون!».

فَتَحَ الخُرْسُ والهَجَانُ من طاقم (الصَّمَت) صناديق يورون وسكّوا هداياه أمام الرّبابنة والملوك، ثم سمعَ الرّاهب صوت هوثو هارلو يهتف إذ ملأ يديه بالذهب، وهتَفَ جورولد جودبراذر أيضًا، وإريك محطّم السنّادين. «يورون! يورون! يورون!».

استحالَ الهتاف إلى هدير. «يورون! يورون! عين الغراب! يورون ملكًا!».

زلزلَ (تَلْ ناجا) كأن إله العواصف يَرُجُّ السَّحاب. «يورون! يورون! يورون! يورون! يورون!».

حتى الرّاهب يُمكن أن تُخامِرهُ الشُّكوك. بحثَ آرون ذو الشَّعر الرّطب في أعماقه عن ربّه ولم يكتشف إلّا الصَّمَت، وإذ هدرَ ألف صوتٍ باسم أخيه لم يستطع أن يسمع إلّا صرخة مفصّلةٍ حديديةٍ صدئة.

بريان

شرق (بركة العذارى) ترتفع التلال الوعرة وتنغلق عليهم أشجار الصنوبر كجيش جنده خضر رماديون صامتون.

قال ديك الرشيقي إن الطريق الساحلي الأقصر والأسهل، ولذا فنادرًا ما غاب الخليج عن أنظارهم، وإذ مضوا تضاءلت مساحات البلدات والقرى المطلّة على الساحل وتزايدت المسافات بينها. عند الغروب يبحثون عن خانٍ يقضون فيه الليل، فينام كراب في الفراش المشترك مع غيره من المسافرين، في حين تأخذ بريان غرفة لها وليودريك، وهو ما جعل ديك الرشيقي يقول لها: «أرخص أن ننام كلنا في فراش واحد يا سيّدتى. يُمكنك أن تضعي سيفك بيننا. ديك العجوز شخص وديع وشهم كالفرسان، ولك أن تثقي بأمانته كما تثقين بطول النهار». علّقت بريان: «النهار أصبح أقصر مما كان».

- «نعم، ربما. إذا كنت لا تثقين بوجودي في الفراش فيمكنني أن أنام على الأرض يا سيّدتى».

- «ليس على أرض عُرفتى».

- «قد يحسب المرء أنك لا تثقين بي إطلاقًا».

- «الثقة تُكتسب، مثلها مثل الذهب».

قال كراب: «كما تقولين يا سيّدتى، لكن في الشمال حيث ينتهي الطريق سيكون عليك أن تثقي بديك. إذا أردت أن آخذ ذهبك بحدّ السيف فمن سيمنعني؟».

- «إنك لا تملك سيفًا، أمّا أنا فأملك».

أغلقت الباب بينهما ووقفت تُصغي حتى تأكّدت من ابتعاده. مهما كان رشيقيًا فديك كراب ليس چايمي لانستر أو الفار المجنون، ولا حتى همفري واجستاف. إنه مهزول سيّئ التغذية، ودرعه الوحيدة خوذة قصيرة منبعجة مبرقشة بالصدأ، وبدلًا من السيف يحمل خنجرًا قديمًا تحزّز نصله. ما دامت مستيقظة فإنه لا يُمثّل خطرًا. قالت ليودريك: «سيأتي وقت لا نجد فيه خانًا يُؤوينا. إنني لا أثقُ بمُرشدنا. عندما نُخيم هلاً سهرت عليّ وأنا نائمة؟».

قال: «أبقى مستيقظًا يا سيّدتى، أيتها الفارس؟»، وفكّر لحظة ثم أضاف: «إن معي سيفًا. إذا حاول كراب أن يؤذيك سأقتله».

ردّت بصرامة: «لا، لا تُحاول أن تُقاتله. لا أطلبُ إلّا أن تُراقبه وأنا نائمة وتوقظني إذا فعل شيئًا مريبًا. ستجدني أستيقيظُ بسرعة».

بانت حقيقة كراب في اليوم التالي عن دما توفقوا لسقي الخيول. ذهبت بريان وراء بعض الشجيرات لتُفرغ مثانتها، وبينما أقيعت

سـمعتَ پودريك يقـول: «ماذا تفعل؟ ابتعد عنه»، فأنهت ما تفعله ورفعت سراويلها وعادت إلى الطريق لتجد ديك الرشيقي يُنظف يديه من الطحين. أخبرته: «لن تجد تنانين في جراب السرج».

إنـي أحتفظ بـذهبي معـي». بعضـه فـي الـجـراب المعـلق مـن حزامـها، والبـاقـي مخـبأ فـي جـيبـين مخـيطـين داخـل ثيابـها، أمّا الـصـرة الـمنتفخـة فـي جـراب سـرجـها فـمليئة بـالـعمـلات النحاسـية كـبـيرها وصـغيرها والبـنسـات وأنصـاف البـنسـات والـجـراوت والنـجـوم... والـطحـين الأبـيض الناعم لـيجعلـها أكـثر انتفـاخًا. كـانت قد اشـترته مـن الطاهـي فـي (السـيوف السـبعة) صـبيحة خـروجها مـن (وادي الغسق).

قال نافضًا أصابعه الملوثة بالطحين ليُريها أنه لا يحمل سلاحًا: «ديك لم يقصد سوءًا يا سيدتي. كنتُ أنظرُ لأرى إن كانت معك التنانين التي وعدتني بها. العالم مليء بالكاذبين المتحفّزين لسرقة الشرفاء. لا أعني أنك منهم طبعًا». قالت بريان آملةً أنه يُجيد الإرشاد عن اللصوصية: «الأفضل أن نستأنف طريقنا»، وعادت تمتطي فرسها.

تعود ديك الغناء وهم راكبون معًا، ولو أنه لا يُغني أغنيةً كاملةً أبدًا وإنما مجرد مقطوعةٍ من هنا وبيتٍ من هناك، وقد ارتابت بريان في أنه يُريد أن يخطب وُدّها ومن ثمّ تتخلى عن حذرها. أحيانًا يُحاول أن يجعلها وپودريك يُغنيان معه ولكن بلا جدوى، فالصبي خجول للغاية ولسانه معقود، وبريان لا تُغني أبدًا. ذات مرّة في (ريفررن) سألتها الليدي كاتلين: «أكنت تُغني لأبيك؟ أكنت تُغني لرنلي؟»، لكنها لم تُغن قط حقًا، مع أنها أرادت... أرادت...

عنـدما لا يُغني ديـك الرّشـيق فإنـه يتكـلم ويـتجفـهما بحكـايات عـن (الرّأس المتصدّع). يقـول إن لكـلّ وادٍ مـوحش هـنـاك سـيدّه، ولا يـوجد هـؤلاء إلّا انـعـدام ثقتـهم بـالـغـرباء، ففـي عـروقـهم تتـدفق دمـاء البـشـر الأوائـل قـانيـة قـويّة. «الأنـداليون حـاولوا الـاسـتلاء علـى (الرّأس المتصدّع) فـأرقنا دمـاءهم فـي الوديان وأغرقناهم فـي المستنقعات، لكن ما لم يستطع أبناؤهم الفوز به بالسيف نالت بناتهم بالقبلات. لقد صاهروا العائلات التي لم يستطيعوا إخضاعها، نعم».

حاول آل داركلين ملوك (وادي الغسق) فرض هيمنتهم على (الرأس المتصدّع)، كما حاول آل موتون سادة (بركة العذارى) أيضًا، ولاحقًا آل سلتيجار سادة (جزيرة السّراطين) المتغطرسون، لكنّ أهل (الرأس المتصدّع) يعـرفون مسـتنقعاتهم وغاباتـهم أفضل مـن أيّ غـريبٍ علـى الإطلاـق، وإذا أرغـموا فإنـهم يـختفون فـي المغـارات المنتشرة في تلالهم، عندما لا يُقاتلون مَن يُحاولون غزوهم ينشغل بعضهم بقتال بعض، لأن ما بينهم من ثارٍ وضغائن أعـمق وأكثر سوادًا من المستنقعات بين تلالهم. من حينٍ إلى آخر ينجح بطل ما في

إحلال السَّلام بالمنطقة، لكنه يدوم ما دامَ حيًّا لا أكثر. اللورد لوسيفر هاردي كان واحدًا من العُظماء، والأخوان برون أيضًا، وأعظم منهم كاسر العظام العجوز، لكن آل كراب أعظمهم كَافَّةً، وما زالَ ديك يَرَفُضُ أن يُصَدِّقَ أن بريان لم تسمع بالسير كلارنس كراب ومَنَاقبه.

قالت له: «ولِمَ أكذبُ؟ كلُّ مكانٍ له أبطاله المحليُّون. في ديارٍ يُغَنُّون عن السير جالادون المورني، الفارس المثالي».

ردَّ ساخرًا: «السير جالامَن المازا؟ لم أسمع به من قبل. ولِمَ كان مثاليًّا؟».

- «السير جالادون كان بطلًا شديد البسالة لدرجة أنه سلبَ (العذراء) نفسها قلبها، فأنعمت عليه بسيفٍ مسحور دلالةً على حبِّها. كان اسمه (العذراء العادلة)، ولم يكُن يُمْكِنُ لأيِّ سـيـفٍ تقليـدي أن يصـدِّ تـلـك العـذراء أو لأيِّ تُرسٍ أن يتحمَّل قبليتها. حملَ السـيـر جـالادون (العـذراء العادلة) بفخر لكنـه لـم يُجَرِّدها إلا ثلاث مرَّات، إذ رفضَ أن يُقاتِلَ بها رجلًا فانيًا لأن قوَّتها تجعل أيَّ قتالٍ كهذا غير عادل».

وجدَ كراب حكايتها هزليَّةً للغاية، وقال: «الفارس المثالي؟ يبدو أنه كان الأحمق المثالي. ما المغزى من حمل سيفٍ مسحور إذا كان لا يستخدمه أبدًا؟».

أجابَتْ: «الشَّرَف، المغزى هو الشَّرَف».

جعلَه ردُّها يُطلق ضحكةً أعلى ويقول: «كان السير كلارنس كراب ليمسح مؤخِّرتَه المشعرة بفارسك المثالي يا سيِّدتي. لو التقيا لكان رأس إضافي موضوعًا الآن على الرُّفوف في (قلعة الهمس) إذا طلبت رأيي، يقول للرُّؤوس الأخرى: كان عليَّ أن أستخدم السَّيف المسحور، كان عليَّ أن أستخدم السَّيف اللعين!».

لم تستطع بريان أن تمنع ابتسامتها، وقالت: «ربما، لكن السير جالادون لم يكن أحمق. ضدَّ غريمٍ يبلُغ ثمانية أقدام طولًا ويمتطي ثورًا بريًّا كان ليُجَرِّد (العذراء العادلة). يقولون إنه قتلَ بها تَينِيًّا ذات مرَّة».

قال ديك الرِّشيق دون أن يبدو عليه تأثُّر: «كاسر العظام العجوز قاتلَ تَينِيًّا أيضًا لكنه لم يحتجَ إلى سيفٍ مسحور، بل اكتفى بربط عُنقه على نفسه، وهكذا كلُّما نفث النَّار أحرق مؤخِّرتَه».

سألتَه بريان: «وماذا فعلَ كاسر العظام حين أتى إجون وأختاه؟».

رمقَها كراب بنظرةٍ جانبيَّةٍ مجيِّبًا: «كان قد ماتَ حينئذٍ. مؤكَّد أن سيِّدتي تعلم هذا. إجون أرسلَ أخته إلى (الرَّأس المتصدِّع)، تلك المسمَّاة فيزينيا. كان اللوردات قد سمعوا بنهاية هارن، ولأنهم ليسوا حمقى فقد وضعوا سيوفهم عند قدميها، فأخذتهم الملكة رجالًا لها وقالت إنهم لن يدينوا بالولاء لـ (بركة العذارى) أو (جزيرة السَّراطين) أو (وادي الغسق)، لكن هذا لم يمنع آل سلتيجار الملاحين

من إرسال رجال إلى السَّاحل الشَّرقي لجني الضَّرائب لسيِّدهم. إذا أرسلَ عددًا كافيًا يعود إليه بعضهم... وفيما عدا ذلك فنحن لا ننحني إلا لسادتنا والملك، الملك الحقيقي وليس روبرت ومَن هُم على شاكلته»، وبصقَ قبل أن يُتابع: «كان هناك رجال من آل كراب وبرون وبوجز مع الأمير ريجار في معركة (الثالوث)، وفي الحرس الملكي أيضًا. واحد من آل هاردي، وواحد من آل كايف، وواحد من آل بايين، وثلاثة من آل كراب؛ كليمنت وروبرت وكلارنس القصير. كان طوله ستة أقدام، لكنه ما زالَ قصيرًا مقارنةً بالسَّير كلارنس الحقيقي. كلنا من رجال التَّين المخلصون في (الرَّأس المتصدِّع) ونواحيها».

استمرَّت حركة المُسافرين في الانحسار مع توجُّلهم شمالًا وشرقًا، إلى أن لم تُعد هناك خانات يقضون فيها اللَّيل، وعندئذٍ كان طريق الخليج قد أصبح ممثلاً بالحشائش أكثر من الحُفر. ليلتها أووا إلى قرية صيَّادين، ونقَدَت بريان القرويين القليل من العُمَلات النُّحاسية ليسمحوا لهم بالمبيت في مخزن تبن. أخذت العُلَّة لنفسها ولپودريك، وبَعَد صَعودهما سَحَبَت السِّلْم، فنَـادى كَـراب مَن أسـفل: «إِذَا تـركتني هـنـا وحـدي فـيُمكنني أن أسـرق حصـانيكما بكـل سـهولة. الأفضـل أن تأخـذيهما إلـى أعـلى مـع كـي سـيُـدتي»، ولمَّا تجاهلتـه واصلـت: «سـيـسـقـط المطر اللـيلـة، مطر بـارد غزير. أنـت وپودز سـتنامان مسـتريحين دافئـين وديـك العجـوز المسـكين سيـبقى هـنا يـرتجـف وحده»، وهَزَّ رأسه مهمهمًا إذ افترشَ كومةً من التَّين، وأضاف: «لم أعرف فتاةً شكَاكَةً مِثْلَكِ إطلاقًا».

تكوَّرت بريان على نفسها تحت معطفها وإلى جوارها پودريك يتشاءب، وقد أرادت أن تصيح في كراب بالأسفل قائلةً: لم أكن حذرةً دائمًا. في صغري اعتقدتُ أن كلَّ الرِّجال نُبلَاء كَأبي. حتى الرِّجال الذين أخبروها كم هي جميلة، كم هي فارعة القامة وبهيَّة وذكيَّة، كم هي رشيقة عندما ترقص. السَّيِّئة رويل هي التي رفَعَت الغشاوة عن عينيها، وقالت لها: «لا يقولون تلك الأشياء إلا ليناووا رضا السيِّد والدك. ستجدين الحقيقة في مرآتك وليس على ألسنة الرِّجال». درس قاس انهمرت لـه دموعـها، إلَّا أنـه أجـداها النَّفـع فـي (هارنـهال) عنـدما لـعب السـير هـايل وأصـدقاؤه لُعبتـهم. حـين بـدا المطر يـهطل كـانت تُفكـر: علـى البنـت أن تـكون شـكاكَةً فـي هـذا العالم وإلَّا لن تبقـى بـتـًا طويلًا.

في الالتحام الجماعي في (جسر العلقم) بحثت عَمَّن تودَّوا إليها وأوسعَتهم ضربًا واحدًا تلو الآخر؛ فارو وأمبروز وبوشي ومارك مالدور ورايموند ناپلاند وويل اللُّلق، ودعست هاري سوير بحصانها وكسرت خوذة روبن پوتر وخلفت على وجهه ندبةً قبيحةً، ولمَّا سقط آخرهم سلَّمَتها (الأم) كوننجتون، وهذه المرَّة كان في يد السَّير رونيت سيف لا وردة، فكانت كلُّ ضربةٍ هَوَّت بها عليه أعذب من القُبلات. لوراس تايرل كان آخر من واجه غضبتها يومها، ولئن لم يكن ممَّن

غازَ لوها -بل وبالكاد نظَرَ إليها أصلاً- فقد كانت على تُرسه ثلاث وردات ذهبية في ذلك اليوم، وبريان تَمَقَّت الورد، فَبَتَّ مجردَ منظره فيها قوَّةً عاتيةً.
غابت في التَّوَم حالمةً بالقتال الذي دارَ بينهما، وبالسَّير چايمي يُثَبِّت معطف قوس قزح حول كتفيها.

تواصلَ نزول المطر في الصَّباح التَّالي، وبينما أَفْطَرُوا اقترحَ ديك الرِّشيق أن ينتظروا حتى يتوقَّف، فقالت بريان: «ومتى سيتوقَّف؟ غداً؟ بعد أسبوعين؟ عندما يحلُّ الصَّيف ثانيةً؟ لا، إن معنا معاطف، وأمامنا فراسخ طويلة نقطعها».

ان-همرَ المطر طيلة النَّهار. س-سرعان ما اس-تحالَ الدَّرب الضَّيق إلى يس-لكونه إلى وح-لٍ من تحت-هم، وما راوه من أش-جار ك-أن أج-رد، وقد حوَّل المطر الثَّابت أوراق-ها السَّاقطة إلى بساطٍ بَنِي مشبَّع بالماء. على الرِّغم من بطانة معطف ديك المصنوعة من جلد السَّناجب فقد تخلَّه الماء، ورأت بريان الرَّجل يرتجف فشعرت بالشفقة عليه لحظةً. واضح أنه لم يأكل جيِّداً. تساءلت إن كان هناك وكر مهرَّبين أو أطلال اسمها (قلعة الهمس) حقاً. الجوعى يقتربون أفعالاً دافِعها اليأس، وربما تكون هذه محاولةً للاحتيال عليها.

قلبت الشُّكوك معدتها.

لفترةٍ بدا كأن جَوَ المطر الثَّابت هو الصَّوت الوحيد في العالم. تقدَّم ديك الرِّشيق لا يلوي على شيء، وراقبته بريان من كثبٍ ملاحظةً الطريقة التي يحني بها ظَهره كأن ركوبه منكشاً على نفسه هكذا سيقيه من البلل. هذه المرَّة لم تكن هناك قرية قريبة عندما حَلَّ عليهم الظَّلام، ولا حتى شجر يحتمون به، فخيَّموا مجبرين وسط الصُّخور على بُعد خمسين ياردةً فوق خَطِ المَد، لكن على الأقل ستحميهم الصُّخور من الرِّيح. قال لها كِراب وهي تُعاني لإشعال النَّار في خشبٍ مجروف: «الأفضل أن نسهر حراسةً اللَّيلة يا سيِّدتي. في مكانٍ كهذا قد يكون هناك هَرَّاسون».

رمقته بريان بريئةً مرِدَّةً: «هَرَّاسون؟».

فسرَّ ديك الرِّشيق باستمتاع: «وحوش، يبدوون كالبشر إلى أن تقتربي منهم، لكن رؤوسهم كبيرة للغاية ولهم حراشف بدلاً من الشَّعر عند البَشَر. لونهم أبيض كبطون السَّم-ك وب-ين أص-ابعهم ش-باك، وملمس-هم رطب دوماً ورائحتهم ذفيرةٌ ووراء ش-فاههم البرَّخوة ص-فوف من الأس-نان الح-ادة ك-الإبر. بع-ض ال-ناس يقي-ول إن البَشَر الأوائل قتلوهم جميعاً، لكن لا تُصدِّقي ذلك. إنهم يمشون على أقدامٍ بين أصابعها شباك مصدرين أصوات هرس، ويأتون ليلاً ليختطفوا الأطفال سيَّئي الخلق، فيحتفظون بالفتيات ليتزاجوا بهن، لكنهم يلهمون الصَّبية ويُمزِّقون لحمهم بتلك الأسنان الخضراء الحادة»، وأعطى پودريك ابتسامةً عريضةً مضيئةً: «يُمكنهم أن يأكلوك يا فتى، يُمكنهم أن يأكلوا لحمك

نيثًا».

مَسَّ يودريك سيفه مجيبًا: «سأقتلهم إذا حاولوا».

- «جَرَّب، لك أن تُجَرَّب. الهَرَّاسون لا يموتون بسهولة»، وغمَز كراب لبريان متسائلًا: «هل كنت فتاة سيئة الخلق يا سيديتي؟».

- «لا». كنتُ حمقاء فحسب. وجدت بريان الخشب أكثر ابتلاًا من أن يشتعل مهما أُصدرَ الفولاذ والصَّوَّان من شرر. انبعثَ القليل من الدخان من الهشيم، لكن هذا كل شيء، فتخلت عنه ممتعضةً وأسندت ظهرها إلى صخرةٍ وسحبَت معطفها على جسدها وأسلمت لقضاء ليلةٍ باردةٍ بليلة، ثم راحت تحلم بوجبةٍ ساخنةٍ وهي تقضم من شريحةٍ من اللحم البقري المملح القاسي، بينما حكى ديك الرشييق عن المزة التي قاتل فيها السير كلارنس كراب ملك الهَرَّاسيين. قالت لنفسها معترفةً: حكاياته مسلية حقًا، لكن مارك مالدور كان مسليًا أيضًا بقدره الصغير.

الأمطار أغزر من أن يروا الشَّمْس تغيب والسَّماء أكثر تلبُّدًا بالغيوم من أن يروا القمر يطلع، فحلَّ عليهم الليلُ حالكا بلا نجوم. نصبت الحكايات من كراب وخلدَ إلى النَّوم، وسرعان ما بدأ يودريك يغط أيضًا، وظلت بريان جالسةً مسندةً ظهرها إلى الصخرة، تُصغي إلى الأمواج وتتساءل: أنت قريبة من البحر يا سانزا؟ أنت في (قلعة الهمس) تنتظرين سفينةً لن تأتي أبدًا؟ مَنْ معكِ؟ قال إنها رحلةٌ لثلاثة. هل انضمَّ العفريت إليك أنت والسير دونتوس أم أنكِ عثرتِ على أختكِ الصغيرة؟ كان يومهم طويلاً وبُريان متعباً، وحتَّى مَرَع جلوسها وظهرها إلى الصخرة والمطر يسقط بنعومةٍ حولها أحست بجفنيها يثقلان. مررتين غفَّت، وفي المزة الثانية أسَـتَيقَظَت فجأةً وقلبها يدق بعنفٍ وهي على قناعةٍ بأن أحدهم كان يميل علىها. كانت أطرافها متخشبةً وانعقدَ معطفها حول كاحليها، فركلتَه متملصَةً منه وقامت، لتجد ديك متكورًا على نفسه إلى جوار صخرة، مدفونًا في الرمال المبتلة الثقيلة ونائمًا. كان حُلْمًا، مجرد حُلْم.

ربما أخطأت بتخليها عن السير كرايتون والسير إيليفر. لقد بدوا رجلين صادقين. فكَرَّت: لبيت چايمي أتى معي... لك چايمي فـارس في الحرس الملكي، ومكانه الواجب إلى جوار مليكه. ثم إن رنلي هو مَنْ تُريد. أقسمتُ أن أحميه وأخفقتُ، ثم أقسمتُ على الانتقام له وأخفقتُ في هذا أيضًا، وفررتُ مع الليدي كاتلين لكنني خذلتها بدورها. تبدل اتجاه الريح، والآن يسيل المطر على وجهها.

في اليوم التالي اضمحلَّ الطريق حتى صارَ كخيط رفيع من الحصى، وأخيرًا أصبحَ هناك إحياء فقط بوجود طريق، وقرب انتصاف النهار انتهى فجأةً عند سفح جُرف

نَحْتَهُ الرِّيح. أَعْلَى الْجُرْف تَرْتَفِع قَلْعَةٌ عَابِسَةٌ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ، أَبْرَاجُهَا الثَّلَاثَةُ الْمَعُوجَّةُ بَارِزَةٌ تَحْتَ السَّمَاءِ الْغَائِمَةِ.

سَأَلَ يَوْدَرِيكَ: «أَهْذِهِ هِيَ (قَلْعَةُ الْهَمْسِ)؟».

رَدَّ كِرَابَ بَحْدَةً: «هَلْ تَبْدُو لَكَ كَأَطْلَالٍ؟ إِنَّهَا (عَرِينُ دَابِرٍ)، مَقَرُّ اللُّوردِ بَرُون. لَكِنِ الطَّرِيقُ يَنْتَهِي هُنَا. لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا غَابَاتُ الصَّنُوبَرِ مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا».

جَاسَتْ بَرِيَانُ بِنَظَرِهَا فِي الْجُرْفِ مُتَسَائِلَةً: «كَيْفَ نَصْعَدُ؟».

أَجَابَ دِيكَ الرَّشِيقُ دَائِرًا بِحِصَانِهِ: «بِسَهُولَةٍ. ابْقِيَا عَلَى مَقَرِّبَةٍ مِنْ دِيكَ. الْهَرَّاسُونَ يَجْنَحُونَ إِلَى أَخْدِ الْمَتَلَكِّينَ».

أَتَضَحَّ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى أَعْلَى مَمَرٍ حَجَرِيٍّ مُتَحَدِّرٍ مُتَوَارٍ دَاخِلَ صَدْعٍ فِي الصَّخْرِ، مَعْظَمُهُ طَبِيعِيٌّ لَكِنَ هُنَا وَهُنَاكَ دَرَجَاتٌ مَنْحَوْتَةٌ لِتَسْهِيلِ الصُّعُودِ. أَحَاطَتْ بِهِمْ مِنَ الْجَانِبَيْنِ جُدْرَانُ صَخْرِيَّةٍ عَمُودِيَّةٍ تَاكَلَتْ عَلَى مَرِّ قُرُونٍ مِنْ عَصْفِ الرِّيحِ وَرِذَاذِ الْمَاءِ، وَقَدْ اتَّخَذَتْ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَشْكَالًا عَجِيبَةً أَشَارَ دِيكَ الرَّشِيقُ إِلَى عِدِّ

مِنْهَا وَهُمْ يَصْعَدُونَ. «هَذَا رَأْسُ أَوْجَرٍ⁵⁹، هَلْ تَرِينَ؟»، وَابْتَسَمَتْ بَرِيَانُ لَمَّا رَأَتْهُ، فَأَضَافَ: «وَهَذَا هُنَاكَ تَبْيِينُ حَجَرِي. الْجَنَاحُ الْآخِرُ سَقَطَ فِي صِغَرِ أَبِي. فَوْقَهُ هَذَانِ ضُرْعَانِ مُتَدَلِّيَانِ كَثْدَيِي عَجُوزٍ شَمِطَاءَ»، وَأَلْقَى نَظْرَةً سَرِيعَةً وَرَاءَهُ عَلَى صَدْرِهَا.

قَالَ يَوْدَرِيكَ: «أَيْتَهَا الْفَارِسُ، سَيِّدَتِي، هُنَاكَ خِيَالٌ».

- «أَيْنَ؟». لَا يَوْجَدُ تَكْوِينُ صَخْرِيٍّ يُوحِي لَهَا بِشَكْلِ خِيَالٍ.

- «عَلَى الطَّرِيقِ، لَيْسَ خِيَالًا فِي الصَّخْرِ، خِيَالٌ حَقِيقِيٌّ يَتْبَعُنَا، بِالْأَسْفَلِ».

أَشَارَ يَوْدَرِيكَ وَالتَوَتَّ بَرِيَانُ فَوْقَ سَرَجِهَا تَنْظُرًا. كَانُوا قَدْ بَلَغُوا ارْتِفَاعًا يُتِيحُ لَهُمُ الرُّؤْيَا عَلَى مَدَى فَرَاسِخٍ طَوِيلَةٍ بِطُولِ السَّاحِلِ، وَرَأَتْ الْحِصَانَ يَسْلُكُ الطَّرِيقَ نَفْسَهُ الَّذِي سَلَكَهُ، مُتَخَلِّفًا عَنْهُمْ بِمِائِلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ مَرَّةٍ أُخْرَى؟ رَمَتْ دِيكَ الرَّشِيقُ بِنَظَرَةٍ شَكٍّ.

قَالَ كِرَابُ: «لَا تَنْظُرِي إِلَيَّ هَكَذَا. أَيَّا كَانَ فَلَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْعَجُوزِ دِيكَ الرَّشِيقِ. إِنَّهُ أَحَدُ رِجَالِ بَرُونِ غَالِبًا، عَائِدٌ مِنَ الْحُرُوبِ، أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ الَّذِينَ يَحُولُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ»، وَدَوَّرَ رَأْسَهُ وَبَصَقَ، ثُمَّ أَرْدَفَ: «لَيْسَ هَرَّاسًا، هَذَا مُؤَكَّدٌ. نَوْعُهُمْ لَا يَرْكَبُ الْخَيْلَ».

رَدَّتْ بَرِيَانُ: «نَعَمْ». عَلَى هَذَا عَلَى الْأَقْلِ يَتَّفَقَانِ.

الْأَقْدَامُ الْمِئَةُ الْآخِرَةُ مِنْ صُعُودِهِمْ كَانَتْ الْأَكْثَرُ تَحَدُّرًا وَخَطُورَةً. تَحَرَّكَ الْحِصَى الْمَخْلُخَلُّ تَحْتَ حَوَافِرِ أَحْصَنَتِهِمْ وَسَقَطَ مُتَدَحْرَجًا عَلَى الْمَمَرِّ الْحَجَرِيِّ وَرَاءَهُمْ، وَحِينَ خَرَجُوا مِنَ الصَّدْعِ أَخِيرًا وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ أَسْفَلَ سُرُورِ الْقَلْعَةِ، وَمِنْ شُرْفَةٍ أَعْلَاهُمْ أَلْقَى عَلَيْهِمُ وَجْهَهُ نَظْرَةً ثَمَّ اخْتَفَى، فَخَمَّنَتْ بَرِيَانُ

أنه وجه امرأة، وقالت هذا لديك الرّشيق الذي أيّدها قائلاً: «برون أكثر هَرَمًا من أن يمشي على الأسوار، وأبناؤه وأحفاده ذهبوا إلى الحروب. لم يتبقَّ أحد في الدّاخل إلّا النّسوة وربما طفل سائل الأنف أو ثلاثة».

كان على شفّيتها سؤال مُرشدها عن الملك الذي ناصرَه اللورد برون، لكن الجواب لم يَعدّ يهمُّ. لقد رحلَ أبناؤه، وربما لا يعود بعضهم. لن نجد ترحابًا هنا اللّيلة.

ليس وادًّا أن تفتح قلعة مليئة بالمسنّين والنّساء والأطفال أبوابها لأغراب مسلّحين. قالت لديك: «تتكلّم عن اللورد برون كأنك تعرفه».

- «ربما عرفته في الماضي».

نظرت إلى صدر سُترته، إلى الخيوط المحلولة ورُقعة النّسيج الأعمق المهترئة حيث كانت الشّارة التي انتزعَها. دليلها متهرّب دون شك. هل يُمكن أن يكون الخيَال وراءهم أخاه في السّلاح؟ قال ديك مستحثًا إياها: «يجدُر بنا أن نواصل الطريق قبل أن يبدأ برون يتساءل عمّا نفعله عند أسواره. حتى النّساء يستطعن إطلاق نُشَابِيَّة لعينة»، وأشار إلى تلال الحجر الجيري المرتفعة وراء القلعة بمنحدراتها المشجّرة مضيّقًا: «لا طريق من الآن فصاعدًا، فقط الجداول ودروب الفرائس، لكن لا داعي للقلق يا سيّديتي.

ديك الرّشيق يعرف هذه الأنحاء».

وهذا ما تخشاه بريان. كانت الرّيح تهبُّ على قمّة الجُرف، إلّا أنها لا تشمُّ إلّا فحًا. سألت: «وماذا عن ذلك الخيَال؟». ما لم يكن حصانه يستطيع السّير على الموج فسرعان ما سيبلغ القمّة بدوره.

- «ماذا عنه؟ إذا كان أحرق ما من (بركة العذارى) فربما لا يجد الممرّ اللّعين أصلًا، وإذا فعل فسُنْضِلْه في الغابة. هناك لن يجد طريقًا يتبعنا عليه».

لن يجد إلّا آثارنا فقط. تساءلت بريان إن كان الأسلم أن تُواجه الخيَال هنا وسيفها في يدها. سأبدو في غاية الحُرق إذا كان مطربًا متجوّلًا أو أحد أبناء اللورد برون.

قد يكون كراب محقًّا. إذا ظلّ وراءنا غدًا سأتعاملُ معه حينها. قالت دائرة بقرسها نحو الغابة: «كما تشاء».

تضاءلت قلعة اللورد برون وراء ظهورهم وسرعان ما غابت عن الأنظار، وارتفع شجر الحارس والصنوبر الجندي من حولهم في كلّ اتّجاه، حِراب شاهقة مكسوّة بالأخضر تطعن السّماء. أرض الغابة طبقة من الإبر السّاقطة سميكة كسور قلعة، تتناثر عليها هنا وهناك أكواز الصنوبر، وبدا كأن حوافر خيولهم لا تُصدر صوتًا إذ وطأتها. تساقطت الأمطار بعض الوقت وانقطعت ثم عاودت السقوط، لكنهم لم يشعروا بقطرة تقريبًا وسط الأشجار.

الحركة في الغابة أبطأ كثيراً. قادت بريان فرسها في العتمة الخضراء ومضت بها تتعرج وسط الأشجار، وقد أدركت أن الضياع هنا سهل للغاية، فكلُّ اتجاهٍ تنظر فيه يُشبه غيره، والهواء نفسه يبـدو رمادياً وأخضر وسـاكناً. خدشت أغصان الصنوبر ذراعيها واحتـكت بصوت مزعج بـئرسها حديث الطلاء، وشـعرت بـالصمت الغريب يحز في نفسها أكثر فأكثر مع كلِّ ساعة تمرُّ.

أزعجت الأجواء ديك الرشيقي أيضاً. في أواخر النهار والغسق يدنو حاول أن يغني، وبصوتٍ خشن كسراويل من الصوف ردَّد: «كان هناك دُب، دُب، دُب، كله أسود وبني ومغطى بالشعر»، لكن شجر الصنوبر تشرب صوته كما تشرب المطر والريـح، وبعد فترة قصيرة كفَّ عن الغناء.

قال پودريك: «كلُّ شيءٍ سيئ هنا، هذا مكان سيئ».

هذا ما تشعُر به بريان أيضاً، لكن لن ينفع أن تقرَّ به، فقالت: «غابة الصنوبر مكان كئيب، لكنها في النهاية مجرد غابة. لا يوجد هنا ما نخشاه».

- «وماذا عن الهراسين؟ والرؤوس؟».

قال ديك الرشيقي ضاحكاً: «صبي ذكي».

رمقته بريان باستياءٍ وأجابت پودريك: «ليس هناك هراسون وليست هناك رؤوس».

ارتفعت التلال، انخفضت التلال، ووجدت بريان نفسها تُصلي أن ديك الرشيقي صادق ويعلم أين يقودهما. إنها ليست واثقة باستطاعتها أن تجد البحر ثانية إذا كانت بمفردها. ليلاً أو نهاراً السماء رمادية مصمتة ملبدة بالغيوم، ولا شمس أو نجوم تُعينها على العثور على طريقها.

خيّموا في ساعة مبكرة تلك الليلة، بعد أن نزلوا تلاً ووجدوا أنفسهم على حافة مستنقع أخضر لامع. في الضوء الأخضر الرمادي بدت الأرض أمامهم صلبة كفاية، لكن حين داسوا عليها غاصت فيها خيولهم حتى الكاهل، فداروا مضطرين وكافحوا ليشقوا طريقاً إلى أرض ثابتة. قال لهما كراب مطمئناً: «لا يهم. سنصعد التل ثانية وننزل من طريق آخر».

لم يختلف اليوم التالي. ركبوا وسط أشجار الصنوبر والمستنقعات تحت سماءٍ قاتمة ومطر متقطع، مارين بانهارات أرضية وكهوف وأنقاض معازل عتيقة اكتست جذرانها بالطحالب. لكلِّ كومةٍ من الأحجار قصّة، وقد حكّاها ديك الرشيقي جميعاً، وحسب كلامه كان أهل (الرأس المتصدّع) يروون أشجارهم بالدماء. سرعان ما بدأ صبر بريان ينفد، وأخيراً قالت له: «كم تبقى؟ لا بد أننا رأينا كلَّ شجرةٍ في (الرأس المتصدّع) بالفعل».

أجاب كراب: «إطلاقاً. نحن قريبون. انظري، كثافة الأشجار تقل. إننا بالقرب من

(البحر الضيق)».

فَكَرَّت بِرِيَان: هذا المَهْرَج الذي وَعَدَنِي به سَيَكُون انعكاسي في بِرَكَةِ علي الأَرَجح، وَإِن بدا لَهَا أَن مِن العَبث أَن تَعُود أَدراجها الآن بَعْد أَن قُطِعَت شَوَطًا طَوِيلًا. كَانَت ساقاها متصليبتين كالحديد من جَرَاء الجلوس على السَّرج، وفي الأيام الأخيرة نَامَت أربع ساعاتٍ فقط في اللَّيلة بينما يَحْرُسُها يودريك. إِذَا كَانَ دِيكَ الرَّشِيق يَنُوي أَن يُحَاوِل قتلَهما غيلةً فَإِنَّها على يَقين أَنه سَيَفْعَلُها هَنا على أَرْضٍ يَعْرِفُها جَيِّدًا. رُبَّمَا يَقُودُهما إِلَى وَكر لصوصٍ لَهُ فِيهِ أَهلٌ مُخَادَعُونَ مِثْلُه، أَوْ رُبَّمَا يَقُودُهما فِي دَوَائِرٍ فَحَسَبٍ مُنْتَظَرًا أَن يَلْحَقَ الْخِيَالُ إِياهُ بِهِم. لَمْ يَرَوْا أَثَرًا لِلرَّجُلِ مِنْذُ رَحَلُوا مِنْ عِنْدِ قَلْعَةِ اللورد برون، لَكِن ذلِكَ لَا يَعْنِي أَنه تَخَلَّى عَنِ الْمَطَارِدَةِ.

فِي لَيْلَةٍ قَالَت لِنَفْسِهَا بَيْنَمَا تَذَرعُ الْأَرْضَ حَوْلَ الْمَخِيْمِ: قَدْ أَضْطَرُّ إِلَى قَتْلِهِ. أَصْلَابُهَا الْخَطِرُ بِالْأَضْطِرَابِ. لَطَالَمَا شَكَّ قِيَمَ السِّلَاحِ الْعَجُوزِ الَّذِي دَرَّبَهَا فِي تَمَتُّعِهَا بِالصَّلَابَةِ الْكَافِيَةِ لِمُوَاجَهَةِ الْمَعَارِكِ، وَأَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَالَتْ لَهَا السَّيْرُ جُودوين: «تَتَحَلَّلِينَ بِقُوَّةِ الرَّجَالِ فِي ذِرَاعِيكَ، لَكِن كِ خَرَعَةِ الْقَلْبِ كَأَيِّ فَتَاةٍ. التَّدْرِيبُ فِي السَّاحَةِ بِسَيْفٍ مَثْلُومٍ شَيْءٌ، وَشَيْءٌ آخَرُ أَن تُغْمِدِي قَدَمًا مِنَ الْفُولاذِ الْمَشْحُودِ فِي أَحْشَاءِ رَجُلٍ وَتَرِي الضَّوْءَ يَنْطَفِئُ فِي عَيْنَيْهِ». لَجَعَلَهَا أَكْثَرَ صُلَابَةً أَرْسَلَهَا السَّيْرُ جُودوين إِلَى جَزَارِ أَبِيهَا لِتَذْبِحَ الْجِمْلَانَ وَالْخَنَازِيرَ الرَّضِيعَةَ. صَرَخَتِ الْجِمْلَانُ وَالْخَنَازِيرُ كَأَطْفَالٍ مَرْعُوبِينَ، وَلَدَى فِرْوَعِهَا مِنَ الذَّبْحِ كَانَتِ الدَّمُوعُ قَدْ أَعْمَتَتْ بِرِيَانَ وَتَلَوَّتْ ثِيَابُهَا بِالْدمَاءِ لَدَرَجَةٍ أَنهَا أَعْطَتْ وَصِيفَتَهَا إِياها لِتُحْرِقَها. عَلَى أَن الشُّكُوكَ ظَلَّتْ تُسَاورُ السَّيْرَ جُودوين، وَقَالَ لَهَا: «الْخَنَزِيرُ خَنَزِيرٌ. الْأَمْرُ مُخْتَلِفٌ مَعَ الرِّجَالِ. حِينَ كُنْتُ مُرَافِقًا صَغِيرًا فِي سِنِّكَ كَانَ لِي صَدِيقٌ قَوِيٌّ سَرِيعُ رَشِيقٍ، بَطْلٌ فِي السَّاحَةِ، وَكُنَّا نَعْلَمُ جَمِيعًا أَنه سَيَغْدُو فَارِسًا مَغَوَّرًا ذَاتَ يَوْمٍ. ثُمَّ اشْتَعَلَتِ الْحَرْبُ فِي (الْأَعْتَابِ)، وَرَأَيْتُ صَدِيقِي يُسْقِطُ خَصْمَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَيُطَوِّحُ بِفَأْسِهِ مِنْ يَدِهِ، لَكِن عِنْدَمَا كَانَ يُفْتَرَضُ أَن يُجْهَزَ عَلَيْهِ تَرَدَّدَ أَقْلٌ مِنْ لِحْظَةٍ، وَفِي الْمَعْرَكَةِ اللَّحْظَةِ أَوْ دُونِهَا عُمُرٌ كَامِلٌ. اسْتَلَّ الرَّجُلُ خَنْجَرَهُ وَوَجَدَ شَقًّا فِي دِرْعِ صَدِيقِي. قُوَّتُهُ، سُرْعَتُهُ، شَجَاعَتُهُ، مَهَارَتُهُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالْاجْتِهَادِ... كُلُّ هَذَا كَانَتْ قِيَمَتُهُ أَقْلٌ مِنْ فُسُوءَةٍ، لِأَنه جَفَلَ مِنَ الْقَتْلِ. تَذَكَّرِي هَذَا يَا فَتَاةَ».

وَعَدَتْ طَيْفَهُ هُنَاكَ فِي غَابَةِ الصَّنُوبِرِ: سَأَتَذَكَّرُ، وَجَلَسَتْ عَلَى صَخْرَةٍ وَسَحَبَتْ سَيْفَهَا وَرَاحَتْ تَشْحَذُ نَصْلَهُ. سَأَتَذَكَّرُ، وَأَدْعُو أَلَا أَجْفَلُ.

بَزَغَ فَجَرُ الْيَوْمِ التَّالِي بِأَرْدَا غَائِمًا مَغْمًا. لَمْ يَرَوْا الشَّمْسَ تَشْرِقُ، لَكِن عِنْدَمَا اسْتَحَالَ السَّوَادُ إِلَى رَمَادِي عَرَفَتْ بِرِيَانُ أَنَّ الْوَقْتَ حَانَ لِمُوَاصَلَةِ الْبُرْكَوبِ. قَادَ دِيكَ الرَّشِيقَ الطَّرِيقَ إِذْ عَادُوا يَخُوضُونَ وَسْطَ الْأَشْجَارِ، وَتَبَعَتْهُ بِرِيَانُ عَلَى مَقْرَبَةٍ بَيْنَمَا تَحَرَّكَ يودريكُ فِي الْمُؤَخَّرَةِ عَلَى مَتْنِ حِصَانِهِ الْأَرْقَطِ.

فاجأتهم القلعة دون سابق إنذار. في لحظة كانوا في أعماق الغابة ولا شيء يُحيط بهم إلا أشجار الصنوبر الممتدة فراسخ وفراسخ، ثم داروا حول جُلُموٍ ولاحت ثغرة أمامهم، وبعد ميل واحد انتهت الغابة على حين غرة. وراءها كانت السماء والبحر... وقلعة عتيقة على شفير جُرف، متهدمة ومهجورة وتنمو في جنباتها الحشائش الكثيفة.

قال ديك الرّشيق: «أنصتا. يُمكنكما أن تسمعا الرّؤوس».

فغرّ يودريك فاه قائلاً: «أسمعها».

وسمعتها بريان أيضاً، غمغمة خافتة كأنها تنبعث من الأرض بقدر ما تأتي من القلعة. تعالى الصوت مع اقترابها من الجُروف، ثم إنها أدركت فجأة أنه صوت البحر، وأن الصُخور في الأسفل تأكلت وثقبتها الموج الذي يتدفق هادراً في كهوفٍ وأنفاق تحت الأرض. قالت: «ليست هناك رؤوس. ما تسمعه هو همس الأمواج».

- «الأمواج لا تهمس. إنها الرّؤوس».

القلعة مبنية بأحجار قديمة غير مملّطة لا يتم ائثارها من اثنان، والطحالب نامية بكثافة في الصدوع بين الصُخور، والأشجار نابتة من الأسس. معظم القلاع القديمة يضم أيكة آلهة، أما (قلعة الهمس) فمنظرها يشي بأن فيها القليل عدا ذلك. قادّت بريان فرسها إلى حافة الجُرف حيث تداعى السور وتنمو أكوام من اللّباب الأحمر السّام فوق الرُّكام، وربطت القرس بشجرة واقتربت من شفا الهاوية بقدر ما أتاحت لها جراتها، فرأت تحتها بخمسين قدماً الموج يدور داخل وحول بقايا بُرجٍ محطم، ولمحت وراءه مدخل كهفٍ واسع.

قال ديك الرّشيق الذي وقف وراءها: «هـذا بُرج المنارة القديم. سقط وأنـا في نصـف سـين يودز. كـانت هـنـاك سـلالـم تقـود إلـى الكـهف لـكنـها سـقطت أيـضاً مـع انـهيار الجـُرف، وبعـدها امتنـع المـهـرّيون عـن الرّسـو هـنا. فـي المـاضـي كـانوا يـدخـلون الكـهف بـقـواربهم، لـكن ذلـك انـتهى، هل تـرين؟»، ووضـع يـداً علـى ظـهـرها وأشـار بالأخـرى.

واقشعرّ جلد بريان. دفعة واحدة وسأصبح في الأسفل مع البُرج. تراجعت قائلة: «أبعد يدك عني».

عقد كراب حاجبيه، وقال: «كنت فقط...».

- «لا أبالي بما كنته فقط. أين البوابة؟».

أجاب: «التّاحية الأخرى»، وتردّد لحظة ثم قال بتوتر: «مهـرجـك هـذا لـيس رـجـلاً يـكـن ضـغينة، أليس كـذلـك؟ أعـني... لـيلة أـمرس فـكـرت أنـه قـد يـكـون غـاضباً مـن العـجـوز ديك الرّشيق بسبب الخريطة التي

بعته إياها ولأنني لم أذكر الجزء الخاص بعدم رسو المهرّبين هنا».

- «يُمكنك بالذهب الذي ستقبضه أن تردّ له ما نقدك إياه لـ... لمساعدتك». لا تتصوّر بريان أن دونتوس هولارد يُشكّل تهديدًا. «هذا إذا كان هنا من الأصل».

داروا حول الأسوار. كانت القلعة مثلثة وفي كلّ زاوية بُرج مربع، وقد تعفن مصراعا بوابتها تمامًا، فلما شددت بريان أحدهما تشقق خشبه وانخلعت شظاياه الطويلة المبتلة وانهار نصف البوابة عليها. رأت مزيدًا من العتمة الخضراء في الداخل، إذ اخترقت الغابة الأسوار وابتلعت الحصن والغناء، لكن وراء البوابة ثمة شبكة حديدية أنيابها غائصة بعمق في الأرض اللينة الموحلة. صبغ الصدا الحديد بالأحمر، لكنه صمد عندما رجّته بريان، فقالت: «لا أحد استخدم هذه البوابة منذ زمن بعيد».

قال بودريك مقترحًا: «أستطيع أن أتسلّق من ناحية الجرف حيث سقط السور». - «المخاطرة شديدة. الأحجار بدت لي مخلخلة، واللّبلاب الأحمر سام. لا بدّ من وجود باب جانبي».

وجدوه على جانب القلعة الشمالي، شبه متوار وراء أجمة توت أسود ضخمة، وقد قُطِف الثوت كله وقُطِع نصف الشجيرات لإخلاء سبيل إلى الباب. أفعم منظر الغصون المكسورة بريان بالقلق، وقالت: «أحدهم مرّ من هنا، ومنذ فترة قريبة». قال كراب: «المهرّج وتلكما الفتاتان، كما قلت لك».

سانزا؟ لا تقوى بريان على التصديق. حتى سكّير منقوع في النّبذ كدونتوس هولارد سيكون أعقل من أن يأتي بها إلى هذا المكان القفر. شيء ما في هذه الأطلال يملأها وجلًا. لن تجد ابنة ستارك هنا... لكن عليها أن تُلقني نظرة. أحدهم كان هنا، أحد أراد أن يختفي عن الأعين. قالت: «سأدخل. كراب، ستأتي معي. بودريك، أريدك أن تحرّس الخيول».

- «أريد أن آتي أيضًا. إنني مُرافق، أستطيع أن أقاتل».

- «لهذا أريدك أن تبقى هنا. قد يكون هناك خارجون عن القانون في هذه الغابة، وينبغي ألا تترك الخيول بلا حراسة».

حكّ بودريك صخرة بحذائه قائلاً: «كما تقولين».

هكذا دخلت وسط أجمة الثوت الأسود وجذبت حلقة حديدية صدئة، فقاوم الباب الجانبي لحظة ثم انفتح بحركة حادة بينما تصرّخ مفصلاته اعتراضًا، وجعل الصوت الشعيرات على مؤخرة عنقها تنتصب. استلت سيفها، وحتى وهي ترتدي الحلقات المعدنية والجلد المقوّى أحسّت كأنها عارية.

حتّها ديك الواقف وراءها قائلاً: «هيا يا سيّديتي. ماذا تنتظرين؟ كراب العجوز مات منذ ألف عام».

ماذا تنتظر حقًا؟ قالت بريان لنفسها إنها تتصرّف بخُمق. الصوت ليس إلّا صوت

البحر الذي تتردد أصداؤه بلا نهاية في الكهوف تحت القلعة، ترتفع وتنخفض مع كل موجة. لكن له وقع الهمس فعلاً، وللحظة كادت ترى الرؤوس المستقرّة على الرُّفوف يُتمّم بعضها لبعض، ويقول أحدها: كان عليّ أن أستخدم السيف، كان عليّ أن أستخدم السيف المسحور.

قالت بريان: «بودريك، ثمة سيف وغمد داخل لفافة نومي. أحضرهما إليّ». ردّ الصّبي: «حاضر أيتها الفارس، يا سيّدتى، حالاً»، وهرعَ يُلَبّي الأمر. حَكَّ ديك الرّشيق وراء أذنه متسائلاً: «سيف؟ إن معك واحداً في يدك، فلمَ تحتاجين إلى آخر؟».

قدّمته له بريان من المقبض مجيئةً: «هذا لك». مدّ كراب يده بتردّد كأن النّصل سيعضّه، وقال: «حقّاً؟ الفتاة الشّكاكة تُعطي ديك العجوز سيفاً؟».

- «تعرف كيف تستخدمه، أليس كذلك؟». أجابَ مختطفاً السيف الطّويل من يدها: «أنا من آل كراب، في عروقي دماء السير كلارنس»، وشقّ الهواء ثم منحّها ابتسامة عريضة، وأضاف: «السيف يصنع اللورد كما يقولون».

عادَ بودريك باين حاملاً (حافظ العهد) بحذر بالغ كأنه طفل صغير، وأطلقَ ديك الرّشيق صغيراً لمُراى الغمد المنيق وصفّ رؤوس الأسود عليه، لكنه لاّ بالصّمت حين استلّت السيف وشقّت به الهواء. حتى صوته أحدٌ من أيّ سيف تقليدي. قالت لكراب: «معى»، ودخلت بجانبها من الباب وقد حنّت رأسها لتمرّ من تحت القنطرة.

انفتحَ أمامها الفناء بحشائشه الكثيفة. إلى يسارها تقع البوّابة الرّئيسة والهيكل المنهار لما كان اسطبلًا، تبرز من نصف مرابطه الشّجيرات وتنفذ من القشّ البنيّ الجاف الذي يُعطّي سقّفه، وإلى يمينها رأت سلالم خشبيّة متعقّنة تنزل إلى ظلّمة زنانية أو قبوٍ مّا. حيث ارتفع الحصن من قبل كانت الآن كومة من الحجارة المتهدّمة تنمو عليها الطحالب الأرجوانيّة والخضراء، وأرض الفناء كلّها تفتّرشها الحشائش والإبر التي سقطت من أشجار الصّنوبر الجندي النّامية في كلّ مكان في صفوفٍ مهيبّة، ووسطها شجرة غريبة شاحبة، شجرة ويروود رفيعة شابّة أبيض لونها كثياب فتاةٍ مترهبة، ومن فروعها المديدة تنبت الأوراق الحمراء الدّاكنة.

وراء كلّ هذا كان فراغ السّماء والبحر حيث سقط السّور...

... وبقايا نار.

راحت الهمسات تقريّض أذنيها بعناد، وركعت بريان إلى جوار بؤرة النّار والتقطت عوداً مسوداً وتشمّمته وحركت به الرّماد.

أحدهم كـإن يُحاول أن يتدفقاً ليلة البارحة، أو ربما كان يُحاول إرسال إشارة إلى سفينة عابرة.

نادى ديك الرّشيق: «هالووووو! هل من أحدٍ هنا؟».

قالت له بريان: «صمتًا».

ردّ: «ربما يكون أحدهم مختبئًا، يُريد أن يُلقي علينا نظرةً قبل أن يكشف عن نفسه»، وذهب إلى حيث تنزل السّلالم تحت الأرض وحدّق إلى الظلام منادياً من جديد: «هالووووو! هل من أحدٍ بالأسفل؟».

رأت بريـإن شجيرةً تميل، ومن الدّغل خرج رجل تكلّـعليه الطّين لدرجة أنـه بدا كأن الأرض انشـقت عنـه. كـإن يحمل شيئاً مكسـوراً في يـده، لكن وجهه هو ما جعلها تتردّد، العينان الصّغيرتان والمنخران العريضان المسطحان.

تعرف بريان هذا الأنف، تعرف هاتين العينين. كان أصدقاؤه يدعونه ببيج.

كان كلّ شيءٍ حدث في غمضة عين. خرج رجل ثانٍ من فوق حافة البئر دون أن يُصدر صوتاً أكثر مما يُصدره ثعبان يزحف على كومةٍ من أوراق الشّجر المبتلة، يعتمر خوذةً حديديةً قصيرةً ملفوفةً بالحرير الأحمر المتّسخ، ويحمل حربةً قصيرةً غليظةً في يده. تعرف بريان هذا الرّجل أيضاً. سمعت من ورائها حفيفاً وطلّ وجه من بين الأوراق الحمراء، وكان كراب واقفاً تحت شجرة الويروود، فرفع رأسه ورأى الوجه، لينادي بريان قائلاً: «ها هو ذا مهرّجك».

ووثب شاجويل من شجرة الويروود مطلقاً ضحكاتٍ كنهيق الحمير. كان يرتدي ثياب المهرّجين، لكنها باهتة ومتّسخة تماماً لدرجة أن لونها الآن بنيٌّ أكثر من رماديٍّ أو وردي، وبدلاً من مدرّس المهرّجين يحمل هراوةً ثلاثية الرؤوس، ثلاث كرات شائكة مثبتة إلى قناة خشبية بالسّلاسل، وقد هوى بها بعنفٍ مفاجئاً إحدى رُكبتَي كراب في دفقةٍ من الدّم والعظم، وإذ سقط نعق شاجويل قائلاً: «هذا طريف!». طار السّيف الذي أعطت ديك إياه من يده واختفى وسط الحشائش، وما انفكّ هو يتلوّى على الأرض صارخاً ومتمسّكاً ببقايا رُكبته. قال شاجويل: «أوه، انظُر، إنه ديك المهرّب الذي رسمَ لنا الخارطة. هل قطعت كلّ هذه المسافة لتردّ لنا ذهبنا؟».

قال ديك منتحباً: «أرجوك، أرجوك لا، ساقـي...».

- «هل تُؤلمك؟ يُمكنني أن أجعل الألم يتوقّف».

قالت بريان: «دعه وشأنه».

وصرخ ديك رافعاً يدين داميتين بقي رأسه، ومرةً أخرى دوّر شاجويل كرات الهراوة حول رأسه وهوى بها على وجه كراب في المنتصف تماماً، ليتعالى صوت تهشمٍ مغثٍ، وفي الصّمت الذي تلاه سمعت بريان خفقات قلبها

المتسارعة.

قال الذي خرجَ متسليلاً من البئر: «شاجز السيي»، ولمَّا رأى وجهَ بريان ضحك وقال: «أنتِ ثانيةٌ يا امرأة؟ هل جئتِ تُطارديننا أم أن وجوهنا الودود أوحشتكِ؟».

تراقصَ شاجويل من قديمٍ إلى قديمٍ ملوِّحًا بمِدرسه القاتل، وقال: «أنتِ من أجلِّي. إنَّها تحلمُ بي كلَّ ليلةٍ عن دما تضيع أصابعها في فتحتِها. إنَّها تُري دنِّي. الحصان الكبير افتقدت حبيبها شاجز المرح!

سأنكحها من دُبرها وأضحُ فيها نُطفة المهرِّجين حتى تلد نسخةً صغيرةً مني». قال تيميون ولكنهته الدورنيَّة المتشدِّقة: «عليك أن تستخدم فتحةً مختلفةً لأجل هذا يا شاجز».

ردَّ المهرِّج: «الأفضل أن أستخدم فتحاتها كلَّها إذن على سبيل الاحتياط»، وتحركَ إلى يمينها بينما دارَ يبيح إلى يسارها مجبراً إياها على أن تُؤلِّي حافة الجُرف ظَهرها.

فكرت بريان: رحلة لثلاثة، وقالت لهم: «أنتم ثلاثة فقط».

هزَّ تيميون كتفيه مجيباً: «كلُّنا ذهبَ إلى حال سبيله بعد خروجنا من (هارنهال). أورزويك وشرذمته ركبوا جنوباً إلى (البلدة القديمة)، ورورج حسبَ أنه يستطيع الخروج متسليلاً من (الملاحات)، أمَّا أنا ورفيقي فذهبنا إلى (بركة العذارى)، لكننا لم نستطع الاقتراب من سفينة»، ووازنَ الدورني حريته مواصلاً: «هل تعلمين أنكِ فتكتِ بفارجو بعضتكِ إياها؟ أذنه اسودَّت وبدأت تنزُّ صديداً. أرادَ رورج وأورزويك الرِّحيل، لكن الكبش قال إن علينا الدِّفاع عن قلعتِه، إنه سيِّد (هارنهال) ولا أحد سـيأخذها منـه. قالـها ولُعابـه يسـيل بـالطَّبـع كمـا كـان يـحـدُثُ دومًا عنـدما يتكـلم. سـمعنا أن الجبـل قتـله قطعـة قطعـة، يـدًا اليـوم وقـدماً غـداً، بمنـتهى البراعـة والنَّظافة. كانوا يُضَمِّدون الجـدعات كي لا يموت هـوت. ادَّخـر كليجـاين قضيـبه للنِّهاية، لكن طائراً من (كينجز لاندنج) استدعاه فأجهرَ على الكبش ورحل».

- «لستُ هنا من أجلكم. إنني أبحثُ عن...». كادت تقول أختي. «... عن مهرِّج».

أعلنَ شاجويل بسعادة: «أنا مهرِّج».

اندفعت بريان تقول: «المهرِّج الخطأ. مَنْ أريده موجود مع فتاة رفيعة النَّسب، ابنة اللورد ستارك سيِّد (وينترفِل)».

قال تيميون: «إذن فكلب الصِّيد مَنْ تُريدين. لكنه ليس هنا كذلك، نحن فقط».

- «ساندور كليجاين؟ ماذا تعني؟».

- «هو من عثرَ على ابنة ستارك. حسب ما سمعتُ فقد كانت في الطَّرِيق إلى (ريفررن) حين اختطفها، الكلب الملعون».

(ريفررن)، كانت متجهّة إلى (ريفررن)، إلى خالها وعمّه. «وما أدراك؟».

- «أخبرني واحد من جماعة بريك. سيّد البرق يبحث عنها أيضًا، وأرسل رجاله بطول (الثالوث) وعرضه يقتفون أثرها. صادفنا ثلاثة منهم بعد (هارنهال) وانتزعنا الحكاية من أحدهم قبل أن يموت».

- «ربما كان يكذب».

- «ربما، لكنه لم يكذب. لاحقًا سمعنا أن كلب الصيد قتل ثلاثة من رجال أخيه في خانٍ على مفترق الطرق. الفتاة كانت معه هناك. صاحب الخان أقسم على هذا قبل أن يقتله رورج، والعاشرات كرّرن الكلام نفسه. كم كن قبيحات! لسن بقبحك بالطبع، ومع ذلك...».

أدركت بريان ما يحدث، وقالت لنفسها: يُحاول إلهائي، يستغلُّ صوته لأركّز عليه وحده. كان پيج يدنو بتؤدة، ووثب شاجويل خُطوة صوبها، فتراجعت مفكّرة: سيدفعونني إلى السقوط في الهوة إذا سمحتُ لهم. قالت لهم منذرة: «لا تقتربوا».

أعلن شاجويل: «أظنُّ أنني سأنكحك في أنفك يا هذه. ألن يكون هذا طريقًا؟». وأضاف تيميون: «قضيه صغير للغاية. أفلتي هذا السيف الأنيق ولربما نترقق بك يا امرأة. تُريد ذهبًا ندفع به أجر المهرّبين، هذا كلُّ شيء».

- «وإذا أعطيتكم الذهب ستتركوننا نرحل؟».

ابتسم تيميون مجيبًا: «نعم، بمجرد أن ينكحك ثلاثتنا. سننقذك أجرك كأي عاهرة محترفة، قطعة فضية لكلّ نكحة. إمّا هذا وإمّا أن نأخذ الذهب ونغتصبك على كلّ حال ونفعل بك ما فعله الجبل باللورد فارجو. ماذا تختارين؟».

ردّت بريان: «هذا»، وألقت نفسها على پيج.

أسرع يرفع سيفه المكسور ليحمي وجهه، ولكن لئن سدّد النّصل إلى أعلى سدّدت هي نصلها إلى أسفل، وشقّ (حافظ العهد) الجلد والصوف والعضلات ليغوص في فخذ المرتزق. لوّح پيج بسيفه بشراسة وساقه تتداعى من تحته، فاحتكّ بقميصها المعدني قبل أن يحطّ على ظهره، وطعنته بريان في حلقه ودوّرت النّصل بقوة، ثمّ سحبتّه ودارت في اللحظة نفسها التّي ومضت فيها حربة تيميون خادشة وجهها، وإذ سال الدّم على وجنتها فـكّرت: لم أجفل. هل رأيت يـا سـير جودوين؟ شعرت بالجرح بالكاد، وبينما أخرج الدورني حربة ثانية أقصر وأغلظ من الأولى قالت له: «دورك، ألقها».

- «كي تتفاديها وتنقضي عليّ؟ في هذا موتي كپيج. لا. نل منها يا شاجز».

قال شاجويل: «نل منها أنت. هل رأيت ما فعلته بپيج؟ لقد أجنّ النّزيف القمري جنونها».

المهرج وراءها وتيميون أمامها، ومهما دارت سيكون ظهرها إلى أحدهما.
قال تيميون مستحثاً شاجويل: «نَل منها ويُمكنك أن تنكح جثتها».

- «أوه، إنك تحبني حقاً». كانت الهراوة الشائكة تدور، وقالت بريان لنفسها:
اختاري أحدهما، اختاريه واقتليه بسرعة.

ثم أتى حجر محلياً من اللا مكان وأصاب شاجويل في رأسه... ولم تتردد بريان
وانقضت على تيميون.

الدورني أبرع من بي-ج، لكنّه يحمل مجرد حرب-قصيرة، أمّا هـ-ي
فتحمل سيقاً من الفولاذ القالييري. دبت الحية في (حافظ
العهد) في يدها، ولم تحس بريان بحركتها سريعة هكذا من قبل قط،
واستحال النّصل إلى غشاوة رمادية في الهواء. جرحها تيميون في كتفها إذ
كرّت عليه، لكنها بترت أذنه ونصف وجنته وطيرت رأس حربته وأغمدت قدماً من
الفولاذ المتموّج في بطنه عبر حلقات السترة المعدنية التي يرتديها.

كان تيميون لا يزال يُحاول القتال عندما انتزعت من بطنه سيفها الذي تخضب
واقية العرضي بحمرة الدماء. فتش مسعوراً في حزامه ورفع خنجراً، فقطعت
بريان يده. من أجل چايمي. شهق الدورني والدم يجيش من فمه وينبجس من
معصمه، وقال لاهثاً: «رحماك يا أمنا. أجهزي عليّ، أعيديني إلى (دورن) أيتها
الحقيرة الملعونة».

ونفذت بريان طلبه.

وجدت شاجويل على ركبتيه لمّا التفتت وقد بدا دائخاً وهو يتحسّس الأرض بحثاً
عن هراوته الثلاثية الشائكة، وإذ نهض مترنحاً ارتطم حجر آخر بأذنه. كان پودريك
قد تسلق السور المنهار ويقف محملاً بتجهم وسط فروع اللبلاب وفي يده
صخرة جديدة، وصاح فيها من أعلى: «قلت لك إنني أستطيع القتال!».

حاول شاجويل أن يزحف مبتعداً، وصاح: «أستسلم، أستسلم! يجب ألا تؤذي
شاجويل العزيز. إنني أطرف من أن أموت».

- «لست أفضل من بقيتهم. لقد سرقت واغتصبت وقتلت».

- «أوه، فعلت هذا، فعلت هذا، لن أنكر... لكنني أسلي الرجال بدعاباتي
وتوثبي، أجعلهم يضحكون».

- «وتبكي النساء».

- «أهذه غلطتي؟ النساء لا يملكن حسّ دُعاة».

خفضت بريان (حافظ العهد) قائلة: «احفر قبراً. هناك، تحت الويروود»، وأشارت
بالسيف.

- «ليس معي جاروف».

- «لديك يدان». أكثر مما تركتُم لچايمي.

- «وما الفائدة؟ اتركيهما للغربان».

- «فلتأكل الغربان تيميون وبيج. القبر لديك الرّشيق. لقد كان من آل كراب، وهذا مكانه».

كانت الأرض مبتلّة من جرّاء الأمطار، وعلى الرغم من هذا استغرق المهرج بقية النهار حتى حفر قبرًا عميقًا كفاية، ولدى انتهائه والليل يبدأ يتسبّد السماء كانت يداها قد تقرّحتا وأخذتا تنزفان. دسّت بريان سيفها في غمده ورفعت يدك كراب بين ذراعيها وحملتة إلى الحفرة متجنّبه النّظر إلى وجهه الخرب، وقالت له: «أسفة لأنني لم أثق بك. لم أعد أدري كيف أفعل ذلك».

وبينما ركعت تضع الجثمان في القبر فكّرت: سيقدّم المهرج على قتلي الآن وظهري له.

سمعت أنفاسه الخشنة قبل أقلّ من لحظة من صياح يودريك محدّرًا. في يد شاجويل كانت صخرة محزّزة، وتحت كمّ بريان خنجرها. والخنجر يغلب الصّخرة كلّ مرّة تقريبًا.

ضربت ذراعه مزيجة إياها وغرست الفولاذ في أحشائه مزمجرة: «اضحك»، وبدلًا من هذا أن. «اضحك»، كبرّرت وهي تطبق على رقبتة بيدٍ وتطعنه في بطنه مرّة تلو المرّة. «اضحك!». ظلت تقولها وتقولها وتقولها إلى أن احمرّت يدها حتى المعصم وكادت رائحة احتضار المهرج النتنة تخنّقها. لكن شاجويل لم يضحك، والتّحيب الذي سمعته بريان كان نحيبها، ولمّا أدركت هذا أفلتت الخنجر مرتعدة.

علاونها يودريك على وضـع يدك الرّشيق في حفرة، ولدى فروغهما كان القمر يرتفع في السماء. فركت بريان التراب من يديها وألقت تينين ذهبين فوق القبر، فسألها يودريك: «لماذا فعلت هذا يا سيّدتني، أيتها الفارس؟».

- «إنها المكافأة التي وعدته بها للعثور على المهرج».

دوى الصّحك من ورائهما، فانتزعت بريان سيفها من غمده ودارت على عقبيها متوقّعة المزيـد من الممثلين السّقّاحين... لكنّها لم تَرَ إلّا السـير هـائل هـنـت جـالسًا متقاطع السّاقين على قمة السّور المتهدّم. صاح الفارس من أعلى: «إذا كانت هناك مواخير في الجحيم فسيشكرك المأفون، وفيما عدا ذلك فإنك تُبذّدين ذهبًا قيّمًا».

- «إنني أوفي بوعودي. ماذا تفعل هنا؟».

- «اللورد راندل أمرني بأن أتبعك، قال لي أن أعود بسانزا ستارك إلى (بركة العذارى) إذا عثرت عليها بمعجزة ما. لا تخافي، لقد أمرني بالآ أمسسك بسوء».

رَدَّتْ بِرِيَانٍ سَاخِرَةً: «كَأَنَّكَ تَسْتَطِيعُ».

- «مَاذَا سَتَفْعَلِينَ الْآنَ يَا سَيِّدَتِي؟».

- «سَأُعْطِيهِ».

- «قَصِدْتُ إِزَاءَ الْفَتَاةِ، الْيَلِيدِي سَانِزَا».

فَكَّرَتْ بِرِيَانٍ لِحِظَةٍ، ثُمَّ أَجَابَتْ: «كَانَتْ ذَاهِبَةً إِلَى (رِيْفَرَرَن) إِذَا صَدَقَ تَيْمِيُونُ، وَفِي مَكَانٍ مَا فِي الطَّرِيقِ أَخَذَهَا كَلْبُ الصَّيْدِ. إِذَا وَجَدْتَهُ...».

- «... سَيَقْتُلُكَ».

قَالَتْ بَعْنَادُ: «أَوْ سَأَقْتُلُهُ. هَلَّا سَاعَدْتَنِي عَلَى تَغْطِيَةِ كِرَابِ الْمَسْكِينِ أَيُّهَا الْفَارِسُ؟».

أَجَابَ السَّيْرُ هَايِلُ: «لَا فَارِسٌ حَقِيقِيًّا يَرْفُضُ طَلَبًا لِهَذَا الْجَمَالِ»، وَنَزَلَ مِنَ عَلَى السُّورِ، وَمَعًا كَوْمًا التُّرَابِ فَوْقَ جِثَّةِ دِيكَ الرَّشِيقِ بَيْنَمَا ارْتَفَعَ الْقَمَرُ أَكْثَرَ فِي السَّمَاءِ وَمَا فَتَاتَ رُؤُوسَ الْمُلُوكِ الْمُنْسِيِّينَ تَتَهَامَسُ الْأَسْرَارُ تَحْتَ الْأَرْضِ.

صانعة الملكات

تَحْتَ شَيْمَسِ (دُورِن) الْحَارِقَةِ تُقَاسُ الثَّرْوَةُ بِالْمِيَاهِ كَمَا تُقَاسُ بِالذَّهَبِ، وَلِذَا تَوَضَّعَ الْأَبَارُ كُلُّهَا تَحْتَ حِرَاسَةٍ مُشَدَّدَةٍ. عَلَى أَنَّ الْبُئْرَ فِي (شَانْدِيَسْتُون) جَفَّتْ قَبْلَ مِئَةِ عَامٍ، وَرَحَلَ حُرَّاسُهَا إِلَى مَكَانٍ أَكْثَرَ بَلَلًا هَاجِرِينَ مَعْقِلَهُمُ الْمُتَوَاضِعَ بِأَعْمَدَتِهِ الْمَحْزَزَةِ وَقَنَاطِرِهِ الثَّلَاثِيَّةِ، وَبَعْدَهَا عَادَتِ الرِّمَالُ تَرْحَفُ عَلَى الْمَكَانِ مُسْتَرَدَّةً مَا لَهَا.

وَصَلَّتْ آرِيَانُ مَارْتِلَ مَعَ دِرَايَ وَسِيلِفَا بَيْنَمَا تَمِيلُ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَالْغَرْبُ لَوْحَةٌ مَزْدَانَةٌ بِالذَّهَبِيِّ وَالْأَرْجَوَانِيِّ وَالسَّحَابُ يَتَوَهَّجُ بِالْقَرْمِزِيِّ. يَدَّتِ الْأَطْلَالُ مَتَوَهَّجَةً أَيْضًا، إِذْ بَرَقَتِ الْأَعْمَدَةُ السَّاقِطَةُ بِلَوْنٍ وَرْدِيٍّ، وَزَحَفَتِ الظُّلَالُ الْحُمْرَاءُ عَلَى الْأَرْضِيَّاتِ الْحَجَرِيَّةِ الْمُتَشَقِّقَةِ، وَاسْتَحَالَتِ الرِّمَالُ نَفْسَهَا مِنَ الذَّهَبِيِّ إِلَى الْبُرْتَقَالِيِّ إِلَى الْأَرْجَوَانِيِّ مَعَ خَفَوْتِ الضَّوْءِ شَيْئًا فَشَيْئًا. كَانَ جَارِيْنٌ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الْوُصُولِ بِسَاعَةٍ، وَالْفَارِسُ الْمُسَمَّى النَّجْمُ الْمَظْلَمُ بِيَوْمٍ.

عَلَّقَ دِرَايَ بَيْنَمَا يُسَاعِدُ جَارِيْنَ عَلَى سَقْيِ الْخِيُولِ: «الْمَكَانُ جَمِيلٌ هُنَا». كَانُوا قَدْ حَمَلُوا مَاءَهُمْ مَعَهُمْ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ جِيَادَ الصَّحْرَاءِ الدَّوْرِيَّةَ سَرِيعَةٌ لَا تَكُلُّ، وَتَسْتَطِيعُ الْإِسْتِمْرَارَ فِي الْعَدُوِّ فِرَاسِخٍ طَوِيلَةً بَعْدَ أَنْ يُصِيبَ الْإِعْيَاءَ عِدَاهَا مِنَ الْخِيُولِ، فَإِنَّهَا لَا تَقْوَى عَلَى ذَلِكَ دُونَ مَاءٍ. «كَيْفَ عَرَفْتَ هَذَا الْمَكَانَ؟».

أَجَابَتْ آرِيَانُ وَالذِّكْرَى تَرْسِمَ ابْتِسَامَةً عَلَى شَفَتَيْهَا: «عَمِّي جَاءَ بِي هُنَا مَعَ تَابِيْنٍ وَسَارِيلَا. أَصْطَادَ بَعْضَ الْأَفَاعِي وَأَرَى تَابِيْنَ الطَّرِيقَةَ الْأَسْلَمَ لِاسْتِحْلَابِ الرُّعَافِ مِنْهَا.

سَارِيلَا قَلَبَتْ الصُّخُورَ وَنَفَضَتْ الرَّمْلَ عَنِ الصُّورِ الْفُسَيْفَسَاءِ وَأَرَادَتْ أَنْ تَعْرِفَ كُلَّ

شيءٍ عمّن عاشوا هنا».

سألتها سيلفا الرّقطاء: «وماذا فعلتِ أنتِ أيتها الأميرة؟».

جلستُ إلى جوار البئر وتظاهرتُ بأن فارساً لصاً أتى بي هنا لينال مني مناله، رجلاً طويلاً صُلباً عيناه سوداوان وينحسر شعره عن مقدّمة رأسه. قالت وقد أصابتها الذّكري بالاضطراب: «استغرقتُ في الأحلام، ولمّا غابت الشّمس جلستُ مربّعةً ساقي عند قدّمي عمّي وناشدته أن يحكي قصّة».

- «الأمير أوبرين كان يعرف قصصاً عديدةً». جارين أيضاً كان معهم يومها. إنه أخو آريان في الرّضاعة، وطيلة حياتهما والاثنتان متلازمان حتى من قبل أن يتعلّما المشي. «أذكرُ أنه حكى عن الأمير جارين الذي سُمّيْتُ على اسمه».

أضاف دراى: «جارين العظيم، أعجوبة (الروين)».

- «هو ذا، الذي جعلَ (قاليريا) ترتجف».

قال السير چيرولد: «ارتجفوا ثم قتلوه. إذا قدتُ رُبع مليون رجل إلى حتفهم فهل سيُسَمّونني چيرولد العظيم؟»، وأطلقَ نحيراً ساخراً، وأردف: «أظنّني سأبقي النّجم المظلم، فهو اسمي على الأقل»، واستلّ سيفه الطويل وجلسَ على حافة البئر الجافّة وبدأ يشحذ النّصل بحجر زيتي.

راقبته آريان بحذرٍ مفكّرة: نسبه رفيع كفايةً لأن يكون أهلاً لي كزوج. سيُشكّك أبي في سلامة اختياري، لكن أطفالنا سيكونون أبهياء كسادة التّنانين. إذا كان هناك رجل أوسم في (دورن) فإنها لا تعرفه. للسير چيرولد دابن أنف معقوف وعظام وجنتين مرتفعة وفكّ قوي، ويحافظ على وجهه حليقاً لكن شعره الكثيف ينسدل حتى ياقته كنهر من الجليد الفضي، ويقسمه من المنتصف خط أسود كالليل. لكن فمه قاسي، ولسانه أقسى. بدت عيناه سوداوين وهو جالس محدّداً بنور الشّمس المحتضرة يشحذ فولاده، لكنها نظرت إليهما من زاوية أقرب من قبل وتعلم أنهما أرجوانيّتان. أرجوانيّتان داكنتان، داكنتان وغازبتان.

لا بدّ أنه شعرَ بتحديقها إليه، إذ رفعَ عينيه عن سيفه ولاقى نظرتها بنظرته وابتسم، وأحسّت آريان بالحرارة تسري في وجهها. لم يكن عليّ أن أجلبه. إذا رمقني بنظرة كهذه في وجود آري-س-س-ثراق الدّماء على الرّمال. إلا أنّها تجلّهل دماء من، فالعادة جرّت على أن رجال الحرس الملكيّ أفضل فُرسان (الممالك السّبع) على الإطلاق... لكن النّجم المظلم هو النّجم المظلم.

على الرّمال يشتدّ البرد في ليالي (دورن)، ولذا جمعَ لهم جارين الحطب من فروع الأشجار البيضاء التي ذبلت وماتت منذ مئة سنة، وتولّى دراى إشعال النّار وهو يصفر بينما يقدح الشرر بحجر صوّان.

ما إن شبّ اللّهب في الحطب حتى جلسوا حوله ممرّرين قربةً من النّبذ

الصَّيْفِي من يدٍ إلى يد... باستثناء النَّجم المظلم الذي يُفَضِّل شُرْب عصير الليمون غير المحلّى.

كان جارين في مزاجٍ مرحٍ وسلّاهم بأجود الحكايات من (بلدة الأخشاب) عند مصبِّ (الدَّم الأخضر)، حيث يأتي أيتام النَّهر للتَّجارة مع القراقير والأكواج والقوادم الآتية من وراء (البحر الضيق). إذا صدق البحّارة فالشرق يغلي بالأعاجيب والأهوال. ثورة عبيدٍ في (أستاپور)، وتنانين في (كارث)، وطاعون أرمد في (بي تي)، وملك قرّاصنةٍ جديد ظهرَ في (جزر الباريليسق) ⁶⁰ وشنَّ غارةً على (بلدة الأشجار الطويلة)، وفي (كوهور) أثارَ أتباع الرُّهبان الحُمَر شغبًا وحاولوا إحراق الكبش الأسود.

«والجماعة الذهبية فسخت عقدها مع (مير) قبيل دخول المايريين الحرب ضد (ليس)».

قالت سيلفا مخمّنة: «اللايسينيون اشتروهم».

عقب دراي: «اللايسينيون الأذكاء، اللايسينيون الأذكاء الجبناء».

لكن آريان تعرف خيرًا عنهم. إذا كانت الجماعة الذهبية وراء كوينتن... «تحت الذهب الفولاذ الأليم» هتافهم في المعارك. ستحتاج إلى الفولاذ الأليم وأكثر يا أخي إذا كنت تُفكّر في تنحيتي. آريان محبوب في (دورن)، أمّا كوينتن فلا يعرفه إلا قلائل، ولا جماعة من المرتزقة يُمكنها أن تُغيّر هذا.

قام السير چيرولد قائلاً: «أظنُّ أنني سأذهب لأتبول».

قال دراي محدّراً: «انتبه لموطئ قدميك. لقد مرّت فترة طويلة منذ استحلّب الأمير أوبرين الأفاعي في هذه الأنحاء».

ردّ السير چيرولد: «لقد فُطِمتُ على الرُّعاف يا دالت. الأفعى التي تلدغني ستندم»، واختفى تحت قنطرةٍ مكسورة.

حين رحل تبادل الآخرون نظرةً، وقال جارين برفق: «اعذريني أيتها الأميرة، لكن هذا الرجل لا يروقني».

قال له دراي: «مؤسف. أعتقد أنه شبه واقع في غرامك».

ردّت آريان مذكّرةً إياهم: «إننا محتاجون إليه. ربما نحتاج إلى سيفه، ومؤكّد أننا سنحتاج إلى قلّعتة».

عقبت سيلفا الرّقطاء: «(الصّومعة العالية) ليست القلعة الوحيدة في (دورن)، ثم إن معكُ فُرساتاً آخرين يحبّونك للغاية. دراي فارس».

أيدها قائلاً: «نعم، وأملكُ حصاناً رائعاً وسيقاً ممتازاً، ولا يفوقني شجاعة... إلا كثيرون في الحقيقة».

قال جارين: «عدّة مئات على الأرجح أيها الفارس».

تركتهم آريان لمزاحهم. دراي وسيلقا الرِّقطاء أعزُّ أصدقائها علاوةً على تايين ابنة عمِّها، وجارين يُعابِثها منذ كان كلاهما يرضع من ثديي أمِّه، لكنها في هذه اللحظة تحديداً ليست في مزاج مزاح. كانت الشمس قد غابت وامتلات السماء بالنُّجوم. كثيرة جداً. أسندت ظهرها إلى عمودٍ محزَّز وتساءلت إن كان أخوها يتطلع إلى النُّجوم نفسـها الليلة أينما كان. هل ترى النُّجـم الأبـيض يا كـوينتن؟ هذا نجم نـايميريا المـتقـد، والكوكبة البـيضـاء لكـالحـلب وراءه سُفنـها العـشـيرة آلف. لقد بـارت الرِّجال جميعاً في الألق، وكذا سأكون أنا. لن تسلبني حقَّ ميلادي!

كان كـوينتن حـديث الـسـنِّ حـين أرسـلَ إلـى (يـرونوود)، صـغيراً للـغايـة حـسـب تعـبـير أمِّهم. لـيس مـن تـقـالـيـد النـورقـوشـيـين أن يُرسـلوا أطفـالهم إلـى غـيرهم لـيُربوهم، والليدي ميلاريو لم تغفر للأمير دوران قط إبعاده ابنها عنها. في مرَّة سمعت آريان أباهـا مصادفةً يقول: «الأمر لا يروقني أكثر منك، لكن هناك دين دم، وكوينتن العُـمـلة الوحيدة التي سيقبلها اللورد أورموند».

صرخت أمُّها: «عُـمـلة؟! إنه ابنك! أيُّ صنفٍ من الآباء يُسدِّد ديونه بلحمه ودمه؟». أجاب دوران مارتل: «صنف الأمراء».

ما زال الأمير دوران يتظاهر بأن أخاها مع اللورد يرونوود، لكن أم جارين رأتـه في (بلدة الأخشاب) متنكِّراً في هيئة تاجر. لأحد رفاقه عين كسول، تماماً مثل كليتوس يـرونوود ابـن الـلـورد أنـدرز الشَّهوانـي، وفـي صـحبتـهما مـايسـتر أيـضاً، مـايسـتر ضـليـع فـي اللـغـات. أخـي لـيس بالـذكاء الـذي يخالـه. كـان رـجـل ذكـي لـيُغـادر مـن (البلدة القديمة)، حتـى إذا كان ذكـ يعنـي رحـلةً أطول في البحر. في (البلدة القديمة) كانت فرصة أن يتعرّفه أحد ضعيفاً. لآريان أصدقاء وسط أيتام (بلدة الأخشاب)، وقد شعر بعضهم بالفضول إزاء سفر أمير وابن لورد تحت اسمين مستعارين وسعيهما إلى عبور (البحر الضيق). في ليلةٍ تسلَّل أحدهم من نافذةٍ وعالج قفل صندوق كوينتن المتين، ووجد لفائف الرُّقوق في الدَّاخل.

كـانت آريـان لـتـدفع ثـمـناً باهظاً كـي تـعلـم أن هـذه الرِّحـلة السـريـة عبـر (البحر الضيق) مـن صُنـع أخـيـها كـوينتن وحـده... لكـن الـوثائق الـتي يـحملـها مـختومة بشـمس (دورن) وحربتها. لم يجرؤ ابن عمِّ جارين على كسر الأختام ليقرأ محتوياتها، ولكن...

- «سمو الأميرة»، قال السير چيرولد داين إذ وقف وراءها، نصفه في ضوء النُّجوم ونصفه في الظلال.

سألتـه آريان بخُـبث: «كيف كان تبؤلك؟».

قال داين: «الرِّمال في غاية الامتنان»، ووضع قدمه على رأس تمثالٍ ربما كان

لـ(العذراء) قبل أن تطمس الرِّمال ملامحه، وأردف: «خطرَ لي وأنا أتَبَوَّلُ أن خُطتِكِ هذه قد لا تُثْمِر ما تُريدينه».

- «وما الذي أريده أيها الفارس؟».

- «إطلاق سراح أفاعي الرِّمال، الانتقام لأوبرين وإليا. أعرفُ تلك الأغنيّة. تُريدين تذوّق دماء الأسد».

هذا، وحقّي في الميلاد. أريدُ (صنسبير) ومقعد أبي، أريدُ (دورن). «أريدُ العدل».

- «أسميه كما تشائين. تتويج ابنة لانستر لفتة فارغة. إنها لن تجلس علي العرش الحديدي أبدًا، ولن تنال الحرب التي تُريدينها. الأسد لا يُستَقَرُّ بسهولة».

- «الأسد مات. مَنْ يدري أيّ الشّبلين المتبقّيين تُفَضِّل اللبؤة؟».

قال السير چيرولد: «الشّبل الذي في عرينها»، وامتشق سيفه ليبرُق في ضوء النّجوم بحدّة الأكاذيب، وتابع: «هكذا تبدئين حربًا، ليس بتاجٍ من ذهب وإنما بنصلٍ من فولاذ».

لستُ قاتلة أطفال. «أغمِد هذا الشّيء. مارسلا تحت حمايتي، والسير أريس لن يسمح بأن يمسه أميرته الغالية أذى، وأنت تعلم هذا».

- «لا يا سيّدي. ما أعلمه أن آل داين يُقَتِّلون آل أوكهارت منذ آلاف السّنين».

ردّت وقد أذهلتها غطرسته: «يبدو لي أن آل أوكهارت كانوا يُقَتِّلون آل داين طيلة الفترة نفسها».

دَسَّ النّجم المظلم سيفه في غِمده قائلاً: «كلُّنا لنا تقاليدنا العائليّة. القمر يطلع، وأرى رجلِك القدوة يقترب».

بصره ثاقب حَقًّا. ركب الجِواد الحربي الرّمادي الطّويّل هو السّير أريس بالفعل، يخفق معطفه وراء ظهره في منظرٍ بهي بينما ينطلق على الرّمال، وقد ركبَت الأميرة مارسلا وراءه متدبّرةً بمعطفٍ مزوّد بقلنسوةٍ تُخفي خصلاتها الذهبيّة.

ساعدَها السير أريس على النّزول، وجثا دراى على رُكبةٍ واحدة أمامها قائلاً: «جلالة الملكة».

وقالت سيلفا الرّقطاء إذ جثت إلى جواره: «مولاتي».

وقال جارين راکعًا على كلتا رُكبتيه: «أنا رجلِك يا مليكتي».

أمسكت مارسلا ذراع السير أريس حائرةً، وسألته بنبرةٍ وجلة: «لماذا يدعونني بجلالة الملكة؟ سير أريس، ما هذا المكان ومَنْ هؤلاء؟».

ألم يُخبرها بشيء؟ تقدّمت آريان في دوامةٍ من الحرير، وابتسمت لتُطمئن الطّيلة قائلةً: «إنهم أصدقائي الأوفياء المخلصون يا جلالة الملكة... ويرغبون في

أن يُصبحوا أصدقاءك أيضًا».

قالت مارسلا: «الأميرة آريان»، واحتضنتها متسائلة: «لماذا يدعونني بالملكة؟ هل حدث شيء لتومن؟».

أجابتها آريان: «لقد تورّط مع أناسٍ أشرار يا جلالة الملكة، وأخشى أنهم تأمروا معه على سرقة عرشك».

قالت الفتاة وقد تضاعفت حيرتها: «عرشي؟ تعين العرش الحديدي؟ لكنه لم يسرقه. تومن...».

- «... أصغر منك قطعًا، أليس كذلك؟».

- «أنا أكبره بعام».

قالت آريان: «ومعنى هذا أن العرش الحديدي حقك. أخوك مجرد صبي صغير ويجب ألا تلوميه. مستشاروه هم السيئون... أمّا أنت فلك أصدقاء. هلّا منحتني شرف تقديمهم؟»، وأمسكت يد الطفلة قائلة: «جلالة الملكة، أقدم لك السير أندراي دالت وريث (غابة الليمون)».

- «أصدقائي يُسمّونني دراى، وسيكون شرفًا عظيمًا لي أن تدعوني صاحبة الجلالة بالاسم نفسه».

على الرغم من وجه دراى الصريح وابتسامته العفوية رمقته مارسلا بحذرٍ قائلة: «حتى أعرفك عليّ أن أدعوك بالفارس».

- «أنا رجل صاحبة الجلالة أيّا كان الاسم الذي تُفضّله».

تنحّنت سيلفا إلى أن قالت آريان: «اسمحي لي بأن أقدم الليدي سيلفا سانتاجار يا مولاتي، سيلفا الرّقطاء صديقتي الأعز».

سألت مارسلا: «لماذا يُطلقون عليك هذا اللقب؟».

أجابتها سيلفا: «بسبب نمشي يا جلالة الملكة، مع أنهم يتظاهرون جميعًا بأن السبب أني وريثة (الغابة الرّقطاء)».

حان دور جارين ببنّيته الرّشيقة وبشرته السّمراء وأنفه الطّويل وجليّة من اليشب في إحدى أذنيه، وقالت آريان: «هذا جارين اليتيم المرح. أمه كانت مُرضعتي».

قالت مارسلا: «أسفةٌ لأنها ماتت».

ردّ جارين: «لم تمُت يا ملكتنا الجميلة»، وابتسم كاشفًا عن السنّ الذهبية التي ابتاعتها له آريان بدلًا من التي كسرتها، وأضاف: «سيّدتى تعني أنى من أيتام (الدّم الأخضر)».

سجد مارسلا وقتًا يكفى لأن تتعلّم تاريخ الأيتام فى أثناء رحلتها فى النّهر، وهكذا قد أدت آريان ملكتها المقبلة إلى العضو

الأخير في مجموعةها الصَّغيرة، وقالت: «أخيرًا -ولكن أولًا في الشَّجاعة- أقدمُ لك السير چيرولد داين فارس (ستارفول)».

جثا السير چيرولد على رُكبته، ولمع ضوء النُّجوم في عينيه الدَّاكتين إذ رمق الفتاة ببرود، وقالت مارسلًا: «كان هناك آرثر داين، كان فارسًا في الحرس الملكي في عهد الملك المجنون إيرس».

- «كان سيف الصَّباح. لقد مات».

- «وأنت سيف الصَّباح الآن؟».

- «لا، يدعونني بالنَّجم المظلم. إنني ابن اللَّيل».

سحبت آريان الطِّفلة قائلةً: «لا بُدَّ أنك جائعة. معنا تمر وجُبنة وزيتون وعصير ليمون محلى، لكن لا يجدر بك أن تأكلي أو تشربي كثيرًا. بعد راحة قصيرة علينا أن نتحرَّك. هنا على الرِّمال الأفضل دائمًا أن نتحرَّك ليلاً قبل أن تطلع الشَّمس في السَّماء، رفقا بالخيل».

أضافت سيلفا الرِّقطاء: «وبالراكبين. هلمَّي يا صاحبة الجلالة، دُفِّي نفسك. من دواعي شرفي أن تسمح لي بتقديم الطَّعام لك».

وبينما قادَت سيلفا الأميرة إلى الثَّار وجدت آريان السير چيرولد وراءها يقول متذمِّرًا: «تاريخ عائلتي يعود عشرة آلاف عام إلى فجر الزَّمان، فلم لا يذكُر النَّاس مِن آل داين كلِّهم إلَّا ابن عمومتي؟».

علَّق السير آريس أوكهارت: «كان فارسًا عظيمًا».

ردَّ النَّجم المظلم: «كان سيفه عظيمًا».

قال السير آريس: «وقلبه أيضًا»، وأخذ آريان من ذراعها قائلاً: «سمو الأميرة، اسمحي لي بلحظة على انفراد».

- «تعال». قادَت السير آريس وتوغَّلت به أكثر بين الأطلال. تحت معطفه يرتدي الفارس سُترةً من قُماش الذهب مطرَّزةً بورقات السِّنديان الثَّلاث رمز عائلته، وعلى رأسه خوذة فولاذية خفيفة تعلوها ريشة محززة ومربوط عليها وشاح أصفر على الطَّريقة الدورنية. كان يُمكن أن يحسبه النَّاس فارسًا تقليديًا لولا معطفه المفصل من الحرير الأبيض النَّاصع، شاحب كنور القمر وخفيف كالنَّسيم. معطف في ارس في الحرس الملكي دون أدنى شك. الأحمر ق النَّبي ل. سألته: «مألذي تعرفه الطِّفلة؟».

- «القليل. قبل أن تُغادر (كينجز لاندنج) ذكرها خالها بأني حاميتها وقال لها إن أيَّ أوامر أمليها عليها الغرض منها الحفاظ على سلامتها. هي أيضًا سمعتهم في الشَّوارع يهتفون مطالبين بالثَّار، وتعرف أن هذه ليست لعبة. الفتاة شجاعة وحكمتها تفوق سنَّها. لقد فعلت كلَّ ما طلبته منها ولم تُلق سؤالًا واحدًا»، وأمسك الفارس ذراعها وتلقَّت حوله، ثم خفضَ صوته قائلاً: «هناك أخبار أخرى

يجب أن تعرفيها. تايوين لانستر ماتَ». رَدَّتْ مصدومةً: «ماتَ؟».

- «قتله العِفريت. الملكة تولَّت الوصاية على العرش».

- «حقاً؟». امرأة على العرش الحديدي؟ تفكَّرت آريان في الأمر لحظةً ثم قرَّرت أنه في صالحها. إذا أَلَفَ لوردات (الممالك السَّبع) حُكْم الملكة سرسي فسيكون ركوعهم للملكة مارسلا أسهل كثيراً. ثم إن اللورد تايوين كان خصماً خطراً، وفي غيابه أعداء (دورن) أضعف كثيراً. أولاد لانستر يَقْتُلون أولاد لانستر، رائع. «وماذا جرى للقزم؟».

قال السير آريس: «هَرَبَ. سرسي عرضت اللوردية على من يأتيها برأسه أيّاً كان».

في ساحةٍ داخليةٍ مفروشة بالبلاط وتكاد الرِّمال المنجرفة تدفنها دفعَ الفارس ظَهر الأميرة إلى عمودٍ لِيُقْبِلَها ووضعَ يده على ثديها. قبَّلها بشبق طالَ، وكان ليرفع ثُورتها لولا أن آريان تملَّصت منه ضاحكةً، وقالت: «أرى أن صناعة الملكات تُشرك أيها الفارس، لكن لا وقت لهذا الآن. لاحقاً، أعدك»، ومسَّت وجنته متسائلةً: «هل قابلتكم مشكلة؟».

- «تريستان فقط. أرادَ أن يجلس إلى جوار فراش مارسلا ويلعب معها السايغاس».

- «قلتُ لك إنه أصيبَ بداء البُقع الحمراء وهو في الرَّابعة. المرء يُصاب به مرَّةً فقط في العُمُر. كان عليك أن تُذيع أن مارسلا مصابةٌ بالدَّاء الأرمد لئيتعد عنها تماماً».

- «الصَّبي ربما، ولكن ليس مايستر أببك».

- «كالويت. هل حاولَ أن يراها؟».

- «ليس بعد أن وصفتُ له البُقع الحمراء على وجهها. قال إن لا شيء في الإمكان حتى يجري المرض مجراه، وأعطاني جرَّةً من المرهم لتهدئة الحكَّة».

لا أحد دون العاشرة يموت من البُقع الحمراء أبداً، لكن من شأن الدَّاء أن يكون مميتاً للكبار، والمَيستر كالويت لم يُصَب به في صِغره كما علَّمت آريان حين أصابها الدَّاء نفسه في الثَّامنة. «عظيم. وماذا عن الوصيفة؟ أهَي مقيعة؟».

- «من بعيد. العِفريت انتقاها لهذا السَّبب من بين فتياتٍ كثيرات كريمات المحتد. مارسلا ساعدتها على تجعيد شَعرها ورسمت البُقع على وجهها بنفسها. إنهما قريبتان من بعيد. (لانسپورت) تعجُّ بآل لاني وآل لانيت وآل لانتل والفروع الأدنى من عائلة لانستر، ونصفهم له الشَّعر الأصفر نفسه. الفتاة ترتدي معطف نوم مارسلا ووجهها ملطخ بمرهم المَيستر... كانت لتخدعني أنا نفسي في إضاءةٍ خافتة. الأصعب كان عثوري على رجلٍ يأخذ مكاني. دايك الأقرب إلى طولي لكنه أسمن من اللازم، فالبست رولدر دِرعي وقلتُ له أن يخفض مقدِّمة

خودته. إنه أقصر مني بثلاث بوصات، لكن ربما لا يلحظ أحد الفرق إذا لم أكن هناك لأقف إلى جواره.

سيلزم مسكن مارسلا على كلِّ حال».

- «لا نحتاج إلَّا إلى أيامٍ قليلة فقط، وعندئذٍ ستكون الأميرة قد ابتعدت عن متناول أبي».

سحبها إليه ومَرَّغ أنفه في رقبتها متسائلًا: «أين؟ حان الوقت لأن تُخبريني ببقية خطتك، أليس كذلك؟».

دفعته ضاحكًا، وقالت: «لا، حان وقت الركوب».

كان القمر قد تَوَجَّ كوكبة (عذراء القمر) عندما خرجوا من أطلال (شانديستون) المغبرة الجافة متجهين جنوبًا وغربًا. قادتهم آريان والسير آريس وبينهما مارسلا على متن قَرسٍ رشيقة، وعلى مقربةٍ تبعهم جارين مع سيلفا الرِّقطاء، بينما ركبَ الفارسان الدورنيان في المؤخرة. نحن سبعة. أدركت آريان هذا وهم راكبون، ولم تكن قد فكرت فيه من قبل، إلَّا أنه بدا لها بشير خير لقضيتهم. سبعة راكبين في طريقهم إلى المجد. ذات يوم سيُخلدنا جميعًا المغنُّون. أرادَ دراي مجموعةً أكبر، لكن ذلك كان ليلفت انتباهًا غير مرغوب، كما أن كلَّ رجلٍ إضافي يُضاعف خطر الخيانة. أبي علَّمني هذا القدر على الأقل. حتى في وقت تمتعه بالشباب والقوة كان دوران مارتل رجلًا حذرًا يجنح كثيرًا إلى الصمت والسريَّة. آن أوان أن يتخلَّى عن الأعباء التي تُثقل كاهله، لكنني لن أسمح بإهانةٍ لشرفه أو لشخصه. ستُعيدُه إلى حدائقه المائية ليعيش ما تبقى له من عُمرٍ محاطًا بالأطفال الضاحكين وروائح اللِّيمون والبرتقال. نعم، وليُصاحبه كوينتن. حالما أتوجَّ مارسلا وأطلقُ سراح أفاعي الرِّمال ستحتشد (دورن) أجمعها تحت رايتي. ربما يُعلن آل يرونوود تأييدهم كوينتن، لكنهم لا يُشكِّلون تهديدًا بمفردهم، وإذا منحوا تومن وآل لانستر ولاءهم فستجعل النجم المظلم يستأصلهم من جذورهم.

قالت مارسلا بعد عدَّة ساعاتٍ من الركوب: «أنا متعبة. أما زال المكان بعيدًا؟ أين نحن ذاهبون؟».

أجابها السير آريس مطمئنًا: «الأميرة آريان تأخذ جلالتكِ إلى مكانٍ تكونين آمنةً فيه».

قالت آري-ان: «إنها رحلة طويلة، لكن-ها س-تُصبح أس-هل ما إن نَبْلُغ (ال-دَّم الأخضر). س-يُقابلنا بع-ض ق-وم ج-ارين هن-اك، أبت-ام النهر. إن-هم يعيش-ون على الق-وارب ويسوقونها في (الدَّم الأخضر) وروافده، يصطادون السمك ويقطفون الفواكه ويقومون بالأعمال الضرورية».

صاح جارين بمرح: «نعم، ونُغَيِّي ونلعب ونرقص على الماء، ونعرف الكثير من فنون العلاج. أمِّي أفضل قابلة في (وستروس)، وأبي يستطيع شفاء الثآليل».

سألت الفتاة: «كيف تكونون أيتامًا ولكم أمّهات وآباء؟».

فسّرت آريان قائلةً: «إنهم الروينار، وأمهم كانت نهر (الروين)».

قالت مارسلا التي لم تفهم: «حسبتكم أنتم الروينار، أنتم الدورنيون أعني».

- «نحن كذلك جزئيًا يا جلاله الملكة. إن دمء نايميريا في عروقي، وكذا دمء مورس مارتل، اللورد الدورني الذي تزوّجتَه. يوم زفافهما أضرمّت نايميريا النار في سُفنِها لكي يفهم قومها أن لا سبيل للعودة. سرّ أغلبهم لرؤية الـلُهب لأن رحلتهم كانت طويلةً شنيعةً قبل وصولهم إلى (دورن)، وفق دوا كـثـيرين منهم بسبب العواصف والأمراض والنّحّاسين. على أن بعضهم حزنَ، أولئك الذين لم يحبّوا هذه الأرض الحمراء الجافة أو آلهتها السبعة، فتمسّكوا بعاداتهم القديمة وبنوا قوارب من أبدان السفن المحروقة وأصبحوا أيتام (الدم الأخضر). الأم في أغانيهم ليست (الأم) إلهتنا، وإنما (الأم الروين) التي غدّتهم مياها منذ فجر الزّمان».

قال السير آريس: «سمعتُ أن الروينار لهم إله سلحفاة».

أجابَه جارين: «رجل النّهر العجوز إله أدنى. هو أيضًا وُلدَ من النّهر الأم، وقاتلَ ملك السّراطين ليظفر بالهيمنة على كلّ ما يحيا تحت المياه الجارية».

غمغمت مارسلا: «أوه».

قال دراي بأكثر نبراته مرحًا: «بلغني أنك خُصتِ معارك ضروسًا أيضًا يا جلاله الملكة. يُقال إنك لا تُرين أميرنا الشّجاع تيرستان رحمةً على طاولة السايقاس».

قالت مارسلا: «إنه يرصُّ قطعه بالطريقة نفسها دائمًا، الجبال كلّها في المقدّمة والأفيال في الممرّات، فأرسلُ تيّنتي لتأكل أفياله».

سألها دراي: «هل تلعب وصيفتك السايقاس أيضًا؟».

- «روزاموند؟ لا. حاولتُ أن أعلمّها لكنها قالت إن القواعد صعبة للغاية».

سألّها الليدي سيلفا: «أهي من عائلة لانستر أيضًا؟».

- «لانستر من (لانسپورت) لا (كاسترلي روك). شعرها لونه كشعري، لكنه مفروود بدلًا من مجعد. روزاموند لا تُشبهني حقًا، لكن حين ترتدي ثيابي يظنّها من لا يعرفونها أنا».

- «هل فعلتما هذا من قبل إذن؟».

- «أوه، نعم. لقد تبادّلنا الأماكن على متن (مغوار البحر) في الطّريق إلى (برافوس). السيّطة إعلانتين صبغت شعري بالبيّي ووقّلت إنّها لعبة، لكن الغرض كان حمايتي في حال استيلاء عمي ستانيس على السفينة».

كان واضحًا أن الفتاة تزداد إرهابًا، فدعتهم آريان إلى التوقف. سقوا الخيول ثانية واستراحوا قليلًا وأكلوا الجُبنة والفواكه، واقتسمت مارسلا بُرتقالًا مع سيلفا الرّقطاء، بينما أكلَ جارين الزيتون وبصقَ النوى على دراي.

كانت آريان تأمل أن يبلغوا النهر قبل مطلع الشمس، لكنهم بدأوا رحلتهم بعد الوقت المزمع بفترة طويلة، ولذا كانوا ما زالوا على متون خيولهم حين اصطبغت سماء الشرق بالأحمر. لحق النجم المظلم بها قائلًا: «أيتها الأميرة، يحسن أن نُسرع ما لم تكوني تتوین قتل الفتاة حقا. ليست معنًا خيـام، والرّمـال قاسية بالنهار».

قالت له: «أعرفُ الرّمـالِ مثلك تمامًا أيها الفارس»، ومع ذلك نفّذت اقتراحه، وهو ما شقَّ على دوايهم، لكن خسارة ستّة أحصنة خير من خسارة أميرة واحدة. سرعان ما بدأت الرّيح تهبُّ من الغرب ساخنة جافّة ومحمّلة بحبيبات الرّمـل. سحبت آريان على وجهها لثامًا من الحرير البراق، من أعلى أخضر باهت ومن أسفل أصفر، وكلا اللونين مندمج في الآخر، وقد أضافت لآلى خضراء صغيرة مزيدًا إلى وزنه وخشخشَت بنعومةٍ بينما تركب.

قال السير أريس وهي تُثبّت لثامها بضدغي خوذتها النحاسيّة: «أعرفُ لِمَ تُثبّت أميرتي وجهها. إذا لم تفعل فسيفوق جمالها الشمس سطوعًا».

ضحكت رغماً عنها، وقالت: «لا، أميرتك تُثبّت وجهها لتقي عينيها من الوهج وفمها من الرّمـال. حريٌّ بك أن تفعل المثل أيها الفارس». تساءلت منذ متى يُنقّح فارسها الأبيض مجاملته السّمجة هذه. السير أريس صُحبة سارّة في الفراش، لكنه وخفّة الظلّ غريبان.

غطّى رفاقها الدورنيون وجوههم مثلها، وساعدت سيلفا الرّقطاء الأميرة الصّغيرة على وقاية وجهها من الشمس، إلّا أن السير أريس ظلّ عنيدًا، ولم يمض وقت طويل قبل أن يسيل العرق على وجهه وتتورّد وجنتاه بلونٍ وردي. فترة أطول قليلًا وسينشوي في هذه الملابس الثّقيلة. لن يكون الأول، ففي القرون المنصرمة دخلَ أكثر من جيشٍ (دورن) من (ممر الأمير) تحت الرايات الخفّاقة، فقط ليزوي كلّ منهم وتشويه الرّمـالِ الدورنيّة السّاخنة. في كتابه المتباهي (غزو دورن) كتبَ التّين الصّغير قائلًا: «رمز عائلة مارتل يتكوّن من شمسٍ وحربة، وهما سلاحا الدورنيين المفضلان، لكن بين الاثنين الشمس مميتة أكثر».

لحُسن الحظّ أنهم لا يحتاجون إلى التّوغّل في الرّمـالِ وإنما إلى قطع مساحةٍ محدودةٍ من الأراضي الجافّة لا أكثر، ولمّا لمحت آريان صقرًا يدور بعيدًا أعلاهم تحت سماءٍ بلا سحب علمت أن الأسوأ صار وراءهم بالفعل، وسرعان ما صادفوا شجرة. صحيحٌ أنها ملتوية كثيرة العُقد وأشواكها تُعادل أوراقها -ككلّ الأشجار التي تنتمي إلى النّوع المسمّى شحاذ الرّمـال- لكن وجودها يعني أنهم ليسوا بعيدين الآن عن الماء.

- «كدنا نصل يا جلالة الملكة»، قال جارين لمارسلا ببشاشةٍ عندما لمحَ مزيدًا من شحاذي الرِّمال أمامهم، دغلاً منها ينمو حول قاع جدولٍ جاف. كانت الشمس تهوي عليهم بضرباتها كمطرقة نارٍ، لكن هذا لا يهمُّ ما دامت رحلتهم قُرب نهايتها. توقفوا لسقي الخيول مرةً أخرى ونهلوا من قِربهم وبللوا لثمتهم، ثم عادوا يركبون توطئةً للمرحلة الأخيرة، وخلال نصف فرسخ كانوا يطئون العُشب الشَّيطاني ويمرون ببساتين الزَّيتون، ووراء خطٍّ من التَّلال الحجريَّة أصبح العُشب أكثر اخضرارًا ونضارةً، وثمة بساتين ليمون ترويه شبكة من القنوات القديمة. كان جارين أول من لمحَ النَّهر يلتمع بالأخضر، فأطلقَ صيحةً وانطلقَ سابقًا إياهم.

ذات مرَّةٍ عبرت آريان مارتل نهر (الماندر) حين ذهبت مع ثلاثةٍ من أفاعي الرِّمال لزيارة أم تايين، ومقارنةً بذلك المجرى المائي العظيم يكاد (الدَّم الأخضر) لا يستحقُّ أن يُسمَّى نهرًا، وعلى الرغم من ذلك يبقى شريان الحياة في (دورن). يستمد النَّهر اسمه من لون مياهه الرَّاكدة الأخضر الدَّاكن، لكن مع دنوهم بدا أن نور الشمس يصبغ تلك المياه بالذهبي. لم ترَ آريان منظرًا أجمل من قبل قط، وقالت لنفسها: المفترض أن يكون الجزء التَّالي بطيئًا وبسيطًا، نتحرَّك في (الدَّم الأخضر) ومنه إلى نهر (فايث)، أطول مسافةٍ يستطيع القارب أن يقطعها. سيمنحها هذا وقتًا يكفي لإعداد مارسلا لما سيحدث. وراء (فايث) تنتظرهم الرِّمال العميقة، وسيحتاجون إلى عون (حجر الرَّمَل) و(هضبة الجحيم) ليعبروها، لكنها لا تشكُّ في استعدادهما للمساعدة. لقد تربَّى الأفعوان الأحمر في (حجر الرَّمَل)، وإلاريا ساند خليعة الأمير أوبرين ابنة اللورد أولر الطَّبيعيَّة، وأربع من أفاعي الرِّمال حفيداته. سأتوجُّ مارسلا في (هضبة الجحيم) وأرفعُ راياتي هناك.

وجدوا القارب على بُعْدٍ نصف فرسخٍ في اتِّجاه المصب، متواريًا تحت الغصون المتدلِّية من صَفَافٍ خضراء ضخمة. القارب التـي تُدفع بالعصيّ واطيئة السَّقْف وعريضة من المنتصف وغطاسها لا يُذكر، وقد استخفَّ بها التَّين الصَّغير باعتبارها «أكواخًا مبنية على أطواف»، ولو أن ذلك ليس عادلًا حقًا. جميع تلك القوارب باستثناء التي يملكها أفقر اليتامي محلي بنقوش وألوانٍ أخاذة، وقاربهم هذا مطلي بدرجات الأخضر، وله ذراع دقة خشبيَّة منحوتة على شكل عروس بحر، ومن حواجزه تطلُّ وجوه أسماك، وعلى سطحه تصطفُ العصي والحبال وبرطمانات زيت الزَّيتون، ومن مقدِّمته ومؤخِّرتة تتأرجح مصابيح حديدية. غير أن آريان لم ترَ أيًّا من الأيتام، وتساءلت: أين الطاقم؟ أوقفَ جارين حصانه تحت الصَّفَاف، ونادى بينما وثبَ من فوق السَّرج: «استيقظوا أيها الكسالى. ملكتكم هنا وتريد ترحيبها الملكي. هلمُّوا، اخرجوا. سنُعْطي ونشرب النِّبذ المحلي. فمي جاهز لـ...».

وانفتحَ باب القارب بعُنف، وإلى ضوء الشمس خرجَ آريو هوتا حاملًا فأسه الطويلة.

تَوَقَّفَ جَارِينِ بَحْدَةَ، وَشَعَرَتْ آريَانُ كَأَنَّ بِلْطَةً أَصَابَتْهَا فِي بَطْنِهَا. لَمْ يَكُنْ يُفْتَرَضُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النَّهْيَاةُ، لَمْ يَكُنْ يُفْتَرَضُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا. وَلَمَّا سَمِعَتْ دَرَايَ يَقُولُ: «آخِرُ وَجْهِ كُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أَرَاهُ»، عَلِمَتْ أَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تَتَصَرَّفَ، وَصَاحَتْ وَهِيَ تَتَبُّ فَوْقَ حَصَانِهَا مِنْ جَدِيدٍ: «ابْتَعدُوا! سِيرِ آرِيَسَ، اِحْمِ الْأَمِيرَةَ...».

دَقَّ هَوْتَا سَطْحَ الْقَارِبِ بِكَعْبِ فَأْسِهِ الطَّوِيلَةِ، وَمِنْ وَرَاءِ الْحَوَاجِزِ الْمَنْمَقَةِ نَهَضَتْ دَسْتَةُ مِنَ الْخُرَّاسِ الْمُسَلَّحِينَ بِالْجِرَابِ وَالنُّشَابِيَّاتِ، وَظَهَرَ الْمَزِيدُ مِنْهُمْ فَوْقَ الْقَمَرَةِ، وَنَادَى قَائِدُهُمْ: «اسْتَسْلِمِي يَا أَمِيرَتِي، وَإِلَّا فَعَلِينَا أَنْ نَقْتُلَ الْجَمِيعَ بِاسْتِثْنَائِكَ وَالطِّفْلَةَ بِأَمْرِ أَبِيكَ».

ظَلَّتِ الْأَمِيرَةُ مَارِسَ لَا عَلَى مَتْنِ فَرَسِهَا بِلا حَرَكَ، وَتَرَجَعَ جَارِينِ بِتَوْدَةٍ عَنِ الْقَارِبِ رَافِعًا يَدَيْهِ، وَحَلَّ دَرَايَ حِزَامَ سَيْفِهِ، وَصَاحَ مَخَاطَبًا آرِيَانُ إِذْ ارْتَطَمَ السَّيْفُ بِالْأَرْضِ: «الاسْتَسْلَامُ يَبْدُو التَّصَرُّفَ الْأَسْلَمَ».

- «لَا!»، صَاحَ السَّيْرُ آرِيَسَ أَوْكَهَارَتَ وَوَضَعَ حَصَانَهُ بَيْنَ آرِيَانِ وَالنُّشَابِيَّاتِ وَسَيْفِهِ يَلْتَمِعُ فَضِيًّا فِي يَدِهِ، وَكَانَ قَدْ خَلَعَ ثُرْسَهُ وَدَسَّ ذِرَاعَهُ فِي الْأَحْزَمَةِ. «لَنْ تَأْخُذُوهَا وَفِي صَدْرِي أَنْفَاسٌ تَتَرَدَّدُ».

لَمْ تَجِدْ آريَانُ وَقْتًا إِلَّا لِتَقُولَ لَهُ دُونَ كَلَامٍ: أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الْمَتَهَوِّرُ، مَاذَا تَحْسَبُ نَفْسُكَ فَاعِلًا؟ وَرَبَّتْ ضَحْكَةُ النَّجْمِ الْمَظْلَمِ إِذْ قَالَ: «أَنْتِ أَعْمَى أَمْ غَيْبِي يَا أَوْكَهَارَتُ؟ إِنَّهُمْ كَثِيرُونَ لِلْغَايَةِ. اتْرُكِي سَيْفَكَ».

وَاسْتَحْتَتْ دَرَايَ قَائِلًا: «افْعَلِي كَمَا يَقُولُ أَيُّهَا الْفَارِسُ».

أَرَادَتْ آريَانُ أَنْ تُنَادِيَهُ وَتَقُولَ: لَقَدْ وَقَعْنَا فِي الْأَسْرِ أَيُّهَا الْفَارِسُ. مَوْتُكَ لَنْ يُجَرِّئَنَا. إِذَا كُنْتُ تَحِبُّ أَمِيرَتَكَ فَاسْتَسْلِمِي، لَكِنْ حِينَ حَاوَلْتُ أَنْ تَتَكَلَّمَ احْتَبَسَتْ الْكَلِمَاتُ فِي حَلْقِهَا.

رَمَقَهَا السَّيْرُ آرِيَسَ أَوْكَهَارَتَ بِنَظَرَةٍ اشْتِيَاقٍ آخِرَةٍ، ثُمَّ ضَرَبَ حَصَانَهُ بِمَهْمَزِيهِ الذَّهَبِيِّينَ وَانْقَضَ.

انْطَلَقَ صَوْبَ الْقَارِبِ مَبَاشَرَةً وَمُعْطَفَةً الْأَبْيَضُ يَخْفِقُ وَرَاءَهُ، وَلَمْ تَرَ آرِيَانُ مَارِئِلَ فِي حَيَاتِهَا كُلِّهَا شَيْئًا بِهَذِهِ الشَّجَاعَةِ أَوْ بِهَذِهِ الْحِمَاةِ. صَرَخَتْ: «لَا!!!»، لَكِنْهَا عَثَرَتْ عَلَى صَوْتِهَا مُتَأَخِّرًا جَدًّا. انْطَلَقَ سَهْمُ نُشَابِيَّةٍ ثُمَّ آخَرُ، وَهَدَرَ هَوْتَا بِأَمْرِ. مِنْ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْقَصِيرَةِ فَكَأَنَّ دِرْعَ الْفَارِسِ الْأَبْيَضَ مِنْ وَرَقٍ، فَاخْتَرَقَ السَّهْمُ الْأَوَّلُ ثُرْسَهُ الْبَلُوطِي الثَّقِيلَ مِثْنًا إِيَّاهُ إِلَى كَتِفِهِ، وَكَشَطَ الثَّانِي فُودَهُ، فِي حِينَ أَصَابَتْ حُرْبَةً مَقْذُوفَةً حَصَانَهُ فِي الْخَاصِرَةِ، وَعَلَى الرِّغْمِ مِنْ هَذَا وَاصِلَ الْحِصَانِ الْانْقِضَاضِ وَتَرَنُّجِ إِذْ ارْتَطَمَ بِالْمَعْبَرِ الْخَشَبِيِّ. كَانَتْ فَتَاةٌ مَا تَصِيحُ، فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ حَمَقَاءُ تَصِيحُ: «لَا، لَا، أَرْجُوكُمْ، لَمْ يَكُنْ يُفْتَرَضُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا»، وَسَمِعَتْ آريَانُ مَارِسَ لَا تَصْرُخُ أَيْضًا بِصَوْتٍ رَفِيعٍ حَادٍ مِنْ جَرَاءِ الْهَلَعِ.

ضربَ سيف السير آريس الطويل ذات اليمين وذات الشمال، وسقطَ اثنان من حاملي الجراب. رفعَ حصانه قائمته الأماميتين ورفسَ أحدَ رُماة النشابة في وجهه بينما يُحاول إعادة تلقيمها، لكن سهام النشابات الأخرى انطلقت لتنفرس في جسم الجواد الحربي الكبير بعنفٍ بالغ أسقطه على سطح القارب. بوسيلةٍ ما وثبَ آريس أوكهارت مفلتًا، بل واستطاعَ الحفاظ على سيفه في يده كذلك، وبصعوبةٍ اعتدلَ راكعًا على رُكبتيه إلى جوار حصانه المحتضر...

... ووجدَ آريو هوتا واقفًا فوقه.

رفعَ الفارس الأبيض سيفه ولكن ببطءٍ شديد، وبترت فأس هوتا الطويلة ذراعه تحت الكتف مباشرةً ودارت نائرةً الدماء، ثم عادت تُومض بضربةٍ رهيبه أطارت رأس السير آريس وطوّحت به في الهواء ليحط وسط أعواد البوص ويبتلع (الدم الأخضر) الأحمر بصوتٍ خافت.

لا تذكرَ آري-إن أنها ترحّلت عن حصانها. ربما سقطت، لكن ذلك أي-ضًا لا تذكره. فقط وجدت نفسها على يديها وقدميها فوق الرمال، ترتجف وتنتحب وتقيء عشاءها، ولم تستطع أن تقول لنفسها إلا: لا، لا، لم يكن يُفترض أن يتأذى أحد، كل شيء كان مخططًا، كنتُ حذرةً للغاية. سمعتَ آريو هوتا يجأر: «وراءه».

إياكم أن يهرب. وراءه!». كانت مارسلا على الأرض تُلول وترتعد، وجهها الشاحب في يديها والدماء تسيل من بين أصابعها. لم تفهم آريان. كان بعض الرجال يهرعون ممتطيًا الخيول وبعضهم يُحيط بها وبرفاقها، لكن لا شيء بدا لها مفهوماً. لقد وقعت في حُلْم، في كابوسٍ أحمر-ش-نيع. لا يمكن أن يكون هذا حق-يقياً.

سأصحو قريبًا وأضحكُ مما أصابني ليلًا من فزع.

حين قيّدوا يديها وراء ظهرها لم تُحاول المقاومة، ثم سحبها أحد الخرس بحدةٍ لتقف فرأت أنه يرتدي ألوان أبيها، وانحنى آخر وانتزعَ من حذائها سكينها الذي كان هديةً من ابنة عمّها اللي-دي-ن-يم. التقطه آريو هوتا من الرجل، وأعلنَ ودماء آري-س أوكهارت تُلطخ وجنتيه وجبهته: «الأمير قال إن عليّ أن أعيدك إلى (صنسبير). أسف يا أميرتي الصغيرة».

رفعتَ آريان وجهًا خطّطته الدُموع، وسألت قائد الخرس: «كيف عرف؟ لقد توخيتُ الحذر الشديد. كيف أمكنه أن يعرف؟».

هزّ هوتا كتفيه مجيبًا: «أحدهم وشى، أحدهم يشي دومًا».

آريا

كلَّ ليلةٍ قبل النَّومِ تُتَمِّمُ بصلاتها لوسادتها: «السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي». كانت لتهمس بأسماء آل فراي سادة (المعبر) أيضًا لو أنها تعرفها. ذات يومٍ سأعرفُ، وعندها سأقتلهم جميعًا.

لا همسة أكثر خوفًا من أن تُسمَعَ في (دار الأبيض والأسود)، ولذا سألها الرَّجل الطَّيِّب في مرَّةٍ: «ما تلك الأسماء التي تهمسين بها ليلاً أيتها الصَّغيرة؟». قالت: «لستُ أهمسُ بأيِّ أسماء».

- «كاذبة. كلُّ البشر يكذبون وهم خائفون. بعضهم يكذب كثيرًا وبعضهم قليلًا، وبعضهم عنده كذبة واحدة كبيرة يُرَدِّدونها طويلًا إلى أن يكادوا يُصدِّقونها... ولو أن جزءًا صغيرًا منهم يعرف دائمًا أنها لا تزال كذبة، وهو ما يلوح على وجوههم. حدِّثيني عن تلك الأسماء».

مضغت شفتها قائلةً: «الأسماء لا تهم».

رَدَّ الرَّجل الطَّيِّب بإصرار: «بل تهم. أخبريني أيتها الصَّغيرة». سمعت لسان حاله يقول: أخبريني وإلا طردناكِ، فقالت: «إنهم أناس أكرههم، أريدهم أن يموتوا».

- «نسمع صلوات كثيرة كهذه في هذا المكان».

قالت آريا: «أعرف». سبق أن أجابَ چاكن هاجار ثلاثًا من صلواتها. ما كان عليَّ إلا أن أهمس...

واصل الرَّجل الطَّيِّب: «ألذا أتيتِ إلينا؟ لتعلَّمي فنونا كي تقتلي مَنْ تكرهين؟». لم تدرِ آريا بِمَ تُجيب، فقالت: «ربما».

- «إذن فقد أتيتِ إلى المكان الخطأ. ليس لكِ أن تُقرَّري مَنْ يعيش ومَنْ يموت. الهدية تنتمي إليه هو ذي الوجوه العديدة، وما نحن إلا خُدَّامه المقسمون على تنفيذ إرادته».

- «أوه». تطلَّعت آريا إلى التَّمائيل الواقفة عند الجُدُران والشُّموع الوامضة عند أقدامها، وسألت: «أيُّ إلهٍ هو؟».

جاوبها الكاهن المتَّشح بالأبيض والأسود: «إنه هم جميعًا».

لم يُخبرها الرَّجل باسمه قطُّ، وكذا اللَّقِطة، الفتاة الصَّغيرة ذات العينين الكبيرتين والوجه الضَّاوي التي تُذكِّرُها بصغيرةٍ أخرى اسمها بنت عرس. مثل آريا تعيش اللَّقِطة تحت المعبد مع ثلاثة من المُعاونين وخادمين وطاهيةٍ اسمها أوما. تحبُّ أوما الكلام فيما تعمل، غير أن آريا لا تفهم كلمةً تتفوَّه بها، أمَّا الآخرون فلا أسماء لهم، أو أنهم محجِّمون عن الإفصاح بها. أحد الخادمين عجوز

للغاية وظهره محني كالقوس، والثاني متورّد الوجه وينمو الشّعْر من أذنيه، وقد حسبتهم آريا أبكمن إلى أن سمعتهم يصلّيان. المُعاونون أصغر؛ أكبرهم في سنّ أبيها والاثنان الآخران لا يُمكن أن يكونا أكبر من سانزا التي كانت أختها، ويرتدي ثلاثتهم الأبيض والأسود أيضًا، لكن أرديتهم بلا قلنسوة، وسوداء على اليسار وببضاء على اليمين، في حين يرتدي الرّجل الطيّب واللقيطّة العكس. أعطيت آريا ملابس الخدم؛ سُترة قصيرة من الصوف غير المصبوغ وسراويل فضفاضة وثيابًا داخلية من الكتّان، بالإضافة إلى خُفين من القماش لقدميها.

وحده الرّجل الطيّب يعرف اللّغة العاميّة، وكلّ يوم يسألها: «مَن أنت؟»، فتُجيب: «لا أحد». تقولها تلك التي كانت آريا سليفة عائلة ستارك، آريا المُداسة، آريا وجه الحصان، والتي كانت أيضًا آري وبنت عرس والكتكوت ومِلحة، وكانت نان السّاقية، فأرًا رماديًا، نعجة، شبح (هارنغال)... لكن ليس حقًا، ليس في أعماق أعماقها. هناك هي آريا ابنة (وينترفيل)، وليدة اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين، التي كان لها في الماضي إخوة يُسمّون روب وبران وريكون، وأخت اسمها سانزا، وذئبة رهيبة اسمها نايميريا، وأخ غير شقيق اسمه چون سنو. هناك في الدّاخل هي شخص ما... لكن تلك ليست الإجابة التي يرغب فيها.

دون لغة مشتركة لا تجد آريا وسيلة للكلام مع الآخرين، لكنها تُصغي إليهم وتُكرّر الكلمات التي تسمعها لنفسها بينما تُمارس عملها. مع أن أصغر المُعاونين أعمى فإنه المسؤول عن الشّموع، فيطوف في المعبد بخُفين لئِن محاطًا بغمغمة النّساء المسنّات إللاّتي يأتين بصفة يومية للصّلاة، وحتى بلا بصر يعرف دائمًا أيّ الشّموع انطفأ، وهو ما علّله الرّجل الطيّب قائلاً: «الرّائحة تُرشّده، والهواء أكثر دفئًا حيث تشتعل الشّموع»، وقال لآريا أن تُغلّق عينيها وتُجرب بنفسها.

في الفجر يُصلّون راكعين حول البركة السّوداء الرّاكدة قبل أن يُفطروا، وفي بعض الأيام يقود الرّجل الطيّب الصّلاة وفي بعضها تقودها اللقيطة. لا تعرف آريا إلا كلمات معدودة من البرافوسيّة، تلك التي لها المعاني نفسها بالغاليريّة الفُصحى، ولذا تتوجّه بصلاتها الخاصّة إلى الإله عديد الوجوه. «السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي». تُصلي في صمت، وإذا كان الإله عديد الوجوه إلها حقًا فسيسمعها.

يأتي المتعبّدون (دار الأبيض والأسود) كلّ يوم. معظمهم يأتي وحده ويجلس وحده، فيُشعلون الشّموع عند مذبح أو آخر ويُصلّون إلى جوار البركة وأحيانًا يكون، ويشرب بعضهم من الكوب الأسود ويخلد إلى النّوم، لكن عددًا أكبر لا يشرب. ليست هناك شعائر أو ترانيم أو أناشيد ثناء تُسرّ الآلهة، ولا يمتلئ المعبد أبدًا، لكن بين الفينة والفينة يطلب أحد المتعبّدين أن يرى كاهنًا، فيأخذه الرّجل الطيّب أو اللقيطة إلى المعتكف في الأسفل، لكن ذلك لا يحدث كثيرًا.

ثلاثون إليها مختلِفًا يقفون عند الجدران محاطين بالأضواء الخافتة. رأت آريا أن المرأة الباكية هي المفضلة عند النساء المسنّات، بينما يُفضّل الأثرياء أسد الليل والفُقراء عابر السبيل المقلّنس، ويُضيء الجنود الشّموع للطفل الشّاحب باكالون، والبحّارة للعذراء شاحبة القمر وملِك شعب البحار. للإله الغريب مقامه هنا أيضًا، ولو أن المتعبّدين عنده نُدره، وأكثر الوقت تقف شمعة وحيدة تتذبذب عند قدميه، لكن الرّجل الطيّب أخبرها بأن هذا لا يهم، وقال: «إن له وجوهًا عدّة وأذانًا عدّة يسمع بها».

الهضبة التي يرتفع فوقها المعبد ملأى في باطنها بالمرمّات المنحوتة في الصّخر. في المستوى الأول حُجيرات نوم الكهنة والمُعاونين، وفي الثاني تنام آريا والخدم، أمّا المستوى الأدنى فمحرمّ دخوله على الجميع باستثناء الكهنة، إذ يضمّ المعتكف المقدّس.

عندما لا تعمل آريا تكون لها حريّة التّجوال في الأقبية والمخازن، شريطة ألا تُغادر المعبد أو تنزل إلى المستوى الثالث. وجدت حُجرة تملأها الأسلحة والدُّروع؛ حُود منمّقة وواقيات صدور قديمة غريبة الشّكل وسيوف طويلة وسكاكين وخناجر ونُشابيّات وحِراب طويلة تتخذ رؤوسها شكل أوراق الشّجر. ووجدت أحد الأقبية متخمًا بالملابس؛ فراء سميك وحرير فاخر بعشرات الألوان إلى جوار أكوامٍ من الأسمال كريهة الرائحة والخيش المهترئ. قالت آريا لنفسها بثقة: لا بُدّ أن هناك حُجرات فيها كنوز أيضًا، وتخيّلت أكداسًا من الأطباق الذهب وصُرةً ملأى بالعمّلات الفضة والياقوت الأزرق كالبحر وحبّالًا من اللّآلئ الخضراء الكبيرة. في يومٍ وجدت الرّجل الطيّب أمامها على غير انتظارٍ يسألها عمّا تفعله، فقالت له إنها ضلت الطريق.

- «كاذبة، والأدهى أنك لا تُجيد الكذب. من أنت؟».

- «لا أحد».

تنهّد قائلاً: «كذبة أخرى».

كان ويز ليضربها حتى يُدميها لو ضبطها متلبّسةً بالكذب، لكن الأمر مختلف في (دار الأبيض والأسود). عندما تُساعد في المطبخ تضربها أوما أحيانًا بملعقتها إذا اعترضت طريقها، لكن أحدًا آخر لم يرفع يده عليها. لا يرفعون أيديهم إلّا للقتل.

انسـجمت آريا مع الطّاهية بما فيـه الكفاية. تزع أوما سـكينا في يـدها وتشيـر إلى بصـلة فتقطّعها، تدفعها أوما نحو كتلة من العجـين فتعجنـها إلى أن تقـول لـها الطّاهية أن تتوقف («توقفي») هي أول كلمة برافوسية تعلّمتها، تُناولها أوما سمكةً فتُنظفها وتُقطّعها إلى شرائح تُدورها في المكسرات التي تسحقها الطّاهية.

شرّح لها الرّجل الطيّب أن الميـاه المسـوس⁶¹ التي تُحيط

بـ(براقوس) تعجّ بأسـمـاك وأصـدافٍ من جمـيع الأنواع، وثـمّة نـهر بـيـي بطيء يصـب في الـهـوـر من الجنـوب ويمضي متعرجًا في مساحةٍ مديدة من البوصي والبرك المدية والسهول الطينية، ولذا فهناك وفرة دائمة من المحار وأم الخلول وبلح البحر وسمك الكراكي والصفـادع والسلاحف وسـراطين الوحـل والسـراطين الرقطاء والسـراطين المتسـلقة وثعـابين المـاء الحـمراء والـسوداء والمخططة وأسـماك الشـلـق ومحـار الـلؤلؤ، وكل هذه الأصناف يتكرّر ظهوره على المائدة الخشبية المنقوشة التي يتناول عليها خدم الإله عديد الوجوه وجباتهم. في بعض الليالي تُتبل أوما السمك بملح البحر وحَبّ الفلفل المكسّر أو تطهو ثعابين الماء بالثوم المفروم، وكل فترة طويلة تُضيف الطاهية قليلًا من الزعفران أيضًا. كان هوت پاي ليحب هذا.

العشاء وقتها المفضل من اليوم، فقد مضى وقت طويل منذ خلدت آريا إلى النوم كلّ ليلة ببطنٍ ممتلئ. في بعض الليالي يسمح لها الرجل الطيب بأن تُلقي عليه أسئلة، فسألته في مرّة لماذا يبدو الناس الذين يأتون المعبد هادئين في سلامٍ دائمًا. في وطنها يخاف الناس الموت، وتذكّر كيف بكى المرافق ذو البثور حين طعنته في بطنه، وكيف توسّل السير آموري لورك حين ألقاه الكباش في حُبّ الدُّب، وتذكر القرية عند (عين الآلهة) وصريخ القرويين وعويلهم ونحيبهم ما إن يبدأ المدغِدغ في السؤال عن الذهب.

أجابها الرجل الطيب: «الموت ليس أسوأ شيء في الدنيا. إنه هديّة الإله إلينا، نهاية للحاجة والألم. يوم نولد يُرسل الإله عديد الوجوه إلى كلّ منا ملاك ظلمة يمضي إلى جوارنا في الحياة، وحين تصير خطايانا ومعاناتنا أثقل من أن نستطيع حملها يأخذنا الملاك من يدنا ويقودنا إلى أراضٍ الليل حيث تلتهم النجوم بلا نهاية. من يأتون للشرب من الكوب الأسود يبحثون عن ملائكتهم، وإذا كانوا خائفين تُهدّي الشموع روعهم. عندما تشمين شموعنا فغيم تجعلك تُفكرين يا صغيرتي؟».

أرادت أن تقول: (وينترفـل). أشـم الثـلـج والـدُخان وإبـر الصنـوبـر، أشـم الاسـطبلات، أشـم هـودور يـضـحك وچون وروب يتبـارزان في السّاحة وسـانزا تُغني عـن ليـدي جمـيلة حمقاء ما، أشـم السـراديب حيث يجلس الملوك الحجريون، أشـم الخبز الطازج، أشـم أيكـة الآلهة، أشـم ذئبتي، أشـم فروها كأنها لم تزل إلى جوارِي، غير أنها ردّت لترى ما سيقوله: «لا أشـم شيئًا».

- «كاذبة، لكن لك أن تحتفظي بأسراركِ إذا شئتِ يا آريا يا سليفة عائلة ستارك». لا يدعوها بهذا الاسم إلا عندما تُثير استياءه. «تعرفين أنكِ تستطيعين مغادرة هذا المكان. إنكِ لستِ منا بعد. يُمكنكِ العودة إلى وطنكِ متى أردتِ».

- «قلت لي إنني إذا غادرتُ فلا يُمكنني العودة».

- «بالضبط».

أحزنتها الكلمة. اعتادَ سيريو أن يقولها أيضًا، كان يقولها طوال الوقت. سيريو فورل علّمها أشغال الإبرة وماتَ من أجلها. «لا أريدُ أن أرحل».

- «ابقي إذن... لكن تذكّري أن (دار الأبيض والأسود) ليست بيتًا للأيتام. كلُّ البَشَر واجبهم الخدمة تحت هذا السَّقْف. فالار دوهائيرس كما نقولها هنا. ابقي إذا شئتِ، لكن اعلمي أننا سنتطلّب طاعتك في جميع الأحيان وفي كلِّ الأشياء. إذا كنتِ لا تستطيعين التزام الطّاعة فعليكِ أن ترحلي».

- «أستطيعُ التزام الطّاعة».

- «سنرى».

كلّفوهـا بواجباتٍ أخرى بخـلاف مسـاعدة أومـا، فتكنـس آريـا أرضـيات المعبد وتُقَدِّم الوجبات وتصبُّ الشّراب وتفرز أكـوام ثيـاب الموتـى وتُفرغ صُـر نقـودهم وتُحصـي الـعُـمـلات الغريـبة. كلَّ صـباح تسـير إلـى جـوار الرّجـل الطيّـب بينمـا يـدور فـي أنحـاء المعبد بحـثّا عـمّن مرّاتوا، فتقـول لنفسـها متـذكّرة سـيريو: بصـمت الـظلال. تحملـ مصباحًا بمـصاريـع حديدية سميكة، وعند كلِّ فجوةٍ تُوارب مصراعًا لترى إن كان هناك أحدهم ميتًا فيها.

ليس العثور على الموتى عسيرًا أبدًا. إنهم يأتون (دار الأبيض والأسود) ويصلّون ساعةً أو يومًا أو عامًا، ثم يشربون الماء الدّاكن الحلو من البركة، ويتمدّدون على فراش من حجر وراء إله أو آخر، ويغلقون أعينهم وينامون ولا يستيقظون بعدها أبدًا. قال لها الرّجل الطيّب: «هدية الإله عديد الوجوه تتخذ عديد الصُّور، لكنها رفيقة دومًا هنا». حين يجدان جثةً يرِدُّد صلاةً ويتأكّد من أن الرُّوح فاضت، وتجلب آريا الخادمين المكلفين بحمل الموتى إلى الأقبية، وهناك يُجرّد المُعاونون الجُثث من الثّياب ويُغسلونها، وتوضّع الثّياب والنُّقود والمقتنيات الأخرى في سلةٍ للفرز، ثم تُؤخذ الأجساد الميتة الباردة إلى المعتكف في الأسفل حيث الدُّخول متاح للكهنة وحدهم، أمّا ما يحدث هناك فليس مسموحًا لآريا بأن تعرفه. في مرّةٍ بينما تتناول عشاءها استحوذَ عليها شكٌّ رهيب، ووضعت سكينها وحدّقت بريبةً إلى شريحةٍ من اللحم الأبيض الشّاحب، فرأى الرّجل الطيّب الرُّعب على وجهها، وقال لها: «إنه لحم خنزير أيتها الصّغيرة، لحم خنزير فقط».

سريرها من الحجر ويُذكّرُها بـ(هارنهال) والسّرير الذي نامت عليه هناك وقت أن كانت تُنظّف السّلالم لوزير، وحشيتته مليئة بالخرق بدلًا من القش، وهو ما جعلها أكثر تكـتلاً مـن تلـك التـي اعتـادت الـتّوم عليـها فـي (هارنـهال)، لكنـها أقـلُّ وخزّا أيـضًا. مسـموحٌ لـها بالـعدـد الـذي تُريـده مـن الـأعطـية الـصّوف السّميكة، مـنـها الـأحمر والأخضر ومربّع النّقش، كما أن حُجيرتها لها وحدها، وهناك تحتفظ بكنوزها؛ الشّوكة الفضيّة والقبّعة العريضة

والْفَقَّاز الذي بلا أصابع، وكلّها أشياء أهداها إليها بَحَّارَة (ابنة المارد)، بالإضافة إلى خنجرها وحقائنها وحزامها وحصيلتها الصَّغيرة من النقود والملابس التي كانت ترتديها...
(والإبرة).

على الرغم من أن واجباتها تترك لها قليلاً من الوقت لأشغال الإبرة فإنها تتدرب متى استطاعت وتُنْزِلُ ظِلَّها على ضوء شمع زرقاء. ذات يوم مرّت اللَّقِيطَة مصادفةً ورأت آريا في مران المبارزة، فلم تقل الفتاة شيئاً ولكن في اليوم التالي ساق الرجل الطيب آريا إلى حُجِيرَتِها، وقال لها مشيراً إلى كنوزها: «عليك أن تتخلصي من كلّ هذه الأشياء».

قالت آريا مذعورةً: «إنها ملكي».

- «ومَنْ أنتِ؟».

- «لا أحد».

التقط شوكتها الفضة، وقال: «هذه ملك آريا سليلة عائلة ستارك، كلّ هذا ملكها. لا مكان لهذه الأشياء هنا، ولا مكان لها أيضاً. إن اسمها اسم رفيع للغاية، ولا مجال هنا للترفع. إننا خدم».

مجروحةً قالت: «أنا أخدم». لقد أحبّت هذه الشّوكة الفضة.

- «بل تلعبين دور الخادمة، لكنك ما زلتِ ابنة لورد في قلبك. لقد حملتِ أسماءً أخرى، لكنك وضعتها على نفسك بالاستخفاف نفسه كما لو أنك تضعين فُستَانًا، وتحتها ظلت آريا موجودةً دائماً».

- «لا أرتدي الفساتين! لا يُمكنك أن تُقاتِلَ بينما ترتدي فُستَانًا سخيفًا!».

سألها: «ولم تُريدين أن تُقاتِلِي؟ هل أنتِ مُبارز براؤو يتبختر في الأزقة متعطّشاً للدِّماء؟»، وتنهد متابعاً: «قبل أن تشربي من الكوب البارد عليك أن تهبي كيانك كلّهُ له هو ذي الوجوه العديدة؛ جسدك، روحك، نفسك. إذا كنتِ لا تستطيعين أن تدفعي نفسك إلى فعل ذلك فيجب أن تُغادِري هذا المكان».

- «العُملَة الحديد...».

- «... دفعت بها ثمن رحلتكِ إلى هنا، ومن هنا عليك أن تدفعي لتسلُكي طريقك، والتَّكْلِفَة باهظة».

- «لا أملكُ ذهبًا».

- «ما نُقَدِّمُه لا يُشْتَرى بالذهب. التَّكْلِفَة أنتِ بأكملكِ. البَشَر يَسْلُكون مختلف الطرق في وادي الدُموع والآلام هذا، وطريقنا الأصعب، قلائل مخلوقون للمشى فيه».

إنه يتطلب قوَّة نادرة للجسد والروح، وقلبًا صلبًا وطيدًا». هناك فجوة في الموضع الذي يُفترض أن يحتله قلبي، ولا مكان آخر أذهب إليه. «إنني قويَّة، قويَّة مثلك، إنني صلبة».

قال كأنه سمع أفكارها: «تعتقدين أن هذا هو المكان الوحيد لك، لكنك مخطئة. ستجدين خدمةً أقلَّ مشقَّةً في منزل أحد التُّجَّار، أم أنك تُفضِّلين أن تكوني محظيَّةً يتغنَّون بجمالها؟ ما عليك إلا أن تقولي وسنُرسلك إلى (اللؤلؤة السوداء) أو (ابنة الغسق). ستنامين على بتلات الورد وترتدين تنانير حريريَّة تحف حين تمشين، وسيدفع السَّادة العظام ثرواتٍ طائلةً ويُفقدون أنفسهم من أجل دم بكارتك. أو إذا كنتِ راغبةً في الزَّواج والأطفال فأخبريني وسنجد لك زوجًا، صبيًا حريفًا ما أو عجوزًا غنيًّا أو رَحَّال بحار، أيَّا كان ما تُريدين».

لا تُريد آريا شيئًا من ذلك، ولذا هزَّت رأسها بصمت. - «هل تحلمين بـ(وستروس) إذن أيتها الصَّغيرة؟ (سيِّدة البريق) سفينة لوكو بريستين سترحل غدًا إلى (بلدة التَّوارس) و(كينجز لاندنج) و(تايروش). هل نجد لك مكانًا عليها؟».

- «لقد جئتُ لتوي من (وستروس)!». أحيانًا يبدو كأن ألف عام مرَّت منذ فرَّت من (كينجز لاندنج)، وأحيانًا كأن هذا حدثٌ البارحة فحسب، لكنها تعلم أنها لا تستطيع العودة. «سأذهب إذا كنت لا تُريدين، لكني لن أذهب إلى هناك».

قال الرَّجل الطَّيب: «ما أريده لا بهمُّ. ربما قادك الإله عديد الوجوه إلى هنا لتكوني أداته، لكن حين أنظر إليك أرى طفلةً... والأدهى أنك فتاة. كثيرون خدموا الإله عديد الوجوه على مرِّ القرون، لكن أقلَّ القليل من خدمه كن نساءً. النِّساء يأتين بالحياة إلى الدُّنيا، ونحن نجلب هديَّة الموت. لا أحد يستطيع أن يفعل هذا وذلك».

يُحاول أن يُخيفني لأرحل كما فعل من قبل بالدَّودة. «لا أبالي بهذا». - «عليك أن تُبالي. ابقي وسيأخذ الإله عديد الوجوه أذنك وأنفك ولسانك، سيأخذ عينيك الرَّماديتين الحزینتين اللتين رأيتا الكثير، سيأخذ يديك وقدميك وساقيك وعورتك، سيأخذ آمالك وأحلامك وحُبَّك وكراهيتك. مَنْ ينخرطون في خدمته عليهم التَّخلِّي عن كلِّ ما يجعلهم همُّ. هل تستطيعين أن تفعلي ذلك؟»، وأمسك الرَّجل الطَّيب ذَقنها بأصابعه وتطلع إلى عينيها سابرًا أغوارهما لدرجة جعلتها ترتجف، وأردف: «لا، لا أظنُّ أنكِ تستطيعين».

ضربت آريا يده مزيجًا إياها، وقالت: «أستطيع إذا أردت». - «هذا ما تقوله آريا سليفة عائلة ستارك، أكلة دود القبور».

- «أستطيع التَّخلِّي عن أيِّ شيءٍ أريده!». أشار إلى كنوزها قائلاً: «ابدئي بهذه إذن».

ليلتها بعد العشاء عادت آري إلى حُجيرتها وخلعت ثيابها وهمست بأسـمائها، لكن اليوم أـبـى أن يأتيها، وظلت تتقـلب على الحشـيئة المليئة بـالـخـرق وهـي تـمـصُ شفـتها شاعـرةً بالفجوة في داخلها حيث كان قلبها.

فـي جـوف الـليل قـامت ثـانيـةً وارتـدت الثـياب التـي كـانت عـليـها فـي الطـريق مـن (وسـتروس)، وتمنطقت بـحزام سـيفها معلقـة (الإبرة) عـلى أـحـد وركبـيها وخنجرهـا عـلى الثـاني. بقبعتها العريضة على رأسها وقفازا عديم الأصابع المدسوس في حزامها وشوكتها الفضيّة في يدها تحرّكت صاعدة السّلام بخفّة مفكّرة: لا مكان هنا لآريا سـليـلة عـائـلة سـتـارك. مكان آريا في (وينترفل)، لكن (وينترفل) ضاعت. عندما تسقط الثلوج وتهبّ الرّيح البيضاء ينفّـق الذئب الوحيد بينما ينجو القطيع. غير أنها بلا قطع. لقد قتلوا قطيعها، قتله السير إلين والسير مـرين والملكة، ولمّا حاولت أن تُكوّن واحدًا جديدًا فرّ أفرادها جميعًا؛ هوت پای وجندري ويورن ولومي أخضر اليد، وحتى هاروين الذي كان رجل أبيها.

خرجت من الباب إلى الليل.

إنها المرّة الأولى التـي تـخـرُج فـيـها مـن ذـخـلـت المـعـبـد. كـانت السّماء غائمة والأرض يُغطّيها الضباب كـدثار رمادي متـهـتـك، وإلى يمينها سـمعت تجـذيفًا مـن إـحـدى القنـوات، ففكرت: (برافوس)، المدينة السـريّة. يـبدو لها الـاسـم لائـقًا لـلـغـاية. انسلت نازلة السّلام المنحدرة إلى الرّصيف المسقوف بينما تدور دوّامات الضباب حول قدميها بكثافةٍ حالت دون أن ترى الماء، وإن سمعته يرتطم بنعومة بالركائز الحجرية، ورأت من بعيد ضوءًا يتوهج في الغيوم، فخطر لها أنها النّار الليلية في معبد الرّهبان الحمر.

توقفت على حافة الماء وفي يدها الشبّوكة المصنوعة من الفضة الخالصة. ليست شوكتي، لقد أهداها إلى ملحة. ألقتها إلى أسفل وسمعت صوت تناثر المياه الخافت إذ غاصت فيها. بعدها ألقت القبعة العريضة والقفاز، فهما أيضًا ملك لمِلحة، ثم إنها أفرغت محتويات جرابها في كفّها؛ خمسة أيائل فضيّة وتسع نجومٍ نحاسيّة وبعـض البنسـات وأنصاف البنسـات والجـراوت. نثرتـها جـمـيعًا فـي المـاء، ثـم حـان دور حـذاءها الـذي أـحـدث الـصـوت الأعلـى، وبعـده الخنجر الـذي أخـذته مـن القـوّاس الـذي تـوسّل مـن كـلب الصّيد الرّحمة، ثم ألقت حزام سيفها في القناة، ومعطفها وسُترتها وسراويلها وثيابها الدّاخليّة.

ألقت كلّ شيءٍ باستثناء إبرتها.

وقفت في أقصى الرّصيف شاحبةً مقشعرةً الجلد ترتجف في الضباب، في يدها إبرتها كأنها تهمس لها وتقول: اطعنهم بالطرف المدبّ، وتقول: لا تخبري سانزا!

على النَّصْل علامة ميكن. إنه مجرد سيف. إذا احتاجت إلى سيفٍ فهناك مئة تحت المعبد، ثم إن (الإبرة) أصغر من أن يكون سيفًا حقيقيًا، بالكاد أكثر من لعبة. لقد كانت فتاةً صغيرةً حمقاء حين صنعه چون لها. «إنه مجرد سيف»، قالتها بصوتٍ عالٍ هذه المرة...
... لكنه ليس كذلك.

إبرت-ها روب وب-ران وريك-ون، أمه-ا وأبوه-ا، وحت-ي س-انزا. إبرت-ها جُدران (وينترف-ل) الرّم-ادية وض-حك أهل-ها. إبرت-ها ثل-وج الصّي-ف وقص-ص العج-وز ن-ان وش-جرة القل-وب بأوراقها الحمراء ووجهها المخيف ورائحة التربة الدّافئة في الصوبة الزّجاجيّة وصوت رياح الشّمال إذ ترج مصاريع عُرفت-ها. إبرت-ها ابتسامة چون سنو. قالت لنفسها متذكّرة: اعتادَ أن ينفش شَعري ويدعوني بـ«أختي الصّغيرة»، وفجأةً كانت العبرات تُغرق عينيها.

بوليفر سرقَ منها السّيف عندما أسرّها رجال الجبل، ثم إذا به هناك حين دخلت الخان على تقاطع الطرق مع كلب الصّيد. الآلهة أرادتني أن أحمله. ليست الآلهة السّبعة ولا الإله عديد الوجوه، بل آلهة أبيها، آلهة الشّمال القديمة. فليأخذ الإله عديد الوجوه البقيّة، لكن لا يُمكنه أن يأخذ هذا.

صعدت السّلالم عاريةً كيوم مولدها وقد أطبقت على إبرت-ها، وفي منتصف الطريق إلى أعلى اهتزّ حجر تحت قدمها، فركعت آريا وحفرت حول حوافه بأصابعها. لم يتحرّك في البداية، لكنها ثابرت مكسّرةً الملاط المتفتّت بأظفارها، إلى أن تحرّك الحجر أخيرًا، فأثت ومدّت يديها معًا تسحبه، وانفتح شقٌّ أمامها.

قالت لـ(الإبرة): «ستكون آمنًا هنا. لا أحد يعرف مكانك غيري»، ودست السّيف والغمد وراء الدّرجة ثم أعادت الحجر إلى موضعه ليبدو كسائر الأحجار الأخرى من جديد، وبينما واصلت طريقها إلى أعلى عدت الدّرجات لتعلم أين تجد السّيف ثانيةً. ذات يومٍ قد تحتاج إليه. همست لنفسها: «ذات يوم».

لم تُخبر الرّجل الطيّب بما فعلته، لكنه علم، وفي اللّيلة التّالية أتاها في حُجبرتها بعد العشاء، وقال: «تعالى واجلسي معي أيتها الصّغيرة. عندي حكاية أودُّ أن أحكيها لك».

سألته بحذر: «حكاية ماذا؟».

- «حكاية بداياتنا. إذا كنت تُريدين أن تكوني منا فالأفضل أن تعرفي مَن نحن وكيف جئنا إلى الوجود. ربما يتهامس النَّاس عن رجال (برافوس) عديمي الوجوه، لكننا أقدم من المدينة السّريّة. قبل أن يرتفع (المارد) وقبل أن يُميط أوثيرو اللّثام عن المدينة وقبل تأسيسها كنا نحن. لقد أينعنا في (برافوس) وسط هذا الضّباب الشّمالي، لكن جذورنا تعود إلى (فاليريا) وعبيدها البائسين الذين كدحوا في المناجم العميقة تحت (الأربع عشرة شُعلة) التي كانت تُضيء ليالي المعقل الحُر قديمًا.

معظم المناجم مظلم بارد ومحفور في الحجر الميت، لكن (الأربع عشرة شُعلة) كانت جبلاً حيّةً عروقتها من صخر مصهور وقلوبها من نار، وهكذا كانت مناجم (غاليريا) ساخنةً دوماً، وتزايدت سخونتها أكثر فأكثر كلما حُفِرَ المزيد من الأنفاق في الأعماق. كان العبيد يكُدُّون في أتون، الصخور حولهم أسخن من أن يلمسوها، والهواء يعبق برائحة الكبريت ويسفع رئاتهم مرةً كل نفس يدخل صدرهم، وتُحرق الأرض باطن أقدامهم وتُفَرِّجها حتى مرةً انتعالهم أكثر الصنادل سماًكةً.

أحياناً عندما يخترقون جداراً بحثاً عن الذهب كانوا يجدون بدلاً منه بُخاراً أو مياهًا تغلي أو صخوراً مصهورةً، وبعض الأنفاق كان واطناً للغاية ولا يستطيع العبيد الوقوف فيه معتدلين، فكانوا يزحفون أو ينحنون. وكانت هناك ديدان في تلك الظلمة الحمراء أيضاً.

سألته مقطّبةً جبينها: «ديدان الأرض؟».

- «ديدان النار. يقول بعضهم إنها من جنس الثنانين، فتلك الديدان تنفث النار أيضاً، ولكن بدلاً من التخليق في السماء تنخر الحجارة والتربة. إذا صدقنا الحكايات القديمة فديدان النار كانت تعيش في (الأربع عشرة شُعلة) من قبل مجيء الثنانين. أصغرّها ليس أكبر من ذراعك الناحلة هذه، لكنها تنمو إلى أحجام رهيبية ولا تحب البشر على الإطلاق».

- «هل قتلت العبيد؟».

- «كثيراً ما كان يُعثَر على الجثث المحروقة والمسوّدة في الأنفاق التي تشقّت جذرانها أو امتلأت بالفتحات، وعلى الرغم من ذلك تواصل حفر الأنفاق في أعماق أبلغ وأبلغ. كان العبيد يهلكون بالعشرات لكن أسيادهم لم يُبالوا. بالنسبة إليهم كان الذهب الأحمر والأصفر والفضة أثمن من أنفُس العبيد، والعبيد كانوا رخيصين في المعقل الحُر القديم. في الحروب كان الغاليريون يأسرونهم بالآلاف، وفي أوقات السّلام كانوا يجعلونهم يتوالدون، ولو أن أسوأهم فقط كان يُرسل ليموت في الظلمة الحمراء».

- «ألم يثر العبيد ويُقاتلوا؟».

- «بعضهم. كانت التمرّدات شائعةً في المناجم، لكن قليلاً منها حقّق شيئاً. سادة الثنانين في المعقل الحُر القديم كانوا أقوياء في الشعوذة، وكان من هم أدنى منهم يتحدثونهم معرّضين أنفسهم للخطر. أول رجلٍ عديم الوجه كان من هؤلاء».

اندفعت آريا تسأل قبل أن تتوقّف لتُفكّر: «مَن كان؟».

أجابها: «لا أحد. بعضهم يقول إنه كان عبداً، ويصرّ غيرهم على أنه كان ابناً لأحد الأسياد مولوداً من سُلالة نبيلة، بل وهناك من يقول إنه كان مُشرقاً أشفقاً على من يعملون تحت إمرته، لكن الحقيقة أن لا أحد يعلم. أياً

لأن فريد اعتاد أن يتحرك بين الدقيق ويسمع صلاتهم. لأن أناس من مئة أمة مختلفة يُعانون في المناجم، كلٌّ منهم يدعو ربّه بلُغته، لكن جميعهم كان يُصلي طالبًا الشئ نفسه. كانوا يطلبون الخلاص ونهاية الألم، شيء صغير بسيط، لكن ألهمهم لم تُجب واستمرّ عذابهم. تساءل الرجل: هل ألهمهم كلّها صمّاء؟ إلى أن أتته الإجابة ذات ليلة في الظلمة الحمراء. لكلّ الآلهة أدواتها، رجال ونساء يخدمونها ويُساعدون على تنفيذ إرادتها على الأرض. لم يكن العبيد يتضرعون إلى مئة إلهٍ مختلف كما بدأ، وإنما إلى إلهٍ واحد له مئة وجهٍ مختلف... والرجل كان أداة هذا الإله. في الليلة ذاتها اختار أكثر العبيد تعاسةً، الذي كان يُصلي بحرارةٍ أشد من غيره ناشدًا الخلاص، وعتقه من عبوديته. ليلتها أعطيت الهدية الأولى».

تراجعت آريا قائلةً وقد بدا لها الكلام خاطئًا: «قتل العبد؟! كان المفترض أن يقتل الأسياد!».

- «لاحقًا أعطاهم الهدية أيضًا... لكن تلك حكاية ليومٍ آخر، حكاية الأفضل أن تطلع عليها من هي لا أحد»، وحنى الرجل الطيب رأسه إلى الجانب سائلًا: «ومن أنتِ أيتها الصغيرة؟».

- «لا أحد».

- «كاذبة».

- «وما أدراك؟ أهو السحر؟».

قال: «ليس ضروريًا أن يكون الإنسان ساحرًا ليعرف الصدق من الكذب إذا كانت له عيان. عليك فقط أن تتعلّمي قراءة الوجوه. انظري إلى العينين، إلى الفم، والعضلات هنا في رُكن الفك، وهنا حيث يلتحم العنق بالكتفين»، ومسّها بإصبعين بخفةٍ متابعًا: «بعض الكذابين تطرف أعينهم، وبعضهم يُحمِلق، وبعضهم يُشبح بوجهه، وبعضهم يلحق شفّته، وكثيرون يُغطّون أفواههم قبل أن ينطقوا كذبًا كأنهم يُحاولون إخفاء خداعهم. ثمّة علامات أخرى أقل وضوحًا، لكنها موجودة دائمًا. قد تتشابه ابتسامه زائفة وأخرى صادقة، لكنهما مختلفتان كما الغسق والفجر. هل يمكنكِ تمييز الغسق من الفجر؟».

أومأت آريا برأسها إيجابًا، مع أنها ليست واثقةً باستطاعتها هذا حقًا.

- «إذن فيمكنكِ أن تتعلّمي رؤية الأكاذيب... وبمجرد أن تتعلّمي فلن يأمن منكِ سير».

- «علّمني». ستُصبح لا أحد ما دامَ هذا ما يتطلّبه الأمر. إذا كانت لا أحد فلن تكون في داخلها فجوة.

- «هي ستُعلّمكِ»، قال الرجل الطيب إذ ظهرت اللقيطة خارج بابها. «بدايةً بلُغة (برافوس). مرافقتكِ إذا كنتِ لا تتكلمينها أو

تفهمينها؟ وسـتُعلِّمينها أنـتِ لُغتُكِ، وبهذا ستتعلم كلتاكما معًا من الأخرى. هل ستفعلين هذا؟».

أجابَت: «نعم»، ومنذ تلك اللَّحظة باتت مبتدئةً في (دار الأبيض والأسود). أخذوا منها ملابس الخدم وأعطوها بدلًا منها رداءً من الأبيض والأسود شديد النُّعومة كالِدِّثار الأحمر القديم الذي كانت تغطّي به في (وينترفِل)، وتحت ارتدت ثيابًا داخليةً من الكتّان الأبيض النَّاعم وسُترةً تحتيّةً سوداء تدلّت على جسدها متجاوزةً رُكبتيها.

منذ ذلك الحين تقضي واللّقيطة أوقاتهما معًا في لمس الأشياء والإشارة إليها، وكلُّ منها تُحاول تعليم الأخرى بضع كلماتٍ من لُغتها. بدأتا بكلماتٍ بسيطة ككوب وشمعة وحذاء، ثم كلماتٍ أصعب، ثم جُمْلٍ كاملة. في الماضي اعتادَ سيريو فورل أن يجعلها تقف على ساقٍ واحدة حتى ترتعد، وبعدها أرسلها تُطارِد القُطط، ورقصت آريا رقصة المياه على فروع الأشجار وفي يدها سيف من خشب. كلُّ هذه الأشياء كان صعبًا، لكن هذا أصعب.

حتى الخياطة كانت أمتع من اللُّغات، قالت لنفسها في ليلةٍ بعد أن نسيّت نصف الكلمات التي ظنّت أنها تعلّمتها وأساءت نطق النّصف الآخر لدرجةٍ أضحكت اللّقيطة منها. عباراتي معوجة كما كانت عُزري. لو لم تكن الفتاة صغيرةً مهزولةً لهشّمت آريا وجهها السّخيف، لكنها راحت تمضغ شفّتها بدلًا من ذلك. أغبى من أن أتعلّم وأغبى من أن أستسلم.

تعلّمت اللّقيطة اللُّغة العاميّة أسرع، وذات ليلةٍ التفتت إليها وسألتها: «مَن أنت؟».

أجابتها آريا بالبرافوسيّة: «لا أحد».

- «كاذبة. يجب أن تكذبي مفضّل».

ضحكت آريا قائلةً: «مفضّل؟ تعنين أفضل يا حمقاء».

- «أفضل يا حمقاء. سأريك».

في اليوم التّالي بدأتا لعبة الأكاذيب التي تتبادل فيها كلتاها إلقاء الأسئلة على الأخرى. أحيانًا تُجيبان صدقًا وأحيانًا تكذبان، وعلى السّائلة أن تُحاول التّفريق بين هذا وذاك. بدا أن اللّقيطة تعرف دائمًا، أمّا آريا فعليها أن تُخمين، وأكثر الوقت يكون تخمينها خاطئًا.

في مرّةٍ سألتها اللّقيطة باللُّغة العاميّة: «كم عامًا عندكِ؟»، فجوابت آريا: «عشرة»، ورفعت عشرة أصابع. ظنّها أنها لا تزال في العاشرة، ولو أن التّيّقن عويس، كما أن البرافوسيين يعدّون الأيام بشكلٍ مختلفٍ عن الـوستروسيين. ربما حلّ يوم ميلادها وانقضى بالفعل.

أومات اللّقيطة برأسها وردّت آريا بالإمءاء، وبأفضل ما تعرف من البرافوسيّة

سألت: «كم عامًا عندك؟».

أرّتها اللّقيطة عشرة أصابع، ثم عشرةً أخرى، ثم عشرةً أخرى، ثم سِنَّة. ظلّ وجهها بهدوء المياه الرّاكدة، وفكّرت آريا: لا يُمكن أن تكون في السّادسة والثلاثين، إنها بنت صغيرة. قالت لها: «أنتِ كاذبة»، فهزّت اللّقيطة رأسها نفيًا وأرّتها ثانية: 10 و10 و10 و6، وقالت مقابل 36 بالبرافوسية وجعلت آريا تُردّدها.

أخبرت الرّجل الطيّب بما ادّعت اللّقيطة في اليوم التّالي، فقال الكاهن مقهقها: «لم تكذب. من تُسمّينها اللّقيطة امرأة بالغة قضت حياتها في خدمة الإله عديد الوجوه. لقد سلّمته كيائها كلّ وكلّ ما كان يُمكن أن تكونه وكلّ ما في داخلها من حيوات».

عصّت آريا شفتها، وسألته: «هل سأصبحُ مثلها؟».

- «لا، ما لم تُريدي ذلك. السّموم هي ما جعلها تبدو كما ترينها».

السّموم. الآن تفهم. كلّ ليلةٍ بعد الصّلاة تُفرغ اللّقيطة إبريقًا حجريًا في مياه البركة السّوداء.

ليست اللّقيطة والرّجل الطيّب خادمي الإله عديد الوجوه الوحي-دين، فمن حين إلى آخر يزور غيرهم (دار الأب-يض والأسود). الرّجل البدّين له عينان سوداوان شرستان وأنف معقوف وفم عريض مليء بالأسنان المصفرّة، وصاحب الوجه الصّارم لا يتسّم أبداً وعيناه شاحبتان وشفتاه ممتلئتان داكنتان، والوسيم يتغيّر لون لحيته كلّما رآته ويتغيّر شكل أنفه أيضًا، لكنه يتحلّى دومًا بالوسامة. هؤلاء الثلاثة أكثر من يأتون، لكن هنالك آخرين، مثل ضيق العينين واللورد الصّغير والرّجل المهزول. في مرّة جاء البدّين وضيق العينين معًا، فأرسلت أوما آريا تصبّ لهما الشّراب، وكان الرّجل الطيّب قد قال لها: «عندما لا تصيّن عليك أن تقفي ثابتةً كأنك منحوتة من الحجر. هل يُمكنك هذا؟».

- «نعم». قبل أن تتعلّمي الحركة يجب أن تتعلّمي الثّبات. سيريو فورل أوصاها بهذا منذ زمنٍ طويل في (كينجز لاندنج)، ولقد تعلّمت. في (هارنهل) عملت آريا ساقيةً عند رووس بولتون، الرّجل الذي يُمكنه أن يسلّخك إذا سكبت نبيذه.

قال الرّجل الطيّب: «عظيم. والأفضل أن تكوني عمياء صمًا أيضًا. ربما تسمعين أشياء، لكن عليك أن تتركها تدخل من أذنٍ وتخرج من الثّانية. لا تُنصتي».

سمعت آريا الكثير والكثير ليلتها، لكن معظمه تقريبًا كان بلّغة (برافوس)، وبالكداهمّت كلمةً من عشر. قالت لنفسها: بثبات الحجر، لكنها وجدت مقاومة الثّناؤ صعبةً، وقبل نهاية الليل كان ذهنها قد شردَ بعيدًا، وإذ وقفت هناك حاملةً الإبريق حلمت بأنها ذئبة تركّض حرّةً في غابةٍ يُنيرها القمر وفي أعقابها قطيع عظيم يعوي.

في الصّباح التّالي سألت الرّجل الطيّب: «هل الرّجال الآخرون كهنة كلّهم؟ أتلك وجوههم الحقيقة؟».

- «ماذا تحسبين أيتها الصّغيرة؟».

قالت لنفسها: لا، وقالت له: «هل چاكن هاجار كاهن أيضًا؟ هل تعرف إن كان چاكن سيعود إلى (برافوس)؟».

ببراءةٍ سألتها: «من؟».

- «چاكن هاجارا! لقد أعطاني العُملة الحديد».

- «لا أعرفُ أحدًا بهذا الاسم أيتها الصّغيرة».

- «سألته كيف يُبدّل ملامحه وقال إن هذا ليس أصعب من انتحال اسمٍ جديد إذا عرفتُ الوسيلة».

- «حقًا؟».

- «هل ستريني كيف أبدّل ملامحي؟».

قال: «إذا أردت»، وأمسك ذقنها بأصابعه ودور رأسها مردفًا: «انفُخي وجنتيك وأخرجي لسانك».

ونفخت آريا وجنتيها وأخرجت لسانها.

- «ها قد تبدّلت ملامحك».

- «لم أعني هذا. چاكن استخدم السّحر».

- «كلّ السّحر يأتي بتكلفته أيتها الصّغيرة، ولا بُدّ من سنين من الصّلاة والتّضحية والدّراسة لإتقان التّمويه».

ردّدت مصدومةً: «سنين؟!».

- «لو كان ذلك سهلًا لفعلّه البشّر كلّهم. يجب أن تمشي قبل أن تجري. لم تستخدمين تعويذةً بينما تصلح حيل الممثّلين؟».

- «لا أعرفُ أيّ حيل ممثّلين كذلك».

- «تمرّني على التّلاعب بقسماتك. تحت جلدك عضلات، فتعلّمي كيف تستخدمينها هذا وجهك، وجنتاك، شفتاك، أذناك. يجب ألاّ يُباغتكَ الابتسام والعبوس بالظهور على وجهك دون إرادتك. الواجب أن تكون الابتسامة خادمةً لك وتأتي فقط حين تستدعينها. تعلّمي أن تتحكمي في وجهك».

- «أرني كيف».

قال: «انفُخي وجنتيك»، ففعلت. «ارفعي حاجبيك. لا، أعلى»، ففعلت هذا أيضًا. «عظيم. انظري كم من الوقت تستطيعين إبقاءهما هكذا. لن يستمرّ هذا طويلًا، لكن جرّبي ثانية غدًا. ستجدين مرآةً مايريّة في الأقبية. تمرّني أمامها ساعةً كلّ

يوم. العينان والمنخران والوجنتان والأذنان والشفتان، تعلّمي التّحكّم فيها جميعًا»، وعادَ يضمُّ أصابعه على ذقنها ويسألها: «مَن أنتِ؟».

- «لا أحد».

- «كذبة، كذبة محزنة أيتها الصّغيرة».

وجدت المرأة المايّريّة في اليوم التّالي، وتعوّدت الجلوس أمامها تتلاعب بقسماتها كلّ صباح وكلّ مساءً وعلى جانبيها شمعتين. تحكّمي في وجهك وستستطيعين الكذب.

بعدها بفترة قصيرة أمرها الرّجل الطيّب بمساعدة المُعاونين على تجهيز الجُثث، فلم تجد في عملها هذا صعوبةً تُداني تنظيف السّلالم لوزير. أحيانًا إذا كانت الجثة كبيرةً أو سميكةً يشقُّ عليها ثقلها، لكن أكثر الموتى عظام قديمة جافّة تحت جلود متغصّنة، وبينما تُغسلهم أريا تتطلّع إليهم وتتساءل عما دفعهم إلى البركة السوداء. تذكرت حكاية روتها العجوز نان عن الأشتية الطويلة، وكيف يُعلن من يبلغون من الكبر عتياً أنهم ذاهبون للصّيد، وسمعت العجوز نان تقول: فتبكي بناتهم ويُشـيح ابنـأؤهم بوجهـهم إلى الـتّار، لكن لا أحد يمنعهم أو يسألهم عن الفرائس التي ينتوون اقتناصها في الثّلوج العميقة بينما تعوي الريح الباردة.

تساءلت عما يقوله البرافوسيون العجائز لأبنائهم وبناتهم قبل أن يرحلوا إلى (دار الأبيض والأسود).

دار القمر ودار ثانيةً ولو أن أريا لم تره. ظلّت تخدم وتُغسل الموتى وتتلاعب بقسماتها في المرأة وتعلّم البرافوسيّة وتُحاول أن تتذكر أنها لا أحد.

ثم أرسل الرّجل الطيّب يستدعيها ذات يوم، وقال لها: «لهجتك شنيعة، لكنك تعرفين كلمات تكفي لجعل النّاس يفهمون ما تُريدينه إلى حدٍّ ما. حان الوقت لأن تتركينا فترةً. الطريقة الوحيدة التي ستُجدين بها لُغتنا حقاً أن تتكلّميها من الغسق إلى الفجر. يجب أن تُغادري».

سألته: «متى؟ إلى أين؟».

- «الآن. وراء هذه الجُدُران ستجدين جُزر (برافوس) المئة في بحرّها. لقد تعلّمت مرادفات بلح البحر وأم الخلول والمحار، أليس كذلك؟».

أجابته: «نعم»، وردّدتها بأفضل برافوسيّة تقدر عليها.

جعلته أفضل برافوسيّة تقدر عليها يبتسم، وقال: «لا بأس. على الأرصفة قبل (البلدة الغارقة) ستجدين تاجر أسماك اسمه بروسكو، رجل صالح يُعاني تعباً في ظهره. إنه في حاجةٍ إلى فتاةٍ تدفع عربته وتبيع أم الخلول والمحار وبلح البحر للبحّارة. ستكونين هذه الفتاة، مفهوم؟».

- «نعم».

- «ولمّا يسألك بروسكو فمَن أنتِ؟».

- «لا أحد».

- «لا، لن يصلح ذلك خارج هذه الدّار».

قالت بعد تردّد: «يُمكنني أن أكون ملحة من (الملاحات)».

«ملحة معروفة لترنيسيو تيريس ورجال (ابنة المارد). إنكِ موسومة بالطريقة التي تتكلمين بها، ولذا يجب أن تكوني فتاة من (وستروس)... لكن فتاة مختلفة على ما أظن».

عصّت شفتها متسائلة: «أيُمكنني أن أكون كات؟».

فكّر لحظةً، ثم قال: «كات، نعم. (برافوس) تعجُّ بالقِطط، ولن يلحظ أحد قطّة إضافية. أنتِ كات، يتيمة من...».

- «(كينجز لاندنج)». لقد زارت (الميناء الأبيض) مع أبيها مرّتين، لكن معرفتها بـ(كينجز لاندنج) أفضل.

- «بالضبط. أبوك كان مُشرف ملاحين على متن قادس، ولمّا ماتت أمك أخذك معه إلى البحر، ثم مات بدوره ولم يجد رُبّانه حاجةً إليك، فأنزلك من السفينة في (برافوس). وماذا كان اسم السفينة؟».

أجابَت من فورها: «(نايميريا)».

ليلتها تركّت (دار الأبيض والأسود)، على وَرَكها الأيمن سـكّين حـديدي طويـل يُخفيـه معطفـها المـرقّع البـاهت كمـا ينبغـي لمعطفٍ ترتديه فتاة يتيمة أن يكون. كان حـذاؤها ضـيّقًا على أصـابع قـدميها وسُتـرتـها خـفيفة لـدرجة أن الـريـح تخلّلتـها مـباشـرة... لكـن (برافوس) تمتدُّ أمامـها، وهـواء الـليل يعبـق بـروائح الـدُخان والـملـح والأسماك، والقنوات ملتوية والأزقة أكثر التواء. رمقها النَّاس بفضول وهي تمرُّ وناداهـا الأطفال المتسوّلون بكلماتٍ لم تفهمها، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تتوه في المدينة تمامًا.

قطعت جسرًا حجريًا تحملـه أربـع قنـاطر، ومن منتصفـه رأت صـواري السفن الرّاسية في (ميناء راجمان)، وبينما تمشي تـرنّمت: «السـير جـريـجور، دانسـن، راف المعسـول، السـير إلـين، السـير مـرين، الملكة سـرسـي». بدأ المطر يسـقط، ورفعت أريـال وجـهها لتغسـله القطرات شـاعرةً بسـعادةٍ بالغـة تجعلـها تـرغب في الـرقص، وأضـافت: «فالار مورجولس، فالار مورجولس، فالار مورجولس».

إليني

تَدَقَّقْ ضَوْءَ الشَّمْسِ المَشْرِقَةِ مِنْ النَّوَافِذِ لَتَعْتَـدِلْ إلـإِـيـنـي جالِسَةً فِي فِرَاشِـهَا وتَتَمَطَّى، وَسـمَعَتْهَا جَرْتَشـلِ تَتَحَرَّكُ فَنـهَضَتْ فِي الحـالِ تُحـضِرُ لـِـهَا مَعْطَفَـهَا، إِذْ كـَانَ المَسْكَنُ قَدْ بَرَدَ خِلالَ اللَّيْلِ. وَمَا إِن يَسْتَبْدُّ بِنَا الشِّتَاءَ سَيَكُونُ الطَّقْسُ أَسْوَأَ هُنَا. الشِّتَاءُ سَيَجْعَلُ هَذَا المَكَانَ بَارِدًا كَمَقْبَرَةٍ. ارْتَدَّتْ إلِـيـنـي المَعْطَفُ وَرَبَطَتْهُ حَوْلَ خَصْرِهَا قَائِلَةً: «النَّارُ تَكَادُ تَنْطَفِئُ. ضَعِي المَزِيدَ مِنَ الحَطَبِ إِذَا سَمَحْتَ».

قَالَتْ العَجُوزُ: «كَمَا تَرُغِبُ سَيِّدَتِي».

مَسْكَنُهَا فِي (بُرْجِ العِذْرَاءِ) أَوْسَعُ وَأَفْخَمُ مِنْ غُرْفَةِ النَّوْمِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي وُضِعَتْ فِيهَا حِينَ كَانَتْ اللِّدِي لَا يَسَا حَيَّةً، وَلَهَا الْآنَ غُرْفَةٌ تَبْدِيلُ مَلَابِسٍ وَمِرْحَاضٍ خَاصَّانَ بِهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى شُرْفَةٍ مِنَ الحِجْرِ الأَبْيَضِ المَنْحُوتِ تَطُلُّ عَلَى (الوَادِي). بَيْنَمَا تَوَلَّتْ جَرْتَشْلَ إِذْكَاءَ النَّارِ قَطَعَتْ إلِـيـنـي الغُرْفَةَ حَافِيَةً القَدَمَيْنِ وَخَرَجَتْ إِلَى الشُّرْفَةِ.

كَانَتْ الأَحْجَارُ بِأَرْدَةٍ تَحْتَ قَدَمَيْهَا وَالرَّيْحُ تَعُوي بِشِرَاسَةٍ كَمَا تَفْعَلُ هُنَا دَائِمًا، لَكِنَّ المَنْظَرَ جَعَلَهَا تَنْسَى كَلَّ هَذَا بُرْهَةً. يَقَعُ (بُرْجُ العِذْرَاءِ) فِي أَقْصَى شَرْقِ أَبْرَاجِ (العُش) الرَّفِيعَةِ السَّبْعَةِ، جَاعِلًا (الوَادِي) كُلَّهُ يَمْتَدُّ أَمَامَهَا بِغَابَاتِهِ وَنَهْوَرِهِ وَحُقُولِهِ المَبْهَمَةِ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ، وَقَدْ سَقَطَتْ أَشْعَةُ الشَّمْسِ عَلَى الجِبَالِ جَاعِلَةً إِيَّاهَا تَبْدُو كَأَنَّهَا مِنَ الذَّهَبِ الخَالِصِ.

يَا لِلْجَمَالِ. مِنْ فَوْقِهَا تَلُوحُ قِمَّةُ (رُوحِ العَمَلِاقِ) المَلْتَحِفَةِ بِالثَّلُوجِ. يُقَزِّمُ الجَبَلَ الهَائِلَ بِصَخُورِهِ وَجَلِيدِهِ القَلْعَةُ القَابِعَةُ عَلَى مَنْكَبِهِ، بَيْنَمَا تَتَدَلَّى كَتَلٌ مِنَ الجَلِيدِ بِطُولِ عَشْرِينَ قَدَمًا عَلَى شِفَا الجُرْفِ الَّذِي تَنْهَمِرُ عَلَيْهِ (دَمُوعُ أَلِيسَا) فِي الصَّيْفِ، وَفَوْقَ الشَّلَالِ المَتَجَمِّدِ يُحَلِّقُ صَقْرٌ بِجَنَاحَيْنِ أَزْرَقَيْنِ مَبْسُوطَيْنِ عَنْ آخِرِهِمَا فِي سَمَاءِ الصَّبَاحِ. يَا لَيْتَنِي أَمْلِكُ جَنَاحَيْنِ أَيْضًا.

أَرَاخَتْ يَدَيْهَا عَلَى الحَاجِزِ الحَجَرِيِّ وَجَعَلَتْ نَفْسَهَا تُلْقِي نَظْرَةً مِنْ فَوْقِ الحَافَةِ، فَرَأَتْ تَحْتَهَا بِسِتْمَةً قَدِمَ القَلْعَةُ الفَرْعِيَّةُ (سَمَاءُ) وَالدَّرَجَاتُ الحَجَرِيَّةُ المَنْحُوتَةُ فِي جِسمِ الجَبَلِ، الطَّرِيقُ المَلْتَفُ الَّذِي يَمُرُّ بِـ(ثَلَجٍ) وَ(حَجَرٍ) نَازِلًا إِلَى أَرْضِ الوَادِي، وَرَأَتْ أَيْضًا أَبْرَاجَ وَحُصُونِ (بَوَابَاتِ القَمَرِ) صَغِيرَةً كَلْعَبِ الأَطْفَالِ، وَقَدْ بَدَأَ رِجَالُ لُورْدَاتِ البَيَانِ حَوْلَ أَسْوَارِهَا يَتَحَرَّكُونَ خَارِجِينَ مِنْ خِيَامِهِمْ كَنَمَلٍ يَزْحَفُ مِنْ كَثِيبِهِ. لَوْ كَانُوا نَمَلًا حَقًّا لَدَهَسْنَاهُمْ وَسَحَقْنَاهُمْ.

قَبْلَ يَوْمَيْنِ انْضَمَّ اللُّوردُ هَنْتِرُ اليَافِعِ وَجُنُودُهُ إِلَى الآخَرِينَ. كَانَ نَسْتُورُ رُويِسُ قَدْ أَغْلَقَ (بَوَابَاتِ القَمَرِ) أَمَامَهُمْ، لَكِنْ فِي حَامِيَّتِهِ أَقَلُّ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ رَجُلٍ، فِي حِينَ جَلَبَ كَلَّ مِنْ لُورْدَاتِ البَيَانِ السِّتَّةَ أَلْفَ رَجُلٍ. تَعْرِفُ إلِـيـنـي

أسـماءهم كما تعرف اسـمها: بنيـدار بلمـور سـيـد (الأغـرودة)،
وسـايموند تمپلتون فـارس (النـجوم التـسـع)، وهورتون ردفورت سيـد
(ردفورت)، وآينا واينوود سيـدة (السـنـديانة الحـديـدة)، وجيلوود هنتر سيـد (بهـو
القوس الطويل) الذي يُلقبـه القاصي والداني باللورد هنتر اليافع، بالإضافة إلى
يون رويس، أقواهم جميعاً، يون البرونزي المهيب سيـد (رونستون)، ابن عمومة
نستور وزعيم الفرع الأعلى من عائلة رويس. اجتمع سـتـهم في (رونستون) بعد
سقطـة الليدي لايسا، وهناك تعاهدوا معاً وتعهدوا أن يدافعوا عن اللورد روبرت
(الوادي) وبعضهم بعضاً. لم يذكـر بيانهم اللورد الحافظ، وإن ورد فيه كلام عن
«سوء الحكم» الذي يجب أن يوضع له حدٌ و«الأصدقاء الزائفين والمستشارين
الأشرار» أيضاً.

هـبـت الـريـح البـاردة ضـاربةً سـاقـيها، فـدخـلت لتختـار فـسـتاناً تتنـاول
إفطارها فيـه. كـان پيتـر قد أعطـاها مـلابـس زوجتـه الـراحـلة، ثـرؤة مـن
الحرير والسـاتـان والمخـمـل والفراء أفـخر مـن أيّ شـيء حـلـمت به، وإن كان
السـواد الأعظم مـنـها كـبير المـقاس عليها للـغاية، إذ امتلأ جـسد الليدي لايسا
كثيراً خـلال سـلسلة الحمل والإمـلاص والإجـهاض الطويلـة التـي مـرّت
بـها. علـى أن بـعضاً مـن الفـسـاتين القـديـمة كـان مـفـصلاً للـشـابة
لايسا تـلـي سـلـيلة (ريفرن)، وثـمـة فـسـاتين أـخرى اسـتـطاعت جـرتشـل
تعديلها لـتناسب مـقاس إليني، التـي تكاد ساقاها في سـنـ الثـالثـة عـشرة تـبلغان
طول ساقـي خالـتها لـمّا كانت في العـشرين.

هذا الصـباح لفتَ نظرها فـستان مبرقش بأحمر وأزرق عائـلة تـلي ومبطن بفـرو
السـناجب، وساعدتها جـرتشـل علـى دسّ ذراعـيها في الكـمـين الواسعين وعقدت
الأربطة علـى ظـهرها، ثم مشطت شـعرها وثبـتته بالدبابيس. ليلة البارحة قبل
ذهابها إلى النـوم صبغته إليني بلونٍ داكن ثـانية، وكانت الصبغة التـي أعطتها
خالـتها إياها قد بدلت لون شـعرها الكـستنائي الغني بلون شـعر إليني البني
المحروق، لكن نادراً ما يطول الوقت قبل أن يُعاود الأحمر الزحف علـى جذوره من
جديد. وماذا أفعلُ حين تنفد الصبغة؟ لقد جـلبت من (تايروش) وراء (البحر
الضيـق).

فـي طـريقـها إلـى أسـفل لتـنـاول الفـطور عـادت الدّهـشة تُصـيب
إليني مـن سـكون (العُش)، التـي لا تـوجـد قـلعة أكـثـر هـدوءاً مـنـها
فـي (المـمـالك السـبـع) كلـهـا. الخـدم هـنـا قـلـيلون ومـسـنون وبتكـلـمون
بأصـوات خـفيضة كـي لا يُزعـجـوا اللـورد الصـغـير، وليسـت هـنـاك
خـيول علـى الجـبل أو كـلاب صـيـد تنـبح وتزـمـجـر أو فرسـان يـتمـرّـنون فـي
السّاحة، وحتـى وقع أقدام الخـراس يـبدو مـكتوماً وهـم يـقـطعون الأروقة الحـجريّة
الشّاحبة. تسمع إليني الرّيح تـنـ وتتنهـد حول البـرج، لكن هـذا كلّ شـيء. فـي
بداية مجيئها إلى (العُش) كانت تسمع خـير (دموع أليسا) أيضاً، إلّا أن الشّلال

تجمّد، وقالت جرتشل إنه سيبقى صامتًا حتى الربيع.

وجدت اللورد روبرت وحده في (قاعة الصّباح)، يدفع ملعقةً خشبيّةً بفتورٍ في وعاءٍ كبير من الثريد والعسل، وحين رآها قال متبرّماً: «أردتُ أن أكل البيض، أردتُ ثلاث بيضاتٍ مسلوقة ولحماً مقدّداً».

ليس عندهم بيض أو لحم مقدّد. حالياً تحوي صوامع الغلال في (العُش) من الشوفان والذرة والشّعير ما يكفي لإطعامهم عامّاً، لكنهم يعتمدون على الفتاة النّغلة المسماة ميا ستون في إحضار الأغذية الطازجة من الوادي بالأسفل، والآن مع عسكرة لوردات البيان عند سفح الجبل فلا سبيل لميا للمرور. كان اللورد بلمور -أول من وصل إلى (بوابات القمر) من السيّئة- قد أرسلَ غداً إلى الإصبع الصّغير قائلاً في رسالته إن لا مزيد من الطعام سيصعد إلى (العُش) ما لم يُرسِل إليه اللورد روبرت. إنه ليس حصاراً بعد، لكنه أقرب شيءٍ إليه.

وعدت إليني اللورد الصّغير قائلةً: «يُمكنك أن تأكل كلّ ما تُريده من بيضٍ حين تأتي ميا. ستجلب بيضاً وزُبدةً وشمّاماً وكلّ الأصناف الشهية». قال الصّبي دون أن يبدو عليه الرّضا: «أردتُ بيضاً اليوم!».

ردّت: «ليس هناك بيض يا عُصفوري الجميل، تعلم هذا. أرجوك، كلّ ثريدك، إنه لذيذ للغاية»، وأكلت ملعقةً منه.

عادَ روبرت يدفع الملعقة في الوعاء لكنه لم يرفعها إلى فمه، وأخيراً قال: «لستُ جائعاً. أريدُ العودة إلى الفراش. لم أنم ليلة أمس. سمعتُ غناءً! المايستر كولمون سقاني نبيذ النّوم لكني ظللتُ أسمع».

وضعت إليني ملعقتها قائلةً: «لو كان هناك غناء لسمعته أيضاً. لقد رأيت حُلماً سيئاً لا أكثر».

قال وقد اغرورقت عيناه بالدموع: «لا، لم يكن حُلماً. ماريليون كان يُغني ثانيةً. أبوك يقول إنه مات لكنه لم يمّت».

- «بل مات». أرعبها أن تسمعه يتكلّم هكذا. سيّئ كفايةً أنه ضئيل سقيم. ماذا لو كان مجنوناً أيضاً؟ «إنه ميت يا عُصفوري الجميل. ماريليون أحبّ السيّدة والدتك كثيراً ولم يستطع الحياة بعد ما فعله بها، فخطأ إلى السّماء». لم تر إليني الجثة كما لم يرها روبرت، لكنها لا تشكّ في حقيقة موت المغني. «لقد مات، حقاً».

- «لكني أسمع كل ليلة، حتى حين أغلق النّوافذ وأضعُ وسادةً على رأسي. كان على أبيك أن يقطع لسانه. قلتُ له أن يقطعه لكنه رفض».

كان في حاجةٍ إلى لسانٍ ليعترف. ناشدته إليني قائلةً: «كُن صبيّاً مهذباً وكُل ثريدك. أرجوك، لأجل خاطري».

صاح روبرت: «لا أريدُ الثَّريدَ»، وطوّحَ بملعقته عبر القاعة لترتطم بمعلّقة وترتدّ عنها تاركةً لطخةً من الثَّريد على قمرٍ من الحرير الأبيض. «اللورد يُريدُ بيضاً!». قال صوت بيتر من ورائهما: «اللورد سيأكل الثَّريد ويكون شاكراً».

التفتت إليني ورأته في المدخل المقنطر وإلى جواره المايستر كولمون، الذي قال: «عليك أن تُصغي إلى حضرة اللورد الحافظ يا سيّدي. اللوردات حملة رايتك يصعدون الجبل ليُقَدِّموا لك فروض الولاء، وستحتاج إلى كامل قوّتك». فرك روبرت عينه اليسرى بمفصل إصبعه، وقال: «اصرفوهم. لا أريدهم. إذا أتوا سأجعلهم يطيطون».

قال بيتر: «إنك تُغريني بأن أفعل ذلك للغاية يا سيّدي، لكنني أخشى أنني وعدتهم بالأمان، وعلى كلّ حالٍ فات أوان أن يعودوا أدراجهم. لا بُدَّ أنهم بلغوا (حجر) بالفعل».

ولولت إليني: «لماذا لا يدعوننا وشأننا؟ إننا لم نمسّهم بسوءٍ قطُّ. ماذا يُريدون منا؟».

أجاب بيتر مبتسمًا: «اللورد روبرت فقط، هو و(الوادي). سيكونون ثمانية. اللورد نستور يقودهم إلى هنا، ولين كوربراي معهم. السير لين ليس بالرجل الذي يعزف عن الحضور إذا كانت إراقة الدِّماء وشيكة».

لم يُفْلِح كلامه في تهدئة مخاوفها. لقد قتلَ لين كوربراي رجالاً في النِّزال بعددٍ من قتلٍ في المعارك، وتعلم أنه ظفرَ بفُروسيّته في أثناء ثورة روبرت، إذ قاتلَ أولاً ضد اللورد چون آرَن على أبواب (بلدة الثَّوارس)، ولاحقًا تحت رايته في معركة (الثَّالوث)، حيث قتلَ الأمير ليوين الدورني الذي كان فارسًا أبيض في الحرس الملكي. قال بيتر إن الأمير ليوين كان مثخنًا بالجراح بالفعل حين جرفه تيّار المعركة إلى رقصته الأخيرة مع سيف السير لين المسمّى (سيّدة البؤس)، لكنه أضاف: «إلا أن تلك ليست نُقطةً تُريدين إثارتها مع كوربراي، فمَن يفعلون سرعان ما ينالون فُرصة سؤال مارتل نفسه عن الحقيقة في دركات الجحيم». إذا كان نصف ما سمعته من حرس اللورد روبرت صحيحًا فلين كوربراي أخطر من سنّة لوردات البيان مجتمعين. سألت بيتر: «لماذا سيأتي؟ حسبُ آل كوربراي يُؤيّدونك».

- «لايونل كوربراي ميّال جدًّا إلى حُكمي، لكن أخاه يسلُّك سبيله الخاص. في معركة (الثَّالوث)، عندما سقط أبوهما جريحًا كان لين هو من التقطَ (سيّدة البؤس) وقتلَ الرجل الذي أصابه، وبينما حملَ لايونل الأب العجوز إلى المايسترات في المؤخّرة قادَ لين هجمةً ضد الدورنيّين الذين يُهدّدون ميسرة روبرت وحطم صفوفهم وفتكَ بليوين مارتل، ولذا أسبغَ اللورد كوربراي السيف على ابنه الأصغر لدى موته. لايونل نالَ أراضي أبيه ولقبه وقلعته وماله كلّهُ، ومع ذلك ما زالَ يشعُر بأنه سُلِبَ حقّ ميلاده. أمّا السير لين... إنه يحبُّ لايونل بقدر

ما يحبُّني. لقد أرادَ يد لايسا لنفسه».

قال روبرت بعناد: «لا أحبُّ السير لين ولا أريده هنا. اجعله يعود. لم أقل إنه يستطيع المجيء، ليس هنا. أمِّي قالت إن (العُش) منيعة».

قال بيتر: «أمُّك ماتت يا سيِّدي، وحتى يوم ميلادك السَّادس عشر أنا حاكم (العُش)»، والتفتَ إلى الخادمة محنيَّة الظهر التي تحوم قُرب سلالم المطبخ، وخاطبها قائلاً: «ميلا، أحضري ملعقةً أخرى لحضرة اللورد. إنه يُريد أن يأكل ثريده».

- «لا أريده! أريدُ أن يطير الثَّريد!» - هذه المرَّة طوَّح بالوعاء بما فيه من ثريدٍ وعسل، ليتفاداه بيتر بإيلش برشاقةٍ وسُرعةٍ لا يتمتَّع بهما المايس-تر كولمون، فأصابه الوعاء الخشبي في صدره مباشرةً وتفجَّرت محتوياته إلى أعلى على وجهه وكتفيه. ولولَ الرَّجل على نحوٍ لا يليق بمايس-تر على الإطلاق، في حين التفتت إليني تُهدِّئ اللورد الصَّغير، ولكن متأخراً جداً. لقد أصابته النَّوبة بالفعل، وطار إبريق من الحليب إذ ضربته يده، ولما حاول أن ينهض أوقع كرسيَّه إلى الوراء وسقط فوقه، وأصابَتْ ساقه إليني في بطنها بقوةٍ أفرغت الهواء من صدرها، وسمعت بيتر يقول بامتعاض: «أوه، بحقِّ الآلهة».

لَوَّت كُتل الثَّريد وجه المايس-تر كولمون وشعره إذ ركعَ فوق عُهدته متممًا بكلماتٍ مهدِّئة، وزحفت واحدة منها على خدِّه الأيسر كدمعةٍ بَنِيَّة رماديَّة ثقيلة. فكَّرت إليني محاولةً أن تكون متفائلةً: ليست النَّوبة سيئةً كالمرَّة السَّابقة. لدى انتهاء الرَّجفة كان حارسان في معطفين بزرقة السَّماء وقميصين معدنيَّين فضيَّين قد أتيا على إثر استدعاء بيتر، وقال لهما اللورد الحافظ: «خُذاه إلى الفراش ليُعَلَّق له العَلق»، فحملَ أطولهما قامَةً الصَّبي بين ذراعيه، وقالت إليني لنفسها: أستطيعُ أن أحمله بنفسِي. إنه ليس أثقل من دُمية.

مكثَ كولمون لحظةً قبل أن يتبعهما، وقال: «سيِّدي، ربما الأفضل أن تُوجَّل هذه المفاوِضات إلى يومٍ آخر. لقد ساءت نوبات حضرة اللورد منذ موت الليدي لايسا، صارت أكثر تكرارًا وأكثر عُنفًا. إنني أعلِّقُ له العَلق متى أجرو، وأمزجُ له نبيذ النَّوم وحليب الخشخاش لمساعدته على النَّوم، ولكن...».

قاطعَه بيتر: «إنه ينام اثنتي عشرة ساعةً في اليوم، وأحتاجُ إليه مستيقظًا بين الحين والآخر».

مرَّ المايس-تر أصابعه في شعره مسقطًا كُتلاً من الثَّريد على الأرض، وقال: «الليدي لايسا اعتادت إرضاع حضرة اللورد متى احتاج. المايس-تر إيبروز يقول بأن لبن الأم فيه الكثير من الخصائص الصحيَّة».

- «أهذه مشورتك أيها المايس-تر؟ أن نجد مُرضعةً لسيِّد (العُش) وحامي (الوادي)؟ متى نعطمه إذن؟ يوم زفافه؟ هكذا ينتقل مباشرةً من حلمتي

مُرْضَعْتَهُ إِلَى حِلْمَتِي زَوْجَتِهِ»، وَجَعَلَتْ ضَحْكَةَ اللُّوردِ بِيْتَرِ رَأْيَهُ فِي هَذَا جَلِيًّا قَبْلَ أَنْ يُضَيِّفَ: «لَا، لَا أَظُنُّ. اقْتَرَحُ أَنْ تَجِدَ وَسِيلَةً أُخْرَى. الصَّبِي مَوْلَعٌ بِالْحَلْوِيَّاتِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

- «الْحَلْوِيَّاتُ؟».

- «الْحَلْوِيَّاتُ. الْكَعْكَ وَالْفَطِيرُ، الْمَرْبَى وَالْهَلَامُ، أَقْرَاصُ الْعَسَلِ. رُبَّمَا رِشَّةٌ مِنْ حُلْوِ الْكَرَى فِي حَلِيبِهِ، هَلْ جَرَّبْتَ هَذَا؟ رِشَّةٌ صَغِيرَةٌ لَتَهْدِئَتْهُ وَإِقْ-افْ تَلْكَ الرَّجْفَةُ اللَّعِينَةُ».

رَدَّدَ كُولْمُونُ: «رِشَّةٌ؟»، وَتَحَرَّكَتْ تَفَّاحَةٌ حَلَقَهُ إِلَى أَعْلَى وَأَسْفَلَ إِذْ ازْدَرَدَ رِيْقَهُ، ثُمَّ قَالَ: «رِشَّةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ... رُبَّمَا، رُبَّمَا. لَيْسَ الْكَثِيرُ، وَلَيْسَ فِي أَوْقَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ، نَعَمْ، يُمَكِّنُنِي أَنْ أَجْرِبَ...».

قَالَ اللُّوردُ بِيْتَرُ: «رِشَّةٌ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ لِلْقَاءِ اللُّوردَاتِ».

قَالَ الْمَايسْتَرُ: «كَمَا تَأْمُرُ يَا سَيِّدِي»، وَأَسْرَعَ مَغَادِرًا وَسُلْسَلَتْهُ تَرْنٌ بِخَفَوْتٍ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ.

سَأَلَتْ إِلِينِي بَعْدَ خُرُوجِهِ: «هَلْ تُرِيدُ وَعَاءً مِنَ الثَّرِيدِ لِإِفْطَارِكَ يَا أَبِي؟».

رَمَقَهَا بَعَيْنَايَ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ قَائِلًا: «أَكْرَهُ الثَّرِيدَ. أَفْضَلُ أَنْ أَفْطِرَ عَلَى قُبْلَةٍ».

الْابْنَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لَا تَأْبَى عَلَى أَبِيهَا قُبْلَةً، وَهَكَذَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ إِلِينِي وَقُبْلَتْهُ، مَجْرَدًا قُبْلَةً سَرِيعَةً جَافَّةً عَلَى الْخَدِّ تَرَاوَعَتْ بَعْدَهَا بِالسَّوْعَةِ نَفْسَهَا.

قَالَ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ مُبْتَسِمًا بِفَمِهِ وَلَكِنْ لَيْسَ بَعَيْنِيهِ: «يَا لَكَ مِنْ... مَطِيعَةٍ. حَسَنٌ، إِنْ عِنْدِي وَاجِبَاتٌ أُخْرَى لَكَ بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ. قُولِي لِلطَّاهِي أَنْ يُتَبَّلَ النَّبِيذُ الْأَحْمَرُ بِالْعَسَلِ وَالزَّبِيبِ. سَيَكُونُ ضَيُوفُنَا بِرْدَانَيْنِ ظَمْ-أَيْنِ بَعْدَ طَوْلِ الصَّعُودِ. سَيَسْتَقْبِلُونَهُمْ لَدَى وَصُولِهِمْ وَتُقَدِّمِينَ لَهُمُ النَّبِيذَ وَالْخُبْزَ وَالْجُبْنَ. مَا نَوْعُ الْجُبْنِ الْمَتْبَقِيِّ عِنْدَنَا؟».

- «الْبَيْضَاءُ اللَّاذِعَةُ وَالزَّرْقَاءُ الْعَفْنَةُ».

- «الْبَيْضَاءُ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ تُبَدِّلِي ثِيَابَكَ أَيْضًا».

نَظَرَتْ إِلِينِي إِلَى قُوسْتَانِهَا بِأَزْرَقِ الدَّائِنِ وَأَحْمَرِهِ الْقَانِي الْغَنِيِّ، لَوْنِي (رِيْقَرَن)، وَقَالَتْ: «أَهُو...».

- «إِنَّهُ تَلِي أَكْثَرَ مِنْ الْإِلَازِمِ! لَنْ يَسْرَّ لَلُّوردَاتِ الْبِي-انِ مَنْظِرُ ابْنَتِي النَّغْلَةِ تَتَهَادَى مَرْتَدِيَّةً ثِيَابَ زَوْجَتِي الْمَيْتَةِ. انْتَقِي شَيْئًا آخَرَ. هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَكَ بِأَنْ تَتَجَنَّبَ الْأَزْرَقَ السَّمَاوِيَّ وَالْقَشْدِيَّ؟».

- «لَا». الْأَزْرَقُ السَّمَاوِيَّ وَالْقَشْدِيَّ لَوْنَا عَائِلَةُ آرِن. «قُلْتُ إِنَّهُمْ ثَمَانِيَّةٌ... هَلْ يُونُ الْبَرُونَزِي أَحَدُهُمْ؟».

- «الْوَحِيدُ الَّذِي يَهُمُّ».

قالت مذكرة إياه: «يون البرونزي يعرفني. لقد نزل ضيقاً في (وينترفيل) حين ذهب ابنه شمالاً للالتحاق بحرس الليل». كم كانت متيمة بالسير وإيمار. ما زالت تذكره بعض الشيء، لكن ذلك كان منذ عُمرٍ كامل، عندما كانت فتاة صغيرة حمقاء. «ولم تكن تلك المرة الوحيدة. اللورد رويس رأى... رأى سانزا ستارك ثانية في (كينجز لاندنج) في أثناء دورة مباريات اليد».

وضع پيتر إصبعاً تحت ذقنها قائلاً: «لا أشك في أن رويس رأى هذا الوجه الجميل، لكنه كان وجهًا واحدًا وسط ألف. ثمة أشياء يهتم بها الرجل الذي يُقاتل في دورة مباريات أكثر من طفلة ما في الزحام. وفي (وينترفيل) كانت سانزا فتاة صغيرة كستنائية الشعر، أما ابنتي فطفلة جميلة وشعرها بني. الناس يرون ما يريدون أن يروه يا إليني»، وطبع قُبلة على أنفها مضيئاً: «قولي لمادي أن تُشعل ناراً في الغرفة الشمسية. سأستقبل لوردات البيان هناك».

- «ليس في (القاعة العالية)؟».

- «لا. حاشا للآلهة أن يروني قُرب مقعد آل آرن العالي. قد يحسبونني أنتوي الجلوس عليه. المولود بفلقتي مؤخرٌ وضعيتين مثلي يجب ألا يطمح إلى الجلوس على وسائل وثيرة كتلك أبداً».

- «الغرفة الشمسية». كان عليها أن تتوقف عند هذا الحد، لكن الكلام تدفق منها رغماً عنها: «إذا أعطيتهم روبرت...».

- «... و(الوادي)؟».

- «(الوادي) في أيديهم بالفعل».

- «أوه، أكثره، هذا صحيح، ولكن ليس كلّه. إنني محبوب في (بلدة النوارس)، وعندى بعض الأصدقاء الأعيان كذلك. جرافتون، ليندرلي، لايونل كوربراي... ولو أنهم ليسوا أنداداً للوردات البيان بالفعل. وأين تريدنا أن نذهب يا إليني؟ نعود إلى معقلي العظيم في (الأصابع)؟».

كانت قد فكرت في هذا من قبل، فأجابت: «چوفري منحك (هارنهل). إنك سيدها الشرعي».

- «اسمًا. لقد احتجتُ إلى مقرٍ عظيم لأتزوج لايسا، وآل لانستر ما كانوا ليمنحوني (كاسترلي روك)».

- «نعم، لكن القلعة لك».

- «آه، ويا لها من قلعة. قاعات فسحة وأبراج متهدمة وأشباح وتيارات هواء عنيفة، تدفئتها عسيرة وإقامة حامية فيهما مس تحيلة... وهناك المسالة الصغيرة الخاصة باللعنة».

- «اللعنات لا توجد إلا في الأغاني والقصص فقط».

بدا أنه وجد ردها طريقاً إذ قال: «هل ألف أحد أغنية عن موت جريجور كليجاين

بحرية مسمومة؟ أو عن المرتزق من قبله الذي قطع السير جريجور أطرافه مفصلاً مفصلاً؟ ذلك المرتزق أخذ القلعة من السير آموري لورك الذي تلقاها من اللورد تايوين. أحدهما قتله دُب والثاني قتله قزمك. سمعتُ أن الليدي ونت ماتت أيضاً.

آل لوشتون، آل سترونج، آل هارووي... (هارنهال) أودت بكل من مسّها».

- «أعط اللورد فراي إياها إذن».

ضحك بيتر، وقال: «ربما أفعل، أو الأفضل أن أعطي عزيزتنا سريسي إياها، ولو أنه لا يجدر بي أن أتكلّم عنها بقسوةٍ لأنها أرسلت إليّ بضع معلقاتٍ رائعة. أليس هذا لطفاً منها؟».

جعلها ذكر اسم الملكة تتسمّر وتقول: «سرسى ليست لطيفةً. إنها تُخيفني. إذا علمت مكانى...».

- «... فربما أضطرُّ إلى إزاحتها من اللعبة في وقتٍ أقرب مما خطّطتُ، هذا إذا لم تُزح نفسها أولاً»، وداعبها بيتر بابتسامةٍ متابعاً: «في لعبة العروش حتى أكثر البيادق تواضعاً يُمكن أن تكون له إرادته الخاصة، وأحياناً يرفض بعض البيادق أن يتحرّك كما خطّطت له. احفظي هذا عن ظهر قلبٍ يا إليني. إنه درس ما زال على سرسي لانستر أن تتعلّمه. والآن أليست عليك واجبات تُؤدّيها؟».

عليها واجبات بالفعل. أشرفت أولاً على تبيل النّبذ، ووجدت قالباً مناسباً من الجبنة البيضاء اللاذعة، وأمرت الطاهي بخبز خبزٍ يكفي عشرين فرداً تحسباً لأن يجلب لوردات البي-ان رجلاً أكثر من المتوقع. حالمًا يأكّلون عيشنا وملحنًا سيُصبحون ضيوفنا ولن يُمكنهم إي-ذاءنا. آل فراي ضربوا بجمع قوامين الصّيف ع-رض الحائط عندما اغتالوا السيّدة والدتها وأخاها في (التّوأمتين)، لكنها لا تُصدّق أن رجلاً نبيلًا كاللورد يون رويس بإمكانه أن ينحدر إلى اقتراف فعلٍ وضيع كهذا.

بعد ذلك ذهبت إلى الغرفة الشّمسية. الأرضيّة هن-اك مغطاة بساطٍ م-ايري، وليس هن-اك داعٍ إلى فرشها بالحصائر. طلبت إلي-يني من اثنين من الخ-دم أن ينصبا الطاولة ويجلبا ثمانية من المقاعد الثقيلة المصنوعة من السّنديان والجلد. في حال إقامة مأدبةٍ كانت لتضع واحداً عند رأس الطاولة وواحداً عند قدمها وثلاثة على كلّ جانب، لكن هذه ليست مأدبةً، ولذا جعلت الخادمين يرصّان ستّة مقاعد على أحد الجانبين ومقعدين على الجانب الآخر. لا بُدّ أن لوردات البيان بلغوا (ثلج) الآن بالفعل. الصّعود يستغرق أكثر اليوم حتى على ظهور البغال، وعلى الأقدام يستغرق عدّة أيام.

ربما ينهمك اللوردات في الحديث حتى ساعة متأخرة من اللّيل وسيحتاجون إليّ شموع جديدة، ولذا بعد أن أشعلت مادي النّار أرسلتها إلي-يني لتجلب الشموع المعطرة التي أهداها اللورد واكسلي إلى الليدي لايسا حين سعى

إلى الفوز بيدها، ثم إنها عادت إلى المطبخ لتتأكد من أن النّبيذ والخُبز جاهزان. بدا كلُّ شيءٍ على ما يُرام، وما زالَ أمامها وقتٌ لتستحمَّ وتغسل شَعْرَها وتُبَدِّل ثيابها.

ثُمَّ فُسِّلَتان من الحرير الأرجوانيّ توقّفت عنده لحظةً، وآخر من المخمل الأزرق الدّاكن مشرّط بالفضي من شأنه أن يُوقِظَ كلّ ما في عينيها من ألوان، لكنّها في النّهاية تذكّرت أن إليني رَغِمَ كلّ شيءٍ نغلة ويجب ألا تتجرّأ وترتدي شيئاً يفوق مقامها. هكذا انتقت فُستاتاً من صوف الجملان لونه بُني داكن وتفصيلته بسيطة، على صدره وكُمّيه وحاشيته أوراق شجر ونباتات معترشة مطرّزة بخيطٍ ذهبي. اختارته لأنه متواضع وملائم، وإن كان ليس أفخم كثيراً من فُستانٍ ترتديه خادمة.

كان بيتر قد أعطّاها جميع خُلّيّ الليدي لايسا أيضاً، فجريت عدّة قلادات لكنها بدت مبهرجةً كلّها، وفي آخر الأمر اختارت شريطاً بسيطاً من المخمل بلون الذهب الخفيفي، ولمّا جلبت لها جرتشل مرآة لايسا المفضّضة بدا اللون مثاليّاً مع شعر إليني البنيّ القاتم. لن يتعرّفني اللورد رويس أبداً. إنني بالكاد أتعرفُ نفسي.

شاعرةً بجرأةٍ تُداني جرأةً بيتر بايلش، رسمت إليني ستون ابتسامتها على شفّتها ونزلت تستقبل الضيوف.

(الْعُش) القلعة الوحيّدة في (الممالك السّبع) التي يقـع مدخلها الرئيس تحت الرّنـازين. على جانب الجبل ترتفع السّلالـم الحجريّة المنحدرة متجاوِزةً القلعتين الفرعيتين (حجر) و(ثلج)، لكنها تنتهي عند شقيقتيهما (سماء)، أمّا الأقدام السّتُمئة المتبقية من رحلة الصّعود فعموديّة تُجبر الرّائرين على التّرجل عن بغالهم والاختيار، فإنّما أن يركبوا السّلة الخشبيّة المتأرجحة التي تُستخدم لرفع المؤن، وإنّما أن يتسلّقوا مدخنةً صخريّةً مستخدمين دعائمٍ منحوتة في الصّخر.

اختار اللورد ردفورت والليدي واينوود -أكبر لوردات البيان سيّناً- أن تسحبهم الرّافعة إلى أعلى، وبعدها أنزلت السّلة ثانيةً للورد بلمور السّمين، في حين تسلّق اللوردات الآخرون المدخنة. استقبلتهم إليني في (قاعة الهلال) إلى جوار مستوقد نار، حيث رحّبت بهم باسم اللورد روبرت وقدمت لهم الخُبز والجُبنة ونبيداً متبّلاً ساخناً في كوؤسٍ فضيّة.

كان بيتر قد أعطّاها لفافةً من رموز النّباله تدرّسها لتتعرّفهم من رموزهم إن لم يكن من وجوههم. القلعة الحمراء لردفورت بالطبع، وهو رجل قصير القامة له لحية شائبة مشدّبة وعينان وديعتان. الليدي آنا المرأة الوحيدة بين لوردات البيان، وقد ارتدت معطفاً أخضر داكناً عليه العجلة المكسورة رمز عائلة واينوود مطرّزةً بالكهرمان الأسود. الأجراس الفضيّة السّتّة على المعطف

الأرجوان-ي هـ-ي رمز بلم-ور ذي البطن الكبير والكتفين المس-تديرتين
واللحية الحمراء الضاربة إلى الرمادي، لحية شنيعة نابذة من ذقنه
المترهّل. على العكس منه لحية سايموند تميلتون سوداء مدببة تمامًا، وقد
جعل الأنف المعقوف والعينان الزرقاوان الباردتان كالثلج فارس (النجوم التسع)
يبدو كطائر كاسر أنيق، خصوصًا مع سترته القصيرة بنجماتها السوداء التسع
المرسومة على صليب ذهبي مائل. حيرها معطف اللورد هنتر اليافع المصنوع
من فرو القاقوم إلى أن لمحت الدبوس الذي يُثبتته متخذًا شكل خمسة سهام
فضية منشورة كالمروحة. قدّرت إليني أن سينه أقرب إلى الخمسين من
الأربعين. لكن أبوه قد حكّم في (ب-هو القوس الطويل) فترة
تقرب من ستين عامًا، فقط ليموت على نحو مبالغ للفاية، حتى
إن بعضهم قال هـامسًا إن اللورد الجديد استعجل الحصول على إرثه. لهنتر
وجنتان وأنف بلون التفاح الأحمر، وهو ما يشي بولع معين بالعب، ولذا حرصت
على إعادة ملء كأسه ما إن يُفرغها.

أصغر رجل في المجموعة على صدره ثلاثة غدقان كل منها يقبض على قلب
أحمر دامٍ ببراثنه، ويبلغ شعره البني كتفيه بينما تتجدد خصلة نافرة منه على
جبهته.

بنظرة حذرة إلى فمه القاسي وعينيهِ الضجرتين قالت إليني لنفسها: السير
لين كوربراي.

آخرهم ابن عائلة رويس، اللورد نستور ويون البرونزي. يُعادل سيّد (رونستون)
كلب الصيد طولًا، وعلى الرغم من شيب شعره وتجاعيد وجهه فلم يزل اللورد
يون يبدو قادرًا على كسر رجال أصغر منه سنًا كغصينات الشجر بهاتين اليدين
الضخمتين الخشنتين. أعاد وجهه الصّارم المتغصن إلى سانزا جميع ذكرياتها
عنه في (وينترف-ل)، وتذكرته جالسًا إلى المائدة يتكلم بهدوء م-ع
أمّه، وسَمعت صوته الجهوري يتردّد على الأسوار إذ عاد من الصيّد
بظبي وراءه على حصانه، ورأته في الساحة وفي يده سيف تدريب
يهوي به على أبيها بلا كلل حتى أسقطه ثم يلتفت ليهزم السير رودريك أيضًا.
سيتعرّفني، وكيف لا؟ خطر لها أن تُلقي نفسها عند قدميه وتتوسّل حمايته،
لكنها أحجمت قائلةً لنفسها: إنه لم يُقاتل من أجل روب، فلم يُقاتل من أجلي؟
الحرب انتهت و(وينترف-ل) سقطت. سألته بخفر: «لورد رويس، هل تشرب كأسًا
من النبيذ تُدْفئك من البرد؟».

ليون البرونزي عينان رماديتان كصخر الأردواز، شبه متواريتين تحت أكثف حاجبين
رأتهما على الإطلاق، وقد انعقدًا حين نظر إليها من أعلى متسائلًا: «هل أعرفك
يا فتاة؟».

أحسّت إليني كأنها ابتلعت لسانها، لكن اللورد نستور أنقذها برده على ابن

عمومته بلهجته الفطّة: «إليني ابنة اللورد الحافظ الطّبيعيّة». قال لين كوربراي بابتساميّة خبيثة: «يبدو أن إصبع الإصبع الصّغير الصّغير كان مشغولاً»، فضحك بلمور وأحسّت إليني بوجنتيها تتخضبان بالحمرة.

سألّها الليدي واينوود: «كم سينك أيتها الصّغيرة؟». - «أربع... أربع عشرة سنة يا سيّدتى». للحظةٍ نسيت سين إليني المفترضة. «ولستُ صغيرةً. إنني فتاة مزهرة».

قال اللورد هنتر اليافع وقد أخفى شاربه الكَثُ فمه تمامًا: «لكن أحدًا لم يقطف زهرتك كما أمل».

قال لين كوربراي كأنها ليست موجودة: «ليس بعدُ، لكني أرى أنها ناضجة جاهزة للقطف قريبًا».

- «أهذا ما يعدُّ كياسةً في (بيت القلوب)؟». لأنيا واينوود شعر يزحف عليه الشّيب وتجاعيد حول عينيها وجلد رخو تحت ذقنها، لكن لا مجال لإخطاء طابع النّبل فيها. «الفتاة صغيرة وطبيّة النّسب وعانت ما يكفي من أهوال. احفظ لسانك أيها الفارس».

ردّ كوربراي: «لساني يخصّني وحدي، وعلى حضرة الليدي أن تحرص على حفظ لسانها هي. إنني لم أعتد التّعامل مع التّوبيخ بلطفٍ قط، كما سيؤكّد لك عدد كبير من الموتى».

التفتت الليدي واينوود عنه، وقالت: «الأفضل أن تأخذينا إلى أبيك يا إليني. كلّما عجلنا بالفروغ من هذا كان أفضل».

- «حضرة اللورد الحافظ ينتظركم في الغرفة الشّمسيّة. أرجو أن تفضّلوا وتتبعوني». من (قاعة الهلال) قادّتهم صاعدة السّلام الرّخام العالية التي تتجاوز الأقبية والزّنازين وتمرّ تحت ثلاث فتحات دفاع تظاهر لوردات البيان بأنهم لا يرونها، وسرعان ما بدأ بلمور ينفخ ككير الحدّاد، وأصطبغ وجهه ردفورت بالرّمادي كشّعه.

رفع الحُرّاس على قمّة السّلام الشّبّكة الحديدية لدى وصولهم، وقالت إليني للضيوف: «تفضّلوا من هنا أيها السّادة»، وقادّتهم عبر الرّواق المقنطر مرورًا بدستة من المعلّقات البديعة، وكان السير لوثر برون واقفًا خارج الغرفة الشّمسيّة، ففتح لهم الباب ثم تبعهم إلى الدّاخل.

كان بيتر جالسًا إلى الطاولة وقرب يده كأس نبذ، يقرأ رقًا أبيض مجعّدًا، وإذ دخل لوردات البيان رفع عينيه قائلاً: «مرحبًا بكم أيها السّادة، وبك أيضًا يا سيّدتى. أعرف أن الصّعود كان متعبًا. تفضّلوا بالجلوس. إليني يا حلوتي، المزيد من النّبذ لضيوفنا النّبلاء».

- «كما تقول يا أبي». سرّها أن ترى الشّموع مضاءةً وتشمّ في هواء الغرفة

رائحة جوز الطيب وغيره من التوابل النفيسة. ذهبَت تُحضِر الإبريق فيما رَتَب الزَّائرون أنفسهم جنبًا إلى جنبٍ على المقاعد... كلهم باستثناء نستور رويس الذي تردَّد قبل أن يدور حول الطاولة ليأخذ المقعد الشَّاغر إلى جوار اللورد پيتر، ولين كوربراي الذي وقفَ إلى جوار المستوقد، لتلتمع الياقوتة ذات شكل القلب في قبعة سيفه بالأحمر إذ دَفَأَ يديه فوق النَّار. رَأَتْهُ إليني يتسّم للسير لوثر برون، ففكرت: السير لين وسيم للغاية بالنِّسبة إلى رجلٍ أكبر سِنًا، لكن ابتسامته لا تُعجِبني.

استهَلَّ پيتر الكلام قائلاً: «كنتُ أقرأ بيانكم المهمَّ هذا. مدهش. المايستر الذي كتبَه أيا كان يتمتَّع بفصاحةٍ بالغة. ليتكم فقط دعوتُموني لأوقِّعه أيضًا». باغتَهم قوله، وردَّ بلمور: «أنت؟ تَوَقِّع؟».

- «أستطيعُ الكتابة بالريشة كأيِّ أحد، ولا إنسان يحبُّ اللورد روبرت أكثر مني. وبالنِّسبة إلى هؤلاء الأصدقاء الزَّائفين والمستشارين الأشرار فهنا يناسِطُهم مهما كلف الأمر. إنني معكم قلبًا وقالبا أيها السَّادة. أروني أين أوقِّع أرجوكم».

بينما تصبُّ إليني التَّبيذ سمعتَ لين كوربراي يُقَهِّقه، في حين بدا الآخرون حائرين، إلى أن فرَّقَ يون رويس البرونزي مفاصل أصابعه، وقال: «لم نأتِ من أجل توقيعك، ولا ننوي أن نتراشق معك الكلام أيها الإصبع الصَّغير».

- «مؤسف. إنني أحبُّ الكلام المتراشق»، وأزاح پيتر الرِّقَّ قائلاً: «كما ترغبون، لنتكلَّم بلا مواربة. ماذا تُريدون مني أيها السَّادة والسَّيدة؟».

ثَبَّتَ سايموند تميلتون نظرتَه الزَّرقاء الباردة على اللورد الحافظ مجيبًا: «لا تُريد منك شيئًا، تُريدك أن ترحل».

تساءَلَ پيتر متظاهراً بالدهشة: «أرحلُ؟ إلى أين؟».

قال اللورد هنتر اليافع: «التَّاج نصَّبكَ سيِّداً على (هارنْهال). المفترَض أن يكتفي أيُّ رجلٍ بهذا».

وأضاف اللورد هورتون ردفورت العجوز: «أراضي النَّهر في حاجةٍ إلى حاكم. (ريفررن) محاصرة، وآل براكن وآل بلاكوود في حربٍ مفتوحة، والخارجون عن القانون يجولون على جانبي (الثَّالوث) بحريَّةٍ مطلقة، يسرقون ويقتلون كما يشاؤون. الجُثث غير المدفونة تفتَرش أرضَ الرِّيف أينما ذهبَ المرء».

أجابَ پيتر: «تجعل الأمر يبدو جذابًا للغاية يا لورد ردفورت، لكن الحقيقة أن عليَّ واجباتٍ ملحةً هنا. ويجب وضع اللورد روبرت في الاعتبار أيضًا. هل تُريدونني أن أجرَّ طفلًا سقيمًا معي في غمار تلك الفوضى؟».

أعلنَ رون رويس: «حضرة اللورد سيبقي في (الوادي). إنني أنوي أن أخذه معي إلى (رونستون) وأرِيه لكي يصير فارسًا كان چون آرن ليفخر به».

سألَ بيتر متأملاً: «ولمَ (رونستون)؟ لِمَ ليس (السَّنديانة الحديدية) أو قلعة (ردفورت) أو (بهو القوس الطويل)؟».

قال اللورد بلمور بحزم: «أيَّ مكانٍ من هذه يصلُح، وفي الوقت المناسب سيزور حضرة اللورد كلا منها».

بنبرة تشي بالشكِّ قال بيتر: «حقاً؟».

تنهَّدت الليدي واينوود، وقالت: «لورد بيتر، إذا كنت ترمي إلى إحداث الواقعة بيننا فوقِر على نفسك الجهد. إننا نتكلم بصوتٍ واحد، و(رونستون) تُناسِبنا جميعاً».

اللورد يون ربَّى ثلاثة أبناءٍ صالحين، وليس هناك من هو أنسب منه لتربية حضرة اللورد الصَّغير، ثم إن المايستر هليويج أكبر سيِّناً وأكثر خبرةً بكثير من مايسترك كـولمون وأقـدر على عـلاج ضـعف اللـورد روبرت. فـي (رونسـتون) سـيـتعلَّم الصَّبـي فنـون الحـرب مـن سـام سـتون القـوي، ولا أحـد يـأمل أن يـكون مـعـ لـم سـلاحه رجـلاً أفضل، وسيُرشده السيِّتون لوكوس في أمور الرُّوح. وفي (رونستون) سيجد أيضاً صِبيَّةً آخريْن من سيِّته، رفاقاً أنسب له من المسنَّات والمرزقة الذين يُحيطون به الآن».

داعبَ بيتر بايلش لحيته بأصابعه قائلاً: «حضرة اللورد في حاجةٍ إلى رفاق، لا أخالفكم في هذا، لكن إليني ليست مسنَّة. اللورد روبرت مغرم بابنتي وسيسرُه أن يُخبركم بهذا بنفسه. وبهذه المناسبة، حدثَ أن طلبتُ من اللورد جرافتون واللورد ليندرلي أن يُرسِل كلَّ منهما إلَيَّ ابناً يكون ربيبي. كلاهما له ابن في سِنِّ روبرت».

قال لين كوربراي ضاحكاً: «جروان ابنا كلبين خانعين».

- «يجب أن يكون هنـاك فتـى أكـبر فـي رفـقة روبرت أيـضاً، مُرافق شـاب واعـد مثـلاً، شـخص يُعـجـب بـه ويُحـاول أن يـحتـذي مثـالـه»، والتفت بيتر إلى الليدي واينوود مخاطباً إياها: «إن عندك فتى كهذا في (السَّنديانة الحديدية) يا سيِّدتي. ربما تُوافقين على أن تُرسلي إليَّ هارولد هاردينج».

ردَّت آنيا واينوود وقد وجدت قوله طريفاً: «لورد بيتر، أنت أجراً لصِّ التقية على الإطلاق».

- «لستُ أرغبُ في سرقة الفتى، لكن ينبغي أن يكون هو واللورد روبرت صديقين».

مالَ يون رويس البرونزي إلى الأمام قائلاً: «ملائم تماماً أن يُصادق اللورد روبرت الفتى هاري، وسيفعل... في (رونستون) تحت رعايتي، باعتباره ربيبي ومُرافق».

وقال اللورد بلمور: «أعطينا الصّبي ولك أن ترحل من (العُش) دون أن يعترض طريقك أحد إلى مقرّك اللّائق في (هارنْهال)».

رمقه پيتر بنظرة تأنيبٍ خفيف، وقال: «هل تُلمّح إلى أن أذى سيمسني في حال عدم حدوث ذلك يا سيّدي؟ لا أستطيعُ التّفكير في سبب. زوجتي الرّاحلة ارتأت أن هذا مقرّي اللّائق».

قالت الليدي واينوود: «لورد بايلش، لايسا تلي كانت زوجة چون آرن وأم ابنه، وحكمت هنا باعتبارها الوصيّة عليه، أمّا أنت... لنكن صُرحاء، أنت لست من آل آرن واللورد روبرت ليس من دمك. بأيّ حقّ تُحاول أن تحكّمنّا؟».

- «لايسا سمّنتني اللورد الحافظ على ما أذكر».

قال اللورد هنتر اليافع: «لايسا تلي لم تكن ابنة (الوادي) حقًا، ولم يكن لها الحقّ في إدارة شؤوننا».

- «واللورد روبرت؟ هل سيزعّم حضرة اللورد أيضًا أن الليدي لايسا لم يكن لها الحقّ في إدارة شؤون ابنها؟».

ظَلّ نستور روبس صامتًا طوال الوقت، لكنه رفعَ صوته الآن قائلاً: «لقد أملتُ أن أتزوّج الليدي لايسا من قبل عن نفسي، كما كان يأمل أبو اللورد هنتر وابن الليدي أنيا، وكوربراي برحّ جانبها بالكاد طيلة نصف عام. لو اختارت أنيا لما جادلَ أحد هنا في حقّه في أن يكون اللورد الحافظ... لكنها اختارت اللورد الإصبع الصّغير وعهدت إليه برعاية ولدها».

قال يون البرونزي عابسًا في وجه وليّ (بوّابات القمر): «إنه ولد چون آرن أيضًا يا ابن العم، ومكانه في (الوادي)».

تظاهر پيتر بالدهشة قائلاً: «(العُش) جزء من (الوادي) تمامًا كـ(رونستون)، ما لم يكن أحدهم قد نقلها».

ردّ اللورد بلمور مغضّبًا: «امزح كما تُريد أيها الإصبع الصّغير. الصّبي سيأتي معنا».

- «أكرهُ أن أخيّب أملككم يا لورد بلمور، لكن ابن زوجتي سيبقى هنا معي. إنه ليس طفلًا قويًّا كما تعلمون جميعًا، والرّحلة ستُنْهكه لأقصى درجة. بصفتي زوج أمّه واللورد الحافظ لا أستطيعُ أن أسمح بذلك».

تنحنح سايموند تمپلتون، وقال: «كلُّ منا معه ألف رجل عند سفح الجبل أيها الإصبع الصّغير».

- «مكان رائع لهم».

- «ويمكننا استدعاء المزيد إذا دعت الحاجة».

سأله پيتر دون أن يلوح في نبرته أدنى خوف: «هل تُهدّدني بالحرب أيها الفارس؟».

قال يون البرونزي: «سنأخذ اللورد روبرت».

بدا أنهم بلغوا طريقًا مسدودًا، إلى أن التفتَ لين كوربراي عن النَّار قائلاً: «كلُّ هذا الكلام يُصيبني بالغثيان. الإصبع الصَّغير سيُقنعكم بخلع ثيابكم الدَّاخليَّة إذا أصغيتم له كفاية. الطَّريقة الوحيدة للتَّعامل مع أمثاله الفولاذ»، واستلَّ سيفه الطَّويل.

بسطَ بيتر يديه قائلاً: «لستُ أحملُ سيفًا أيها الفارس».

تموَّج ضوء الشَّموع على الفولاذ الرَّمادي كاللُّحان، الدَّاكن لدرجةٍ ذكَّرت سانزا بسيف أبيها العظيم (جليد)، ورَدَّ كوربراي: «مشكلة سهلة العلاج. رجلُك آكل الثُّقَّاح يحمل سيفًا. قلْ له أن يُعطيك إياه أو اسحب هذا الخنجر».

رأت لوثر برون يمدُّ يده إلى سيفه، لكن قبل أن يتقارَعَ التَّصلان نهضَ يون رويس البرونزي قائلاً بحنق: «ضَع سيفك في غِمده أيها الفارس! أنت كوربراي أم فراي؟ نحن ضيوف هنا».

وزمَّت الليدي واينوود شفتيها قائلةً: «هذا لا يليق».

وردَّد اللورد هنتر اليافع: «أغمد سيفك يا كوربراي. إنك تُخزينا جميعًا بتصرُّفك هذا».

وقال اللورد ردفورت موبِّخًا بنبرة الطِّف: «هلمَّ يا لين، لن يُفيدك هذا إطلاقًا. ضَع (سيِّدة البؤس) في غِمدها».

رَدَّ السير لين بعناد: «سيِّدتي ظمأى. كلِّما خرجت تَرُقُص رغبت في قطرةٍ من الأحمر».

وضعَ يون البرونزي نفسه في طريق كوربراي مباشرةً قائلاً: «فلتظلَّ سيِّدتك ظمأى».

أطلقَ لين كوربراي نخيرًا ساخرًا، وقال: «لوردات البيان. كان حريًّا بكم أن تُسمِّوا أنفسكم المِسِنَّات السيِّت»، وعادَ يدسُّ السَّيف القاتم في غِمده وتركهم مارًّا بلوثر برون كأنه ليس موجودًا، وسمعتَ إليني وقع خُطواته يخفت.

تبادلت أنيا واينوود وهورتون ردفورت نظرةً، وأفرغَ هنتر كأسه في جوفه ورفعَها لثُمَّلاً من جديد، بينما قال السير سايموند: «لورد بايلش، أرجو أن تغفر لنا هذا الابتذال».

قال الإصبع الصَّغير بنبرةٍ زحفَ عليها البرود: «حقًّا؟ لقد أتيتم به هنا أيها السَّادة».

قال يون البرونزي: «لم تكن نيتنا قطُّ أن...».

- «أنتم أتيتم به هنا! سيكون من حقِّي تمامًا أن أستدعي حَرْسي وألقي القبض عليكم جميعًا».

هَبْ هنتر واقفًا بعُنْفٍ كَادَ يُسْقِطُ الإبريق من يد إليني، وقال: «لقد وعدتنا بالأمان!».

رَدَّ پيتر بنبرة غاضبة لم تسـمعها في صـوته من قبل إطلاقاً: «نعم. فلتمتـنوا لتحـلِّي بِالشَّرَفِ أَكْثَر من بعـض الـنَّاس. لقد قرأتُ بيـانكم وسـمعتُ مطالبكم، والآن اسمعوا مطالبي. أبعدوا جيوشكم عن هذا الجبل، عودوا إلى دياركم واتركوا ابني في سلام. كان هناك سوء حُكم بالفعل ولن أنكر هذا، لكنه كان من صُنع لايسا لا صُنعي. امنحوني عامًا واحدًا فقط، وبمساعدة اللورد نستور أعدكم بأن لا أحد منكم سيجد سببًا للشكوى».

قال بلمور: «هذا ما تقوله، لكن كيف نثق بك؟».

- «هل تجرؤ على القول بأنني لستُ أهلاً للثقة؟ لستُ أنا مَنْ جَرَدَ فولاذه في أثناء التَّفَاوُض. لقد كتبتم عن الدِّفاع عن اللورد روبرت بينما تأبون عليه الطَّعام. يجب أن ينتـهي هـذا. إنـني لستُ مُحـاربًا لكنـي سـأقاتلكم إذا لم ترفعوا هـذا الحصار. هنـاك لـوردات غـيركم في (الوادي)، وسـتُرسل (كينجز لانـدنغ) رجـالًا أيـضًا. إذا كـانت الحـرب ما تُريدون فقولوا وستُراق الدِّماء في (الوادي)».

رأت إليني زهور الشَّكِّ تتفتَّح في أعين لوردات البيان، وقال اللورد ردفورت بتردد: «عام ليس وقتًا طويلًا. ربما... إذا أعطيتنا ضمانات...».

أيدته الليدي واينوود قائلةً: «لا أحد منا يُريد الحرب. الخريف يُشارفُ نهايته ولا بُدَّ أن نُهيئَ أنفسنا للشِّتاء».

تنحَّح بلمور، وقال: «في نهاية هذا العام...».

- «... إذا لم أصحَّ الأوضاع في (الوادي) فسأتنحَّى عن منصب اللورد الحافظ بإرادتي».

عقب نستور رويس: «أظنُّ هذا عادلاً وأكثر».

وقال تمپلتون بإصرار: «يجب ألا يكون هناك قصاص أو كلام عن الخيانة أو التَّمَرُّد. عليك أن تُقسِمَ على هذا أيضًا».

قال پيتر: «يُسعدني أن أفعل. إنني أرغبُ في الأصدقاء لا الأعداء. سأعفو عنكم جميعًا، كتابةً إذا أردتم، حتى لين كوربراي. أخوه رجل صالح، ولا داعي إلى تكليل عائلة نبيلة بالعار».

التفتت الليدي واينوود إلى رفاقها لوردات البيان قائلةً: «هل نطرح الأمر للمشاورة أيها السَّادة؟».

قال يون البرونزي: «لا داعي. واضحٌ أنه فاز»، وتفرَّس في پيتر بايلش بعينيه الرَّماديتين مردفًا: «لا يروقني هذا، لكن يبدو أن لك العام الذي تطلبه. خيرٌ لك أن تُحسِنَ استغلاله يا سيدي، فليس من السَّهل خداعنا جميعًا»، وفتح الباب بقوة

عاتية كادت تخلعه من مِفصلاته.

لاحقًا أقيمَ ما هو أشبه بالمأدبة، وإن اضطرَّ پيتر إلى الاعتذار إليهم بسبب الطعام المتواضع، وحيءَ بروبرت في سُترةٍ من القشدي والأزرق ولعبَ دور اللورد الصَّغيرِ بهذيبٍ شديدٍ، في حين تغيبَ يون البرونزي إذ رحَلَ بالفعل من (العُش) لبدأ رحلة النُّزول الطويلة التي سبقه إليها السير لين كوربراي، وظلَّ الباقيون معهم حتى الصُّباح.

ليلتها بينما تمدَّدت إليني في الفراش مصغيةً إلى عُواء الرِّيح في الخارج فكَّرت: لقد سحرهم. لا تدري من أين أتى الارتياح الذي انتابها، لكن بمجرد أن جالَ بهاها حرَمها النُّوم، وراحت تتقلب وهو ينهشها كما ينهش الكلب عظمةً، وأخيرًا نهضت وارتدت ثيابها تاركةً جرتشل لأحلامها.

كان پيتر لا يزال مستيقظًا يخطُّ رسالةً، ولمَّا دخلت عليه سأَلها: «إليني يا حُلوتي، ماذا تفعلين هنا في هذه السَّاعة المتأخِّرة؟».

- «يجب أن أعرف. ما الذي سيحدُث خلال عام؟».

وضعَ ريشته مجيبًا: «ردفورت وواينوود عجوزان، وربما يموت أحدهما أو كلاهما. جيلوود هنتر سيغتاله إخوته، غالبًا هارلان الشَّاب الذي رتبَ موت اللورد إيون.

كما أقولُ دائمًا، إذا سرقتِ فاسرقي أيلًا. بلمور فاسد ويُمكِن شراؤه. تميلتون سأُصادقه. أمَّا يون رويس البرونزي فأخشى أنه سيظلُّ معاديًا، لكن ما دامَ وحده فلن يُشكِّل تهديدًا يُذكر».

- «والسير لين كوربراي؟».

تراقصَ ضوءُ الشُّموع في عينيه إذ أجابَ: «السير لين سيبقى عدوِّي اللدود، وسيتكلَّم عني بسخريةٍ وازدراء مع كلِّ من يلتقي ويُشارك بسيفه في كلِّ مؤامرةٍ سرِّيَّةٍ للإطاحة بي».

هنا استحالت ريبته إلى يقين، فقالت: «وكيف سنُكافئه على خدمته؟».

أطلقَ الإصبع الصَّغير ضحكةً عاليةً، وقال: «بالذهب والغلمان والوعود بالطَّبع. السير لين رجل بسيط الذَّوق يا حُلوتي، لا يحبُّ إلَّا الذهب والغلمان والقتل».

سرسي

بشفتين ممطوتتين استياءً قال لها الملك: «أريدُ أن أجلس على العرش الحديدي. كنتِ تدعينِ خوفٍ يجلس عليه دائماً».

- «خوفري كان في الثانية عشرة».

- «لكنني الملك! العرش ينتمي إلي!».

سألته سرسي: «مَن أخبرك بهذا؟»، وأخذت نفساً عميقاً كي تعقد دوركاس أربطة فُستانها بمزيدٍ من الإحكام. إنها فتاة كبيرة الحجم وأقوى كثيراً من سينل، وإن كانت أكثر خرقاً أيضاً.

احمرّ وجه تومن، وقال: «لا أحد أخبرني».

- «لا أحد؟ أبهذا تدعو السيّدة زوجتك؟». رائحة مارچري تايرل فائحة من هذا العصيان مفعمةً أنف الملكة. «إذا كذبت عليّ فلن تترك لي خياراً إلا استدعاء

پايت ليُضرب حتى ينزف». پايت هو كبش فداء⁶² تومن كما كان لجوفري من قبله. «أهذا ما تُريده؟».

أجاب الملك بتجهم: «لا».

- «مَن أخبرك إذن؟».

جرّجَر قدميه على الأرض قائلاً: «الليدي مارچري». الصّبي أعقل من أن يدعوها بالملكة في حضور أمّه.

- «هذا أفضل. تومن، إن على عاتقي أموراً جسيمةً عليّ أن أتخذ قراراً فيها، أموراً أنت أصغر كثيراً جداً من أن تفهمها، ولستُ في حاجةٍ إليّ صبيٍّ سخيّف يتملّم على العرش ورائي ويُسَيِّت انتباهي بالأسئلة الطفوليّة. أظنُّ أن مارچري ترى أن عليك حضور اجتماعات مجلسي أيضاً، أليس كذلك؟».

- «بلى، تقول إن عليّ أن أتعلّم أن أكون ملكاً».

قالت له سرسي: «عندما تكبر يُمكنك أن تحضر كلّ ما تُريد من اجتماعات. أعدك بأنها سرعان ما ستُصيبك بالملل. روبرت كان ينعس في تلك الجلسات». حين كان يُجشِّم نفسه عناء الحضور من الأصل. «كان يُفضِّل الصّيد والقنص تاركاً الشُّؤون المملّة للورد آرن العجوز. هل تذكّره؟».

- «لقد ماتَ بالِم في البطن».

- «صحيح، الرّجل المسكين. ما دُمت توّاقاً إلى التّعلّم فربما عليك أن تتعلّم أسماء جميع ملوك (وستروس) والأيدي الذين خدموهم. يُمكنك أن تتلوها عليّ غداً».

رَدَّ صاغراً: «حاضر يا أمّاه».

- «هذا صبيّ المهذب». الحُكم لها، ولا تنوي سרسي أن تتخلّى عنه قبل أن يبلُغ تومن سنّ الرُّشد. أنا انتظرتُ، وهو أيضًا يستطيع الانتظار. نصف حياتي قضيتها انتظارًا. لقد لعبت دور الابنة المطيعة والعروس الخجلى والزوجة المطواعة، وتحملت تلمس روبرت جسدها وهو سكران وغيره چايمي وسخرية رنلي وضحكات فارس المكبوتة وصرير أسنان ستانيس اللا نهائي، ونافست چون آرڤ وند ستارك وأخاها القزم القاتل الخائن البغيض، وطيلة كلّ ذلك الوقت ظلت تعدّ نفسها بأن أوانها سيأتي. إذا كانت مارچري تايرل تبغي حرمانني ساعتني في الشّمس فعلى الحقيرة أن تُعيد النّظر.

وعلى الرّغم من ذلك فما زالت هذه بدايةً سيئةً ليومها الذي لم يتحسن بعدها كثيرًا. أمضت سרسي بقيّة الصّباح مع اللورد جايلز ودفاتره، تُصغي إليه يسعل عن النّجوم والأيّائل والثّنّانين، وبَعده وصلَ اللورد ووترز ليُخبرها بأن دُرموناتها الثلاث الأولى تُشارف الاكتمال ويطلب مزيّدًا من الذهب لأنّها بالّفخامة التي تستحقّها، فسَرّ الملكة أن تُلبّي طلبه. لاحقًا توثب فتى القمر أمامها فيمّا تناولت وجبة منتصف النّهار مع أعضاءٍ من روابط التجّار وأنصتت إلى شكاواهم من العصافير الذين يتسكعون في الشّوارع وينامون في الميادين. ربما أحتاجُ إلى استخدام ذوي المعاطف الذهبية في طرد هؤلاء العصافير من المدينة. كانت تُفكّر في هذا عندما دخلَ عليها پايسل.

مؤخرًا صارَ المايستر الأكبر كثير الاعتراض بصورةٍ مبالغ فيها في اجتماعات المجلس، وفي أثناء الجلسة الأخيرة اشتكى بشدّة من الرّجال الذين اختارَهم أوران ووترز لقيادة دُرموناتِها الجديدة. يُريد ووترز أن يُعطي السّفن لرجالٍ أكثر شبابًا، في حين بحث پايسل على اللّجوء إلى ذوي الخبرة، ويصرُّ على أن القيادة ينبغي أن تكون للرّبابنة الذين نجوا من حريق (النّهر الأسود)، واصفًا إياهم بأنهم «رجال محنّكون أثبتوا ولاءهم»، أمّا سרسي فقالت إنهم مسنّون وانحازت إلى اللورد ووترز قائلةً: «الشّيء الوحيد الذي أثبتته هؤلاء الرّبابنة أنهم يُجيدون السّباحة. لا يجدرُ بأمّ أن تعيش بعد موت أطفالها ولا يجدرُ برّبان أن يعيش بعد غرق سفينته».

تلقى پايسل تبكيّتها على مضض، وإن بدا أقلّ مشاكسةً اليوم، بل ونجحَ في رسم ابتسامةٍ راجفة على شفّتيه كذلك إذ خاطبها معلّنًا: «أخبار سارة يا جلالة الملكة.

وايمان ماندرلي نَقَذ ما أمرت به وقطعَ رأس فارس البصل رجل اللورد ستانيس».

- «أهذا أكيد؟».

- «لقد علّقَ رأس الرّجل ويداه علي أسوار (الميناء الأبيض). اللورد وايمان صرّح بهذا وآل فراي يؤكّدونه. لقد رأوا الرّأس هناك وفي فمه بصلة، وأيضًا رأوا اليدين

اللتين تُمَيِّزُ إِحْدَاهُمَا أَصَابِعُهَا الْمُقْصَّرَةُ».

قالت سرسي: «عظيم. أُرْسِلَ طَائِرًا إِلَى مَانْدِرلي وَبَلِّغْهُ بِأَن ابْنَهُ سَيُعَادُ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ مَا دَامَ قَدْ بَرَهَنَ عَلَى إِخْلَاصِهِ». قَرِيبًا سَتَعُودُ (الْمِينَاءُ الْأَبْيَضُ) إِلَى سَلَامِ الْمَلِكِ، وَرُووسُ بُولْتُونِ وَابْنُهُ النَّعْلُ يُضَيِّقُ-إِنِ الْخَنَاقُ عَلَى- (خَن-دَقُ كَ-إِلَيْنِ) مِنَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَبِمَجَرَّدِ اسْتِيلَاثِهِمَا عَلَى الْقَلْعَةِ سَيَنْتَضِمُّ قُوَّاتُهُمَا لَطَرْدِ الْحَدِيدِيِّينَ مِنَ (مَرْبَعِ تَوْرِينِ) وَ(رِبْوَةِ الْغَابَةِ) أَيْضًا، وَمِنْ شَأْنِ هَذَا أَن يُكْسِبَهُمَا وِلَاءَ حَمَلَةٍ رَايَةٍ نَدِ سَتَارِكِ الْمَتَبَقِّينَ حِينَ يَأْتِي وَقْتُ الرَّحْفِ ضِدَّ اللَّورْدِ سَتَانِيْسِ.

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ أَقَامَ مَايْسُ تَايِرْلُ فِي الْجَنُوبِ مَدِينَةً مِنَ الْخِيَامِ خَارِجَ (سَتُورْمَزِ إِنْدِ)، وَثَمَّةُ دَسْتَةٍ مِنَ الْمَجَانِيْقِ تَضْرِبُ أَسْوَارَ الْقَلْعَةِ الْعَمَلَاقَةَ بِالْحَجَارَةِ، وَلَكِنْ بَلَا تَأْثِيرٍ يُذَكِّرُ حَتَّى الْآنَ. قَالَتِ الْمَلِكَةُ لِنَفْسِهَا مَتَأَمِّلَةً: اللَّورْدُ تَايِرْلُ الْمُحَارِبِ. الْمَفْتَرَضُ أَن يَكُونَ رَمْزُهُ رَجُلًا سَمِينًا جَالِسًا عَلَى مَوْخِرَتِهِ.

بَعْدَ الظُّهْرِ وَصَلَ الْمَبْعُوثُ الْبِرَاقُوسِي الْكَالِحَ لِلِقَائِهِ مَعَهَا، وَالَّذِي أَرْجَأَتْهُ سِرْسِي أَسْبُوعَيْنِ وَكَانَتْ لَتُرْجِيَهُ عَامًّا آخَرَ لَوْلَا أَنِ اللَّورْدُ جَايِلِزُ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ الرَّجُلِ... وَإِنِ كَانَتْ الْمَلِكَةُ قَدْ بَدَأَتْ تَتَسَاءَلُ إِنْ كَانَ جَايِلِزُ قَادِرًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ السُّعَالِ.

قَالَ الْبِرَاقُوسِي إِنْ اسْمُهُ نُوهُو دِيمِيْتِيْسِ. اسْمُ مَزْعَجٍ لِرَجُلٍ مَزْعَجٍ. صَوْتُهُ أَيْضًا مَزْعَجٌ، وَقَدْ تَمَلَّمَتْ سِرْسِي فِي جَلِيسَتِهَا بَيْنَمَا تَكَلِّمُ وَتُكَلِّمُ، مَتَسَاءِلَةً كَمْ عَلَيْهَا أَنْ تَتَحَمَّلَ غَطْرَسَتَهُ، وَمِنْ وَرَائِهَا يَرْتَفِعُ الْعَرْشُ الْحَدِيدِيُّ وَتُلْقِي نَصَالَهُ وَبِرُوزَاتِهِ ظِلَالًا مَلْتَوِيَةً عَلَى الْأَرْضِ. وَحَدَهُ الْمَلِكُ أَوْ يَدُهُ يَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ عَلَى الْعَرْشِ نَفْسَهُ، وَلِذَا جَلَسَتْ سِرْسِي عِنْدَ قَاعِدَتِهِ عَلَى مَقْعَدٍ مِنَ الْخَشَبِ الْمَذْهَبِ تَكْوَمَتْ عَلَيْهِ الْوَسَائِدُ الْقَرْمِزِيَّةُ.

حِينَ تَوَقَّفَ الْبِرَاقُوسِي لِيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ اغْتَنَمَتْ الْفُرْصَةَ قَائِلَةً: «هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَلِيْقُ أَكْثَرَ بِاللَّورْدِ الْخَازِنِ».

بَدَأَ أَنِ الْإِجَابَةُ لَمْ تَسِرْ النَّبِيلَ نُوهُو إِذْ قَالَ: «لَقَدْ تَكَلَّمْتُ مَعَ اللَّورْدِ جَايِلِزِ سِتِّ مَرَّاتٍ، فَلَا يَفْعَلُ إِلَّا السُّعَالَ فِي وَجْهِهِ وَالتَّحَجُّجَ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ، لَكِنْ الذَّهَبُ مَا زَالَ غَيْرَ حَاضِرٍ».

قَالَتِ سِرْسِي مُقْتَرِحَةً بَعْذُوبَةً: «تَكَلِّمُ مَعَهُ مَرَّةً سَابِعَةً. الرَّقْمُ 7 مُقَدَّسٌ عِنْدَ آلِهَتِنَا».

- «أَرَى أَنِ الْمَزَاحَ يَسِرُّ صَاحِبَةَ الْجَلَالَةِ».

- «حِينَ أَمْزَحُ أَبْتَسِمُ. هَلْ تَرَانِي مَبْتَسِمَةً؟ هَلْ تَسْمَعُ ضَحْكًا؟ أَوْكِدُ لَكَ أَنِ النَّاسَ يَضْحَكُونَ عِنْدَمَا أَمْزَحُ».

- «الْمَلِكُ رُوبَرْتٌ...».

قاطعته بحدّة: «... مات. (المصرف الحديدي) سينال ذهبه عندما يُخمد هذا التمرّد».

جرّو الرّجل على أن يعبس في وجهها بكلّ عجرفة قائلاً: «جلالة الملكة».

قالت سرسي التي تحمّلت ما يكفيها تمامًا اليوم: «هذا اللقاء انتهى. سير مرين، اصحب التّبيل نوهو ديميتيس إلى الباب. سير أوزموند، يُمكنك أن تصحبني إلى مسكني». سيصل ضيفاها قريبًا، وعليها أن تستحمّ وتبدّل ثيابها، ولو أن العشاء المنتظر يعد بأن يكون مضجّرًا كذلك. حكم مملكة واحدة صعب بما فيه الكفاية، ناهيك بسبع ممالك.

لحقَ بها السـير أوزموند كـتـلبـلا كـعلى الـدرج، طويـلاً رشـيقاً فـي ثيـاب الـحرس الـملكـي البـيضـاء، وحين تـأكـد تـسرسي مـن وجـودهمـا وحـدهما تـأبـط ذراعـه متسـائلة: «كيف حال أخيك الصّغير يا ثري؟». لاح الارتباك على السير أوزموند إذ قال: «آه... بخير، غير أن...».

تركت الملكة لمحة من الغضب تشوب نبرتها وهي ترد: «غير أن؟ عليّ أن أعترف بأن صبري على أوزني العزيز بدأ ينفد. حان الوقت لأن يلج تلك المهرّة الصّغيرة. لقد عيّنته حارسًا شخصيًا لتومن كي يقضي وقتًا كلّ يوم في صحبة مارجري. المفترض أن يكون قد اقتطف الوردة بالفعل. هل الملكة الصّغيرة معميّة عن سحره؟».

- «سحره يعمل بكفاءة. إنه كتلبلاك، أليس كذلك؟ أرجو ألا تُؤاخِذيني»، ومرّر السير أوزموند أصابعه في شعره الأسود الدّهني مضيّعًا: «إنها هي المشكلة».

- «وما السّبب؟». بدأت الشكوك تُساور الملكة في السير أوزني. ربما هناك رجل آخر يروق مارجري أكثر. أوران ووترز بشعره الفضي، أو رجل كبير قوي البنية كالسير تالاد. «هل تُفضّل الفتاة أحدًا آخر؟ هل يُزعجها وجه أخيك؟».

- «إنها تحب وجهه. قال لي إنها تحبّست ندوبه منذ يومين وسألته عن المرأة التي أصابته بها. لم يقل أوزني قط إنها امرأة، لكنها عرفت. ربما أخبرها أحد. يقول إنها تلمسه دائمًا عندما يتكلّمان، تُعدّل دُبوس معطفه وتُسوّي شعره وما إلى ذلك، وفي مرّة في تدريب الرّماية جعلته يُريها كيف تحمل القوس الطويل، فطوّقها بذراعيه. أوزني يحكي لها نكاتًا بذيئة فتضحك وتردّ بنكاتٍ أكثر بذاءة. لا، إنها راغبة فيه، هذا واضح، ولكن...».

استحثته سرسي قائلة: «ولكن؟».

- «إنه لا ينفرد بها أبدًا. الملك معهما أغلب الوقت، وإن لم يكن هو فهناك غيره. اثنتان من رفيقاتها تنامان معها في فراشها، اثنتان مختلفتان كلّ ليلة، واثنتان أخريان تجلبان لها الإفطار وتُساعدانها على ارتداء ثيابها. إنها تُصلي مع سيّبتها وتقرأ مع بنت عمومتها إلينور وتُغني مع بنت عمومتها آلا وتُخيط مع بنت

عمومتها مجاً، وحين لا تذهب للصَّيد بالصَّقور مع چانا فوسواي وميري كرين تلعب (تعالَ إلى قلعتي) مع ابنة بولوار الصَّغيرة، ولا تذهب لركوب الخيل أبداً دون أن تأخذ حاشيةً من أربعة أو خمسة رفاق ودستةً على الأقل من الحُرَّاس، وهناك رجال حولها دومًا، حتى في (قفص العذراوات)».

- «رجال. مَنْ هُمْ؟ أخبرني؟». هذا أفضل من لا شيء وينطوي على احتمالات. هَزَّ السير أوزموند كتفيه مجيبًا: «مغنُّون. إنها مغرمة بالمغنِّين والحِوَّاة وأمثالهم، وثمة فُرسان يأتون للتَّحديق ولها إلى بنات عمومته. السير تالاد أسوأهم كما يقول أوزني. الأبله الكبير لا يدري إن كان يُريد إلبينور أم آلا، لكنه يعرف أنه يُريدها للغاية. التَّوَّامان ردواين يأتیان لزيارتها أيضًا. سلوبر يجلب زهورًا وفواكه، وهورور تعلِّم العزف على العود. حسب كلام أوزني فخلق القِطط يُصدِر الحانًا أفضل. رجل (جُزر الصَّيف) حاضر دائمًا أيضًا».

قالت سرسي: «چالابار شو؟»، وأطلقت نخير سخريةً مردفةً: «يتوسَّل منها الذَّهب والرجال لاسترداد وطنه على الأرجح». تحت جواهره وريشه ليس شو أكثر من شَحَّاذٍ ينحدر من أصلٍ عريق. كان بمقدور روبرت أن يضع نهايةً لإلحاحه بـ«لا» واحدة حازمة، إلا أن فكرة غزو (جُزر الصَّيف) استهوت زوجها الجلف السيِّكر. لا ريب أن هـ كان يحلُم بالنِّساء بـنِّيات البشـرة العـاريات تحت المعـاطف الـريش وحلماتـهن الـسوداء كـالفحم، ولـذا بـدلاً مـن «لا» اعتـادَ روبرت أن يقول لشـو: «العـام المـقبل»، مع أن ذلك العام المقبل لم يُقبل قط.

رَدَّ السير أوزموند: «لا أدري إن كان يتوسَّل أم لا يا جلالة الملكة. أوزني يقول إنه يُعلِّمهم لغة الصَّيف. ليس أوزني، بل الملك... المُهرة وبنات عمومته».

قالت الملكة بجفاف: «الحصان الذي يتكلَّم لغة الصَّيف يُحدث انطباعًا قويًا. قُل لأخيك أن يُحافظ على حدَّة مهزميّه. قريبًا سأجدُ وسيلةً له ليمتطي المُهرة، لك أن تثق بهذا».

- «سأخبره يا جلالة الملكة. إنه متشوّق إلى تلك الرُّكوبة، لا تحسبي العكس. تلك المُهرة حسناء حقًا».

إنه متشوّق إليّ أنا أيها الأحمق. لا يُريد من مارچري إلّا اللوردية التي بين ساقبها. على الرغم من ولعها بأوزموند فإنه يبدو بطيء الفهم كروبرت أحيانًا. أمل أن يكون سيفه أسرع من بديته، فربما يأتي يوم يحتاج فيه تومن إليه.

كانا يمرّان في ظلّ أنقاض (برج اليد) حين تعالَى صوت التَّهليل ليغمرهما. عبر السَّاحة كان مُرافق ما قد سدَّد ضربةً إلي الطَّاووس مدورًا ذراعه العرضية، وقد قادت الهتاف مارچري تايرل ودجاجاتها. فكّرت سرسي: جعجة صاحبة لطحن لا يُذكر. كان المرء ليحسب الصَّبي فاز في دورة مباريات، ثم أذهلها أن ترى أن مَنْ على متن الجواد الحربي هو تومن مدرِّعًا بالصفائح المعدنية المذهبة.

لَمْ تَجِدِ الْمَلِكَةَ خَيْرًا إِلَّا أَنْ تَرَسِمَ ابْتِسَامَةً عَلَى شِفْهِهَا وَتَذْهَبَ لَتَرَى ابْنَهَا، وَبَلَغَتْهُ بَيْنَمَا سَاعِدَهُ فِإِرْسِ الزُّهُورِ عَلَى الْإِنْزُولِ مِنْ فَوْقِ حَصَانِهِ. لَكِنْ الصَّبِي مَتَّقِطْعُ الْأَنْفَاسِ مِنْ فِرْطِ الْإِثَارَةِ، وَيَسْأَلُ الْجَمِيعَ: «هَلْ رَأَيْتُمْ؟ فَعَلْتَهَا كَمَا قَالَ السَّيْرُ لُورَاسَ تَمَامًا. هَلْ رَأَيْتَ يَا سَيْرَ أُوزْنِي؟».

أَجَابَ أُوزْنِي كِتْلِبْلَاكُ: «رَأَيْتُ. مَنْظَرُ جَمِيلٍ».

أَضَافَ السَّيْرُ دَرَمُوتَ: «تُجِيدُ الرُّكُوبَ أَفْضَلَ مِنِّي يَا مُوَلَايَ».

- «كَسَرْتُ الرُّمْحَ أَيْضًا. هَلْ سَمِعْتَهُ يَا سَيْرَ لُورَاسَ؟».

- «كَانَ هَازِي-مُ الرَّعْدِ». لَكِنْ وَرْدَةٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْيَشَبِ تُثَبِّتُ مَعْطَفَ السَّيْرِ لُورَاسَ الْأَبْيَضَ عَنِ الْكَتِفِ، وَالرَّيْحُ تَمُوجُ خُصَلَاتِهِ الْبَيْضَةِ بِأَنَاقَةٍ. «لَقَدْ رَكَبْتَ بِمَنْتَهَى الْبِرَاعَةِ، لَكِنْ مَرَّةً وَاحِدَةً لَا تَكْفِي. عَلَيْكَ أَنْ تُكَرِّرَهَا غَدًا. يَجِبُ أَنْ تَرْكَبَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَنْ تُصْبِحَ كُلُّ ضَرْبَةٍ تُوجِّهَهَا ثَابِتَةً مُسْتَقِيمَةً وَيَصِيرُ الرُّمْحُ جِزَاءً مِنْ جَسَدِكَ مِثْلَهُ مِثْلَ ذِرَاعِكَ».

- «أُرِيدُ هَذَا».

قَالَتْ لَهُ مَارْچَرِي: «كَنتَ مُجِيدًا»، وَجَثَّتْ عَلَى رُكْبَتِهَا وَلَثَمَتِ الْمَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ وَوَضَعَتْ ذِرَاعَهَا عَلَى كَتِفِهِ قَائِلَةً لِلُورَاسَ: «أُظَنُّ أَنْ زَوْجِي الْبَاسِلُ سَيُسْقِطُكَ عَنْ حَصَانِكَ خِلَالِ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ»، وَأَيْدِئُهَا بَنَاتُ عَمُومَتِهَا الثَّلَاثِ، وَبَدَأَتْ ابْنَةُ بُولَوَارِ الْمَافُونَةِ تَتَوَثَّبُ مَتَرِّمَةً: «تُومَنُ سَيَكُونُ الْبَطْلُ، الْبَطْلُ، الْبَطْلُ!».

قَالَتْ سَرَسِي: «حِينَ يُصْبِحُ رَجُلًا بِالْغَا».

ذَبَلَتْ ابْتِسَامَاتُهُمْ كُورِدَاتٍ قَبْلَهَا الصَّقِيعَ، وَكَانَتِ السَّيِّئَةُ ذَاتُ الْوَجْهِ الْمَجْدُورِ أُولَ مَنْ يَرْكَعُ، وَتَبَعَهَا الْآخَرُونَ بِاسْتِثْنَاءِ الْمَلِكَةِ وَأَخِيهَا.

لَمْ يَبْدُ عَلَى تُومَنِ أَنَّهُ لَاحِظَ الْبُرُودَةَ الْمَفَاجِئَةَ فِي الْهَوَاءِ، وَانْدَفَعَ يَقُولُ بِسَعَادَةٍ: «هَلْ رَأَيْتَنِي يَا أُمِّي؟ لَقَدْ كَسَرْتُ رُمْحِي عَلَى الثَّرَسِ وَلَمْ يَضْرِبْنِي كَيْسَ الرَّمْلِ!».

- «شَاهَدْتُكَ عَبْرَ السَّاحَةِ. أَحْسَنْتَ الْبَلَاءَ لِلْغَايَةِ يَا تُومَنُ. لَا أَتَوَقَّعُ مِنْكَ مَا هُوَ أَقْلُ. إِنْ الْبَزَالُ فِي دَمِكَ، وَذَاتُ يَوْمٍ سَتَسْوَدُ الْمَضَامِيرُ مِثْلَ أَبِيكَ».

مِنْ حَتِّ مَارْچَرِي تَإِيرِلُ الْمَلِكَةَ ابْتِسَامَةً ظَاهِرَهَا الْخَجَلُ قَائِلَةً: «لَا أَحَدٌ سَيَصْمُدُ أَمَامَهُ. لَكِنْ لَمْ أَعْرِفْ أَنَّ الْمَلِكَ رُوبَرْتَ لَكِنْ صَاحِبَ إِنْجَازَاتٍ فِي الْبَزَالِ. أَخْبِرْنِي مِنْ فَضْلِكَ يَا جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ، مَا الْمُبَارَاةُ الَّتِي فَازَ فِيهَا؟ مَنِ الْفُرْسَانُ الَّذِينَ أَسْقَطَهُمْ مِنْ فَوْقِ خِيُولِهِمْ؟ أَعْرِفُ أَنَّ الْمَلِكَ يَحِبُّ أَنْ يُحِيطَ عِلْمًا بِانْتِصَارَاتِ أَبِيهِ».

زَحَفَ الْأَحْمَرُ عَلَى عُنُقِ سَرَسِي. لَقَدْ أَوْقَعَتْهَا الْفَتَاةُ فِي مَصِيدَةٍ. الْحَقِيقَةُ أَنَّ رُوبَرْتَ بَارَاثِيُونَ لَمْ يَكُنْ يُبَالِي بِالْبَزَالِ فِي الْمَضَامِيرِ، وَخِلَالِ الْمُبَارَاةِ كَانَ يُقْصَلُ

الالتحامات الجماعية كثيرًا، حيث يُمكنه أن يطيح في الرجال ضربًا بفأس ثلثة أو مطرقة حتى يُدميهم. حين تكلمت كانت تُفكر في چايمي. ليس من ديدني أن أنسى نفسي.

هكذا قالت مرغمة: «روبرت فاز في مباراة (الثالوث)، أسقط الأمير ريجار وسماني ملكة الحب والجمال. يُدهشني أنك لا تعرفين هذه القصة يا زوجة ابني»، ولم تمنح مارچري فرصة للرد إذ قالت: «سير أوزموند، ساعد ابني على خلع درعه إذا سمحت. سير لوراس، امش معي، أريد أن أتكلّم معك».

لم يجد فارس الزهور ما يفعله إلا أن يمشي في أعقابها كالجرو، وانتظرت سرسي حتى أصبحت على الدرجات الملتفة لتقول: «تري من صاحب هذه الفكرة؟».

أجاب مضطربًا: «أختي. السير تالاد والسير درموت والسير پورتيغر كانوا يتمرنون على الطاووس، واقترحت الملكة أن يأخذ صاحب الجلالة دورًا».

يدعوها بهذا اللقب ليضايقني. «وماذا فعلت أنت؟».

- «ساعدت جلالته على ارتداء درعه وأريته كيف يُسدّد الرمح».

- «ذلك الحصان كان كبيرًا عليه للغاية. ماذا لو سقط؟ ماذا لو ضرب كيس الرمل رأسه؟».

- «الكدمات والشيفاه الدامية جزء من تكوين الفارس».

قالت: «بدأت أفهم لماذا أصبح أخوك معاقًا»، فسرها مرأي قولها يمسح الابتسامة عن وجهه الوسيم، وتابعت: «ربما أخفّ أخّي في شرح واجبائك لك أيها الفارس. أنت هنا لحماية ابني من أعدائه، أمّا تدريبه على الفروسية فمسؤولية قيم السلاح».

قال السير لوراس وفي نبرته لمحة لوم: «ليس في (القلعة الحمراء) قيم سلاح منذ مقتل أرون سانتاجار. جلالته يكاد يبلغ التاسعة، وتوافق إلى التعلّم. في سنيّه هذه يُفترض أن يكون مُرافقًا، وعلى أحدهم أن يُعلّمه».

أحدهم سيُعلّمه، لكنه لن يكون أنت. سألته بعذوبة: «أخبرني، من الذي كنت مُرافقه؟ اللورد رنلي، أليس كذلك؟».

- «كان لي هذا الشرف».

- «نعم هذا ما حسبته». رأت سرسي الأواصر القويّة التي تنعقد بين المُرافقين والفُرسان الذين يخدّمونهم، ولا تُريد أن تنشأ علاقة مشابهة بين تومن وليوراس تايرل، ففارس الزهور ليس بالرجل الذي يحذو أيّ صبيّ حذوه. «لقد قصرت في هذا. في خضمّ حكم البلاد وخوض الحرب والحزن على أبي فاتتني المسألة الملحة الخاصة بتعيين قيم سلاح جديد. سأصلح هذا الخطأ في الحال».

أزاح السير لوراس خُصلةً بَيَّنةً سقطت على جبهته قائلاً: «لن تجد صاحبة الجلالة رجلاً أمهر مني في القتال بالسيف والرُمح».

يا لتواضعك. «تومن مولاك لا مُرافقك. ستُقاتل في سبيله وتموت في سبيله إذا لزم الأمر، وليس أكثر من هذا».

تركتَه على الجسر المتحَرِّك الممتد فوق الخندق الجاف والخوازيق البارزة من قاعه ودخلت (حصن ميجور) وحدها، وبينما صعدت السلالم إلى مسكنها سألت نفسها: أين أجد قِيَمًا للسلاح؟ بعد أن رفضت السير لوراس لا تستطيع أن تلجأ إلى فارس آخر في الحرس الملكي، إذ سيكون ذلك بمثابة ملح على الجرح، ولا شك أنه سيثير حفيظة (هايجاردن). السير تالاد؟ السير درموت؟ لا بُدَّ من أحد. تومن أصبح مولعًا بحارسه الشخصي الجديد، لكن أوزني أثبت أنه أقلُّ مهارةً مما أملت في مسألة العذراء مارجري، كما أنها تُفكِّر في منصبٍ آخر لأخيه أوزفريد. مؤسفٌ أن كلب الصيد أصابه السُّعار. لطالما خاف تومن صوت ساندور كليجاين الأحمس ووجهه المحروق، ولكانت سخرية كليجاين بمثابة التَّرياق المثالي لشهامة لوراس تايرل المداهنة. أرون سانتاجار كان دورنيًا. يُمكنني أن أبعث برسالةٍ إلى (دورن). بين (صنسبير) و(هايجاردن) قرون من الدَّم. نعم، قد يصلح رجل دورني لمتطلباتي تمامًا. لا بُدَّ من وجود مُقاتلين بارعين في (دورن).

دخلت عُرفتِها الشَّمسيَّة لتجد اللورد كايرن جالسًا يقرأ على مقعدٍ مجاور للنفاذة، ولمَّا رآها قال: «بعد إذن جلالة الملكة، معي تقارير».

قالت سرسي: «المزيد من المؤامرات والخيانة؟ كان يومي طويلًا ومتعبًا، فأخبرني سريعًا».

ابتسمَ بتعاطفٍ قائلاً: «كما تشائين. ثمَّة كلام عن عرض أركون⁶³ (تايروش) على (ليس) شروط هدنةٍ لإنهاء حرب التجارة الحالية بينهما. كان أشيع أن (مير) على وشك دخول الحرب في صفِّ (تايروش)، لكن من دون الجماعة الذهبية لم ير المايرون أنهم يستطيعون...».

- «مرا يراه المايرون لا يهمني». دائمًا يُحارب بعض المُنَدِّين الحُرَّة بعِصًا، وخياناتهم وتحالفاتهم الـلا نهائية تعني القليـل جدًّا لـ(وستروس). «هل لديك أخبار أكثر أهمية؟».

- «ثورة العبيد في (أستاپور) امتدَّت إلى (ميرين) على ما يبدو، وبخبرةٍ دسِّتٍ من السفن يتكلمون عن الثَّنائين...».

- «الهاربيات، في (ميرين) هاربيات». إنها تذكُر هذه المعلومة من مكانٍ ما. (ميرين) واقعة في أقصى الأرض، شرقًا وراء (قاليريا). «فليُثر العبيد. لماذا أعبأ؟ لا عبيد عندنا في (وستروس). أهذا كلُّ ما لديك؟».

- «ثُمَّ أَخْبَارَ مِنْ (دورن) قَدْ تَجَدَّهَا صَاحِبَةُ الْجَلَالَةِ أَكْثَرَ إِثَارَةً لِلْاهْتِمَامِ. الْأَمِيرُ دُورَانُ سَجَنَ السَّيْرِ دِيمُونُ سَانْدَ، النَّغْلَ الَّذِي كَانَ مُرَافِقًا لِلْأَفْعَوَانِ الْأَحْمَرِ».

- «أَذْكُرُهُ». كَانَ السَّيْرِ دِيمُونُ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ رَافَقُوا الْأَمِيرَ أُوبَرِينَ إِلَى (كِينْجَزْ لَانْدَنْج). «مَاذَا فَعَلَ؟».

- «طَالَبَ بِإِطْلَاقِ سِرَاحِ بَنَاتِ الْأَمِيرِ أُوبَرِينَ».

- «أَحْمَقُ».

تَابَعَ كَابِيرُنُ: «هَنَّاكَ أَيْضًا ابْنَةُ فَارَسَ (الْغَابَةِ الرَّقْطَاءِ) الَّتِي خُطِبَتْ عَلَيَّ نَحْوِ غَيْرِ مَتَوَقَّعٍ لِلْوَرْدِ إِسْتَرْمُونَتِ، حَسَبَ إِفَادَةِ أَصْدِقَائِنَا فِي (دورن). فِي اللَّيْلَةِ نَفْسَهَا أَرْسِلْتُ إِلَى (الحجر الأخضر)، وَيُقَالُ إِنَّهَا وَإِسْتَرْمُونَتُ تَزَوَّجَا بِالْفَعْلِ».

قَالَتْ سِرْسِي مَدَاعِبَةً خُصَلَةً مِنْ شَعْرَهَا: «نَغْلُ فِي بَطْنِهَا يَشْرَحُ السَّبَبَ. كَمْ سَيُّ الْعُرُوسِ الْخَجَلِيُّ؟».

- «ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً يَا جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ، بَيْنَمَا إِسْتَرْمُونَتُ...».

- «... فِي السَّبْعِينَ عَلَى الْأَقْلَ، أَعْيَ هَذَا». آلُ إِسْتَرْمُونَتِ أَصْهَارُهَا مِنْ خِلَالِ رُوبَرْتِ، الَّذِي تَزَوَّجَ أَبُوهُ وَاحِدَةً مِنْهُمْ فِي خُطْوَةٍ لَا يُمَكِّنُ تَفْسِيرَهَا إِلَّا بِنُوبَةِ شَهْوَةٍ أَوْ جَنُونٍ. لَدَى زَوَاجِ سِرْسِي بِالْمَلِكِ كَانَتْ أُمُّ رُوبَرْتِ قَدْ رَحَلَتْ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ، وَإِنْ حَضَرَ كُلَا أَخَوَيْهَا زَفَافُهُمَا وَبَقِيَ نِصْفُ عَامٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَعْدَهَا أَصَرَّ رُوبَرْتُ عَلَى رَدِّ الْجَمِيلِ بَزِيَارَةِ (إِسْتَرْمُونَتِ)، الْجَزِيرَةِ الْجَبَلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ الْوَاقِعَةِ عِنْدَ (رَأْسِ الْغَضَبِ)، وَكَانَ الْأَسْبُوعَانِ الْكَثِيبَانِ الرَّطْبَانِ اللَّذَانِ أَمَضْتَهُمَا سِرْسِي فِي (الحجر الأخضر) -مَقَرِّ عَائِلَةِ إِسْتَرْمُونَتِ- الْأَطْوَلَ فِي شَبَابِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ. بِمَجَرَّدِ النَّظَرِ سَمَّى چَايْمِي الْقَلْعَةَ «الْخِرَاءُ الْأَخْضَرُ»، وَسَرَّعَانَ مَا حَذَتْ سِرْسِي حَذْوَهُ، وَفِيمَا عَدَا ذَلِكَ قَضَتْ وَقْتُهَا فِي مَشَاهِدَةِ زَوْجِهَا الْمُلُوكِيِّ يَصِيدُ وَيَقْنَصُ وَيَشْرَبُ مَعَ خَالِيهِ وَيُبْرِحُ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخُؤُولَةِ ضَرْبًا فِي سَاحَةِ (الْخِرَاءِ الْأَخْضَرِ).

كَانَتْ هُنَاكَ ابْنَةُ خَالٍ مَّا أَيْضًا، أَرْمَلَةٌ قَصِيرَةٌ مَكْتَنَزَةٌ ذَاتُ نَهْدَيْنِ كَبِيرَيْنِ كِبِطِيخَتَيْنِ مَاتَ زَوْجُهَا وَأَبُوهُ عَنْ دِ (سِ-تُورْمَزْ إِنْ-دِ) فِي أَثْنَاءِ الْحَصَارِ، وَعَنْهَا قَالَ رُوبَرْتُ لِسِرْسِي: «أَبُوهَا عَامِلُنِي بِطِيبَةٍ، وَكُنَّا نَلْعَبُ مَعًا فِي صِغَرِنَا». لَمْ يَسْتَغْرِقْ وَقْتًُا طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ اللَّعْبَ مَعَهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَبِمَجَرَّدِ أَنْ تُغْلِقَ سِرْسِي عَيْنَيْهَا تَعَوَّدَ الْمَلِكُ أَنْ يَتَسَلَّلَ لِيُوَاسِيَ الْأَرْمَلَةَ الْوَحِيدَةَ الْمَسْكِينَةَ. فِي لَيْلَةٍ جَعَلَتْ چَايْمِي يَتْبَعُهُ لِيُؤَكِّدَ شُكُوكَهَا، وَلَمَّا عَادَ أَخُوهَا سَأَلَهَا إِنْ كَانَتْ تُرِيدُهُ أَنْ يَقْتُلَ رُوبَرْتِ، فَأَجَابَتْ: «لَا، أُرِيدُ أَنْ أَرْكَبَ لَهُ قَرْنَيْنِ». تَحَبُّ سِرْسِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ تِلْكَ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي حَبَلَتْ فِيهَا بِچُوفَرِي.

قَالَتْ لِكَابِيرُنَ: «إِلْدُونُ إِسْتَرْمُونَتُ تَزَوَّجَ فَتَاهُ تَصْغَرُهُ بِخَمْسِينَ عَامًا، فَلِمَ أَكْثَرْتُ لِهَذَا؟».

هَزَّ كَتْفِيهِ قَائِلًا: «لَا أَقُولُ إِنَّكَ يَجِبُ أَنْ تَكْتَرِثِي... لَكِنْ دِيمُون سَانِدِ وَابْنَةِ سَانِتَاجَارِ تِلْكَ قَرِيبَانِ مِنْ أَرِيَانِ ابْنَةِ الْأَمِيرِ دُورَانِ، أَوْ أَنَّ هَذَا مَا يُشِيعُهُ الدُورِنِيُّونَ. رُبِمَا لَا يَعْنِي الْأَمْرَ شَيْئًا، لَكِنْ خَطَرَ لِي أَنْ عَلَى جَلَالَتِكَ أَنْ تَعْرِفِي». قَالَتْ وَقَدْ بَدَأَ صَبْرُهَا يَنْفَدُ: «وَالآنَ أَعْرِفُ. هَلْ لَدَيْكَ الْمَزِيدُ؟».

رَدَّ: «شَيْءٌ وَاحِدٌ آخَرُ، مَسْأَلَةٌ تَافِهَةٌ»، وَابْتَسَمَ لَهَا مُعْتَذِرًا وَأَخْبَرَهَا عَنْ عَرْضِ دُمَى لَاقَى إِقْبَالًا كَبِيرًا مِنْ عَامَّةِ الْمَدِينَةِ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ، عَرْضِ تَحْكُمِ فِيهِ مَمْلَكَةُ الْحَيَوَانِ الْأَسْوَدِ الْمُتَكَبِّرَةِ. «مَعَ تَوَاضُّلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ الْمَحْرُضَةِ عَلَى الْخِيَانَةِ تُصَيِّحُ الْأَسْوَدُ الدُّمَى أَكْثَرَ طَمَعًا وَخِيَلًا، إِلَى أَنْ تَبْدَأَ فِي افْتِرَاسِ رَعَايَاهَا، وَحِينَ يَعْتَرِضُ الْوَعْلُ النَّبِيلَ تَفْتَرِسُهُ الْأَسْوَدُ أَيْضًا وَتَزَارُ بِأَنَّ هَذَا حَقُّهَا بِاعْتِبَارِهَا أَقْوَى الْحَيَوَانَاتِ».

سَأَلَتْهُ سِرْسِي بِاسْتِمْتَاعٍ: «أَهْذِهِ هِيَ النِّهَايَةُ؟». إِذَا نَظَرَ الْمَرْءُ إِلَى الْحِكَايَةِ مِنَ الزَّاوِيَةِ السَّلِيمَةِ فَرُبِمَا يَرَاهَا كدَرَسٍ مُفِيدٍ.

- «لَا يَا جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ. فِي النِّهَايَةِ يَخْرُجُ تَبَيَّنٌ مِنْ بَيِضَةٍ وَيَلْتَهُمُ الْأَسْوَدُ كُلَّهَا».

هَكَذَا تَنْقُلُ النِّهَايَةَ عَنْ عَرْضِ الدُّمَى مِنْ خَانَةِ الْإِهَانَةِ الْبَسِيطَةِ إِلَى الْخِيَانَةِ الْبَيِّنَةِ. قَالَتْ سِرْسِي: «أَغْبِيَاءُ حَمَقِي لَا يُخْطِئُونَ بِرَأْسِهِ مِنْ أَجْلِ تَبَيَّنٍ خَشِيبٍ إِلَّا مَخْتَلًا»، وَتَفَكَّرَتْ لَحْظَةً ثُمَّ أَرْدَفَتْ: «أُرْسِلْ بَعْضُ هَامْسِيكِ إِلَى تِلْكَ الْعُرُوضِ وَاجْعَلْهُمْ يُعَايِنُونَ الْحَاضِرِينَ. إِذَا كَانَ أَيُّهُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ الْبَارِزِينَ فَارِيدُ أَنْ أَعْرِفَ أَسْمَاءَهُمْ».

- «وَمَاذَا سَيَحْدُثُ لَهُمْ إِذَا سَمَحْتَ لِي بِالسُّؤَالِ؟».

- «الْأَثْرِيَاءُ مِنْهُمْ سَيُغَرَّمُونَ. يَكْفِي نِصْفِ ثُرُوتِهِمْ لِتَلْقِينِهِمْ دَرْسًا قَاسِيًا وَإِعَادَةَ مَلَأِ خَزَائِنَنَا دُونَ خَرَابِ بَيْوتِهِمْ. الْأَفْقَرُ مِنْ أَنْ يَدْفَعُوا تُفَقًّا لَهُمْ عَيْنَ لِمَشَاهِدَتِهِمْ الْخِيَانَةَ، وَالْإِعْدَامُ بِالْفَاسِ لِمَحَرِّكِ الدُّمَى».

- «إِنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ. رُبِمَا تَسْمَحُ لِي صَاحِبَةُ الْجَلَالَةِ بِاِثْنَيْنِ مِنْهُمْ لِأَجْلِ أَغْرَاضِي. امْرَأَةٌ بِالذَّاتِ سَتَكُونُ...».

قَاطَعَتْهُ الْمَلِكَةُ مُحْتَدَّةً: «لَقَدْ أُعْطَيْتِكَ سَيْنَلًا».

- «لِلْأَسَفِ الْفَتَاةُ الْمَسْكِينَةُ... مِنْهَكَةٌ تَمَامًا».

لَا يَرْوِقُ سِرْسِي التَّفَكُّيرَ فِي هَذَا. لَقَدْ ذَهَبَتِ الْفَتَاةُ مَعَهَا دُونَ أَنْ يُخَالِجَهَا أَدْنَى شَكٍّ، مُتَصَوِّرَةً أَنَّهَا سَتُقَدِّمُ الطَّعَامَ وَتَصُبُّ الشَّرَابَ، وَحَتَّى حِينَ طَوَّقَ كَايِرُنَ مُعَصَّمَهَا بِالسِّلْسِلَةِ لَمْ يَبْدُ عَلَيْهَا الْفَهْمُ. مَا زَالَتْ الذِّكْرَى تُصِيبُ الْمَلِكَةَ بِالْغَثِيَانِ. كَانَتْ الزَّنَازِينَ قَارِسَةً الْبُرُودَةِ، وَحَتَّى الْمَشَاعِلُ كَانَتْ تَرْتَجِفُ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ الْكَرِيهَ كَانَ يَصْرُخُ فِي الظُّلَامِ... «حَسَنٌ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَأْخُذَ امْرَأَةً. خُذِ اثْنَتَيْنِ إِذَا أَرَدْتَ. لَكِنِّي أُرِيدُ الْأَسْمَاءَ أَوَّلًا».

قَالَ كَايِرُنَ قَبْلَ أَنْ يَنْسَحِبَ: «كَمَا تَأْمُرِينَ».

مآلت الشمس إلى المغرب في الخارج. كانت قد دوركاس قد جَهَّزَتْ لها حمامًا، وبينما غاصت الملكة مسرورة في الماء الدافئ مفكرة في ما ستقوله لضيفها على العشاء اقتحم چايمي الباب وأمر چوسلين ودوركاس بالخروج. بدا أخوها مفتقرًا إلى الأناقة والنظافة وقد فاحت منه رائحة الخيول إذ دخل ومعه تومن، وقال لها: «أختي الجميلة، الملك يطلب كلمة منك».

كانت خُصِّل سُرسي الذهبية طافية في مياه الاستحمام والبُخار يُغِعم الغرفة، وأحسَّت بقطرة من العرق تسيل على وجنتها وهي تقول بنبرة شديدة الخطورة من فرط نعومتها: «تومن، ما الأمر الآن؟».

يعرف الصبي هذه النبوة، ولذا انكمش على نفسه متراجعًا، في حين قال چايمي: «جلالته يريد جواده الأبيض غدًا من أجل درس النزال».

اعتدلت جالسة في الحوض، وردت: «لن يكون هناك نزال».

مطَّ تومن شفته السفلى قائلاً: «بل سيكون. يجب أن أركب كلَّ يوم».

أعلنت الملكة: «وستفعل بمجرد أن نُعَيِّن قِيَم سلاحٍ لائقًا يُشرف على تدريبك».

- «لا أريد قِيَم سلاحٍ لائقًا، أريدُ السير لوراس».

- «إنك ترفع شأن ذلك الصبي كثيرًا. أعرفُ أن زوجتك الصغيرة ملأت رأسك بكلامٍ سخيف عن براعته الفائقة، لكن أوزموند كِتلبلاك فارس أفضل من لوراس ثلاث مرَّات».

علَّق چايمي ضاحكًا: «ليس أوزموند كِتلبلاك الذي أعرفه».

كانت لتخفق له لحظتها. ربما على أن أمر السير لوراس بأن يدع السير أوزموند يُسقطه عن حصانه. قد يُفْلح هذا في وضِع حَدٍّ لافتٍ إن تومن به. قصص قصص ريش الطاووس وكليل البطل بالعار وفي الحال ينحط مقامهما. قالت: «سأرسل لأطلب رجلًا دورنيًا يُدربك. الدورنيون أفضل المنازل في البلاد».

قال تومن: «لا، ليسوا كذلك، وعلى كلِّ حال لا أريدُ رجلًا دورنيًا سخيفًا، بل أريدُ السير لوراس. هذا أمر!».

عادَ چايمي يضحك، ففكرت الملكة: لا يُساعِدني علي الإطلاق. هل يحسب هذا طريقًا؟ ضربت الماء غاضبةً، وقالت: «هل علي أن أرسل في استدعاء بايت؟ إنني لا أُمثِّل لأوامرك، أنا أمك».

ردَّ تومن: «نعم، لكنني الملك. مارچري تقول إن على الجميع طاعة ما يقوله الملك. أريدُ أن يُجَهَّز جوادي الأبيض غدًا كي يُعلِّمني السير لوراس النزال. أريدُ هُريرةً أيضًا، ولا أريدُ أن أكل الشَّمندر».

كان چايمي لا يزال يضحك، لكن الملكة تجاهلته قائلةً: «تومن، تعال هنا»، ولما

لم يتحرّك الصّبي تنهّدت وقالت له: «أأنت خائف؟ يجب ألا يُبدي الملك خوفًا». هكذا دنا ابنها من الحوض مطرقًا عينيه، فمدّت يدها تُملّس على شعّره الذهبى، وقالت: «ملك أم لا، أنت صبي صغير، والحُكم لي حتى تَبْلُغ سنَّ الرُّشد. سوف تتعلّم النِّزال، أعدك بهذا، لكن ليس من لوراس. فُرسان الحرس الملكي عليهم واجبات أهمُّ من اللّعب مع طفل. سلّ حضرة القائد. أليس كذلك أيها الفارس؟».

أجابَ چايمي بابتسامةٍ رفيعة: «واجبات مهمّة للغاية. الدّوران حول أسوار المدينة على سبيل المثال».

قال تومن وقد بدا على وشك البُكاء: «هل لي بهُريرة إذن؟». أجابت الملكة: «ربما، ما دمتُ لن أسمع المزيد من الهُراء عن النِّزال. هل تعدني بهذا؟».

جرّجَر قدميه قائلاً: «نعم».

- «عظيم. والآن اذهب. ضيفاي سيصلان قريبًا».

هرعَ تومن مغادرًا، لكن قبل أن يَخْرُج التفت وقال: «حين أصبح الملك وحدي سأحرّم أكل الشّمندر!».

أغلقَ أخوها الباب بجدّة يده، ولمّا انفرّد بسرسي سألها: «كنتُ أسأل نفسي يا صاحبة الجلالة، أنتِ سكرانة أم حمقاء فقط؟».

ضربت الماء مرّةً أخرى نائرةً إياه على قدميه، وقالت: «صُن لسانك وإلا...».

- «... وإلا ماذا؟ سيُترسليني لفحَص الأسوار ثانيّة؟»، وجلَسَ چايمي واضعًا ساقيَّيَّ على ساقِ مرَدَفٍ: «أسوارك اللّعينّة سـليمة. لقد زحفتُ على كلّ بوصةٍ منها وألقيتُ نظرةً على السّبع بوابات. مِفصّلات (البوابة الحديدية) صدئة، ويجب استبدال (بوابة الملك) و(بوابة الطمي) بعد أن هشّمهما ستانيس بمدكّاته. الأسوار قويّة كما كانت دومًا... لكن هل نسيت صاحبة الجلالة أن أصدقاءنا من (هايجاردن) داخل الأسوار لا خارجها؟».

- «لا أنسى شيئًا»، ردّت عليه مفكّرةً في عُمليةٍ ذهبيّةٍ معيّنة على أحد وجهيها يد وعلى الوجه الآخر رأس ملكٍ منسيٍّ ما. كيف تحصّل سجان بائس حقير على عُملية كهذه وخبأها تحت وعاء فضلاته؟ كيف وصلَ رجل كروجن إلى ذهبٍ قديم من (هايجاردن)؟ - «هذه أول مرّة أسمعُ بتعيين قيّم سلاح جديد. ستحتاجين إلى بحثٍ طويل دقيق عن مُنازلٍ أفضل من لوراس تايرل. السير لوراس...».

بترت عبارته شاعرةً بماء حمّامها يَفْتُر: «أعرفُ السير لوراس ولا أريده قُرب ابني. الأفضل أن تُدكِّره بواجباته».

- «إنه يعرف واجباته، وليس هناك من يحمل الرُّمح أفضل...».

- «أنت كنت أفضل قبل أن تفقد يدك، والسير بارستان في شبابه، وأرثر داين كان أفضل، والأمير ريجار كان نِدًا له. كفى ثرثرة عن قوّة الزّهرة. إنه مجرد صبي».

لقد ملّت معارضة چايمي. لا أحد كان يُعارض السيّد والدها. حين يتكلّم تايوين لانستر كان النَّاس يُطيعون، وحين تتكلّم سرسي يُعطون أنفسهم حريّة إعطائها المشورة ومناقضتها، بل ورفض أوامرها. كلُّ هذا لأنني امرأة، لأنني لا أستطيع قتالهم بالسّيف. لقد احترموا روبرت أكثر مما يحترموني، وروبرت كان سكيّرًا أبله.

لن تسمح بهذا، خصوصًا من چايمي. يجب أن أخلّص نفسي منه، وعاجلاً. في سالف الأيام كانت تحلم بأن يحكّمها (الممالك السّبع) جنبًا إلى جنب، لكن چايمي أضحى عائقًا أكثر منه عونًا.

نهضت سرسي من الحوض لتسيل المياه على ساقها وتقطّر من شعرها، وقالت: «عندما أريدُ نصيحتك سأطلبها. اتركني أيها الفارس. عليّ أن أرتدي ملابسي».

قال چايمي: «ضيفاك على العشاء، أعرف. وأيُّ مؤامرة هذه تحديداً؟ إنـها كثيرة للغاية وفاتني بعضـها»، وسقطت نظرتـه على قطرات الماء المتلذّلة على الشّعـر الذهبي بين ساقها. ما زالَ راغبًا فيّ. «هل تشاق إلى ما فقدته يا أخي؟». رفع عينيه قائلاً: «أنا أيضًا أحبُّك يا أختي الجميلة، لكنك حمقاء، حمقاء ذهبيّة جميلة».

أوجعتها كلماته، وفكّرت: وصفتني بكلماتٍ لطف في (الحجر الأخضر) ليلة زرعت جوفري في داخلي. قالت له: «اخرج»، وأدارت له ظهرها وسمّعتـه يُغادر متلمّسًا الباب بجذعته بارتباك.

بينما تأكّدت جوسلين من أن كلّ شيء جاهز للعشاء، ساعدت دوركاس الملكة على ارتداء فستانها الجديد، المفصّل على شكل خطوطٍ من الساتان الأخضر اللّامع بالتّبادل مع خطوطٍ من القطيفة السّوداء، بالإضافة إلى شرائط الزّينة المايريّة السّوداء الدّقيقة فوق الصّدر. شرائط الزّينة المايريّة مكلفة، لكن من الضروري أن تبدو الملكة في أبهى صورهـا طوال الوقت، كما أن غسّالاتـها الحقـيرات تسبّبن في انكمـاش عـددٍ كبير من فساتينها القديمة فلم تعد تُناسبـها. كانت لتجلـدهن لاستهتارهن لولا أن تايينا حثتها على الرّأفة، وقالت لها: «سيحبُّك العوام أكثر إذا كنت رحيمةً»، وهكذا أمرت سرسي بخصم قيمة الفساتين من أجور الغسّالات، وهو الحلّ الأكثر أناقةً بكثير.

وضعت دوركاس مرآة فضيّة في يدها، فكّرت الملكة مبتسمّة

لانعكاسها: جمى ل جـدًا. من الـسَّار أن تخلـع ثياب الـجِداد، فالأسـود يجعلها تبـدو شـاحبةً للـغاية.

مؤسفٌ أنني لن أتناول عشاءى مع الليدى ميريويدز. كان يومها طويلًا، ودائمًا تُبهجها تايـنا بخفّة دمها. لم تكن لسـرسي صديقة تستمتع بصُحبـتها لهذه الدّرجة منذ ميلارا هـيذرسيون، وميلارا اتّضح أنها متآمرة جشعة في دماغها أفكار تتجاوز مقامها. لا يـجدر بي أن أفكّر فيها بسوء. لقد غرقت وماتت، وعلمتني ألا أثق بأحدٍ غير چايمي أبدًا.

حين انضممت إليهما في الغُرفة الشّمسيّة كان ضيفاها قد قطعاً شوطًا لا بأس به في شرب الهـيـوكراس بالفعل، وعندما لاحظت سـرسي الإبريق نصف الفارغ قالت لنفسها: الليدى فاليس لا تبدو كسمكةٍ فحسب، بل تشرب كواحدةٍ أيضًا. صاحت مقيّلةً المرأة على وجنتها: «فاليس العزيزة والسير بالمان الشجاع، لقد فجّعتني أن أسمع بما جرى لأمك الغالية. كيف حال الليدى تاندا؟».

بدت الليدى فاليس كأنها على وشك الإجهاش بالبكاء إذ أجابت: «لطف من جلالتك أن تسألني. المايستـر فرنكن يقول إن السّقطة حطمت ورك أمي. لقد فعل ما يستطيع، والآن نُصلي، ولكن...».

صلّوا كما تشاءون، لكنها ستموت لا محالة قبل أن يدور القمر. النّساء المسنّات كتاندا ستوكوورث لا يتعافين من وركٍ مكسور. «سأضيف صلواتي إلى صلواتكم. اللورد كايرن أخبرني بأن تاندا سقطت من فوق حصانها».

ردّ السير بالمان بيرش: «حزام سرحها انفتق وهي راكبة. كان على عامل الاسطبل أن يرى أنه تالف. لقد عوقب».

قالت الملكة: «آمل أن العقاب كان شديدًا»، وجلست مشيرةً لضيغها بالجلوس بدورهما، واستطردت: «هل تشربين كأسًا أخرى من الهـيـوكراس يا فاليس؟ أذكر أنك لطالما كنت مولعةً به».

- «لطف بالغ منك أن تتذكّري يا جلالة الملكة».

وكيف أنسى؟ چايمي قال إنها أعجوبة أنك لا تتبوّلينه. «كيف كانت رحلتكما؟». أجابت فاليس بتأفف: «غير مريحة. المطر ظلّ يسقط معظم اليوم. فكّرنا أن نقضى الليل في (روزبي)، لكن ربـيب اللـورد جـايلز الشّاب رفـضَ تضـييفنا»، وتنشّقت متابعةً: «لك أن تثقي بأنه بمجرد موت جايلز سيفر ذلك المأفون وضع الميلاد بذهبه كـله، بل وربما يُحاول الاستيلاء على أراضيـه ولورديته، مع أن الحق أن تنتقل (روزبي) إلينا بعد موت جايلز. السيّدة أمي خالة زوجته الثانية، وابنة خؤولةٍ ثالثة لجايلز نفسه».

تساءلت سـرسي في أعماقها: هل رمزكم حمل يا سيّدتى أم قرد طمّاع؟ قالت: «اللورد جايلز يهدّد بالموت منذ عرفته، لكنه لا يزال معنا وآمل أن يظلّ كذلك

سنواتٍ طويلة»، وابتسمت ببشاشةٍ مردفةً: «لا شكَّ أنه سيظلُّ يسُئلُ بعد أن نذهب جميعًا إلى قبورنا».

قال السير بالمان: «غالبًا سيحدث هذا. على أن ربيب روزبي لم يكن الوحيد الذي أزعجنا يا جلالة الملكة. لقد قابلنا عددًا من الهمجيين على الطريق أيضًا، مخلوقاتٍ قادرة بشعة الهيئة تحمل الثروس الجلد والفؤوس، بعضها على صدره نجوم مخيطة، نجوم سُباعية مقدسة، لكن منظر هؤلاء الرجال أوحى بالشرِّ رغم ذلك».

أضافت فاليس: «أنا واثقة بأنهم كانوا مقلِّين أيضًا».

قالت سرسي: «يُسَمُّون أنفسهم العصافير. إنهم وباء يحتاج البلاد. على السيِّتون الأعلى الجديد أن يتعامل معهم بمجرد تنويجه، وإذا لم يفعل فسأتعاملُ معهم بنفسِي».

سألته فاليس: «هل اختيرَ صاحب القداسة بعد؟».

أجابَت الملكة مقرَّةً: «لا. كان السيِّتون أوليدور على شفا الاختيار إلى أن تبعه بعض هؤلاء العصافير إلى ماخور وجروهِ عاريًا إلى الشَّارع. يبدو أن لوشن الخيار المرجح الآن، ولو أن أصدقاءنا على التِّلِّ الآخر يقولون إن بضعة أصواتٍ ما زالت تنقصه ليبلغ العدد المطلوب».

قالت الليدي فاليس بمنتهى الخشوع: «عسى (العجوز) أن تُرشِد المداوَلات بمصباح الحكمة الذهبي».

اعتدلَ السير بالمان في مقعده قائلاً: «جلالة الملكة، هذه مسألة محرَّجة، ولكن... خشية أن تنمو المشاعر السيئة بيننا، يجب أن تعرفي أن زوجتي الكريمة وأمَّها لم يكن لهما دور على الإطلاق في تسمية الوليد النُّغل. لوليس مخلوقة بسيطة، وزوجها يميل إلى المزاح الأسود. قلتُ له أن يختار اسمًا أليق للصبي، فضحك».

رشفت الملكة من نبيذها وأمعنت النَّظر إليه. في الماضي كان السير بالمان مُنازلًا بارزًا، وأحد أوَسم الفُرسان في (الممالك السَّبع) كذلك، ولئن ما زال فوق شفته شارب فاخر فإن التَّقدُّم في العُمر لم يترقِّق به، فانسحبَ شعره الأشقر الممتوِّج، في حين تقدَّم بطنه بعنادٍ ضاغطًا على سُترته. قالت لنفسها: كأداة، ينقصه الكثير، لكن لا بأس به. «تيريون كان اسمًا ملكيًا قبل مجيء الثَّنائين. العفريت لوته، لكن ربما يردُّ الصَّغير إلى الاسم شرفه». هذا إذا عاش النُّغل. «أعرف أن لا لوم عليكم».

الليدي تاندا هي الأخت التي لم أخطَ بها قطُّ، وأنتما...»، وتهدَّج صوتها إذ استدركت: «سامحاني، إنني أعيشُ في خوف».

فتحت فاليس فاهَا وأغلقتَه، وهو ما جعلها تبدو كسمكةٍ تحترف الغباء، وردَّدت

متسائلة: «في... في خوفٍ يا جلالة الملكة؟».

قالت سرسي: «لم أنم ليلةً بأكملها البتّة من ذموت خوفٍ ري»، وأعدت ملء الكؤوس بالهيبوكراس مواصلة: «أيها الصديقان... أنتم صديقاى كما أملى، أليس كذلك؟ وصديقا الملك تومن؟».

أعلن السير بالمان: «ذلك الصبي الجميل. جلالة الملكة، كلمات عائلة ستوكورث ذاتها تقول: نفخر بإخلاصنا».

- «ليت هناك المزيد من أمثالكما أيها الفارس الكريم. أقول لكم صدقا إن شكوكا جادة تُساورني إزاء السير برون فارس (النهر الأسود)».

تبادل الزوج والزوجة نظرة، وقالت فاليس: «ذلك الرجل وقح يا جلالة الملكة، فظّ وسلط اللسان».

أضاف السير بالمان: «ليس فارسا حقيقيا».

ابتسمت سرسي له وحده قائلة: «نعم، وأنت فارس يعرف الفروسية الحقّة. إنني أذكرُ مشاهدتك تُنازل في... ما دورة المباريات التي قاتلت فيها بكل عظمةٍ أيها الفارس؟».

أجاب مبتسما بتواضع: «تلك التي كانت في (وادي الغسق) من ذمت أعوام؟ لا، لم تكوني حاضرة، وإلا لتوّجت ملكة للحبّ والجمال بكلي تأكيّد. أكانت دورة المباريات التي أقيمت في (لانسپورت) بعد تمرّد جرايچوي؟ لقد أسقطتُ فيها عدّة فرسانٍ بارعين...».

ردّت: «هي بالضبط»، ثم تجهم وجهها إذ أردقت: «العفريت اختفى ليلة موت أبي تاركا سجانين أمينين في بركة من الدماء. بعضهم يدّعي أنه قرّ عابرا (البحر الضيق)، لكنني أتساءل. القزم مأكّر. ربما لا يزال كامنا على مقربةٍ ويخطط للمزيد من الاغتيالات، ربما يخفيه صديق ما».

ملس السير بالمان على شاربه الكثر متسائلا: «برون؟».

- «لقد كان مخلوق العفريت دوما، و(الغريب) وحده يعلم كم رجلا أرسل إلى الجحيم بأمر تيريون».

قال السير بالمان: «جلالة الملكة، أعتقدُ أنني كنتُ لألاحظ لو أن هناك قزما متواريا في أراضينا».

ردّت سرسي: «أخي صغير الحجم ومخلوق للثواري»، وتركت يدها ترتجف مواصلة: «اسم الطفل مسألة صغيرة... لكن الوقاحة التي تمرّ دون عقاب تسبّب تولد الخيانة، ثم إن كايرن أخبرني بأن ذلك الرجل برون يجمع المرتزقة حوله».

قالت فاليس: «لقد ضمّ أربعة فرسان إلى أهل بيته».

أطلقَ السير بالمان نخيرًا ساخرًا، وقال: «زوجتي تُطري عليهم بوصفهم بالفرسان. إنهم مرتزقة متسلقون دون ذرة واحدة من الفروسية بين أربعتهم». قالت سرسي منتحبةً: «كما خشيتُ. برون يحشد رجالًا للقمز، ولينفذ (السبعة) ابني الصَّغير. العِفريت سيقتله كما قتلَ أخاه. أيها الصديقان، إنني أضعُ شرفي في أيديكما... لكن ما قيمة شرف الملكة أمام مخاوف الأمر؟». طمأنها السير بالمان قائلاً: «تكلمي يا صاحبة الجلالة. لن يخرجُ كلامك من هذه الغرفة أبدًا».

مدَّت سرسي يدها عبر المائدة واعتصرت يده قائلةً: «س... سأنام مطمئنة البال أكثر إذا سمعتُ أن السير برون أصابته... أصابته حادثة... وهو يصطاد ربما». ففكر السير بالمان لحظةً قبل أن يسأل: «حادثة مميتة؟».

لا، أريدُ أن يكسر إصبع قدمه الصَّغير. عصت شفتها كاظمةً غيظها، وقالت لنفسها: أعدائي في كلِّ مكانٍ وأصدقائي بُلّه. همست: «أتوسّلُ إليك أيها الفارس، لا تجعلني أقولها...». قال السير بالمان رافعًا إصبعه: «فهمتُ».

كانت حبة لفت لتفهم أسرع منك. «أنت فارس حقيقي، جواب لدعاء أمّ خائفة»، وقبّلت سرسي متابعةً: «عجلْ بفعلها من فضلك. برون حوله رجال قلائل الآن، لكن إذا لم نتصرّف فمؤكد أنه سيجمع المزيد»، وقبّلت فاليس، وقالت: «لن أنسى هذا أبدًا أيها الصديقان، يا صديقاى المخلصان في (ستوكوورث). نفخر بإخلاصنا».

لكما كلمتي، سنجد للوليس زوجًا أفضل عند الانتهاء من هذا الأمر». من عائلة كيتلبلاك ربما. «نحن أولاد لانستر نُسدِّد ديوننا».

كانت البقية المزيد من الهيوكراس مع الشَّمندر بالزُبدة والخُبز الساخن وسمك الكراكي المغلف بالأعشاب وضلوع الخنازير البرية. باتت سرسي مغرمةً للغاية بلحم الخنازير البرية منذ موت روبرت، حتى إنها لم تجد غضاضةً في صُحبته الجالّية، على الرغم من أن فاليس راحت تتزلف إليها وأخذ بالمان يتفاخر بلا توقّف من طبق الحساء إلى طبق الحلويات. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل قبل أن تُخلّص نفسها منهما. أثبت السير بالمان أنه مولع بالشّراب حين اقترح تقديم إبريق آخر، فلم تجد الملكة أن من الحصافة أن ترفض، وعندما رحلا أخيرًا قالت لنفسها: كان يُمكنني أن أستأجر رجلًا عديم الوجه يقتل برون مقابل نصف ما أنفقته على الهيوكراس.

في هذه الساعة كان تومن غائبًا في نوم عميق، لكن سرسي ألقت نظرةً عليه قبل أن تذهب إلى فراشها. أدهشها أن ترى ثلاث هُريرات نائمةً بسكينةٍ إلى جواره، فسألت السير مرين الواقف خارج غرفة التّوم الملكيّة: «من أين أتت تلك

القِطط؟».

- «الملكة الصَّغيرة أعطتها له. كانت سَتُعْطيه واحدةً فقط لكنه لم يستطع أن يُحَدِّد أيُّها تروقه أكثر».

أفضل من شَقِّ بطن أمِّها وإخراجها منه على ما اعتقد. محاولات مارچري الرِّعناء للغواية مفضوحة لدرجة تبعث على الضَّحك. تومن صغير للغاية على القُبَل فبدلاً منها تُعْطيه القِطط. على أن سرسي تتمنَّى لو لم يكن لونها أسود، فالقِطط السُّوداء فآل سيئ، كما اكتشفت ابنة ريجار الصَّغيرة في هذه القلعة ذاتها. لولا دُعابة الملِك المجنون القاسية مـع أبـي لكـانت ابنتـي. لا بُدَّ أن الجنون هو ما قاد إيـرس إلـى رفـض ابنة اللـورد تـايوين وأخـذ ابـنـه بـدلاً منـها، بينما زوج ابـنـه هو بـأميرة دورنـية واهنة عيناها سوداوان وصدرها مسطح.

ما زالت ذكرى الرِّفض تعتمل في نفسها بعد كل هذه السنين. ليـالي كثيرة تفـرَّجت علـى الأمير ريجـار فـي القاعة يـعزف علـى قيثارتـه ذات الأوتار الفـضيَّة بأصـابعه الطويلة الأنيقة. هل عرف العالم رجلاً أجمل؟ لكنه كان أكثر من مجرد رجل. دماؤه كانت دماء (قاليريا) القديمة، دماء التنانين والآلهة. في صباها وعدّها أبوها بأنها ستتزوج ريجار. أنذاك لم تكن قد تجاوزت السادسة أو السابعة، وبينما يبتسم تلك الابتسامة السريّة التي لم يرها بشري إلا سرسي قال لها: «لا تذكري الأمر لأحد أبداً يا صغيرتي إلى أن يوافق جلالته على الخطبة. يجب أن يظل هذا سِرّاً في الوقت الحالي». وظلّ السِرّ طي الكتمان، مع أنها في مرّة رسمت نفسها محلقة وراء ريجار على متن تينين وقد لقت ذراعيها بإحكام حول صدره، ولما اكتشف چايمي الرّسم قالت له إنهما الملكة اليسين والملك چهيرس.

كانت في العاشرة حين رأت الأمير بشـحمه ولحمـه أخيراً، فـي دورة المباريات التـي أقـامها أبوها ترحيباً بـالملك إيـرس فـي الغرب. نُصِبَت منصات المتفريجين عنـد أسـوار (لانسپورت)، وتردّدت أصدااء هتاف العامة على أسوار (كاسترلي روك) كقصف الرّعد. دوى تهليلهم لأبي أعلى مرتين من تهليلهم للملك، لكنهم هللوا للأمير ريجار أعلى مما هللوا لأبي مرتين.

حينئذ كان ريجار تارجارين في السابعة عشرة وحديث العهد بالفروسية، وقد ارتدى درعاً سوداء فوق قميص من الحلقات المعدنية الذهبية عندما خبّ بحصانه إلى مضمار النّزال، ورفقت شرائط طويلة من الحرير الأحمر والذهبي والبرتقالي من خوذته كالسنة الذهب. سقط اثنان من أعمامها أمام رُمحه، علاوة على دسته من أفضل مُنـازلـي أبيـها، زهـور الغرب، وفـي الـليل اعتـاد الأمير الـعزف علـى قيثارتـه الفـضيّة لتـنـهمر دموعـها. عنـدما قُدمت إلـيـه كـادت سـرسي تغرق فـي أعماق عينيـه

الأرجوانيتين الحزبتين، وتذكر أنها فكرت: لقد جرح، لكنني سأشفي جرحه حين نتزوج. مقارنةً بريجار بدا أخوها الجميل چايمي نفسه مجرد صبيٍّ غير، وقالت لنفسها وقد أسكرتها الإثارة: سيصبح الأمير زوجي، وعندما يموت الملك العجوز سأغدو الملكة. أفصحت لها عمتها عن تلك الحقيقة قبل دورة المباريات، وقالت لها الليدي چنا بينما تُسوِّي فُستانها: «يجب أن تبدي في غاية الجمال، فخلال المأدبة الأخيرة ستعلن خطبتك إلى الأمير ريجار».

كم كانت سرسي سعيدةً يومها، وإلا لما كانت قد جرّوت قَطُّ على الذهاب إلى خيمة ماجي الضفدعة، لكنها لم تفعلها إلا لتبرهن لچاين وميلارا على أن النبوءة لا تخشى شيئاً. كنتُ سأصبحُ ملكةً، ولم تخاف الملكة من عجوزٍ دميمة؟ لا تزال ذكرى النبوءة تجعل جِلدها يقشعرُ بعد العُمر الذي انقضى. چاين فرّت من الخيمة تصرّخ خوفاً، لكن ميلارا مكثت ومكثتُ أنا. تركناها تتذوّق دمنّا وضحكنا من نبوءاتها السخيفة التي لم يكن أيُّها يُعقل. كانت ستُصبح زوجة الأمير ريجار مهما قالت المرأة. لقد وعدّها أبوها، وكلمة تايوين لانستر من ذهب.

ماتت ضحكتها مع نهاية المباريات. لا أقيمت مأدبة أخيرة ولا ارتفعت الأنخاب احتفالاً بخطبتها إلى الأمير ريجار. لا شيء إلا الصمت البارد والنظرات الفاترة بين الملك وأبيها. لاحقاً، بعدما رحل إيرس وابنه وجميع فُرسانه البواسل إلى (كينجز لاندنج)، ذهبت الفتاة إلى عمتها باكية لا تفهم، فأخبرتها الليدي چنا: «أبوك عرض الزيجة لكن إيرس رفض أن يسمعه، وقال له: أنت أكفأ خدمي يا تايوين، لكن الرجل لا يُزوج وريثه بابنة خادمه. جفّفي دموعك هذه أيتها الصغيرة. هل رأيت أسداً يبكي من قبل؟ سيجد أبوك لك رجلاً آخر، رجلاً أفضل من ريجار».

لكن عمتها كذبت وخذلها أبوها، تماماً كما يخذلها چايمي الآن. لم يجد أبي رجلاً أفضل، بل أعطاني روبرت، وأينعت لعنة ماجي كزهرة سامّة. لو أنها تزوّجت ريجار كما شاءت الآلهة لما نظرَ مرتين إلى الذئبة الصغيرة. ولكان ملكنا اليوم ولكنك ملكته وأم أولاده.

لم تغفر سرسي لروبرت قتله قَطُّ.

إلا أن الأسود لا تُجيد المغفرة، وهو الدرس الذي سيتعلّمه السير برون فارس (النهر الأسود) قريباً.

الجزء الثاني

بريان

أَصَرَ السَّيْرَ هَائِلَ هَنْتَ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمُ الرُّؤُوسَ، وَقَالَ: «تَارِلِي سَيْرِيدهَا لِيُعَلِّقَهَا عَلَى الْأَسْوَارِ».

عَلَّقَتْ بَرِيَانَ الَّتِي لَا تُرِيدُ أَنْ تَجْتَازَ ظُلْمَةَ غَابَةِ الصَّنُوبَرِ الْخَضِرَاءِ وَمَعَهَا رُؤُوسَ الرِّجَالِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ: «لَيْسَ مَعَنَا قَطْرَان. اللَّحْمُ سَيَتَعَفَّن. اتْرُكْهَا».

لَكِنْ هَنْتَ رَفَضَ الْإِصْغَاءَ، وَجَزَّ أَعْنَاقَ الْمَوْتَى بِنَفْسِهِ وَرَبَطَ الرُّؤُوسَ الثَّلَاثَةَ مَعًا مِنْ شَعْرَهَا وَعَلَّقَهَا مِنْ سَرْجِهِ، فَلَمْ تَجِدْ بَرِيَانَ بُدًّا مِنْ مَحَاوِلَةِ التَّظَاهَرِ بِأَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ أَحْيَاءًا - لَا سَيِّمًا لَيْلًا - تَشْعُرُ بِأَعْيُنِهَا الْمَيِّتَةَ تُحَدِّقُ إِلَى ظَهْرِهَا، وَفِي مَرَّةٍ حَلَمَتْ بِأَنَّهَا تَسْمَعُ بَعْضَهَا يَهْمَسُ لِبَعْضٍ.

كَانَتْ الْأَجْوَاءُ بَارِدَةً مَبْتَلَّةً فِي (الرَّأْسِ الْمَتَصَدِّعِ) إِذْ عَادُوا أَدْرَاجَهُمْ. فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ تُمَطِّرُ السَّمَاءُ وَفِي بَعْضِهَا تَتَوَعَّدُ بِالْمَطَرِ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِالذِّفَاءِ قَطُّ، وَحَتَّى عِنْدَمَا يُخَيِّمُونَ يَسْتَعْصِي عَلَيْهِمُ الْعَثُورُ عَلَى حَطَبٍ جَافٍ لِإِشْعَالِ النَّارِ.

لَدَى بَلُوغِهِمْ بَوَابَ (بِرْكَةِ الْعِذَارَى) كَانَ سَرَبٌ مِنَ الذُّبَابِ يُصَاحِبُهُمْ، وَقَدْ أَكَلَ غُرَابٌ عَيْنِي شَاجُوِيلَ وَعَجَّ رَأْسًا پِيَجَ وَتِيْمِيُونَ بِالْبِرْقَاتِ. قَبْلَهَا بِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ تَعَوَّدَتْ بَرِيَانَ وَپُودَرِيكَ الرُّكُوبَ مُتَقَدِّمِينَ بِمِئَةِ يَارْدَةٍ لِيَتَظَلَّ رَائِحَةُ الْعَقَنِ وَرَاءَهُمَا، أَمَّا السَّيْرُ هَائِلُ فزَعَمَ أَنَّهُ فَقَدَ حَاسَةَ الشَّمِّ تَمَامًا. كُلَّمَا خَيَّمُوا لَيْلًا سَأَلَتْهُ بَرِيَانَ أَنْ يُحْرِقَ الرُّؤُوسَ، لَكِنْ هَنْتَ شَدِيدُ الْعِنَادِ حَقًّا. عَلَى الْأَرْجَحِ سَيَقُولُ اللُّورْدُ رَانْدَلُ إِنَّهُ قَتَلَ ثَلَاثَتَهُمْ بِنَفْسِهِ.

إِلَّا أَنْ الْفَارِسَ تَحَلَّى بِالشَّرْفِ وَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

- «الْمُرَافِقُ الْمُتَلَعَثُ أَلْقَى صَخْرَةً»، قَالَ هَنْتَ عِنْدَمَا مَثَلَ مَعَ بَرِيَانَ أَمَامَ تَارِلِي فِي سَاحَةِ قَلْعَةِ مَوْتُونَ، بَعْدَ أَنْ قُدِّمَتْ الرُّؤُوسُ إِلَى رَقِيبِ الْحَرَّاسِ الَّذِي أَمَرَ بِتَنْظِيفِهَا وَغَمْسِهَا فِي الْقَطْرَانِ وَتَعْلِيقِهَا فَوْقَ الْبَوَابِ. «الْمُبَارِزَةُ قَامَتْ بِالْبَاقِي».

لَا حَاشَةَ الشُّكِّ عَلَى اللُّورْدِ رَانْدَلِ إِذْ سَأَلَهُ: «الْثَلَاثَةُ؟».

- «بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي قَاتَلَتْ بِهَا كَانَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تَقْتُلَ ثَلَاثَةً آخَرِينَ».

سَأَلَهَا تَارِلِي: «وَهَلْ وَجَدْتَ ابْنَةَ سِتَارِك؟».

- «لَا يَا سَيِّدِي».

- «وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ قَتَلْتَ بَضْعَةَ فُئْرَانَ. هَلْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَذَا؟».

- «لَا يَا سَيِّدِي».

- «مُؤَسَفٌ. حَسَنٌ، هَا قَدْ جَرَّبْتَ مِذَاقَ الدَّمِّ وَأَثْبَتَ مَا أَرَدْتَ إِثْبَاتَهُ. حَانَ الْوَقْتُ لِأَنْ تَخْلَعِي هَذِهِ الْحَلِيقَاتَ الْمَعْدِنِيَّةَ وَتَرْتَدِي ثِيَابًا لَائِقَةً. ثَمَّةُ سُفْنٍ فِي الْمِينَاءِ، وَمُؤَكَّدٌ أَنْ إِحْدَاهَا سَتَتَوَقَّفُ فِي (تَارْتِ). سَأُضْعِكُ عَلَيْهَا».

- «أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِي، لَكِنْ لَا».

نَمَّ وجه اللورد تارلي عن أنه لا يرغب في شيءٍ أكثر من أن يغرس خازوقًا في رأسها ويُعلِّقه فوق بَوَّابة (بركة العذارى) إلى جوار تيميون وبيج وشاجويل، وبغلظةٍ سأَلَهَا: «أتنوين الاستمرار في هذه الحماقة؟».

- «أنوي العثور على الليدي سانزا».

قال السير هايل: «بَعْدَ إذن سيّدي، لقد شاهدتها تُقاتِل الممثّلين. إنها أقوى من معظم الرِّجال، وسريعة...».

قاطعَه تارلي بحِدَّة: «سيفها هو السَّريع. هذه طبيعة الفولاذ الثاليري. أقوى من معظم الرِّجال؟ أجل، إنها مسخ، مُحال أن أنكر هذا».

فكَّرت بريان: لن يحبّني أمثاله أبدًا مهما فعلتُ. «سيّدي، ربما يعرف ساندور كليجاين شيئًا عن الفتاة. إذا وجدته...».

- «كليجاين أصبح مجرمًا. إنه يركب مع جماعة بريك دونداريون الآن على ما يبدو، وربما لا، الحكايات متعدّدة. أريني أين مخبأهما وبكلّ سرورٍ سأبقرُ بطنيهما وأخرجُ أمعاءهما وأحرقهما. لقد شنقنا عشراتٍ من الخارجين عن القانون، لكن القادة ما زالوا يُضَلِّلوننا؛ كليجاين ودونداريون والراهب الأحمر، والآن تلك المرأة قلب الحجر... كيف تعزمين العثور عليهم بينما لا أستطيعُ أنا؟».

قالت عاجزةً عن إعطائه إجابةً جيّدة: «سيّدي، إنني... ليس في وسعي إلّا أن أحاول».

- «حاولي إذن. إن معكِ وثيقتكِ ولست محتاجةً إلى إذني، لكنني سأعطيك إياه مع ذلك. إذا كنتِ محظوظةً فلن يُصيبكِ لقاءُ عنائكِ أكثر من أوجاع الرُّكوب، وإن لم يكن فربما يترككِ كليجاين حيّةً بَعْدَ أن يَفْرُغَ وقطيعه من اغتصابكِ، وعندئذٍ يُمكنكِ أن تعودِي إلى (تارث) وفي بطنكِ نعل كلبٍ ما».

تجاهلت بريان رَدّه قائلةً: «بَعْدَ إذن سيّدي، كم رجلًا مع كلب الصّيد؟».

- «ستّة أو ستّون أو ستُمئة. الإجابة مرهونة بمن تسألين».

كان جليًّا أن راندل تارلي اكتفى من هذه المحادثة إذ بدأ يلتفت مبتعدًا، لكن بريان قالت: «أستأذِنكِ ومُرافقِي في كرم ضيافتكِ حتى...».

- «لكِ أن تستأذِنِي كما شئتِ، لكنني لن أسمح بوجودكِ تحت سقفي».

تقدّم السير هايل هَنَت قائلاً: «بَعْدَ إذن سيّدي، معلومي أن هذا لا يزال سقف اللورد موتون».

حدَجَ تارلي الفارس بنظرةٍ سامّةٍ مجيِّبًا: «موتون يملك شجاعة الدُّود. لن تُكَلِّمني عن موتون. وبالنسبة إليك يا سيّديتي فيُقال إن أباك رجل صالح، وإذا كان هذا صحيحًا فإنني أشفقُ عليّه. بعض الرِّجال يُرزقُ أبناءً وبعضهم يُرزقُ بناتٍ، لكن لا أحد يسحقُ أن تحلّ به لعنة مثلكِ. عيش-ي أو موت-ي يا لي-دي بري-ان، لكن لا تعودِي إلى (بركة العذارى)

وهي تحت حُكمي».

قالت بريان لنفسها: الكلام هواء، لا يُمكنه أن يجرحك، لا تدعيه يُؤثر فيك، وحاولت أن تقول له: «كما تأمر يا سيدي»، لكن تارلي رحل قبل أن تخرج منها الكلمات، فخرجت هي من الساحة شاعرةً كأنها نائمة، لا تدري أين تذهب.

لحق بها السير هايل قائلاً: «هناك خانات».

هزت رأسها دون رد، فليست رغبةً في الكلام مع هايل هنت.

- «هل تذكرين (الإوزة النتنه)؟».

ما زالت رائحة المكان عالقةً بمعطفها. «لماذا؟».

- «قابليني هناك غدًا في منتصف النهار. آلن ابن عمي كان ممن أرسلوا للعثور على كلب الصيد. سأتكلم معه».

- «ولم تفعل شيئًا كهذا؟».

- «ولم لا؟ إذا نجحت في ما فشل فيه آلن سأستطيع التندر عليه أعوامًا».

لم يكن السير هايل مخطئًا، فما زالت في (بركة العذارى) خائبات، إلا أن بعضها احترق خلال نهب أو آخر ولم يُبنَ ثانيةً بعد، والمتبقي مكتظ عن آخره بجنود جيش اللورد تارلي. بعد الظهيرة زارتها وبودريك جميعًا، ولم يجدا في أيٍّ منها أسرةً شاغرةً.

قال بودريك بينما تنخفض الشمس في الغرب: «أيتها الفارس، سيديتي، هناك سُفن. السفن فيها أسرة، شباك نوم أو أسرة بدورين».

لم يزل رجال اللورد راندل يذرعون أرصفة الميناء بكثافة الذباب الذي غطى رؤوس الممثلين السقّاحين الثلاثة، لكن رقيبهم تعرّف بريان بمجرد النظر وتركها تمر.

كان الصيادون المحليون يربطون قواربهم مع دنو الليل ويُنادون على ما اصطادوه نهارًا، لكن ما يهمها هو السفن الكبيرة التي تمخر مياه (البحر الضيق) العاصفة.

وجدت نصف دسنة منها راسيةً، وإن رأت قاليونًا اسمه (ابنة المارد) يلقي حباله ليجر في تيار المساء، وطافت مع بودريك بالسفن المتبقية، فحسبها رُبان (بنت بلدة النوارس) عاهرةً وقال لهما إن سفينته ليست بيت دعارة،

وعرض عليهما صياد إبن يزي من سفينته صيد حيث إن يش تري صبيها، لكنهما صادفا حظا أفضل في غيرهما من السفن. ابتاعت لبودريك بُرتقالة على متن (جوال البحر)، وهو كوج وصل للثو من (البلدة القديمة)

عن طريق (تايروش) و(پنتوس) و(وادي الغسق)، وقال لها رُبانة: «(بلدة النوارس) وجهتنا التالية، ومن هناك ندور حول (الأصابع) إلى (بلدة الأخوات) و(الميناء الأبيض)، إذا تركت لنا العواصف الفرصة. (الجوال) سفينة نظيفة، ليست عليها

جرذان كثيرة كأغلب السفن، وعندنا بيض طازج وُبدة ممخوضة حديثًا. هل

ترغب سيّدتني في الدّهاب شمالاً؟».

- «لا». ليس بعدُ. الفكرة مغرية، ولكن...

في طريقهما إلى الرّصيف التّالي قال يودريك مخرجاً قدميه: «أيتها الفارس، سيّدتني، ماذا لو عادت سيّدتني إلى وطنها؟ أعني سيّدتني الأخرى أيتها الفارس، الليدي سانزا».

- «لقد أحرّقوا وطنها».

- «ولو، إن ألقتها هناك، والآلهة لا تموت».

الآلهة لا تموت لكن الفتيات يَمُتن. «تيميون كان قاتلاً متوحّشاً، لكنني لا أظنُّ أنه كذبَ بشأن كلب الصّيد. لا يُمكننا أن نذهب شمالاً إلى أن نتأكّد. ستكون هناك سُفن أخرى».

في أقصى شرق الميناء وجدا مأوى لهما اللّيلة على متن قادس تجاري حطّمته عاصفة اسمه (سيّدة مير). كان مائلاً على نحو سيّئ وقد فقدَ صاريته ونصف طاقمه في العاصفة، لكن ربّانه لا يملك المال الكافي لإصلاحه، فسرّه أن يأخذ القليل من البنسات من بريان ويسمح لها وبود بأن يتقاسما قمرةً خاليةً.

لم تكن ليلتهما مريحةً. ثلاث مرّات استيقظت بريان، الأولى عندما بدأ المطر يسقط، والثالثة مع صرير جعلها تحسب أن ديك الرّشيق يتسلّل زاحقاً ليقتلها. في المرّة الثّانية استيقظت وسكّينها في يدها، لكن شيئاً لم يكن هنالك، وفي ظلام القمر الصّغيرة الضّيقة استغرقت لحظةً لتتذكّر أن ديك الرّشيق مات، وفي النّهاية لمّا غابت في أل-توم مجدّداً حلّمت بالرجال الذين قتلتهم. كانوا يرقصون حولها، يسخرون منها ويحاولون قرضها بينما هوت عليهم بسيفها. مزّقتهم إرباً داميةً، لكنهم ظلّوا يدورون حولها كالبعوض... شاجويل وتيميون وبيج، نعم، ولكن راندل تارلي أيساً، وفارجو هوت ورونيت كـوننجتون الأحمر. حمل رونيت وردةً بأصابعه، وحين قدّمها لها بترت يده.

صحت تنصّب عرقاً، وقضت باقي اللّيل منكمشةً تحت معطفها تُصغي إلى المطر يدق سطح السّفينة فوق رأسها دقاً. كانت ليلةً ليلاً، ومن حين إلى آخر سمعت هزيم رعدٍ بعيد جعلها تُفكّر في السّفينة البرافوسية التي أفلعت مساءً.

في اليوم التّالي عادت إلى (الإوزة النّتنة) وأيقظت مالكة الحانة القذرة ونقدتها ثمن القليل من السّجق والخُبز المحمّر ونصف كوب نبيذ وإبريق من الماء المغلي وكوبين نظيفين. زرّت المرأة عينيها راقمةً بريان بينما وضعت الماء على النّار، وقالت: «أنت الفتاة الكبيرة التي ذهبت مع ديك الرّشيق. هل خدعكِ؟».

- «لا».

- «اغْتَصَبَكِ؟».

- «لا».

- «سَرَقَ حِصَانَكَ؟».

- «لا. لقد قَتَلَهُ خَارِجُونَ عَنِ الْقَانُونِ».

لَاخَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْفُضُولُ أَكْثَرَ مِنَ الضَّيْقِ وَهِيَ تَقُولُ: «خَارِجُونَ عَنِ الْقَانُونِ؟ لَطَالَمَا تَصَوَّرْتُ أَنَّ دِيكَ سَيُشْتَقُّ أَوْ يُرْسَلُ إِلَى (الْجِدَارِ)».

أَكَلَا الْخُبْزَ الْمَحْمَرَّ وَنِصْفَ السُّجْقِ، وَازْدَرَدَ پُودْرِيكَ پَايِنَ طَعَامِهِ بِالْمَاءِ الْمَنْكَّهِ بِالنَّبِيذِ، فِي حِينَ رَشَقَتْ پَرِيَانُ بِبُطْءٍ مِنَ النَّبِيذِ الْمَخْفَفِ بِالْمَاءِ وَتَسَاءَلَتْ عَنْ سَبَبِ مَجِيئِهَا هُنَا. هَايِلُ هُنْتُ لَيْسَ فَارِسًا حَقِيقِيًّا، وَوَجْهُهُ الصَّرِيحُ مَجَرَّدُ قِنَاعٍ مُمَثِّلِينَ. قَالَتْ لِنَفْسِهَا: لَسْتُ مُحْتَاجَةً إِلَى عَوْنِهِ وَلَا إِلَى حِمَايَتِهِ، وَلَسْتُ مُحْتَاجَةً إِلَيْهِ. إِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ الْأَرْحَجُ. قَالَ لِي أَنَّ أَقَابِلَهُ هُنَا كَمْزَحَةٌ أُخْرَى لَا أَكْثَرَ.

كَانَتْ نَاهِضَةً لِتُغَادِرَ عِنْدَمَا وَصَلَ السَّيْرُ هَايِلَ قَائِلًا: «سَيِّدَتِي، پُودْرِيكَ»، وَتَطَلَّعَ إِلَى الْكُوبَيْنِ وَالْأَطْبَاقِ وَبَقِيَّةِ السُّجْقِ الَّتِي تَبَرَّدَ فِي بَرَكَةٍ مِنَ الدَّهْنِ، وَقَالَ: «بَحَقِّ الْأَلْهَةِ، أَمَلُ أَنْكُمَا لَمْ تَأْكُلَا شَيْئًا هُنَا!».

رَدَّتْ پَرِيَانُ: «مَا أَكَلْنَاهُ لَا يَخْصُكَ. هَلْ وَجَدْتَ ابْنَ عَمِّكَ؟ يَمْ أَخْبَرَكَ؟».

- «سَانْدُورُ كَلِيجَايِنِ شُوهِدَ آخِرَ مَرَّةٍ فِي (الْمَلَّاحَاتِ) يَوْمَ الْغَارَةِ، وَبَعْدَهَا رَكَبَ غَرْبًا بِمَحَاذَاةِ (الثَّلَاثِ)».

قَالَتْ مَقْطِبَةً جَبِينَهَا: «(الثَّلَاثِ) نَهْرٌ طَوِيلٌ».

- «أَجَلْ، لَكِنِّي لَا أَظُنُّ أَنَّ كَلْبَنَا ابْتَعَدَ كَثِيرًا عَنْ مَصْبِهِ. يَبْدُو أَنَّ (وَسْتَرُوسَ) فَقَدَتْ سِجْرَهَا فِي نَظَرِيهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنْ سَفِينَةٍ فِي (الْمَلَّاحَاتِ)»، وَسَحَبَ السَّيْرَ هَايِلَ لِفَافَةٍ مِنْ جِلْدِ الْخِرَافِ مِنْ حِذَائِهِ، وَأَزَاحَ السُّجْقَ جَانِبًا وَبَسَطَهَا، فَاتَّضَحَ أَنَّهَا خَارِطَةٌ. «كَلْبُ الصَّيْدِ فَتَكَ بِثَلَاثَةِ مِنْ رِجَالِ أَخِيهِ فِي الْخَانِ الْقَدِيمِ عِنْدَ مَفْتَرَقِ الْبَطْرِقِ، هُنَا، ثُمَّ قَادَ الْغَارَةَ عَلَى (الْمَلَّاحَاتِ)، هُنَا»، وَنَقَرَ عَلَى (الْمَلَّاحَاتِ) بِإِصْبَعِهِ مَتَابَعًا: «رَبِّمًا يَكُونُ عَالِقًا. آلُ فَرَايِ هُنَا فِي (التَّوَامَتَيْنِ)، وَ(دَارِي) وَ(هَارِنْهَالِ) فِي الْجَنُوبِ عَلَى ضَفَّةِ (الثَّلَاثِ) الْأُخْرَى، وَفِي الْغَرْبِ هُنَاكَ قِتَالٌ دَائِرٌ بَيْنَ آلِ بَلَاكُودِ وَآلِ بَرَاكِنِ، وَاللُّورْدُ رَانْدَلُ هُنَا فِي (بَرَكَةِ الْعِذَارِيِّ)، وَ(الطَّرِيقُ الْعَالِي) الَّذِي يَقُودُ إِلَى (الْوَادِي) مَسْدُودٌ بِالثَّلُوجِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ تَجَاوُزَ قِبَائِلِ الْجِبَالِ. أَيْنَ يَذْهَبُ الْكَلْبُ إِذَنْ؟».

- «إِذَا كَانَ مَعَ دُونْدَارِيُونِ...؟».

- «لَيْسَ مَعَهُ، آلَنْ وَاثِقٌ بِهَذَا. رِجَالُ دُونْدَارِيُونِ يَبْحَثُونَ عَنْهُ أَيْضًا، وَأَذَاعُوا أَنَّهُمْ يَنْوُونُ شَنْقَهُ لَمَّا ارْتَكَبَهُ فِي (الْمَلَّاحَاتِ). لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَوْرٌ فِي ذَلِكَ، لَكِنِ اللَّورْدُ رَانْدَلُ يُشْرِعُ الْعَكْسَ عَلَى أَمَلٍ أَنَّ يَنْقَلِبَ الْعَوَامُ عَلَى بَرِيكَ

وأخوتَه. إنه لن يقبض على سيّد البرق أبدًا ما دامَ الأهلُ الي
يحمونَه. ثم إن هنالك تلك الجماعة الأخرى التي تقودها المرأة قلب
الحجر... عشيقَة اللورد بريك وفقًا لإحدى الحكايات. يُقال إن آل فراي شنقوها،
لكن دونداريون قبّلها وأعادَها إلى الحياة، والآن أصبحت مثله لا تموت».

تفحّصت بريان الخارطة، وقالت: «إذا شوهِدَ كليجاين آخر مرّة في (الملاحات)
فهذا هو المكان الذي سنجد فيه أثره».

- «لم يتبقَّ أحد في (الملاحات) إلّا فارس عجوز مختبئ في قلعته، هذا ما قاله
آلن».

- «ولو، إنه مكان نبدأ منه على الأقل».

قال السير هايل: «هناك رجل، سيّتون دخلَ من بوابتي قبل ظهوركِ بيوم، اسمه
ميريبولد، وُلِدَ في أراضي النّهر ونشأ فيها، وخدمَ هنا طيلة حياته. سيرحل غدًا
ليبدأ دورته، ودائمًا يزور (الملاحات). يُمكننا أن نذهب معه».

رفعت بريان عينيها بحدّة مرّدة: «نذهب؟».

- «أنا ذاهب معكم».

- «لا، لن تذهب».

- «طيّب، أنا ذاهب مع السيّتون ميريبولد إلى (الملاحات). أنتِ وبودريك
تستطيعان الذهاب حيثما تُريدان».

- «هل أمرك اللورد تارلي بأن تتبعني ثانية؟».

- «بل أمرني بالابتعاد عنك. اللورد راندل يرى أن شيئًا من الاغتصاب العنيف
سينفعك».

- «لماذا تُريد أن تأتي معي إذن؟».

- «إمّا هذا وإمّا العودة إلى واجب البوابة».

- «إذا أمرك سيّدك...».

- «إنه لم يعد سيّدي».

أدهشها هذا، فسألته: «تركت خدمته؟».

- «حضرة اللورد أبلغني بأنه لم يعد محتاجًا إلى سيفي أو إلى وقاحتي، لا فرق.
من الآن فصاعدًا سأستمتعُ بحياة المغامرة كفارسٍ متجوّل... وإن كنتُ أتصوّر أننا
سننال مكافأةً سخيةً إذا عثرنا على سانزا ستارك».

الذهب والأراضي، هذا كلُّ ما يرى في الأمر. «إنني أنوي إنقاذ الفتاة لا بيعها.
لقد حلفتُ يمينًا».

- «وأنا لا أذكرُ أنني حلفتُ».

- «ولذا لن تأتي معي».

في الصباح التالي بينما تُشرق الشمس غادروا.

كان موكبًا غريبًا؛ السير هایل على جوادٍ كستنائي، وبريان على قَرسها الرَّماديّة الطويلة، وپودريك پاین على حصانه الأرقط التَّعس، وإلى جوارهم يمشي السَّيِّتون ميريبولد مَتَكَّنًا على نُبُوت ويقود حمارًا صغيرًا وكلبًا كبيرًا. على ظَهر الحمار حمولة شديدة الثَّقل لدرجة أن بَريان خَشِيت أن ينكسر، وكان السَّيِّتون ميريبولد قد قال لهم عند بَوَّابة (بركة العذاري): «طعام للفقراء والجائعين في أراضي النَّهر؛ بذور ومكسَّرات وفواكه مجفَّفة وثريد شوفان وطحين وخُبز شعير وثلاثة قوالب من الجُبنة الصَّفراء من الخان عند (بَوَّابة المهرَّجين)، وسَمَكٌ قد مملَّح لي، وضأن مملَّح لكلب... أوه، وملح، وبصل وجزر ولُفت وجوالان من الفاصوليا وأربعة أجولة من الشَّعير وتسعة أجولة من البُرْتقال. أَعترفُ بأنني ضعيف الإرادة أمام البُرْتقال. لقد حصلتُ عليه من بَحَّارٍ وأخشى أنه آخر ما سأذوقه منه حتى الرَّبيع».

ميريبولد سَيِّتون بلا سَيِّت، يعلو درجةً واحدةً فقط على الإخوة الشَّحَّاذين في تدرُّج العقيدة الهرمي. هناك مئات مثله، رجال بائسون واجبهم المتواضع أن يمشوا من قريّة ضئيلة إلى أخرى لِيُؤدُّوا المراسم المقدَّسة ويُقِيموا طقوس الزَّفاف ويغفروا الخطايا. معظم مَنْ يزوره م يُنتَظر من هم أن يُطعموه ويؤووه، لكن أكثرهم فقراء مثله، ولذا لا يبقى ميريبولد في مكانٍ واحدٍ طويلًا دون أن يُثقل على مُضيفيه. أحيانًا يسمح له أصحاب الخانات الطَّيِّبون بالمبيت في مطابخهم أو اسطبلاتهم، وثمّة سَيِّتري هنا أو معقل هناك بل وبضع قلاع أيضًا يعلم أنه سيُلاقى ترحيبًا فيها، وحين لا يكون هناك مكان من هذه في الجوار ينام تحت شجرة أو سياج من الشَّجيرات. «في أراضي النَّهر سوج شُجيرات ممتازة كثيرة. أفضلها الأقدم. لا شيء يفوق سياج شُجيرات عُمره مئة عام. داخلها يستطيع المرء أن ينام ملء جفنيه كأنه في خان، ولا يخشى البراغيث كثيرًا».

لا يقرأ السَّيِّتون أو يَكْتُب، وهو ما اعترفَ لهم به بمرح على الطَّريق، لكنّه يعرف مئة من الأدعية ويسطيع أن يتلو مقاطع طويلة من (النَّجْمَة السُّباعيّة) من الدَّاكرة، وهذا كلُّ المطلوب في القرى. للرَّجل وجه متغضن لَوَحته الرِّيح وشعر شائب كثيف وتجاعيد عند رُكني عينيه، وعلى الرغم من حجمه الكبير وطوله الذي يُناهز الأقدام الستّة فإنه يحني ظَهره إلى الأمام بينما يمشي بطريقة تجعله أقصر قامَةً بكثير. يداه كبيرتان متينتان، ومفاصل أصابعه حمراء وتحت أظفاره وسخ، كما أن له أكبر قدمين رأتهما بَريان على الإطلاق، حافيتان وسوداوان وقاسيتان كقرون الغزلان.

قال الرَّجل لَبريان: «لم أنتعل حذاءً منذ عشرين عامًا. في العام الأول كانت في

قدمي قروح أكثر من الأصابع، وكان باطنهما ينزف كالخنازير كلما وطأت حجرًا صلبًا، لكنني صليتُ وقوّي (الإسكاف في الأعالي) جلدي ومثّنه». قال بودريك محتجًا: «ليس هناك إسكاف في الأعالي».

- «بل هناك أيها الصّبي... وإن كنت تدعوه باسمٍ آخر ربما. أخبرني، مَنْ أكثر مَنْ تحبُّ من الآلهة السّبعة؟». أجاب بودريك بلا لحظة تردّد: «(المُحارب)».

تنحنحت بريان، وقالت: «في (بهو المساء) كان سيّتون أبي يقول دومًا إن هناك إلهًا واحدًا».

- «إله واحد بسبعة وجوه. هذا صحيح يا سيّدي ولك الحَقُّ في الإشارة إليه، لكن طلسم السّبعة الذين هم واحد ليس سهل الإدراك عند البُسطاء، وأنا رجل شديد البساطة، ولذا أتكلّم عن آلهة سبعة»، وعاد ميريبولد يلتفت إلى بودريك قائلاً: «لم أعرف قطّ صبيًا لا يحبُّ (المُحارب)، لكنني عجوز، ولأنني عجوز أحبُّ (الحدّاد)، فـدون عملـه عمّ سـيُدافع (المُحارب)؟ فـي كـلّ بـلـدة وكـلّ قـلعة حـدّاد، وهؤلاء الحـدّادون يصـنعون المـحـاريث التـي نحتـاج إلـيـها لزراعة محاصـيلنا، والمسـامير التـي نستخدمها لبناء سُفننا، والحدوات لحفظ حوافر خيولنا المخلصة، وسيوف ساداتنا اللّامعة. لا أحد يُشكّك في قيمة الحدّاد، ولذا تُسمّي أحد آلهتنا السّبعة هكذا تكريمًا له، لكن كان يُمكن بالسهولة نفسها أن تُسمّيه المزارع أو الصيّاد أو النّجار أو الإسكاف. ما يعمل عليه لا يهمُّ، المهمُّ أنه يعمل. (الأب) يحكّم و(المُحارب) يُقاتل و(الحدّاد) يحكّم، ومعًا يفعلون كلَّ ما هو في صالح الإنسان. مثلما (الحدّاد) وجه واحد للآلهيّة فـ(الإسكاف) وجه واحد لـ(الحدّاد)، وهو من سمع صلواتي وشفى قدمي».

قال السير هایل بجفاف: «الآلهة كريمة، ولكن لِمَ تُزعجها بينما كان بإمكانك الاحتفاظ بحدائك بالبساطة نفسها؟».

- «المشي حافي القدمين كفّارتي. حتى السيّتونات الأتقياء يُمكن أن يكونوا خُطاةً، وجسدي كان ضعيفًا أيما ضعف. كنتُ شابًا غرًّا، والفتيات... من الممكن أن يبدو سيّتون ما نبيلًا كفارس إذا كان الرّجل الوحيد الذي تعرفه الفتاة وارتحل أكثر من ميل واحد عن قريتها. كنتُ أتلو عليهن من (النّجمة السّباعيّة)، وأثمر (سيفر العذراء) أفضل النّائج. أوه، كم كنتُ رجلًا شريرًا قبل أن أتخلص من حدائي. يُخزني أن أفكر في كلّ العذراوات اللّائي دنّستن».

اعتدلت بريان فوق سرجها بتوتّر مفكّرة في المعسكر أسفل أسوار (هايجاردن) ورهان السير هایل والآخرين لرؤية مَنْ يستطيع أن يُضاجعها أولًا.

قال بودريك باين: «إننا نبحث عن فتاة، فتاة رفيعة النّسب في الثّالثة عشرة لها شعر كستنائي».

- «اعتقدتُ أنكم تبحثون عن بعض الخارجين عن القانون».
- «هُم أيضًا».

قال السيِّتون ميريولد: «معظم المُسافرين يفعلون ما في وسعهم لتحاشي أمثال هؤلاء، ومع ذلك تبحثان أنتما عنهم».

قالت بريان: «نبحث عن واحدٍ فقط، كلب الصَّيد».

- «هكذا أخبرني السير هايل. عسي (السَّبعة) أن يُنقِذوك يا بنيَّتي. يُقال إنه يترك وراءه أثرًا من الأطفال المذبوحين والعذراوات المدنَّسات، وسمعتُ من يدعوهُ بـكلب (الملاحات) المسعور. ما الذي يُريده أناس صالحون من رجلٍ كهذا؟».

- «الفتاة التي ذكرها بودريك قد تكون معه».

- «حقًّا؟ إذن يجب أن نُصَلِّي من أجل المسكينة».

قالت بريان في قرارتها: ومن أجلي، صلاة من أجلي أيضًا. سلَّ (العجوز) أن ترفع مصباحها وتقودني إلى الليدي سانزا، وسلَّ (المُحارب) أن يبثَّ القوَّة في ذراعي كي أدافع عنها. على أن الكلام لم يخرج من شفتها، فليست تُريد هايل هنت أن يسمعه ويسخر من ضعفها الأنثوي.

مع سير السيِّتون ميريولد على قدميه والحمولة الثَّقيلة على ظهر حماره كان تقدُّمهم بطيئًا طيلة هذا اليوم. لم يأخذوا الطريق الرِّئيس غربًا، الطريق الذي سبق أن سلَّته بريان مع السير جايمي عن دما أتيا من الاتِّجاه الآخر ليجدا (بركة العذاري) من هوبة مـلأى بـالجُثث، وبـدلًا من ذلك اتَّجـهوا إلى الشَّمال الغربي متَّبعين ساحل (خليج السَّراطين) على دربٍ معوج صغير لدرجة أنه لا يظهر على أيِّ من خريطتي جلد الخراف الثَّمينتين اللتين يحملهما السير هايل. على هذا الجانب من (بركة العذاري) ليس هناك وجود لتلال (الرَّأس المتصدِّع) شديدة التَّحدُّر أو مستنقعاته السَّوداء أو غاباته الصَّنوبريَّة، أمَّا الأراضي التي يرتحلون فيها فواطنة بليلة، براري من الكُثبان الرَّمليَّة والمستنقعات المالحة تحت سماءٍ رحبة يمتزج فيها الرَّمادي بالأزرق. أحيانًا يختفي الطريق وسط أعواد البوص والبرك المديَّة، فقط ليُعاود الظهور بعد ميل، وتعلم بريان أن لولا ميريولد لضلُّوا الطريق لا محالة. الأرض تحتهم طريَّة في مواضع كثيرة، ولذا يسبقهم السيِّتون في بقاع بعينها ويدقُّ بنبوته ليتأكد من صلابة موطئ أقدامهم، ويمضون دون رؤية أيِّ أشجارٍ لفراسخ وفراسخ، وما من شيءٍ حولهم إلَّا البحر والسَّماء والرِّمال.

شيَّان ما بين هذه الأرض و(تارث) بجبالها وشلَّالاتها ومروجها العالية ووديانها الطَّليَّة، وإن خطرَ لبريان أن لهذا المكان جَماله الخاص رغم ذلك. مروا بدستةٍ من النَّهيرات بطيئة التَّيار التي تزخر بـالضَّفادع وصـراير الحقـل، وشـاهدوا طيور خـطاف البحر تُخلِّق عـالياً فوق الخـليج، وسـمعوا طيور زَمَر

الرَّمْل تصدح من بين الكُثبان، وفي مرّة صادفوا ثعلبًا جعل كلب ميريولد ينبح بضراوة.

وهناك أناس أيضًا، بعضهم يَقْطُن وسط البوص في بيوتٍ من الطّمي والقش، في حين يصطاد آخرون من الخليج في زوارق صغيرة من الجلد وبينون بيوتهم على ركائز خشبيّة متقلّبة فوق الكُثبان، ويبدو أن أغلبهم يعيش وحده معتكفًا عن سائر النَّاس. يبدون في الغالب قومًا خجولين منطوين، لكن قُرب منتصف النّهار بدأ الكلب ينبح ثانيةً، وخرجت ثلاث نسوة من بين أعواد البوص وأعطين ميريولد سِلّةً مجدولةً ملأى بأم الخُلول، فأعطى كلّاً منهن بُرتقاله في المقابل، مع أن أم الخُلول منتشرة كـالطّمي في هذه الأنحاء والبُرتقال نادر نفيس. إحدى النِّسوة عجوز للغاية والثّانية خُبلى منتفخة البطن والثّالثة فتاة ناضرة جميلة كزهرة في الربيع، ولمّا انتحى بهن ميريولد جانبًا ليسمع خطاياهن قهقهة السير هائل، وقال: «يبدو أن الآلهة معنا... على الأقل (العذراء) و(الأم) و(العجوز)»، فلاحَت على يودريك دهشة بالغة حدّت بريان إلى أن تشرح له أنهن مجرد ثلاث نساء من أهل المستنقعات.

لاحقًا حين استأنفوا رحلتهم التفتت إلى السيّتون قائلة: «هؤلاء النَّاس لا يبعدون أكثر من يومٍ من الرُّكوب عن (بركة العذاري)، لكن القتال لم يمسه».

- «لأنهم يملكون القليل مما يُمسُّ يا سيّدي. كنوزهم الأصداف والحجارة والزّوارق الجليديّة، وأفضل أسلحتهم سكاكين من الحديد الصّدئ. يُولدون ويعيشون ويحبّون ويموتون. إنهم يعلمون أن اللورد موتون يحكّم أراضيهم، لكن قلائل منهم راوه، و(ريقرن) و(كينجز لاندنج) وغيرهما مجرد أسماء بالنّسبة إليهم».

قالت بريان: «ومع ذلك يعرفون الآلهة. هذا عملك في رأيي. منذ متى تجول في أراضي النّهر؟».

- «قريبًا سيتمّ تجوالي أربعين عامًا»، أجاب السيّتون، وأطلق كلبه نباحًا عاليًا. «من (بركة العذاري) إلى (بركة العذاري) تستغرق جولتي نصف عامٍ وكثيرًا ما تطول عن هذا، وإن كنتُ لا أدّعي أنني أعرفُ (الثّالوث). إنني أبصرُ قلاع اللوردات العظام من بعيدٍ فقط، لكنني أعرفُ بلدات الأسواق والمعازل، والقُرى الأصغر من أن تكون لها أسماء، وسُوح الشّجيرات والتّلال، والغدران التي يشرب منها العطاشى، والكهوف التي يستطيعون أن يأووا إليها، وأعرفُ الطرق التي يسلكها العامّة، الدُّروب الموحلة المتعرّجة التي لا تظهر على أيّ خريطةٍ من ورق الرُّقوق»، وقهقهة مضيّفاً: «يجدرُ بي أن أعرف. لقد وطأت قدماي كلّ ميلٍ منها عشر مرّات».

المجرمون يسلكون الطُّرق الخلفيّة، والكهوف مكان مثالي لاختباء المطاردين. جعلت لمحة من الارتياح بريان تتساءل عن قدر معرفة السير هائل بهذا الرّجل.

«لا بُدَّ أنها حياة مفعمة بالوحدة أيها السيِّتون».

قال ميريبولد: «(السَّبعة) معي دومًا، ولديَّ خادمي المخلص، وكلب أيضًا».

سأله بودريك باين: «ألكلبك اسم؟».

- «مؤكَّد، لكنه ليس كلبِي، ليس هذا».

نبَحَ الكلب وهزَهَزَ ذيله. إنه مخلوق ضخم أشعث، يزن مئة رطلٍ على الأقل، لكنه ودود.

سألَ بودريك: «إلى مَنْ ينتمي إذن؟».

- «إلى نفسه بالطَّبْع، وإلى الآلهة. أمَّا اسمه فلم يُخبرني به، ولذا أدعوه بـ«كلب».

- «أوه». كان واضحًا أن بودريك يجهل ماذا يقول عن كلبٍ اسمه كلب، وقد فكَّر في هذا فترةً، ثم قال: «كان عندي كلب في صِغري، سمَّيته هيرو».

- «وهل كان اسمًا على مسمًى؟».

- «كان ماذا؟».

- «بطلًا».

- «لا، لكنه كان كلبًا مطيعًا. لقد مات».

قال السيِّتون: «كلب يُحافظ على سلامتي على الطُّرق، حتى في أوقاتٍ عصيبة كهذه. لا ذئب أو خارج عن القانون يَجسُرُ على إزعاجي ما دامَ كلب إلى جانبي»، وعقدَ حاجبيه مردفًا: «الذَّئاب أصبحت شنيعةً في الآونة الأخيرة. في أماكن بعينها خيرٌ للمرء أن يجد شجرةً ينام فوقها. في حياتي كُلِّها أكبرُ قطيعٍ رأيتُه كانت ذئابه أقلُّ من دسِّته، لكن القطيع العظيم الذي يجوب أراضِي (الثالوث) الآن تعداده بالمئات».

سأله السير هايل: «هل رأيت تلك الذَّئاب بنفسك؟».

- «أُعفيتُ من ذلك وليحمني (السَّبعة)، لكنني سمعتها ليلاً أكثر من مرَّة. أصوات كثيرة للغاية... صوت يُخَيِّرُ دماء المرء في عروقه ويجعل كلب نفسه يرتعد، مع أنه قتلَ دسِّته من الذَّئاب من قبل»، وداعبَ رأس الكلب نafشًا شعره، وتابع: «ستجدين مَنْ يقول لك إنها شياطين. يقولون إن القطيع تقوده ذئبة وحشيَّة أشبه بظِلِّ شبحي، شرسة وشهباء وضخمة، ويقولون إنها معروفة بافتراس الثَّيران البريَّة بمفردها، وإن لا فَحٍّ أو شَرَكٍ يُقَيِّدها، وإنها لا تخاف الفولاذ أو النَّار وتَقْتُلُ أيَّ ذئبٍ يُحاول اعتلاءها ولا تلتهم إلا لحم البَشَر».

قال السير هايل هَنَت ضاحكًا: «ها قد فعلتها أيها السيِّتون، الآن عينا بودريك المسكين متَّسعتان كأنهما بيضتان مسلوقتان».

ردَّ بودريك ساخطًا: «غير صحيح»، وأطلقَ كلب نباحًا.

ليلتها أقاموا مخيمًا باردًا وسط الكُثبان. أرسلت بريان بودريك
يمشي على السَّاحل ويبحث عن خشبٍ محروقٍ لإشعال النار، لكنّه
عادَ خاوي الوفاض والطَّمي يُعطِي ساقيه حتى الرُّكبتين.

نصحه السيِّتون ميريبولد قائلاً: «ابتعد عن الطَّمي يا بُني. الطَّمي لا يحبُّ
الغُرباء، وإذا مشيت في المكان الخطأ سينشق ويتلعدك».

قال بودريك بإصرار: «إنه طمي فحسب».

قال الرَّجل: «إلى أن يملأ فمك ويبدأ الزَّحف داخل أنفك. عندئذٍ هو الموت»،
وابتسم ليكسر حدة كلامه مردفًا: «امسح الطَّمي وتعالَ كُل فصًّا من البُرْتقال يا
بُني».

كان اليوم التَّالي مزيدًا من الأشياء نفسها. أفطروا على سَمَك القُدِّ والمزيد من
فصوص البُرْتقال، وواصلوا طريقهم قبل أن تُشرق الشَّمْس تمامًا، من ورائهم
سماء ورديةٌ ومن أمامهم سماء أرجوانية. قادَ كَلْب الطريق متشمِّمًا كُلَّ كُتْلَةٍ
من البوص ومتوقِّفًا بين الفينة والفينة ليتبولَ على إحداها، وقد بدا أنه يعرف
الطريق مثل ميريبولد بالضبط، وشقَّ صياح طيور خطَّاف البحر الرَّاجف هواء
الصُّباح مع تدفق مياه المد.

قُرب منتصف النَّهار توقَّفوا في قريةٍ ضئيلة هي الأولى التي
صادفوها، حيث ترتفع ثمانية بيوتٍ على ركائز خشبية فوق جدولٍ
صغير. كان الرَّجال يصطادون في زوارقهم الجلدية، لكن النساء والأطفال
نزلوا على سلاَم مدلاة من الحبال وتجمَّعوا حول السيِّتون ميريبولد ليُصلِّوا،
وعقب الطقوس غفرَ لهم خطاياهم، ثم تركَّهم بعد أن أعطاهم القليل من اللَّفت
وجوالًا من الفاصوليا واثنين من بُرْتقالاته الثمينة.

عندما عادوا إلى الطريق قال السيِّتون: «خيرٌ لنا أن نُعيِّن حراسةً اللَّيلة أيها
الأصدقاء. أهل القرية قالوا إنهم رأوا ثلاثة رجالٍ مكسورين يتسلَّلون حول الكُثبان
غرب بُرج المراقبة القديم».

ابتسم السير هايل قائلاً: «ثلاثة فقط؟ ثلاثة بمثابة العسل عند مُبارزتنا العزيزة.
ليس محتملاً أن يُزعجوا قومًا مسلَّحين».

قال السيِّتون: «ما لم يكونوا يتضورون جوعًا. في هذه المستنقعات طعام، ولكن
فقط لمن يعرف أين يبحث، أمّا هؤلاء الرِّجال فأغراب، ناجون من معركةٍ أو أخرى.
إذا دنوا منا فأرجوك أيها الفارس أن تتركَّهم لي».

- «وماذا ستفعل معهم؟».

- «سأطعمهم، سأسألهم أن يعترفوا بخطاياهم كي أغفرها لهم، وأدعوهم إلى
المجيء معنا إلى (جزيرة الهدوء)».

ردَّ هايل هُنت: «كأنك تدعوهم إلى ذبحنا ونحن نائمون. اللورد راندل له سُبُل

أفضل للتَّعامل مع الرِّجال المكسورين... الفولاذ والحبال». تساءلَ يودريك: «أيتها الفارس، سيِّدتي، هل الرِّجل المكسور خارج عن القانون؟».

أجابَ بريان: «بشكلٍ ما».

ناقضَها السيِّتون ميريبولد قائلاً: «الأمر ليس بهذه البساطة. الخارجون عن القانون أنواعهم كثيرة كثرة أنواع الطيور. زمار الرَّمْل ونورس البحر كلاهما له جناحان، لكنهما مختلفان. يحب المطربون الغناء عن الرِّجال الصَّالحين الذين أرغموا على الخروج عن القانون لقتال أحد اللوردات الأشرار، لكن معظم الخارجين عن القانون أقرب إلى كلب الصَّيد المفترس هذا من سيِّد البرق. إنهم سفلة يُحرِّكهم الجشع ويُلَوِّثهم الحقد، يستخفُّون بالآلهة ولا يكثرثون إلا لأنفسهم. أمَّا الرِّجال المكسورون فيستحقون شفقتنا أكثر، ولو أنهم لا يفلون خطراً. كلهم تقريباً أولاد عوام، قوم بُسطاء لم يبتعدوا أكثر من ميل واحد عن البيت الذي وُلدوا فيه، إلى أن يحين يوم ويأتي أحد اللوردات ليأخذهم إلى الحرب. بأحذية بالية وثياب مهترئة يسرون تحت راياته، وفي أغلب الأحيان لا يكون سلاحهم أفضل من منجل أو معزق مسنون، أو مطرقة صنعوها بأنفسهم بربط حجر على عصا بشريط من الجلد. يسير الإخوة مع إخوتهم والأبناء مع آبائهم والأصدقاء مع أصدقائهم. لقد سمعوا الأغاني والقصص، فيذهبون بقلوب متشوّقة حالمين بالأعاجيب التي سيرونها وبما سيكسبون من ذهبٍ ومجد. تبدو لهم الحرب مغامرة رائعة، أعظم ما سيشهده أكثرهم في حياته... ثم يذوقون طعم المعركة. بالنسبة إلى بعضهم يكفي هذا المذاق الواحد لكسرهم، في حين يستمر آخرون سنواتٍ إلى أن يعجزوا عن إحصاء المعارك التي قاتلوا فيها، لكن حتى الرِّجل الذي نجا من مئة قتالٍ يُمكن أن ينكسر في القتال الواحد بعد المئة. يُشاهد الإخوة إخوتهم يموتون، ويفقد الآباء أبناءهم، ويرى الأصدقاء أصدقاءهم يُحاولون إعادة أحشائهم إلى بطونهم التي بقرتها فأس، يرون اللورد الذي قادهم يُقتل، ويسمعون غيره يصيح أنهم رجاله الآن. يُصابون بجرح، وقبل أن يندمل يُصابون بآخر، وليس هناك طعام كافٍ أبداً، وأحذيتهم تتفسخ من طول السير، وثيابهم ممزقة تتعفن، ونصفهم يتبرّز في سراويله من جرّاء شرب المياه الفاسدة. إذا أرادوا حذاءً جديداً أو معطفاً أثقل أو ربما خوذة قصيرة صدئة فعليهم أن يخلعوها عن جثة، ولا يمضي وقت طويل قبل أن يبدأوا في سرقه الأحياء أيّ ضا، فيسرقون من الأهالي الذين يُقاتلون في أراضهم، من أناس يُشبهون كثيراً من كانوا، يذبحون خرافهم ويسطون على دجاجهم، ومن هنا تفصلهم خطوة قصيرة فقط عن اختطاف بناتهم أيضاً. ثم يتطلعون حولهم في يومٍ من الأيام ليُدركوا أن أهلهم وأصدقاءهم جميعاً لم يعودوا هنالك، أنهم يُقاتلون إلى جوار غرباءٍ تحت رايةٍ يتعرّفون عليها بالكاد. لا يعرفون أيّ ن هم

الآن ولا كيف يرجعون إلى ديـارهم، واللـورد الـذي يُقـاتلون مـن أجلـه يـجـهـل أـسـمـاءـهم، لكن هـا هـو ذا يـزـعـق فـيـهم أن يـتـخـذوا تـشـكـيـلـهم وُيـكـونوا صـفـاً مـن الحـراب والمـناجـل والمـعـازق المـسـنـونة، أن يـثـبـتوا... ثم يـنـقـض عـلـيـهم الفـُـرسان، رـجـال بـلا وـجـوه مـدـرَّعـون بالفـولـاذ، ويمـلأ هـدير هـجـمـتـهم الحـديـدة العـالـم... وعـنـدئذ يـنـكـسر الرّجـل؛ يـسـتـدِير وَيَهْرُب، أو يـزـحـف مـبـتـعـداً بـعـدهـا فـوق جُثث القـتـلى، أو يـنـسـلُ تـحـت جُـنـح الظـلـام ويـجـد مـكـاناً يـخـتـبئ فـيـه. ما عـادَ فـي عـقـله خـاطـر عـن الوـطـن، والمـلـوك واللـوردات والآلهة لا قـيـمة لـهم عـنـده تـزـيد عـلى قـيـمة فـخـذ مـن اللّـحـم الفـاسـد سـتـبـقيـه عـلى قـيد الحـيـاة يـوماً آخـر، أو قـرـيـة مـن التّـبـيـذ التّـالـف قـد تُغـرق مـخـاوـفه بـضـع سـاعـات. الرّجـل المـكـسـور يـحـيا مـن يـومٍ إلـى يـوم، مـن وـجـبةٍ إلـى وـجـبةٍ، أقـرب إلـى حـيـوانٍ مـن إنـسـان. الـليـدي بـريـان لـيـسـت مـخـطـئة. فـي أوقـاتٍ كـهـذه يـجـب أن يـحـذر المُسـافـرون الرّجـال المـكـسـورين ويـخـافـوهم... لكن يـجـب أن يُشـفـقوا عـلـيـهم أيـضاً».

حـين فرغَ السّـيـتـون مـيرـيـبـولـد مـن الكـلام رانَ صـمـت مـهـيـب عـلى مـجمـوعـتـهم الصّـغـيرة. سـمـعتَ بـريـان هـفـيف الرّيح فـي كـتـلةٍ مـن الصّـفـصـاف القـصـير، وفـي مـكانٍ ما أبـعد طـائر غـوّاص يـصـيح، وسـمـعتَ كـلب يـلهـث بـخـفوتٍ وهـو يـتـوثب إلـى جـوار السّـيـتـون وحـماره وقـد تـدلّى لـسانه مـن فـمه.

امتدّ الـهـدوء وامتدّ، إلـى أن قالـت أخـيراً: «فـي أيّ سـينٍ أخـذوك إلـى الحـرب؟». أجـابَ مـيرـيـبـولـد: «لم أكن أكبر مـن صـبـيٍّ هـذا، صـغـيراً لـلـغـاية عـلى القـتـال والـحـق يُقال، لكن إـخـوتي كـلّهم كانوا ذاهبين ولم أـرد أن يـتـركـوني وحـدي. قال ويلام إنـه يُمكنـي أن أكون مُرافقه، ولو أن ويل لم يـكن فارساً، بل مـجـرّد سـاقٍ مـسـلـح بـسـكّين مطـبـخٍ سـرقه مـن الخـان. لـقد ماتَ فـي (الأعـتاب) دـون أن يـضـرب ضـربةً وـاحـدة».

الخُمى أجهزت عليه وعلى أخي روبن. أوين ماتَ بهـراوةٍ فـلـقت رأسه، وصـديـقه چون المـجـدور شـنِقَ بـتـهمـة الاغتـصاب».

سألـه السـير هـايل هـنت: «حـرب مـلـوك التّـسـع بنـسات؟». - «هـكـذا أطلّـقوا عـليـها، مـع أنـي لم أرَ مـلـكاً أو أجـنٍ بنـساً. لكنـها كانت حـرباً، كانت حـرباً حـقاً».

سامويل وقفَ سام أمام النّافذة يتـأرّجـح عـلى كـعـبيه بعـصـبيّةٍ ويُشـاهـد البـصـيص الأـخـير مـن نور الشّـمـس يـخـتـفي ورائ صَفٍّ مـن السّـقـوف المـدبّـة، وبـكـابةٍ قال لـنـفـسه: لا بُدّ أنـه سـكـر ثـانيّةً، أو قـابلَ فتاةً آخـرى. لا يـدري هـل يـسـبُّ ويـلـعن أم يـبـكي. المـفـروض أن داريون أخوه. اطلّب منه أن يُغـنّي ولا أحـد أفضـل مـنـه، لكن اطلّب منه أن يـفـعل أيّ شـيءٍ آخـر...

بدأ ضباب المساء يـرتـفـع مـرسـلاً أصـابع رماذيّةٍ تـزـحـف عـلى جـدران المـباني المـصـطـفّة عـلى ضفّة القـناة القـديـمة، وقال سام: «لـقد وعدَ بأنـه سـيعود. أنتِ أيـضاً

سمعتِه».

رمقته جيلي بعينين منتفختين مؤطرتين بالأحمر، وقد تدلى شعرها على وجهها متشابكًا متسخًا، فبدت كحيوانٍ حذرٍ يختلس النظر من داخل دغل. أيام عدة مرّت منذ شعروا بحرارة النار، لكن الفتاة الهمجية تحبّ الجثوم قرب المستوقد، كأن لمحة من الدّفء لا تزال عالقةً بالرّماد البارد. قالت له هامسةً كي لا تُوقظ الرّضيع: «إنه لا يحبّ البقاء معنا، المكان حزين هنا. يحب البقاء حيث التّبذ والابتسامات».

فكّر سام: نعم، والنّبيذ في كلّ مكانٍ إلّا هنا. (براقوس) ملأى بالخانات والحانات والمواخير، وإذا كان داريون يُؤثر الدّمار وكوبًا من النّبيذ المتبلّ على الخبز البائت وصُحبة امرأةٍ باكيةٍ وجبانٍ بدين وعجوز مريض، فمن يلومه؟ أنا ألومه. قال إنه سيعود قبل الشّفق، قال إنه سيجلب لنا نبيذًا وطعامًا.

مرّة أخرى نظر من النّافذة أملًا رغم خيبة الأمل أن يرى المغنّي مسرعًا بالعودة. كان الظّلام يحلّ على المدينة السريّة ويتسلّل إلى الأزقة والقنوات. قريبًا سيُغلق أهل (براقوس) الطيّبون مصاريع نوافذهم ويُزلّون مزاليج أبوابهم، فالليل ينتمي إلى مَبَارِزِي البراقو والمحظيّات. فكّر سام بمرارة: أصدقاء داريون الجدد. في الفترة الأخيرة لا يتكلّم داريون إلّا عنهم، ويُحاول أن يكتُب أغنيةً عن محظيّة اسمها ظل القمر سمعته يُغنّي إلى جوار (بركة القمر) وجارته بقُبله. قال له سام: «كان واجبك أن تطلّب الفضة. إنا محتاجون إلى النقود لا القُبلات»، لكن المغنّي اكتفى بالابتسام مجيبًا: «بعض القُبلات أثمن من الذهب الأصفر أيها القاتل».

هذا أيضًا يُغضبه، فلا يُفترض أن يُؤلّف داريون الأغاني عن المحظيّات، وإنما ينبغي له أن يُغنّي عن (الجدار) وشجاعة حرس اللّيل. كان چون يأمل أن تنجح أغانيه في إقناع عددٍ من الشّبّان بارتداء الأسود، لكن بدلًا من ذلك يُغنّي داريون عن القُبلات الذهبية والشّعير الفضيّ والشّفاه الحمراء المتورّدة، ولا أحد أبدًا يرتدي أسود حرس اللّيل من أجل الشّفاه الحمراء المتورّدة.

أحيانًا يُوقظ غناؤه الرّضيع أيضًا فينفجر في العويل، ويزعق داريون فيه أن يصمّت، وتنتحب جيلي، ويندفع المغنّي مغادرًا ويغيب أيامًا. «كلّ هذا البكاء يجعلني أريد أن أصفعها، وأكاد لا أستطيع النّوم من نحيبها».

كاد سام يقول: كنت لنتنحب أيضًا لو كان لك ابن وفقدته. ليس في مقدوره أن يلوم جيلي على حُزنها، لكنه يلوم چون سنو ويتساءل متى استحال قلبه إلى حجر.

في مرّة ألقى هذا السُّؤال تحديدًا على المايستر إيمون حين نزلت جيلي إلى القناة تجلب لهم ماءً، فأجاب العجوز: «حين رفعته إلى القيادة».

حتى الآن وهو يتعقّن هنا في هذه العُرفة الباردة تحت إفريز السّطح، ما زالَ جزء من سام لا يُريد أن يُصدّق أن چون فعلَ ما يعتقدُه المايستر إيمون. لكن لا بُدَّ أنها الحقيقة، وإلاّ فلمَ تبكي جيلي بلا انقطاع؟ ما عليه إلا أن يسألها ابن مَنْ تُرضع من ثدييها، لكنه لا يملك شجاعة السؤال ويخشى الجواب. ما زلتُ جبانًا يا چون.

أينما ذهبَ في هذا العالم الفسيح لازمته مخاوفه.

تردّدت أصداء هدير عميق على سقوف (برافوس) كهزيم رعدٍ بعيد إذ أطلقَ (المارد) نغير المساء عبر الهور. كان الصّوت صاخبًا لدرجةٍ أيقظت الرضيع، ليوقظ عويله المايستر إيمون بدوره، وبينما ذهبت جيلي إلى الصّغير لتلقّمه ثديها انفتحت عينا العجوز وتحركَ بوهي على السرير الضيق قائلاً: «إح؟ المكان مظلم. لماذا هذا الظلام الدّامس؟».

لأنك أعمى. منذ وصلوا إلى (برافوس) وعقل إيمون يتوه أكثر فأكثر. في بعض الأيام لا يعرف أين هو، وفي بعضها يشرّد ذهنه وهو يقول شيئًا ما ويهيم في الكلام عن أبيه أو أخيه. قال سام لنفسه مذكّرًا: إنه في المئة والاثنتين من العُمُر. غير أن الرّجل كان في السّنّ نفسها في (القلعة السّوداء) ولم يتّهِ عقله هناك قطّ.

قال مضطّرًا: «هذا أنا، سامويل تارلي، وكيلك».

لعقَ المايستر إيمون شفّتيه وأغمضَ عينيه وفتحَهما قائلاً: «سام، نعم، وهذه (برافوس). سامحني يا سام. هل أتى الصّباح؟».

- «لا»، وتحسّس سام جبهة العجوز، ليجد جلده مبلّلاً بالعرق وملمسه يارد رخو، علاوةً على أن كلّ نفسٍ يلفظه يخرّج منه مصحوبًا بصفيرٍ خافت. «إنه اللّيل أيها المايستر. كنت نائمًا».

- «نمتُ طويلاً جدًّا. المكان بارد».

ردّ سام: «ليس عندنا حطب، وصاحب الخان يرفض إعطاءنا المزيد إلى أن ندفع ثمنه». إنها المرّة الرَّابعة أو الخامسة التي يُقال فيها الكلام ذاته، وكلّ مرّةٍ يُويّخ سام نفسه قائلاً: كان عليّ أن أشتري حطبًا بالنّقود، كان عليّ أن أكون عاقلاً وأحافظ على دفئه.

وبدلاً من ذلك بدّد آخر ما معهم من فضّة على مُعالج من (بيت الأيدي الحمراء)، رجل طويل شاحب يرتدي ثيابًا مطرّزةً بخطوطٍ دوّامةٍ من الأحمر والأبيض. لم يحضّلوا بالفضّة على أكثر من نصف قنينةٍ من نبيذ النّوم، وقال البرافوسي بنبرةٍ لم تفتقر إلى الرّفق: «قد يُساعد هذا على تسهيل الرّحيل عليه»، فسأله سام إن كان يستطيع أن يفعل المزيد، لكن الرّجل هزّ رأسه نفيًا، وأجاب: «إن عندي مراهم وعقاقير وأنقيّةً وصبغاتٍ وسمومًا وكَمادات، وأستطيعُ أن أعطيه دواءً مسهّلًا للبطن أو أعليق له العلق... لكن لماذا؟ لا عَلاقة ستردُّ إليه شبابه. هذا

رجل هَرَم، والموت في رثيته. اسقِه هذا ودَعه ينام». ونامَ العجوز طيلة الليل وطيلة النَّهار، وإن كان الآن يُكافِح للاعتدال جالسًا، ويقول: «يجب أن نذهب إلى السفن».

السُّفَن مَرَّةً أُخْرَى. رَغَمًا عَنْهُ قَالَ لَهُ سَام: «إِنَّكَ أَضْعَفُ مِنْ أَنْ تَخْرُجَ». أَصَابَ الْمَایِسَ تَرِ إِيْمُونُ بِرَدٍّ فِي أَثْنَاءِ رَحَلَتِهِمْ فِي الْبَحْرِ وَكَمَنْ فِي صَدْرِهِ، وَلَدَى بُلُوغِهِمْ (بِرَافُوس) كَانَ وَاهِنًا لدرجة أنهم حملوه حملًا إلى الشَّاطِئِ. حِينَئِذٍ كَانَتْ لَا تَزَالُ مَعَهُمْ صُرَّةٌ مَنْتَخِةٌ بِالْفِضَّةِ، فَطَلَبَ دَارِيُونُ أَكْبَرَ أُسْرَةِ الْخَانِ، وَحَصَلُوا عَلَى وَاحِدٍ يَتَسَّعُ لثَمَانِيَةٍ، فَأَصْرَّ صَاحِبُ الْخَانِ عَلَى أَنْ يَنْقُدُوهُ ثَمَنَ هَذَا الْعَدَدِ.

وَعَدَهُ سَامُ قَائِلًا: «غَدًا نَذْهَبُ إِلَى الْمِينَاءِ. يُمَكِّنُكَ أَنْ تَسْتَعْلِمَ عَمَّا تُرِيدُ وَتَعْرِفُ مَا السَّفِينَةُ التَّالِيَةُ الْمَبْحَرَةُ إِلَى (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ)». حَتَّى فِي الْخَرِيفِ تَظَلُّ (بِرَافُوس) مِينَاءً مَزْدَحَمًا، وَبِمَجْرَدِ أَنْ يَسْتَرِدَّ الْمَایِسَ تَرِ إِيْمُونُ مَا يَكْفِي مِنْ طَاقَةٍ لِلْسَّفْرِ فَلَنْ يَجِدُوا مَشْكَلَةً فِي الْعَثُورِ عَلَى سَفِينَةٍ تَأْخُذُهُمْ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُونَ الدِّهَابَ. الْأَصْعَبُ أَنْ يَدْفَعُوا تَكْلِفَةَ رَحَلَتِهِمْ، وَأَفْضَلُ أَمَلٍ لَهُمْ أَنْ تَكُونَ السَّفِينَةُ مِنْ (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ). سَفِينَةُ تِجَارِيَّةٍ مِنْ (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ) رُبَّمَا، لِبَحَّارَتِهَا أَقْرَبُ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ. لَا بُدَّ أَنْ بَعْضُ النَّاسِ مَا زَالَ يَحْتَفِي بِالرِّجَالِ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ (الْحِدَارَ).

صَفَرَتْ أَنْفَاسُ الْمَایِسْتَرِ إِيْمُونِ وَهُوَ يَقُولُ: «(الْبَلَدَةُ الْقَدِيمَةُ)، نَعَمْ. لَقَدْ حَلَمْتُ بِـ(الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ) يَا سَام. كُنْتُ شَابًّا مِنْ جَدِيدٍ وَكَانَ مَعِيَ أَخِي إِجُ وَذَلِكَ الْفَارِسُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَخْدُمُهُ. كُنَّا نَشْرَبُ فِي الْخَانِ الْقَدِيمِ الَّذِي يُقَدِّمُونَ فِيهِ خَمْرَ الثُّقَّاحِ الْقَوِيَّةِ لِلْغَايَةِ». حَاوَلَ ثَانِيَةً أَنْ يَنْهَضَ، لَكِنَّهُ أَلْفَى الْمَجْهُودَ أَقْوَى مِنْهُ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ عَادَ يَتَمَدَّدُ، وَقَالَ: «السُّفَن. سَنَجِدُ الْإِجَابَةَ هُنَاكَ، بِخُصُوصِ الثَّنَانِينَ. أَحْتَاجُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ».

لَا، مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ الطَّعَامُ وَالِدِّفَاءُ، تَحْتَاجُ إِلَى مَعْدَةٍ مَمْتَلئةٍ وَنَارٍ تُطَقِّقُ فِي الْمُسْتَوْقَدِ. «أَنْتَ جَائِعٌ أَيُّهَا الْمَایِسْتَرُ؟ تَبْقَى لَدَيْنَا الْقَلِيلُ مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنَةِ».

- «لَيْسَ الْآنَ يَا سَام، لَاحِقًا حِينَ أَصْبَحُ أَقْوَى».

- «كَيْفَ سَتُصْبِحُ أَقْوَى مَا لَمْ تَأْكُلْ؟». لَمْ يَأْكُلْ أَيُّهُمُ الْكَثِيرَ فِي الْبَحْرِ مِنْ ذِ (س-كَاجُوس). طَوَالَ طَرِيقِهِمْ عَبْرَ (الْبَحْرِ الضَّيِّقِ) اسْتَبَدَّتْ بِهِمْ عَوَاصِفُ الْخَرِيفِ، تَهَبُّ أحيانًا مِنَ الْجَنُوبِ مَصْحُوبَةً بِالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالْأَمْطَارِ السَّودَاءِ الَّتِي تَنْهَمُرُ أَيَّامًا بَلَا انْقِطَاعَ، وَأحيانًا مِنَ الشَّامَالِ بَارِدَةً كَثِيبَةً تَنْفِذَ رِيحِهَا الْعَاتِيَةِ إِلَى عِظَامِ الْمَرءِ. فِي مَرَّةٍ اشْتَدَّ الْبَرْدُ عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مَسْبُوقٍ، حَتَّى إِنْ سَامُ اسْتَقِظَ لِيَجِدَ السَّفِينَةَ كُلَّهَا مَغْلُفَةً بِجَلِيْدِ أَبْيَضٍ يَلْتَمِعُ كَاللُّؤْلُؤِ. كَإِنْ الرِّبَّانُ قَدْ أَنْزَلَ الْبَصَّارِي وَرَبَطَهُ عَلَى السَّطْحِ لِيُكْمِلَ الرِّحْلَةَ بِالْمَجَازِيْفِ فَقَطْ، وَلَدَى رُؤْيَتِهِمْ (الْمَارِدَ) أَخِيرًا لَمْ

يكن أحدهم يأكل.

لكن حالما صاروا آمنين على الشَّاطِئِ وَجَدَ سام معدته تَصْرُخُ جَوْعًا، مثله مثل داريون وجيلي، وحتى الصَّغِير بدأ يرضع بشراهةٍ أكثر، أمَّا إيمون...

قال سام للعجوز: «الخُبز بائت، لكن يُمكنني أن أتوسَّل القليل من المرق من المطبخ لتُغَمِّسه به». صاحب الخان رجل قاسٍ بارد العينين ويرتاب في هؤلاء الأغراب السود تحت سقفه، لكن الطَّاهي أكثر وُدًّا.

- «لا، لكن هل لي برشفةٍ من التَّبِيد؟».

ليس لديهم نبيذ. كان داريون قد وعدَ بابتِباع القليل منه بما سيَجنيه من غنائه. قال سام: «سنشرب التَّبِيد فيما بَعْد. عندنا ماء، لكنه ليس الماء النَّظِيف». الماء النَّظِيف يَأْتِي مِنْ فَوْق قَنَاطِر القَنَاة القرميَّة العظيمة التي يُسَمِّيها البرافوسيون نهر الميَّاه العذبة، والتي يَصْخُ الأثرياء مَاءها إلى منازلهم، في حين يَمْلَأ الفقراء دلاءهم وسُطُولهم من التَّوافير العامَّة. كان سام قد أرسلَ جيلي لتجلب القليل منه ناسيًا أن الفتاة الهمجيَّة عاشت حياتها كُلَّها في حدود (قلعة كراستر) دون أن ترى ولو بلدة سوق صغيرة. أخافتها المتاهة الحجريَّة المسمَّاة (برافوس) بجُزرها وقنواتها وخلوها من العُشب والشَّجر وامتلائها بالغُرباء الذين يُحَدِّثونها بكلماتٍ لا تفهمها— أخافتها لدرجة أنها فقدت الخارطة وسرعان ما تاهت، ووجدَها سام تبكي عند قَدَمي تمثال أميرٍ يحرق مات منذ زمنٍ بعيد. قال للمايستر إيمون: «ليس عندنا إلَّا ماء القناة، لكن الطَّاهي غلاه. هناك نبيذ نومٍ أيضًا إذا كنت تُريد المزيد منه».

- «لقد نمْتُ وحلمتُ بما فيه الكفاية. لا بأس بماء القناة. ساعدني من فضلك».

برفقي ساعدَ سام العجوز على الاعتدال ورفعَ كوبًا إلى شفتيه الجافَّتين المشقَّقتين، وعلى الرغم من هذا انسكبَ نِصف الماء على صدر المايستر، وبعْد بضع رشقاتٍ سعلَ وقال: «كفى، ستُغرِقني»، وارتجفَ بين ذراعي سام متسائلًا: «لماذا العُرفة باردة هكذا؟».

- «لم يَعد لدينا حطب». كان داريون قد نقدَ صاحب الخان ضِعف الأجرة لأجل عُرفةٍ مزوَّدة بمستوقد، لكن لا أحد منهم كان يعلم أن الحطب باهظ الثمن هنا لهذه الدَّرجة، فالأشجار لا تنمو في (برافوس) إلَّا في ساحات وحدائقٍ عليَّة القوم، كما أن البرافوسيين يأبون قطع شجر الصنوبر الذي يُغَطِّي الجُزر النَّائية المحيطة بالهَور العظيم ويعمل كحواجز ريحٍ تقيهم العواصف، وبدلًا من هذا يأتون بالحطب بالقوارب عبر النَّهر والهَور. حتَّى الرُّوث مكلف هنا، فالبرافوسيون يستخدمون القوارب بدلًا من الخيول. ما كان شيء من هذا ليهمَّ لو أنهم رحلوا إلى (البلدة القديمة) وفق الخطة، لكن مع مرض المايستر إيمون الشَّدِيد ثبَّت استحالة ذلك، إذ إن رحلةً أخرى في البحر كفيَّة بالقضاء عليه.

زحفت يد إيمون على الأغطية بحثًا عن ذراع سام، وقال له: «يجب أن نذهب

إلى الميناء يا سام».

- «حين تُصبح أقوى». ليس العجوز في حالةٍ تُتيح له أن يُواجه الرّذاذ المالح والريّح البليّة على الواجهة المائيّة، و(برافوس) كلّها واجهة مائيّة. إلى الشّمال (الميناء الأرجواني)، حيث ترسو السفن التجاريّة البرافوسيّة أسفل قباب وأبراج (قصر أمير البحر)، وإلى الغرب (ميناء راجمان) المزدحم بالسفن من المُدن الحرّة الأخرى و(وستروس) و(إيبين) وبلدان الشّرق البعيدة المحفوفة بالأساطير، وفي كلّ مكانٍ آخر تنتشر الأرصفة الصّغيرة ومراسي العبّارات والمرافئ الرّماديّة القديمة التي يربط صيادو الأسماك والرّوبيان والسّراطين مراكبهم عندها بعد العمل في السّهول الطينيّة ومصبّات النّهر. «سيكون المجهود شديداً عليك».

قال إيمون بالحاح: «اذهب بدلاً مني إذن واجلب لي أحدًا رأى تلك التّنانين». ردّ سام وقد أفزعته الفكرة: «أنا؟ أيها المايستر، إنها مجرد قصّة، قصّة بحّارة». داريون الملوم على هذا أيضًا، إذ اعتاد المغيّبي أن يعود إليهم بمختلف أنواع الحكايات العجيبة من الحانات والمواخير، لكنه لسوء الحظّ كان ثملًا عندما سمع حكاية التّنانين ولا يتذكّر تفاصيلها. «ربما اختلقها داريون برُمّتها. هذا ما يفعله المغنّون، يُلقّون الحكايات».

قال المايستر إيمون: «نعم، لكن ربما يحوي أكثر الأغاني شطوحًا في الخيال لمحّة من الحقيقة. اعثر على تلك الحقيقة من أجلي يا سام».

- «لن أدري من أسألك أو كيف أسأله. إنني أعرف القليل فقط من الثّاليريّة الفصحي، وعندما يُكلّمونني بالبرافوسيّة لا أفهم نصف ما يقولون. أنت تتكلم لغاتٍ أكثر مني، وما إن تُصبح أقوى...».

- «متى سأصبح أقوى يا سام؟ أخبرني».

- «قريبًا، إذا استرحت وأكلت. حين نصل إلى (البلدة القديمة)...».

قاطعّه العجوز: «إنني لن أرى (البلدة القديمة) ثانيةً أبدًا، أعلمُ هذا الآن»، وأحكم قبضته على ذراع سام متابعًا: «قريبًا سأكون مع إخوتي. بعضهم ربطتني بهم الأيمان وبعضهم ربطني به الدّم، لكنهم كانوا إخوتي جميعًا. وأبي... إنه لم يحسب قط أن العرش سينتقل إليه، لكنه انتقل، وردّد كثيرًا أن هذا عقابه على الضّربة التي أودّت بحياة أخيه. أدعو الآلهة أنه وجد في الموت السّلام الذي لم يعرفه قط في الحياة. السيّبتونات يترنّمون عن راحةٍ جميلة، عن تخليّنا عن همومنا والارتحال إلى أرض بعيدةٍ رائعةٍ نضحك ونحبّ ونلتهم الولائم فيها حتى آخر الزّمان... لكن ماذا لو لم يكن لأرض الثّور والعسل تلك وجود؟ وماذا لو لم يكن هناك إلا البرد والظلمة والآلام وراء الجدار المسمّى الموت؟».

إنه خائف. «لست تُحتضر. إنك مريض فحسب، والمرض سينقضي».

- «ليس هذه المرّة يا سام. لقد حلمت... في جوف اللّيل يسأل المرء ما لا يجرؤ

عليه في ضوء النهار من أسئلة، وبالنسبة إليّ لم يتبقّ لديّ إلا سؤال واحد في السنوات الأخيرة. لماذا تأخذ الآلهة عيني وقوتي ومع ذلك تحكم عليّ بالحياة الطويلة مجمّدًا منسيًا؟ ما فائدة شيخٍ منتهٍ مثلي عندها؟»، وارتعشت أصابع إيمون الشبيهة بغصينات رقيقة مغلفة بالجلد المبقّع، وأضاف: «إنني أذكرُ يا سام، ما زلتُ أذكرُ».

سأله سام الذي لم يفهم: «تذكرُ ماذا؟».

همسَ إيمون: «التنانين، بليّة عائلتي ومجدها».

- «آخرُ التنانين ماتَ قبل أن تُولد، فكيف تذكرُها؟».

- «إنني أراها في أحلامي يا سام، أرى نجمًا أحمر ينزف في السماء. ما زلتُ أذكرُ الأحمر. أرى ظلالها على الثلج وأسمعُ خفقان أجنتها الجلديّة وأشعرُ بأنفاسها الساخنة. إختوتي أيضًا حلموا بالتنانين وقتلتهم أحلامهم جميعًا بلا استثناء. سام، إننا نقف راجفين على حافة نبوءاتٍ نصف منسيّة، وأمامنا أعاجيب وأهوال لا أمل لإنسانٍ حيٍّ في استيعابها... أو...».

- «أو؟».

- «... أو لا»، وقهقهة إيمون بخفوت، وأردف: «أو أنني عجوزٌ محمومٌ يُحتَضَر»، وأغمضَ عينيه البيضاوين بارهاقٍ، ثم أجبرهما على الانفتاح من جديدٍ قائلاً: «ما كان عليّ أن أترك (الجدار) قط. لم يكن بإمكان اللورد سنو أن يعلم، لكن كان حريّا بي أنا أن أرى. النارُ تُذوي، أمّا البرد فيحفظ. (الجدار)... لكن أوان العودة فات. (الغريب) منتظر خارج بابي ولن يُحرَم غنيمته. أيها الوكيل، لقد خدمتني بإخلاص، فأدّ هذه المهمة الشجاعة الأخيرة من أجلي. اذهب إلى السفن يا سام واعرف كلّ ما تستطيع عن تلك التنانين».

سحبَ سام ذراعه من قبضة العجوز بهدوء، وقال: «سأفعلُ ما دُمت تُريد هذا. إنني فقط...». لا يدري ماذا يقول غير هذا. لا أستطيعُ أن أرفض طلبه. يُمكنه أن يبحث عن داريون أيضًا عند أرصفة ومراسي (ميناء راجمان). سأجدُ داريون أولاً ونذهب إلى السفن معًا، ولَمّا نعود سيكون معنا طعام ونبيذ وخطب. سنُشعلُ نارًا ونأكل وجبةً ساخنةً شهيةً. نهضَ قائلاً: «حسن، سأذهبُ الآن ما دمتُ ذاهبًا. جيلي ستكون هنا. جيلي، أنزلي مزلاج الباب بعد خروجي». (الغريب) منتظر خارج الباب.

أومات جيلي برأسها ضامّة الصَّغير إلى صدرها والدُموع تترقرق في عينيها. ستبكي ثانية. هذا يفوق احتمالها حقًا. كان حزام سيفه معلقًا من مشجبٍ على الحائط إلى جوار البوق المكسور الذي أعطاه چون إياه، فاخطفَه وتمنطقَ به، ثم وضعَ معطفه الصّوف الأسود على كتفيه المستديرتين، وخرجَ من الباب بخطى متثاقلة ونزلَ إلى السُّلم الذي صرّت درجاته الخشبيّة تحت وطأة وزنه. للخان بابان أمميّان، أحدهما ينفتح على شارع والثاني

على قنـاة، فخرج سام من الأول لـيتجنب القاعة العامة، حيث من المؤكد أن يراه صاحب الخان ويرمقه بالعبوس الذي يدخره للنزلاء الذين يـمكنون بعد زوال الترحاب بهم.

في الهواء برودة، لكن الليلة ليست كثيفة الضباب كأكثر الليالي، وهو ما أشعر سام بالامتنان. أحيانًا يكسو الضباب الأرض بكثافة تحول دون أن يرى المرء قدميه، وفي مرة فصلته خطوة واحدة عن السقوط في إحدى القنوات.

في صباه قرأ سام تاريخ (براقوس) وحلم بأن يزورها يومًا أراد أن يرى (المارد) يرتفع صارمًا مهيبًا من البحر، ويبحر في القنوات بقارب أفعواني مارًا بالقصور والمعابد، ويشاهد مبارزي البراقو يرقصون رقصة الماء وتومض نصالهم في ضوء النجوم، لكن الآن وقد صار هنـا بالفعل فـلا شيء يرغب فيه أكثر من الرحيل إلى (البلدة القديمة).

بقلنسوة مرفوعة ومعطف يرفرف في الريح قطع الطرقات المرصوفة بالحصى صوب (ميناء راجمان)، وقد ظل حزام سيفه يهدد بالسقوط حول كاحليه، فاضطر إلى شدة إلى أعلى لكـ مدّة بينمـا يمضي. التزم المشي في الشوارع الصغيرة المظلمة، حيث تقل احتمالات أن يلتقي أحـدًا، إلا أن لكـ قـطة مرّت به جعلت قلبه يخفق بعنف... و(براقوس) تعج بالقبط. يجب أن أعثر على داريون. إنه رجل في حرس الليل، أخي المحلف. معًا سنتوصل إلى ما يمكننا أن نفعله. المايستر إيمون خارت قواه، وجيلي كانت لتضيع هنا حتى من دون الأسى الذي يغمرها، لكن داريون... لا يجدر بي أن أسـيء به الظن. ربما يكون جريحًا ولهذا السبب لم يرجع، وربما يكون ميتًا، منطرحًا في زقاق ما في بركة من الدّم، أو طافيًا على وجهه في إحدى القنوات. في الليل يمشي مبارزو البراقو متبخرين في أنحاء المدينة بثيابهم المبرقشة المبهرجة، ساعين إلى إثبات براعتهم في القتال بالسيوف الرفيعة التي يحملونها. بعضهم يُقاتل لأي سبب وبعضهم دون سبب على الإطلاق، وداريون طليق اللسان سريع الغضب، خصوصًا عندما يشرب. ليس معنى أنه يستطيع الغناء عن المعارك أنه قادر بالضرورة على خوضها.

تقع أفضل الحانات والخانات والمواخير قرب (الميناء الأرجواني) و(بركة القمر)، غير أن داريون يُفضّل (ميناء راجمان)، حيث فرصة أن يتكلم الزبائن اللغة العامية أكبر. بدأ سام بحثه في (خان ثعبان الماء الأخضر) و(الملاح الأسود) و(موروجو)، وكلها أماكن سبق لداريون أن غنى فيها، لكنه لم يعثر عليه في أيها. خارج (بيت الضباب) كانت عدّة قـوارب أفعوانية مربوطة في انتظار الزبائن، وحاول سام أن يسأل الملاحين إن كانوا قد رأوا مطربًا يرتدي الأسود، لكن لا أحد منهم فهم قاليريته الفصحى. إمّا هذا وإمّا أنهم يختارون ألا يفهموا. ألقى سام نظرة داخل الخمارة القذرة تحت قنطرة (جسر نابو) الثانية التي تتسع بالكاد لعشرة أفراد، ولم يكن داريون أحدهم، ثم جرب

(خان المنبوذين) و(دار القناديل السبعة)، ثم الماخور المسمّى (المقططة)، حيث تلقى نظرات الارتياب لكن لا عون على الإطلاق.

بينما يُغادر كاد يرتطم بشابّين واقفين تحت مصباح (المقططة) الأحمر، أحدهما ذاك الشعر والثاني أشقره، وقد قال الأول شيئاً ما بالبرافوسية، فردّ سام مضطرباً: «آسف، لكنني لا أفهمك»، وبدأ يبتعد عنهما خائفاً. في (الممالك السبع) يكسو الثبلاء أنفسهم بالمخمل والحريير والسّميت من مئة لون، بينما يرتدي الفلاحون والعامة الصوف غير المصبوغ والخيش البتّي الباهت، أمّا في (برافوس) فالعكس بالعكس، فيمشي مُبارزو البرافو مختالين كالتواويس مداعبين سيوفهم، بينما يرتدي الأعيان الرّمادي الفاحم والأرجواني والأزرق القاتم والأسود والأسود الحالك كليلة بلا قمر.

- «صديقي تيرو يقول إن بدانتك تقلب معدته»، قال مُبارز البرافو الأشقر، الذي يرتدي سترّة مقسومةً طويلاً إلى مخمل أخضر وقُماش فضة. «صديقي تيرو يقول إن صلصلة سيفك تُصدّع رأسه». كان يُخاطب سام باللغة العامية، أمّا الآخر، البرافو أسود الشعر الذي يرتدي السّترّة الخمرية الموشاة تحت معطفٍ أصفر ويبدو أن اسمه تيرو، فألقى تعليقاً ما بالبرافوسية جعل صديقه الأشقر يضحك ويقول: «صديقي تيرو يقول إنك ترتدي ثياباً أعلى من مقامك. أنت أحد اللوردات العظام لترتدي الأسود؟».

أراد سام أن يهرّب، لكن إذا فعل فعلى الأرجح سيتعثّر في حزامه بينما يجري. قال لنفسه: لا تلمس سيفك. مجرد إصبع على المقبض قمين بأن يعتبره أحدهما دعوةً للنّزال. حاول التفكير في كلامٍ يسترضيهما، فلم يخرج منه إلا: «لست...».

تدخل صوت طفولٍ قائلاً: «ليس لورد. إنه في حرس الليل أيها الأحقّان، من (وس-تروس)»، وخرجت فتاة صغيرة إلى الضوء دافعةً عربةً يد ملأى بالطحالب البحرية، مخلوقة بئسة نحيلة تنتعل حذاءً كبيراً ولها شعر أشعث متسخ. أخبرت مُبارزي البرافو: «هناك واحد آخر في (الميناء السعيد) يُغني لزوجة البحار»، ولسام قالت: «إذا سألك أيُّ برافو من أجمل امرأة في العالم فقل إنها العندليب وإلا تحدّك للنّزال. هل تشتري أم الخلول؟ لقد بعث محاري كله».

أجاب سام: «ليس معي مال».

قال البرافو الأشقر ساخراً: «ليس معه مال»، فابتسم صديقه فاحم الشعر ابتسامة عريضة، وقال شيئاً بالبرافوسية ترجمه الأشقر: «صديقي تيرو بردان. كن صديقنا البدين الكريم وأعطه معطفك».

قالت فتاة العربة: «لا تفعل هذا أيضًا وإلا طلبا حذاءك بعده وسرعان ما ستجد نفسك عاريًا».

خاطبها البراقو الأشقر منذرًا: «القِطط الصَّغيرة التي تموء بصوتٍ مزعجٍ يُغْرِقونها في القنوات».

ردَّت الفتاة: «لـيس إذا كان لـها مـخـالب»، وفجأةً ظهَرَ فـي يـدها اليُسـرى سـكِّين نصـله رفـيع كقوامـها، فقـال المـدعو تـيرو شـيئًا لصـديقه الأشـقر، ثـم ابتعـد الاثنـان مقهقهين.

قال سام للفتاة بعد رحيلهما: «أشكركِ».

اختفى سكِّينها، وقالت: «إذا حملت سيفًا ليلاً فمعنى هذا أنك قابل للتحدي. هل أردت أن تُقاتِلهما؟».

خرجت الكلمة من سام كصيرٍ أجفله: «لا!».

سألتها الفتاة: «أأنت في حرس الليل حقًا؟ لم أرَ أخًا أسود مثلك من قبل»، وأشارت إلى العربة مضيضة: «يُمكنك أن تأكل أم الخُلول المتبقية. لقد سادَ الظلام ولن يبتاعها أحد. هل ستُبحر إلى (الجدار)؟».

أجاب سام: «إلى (البلدة القديمة)»، وأخذَ واحدةً من أم الخُلول المخبوزة والتمَّها بنهم، ثم قال: «نحن بين سفينتين الآن». وجدَّ أم الخُلول لذيدةً، فأكلَ أخرى.

- «مُبارزو البراقو لا يُزعجون أحدًا لا يحمل سيفًا أبدًا، حتى فروج الثوق الحمقى مثل تيرو وأوريلو».

- «مَن أنت؟».

قالت ورائحة السَّمك الذَّفرة تفوح منها: «لا أحد. كنتُ أحدًا من قبل ولم أعُد كذلك. يُمكنك أن تدعوني بكات إذا أردت. مَن أنت؟».

- «سامويل سليل عائلة تارلي. إنكِ تتكلمين العامية».

- «أبي كان مُشرف الملاحين على متن (نايميريا). قتله براقو لأنه قال إن أمِّي أجمل من العندليب، ليس واحدًا من فروج الثوق الذين التقيت اثنين منهم، مُبارز براقو حقيقي. في يومٍ ما سأذبحه. قال الرُّبان إن (نايميريا) ليست في حاجةٍ إلى البنات الصَّغار وأنزلني، وبعدها أخذني بروسكو إلى بيته وأعطاني عربةً»، ورفعتَ عينيها إليه متسائلةً: «ما السفينة التي سترحلون عليها؟».

- «دفعنا ثمنَ رحلة على (الليدي أوشانورا)».

ضيقت الفتاة عينيها بشكٍّ قائلةً: «لقد رحلت. ألم تعلم؟ غادرت منذ أيام طويلة».

كان سام ليُجيب: أعلمُ. هو وداريون وقفَا على الرّصيف يُشاهدان مجاذيفها

ترتفع وتنخفض بينما تشقّ طريقها نحو (المارد) والبحر المفتوح، وقال المغنيّ:
«طيّب، انتهينا إذن». لو كان سام رجلاً أشجع لدفعه في الماء. حين يتعلّق الأمر
بإقناع الفتيات بخلع ثيابهن يَقطُر من لسان داريون الشَّهد، لكن بوسيلةٍ ما في
قمرة الرُّبَّان وقعَ عبء الكلام على كاهل سام وحده إذ حاولَ إقناع البراقوسي
بانتظارهم، لكن الرّجل قال: «انتظرتُ العجوز ثلاثة أيام كاملةً. إن مخازني ممتلئة
ورجالي نكحوا زوجاتهم وودّعوهن. بكم أو دونكم سترحل (الليدي) مع الجَرَر».
متوسّلاً قال سام: «أرجوك، أيام إضافية قليلة، لا أطلبُ سوى هذا، كي يستردّ
الميايستر إيمون قوّته».

كان الرُّبَّان قد زارَ الخان في اللَّيلة السَّابقة ليرى الميايستر إيمون بنفسه، فقال:
«قوّته كلّها خارت. إنه عجوز ومريض ولا أريده أن يموت على متن (الليدي). ابقوا
معه أو اتركوه، لا فرق عندي. أنا مبحرٌ». الأسوأ أنه رفضَ أن يردّ ثمن الرّحلة
الذي نقده إياه بالفعل، الفضة التي كان يُفترض أن تأخذهم بأمانٍ إلى (البلدة
القديمة).

«لقد استأجرتكم أفضل قمراتي، وهي موجودة في انتظاركم. إذا اخترتم ألا
تشغلوها فليس هذا ذنبي. لماذا أتحملُ الخسارة؟».

قال سام لنفسه محزوناً: لكنا قد بلغنا (وادي الغسق) الآن بالفعل، بل وربما
(پنتوس) أيضاً لو ترفّقت بنا الرّياح.

لكن شيئاً من هذا لن يهمّ فتاة العرب، فقال لها: «ذكرتِ أنكِ رأيتِ مغنيّاً...».

- «في (الميناء السَّعيد). سيتزوَّج زوجة البحَّار».

- «يتزوَّج؟».

- «إنها تُضاجع مَنْ يتزوَّجونها فقط».

- «أين هذا (الميناء السَّعيد)؟».

- «قُبالة (سفينة الممثّلين). يُمكنني أن أدلّك على الطّريق».

- «أعرفُ الطّريق». سبقَت لسام رؤية (سفينة الممثّلين). لا يُمكن لداريون أن
يتزوَّج!

لقد حلفَ اليمين!

«يجب أن أذهب».

ركضَ سام. كان الطّريق طويلاً على حجارة الرّصف الزَّلقة، وسرعان ما راحَ يلهث
ومعطفه الأسود الكبير يخفق بإزعاجٍ وراءه، وقد أمسكَ حزام سيفه بينما يركضُ.
رمقه القلائل الذين صادفهم بنظرات الفضول، ورفعت قطة عجيزتها وهسهست
في وجهه، ولدى بلوغه السّفينة كان يترنّح.

قُبالتها في الرُّقاق وجدَ (الميناء السَّعيد)، وما إن دخلَ سام بوجهٍ محتقن

وأنفاس متقطعة حتى طوّقت امرأة عوراء عنقه بذراعيها، فقال لها: «لا. لست هنا لأجل هذا». قالت شبيهاً بالبراقوسية، فردّ سام بالغاليرية القص-حى: «لا أتكلّم تلك اللغة». في المكان شموع مضاءة وناار مشتعلة في المس-توقد، وأحدهم ي-عزف على الكمنجة، ورأى فتاتين ترقصان حول راهبٍ أحمر بأيدي متشابكة. ضغطت العوراء ثدييها إلى صدره، فصاح: «لا تفعلني هذا!

لست هنا لأجل هذا!».

رَنّ صوت داريون المألوف قائلاً: «سام!

يانا، دعيه، هذا سام القاتل، أخي المحلّف!».

أزاحت العوراء ذراعيها وإن أبقت يداً على ذراعيه، وناادت إحدى الراقصتين قائلة: «يُمكنه أن يقتلني إذا أراد»، وسألت الأخرى: «هل تظن أن-ه س-يتركني ألمس سيفه؟». وراءهما قاليون أرجواني مرسوم على الحائط، طاقمه نساء ينتعلن أحذية ترتفع حتى الفخذ ولا يرتدين شيئاً آخر، وفي أحد الأركان ثمة بخار تايروشي غائب عن الوعي ويغط من تحت لحيته القرمزية الضخمة، وفي موضع آخر امرأة أكبر سناً ذات نهدين عظيمين تلعب البلاطات مع رجل عملاق من (جزر الصيف) يرتدي الريش الأسود والقرمزي، وفي مركز كل هذا يجلس داريون ممرّغاً أنفه في رقبة المرأة الجالسة في حجره مرتدية معطفه الأسود.

نادى المغني بلسانٍ أثقلته الخمر: «أيها القاتل، تعال والتق السيّدة زوجتي». شعره رمل وعسل، وابتسامته دافئة. «غنيتُ لها أغاني الحب. النساء يذبن كالزبدة حين أغني. كيف أقاوم هذا الوجه؟»، وقبل أنفها، وتابع: «أعطي سام قبلةً يا زوجتي، إنه أخي». لمّا نهضت الفتاة رأى سام أنها عارية تحت المعطف، وقال داريون ضاحكاً: «إياك أن تعبت بجسد زوجتي أيها القاتل، لكن إذا أردت واحدةً من أخواتها ففضل. ما زال معي مال يكفي على ما أظن».

مال كنان يُمكن أن تش-تري به لنا طعاماً، مال كنان لنش-تري به حطباً ليتدفأ المايس-تر إيمون. «ماذا فعلت؟ لا يُمكنك أن ت-تزوج. لقد حلفت اليمين مثلي. يُمكن أن يقطعوا رأسك من أجل هذا».

- «إننا متزوجان لليلة واحدة فقط أيها القاتل. حتى في (وس-تروس) لا أحد يقطع رأسك من أجل هذا. ألم تذهب إلى (بلدة المناجذ) ولو مرة لتتقّب عن الكنوز الدفينة؟».

احتقن وجه سام، وقال: «نعم، لا يُمكنني أبداً أن...».

- «وماذا عن فتاتك الهمجية؟ لا بد أنك ضاجعتها مرة أو ثلاثاً. كل تلك الليلي في الغابة تحت معطفك، لا تقل لي إنك لم تضعه فيها قط»، ولوّح داريون بيده نحو مقعدٍ مردفًا: «اجلس أيها القاتل. خذ كوباً من التّبيذ، خذ عاهرة، خذ الاثنين».

قال سام الذي لا يُريد كوبًا من النَّبِيذ: «لقد وعدتني بالعودة قبل الشَّفَق، بأن تجلب نبِيذًا وطعامًا».

رَدَّ داريون: «أهكذا قتلت (الآخر)؟ بتوبيخه حتى الموت؟»، وضحك قائلاً: «هي زوجتي لا أنت. ما دُمت لن تشرب نخب زواجي فغادر».

- «تعالَ معي. المايستر إيمون استيقظَ ويُريد أن يسمع ما يُقال عن تلك الثَّنائين. إنه يتكلَّم عن النُّجوم النَّازفة والظُّلال البيضاء والأحلام و... إذا عرفنا المزيد عن تلك الثَّنائين فربما يُريحه هذا. ساعدني».

- «غداً، ليس ليلة زفافي»، ودفعَ داريون نفسه إلى الوقوف، وأخذَ عروسه من يدها وبدأ يتحرَّك نحو السَّلام ساحباً إياها.

اعترضَ سام طريقه قائلاً: «لقد وعدت يا داريون، وحلفت اليمين. المفروض أنك أخي».

- «في (وستروس). هل يبدو لك أننا في (وستروس)؟».

- «المايستر إيمون...».

قاطعَه داريون بغمٍ قسياً: «... يُحتَضَر. هذا ما قاله المُعالج المخطَّط الذي بدَّدت عليه فضَّتنا. خُذ فتاةً أو ارحل يا سام. إنك تُفسِد زفافي».

قال سام: «سأذهبُ، لكنك آتٍ معي».

- «لا، لقد فرغتُ منك وفرغتُ من الأسود»، وانتزعَ داريون معطفه من على جسد عروسه إلغاري ورماه في وجه سام قائلاً: «هاك. ألق هذه الخرقه على العجوز وربما تُدْفِئُه أكثر قليلاً. لن أحتاج إليها. قريباً سأرفلُ في المخمل، والعام القادم سأكون مرتدياً الفراء وأكلُ...».

وضربه سام.

لم يُفَكِّر. ارتفعت يده وتكوَّرت قبضته وارتطمت بغم المغني، ليُطلقَ داريون سباباً وتصرُّخ زوجته العارية، وألقى سام نفسه على المغني وأسقطه على ظهره فوق مائدةٍ واطئة. الاثنان قريبان في الطول، لكن سام يفوقه وزناً مرَّتين، وهذه المرَّة على الأقل هو أكثر غضباً من أن يخاف. لكمَّ المغني في وجهه وبطنه، وراح يهوي على كتفيهِه بقبضتيهِه، ولمَّا أمسك داريون معصميه نظَّحه سام برأسه وشقَّ شفتيه، فتخلَّى المغني عن معصميه وضربه في أنفه. في مكِّانٍ ما كان رجل يضحك وامرأة تسب وتلعن، وبدأ أن حركة العراك تتباطأ، كأنهما ذبابتان سوداوان تخوضان في قطعةٍ من الكهرمان... ثم جرَّ أحدهم سام من فوق صدر المغني، ف ضربَ هذا الشَّخص أيضاً، ثم هوى شيء على رأسه.

بعدها لم يشعُر إلَّا بنفسه في الخارج طائراً في الضباب، ولأقلَّ من لحظةٍ رأى المياه السوداء تحته، ثم ارتفعت القناة ولطمته على وجهه.

وغاصَ سام كالبحر، كالجُلُود، كالجبل.

دخلَ الماءَ عينيَّه وأنفَه قَاتِمًا بَارِدًا مَرَحًا، ولمَّا حَاوَلَ أَنْ يَصْرِحَ
مَسْتَغِيثًا ابْتُلِعَ المَزِيد، وراحَ يَرْفُسُ ويشْهقُ منقَلَبًا والفَقْ أَقْبَعَ تَتَفَجَّرُ
مِنْ أَنْفِهِ. قَالَ لِنَفْسِهِ: اسْبَحْ، اسْبَحْ. لَسَعَ المِلْحَ عَيْنِيهِ عِنْدَمَا فَتَحَهُمَا
وَأَعْمَاهُمَا، وَبَرَزَ رَأْسُهُ مِنَ السَّطْحِ لِحِظَةً عَبَّ خِلَالَهَا الهَوَاءُ وَضَرَبَ المَاءُ بِيَأْسٍ بِيَدٍ
وَاحِدَةٍ بَيْنَمَا تَحَسَّسَتْ الثَّانِيَةُ جِدَارَ القَنَاةِ، لَكِنَّهُ وَجَدَ الحِجَارَةَ زَلَقَةً لَزِجَةً وَلَمْ
يَسْتَطِعِ الإِمْسَاكَ بِهَا... وَعَادَ يَغُوصُ.

أَحْسَسَ سَامُ بِالْبُرُودَةِ عَلَى جِلْدِهِ مَعَ نَفَاذِ المِيَاهِ مِنْ ثِيَابِهِ،
وَانْزَلَ قِيَّ حَزَامٍ سَلَفَهُ عَلَى سَاقِيهِ وَاشْتَبَكَ حَوْلَ كَاخِلِيهِ، وَبِهَلَعِ
أَسْوَدَ أَعْمَى قَالٍ لِنَفْسِهِ: سَأَغْرُقُ. تَلَوَّى مُحَاوَلًا العُثُورَ عَلَى طَرِيقِ العُودَةِ
إِلَى السَّطْحِ، وَبَدَلًا مِنْ هَذَا لَطَمَهُ قَاعَ القَنَاةِ عَلَى وَجْهِهِ. إِنْنِي مَقْلُوبٌ، إِنْنِي
أَغْرُقُ. تَحَرَّكَ شَيْءٌ تَحْتَ يَدِهِ الضَّارِبَةِ بِهِيَاجٍ، تُعْبَانُ مَاءٌ أَوْ سَمَكَةٌ انْزَلَقَتْ بَيْنَ
أَصَابِعِهِ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَمُوتَ. المَائِيسْتَرُ إِيْمُونُ سِيْمُونُ مِنْ غَيْرِي، وَلَنْ يَعودَ لِحِيلِي
أَحَدٌ. يَجِبُ أَنْ أَسْبَحَ، يَجِبُ أَنْ...

سَمِعَ شَيْئًا ضَخْمًا يَرْتَطِمُ بِالمَاءِ، وَشَعَرَ بِشَيْءٍ مَا يُطَوِّقُهُ مِنْ تَحْتَ ذِرَاعِيهِ وَحَوْلَ
صَدْرِهِ، وَأَوَّلَ مَا خَطَرَ لَهُ كَانَ: تُعْبَانُ المَاءِ، الثُّعْبَانُ طَوَّقَنِي، سَيَسْحَبُنِي إِلَى
أَسْفَلِ.

فَتَحَ فَمَهُ لِيَصْرُخَ فَاِبتُلِعَ المَزِيدُ مِنَ المَاءِ، وَآخِرَ فِكْرَةٍ دَارَتْ بِبَالِهِ كَانَتْ: لَقَدْ غَرَقْتُ،
أَوْهَ، بِحَقِّ الأَلْهَةِ، لَقَدْ غَرَقْتُ.

حِينَ فَتَحَ عَيْنِيَّهِ لَكَانَ عَلَى ظَهْرِهِ وَرَجُلٌ (جُزْرُ الصَّيْفِ) الأَسْوَدُ
الْكَبِيرُ يَدْفُقُ عَلَى بَطْنِهِ بِقُبْضَتَيْنِ ضَخْمَتَيْنِ. حَاوَلَ سَامُ أَنْ يَصْرُخَ:
تَوَقَّفْ، إِنَّكَ تُؤْلِمُنِي، لَكِنَّ بَدَلًا مِنْ الكَلِمَاتِ خَرَجَ مِنْهُ المَاءُ وَشَهَقَ. كَانَ
مَبْتَلًا عَنْ آخِرِهِ وَيَرْتَعِدُ عَلَى الأَرْضِ فِي بَرَكَةٍ مِنَ المَاءِ. لَكَمَهُ الرَّجُلُ فِي بَطْنِهِ
ثَانِيَةً وَانْبَثَقَ المَزِيدُ مِنَ المَاءِ مِنْ أَنْفِهِ، وَقَالَ سَامُ لَاهْتًا: «تَوَقَّفْ، لَمْ أَغْرُقْ، لَمْ
أَغْرُقْ».

مَالَ مُنْقَذَهُ الأَسْوَدَ الضَّخْمَ عَلَيْهِ وَالمَاءُ يَقْطُرُ مِنْهُ، وَقَالَ: «نَعَمْ. أَنْتَ مَدِينُ لَزُونْدُو
بَرِيشٍ كَثِيرٍ. المَاءُ أَفْسَدَ مَعْطَفَ زُونْدُو الأَنْيَقِ».

رَأَى سَامُ صَحَّةَ هَذَا فِي رِيَشَاتِ المَعْطَفِ المَبْتَلَةِ المَتَّسَخَةِ المِلْتَصِقَةِ بِكَتْفِي
الأَسْوَدِ الضَّخْمَتَيْنِ، وَقَالَ: «لَمْ أَكُنْ أَقْصِدُ...».

- «... أَنْ تَسْبَحَ؟ زُونْدُو رَأَى. تَلَوِيحُ كَثِيرٌ جَدًّا. المَفْتَرَضُ أَنْ يَطْفُو السِّيمَانُ»،
وَأَطْبَقَ الرَّجُلُ عَلَى سُتْرَةِ سَامٍ بِقُبْضَةٍ سَوْدَاءَ هَائِلَةٍ وَسَحَبَهُ مَوْفَقًا إِيَّاهُ، وَقَالَ:
«زُونْدُو وَكِيلُ رَبَّانٍ عَلَى (رِيحِ القَرْفَةِ). لُغَاتُ كَثِيرَةٍ يَتَكَلَّمُ بِعُضَى الشَّيْءِ. فِي
الدَّخْلِ يَضْحَكُ زُونْدُو لِرُؤْيَيْكَ تَلْكُمُ المَغْنِي. وَزُونْدُو يَسْمَعُ»، وَاتَّسَعَتْ ابْتِسَامَةُ
بَيَاضِ عَلَى وَجْهِهِ إِذْ أَضَافَ: «زُونْدُو يَعْرِفُ هَذِهِ التَّنَانِينَ».

چایمی

- «كنتُ آملُ أنكِ سئمتِ من هذه اللّحية الشّنيعة. كلُّ هذا الشّعْر يجعلك تُشبهِ روبرت». كانت أخته قد نبذت ثياب الحداد، وبدلاً منها ارتدت فُستاتاً بلون اليشب الأخضر له كُمان من شرائط الزينة المايرية المفضضة، وطوّقت عُنقها بسلسلة ذهبية تتدلّى منها زمردة بحجم بيضة حمامة.

- «لحية روبرت كانت سوداء، لحيتي أنا ذهبية».

سألته سرسي: «ذهبية أم فضية؟»، وفتت شعرةً من تحت ذقنه، شعرةً شائبة رفعتها قائلة: «الألوان كلها تتسرّب منك يا أخي. لقد صرت شبحاً للرجل الذي كنته، شيئاً باهتاً عاجزاً، وشاحباً للغاية أيضاً، دائماً تلبس الأبيض»، ونقرت الشعرة بطرف إصبعها مضيئة: «أفضلُك مرتدياً القرمزي والذهبي».

وأفضّلُكِ موشاةً بنور الشّمس وقطرات الماء تتلألأ على بشرتكِ العارية. يُريد أن يُقيلها، أن يحملها إلى غرفة نومها ويُلقيها على الفراش... كانت تُضاجع لانسِل وأوزموند كِتلبلاك وفتى القمر... «سأعقدُ معكِ صفقة. أعفيني من هذا الواجب وسأضعُ الموسيقى تحت أمرك».

تقلّص فمها. كانت تشرب النّبيذ المتّيل السّاخن وتتضوّع منها رائحة جوز الطّيب. «هل تتجرّأ وتساومني؟ أعليّ أن أذكرك بأنك أقسمت على الطّاعة؟».

- «أقسمتُ على حماية الملك، ومكاني إلى جانبه».

- «مكانك أينما يُرسلك».

- «تومن يختم كلّ ورقة تضعينها أمامه. هذه فعلتكِ أنتِ، وحماقة. لماذا تُقلّدين دافن حُكم الغرب إذا كنتِ لا تثقين به؟».

جلست سرسي على مقعدٍ أسفل النّافذة، وسألت چایمی المتطلّع إلى أطلال (برج اليد) المسوّدة وراءها: «ما الذي يُنْفِرك هكذا من مهمّتك أيها الفارس؟ هل فقدت شجاعتك مع يدك؟».

- «لقد أقسمتُ لليدي ستارك ألا أرفع السّلاح ضد آل ستارك أو تلي ثانية أبداً».

- «وعد شخصٍ مخمور قطعته وعلى عُنقك سيف مصلت».

- «كيف أدافع عن تومن إن لم أكن معه؟».

- «بهزيمة أعدائه. لطالما قال أبونا إن ضربة السّيف السّريعة دفاع أفضل من أيّ تُرس... ولو أنني لا أنكرُ أن معظم ضربات السيوف يحتاج إلى يد، لكن حتى الأسد المُعاق يُمكن أن يُثِير الخوف. أريدُ (ريفررن)، أريدُ براين-دن تلي-س-جيناً أو ميّتا، وعلى أحدهم أن يُصَحّح الأوضاع في (هارن-هال). إننا في حاجةٍ ماسّةٍ إلى وايليس ماندري، بفرض أنه لا يزال حيّاً وأسيراً، لكن الحامية لم تردّ على أيّ من غِدفاننا».

ذَكَرَهَا چایمی قائلاً: «مَنْ فِي (هَارِنْهال) رِجَالٍ جَرِيحِينَ. الْجَبَلُ كَانَ يُفَضِّلُهُمْ قِسَاءً وَحَمَقِي. عَلَى الْأَرْجَحِ أَكَلُوا غِدْفَانِكَ بِرِسَائِلِهَا».

- «لِهَذَا سَأَرْسَلُكَ. رُبَّمَا يَأْكُلُونَكَ أَيْضًا يَا أَخِي الشُّجَاعُ، لَكِنِّي وَاثِقَةٌ بِأَنَّكَ سَتُصِيبُهُمْ بِعُسْرِ الْهَضْمِ»، وَسَوَّتْ سِرْسِي تَثْوِرَتَهَا مَرْدَفَةً: «أُرِيدُ أَنْ يَقُودَ السَّيْرَ أَوْزَمُونْدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِي فِي غِيَابِكَ».

... كَانَتْ تُضَاجِعُ لَانْسِلَ وَأَوْزَمُونْدَ كِتْلِبْلَاكَ وَرُبَّمَا فَتَى الْقَمَرِ أَيْضًا... «الْخِيَارُ لَيْسَ لَكَ. إِذَا كُنْتُ ذَاهِبًا لَا مَحَالَةَ فَسَيَتَوَلَّى السَّيْرَ لُورَاسُ الْقِيَادَةَ هُنَا بَدَلًا مِنِّي».

- «أَهْذِهِ مَزْحَةٌ؟ أَنْتِ تَعْرِفُ شَعُورِي نَحْوَ السَّيْرِ لُورَاس».

- «لَوْ لَمْ تُرْسِلِي بِالْوَنِ سَوَانَ إِلَى (دُورِن)...».

- «أَحْتَاجُ إِلَى وَجُودِهِ هُنَاكَ. أُولَئِكَ الدُّورْنِيُّونَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلثِّقَةِ. الثُّعْبَانُ الْأَحْمَرُ نَاصِرَ تِيرِيُونِ، هَلْ نَسِيتِ؟ لَنْ أَتْرَكَ ابْنَتِي تَحْتَ رَحْمَتِهِمْ، وَلَنْ أَتْرَكَ لُورَاسَ تَايِرْلَ يَقُودَ الْحَرَسَ الْمَلَكِي».

- «السَّيْرُ لُورَاسَ أَكْثَرَ رَجُولَةً مِنَ السَّيْرِ أَوْزَمُونْدَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

- «أَفْكَارُكَ عَنِ الرَّجُولَةِ تَغَيَّرَتْ بَعْضَ الشَّيْءِ يَا أَخِي».

قَالَ چایمی شَاعِرًا بِغَضْبَتِهِ تَتَصَاعَدُ، «صَحِيحٌ، السَّيْرُ لُورَاسَ لَا يُحْمَلِقُ إِلَى ثَدْيِيكَ بِاشْتِهَاءٍ كَالسَّيْرِ أَوْزَمُونْدَ، لَكِنِّي لَا أَفَكِّرُ فِي...».

- «فَكِّرِي فِي هَذِهِ»، وَلَطَمَتَهُ سِرْسِي عَلَى وَجْهِهِ.

لَمْ يَحَاوِلِ چایمی أَنْ يَصُدَّ اللَّطْمَةَ، وَقَالَ: «أَرَى أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ إِلَى لَحْيَةٍ أَثْقَلَ تُلَطِّفُ تَرْبِيَتَ مَلِيكَتِي». يُرِيدُ أَنْ يَنْتَزِعَ فُسْتَانَهَا مِنْ عَلَيْهَا وَيُحَوِّلَ ضَرْبَاتَهَا إِلَى قُبُلَاتٍ.

لَقَدْ فَعَلَهَا مِنْ قَبْلِ، عِنْدَمَا كَانَتْ لَهُ يَدَانِ سَلِيمَتَانِ.

قَالَتِ الْمَلِكَةُ بَعِينِينَ مِنَ الْجَلِيدِ الْأَخْضَرِ: «خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّهَا الْفَارِسُ».

... لَانْسِلَ وَأَوْزَمُونْدَ كِتْلِبْلَاكَ وَفَتَى الْقَمَرِ...

- «أَأَنْتِ أَصَمُّ عِلَاوَةً عَلَى عَاهَتِكَ؟ سَتَجِدُ الْبَابَ وَرَاءَكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ».

رَدَّ چایمی: «أَمْرُكَ»، وَدَارَ عَلَى عَقْبِيهِ وَتَرَكَهَا.

لَا بُدَّ أَنْ الْأَلْهَةَ تَضْحَكُ فِي مَكَانٍ مَا. سِرْسِي لَا تَتَلَقَّى الْمَعَارَضَةَ بِصَدْرِ رَحْبٍ أَبَدًا، وَهُوَ يَعْلَمُ هَذَا. رُبَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتُ أَرْقٍ لَتَجْعَلَهَا تَسْتَجِيبُ، لَكِنْ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ يُغْضِبُهُ مَجَرَّدُ مَنَظَرِهَا.

جَزْءٌ مِنْهُ سَيَسَّرُ لَوْضِعَ (كَيْنِجَزْ لَانْدَنْج) وَرَاءَهُ. إِنَّهُ لَا يُطِيقُ صُحْبَةَ الْمُرَائِينِ وَالْبُلْهَ الْمُحِيطِينَ بِسِرْسِي، «الْمَجْلِسُ الْوَضِيعُ» كَمَا يُسَمُّونَهُمْ فِي (جُحْرِ الْبَرَاغِيثِ) وَفَقْ كَلَامِ أَدَامِ مَارْبِرَانَ-د. ثَمَّ إِنَّ كَ-اَيِرْنَ... رُبَّمَا أَنْقَذَ الرَّجُلَ حَيَاتَهُ، لَكِنْ هَلَا يَزَالُ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ السَّقَّاحِينَ، وَقَدْ قَالَ چایمی لِسِرْسِي

منـذراً: «رائحة الأسرار العفنة تفوح من كايبرن»، فردّت عليه ضاحكة: «كلنا لنا أسرارنا يا أخي».

... كانت تُضاجع لانسِل وأوزموند كِتلبلاك وربما فتى القمر أيضاً...

أربعون فارسًا ومثلهم من المُرافقين كانوا ينتظرونه خارج اسطبلات (القلعة الحمراء)، نصفهم من الغربيين المقسمين على الولاء لعائلة لانستر، والآخرون كانوا أعداء حتى فترة قريبة قبل أن يُصبحوا أصدقاءً مشكوكًا فيهم. سيحمل السير درموت ابن (الغابة المطيرة) عَلم تومن، ورونيت كونجرتون الأحمر راية الحرس الملكي البيضـاء، في حين سـيتقاسم واحد من كـلّ من آل پاير وپايچ وپكلدون شرف مُرافقة حضرة القائد. «ضَع أصدقاءك وراء ظهرك وأعـداءك أمام ناظريك». هـكذا نصحه سمنر كراكهول ذات يوم... أم أن أباه من قالها؟ حصان ركوبه كسـتنائي غني بـالحُمْرة، وجـواده الحربي فَحـل رمادي مطهّم. سـنوات طويلة مرّت من ذـل سـمّي چايمي أيّا من خيوله، إذ رأى كـثيراً منـها يموت في المعارك، وهذا أصعب على النَّفس عندما تكون للخيـل أسماء، لكن حين بدأ ابن پاير يدعو حصانيه بأوتـر وجلوري، ضحك چايمي وأجاز الاسمين. على جلوري كسوة بلون لانستر القرمزي، وعلى أوتـر أبيض الحرس الملكي، وقد أمسك چوزمين يكلدون زمام الثاني بينما امتطاه السير چايمي. المُرافق نحيل كالخربة، طويل الذراعين والساقين، وله شعر بني كالفئران ووجنتان ينبت منهما الزغب الناعم، ويرتدي معطف لانستر القرمزي، لكن على سـترته نجمـات عائـلته الأرجوانية العشر المصفوفة على خلفيّة صفراء. سأله الصبي: «هل سـتريد يدك الجديدة يا سيدي؟».

استحثّه السير كينوس الكايسي قائلاً: «ضعها يا چايمي، لوّح بها للعامة وامنحهم حكاية يحكونها لأطفالهم».

- «لا أظنّ». لن يُري الجماهير كذبة من ذهب. فليروا العاهة، فليروا المُعاق. «لكن لك حرية أن تُعوّضهم يا سير كينوس. لوّح بكلتا يديك وارفُس بقدميك أيضاً إذا أردت»، ولملم چايمي العنان بـسـراه ودارَ بالحصان، ونادي بينما اتّخذ الباقون تشكيلهم: «پاين، ستركب إلى جوارِي».

شقّ السـير إلـين پاين طريقه إلى چايمي بـأديا كـالشّحاذين وسـط الأبـة المحيطة، وقد ارتدى قميصاً قديماً من الحلقات المعـدنية الصّديّة فوق سـترة متـسخة من الجـلد المقوّى. لا يحمل الرّجل أو دابّته أيّ شعارات نبالة، وتُرسه بالـ مكسّر لدرجة تُصعّب معرفة لون الطلاء الذي كان يُغطّيه. بوجهه الكئيب وعينيـه الغائـصتين ونظرتيها الخاوية كان المرء ليحسب السير إلين الموت نفسه... وهو الدّور الذي لعبه أعوامًا.

لكنه لم يَعد كذلك. السير إلين هو نصف الثّمن الذي طلبه چايمي كي يبتلع أمر

مليكه الصَّبِي باعتبارِه قائد الحَرس الملكي المطيع، والنِّصف الثَّاني هو السير أدام ماربراند. قال لأخته إنه محتاج إليهما، ولم تُعارضه سُرسي. إنها في الغالب مسرورة لخلاصها منهما. السير أدام صديق صبا چايمي، والجلاد الصَّامت كان ينتمي إلى أبيهما إن كان ينتمي إلى أيِّ أحد. كان يابن قائد حَرس يد الملك حين سُمِعَ يقول بزهو إن اللورد تايوين هو مَنْ يَحْكُم (الممالك السَّبْع) ويُملي على الملك إيرس ما يَفْعله، ولأجل هذا قطع إيرس تارجارين لسانه.

قال چايمي: «افتحوا البوابة»، فزعقَ الغُفر القوي بصوته الجهوري: «افتحوا البوابة!».

حين خرجَ مايس تايرل من (بوابة الطَّمي) على وقع الطُّبل والكمنجات اصطَفَّ ألوف في الشَّوارع لتحيَّته، وانضمَّ صبيَّة صغار إلى المسيرة ماشين إلى جوار جنود تايرل برؤوسٍ مرفوعة وأرجلٍ تدق الأرض، بينما رمت أخواتهم القُبلات من النَّوافذ.

ليس الأمر هكذا اليوم. صاحَت بعض العاهرات داعيات إياهن وهنَّ يمرُّون، وناذى بائع فطير لحمٍ على بضاعته، وفي (ميدان الأساكفة) كان عُصفوران رثا الثَّياب يَخْطبان في عدَّة مئاتٍ من العامَّة داعين بالهلاك على الكافرين وعبدة الشَّياطين. أفسحَ المتزاحمون الطريق للمسيرة، ورمقهم العُصفوران والأساكفة على حدِّ سواء بنظراتٍ فاترة، فعلقَ چايمي: «تُعجبهم رائحة الورد لكنهم لا يحبُّون الأسود. من الحكمة أن تأخذ أختي هذا بعين الاعتبار». لم يردَّ السير إلين، فقال لنفسه: الرِّفيق المثالي لرحلةٍ طويلة. ساستمتع بمحادثاتي معه.

كان الجزء الأكبر من قوَّته في انتظاره خارج أسوار المدينة؛ السير أدام ماربراند مع جنوده، والسير س. تفون س. ويفت مع قافلة الأمتعة، والسير بونيفر الصَّالح ورجاله الأتقياء المئة، وُرْماة سارسفيلد الرَّاكبون، والمايستر چوليان بأربعة أقفاص مليئة بالغدافان، ومئتان من الخيول الثقيلة تحت قيادة السير فليمنت براكس.

ليس جيشًا جرَّارًا بشكل عام، أقل من ألف رجلٍ إجمالًا، على أن الأعداد آخر ما يحتاجون إليه في (ريفرن)، فأحد جيوش لانستر يُحاصر القلعة بالفعل، وثمة قوَّة أكبر من رجال فراي أيضًا. آخر طائر جاءهم لمَّحت رسالته إلى أن المحاصرين يجدون صعوبةً في إطعام أنفسهم، إذ اسـتولى برايندن تلي على ما في الأراضي المحيطة بالكامل قبل أن ينسحب وراء أسواره. ولو أنه لم يكن هناك كثير يستولي عليه. مما رأى چايمي في أراضي النهر لا يكاد يتبقى حقل لم يُحرق أو بلدة لم تُنهَب أو فتاة لم يُنتهك عرضها. والآن تُرسِلني أختي الجميلة لأتمَّ العمل الذي بداه آموري لورك وجريجور كليجاين. تركت الفكرة في فمه مذاقًا مريئًا.

على هذه المقربة من (كينجز لاندنج) يعدُّ (طريق الملوك) أكثر أمنًا من أيِّ طريقٍ

آخر في وقت كهذا، وعلى الرغم من ذلك أرسل چايمي ماربراند وكشافته لاستطلاع الطريق، وقال: «روب ستارك أخذني على حين غرة في (الغابة الهامسة)، ولن يحدث ذلك ثانية أبدًا».

- «لك كلمتي». يبدو ماربراند مستريحًا بوضوح لوجوده على صهوة حصان من جديد، وقد ارتدى معطف عائلته الرمادي الدخاني بدلًا من صوف حرس المدينة الذهبي. «إذا دنا أيُّ عدوٍّ أكثر من دسنةٍ من الفراسخ فستعرف بوجوده قبلها».

كان چايمي قد أعطى أوامر مشددة بعدم خروج أحدٍ من الصّف دون إذن، فلولا هذا سيجد لوردات صغار يشعرون بالملل فيتسابقون في الحقول ويشيتون قطعان الماشية ويدعسون المحاصيل. ما زالت هنالك أبقار وخراف قرب المدينة، وتفاح على الأشجار وتوت في الأجومات، وسنابل ذرة وشوفان وقمح شتوي في الحقول، وعربات يد وعربات تجرها الثيران على الطريق، لكن على مسافات أبعد لن تكون الأمور ورديةً هكذا.

يكاد چايمي يحسُّ بالقناعة وهو راكب على رأس الجيش وإلى جواره السير إلين الصامت. الشمس دافئة على ظهره والرياح تُداعب شعره كأصابع امرأة، ولما هرولاً ليو پاير الصغير إليه بملء خوزةٍ من الثوت الأسود أكل چايمي حفنةً وقال للصبّي أن يتقاسم الباقي مع زملائه المرافقين والسير إلين باين.

يبدو باين مرتاحًا في صمته مثلما يرتاح في قميصه المعدني الصّدئ وجلده المقوّى، لا يصدر منه صوت إلا طقطقة حوافر حصانه المخصي وصلصلة سيفه في غمده كلما عدّل نفسه فوق سرجه. على الرغم من وجهه المجذور الكئيب وعينييه الباردتين كالجليد على بُحيرةٍ في الشتاء يشعُر چايمي بأن الرجل مسرور لمجيئه. قال لنفسه مذكّرًا: لقد منحته الخيار. كان بإمكانه أن يرفض ويبقى جلاّد الملك.

كان تعيين السير إلين في منصب عدالة الملك هدية زفافٍ من روبرت باراثيون لوالد عروسه، وظيفته تدرك دخلًا بلا جِهٍ تعويضًا لباين عن اللسان الذي فقد في خدمة عائلة لانستر. عمل الرجل سيّاقًا ممتازًا، ولم يُفسد إعدامًا قط ونادرًا ما احتاج إلى ضربة ثانية، كما أن هناك شيئًا في صمته يُوقع الخوف في القلوب. فلما بدا عدالة ملكٍ مناسبًا لمنصبه تمامًا.

حين قرّر چايمي أن يأخذه يسعى إليه في مسكنه في طرف البرج المسمّى (مشية الخونة). ينقسم الطابق العلوي من البرج القصير نصف المستدير إلى زنازين السجّناء الذين يتطلّبون نوعًا من الراحة، الأسرى من الفُرسان وصغار اللوردات الذين ينتظرون دفع فديتهم أو مبادلتهم، ويقع مدخل الزنازين الحقيقية في الطابق الأرضي، وراء

باب من الحديد المطرق وباب ثانٍ من الخشب الرمادي المشقق، وتضم الطوابق الأخرى غرفاً مخصصة لرئيس السجّانين واللورد قيم الاعترافات وعدالة الملك. الأخير جلّاد، ولكن جرى العرف على أن يكون مسؤولاً أيضاً عن الزنازين ورجالها.

ولهذه المهمة تحديداً لم يكن السير إلين باين مناسباً على الإطلاق، فيما أنه لا يقرأ أو يكتب أو يتكلّم، ترك السير إلين إدارة الزنازين لمرؤوسيه، وهُم قلائل. على أن البلاد لم تعرف قيماً للاعترافات منذ عهد دايرون الثاني، وآخر رئيس سجّانين كان تاجر أقمشة اشترى الوظيفة من الإصبع الصغير خلال حكم روبرت. لا شك أن الرجل أحسن الانتفاع من منصبه بضعة أعوام، إلى أن ارتكب غلطة التأمّر مع عددٍ من الأغنياء الحمقى الآخرين على إعطاء ستانيس العرش الحديدي. كانوا يُسمّون أنفسهم رجال القرون، فدقّ جوف في رؤوسهم قرونًا قبل أن يرميهم بالمنجنيق من فوق أسوار المدينة، وهكذا وقع فتح باب الزنازين لچايمي على عاتق رينيفر لونغووترز، رئيس مشرفي السجّانين ذي الظهر المحنّي الذي يُسهب على نحوٍ ممل في ادّعاء أن في عروقه «قطرة من دماء الثنّانين». قادّه الرجل صاعداً السلالم الضيقة المنحوتة داخل الجدران إلى حيث يسكن السير إلين باين منذ خمسة عشر عامًا.

كانت رائحة الطعام المتعفّن تُفعم الغرفة، والحصير يعجّ بالحشرات، وإذا دخل چايمي كاد يتعثّر في جرد. رأى سيف باين العظيم مستقرّاً على طاولة إلى جانب مشحذ وقطعة لزجة من القماش المزيّت. لا تشوب الفولاذ شائبة، ويلتصع حدّه بالأزرق في الضوء الشاحب، لكن فيما عدا ذلك تناثرت أكوام الثياب المتسخة على الأرض، وقطع الحلقات المعدنية والدروع الملقاة هنا وهناك مبقعة بالصدأ الأحمر، ولم يستطع چايمي إحصاء آنية التبيذ المكسورة. الرجل لا يعبأ إلا بالقتل، قال لنفسه بينما خرج السير إلين من غرفة نوم تفوح من رائحة أوعية الفضلات الطافحة. خاطب الرجل قائلاً: «صاحب الجلالة طلب مني أن أسرد أراضيه». أريدك معي... إذا كنت تطيق التخلّي عن كلّ هذا».

جاوبه الصمت، ونظرة طويلة بعينين لا تطرفان، لكن قبيل أن يلتفت ليُغادر أوماً باين برأسه موافقاً.

رمى چايمي رفيقه مفكراً: «وها هو ذا راكب معي. ربما لم يزل هناك أمل لكلينا. ليلتها خيموا أسفل قلعة عائلة هايفورد القائمة فوق تلّها. مع ميل الشمس إلى المغيب ارتفعت مئة خيمة عند سفح التل على ضفاف الجدول الجاري إلى جواره، وعيّن چايمي الحراسة بنفسه. لا يتوقّع متاعب على هذا القرب من المدينة، لكن عمّه ستافورد حسب نفسه أمناً في (أو كسكروس) أيضاً، والأفضل

أَلَا يُجَازِفُ.

حين وصلت الدَّعوة من أعلى لأن يتناول العشاء مع أمين قلعة الليدي هايفورد، أخذ جايمي معـه السير إلين بالإضـافة إلى السير أدام ماربراند والسير بونيفر هاستي ورونيت كوننجتون الأحمر والغُفر ومجموعة أخرى من الفُرسان وصِغار اللوردات، وقبل أن يصعد قال ليك: «أظن أن علي أن أضع اليد».

جلبهـا الصَّبـي في الحال، اليـد مطرقة من الـذهب، يُحـاكـي تكوينـها يـدًا حقـيقيَّة بشـدَّة، ومرصعة بأظفار من عرق الـلؤلؤ، وأصابعها الخمسة نصـف مغلقة بحـيث تُحيط بساق الكأس. قال لنفسه بينما أحكم الصبي عقد الأربطة التي تُثبَّتـها إلى جـدعـته: لا أستطيع القتال لكني أستطيع أن أشرب. عندما ركبها صانع السِّلاح على معصم جايمي أول مرَّة قال له مؤكِّدًا: «سيدعوك النَّاس بذي اليد الذهبية من الآن فصاعدًا يا سيدي». كان مخطئًا. سبَّاقى قاتل الملك إلى أن أموت.

كانت اليد الذهبية محطَّ العديد من تعليقات الإعجاب خلال العشاء، على الأقل حتى خبط جايمي كأس نبيذ وأسقطها، وعندها تمكَّن منه حنقه، وقال لفليمنت براكس: «إذا كانت اليد اللعينة تُعجبك لهذه الدرجة فابتر يد سيفك وخذها».

بعدها سكت الكلام عن يده تمامًا، واستطاع أن يشرب القليل من التَّبـيـذ في سلام.

تنتمي سـيـدة القلعة إلى عائلة لانستر بـالزَّواج، وهـي طفلة ممتلئة لا تزال تتعلَّم المشـي زُوَّجـت بتـايرك ابـن عـمِّه قبل أن تتـم العام. حسب الأصول جيء بالليدي إرميساند وعُرضت على الضيوف لأجل استحسانهم، وقد البسوها فُستانًا صغيرًا من قُماش الذهب عليه رمز عائلة هايفورد -الشبكة الخضراء المائلة والخط المموج الأخضر الباهت- مشغولاً بحبَّات اليشب. لكن سرعان ما انفجرت الصَّغيرة في البكاء، وبلا إبطاء حملتها مُرضعتها إلى الفراش.

بينما يُقدِّم طبق سَمك الترويت سأل أمين القلعة: «ألا توجد أخبار عن اللورد تايرك؟».

- «إطلاقًا». اختفى تايرك لانستر في أثـناء الشَّـغـب في (كـينـجز لانـدنـج) وقت أن كان جايمي نفسـه أسـيرًا في (ريقرن)، وبـافتراض وجوده على قيد الحياة فقد بلـغ الصبي الرابعة عشرة.

علَّق السير أدام ماربراند وهو يُزيل شوك سمكته: «قدتُ بحثًا بنفسي بأمر اللورد تايوين، لكنني لم أجد أكثر مما وجدته يايووتر من قبلي. آخر مرَّة شوهد الصبي كان على متن حصانه حين اخترق الغوغاء صفوف ذوي المعاطف

الذهبية، لكن بعدها... لقد عُثِرَ على حصانه من دون الرّاكب. على الأرجح سحبه من فوقه وقتلوه، لكن إذا كان هذا ما حدث، فأين الجثة؟ الغوغاء تركوا الجثث الأخرى، فلمَ ليس هو أيضًا؟».

قال العُفَر: «قيّمته أعلى حيًّا. أيّ لانستر يستحقّ فديةً ضخمةً».

ردّ ماربراند: «لا شك، لكن لا أحد طلبَ فديةً بتاتًا. الصّبي اختفى ببساطة».

- «الصّبي مات». كان چايمي قد شربَ ثلاثة كؤوس نبيذ، ويشعرُ بيده الذهبية تزداد ثقلًا وخرقًا بمرور كلّ لحظة. سينفعني خُطّاف بالقدر نفسه. «إذا تبَيَّنوا مَنْ قتلوا فلا ريب أنهم القوه في النّهر خشية غضبة أبي. إنهم يعرفون مذاقها في (كينجز لاندنج). اللورد تايوين كان يُسدّد ديونه دائمًا».

أيّده العُفَر قائلاً: «دائمًا»، وبهذا انتهى الكلام في الموضوع.

لكن لاحقًا، وهو وحده في غرفة البرج التي أنزلوه فيها اللّيلة، وجدَ چايمي نفسه يتساءل. تـاـيـرـك خـدمـ الملـك روبرت كمُرافِق جنـبًا إلـى جنـب لانسل، ومن شأن المعرفة أن تكون أثمن من الذهب ومميتة أكثر من الخنجر. عندئذٍ فكر في فارس مبتسمًا وتفوح منه رائحة الخزامى. كان للخصيّ مُخبرون وجواسيس في جميع أنحاء المدينة، ولكان سهلًا عليه للغاية أن يُرتّب لاختطاف تايرك وسط البلبلة... بفرض أنه عرفَ باندلاع شغب الرّعاة مسبقًا. وفارس كان يعرف كلّ شيء، أو أنه أرادنا أن نعتقد هذا، لكنه لم يُحذِر سرسي من الشّغب، ولا نزلَ إلى الرّصيف لوداع مارسلا.

فتح النَّافذة ليشعرَ بالبرودة تتوغّل في اللّيل، والتمعت يده في ضوء القمر المُحراق الشّاحب. لا تصلح لخنق المخصّيين لكنّها ثقيلة بما فيه الكفاية لتهدشيم ذلك الوجه الباسم اللّزج وتحويله إلى خرابٍ أحمر. يُريد أن يضرب أحدًا.

عثرَ چايمي على السير إلين يشحذ سيفه العظيم، وقال له: «حان الوقت»، فنهض الجلّاد وتبعه، يحتكّ حذاؤه الجلد المشقّق بالدرجات الحجرية العالية بينما يـنـزـلـان. ينفـتـح مسـتودع السـلـاح علـى سـاحـة صـغيرة، وهنـاك وجـدَ ثُرسـين وخوذتـين قصـيرتين وسـيـفـي مـباريات مثـلومـين، نـاولَ پاين أحـدهما وحمـلَ الثّانـي بيـسـراه ودسّ اليُمْنى في أحزمة ثُرسه الجليدية. أصابعه الذهبية منحنية بما يكفي للإمساك بالأحزمة لكن لا يمكنها الإطباق عليها، فلم يستطع حمل الثُرس بإحكام.

قال چايمي: «كنتَ فارسًا ذات يوم، وأنا كذلك. لنرَ مَنْ نحن الآن».

رفعَ السير إلين سيفه ردًّا، وتحركَ چايمي منقضيًا عليه من فوره. كانت مهارة پاين صدئة كقميصه المعدني، وقوّته ليست مفرطة كبريان، لكنه قابل كلّ ضربة بسيفه أو اعترضها بثُرسه. رقصا تحت المُحاق والتّصلان المثلومان يُردّدان أغنيتهما الفولاذية، وقنعَ الفارس الصّامت بترك چايمي يقود الرّقصة بعض الوقت،

لكنه بدأ أخيراً يردُّ الضربة بالضربة، وحالما انتقل من الدفاع إلى الهجوم أصاب چايمي على فخذه وكتفه وساعده، وثلاث مرَّات دَقَّ رأسه بضرباتٍ سدَّدها إلى خوذته، وانتزعت أخرى تُرسه من ذراعه اليمنى وكادت تُمزِّق الأحزمة التي تربط يده الذهبية بجذعته. حين خفضا سيفيهما كان مكدوماً جريحاً، لكن أثر النبذ زالَ تماماً وصفا رأسه. وعدَّ السير إلين قائلاً: «سنَرْقُص ثانيةً، غداً وبعد غد. كلَّ يومٍ سنَرْقُص إلى أن أجيد القتال بيُسراي كما كنتُ أجيدَه بيُمناي».

فتح السير إلين فمه وأصدرَ طقطقةً، وبعد لحظةٍ أدركَ چايمي أنه يضحك، والتوى شيء ما في أعماقه.

في الصَّباح لم يتجرَّأ أحد الآخرى ويذكرُ كدماته، ويبدو أن أحداً منهم لم يسمع أصوات المبارزة ليلاً، لكن لدى نزولهم التَّلَّ إلى المعسكرَ أفصحَ ليو پاير الصَّغير عن السُّؤال الذي لم يجسرُ الفرسان وصغار اللوردات على إلقائه، فردَّ عليه چايمي بابتسامةٍ عريضة: «عندهم فتيات شقيقات في عائلة هايفورد. هذه لدغات حُب يا فتى».

يوم آخر مشرق قويُّ الرِّيح مرَّ عليهم، تبعه يوم غائم ثم ثلاثة أيامٍ من المطر، لكن الرِّيح والماء لم يصنعا فرقاً، وحافظ الرِّكب على سُرعة تقدُّمه شمالاً على (طريق الملوك). كلَّ ليلةٍ يجد چايمي مكاناً منعزلاً ليجنِّي المزيد من لدغات الحُب، وهكذا تبارزا داخل اسطبلٍ بينما تفرَّج عليهما بغل أعور، وفي قبو خانٍ وسط براميل النَّبذ والمِزر، وفي حظيرةٍ حجريةٍ لم يتبقَّ منها إلا هيكلها المسود، وعلى جزيرةٍ مشجرةٍ في جدولٍ ضحل، وفي حقلٍ مفتوح والمطر يُطقطق بنعومةٍ على خوذتيهما وُترسيهما.

اختلَقَ چايمي الأعذار للذهاب في غزواته اللَّيلية، لكنّه ليس بالحماقة التي تجعله يخال الآخريَن يُصدِّقونها. مرَّوكد أن أدام ماربرانـد يعرف ما يفعلـه، ولا بُدَّ أن بعض غيره من القادة خمنوه، لكن لا أحد ذكرَ هذا على مسمع منه... وبما أن الشَّاهد الوحيد بلا لسانٍ فليس هناك ما يدعو چايمي إلى خشية أن يعرف أحد كم أصبحَ قاتِل الملك مُبارزاً فاشلاً.

سرعان ما لاحَت آثار الحرب في كلِّ حدبٍ وصوب. في الحقول التي ينبغي أن ينضج فيها القمح الخريفي تنمو الحشائش والأشواك والشجيرات الكثيفة بارتفاع رأس الحصان، و(طريق الملوك) خالٍ من المُسافرين، والدُّباب تحكُم العالم المتعب من الغسق إلى الفجر. أكثر الحيوانات حذرٌ بما يكفي للاحتفاظ بمسافةٍ بينه وبينهم، لكن حصان أحد كشافة ماربرانـد هوجِمَ وقُتلَ عندما ترجَّل الرَّجل ليتبول، فأعلن السير بونيفر الصَّالح بوجهه الصَّارم الحزين: «لا حيوان يتمتّع بهذه الجرأة. تلك شياطين في فرو ذئاب، أرسلت لتُعاقبنا على آثامنا».

قال چايمي الواقف فوق بقايا الحيوان المسكين: «لا بُدَّ أنه كان حصاناً أثمًا للغاية إذن»، وأمرَ بتقطيع بقيةِ الجثة وتمليح اللحم، فربما يحتاجون إليه.

فِي مَكَانٍ اسْمِهِ (قَرْنُ الْخَنزِيرَةِ) وَجَدُوا فَارِسًا عَجُوزًا مَتَيْنَ
الْبَنِيَّانِ يُسَمَّى السَّيْرُ رُوچَر هُوجَ قَابَعًا بَعْدَ فِي بُرْجِهِ مَرَعٍ سَنَةِ
جَنُودٍ وَأَرْبَعَةٍ مِنْ رُمَاهُ النَّشَابِيَّةِ وَنَحْوِ عَشْرِينَ مِنَ الْفَلَاحِينَ. السَّيْرُ رُوچَر
رَجُلٌ كَبِيرُ الْحَجْمِ غَزِيرُ الشَّعْرِ كَالْخَنَازِيرِ، وَاقْتَرَحَ السَّيْرُ كِينُوسَ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ ابْنًا
مَفْقُودًا لَأَلِ كِرَاكْهُولِ، بِمَا أَنَّ رَمَزَهُمْ خَنزِيرٌ بَرِّيٌّ مَخْطُطٌ، وَقَدْ بَدَأَ أَنَّ الْعُفْرَ يَعْتَقِدُ
هَذَا، إِذْ أَمْضَى سَاعَةً يَسْتَجُوبُ السَّيْرُ رُوچَرُ عَنْ أَسْلَافِهِ بِمَنْتَهَى الْجَدِّيَّةِ.

أَمَّا چَايْمِي فَاهْتَمَّ أَكْثَرَ بِمَا لَدَى الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَهُ عَنِ الذِّئَابِ، فَأَخْبَرَهُ الْفَارِسُ
الْعَجُوزُ: «وَأَجْهَنَا مَتَاعِبٌ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ ذِئَابِ النَّجْمَةِ الْبَيْضَاءِ إِيَاهُمْ. كَانُوا
يَتَشَمَّمُونَ أَثْرَكَ يَا سَيِّدِي لَكِنَّا طَرَدْنَاهُمْ، وَدَفَنَّا ثَلَاثَةً مِنْهُمْ عِنْدَ حَقْلِ اللَّفْتِ.
قَبْلَهُمْ جَاءَ قَطِيعٌ مِنَ الْأَسْوَدِ اللَّعِينَةِ، لَا تُؤَاخِذْنِي. كَانَ عَلَى ثُرْسٍ قَائِدَهُمْ
مَانْتِيكُورُ».

فَسَّرَ چَايْمِي: «السَّيْرُ آمُورِي لُورُكُ. السَّيِّدُ وَالِدِي أَمَرَهُ بِالْإِغَارَةِ عَلَى أَرَاذِي
النَّهْرِ».

رَدَّ السَّيْرُ رُوچَرُ بِقُوَّةٍ: «الَّتِي لَسْنَا جِزْءًا مِنْهَا. إِنَّنِي أَدِينُ بِالْوَلَاءِ لِعَائِلَةِ هَايْفُورْدِ،
وَاللَّيْدِي إِرْمِيْسَانْدُ تَحْنِي هَامَتَهَا الصَّغِيرَةُ لـ (كِينْجَزْ لَانْدَنْجِ)، أَوْ أَنَّهُ سَتَفْعَلُ
عِنْدَمَا تَتَعَلَّمُ الْمَشْيَ. أَخْبَرْتَهُ بِهَذَا، لَكِنْ لُورُكُ رَفَضَ الْإِصْغَاءَ، وَذَبَحَ نِصْفَ خِرَافِي
وِثْلَانًا مِنَ الْمَاعِزِ الْحُلُوبِ الْمَمْتَازَةِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَشْوِينِي فِي بُرْجِي، لَكِنْ جُدْرَانِي
مِنَ الْحَجَرِ الْمَصْمُوتِ وَسُمْكُهَا ثَمَانِيَةُ أَقْدَامٍ، فَرحَلَّ شَاعِرًا بِالْمَلَلِ بَعْدَ أَنْ خَمَدَتْ
نَارُهُ. لَاحِقًا أَتَتْ الذِّئَابُ ذَاتَ السَّيِّقَانِ الْأَرْبَعِ وَأَكَلَتْ الْخِرَافَ الَّتِي تَرَكَّهَا لِي
الْمَانْتِيكُورُ. حَصَلْتُ عَلَى بَضْعِ فُرُوتٍ لَا بِأَسْ بِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّعْوِيزِ، لَكِنْ الْفُرُ
لَا يُشْبِعُ الْجَائِعِينَ. مَاذَا نَفْعَلُ يَا سَيِّدِي؟».

أَجَابَ چَايْمِي: «أَزْرَعُوا وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ حَصَادٍ آخِرٍ». لَيْسَتْ إِجَابَةٌ مَفْعَمَةٌ بِالْأَمَلِ،
لَكِنَّا الْوَحِيدَةُ الَّتِي لَدَيْهِ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ عَبَرُوا النَّهْرَ الَّذِي يُعَيِّنُ الْحُدُودَ بَيْنَ الْأَرَاذِي الْمَدِينَةِ بِالْوَلَاءِ
لـ (كِينْجَزْ لَانْدَنْجِ) وَتِلْكَ الْمَدِينَةِ بِهِ لـ (رِيْقَرَرَن). رَجَعَ الْمَايْسْتَرُ چُولِيَانُ إِلَى خَرِيطَةٍ
ثُمَّ أَعْلَنَ أَنَّ هَذِهِ التَّلَالُ تَابِعَةٌ لِلْأَخْوِيْنَ وَودَ، وَهُمَا فَارِسَانِ مِنْ مُلَّاكِ الْأَرَاذِي
مَقْسَمَانِ عَلَى الْوَلَاءِ لـ (هَارْنَهَال)... لَكِنْ مَقَرَّهُمْ هُمْ مَبْنِيٌّ مِنَ التُّرْبَةِ وَالْخَشَبِ،
وَلَمْ يَتَبَقَّ مِنْهُ إِلَّا الْعَوَارِضُ الْمَتَفَجِّمَةُ.

لَمْ يَظْهَرْ الْأَخْوَانُ وَودَ أَوْ أَيُّ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانَ عِدَدٌ مِنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ
أَوْ إِلَى الْقَبْرِ الْأَدْنَى تَحْتَ حِصْنِ الْأَخِ الثَّانِي، وَقَدْ ارْتَدَى أَحَدُهُمْ أَسْمَالٌ مَعْطُفٍ
قَرْمِزِيٍّ، لَكِنْ چَايْمِي شَنَقَهُ مَعَ الْبَاقِينَ. أَحْسَنَ بِالرَّاحَةِ. هَذِهِ هِيَ الْعَدَالَةُ. أَجْعَلْهَا
عَادَةً يَا لَانْسْتَرُ وَرُبَّمَا يَأْتِي يَوْمٌ وَيَدْعُوكَ النَّاسُ بِذِي الْيَدِ الذَّهَبِيَّةِ حَقًّا، ذِي الْيَدِ
الذَّهَبِيَّةِ الْعَادِلِ.

بَاتَ الْعَالَمُ أَكْثَرَ اكْفَهْرَارًا مَرَعٍ دَنُودَهُمْ مِنْ (هَارْنَهَالِ)، وَرَكَبُوا تَحْتَ

سـماءٍ رمـاديّة ملـبّدة وإلى جـوار ميـاهٍ قـديمة تلتـمـع بـالبرد كصـفائـح الفـولاذ المـطرّق. وجـدَ چايـمـي يتسـاءل إن كانت بريـان قد سبـقته إلى المـرور من هـذا الطـريق. إذا حسـبت أن سانـزا ستـارك توجّهت إلى (ريفرن)... لو قابـلوا مُسافـرين غيـرهم لتوقّف وسأل إن كان أحدهم قد صادف فتاة جميلة بشعر كستنائي أو واحدة كبيرة قبيحة لها وجه يُخثّر الحليب، لكن لا أحد على الطـرق إلّا الذئاب، وليست في عُوائها إجابة.

عبر مياه البحيرة الرماديّة كالقصدير ظهرت أبراج حماقة هارن الأسود أخيراً، خمسة أصابع ملتوية من الحجارة السوداء المشوّهة تُحاول بلوغ عنان السّماء. على الرغم من تنصيب الإصبع الصّغير سيّداً على (هارنهال) فلا يبدو أنه متعجّل على احتلال مقرّه الجديد، وهكذا وقع على كاهل چايـمي لانستر أن «يُسوّي الأمور» في (هارنهال) في طريقه إلى (ريفرن).

ولا شكّ لديه في أن الأمور في حاجةٍ إلى تسوية. كان جريجور كليجان قد انتزع القلعة الهائلة الكثيبة من الممثّلين السّفّاحين قبل أن تستدعيه سرسي إلى (كينجز لاندنج)، ومؤكد أن رجال الجبل ما زالوا متناثرين في الدّاخل بلا هدف، لكنهم ليسوا مهيّئين لمهمّة إعادة سلام الملك إلى (الثالوث). السّلام الوحيد الذي ناله أحد من شردمة السير جريجور هو سلام القبر.

كان كشافة السير أدام قد بلّغهم بأن بوّابة (هارنهال) مغلقة وموصدة، فصَفَّ چايـمي رجاله أمامها وأمر السير كينوس الكايسي بالنّفخ في بوق هيروك الأسود الملتوي المطوّق بالذهب القديم.

حين تردّدت ثلاث دقاتٍ على الأسوار سمعوا أنين المِفصلات الحديد وانفتحت البوّابة ببُطء. أسوار حماقة هارن الأسود سميكة للغاية، حتى إن چايـمي مرّ من تحت دسّية من فتحات الدّفاع قبل أن يخرُج فجأةً إلى ضوء الشّمس في السّاحة التي ودّع فيها الممثّلين السّفّاحين قبل فترةٍ ليست بالطويلة. كانت الحشائش تنبت من الأرض الصّلبة، والذباب يئزّ حول جثة حصان.

خرجت حفنة من أتباع السير جريجور من الأبراج وشاهدوه يترجّل، رجال قُساة الأعين قُساة الأفواه عن آخرهم. لا بُدّ أن يكونوا كذلك ليركبوا في صُحبة الجبل.

أفضل ما يُمكن أن يُقال عن رجال جريجور إنهم ليسوا كريهين عنيفين كرفقة الشّجعان، وقد اندفع جندي أشيب منهم يقول: «فتحلّ بي اللعنة، إنه چايـمي لانستر. إنه قاتل الملك التّعس يا أولاد. فلتنكني حربة!».

سأله چايـمي: «مَن أنت؟».

قال الرّجل: «سيّدنا كان يدعوني بفم الخراء، بعد إذن سيّدي»، وبصق في يديه ومسحّ بهما وجنتيه، كأن هذا سيجعل منظره مقبولا أكثر.

- «بديع. هل أنت القائد هنا؟».

- «أنا؟ تَبَّ، لا يا سيّدي، فلتنكني حربة لعينة». في لحية المدعو فم الخراء قُتات طعامٍ يكفي لإطعام الحامية بأكملها. ضحكَ چايمي رغماً عنه، فاعتبرَ الرَّجل هذا تشجيعاً، وكرَّر: «فلتنكني حربة لعينة»، وبدأ يضحك بدوره.

قال چايمي لإلين باين: «سمعتَ الرَّجل. جد حربةً طويلةً جيّدةً ودُسَّها في دُبْره».

لا يحمل السير إلين حراً، لكن سرَّ چون بتلي الحليق أن يُلقِي إليه واحدةً، ليُبشِّر فم الخراء ضحكاته السَّكرانة قائلاً: «أبعد هذا الشَّيء اللعين عني».

قال چايمي: «احزم أمرَك. لَمَن القيادة هنا؟ هل عَيَّن السير جريجور أميَّاً للقلعة؟».

أجابَه رجل آخر: «بوليفر، لكن كلب الصَّيد قتله يا سيّدي، هو والمُدغِدغ، بالإضافة إلى صبيِّ سارسفيلد».

كلب الصَّيد مرَّةً أخرى. «أأنت واثق بأنه كان ساندور؟ هل رأيتموه».

- «ليس نحن يا سيّدي. صاحب الخان أخبرنا».

- «حدثَ هذا في الخان على مفترق الطُّرق يا سيّدي». المتكلِّم رجل أصغر سِنًا له شعر رملي، ويضع حول عُنقه سلسلة العُمَلات التي كانت ملكاً لِقارجو هوت؛ عُمَلات من عشرات المدائن البعيدة، ذهب وفضة ونحاس وبرونز، مربَّعة ومدوَّرة ومثلثة، وحلقات وقِطع من العظم. «صاحب الخان أقسمَ أن جانب وجه الرَّجل محترق، وقالت عاهراته الكلام نفسه. كان مع ساندور صبيٌّ ما، ابن فلاح يرتدي ثياباً رثَّة. قيل لنا إنهما مرَّقاً يولي والمُدغِدغ إرباً وركبا نحو (الثالوث)».

- «هل أرسلتم رجالاً في أعقابهما؟».

تجَهَّم وجه فم الخراء كأن الفكرة في حدِّ ذاتها مؤلمة، وقال: «لا يا سيّدي، فلننَّك جميعاً، لم نُرسِل أحداً».

- «عندما يُصاب الكلب بالسُّعار يُذَبَح».

فركَ الرَّجل فمه قائلاً: «ذلك الخراء يولي لم أحبه قطُّ، والكلب كان أختاً سيِّدنا، ف...».

تدخَّل صاحب سلسلة العُمَلات قائلاً: «نحن سيِّئون يا سيّدي، لكن مَن يُواجه كلب الصَّيد يجب أن يكون مجنوناً».

تطلَّع إليه چايمي مفكِّراً: أجراً من البقيَّة وليس سكران كفم الخراء. «كنتم خائفين منه».

- «لا أقول إننا كنا خائفين يا سيّدي، بل إننا تركناه لَمَن هُم أفضل منا، لأحدٍ مثل سيِّدنا، أو مثلك».

مثلي حينما كانت لي يدان. لا يُخادِع چايمي نفسه. الآن يستطيع ساندور أن

يفتك به في لحظات. «ألك اسم؟».

- «رافورد، بعد إذن سيدي. يدعونني براف».

- «راف، اجمع الحامية في (قاعة المئة مستوقد). وأسراكم أيضًا، أريد أن أراهم. وعاهرات مفترق الطرق كذلك. أوه، وهوت. أحزنني أن أسمع بموته، وأريد أن أرى رأسه».

حين أتوه به ألفى شفتي الكباش مقطوعتين، بالإضافة إلى أذنيه ومعظم أنفه، وكانت الغربان قد التهمت عينيه، وإن ظلّ تعرّفه كهوت ممكنًا، إذ كان چايمي ليعرف لحيته في أيّ مكان، حبل الشعر السخيف الذي يتدلّى من ذقن مدبّب بطول قدمين، لكن فيما عدا هذا لم يتبقّ على جمجمة الكوهوري إلّا قطع يابسة من اللحم. سأل چايمي: «أين بقيته؟».

لم يرغب أحد في إخباره، وفي النهاية خفض فم الخراء بصره، وغمغم: «تعفن يا سيدي، وأكل».

قال رافورد: «أحد الأسرى كان يتوسّل الطّعـام دائـمًا، فقـال سـيـدنا أن نطعمه لحم الكباش المشوي. لم يكن في جسـد الكوهوري لحم كثير، وقطّع سـيـدنا يـديه وقدميه أولًا، ثم ذراعيه وساقيه».

أضاف فم الخراء: «البدن اللعين حصل على أغلبه يا سيدي، لكن سيّدنا قال أن نحرض على أن يذوق جميع الأسرى اللحم، وهوت أيضًا، لحم نفسه. كان ريق ابن العاهرة يجري عندما نطعمه والدهن يسيل على لحيته الرفيعة هذه».

كلا كلبك أصابه الشعار يا أبي. وجدّ نفسه يتذكّر حكايات سمعها أول مرّة في طفولته في (كاسترلي روك)، عن الليدي لوشتون المجنونة التي كانت تستحم في أحواض ملأى بالدماء وتشرّف على ولائم من اللحم البشري في هذه القلعة بالذات.

بوسيلة ما فقد الانتقام مذاقه الحلو، فقال چايمي ليك: «خذ هذه وألقها في البحيرة»، ورمّاها له ثم التفت يواجه الحامية قائلاً: «إلى أن يحين الوقت ويأتي اللورد پيتـر ليتّخـذ مقـرّه، سـيتولّى السـير بونـيفر هاسـتي قيـادة (هارنـهال) باسـم الـتاج. مَن يـرغب منكم فـي الانضـمام إلـيـه فليـنضمّ إذا قبـلـه، والبـقية سـتـركب مـعـي إلـى (ريقرن)».

تطلّع بعض رجال الجبل إلى بعض، ثم قال أحدهم: «إن لنا دينًا. سيّدنا وعدنا، قال إننا سننال مكافآت سخية».

وافقه فم الخراء قائلاً: «كلامه بالضبط: مكافآت سخية لمن يركبون معي»، وبدأ دسته من الآخرين يمتّمون مؤيدين.

رفع السـير بونـيفر يـده المقـرّزة قـائلًا: «كلّ رجـل يبقـى مـعـي هـنـا سـيـحصل علـى قطعـة مـن الأرض يـعمل فـيـها، وقطـعة ثـانية عـنـدما

ي-تزوَّج، وثالثة عن-د مولد طفل-ه الأول».

قال فم الخراء بحدّة: «أرض يا سيّدي؟ بول على هذا!

لو أردنا أن نعزق الثُّرْبَة اللَّعِينَة لبقينا في ديارنا، لا تُؤَاخِذْنِي أَيُّهَا الْفَارِس. سيّدنا قال مكافآت سخية، أي الذهب».

قال چايم-ي: «إذا ك-انت ل-ديكم ش-كوى ف-اذهبوا إل-ى (ك-ينجز لان-دنج) واعرض-وها عل-ى أخت-ي الجميلة»، والتفت إل-ى رافورد ق-ائلاً: «س-أرى الأسرى الآن، ب-دايةً بالس-ير وإيليس ماندرلي».

سأله رافورد: «أهو السّمين؟».

- «أملُ هذا بشدّة، ولا تحكّ لي قصّة حزينة عن موته وإلّا سيحدّث المثل لكم جميعاً».

خابت كلّ آمالٍ راودته في العثور عليّ شاجويل أو پيج أو زولو في الزّنازين، إذ يبدو أن رجال رفقة الشّجعان قد تخلّوا عن فارجو هوت عن آخرهم. من قوم الليدي ونت تبقى ثلاثة فحسب؛ الطّاهي الذي فتح البوّابة الجانبية للسّير جريجور، وصانع سلاح محنيّ الظهر اسمه بن ذو الإبهام الأسود، وفتاة اسمها پيا لم تعد جميلةً كما كانت حين رآها چايمي آخر مرّة. أحدهم كسر أنفها وحطم نصف أسنانها، ولمّا رآته الفتاة ارتمت على قدميه باكية متمسكةً بساقيه بقوةٍ جنوبية، إلى أن سحبها الغُفر عنه.

قال لها چايمي: «لا أحد سيؤذيك الآن»، لكن قوله لم يُفْلِح إلّا في جعل بُكائها يتصاعد.

لاقى السّجناء الآخرون معاملّةً أفضل. ك-ان الس-ير وإيل-يس مان-درلي بين-هم، ومع-ه ع-دّة ش-ماليين عوال-ي المق-ام أس-رهم الجبل راك-ب الخ-يول في أث-ناء القت-ال في مخاض-ات (الثّالوث)، ره-ائن مفي-دون يس-تحقون ف-ديةً كب-يرة، ك-لهم متّس-خ رث الثّي-اب أش-عث الشّع-ر، وبعض-هم ل-ديه ك-دمات ح-ديثة وأس-نان مكس-ورة وأص-ابع مفقودة، لكن جروحهم مغسولة مضمّدة، ولا أحد منهم يُعاني الجوع. تساءل چايمي إن كانت لدى أيّهم أدنى فكرة عمّا كانوا يأكلونه، وقرّر أن من الأفضل ألا يسأل.

لم يتبقّ في أحدٍ منهم تحدّي، لا سيّما السّير وإيليس السّمين بلحيته الكثّة وعينه الفاترتين ولُغده الشّاحب المتدلّي، وحين أخبره چايمي بأن هناك من سيصطحبه إلى (بركة العذارى) كي يوضّع على متن سفينةٍ إلى (الميناء الأبيض)، حرّ السّير وإيليس على رُكبتيه على الأرض وانفجر في بُكاءٍ أعلى وأطول من پيا، وتطلب الأمر أربعة رجالٍ لإعادته إلى الوقوف على قدميه. قال چايمي لنفسه: لحم كبش مشوي كثير للغاية. بحقّ الآلهة، لكم أمقت هذه القلعة. في أعوامها الثلاثمئة شهدت (هارنهل) أهوالاً أكثر من (كاسترلي روك)

خلال ثلاثة آلاف عام.

أمر چايمي بإشعال النار في (قاعة المئة مستوقد)، وأرسل الطاهي مسرعاً إلى المطبخ ليعدّ وجبة ساخنة لرجاله قائلاً له: «أي شيء إلا لحم الكباش».

تناول عشاءه في (قاعة الصيادين) مع السير بونيفر هاستي، وهو رجل نحيل وقور ينزع إلى تبيل كلامه بذكر الآلهة السبعة. «لا أريدُ أيّاً من أتباع السير جريجور»، أعلن الرجل وهو يُقطع حبة كُمثرى ذابلة مثله، كأنما يحرص على ألا يُبقع عصيرها المعدم سترته الأرجوانية التي لا تشوبها شائبة، والمطرز عليها الشريط المائل رمز عائلته. «لن أسمح بوجود خطأ أمثالهم في خدمتي».

- «اعتاد سيّتونني أن يقول إن كلّ البشر خطاة».

ردّ السير بونيفر: «لم يكن مخطئاً، لكن ثمة خطايا أكثر سواداً من غيرها، ورائحتها أكثر عفناً في أنوف (السبعة)».

إذن فمثل أخي الصّغير لا أنف لك، وإلا لجعلت خطاياي حبة الكُمثرى هذه تسدّ حلقك. «ليكن، سأريحك من شردمة جريجور». يستطيع دائماً أن يستفيد من المقاتلين، وإن لم يكن لغرض آخر فيمكنه أن يُرسلهم لصعود السّلالم أولاً إذا اضطرّ إلى اقتحام (ريقرن).

قال السير بونيفر بالحاح: «خذ العاهرة أيضاً. أنت تعرفها، تلك الفتاة من الزّنازين».

- «بي!». آخر مرّة كان هنا أرسل كايبرن الفتاة إلى فراشه معتقداً أن هذا سيسره، لكن بي التـي أتوا بها من الزّنازين مخلوقة مختلفة عن تلك الخلوة البسيطة الضحوك التي دسّت نفسها تحت أغطيته. ارتكبت الفتاة غلطة الكلام في وقتٍ أراد فيه السير جريجور الهدوء، فحطم الجبل أسنانها بقبضته المقفزة بالحلقات المعدنية وكسر أنفها الجميل الصّغير أيضاً، ولا ريب أنه كان ليفعل بها ما هو أسوأ لو لم تستدعه سرسي إلى (كينجز لاندنج) ليواجه حربة الأفعوان الأحمر. لن يبكيه چايمي. قال للسير بونيفر: «بيا مولودة في هذه القلعة. إنها البيت الوحيد الذي تعرفه».

- «إنها نبع فساد. لا أريدها قرب رجالي تتميع ب... بمفاتها».

- «أعتقد أن أيام ميوعتها ولّت، لكن ما دُمت تجدّها منقّرة لهذه الدّرجة فساخذها». يُمكنه أن يُشغلها غسّالة. مُرافقه لا يُمانعون أن ينصبوا خيمته ويسوسوا حصانيه ويُنظفوا درعه، لكنهم يجدون واجب غسل ثيابه لا يليق بالرجال. سأل چايمي: «هل تستطيع السيطرة على (هارنهال) باتقيائك المئة فقط؟». المفترض أن يكون اسمهم الأتقياء الستة وثمانون، إذ فقدوا أربعة عشر رجلاً في معركة (النّهر الأسود)، لكن مؤكّد أن السير بونيفر سيَعوّض النقص حالما يعثر على مجنّدين يرى فيهم الورع المطلوب.

- «لا أتوقّع متاعب. (العجوز) ستُنير طريقنا و(المُحارب) سيبيثُ القوّة في أذرُعنا». أو سيزور (الغريب) جماعتكم المؤمنة كلّها. لا يدري چايمي مَن بالضبط أقنَعَ سرسي بتعيين السير بونيفر أمينًا للقلعة في (هارنْهال)، لكن رائحة أورتون ميريويذر تفوح من الأمر. إنه يذكّر بشيءٍ من الغموض أن هاستي خدمَ جدّ ميريويذر، كما أن كبير القضاة ذو الشّعر البُرْتقالي كالجزر من النّوع الأبله السّاذج بما يكفي لأن يعتقد أن أحدًا ملقبًا بـ«الصّالح» هو عينه الدّواء الذي تحتاج إليه أراضي النّهر لتندمل جراحها التي خلفها رووس بولتون وفارجو هوت وجريجور كليجاين.

لكن ربما لا يكون مخطئًا. ينحدر هاستي من أراضي العواصف، أي أن لا أصدقاء له أو أعداء على ضفاف (الثّالوث)، لا ضغائن يدفع ثمنها أو ديون يُسدّدها أو أصحاب يُكافئهم، والرّجل يقظ وعادل ومطيع، ورجاله الأتقياء السّيئة وثمانون منضبطون كأبي جنودٍ في (الممالك السّبع)، ويصنعون منظرًا رائعًا عندما يدورون بخيولهم المخصّية الرّماديّة الطويلة ويرمحون بها. في مرّةٍ قال الإصبع الصّغير مازحًا إن السير بونيفر خصى رجاله أيضًا بالتّأكيد، فسُمعتهم ناصعة لا يرقى إليها الشّك.

وعلى الرغم من هذا سـاورت چايمي الشّكوك في جنودٍ مصـدر شهرتـهم خيولـهم المطهّمة لا الأعـداء الـذين قتلـوهم. يُجيـدون الصّلاة على ما أظنّ، لكن هل يستطيعون القتال؟ على حدّ علمه لم يُكَلِّلوا أنفسهم بالعار في معركة (النّهر الأسود)، لكنهم لم يتميّزوا كذلك. السير بونيفر نفسه كان فارسًا واعدًا في شبابه، إلّا أن شيئًا ما حلّ به، هزيمةٌ أو وصمةٌ أو مناوشةٌ وشيكةٌ مع الموت، وبعدها قرّر أن التّزال خيلاء فارغة وتخلّى عن رُمحه إلى الأبد.

لكن لا بُدّ من الحفاظ على (هارنْهال)، وبـيلور فتحة الشّرح هذا هو الرّجل الذي اختارتـه سرسي للحفاظ علىـها. قال للسير بونيفر محـذّرًا: «هذه القلعة سيبيثُ السّمعة، وعن جدارة. يُقال إن هارن وأبناءه ما زالوا يمشون في طرقاتها ليلاً مشتعلين نارًا، ومَن ينظرون إليهم يشبّ فيهم اللّهب».

- «لا أخافُ الأشباح. مكتوب في (النّجمة السّباعيّة) أنه ليس بإمكان الأرواح والجُثث الحيّة والعائدين من الموت أذية الأتقياء ما داموا مدرّعين بإيمانهم».

- «درّع نفسك بالإيمان إذن كما شئت، لكن ارتدِ الحلقات المعدنيّة والفولاذ أيضًا. كلٌّ من يتولّى القيادة في هذه القلعة يؤول إلى نهايةٍ سيّئة؛ الجبل، والكبش، وحتى أبي...».

- «أرجو أن تعذّرني لقولي هذا، لكنهم لم يكُونوا رجـالًا متـديّنين مثـلنا. (المُحارب) يُدافع عنـا، والعون قريب دومًا إذا هدّنا عدوٌّ ما.

المَيس-تر چولي-ان س-يبقى م-ع غِدفانه، واللورد لانسل قريب في (داري) مع حاميته، واللورد راندل يُسَيِّطِر على (بركة العذارى). مَعًا سَنُلاحِق وَنُدَمِّر كُلَّ مَنْ يجوبون هذه الأنحاء من الخارجين عن القانون، وفور الفروغ من هذا سيقود (السبعة) الأهالي الطيبين معيدين إياهم إلى قُراهم لِيَحْرُثُوا ويزرعوا وَيُعِيدُوا البناء».

مَنْ لم يَقْتُلْهم الكبش على الأقل. وضعَ چايمي أصابعه الذَّهَبِيَّة حول ساق كَأَسِه، وقال: «إذا وَقَعَ أحد من رجال هوت في أيديكم أريدك أن تُرْسِل إليَّ خبرًا في الحال». ربما اختطفَ (الغريب) الكبش قبل أن يَبْلُغَه چايمي، لكن زولو البدين لا يزال طليقًا، وكذا شاجويل ورورچ وأورزويك الوفي والباقون.

- «لَتُعَذِّبْهم وَتَقْتُلْهم؟».

- «أظنُّ أنك كنت لَتُسَامِحْهم لو أنك في مكاني؟».

- «إذا أَخْلَصُوا التَّوْبَةَ عن ذنوبهم... نعم، سأَتَقَبَّلْهم جميعًا كإخوة وأَصِلِّي معهم قبل أن أُرْسِلْهم إلى قُرْمَةِ الجَلَاد. الخطايا قابلة للغُفران، والجرائم تستوجب العقاب»، وشَبَّكَ هاستي أصابعه أمامه بطريقة ذَكَّرت چايمي على نحو غير مريح بأبيه، وتساءل: «إذا واجَها ساندور كليجايين فماذا تُريدني أن أفعل؟».

صَلَّ بحرارة واهرب. «أرسله لينضمَّ إلى أخيه الحبيب واشكُر الآلهة لأنها خلقت سبع جحائم، فواحدة فقط لا تكفي لاحتواء كلا الأخوين كليجايين»، ودفعَ نفسه إلى القيام بغير راحةٍ مضيقًا: «بريك دونداريون مسألة أخرى. إذا قبضت عليه فاحتفظ به حتى أعودُ. سأريدُ أن أسوقه إلى (كينجز لاندنج) بحبلٍ حول عُنقه وأجعل السير إلين يقطع رأسه حيث يراه نصف أهل البلاد».

- «والرَّاهب المايري الذي يركب معه؟ يُقال إنه يَنشُر عقيدته الباطلة في كلِّ مكان».

- «اقتله أو قَبِّلْه أو صَلِّ معه، كما ترغب».

- «لا رغبة لديَّ في تقبيل الرَّجل يا سيِّدي».

قال چايمي: «لا شَكَّ أنه سيقول المِثْل عنك»، واستحالت ابتسامته إلى تثاؤب، فأردف: «اعدُرني، أَسْتَأْذِنُ منك في الانصراف إن لم يكن لديك اعتراض». ردَّ هاستي: «إطلاقًا يا سيِّدي». مؤكَّد أنه يُريد أن يُصَلِّي.

يُريد چايمي أن يُقَاتِلَ أَحَدًا. نزلَ الدَّرَجَات اثنتين في المَرَّة خارجًا إلى هواء اللَّيْلِ البارد الجاف. في السَّاحَةِ المضاءة بالمشاعل كان العُفْر والسير فليمنت براكس يتقاتلان وسط حلقةٍ من الجنود المشجَّعين. وقال لنفسه: لا ريب أن السير لایل سيغلب براكس. يجب أن أعثر على السير إلين. في أصابعه تلك الحاجة إلى القتال من جديد.

قَادَتْه خُطاه بعيدًا عن الصَّوِّ والضَّوِّاء، ومَرَّ من تحت الجسر المغطَّى وعبر

(ساحة الحجر المصهور) قبل أن يعي أين يتّجه.

مع دنوّه من جُبِّ الدُّبِّ رأى وهج مصباح يغمر نوره البارد الشّاحب المدرّجات الحجرية العالية. يبدو أن أحدهم سبقني إلى هنا. الجُبُّ مكان لا بأس به للرّقص، وربما توقع السير إلين مجيئه.

لكن الفارس الواقف عند الجُبِّ أكبر حجمًا، رجل ملتج متين يرتدي سُترةً طويلةً حمراء وبيضاء ويزيّنها اثنان من الجرافين. كوننجتون. ماذا يفعل هنا؟ في الأسفل كانت جثة الدُّبِّ لا تزال ملقاةً شبه مدفونة في الرّمْل، وإن لم يتبقّ منها إلا العظم والفرو المتهتّك. أحسّ چايمي بالشّفقة على الحيوان تعتصر قلبه، وقال لنفسه: علي الأقل مات في المعركة، ثم إنه نادى: «سير رونيت، هل ضللت طريقك؟ أعرف أنها قلعة كبيرة».

رفع رونيت الأحمر مصباحه قائلاً: «أردتُ أن أرى أين رقص الدُّبُّ مع تلك التي ليست جميلةً». كانت لحبته تلتمع في الضوء كأنها متّقدة، واشتمّ چايمي رائحة الخمر في أنفاسه. «أصحيح أن الفتاة قاتلته عارية؟».

أجاب متسائلاً كيف أضيفت هذه التّفصيلة إلى القصة: «عارية؟ لا. الممثّلون ألبسوها فُستانًا وردّيًا من الحرير ووضعوا في يدها سيف مباريات. أرادَ الكبش أن يكون موتها «مثليًا»، لكن فيما عدا هذا...».

قال كوننجتون ضاحكًا: «كان منظر بريان عاريةً ليجعل الدُّبُّ يفرّ مغزوعًا».

لكن چايمي لم يضحك، وقال: «تتكلّم عن الليدي كأنك تعرفها».

- «كنتُ خطيبها».

فاجأه هذا. لم تذكر بريان خطبةً قطّ. «أبوها ربّ لها زيجة...».

- «ثلاث مرّات. أنا الثّاني. فكرة أبي. كنتُ قد سمعتُ أن الفتاة قبيحة وأخبرته بهذا، لكنه قال إن كلّ النّساء واحد عندما تنطفئ الشّموع».

- «أبوك». حدّق چايمي إلى سُترة رونيت الأحمر التي يتواجه عليها اثنان من الجرافين على خلفيّة من الأحمر والأبيض. الجرافين الرّاقصة. «كان... شقيق يد الملك الرّاحل، أليس كذلك؟».

- «ابن عمّه. لم يكن للورد چون إخوة».

- «نعم». عادت إليه الذّكريات كلّها. كان چون كوننجتون صديق الأمير ريجار، ولما فشل ميريويدز فشلاً ذريعاً في احتواء ثورة روبرت ولم يستطع أحد العثور على الأمير ريجار، لجأ إيـرس إلى أفضل رجلٍ بعـده ورفـع كـوننجتون إلى الـيـدويّة، لكن الملك المجنون اعتاد أن يقطع أيـديه، وقطـع الـلـورد چون بعـد معركة الأجراس مجرداً إياه من ألقابه وأراضيه وثروته، وأرسله عبر (البحر الضيق) ليقتضي بقية حياته في المنفى، وسرعان ما ظلّ الرّجل يشرب حتى مات. أمّا ابن العمّ -أبو رونيت الأحمر- فقد انضمّ إلى الثورة وكوّفئ

بـ(وكر الجرافين) بعد معركة (الثالوث)، لكنه لم يحصل إلا على القلعة، إذ استحوذَ روبرت على الذهب وأسبغَ السّواد الأعظم من أراضي كوننجتون على مؤيدين أكثر حماسةً.

السير رونيت يمتلك أراضي محدودةً لا أكثر، ولأَيِّ رجلٍ مثله لكانت عذراء (تارث) ثمرةً شهيةً بالفعل. سأله چايمي: «ولمَ لم تتزوَّجاً؟».

- «ذهبتُ إلى (تارث) ورأيتها. إنني أكبرها بسنة أعوام، لكنني وجدتُ الفتاة تُناهزني طولاً، خنزيرة ترتدي الحرير، ولو أن أكثر الخنزيرات له أذاء أكبر. لمّا حاولت أن تتكلم لم كادت تخنق بلسانها. أعطيتُها وردةً وقلتُ لها: «إنها لن تنال غيرها مني»، ونظرَ كوننجتون إلى الجُنب متابعاً: «أراه أن الأدب كإن له شعراً أقل من تلك المسخ، و...».

لكمت يد چايمي الذهبية الفارس الآخر في فمه بقوة أسقطته على المدرجات، ووقع مصباحه وتحطم وتناثر زيته المشتعل. «إنك تتكلم عن ليدي رفيعة النسب أيها الفارس. ادعها باسمها، ادعها بـبريان».

زحفَ كوننجتون على يديه وركبتيه مبتعداً عن اللهب المنتشر، وقال: «بريان، بعد إذن سيدي»، وبصق كتلة من الدّم عند قدم چايمي، وأضاف: «بريان المليحة».

سرسي

بُطءٍ سعدوا (تَل قيزينيا)، وإذ كَدَّت الخيول متحرّكةً إلى أعلى أَسَدَتِ الملكة ظهرها إلى وسادةٍ قرمزيةٍ منتفخة، ومن الخارج أتى صوت السير أوزموند كِتْلَبلاك يصيح: «أَفْسِحُوا الطريق، أخلوا الشَّارع، أفسحوا الطريق لصاحبة الجلالة الملكة!».

كانت الليدي ميريوذر تقول: «مارچري محاطة بصُحبةٍ مثيرة حقًا. عندنا حُواة وممثِّلون وشُعراء ومحرِّكو دُمى...».

استحثَّتها سرسي سائلةً: «ومغنون؟».

- «كثيرون يا جلالة الملكة. هاميش ذو القيثارة يُغَنِّي لها مرَّةً كلَّ أسبوعين، وفي بعض الأماسي يُسَلِّينا ألاريك الأيزيني، لكن الشَّاعر الأزرق مطربها المفضَّل».

تَذَكَّر سرسي الشَّاعر من زفاف تومن. شابٌّ وسيم الطَّلعة. هل ثَمَّة شيء واعد هنا؟ «سمعتُ أن هناك رجالًا آخرين، فُرساتًا ورجال حاشية، معجبين. أخبريني بالحقيقة يا سيِّدتي، هل تحسبين أن مارچري لا تزال بِكْرًا؟».

- «هذا ما تقوله يا جلالة الملكة».

- «هذا ما تقوله هي، فماذا تقولين أنت؟».

أجابت تاينا والمكر يترقِّق في عينيها السَّوداوين: «حين تزوّجت اللورد رنلي في (هايجاردن) ساعدتُ على خلع ملابسه من أجل الإضجاع. حضرة اللورد كان رجلًا حسن البنيان، ومفعمًا بالشَّهوة. رأيتُ الدَّلِيل على هذا عندما ألقيناه في فراش الزَّفاف حيث انتظرتُه عروسه العارية لك يوم مولدها ببشرةٍ حمراءٍ خجلًا تحت الأغطية الخفيفة. السير لوراس حملها على السَّلالم بنفسه. ربما تقول مارچري إن الزَّيجة لم تتمَّ، إن اللورد رنلي أفرط في شُرب التَّبِيد خلال المأدبة، لكنني أوكدُ لك أن ما بين ساقيه لم يكن متعبًا على الإطلاق لَمَّا رأيته آخر مرَّة».

سألتها سرسي: «هل رأيت فراش الزَّوجية في الصَّباح التَّالي؟ هل نَزَفَتْ؟».

- «لم يرَ أحد الملاءة يا جلالة الملكة».

مؤسف. على أن غياب الملاءة الدَّامية يعني القليل في حدِّ ذاته. بنات الفلاحين ينزفن كالخنازير ليلة زفافهن حسب ما سمعت، لكن ذلك لا ينطبق بالدَّرَجَة نفسها على العذراوات كريمات المحتد كما رچري تايرل. يُقال إن بنات اللوردات يفقدن عُذْرِيَّتَهُن من جرَّاء ركوب الخيل أكثر من الزَّواج، ومارچري اعتادت الرُّكوب منذ تعلَّمت المشي. «بلغني أن للملكة الصَّغيرة معجبين بين فُرسان بيتنا. التَّوأمين ردواين والسير تالاد... أخبريني، ومن أيضًا؟».

هَزَّت الليدي ميريويذر كتفيها قائلةً: «السير لامبرت، الأحمق الذي يُخَبِّئ عينه السليمة برُقعة، بايارد نوركروس، كورتناي جرينهيل، الأخوان وودرايت، أحياناً پورتيغر وغالباً لوكانتين. أوه، والميايستر الأكبر پايسل زائر متكرّر».

- «پايسل؟ حقاً؟». هل هجرت الدودة العجوز الخرفة الأسد إلى الوردية؟ إن صح هذا فسيندم. «من أيضاً؟».

- «رجل (جزر الصيف) ذو المعطف الريش. كيف أنساه ببشرته السوداء كالحبر؟ هناك آخرون يأتون ليتودّدوا إلى بنات عمومتها. إينور موعودة لابن أمبروز لكنها تحبّ المغازل، ومجّا يأتيها خـاطب جـديد كـلّ أسـبوعين. في مرّة قبلت عـاملاً في المطبخ. سمعت كـلاماً عـن زواجها بـأخي الليـدي بـولوار، لكـن إذا كـان لمجـا الاختيار بنفسها فستفضّل مارك مالدور، إنني واثقة».

ضحكت سرسي، وقالت: «فارس الفراشات الذي فقد ذراعه في معركة (النهر الأسود)؟ ما جدوى نصف رجل؟».

- «مجا تراه محبباً. لقد سألت الليدي مارچري أن تُساعدَها على العثور على قردٍ له».

ردّدت الملكة: «قرد». لا تدري ماذا تقول عن هذا. عصافير وقرود. حقاً أصاب هذه البلاد الجنون. «وماذا عن فارسنا الشجاع السير لوراس؟ كم يزور أخته؟».

أجابَت الليدي تاينا: «أكثر من كلّ الآخرين»، وعقدت حاجبها لتظهر تجعيدة ضئيلة بين عينيها الدّاكتين، وتابعت: «كلّ صباح وكلّ مساءً يزورها، ما لم يُعيقه واجبه. أخوها مخلص لها، ويتشاركان كلّ شيء... أوه...». للحظة بدت المايرية كأنها مصدومة، ثم اتسعت ابتسامتها على وجهها، وقالت: «خطرَ لي فكرة شريرة للغاية يا جلالة الملكة».

- «يُستحسن أن تحتفظي بها لنفسك. العصافير منتشرون على التل، وكلّنا يعلم كم يبغض العصافير الشر».

- «سمعت أنهم يبغضون الماء والصابون أيضاً يا جلالة الملكة».

- «ربما يحرم الإكثار من الصّلاة المرء حاسة الشم. سأحرصُ على سؤال صاحب القداسة الأعلى».

قالت الليدي تاينا والستائر القرمزية الحرير تتأرجح: «أورتون قال لي إن السيّتون الأعلى لا اسم له. أهذا صحيح؟ في (مير) كلنا لنا أسماء».

أجابَت الملكة: «أوه، كان له اسم من قبل. كلّهم كذلك»، ولوّحت بيدها باستهانة مضيئة: «حتى السيّتون أبناء العائلات النبيلة يُعرفون فقط بأسمائهم الأولى حالما يحلفون اليمين، وعندما يترقّى أحدهم إلى مقام السيّتون الأعلى يتخلّى عن هذا الاسم أيضاً. تقول العقيدة إنه لم يعد في حاجةٍ إلى اسمٍ

بشري، إذ أصبح تجسّدًا للآلهة».

- «وكيف تُميّزون بين سيّتون أعلى وغيره؟».

- «بصعوبة. عليك أن تقول: السّمين، أو الذي سبق السّمين، أو العجوز الذي مات في نومه. يُمكنك دائمًا أن تتوصّلي إلى الأسماء التي وُلدوا بها إذا أردت، لكن استخدامها يُضايقهم، يُذكّرهم بأنهم وُلدوا بشرًّا عاديين، ولا يحبّون هذا».

- «السيد زوجي يقول لي إن هذا السيّتون الأعلى وُلد وتحت أظفاره الوسخ».

- «هذا ما أرتابُ فيه. كقاعدة يرفع مجلس القانتين واحدًا من أفرادها، لكن ثمة استثناءات». كان المايستر الأكبر پايسل قد أخبرها بالتّاريخ بتفصيلٍ ممل. «في عهد الملك بيلور المبارك اختير حجار بسيط لمنصب السيّتون الأعلى. كان ينحت أشكالًا في غاية الجمال من الحجارة لدرجة أن بيلور اعتقد أنه (الحدّاد) وقد وُلد من جديد في هيئة بشريّة. لم يكن الرّجل يقرأ أو يكتُب أو يتذكّر كلمات أبسط الأدعية». ما زال البعض يزعم أن يد بيلور سمّم الرّجل ليُعفي البلاد من الإحراج. «بعد موته رُفِع صبيّ في الثامنة إلى المنصب، مرّة أخرى بإيعاز من الملك بيلور، وأعلن جلالته أن الصّبي يصنع المعجزات، ولو أن يديه الشّافيتين الصّغيرتين لم تنجحا في إنقاذ بيلور نفسه وقت صيامه الأخير».

أطلقت الليدي ميريويذر ضحكةً، وقالت: «في الثامنة؟ ربما يستطيع ابني أن يُصبح السيّتون الأعلى إذن. إنه يكاد يبلُغ السّابعة».

سألتها الملكة: «هل يُصلّي كثيرًا؟».

- «يُفضّل اللّعب بالسّيوف».

- «صبيّ حقيقيّ إذن. هل يعرف أسماء الآلهة السّبعة جميعًا؟».

- «أظنّ هذا».

- «سأضعه في الاعتبار». لا تشكُّ سرسي في أن وجود عددٍ ما من الصّبية الذين بإمكانهم تكريم التّاج البلّوري أكثر من المأفون الذي اختار مجلس القانتين أن يهبه له. هذا ما ينتج عن ترك الحمقى والجُبّناء يحكّمون أنفسهم. المرّة القادمة سأختار لهم سيّدهم. وربما لا تتأخّر المرّة القادمة كثيرًا إذا استمرّ السيّتون الأعلى الجديد في إزعاجها، فليس عند يد بيلور كثير يُلقن سرسي لانستر إياه في مثل هذه الأمور.

كان السير أوزموند كِتلبلاك يزعم: «أخلوا الشّارع! أفسّحوا الطّريق لصاحبة الجلالة!».

بدأت حركة الهودج تتباطأ، وهو ما يعني أنهم دنوا من قمّة التّل. قالت سرسي لليدي ميريويذر: «يجدُر بك أن تجلبي ابنك هذا إلى البلاط. ستّة أعوام ليست سنّا صغيرة جدًّا. توّمن محتاج إلى صِبيةٍ آخريّن حوله، فلم لا يكون ابنك أحدهم؟». حسب ما تذكّر لم يكن لچوفري صديق مقرب من سيّنه قط. كان

الصَّبِيَّ المسكين وحيدًا دومًا. في طفولتي كان عندي چايمي... وميلارا، إلى أن سقطت في البئر. أي نعم كان چوف مغرمًا بكلب الصَّيد، لكنها لم تكن صداقةً، بل كان يبحث عن الأب الذي لم يجده في روبرت. قد يكون أخ في التَّربية ما يحتاج إليه تومني بالضبط لفظامه عن مارچري ودجاجاتها. ومع الوقت ربما يُصبحان قريبين قرب روبرت وصديق صباه ند ستارك. أحقق، لكنه أحقق مخلص، وتومن سيحتاج إلى أصدقاءٍ مخلصين لحماية ظهره.

- «جلالتك لطيفة، لكن راسل لم يعرف بيتًا إلَّا (الطاولة الطويلة)، وأخشى أن يضيع في هذه المدينة العظيمة».

علَّقت الملكة: «في البداية، لكن سرعان ما سيتغلَّب على ذلك مثلما تغلَّبتُ عليه. حين أرسلني أبي إلى البلاط بكيتُ وثارَ چايمي، إلى أن أجلسَتنِي عمَّتي في (الحديقة الحجرية) وأفهمَتنِي أنه ليس هناك مَنْ أخشاه في (كينجز لاندنج). قالت: أنتِ لبؤة، وعلى كلِّ الدَّواب الأذنَى أن تخشاك. ابنك أيضًا سيَعثر على شجاعته. مؤكَّد أنك تُريدنه قريبًا منك حيث تستطيعين رؤيته كلَّ يوم. إنه طفلك الوحيد، أليس كذلك؟».

- «في الوقت الحالي. السيِّد زوجي سألَ الآلهة أن ترزُقنا بابنٍ آخر في حال...». - «أعرفُ». فكَّرت سرسي في چوفري وهو يخمش عُنقه. في لحظاته الأخيرة نظرَ إليها بضراعةٍ يائسة، وأوقفت ذكرى مباحثة قلبها عن الخفقان؛ قطرة من الدَّم الأحمر تُهسِّهس في لهب شمعة، وصوت مشؤوم يتكلَّم عن التَّيجان والأكفان، عن الموت على يدي الغالونگار.

خارج الـهودج كان السـير أوزمونـد يزـعق بشـيءٍ ما ويـردُّ عليـه أجـدهم زاعـقًا، ثم تـوقف الـهودج بحركـةٍ حـادة، وهـدرَ كـتـلبـلاك: «أنتـم موتـى جمـيعًا؟ ابتـعدوا عـن الطـريق اللـعين!».

أزاحت الملكة رُكن السِّتار، وأشارت إلى السير مرين ترانت متسائلةً: «ما المشكلة؟».

كان السير مرين يرتدي درعًا بيضاء تحت معطفه، وقد علَّق خوذته وتُرسه من سَرجه. أجابها: «العصافير يا جلالة الملكة. إنهم مخيِّمون في الشَّوارع. سنجعلهم ينزاحون».

- «افعلوا هذا ولكن برفق. لا أريدُ أن أجد نفسي وسط شغبٍ آخر»، وأفلتت سرسي السِّتار قائلةً: «هذا سُخف».

قالت الليدي ميريوذر مؤيِّدةً: «نعم يا جلالة الملكة. كان ينبغي أن يأتيك السِّبتون الأعلى بنفسه، وهؤلاء العصافير الحُقرَاء...».

- «إنه يُطعمهم ويُدلِّلهم ويُبَارِكهم، ومع ذلك يَرفض مباركة الملك». تعلم أن المباركة طقس فارغ، لكن للطقوس والمراسم سطوة في أعين الجاهلين.

إجون الفاتح نفسه حدّد تاريخ بداية مملكته بيوم مرّحه السيّبتون الأعلى بالزيّوت المقدّسة في (البلدة القديمة). «إمّا أن يخضع ذلك الرّاهب التّافه وإمّا سيتعلّم أنه لا يزال إنسانًا ضعيفًا».

- «أورتون يقول إن ما يُريده حقًا هو الذهب، إنه ينوي الإمساك عن مباركة الملك إلى أن يستأنف التّاج دفع ديونه».

- «ستحصل العقيدة على ذهبها ما إن يحلّ السّلام». السيّبتون توربرت والسيّبتون راينارد تفهّما أزمتها تمامًا... على عكس البرافوسي المافون الذي ألحّ على اللورد جايلز المسكين بلا رحمة، إلى أن أخذ إلى فراشه وهو يسعل دمًا. كان من الضروري أن نبني تلك السفن. لا تستطيع سرسي الاعتماد على (الكرمة) في شأن قوّتها البحريّة، فال ردواين قرييون للغاية من آل تايرل، وهي محتاجة إلى قوّتها الخاصّة في البحر.

ستمناها الدّرمونات التي ترتفع في النّهر هذا. سفينة القيادة ستبحر بضعف مجاذيف (مطرقة الملك روبرت)، وقد طلبَ أوران إذنًا في تسميتها (اللورد تاويين)، فقبلت سرسي مسرورةً، وتطلّع إلى أن تسمع النّاس يتكلمون عن أبيها باعتباره أنثى. إحدى السفن الأخرى ستسمّى (الجميلة سرسي)، وستحمل تمثال مقدّمة مذهّبًا منحوتًا بحيث يُحاكي ملامحها بينما ترتدي الحلقات المعدنيّة وتعتّم خوذة الأسد وتحمل حربةً. ستتبعها (جوفري الشّجاع) و(الليدي چوانا) و(اللبّوة) إلى البحر، بالإضافة إلى (الملكة مارچري) و(الوردة الذهبية) و(الورد رنل-ي) و(الليدي أولين-ا) و(الأميرة مارس-لا). ارتكبت الملكة خطأ إخبار تومن بأنّه يس-تطيع تس-مية السفن الخمس الأخيرة، والحقيقة أنه اختار اسم (فتى القمر) لإحداها، وفقط حين علّق اللورد أوران قائلًا إن الرّجال قد لا يرغبون في الخدمة على متن سفينة مسمّاة على اسم مهرّج، قبل الصّبي على مضضٍ بتكريم أخته بدلًا من ذلك.

قالت لتاينا: «إذا كان هذا السيّبتون الوضع يحسب أنه سيجعلني أشتري مباركة تومن فسيتعلّم واقع الأشياء قريبًا». لا تنوي الملكة أن تنصاع لقطيع من الرّهبان.

توقّف الهودج ثانيةً بشكل مباغت لدرجة رجّت جسد سرسي، فقالت: «أوه، لم يعد هذا يُطاق»، ومالت إلى الخارج فرأت أنهم بلغوا قمّة (تل فيزينيا). أمامها لاح (سيّبت بيلور الكبير) بقبّته المهيبّة وبروجه السّبعة البرّاقة، لكن بينها وبين درجاته الرّخام بحر كئيب من البشّر مسمّرٍ البشرة لابسٍ الأسمال متّسخي الأجساد.

فكرت متنشّقةً: عصفير، ولو أن لا عُصفور تفوح منه رائحة عفنيّ ونتاجة كهذه. ارتاعت سرسي للمنظر. كان كايرن قد جلبَ لها تقارير بأعدادهم، لكن السّماع

بها شيء ورؤيتها رأي العين شيء مختلف. في السّاحة يُخَيّم المئات، وفي الحدائق مئـات أكثر، تُفـعـم بـؤر نيرانـهم الـهواء بالـدُخان والـرّوائح الـمنـقـرة، وتُـلَوّث خيامـهم الخـيش وأكواخـهم الحـقـيرة المـبنـية بـالـطمي وفـضـالة الأـخشـاب الأرضـية الرُّخـام العريـقة، بل ويتلملمون بالمثل على السّلالـم أمام باب (السّـيـت الكبير) الشّاهق.

عادَ السير أوزموند إليها خبئًا، وإلى جواره يركب السير أوزفريد فحلًا ذهبيًا كمعطفه. أوزفريد أوسط الإخوة كـتـلـبـلاك، وأكثر من أخويه هدوءًا وجنوحًا إلى العبوس عن الابتسام. وأقسى كذلك إذا صدقت الحكايات. ربما كان عليّ أن أرسله إلى (الجدار).

أرادَ المايستر الأكبر پايسل رجلًا أكبر سنًا «متمرسًا في أمور الحرب» لقيادة ذوي المعاطف الذهبية، واتفق معه كثيرون من مستشاريها الآخرين، فقالت لهم: «السير أوزفريد متمرس بما فيه الكفاية»، لكن حتى هذا لم يُخرسهم. ينبحون في وجهي كقطيع من الجراء المزعجة. يكاد صبرها على پايسل ينفد عن آخره. بكلّ سفاهةٍ اعترضَ الرجل على إرسالها إلى (دورن) طالبةً قيم سلاح، بزعم أن شيئًا كهذا قد يُسيء إلى آل تايرل، وعندها سألتـه متـهـكـمةً: «ولم تحسبني أفعُل هذا؟».

قال السير أوزموند: «أستميحك العذر يا صاحبة الجلالة. أخي يستدعي المزيد من ذوي المعاطف الذهبية. سنفتح طريقًا، لا تخافي».

- «ليس لديّ وقت. سأواصل على قدمي».

أمسكت تاينا ذراعها قائلةً: «أرجوك يا جلالة الملكة، أنا خائفة منهم. إنهم مئات، ومتسخون للغاية».

طبعت سرسبي قُبلةً على وجنتها، وقالت: «اللّيث لا يخشى العُصفور... لكن لطف منك أن تُلقني بالآ لسلامتي. أعلم أنك تحبّيني كثيرًا يا سيّدتـي. سير أوزموند، ساعدني على النزول من فضلك».

لو عرفتُ أنني سأضطرُّ إلى المشي لارتديتُ ما يُناسبه. اليوم ترتدي فُستانًا أبيض مشرطًا بقُماش الذهب، فيه تخريم لكن لا يعوزه الاحتشام. آخر مرّةٍ وضعتـه الملكة على جسـدها كـانت من ذـة أعـوام، والآن تجـده ضـيقًا من المنتـصف على نحوٍ غير مريح. خاطبت رجالها قائلةً: «سـير أوزموند، سـير مـرين، سـتـصحباني. سـير أوزفريد، احرص على سلامة هودجي». بعض العصافير يبدو ضاويًا غائص العينين بما فيه الكفاية لالتهام خيولها.

بينما شقّت طريقها في زحام المعدمين مارّةً ببؤر نيرانهم وعرباتهم ومساكنهم البائسة، وجدت الملكة نفسها تتذكر مرّةً سابقةً ازدحم فيها النّاس في هذه السّاحة.

يوم زفافها إلى روبرت باراثيون جاء آلاف يهتفون لهما. ارتدت كل النساء أفضل ثيابهن وحمل نصف الرجال أطفالهم على أكتافهم، ولمّا خرجت من السّيت ويدها في يد الملِك الشاب أطلَقَ الجمهور هديرًا مدويًا من شأنه أن يُسَمَعَ في (لان-سپورت)، فـهـمـسَ روبرت في أذنـها: «يحبُّونكِ للغاية يا سيّدتِي. انـظري، الـوجـوه كلها مبتسمة». في هذه اللحظة الواحدة العابرة كانت سعيدة في زواجها... إلى أن وقعَ ناظرها مصادفةً على چايمي، وتذكّر أنها فكّرت لحظتها: لا، ليس كلُّ الوجوه يا سيّدي.

لا أحد يبتسم الآن. التّظرات التي يرميها بها العصافير فاترة كئيبّة عدوانيّة، وقد أفسحوا لها الطريق على مضض. لو كانوا عصافير حقاً لطيّرتهم صيحة. مئة من ذوي المعاطف الذهبية بالعصيّ والسُّيوف والهراوات يستطيعون طرد هؤلاء الغوغاء خلال وقتٍ قصير. هذا ما كان اللورد تايوين ليفعله. كان ليدعسهم بدلاً من المشي وسطهم.

حين رأت ما فعلوه بيلور المبارك وقعَ الأسف في قلب الملكة الرّقيق. التّمثال المرمر العظيم الذي يرتفع مبتسمًا في السّاحة منذ مئة عامٍ مغطى حتى الخصر بكميّة من العظم والجماجم، وبعض الجماجم ما زالت رُقع لحمٍ عالقةً به، وقد حطَّ غراب على واحدةٍ من هذه ليستمتع بوليمته اليايسة الجافّة، وراح الذّباب يطن في كلّ مكان. سألت الجمع: «ما هذا؟ هل تُريدون دفن بيلور المبارك تحت جبلٍ من الجيف؟».

تقدّم رجل بساقٍ واحدةٍ متّكئًا على عُكّاز خشبي، وقال: «جلالة الملكة، هذه عظام مؤمنين ومؤمنات قُتلوا لإيمانهم، سِبتونات وسيبتوات، وإخوة بنيون ورماديون وخُضر، وأخوات بيضاوات وزرقاوات ورماديّات. بعضهم شُنِقَ وبعضهم بُقِرَ بطنه. السّبتات نُهبَت والفتيات وأمّهاتهن اغتصبن الكافرون وعبدّة الشّياطين. حتى الأخوات الصّامتات تعرّضن للتّحرش. (الأم في الأعلى) تصرّخ لوعة. لقد جلبنا عظامهم من جميع أنحاء البلاد لتشهد على كرب العقيدة المقدّسة».

شعرت سرسي بثقل التّظرات المسلّطة عليها، وبرصانة أجابت: «سيعرف الملك بهذه البشاعات وسيُشارككم تومن غضبتكم. هذا عمل ستانيس وساحرته الحمراء، وعمل الشّماليّين الهمجيّين عابدي الأشجار والذّئاب»، ورفعت صوتها مضيغةً: «أيها القوم الكرام، ستنالون ثأر موتاكم!».

هلّل قلائل، ولكن قلائل فحسب، وقال ذو السّاق الواحدة: «لا نطلّب ثأراً لموتانا وإنما الحماية للأحياء، وللسّبتات والأماكن المقدّسة».

دمدمَ جلـف ضـخم علـى جبـهته نجمة سُبـاعية مرسومة: «يجب أن يُدافع العرش الحديدي عن العقيدة. الملِك الـذي لا يحمي شـعبه ليس ملـكًا علـى الإطلاق»، فارتفعت همهمات التّأييد من حوله، وكان أحدهم بالنزق الكافي لأن يُمسك معصم السير مرين ويقول: «أن أوان أن

يتخلّى جميع الفُرسان المحلّفين عن سادتهم الدنيويّين ويُدافعوا عن عقيدتنا المقدّسة. قِف معنا أيّها الفارس إذا كنت تحبُّ (السبعة)». انتزع السير مرين يده قائلاً: «اتركني».

قالت سرسي: «أسمعكم. ابني صغير، لكنه يحبُّ (السبعة) حبّاً جمّاً. ستحظون بحمايته وحمايتي أيضاً».

لم يقتنع الكبير ذو النّجمة على جبهته، وقال: «(المُحارب) سيُدافع عنا، وليس ذلك الملك الصّبيّ البدين».

مَدَّ مَرِين تَرَانِت يَدَهُ إِلَى سَيْفِهِ، لَكِن سَرَسِي أَثْنَتَهُ عَنْ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَلَّهُ. إِنَّ مَعَهَا فَارَسَيْنِ لَا أَكْثَرَ فِي بَحْرِ مَرِنِ الْعَصَافِيرِ، كَمَا أَنَّهَا تَرَى عَصِيّاً وَمِنْ أَجْلِ وَنْبِ ابْنِ وَهْرَاوَاتِ وَعَدَّةٍ فَوْوُس. قَالَتْ: «لَنْ أَسْمَحَ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ أَيُّهَا الْفَارَسُ». لِمَاذَا الرِّجَالُ جَمِيعُهُمْ أَطْفَالٌ؟ أَقْتُلُهُ وَسَيُمَرِّقُنَا الْبَقِيَّةُ تَمْزِيقاً. «كَلْنَا أَطْفَالَ (الْأُم). هَيَا، صَاحِبِ الْقِدَاسَةِ الْأَعْلَى يَنْتَظِرُنَا». لَكِن إِذْ خَطَّتْ وَسْطَ الرِّحَامِ إِلَى دَرَجَاتِ السَّيِّتِ تَقَدَّمَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسَلِّحِينَ لِتَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَابِ. يَرْتَدُّونَ الْحَلَقَاتِ الْمَعْدَنِيَّةَ وَالْجِلْدَ الْمُقَوَّى بِالزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ، وَهَنَا وَهَنَّاكَ قِطْعَةٌ مِنْبَعِجَةٌ مِنْ دِرْعٍ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمُ الْحِرَابَ وَبَعْضُهُمُ السُّيُوفَ الطَّوِيلَةَ، فِي حِينٍ يُفَضِّلُ أَكْثَرُهُمُ الْفَوْوُسَ، وَقَدْ خَاطُوا نَجْمَاتٍ حُمْرَاءَ عَلَى سُتْرَاتِهِمُ الْبَيَاضَ الطَّوِيلَةَ، وَبَلَغَتْ الْوَقَاحَةُ بِاثْنَيْنِ مِنْهُمْ أَنْ يُقَاطِعَا حَرْبَتَيْهِمَا وَيَسُدَّا طَرِيقَهَا.

سَأَلَتْهُمْ: «أَهْكَذَا تَسْتَقْبِلُونَ مَلِكَكُمْ؟ أَيْنَ رَايْنَارْدُ وَتُورْبِرْتُ؟». لَيْسَ مِنْ عَادَةٍ هَذَيْنِ الْإِثْنَيْنِ أَنْ يُفَوِّتَا فُرْصَةً تَمْلُقُهَا، وَدَائِمًا يَرْكَعُ تُورْبِرْتُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَيَغْسِلُ قَدَمَيْهَا عَلَى نَحْوِ اسْتِعْرَاضِي.

قَالَ وَاحِدٌ مِمَّنْ يَحْمِلُونَ النّجْمَةَ الْحُمْرَاءَ عَلَى سُتْرَاتِهِمْ: «لَا أَعْرِفُ عَمَّنْ تَتَكَلَّمِينَ، لَكِن إِذَا كَانَا مِنْ رِجَالِ الْعَقِيدَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ الْآلِهَةُ احْتَاجَتْ إِلَى خِدْمَاتِهِمَا».

قَالَتْ سَرَسِي: «السَّيِّتُونَ رَايْنَارْدُ وَالسَّيِّتُونَ تُورْبِرْتُ مِنْ مَجْلِسِ الْقَانِتَيْنِ، وَسَيُغْضِبُهُمَا أَنْ يَعْلَمَا أَنَّكُمْ أَعْقَتُمُونِي. هَلْ تَمْنَعُونَنِي مِنْ دُخُولِ سَيِّتِ بِيْلُورِ الْمُقَدَّسِ؟».

أَجَابَهَا شَيْخٌ بِكَتْفَيْنِ مُحْنِيَّتَيْنِ: «مَرْحَبًا بِكَ هُنَا يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ، لَكِن عَلَى رَجْلَيْكَ أَنْ يَتَرُكَ حَزَامِيَهُمَا. لَيْسَ مَسْمُوحًا بِالْأَسْلِحَةِ فِي الدَّخْلِ بِأَمْرِ السَّيِّتُونَ الْأَعْلَى».

- «فُرسان الحرس الملكي لا يتخلّون عن سيوفهم حتى في حضرة الملك».
رَدَّ الْفَارَسُ الْمَسْنُ: «فِي بَيْتِ الْمَلِكِ الْكَلِمَةُ لِلْمَلِكِ، لَكِن هَذَا بَيْتُ الْآلِهَةِ».
احْتَقَنَ وَجْهَهَا. كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ لِمَرِينِ تَرَانِتِ وَسَيَلِقَى الشَّيْخُ مُحْنِيَّ الظَّهْرِ آلِهَتَهُ

خلال وقتٍ أقرب مما يحبُّ. لكن ليس هنا، ليس الآن. قالت لفارسي الحرس الملكي باقتضاب: «انتظراني»، ووحدها صعدت السلالم. سحبَ حاملي الجراب حربتيهما، ودفعَ اثنان آخران مصراعَي الباب بالأكتاف لينفتحا مصدرين قعقةً عظيمةً.

فـي (بـهو القنـاديل) وجـدَت عـشـريـن مـن السـيـتـونـات راكعـين، ولكـن لـيـس لـلـصـلاة. كـانـت مـعـهـم دلاء مـن المـاء والصّابون ويمسـحون الأرض. دفـعَت ثيابـهـم الخـيش وصنادلهم سـرسـي إلى اعتقادهم عـصاـفـير، إلى أن رفعَ أحدهم رأسه، لترى وجهه المحمر كالبنجر والقروح المفتوحة النَّازفة في يديه. خاطبها الرَّجل قائلاً: «جلالة الملكة؟».

قالت وهي تكاد لا تُصدِّق ما تراه: «السيِّتون راينارد؟ ماذا تفعل على رُكبتيك؟» - «يُتَطَّف الأرض». المتكَلِّم أقصر قامَةً مـن الملكة بعـدَّة بوصـات، ورفـيع كعصا المقـشَّة. «العمل صـورة مـن صُور العبـادة، ويُرـضـي (الحـدَّاد) للغايـة»، ونـهضَ الرَّجل حاملاً فُرْشاةً خشنَةً، وقال: «جلالة الملكة، كنا ننتظر حضورك».

لحيـة الرَّجـل بـنـيَّة شـائبة ومشـدَّبة بعنايـة، وشعـره معقـود بإحكامٍ وراء رأسـه، وعـلـى الرغـم مـن أن ردائه نظيف فإنـه مـهـترئ ومـرتوق، وكـان قـد شـمَّر كُـمـيـه حتـى المِرفقين بينما يحكُّ الأرض، لكن تحت رُكبتيه القُماش مبتل تماماً. له وجه مدبَّب وعينان غائضتان بِنِيتان كالطَّمي، ورأت سـرسـي قدميه فقالت لنفسها مشدوهُة: حافيتان. ثم إنهما شنيعتان أيضاً، صُلبتان قاسيتان وجِلدهما يابس. «أنت صاحب القداسة الأعلى؟».

- «نحن كذلك».

أبانا، امنحني القوَّة. تعلم الملكة أن عليها أن تركع، لكن الأرض مبتلة بالمياه المتسخة والصّابون، وليست راغبةً في إتلاف فُستانها. تطلَّعت إلى المسَّيين على رُكبهم، وقالت: «لا أرى صديقي السيِّتون توربرت».

- «السيِّتون توربرت محتجَز في صومعة توبة ويقتات بالخُبز والماء. من الإثم أن يكون رجل ما بدينًا هكذا بينما يتصوَّر نصف البلاد جوعاً».

تحمَّلت سـرسـي ما يكفي ليومٍ واحد، فتركته يرى غضبها إذ قالت: «أهكذا تُحَيِّيني؟ بفُرْشاةٍ يَقْطُر منها الماء في يدك؟ هل تعرف مَنْ أنا؟».

أجابَ الرَّجل: «أنت صاحبة الجلالة الملكة الوصيَّة على عرش (الممالك السَّبع)، لكن مكتوب في (النَّجمة السُّباعيَّة) أنه كما يحني الإنسان رأسه لِسَادته، والسَّادة لملوكهم، فعلى الملوك والملكات حني رؤوسهم للسَّبعة الذين هم واحد».

هل يقول لي أن أركع؟ إذا كان الأمر هكذا فهو لا يعرفها جيّدًا. «كان المفترض أن تُقابلني على السّلام في أبهى صورةٍ وعلى رأسك التّاج البلّوري». - «ليس لدينا تاج يا جلالة الملكة».

ردّت بوجهٍ ازدادَ جهامةً: «السّيّد والدي أهدى إلى سلفك تاجًا نادر الجَمال من البلّور والذهب المغزول».

قال السيّتون الأعلى: «ولهذه الهدية نذكره بالخير في صلواتنا، لكن الفقراء في حاجةٍ إلى طعامٍ في بطونهم أكثر مما نحتاج إلى الذهب والبلّور على رأسنا. ذلك التّاج بيع، وكذا جميع التّيجان الأخرى في خزائنا، إضافةً إلى خواتمنا وأرديتنا المصنوعة من قُماش الذهب وقُماش الفضة. الصّوف يصلح لتدفئة المرء بالقدر ذاته. لهذا خلق (السّبعة) الخراف».

يا لجنونه المطبق. لا بُدّ أن أعضاء مجلس القانتين كانوا مجانيين أيضًا إذ رَقّوا مخلوقًا كهذا... مجانيين أو مرعوبين من المتسوّلين على أبوابهم. هامسو كايبرن ادّعوا أن تسعة أصواتٍ كانت تفصل السيّتون لوشن عن التّرقية حين انفتحت تلك الأبواب، وتدقّق العصافير إلى (السّيّت الكبير) حاملين قائدهم على أكتافهم والفؤوس في أيديهم.

حدّثت إلى الرّجل الصّغير بنظرةٍ جليديّة متسائلةً: «أهناك مكان نستطيع الكلام فيه على انفراد يا صاحب القداسة؟».

ناول السيّتون الأعلى أحد القانتين فُرشاته مجيبًا: «تفضّلي واتبعيني يا صاحبة الجلالة».

قادَها عبر الباب الدّاخلي إلى صحن السيّيت وتردّدت أصدقاء خُطاهما على الأرضيّة الرّخام، وقد طفا الهباء في أشعة الضوء الملوّن المتسلّلة من زُجاج القُبّة العظيمة المطلي بالرّصاص، وعطر البخور الهواء، وإلى جوار المذابح السّبعة تألّقت الشّموع كالنّجوم. لـ (الأم) تتلألأ ألف شمعة، ولـ (العذراء) نحوها، لكن يُمكنك أن تُحصى الشّموع المضاءة لـ (الغريب) على أقلّ من عشرة أصابع.

بلغ غزو العصافير قلب السيّيت. أمام (المُحارب) تركع دسّته من الفُرسان المتجوّلين متّسخي الملبس، يتضرّعون إليه أن يُبارك السيّوف التي كوّموها عند قدميه، وعند مذبح (الأم) يقود سيّتون مئةً من العصافير في الصّلاة، بعيدة أصواتهم كالموج على السّاحل. قاد السيّتون الأعلى سريسي إلى حيث ترفع (العجوز) مصباحها، ولمّا ركع أمام مذبحها لم تجد خيارًا إلا الرّكوع إلى جواره، لكن من الرّحمة أن هذا السيّتون الأعلى لا يجنح إلى الإطناب في الصّلاة كسلفه السّمين. أظن أن عليّ أن أمتن لهذا على الأقل.

لم يُحاول صاحب القداسة الأعلى القيام حين فرغ من الصّلاة، ويبدو أن عليهما أن يتشاورا راكعين. فكّرت وقد وجدت هذا طريقًا: حيلة من رجل وضع. «صاحب القداسة، هؤلاء العصافير يُخيفون أهل المدينة. أريدكم أن يرحلوا».

- «وأيّن يذهبون يا جلاله الملكة؟».

ثمة سبع جحائم، أيّ منها يصلح. «إلى حيث جاءوا كما أتصوّر».

- «لقد جاءوا من كلّ مكان. مثل العُصفور الأكثر تواضعًا وشيوعًا بين الطيور، هم أكثر الناس تواضعًا وشيوعًا».

إنهم شائعون بالفعل، على هذا نتفق. «هل رأيت ما فعلوه بتمثال بيلور المبارك؟ إنهم يُدسّون السّاحة بخنازيرهم وماعزهم وفضلاتهم».

- «غسل الفضلات أسهل من غسل الدّماء يا جلاله الملكة. إذا دُئست السّاحة فقد دُئسها الإعدام الذي تمّ هنا».

هل يجرؤ على إلقاء ند ستارك في وجهي؟ «كلّنا آسفون لهذا. چوفري كان صغيرًا ولا يتمتّع بحكمة كافية. كان يجب قطع رأس اللورد ستارك في مكانٍ آخر احترامًا لبيلور المبارك... لكن دعنا لا ننسى أن الرّجل كان خائنًا».

- «الملك بيلور عفا عمّن تأمروا ضده».

الملك بيلور حبس أخواته اللاتي كانت جريترهن الوحيدة جمالهن. أول مرّة سمعت سرسي هذه الحكاية ذهبت إلى غرفة تيريون الرضيع وقرصته حتى انفجر باكيا.

كان حريّا بي أن أكتّم أنفاسه وأدسّ جوربي في فمه. أجبرت نفسها على الابتسام قائلة: «والملك تومن سيعفو عن العاصير أيضًا ما إن يرحلوا إلى ديارهم».

- «أكثرهم فقدّ داره. المعاناة في كلّ مكان... والحزن والموت. قبل مجيئي إلى (كينجز لاندنج) اعتدتُ التّجوال بين عشرات القرى الأصغر من أن يكون لها سيّتونها الخاص، وسرّْتُ من كلّ واحدةٍ إلى التّالية مقيمًا طقوس الرّفاف وغافرًا خطايا الخطاة ومسمّيًا المواليد. تلك القرى لم يَعد لها وجود يا جلاله الملكة، والحشائش والأشواك تنمو حيث كانت الحدائق المزهرة، وعظام الموتى ملقاة على قارعة الطريق».

- «الحرب شيء فظيع. هذه البشاعات من صنّع الشماليّين واللورد ستانيس ورجاله عبدة الشّياطين».

- «بعض عاصيري يتكلّمون عن جماعاتٍ من الأسود انتهكت حرمتهم... وعن كلب الصّيد الذي كان رجلكم الوفي. في (الملاحات) فتكّ بسيّتون مسن واغتصب فتاةً في الثّانية عشرة، طفلةً بريئة موعودةً للعقيدة. كان يرتدي درعه بينما يغتصبها، ومزّقت حلقاته المعدنية لحمها الغضّ وسحقه، ولمّا فرغ منها تركّها لرجاله الذين قطعوا أنفها وثديها».

- «لا يُمكن تحميل جلاله الملك مسؤولية كلّ رجلٍ سبقت له خدمة عائلة لانستر. ساندور كليجاين خائن متوحّش. لماذا تحسبني صرفته من خدمتنا؟ إنه

يُقاتِل لحساب المجرم بريك دونداريون الآن، وليس الملك تومن». - «كما تقولين، لكن يجب ألا تُغفل هذا السؤال... أين كان فُرسان الملك عندما جرى هذا؟ ألم يُقسِمَ چِهريس المُصلح ذات يومٍ على العرش الحديدي نفسه أن التَّاج سيُدافع عن العقيدة دومًا ويحميها؟».

لا تدري سرسي بِمَ أقسمَ چِهريس المُصلح، لكنها قالت متَّفقةً: «صحيح، وباركهُ السيِّيتون الأعلى ومرَّخه بالزُّيوت المقدَّسة باعتباره الملك. لقد جرَّت العادة على أن يُبارك كلُّ سيِّيتون أعلى جديد الملك... ومع ذلك تَرُفُّص مباركة الملك تومن».

- «جلالتك مخطئة. نحن لم نَرُفُّص».

- «لكنك لم تأتِ».

- «لم تَجِن ساعة القطاف بعد».

أأنت راهب أم خُصري؟ «وما الذي يُمكن أن يجعلها... تحين؟». إذا جرَّوْ على ذكر الذَّهب سيأتعاملُ معه كما تعاملتُ مع سابقه وأجدُ طفلًا ورعًا في الثامنة يعتمر التَّاج البلوري.

- «البلاد ملأى بالملوك، ولتُعلي العقيدة واحدًا فوق البقية يجب أن نكون واثقين. قبل ثلاثمئة عام، عندما رسا إجون الفاتح عند هذا التِّلِّ تحديدًا، حبسَ السيِّيتون الأعلى نفسه في (السيِّيت النِّجمي) في (البلدة القديمة) وصلَّى سبعة أيَّام وسبع ليالٍ دون غِذاءٍ إلَّا الخُبز والماء، وحين خرجَ أعلنَ أن العقيدة لن تُنْـاوئَ إجون وأختيه، لأن (العجوز) رفَعَت مصباحها وأرته المستقبل. لو رفَعَت (البلدة القديمة) السِّلاح ضد التَّنين لاحتَرَقَت، ولحاقَ الخراب والدمار بـ (البرج العالي) و(القلعة) و(السيِّيت النِّجمي). اللورد هايتاور كان رجلًا متديَّنًا، ولمَّا سمعَ النبوءة أبقي قوَّاته في دياره وفتحَ بوابات المدينة لإجون لدى وصوله، ومرَّخَ صاحب القداسة الأعلى الفاتح بالزُّيوت السَّبعة. عليَّ أن أفعل ما فعله السيِّيتون الأعلى قبل ثلاثمئة عام، عليَّ أن أصلي وأصوم».

- «سبعة أيَّام وسبع ليالٍ؟».

- «مهما تطلَّب الأمر».

فكَّرت سرسي وهي تتحرَّق شوقًا إلى صفعه على وجهه الرَّصين: أستطيعُ مساعدتك على الصَّيام، أستطيعُ أن أحبسك في بُرجٍ ما وأحرص على ألاَّ يأتِكَ أحد بطعامٍ إلى أن تقول الآلهة كلمتها. قالت له مذكِّرةً: «هؤلاء الملوك الرَّاغفون يعتنقون أديانًا باطلةً. ملكنا تومن يُدافع عن العقيدة المقدَّسة».

- «ومرَّع ذلك تُحرق السيِّيتات وتُسرق في كلِّ مكان، وحتَّى الأخوات الصَّامتات اغتُصِبْنَ ويرفعن أصواتهن الملتاعة

إلى السماء. هل رأيت صاحبة الجلالة عظام وجماجم إخواننا المؤمنين؟».

ردت مرغمة: «رأيتها. امنح تومن البركة وسيضع نهاية لهذه الانتهاكات».

- «وكيف سيفعل ذلك يا جلالة الملكة؟ هل سيرسل فارسًا يمشي على الطرق مع كل أخ شحاذ؟ هل سيعطينا رجالًا لحماية سيتواتنا من الذئاب والأسود؟».

سأظهار بأنك لم تذكر الأسود. «البلاد في حرب. صاحب الجلالة في حاجة إلى كل رجل». لا نية لدى سرسي في تبديد قوة تومن بإرسال رجاله للعب دور الممرضات مع العصافير أو حراسة الفروج المتغصنة لألف سبتة كئيبه. على الأرجح يصلي نص فهن طلبًا للاغتصاب. «عصافيرك يحملون روايات وفؤوسًا. فليدافعوا عن أنفسهم».

- «قوانين الملك ميجور تحظر ذلك كما تعلم صاحبة الجلالة بالتأكيد. بمرسوم منه لم تعد العقيدة تحمل السيف».

- «تومن الملك الآن لا ميجور». لم ثبالي بما فرضه ميجور المتوحش قبل ثلاثمئة عام؟ بدلًا من أخذ السيف من أيدي المؤمنين كان عليه استغلالها في تحقيق مآربه.

أشارت إلى (المحارب) الواقف فوق مذبحه الرخامي الأحمر، وسألت: «ما هذا الذي يحمله؟».

- «إنه سيف».

- «هل نسي كيف يستخدمه؟».

- «قوانين ميجور...».

- «... قابلة للإلغاء»، قالتها وتركت القول يسبح في الهواء منتظرة أن يلتقط السبتون الأعلى الطعم.

ولم يخيب الرجل ظنه، وقال: «ميلاد مناض لي العقيدة من جديد... ستكون هذه إجابةً لثلاثمئة عام من الدُّعاء يا جلالة الملكة. سيرفع (المحارب) سيفه ثانيةً ويظهر هذه البلاد الأثيمة من شرورها. إذا سمح لي صاحب الجلالة بإحياء جماعتي السيف والنَّجمة العريقتين المباركتين فسيعرف كل مؤمن في (الممالك السبع) يقينًا أنه مولانا الشرعي الحق».

رائع أن تسمع هذا، لكن سرسي حرصت على عدم إبداء لهفتها، وقالت: «تكلمت منذ قليل عن العفو يا صاحب القداسة الأعلى. في هذه الأوقات العصيبة سيكون الملك تومن ممتنًا للغاية إذا وجدت وسيلة للعفو عن ديون التاج. على حد علمي نحن مدينون للعقيدة بنحو تسعمئة ألف تين».

- «تسعمئة ألف وستمئة وأربعة وسبعون، ذهب من شأنه إطعام الجياع وإعادة بناء ألف سيّت».

سألتها الملكة: «هل تُريد الذهب أم إبطال قوانين ميجور التي عفا عليها الزّمن؟».

فكّر السيّتون الأعلى لحظةً، ثم قال: «كما ترغبين. سنغفو عن هذا الدّين، وسينال الملك تومن البركة. سيصحبني أبناء المُحارب إليه متألّقين بمجد عقيدتهم، بينما يذهب عسافيري للدّفاع عن الضعفاء والمساكين في البلاد، مولودين من جديد كجماعة الصّعاليك القديمة».

نهضت الملكة وسوّت ثُورتها قائلةً: «سأمر بتجـهيز الأوراق، وسـيُوقّعها جلالته ويضـع عليـها الختم الملكـي». إذا لكـان هنـاك جزء من الملـك يحـبّه تـومن فـهو الـلعـب بختمه.

قال السيّتون الأعلى: «فليحمله (السّبعة) وعسى أن يطول حُكمه»، وشبّك أصابعه ورفع عينيه إلى السّماء، وأردف: «فليرتجف الأشرار!».

هل تسمع يا لورد ستانيس؟ لم تستطع سرسي أن تمنع نفسها من الابتسام. ما كان السيّد والدها نفسه ليُبلي بلاءً أحسن. بضربةٍ واحدة خلّصت (كينجز لاندنج) من وباء العسافير وأمنت بركة تومن وخفّضت نحو مليون تيّن من ديون التّاج. كان قلبها يُخلّق تحليقًا إذ سمحت للسيّتون الأعلى باصطحابها عائدةً إلى (بهو القناديل).

شاركتها الليدي ميريوذر ابتهاجها، مع أنها لم تسمع قطّ بأبناء المُحارب أو جماعة الصّعاليك، فشرحت لها سرسي قائلةً: «تاريخهم يرجع إلى ما قبل غزوة إاجون.

أبناء المُحارب كانوا جماعةً من الفرسان الذين تنازّلوا عن أراضيهم وذهبهم وأقسّموا على تكريس سيوفهم لصاحب القداسة الأعلى. الصّعاليك... كانوا رجالاً أكثر تواضعًا ولو أن أعدادهم كانت أكبر كثيرًا، نوعًا من الإخوة الشّحّاذين ولكن يحملون الفؤوس بدلًا من الآنية. اعتادوا أن يجوبوا الطرق ويصطحبوا المُسافرين من سيّت إلى سيّت وبلدة إلى بلدة حاملين شارة النّجمة السّباعيّة، أحمر على أبيض، فسماهم العامّة النّجوم. أمّا أبناء المُحارب فارتدوا معاطف بألوان قوس قزح ودروعًا فضيّة مزخرفة فوق قمصانٍ من الشّععر، وكانت في قبعة سيف كلّ منهم بلّورة على شكل نجمة. هؤلاء كانوا السيوف. مؤمنون، متنسّكون، متعصّبون، مشعوذون، قتلة تنانين، صيّادوا شياطين... الحكايات عنهم عديدة، لكن جميعها متّفق على أنهم كانوا لا يُبارون في كراهيتهم لكلّ أعداء العقيدة المقدّسة».

قالت الليدي ميريوذر وقد فهّمت في الحال: «أعداء كاللورد ستانيس ومشعوذته الحمراء مثلًا؟».

رَدَّتْ سرسي: «نعم، بالفعل»، وقَهَقَتْ كفتاةً صغيرة، وقالت: «هل نفتح برميلاً من الهيبوكراس ونشرب نخب حمية أبناء المُحارب في طريقنا؟». - «نخب حمية أبناء المُحارب وعبقريّة الملكة الوصيّة على العرش! نخب سرسي الأولى!».

كان الهيبوكراس خُلواً لذيذاً كانتصار سرسي، وبدا هودج الملكة كأنه طافٍ في الهواء في طريق العودة عبر المدينة.

لكن عند سفح (تَلْ إجون العالي) صادفت مارچري تايرل وبنات عمومتها العائدات من ركوب الخيل، ولمّا وقَعَت عيناها على الملكة الصّغيرة قالت سرسي لنفسها بضيق: تُزعجني في كلّ مكان.

وراء مارچري طابور طويل من أفراد حاشيتها، حُرّاس وخدم يحمل كثيرون منهم سلاّلاً من الزُّهور النّاضرة، وقد لازمَ كلّاً من بنات عمومتهما أحد المعجبين، فركبَ المُرافِق الطّويل الهزيل آلن أمبروز إلى جوار خطيبته إلينور، والسّيرتالاد مرعّ آلا الخجول، ومقطوع الذّراع مارك مالن دور مرع مجا الممتلئة الضّحوك، وصاحب التّوأمان ردواين اثنتين من رفيقات مارچري الأخريات، ميريديث كرين وچانا فوسواي. وضَعَت كلّ النّساء في شعورهن الزُّهور، وضَمَّ چالابار شو نفسه إلى الرّكب أيضاً، بالإضافة إلى السّير لامبرت ترنبري بالرّقعة على عينه، والمغّيّ الوسيم المعروف باسم الشّاعر الأزرق.

وبالطّبع لا بُدّ أن يُصاحب فارس من الحرس الملكي الملكة الصّغيرة، وبالطّبع هو فارس الزُّهور. بدا السّير لوراس متألّقاً في دِرعه البيضاء المنقوشة بالذهبي. على الرّغم من أنه لم يُحاول ثانيةً أن يُدَرِّب تومن على السّلاح فما زالَ الملك الصّغير يقضي أوقاتاً طويلةً للغاية معه، وكلّما عادَ الصّبي بعد أن أمضى الأصيل مع زوجته الصّغيرة حكى قصّةً جديدةً عن شيءٍ قاله السّير لوراس أو فعله.

حيثهم مارچري عندما التقى الرّكبان وركبت إلى جوار هودج الملكة. كانت وجنتاها متورّدتين، وحليقات شعرها البنيّة تنسدل بلا انتظامٍ على كتفيها، تُحرّكها مجرد نفخة ريحٍ خفيفة. قالت لهم: «كنا نقطف زهور الخريف من (غابة الملوك)».

أعرفُ أين كنتم. مُخبروها مفلحون للغاية في إطلاعها على كلّ حركات مارچري وسكناتها. فتاة ملول للغاية ملكتنا الصّغيرة هذه. نادراً ما تترك ثلاثة أيامٍ بأكملها تمرّ دون أن تخرُج للركوب. أحياناً يركبون على طريق (روزبي) لصيد الأصداف والأكل على شاطئ البحر، وفي أحيانٍ أخرى تأخذ حاشيتها عبر النّهر لقضاء الأصيل في الصّيـد بالصّقور. الملكة الصّغيرة مولعة بركوب القوارب أيضاً، والإبحار جيئةً وذهاباً في (النّهر الأسود) بلا وجهةٍ بعينها، ولمّا يـعزّ إليها الإيمـان تُغادر القلعة لتُصَلّي في (سپت بيلور)، ثم إنها زبونة عند دستةٍ من الخيّاطات، ومعروفة جيّداً وسط صاغة المدينة، بل ومعروفة

أيضًا بزيارة سوق السمك عند (بوابة الطمي) لثُلقي نظرة على صيد اليوم. أينما ذهبت يترلف إليها العامة، والليدي مارچري تفعل كل ما في إمكانها لثُل هب حماسهم. بلا انقطاع تنصّد على المتسوّلين وتشتري الفطير الساخن من عربات الخبّازين وتوفّر حصانها لتتكلّم مع عوام الثّجار.

لو كان الأمر بيدها لجعلت تومن يفعل كلّ تلك الأشياء أيضًا. طوال الوقت تدعوه إلى المجيء معها ودجاجاتها في مغامراتهن، وطوال الوقت يتوسّل الصّبي إلى أمّه لتأذن له في الذهاب، وقد وافقت الملكة بضع مرّات، ولو فقط لتسمح للسير أوزني بقضاء بضع ساعاتٍ إضافيّة في رفقة مارچري. كأن هذا أثمر شيئًا. أوزني خيب آمالي تمامًا. سألت سرسي ابنها: «هل تذكر يوم أبحرت أختك إلى (دورن)؟ هل تذكر عُواء الرّعاع في طريق عودتنا إلى القلعة؟ والحجارة واللّعنات؟».

لكن بفضل الملكة الصّغيرة صمّ الملك أذنيه عن سماع صوت العقل، وقال: «إذا اختلطنا بالعامة فسيحبّوننا أكثر».

ذكرته قائلة: «الرّعاع أحبّوا السيّتون الأعلى السّمين لدرجة أنهم مرّقوه إربًا رغم قدسيّته»، لكن قولها لم يُفرض إلّا إلى وجوم تومن. أراها أن هذا ما أرادته مارچري بالضبط. كلّ يومٍ تُحاول بكلّ وسيلة أن تسرقه مني. كان چوفري ليستشف الدّسائس المتوارية تحت ابتساماتها، لكن تومن أكثر سذاجة. فكّرت متذكّرة العُملة الذهب التي وجدها كايبرن: كانت تعلم أن چوف أقوى من أن تحتال عليه، ولأجل أن يكون لعائلة تايرل أمل في الحُكم كان يجب أن يُزاح. عادَ إلى ذاكرتها فجأة أن مارچري وجدها الشّنيعَة خطّطت ذات مرّة لتزويج سانزا س-تارك ب-ويلاسي أخ-ي الملكة الصّغيرة المُعاق، وقد أحبّط الل-ورد ت-ايوين هذا المخ-طط باس-تباقي آل ت-ايرل وتزويج سانزا بت-يريون، لكن الرّابط موجود. قالت لنفسها مفزوعة وقد حطّ عليها الإدراك: ك-لهم مت-أمرون مرّعا. آل ت-ايرل رشّوا السّجّانين لإطلاق س-راح ت-يريون وهربوه على (الطريق الوردي) لينضمّ إلى عروسه البغيضة. لا بُدّ أنهما أمان الآن في (هايجاردن)، مختبئان وراء جدارٍ من الورود.

بينما صعدوا منحدر (تل إجون العالي) واصلت المت-أمرة الصّغيرة ثرثرتها قائلة: «ليتِك أتيت معن-ي-ا جلالَة الملكة. كن-ا لنقض-ي وقتًا رائعا مرّعا. الأش-جار متّشحة بالذهبي والأحمر والبُرّتقالي، والزّهور في كلّ مكان، والكستناء أيضًا. شويانا القليل في طريق العودة».

قالت سرسي: «ليس لديّ وقت للركوب في الغابة وقطف الزّهور. إن عندي مملكةً أحكمها».

رَدَّت مارچري: «واحدة فقط يا جلالة الملكة؟ وَمَنْ يَحْكُم السِّتِ الأخريات؟»، وأُطْلِقَتْ ضَحْكَةً مَرَحَةً قَصِيرَةً، وَأَرْدَقَتْ: «أَمَلُ أَنْ تَغْفِرَ لِي مَزْحَتِي. أَعْرِفُ الْعَبءَ الَّذِي تَحْمِلِينَهُ. يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَدْعِينِي أَشَارَكَكِ إِياه. لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ أَشْيَاءَ يُمَكِّنُنِي فِعْلُهَا لِأَعْيُنِكَ. سَيُضَعُ هَذَا حَدًّا لِكُلِّ الْكَلَامِ الدَّائِرُ عَنْ تَنَافُسِنَا عَلَى الْمَلِكِ». مَبْتَسِمَةً قَالَتْ سِرْسِي: «أَهَذَا مَا يَقُولُونَ؟ حِمَاة. إِنْنِي لَمْ أَعِدْكِ مَنَافِسَةً قَطُّ وَلَوْ لِحِظَةً».

لَمْ يَبْدُ عَلَى الْفَتَاةِ أَنَّهَا أَدْرَكَتْ مَا فِي رَدِّهَا مِنْ اسْتِخْفَافٍ، وَقَالَتْ: «يَسِّرُنِي لِلْغَايَةِ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا. يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ مَعْنَا أَنْ تَوْتِ مِنَ الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ. أَعْرِفُ أَنَّ جَلَالَتَهُ سَيُحِبُّ هَذَا. الشَّاعِرُ الْأَزْرَقُ يُغْنِي لَنَا، وَالسَّيْرُ تَالَادَ أَرَانَا كَيْفَ نُقَاتِلُ بِالنَّبَابِيَتِ عَلَى غَرَارِ الْعَوَامِ. الْغَايَةُ جَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ فِي الْخَرِيفِ».

- «زَوْجِي الرَّاحِلُ أَحَبُّ الْغَايَةِ أَيْضًا». فِي سَنَوَاتِ زَوَاجِهِمَا الْأُولَى كَانَ رُوبَرْتُ يُنَاشِدُهَا طَوَالَ الْوَقْتِ أَنْ تَذْهَبَ مَعَهُ لِلصَّيْدِ، لَكِنْ سِرْسِي اعْتَذَرَتْ دَوْمًا، إِذْ أَتَا حَتَّ لَهَا رِحَالَتَهُ قِضَاءَ الْوَقْتِ مَعَ چَايْمِي. نَهَارَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلِيلَاتٍ مِنْ فَضَةٍ. لَا شَكَّ أَنَّهِمَا كَانَا يُجَازِفَانِ، فِي (الْقَلْعَةِ الْحُمْرَاءِ) مَلَأَى بِالْأَعْيُنِ وَالْأَذَانِ دَوْمًا، وَلَمْ يَكُونَا مُتَاكِدَيْنِ مَتَى قَدْ يَعُودُ رُوبَرْتُ، لَكِنْ بِوَسِيلَةٍ مَا جَعَلَ الْخَطَرَ أَوْقَاتِهِمَا مَعًا تَبْدُو أَكْثَرَ إِثَارَةً مَرَارًا. قَالَتْ لِلْمَلِكَةِ الصَّغِيرَةِ مُحْدِرَةً: «وَلَوْ أَنَّ الْجَمَالَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْفِيَ خَطَرًا مُمِيتًا أَحْيَانًا. رُوبَرْتُ فَقَدْ حَيَاتِهِ فِي الْغَايَةِ».

مِنْحَتْ مَارْچَرِي السَّيْرَ لُورَاسَ ابْتِسَامَةً أَخَوِيَّةً عَذْبَةً مَفْعَمَةً بِالْحَنَانِ، وَقَالَتْ: «لُطْفٌ مِنْ جَلَالَتِكَ أَنْ تَخَافِي عَلَيَّ، لَكِنْ أَخِي يَحْمِينِي جَيِّدًا».

عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ أَلَحَّتْ سِرْسِي عَلَى رُوبَرْتِ قَائِلَةً: اذْهَبْ لِلصَّيْدِ، أَخِي يَحْمِينِي جَيِّدًا. تَذَكَّرَتْ مَا قَالَتْهُ تَابِنَا قَبْلًا، وَتَفَجَّرَتْ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهَا ضَحْكَةً.

ابْتَسَمَتْ لَهَا الْيَدِي مَارْچَرِي بِفَضُولٍ، وَقَالَتْ: «ضَحْكَةُ جَلَالَتِكَ جَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ. هَلَّا أَشْرَكْتِنَا فِي الدُّعَاةِ؟».

رَدَّت الْمَلِكَةُ: «سَتَشْتَرِكُونَ فِيهَا، هَذَا وَعْدٌ».

المُغير

دَقَّتْ طَبُولُ المعركة و(النَّصر الحديدي) تتقَدَّم مسرعةً، يشقُّ مِدْكَه الميَاه الخضرَاء المتلاطمة نحو السفينة الأصغر حجماً التي تدور أمامهم ومجاذيفها تضرب البحر وعلى راياتها تُزَفَرُ الورود؛ من كلِّ من المقدِّمة والمؤخِّرة ترتفع وردة بيضاء على خلفيَّة حمراء بشكل المِجَنِّ، وفوق صارياتها وردة ذهبية على خلفيَّة خضراء كالنَّجِيل. ارتطمت (النَّصر الحديدي) بجانبها بعنفٍ أَفْقَدَ يَصِفُ رجال فرقة الاقتحام توازنهم، وانقصمت المجاذيف وتشطت بصوتٍ تَرَدَّدَ في أذني القائد كلحنٍ أَخَذَ.

وثَبَّ من فوق الحاجز وَحَطَّ على السَّطح الأدنى ومعطفه الذهبي يخفق وراء ظهره، فتراجعت الورود البيضاء كدأب الرِّجال الدَّائم لدى مرأى فيكتاريون جراجوي مسلحاً مدرَّعاً وقد توارى وجهه تحت خوذة الكراكن. كانوا يحملون سيوفاً وجِراباً وفؤوساً، غير أن تسعةً من كلِّ عشرةٍ لا تحميهم دروع، والعاشر لا يرتدي أكثر من قميصٍ من الحلقات المعدنية المخيطة. هؤلاء ليسوا رجالاً حديديين، ما زالوا يخافون الغرق.

صاح أحدهم: «نلوا منه! إنه بمفرده!».

وهدر فيكتاريون مجيئاً: «هلمُّوا! تعالوا واقتلونني إن استطعتم!».

من كلِّ صوبِ التَّفِّ مُحاربو الورود حوله، في أيديهم الفولاذ الرَّمادي وفي أعينهم الذعر، محسوسٌ ملموسٌ خوفهم لدرجة أنه تذوّقه على لسانه. شيمالاً ويميئاً انْهَالَ بضرباته شاطراً ذراع الرِّجل الأول من عند المِرْفَق وفالقاً كتف الثاني، ودفنَ الثالث رأس فأسه في خشب تُرس فيكتاريون الصَّنوبري اللِّين، فهوى به على وجه الأحمق طارحاً إياه أرضاً، وقتله لمَّا حاولَ النهوض.

بينما يُحاول انتزاع فأسه من قفص القَتِيل الصِّدري وخزته حربة بين لوحَي الكتفين، فأحسَّ كأن أحداً لطمه على ظهره، ودارَ فيكتاريون على عقبه وهوى بفأسه على رأس حامل الحربة شاعراً بتأثير الصِّدمة في ذراعه إذ شَقَّ الفولاذ الخوذة والشَّعر والجمجمة. ترنَّح الرِّجل لحظةً أو أقلَّ، ثم انتزع القائد الحديدي فولاده وتركَ الجثة تَسْقُطُ بأطرافٍ مرتخية على سطح السفينة وهي تبدو سكرانة أكثر من ميتة.

عندها لَكانَ رجاله الحديديُّون قد تبعوه إلى سطح السفينة الطويلة المحطمة. سمعَ وولفَ ذا الأذن الواحدة يُطلقُ عَوَاءً وهو يبداً العمل، ولمَحَ راجنور بايِك في قميصه المعَدني الصِّدئ، ورأى نيوت الحلاق يُلقِي فأساً دارت في الهواء وأصابت أحد الخصوم في صدره. قتَلَ فيكتاريون رجلاً آخرَ وآخر، وكانَ لِيَقْتُلَ ثالِثاً على التَّوالي، لكن راجنور أرداه أولاً، فجأراً مخاطباً إياه: «أحسنْتَ القِتْلَةَ!».

حين التفتَ باحثًا عن ضحية فأسه التَّالِيَةُ أَبْصَرَ الرَّبَّانَ الْآخَرَ عَبرَ سَطْحِ السَّفِينَةِ، سَترتهُ البِيضَاءُ الطَّوِيلَةُ مَلَوْنَةٌ بِالدَّمِ الطَّازِجِ وَالْمَتَخَيَّرِ، إِلَّا أَنَّ فَيَكْتَارِيُونَ مَيَّزَ الرَّمْزِ عَلَى صَدْرِهِ، الْوَرْدَةَ الْبِيضَاءَ عَلَى الْمَجَنِّ الْأَحْمَرِ، وَقَدْ حَمَلَ ثُرْسَهُ الرَّمْزِ نَفْسَهُ عَلَى خَلْفِيَّةٍ بِيضَاءَ مُؤَطَّرَةٍ بِشَكْلِ شُرَفَاتِ الْحَصَنِ. نَادَاهُ الرَّبَّانُ الْحَدِيدِي عَبرَ الْمُقْتَلَةِ بَيْنَهُمَا: «أَنْتِ! أَنْتِ يَا حَامِلَ الْوَرْدَةِ! أَنْتِ سَيِّدَ (ثُرْسِ الْجَنُوبِ)؟». رَفَعَ الرَّبَّانُ الْآخَرَ مُقَدِّمَةَ خُوذَتِهِ لِيُظْهَرَ وَجْهَهُ الْحَلِيقِ، وَأَجَابَ: «ابْنَهُ وَوَرِيثَهُ، السَّيْرُ تَالِبَرْتُ سِيرِي. وَمَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الْكِرَاكِينُ؟». رَدَّ فَيَكْتَارِيُونَ: «مَوْتُكَ»، وَانْقَضَ عَلَيْهِ.

وَتَبَّ سِيرِي يُجَابِهُهُ رَافِعًا سَيْفَهُ الْفُولَاذِي الْمَطْرَقَ فِي قَلْعَةٍ، وَقَدْ جَعَلَهُ الْفَارِسُ الشَّابَّ يُغْنِي. كَانَتْ ضَرْبَتُهُ الْأُولَى مُنْخَفِضَةً وَتَلَقَّاهَا فَيَكْتَارِيُونَ عَلَى فَاسِهِ، وَأَصَابَتْ الثَّانِيَةُ الرَّبَّانَ الْحَدِيدِي عَلَى خُوذَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ ثُرْسَهُ، فَرَدَّهَا بِضَرْبَةٍ جَانِبِيَّةٍ مِنْ فَاسِهِ اعْتَرَضَهَا ثُرْسُ سِيرِي لِتَتَطَايَرُ شَيْطَايَا الْخَشْبِ وَتَنْشِقَ الْوَرْدَةُ الْبِيضَاءُ بِالطَّوْلِ بِصَوْتٍ حَادٍ عَذْبٍ. هَوَى السَّيْفُ الطَّوِيلُ عَلَى فَخْذِهِ مَرَّةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَلَاثًا صَارِحًا مَعَ احْتِكَاكِهِ بِفُولَاذِ دِرْعِهِ، فَقَالَ الرَّبَّانُ الْحَدِيدِي لِنَفْسِهِ: الصَّبِي سَرِيعٌ، وَهُوَ بَثْرُسُهُ عَلَى وَجْهِهِ سِيرِي دَافِعًا إِيَّاهُ إِلَى الِاتِّرَاجِ مَتَرِيحًا إِلَى الْحَاجِزِ، ثُمَّ رَفَعَ فَيَكْتَارِيُونَ فَاسَهُ وَاضِعًا ثِقْلَهُ لَهْ وَرَاءَ ضَرْبَتِهَا لِيَفْلُقَ جِسْمَ الصَّبِيِّ مِنْ الْعُنُقِ إِلَى مَلْتَقَى الْفَخْذَيْنِ، لَكِنْ سِيرِي دَارَ مَتَمَلِّصًا، وَانْغَرَسَ رَأْسُ الْفَاسِ فِي الْحَاجِزِ الْخَشْبِيِّ مَطِيرًا الشَّطَايَا، وَلَمَّا حَاوَلَ فَيَكْتَارِيُونَ انْتِزَاعَهُ وَجَدَهُ عَالِقًا... وَتَحَرَّكَ ظَهْرُ السَّفِينَةِ تَحْتَ قَدَمِيهِ وَسَقَطَ عَلَى رُكْبَتِهِ.

أَلْقَى السَّيْرُ تَالِبَرْتُ ثُرْسَهُ الْمَهْشَمَ وَسَدَّدَ ضَرْبَةً بِسَيْفِهِ الطَّوِيلِ، وَكَانَ ثُرْسُ فَيَكْتَارِيُونَ قَدْ التَوَى جِزْئِيًّا حِينَ سَقَطَ، فَصَدَّ النَّصْلُ بِقَبْضَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، لِيَتَحَطَّمَ فُولَاذُ قُقَّازِهِ الْمُقَعَّرِ وَتَسْرِي فِي ذِرَاعِهِ طَعْنَةٌ مِنَ الْأَلَمِ جَعَلَتْهُ يَتْنُ، لَكِنَّهُ ظَلَّ مُتَشَبِّهًا، وَقَالَ: «أَنَا أَيْضًا سَرِيعٌ يَا فَتَى»، وَانْتَزَعَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ الْفَارِسِ وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ.

اتَّسَعَتْ عَيْنَا السَّيْرِ تَالِبَرْتِ، وَغَمَغَمَ: «سَيْفِي...».

طَوَّقَ فَيَكْتَارِيُونَ رَقَبَةَ الصَّبِيِّ بِقَبْضَتِهِ الدَّامِيَةِ قَائِلًا: «أَذْهَبْ وَاعْثُرْ عَلَيْهِ»، وَأَلْقَاهُ مِنْ فَوْقِ الْحَاجِزِ فِي الْمِيَاهِ الْمَلْطَخَةِ بِالْدِّمَاءِ.

مِنْحَهُ هَذَا فَتْرَةً رَاحَةً لِيُخَرِّرَ فَاسَهُ مِنَ الْخَشْبِ. كَانَتْ الْوُرُودُ الْبِيضَاءُ تَتَرَاوَعُ أَمَامَ السَّيْلِ الْحَدِيدِيِّ، يُحَاوِلُ بَعْضُهَا الْفِرَارَ إِلَى قَلْبِ السَّفِينَةِ وَيَصْرُخُ بَعْضُهَا مُتَوَسِّلًا الرَّحْمَةَ. شَعَرَ فَيَكْتَارِيُونَ بِالدَّمِ الدَّافِئِ يَسِيلُ عَلَى أَصَابِعِهِ تَحْتَ الْحَلَقَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَالْجِلْدِ وَالْفُولَاذِ الْمُقَعَّرِ، لَكِنْ هَذَا لَا شَيْءَ. حَوْلَ الصَّارِظَةِ رَأَى مَجْمُوعَةً مُلْتَزِمَةً مِنَ الْخُصُومِ يُوَاصِلُونَ الْقِتَالَ كَتَفًا إِلَى كَتَفٍ فِي حَلْقَةٍ، فَفَكَّرَ: هَؤُلَاءِ الْقَلَائِلُ رِجَالٌ عَلَى الْأَقْلِ، يُؤْثِرُونَ الْمَوْتَ عَلَى الْاسْتِسْلَامِ، وَدَقَّ بِفَاسِهِ عَلَى ثُرْسِهِ

وانقضَّ عليهم.

لم يخلق الإله الغريق فيكتاريون جراحوي للقتال بالكلمات في انتخاب الملك، ولا لمغالبة الأعداء الخفيين المتسللين في مستنقعات بلا نهاية، أمّا هذا فهو ما وُضِعَ على هذه الأرض لكي يفعله، لأن يقف مدرّعا بالفولاذ وفي يده فأس حمراء يَقَطُرُ منها الدّم، مُعملاً الموت مع كلِّ ضربة.

من الأمام والخلف هاجموه، لكن سيوفهم لم تُصِبْه بأذى كأنها غصون صَفَاف. لا نصل يُمكنه النفاذ من درع فيكتاريون جراحوي الثقيلة، ولا أعطى هو غُرماءه فرصة العثور على نقاط الضعف عند المفاصل حيث لا يقيه إلا الجلد وحلقات المعدن. فليهاجمه ثلاثة رجال، أو أربعة، أو خمسة، لا فرق. واحدًا تلو الآخر قتلهم مؤتمنًا فولاذه على حمايته من الآخرين، وإذ سقط كلُّ غريمٍ سلط فيكتاريون ثورته على التالي.

لا بُدَّ أن آخر رجل واجهه حدّاد، فللرجل كتفان ضخمتان كأكتاف كالثيران وإحداهما مفتولة العضلات أكثر من الثانية بكثير. ليست درعه أكثر من سترٍ جلدية مرصعة بالحديد وقبّعة من الجلد المقوّى، والضربة الوحيدة التي سدّدها أكملت دمار ثُرس فيكتاريون، لكن الضربة التي رَدَّ بها القائد شطرت رأسه نصفين. ليتني أسـتطيعُ التّعـامُل مـع عـين العـراب بـهذه البسـاطة. حين انـتزعَ رأس فأسـه ثانـيةً انفجـرَ رأس الحـدّاد، وتـناثرت العظام والـدّماء وخلايـا الـمُخ في كـلِّ مـكان، وسـقطت الجثّة إلـى الأمام علـى ساقـيه، وفكّر فيكتاريون وهو يُخْلِص نفسه من الرّجل الميت: فاتّ أوان توسّل الرّحمة.

عندئذٍ كان سطح السفينة قد صار زلّقا تحت قدميه، وأكوام الموتى والمحتضرين على كلِّ جانب. ألقى ثُرسه وعَبَّ الهواء، وسمع الحلاق يقول من جانبه: «حضرة القائد، النّصر لنا».

حولهم من كلّ جهةٍ امتلأ البحر بالسفن، بعضها يحترق وبعضها يغرق وبعضها تحطّم تمامًا، وبين أبدانها الميـاه زاحـرة بـالجثث والمجـاذيف المكسـورة والـرّجـال الـمتمسـكين بالحُطام، ومن بعيدٍ نصف دستةٍ من سفن الجنوبيين الطويلة تهرع صوب نهر (الماندر). فليذهبوا ويحكوا الحكاية. ما إن يُؤلّي الرّجل الأدبار ويفرّ من المعركة لا يعود رجلاً.

كانت عيناه تُؤلمانه من العرق الذي سالَ فيهما خلال القتال. ساعده اثنان من ملاحيه على حلّ أربطة خوذة الكراكن ليرفعها، وجفّ فيكتاريون جبهته مدممًا: «الفارس، فارس الوردة البيضاء. هل سحبه أحد من الماء؟». الصّبي ابن لورد ويستحق فديةً لا بأس بها، من أبيه إذا نجا اللورد سيري من المعركة، وإن لم يكن فمن وليّ أمره في (هايجاردن).

على أن أحدًا من رجاله لم يرَ ما جرى للفارس بعد أن سقطَ في الماء، وعلى الأرجح غرق، فقال فيكتاريون: «عسى أن ينعم كما قاتل في أبهاء الإله الغريق

المائية».

مع أن أهل (جُزر الثُّروس) يقولون عن أنفسهم إنهم بحّارة، فإنهم يجتازون البحر في خوفٍ ويَدْخُلون المعارك مرتدين ثيابًا خفيفةً خشية الغرق، أمّا سيري الشاب فمختلف. رجل شجاع، يكاد يكون حديدًا.

أعطى راجنور بايك السفينة المأسورة واختارَ دسّته من الرّجال لطاقمها، ثم عادَ يصعد إلى سطح سفينته (النّصر الحديدي)، حيث قال لنيوت الحلاق: «جرّدوا الأسرى من السّلاح والدُّروع وضمّدوا جراحهم، وألقوا المحتضرين في البحر. إذا توسّل أحدهم الرّحمة فاذبحوه». لا يَشْعُر فيكتاريون إلّا بالاحتقار نحو أمثالهم، فالمفترّض أن خيرًا لهم أن يغرقوا في مياه البحر من الدِّماء. «أريدُ إحصاء السفن التي ظفرنا بها وجميع الفُرسان وصغار اللوردات الذين أسرناهم، وأريدُ راياتهم كذلك».

ذات يومٍ سيُعَلِّقها في قاعته، وعندما يشيخ ويتمكّن منه الوهن سيتذكّر كلّ الأعداء الذين بطشَ بهم وقت أن كان يتمتّع بقوّته وعُنفوانه. ردّ نيوت بابتسامةٍ واسعة: «كما تأمر. إنه انتصار عظيم».

أجل، انتصار عظيم لعين الغراب وسحرته. سيهتف الرّبابنة الآخرون باسم أخيّه من جديّد عن دما تب لُغ الأنباء (ثُرس السّن-ديان). لقي دسّ حرّهم يورون بلس أنه المعسول وعينه الباسمة وضمّمهم إلى قضيتّه بغنائم من عشرات البلدان البعيدة؛ ذهب وفضة، ودروع منمّقة وسيوف مقوّسة بقبائع مذهّبة وخناجر من الفولاذ الثّاليري، وجلود نمور مخطّطة وقططٍ رقطاء، ومانتيكورات من اليشب وتماثيل أبي هولٍ عتيقة من (فأليريا)، وصناديق من جوز الطيب والقرنفل والزّعفران، وأنياب من العاج وقرون يونيكورنات، وريش أخضر وبُرتقالي وأصفر من (جُزر الصّيف)، ولفائف من الحرير الناعم والسّميت البراق... لكن كلّ هذا لا يُذكر مقارنةً بما أعطاهم إيّاه الآن. الآن أعطاهم الـغزو وأصـبحوا له بـلا رجـعة. تـركت الفـكرة مـذاقًا مُرّا علـى لسـانه. هذا انتصـاري أنـا لا انتصـاره. أيـن هـو؟ فـي (ثُرس السّن-ديان) يجلس متكاسلًا في قلعة. لقد سرق زوجتي وسرق عرشي، والآن يسرق مجدي.

الطّاعة من طباع فيكتاريون جرايچوي ومفطور عليها. خلال نشأته في ظلّ إخوته وقبل بلوغه مبلغ الرّجال تبعَ بالون بإخلاصٍ في كلّ ما فعله، ولاحقًا بعد مولد أبناء بالون تقبّل مع مرور الوقت حقيقة أنه سيركع لهم أيضًا عندما يحلّ أحدهم محلّ أبيه على كرسي حجر اليم. إلّا أن الإله الغريق استدعى بالون وأبناءه إلى أبهائه المائية، والآن لا يستطيع فيكتاريون أن يدعو يورون بالملك دون أن يذوق المرارة في حلّقه.

الـريـح منعشـة، وعطشـه يتـأجـج. دائـمًا يشـتهي التّبيـذ بعـد المعركـة، وهكـذا سـلم نـيوت سـطح السّفينـة وذهـب إلـى أسـفل، وفـي قمـرتـه

الضبيقة في المؤخرة وجَدَ المرأة السَّمرَاء مبتلَّةً وجاهزةً. ربما أَحَمَت المعركة دماءها أيضًا. أَخَذَهَا مَرَّتَيْنِ متتاليتين بلا استراحة، ولمَّا فرغا كان الدَّم يُلَطِّخُ ثدييها وفخذيها وبطنها، لكنه دمه هو النَّازِف من الجرح البليغ في يده.

غسلته له السَّمرَاء بِالخَلِّ المغلي، وبينما تركع إلى جواره قال فيكتاريون: «الخطَّة كانت موفِّقةً، أَعترف بهذا. (الماندر) مفتوح لنا الآن كما كان من قديم». إنه نهر خامل، واسع وبطيء الجريان وملئ بأخطار غصون الأشجار السَّاقطة والامتدادات الرَّمليَّة المرتفعة، وهكذا لا يجرؤ معظم مراكب البحر على الإبحار فيه بَعْد (هايجاردن)، لكن السُّفن الطويلة بغواطسها المسطَّحة بإمكانها الإبحار في اتِّجاه التَّيار حتى (جسر العلقم). في سالف الزَّمن اعتادَ حديدُّو الميلاَد خوض النَّهر بجِرافةٍ والإغارة على جانبيه وعلى روافده... إلى أن سلَّح ملوك الأراضي الخضراء صيَّادي الجُزر الأربع الصَّغيرة عند مصبِّ (الماندر) وسمَّوها تُروسه.

ألفا عامٍ مرًّا، لكن في أبراج المراقبة على شواطئ الجُزر الوعرة ما زالَ المسنُّون يقفون حراسةً حتى الآن، وعند أول بادرةٍ للسُّفن الطويلة يُشعل هؤلاء العجائز نيران مناراتهم ويشب النَّداء من تَلٍّ إلى تَلٍّ ومن جزيرةٍ إلى جزيرة. خوف! أعداء! مُغيرون! مُغيرون! حين يرى الصيَّادون النَّار مضطربةً في البقاع العالية يضعون شباكهم ومحاريتهم جانبًا ويحملون السيوف والفؤوس، ويهرع سادتهم من قلاعهم وفي صُحبَتهم فُرسانهم وجنودهم، وتُدَوِّي أبواق الحرب عبر الماء من (الثرس الأخضر) و(الثرس الرَّمادي) و(ثرس السَّنديان) و(ثرس الجنوب)، وتخرُج سُفنهم الطويلة من أحواضها الحجريَّة المغطَّاة بالطحالب بطول الشُّطآن، تُومِض مجاذيفها بينما تحتشد في المضائق لإغلاق (الماندر) ومطاردة المُغيَرين وسياقتهم إلى حتفهم.

أرسَل يـورون كـلاً من توروولد ذي السِّن البـيَّنة والمـلَّاح الأحمر يخوضان (الماندر) بدسـتة من السفن الطويلة السريعة كي يندفع لـوردات (جُزر التروس) إلى مطاردتهما، ولدى وصول القوَّة الأساسيَّة من أسطوله لم تُعد هناك إلا حفنة من المُقاتلين المتبقِّين للدِّفاع عن الجُزر نفسها. أتى الحديدُّون مبحرين في تيار المساء، ليُخفيهم وهج الشَّمس الغاربة عن أعين المسنِّين في أبراج المراقبة حتى يفوت الأوان. كانت الرِّياح تهبُّ من ورائهم مثلما ظلت منذ إقلاعهم من (ويك القديمة)، وقد سرت عبر الأسطول همسات تقول إن سحرة يورون لعبوا دورًا كبيرًا في هذا، إن عين الغراب استرضى إله العواصف بقرايين الدَّم، وإلا كيف كان ليَجسُر على التَّوغل غربًا هكذا بدلًا من الإبحار بمحاذاة السَّاحل كما جرَّت العادة؟ رسا حديدُّو الميلاَد بسُفنهم الطويلة على الأرصفة الحجريَّة وتدفَّقوا منها في الغسق الأرجواني والفولاذ يَبْرُق في أيديهم. عندئذٍ كانت المنارات قد أضيئت في البقاع العالية، ولكن في وجود قلائل يحملون السِّلاح. سقطت

(الثَّرس الرَّمادي) و(الثَّرس الأخضر) و(ثرس الجنوب) قبل شروق الشَّمس، بينما ظَلَّت (ثرس السَّنديان) صامدةً طولَ نِصف النَّهار، وحين تَخلى رجال (جُزر الثُّروس) عن مطاردتهم توروولد والملاح الأحمر وعادوا أدراجهم وجدوا الأسطول الحديدي ينتظرهم عند مصبِّ (الماندر).

قال للسَّمرء وهي تُضَمِّد يده بالكِتَّان: «كلُّ شيءٍ جرى كما قال يورون. لا بُدَّ أن سحرته رأوا هذا». إن معه ثلاثةً على متن (الصَّمت)، كما باحَ له كويلون همبل همسًا، رجالًا أغرابًا فُطِعا، لكن عين الغُراب استعبدَهم. واصلَ فيكتاريون بإصرار: «لكنه ما زال محتاجًا إليَّ لخوض المعارك. لا بأس بالسَّحرة، لكن الحروب تُربِّح بالذَّم والفضولاد». جعلَ الخَلُّ ألمَ جرحه أسوأ من قبل، فدفعَ السَّمرء جانبًا وأغلقَ قبضته بسحنةٍ مكفَّهة، وقال: «أحضري لي نبيدًا».

شربَ في الظَّلام مفكِّرًا في أخيه. إذا لم أوجِّه الضَّربة بيدي أفما زلتُ قاتِلَ أقربين؟ لا يخشى فيكتاريون إنسانًا، لكن لعنة الإله الغريق تبعث على التَّردُّد. إذا جندله أحد غيري بأمري فهل تُلَوِّث دماؤه يدي أن-؟ كإن آرون ذو الشَّعر الرَّطب ليعرف الجواب، لكن الرَّاهب في ملكانٍ ما في (جُزر الحديد)، لا يزال يـأمل أن يُجَيِّش الحديديين ضد ملكهم المتوجِّ لتوِّه. نيوت يُمكنه أن يحلق لحيَّة رجلٍ برمية فأسٍ من بُعدٍ مئة ياردة، ولا أحد من هِجان يورون يقوى على الصُّمود ضد وولف ذي الأذن الواحدة أو أندريك اللا مبتسم. بإمكان أيَّهم أن يفعلها... لكن ما يستطيع الرَّجل أن يفعله شيء وما يقبل أن يفعله شيء مختلف، وهو ما يعلمه فيكتاريون.

في (ويك القديمة) تنبأ آرون قائلاً: «تجديف يورون سيستجلب غضبة الإله الغريق علينا جميعًا. يجب أن نُوقِّفه يا أخي. إننا ما زلنا من دم بالون، أليس كذلك؟».

ردَّ فيكتاريون: «وهو أيضًا. الأمر لا يروقني أكثر منك، لكن يورون الملك. الانتخاب الذي دعوت أنت إليه رفعه، وبنفسك وضعت تاج الخشب المجروف على رأسه!».

قال الرَّاهب والماء يَقَطُر من طحالب البحر في شَعْره: «وضعتُ التَّاج على رأسه، وعن طيب خاطر سأنتزعه من عليه وأضعه على رأسك بدلًا منه. أنت الوحيد القوي بما فيه الكفاية لمقاتلته».

قال فيكتاريون متذمِّرًا: «الإله الغريق رفعه، فلنترك الإله الغريق يطيح به». رماه آرون بنظرةٍ مُهلكة، تلك النُّظرة المعروفة بتسميم الآبار وجعل النِّساء عواقر، وقال: «ليس الإله من تكلم. يورون معروف بالاحتفاظ بالسَّحرة والمشعوذين البغيضين على سفينته الحمراء. لقد ألقوا تعويذةً بيننا كي لا نسمع البحر. الرِّبابة والملوك أسكرهم الكلام عن التَّنانين».

- «أسكرهم الكلام وأخافهم ذلك البوق. أنت سمعت الصَّوت الذي خرجَ منه. لا

يهم، يورون مليكنا».

أعلن الرَّاهب: «ليس مليكي. الإله الغريق يُعين الجسورين لا مَنْ يتوارون في بطون سُفنهم حين تثور العاصفة. ما دُمت لن تُحرَّك ساكنًا لإزاحة عين الغُراب من على كُرسي حجر اليم، فعليَّ أن أتولَّى هذه المَهْمَة بنفسي».

- «كيف؟ إنك لا تملك سُفْنًا ولا يتبعك جنود».

ردَّ الرَّاهب: «إن لديَّ صوتي، والإله معي. قوّتي قوّة البحر، قوّة لا أمل لعين الغُراب في التّصدّي لها. ربما تتكسّر الأمواج على الجبل، لكنها تظلُّ تأتي موجة عقب موجة، وفي النّهاية لا يتبقّى من الجبل الشّامخ إلّا الحصى، وسرعان ما ينجرّف الحصى ويغوص إلى قرار البحر ويفترشه إلى الأبد».

دمدمَ فيكتاريون: «حصى؟ أنت مجنون إذا كنت تحسب أنك ستطيح بعين الغُراب بالكلام عن الموج والحصى».

قال ذو الشّعر الرّطب: «حديّو الميلاد سيكونون الموج، ليس العُظماء والسّادة وإنما البُسطاء الذين يفلحون الأرض ويصطادون من البحر. الرّبابنة والملوك رفعوا يورون، لكّن العامّة سـُـيـُـسـُـقـُـطـُـونه. سـَـأـُـذهبُ إلـى (ويـك الـكـُـبرى)، إلـى (هـارلو)، إلـى (أوركـمـونت)، إلـى (پايـك) ذاتـها. فـي كـلِّ بـلـدٍ وقرية سـُـيـُـسـُـمـُـعـُـوني. لـيس لكـافر أن يجلس على كُرسي حجر اليم!»، وهزّ رأسه الأشعث وعادَ يخرُج ليغيب في اللّيل، وحين أشرقت الشّمس في اليوم التّالي كان آرون ذو الشّعر الرّطب قد اختفى من (ويك القديمة)، وحتى رجاله الغرقى لم يعرفوا مكانه، وقالوا إن عين الغُراب اكتفى بالضّحك حين علمَ.

لكن على الرغم من غياب الرَّاهب ظلّت تحذيراته الملحّة في عقل فيكتاريون، الذي وجدَ نفسه يستعيد ما قاله له بيلور بلاكتايد أيضًا. «بالون كان مجنونًا وآرون أكثر جنونًا ويورون الأكثر جنونًا على الإطلاق». حاولَ اللورد الشّاب الإبحار إلى دياره بعد انتخاب الملك رافضًا أن يقبل يورون مولاه، لكن الأسطول الحديدي كان قد أغلقَ الخليج، وعادة الطّاعة متجذّرة في فيكتاريون جرايچوي، ويورون يعتمر تاج الخشب المجروف، وهكذا استولّى على (طيار اللّيل) وأخذَ اللورد بلاكتايد إلى الملك مكبّلًا بالسّلاسل، ثم قطعهُ بكم يورون وهجّانه إلى سبعة قطعٍ لإطعام آلهة الأراضي الخضراء السّبعة التي كان يعبّدها.

مكافأةً على خدمته المخلصة، منحَ الملك حديث التّتويج فيكتاريون المرأة السّمراء التي أخذها من سفينة نخّاسين كانت متّجهةً إلى (ليس)، فقال لأخيه بازدراء: «لا أريدُ شيئًا من فضالتك»، لكن لما قال عين الغُراب إنها ستموت إن لم يأخذها ضعفت مقاومته. لسانها مقطوع، لكنها فيما عدا هذا سليمة، ثم إنها جميلة أيضًا، بشرتها بيّنة كخشب السّاج المزيّت، غير أنه عندما ينظر إليها يجد نفسه أحيانًا يتذكّر المرأة الأولى التي منحّه أخوه إياها لتصنع منه رجلًا.

أرادَ فيكتاريون أن يستعمل السّمراء مرّةً أخرى، لكنه لم يجد في نفسه القدرة،

فقال لها: «أحضري لي قربة نبيذ أخرى ثم اخُرْجي»، وحين عادت بقربة من التَّبِيذ الأحمر المُرَّ صعدَ بها القائد إلى السَّطح ليتنَشَّق هواء البحر النّظيف. شربَ نصف القربة وصَبَّ البقية في البحر لأجل كلِّ من ماتوا.

ظَلَّت (النَّصر الحديدي) راسيةً عند مصبِّ (الماندر) ساعات، وبينما أبحرَ الجزء الأكبر من الأسطول الحديدي إلى (تُرس السَّنديان) احتفظَ فيكتاريون بكلِّ من (الثُّبور) و(اللورد داجون) و(الرَّيح الحديد) و(لعنة العذراء) حوله لحراسة المؤخِّرة. سحبوا النَّاجين من البحر وشاهدوا (اليد القويَّة) تغرق ببُطء، يجرُّها إلى أسفل حُطام السفينة التي دكَّتها، ولدى غيابها تحت الماء بلغَ فيكتاريون الإحصاء الذي طلبه، وعرفَ أنه فقدَ ستَّ سُفنٍ وأسرَ ثمانِي وثلاثين. قال لنيوت: «لا بأس. إلى المجاذيف، سنعود إلى (بلدة اللورد هيويت)».

جَدَّف مَلاحوه نحو (تُرس السَّنديان)، وعادَ الرُّبَّان الحديدي إلى قمرة مجدِّدًا، حيث قال للسَّمراء: «يُمكنني أن أقتله، ولو أنه إثم عظيم أن يَقْتُل المرءَ مليكه، وإثم أعظم أن يَقْتُل أخاه»، وقطَّب جبينه مردِّفًا: «كان عليَّ أشأ أن تُعطيني صوتها». كيف أملت أن تكسب الرُّبَّانية والملوك بأكواز الصَّنوبر واللِّفت؟ في عروقها دماء بالون، لكنَّها تظَلُّ امرأة. فَرَّتْ أَشْأ بَعْدَ انتخاب الملِك. ليلة وُضِعَ تاج الخشب المجرَّوف على رأس يورون ذابت هـي وطاقمها، وفي أعماق فيكتاريون جزء صَغير مسرور لهذا. إذا احتفظت الفتاة بعقلها فستتزوَّج أحد لوردات الشَّمال وتحيا معه في قلعته بعيدًا عن البحر ويورون عين الغُراب.

نادى أحد رجال الطَّاقم: «(بلدة اللورد هيويت) يا حضرة القائد».

نهَضَ فيكتاريون. كان التَّبِيذ قد خَفَّف نبض الألم في يده. ربما يجعل المايستر الذي يخدم هيويت يُلقِي نظرةً عليها إذا لم يكن قد قُتِلَ. عادَ إلى السَّطح بينما يدورون حول لسانٍ من اليابسة، ورأى قلعة اللورد هيويت مستقرَّة فوق الميناء فذكرته بـ(لوردزپورت)، مع أن هذه البلدة تَبْلُغ ضِعفها مساحةً. بعد الميناء يخوض نحو عشرين من السُّفن الطويلة المياه وعلى ذيولها يتلوَّى الكراكين الذهبي، في حين ترسو مئات أخرى بطول الأرصفة مربوطةً بالحبال، وعند رصيفٍ حجري ثَمَّة ثلاثة أكواز عظيمة ودسته من الأكواز الأصغر تُحَمَّل بالغنائم والمؤن. أمرَ فيكتاريون بأن تُلقِي (النَّصر الحديدي) مرساتها، وقال لرجاله: «جهَّزوا لي قاربًا».

بدَّت البلدة هادئةً عليَّ نحو غريب مع اقترابهم. معظم المحال والمنازل نُهبَ كما تشهد الأبواب المحطمة والنوافذ المهشَّمة، لكن وحده السَّيِّت أحرق، وفي الشَّوارع تتناثر الجُثث، كل منها يتحلَّق حوله سرب صغير من غُربان الجيف. راحت مجموعة من النَّاجين العابسين تتحرَّك بينها طاردة الطيور السوداء وملقية الموتى على ظَهر عربةٍ ليُؤخَذوا إلى المدافن، وهو ما أفعمَ فيكتاريون بالازدراء،

فلا ولد حقيقياً للبحر يرغب في أن يتعفن في باطن الأرض، وإلا فكيف سيَعثر على أبهاء الإله الغريق المائيّة لينعم بالماكل والمشرب أبد الدهر؟ من بين السفن التي مروا بها (الصّمت). انجذبت نظرة فيكتاريون إلى تمثال المقدّمة الحديدي، الفتاة عديمة الفم ذات الشّعْر الذي يُهفـهف في الريح واليدّراع الممدودة، وقد بدا كأن عينيها المصنوعتين من عرق اللؤلؤ تتبعانه، فقال لنفسه: كان لها فم كأبي امرأة أخرى، إلى أن خاطه عين الغراب وأغلقه.

مع دنوّهم من الشّاطئ لاحظَ مجموعة من النّساء والأطفال المصفوفين على متن أحد الأكواج العظيمة، بعضهم يداه مقيّدتان وراء ظهّره، وحول أعناقهم جميعاً حبال من القنّب. سأل الرّجال الذين ساعدوا على ربط القارب: «من هؤلاء؟».

- «أرامل وأيتام، سيّباعون كعبيد».

- «يُباعون؟». ليس في (جزر الحديد) عبيد، بل أقنان فقط، والقنّ ملزم بالخدمة لكنه ليس ملكاً لسيّده، ويُولد أطفاله أحراراً شريطة أن يُعطوا للإله الغريق، ثم إن الأقنان لا يُشترّون أو يُباعون بالذهب أبداً، فعلى الرّجل أن يدفع الثمن الحديدي مقابلهم وإلا فلا أقنان له على الإطلاق. قال متبرّماً: «المفترض أن يكونوا أقناناً أو زوجاتٍ ملحيّات».

ردّ الرّجل: «هذا أمر الملك».

قال نيوت الحلاق: «الأقوياء يأخذون من الضّعاف دوماً. أقنان أو عبيد، لا فرق. رجالهم لم يستطيعوا الدّفاع عنهم، والآن أصبحوا لنا لنفعل بهم ما نشاء».

كان ليقول: ليس هذا النّهج القديم، ولكنه لم يجد وقتاً، إذ سبقته أخبار انتصاره واحتشد الرّجال حوله يُقدّمون له التّهاني. تركّهم فيكتاريون يُداهنونه، إلى أن بدأ أحدهم يُثني على جرأة يورون، فزمجر: «جرأة حقاً أن تُبحر بعيداً عن اليابسة كي لا تبُلغ كلمة عن مجيئنا هذه الجزر القابعة أمامنا، لكن عبور نصف العالم لصيد التّنانين شيء آخر»، ولم ينتظر ردّاً بل تحرّك شاقاً طريقه في الزّحام وصعد إلى القلعة.

قلعة اللورد هيويت صغيرة لكن قويّة، أسوارها سميكة وبوّابتها المصنوعة من السّنديان المدعّم بالحديد تستدعي إلى الدّهن رمز عائلته العريق، المِجنّ السّندياني المطعّم بالحديد على خلفيّة من الأزرق والأبيض المتموجّين. على أن كراكن عائلة جرايچوي هو ما يخفق فوق الأبراج ذات السطوح الخضراء الآن، ووجدوا البوّابة العظيمة محروقةً محطّمةً، وفي الشّرفات يمشي الحديديّون حاملين الجراب والفؤوس، بالإضافة إلى بعض هِجان يورون.

في السّاحة وجدَ فيكتاريون جورولد جودبراذر ودروم العجوز يتكلّمان بهدوءٍ مع رودريك هارلو. أطلق نيوت الحلاق صيحةً هازئةً لمرأهم، ونادى: «أيها القارئ،

لماذا الوجه العابس؟ هواجسك كانت بلا داع. النَّصر لنا، ولنا الغنائم!». زَمَّ اللورد رودريك فمه قائلاً: «تعني هذه الصُّخور؟ أربعتها معاً أصغر من (هارلو). لم نَقْزِ إلا ببعض الأحجار والأشجار والحُلِيِّ الرَّخْصَةِ، وعداوة عائلة تايرل». قال نيوت ضاحكاً: «الورود؟ وما الوردة التي بإمكانها إيذاء كَرَائِنِ الأعماق؟ لقد سلبناهم تُروسهم وحطمانها تحطيمًا. مَنْ يحميهم الآن؟». رَدَّ القارئ: «(هايجاردن). قريبًا ستحتشد قَوَّات (المرعى) كُلُّها ضدنا أيها الحَلَّاق، وعندها قد تتعلَّم أن لبعض الورود أشواكًا من فولاذ». أوماً دروم برأسه موافقًا وقد استقرَّت يده على مقبض سيفه (المطر الأحمر)، وقال: «اللورد تارلي يحمل السَّيف العظيم (آفة القلوب) المصنوع من الفولاذ الغاليري، ودائمًا يقود طليعة جيش اللورد تايرل». قال فيكت-اريون وقْدَ اش-تعلَّتْ غَضَبته: «فلي-أتِ. س-أخْذُ س-يفه لنفس-ي مثلم-أخْذَ س-لفك (المطر الأحمر). فلي-أتوا جم-يعًا ويجلبوا آل لانس-تر مع-هم أي-ضًا. ربما-تَكُونُ للأسد السَّطوة على اليابسة، لكن في البحر للكرائِن السَّيادة المطلقة». يُمكنه أن يتخلَّى عن نصف أسنانه لقاء فُرْصةٍ لتجربة فأسه ضد قاتِل الملك أو فارس الزُّهور. هذا هو نوع المعارك الذي يفهمه. قاتِل الأقربين ملعون عند الآلهة والبشر، لكن المُحارب مكرَّم موقَّر. قال القارئ: «لا تخف يا حضرة القائد، سيأتون. جلالته يتمنَّى هذا، وإلا فليَمَ أمرنا بترك غِدفان هيويت تُحَلِّق؟». قال نيوت: «تقرأ كثيرًا للغاية وتُقاتِل قليلًا للغاية. إن دماءك حليب»، لكن القارئ تظاهر بأنه لم يسمع. كانت في القاعة مائدة صاخبة عندما دخلَ فيكتاريون، يحتشد حديدُو الميلاد على الموائد يشربون ويتصايحون ويتدافعون ويتباهون بقتلاهم ومآثرهم وما سلبوه، وقد تحلَّى كثيرون منهم بالغنائم، فارتدى لوكاس كود الأعسر وكويلون همبل معطفين من المعلقات التي انتزعها من على الحوائط، ووضعَ جرموند بوتلي عِقدًا من اللؤلؤ والعقيق الأحمر فوق واقي صدره المذهب الذي كان لأحد قادة لانستر، وتحركَ أندريك اللا مبتسم مترنِّحًا ومطوِّقًا بكلِّ من ذراعيه امرأةً، وعلى الرغم من أنه ظلَّ غير مبتسم فعلى أصابعه كُلُّها خواتم، وبدلاً من الصِّحاف المصنوعة من الخُبز الجامد البائت كان الرِّبابة يأكلون من أطباقٍ من الفضة الخالصة. اربَدَّ وجه نيوت الحَلَّاق غضبًا إذ تطلَّع حوله، وقال: «يُرسِلنا عين الغُراب لمواجهه السفن الطويلة فيما يأخذ رجاله القلاع والقُرى ويستولون على الغنائم والنِّساء. ماذا تركَ لنا؟».

- «المجد لنا».

- «لا بأس بالمجد، لكن الذهب أفضل».

هَزَّ فيكتاريون كتفيه قائلاً: «عين الغراب يقول إننا سننال (وستروس) كلَّها. (الكرمة)، (البلدة القديمة)، (هايجاردن)... هناك ستجد الذهب. لكن كفى كلاماً، إنني جائع».

بحَقِّ الدَّم كان فيكتاريون ليَتَّخذ مقعداً على المنصَّة، لكنه لا يرغب في الأكل مع يورون ومخلوقاته، وبدلاً من هذا اختارَ مكاناً إلى جوار رالف الأعرج رُبَّان (اللورد كويلون).

قال له الأعرج: «نصر عظيم يا حضرة القائد، نصر يستحقُّ لوردية. المفترض أن تنال إحدى الجزر».

اللورد فيكتاريون، أجل، ولمَ لا؟ ربما لا يحظى بكُرسى حجر اليم، لكن ذلك أفضل من لا شيء.

لأن هوثو هارلو جالساً قُبالتهما على الطاولة ينهش اللحم من على عظمة، ثم إنّه ألقاها جانباً ومالَ إلى الأمام قائلاً: «الفارس سينال (الترس الرمادي)، هل سمعت؟».

أجاب فيكتاريون: «لا»، وتطلَّع عبر القاعة إلى حيث يجلس السير هاراس هارلو يشرب التَّبِيذ من كأسٍ ذهبيَّة. الفارس رجلٌ مديد القامة، له وجه طويل وقسمات صارمة. «لماذا يمنح يورون أحداً مثله جزيرة؟».

رفع هوثو كأسه الفارغة لتملأها له شابةٌ شاحبة في فُستانٍ من المخمل الأزرق وشرائط الزينة المذهَّبة، وقال: «الفارس استولى على (جريمستن) بنفسه، غرس رايته عند القلعة وتحدي آل جريم أن يُواجهوه، فتحدَّاه أحدهم، ثم آخر وآخر، وقتلهم جميعاً... أو ما يَقْرُب من هذا، اثنان منهم استسلموا. حين سقط الرجل السابع حزمَ سِيتون اللورد جريم أمره وأعلن أن الآلهة قالت كلمتها وسلم القلعة»، وضحك هوثو مواصلاً: «سيصير سيِّد (الترس الرمادي)، وهنيئاً له بها. في غيابه أصبح أنا وريث القارئ»، ودق صدره بكأسه، وأضاف: «هوثو الأحذب، سيِّد (هارلو)».

- «تقول سبعة؟». تساءل فيكتاريون في قرارة نفسه كيف يُمكن أن يُبلي سيف الفارس المسمَّى (عُروب) في مواجهة فأسه. إنه لم يُقاتل رجلاً يحمل سيفاً من الفولاذ الثاليري قط، وإن كان قد غلبَ هاراس هارلو مرَّاتٍ عدَّة في صباهما. في صغره كان هارلو صديقاً صدوقاً لرودرىك أكبر أبناء بالون، الذي ماتَ عند أسوار (سيجارد).

المأدبة جيِّدة، أفضل ما فيها التَّبِيذ، وهناك أيضاً لحم ثيرانٍ مشوي، دامٍ وغير تام الاستواء، بالإضافة إلى بَطِّ محشو ودلاء من السَّراطين الطازجة. لم يرغب عن

عيني حُضرة الرُّبَّان القائد أن الخادِماَت يرتدين ملباس مترفَةً من الصُّوف والمخمل، وفي البداية حسبهن مساعِداَت طبَّاح في ثياب الليدي هيويت ورفيقاتها، إلي أن أخبره هوثو بأنهن الليدي هيويت ورفيقاتها أنفسهن، إذ طابَ لعين الغُراب أن يجعلهن يُقَدِّمن الطَّعام ويصَبِّن الشَّراب. هناك ثمانية منهن؛ حُضرة الليدي نفسها التي لا تزال حسناء على الرغم من امتلاء قوامها، وسبعة أخريات أصغر منها، تتراوح أعمارهن من الخامسة والعشرين إلى العاشرة، بناتها وزوجات أبنائها.

اللورد هيويت نفسه جالس في مكانه المعتاد على المنصَّة مرتديًا أفخر ثيابه التي تحمل رمز وألوان عائلته، لكن ذراعيه وساقيه مقيَّدة إلى مقعده، وثمَّة حَبَّة فجَل بيضاء ضخمة مدسوسة بين أسنانه لمنعه من الكلام... ولو أنه يرى ويسمع. اتَّخذ عين الغُراب موضع الشَّرَف إلى يمين حُضرة اللورد، وقد جلست فتاة حسناء عامرة الصَّدْر في السَّابعة أو الثامنة عشرة في حِجره حافية القدمين منفوشة الشَّعر واضعةً ذراعيها حول عُنقه. سأل فيكتاريون الرِّجال المحيطين به: «مَن هذه؟».

أجابَه هوثو ضاحكًا: «ابنة حُضرة اللورد النُّعْلة. قبل استيلاء يورون على القلعة كانت مرغمةً على خدمة الآخرين على المائدة وأكل وجباتها مع الخدم».

وضعَ يورون شفَّتيه الزَّرقاوين على حَلَقها، فقَهَقَت الفتاة وهمست بشيءٍ ما في أذنه، لبيتسم ويُقَبَّل حَلَقها ثانيةً. كانت العلامات الحمراء تُعْطِي بشرتها البيضاء حيث قَبَّلها، وتصنع قِلادةً ورديةً حول رقبتها وكتفَيها. همسة أخرى في الأذن دفَعَت عين الغُراب إلى الضَّحْك بصوتٍ عالٍ هذه المرَّة، ثم إنه دَقَّ المائدة بكأسه أمرًا بالصَّمت، ونادى خادِماَتَه رُفيعات النَّسب قائلاً: «سَيِّداتي الكريماَت، فاليا قلقة على فساتينكن الأنيقة ولا تُريدُها أن تَنسخ بالذَّهون والنَّبِيذ والأصابع القذرة التي تتحسَّسكن، لأنِّي وعدتها بأن تختار ثيابها من أصونتكُن بَعْد المأدبة. الأفضل أن تخلعنها إذن».

دَوَّى الضَّحْك الهادر في أنحاء القاعة الكبيرة، واحتقنَ وجه اللورد هيويت لدرجة أن فيكتاريون حسبَ أن رأسه سينفجر. لم تجد النِّساء خيارًا إلا الطاعة، وبَكَت أصغرهن قليلًا لكن أمَّها واستَّها وحَلَّت الأربطة على ظَهر فستانها، وبعدها تابعن الخدمة كما من قبل وتحركن بين الموائد بأباريق النَّبيذ لملء الكؤوس الفارغة، مع فرق أنهن يفعلن هذا عاريات الآن.

فَكَّرَ القائِد متَذَكِّرًا الزَّوجَة التي سالت دموعه وهو يضربها: يذل هـيويت كما ذلني من قبل. يعلم أن أهل (الـتروس الأربعـة) يتزوج بعضهم بعضًا غالبًا مثل حـديدي المـيلاد، وربما تكون واحدة من هؤلاء الخادِماَت العـاريات زوجة السـيرتـالبرت سـيري. أن تقـُـل عـدوِّك شـيء وأن تُـهـين شـرفه شـيء آخر. كـوَر فيكتـاريون قبضته

وقد تلوّث يده بدماء جرحه التي تغلّلت في كَتَان الصِّمّادة.
على المنصّة دفعَ يورون مومسه جانبًا ووقفَ فوق المائدة، فبدأ الرّبّانة يدقّون
الموائد بالكؤوس والأرض بالأقدام هاتفين: «يورون! يورون! يورون!»، كأنه
انتخاب الملك ثانيةً.

حين هدأت الجلية قال عين الغراب: «أقسمتُ أن أعطيكم (وسترويس)، وهاكم
أول مذاقٍ منها، لقيمة لا أكثر... لكننا سنأكل الوليمة قبل أن يحلّ الليل!». على
الـجُدران تتـوهج المشـاعل وضّاءةً، وكـذا هـو بشـفتيه الزّرقـاوين
وعينـه الزّرقـاء وجسـده كـلّـه. «مـا يُطـبق عليـه الكـراكن لا يُفـلـتـه. هـذه
الـجُزـر كـانت لـنـا مـن قـبـل، والآن عادت لنا من جديد... لكننا نحتاج إلى رجالٍ
أقوياء للحفاظ عليها، فانفض أيها السير هاراس هارلو سيّد (الثرس الرّمادي)».
نفض الفارس مريحًا يده على قبعة سيفه (غروب) المصنوعة من أحجار القمر،
وتابعَ يورون: «انفض يا أندريك اللا مبتسم سيّد (ثرس الجنوب)»، فدفعَ أندريك
امرأته جانبًا وهبّ واقفًا كجبل يرتفع على حين غرّة من البحر. «انفض يا مارون
قولمارك سيّد (الثرس الأخضر)»، فنفض قولمارك الصبي الحليق ذو الستّة عشر
عامًا باديًا كأنه سيّد الأرانب. «وانفض يا نيوت الحلاق سيّد (ثرس السّنديان)».
اكتست نظرة نيوت بالحذر كأنه يخشى أن يكون مرمى دُعابةٍ قاسية، وتساءل:
«أنا لورد؟».

كان فيكتاريون يتوقّع أن يمنح عين الغراب اللورديّات لمخلوقاته، مثل ذي اليد
الحجر والملاح الأحمر ولوكاس كود الأعسر. حاولَ أن يقول لنفسه: على الملك
أن يكون سخيًا، إلّا أن صوتًا مختلفًا همس: هدايا يورون مسمومة. لمّا دوّر
الخاطر في رأسه رأى الأمر بوضوح. الفارس كان وريث القارئ المختار، وأندريك
اللا مبتسم ذراع دنستان دروم البُمنى القويّة، وقولمارك صبيٌّ غريب لكن دماء
هارن الأسود في عروقه من خلال أمّه، والحلاق...
أمسكّه فيكتاريون من ساعده قائلاً: «أرفض!».

رمقه نيوت كأن صوابه طار، وردّ: «أرفض؟ الأراضى واللوردية؟ هل سترفعني أنت
إلى مصاف اللوردات؟»، وانتزع ذراعه وقامَ يتنعم بهتاف الهاتفين.
والآن يسرق رجالي.

نادى الملك يورون الليدي هيوبت طالبًا كأسًا جديدةً من التّبيز، ثم إنه رفعها
عاليًا فوق رأسه، وصاح: «أيها الرّبّانة والملوك، ارفعوا كؤوسكم لسادة (الثروس
الأربعة)!».

شربَ فيكتاريون مع البقية مفكرًا: لا خمر بحلاوة الخمر المأخوذة من عدوّ.
أحدهم قال له هذا في مرّة، أبوه أو أخوه بالون. ذات يومٍ سأشربُ نبذك يا عين
الغراب وأخذُ كلَّ ما تعدّه عزيزًا. لكن هل من شيءٍ يعدّه يورون عزيزًا؟ كان الملك
يقول: «غداً نستعدّ للإبحار من جديد. أعيدوا ملء براميلنا بمياه الينابيع، وخذوا

كلَّ جِوَالٍ مِنَ الْحُبُوبِ وَكُلَّ بَرْمِيلٍ مِنْ لَحْمِ الْأَبْقَارِ وَكُلَّ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْمَلَ مِنْ الْمَاعِزِ وَالْخِرَافِ. الْجَرَحَى الَّذِينَ مَا زَالُوا يَتَمَتَّعُونَ بِعَافِيَةٍ تَكْفِي لَتَحْرِيكِ الْمَجَازِيْفِ سِجْدَفُونِ، وَسِظْلُ الْبَاقُونَ هُنَا لِلْمَسَاعِدَةِ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْجُزْرِ لِسَادَتِهَا الْجُدُدِ. قَرِيبًا سَيَعُودُ تُوْرُوْلِدُ وَالْمَلَّاحُ الْأَحْمَرُ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْمُؤْنِ. سَتَفُوحُ مِنْ سُفُنِنَا رَوَائِحُ الْخَنَازِيرِ وَالِدَّجَاجِ الْكَرِيهَةِ فِي الطَّرِيقِ شَرْقًا، لَكِنَّا سَنَعُودُ بِالتَّنَانِينِ».

سَمِعَ فَيَكْتَارِيونَ صَوْتَ اللَّوْرْدِ رُوْدْرِيكَ يَقُولُ: «مَتَى؟ مَتَى؟ مَتَى؟ سَنَعُودِي جَلَالَةَ الْمَلِكِ؟ بَعْدَ عَامٍ؟ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ؟ خَمْسَةَ؟ تَنَانِيْنُكَ تَلِيكَ تَبْعُدُ عَنِ الْعَالَمِ كَامِلًا، وَالْخَرِيفُ حَلَّ»، وَتَقَدَّمُ الْقَارِيُّ مَعْدِدًا الْمَخَاطِرَ كُلَّهَا: «الْقَوَادِسُ تَحْرُسُ (بُوغَازِ رَدَوَايْنِ). السَّاحِلُ الدَّوْرَنِي جَافٌ مَقْفَرٌ، أَرْبَعُمِئَةِ فَرَسَخٍ مِنَ الدَّوَّامَاتِ وَالْجُرُوفِ وَالْمِيَاهِ الضَّحْلَةِ الْخَفِيَّةِ، وَبِالكَادِ بُقْعَةٌ تَصْلُحُ لِرَسُوْ أَمْنٍ. وَبَعْدَ هَذَا تَنْتَظِرُ (الْأَعْتَابِ) بِعَوَاصِفِهَا وَأَوْكَارِ الْقِرَاصِنَةِ الْلَايَسِيْنِيْنِ وَالْمَايْرِيْنِ. إِذَا أَبْحَرْتَ أَلْفَ سَفِينَةٍ فَرِيْمًا تَبْلُغُ ثَلَاثُمِئَةَ الْجَانِبِ الْبَعِيدِ مِنَ (الْبَحْرِ الضَّيِّقِ)... ثُمَّ مَاذَا؟ (لَيْسَ) لَنْ تُرَجِّبَ بِنَا، وَلَا (فُولَانْتِيْسِ). أَيْنَ سَتَجِدُ الْمَاءَ الْعَذْبَ وَالطَّعَامَ؟ أَوَّلُ عَاصِفَةٍ نُوَاجِهُهَا سَتُشَيِّتُنَا وَتَنْثُرُنَا عِبْرَ نِصْفِ الْعَالَمِ».

تَلَاعَبَتِ ابْتِسَامَةُ عَلَى شَفَتَيْ يُوْرُونِ الزَّرْقَاوِيْنَ إِذَا قَالَ: «أَنَا الْعَاصِفَةُ يَا سَيِّدِي، الْعَاصِفَةُ الْأُولَى وَالْأَخِيرَةُ. لَقَدْ أَخَذْتُ (الصَّمْتَ) فِي رِحَالَتِي أَطْوَلَ مِنْ هَذِهِ وَأَخْطَرَ مَرَارًا. هَلْ نَسِيتَ؟ لَقَدْ أَبْحَرْتُ فِي (بَحْرِ الدُّخَانِ) وَرَأَيْتُ (قَالِيرِيَا)».

كُلُّ رَجُلٍ حَاضِرٍ يَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَةَ الْمَطْلُوقَةَ لَا تَزَالُ لِلْهَلَاكِ فِي (قَالِيرِيَا). هُنَاكَ تَغْلِي مِيَاهُ الْبَحْرِ ذَاتَهُ وَيَنْبَعُثُ مِنْهَا الدُّخَانُ، وَالْيَابِسَةُ تَجْتَاحُهَا الشَّيَاطِينُ، وَيُقَالُ إِنَّ أَيَّْ بَحَّارٍ يَرَى وَلَوْ لَمِحَةً مِنْ جِبَالِ (قَالِيرِيَا) النَّارِيَّةِ تَرْتَفِعُ فَوْقَ الْمَوْجِ سُرْعَانِ مَا تَحْقِيقُ بِهِ مَيِّتَةً شَنْعَاءَ، لَكِنْ عَيْنُ الْغُرَابِ ذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ وَعَادَ. بِمَنْتَهَى الْهَدْوِ سَأَلَهُ الْقَارِيُّ: «حَقًّا؟».

اخْتَفَتِ ابْتِسَامَةُ يُوْرُونِ الزَّرْقَاءَ، وَفِي السُّكُونِ الَّذِي خِيَمَ قَالَ: «أَيُّهَا الْقَارِيُّ، خَيْرٌ لَكَ أَنْ تُبْقِيَ أَنْفَكَ مَدْسُوسًا فِي كُتْبِكَ».

شَعَرَ فَيَكْتَارِيونَ بِالتَّوْثُرِ فِي الْقَاعَةِ، فَهَضَّ قَائِلًا بِصَوْتٍ جَهْوَريٍّ: «أَخِي، إِنَّكَ لَمْ تُجِبْ أَسْئَلَةَ هَارْلُو».

هَزَّ يُوْرُونُ كَتْفِيهِ، وَقَالَ: «أَسْعَارُ الْعَبِيدِ تَرْتَفِعُ. سَنَبِيْعُ عَبِيدِنَا فِي (لَيْسَ) وَ(فُولَانْتِيْسِ). مُقَابِلُهُمْ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا أَخَذْنَاهُ مِنْ هُنَا مِنْ غَنَائِمٍ سَيَكُونُ مَعْنَا ذَهَبٌ يَكْفِي لَشِرَاءِ الْمُؤْنِ».

سَأَلَهُ الْقَارِيُّ: «أَنْحَنُ نَخَاسُونَ الْآنَ؟ وَمِنْ أَجْلِ مَاذَا؟ تَنَانِيْنٌ لَا أَحَدٌ هُنَا رَأَاهَا؟ هَلْ سَنُطَارِدُ وَهُمْ بِحَارٍ سَكْرَانٍ إِلَى أَطْرَافِ الْأَرْضِ؟».

اسْتَدْرَجَتْ كَلِمَاتُهُ هَمَمَاتِ التَّأْيِيدِ. رَفَعَ رَالِفُ الْأَعْرَجُ صَوْتَهُ قَائِلًا: «(خَلِيْجُ النَّخَاسِيْنَ) بَعِيدٌ لِلْغَايَةِ»، وَصَاحَ كُويلُونُ هَمْبِلُ: «وَقَرِيبٌ».

للغاية من (قاليري!)»، وقال فرالج القوي: «(هـ-إيجاردن) قريبة. رأي-ي أن نبحث عن التّن-انين هن-اك، التّن-انين الذّهب!»، وأض-اف ألّفن ش-ارب: «لم-إذا تُب-جر عبر الع-الم و(المان-در) مفتوح أم-امنا؟»، وهَبّ رالف س-تونهاوس الأحمر معلّ-ًا: «(البل-دة الق-ديمة) أغن-ي، و(الكرمة) أغن-ي وأغن-ي. أس-طول ردواي-ن بعيد، وم-ا علي-ن-ا إلا أن نم-دّ ي-دنا لنقطف أين-ع ثمرة في (وستروس)».

قال الملك وقد بدّت عينه سوداء أكثر من زرقاء: «ثمرة؟ لا يسرق الثّمار بينما يستطيع الاستيلاء على البُستان كلّهِ إلا جبان».

قال رالف الأحمر: «نريد (الكرمة)»، وسرى الهتاف بين الرّجال الآخرين، فتركّ عين الغُراب صيحاتهم تغمره، ثم وثبّ من فوق المائدة وأخذَ المومس من ذراعها وسحبها خارجًا من القاعة.

هربَ كالكلاب. لم تُعدّ سيطرة يورون على كرسي حجر اليم تبدو محكمةً كما كانت قبل دقائق قليلة. لن يتبعوه إلى (خليج النّخّاسين). ربما ليسوا كلابًا حمقى كم-ا خش-يت. الفكرة لذيذة لدرجة أن فيكت-اريون اض-طرّ إلى ازدراجه-ا بالنّبي-ذ، فشربَ ك-أسًا م-ع الح-لّاق ليُرِي-ه أن-ه لا يحس-ده على لورديّته، حتّى إذا ج-اءت من ي-د يورون.

ك-انت الشّم-س قد غرّبت في الخارج وتوغّل الـظّلام وراء الأس-وار، لك-ن في الـدّاخل تُض-يء المش-اعل بـوهج بُرتق-الي ض-ارب إلى الحُمرة ويتك-اثف دُخان-ها تحت عوارض السّقف كسحابةٍ رماديّة. بدأ السّكرانون يرقّصون رقصة الأصابع، وفي لحظةٍ ما قرّر لوكاس كود الأعسر أنه راغب في إحدى بنات اللورد هيويت، وأخذها هناك على مائدةٍ بينما صرخت أخواتها وانتحبن.

شعرَ فيكتاريون بتربيّةٍ على كتفه. كان أحد هِجان يورون واقفًا وراءه، صبيٌّ في العاشرة له شعر كالصّوف وبشرة بلون الطّمي قال له: «أبي يُريد أن يتكلّم معك».

قامَ فيكتاريون بلا ثبات. على الرغم من كونه رجلًا كبير الحجم وقادرًا على شرب الكثير من النّبيذ فقد شربَ أكثر من اللازم بالفعل. ضربتها حتى الموت بيدي، لكن عين الغُراب هو من قتلها عندما ولجّها. لم أملك خيارًا. تبعَ الصّبي النّغل من القاعة وصعدَ وراءه سلالم حجريّةٍ ملتقّة، ومع صعودهما خفّت أصوات الاغتصاب والمرح الصّاخب، إلى أن لم يَعدْ هناك إلا صوت احتكاك نعالهما بالحجر.

علاوةً على ابنته النّغلة أخذَ عين الغُراب غُرّة نوم اللورډ هيويت أيضًا، ولمّا دخلَ فيكتاريون كانت الفتاة متمدّدة عاريةً على الفراش وتغطّ بصوتٍ خافت، في حين وقفَ يورون عند النّافذة يشرب من كأس فضيّة، وقد ارتدى معطف فرو السّمور الذي أخذه من بلاكتايد ورُقعة عينه الجليديّة الحمراء ولا شيء غيرهما. أعلنَ

قائلاً: «في صباي حلمتُ بأنني أستطيعُ الطَّيرانَ، وحين استيقظتُ لم أستطع...
أو أن هذا ما قاله المايستر. لكن ماذا لو أنه كذب؟».

كان فيكتاريون يشمُّ رائحة البحر الدَّاخلة من النَّافذة المفتوحة مع أن الغُرْفَة تُفَعِّمها روائح التَّبِيذ والدَّم والجنس، وساعدَ الهواء المالح البارد على صفاء دماغه إذ سأل: «ماذا تعني؟».

التفتَ يورون يُواجهه، والتوتَ شِفَتاه الزَّرقاوان المكدومتان في ابتسامةٍ صغيرة وهو يُجيب: «ربما نستطيع الطيران كلنا. كيف سنعرف ما لم نقفز من بُرجٍ شاهق؟».

هَبَّت الرِّيح من النَّافذة محرَّكةً معطفه، وكان في عُريه شيء ما فاحش مزعج.
«لا أحد يدري ما يقدر على فعله حقاً ما لم يجرؤ على القفز».

- «ها هي النَّافذة، اقفز». لا يملك فيكتاريون صبراً على هذا، كما أن يده الجريحة تُؤلمه. «ماذا تُريد؟».

- «العالم». في عين يورون يلتمع نور النَّار. عينه الباسمة. «هل تشرب كأساً من نبيذ اللورد هيويت؟ لا خمر بحلاوة الخمر المأخوذة من عدوِّ مهزوم».

أجابَ فيكتاريون: «لا»، وأشاحَ بنظره مضيئاً: «عَطِّ نفسك».

جلسَ يورون وشَدَّ معطفه لِيُغَطِّي عورته، وقال: «كنتُ قد نسيتُ أن رجالي الحديديين قوم ضال مزعجون. أريدُ أن آتيهم بالتَّنانين فيزعقون طالبين العنب».

- «العنب حقيقي ملموس ويستطيع المرء أن يلتهم ما يشاء منه، ثم إن عصيره حلو ويصنع منه التَّبِيذ. ما الذي تصنعه التَّنانين؟».

أجابَ عين الغُراب: «الويل»، ورشفَ من كأسه الفضة، وتابع: «في مرَّةٍ حملتُ بيضة تَينٍ بيدي هذه يا أخي. ذلك السَّاحر المايري أقسمَ أنه يستطيع أن يجعلها تفقّس إذا أمـهـلته عـاماً وأعطيتـه لـكـمـاً يتطلّب مـن ذـهـب. حين مللتُ أعـذاره قتلته، وبينمـا رأى أحشـاءه تنزلق بـين أصـابعه قـال: لكـن عـاماً لـم يمـضِ!»، وضـحك مردفاً: «هل تعلم أن كراجورن مات؟».

- «مَن؟».

- «الرَّجل الذي نفخَ في بوق التَّنانين. حين فتحَ المايستر صدره وجدَ رثيته متفجّمتين مسودَّتين كالسُّخام».

مرتجعاً قال فيكتاريون: «أرني بيضة التَّين هذه».

- «رميتـها فـي البحر فـي خـلال إحـدى نوبـات غصـبي»، وهزَّ يـورون كتفـيـه متـابعاً: «يبـدو لـي أن القـارئ لـيس مخطئاً. إذا لكـان الأسـطول أكـبر مـن الـلّازم فلـن يـسـطيع التّماشـك طيلة تلك المسافة. الرّحلة طويلة جداً وخطيرة جداً، ولا أمل إلّا لأفضل سُفننا وأطقمنا في الإبحار إلى (خليج التَّخاسين) ثم الإياب، الأسطول الحديدي».

فَكَرَ فَيَكْتَارِيُونَ: الْأَسْطُولَ الْحَدِيدِي لِي، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْلُ شَيْئًا.
مَلَأَ عَيْنَ الْغُرَابِ كَأْسِينَ بَنِيذٍ أَسْوَدَ غَرِيبٍ قَوَامِهِ ثَخِينٌ كَالْعَسَلِ، وَقَالَ: «اشْرَبْ
مَعِيَ يَا أَخِي، تَذَوِّقْ هَذَا»، وَمَدَّ يَدَهُ لَفَيَكْتَارِيُونَ بِأَحَدِي الْكَأْسِينَ.

التَّقِطَ فَيَكْتَارِيُونَ الْكَأْسَ التِّي لَمْ يُقَدِّمَهَا يِـوَرُونَ وَتَشـمَمُ
مَحْتَوِيَاتِهَا بِأَرْتِيَابٍ. مِنْ قُرْبٍ يَبْدُو الشَّرَابُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَزْرَقِ مِنْ
الْأَسْوَدِ، وَلَهُ مِنْظَرُ زَيْتِي خَاشِئٌ وَرَائِحَةُ كَالْأَسْمَاكِ الْمَتَعَفِّةِ. جَرَّبَ رَشْفَةً
صَغِيرَةً بَصَقَهَا مِنْ فُورِهِ، وَقَالَ: «شَرَابٌ كَرِيهٌ. هَلْ تُرِيدُ أَنْ تُسَمِّمَنِي؟».

رَدَّ يَوَرُونَ: «أُرِيدُ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِيكَ»، وَجَرَعَ مِنْ كَأْسِهِ، ثُمَّ ابْتَسَمَ مُوَاصِلًا: «صِبْغَةُ
الْمَسَاءِ، خَمْرُ الدَّجَالِينَ. وَجَدْتُ بِرَمِيْلًا مِنْهَا عِنْدَمَا اسْتَوَلَيْتُ عَلَى قَالِيُونَ مَعِي
مِنْ (كَارْثِ)، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْقَرْنِفْلِ وَجُوزِ الطَّيْبِ وَأَرْبَعِينَ لَقَّةً مِنَ الْحَرِيرِ
الْأَخْضَرِ وَأَرْبَعَةَ دَجَالِينَ حَكُوا حِكَايَةً تُثِيرُ الْإِهْتِمَامَ. أَحَدُهُمْ تَجَرَّأَ عَلَى تَهْدِيدِي
فَقَتَلْتُهُ وَأَطْعَمْتُ الثَّلَاثَةَ الْآخَرِينَ إِيَّاهُ. فِي الْبَدءِ رَفَضُوا أَكْلَ لَحْمِ صَدِيقِهِمْ، لَكِنْ
حِينَ اسْتَبَدَّ بِهِمُ الْجُوعُ غَيَّرُوا رَأْيَهُمْ. الْبَشَرُ لَحْمٌ».

بِالْوَنِ كَانَ مَجْنُونًا وَأَرُونَ أَكْثَرَ جُنُونًا وَيَوَرُونَ الْأَكْثَرَ جُنُونًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. كَانَ
فَيَكْتَارِيُونَ يَلْتَفِتُ لِيُغَادِرَ عِنْدَمَا قَالَ عَيْنُ الْغُرَابِ: «يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لِلْمَلِكِ زَوْجَةً
تَمْنَحُهُ وَرَثَةً. إِنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ يَا أَخِي. هَلْ تَذْهَبُ إِلَى (خَلِيجِ النَّخَّاسِينَ)
وَتَعُودُ إِلَيَّ بِحَبِيبَتِي؟».

تَكَوَّرَتْ قَبْضَتَا فَيَكْتَارِيُونَ وَسَقَطَتْ قُطْرَةً دِمَاءٍ عَلَى الْأَرْضِ إِذْ قَالَ فِي قَرَارَتِهِ: كَانَتْ
لِي حَبِيبَةٌ ذَاتَ يَوْمٍ أَيْضًا. يَجْدُرُ بِي أَنْ أَبْرِحَكَ ضَرْبًا وَأَطْعَمَكَ لِلسَّرَاطِينِ كَمَا فَعَلْتُ
بِهَا. أَجَابَ أَخَاهُ: «إِنْ لَكَ أَبْنَاءٌ».

- «هَيَّجَانُ نَغُولُ، أَبْنَاءُ الْعَاهِرَاتِ وَالنَّائِحَاتِ».

- «لَقَدْ خَرَجُوا مِنْ جَسَدِكَ».

- «وَكَذَا مَحْتَوِيَاتِ وَعَاءِ فَضْلَاتِي. لَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِلْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِ حَجَرِ
الْيَمِّ، نَاهِيكَ بِالْعَرْشِ الْحَدِيدِيِّ. لَا، إِنِّي مُحْتَاجٌ إِلَى امْرَأَةٍ مُخْتَلِفَةٍ كَمَا أَنْجَبَ
وَرِثًا يَلِيْقُ بِهِ (هُوَ). حِينَ يَتَزَوَّجُ الْكَرَاكِنُ التَّيِّبَةُ يَا أَخِي فَلْيَحْذَرِ الْعَالَمُ كُلَّهُ».

تَسَاءَلَ فَيَكْتَارِيُونَ مُقْطَبًا جَبِينَهُ: «أَيُّ تَيِّبَةٍ؟».

- «آخِرُ سُلَالَتِهَا. يَقُولُونَ إِنَّهَا أَجْمَلُ امْرَأَةٍ فِي الْعَالَمِ، إِنَّ شَعْرَهَا ذَهَبٌ وَفُضَّةٌ
وَعَيْنَاهَا جَمَشْتٌ... لَكِنَّكَ لَسْتَ مُضْطَرًّا إِلَى تَصْدِيقِ كَلِمَتِي يَا أَخِي. اذْهَبْ إِلَى
(خَلِيجِ النَّخَّاسِينَ) وَأَطْلَعْ عَلَى جَمَالِهَا بِنَفْسِكَ وَارْجِعْ إِلَيَّ بِهَا».

سَأَلَهُ فَيَكْتَارِيُونَ: «وَلِمَ أَفْعَلُ ذَلِكَ؟».

- «لَأَجْلِ الْحُبِّ، لَأَجْلِ الْوَاجِبِ، لِأَنْ مَلِكِكَ أَمْرٌ»، وَقَهْقَهةً يَوَرُونَ مُضِيقًا: «وَلَأَجْلِ
كُرْسِيِّ حَجَرِ الْيَمِّ. إِنَّهُ لَكَ حَالِمًا أُرْتَقِي الْعَرْشَ الْحَدِيدِي. سَتَتْبَعُنِي كَمَا تَبَعْتُ
بِالْوَنِ... وَذَاتَ يَوْمٍ سَوْفَ يَتْبَعُكَ أَبْنَاؤُكَ الشَّرْعِيُّونَ».

أبنائي. ولكن لكي يُنَّجِب الرَّجُل ابْنًا شرعيًّا يجب أن تكون له زوجة أولًا، وفِيكتاريون سيَّئ الحَظِّ في الزَّواج. قال لنفسه مذكِّرًا: هدايا يورون مسمومة، ومع ذلك...

- «الخيار لك يا أخي. عِش قِنًّا أو مُت ملكًا. هل تَجسُّر على الطَّيران؟ ما لم تقفز فلن تعرف أبدًا»، والتمعت السُّخريَّة في عين يورون الباسمة إذ أردف: «أم أنني أحملك ما لا طاقة لك به؟ الإبحار بعد (فاليريا) مخيف حقًا».

رَدَّ فيكتاريون: «سأبحر بالأسطول الجديد إلى الجحيم إذا لزم الأمر»، وفتَحَ يده ليحْدِ راحتها مبلىةً بالِدِّماء، وتابَع: «سأذهبُ إلى (خليج النَّخَّاسين)، أجدُ، وسأجدُ تلك التَّيِّنة وأرجعُ بها». ولكن ليس من أجلك. لقد سرقت زوجتي وهتكت عِرضها، ولذا سأظفرُ بامرأتك، أجمل نساء العالم، لي أنا.

چایمی

عادت الحقول خارج أسوار (داري) تُحرث من جديد بعد أن جُرِّقَت المحاصيل المحروقة، وأبلغه كشافة السير أدام برؤية نسوة في الأخاديد يقتلن الحشائش، في حين تُمهّد مجموعة من الثيران أرضًا جديدة للزراعة على حافة غابة قريبة، وقد وقفت دسنة من الرجال الملتحين حاملي الفؤوس حراسة عليها فيما تعمل.

لدى بلوغ چایمی وركبه القلعة كانوا قد فرّوا جميعًا إلى ما وراء الأسوار، ووجد (داري) مغلقة في وجهه مثل (هارنهال) من قبلها، ففكر: استقبال بارد من لحمي ودمي. قال أمرًا: «أطلق النّفير»، فخلع السير كينوس الكايسي بوق هيروك من على كتفه ونفخ فيه، وبينما انتظر چایمی ردًا من القلعة رمق الرّاية الخافقة بالبني والقرمزي فوق حصن ابن عمّه الأمامي. يبدو أن لانسل اختار تقسيم رايته إلى أربعة مربّعات على كلّ اثنين منها أسد لانستر وشارث داري، ورأى چایمی يد عمّه في هذا كما رآها في اختيار عروس لانسل. منذ أطاح الأنداليون بالبشر الأوائل والحكم في هذه الأنحاء لعائلة داري، ولا شك أن السير كيثان ارتأى أن المهمة ستكون أسير على ابنه إذا رآه الفلاحون استمرارًا للسلالة القديمة، يحكم هذه الأراضي بحقّ المصاهرة بالأحرى من مرسوم ملكي. المفترض أن يكون كيثان يد تومن. هاريس سويغت رجل تافه، وأختى حمقاء إذا كانت تعتقد غير هذا.

انفتحت بوابة القلعة ببُطء، وقال چایمی للعُفر: «ليست عند ابن عمّي مساحة لإيواء ألف رجل. سننصب المعسكر عند السور الغربي. أريدُ حفر الخنادق وغرس الخوازيق في محيطنا. ما زالت هناك جماعات من الخارجين عن القانون في هذه المنطقة».

- «سيكونون مجانيين بالتّأكيد إذا هاجموا قوّة كقوّتنا».

- «مجانين أو يتضوّرون جوعًا». إلى أن تُصبح لديه فكرة أفضل عن هؤلاء الخارجين عن القانون وقوّتهم لا ينوي چایمی أن يُجازف بالاسـتهانة بدفاعاته. كُـرّر: «خنادق وخوازيق»، ثم همز أوتر نحو البوابة، وإلى جواره يركب السير درموت حاملًا الوعل والأسد الملكيين، والسير هيوجو قانس براية الحرس الملكي. كان چایمی قد كلف رونيت الأحمر بمهمّة توصيل وايليس ماندرلي إلى (بركة العذارى)، كي لا يضطرّ إلى رؤية وجهه ثانية أبدًا.

مع مرافقيه تركب بيا الحصان المخصي الذي وجدّه لها بك، وقد سمعها چایمی تقول: «كانها قلعة لعبة»، فحدّث نفسه متأمّلًا: الفتاة لم تعرف بيتًا إلّا (هارنهال).

كلّ قلعة في البلاد ستبدو لها صغيرة، باستثناء (الصخرة).

ردّ چوزمين بكلّ دون عليـها بالكلام نفسـه قائلاً: «لا يجب أن

تَحْكُمِي بـ (هَارِنْهال). هَارِنْ الْأَسْوَد بِنَاهَا بَضْ-خَامَةٌ غَيْرَ عَادِيَّةٍ»، وَأَصْغَتْ بِهَا بِإِذْعَانِ فَتَاةٍ فِي الْخَامِسَةِ تَتَلَقَّى الدُّرُوسَ مِنْ سَيِّتَتِهَا. لَيْسَتْ إِلَّا هَذَا، فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ فِي جَسَدِ امْرَأَةٍ، عَلَيَّ جَسَدُهَا النَّدُوبُ وَفِي نَفْسِهَا الْخَوْفُ. عَلَيَّ أَنْ يَكُ مَفْتُونٌ بِهَا. لَا يَظُنُّ چَايْمِي أَنَّ الصَّبِيَّ عَرَفَ امْرَأَةً مِنْ قَبْلٍ، وَبِهَا لَا تَزَالُ حَسَنَاءُ بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ مَا دَامَ فَمُهَا مَغْلَقًا. لَا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ أَدَى فِي أَنْ يُضَاجِعَهَا، بِشَرَطِ أَنْ تَكُونَ رَاغِبَةً.

فِي (هَارِنْهال) حَاولَ أَحَدُ رِجَالِ الْجَبَلِ اغْتِصَابَ الْفَتَاةِ، وَبَدَأَ مِنْ دَهْشًا بَصْدَقٍ عَنْ دَمَا أَمَرَ چَايْمِي إِلَيْنِ بِأَيِّ بِقْطَعِ رَأْسِهِ، وَإِذْ أَرْغَمُوهُ عَلَيَّ الْرُكُوعَ ظَلَّ يُرَدِّدُ: «لَقَدْ اسْتَعْمَلْتُهَا مِئَةَ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ، مِئَةَ مَرَّةٍ يَا سَيِّدِي، كُلُّنَا اسْتَعْمَلْنَاهَا». حِينَ قَدَّمَ السَّيْرَ إِلَيْنِ الرَّأْسَ لَهَا بَعْدَهَا ابْتَسَمَتْ كَاشِفَةً حُطَامَ أَسْنَانِهَا.

أَيُّ كَثِيرَةٍ تَدَاوَلَتْ (دَارِي) فِي أَثْنَاءِ الْقِتَالِ، وَاحْتَرَقَتْ قَلْعَتُهَا مَرَّةً وَنُهِبَتْ مَرَّتَيْنِ عَلَى الْأَقْلَى، وَإِنْ يَبْدُو أَنَّ لَانْسِلَ لَمْ يُضَيَّعْ وَقْتُاً قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي تَصْحِيحِ الْأَوْضَاعِ. هَكَذَا عُلقَ مَصْرَاعَانِ جَدِيدَانِ لِلْبَوَابَةِ مِنَ الْوَحِ الشَّيْطَانِ الْخَامِ الْمَدْعَمَةِ بِالْحَدِيدِ، وَالْآنَ يُبْنَى اسْطَبْلُ جَدِيدٍ فِي مَكَانِ الْقَدِيمِ الَّذِي أَحْرَقَ، كَمَا اسْتُبْدِلَتْ السَّلَالِمُ الصَّاعِدَةُ إِلَى الْحَصَنِ وَمَصَارِيْعُ نَوَافِذِ كَثِيرَةٍ. مَا زَالَتْ الْأَحْجَارُ الْمَسْوَدَّةُ تُشِي بِالْبَقَاعِ الَّتِي لَعَقَتْهَا أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ، لَكِنَّا سَتَبَهَتْ مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ وَسَقُوطِ الْأَمْطَارِ.

دَاخِلَ الْقَلْعَةِ يَذْرَعُ رُمَاهُ النُّشَابِيُّ الشُّرَفَاتِ، بَعْضُهُمْ يَرْتَدِي الْمَعَاطِفَ الْقَرْمِزِيَّةَ وَخَوَذَاتِ الْأَسَدِ، وَبَعْضُهُمْ يَرْتَدِي أَزْرَقَ وَرَمَادِي عَائِلَةٍ فَرَايَ. حَبَّ چَايْمِي فِي السَّاحَةِ لِيَفِرَّ الدَّجَاجَ مِنْ تَحْتِ حَوَافِرِ أَوْتَرٍ، وَثَغَتْ الْخَرَّافُ وَحْدَهُ الْفَلَاحُونَ بِنَظَرَاتٍ بَاهِتَةٍ. لَمْ يَقْتَعْهُ أَنْ هَمَّ فَلَاحُونَ مَسْلُوحُونَ، مِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُ الْمِنْجَلِ وَمِنْهُمْ حَامِلُو الْهَرَاوَاتِ وَالْمَعَاوِلِ مَدِيَّةِ الرُّؤُوسِ، وَهُنَاكَ مِنْهُمْ يَحْمِلُونَ فَوْوسًا أَيْضًا، كَمَا لَمْحَ عِدَّةُ رِجَالٍ مَلْتَحِينَ خِيطَتِ عَلَى سُتْرَاتِهِمُ الرِّتَّةُ الْمَتَسَخَةُ نَجُومَ سُبَاعِيَّةٍ حُمْرَاءَ. الْمَزِيدُ مِنَ الْعَصَافِيرِ الْمَلَاعِينَ. مَنْ أَيْنَ يَأْتِي كُلُّ هَؤُلَاءِ؟ لَمْ يَرَ أَثَرًا لَعَمْرِهِ كَيْفَانِ أَوْ لَانْسِلِ، وَلَمْ يَخْرُجْ لَتَحِيَّتِهِ إِلَّا مَا يَسْتَرِ يَخْفِقُ رِدَاؤُهُ الرَّمَادِي حَوْلَ سَاقِيهِ النَّاحِلَتَيْنِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ الرَّجُلُ قَائِلًا: «حَضْرَةُ الْقَائِدِ، شَرِيفَتِ (دَارِي) بِهَذِهِ... الزَّيَارَةُ غَيْرُ الْمَتَوَقَّعَةِ. أَرْجُو أَنْ تَعُذِّرَنَا لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِنَا. ظَنَّنَا أَنَّكَ فِي طَرِيقِكَ إِلَى (رِيْقَرَنْ)».

رَدَّ چَايْمِي كَاذِبًا: «كَانَتْ (دَارِي) فِي طَرِيقِي». (رِيْقَرَنْ) سَتَنْتَظِرُ. وَإِذَا تَصَادَفَ أَنْ يَنْتَهِيَ الْحَصَارُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْقَلْعَةُ فَسَيُعْفَى مِنَ الْإِضْطِرَارِ إِلَى حَمْلِ السِّلَاحِ ضِدَّ آلِ تَلِي. تَرَجَّلَ وَنَاوَلَ أَحَدَ عُمَّالِ الْإِسْطَبْلِ زَمَامَ أَوْتَرٍ مُتَسَائِلًا: «هَلْ سَاجِدُ عَمِّي هُنَا؟». لَمْ يَذْكُرِ الْأَسْمَ، فَالسَّيْرُ كَيْفَانِ الْعَمُّ الْأَوْحَدُ الَّذِي تَبَقِيَ لَهُ، آخِرُ أَبْنَاءِ تَايْتُوسَ لَانْسِتَرِ الْأَحْيَاءِ.

أجاب المايستر: «لا يا سيدي. السير كيغان رحلَ بعد الزفاف»، وشدَّ سلسلته كأنها ضاقت على عنقه، وتابع: «أعلمُ أن اللورد لانسَل سيُسَرُّ لرؤيتك و... وجميع فُرسانك البواسل، لكن يُوسِفني أن أعترف بأن (داري) لا تستطيع إطعام هذا العدد الكبير».

- «إن معنا مؤننا. مَنْ أنت؟».

- «المايستر أوتومور، بعد إذن سيدي. الليدي أميري رغبت في الترحيب بك بنفسها، لكنها تُشرف على تجهيز مأدبة على شرفك، وتتمنى أن تتمكن وكبار فُرسانك وقادتك من الانضمام إلينا على المائدة هذا المساء».

- «نُرَجِّب بوجبةٍ سـاخنة بالتأكيـد. الأيـام الماضيـة كانت باردةً مطيرةً»، وتطلَّع چايمي عبر السَّاحة إلى وجوه العصافير الملتحين مفـكراً: كثيرون جـداً، ورجـال فراي كثيرون جداً أيضاً. «أين أجدُ الحجر الصُّلب؟».

- «بلغتنا أنباء عن وجود خارجين عن القانون على ضفة (الثالوث) الأخرى، فأخذ السير هاروين خمسة فُرسان وعشرين من الرُّماة وخرجَ يتعامل معهم».

- «واللورد لانسَل؟».

- «يُصَلِّي. حضرة اللورد أمرنا بعدم إزعاجه أبداً في أثناء الصلاة».

هو والسير بونيفر سينسجمان معاً. «ليكن». لاحقاً سيجد الوقت الكافي للحديث مع ابن عمِّه. «اصحبني إلى مسكني واجعلهم يجلبون لي حوض استحمام».

- «بعد إذن سيدي، سنُنزلك في (حصن الحارث). سأريك الطريق».

- «أعرفُ الطريق». ليست هذه القلعة غريبةً على چايمي، إذ سبقَ أن نزل وسرسي هنا ضيفين مرَّتين، الأولى في الطريق إلى (وينترفل) والثانية في طريق العودة إلى (كينجز لاندنج). على الرغم من صغر مساحة القلعة فإنها أكبر من أيِّ خان، وعند النهر ثمة بقاع جيِّدة للصيد، وروبرت باراثيون لم يعزف قط عن استغلال كرم ضيافة رعاياه.

وجد چايمي الحصن كما يذكُّره، وبينما قطعَ به المايستر رواقاً علّق: «الجُدران لا تزال عارية».

قال أوتومور: «اللورد لانسَل يأمل أن يُغطِّيها ذات يومٍ بالمعلقات، مشاهد تُعبر عن الورع والبر».

ردَّد في سريره باذلاً قصارى جهده كي لا يضحك: الورع والبر. كانت الجُدران عاريةً في زيارته الأولى أيضاً، وأشار تيريون إلى مربعات الحجارة الأعمق حيث كانت المعلقات من قبل. استطاع السير رايمون أن يُزيل المعلقات ولكن ليس الآثار التي تركتها. لاحقاً رشا العِفريت أحد خدم داري بحفنةٍ من الأيائل الفضيَّة

من أجل مفتاح القبو الذي يحوي المعلقة المفقودة، وقد أرى چايمي إياها على ضوء شمعة وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة عريضة. كانت الصور المنسوجة لجميع ملوك عائلة تارجارين من إجون الأول إلى إينس الثاني، وقال القزم بضحكة خافتة: «إذا أخبرْتُ روبرت فلربما يجعلني أنا سيّد (داري)».

قاد المايستر أوتومور چايمي إلى قمة الحصن، حيث قال: «إنني واثق بأنك ستكون مستريحًا هنا يا سيّدي. ثمّة مرحاض لتلبية نداء الطبيعة، ونافذك تطلّ على أيكة الآلهة. غرفة نومك مجاورة لغرفة حضرة الليدي، وبينهما حُجيرة خادمة».

- «كان هذا مسكن اللورد داري».

- «نعم يا سيّدي».

- «ابن عمّي في غاية اللطف. لم أكن أريد إخراج لانسل من غرفة نومه».

- «اللورد لانسل ينام في السيّت».

ينام مع (الأم) و(العذراء) في حين أن له زوجة دافئة وراء الباب؟ لا يدري چايمي هل يضحك أم يبكي. ربما يُصلي لكي ينتصب قضيبه. في (كينجز لاندنج) لاكتّ الألسنة شائعة عن أن جراح لانسل تركته عاجزًا. ولو، حريّ به أن يكون عاقلًا كفاية ويحاول. لن يُحكّم ابن عمّه سيطرته على هذه الأراضي الجديدة إلى أن يُنجب ابنًا من زوجته المنتمية نصفياً إلى عائلة داري. بدأ التّدم يُراود چايمي على النّزوة التي دفعته إلى المجيء هنا.

شكر أوتومور وذكره بالحمام وأمره بك باصطحابه إلى الخارج.

تغيّرت غرفة نوم اللورد منذ زيارته الأخيرة، وليس للأفضل. الأرض يُغطّيها الحصير القديم بدلًا من البساط المايري الفاخر، والأثاث كله جديد بسيط. كان سرير السير رايمون داري يسع ستّة أفراد، وله ستائر بيّنة من المخمل وأعمدة من خشب السّنديان منقوشة عليها نباتات متسلّقة وأوراق شجر، أمّا سرير لانسل فحشيّة من القشّ المتكتّل موضوعة أسفل النّافذة حيث يضمن أن يوقظه أول خيوط النّهار. لا ريب أن السرير الآخر قد أحرق أو حطّم أو سُرق، ومع ذلك...

حين وصل حوض الاستحمام خلّع ليو الصّغير حذاء چايمي وساعده على حلّ يده الذهبية، بينما جلب بك وجاريت الماء ووجدت له بيا ثيابًا نظيفة يرتديها على العشاء. رمقته الفتاة بخجل وهي تنفض سترته، ووجد چايمي نفسه يلحظ على نحو غير مريح انحناءات وركيها وتدييها تحت فستانها الخيش البني، ليتذكّر الأشياء التي همست له بها في (هارنهل) ليلة أرسلها كايبرن إلى فراشه. أحيانًا وأنا مع رجلٍ ما أغلق عيني وأتخيّل أنك أنت فوقِي.

شعر بالامتنان لعمق الحوض الذي أخفى إثارته، وإذ نزل في المياه الساخنة تذكّر حمّامًا آخر، ذلك الذي تقاسمه مع بريان. كان محمومًا واهنًا من جرّاء ما

فقد من دماء، ودوّرت الحرارة رأسه فوجد نفسه يقول أشياء كان أفضل ألا تُقال، أما هذه المرّة فلا عُذر له. تذكّر قسمك. پيا أصلح لفرّاش تيرپون من فرّاشك. قال ليك: «أحضّر لي صابونًا وفرّشاةً يابسةً»، ولپيا قال: «يُمكنك أن تتركينا». ردّت مغطيةً فمها كي تُخفي أسنانها المكسورة: «حاضر يا سيّدي، شكرًا يا سيّدي».

حين خرجت سأل چايمي ليك: «هل تُريدها؟»، ولمّا احمرّ وجه المرافق كالبنجر قال له: «إذا قبلتك فخذها. لا شكّ لديّ في أنها ستعلّمك أشياء ستجدها نافعةً ليلة زفافك، وليس محتملاً أن تزرع نغلاً في بطنها». لقد فتحت پيا ساقها لنصف رجال جيش أبيها ولم تحبل، وعلى الأرجح الفتاة عاقر. «لكن إن ضاجعتها فتلطّف بها».

- «أتلطّف يا سيّدي؟ كيف... كيف يُمكنني أن...».

- «كلمات حلوة، لمسات رقيقة. لست تُريد أن تتزوّجها، لكن ما دامت معك في الفرّاش فعاملها كأنها عروسك».

أوما الصّبي برأسه، وقال: «سيّدي، إنني... أين يُمكنني أن أفعل ذلك معها؟ ليس هناك مكان أبدًا ل... ل...».

أكمل چايمي قوله: «... لتكونا وحدكما؟»، وابتسم ابتسامةً واسعةً مردفًا: «سنغيب عدّة ساعات على العشاء. القشّ يبدو متكّيلاً لكن يُفترض أن يكون مناسبًا».

اتّسعت عينا ليك، وسأله: «سرير حضرة اللورد؟».

- «ستشعر كأنك لورد عن نفسك عندما تفرّغ، إذا كانت پيا تعرف ما تفعله». وحرّياً بأحدهم أن يستغلّ تلك الحشيّة القشّ البائسة.

حينما نزل لحضور المأدبة ليلتها كان چايمي لانس-تر يرتدي سترة ضيّقة من المخمل الأحمر المشرّط بقماش الذهب، ووضّع حول رقبتة سلسلة ذهبية مطعمة بالماسات السوداء، وقد ربط يده الذهبية إلى جدعتة أيّ ضاً بعد تلميعها وصقلها حتى تألّقت. ليس هذا بالمكان الملائم لارتداء ثيابه البيضاء، فواجبه ينتظره في (ريقرن)، بينما بعثته حاجة أكثر سوادًا على المجيء هنا.

لا يُقال عن قاعة (داري) الكُبرى إنها كُبرى إلّا على سبيل المجاملة، إذ تتزاحم فيها الموائد من جدار إلى جدار، وعوارض السقف مسودة من الدخان. وضعوا چايمي على المنصة إلى يمين مقعد لانسل الشّاغر، وبينما جلس سأل: «ألن ينضمّ إلينا ابن عمّي على العشاء؟».

أجابّت زوجة لانسل: «سيّدي يُفضّل الصّيام. إنه حزين لأقصى حدّ على السيّتون الأعلى المسكين». الليدي أميري فتاة طويلة الساقين عامرة الصدر

قويّة البنية، تَبْلُغ من العُمر نحو الثَّامنة عشرة، ويبدو من منظرها أنها تتمتع بالصِّحَّة، وإن كان وجهها المدبَّب الممصوص يُدَكِّر چايمي بكليوس ابن عمته الرَّاحل غير مأسوفٍ عليه، الذي بدا دومًا أشبه بابن عرس.

الصِّيَام؟ إنه أكثر حُمقًا مما ظننتُ إذن. المفترَض أن ينشغل ابن عمِّه بإنجاب وريثٍ له وجه ابن عرس من زوجته الأرملة بدلًا من تجويع نفسه حتى الموت. تساءلَ عمّا كان السير كيغان ليقوله عن حماسة ابنه المستجدة هذه. أهذا هو السَّبب وراء رحيل عمِّه المتعجِّل؟ بينما يتنـاولون حَساء الفاصوليا واللحم المقدَّد حـكَّت الليـدي آمـيري لچايمي عـن زوجـها الأول الـذي قـتـلـه السـير جـريجور كليجـاين عـنـدما كـان آل فـراي مـا زالوا يُحاربون في صفوف روب ستارك. «توسَّلتُ إليه ألا يذهب، لكن عزيزي پايت كان شديد الشَّجاعة وأقسم أنه سيكون الرَّجل الذي يَقْتُل الوحش. أرادَ أن يصنع اسمًا عظيمًا لنفسه».

كلُّنا كذلك. «حين كنتُ مُرافقًا قلتُ لنفسي إنني سأكون الرَّجل الذي يَقْتُل الفارس الباسم».

سألته حائرة: «الفارس الباسم؟ مَنْ هو؟».

جبل صباي، نصفه في الحجم وضعفه في الجنون. «خارج عن القانون مات منذ زمن، ليس أحدًا يهتمُّ حضرة الليدي».

ارتعشت شفتها وسالت الدُموع من عينيها البينيتين، فقالت امرأة أكبر سنًّا: «أرجو أن تعذّر ابنتي، إنها لا تزال حزينةً على أبيها». كانت الليدي آميري قد جلبت معها زهاء عشرين من آل فراي إلى (داري)، أختًا وعمًّا ونصف عمٍّ وعددًا من أبناء وبنات العمومة، بالإضافة إلى أمِّها المولودة في (داري).

باكيةً قالت آميري: «المجرمون قتلوه. لم يذهب أبي إلَّا لدفع فدية پيتر ذي الدَّمامل. أحضرَ لهم الذهب الذي طلبوه، لكنهم علَّقوه على كلِّ حال».

قالت الليدي ماريّا: «شنَّقوه يا أمي، أبوك لم يكن لافتةً»، والتفتت إلى چايمي قائلة: «أعتقد أنك كنت تعرفه أيها الفارس».

- «كلانا كان مُرافقًا في (كراكهول)». لن يتماذى ويَزعمُ أنهما كانا صديقين. حين وصلَ چايمي كان ميريت فراي بلطجي القلعة الذي يفرض سيطرته على الصَّبية الأصغر سنًّا. ثم حاولَ البلطجة عليّ. «لقد كان... قويًّا للغاية». هذا هو الشَّاء الوحيد الذي خطرَ بباله. ميريت كان بطيئًا وأحرق وأحمق، لكنه لم يفقر إلى القوَّة إطلاقًا.

قالت الليدي آميري متنشِّقة: «لقد قاتلتما أخوَّة غابة الملوك معًا. اعتادَ أبي أن يحكي لي».

تعنين أن أباك اعتادَ أن يتباهى ويكذب. «صحيح». أكبر إسهامات فراي في

القتال كان الإصابة بعدوى الجُدري من تابعة معسكراتِ والسَّماح لنفسه بالوقوع في أسر الطَّبية البيضاء. آنذاك وسمَّت ملكة الخارجين عن القانون مؤخِّرتَه برمزها قبل أن تُعيده إلى سَمَنر كراكهول لقاء فدية، وطيلة أسبوعين لم يستطع ميريت الجلوس، وإن كان چايمي قد شكَّ في أن الحديد الملتهب ألَمَه بقدر السُّخريَّة التي انهالت عليه من زُملائه المُرافقين فور عودته. الصَّبيَّة أقسى مخلوقاتٍ على وجه الأرض. طَوَّق كأس نبذه بيده الذَّهبيَّة، ورفعها قائلاً: «لذكرى ميريت». أسهل عليه أن يشرب نخب الرِّجل من أن يتكلَّم عنه.

بَعْد النَّخب كَفَّت الليدي آميري عن البُكاء وتحوَّل حديث المائدة إلى الذَّباب، تحديداً النوع ذي الأقدام الأربع. زعمَ السير دانويل فراي إن هناك أعداداً أكبر منها الآن مما يتذكَّر جدُّه نفسه، وقال: «لم تُعد تعرف خوفاً من البَشَر. قُطعان منها هاجمت قافلة أمتعتنا ونحن في الطَّرِيق من (التَّوأمَتين)، وغرسَ رُماتنا سهامهم في نحو دسنةٍ منها قبل أن تفرَّ اليقيَّة»، فردَّ السير أدام ماربراند معترفاً بأن ركبهم واجهَ متاعب مشابهةً في الطَّرِيق من (كينجز لاندنج).

رَكَز چايمي على الطَّعام أمامَه، مقبلاً الخبز بيده اليسرى وممسكاً بيمنه كأس النِّبيذ بحركةٍ خرقاء. شاهد أدام ماربراند يجتذب الفتاة الجالسة إلى جواره، وسـتفون سـويغت يُعيـد خـوض معركة (كينجز لاندنج) بالخبز والملابس والجزر، بينما شدَّ السير كينوس خادمته وأجلسه في حجـره وحته على التَّمليس على بوقه، وسلَّى السير درموت عدداً من المُرافقين بحكايات تطواف الفُرسان في (الغاية المطيرة). في موضع أبعد على المائدة كان هيوجو فانس قد أغمض عينيه، ففكر چايمي: يُفكر في غـوامض الحيـاة ربمـا، أو أنـه يغـفو بـين صـنفيـ وصـنف. عاد يلتفت إلى الليدي ماريا قائلاً: «الخارجون عن القانون الذين قتلوا زوجك... أهُم من جماعة اللورد بريك؟».

على الرغم من الشَّيْب الذي وخطَّ شعـر الليـدي ماريا فإنـها لا تزال امرأةً حسـناء، وقد أجابته: «هذا ما حسـبناه في البداية. القتلـة تفرقوا حين غـادروا (الحجر العتيق). تعقَّب اللـورد فايرن مجموعةً منـهم إلى (السُّوق القصيَّة) لكنـه فقد أثـرهم هنـاك، وقد والدـر الأسـود قنـاصين وكـلاب صـيدٍ إلى (مسـتنقع هـاج) مطارداً الآخرين. أنكرَ الفلاحون رؤيتهم، لكن عند استجوابهم بغلظةٍ غيَّروا أقوالهم وتكلَّموا عن رجلٍ بعينٍ واحدةٍ وآخر يرتدي معطفاً أصفر... وعن امرأةٍ تُخفي ملامحها تحت قلنسوةٍ معطفها».

- «امرأة؟». كان ليحسب أن الطَّبية البيضاء علَّمت ميريت أن يظلَّ بمنأى عن الخارجات عن القانون. «كانت هناك امرأة مع أخوة غابة الملوك أيضاً».

- «سمعتُ بها»، قالت الليدي ماريا، فيما قالت نبرتها: وكيف لا وقد تركت

وسمها على زوجي؟ «الطّبية البيضاء كانت شابةً جميلةً حسب ما يُقال، أمّا تلك المرأة المقلّنة فلا هذا ولا ذاك. الفلاحون يُؤكّدون أن وجهها ممزّق مليء بالندوب ونظرة عينيها مريّة، ويدّعون أنها تقود الخارجين عن القانون». قال چايمي الذي يجد هذا عصياً على التّصديق: «تقودهم؟ بريك دونداريون والراهب الأحمر...».

أتمّت الليدي ماريا عبارته بنبرةٍ واثقة: «... لم يرهما أحد». قال العُفر: «دونداريون مات. الجبل أعمد سكيناً في عينه، ومعنا رجال رأوا هذا بأنفسهم». عقّب أدام ماربراند: «هذه حكاية واحدة. سيقول لك آخرون إن اللورد بريك لا يُقتل».

لَقَت الليدي أميري خُصلةً من شعرها حول إصبعها قائلةً: «السير هاروين يقول إن تلك الحكايات كاذبة. لقد وعدني برأس اللورد بريك. إنه شهيم للغاية»، وعلى الرغم من دموعها تخضب وجهها بالحُمرة.

استعادَ چايمي في ذاكرته الرّأس الذي أعطى بيا إياه، وفي الآن نفسه كادَ يسمع أخاه الصّغير يُفقهه. كان تيريون ليسأل: ماذا جرى لإعطاء النّساء الزّهور؟ وكان لي يقول بضـع كلماتٍ منتقاةٍ عن هـاروين پلـوم أيـضاً، ولو أن «شـهم» ليسـت واحـدةً منـها. أخـوا پلـوم رجـلان كبـيران لحيمـان لكـلٍ منـهما عنـق ثخـين ووجـه متـورّد، وكلاهما صاحب شبقٍ سريع الضّحك سريع الغضب سريع الغُفران... أمّا هاروين فصنف مختلف من آل پلوم، صموت قاسي العينين لا يعرف السّماح، كما أنه مميت وفي يده مطرقة. إنه رجل صالح لقيادة الحامية، لكنه ليس رجلاً يُحبّ. مع أن... رمقَ چايمي الليدي أميري بنظرةٍ متفرّسة.

جاءَ الخدم بطبق سمك الكراكي التّهرّي المخبوز بالأعشاب والمكسّرات المفرومة، فتذوّقته زوجة لانسِل وأبدت استحسانها، ثم أمرت بتقديم الحصة الأولى لچايمي، وبينما يضعون السّمك أمامه مالت من فوق مكان زوجها لتمسّ يده الذهبية قائلةً: «أنت تستطيع أن تقتل اللورد بريك يا سير چايمي كما قتلت ذلك الفارس المبتسم. أرجوك يا سيّدي، أتوسّل إليك، ابقَ وساعدنا على التّغلب على اللورد بريك وكلب الصّيد»، ومسّدت أصابعها الشّاحبة أصابعه الذهبية.

هل تحسبني أشعرُ بهذا؟ «سيف الصّباح هو من قتل الفارس الباسم يا سيّدي، السير آرثر داين، فارس أفضل مني»، وسحبَ چايمي يده الذهبية والتفت إلى الليدي ماريا مخاطباً إياها: «إلى أين تعقب والد الأسود تلك المرأة ذات القلنسوة ورجالها؟».

أجابته المرأة الأكبر سناً: «كلابه التقطت رائحتهم ثانيةً شمال (مستنقع هاج).

يُقسِم أنه لم يكن وراءهم بأكثر من نصف يومٍ حين اختفوا في (العُنق)». أعلن السير كينوس بمرح: «فليتعمَّنوا هناك. إذا شاءت الآلهة ستبتلعهم الرِّمال المتحرِّكة أو تلتهمهم الأسود الزواحف»⁶⁴.

قال السير دانويل فراي: «أو يأخذهم أكلة الضَّفادع. لن يُدهِشني أن يُؤوي أهل المستنقعات الخارجين عن القانون».

قالت الليدي ماريا: «ليتهم الوحيدون. بعض لوردات النهر متواطئ مع رجال اللورد بريك أيضًا».

تنشَّقت ابنتها، وقالت: «والعامَّة أيضًا. السير هاروين يقول إنهم يُخبِّئونهم ويُطعمونهم، ولمَّا يسألهم أين ذهبوا يكذبون. يكذبون على سادتهم!». حضَّها العُفر قائلاً: «اقطعوا ألسنتهم إذن».

قال چايمي: «خطأ سعيدًا في الحصول على إجاباتٍ إذن. إذا أردتم مساعَدتهم فعليكم أن تجعلوهم يحبُّونكم. هذا ما فعله آرثر داین حين خرجنا لقتال أخوة غابة الملوك؛ نَقَدَ العامَّة ثَمَنَ الطَّعام الذي أكلناه، وأُطْلِعَ الملك إيبرس على مظالمهم، ووسَّع مساحات الرِّعي حول قُراهم، وكسَبَ لهم حقَّ قطع عِدَدٍ معيَّن من الأشجار كلَّ عام وصيد بعض غزلان الملك في الخريف. أهل الغابة تطلَّعوا إلي توين لينقِذهم، لكن السير آرثر فعل من أجلهم أضعاف ما كانت الأخوة لتأمل أن تفعله، وكسَبَهم إلى صفِّنا، وبعدها كانت البقية سهلة».

قالت الليدي ماريا: «حضرة القائد يتكلَّم بحكمة. لن نتخلَّص من هؤلاء المجرمين أبدًا ما لم يحبَّ العامَّة لانسل كما أحبُّوا أبي وجدِّي من قبل».

رمقَ چايمي مكان ابن عمِّه الخالي مفكِّرًا: غير أن لانسل لن يربح حبَّهم بالصَّلاة أبدًا.

مطَّت الليدي أميري شفَّتها قائلةً: «سير چايمي، أتوسَّلُ إليك ألا تتخلَّي عنا. إن زوجي في حاجةٍ إليك وكذلك أنا. نحن في زمنٍ مخيف حقًا. في بعض الليالي أكادُ لا أستطيعُ النوم من خوفي».

- «مكاني مع الملك يا سيِّدتي».

قال العُفر: «أنا سأتي. حالما نَفْرُغ من (ريفررن) سأكون متشوّقًا إلى قتال آخر، ولو أن اللورد بريك لن يصمُد أمامي. إنني أذكره في دورات المباريات السابقة. كان فتىً وسيماً في معطفٍ أُنِيق، نحيلًا وغيَّرًا».

قال السير آروود فراي الشاب: «كان هذا قبل أن يموت. العامَّة يقولون إن الموت غيَّره. يُمكنك أن تقتله لكنه لن يبقى ميتًا. كيف تقتل رجلًا كهذا؟ وهناك كلب الصيد أيضًا. لقد قتلَ عشرين رجلًا في (الملاحات)».

قهقهة الغُفر بقوة، وقال: «قتلَ عشرين صاحب خانٍ بدينًا ربما، عشرين خادمًا يبولون في سراويلهم، عشرين أخًا شحاذًا مسلحين بالآنية. ليس عشرين فارسًا، ليس أنا».

ردَّ السير آروود بإصرار: «ثمَّة فارس في (الملاحات). الرَّجل اختبأ وراء أسواره بينما عاثَ كليجاين وكلايه المسعورة تدميرًا في بلدته. إنك لم ترَ الأشياء التي فعلها أيها الفارس، أنا رأيتهَا. حين بلغت الأخبار (التَّوأمَتين) خرجتُ مع السير هاريس هاي وأخيه دونل وخمسين من الرُّماة والمُشاة. كنا نظن أن اللورد بريك هو من فعلَ هذا وأملنا أن نجد أثره لنقتفيه. لم يتبقَّ في (الملاحات) إلَّا القلعة، وكان السير كوينسي العجوز مرعوبًا لدرجة أنه رفضَ فتح بوابته، وخاطبنا بالزَّعيقِ من فوق أسواره بالأعلى. البقية عظام ورماد، البلدة بأكملها. كلب الصيد أحرق المباني وقتل السُّكَّان وغادرَ ضاحكًا. النِّساء... لن تُصدِّقوا ما فعله بعض النِّساء. لن أتكلَّم عن هذا على المائدة. مجرد مرآه أثارَ غثياني».

قالت الليدي آميري: «لقد بكيْتُ عندما سمعتُ».

رشفَ چايمي من نبيذه، وسأل: «وما الذي يجعلكم واثقين بأنه كلب الصَّيد؟». ما يصفونه أقرب إلى أفعال جريجور من ساندور. صحيح أن ساندور قاسٍ صُلْب، لكن أخاه الكبير هو الوحش الحقيقي في عائلة كليجاين.

قال السير آروود: «هناك من رأوه. ليس من السَّهل ألاَّ يتعرَّف المرءُ خوذته إياها أو ينساها، وثمَّة من نجوا ليحكوا ما جرى؛ الفتاة التي اغتصبها، وبعض الصِّبية الذين تواروا، وامرأة وجدناها حبيسةً تحت عارضةٍ متفجِّمة، والصَّيَّادون الذين شاهدوا المجزرة من قواربهم...».

قالت الليدي آميري بخفوت: «لا تصفها بالمجزرة، إنها إهانة للجزارين الشُّرفاء في كلِّ مكان. ما حدثَ في (الملاحات) من صنْع حيوانٍ رهيب في هيئةٍ بشريَّة».

هذا زمن الحيوانات، الأسود والدِّئاب والكلاب الغاضبة، زمن الغدبان وغربان الجيف.

عادَ الغُفر يملأ كأسه قائلاً: «عمل آثم. ليدي ماريا، ليدي آميري، لقد أثرت في محنتكما. لكما كلمتي، ما إن تسقط (ريقرن) سأعودُ لملاحقة كلب الصَّيد وأقتله من أجلكما. الكلاب لا تُخيفني».

المفترَض أن يُخيفك هذا الكلب. كلا الرَّجلين كبير الحجم قويَّ، إلَّا أن ساندور كليجاين أسرع كثيرًا، ويُقاتل بشراسةٍ لا يقوى لایل كراكهول على مضاهاتها.

على أن الليدي آميري قالت مفتونةً: «أنت فارس حقيقي يا سير لایل لمساعدتك ليدي في محنةٍ مثلي».

لم تدعُ نفسها بالفتاة على الأقل. مدَّ چايمي يده الـذهب

إلى كأسه فأسقطها، ليتشرب مفرش المائدة الكتاني النبيذ، وبينما أتسعت بُقعّة الأحمر تظاهر رفاقه جميعًا بأنه لم يلحظوا. قال لنفسه: إنها كياسة المائدة العالية، لكن مذاقها في فمه لم يختلف عن مذاق الشفقة. نهض على حين غرة قائلاً: «سيدتي، أرجو أن تعذريني».

بدا الانزعاج على الليدي آميري، وقالت: «هل ستتركنا؟ ما زلنا سنأكل لحم الغزلان، وهناك ديوك محشوة بالكرفس والفطر».

- «لا شكّ أنهما صنفان شهيّان، لكني لن أستطيع أن أكل لُقمةً أخرى. يجب أن أرى ابن عمّي»، وحنى چايمي رأسه وتركهم لطعامهم.

كان الرجال يأكلون في السّاحة أيضًا، وقد تحلّق العصفير حول دسّة من بؤر النّار لتدفئة أيديهم من برد الغسق ومتابعة أصابع السّجق السّميّة التي تُطقطق وينزّ منها الدّهْن فوق النّار. لا بُدّ أنهم مئة على الأقل. أفواه معدومة القيمة. تساءل چايمي عن مخزون السّجق لدى لانسل وكيف ينوي إطعام العصفير حين ينفد. بحلول الشّيْتاء ستجدهم يأكلون الجردان، ما لم يجدوا محصولًا يحصدونه. في هذا الوقت المتأخّر من الخريف فرصة حصادٍ آخر ضعيفة.

وجد سِيت القلعة في الجناح الدّاخلي، مبنى سُباعيّ الجوانب بلا نوافذ، نصفه من الخشب وبابه الخشبي منقوش وسطحه مغطى بالبلاط. على الدّرجات يجلس ثلاثة من العصفير، وقد نهضوا مع اقتراب چايمي، وسأله أحدهم: «أين أنت ذاهب يا سيّدي؟». هو أصغر الثلاثة، لكن لحيته الأكبر.

- «إلى الدّاخل؟».

- «حضرة اللورد في الدّاخل، يُصَلّي».

- «حضرة اللورد ابن عمّي».

قال عُصفور آخر، رجل أصلع ضخم فوق عينه رسم لنجمة سُباعيّة: «إذن فلست تريد إزعاج ابن عمّك في أثناء صلاته يا سيّدي».

- «اللورد لانسل يسأل (الأب في الأعلى) الهداية»، قال العُصفور الثّالث الحليقي، الذي حسبه چايمي صبيًّا أولًا، لكن صوتها أخبره بأنها امرأة ترتدي أسمالاً بلا شكل وقميصًا من الحلقات المعدنيّة الصّدئة. «يُصَلّي لأجل أرواح السيّتون الأعلى وكلّ من ماتوا».

أجابها چايمي: «سيظلّون موتى غدًا. (الأب في الأعلى) لديه وقت أطول مني. هل تعرفون من أنا؟».

ردّ الكبير ذو العين المنجّمة: «لورد ما».

وقال الصّغير ذو اللّحية الكبيرة: «مُعاق ما».

وقالت المرأة: «قاتل الملك، لكننا لسنا ملوكًا وإنما مجرّد صعاليك، ولا يُمكنك الدّخول ما لم يقلّ حضرة اللورد أن تدخّل»، ورفعت هراوة مدبّبة ورفع الصّغير

فأسًا.

انفتح الباب من ورائهم، وقال لانسِل برفق: «دعوا ابن عمِّي يمرُّ بسلامٍ أيها الأصدقاء، كنتُ في انتظاره».

وانزاح العصافير في الحال.

يبدو لانسِل أكثر هزلاً مما كان في (كينجز لاندنج)، ثم إنه حافي القدمين ويرتدي سُترة قصيرة تقليدية من الصُوف غير المصبوغ تجعله يبدو أقرب إلى متسوّلٍ من لورد، وكان قد حلقَ قِمةَ رأسه ونبتَ زغبٍ لحيته بعض الشيء، ولو أن من الصَّعب أن يعدَّ ما على وجهه زغبًا، خصوصًا أنه لا يتماشى مع الشَّعر الأبيض حول أذنيه.

قال چايمي لمَّا صارا وحدهما داخل السِّيت: «هل فقدت عقلك يا ابن العم؟».

- «أوتر أن أقول إنني عثرتُ على إيماني».

- «أين أبوك؟».

أجاب لانسِل: «رحل. لقد تشاجرنا»، وركعَ أمام مذبح أبيه الآخر قائلاً: «هلاً صليتَ معي يا چايمي؟».

- «هل سيُعطيني (الأب) يدًا جديدةً إذا صليتُ جيّدًا؟».

- «لا، لكن (المُحارب) سيُعطيك الشَّجاعة، و(الحدّاد) القوّة، و(العجوز) الحكمة».

- «إنني محتاج إلى يد». فوق المذابح المنحوتة ترتفع الآلهة السَّبعة ويلتصع خشبها الدّاكن في ضوء الشموع، وفي الهواء رائحة بخورٍ خفيفة. «هل تنام هنا؟».

- «كلّ ليلةٍ أنامُ عند مذبحٍ مختلفٍ ويُرسِل لي (السَّبعة) رؤى».

كان بيلور المبارك يرى رؤى أيضًا. خصوصًا عندما يصوم. «متى أكلت آخر مرّة؟».

- «إيماني الغذاء الوحيد الذي يلزمني».

- «الإيمان كالثرّيد، أفضل بالحليب والعسل».

- «لقد حلمتُ بأنك ستأتي. في الحُلُم كنت تعرف الذي فعلته وما ارتكبتُ من خطايا، ولأجل هذا قتلتنني».

- «الأرجح أنك ستقتل نفسك بكلّ هذا الصَّيام. ألم يصُم بيلور المبارك حتى الموت؟».

- «ما حيواتنا إلّا لهب شموع، كما تقول (النَّجمة السُّباعيّة)، مجرد هبة ريح شاردة كفيلة بإطفائها. الموت ليس بعيدًا أبدًا في هذا العالم، وثمة سبع جحائم تنتظر الخطاة الذين لم يتوبوا عن خطاياهم. صلّ معي يا چايمي».

- «إذا فعلتُ فهل ستأكل وعاءً من الثَّرِيد؟». لم يُجبه ابن عمّه، فزفر چايمي، وقال: «حريّ بك أن تنام مع زوجتك لا (العذراء). إنك في حاجةٍ إلى ابن في

عروقه دماء داري إذا أردت الاحتفاظ بهذه القلعة». قال لانسِل: «كومة حجارة باردة لم أطلبها ولم أردّها، لم أرد إلا أن...»، وارتجف مردفًا: «فليحميني (السبعة)، لكنني أردت أن أكون أنت».

ضحك چايمي رغمًا عنه، وقال: «أنا أفضل من بيلور المقدّس. (داري) محتاجة إلى أسدٍ يا ابن عمّي، وكذا زوجتك الصّغيرة ابنة فراي. كلّمّا أتى أحدهم على ذكر الحجر الصلب ابتلّ ما بين ساقيهّا. إذا لم تكن قد ضاجعته بعدُ فستفعل قريبًا».

- «إذا كانت تحبّه فأتمنى أن يجد كلاهما المسرّة في الآخر».

- «لا يجدر بالأسد أن يكون له قرنان. لقد تزوّجت الفتاة».

- «ردّدتُ بعض الكلمات وأعطيتها معطفاً أحمر، ولكن لإرضاء أبي فحسب. الزّيجة تتطلّب أن تتمّ في الفراش. الملك بيلور اضطرّ إلى الزّواج بأخته داينا، لكنهما لم يعيشا كزوج وزوجة قط، وحال تتويجه اعتزلها».

- «كان أصلح للبلاد أن يُغلق عينيه وينكحها. أعرفُ ما يكفي من التّاريخ لأدرك هذا. على كلّ حال ليس واردًا أن يحسبك أحد كبيلور المبارك».

- «صحيح. لقد كان صاحب نفس نادرة، نفس نقيّة وشجاعة وبريئة لم تمسّها شرور العالم. أمّا أنا فأثم، ولديّ كثير أكفرّ عنه».

وضع چايمي يده على كتف ابن عمّه، وقال: «ماذا تعرف عن الآثام يا ابن عمّي؟ لقد قتلتُ ملكي».

- «الشّجاع يقتل بالسّيف، والجبان بقربة نبيذ. كلانا قاتل ملكٍ أيها الفارس».

- «روبرت لم يكن ملكًا حقًا، بل وقد يقول بعضهم إن الوعل فريسة الأسد الطّبيعيّة». كان چايمي يشعُر بالعظم البارز تحت جلد ابن عمّه... وبشيء آخر أيضًا، إذ يرتدي لانسِل قميصًا من الشّعْر تحت سترته. «ماذا فعلت غير هذا ويتطلّب تكفيرًا؟ أخبرني؟».

طأطأ ابن عمّه رأسه والدموع تجري على وجنتيه.

وكانت هذه الدّموع كلّ الإجابة التي أرادها چايمي، الذي قال: «قتلت الملك ثم نكحت الملكة».

- «لم يحدث قط...».

- «... أن نمت مع أختي الجميلة؟». قلّها، قلّها!

- «لم يحدث قطّ أنني أفرغت منّي في... في...».

- «... فرجها؟».

- «... في رحمها. إنها ليس خيانةً ما لم تُفرغ المنّي في الـداخل. لقد واسيتها بعد موت الملِك. كنت أنت أسيرًا وأبوك في

مي-دان المعركة وأخوك... كـانت تخشاه، ولسبب وجيه. لقد جعلني أخونها».

- «حقاً؟». لانسِل والسير أوزموند وكم غيرهما؟ هل قال فتى القمر على سبيل الاستهزاء؟ «هل أكرهتها؟».

- «لا! لقد أحببتها، أردتُ أن أحميها».

أردت أن تكون أنا. أحسَّ بأصابعه الشَّبَحِيَّة تستحكه. يوم أتته أخته في (بُرج السَّيف الأبيض) تتوسَّل إليه أن يتبرَّأ من قِسمه - يومها ضحكت بعد أن رفض وقالت متبجَّحة إنها كذبت عليه ألف مرَّة، لكن چايمي اعتبرها محاولةً رعناء لإيلامه كما ألمها. ربما كان هذا الشَّيء الحقيقي الوحيد الذي قالته لي.

ناشده لانسِل قائلاً: «لا تُسَيِّ الظنَّ بالملكة. كلُّ مخلوقٍ من لحمٍ ضعيف يا چايمي. لم يَنْتُج عن خطيئتنا أذى، لا... لا نغول».

- «نعم، نادرًا ما يَنْتُج النُّغول عن إفراغ المنيِّ على البطن». تساءلَ عما سيقوله ابن عمِّه إذا اعترف له بخطاياهُ هو، بالخِانات الثلاث التي سمَّتها سرسي چوفري وتومن ومارسلا.

- «كنتُ غاضبًا من جلالتها بعد المعركة، لكن السَّيِّتُون الأعلى قال إن عليَّ أن أسامحها».

- «إذن فقد اعترفت بخطاياك لصاحب القداسة الأعلى، أليس كذلك؟».

- «لقد صلَّيَ معي عندما كنتُ جريحًا. كان رجلًا صالحًا».

إنه رجل ميت، دَفُّوا له الأجراس بالفعل. تساءلَ إن كانت لدى ابن عمِّه فكرة عما قد تُثْمِرهُ كلماته. «لانسِل، أنت أحقُّ كبير».

قال لانسِل: «لست مخطئًا، لكني وضعتُ حماقتي ورائي أبها الفارس. لقد سألتُ (الأب في الأعالي) أن يُريني السَّبيل، وقد فعلَ. سأَتخلَّى عن هذه اللوردِيَّة وهذه الزَّوجة. هنيئًا للحجر الصُّلب بهما إذا أرادَ. غداً سأعودُ إلى (كينجز لاندنج) وأتعهدُ بسيفي للسَّيِّتُون الأعلى الجديدو(السَّبعة). إنني أنوي حلفان اليمين والانضمام إلى أبناء المُحارب».

علَّق چايمي الذي لم يفهم ما قاله الصَّبي: «أبناء المُحارب محظرون منذ ثلاثمئة عام».

- «السَّيِّتُون الأعلى الجديد أحياهم، وأرسلَ يستدعي الفُرسان الجديرين ليتعهدوا بأنفسهم وسيوفهم لخدمة (السَّبعة). جماعة الصَّعاليك ستعود ثانيةً أيضًا».

- «ولمَ يسمح العرش الحديدي بهذا؟». يذكُر چايمي أن أحد ملوك تارجارين الأوائل كافحَ أعوامًا لقمع الجماعتين العسكريَّتين، وإن كان قد نسيَ مَنْ. ميجور ربما، أو چهيرس الأول. كان تيريون ليعرف.

- «صاحب القداسة الأعلى كتبَ قائلاً إن الملكَ توَمنَ وافقَ. سأريكَ الرِّسالةَ إذا أردتَ».

- «حتي إذا كان هذا صحيحًا... أنتَ أسد من أولاد (الصَّخرة)، لورد! إن لك زوجةً وقلعةً وأراضٍ تُدافع عنها ورعايا تحميهم، وإذا شاءت الآلهة سيكون لك أبناء من دمك يخلفونك. لماذا تهجر كلَّ هذا من أجل... من أجل يمين؟».

سأله لانسل: «لماذا هجرت أنت ما كان لك؟».

كان چايمي ليُجيب: من أجل الشَّرَف، من أجل المجد، ولكن لكانت إجابته كاذبة. أي نعم لعبَ الشَّرَف والمجد دورًا، إلَّا أن الجزء الأكبر من حافزه كان سرسي.

فرَّت ضحكة من بين شفثيه، وقال: «هل تهرع إلى السيِّتون الأعلى أم إلى أختي الجميلة؟ صلِّ لتعرف الإجابة يا ابن عمِّي، صلِّ كثيرًا».

- «هلاً صليتَ معي يا چايمي؟».

تطلَّع إلى الآلهة في جوانب السيِّت؛ إلى (الأم) الملائ بالرحمة، و(الأب) الصَّارم في حُكمه، و(المُحارب) المستقرَّة يده على سيفه، وإلى (الغريب) وسط الظلال، يتوارى وجهه نصف الإنسانى تحت قلنسوة معطفه. حسبتُ نفسي (المُحارب) وسرسي (العذراء)، لكنها كانت (الغريب) طيلة الوقت، تُخفي وجهها الحقيقي عن بصري.

قال لابن عمِّه: «صلِّ من أجلي إذا أردت. لقد نسيْتُ الكلمات كلَّها».

كان العصافير ما زالوا يُرفِّفون على الدَّرج عندما خرجَ چايمي إلى اللَّيل، فقال لهم: «أشكركم. أشعرُ بأنِّي أكثرَ إيمانًا بكثير الآن».

وذهبَ ووجدَ السيرَ إلين وزوجين من السيُّوف.

ساحة القلعة مليئة بالأعين والأذان، ولتحاشيها سعى إلى ألكة الآلهة. لا يوجد عصافير هنالك، فقط سكينه الأشجار الجرداء التي تخدش فروعها السوداء السَّماء، وقد افترش الأرض بساط من أوراق ميتة سحقته أقدامهما.

أشارَ چايمي بسيفه قائلاً: «هل ترى هذه النَّافذة أيها الفارس؟ كانت هذه غُرفة نوم رايمون داري، حيث نامَ روبرت خلال رحلة عودتنا من (وينترفل). لا بُدَّ أنك تذكُر أن ابنة ند ستارك هربتَ بعد أن هاجمتَ ذئبتها خوف. أرادت أختي أن تُقطع يد الفتاة، العقوبة القديمة لضرب أحد ذوي الدَّم الملكي، فقال لها روبرت إنها متوحشة مجنونة، وقضيا نصف اللَّيلة في الشَّجار... أو أن سرسي تشاجرت في حين شربَ روبرت. بعد منتصف اللَّيل استدعَني الملكة إلى داخل الغُرفة، وكان الملك قد فقدَ وعيه وراحَ يغطُّ في نومٍ عميق على البساط المايري. سألتُ أختي إن كانت تُريدني أن أحمله إلى الفراش، فقالت لي أن أحملها هي إلى

الفِراش وخلعت ثوبها، وأخذتها هناك على فراش رايمون داري بعد أن خطونا فوق روبرت. لو استيقظ جلالته لقتلته في مكانه في لحظتها، ولما كان أول ملك يموت بسيفي... لكنك تعرف تلك القصة، أليس كذلك؟»، وضرب غصن شجرة شاطئاً إياه نصفين، وتابع: «بينما أضاجع سرتسي صاحت: أريد. ظننتها تُريدني أنا، لكن من أرادتِه كان ابنه ستارك، إمّا مشوّهة وإمّا ميتة». يا للأشياء التي أفعلها من أجل الحب. «تصادف أن عثر رجال ستارك على الفتاة قبلي، لكن لو عثرتُ عليها أولاً...».

في ضوء المشعل بدت آثار الجُدري على وجه السير إلين كثقوب سوداء مظلمة كروح چايمي، وأصدر الرجل صوت الطقطقة إياه.

فكر چايمي لانس-تر: يضحك مني، وقال بحدة: «على حد علمي ربما تكون قد ضاجعت أختي أيضاً أيها الوغد المجنون. حسن، أغلق فمك اللعين واقتلني إن استطعت».

بريان

يرتفع السيّطري فوق جزيرةٍ منبثقة من قلب الماء على بُعد نصف ميل من الساحل، حيث يتسع ثغر (الثالوث) الواسع أكثر فأكثر ليَقْبِلَ (خليج السّراطين). حتى من الشّاطئ يبـدو ازدهـارها جلـياً؛ منحـدّراتها مغـطاة بـالحقول المـدرّجة، وأسـفلها برك أسـماكٍ وأعلاهـا طاحونـة هـواء تـدور ريشـاتها المصـنوعة مـن الخشـب وقمـاش الأشرعة ببطءٍ في نسيم الخليج، ورأت بريان خرافاً ترعى على جانب التّلّ ولقالق تخوض في المياه الضحلة حول مرسى العبّارة.

قال السيّتون ميريولد مشيراً شمالاً عبر الخليج: «(الملاحات) على الضّقة الأخرى. سيَعْبُر بنا الإخوة غدًا في تيّار الصّباح، ولو أنني متوجّس خيفةً مما سنجدّه هناك.

لنستمتع بوجبةٍ شهيةٍ ساخنة قبل أن نواجهه. الإخوة عندهم دائماً عظم يستغنون عنه لكلب». مع قوله الأخير نبّح كلب وهزّه ذيله.

كانت المياه التي تفصل الجزيرة عن الساحل تنحسر بسُرعةٍ مع الجَر، تاركةً مساحةً شاسعةً من السّهول الطينية اللامعة التي تنتشر فيها البرك المديّة المتلألئة كعُمَلاتٍ من الذهب في شمس الأصيل. حكّت بريان مؤخرة عنقها حيث لدغتها حشرة، وكانت قد رفعت شعرها وثبتته بدبوسٍ ودقات الشّمس بشرتها.

سأل پودريك: «لماذا يُسمونها (جزيرة الهدوء)؟».

- «مَن يَقْطُنون هنا تائبون يسعون إلى التّكفير عن ذنوبهم عن طريق التّأمل والصّلاة والصّمت. فقط الأخ الكبير ونظّاره مسموح لهم بالكلام، والنّظار يتكلّمون يوماً واحداً فقط من كلّ سبعة».

قال پودريك: «الأخوات الصّامات لا يتكلّمن أبداً. سمعتُ أنهن بلا السنة».

ابتسم السيّتون ميريولد، وقال: «منذ كنتُ في سيّك أسمعُ الأمّهات يُخفن بناتهن بهذه الحكاية، لكنها لم تمتّ للحقيقة بصلةٍ آنذاك ولا تمتّ لها بصلةٍ الآن. نذر الصّمت فعل الغرض منه التّوبة، تضحية تُثبت بها انكبابنا على عبادة (السّبعة في الأعالي). أن يأخذ الأخرس على نفسه نذر صمتٍ أشبه بأن يعتزل رجل بلا ساقين الرّقص»، وقادَ حماره نازلاً به المنحدّر، وأشارَ لهم بأن يتبعوه مستطرداً: «إذا أردتم التّوم تحت سقفي الليلة فعليكم أن تترجّلوا وتعبّروا الأوجال معي. تُسمّيه طريق الإيمان. وحدهم المؤمنون يستطيعون عبوره بأمان، أمّا الّاثمون فتبتلعهم الرّمال المتحرّكة أو يغرقون عندما يتدفّق المدّ. أملُ أن لا أحد منكم آثم. ومع ذلك أنصحكم بالانتباه إلى موطئ أقدامكم. امشوا حيث أمشي فقط وستبلّغون الجانب الآخر».

لَمْ يَكُنْ بِمَقْدُورِ بَرِيَّانٍ إِلَّا تَلَحُّظُ أَنَّ طَرِيقَ الْإِيمَانِ مَعْوَجٌّ، فَعَلَى
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْجَزِيرَةَ تَرْتَفِعُ إِلَى شِمَالِ شَرْقِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تَحْرُكُوا
مِنْهَا عَلَى الشَّاطِئِ، لَمْ يَتَّجِهْ السَّيِّطُونَ مِيرِيْبُولْد صَوْبَهَا فِي خَطِّ مُسْتَقِيمٍ،
وَبَدَلًا مِنْ هَذَا تَحَرَّكَ شَرْقًا نَحْوَ مِيَاهِ الْخَلِيجِ الْأَعْمَقِ الَّتِي تَبْرُقُ بِالْأَزْرَقِ وَالْفَضِي
مِنْ بَعِيدٍ. انْهَرَسَ الطَّمِي الْبَنِي اللَّيْنُ بَيْنَ أَصَابِعِ قَدَمِيهِ، وَفِي أَثْنَاءِ سِيرِهِ كَانَ
يَتَوَقَّفُ بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْفِينَةِ وَيَجْسُ الطَّرِيقَ أَمَامَهُ بِنُبُوْتِهِ، وَقَدْ ظَلَّ كَلْبٌ يَمْشِي
فِي أَعْقَابِهِ مُتَشَمِّمًا كُلَّ صَخْرَةٍ وَصِدْفَةٍ وَكُتْلَةٍ مِنْ طَحَالِبِ الْبَحْرِ، مَمْتَنًّا هَذِهِ
الْمَرَّةَ عَنْ اسْتِبَاقِهِمْ أَوْ الْحِيدِ عَنِ الطَّرِيقِ.

تَحَرَّكَتْ بَرِيَّانُ بِحَرَصٍ عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِخَطِّ الْآثَارِ الَّتِي يَرْسُمُهُ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَرَجُلُ
الدِّينِ، وَوَرَاءَهَا بِوَدْرِيَّكٍ ثُمَّ السَّيْرُ هَائِلٌ. بَعْدَ أَنْ قَطَعُوا مِئَةَ يَارْدَةٍ انْعَطَفَ مِيرِيْبُولْدُ
بَغْتَةً إِلَى الْجَنُوبِ فَكَادَ ظَهْرُهُ يُصْبِحُ إِلَى السَّيِّطَرِيِّ مُبَاشِرَةً، وَقَدْ وَاصَلَ السَّيْرَ فِي
هَذَا الْإِتِّجَاهِ مِئَةَ يَارْدَةٍ أُخْرَى قَائِدًا إِيَّاهُمْ بَيْنَ بَرَكَتَيْنِ مَدِّيَّتَيْنِ ضَحْلَتَيْنِ. دَسَّ كَلْبٌ
فَمَهُ فِي إِحْدَاهُمَا وَنَبَحَ عِنْدَمَا قَرَصَهُ سَرَطَانٌ بِمَخَالِبِهِ، ثُمَّ انْدَلَعَ قِتَالٌ قَصِيرٌ لَكِنْ
عَنِيفٌ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ الْكَلْبُ مُتَوَثِّبًا وَقَدْ ابْتَلَّ جِسْمَهُ وَتَلَوَّثَ بِالْوَحْلِ وَبَيْنَ فُكَيْهِ
السَّرَطَانُ.

نَادَى السَّيْرُ هَائِلٌ مِنْ وَرَائِهِمْ مُشِيرًا إِلَى السَّيِّطَرِيِّ: «أَلَسْنَا نُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى
هَنَّاكَ؟ يَبْدُو أَنَّنَا نَمْشِي فِي كُلِّ إِتِّجَاهٍ مَا عَدَا نَحْوَهُ».

رَدَّ السَّيِّطُونَ مِيرِيْبُولْدَ بِنَبْرَةٍ مُلَحَّةٍ: «الْإِيمَانُ. آمِنْ وَثَابِرٍ وَاتَّبِعْ وَسَنَجِدُ السَّلَامَ الَّذِي
نَسْعَى إِلَيْهِ».

مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حَوْلَهُمْ تَلْتَمِعُ الْأَرْضُ الْمُسَطَّحَةُ الْمُبْتَلَّةُ الْمَرْقُشَةُ بِعِشْرَاتِ دَرَجَاتِ
الْأَلْوَانِ. الطَّمِي الْبَنِي دَاكُنَ لِلْغَايَةِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يَكَادُ يَبْدُو أَسْوَدَ، لَكِنْ هَنَّاكَ رُقْعًا مِنْ
الرَّمْلِ الذَّهَبِيِّ أَيْضًا، وَصَخُورًا مُنْتَصِبَةً حُمْرَاءَ وَرْمَادِيَّةٍ، وَشِبَاكًا مِنْ الطَّحَالِبِ
الْبَحْرِيَّةِ السَّوْدَاءِ وَالْخَضْرَاءِ. فِي الْبَرَكِ الْمَدِّيَّةِ تَتَحَرَّكُ اللَّقَالِقُ تَارِكَةً آثَارَ أَقْدَامِهَا
فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَتَجْرِي السَّرَاطِينُ مَسْرَعَةً عَلَى سَطُوحِ الْمِيَاهِ
الضَّحْلَةِ، بَيْنَمَا تُفْعِمُ الْهَوَاءُ رَوَائِحَ الْمَلْحِ وَالْعَفْنِ، وَتَمْتَصُّ الْأَرْضُ
أَقْدَامَهُمْ وَلَا تَتْرُكُهَا تَتَحَرَّرَ إِلَّا عَلَى مَضِضٍ بِصَوْتٍ كَالْفَرْقَعَةِ الْمَصْحُوبَةِ
بِتَنْهِيدَةٍ بَلِيلَةٍ. انْعَطَفَ السَّيِّطُونَ مِيرِيْبُولْدَ مَرَّةً أُخْرَى وَأُخْرَى، لِتَمْتَلِئِ آثَارُ
قَدَمِيهِ بِالْمَاءِ تَوَّ أَنْ يَخْطُو مُبْتَعِدًا، وَحِينَ أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ أَكْثَرَ صَلَابَةً وَبَدَأَتْ تَرْتَفِعُ
تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ أُخِيرًا كَانُوا قَدْ قَطَعُوا مِيلًا وَنِصْفًا عَلَى الْأَقْلِ.

كَانَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ فِي انْتِظَارِهِمْ وَهُمْ يَتَسَلَّقُونَ الْحِجَارَةَ الْمَكْسَّرَةَ الَّتِي تُطَوِّقُ
سَاحِلَ الْجَزِيرَةِ، يَرْتَدُونَ ثِيَابَ الْإِخْوَةِ ذَاتِ الْأَكْمَامِ الْوَاسِعَةِ وَالْقِلَانِسِ الْمَدْبُوبَةِ
بِلُونِيهَا الْبَنِي وَالرَّمَادِيِّ، وَمِنْهُمَا اثْنَانِ يَلْفُ كِلَاهُمَا وَشَاحًا مِنَ الصُّوفِ حَوْلَ نِصْفِ
وَجْهِهِ السُّفْلِيِّ أَيْضًا، فَلَا يَلُوحُ مِنْهُ إِلَّا الْعَيْنَانِ. الْأَخُ الثَّلَاثُ هُوَ مَنْ تَكَلَّمَ مُنَادِيًا:
«السَّيِّطُونَ مِيرِيْبُولْدُ. مَضَى مَا يَقْرُبُ مِنْ عَامٍ. أَهْلًا بِكَ وَبِرَفَاقِكَ أَيْضًا».

هزهرَ كلب ذيله، ونفضَ ميريولد الوحل عن قدميه قائلاً: «هل لنا في التماس كرم ضيافتكم ليلة؟».

- «نعم، بالطبع. سنتناول يخنة السمك هذا المساء. هل ستحتاجون إلى العبارة في الصباح؟».

أجاب ميريولد: «إن لم نكن نُثقل عليكم»، والتفتَ إلى رفاقه، وقال: «الأخ ناربرت من نُظَّار الجماعة، ولذا فمسموح له بالكلام يوماً واحداً من كلِّ سبعة. أيها الأخ، هؤلاء القوم الطيبون ساعدوني في الطريق. السير هايل فارس هُمام من (المرعى)، والصبي هو يودريك پاين الذي أصبح من الغربيين منذ فترة قريبة، وهذه هي الليدي بريان المعروفة بعذراء (تارث)».

توقَّف الأخ ناربرت فجأة، وغمغم: «امرأة».

خلعت بريان دُبوس شعرها ونفضته قائلة: «نعم أيها الأخ. أليست عندكم نساء هنا؟».

ردَّ ناربرت: «ليس في الوقت الرَّاهن. النساء اللائي يَزُرُننا يأتيننا مريضات أو جريحات أو حوامل. لقد باركَ (السبعة) أخانا الكبير بيدين شافيتين، وعليهما تعافى رجال كثيرون لم يستطع المايسترات أنفسهم علاجهم، ونسوة كثيرات أيضاً».

- «لست مريضة أو جريحة أو حاملاً».

قال السيِّتون ميريولد: «الليدي بريان فتاة مُحاربة، تُطارِد كلب الصَّيد».

لاحت الدهشة على ناربرت، وتساءل: «حقاً؟ لأيِّ غاية؟».

مست بريان مقبض (حافظ العهد) مجيبة: «نهائيه».

تفرَّس النَّاظِر في ملامحها قائلاً: «إنك... قويَّة بالنِّسبة إلى امرأة، هذا صحيح، ولكن... ربما عليَّ أن آخذك إلى الأخ الكبير. لا بُدَّ أنه راكم تعبُّرون الأحوال. تعالوا».

قـاـدَهم نـاـربرت فـي مـمـرّ مـفـروـش بالحصى وعـبـرـبـسـتـان تـفـاح إلـى اسـطـبل مـطلـيِّ بـالـجـير الأبـيض لـه سـقـف مـدبَّب مـن الـقـش، حـيـث قـال لـهم: «يُمكنكـم أن تـتـركـوا حيواناتكم هنا. سيحرص الأخ جيلام على إطعامها وسقائها».

أكثر من ثلاثة أرباع الاسطبل خالٍ. في أحد طرفيه نصف دسنة من البغال يرعاها أخ صغير متقوِّس السَّاقين خَمَّنت بريان أنه جيلام، وفي الطرف الأقصى، بعيداً تماماً عن الحيوانات الأخرى، جواد أدهم ضخم دوى صهيله حين سمع أصواتهم ورفسَ باب مربطه.

حدج السير هايل الفحل الكبير بنظرة إعجابٍ وهو يُناول الأخ جيلام عِنان حصانه، وقال: «دابةً فارهة».

تَنهَّد الأخ ناربرت معَلِّقًا: «(السَّبعَة) يُرْسِلون لَنَا نِعَمًا وَيُرْسِلون لَنَا مِحَنًا. ربمَّا يَكُونُ فَارَهَا، لَكِن دَرِيفتوود وُلِدَ فِي الجَحِيم مِن غَيْر رِيَب. عِنْدَمَا حَاوَلْنَا رِبْطَهُ بِمَحْرَاثِ رَفْسِ الأخ رَاوَنِي وَكَسَرَ قِصْبَهُ سَاقَهُ فِي مَوْضِعَيْن. كُنَّا نَأمَلُ أَن يُحَسِّنَ الإِخْصَاءَ مَزَاجَهُ الأَسْوَدَ، وَلَكِن... هَلَّا أَرَبْتَهُمُ أَيُّهَا الأخ جِيلَام؟».

أَنزَلَ الأخ جِيلَام قَلَنسُوتَهُ، لِيَلُوحَ مِن تَحْتِهَا شَعْرُهُ الأَشْقَرُ وَقِمَّةَ رَأْسِهِ المَحْلُوقَةُ وَضِمَادَةُ مَلَوْتَةٍ بِالدَّمِ تَحْتَلُّ مَكَانَ أُذُنِهِ.

شَهَقَ پُودَرِيكُ، وَسَأَلَ: «الْحِصَانُ قَضَمَ أُذُنَكَ؟!».

أَوَمَّا جِيلَامُ بِرَأْسِهِ إِيْجَابًا وَعَادَ يُغَطِّي رَأْسَهُ، وَقَالَ لَهُ السَّيْرُ هَايِلُ: «سَامِحْنِي أَيُّهَا الأخ، لَكِنِّي كُنْتُ لَأَخُذُ الأُذُنَ الأُخْرَى لَوْ اقْتَرَبْتَ مِنِّي حَامِلًا مَقْصًا».

لَمْ تُعْجِبِ الدُّعَابَةُ الأخ نَارِبِرْتُ، الَّذِي قَالَ: «أَنْتَ فَارِسِي يَا سَيِّدِي، وَدَرِيفتوود دَابَّةُ أَحْمَالٍ. (الْحَدَّادُ) وَهَبَ الخَيْلَ لِلْبَشَرِ لِإِعَانَتِهِمْ عَلَى أَشْغَالِهِمْ»، وَالتَفَتَ مُضِيفًا: «تَفَضَّلُوا مَعِي. لَا شَكَّ أَنَّ الأخَ الكَبِيرَ يَنْتَظِرُكُمْ».

وَجَدُوا المُنْحَدَرَ أَشَدَّ ارْتِفَاعًا مِمَّا بَدَأَ مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى مِنَ السَّهْلِ الطَّيْنِيَّةِ، وَلَتَسْهِيلُهُ رَفَعَ الإِخْوَةَ سَلَالِمَ خَشْبِيَّةٍ تَتَعَرَّجُ يَمِينًا وَيَسَارًا عَلَى جَانِبِ التِّلِّ وَبَيْنَ البَنَائِيَّاتِ. بَعْدَ يَوْمٍ طَوِيلٍ مِنَ الجُلُوسِ فَوْقَ السَّرَجِ سُرَّتْ بِرِيَانٍ لِفُرْصَةِ فَرْدِ قَدَمِيهَا.

مَرُّوا بِدَسِيتَةٍ مِنَ إِيْخْوَةِ الجَمَاعَةِ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى أَعْلَى، رَجَالَ يُغَطُّونَ رُؤُوسَهُمْ بِالْقَلَانِسِ وَيَرْتَدُونَ البَيَّيَّ وَالرَّمَادِي رَمَقًا وَهُمْ بِنَظَرَاتٍ فَضُولِيَّةٍ لَدَى مَرَّأَتِهِمْ وَإِن لَمْ يَنْبَسُوا بِكَلِمَةٍ تَحِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمْ يَقُودُ بِقَرَتَيْنِ حُلُوبَيْنِ نَحْوَ حَظِيرَةٍ وَاطئَةٍ سَقَفُهَا مِنَ النَّجِيلِ، بَيْنَمَا يَعْمَلُ آخَرُ عَلَى مِمْخَضَةٍ زُبْدَةٍ. عَلَى المُنْحَدَرَاتِ الأَعْلَى رَأَوْا ثَلَاثَةَ صَبِيَّانِ يَسُوقُونَ الأَغْنَامَ، وَفِي مَسْتَوًى أَعْلَى مِنَ هَذَا مَرُّوا بِسَاحَةِ دَفْنٍ فِيهَا أَخٌ أَكْبَرُ حَجْمًا مِنَ بَرِيَّانٍ يَكْدِحُ فِي حَفْرِ قَبْرِ، وَقَدْ بَدَأَ بِوَضُوحٍ مِنَ الطَّرِيقَةِ التِّي يَتَحَرَّكُ بِهَا أَنَّهُ أُعْرِجُ، وَإِذْ طَوَّحَ بِمِلءٍ مَجْرَافٍ مِنَ التُّرْبَةِ الْحَجَرِيَّةِ مِنْ فَوْقِ كَتِفِهِ تَنَاثَرَ القَلِيلُ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَقَالَ الأخ نَارِبِرْتُ مُؤْتِبًا: «تَوَخَّي الحَذَرَ أَكْثَرَ، التُّرَابُ كَانَ سَيَدْخُلُ فَمَ السَّيِّتُونَ مِيرِيبُولِدَ»، فَخَفَضَ حَقَّارَ القُبُورِ رَأْسَهُ، وَلَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَلْبٌ يَتَشَمَّمُهُ أَفْلَتَ مَجْرَافَهُ وَحَكَّ أُذُنَهُ.

قَالَ نَارِبِرْتُ مَفْسِّرًا: «إِنَّهُ مُبْتَدِئٌ».

سَأَلَهُ السَّيْرُ هَايِلُ بَيْنَمَا اسْتَأْنَفُوا صُعُودَ السَّلَالِمِ الخَشْبِيَّةِ: «لَمَنِ القَبْرُ؟».

- «الأخُ كَلِيمَنْتُ، عَسَى (الأَبُ) أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ».

سَأَلَ پُودَرِيكُ پَايِنَ: «هَلْ كَانَ مُتَقَدِّمًا فِي السِّنِّ؟».

- «إِذَا كُنْتُ تَعُدُّ الثَّامِنَةَ وَالْأَرْبَعِينَ تَقَدُّمًا فِي السِّنِّ، نَعَمْ، لَكِن لَيْسَتْ السِّنُّ مَا

قتله، بل ماتَ بالجروح التي أصيبَ بها في (الملّاحات). كان قد أخذَ القليل من يتّبعنا إلى السُّوق هناك يوم هاجمَ الخارجون عن القانون البلدة». سألت بريان: «كلب الصّيد؟».

- «واحد آخر، لكنّه يُعادلُه توحّشًا. لقد قطعَ لسان كل-يمنت المسكين عن-دما رفضَ الكلام، وقال الـهجام إنّه ليس في حاجةٍ إليّه مرّةً دامتَ قد أخذَ على نفسه نذر الصّمت. الأخ الكبير سيعرف المزيد. إنه يحتفظ بأسوأ الأخبار من الخارج لنفسه كي لا يُقلق سكينه السيّطري. كثيرون من إخوتنا جاءوا هنا للهرب من أهوال العالم وليس للإسهاب في التّفكير فيها. لم يكن الأخ كليمنت الوحيد الجريح منا، فثمّة جراح لا تتبدّى للأعين»، وأشار الأخ ناربرت إلى يمينهم، واستطردّ: «هناك كرمتنا الصّيفيّة. العنب صغير ولاذع، لكننا نضع منه نبيذًا صالحًا للشرب، ونصنع مِزرنا الخاص أيضًا، كما أن البتّع وخمر الثّقاق اللذين تُنتجهما ذائعا الصّيت».

سأله بريان: «ألم تمسّكم الحرب هنا؟».

- «ليس هذه الحرب والشكر لـ(السّبعة). صلواتنا تحمينا».

أضاف السيّتون ميريبولد: «والمُدّ والجَزَر أيضًا»، ونبّح كلب مؤيّدًا.

قِمّة الدتّل متوّجة بسور من الحجارة غير المملّطة يُحيط بمجموعةٍ من المباني الكبيرة؛ الطّاحونة التي تصرُّ ريشاتها مرّة دورانها، والمسكن الذي ينـام فيها الإخوة، والقاعة العامّة التي يتناولون فيها وجباتهم، بالإضافة إلى سبت خشبي للصّلاة والتأمّل له نوافذ من الزجاج المطلي بالرّصاص، وباب مصراعه الكبيران منقوش عليهما شكلًا (الأم) و(الأب)، وبرج سباعي الجوانب على قمّته ممشى، ووراءه حديقة خضراوات يجتث منها إخوة أكبر سنا الحشائش.

قاد الأخ ناربرت الزّوّار دائرًا حول شجرة كستناء إلى باب خشبي في جانب الدتّل، فتساءل السير هايل مندهشًا: «كهف بباب؟».

ابتسم السيّتون ميريبولد قائلاً: «يُسمّى (خُفرة المتنسيّكين). أول رجل دين وجدَ طريقه إلى هنا أقامَ في الدّاخِل وصنّع أعاجيب دَفَعَت آخرين إلى الاتّيان والانضمام إليه. يقولون إن ذلك كان منذ ألفي عام، أمّا الباب فوُضِعَ في زمنٍ لاحق».

ربما كانت (خُفرة المتنسيّكين) مكانًا مظلّمًا رطبًا قبل ألفي عام، أرضه من ترابٍ وتتردّد فيه أصدااء تقاطر الميـاه، لكنّه لم يعد كذلك، فالكهف الذي دخلته بريان ورفاقها تحوّل إلى معتكفٍ دافئ مريح، تُعطّي البُسط الصّوف أرضه والمعلقات جدرانها، وتشعّ فيه الشّموع الطويلة ضوءًا يكفي ويزيد. الأثاث غريب لكن بسيط؛ طاولة طويلة ودكّة وصندوق وعدّة رفوف ملأى بالكتب ومقاعد، كلّها مصنوع من الأخشاب المجروفة ذات الأشكال المتنافرة،

وإن نُسِقتَ معًا ببراعةٍ وصُقِلتَ حتى صارتَ تلتمع بلونٍ ذهبي عميق في ضوء الشموع.

ليس الأخ الكبير كما توقَّعتَه بريان. بدايةً، لا يبدو من مظهره أن لقب «الكبير» يصلح له، فبينما للإخوة الآخرين الذين ينتزعون الحشائش في الحديقة أكتاف وظهور الرجال الأكبر سنًا المحنَّية، يقف هو منتصب القامة طويلها ويتحرَّك بنشاط رجلٍ في ريعان الشباب، كما أن وجهه ليس بالوجه الحنون الطيب الذي توقَّعت أن يكون لمُعالج، فرأسه كبير مربع، وعيناه ثاقبتان، وأنفه أحمر مليء بالعروق، ومع أن قَمَّة رأسه جرداء فشعره كثيف كالذي يُغطِّي فكَّ الثَّقل.

فكَّرت عذراء (تارث): يبدو أقرب إلى رجلٍ مخلوق لكسر العظام من تجبيرها. تقدَّم الأخ الكبير بخطواتٍ واسعة ليُعانيق السيبتون ميريبولد ويُرَبِّت على كلب، ثم أعلن: «يوم سعيد دومًا عندما يُشَرِّفنا صديقنا ميريبولد وكلب بزيارةٍ أخرى»، والتفتَ إلى ضيوفه الآخرين قائلاً: «والوجوه الجديدة مرحَّب بها دائمًا، إننا نرى القليل منها».

أدَّى ميريبولد المجاملات المعتادة ثم جلسَ على الدِّكَّة. على عكس ناربرت لم يبدُ الأخ الكبير منزعجًا من جنس بريان، لكن ابتسامته تذبذبت وخفَّت حين أخبره السيبتون بسبب مجيئها والسير هایل، ولم يردَّ إلا بـ«مفهوم»، قبل أن يلتفت قائلاً: «لا بُدَّ أنكم ظمآنون. تفضلوا، اشربوا القليل من خمر تفاحنا المحلَّاة لتغسلوا حلوقكم من غبار الطريق». صَبَّ لهم بنفسه في أكوابٍ من الخشب المجروف لا يتشابه منها اثنان، ولَمَّا أثنت عليها بريان قال لها: «سيديتي شديدة اللطف. لا نفعل أكثر من تقطيع الخشب وتلميعه. إننا في نعمةٍ هنا. حيث يلتقي النهر بالخليج تتصارَع التيارات فتدفع إلينا أشياء غريبةً عجيبةً كثيرةً نجدها على شواطئنا. الخشب المجروف أقلها. لقد وجدنا كُؤوسًا من الفضة وأوعيةً من الحديد وأجولةً من الصُوف ولغافاتٍ من الحرير وخوذاتٍ صدئة وسيوفًا لامعة... أجل، وعثرنا على ياقوت أيضًا».

أثارَ هذا اهتمام السير هایل، فسأل: «ياقوت ريجار؟».

- «ربما. مَنْ يدري؟ المعركة دارت على بُعد فراسخ عديدة من هنا، لكن النهر صبور لا يتعب. عثرنا على ستِّ حَبَّاتٍ وننتظر السَّابعة».

عقب السيبتون ميريبولد وهو يفرُّك قدمه ليتقشَّر الطَّين تحت أصابعه: «الياقوت أفضل من العظام. ليست كلُّ هدايا النهر تسرُّ. الإخوة الكرام ينتشلون الموتى من الماء أيضًا؛ الأبقار والغزلان الغارقة، والخنازير الميتة التي تنتفخ فتبلُّغ نصف حجم الحصان، أجل، والجُثث البشريَّة أيضًا».

تنهَّد الأخ الكبير قائلاً: «جُثث كثيرة هذه الأيام حَقَّار القبور لا يعرف الرَّاحة. رجال من أراضي النهر ومن الغرب ومن الشَّمال، كلهم تجرفهم المياه إلينا، الفُرسان

والخدم على حَذِّ سواء. ندفنهم جنبًا إلى جنب، ستارك ولانستر، بلاكوود وبراكين، فراي وداري. هذا هو الواجب الذي يَطْلُبُه النَّهرُ منا لقاء هداياه، ونُوَدِّيهِ بأفضل ما نسـتطيع. لكنـا نـجـد امـرأةً أحيـانًا... أو أسـوأ، طفـلاً صـغيراً. تلـك أقسـى الـهـدايا طـراً»، والتفت إلى السيِّتـون ميريبولـد، وقـال: «أمرُ أن لـديـك الـوقت لإبرائـل مـن خطايانا. منذ قتل المُغيرون السيِّتون بينيت العجوز لم يأتنا أحد لسماع اعترافاتنا».

قال ميريبولـد: «سأجـدُ وقتاً، وإن كنتُ أملُ أن ذنوبكم هذه المَرَّة أفضل من آخر مَرَّة زُرْتُكم فيها». نبَحَ كلب، فأردف: «أترى؟ لقد أصابت كلب نفسه بالملل».

لاحت الحيرة على بودريك پاين، الذي قال: «ظننتُ أن لا أحد يستطيع الكلام. ليس لا أحد، وإنما الإخوة، الإخوة الآخرون وليس أنت».

أجابَه الأخ الكبير: «مسموح لنا بالخروج عن الصَّمت عند الاعتراف. من العسير الكلام عن الخطايا بالإشارات والإيماءات».

سأله هايل هنت: «هل أحرَقوا السيِّت في (المَلَّاحات)؟».

اختفت ابتسامة الرَّجل، وقال: «أحرَقوا كلَّ شيءٍ في (المَلَّاحات) باستثناء القلعة. الفرق أنها مبنية من الحجر... ولو أنها لم تنفع البلدة في شيءٍ كأنها مبنية من الورق. وقعَ على عاتقي أن أعالج بعض النَّاجين الذين جلبهم الصَّيَّادون إليَّ عبر الخليج بعد أن همدت النَّار ووجدوا الرِّسو آمنًا. ثمَّة امرأة بائسة اغتصبوها مرارًا، وثدياها... سيِّدتي، إنكِ ترتدين دروع الرِّجال، فلن أعفيك من ذكر هذه الأهوال... ثدياها مُزَقًا ونُهِشًا وأكلًا أكلاً، كان من فعل بها هذا... وحش كاسر. فعلتُ ما استطعتُ من أجلها مع أنه قليل، وبينما تلفظ آخر أنفاسها لم تصبَّ أسوأ لعناتها على مَنْ اغتصبوها أو على الوحش الذي التهم لحمها الحي، بل على السير كوينسي كوكس الذي أوصد أبوابه عندما دخل الخارجون عن القانون البلدة، وجلسَ في الأمان وراء أسواره الحجرية في حين صرَّخ قومه وماتوا».

قال السيِّتون ميريبولـد برفق: «السير كوينسي رجل عجوز، أبناؤه وزوجا ابنتيه الوحيدتين بعيدون أو موتى، وأحفاده ما زالوا صغارًا. ماذا كان ليفعل وهو رجل واحد ضد كثيرين؟».

فكرت بريان: كان يُمكنه أن يُحاول، أن يموت. عجوزًا كان أم شابًا، الفارس الحقيقي يُقسِم على حماية من هم أضعف منه، أو يموت وهو يُحاول.

قال الأخ الكبير للسيِّتون ميريبولـد: «كلام صحيح وحكيم. لا شك أن السير كوينسي سيسألك المغفرة عندما تعبُر إلى (المَلَّاحات). يسرُّني أنك هنا لإعطائه إياها، فأنا لـم أسـتطـع»، ووضـعَ كـوب الخشـب المـجـرُوف، ونـهـضَ مـسـتـطـردًا: «جـرس العـشـاء سـيـيُـدق قـريـبًا. أيـها الأصـدقاء، هـلَّا أـتـيـتم مـعـي إلـى الـسيِّت لـنُصـلي لأرواح أهـل (المَلَّاحات) الطيِّبين

قبل أن نجلس ونتقاسم الطعام والشراب؟». أجاب ميريولد: «يسرُّنا هذا»، ونبَحَ كلب.

كان عشاؤهم في السيِّتري أغرب وجبةٍ شهدتها بريان في حياتها، وإن لم تكن سيئةً على الإطلاق. الطعام تقليدي غير أنه شهِيٌّ للغاية؛ أرغفة من الخُبز الساخن، وأنية من الزُّبدة الطازجة، وعسل من خلايا نحل السيِّتري، ويخنة غنيَّة بالسُّراطين وبلح البحر وثلاثة أنواع على الأقل من السَّمك. شرب السيِّتون ميريولد والسير هايل البِتَع الذي يصنعه الإخوة وأعلنوا أنه ممتاز، في حين قنعت هي وپودريك بالمزيد من خمر التُّفَّاح الحُلوة. ولم تكن الوجبة كئيبةً كذلك، إذ ردَّد ميريولد صلاةً قبل تقديم الطعام، وبينما أكلَ الإخوة الجالسون إلى الموائد الطويلة الأربع عزفَ لهم أحدهم على القيثارة السَّامية مالًا القاعة بالأنغام الهادئة العذبة، ولَمَّا أذنَ الأخ الكبير للمغنيِّ في تناول وجبته تبادلَ الأخ ناربرت وناظر آخر القراءة من (النَّجمة السُّباعية).

مع ختام القراءة كانت الأطباق قد رفعها المبتدئون المكلفون بالخدمة، أكثرهم صبية في سِنِّ پودريك أو أصغر، لكن هناك رجالًا بالغين أيضًا، منهم حقَّار القبور الكبير الذي صَادَفوه بينما يصعدون التِّلَّ وله تلك المشية الخرقاء المتمائلة كأنه يَصِف مشلول. لدى فروغ القاعة طلبَ الأخ الكبير من ناربرت أن يُري پودريك والسير هايل سريريَّهما في المساكن، وقال لهما: «أملُ أنكما لا تُمانِعا في اقتسام حُجيرةٍ واحدة. ليست واسعة، لكنكما ستجدانها مريحة».

قال پودريك: «أريدُ البقاء مع الفارس، أعني سيِّدتي».

ردَّ الأخ ناربرت: «مرّا تفعلْه أنت واللي دي بريان في الخارج بينكم وبين (السُّبعة)، لكن على (جزيرة الهدوء) لا ينـام رجل وامرأة تحت سقفٍ واحد ما لم يكونا متزوَّجين».

قال الأخ الكبير: «عندنا بعض الأكواخ المتواضعة المخصَّصة للنِّساء اللاتي يَزُرُننا، سواء أكن نبيلات أم قرويات. إنها لا تُستخدَم كثيرًا، لكننا نُحافظ على نظافتها وجفافها. ليدي بريان، هل تسمحين لي بأن أريك الطريق؟».

- «نعم، شكرًا. پودريك، اذهب مع السير هايل. إننا ضيوف الإخوة المؤمنين، وتحت سقفهم تسري قواعدهم».

تقع أكواخ النِّساء في الجانب الشرقي من الجزيرة، وتطلُّ على مساحة شاسعة من الأوحال ومياه (خليج السُّراطين) البعيدة. المكان أكثر برودةً ووعورةً هنا من الجانب الآخر المحجوب، والتِّلُّ أكثر تحدُّرًا، والطريق يتعرَّج بين الحشائش والنباتات البريَّة والصُّخور التي نحتتها الرِّيح والأشجار الشَّائكة الملتوية المتعلِّقة بعنادٍ بجانب التِّل. حملَ الأخ الكبير مصباحًا ليضيء طريقهم إلى أسفل، وعند أحد المنعطفات توقفَ قائلاً: «في الليالي الصَّافية يُمكنك أن تري أنوار (الملاحات) من هنا، عبر الخليج، هناك»، وأشار إلى البُقعة التي يعينها.

قالت بريان: «ليس هناك شيء».

- «لم يتبقَّ إلا القلعة. الصيادون أنفسهم رحلوا، القلائد المحظوظون الذين كانوا في الماء عندما أتى المغيرون وشاهدوا بيوتهم تحت رِق وسَمعوا الصَّرخ والبكاء يترددان عبر الميناء خائفين من الرِّسو بقواربهم، وحين رسوا أخيراً ذهبوا لدفن أهاليهم وأصدقائهم. ما الذي تبقى لهم في (الملاحات) إلا العظام والذِّكريات المريرة؟ لقد نزحوا إلى (بركة العذارى) أو بلداتٍ أخرى»، وأشار الأخ الكبير بمصباحه وواصلَ النزول قائلاً: «لم تكن (الملاحات) من المواني المهمة قط، لكن السفن اعتادت الرِّسو هناك بين الحين والآخر. هذا ما أراده المغيرون، كانوا يبحثون عن قِادس أو كُوج يحملهم عبر (البحر الضيق)، وعن دماء لم يحدوا واحداً أفرغوا غضبهم ويأسهم في أهل البلدة. إنني أتساءلُ يا سيِّدتي... علامَ تأملين أن تعثري هناك؟».

أجابته: «فتاة، بنت رقيقة النسب في الثالثة عشرة، لها وجه جميل وشعر كستنائي».

بخفوتٍ قال الرَّجل: «سانزا ستارك. هل تعتقدين أن تلك المسكينة مع كلب الصيد؟».

- «الدورني قال إنها كانت في طريقها إلى (ريفرين). تيميون، كان مرتزقاً من رفقة الشُّجعان، قاتلاً ومغتصباً كذاباً، لكني لا أظن أنه كذب بشأن هذا. قال إن كلب الصيد اختطفها وفرَّ بها».

- «مفهوم». انعطفت الطريق مرَّةً أخرى وإذا بالأكواخ أمامهما. الأخ الكبير ذكر أنها متواضعة، وهي كذلك بالفعل، إذ تبدو كأنها خلايا نحلٍ مبنية من الحجارة.

قال مشيراً إلى أقربها: «هنا»، وهو الكوخ الوحيد الذي يتصاعد الدُّخان من فتحة التَّهوية في منتصف سقفه. اضطرت بريان إلى طأطأة رأسها حين دخلت كي لا يصطدم رأسها بالعارضة، وفي الدَّاخل وجدت أرضيةً من التُّربة وسريراً من القشِّ وأغطيةً من الفرو وحوض ماء وإبريقاً من خمر التُّفاح والقليل من الخُبز والجُبنة وبؤرة نار صغيرة، بالإضافة إلى مقعدين صغيرين جلسَ الأخ الكبير على أحدهما ووضعَ المصباح قائلاً: «هل تسمحين بأن أبقى قليلاً؟ أشعرُ أن علينا أن نتكلَّم».

قالت بريان: «إذا أردت»، وخلعت حزام سيفها وعلَّقته على المقعد الثاني، ثم جلست مريَّةً ساقها على السَّرير.

قال الأخ الكبير: «ذلك الدورني لم يكذب، لكني أخشى أنك لم تفهميه. إنك تُطاردين الذِّبَّة الخطأ يا سيِّدتي. إدارد ستارك كانت له بنتان، والأخرى هي مَنْ قرَّ بها كلب الصيد، الصغيرة».

حملت إليه بريان مذهولةً بغمٍ مفعور، ثم قالت: «أريا ستارك؟ أنت واثق؟ أخت الليدي سانزا حيَّة؟».

- «آنذاك، أمّا الآن... فلا أدري. ربما كانت بين الأطفال الذين قُتلوا في (الملاحات)».

أحسّت بكلامه كسكين في بطنها. لا، لا، ستكون هذه قسوة لا تُطاق. «ربما... بمعنى أنك لست واثقاً؟».

- «ما أثقُ به أن الفتاة كانت مع ساندور كليجاين في الخان عند مفترق الطرق، ذلك الذي كانت صاحِبته العجوز ماشاً هِدَل قبل أن يَشْنُقها الأسود، ووثق بأنهما كانا في طريقهما إلى (الملاحات)، لكن بَعدها... لا، لا أدري أين هي أو إن كانت حيّة حتى. على أن هناك شيئاً واحداً أعرفه... الرَّجل الذي تُطارِدِينه مات».

صدمها هذا أيضاً، وتساءلت: «كيف مات؟».

- «كما عاش، بالسيف».

- «أتعرف هذا يقيناً؟».

- «دفنته بنفسي. يُمكنني أن أخبرك بموضع قبره إذا أردت. لقد غطّيته بالحجارة لئلا ينبش أكلة الجيف جُثمانه ووضعتُ خوذته فوق كومة الرُّكام لأَعْلِمَ مثواه الأخير. كان هذا خطأ فادحاً، إذ عثرَ مُسافر آخر على علامتي وأخذها لنفسه. الرَّجل الذي اغتصبَ وقتل في (الملاحات) لم يكن ساندور كليجاين، ولو أنه لا يقلُّ خطورةً. أراضِي النَّهر مِلاي بأمثاله من حيوانات الجيف. لين ادعِوهم بالِدِئاب، فالِدِئاب أنبل من هذا... والكِلاب كذلك على ما أظن. لا أعرف إلا القليل عن هذا الرَّجل ساندور كليجاين. كان حارس الأمير چوفري الشَّخصي لعدة سنوات، وحتى هنا كنا نسمع بأفعاله خيرها وشرّها. إذا كان يَصِف ما سمعناه فقط صحيحاً فقد كان صاحب روحٍ مريّة معذبة، رجلاً أثماً يسخر من الآلهة والبشر على حدٍّ سواء. لقد خدمَ لكنه لم يجد فخراً في خدمته، وقاتلَ لكنه لم يعرف بهجة النَّصر، وشربَ ليُغرق ألمه في بحر من النَّبذ. لم يُحِبَّ أو يُحَبَّ، دافعه الوحيد الكراهية، وارتكبَ خطايا عديدةً لكنه لم يسعَ إلى الغُفران، وفي حين حلمَ غيره بالحُبِّ أو الثراء أو المجد كان هذا الرَّجل ساندور كليجاين يحلمُ بقتل أخيه، خطيئة شنيعة يجعلني مجرد الكلام عنها أرتجفُ، لكنها كانت الزَّاد الذي تغذَّى به والوقود الذي أبقي ناره مشتعلةً. على الرغم من خلوه من النُّبل كان أمل رؤية دماء أخيه على سيفه كلَّ ما عاشَ هذا المخلوق الحزين الغاضب من أجله... وحتى ذلك لم يتلّه عندما طعنَ الأمير أوبرين الدورني السير جريجور بحربةٍ مسمومة».

قالت بريان: «تتكلم كأنك تُشفق عليه».

- «أشفقتُ عليه بالفعل، وكنتِ لُتُشفِقي عليه أيضاً لو أنك رأيته في النِّهاية. لقد وجدته عند (الثالوث) وقد اجتذبتني إليه صُراخ ألمه، وتوسَّل إليَّ أن أعطيه هديّة الرّحمة، لكنني مقسمٌ على عدم القتل ثانيةً، وبدلاً من ذلك غسلتُ

جبهته المتقدمة بماء النهر وأعطيته نبيذًا يشربه وكمادةً لجرحه، لكن جهودي كانت أقل من اللازم وفات أوانها. كلب الصيد مات هناك بين ذراعي. ربما رأيت فحلًا أسود كبيرًا في الاسطبل. كان هذا جواده الحربي سترينجر. اسم فيه تجديد على الآلهة.

نُفِضَ أن نُسَمِّيهِ دريفتوود بما أننا وجدناه عند النهر كالخشب المجروف. أخشى أن له طبيعة سيّده السابق».

الحصان. لقد رأيته وسمعتَه يرفُسي، لكنها لم تفهم. خيول الحرب مدربة على الرفس والعَصّ، وفي المعارك تعدّ سلاحًا كالرجال الذين يمتطونها. مثل كلب الصيد.

قالت بقنوط: «الأمر صحيح إذن، ساندور كليجاين مات».

قال الأخ الكبير: «لقد استراح»، وصمت لحظة قبل أن يُردف: «أنت صغيرة يا بنيّتي. لقد أحصيت أربعة وأربعين يوم ميلاد... أي أنني أفوقك سينا مرتين على ما أظن. هل سيدهشك أن تعلمي أنني كنت فارسًا ذات يوم؟».

- «لا، إنك تبدو أقرب إلى فارس من رجل دين». ييوح بهذا صدره وكتفاه وفكه المربّع السّميك. «لماذا تخلّيت عن الفروسية؟».

- «لم أختارها قط. أبي كان فارسًا، وكذا أبوه من قبله، وجميع إخوتي. تدرّبت على المعارك منذ يوم قرروا أنني كبير بما فيه الكفاية لأن أحمل سيفًا خشبيًا، وقد رأيت نصيبي منها ولم أكلل نفسي بالعار. كانت لي نساء أيضًا، وفي هذا كللت نفسي بالعار، لأنني أخذتُ بعضهن قسرًا. كانت هناك فتاة أردتُ أن أتزوجها، ابنة صُغرى لأحد اللوردات الصغار، لكنني كنتُ ابن أبي الثالث ولم أملك أرضًا أو ثروة أقدمها لها... فقط سيفي وحصاني وثرسي. إجمالًا كنتُ رجلًا حزينًا، عندما لا أقاتل أسكر، حياتي مسطورة بالأحمر، بالدم والنبيذ».

سألته بريان: «ومتى تغيّرت؟».

«حين مت في معركة (الثالوث). كنتُ أقاتلُ في سبيل الأمير ريجار، ولو أنه لم يعرف اسمي قط. لا أستطيعُ إخبارك بسببٍ إلا أن اللورد الذي خدمته خدم لورد يخدم لورد قرّر تأييد التّين بدلًا من الوعل، ولو قرّر العكس لكنتُ على الجانب الآخر من النهر. كانت المعركة داميةً. أغاني المطربين تُريدنا أن نُصدّق أنها كانت كلها بين ريجار وروبرت المتصارعين في الغدير من أجل المرأة التي يدّعي كلاهما محبّته لها، لكنني أوكدُ لك أن رجالًا غيرهما قاتلوا أيضًا، وكنتُ منهم. أصبتُ بسهم في الفخذ وبآخر في القدم، وقُتل حصاني تحتي لكنني واصلتُ القتال. ما زلتُ أذكرُ لهفتي على العثور على حصانٍ آخر، فلم أكن أملك مالا لشراء واحد، ودون حصان لا أعودُ فارسًا. هذا هو الشّيء الوحيد الذي جالَ ببالي في الحقيقة، ولم أرَ الضربة التي أسقطتني. سمعتُ حوافر وراء ظهري وفكرتُ: حصان!

لكن قبل أن ألتفت ارتطمَ شيء برأسي وأسقطني في النهر، حيث كان يُفترَض أن أغرق، وبدلاً من ذلك أفقتُ لأجد نفسي على (جزيرة الهدوء). قال لي الأخ الكبير إن المَدَّ جرفني إليهم عارياً كيوم مولدي، ولا أستطيعُ أن أتصورَ إلا أن أحداً وجدني في المياه الضحلة فجردني من درعي وحذائي وسراويلي قبل أن يدفعني إلى المياه الأعمق، ولذا أحسبُ أن من الملائم أنني بدأتُ حياتي الثانية بالطريقة ذاتها. بعدها أمضيتُ الأعوام العشرة التالية في صمت».

قالت بريان: «مفهوم». لا تدري لِمَ يحكي لها كلَّ هذا أو إن كان هناك شيء آخر يُمكنها أن تردَّ به.

- «حقاً؟»، ومالَ الأخ الكبير واضحاً يديه الكبيرتين على رُكبتيه، وتابع: «إذا كان هذا صحيحاً فدعك من مهمتك هذه. كلب الصيد مات، وعلى كلِّ حالٍ لم تكن سانزا ستارك معه من الأصل. وبالنسبة إلى الوحش الذي يعتمر خوذته فسيقع ويُشنق. الحروب تكاد تضع أوزارها، وهؤلاء الخارجون عن القانون لن يستطيعوا العيش في زمن السلام. راندل تارلي يُلاحقهم من (بركة العذارى)، ووالدر فراي من (التوأمتين)، وثمة لورد شاب جديد في (داري)، رجل ورع مؤكد أنه سيعيد الأمور إلى نصابها السليم في أراضيه. عودي إلى ديارك يا بنيتي. إن لكِ دياراً، وهذا أكثر مما يستطيع كثيرون أن يقولوا في هذه الأيام السوداء. ثم إن لكِ أبا نبيلاً لا ريـب أنـه يحـبك. فـكـري فـي حـزنـه إذا لـم تـرجعي إلـيـه. ربـمـا يـأخـذون إلـيـه سـيفك وتـرسـك بـعـد سـقوطك، بـل وربـمـا يُعـلقـهما فـي بـهـوه ويتطـلع إلـيـهما بفخـر... لكـن إذا سألته فإنني أعلم أنه سيقول لكِ إنه يُؤثر أن تكون معه ابنته الحية لا تُرسها المحطم».

اغرورقت عينا بريان بالدموع، وقالت: «ابنته. هذا ما يستحقه، ابنة تُغني له وتُنشر البهجة في بهوه وتحمل له أحفاده. ويستحق ابناً أيضاً، ابناً قوياً شهماً يُكرم اسمه. جالادون غرق حين كان في الثامنة وكنتُ في الرابعة، وأليسين وآريان ماتتا في المهد. أنا الولد الوحيد الذي سمحت له الآلهة بالبقاء، المسخ الذي لا يصلح لأن يكون ابناً أو ابنة». لحظتها انصبَّ كلُّ شيءٍ من بين شفطي بريان وتدفق كالدم الأسود من جرح؛ الخيانات والخطبات، رونيت الأحمر وورده، اللورد رنلي يرقص معها، الرهان على بتولتها، الدموع المريرة التي ذرفتها ليلة تزوج مليكها مارجري تايرل، الالتحام الجماعي في (جسر العلقم)، معطف قوس قزح الذي تاهت به فخراً، الـظـلُّ فـي سـرادق الملـك، مـوت رنـلـي بـين ذراعـيـها، (ريفررن) والليـدي كـاتـلين، الرّحـلة فـي (الثالوث)، مـبـارزة چايمـي فـي الغابـة، الممـثـلـون السـقّاحـون، چايمـي يصـيح: صـقـير، چايمـي فـي الحوض فـي (هارنهال) والبُخار يتصاعد من جسده، مذاق دم قارحو هوت حين قضمت أذنه، جُب الدب، وثبة چايمـي إلى الرّمال، الرّحـلة الطويلة إلى (كينجز لاندنج)، سانزا ستارك، العهد الذي أخذته على نفسها لچايمـي، العهد

الذي أخذته على نفسها لليدي كاتلين، (حافظ العهد)، (وادي الغسق) و(بركة العذارى)، ديك الرّشيق و(الرّأس المتصدّع) و(قلعة الهمس)، الرّجال الذين قتلّتهم...

أنهت كلامها قائلةً: «يجب أن أعثر عليها. ثمّة آخرون يبحثون عنها، وكلّهم يسعى إلى القبض عليها وبيع الملكة إياها. يجب أن أعثر عليها أولاً كما وعدتُ چايمي.

لقد سمّي السّيف (حافظ العهد). يجب أن أحاول أن أنقذها... أو أموتُ وأنا أحاولُ».

سرسي

- «ألف سفينة!». كان شعر الملكة الصغيرة منفوشًا أشعث، وجعل ضوء المشاعل وجنتاها تبدوان متورّدين كأنها أتت لتوّها من حزن رجل. «جلالة الملكة، يجب الرّد عليهم بعنف!». رنت كلمتها الأخيرة على عوارض السّقف وتردّد صداها في قاعة العرش الفسيحة.

جالسةً على مقعدها الذهبي والقرمزي العالي عند قاعدة العرش الحديدي، أحست سرسي بالشّدّ يزداد في عنقها، وفكرت: يجب. تتجرأ وتقول لي يجب. كم تتوق إلى صفع ابنة تايرل على وجهها. حري بها أن تكون على رُكبتيها تتوسّل مني العون، وبدلاً من ذلك تقلّ حياءها وتُخير ملكتها الشرعيّة بما عليها أن تفعله.

قال السير هاريس سويغت لاهتًا: «ألف سفينة؟ مؤكّد أن هناك خطأ. ليس في البلاد لورد يملك ألف سفينة».

أيّده أورتون ميريوذر قائلاً: «أحمق مرعوب ما أحصى ضعف العدد، أو أن حملة راية اللورد تايرل يكذبون علينا ويهوّلون أعداد العدو كي لا نحسبهم متهاونين». يُلقي ضوء المشاعل المثبتة على الجدار الخلفي ظلّ العرش الحديدي الطويل الشّباك حتى منتصف المسافة إلى الباب، بينما يغيب طرف القاعة البعيد في الظلام، ولا تشعّر سرسي إلا بالظلال كأنها تنغلّق على-ها أي-ضًا. أعْدائي في كَلِّ مكّانٍ وأص-دقائي مع-دومو الفائد. ما علي-ها إلا أن تُلقِي نظرةً على مس-تشاريها لتعلّم ه-ذا.

وح-دهما الل-ورد ك-ايرن وأوران ووترز يب-دوان مس-تيقطين، في ح-ين يق-ف الآخرون مش-وشين مرّتبكين بع-د أن دَقّ رُسل مارجري أبوابهم وأي-قظوهم من ال-نوم. في الخارج الليل أسود ساكن، والمدينة والقلعة نائمتان، وهنا يبدو بوروس بلاونت وميرين ترانت نائمين أيضًا ولكن على أقدامهما، وحتى أوزموند كيتلبلاك يتثأب.

لكن ليس لوراس، ليس فارس الزّهور. كان واقفًا وراء أخته الصغيرة، ظلّ شاحب يستريح على وركه سيف طويل.

رَدّ أوران ووترز على أورتون ميريوذر قائلاً: «نصف عدد السّفن ما زال يعني أنها خمسمئة يا سيّدي. فقط (الكرمة) تملك قوّة كافية في البحر لمواجهة أسطول بهذا الحجم».

سأله السير هاريس: «وماذا عن الدّرمونات الجديدة؟ سفن الحديد بين الطويلة لا يُمكن أن تصمّد أمام دُرموناتنا بالتأكيد. (مطرقة الملك روبرت) أقوى سفينة حربيّة في (وستروس) بأسرها».

قال ووترز: «ك-انت ك-ذلك. (الجميل-ة سرسي) س-تكون نظيرت-ها

حـالما تـكتمـل، و(الـلـورد تـايـوين) سـيـكون حـجمـها ضـعـف الاثنتـين. لكـن نـصـف السـفـن فـقـط جـاهـز، ولا واحة منـها طاقمـها كـامل، وحتـى عنـدئذ سـتـطل الأعـداد ضـدنا إلـى حـدٍ كـبـير. السـفـن الطـويلـة الثـقـلـيـة صـغيرة الحـجـم مقارنـة بقوادسـنا، هـذا صـحـيح، لكـن الحـديـديـن لـديـهم سـفن أكبر أيـضاً. (الكراكن العـظـيم) سـفـينة اللورد بالون وسـفن الأسـطـول الحـديـدي الحـربيـة مبنـية للمعـارك لا الغارات، وتُـضـاهي قوادسنا الأقل شأناً في السـرعة والقوة، وأكثرها أطقمـه وربابنته أفضل. الحـديـديـون يقضون حياتهم كلها في البحر».

كان على روبرت أن يُطَهَّر (جُزِر الحديد) بـعـدما تـمـرّد بالون جـرايـجوي عليه. لقد حطّم أسطولهم وأحرق بلداتهم واقتحم قلعتهم، لكن بـعـد أن أركعهم سمح لهم بالنُـهـوض من جديد. كان عليه أن يصنع جزيرةً أخرى من جماجمهم. هذا ما كان أبوها ليفعله، لكن روبرت لم يتمنّع قط بالإرادة التي يُفترَض أن يملكها الملوك ليحفظ السّلام في البلاد. قالت: «الحـديـديـون لم يَجسُروا على الإغارة على (المرعى) منذ كان داجون جـرايـجوي جالساً على كرسي حجر اليم. لماذا يفعلون هذا الآن؟ ما الذي شجّعهم؟».

قال كايرن الواقف مخبئاً يديه داخل كُمّيه: «ملكهم الجديد، أخو اللورد بالون الملقب بعين الغراب».

قال المايسـتر الأكبر پايسـل: «غـربـان الجـيـف تُقـيم ولائمـها من لحم الموتى والمحتضرين ولا تُـهـاجم الحيوانـات السـلـيـمة المعـافاة. نعم، سـيُـتـخـم اللـورد يـورون معـدته بالذهب والغنائم، لكن حالما نتحرّك ضده سيرجع إلى پايك كـديـن اللورد داجون في عصره».

قالت مارچري تايرل: «أنت مخطئ. المُغـيـرون لا يُهاجمون بكـلّ هذه القوة. ألف سفينة!

اللورد هيويت واللورد تشسـيـتر قُـتـلا، وكذا ابن اللورد سيري ووريثه. سيري نفسه قرّ إلى (هايجاردن) بما تبقى له من سـفـن، واللورد جريم سجين في قلعته. ويلاس يقول إن الملك الحـديـدي نصّب أربعة لوردات جُـدداً من رجاله بدلاً منهم».

ويـلاس، العـاجـز. هـو المـلـوم عـلـى هـذا. ذلـك الأبلـه مـايسـتـايرل تـرك الـدِّفاع عـن (المرعى) بـين يـدي ابنـه التّـعـيس الضّعيف. «الرّحـلة من (جُزِر الحـديـد) إلـى (الـتـروس) طويـلة. كيف قطعـت ألف سفينة كلّ تلك المسافة دون أن يراها أحد؟».

أجابـت مارچري: «ويلاس يعتقد أنهم لم يتحرّكوا بمجاذاة السّاحل، بل ابتعدوا عن اليابسة وتوغّلوا في (بحر الغروب)، ثم عادوا وانقضوا من الغرب».

الأرجح أن العاجز لم يضع رجالاً في أبراج الحراسة، والآن يخشى أن نعلم هذا. الملكة الصّغيرة تخلق الأعذار لأخيها. أحسّت سرسي بجفاف فمها، فقالت

لنفسها: أريدُ كأسًا من نبيذ (الكرمة) الذهبى. إذا كانت حُطوة الحديديين التالية أن يأخذوا (الكرمة) فربما يُصيب العطش البلاد كلها عمًا قريب. «قد تكون لستانيس يد في هذا. بالون جرايچوي عرضَ على أبي حلقًا، وربما عرضَ أخوه واحدًا على ستانيس».

قُطِبَ پايسل جبينه متسائلًا: «وما الذى يجنيه اللورد ستانيس من...».

- «يجنـي موطـنًا آخر لـقـدمه، وهنـاك الغنـائم أيـضًا. سـتانيس يـحتاج إلـى الـذهب لـيـنقـد مرتزقـته أجـورهم، وبـالإغارة علـى الغرب يـأمل أن يـصرف انتبـاهنا عـن (دراجونستون) و(ستورمز إند)».

أومأ اللورد ميريوپذر برأسه، وقال: «تشتيت انتباه. ستانيس أمكر مما حسبنا. ذكاء من جلالتك أن تستشقي حيلته».

قال پايسل: «اللورد ستانيس يُكافح لكسب الشماليين إلى صفوفه، وإذا صادق الحديديين فلا أمل له...».

قاطعت سرسي متسائلةً كيف يُمكن لرجل عليم مثله أن يكون بهذا الغباء: «الشماليون لن يقبلوه. اللورد ماندرلي قطع رأس فارس البصل ويديه كما أكد لنا آل فراي، وثمة نصف دسنة من اللوردات الشماليين الآخرين الذين انضموا إلى اللورد بولتون. عدو عدوي صديقي. إلى من إذن يلجأ ستانيس إلا أعداء الشمال من الحديديين والهمج؟ لكن إذا كان يحسب أنني سأقع في الفخ فهو أكثر منك حُما، وعادت تلتفت إلى الملكة الصغيرة قائلة: «(جزر الثروس) تنتمي إلى (المرعى)».

جريم وسيري والبقية مقسمون على الولاء لـ(هايجاردن)، وعلى (هايجاردن) أن ترد على هذا العدوان».

قالت مارچري تايرل: «(هايجاردن) سترد. ويلاس أرسلَ خبرًا إلى لايتون هايتاور في (البلدة القديمة) ليحرص على تشديد دفاعاته، وجارلان يحشد الرجال لاسترداد الجزر، لكن الجزء الأكبر من قوتنا مع أبي. يجب أن نبعث له برسالة في (ستورمز إند) على الفور».

- «ونرفع الحصار؟». لا تروق سرسي وقاحة مارچري. تقول لي على الفور. هل تحسبني وصيفتها؟ «لا شك لدي في أن اللورد ستانيس سيُسَرُّ لهذا. ألم تُصغي يا سيديتي؟ إذا نجح في صرف انتباهنا عن (دراجونستون) و(ستورمز إند) إلى تلك الصخور...».

شهقت مارچري، وقالت: «صخور؟ هل قالت صاحبة الجلالة إنها صخور؟».

وضع فارس الزهور يده على كتف أخته قائلاً: «بعد إذن جلالتك، من تلك الصخور المزعومة يُهدد الحديديون (الكرمة) و(البلدة القديمة)، فمن معاقل (الثروس)

يستطيع المُغيرون الإبحار في (الماندر) إلى قلب (المرعى) ذاته كما اعتادوا قديمًا، وبعددٍ كافٍ من الرِّجال بإمكانهم تهديد (هايجاردن) نفسها». قالت الملكة بمنتهى البراءة: «حقًا؟ إذن على أخويك الشُّجاعين طردهم من على تلك الصُّخور، وسريعًا».

قال السير لوراس: «كيف تقترح الملكة أن يفعل ذلك بلا سُفن كافية؟ ويلاس وجارلان يقدران على حشد عشرة آلاف رجل في غضون أسبوعين، وضعف هذا العدد خلال دورة قمر، لكنهم لا يستطيعون المشي على الماء يا صاحبة الجلالة».

ذكرته سرسي قائلةً: «(هايجاردن) تستقرُّ أعلى (الماندر). أنتم وأتباعكم تملكون ألف فرسخٍ من السَّاحل. أليس هناك صيَّادون؟ ألا توجد قوارب نُزهة أو عبَّارات أو قوادس نهريَّة أو زوارق؟». أجاب السير لوراس: «هناك الكثير».

- «إذن فمن المفترض أن يكفي هذا لحمل جيشٍ عبر مساحةٍ صغيرة من المياه في رأيي».

- «وعندما تنقضُّ السُّفن الطَّويلة على أسطولنا البائس بينما يقطع تلك «المساحة الصَّغيرة من المياه»، فما الذي تُريدنا صاحبة الجلالة أن نفعله عندها؟».

اغرقوا. «(هايجاردن) تملك الذهب أيضًا. لكم إذن في استئجار قراصنةٍ من وراء (البحر الضيق)».

ردَّ لوراس باحتقار: «تعنين قراصنةً من (مير) و(ليس)؟ حُثالة المُدن الحرَّة؟». وقح كأخته. قالت بعذوبةٍ سامَّة: «من المؤسف أن علينا جميعًا التَّعامل مع الحُثالة بين الحين والآخر. هل لديك فكرة أفضل؟».

- «ووحدها (الكرمة) تملك السُّفن الكافية لاستعادة مصبِّ (الماندر) من الحديدِين وحماية أخوي من سُفنهم الطَّويلة خلال العبور. أتوسَّلُ إلى جلالتك أن تُرسلي إلى (دراجونستون) وتأمري اللورد ردواين بالإبحار في الحال».

على الأقل يتمتَّع بعقلٍ كافٍ لأن يتوسَّل. يملك باكستر ردواين مئتي سفينةٍ حربيَّة وخمسة أضعافها من القراقير وأكواج النُّبذ والقوادس التِّجاريَّة وسُفن صيد الحيتان، على أن ردواين مخيَّم عند أسوار (دراجونستون)، والجزء الأكبر من أسطوله مشغول بنقل الرِّجال عبر (الخليج الأسود) من أجل الهجوم على معقل الجزيرة، والبقية تجوب (خليج السُّفن الغارقة) إلى الجنوب، حيث يحول وجودها وحده دون إمداد (ستورمز إند) بالمؤن من البحر.

قال أوران ووتيز متميِّزًا غيظًا من اقتراح السير لوراس: «إذا أبحرت سُفن اللورد ردواين فكيف ننقل المؤن إلى رجالنا في (دراجونستون)؟ دون قوادس (الكرمة)

كيف نستمرُّ في حصار (ستورمز إند)؟».

- «يُمكن استئناف الحصار لاحقًا بعد...».

قاطعته سرسي: «(ستورمز إند) أعلى قيمة مئة مرّة من (الثروس)، و(دراجونستون)... ما دامت (دراجونستون) في يدي ستانيس باراثيون فستبقى سيقًا مصلًا على رقبة ابني. سنسمح للورد ردواين وأسطوله بالإبحار عند سقوط القلعة»، ونهضت الملكة قائلة: «هذا الاجتماع انتهى. أيها المايستر الأكبر پايسل، أريدُ كلمةً معك».

جفلَ العجوز كأن صوتها أيقظه بخُلم ما من شبابه، لكن قبل أن يقوم تقدّم لوراس تايرل بخطى سريعة لدرجة أن الملكة تراجعت مذعورة، وكانت على وشك أن تصيح في السير أوزموند أن يُدافع عنها عندما جثا فارس الزهور على رُكبته أمامها قائلاً: «جلالة الملكة، اسمحي لي بالاستيلاء على (دراجونستون)».

ارتفعت يد أخته إلى فمها، وقالت: «لوراس، لا».

تجاهلَ السير لوراس مناشدتها، وتابع: «تجوع (دراجونستون) حتى تخضع سيستغرق نصف عامٍ كما ينوي اللورد باكستر أن يفعل. كلّفيني بالقيادة يا صاحبة الجلالة. ستكون القلعة ملكك خلال أسبوعين ولو اضطررتُ إلى أن أهدمها بيدي».

لا أحد أعطى سرسي هديّة بهذه الحلاوة منذ هرعت إليها سانزا ستارك لتُفصّل لها عن حُطط اللورد إدارد، فقالت وقد سرّتها رؤية وجه مارچري الذي امتقع: «شجاعتك تحبس أنفاسي يا سير لوراس. لورد ووترز، هل أي الدرمونات الجديدة صالح للإبحار؟».

- «(الجميلة سرسي) يا جلالة الملكة. إنها سفينة سريعة، وقويّة مثل سميتّها الملكة».

- «رائع. فلتحمل (الجميلة سرسي) فارس الزهور إلي (دراجونستون) على الفور. سير لوراس، القيادة لك. عِدني بأنك لن ترجع قبل أن تكون (دراجونستون) لتومن».

ردّ: «سأفعلها يا جلالة الملكة»، ونهضَ.

لثمته سرسي على كلتا وجنتيه، ولثمت أخته أيضًا وهمست لها: «إن لك أخًا باسلاً»، ولكن إمّا أن مارچري لم تجد الكياسة لتردّ وإمّا أن الخوف سلّبها القدرة على الكلام.

كانت ساعات عدّة لا تزال تفصلهم عن الفجر عندما خرجت سرسي من باب الملِك وراء العرش الحديدي، يتقدّمها السير أوزموند بـمشعلٍ ويمشي كـإيبرن إلى جوارها، في حين جدّ پايسل السير

ليلحق بهم، وقال لاهثًا: «بَعْدَ إِذْنِ صَاحِبَةِ الْجَلَالَةِ، الشُّبَّانُ يُبَالِغُونَ فِي جَرَاءِ تَهْمٍ وَلَا يُفَكِّرُونَ أَبَدًا إِلَّا فِي أَمْجَادِ الْمَعْرَكَةِ وَلَيْسَ فِي أخطَارِهَا. السَّيْرُ لَوْرَاسٍ... خَطَّتُهُ هَذِهِ مُحْفُوفَةٌ بِالْمَخَاطِرِ. مَجَرَّدُ الْهَجُومِ عَلَى أَسْوَارِ (دِرَاجُونِسْتُون)...».

- «... شَجَاعَةٌ بِالْغَةِ».

- «... شَجَاعَةٌ، نَعَمْ، وَلَكِنْ...».

- «لَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ فَارِسَ الزُّهُورِ سَيَكُونُ أَوَّلَ رَجُلٍ يَبْلُغُ الشُّرَفَاتِ». وَرَبَّمَا أَوَّلَ مَنْ يَسْقُطُ. النَّغْلُ الْمَجْدُورُ الَّذِي تَرَكَهُ سِتَانِيسُ لِلدِّفَاعِ عَنْ قَلْعَتِهِ لَيْسَ بِطَلِّ مَبَارِيَاتٍ غَرِيرًا وَإِنَّمَا قَاتِلُ مَخْضَرَمٍ، وَإِنْ شَاءَتِ الْآلِهَةُ فَسَيُعْطِي السَّيْرَ لَوْرَاسَ النِّهَايَةِ الْمَجِيدَةَ الَّتِي يَبْدُو أَنَّهُ يُرِيدُهَا. بِفَرْضِ أَنَّ الْفَتَى لَنْ يَغْرُقَ فِي الطَّرِيقِ. لَيْلَةُ الْبَارِحَةِ هَبَّتْ عَاصِفَةٌ أُخْرَى عَاتِيَةً، وَإِنْ هَمَرَ الْمَطَرُ الْأَسْوَدَ مَدْرَارًا طِيلَةَ سَاعَاتٍ. أَوَّلَنْ يَكُونُ ذَلِكَ مَحْزَنًا؟ الْغَرَقُ نَهَايَةُ تَقْلِيْدِيَّةٍ. السَّيْرُ لَوْرَاسٍ يَشْتَعِي الْمَجْدَ كَمَا يَشْتَعِي الرَّجَالُ الْحَقِيقِيُّونَ النِّسَاءَ، وَأَقْلَ مَا تَسْتَطِيعُ الْآلِهَةُ فَعْلُهُ أَنْ تَمْنَحَهُ مِئْتَةً تَلِيقَ بِالْأَغَانِي.

لَكِنْ مَهْمَا حَدَثَ لِلْفَتَى فِي (دِرَاجُونِسْتُون) فَالْمَلِكَةُ الْفَائِزَةُ. إِذَا أَخَذَ لَوْرَاسُ الْقَلْعَةَ فَتِلْكَ ضَرْبَةٌ مَوْجَعَةٌ لِسِتَانِيسٍ وَيَسْتَطِيعُ أَسْطُولُ رِدْوَايْنِ الْإِبْحَارِ لِمُوَاجَهَةِ الْحَدِيدِيِّينَ، وَإِذَا أَخْفَقَ فَسَتَحْرُصُ عَلَى أَنْ يَتَحَمَّلَ نَصِيبَ الْأَسَدِ مِنَ اللَّوْمِ. لَا شَيْءَ يُفْقِدُ الْبَطْلَ بَرِيقَهُ كَالْفُشْلِ. وَإِذَا عَادَ مَحْمُولًا عَلَى ثُرْسِهِ مَغْطًى بِالْدَّمِ وَالْمَجْدِ فَسَيَكُونُ السَّيْرُ أَوْزَنِي مَوْجُودًا لِمُوَاسَاةِ أُخْتِهِ فِي فَجِيعَتِهَا.

لَمْ تَعُدْ سَرَسِي قَادِرَةً عَلَى كِتْمَانِ الضَّحْكَ، وَمِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهَا تَفَجَّرَتْ لِتَتَرَدَّدَ عَلَى جُدْرَانِ الرُّوَاقِ.

حَدَّقَ الْمَایِسْتَرُ الْأَكْبَرُ پَايسِلَ إِلَيْهَا بِغَمٍّ مَرْتَحٍ، وَسَأَلَهَا: «جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ، لِمَاذَا... لِمَاذَا تَضْحَكِينَ؟».

أَجَابَتْ مُضْطَرَّةً: «كَيْ لَا أَبْكِي. إِنْ قَلْبِي يَتَفَجَّرُ حُبًّا لِلْسَّيْرِ لَوْرَاسٍ وَإِقْدَامِهِ».

تَرَكَتِ الْمَایِسْتَرُ الْأَكْبَرُ عَلَى السَّلَالِمِ الْمَلْتَقَةِ مَفَكَّرَةً بِحَسَمٍ: لَمْ يَعُدْ لِهَذَا الرَّجُلِ نَفْعُ الْبَتَّةِ. يَبْدُو أَنَّ پَايسِلَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ إِلَّا ابْتِلَاءَهُ بِالْتَّحْذِيرِ وَالْإِعْتِرَاضِ، حَتَّى إِنَّهُ اعْتَرَضَ عَلَى التَّفَاهُمِ الَّذِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ مَعَ السَّيِّتُونَ الْأَعْلَى، مُحْمَلًا إِلَيْهَا بَعَيْنَيْنِ مَنْطَفِئَتَيْنِ دَامِعَتَيْنِ حِينَ أَمَرَتْهُ بِإِعْدَادِ الْأَوْرَاقِ الضَّرُورِيَّةِ وَمُتَرَثِّرًا عَنِ التَّارِيخِ السَّحِيقِ، إِلَى أَنْ بَتَرَتْ سَرَسِي كَلَامَهُ قَائِلَةً بِحَزْمٍ: «عَهْدُ الْمَلِكِ مَيُجُورُ أَنْتَهَى وَكَذَلِكَ مَرَاسِيمُهُ. الْآنَ عَهْدُ الْمَلِكِ تَوْمَنْ وَعَهْدِي». كَانَ الْأَفْضَلُ لِي أَنْ أَتَرَكَهُ يَضْمَحَلُّ فِي الزَّنَازِينِ السَّودَاءِ.

قَالَ اللُّورْدُ كَابِيرِنَ وَهُمْ يَعْبرُونَ فَوْقَ الْخَنْدَقِ الْجَافِ الَّذِي يُطَوِّقُ (حَصْنَ مَيُجُورِ): «إِذَا سَقَطَ السَّيْرُ لَوْرَاسٍ فَسَتَحْتَاجُ صَاحِبَةَ الْجَلَالَةِ إِلَى فَارِسٍ آخَرَ جَدِيرٍ بِالْحَرَسِ».

الملكي».

أيّدته قائلة: «يجب أن يكون أحدًا فائقًا، أحدًا شابًا وسريعًا وقويًا يُنسي تومن السير لوراس تمامًا. لا بأس بشيءٍ من البسالة، لكن يجب ألا يمتلئ عقله بالأفكار الحمقاء. هل تعرف رجلًا كهذا؟».

أجاب كايبرن: «للأسف لا، لكنني أفكّر في نصير من نوع آخر. ما يفتقر إليّ من البسالة سيُرده عشرة أضعاف بالإخلاص. سيجمي ابنك ويقبّل أعداك ويحفظ أسرارك، وما من رجلٍ حي يستطيع الصمود أمامه».

- «هذا ما تقوله أنت. الكلام هواء. في الوقت المناسب يُمكنك الإفصاح عن رجلك المثالي هذا وسنرى إن كان كما وعدت».

تلاً الاستمتاع في عيني اللورد كايبرن وهو يقول: «سيُغنون عنه، أقسم لك. هل لي أن أسأل عن الدرع؟».

- «طلبْتُ ما أخبرتني به. صانع السلاح يحس بني مجنونّة، يُؤكّد لي أن لا رجل بالقوّة الكافية للحركة والقتال بكِلِّ هذا المعدن الثقيّل»، ورمقت سرسي المايس تر منزوع السلسلة، وأردقت: «حاول أن تخدعني وستموت صارخًا. لا بُدّ أنك تعي ذلك».

- «دائمًا يا جلالة الملكة».

- «عظيم. لا تقل المزيد في هذا الصّد».

- «الملكة حكيمة. هذه الجدران لها آذان».

- «صحيح». أحيانًا في الليل تسمع سرسي أصواتًا خافتة، حتى في مسكنها ذاته، فتقول لنفسها: إنها فئران داخل الجدران لا أكثر.

إلى جوار فراشها وجدت شمعةً مشتعلةً، لكن نار المستوقد انطفأت ولا ضوء آخر، ثم إن الغرفة باردة أيضًا. خلعت سرسي فستانها تاركة إياه يتكوّم على الأرض ودخلت تحت الأغطية، وعلى الجانب الآخر من الفراش تحرّكت تاينا وغمغمت بنعومة: «جلالة الملكة، ما الساعة؟».

- «ساعة البومة».

على الرغم من أن سرسي تنام غالبًا بمفردها فإنها لم تحبّ هذا قطّ. أقدم ذكرياتها عن اقتسام الفراش مع چايمي حين كان كلاهما صغيرًا للغاية ولا أحد يستطيع التّمييز بينهما، ولاحقًا بعد الفصل بينهما عرفت سلسلة من وصيفات الفراش والرّفيقات، أكثرهن فتيات من سيّنها، بنات فرسان بيت أبيها وحملة رايته، لكن ولا واحدة منهن أرضتها، وقليلات بقين مدّة طويلة. غادرات صغيرات جميعهن، مخلوقات باكية مضجرة لا تكف عن حكاية القِصص ومحاولة الحيلولة بيني وبين چايمي. ومع ذلك مرّت عليها ليالٍ في أعماق (الصّخرة) السّوداء

كانت لثَرَجَبٍ فيها بدفئهن إلى جوارها. الفراش الخالي فراش بارد. لا سيّما هنا. هذه الغرفة باردة، وزوجها الملوكي المأفون مات تحت هذه المظلة تحديدًا. روبرت باراثيون الأول، عسى ألا يأتي ثانٍ أبدًا. رجل بليد سكيّر غاشم. فليتردّد بُكاؤه في دركات الجحيم. تاينا تدفئ الفراش أفضل من روبرت كثيرًا، ولا تُحاول أبدًا أن تفتح ساقِي سرسي بالإكراه، وفي الفترة الأخيرة تُشارك الملكة فراشها أكثر من زوجها اللورد ميريوذر، ولا يبدو أن أورتون يُمانع... أو يُمانع لكنه أعقل من أن يبوح بهذا.

- «قلقتُ حين استيقظتُ ولم أجِدكِ»، غمغمت الليدي ميريوذر وهي تعتدل جالسةً وتستند إلى الوسائد، وقد تشابكت الأغصية حول خصرها. «هل من خطبٍ ما؟».

أجابَت سرسي: «لا، كلُّ شيءٍ عليّ ما يُرام. غدًا سيُبحر السير لوراس إلى (دراجونستون) ليظفر بالقلعة ويُطلق أسطول ردواين ويُثبت رجولته لنا جميعًا». حكّت للمايرية كلَّ ما جرى في ظلّ العرش الحديدي المتقلقل، ثم قالت: «من دون أخيها الشُّجاع ملكتنا الصَّغيرة تكاد تكون عارية. إن معها خُرَاسها بالتَّأكيد، لكنني أرسلُ قائدهم هنا وهناك في أنحاء القلعة. إنه رجل ثرثار على سُترته الطويلة سنجاب، والسَّناجب تفرُّ من الأسود. ليس باستطاعته تحديّ العرش الحديدي».

قالت الليدي ميريوذر محذرةً: «مارجري حولها رجال مسـلّحون آخرون. لقد كنّوت صـداقاتٍ كثيرة في البلاط، وهي وبنات عمومتها الصَّغيرات لهنَّ معجبون جميعًا».

ردَّت سرسي: «لا يُقلِّقني قليلون من خاطبي الود، أمّا الجيش المعسكر عند (ستورمز إند)...».

- «ماذا تنوين أن تفعلي يا جلالة الملكة؟».

وجدت سرسي السُّؤال مباشرًا على نحو لا يروقها، فقالت: «لماذا تسألين؟ أملُ أنك لا تُفكرين في إطلاع ملكتنا الصَّغيرة المسكينة على تأملاتي الفارغة».

- «مستحيل. أنا لستُ تلك الفتاة سينل».

لا ترغب سرسي في التّفكير في سينل. لقد ردّت فضلي بالخيانة. سانزا ستارك فعلت المثل، ومن قبلها ميلارا هيذرسيون وچاين فارمان السّمينية في صباهن. لم أكن لأدخل تلك الخيمة إطلاقًا لولاهما، لم أكن لأسمح لماجي الصّفدعة بتذوّق غدي في قطرةٍ من الدّم. «سأحزنُ كثيرًا إذا خُنتِ ثقتي يا تاينا. لن أجد خيارًا إلا إعطاء اللورد كايرن إياك، لكنني أعلم أنني سأبكي».

- «لن أعطيك سببًا للبكاء أبدًا يا جلالة الملكة، وإذا فعلتُ فما عليكِ إلا أن تقولي وسأسلّم نفسي إلى كايرن. أريدُ فقط أن أكون قريبةً منك، أن أخدمكِ بأيِّ

وسيلة تطلبين».

- «وما المكافأة التي تتوقعينها لقاء هذه الخدمة؟».

قالت تايينا: «لا شيء. يُسعدني فقط أن أسعدكِ»، واعتدلت على جانبها وبشيرتها الزيتونية تلتمع في ضوء الشمعة. ثدياها أكبر من ثديي الملكة وتكليلهما حلمتان سوداوان كبيرتان. إنها أصغر مني، وثدياها لم يبداً في الارتخاء بعد. تساءلت سـرسي كيف ستشعر إذا قبلت امرأة أخرى، ليس بخفة على الوجنة على سبيل الكياسة كما تفعل بنات الأعيان، وإنما على الشفتين مباشرة، وشفتا تايينا ممتلئتان للغاية. تساءلت عن شعورها إذا مصت هاتين الحلمتين، إذا مددت المايرية على ظهرها وفتحت ساقها واستعملتها استعمال الرجل للمرأة، استعمال روبرت لها حين كان يسكر دون أن تستطيع إزاحته من فوقها بيديها أو بفمها.

كنت تلك أسوأ الليالي طرّاً، عندما تتمدد تحتها عـاجزة بينما يقضي وطره منها وقد فاحت منه رائحة النبيذ وراح يخور كـالخنازير البرية. عادةً كان يتدحرج من فوقها ويغيب في النوم ما إن يفرغ ويتعالى غطيته قبل أن تجف نطفته على فخذيها، وبعدها كانت تشعر بالألم دائماً، تتوجع بين ساقها وتتوجع ثدياها من هرسه إياهما. المرة الوحيدة التي جعلها تبتل كانت ليلة زفافهما.

في بداية زواجهما كان روبرت وسيماً كفايةً، طويل القامة قوياً متين البنيان، لكن شعره أسود غزير، كثيف على صدره وخشن حول عاتقه. أحياناً عندما يلجها كانت الملكة تُفكر: الرجل الخطأ عاد من معركة (الثالوث). في السنوات القليلة الأولى، وقت أن اعتاد أن يعتليها أكثر، كانت تُغلق عينيها وتظاهر بأنه ريجار، إذ لم تستطع التظاهر بأنه چايمي لأنه كان مختلفاً للغاية وغير مألوف، وحتى رائحته ذاتها خطأ.

بالنسبة إلى روبرت لم تحدث تلك الليالي قط. مع مجيء الصباح لم يكن يتذكر شيئاً، أو هكذا أرادها أن تعتقد. ذات مرة في عام زواجهما الأول أعربت سـرسي عن استيائها في الصباح التالي، وقالت شاكية: «لقد آلمتني»، فلاح عليه الخجل، وبنبرة عابسة واجمة قال: «لم يكن هذا أنا يا سيديتي، بل النبيذ. إنني أشرب الكثير من النبيذ»، كأنه طفل ضيق يسرق كعكات التفاح من المطبخ. ولـيزدرد روبرت اعترافه مديده إلى قرن الـمـيزر، وإذا رفعه إلى فمه حطمت قرنـها هي على وجهه بقوة كسرت قطعة من إحدى أسنانه، وبـعد سنوات في أثناء مأدبة سـمـعته يقول لـخادمة إنه كسر سنه في التحام جماعي، فقالت لنفسها: لم يكذب. زواجهما كان كالقتال في التحام جماعي.

على أن البقية كلها أكاذيب. إنها مقتنعة بأنه كان يذكر ما يفعله بها ليلاً. كانت

ترى هذا في عينيه، لكن الأسهل أن يدّعي النسيان من أن يواجه خزيه. في أعماقه كان روبرت باراثيون جبانًا. مع الوقت قلت هجماته عليها، فخلال العام الأول تعود أن يأخذها مرة كل أسبوعين على الأقل، وقرب النهاية لم يعد يأخذها ولو مرة في العام، لكنه لم يتوقف تمامًا، وعاجلاً أم آجلاً كانت تأتي دائماً ليلة يُسرف فيها في الشرب ويرغب في ممارسة حقوقه. ما كُله بالعار في نور النهار منح الممتعة تحت جناح الظلام.

قالت تاينا ميريويدر: «جلالة الملكة، على وجهك نظرة غريبة. هل أنت بخير؟». أجابت شاعرةً بالجفاف في حلقها: «كنتُ فقط... أتذكرُ. أنتِ صديقة طيبة يا تاينا. لم أخطُ بصديقة طيبة منذ...». قاطعتها دقات قوية على الباب.

ثانية؟ جعلها إلحاح الدقات ترتجف. هل هاجمتنا ألف سفينة أخرى؟ ارتدت معطف نومٍ وذهبت ترى من الطارق، فوجدته حارساً قال لها: «اغفري لي إزعاجك يا جلالة الملكة، لكن الليدي ستوكوورث في الأسفل تطلب لقاءك».

قالت سرسي بحدة: «في هذه الساعة؟ هل فقدت فالكس عقلها؟ قل لها إنني خلدتُ إلى النوم، قل لها إن أهل (الثروس) يُدبّحون، قل لها إنني أمضيتُ نصف الليل مستيقظة. سارها غداً».

ردّ الحارس بتردد: «بعد إذن جلالتك، إنها... إنها ليست في حالة جيدة، إذا كنت تفهمين ما أعنيه».

عقدت سرسي حاجبيها. لقد افترضت أن فالكس هنا لتُخبرها بأن برون مات. قالت: «ليكن. عليّ أن أرتدي ثيابي. خُذها إلى عُرفتي الشمسية واجعلها تنتظر». عندما بدأت الليدي ميريويدر تنهض لتذهب معها منعته الملكة قائلة: «لا، ابقِي. على واحدة منا على الأقل أن تظفر بالقليل من الراحة. لن أتأخر».

وجدت وجه الليدي فالكس مكدوماً متورماً وعينيها محمرّتين من الدُموع، وشفتها السفلي مشقوقة وثيابها متسخة ممزقة، فقالت سرسي إذ أشارت لها بدخول عُرفتها الشمسية وأغلقت الباب: «بحق الآلهة، ماذا حدث لوجهك؟». لم يبدُ على فالكس أنها سمعت السؤال، وقالت بصوتٍ راجف: «قتله! رُحماء يا أمنا، لقد... لقد...»، وانهارت باكية وجسدها كله يرتعد.

صبت سرسي كأساً من التّبيز وأخذتها إلى المرأة الباكية قائلة: «اشربي هذا، التّبيز سيهدئك. نعم، اشربي أكثر. كُفّي عن البكاء وأخبريني ماذا تفعلين هنا».

تطلب الأمر بقية الإبريق كي تسطيع سرسي أخيراً اسـتخلاص الحكاية الحزينة من الليدي فالكس، وبعد أن عرفتـها لـم تـدر هل تضحك أم تثور. ردّدت: «نزال فردي». أما من أحد في (الممالك السبع) يُمكنني الاعتماد عليه؟ أنا الوحيدة في (وستروس) التي تملك شيئاً من

العقل؟ «تقولين لي إن السير بالمان تحدّي برون في نزالٍ فردي؟!».

- «قال إن المسألة ستكون بـبـبسيطةً، قال إن الرّمح سلاح الفـفارِس، وإن بـبرون ليس فارسًا حقيقيًّا. بالمان قال إنه سيُسقِطه من فوق حصانه ويُجهِز عليه وهو مذمذمذ هول على الأرض».

برون ليس فارسًا حقيقيًا، هذا صحيح. برون قاتِل عرْكته المعارك. زوجك القميئ كتب شهادة وفاته بنفسه. «خطة رائعة. هل لي أن أعلم كيف فشلت؟».

- «ب-برون غرس رُمحه في صدر ح-ح-حصان بالمان المسكين. بالمان... انسحقت ساقاه عندما سقط الحصان فوقه. كان صُراخه يُثير الشَّفقة...».

كانت سرسي لتقول: المرتزقة لا يعرفون الشفقة. «طلبتُ منكما أن تُربّيا لحادثة صيد. سهم طائش، سقطة من فوق حصان، خنزير بريّ غاضب... الوسائل عدّة لموت رجل ما في الغابة، لكن ولا واحدة منها تتضمن الرّماح!».

بدا على فاليس أنها لن تسمعها إذ واصلت: «لَمَّا حاولتُ أن أهرع إلى بالمان ضربني برون في... في... في وجهي! لقد جعل زوجي يعترف. بالمان كان يصرخ سائلاً المايستر فرنكن أن يأتي ويُعالِجه، لكن المرتزق... لقد... لقد... لقد...».

- «يعترف؟». لا تُعجب سرسي هذه الكلمة. «مؤكد أن السير بالمان الشُّجاع صانَ لسانه».

- «برون غرسَ خنجرًا في عينه وقال لي إن عليَّ أن أغادر (ستوكوورث) قبل مغيب الشَّمس وإلاَّ أصابني المِثل، قال إنه سيُدَوِّرني على الإحاحاحامية إذا أَرَادني أيُّ من رجاله. عندما أمرتُ بالقبض على برون قال أحدُ فُرسانه بوقاحةٍ إن عليَّ أن أفعل ما يقوله اللورد ستوكوورث. دعاه باللورد ستوكوورث!»، وأطبقت الليدي فاليس على يد الملكة متابعَةً: «يجب أن تُعطيني فُرسانًا يا جلالة الملكة، مئة فارس! ورُماة أيضًا لاستعادة القلعة. (ستوكوورث) لي! إنهم لم يسمحوا لي بجمع ملابسي حتى! قال برون إنها ملابس زوجته الآن، كلُّ ملابسي الح-حرير والمخمل».

أَسْمَالِكِ أَقَلُّ مُشْكَلَاتِكِ الْآنَ. سَحَبَتِ الْمَلِكَةُ أَصَابِعَهَا مِنْ قَبْضَةِ الْمَرْأَةِ الْأُخْرَى الرَّطْبَةِ، وَقَالَتْ: «طَلَبْتُ مِنْكُمَا أَنْ تُخَيِّدَا شَمْعَةً لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى حِمَايَةِ الْمَلِكِ، وَبَدَلًا مِنْ هَذَا سَكَيْتُمَا عَلَيْهَا جِرَّةً مِنَ النَّارِ الشَّعْوَاءِ. هَلْ ذَكَرَ الْأَحْمَقُ بِالْمَانِ اسْمِي؟ قَوْلِي لِي إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ».

لَعَقَتْ فَالَيْسَ شَفْتِيهَا قَائِلَةً: «كَانَ... كَانَ يَتَأَلَّمُ، سَاقَاهُ انْكَسَرَتَا. بَرُونَ قَالَ إِنَّهُ سَيَتَعَامَلُ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ... مَاذَا سَيَحْدُثُ لِلْأُمِّي الْمَسْكِينَةِ؟».

أظنُّ أنها ستموت. «ماذا تحسبين؟». ربما ماتت الليدي تاندا بالفعل، فبرون لا يبدو من الرجال الذين يبذلون جهدًا في رعاية امرأةٍ عجوز مكسورة الورك.

- «يَجِبُ أَنْ تُسَاعِدَ نِي. أَيْنَ أَذْهَبُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ؟».

كَادَتْ سِرْسِي تَقُول: رُبَمَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَزَوَّجِي فَتَى الْقَمَرِ، إِنَّهُ أَقْرَبُ فِي التَّهْرِيجِ إِلَى زَوْجِكَ الرَّاحِلِ. لَا تَسْتَطِيعُ الْمَجَازَفَةَ بِحَرْبٍ عَلَى أَعْتَابِ (كِينِجَزْ لَانْدَنْج) الْآنَ. هَكَذَا قَالَتْ: «الْأَخَوَاتُ الصَّامِتَاتُ يُرَجِّبْنَ بِالْأَرَامِلِ دَوْمًا. إِنْ حَيَاتِهِنَّ حَيَاةٌ هَادِئَةٌ، حَيَاةٌ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّأَمُّلِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَمْنَحُنَ الْأَحْيَاءَ الْمَوَاسَاةَ وَالْمَوْتَى السَّلَامَ».

وَلَا يَتَكَلَّمْنَ. لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَتْرُكَ الْمَرْأَةُ تَجُوبَ (الْمَمَالِكُ السَّبْعُ) نَاشِرَةَ الْحِكَايَاتِ الْخَطِرَةِ.

إِلَّا أَنْ فَالِيسَ صَمَّتْ أُذُنِيهَا عَنْ كَلِمَةِ الْعَقْلِ، وَقَالَتْ: «كُلُّ مَا فَعَلْنَاهُ فَعَلْنَاهُ فِي خِدْمَةِ جَلَالَتِكَ. نَفْخَرُ بِإِخْلَاصِنَا. لَقَدْ قُلْتُ...».

قَاطَعَتْهَا سِرْسِي: «أَذْكُرُ»، وَأَجْبَرَتْ نَفْسَهَا عَلَى الْابْتِسَامِ مُرْدِفَةً: «سَتَبْقَيْنِ هُنَا مَعَنَا يَا سَيِّدَتِي إِلَى أَنْ يَحِينَ الْوَقْتُ وَنَسْتَطِيعُ اسْتِرْدَادَ قُلْعَتِكَ. دَعِينِي أَصْبُ لَكَ كَأْسَ نَبِيذٍ أُخْرَى، سَيُعِينُكَ عَلَى النَّوْمِ. أَنْتِ مُتَعَبَةٌ وَسَقِيمَةٌ الْقَلْبِ، هَذَا وَاضِحٌ. عَزِيزَتِي الْمَسْكِينَةُ فَالِيسَ. نَعَمْ، اشْرَبِي».

بَيْنَمَا عَمَلَتْ ضَرِيفَتُهَا عَلَى الْإِبْرِيْقِ ذَهَبَتْ سِرْسِي إِلَى الْبَابِ وَنَادَتْ وَصَرَفَتْهَا. قَالَتْ لِدُورْكَاسَ أَنْ تَجِدَ لَهَا اللَّيْزَ الْكَايِرْنَ وَتَأْتِيَ بِهِ فِي الْحَالِ، وَأَرْسَلَتْ چوسَلِينَ سَوِيغَتْ إِلَى الْمَطَابَخِ قَائِلَةً: «أَحْضِرِي خُبْزًا وَجُبْنَةً وَفُطِيرَةً لَحْمٍ وَبَعْضَ التُّفَّاحِ، وَنَبِيذًا أَيْضًا. إِنَّا ظَمَأْنَتَان».

وَصَلَ الْكَايِرْنَ قَبْلَ الطَّعَامِ، وَكَانَتْ فَالِيسُ قَدْ تَجَرَّعَتْ ثَلَاثَ كُؤُوسٍ أُخْرَى حِينَئِذٍ وَبَدَأَ رَأْسُهَا يَمِيلُ عَلَى صَدْرِهَا، وَإِنْ ظَلَّتْ تَنْتَبِهَ مِنْ حِينَ إِلَى آخِرٍ وَتَنْتَحِبَ. انْتَحَتِ الْمَلِكَةُ بِكَايِرْنَ جَانِبًا وَأَخْبَرَتْهُ بِحِمَاقَةِ الْبَالْمَانِ، ثُمَّ إِنهَآ قَالَتْ: «لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتْرُكَ فَالِيسَ تَنْشُرُ الْحِكَايَاتِ فِي الْمَدِينَةِ. لَقَدْ أَفْقَدَهَا الْحُزْنَ صَوَابَهَا. أَمَا زِلْتَ مُحْتَاجًا إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَجْلِ... عَمَلِكَ؟».

- «نَعَمْ يَا جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ. مُحَرِّكَاتُ الدُّمَى اسْتُنْزِفْنَ تَمَامًا».

- «خُذْهَا إِذْنِ وَافْعَلْ بِهَا مَا شِئْتَ، لَكِنْ مَا إِنْ تَنْزَلَ إِلَى الزَّنَازِينَ السَّودَاءِ... هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ الْمَزِيدَ؟».

- «لَا يَا صَاحِبَةَ الْجَلَالَةِ، مَفْهُومٌ».

رَدَّتِ الْمَلِكَةُ: «عَظِيمٌ»، وَعَادَتْ تَرْسُمُ الْابْتِسَامَةَ عَلَى وَجْهِهَا قَائِلَةً: «عَزِيزَتِي فَالِيسَ، الْمَايِسْتَرُ كَايِرْنَ هُنَا. سَيُسَاعِدُكَ عَلَى الرَّاحَةِ».

قَالَتْ فَالِيسَ بِإِبْهَامٍ: «أَوْه، أَوْه، جَيِّدٌ».

حِينَ انْغَلَقَ الْبَابُ وَرَاءَهُمَا صَبَّتْ سِرْسِي لِنَفْسِهَا كَأْسًا أُخْرَى، وَقَالَتْ: «إِنِّي مُحَاطَةٌ بِالْأَعْدَاءِ وَالْبُلْهَةِ». لَا تَسْتَطِيعُ حَتَّى الثِّقَّةَ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا، وَلَا بِچَايِمِي الَّذِي كَانَ يَصِفُهَا الْآخِرَ. كَانَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ سَيْفِي وَتُرْسِي، ذِرَاعِي الْيُمْنَى الْقَوِيَّةَ. لِمَاذَا يَصْرُّ عَلَى مَضَائِقَتِي؟ بَرُونَ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ مَصْدَرِ إِزْعَاجٍ مُحْدُودٍ حَقًّا. إِنهَآ لَمْ

تعتقد قَطُّ أنه يُؤوي العِفريت، ثم إن أخاها الصَّغير الشَّائِه أذكى من أن يسمح للوليس بإطلاق اسمه على نعلها المأفون عالمًا أن ذلك سيَجْتلب عليها غصبة الملكة بكلِّ تأكيد. الليدي ميريوذر أشارت إلى هذا وكانت محقَّة. من شبه الأكيد أن الإهانة من صُنع المرتزق نفسه، وتستطيع سرسي أن تتخلَّله يُشاهد ابن زوجته المتغصن المتورِّد يرضع من أحد ضرعي لوليس الممثلين وفي يده كأس من النَّبيذ وعلى وجهه ابتسامة صفيقة. ابتسم كما تشاء أيها السير برون، فقريبًا ستَصْرُخ. استمتع بزوجتك البلهاء وقلعتك المسروقة بينما تستطيع. عندما يحين الوقت سأسحقك كأنك دُبابة. ربما عليها أن تُرسِل لوراس تايرل ليسحقه إذا عادَ بوسيلةٍ ما حيًّا من (دراجونستون). كم سيكون هذا لذيذًا. إذا شاءت الآلهة سيَقْتُل كلاهما الآخر على غرار السير أريك والسير إريك. وبالنِّسبة إلى (ستوكوورث)... لا، لقد سئمت التَّفكير في (ستوكوورث).

كانت تائنا قد عادت تغيب في النَّوم حين رجعت الملكة إلى الغُرفة ورأسها يدور. نبيذ كثير جدًّا ونوم قليل جدًّا. ليس كلَّ ليلةٍ تستيقظ مرَّتين على أخبارٍ مزعجة كهذه. على الأقل إيقاظي ممكن. كان سُكر روبرت ليمنعه من النَّهوض، ناهيك بالحُكم، ولوقع على كاهل چون أرن أن يتعامل مع كلِّ هذا. يسرُّها أن تعتقد أنها ملك أفضل من روبرت.

بدأت السَّماء خارج النَّافذة تُثير بالفعل، وجلست سرسي على الفراش إلى جوار الليدي ميريوذر مصغيةً إلى أنفاسها الهادئة تُشاهد ثدييها يرتفعان وينخفضان.

هل تحلُم بـ(مير)؟ أم بحبيبها ذي النُّدبة، الرَّجل الخطِر فاحم الشَّعر الذي لا يقبل الرِّفص؟ إنها واثقة تمامًا بأن تائنا لا تحلُم باللورد أورتون.

وضعت سرسي يدها على ثدي المرأة الأخرى، بنعومةٍ في البداية، تكاد لا تلمسه، تشعُر بدفئه تحت كفِّها وبجلده الأملس كالسَّاتان، ثم إنها اعتصرتَه برفق ثم حرَّكت أنملة إبهامها بخفَّةٍ على الحلمة الدَّاكنة الكبيرة، جيئةً وذهابًا وحيئةً وذهابًا إلى أن شعرت بها تنتصب، ولمَّا رفعت عينيها وجدت عيني تائنا مفتوحتين، فسألتهَا: «هل يُعجبك هذا؟».

أجابَت الليدي ميريوذر: «نعم».

- «وهذا؟»، وقرصت سرسي الحلمة جاذبةً إياها بشدَّةٍ ولاويةٍ إياها بين أصابعها.

أطلقت المايريَّة شهقة ألم، وقالت: «إنك تُؤلميني».

قالت: «إنه النَّبيذ فحسب. شربتُ إبريقًا على العشاء وآخر مع الأرملة ستوكوورث. كان يجب أن أشرب لأهدِّئها»، ولوت حلمة تائنا الأخرى وشدَّتها إلى أن شهقت، فأضافت: «أنا الملكة، وأريد أن أمارس حقوقي».

- «افعلي ما تشائين». شعر تائنا أسود كشعر روبرت، حتى بين ساقِها،

وعندما مستها هناك وجدت الشعر مبللاً تماماً بينما كان شعر روبرت خشباً جافاً. قالت المايرية: «أرجوك استمري يا مولاتي، افعلي ما تشائين بي، أنا ملكك».

ولكن ما فعلته كان بلا جدوى. أياً كان ما شعر به روبرت في الليالي التي أخذها فيها لم تشعر به هي، لم تجد متعة... أما تايانا فوجدت. حلمت لها ماساتان سوداوان، وفرجها زلق ساخن. كان روبرت ليحبك... لمدة ساعة. وضعت الملكة إصبعاً في المس تنقع المايري، ثم آخر، وحركتهما إلى الداخل والخارج متابعه في سريرتها: لكن حالما يُفرغ لذته في داخلك كان ليتذكر اسمك بصعوبة.

أرادت أن ترى إن كان الأمر سهلاً مع امرأةٍ مثلما كان دوماً مع روبرت، وفكرت واضحةً إصبعاً ثالثاً في (مير): عشرة آلاف من أطفالك ماتوا في كفي يا جلالة الملك.

بينما تغط في النوم كنت ألعق أطفالك من على وجهي وأصابعي واحداً تلو الآخر، كل أولئك الأمراء الشاحبين اللّجين. أخذت حقوقك يا سيدي، لكن في الظلام كنت أكل ورتك. ارتعدت تايانا وشهقت قائلة شيئاً ما بلغة أجنبية، ثم ارتعدت ثانية وقوست ظهرها وصرخت، ففكرت الملكة: كأن أحداً يمزقها إرباً، وللحظة تركت نفسها تتخيل أن أصابعها أنياب خنزير بري تشق جسد المايرية من الخصر إلى العنق. وبلا جدوى.

لم تشعر سرسي بأيّ لذةٍ إلّا مع چايمي.

حين حاولت أن تسحب يدها أمسكتها تايانا ولثمت أصابعها قائلة: «ملكتي الجميلة، كيف أمتعك؟»، وحركت يدها على جانب سرسي ومستها بين الساقين مضيفة: «أخبريني بما تريدني مني يا حبيبتي».

أجاب سرسي: «أتركيني»، وتدحرجت مبتعدةً وسحبت الأغطية على جسدها مرتجفةً. كان الفجر يبزغ وقريباً سيأتي الصباح ويُنسى كل هذا. كأن شيئاً لم يكن.

چایمی

أصْدَرَتِ الأبْوَاقُ دَوِيًّا نُحَاسِيًّا شَقَّ هَوَاءَ الْغَسَقِ الْأَزْرَقِ السَّاکِنِ، فَهَبَّ چوزمین پکلدون علی قدمیه بلا إبطاءٍ وهَرَعَّ يلتقط حزام سيف سيّده.

فَكَّرَ چایمی: غریزة الصَّبِي يَقْطَعُ، وَقَالَ لَهُ: «الْخَارِجُونَ عَنِ الْقَانُونِ لَا يَنْفُخُونَ فِي الْأَبْوَاقِ لِيُعْلِنُوا عَنْ مَجِيئِهِمْ. لَنْ أحتَاجُ إِلَى سِيفِي. هَذَا ابْنُ خَالِي، حَاكِمُ الْغَرْبِ».

كَانَ الْخِيَالَةُ يَتَرَجَّلُونَ عِنْدَمَا خَرَجَ مِنْ خِيَمَتِهِ، يَصِفُ دَسْتَةً مِنَ الْفُرْسَانِ وَأَرْبَعُونَ مِنَ الْجُنُودِ وَالرُّمَاهِ الرَّاکِبِينَ، وَلَمَّا رَأَى چایمی هَدَرَ رَجُلٌ أَشْعَثَ يَرْتَدِي الْحَلَقَاتِ الْمَعْدَنِيَّةَ الْمَذْهَبَةَ وَمَعْطَفًا مِنْ فِرْوِ الثَّعَالِبِ: «چایمی! تَبْدُو مَهْزُولًا لِلْغَايَةِ، وَتَرْتَدِي الْأَبْيَضُ! وَأَطْلَقْتَ لِحِيَتَكَ أَيْضًا!».

- «هَذِهِ؟ مَجَرَّدُ زَغَبٍ مَقَارِنَةٍ بَلْبِدَتِكَ يَا ابْنَ الْخَالِ». تَلْتَحِمُ لِحْيَةُ السَّيْرِ دَاقِنَ الْمُنْتَفِشَةِ مَعَ شَارِبِهِ الْكَثِّ عَلَى جَانِبِي وَجْهِهِ بِكثَافَةِ الْأَحْرَاشِ، وَمَعًا يَلْتَحِمَانِ بِالذَّغْلِ الْأَصْفَرِ الْمَتَشَابِكِ فَوْقَ رَأْسِهِ، وَالَّذِي ضَغَطَتِهِ الْخُوْذَةُ الَّتِي يَخْلَعُهَا. فِي مَكَانٍ مَا وَسِطَ كُلِّ هَذَا الشَّعْرِ يَكْمُنُ أَنْفُ أَفْطُسٍ وَعَيْنَانِ جَذِلَتَانِ بِلَوْنِ الْبَنْدَقِ. «هَلْ سَرَقَ أَحَدُ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ مُوسَاكَ؟».

بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَجُلٍ أَسِيدِي السَّيْحَةِ مِثْلِهِ، فَلِدَاقِنَ لَانَسْتَرِ نَبْرَةٍ مُسْتَكِينَةٍ غَرِيبَةٍ، وَقَدْ أَجَابَ: «أَقْسَمْتُ أَلَّا أَقْصَّ شَعْرِي حَتَّى أَثَارَ لِأَبِي، لَكِنِ الدِّئْبُ الصَّغِيرُ نَالَ مِنْ كَارِس-تَارِكٍ أَوَّلًا وَس-لَبْنِي أَنْتَق-َامِي»، وَن-أَوَّلَ أَحَدِ الْمُرَافِقِينَ خُوْذَتَهُ وَمَرَّرَ أَص-أَبْعَهُ فِي شَعْرِهِ الِذِي س-وَّاهُ الْفُولَازِ الثَّقِيلِ، وَت-أَبَعَ: «أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ شَعْرِي طَوِيلًا بَعْضَ الشَّيْءِ. اللَّيْلُ أَصْبَحَ أَشَدَّ بَرُودَةً، وَالْقَلِيلُ مِنَ النُّمُو عَلَى الْوَجْهِ يُسَاعِدُ عَلَى تَدْفِئَتِهِ، أَجَلْ، ثُمَّ إِنْ الْعَمَّةُ جِنَا اعْتَادَتْ أَنْ تَقُولَ دَوْمًا إِنْ لِي ذَقْنَا كَقَالِبِ الْقَرْمِيدِ»، وَأَمْسَكَ چایمی مِنْ ذِرَاعِيهِ قَائِلًا: «خَفْنَا عَلَيْكَ بَعْدَ (الْغَايَةِ الْهَامِسَةِ). سَمِعْنَا أَنَّ ذئبَ سِتَارِكِ الرَّهَيْبِ نَهَشَ عُنْقَكَ».

- «وَهَلْ ذَرَفْتَ الدَّمَاعَ الْمَرِيرَ مِنْ أَجْلِي يَا ابْنَ الْخَالِ؟».

- «نِصْفُ (لَانَسِپُورْتِ) رَثِي لَكَ، النِّصْفُ الْأَنْثَوِي»، وَانْتَقَلَتْ نَظْرَةُ السَّيْرِ دَاقِنَ إِلَى جَدْعَةِ چایمی، فَقَالَ: «الْأَمْرُ صَحِيحٌ إِذْنِ، الْأَوْغَادُ بَتَرُوا يَدَ سَيْفِكَ».

- «لَدَيَّ وَاحِدَةٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الذَّهَبِ. ثَمَّةُ إِجَابِيَّاتٍ كَثِيرَةٌ فِي كَوْنِ الْمَرْءِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ. الْآنَ أَشْرَبُ أَقْلَ خَشْيَةٍ أَنْ أَسْكَبَ النَّبِيذَ، وَنَادِرًا مَا أَنْزَعُ إِلَى حَلٍّ مُؤَخِّرَتِي فِي الْبَلَاطِ».

- «نَعَمْ، صَحِيحٌ. رُبَّمَا عَلَيَّ أَنْ أَجْعَلَهُمْ يَقْطَعُونَ يَدَيَّ أَيْضًا»، وَضَحَكَ ابْنُ خَالِهِ، وَتَسَاءَلَ: «أَهْيَا كَاتِلِينَ سِتَارِكَ مِنْ قَطْعَتِهَا؟».

- «فَارْجُو هَوْتَ». مِنْ أَيْنَ تَأْتِي هَذِهِ الْحِكَايَاتُ؟ قَالَ السَّيْرِ دَاقِنُ: «الْكُوْهُورِي؟»،

وبصقَ مواصلاً: «هذه له ولكلّ رفاقه الشُّجعان. قلتُ لأبيك إنني سأبحثُ له عن الإمدادات لكنه رفضَ وقال إن بعض المهام يليق بالأسود، أما الإمدادات فالأفضل تركها للكباش والكلاب».

يعلم چايمي أن هذه كلمات اللورد تايووين تحديداً، بل ويكاد يسمع صوت أبيه يقولها. «ادخل يا ابن الخال. يجب أن نتكلم».

لأن جـاريت قد أشـعل النار في المسـتوقدات وبـثت جمراتـها المتوهّجـة بالأحمر الحـرارة في خيمـة چايمي. خلـع السـير دافن معطفـه وألقـاه إلى لـيو الصـغير، وسـأله بخشونة: «أأنت من آل پايپر يا فتى؟ إن لك شكلاً أعجف».

- «أنا ليو پايپر، بعد إذن سيدي».

- «لقد هزمتُ أخاك اللعين في التحامٍ جماعي ذات مرّة. الأحمق الأعجف شعرَ بالمهانة حين سألته إن كانت هذه أخته التي ترقص عاريةً على ترسه».

- «هذا رمز عائلتنا. ليست لنا أخت».

- «مؤسف. رمزكم له ثديان جميلان، لكن من الرجل الذي يختبئ وراء امرأة عارية؟ كلما هويتُ بضربةٍ على ترس أخيك شعرتُ بالخسّة».

كانت پيا تُتبلّ لهما التّبيز وتُقلّبه في قدرٍ بملعقة، وقال چايمي لدافن ضاحكاً: «كفى، دعه وشأنه. أريدُ أن ألمّ بما سأجده في (ريقرن)».

هزّ ابن خاله كتفيـه مجيئاً: «الحصـار مسـتمر. السّمكـة الـسّوداء جـالس داخل القلعة ونحـن جالسـون خارجـها في معسـكراتنا. مسـألة ممـلة للغايـة إذا أردت الحقيقـة»، وجلـس على كُرسـي متـابعاً: «ينبغي أن يشـن تلـي غـارة لِيُذَكِّرنا جمـيعاً بأننا ما زلنا في حرب. سـيكون لطفاً منـه أن يُخـلصنا من بعـض ابنـاء فراي أيـضاً».

رايمان كبداية. إنه سكران أغلب الوقت. أوه، وإدوين. ليس بليداً كأبيه لكنه مفعم بالكراهية كما يُفعم البثور القيح. وكذا عزيزنا السير إمون... لا، اللورد إمون وليحمننا (السبعة)، يجب ألا ننسى لقبه الجديد... سيّد (ريقرن) لا يفعل شيئاً إلا محاولة إخباري بكيفية إدارة الحصار، يُريدني أن أستولي على القلعة دون أن أتلّفها، بما أنها مقرّ لوردتيته الجديد».

سأل چايمي پيا: «هل سخن التّبيز؟».

أجابَت الفتاة مغطيةً فمها: «نعم يا سيدي».

قدّم بك التّبيز على صحفةٍ ذهبية، وخلع السير دافن قفّازه ثم تناول كأساً قائلاً: «شكراً يا فتى. من أنت؟».

- «چوزمين پكلدون، بعد إذن سيدي».

قال چايمي: «يك من أبطال معركة (النَّهر الأسود)، قتلَ فارسَيْن وأسرَ اثنين غيرهما».

- «لا بُدَّ أنك أخطر مما تبدو يا فتى. أهذه لحية أم أنك نسيت غسل وجهك من الوسخ؟ زوجة ستانيس باراثيون لها شارب أكثر من هذا. كم سيُثَّك؟».

- «خمسة عشر عامًا أيها الفارس».

قال السير دافن ساخرًا: «أتعرف أفضل ما في الأبطال يا چايمي؟ كلُّهم يموتون مبكرًا ويتروكون لبقيتنا مزيدًا من النساء»، وألقى كأسه للمرافق قائلاً له: «املأها ثانيةً وسادعوك بالبطل أيضًا. إنني ظمآن».

رفعَ چايمي كأسه بيُسراره ورشفَ منها لينتشر الدِّفء في صدره، وقال: «كنت تتكلم عن أبناء فراي الذين تُريد موتهم؛ رايمان وإدوين وإمون...».

قال دافن: «وابن العاهرة والدر ريفرز. يكرهه أنـه نـغـل ويكرهه كـل من ليسوا كذلك. لكن السير پروين يبدو رجلاً طيبًا، لا بأس بالإبقاء عليه، وعلى النساء أي ضًا».

سمعتُ أنني سأتزوجُ إحداهن. ربما كان حريًا بأبيك أن يستشيرني بشأن هذه الزيجة بالمناسبة. كان أبي يتفق مع باكستر ردواين قبل (أوكسكروس)، هل تعلم هذا؟ ردواين له ابنة حسنة مهرها غال...».

ردَّ چايمي ضاحكًا: «دسميرا؟ هل تحبُّ التمش؟».

- «إذا كان خيارى بين بنات فراي والتمش... نصف فتيات اللورد والدر يُشيهن بنات عرس».

- «نصفهن فقط؟ اشكر بختك السعيد إذن. لقد رأيتُ عروس لانسل في (داري)».

- «آمي البوابة، لترحمنا الآلهة. لم أصدق أن لانسل اختارها. ما خطب ذلك الصبي؟».

أجابَ چايمي: «أصبحَ متدينًا، لكن ليس هو من اختارها. أم الليدي آميري من عائلة داري، وارتأتى عمنا أنها ستُساعِد لانسل على كسب رعايا (داري)».

- «كيف؟ بمضاجعتهم؟ هل تعرف لماذا يُلقَّبونها بآمي البوابة؟ لأنها ترفع شبكتها الحديدية لكلِّ فارسٍ يمرُّ بها. خيرٌ للانسل أن يجد صانع سلاحٍ يدق له خوذةً بقرنين».

- «لن يكون ذلك ضروريًا. ابن عمنا ذاهب إلى (كينجز لاندنج) ليحلف اليمين كأحد رجال السيِّطون الأعلى المسلحين».

ما كانت دهشة أكبر لتلوح على وجه السير دافن لو أن چايمي قال له إن لانسل قرَّر أن يُصبحَ قردًا، وقال: «حقًا؟ أنت ثمارحني. لا بُدَّ أن آمي البوابة أكثر

شبهًا بنات عرس مما سمعتُ ما دامت قد دفعت الصبي إلى هذا!». حين استأذنَ چایمی في الانصراف من الليدي آميري كانت تبكي بهدوءٍ انفضاض زواجها بينما تسمح للسیر لایل كراكهول بمواساتها، لكن دموعها لم تُزعجه نصف إزعاج النظرات القاسية على وجوه أقاربها الواقفين في الساحة. قال لداقن: «أملُ أنك لا تنوي أن تحلف يمينًا بدورك يا ابن خالي. آل فراي حساسون عندما يتعلّق الأمر باتِّفاقات الزَّواج، وأكرهُ أن نُخَيِّب أملهم ثانيةً». أطلق السیر داقن نخيرًا هازنًا، وقال: «سأتزوَّجُ بنت عرس وأضاجعها، لا تقلق، إنني أعلمُ ما جرى لروب ستارك. لكن مما أخبرني به إدوين فالأفضل لي أن أختار واحدةً لم تُزهَر بعدُ، وإلا فغالبًا ساجدُ والدر الأسود قد سبقني إليها. أراهنُ أنه افترشَ آمي البوابة، وأكثر من ثلاث مرَّات. ربما يُفسِّر هذا تدين لانسِل ومزاج أبيه».

- «رأيت السیر كيفان؟».

- «نعم. مرَّ بنا هنا في طريقه إلى الغرب. سألته أن يُعيننا على الاس-تيلاء على القلعة، لكن كـيفان رفضَ تمامًا. طيلة الوقت الذي أمضاه هنا كان عابسًا، يتكلم بكياسة كافية لكن باردة. أقسمتُ له أنني لم أطلب قط أن أكون حاكم الغرب، أن ذلك الشرف ينبغي أن يكون له، فأعلن أنه لا يَكُن لي ضغينة، وإن لم تقل نبرته هذا على الإطلاق. بقيَ ثلاثة أيام وبالكَاد قال لي ثلاث كلمات. ليتَه ظلَّ معنا. كنتُ محتاجًا إلى نصيحته، وما كان أصدقًا وأنا أبناء فراي ليجرؤوا على إزعاج السیر كيفان كما يُزعجونني».

قال چایمی: «أخبرني».

- «أريدُ أن أفعل، لكن أين أبدأ؟ بينما أُنبي المِدكَات وأبراج الحصار نصبَ رايمان فراي مشنقةً، وكلَّ يومٍ عند الفجر يأتي إدميور تلي ويضع أنشودةً حول عنقه ويهدِّد بشنقه ما لم تسلم القلعة، لكن السمكة السوداء لا يُلقِي بها إلا لهذه المسرحية، ومـع حلول المساء يُنزلون اللورد إدميور ثانيَّة. هل تعلم أن زوجته حامل؟».

لم يكن چایمی يعلم هذا. «إدميور ضاجعها بعد الزَّفاف الأحمر؟».

- «بـل لكن يُضـاجعها في أثـناء الزَّفاف الأحمر. روزلين صـغيرة حسـناء، لا تمـت بـصلة لـبنات عـرس بـتـاتًا، والغـريب أنـها مـولعة بـإدميور. پرويـن قـال لـي إنـها تُصـلي لإنـجاب فتاة».

تأمل چایمی في هذا لحظةً، ثم قال: «ما إن يُولَد لإدميور ابن لن يعود اللورد والدر محتاجًا إلى إدميور نفسه».

- «هذا رأيي أيضًا. عمُّنا الكريم إم... آه، اللورد إمون بالأحرى... يُريد أن يُشنق إدميور في الحال. وجود سيِّد من آل تلي لـ(ريقرن) يكاد يُكدِّره بقدر احتمال

مولد واحدٍ آخَر. كلَّ يومٍ يُناشِدُنِي أَنْ أَجْعَلَ السَّيْرَ رَايْمَانَ يُعَلِّقُ تَلِيَّ مِنْ رَقْبَتِهِ، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ أَقْنَعُهُ. وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ يَشُدُّ اللَّوْرِدُ جَاوْنَ وَسْتَرْلِيْنِجَ كُمِّي الْآخَرِ. السَّيِّدَةُ زَوْجَتُهُ مَعَ السَّمْكَةِ السَّوْدَاءِ دَاخِلَ الْقَلْعَةِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْ أَوْلَادِهِ ذَوِي الْأَنْوَفِ السَّائِلَةِ، وَيَخْشَى حُضْرَةَ اللَّوْرِدِ أَنْ يَقْتُلَ هُمْ تَلِيَّ إِذَا شَقَّ آلَ فَرَايَ إِدْم-يُور. إِحْدَاهُمْ مَلِكَةُ الدِّثْبِ الصَّغِيرِ».

يُظَنُّ چَايْمِي أَنَّهُ التَّقَى چَايْنِ وَسْتَرْلِيْنِجَ مِنْ قَبْلُ، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَذَكَّرُ شَكْلَهَا. لَا بُدَّ أَنَّهَا رَائِعَةُ الْجَمَالِ مَا دَامَتْ اسْتَحَقَّتْ مَمْلَكَةً كَامِلَةً. قَالَ لَابِنْ خَالَهُ مُؤَكِّدًا: «السَّيْرُ بَرَايْنِدَنْ لَنْ يَقْتُلَ أَطْفَالًا، إِنَّهُ لَيْسَ سَمَكَةً سَوْدَاءَ لَتِلْكَ الدَّرَجَةِ». الْآنَ بَدَأَ يَسْتَوْعِبُ سَبَبَ عَدَمِ سَقُوطِ (رِيْقَرَرَنْ) بَعْدُ. «حَدِّثْنِي عَنْ تَجْهِيْزَاتِكَ يَا ابْنِ الْخَالِ».

- «إِنَّا نُطَوِّقُ الْقَلْعَةَ. السَّيْرُ رَايْمَانَ وَرِجَالَ فَرَايَ مَعْسِكِرُونَ شِمَالَ (الْجُلْمُودِ)، وَجَنُوبَ (الْفَرْعِ الْأَحْمَرِ) يَجْلِسُ اللَّوْرِدُ إِمُونُ مَعَ السَّيْرِ فُورْلِي پَرِسْتَرِ وَفُلُولِ جِيْشِكِ الْقَدِيمِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى لُورْدَاتِ النَّهْرِ الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَيْنَا بَعْدَ الزَّفَافِ الْأَحْمَرِ. لَيْسَ لَدَيَّ مَا يَمْنَعُ أَنْ أَقُولَ إِنَّهُمْ مَجْمُوعَةٌ كَثِيْبَةٌ، صَالِحُونَ لِلْوُجُومِ فِي خِيَامِهِمْ وَلَكِنْ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا. مَعْسِكِرِي أَنَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، قُبَالَةَ الْخَنْدَقِ وَبَوَابَةِ (رِيْقَرَرَنْ) الرَّئِيْسَةِ. لَقَدْ أَلْقَيْنَا سَلْسِلَةً عِبرَ (الْفَرْعِ الْأَحْمَرِ) فِي اتِّجَاهِ الْمَجْرَى. مَا نَفْرِيْدُ يَا وَرَايْنَارْدَ رُوتِيْجَرِ مَسْئُولَانِ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْهَا كَيْ لَا يَهْرَبُ أَحَدٌ بِالْقَارِبِ، وَأَعْطَيْتُهُمَا شَبَاكًا أَيْضًا لِلصَّيْدِ، فَهَذَا يُسَاعِدُ عَلَى إِطْعَامِنَا».

- «هَلْ نَسْتَطِيعُ تَجْوِيعَ الْقَلْعَةِ؟».

هَزَّ السَّيْرُ دَاثْنَ رَأْسَهُ نَفِيًّا، وَأَجَابَ: «السَّمْكَةُ السَّوْدَاءُ طَرَدَ جَمِيعَ الْأَفْوَاهِ عَدِيْمَةً الْجَدْوَى مِنَ الْقَلْعَةِ وَاقْتَلَعَ كُلَّ نَبْتَةٍ تُؤَكَّلُ فِي الرِّيْفِ الْمَحِيْطِ. إِنْ مَعَهُ مَوْئًا تَكْفِي لِإِطْعَامِ الرِّجَالِ وَالْخِيُولِ طَيْلَةَ عَامِيْن».

- «وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَوْئِنَا نَحْنُ؟».

- «مَا دَامَتْ فِي النَّهْرَيْنِ أَسِيْمَاكَ فَلَنْ نَجُوعَ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أُدْرِي كَيْفَ سَنُطْعِمُ الْخِيُولَ. آلَ فَرَايَ يَنْقُلُونَ الطَّعَامَ وَالْعَلْفَ مِنَ (التَّوَأْمَتَيْنِ)، لَكِنْ السَّيْرُ رَايْمَانَ يَدَّعِي أَنْ مَا لَدَيْهِمْ لَيْسَ كَافِيًّا لِاِقْتِسَامِهِ مَعَنَا، وَلِذَا فَعَلَيْنَا الْحَصُولَ عَلَى إِمْدَادَاتِنَا بِأَنْفُسِنَا. نِصْفُ الرِّجَالِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ لِلْعَثُورِ عَلَى طَعَامٍ لَا يَرْجِعُونَ. بَعْضُهُمْ يَتَهَرَّبُ، وَغَيْرُهُمْ نَجَدُهُمْ يَتَعَقَّنُونَ تَحْتَ الْأَشْجَارِ وَحَوْلَ أَعْنَاقِهِمْ حَبَالٌ».

- «صَادَفْنَا بَعْضَهُمْ أَوَّلَ مَنْ أَمْسَ». وَجَدَهُمْ كَشَافَةً أَدَامَ مَارِبْرَانْدَ مَسْوُودِيَّيِ الْوُجُوهِ مَشْنُوقِيْنِ مِنْ شَجَرَةِ تَقَّاحٍ، وَقَدْ جُرِّدَتِ الْجُثَثُ مِنْ ثِيَابِهَا تَمَامًا وَدُسَّتْ تَقَّاحَةٌ فِي فَمِ كُلِّ مِنْهَا. لَا أَحَدَ مِنْهُمْ كَانَتْ فِي جِسَدِهِ جُرُوحٌ، وَوَاضِحٌ أَنَّهُمْ اسْتَسَلَّمُوا، وَقَدْ أَشْعَلَ هَذَا غَضَبَ الْعُفْرِ الْقَوِي الَّذِي أَقْسَمَ عَلَى الْاِنْتِقَامِ الدَّامِي مِنْ كُلِّ مَنْ يُعَلِّقُ رِجَالًا مُحَارِبِيْنَ هَكَذَا لِيَمُوتُوا كَالْخَنَازِيْرِ.

قَالَ السَّيْرُ دَاثْنَ عَنْ-دَمَا حَكَّى لَه چَايْمِي: «رَبْمَا فَعَلَهَا خ-أَرْجُونُ ع-نَ

القيانون وربما لا. ما زالت هنالك جماعات من الشّمليين في هذه الأنحاء، وربما ركّع لوردات (الثالث) هؤلاء، لكنني أظن أن قلوبهم لا تزال... ذئبية».

رمى چايمي مرافقـيه الصّغـيرين اللـذين يحومان قُرب المسـتوقّـدات متظاهرين بأنهما لا يسـمعان. لـيـويسـ پاير وجـاريت پايج كلاهما من أبناء لوردات النّهر، وقد أمسى چايمي مولعًا بالاثنين ويكره أن يُعطي السير إلين إياهما. «الجمال تُوحى بأن هذا عمل دونداريون».

- «سيّد البرق ليس الوحيد الذي يعرف كيف يعقد أنشودة. لا تجعلني أتكلّم عن اللورد بريك. إنه هنا، إنه هناك، إنه في كلّ مكان، لكن حين تُرسِل رجالًا لمطاردته يتبخّر كقطرات النّدى. لوردات النّهر يُساعِدونه، إياك أن تشكّ في هذا، رغم أنه من لوردات (الثخوم) الملاعين. في يومٍ تسمع أنه مات، وفي التّالي يقولون إنه لا يُقتل»، ووضع السير دافن كأسه مواصلاً: «كشّفتي يُبلغونني بمشاهدة نيرانٍ مشتعلة في البقاع العالية ليلاً. يظنون أنها إشارات... كأن هناك حلقة من المراقبين في كلّ مكانٍ حولنا. ثم إن هناك نيرانًا في القرى أيضًا. إله جديد ما...».

لا، بل إله قديم. «ثوروس مع دونداريون، ذلك الرّاهب المايري البدين الذي اعتاد أن يشرب مع روبرت». كانت يده الذهبية على الطاولة، فمسّها چايمي وشاهد ذهبها يلتمـع في ضوء المسـتوقّـدات الخـافت مرّداً: «سـنـتـعامل مـع دونـداريون إذا اضـطررنا، لكـن يـجب أن يـأتي السّـمكة السّـوداء أولاً. لا بدّ أنـه يـعلم أن قـضـيـته خاسرة. هل حاولت التّفاوض معه؟».

- «السير رايمان حاول، ركّب إلى القلعة شبه سكران ورفع عقيرته ملقيًا التّهديدات، فظهر السّمكة السّوداء في الشّرفة فقط ليقول إنه لن يُبدّد كلامًا حسنًا على رجل كريحه، ثم غرس سهمًا في كفل حصان رايمان، فأسقطه الحصان في الوحل وضحكت بقوة لدرجة أنني كدتُ أبلل سراويلي. لو كنتُ أنا داخل القلعة لصوّبت السهم إلى حنجرة رايمان الكاذبة».

ردّ چايمي بابتسامة خفيفة: «سأضغّ واقياً على عنقي عندما أتفاوض معه. إنني أنوي أن أعرض عليه شروطاً سخية». إذا استطاع إنهاء هذا الحصار دون إراقة دماء فلن يقول أحد إنه حمل السّلاح ضد عائلة تلي.

- «هنيئاً لك بالمحاولة يا سيّدي، وإن كنتُ أشكّ في أن الكلام سيُجدي نفعا. يجب أن نقتحم القلعة».

في وقتٍ ما ليس بعيد كان چايمي ليحضّ على التّصرف نفسه بلا تردّد. إنه يعلم أنه لا يستطيع البقاء هنا عامين كاملين حتى يُجوّع السّمكة السّوداء ويُرغمه على الاستسلام. قال للسير دافن: «أياً كان ما سنفعله فعلينا أن نتعجّل. إن مكاني في (كينجز لاندنج) مع الملك».

قال ابن خاله: «أجل. مؤكّد أن أختك محتاجة إليك. لماذا صرفت كيثان؟ حسبتها ستجعله يد الملك».

- «لقد رفضَ اليدويّة». لم يكن أعمى مثلما كنتُ.

- «المفترَض أن يكون كيثان حاكم الغرب، أو أنت. لا أنكرُ أنني ممتنٌّ لهذا الشَّرَف بالطَّبع، لكن عمّا في ضِعف سيّئ وأكثر خبرةً بالقيادة. آملُ أنه يعلم أنني لم أطلب هذا إطلاقاً».

- «إنه يعلم».

- «وكيف حال سرسي؟ جميلة كالعادة؟».

- «متألّقة». مخادعة. «ذهبيّة». زائفة كالذهب القشرة. ليلة البارحة حلمَ بأنه ضبطها تُضاجع فتى القمر، فقتلَ المهرَج وحطّم أسنان أخته بيده الذهبية كما فعلَ جريجور كليج-اين بالمس-كينة-بي-ا. في أحلامه-لچايم-ي دومّا-ي-دان، إح-داهما من ذهب لكنّها تعمل بكفاءة الثّانية-تم-أمّا. «كلم-ا عجلن-ا ب-الفروغ من مس-آلة (ريفرن) عجلتُ بالعودة إلى سرسي».

أمّا ماذا سيفعل حينها فلا يدري.

تكلّم مع ابن خاله ساعةً أخرى قبل أن يستأذن حاكم الغرب في الانصراف، ولَمّا غادرَ ركبَ چايمي يده الذهبية وارتدى معطفه البنيّ ليتمشّى بين الخيام.

الحقيقة أنه يحبُّ هذه الحياة، ويَشعرُ براحةٍ أكبر كثيرًا وسط الجنود في الميدان من البلاط، ورجاله يبدون مرتاحين معه أيضًا. عند واحدةٍ من بُؤر النَّار عرضَ عليه ثلاثة من رُماة النُّشابية نصيبًا من أرنبٍ برّي اصطادوه، وعند أخرى طلبَ فارس شابٌ نصيحته في أفضل وسيلةٍ للدِّفاع عن نفسه ضد مطرقةٍ حربيةٍ، وعلى ضفّة النّهر شاهدَ غسّالتيْن تتنازّلان في المياه الضّحلة فوق أكتاف جنديّين. كانت الفتاتان نصف ثملتين نصف عاريتين، تضحكان وتضرب كلتاها الأخرى بمعطفٍ مطويٍّ بينما تُشجّعهما دسته من الرّجال. راهنَ چايمي بنجمةٍ نُحاسيةٍ على الشّرقاء التي تركب راف المعسول، وخسرّها عندما سقط الاثنان وسط البوص.

على ضفّة النّهر الأخرى تعوي الدِّئاب، وتهبُّ الرّيح متخلّلةً مجموعةً من أشجار الصّفاف جاعلةً أغصانها تتلوّى وتتهامس. وجدَ چايمي السير إلين پاين يشحذ سيفه العظيم، فقال له: «هيا»، ونهضَ الفارس الصّامت وعلى شفّتيه ابتسامة رفيعة. إنه مستمتع بهذا، يطيب له أن يمتهنّني كلّ ليلة، بل وقد يسرّه أكثر أن يَقتلني. يحبُّ أن يعتقد أنه يتحسّن، لكن التّحسّن بطيء وليس بلا ثمن، فتحت الفولاذ والصّوف والجِلد المقوّى جسد چايمي لانستر لوحة من الجروح والنّدوب والكدمات.

اعترضَ حارس طريقهما وهما يقودان حصانيهما إلى خارج المعسكر، فربّت

چایمی علی کتف الرَّجل بیده الدَّهَبِيَّةَ قائلاً: «ابقَ يقظًا. ثَمَّة ذئاب في الجوار». ركباً في الاتِّجاه المعاكس بمحاذاة (الفرع الأحمر) نحو أطلال قريةٍ محترقة مرَّ بها هذا الأصيل، وهناك رقصة رقصة منتصف الليل وسط الحجارة المسوَّدة والجمرات القديمة الباردة. لفترةٍ قصيرة كان التَّفوقُ لچایمی، وسمحَ لنفسه بأن يحسب أن مهارته القديمة تعود إليه، وربما تكون الليلة ليلة ذهاب پاين إلى فراشه مكدومًا مُدَمَّى.

وكان السير إلین سمعَ أفكاره. بحركةٍ كسول تفادی ضربة چایمی الأخيرة وكرَّ عليه بهجمةٍ مضادةٍ دفعته دفعًا إلى النَّهر، حيث انزلقَ حذاؤه من تحته في الوحل، فانتهى به الأمر على رُكبتيه، سيف الفارس الصَّامت على حلقه وسيفه هو ضائع وسط أعواد البوص. في نور القمر تبدو آثار الجُدري على وجه پاين كبيرةً كفَوَّهات البراكين، وأصدرَ الرَّجل صوت الطَّقطقة إياه الذي ربما يكون ضحكةً، وحرَّك سيفه إلى أعلى على عُنق چایمی إلى أن استقرَّ رأسه بين شفتيه، وعندئذٍ فقط تراجعَ وأغمَدَ فولاده.

قال چایمی لنفسه وهو ينفذ الطَّمي عن يده الدَّهَبِيَّة: كان خيرًا لي أن أتحدَّى راف المعسول وعلى ظهري عاهرة. جزء منه يُريد انتزاع هذا الشَّيء والتَّطويح به في النَّهر. يده بلا جدوى، ويُسراه ليست أفضل كثيرًا. كان السير إلین قد عادَ إلى الحصانين تاركًا إياه ينهض بنفسه. على الأقل لم تزل لي قدما.

كان اليوم الأخير من رحلتهم باردًا عاصفًا، تُصرصر الريح بين الفروع العارية في الغابة البنيَّة الجرداء وتُجبر أعواد البوص على الانحناء بشدَّة بطول (الفرع الأحمر)، وعلى الرغم من ارتدائه معطف الحرس الملكي الشَّتوي الصَّوف شعر چایمی بأسنانها الحديدية تنهش جسده إذ ركبَ إلى جوار دافن ابن خاله. في وقتٍ متأخَّر من الأصيل أبصروا (ريفررن) ترتفع على الرَّأس الأرضي الضَّيق حيث يتلاقى (الجلمود) و(الفرع الأحمر). تبدو قلعة آل تلي كسفينةٍ حجريةٍ عظيمةٍ مقدَّمتها موجهة صوب المصب، وقد غمرَ الضوء الذهبي الأحمر أسوارها المبنية بالحجر الرَّملي فبدت أعلى وأغلظ مما يذكُر چایمی، ففكرَ بكآبة: لن تتمَّ هذه المهمة بسهولة.

إذا رفض السَّمكة السوداء الإصغاء فلن يجد خيارًا إلا الحنث في قَسمه لكاتلين ستارك، فقَسمه لملكه يأتي أولًا.

وجد السَّلسلة عبر النَّهر والمعسكرات الثلاثة الكبيرة لجيش المحاصرين كما وصفَ ابن خاله تمامًا. معسكر السير رايمان فراي شمال (الجلمود) هو الأوسع مساحةً والأقلُّ تنظيمًا، وفوق الخيام ترتفع مشنقة رمادية ضخمة بحجم المِقذاف، وعلى منصَّتها يقف شبح وحيد يُحيط بعُنقه حبل. إدميور تلي. أحسَّ چایمی بطعنةٍ من الشَّفقة في قلبه. أن يجعلوه يقف هكذا يومًا وراء يوم بتلك الأنشطة حول عُنقه... الأفضل أن يقطعوا رأسه ويفرغوا من الأمر.

وراء المشنقة تنتشر فوضى الخيام وبؤر النَّار. كان صغار لوردات وُقُرسان آل فراي قد نصبوا سُرادقاتهم براحةٍ في اتِّجاه المنبع بعيدًا عن حُفر المراحيض، وفي اتِّجاه المصبِّ زرائب وعربات يد وعربات ثيران. قال السير داقن: «السير رايمان لا يُريد أن يُصيب الملل فتيته، فيُعطيهم عاهرات ومصارعة ديوك وصيد الخنازير البرِّية، بل وحصلَ لنفسه على مغنٍّ! عمَّتنا جلبت وات ذا الابتسامة البيضاء من (لانسپورت)، صدِّق أو لا تُصدِّق، فكَان على رايمان أن يكون له مغنِّيهِ الخاص أيضًا. ألا يُمكننا الاكتفاء بسدِّ النَّهر وإغراقهم جميعًا يا ابن العمَّة؟».

رأى الرُّماة يتحرَّكون وراء الشُّرَّافات في شُرُفات القلعة وفوقهم تخفق رايات عائلة تلي، سمكة الترويت الجريئة على خلفيتها المخططة بالأحمر والأزرق. على أن أطول أبراج القلعة يعلوه علم مختلف، علم أبيض طويل يُزيِّنه ذئب ستارك الرَّهيب. قال چايمي لابن خاله: «أول مرَّة رأيتُ (ريقرن) كنتُ مُرافقًا أخضر كعُشب الصَّيف. أرسَلَنِي العجوز سَمَن—ر كراك—هول لأوصِل رسـالَةَ أَكَّد أنـه لا يسـتطيع أن يـأتمن عليـها غداً، فـأبقاني الـلـورد هوسـتر أسـبوعين بينمـا يُفكِّر ملـيًّا فـي الـردِّ، وأجلَسَنِي إلى جوار ابنته لايسا عند كلِّ وجبة».

- «لا عجب أنك انضممت إلى الحرس الملكي. كنتُ لأفعل المثل».

- «أوه، لايسا لم تكن مخيفةً لهذه الدَّرَجَة». الحقيقة أنها كانت فتاةً حسنة رقيقةً لها غمَّازتان وشعر كستنائي طويل. وإن كانت خائفةً، تميل إلى الصَّمْت بلسانٍ معقود وبين الحين والآخر القهقهة، ليس فيـها لسانٍ لـهـبٍ واحـد مـن نـار سـرسي. بـدَّت أختـها الكبـيرة أكثـر إثـارةً للاهتمام، ولو أنـها كـانت مـوعدةً لصـبيٍّ مـا مـن الشَّمال هو وريث (وينترفل)... لكن في تلك السَّن لم تكن أيُّ فتاةٍ لتُثير نصف اهتمام چايمي بشقيق هوستر الشَّهير الذي نالَ المجد في أثناء قتاله ملوك البنسات التَّسعة في (الأعتاب). على المائدة تجاهل لايسا المسكينة وألحَّ على برايندن تلي أن يحكي له عن ميليز الوحش والأمير الأبنوسي. وقتها كان السير برايندن أصغر مني الآن، وكنتُ أصغر من بك.

تقع أقرب مخاضةٍ عبر (الفرع الأحمر) في اتِّجاه المنبع، وليبُلِّغوا معسكر السير داقن كان عليهم أن يَمروا من معسكر إمون فراي بسُرادقات لوردات النَّهر الذين ركعوا وقبِلوا من جـديـدٍ فـي سـلام الملـك. لاحظَ چايمي رايات لايتشستر وفانس وروت وجودبروك، وجوز بلوط آل سمولفورد وعذراء اللورد بايبر الرَّاقصة، لكن الرَّايات التي لم يرها هي ما أثارت اهتمامه. لا أثر لنسر مالمستر الفضي، أو لحصان براكن الأحمر، أو صَفْصافة رايجر، أو تُعباني پايج المصفورين معًا. جميع هؤلاء جدِّدوا ولاءهم للعرش الحديدي، إلَّا أن أحدًا منهم لم يأت للانضمام إلى الحصار. يعلم چايمي أن آل براكن يُقاتلون آل بلاكود، أمَّا الباقيون...

أصدقاءنا الجُدد ليسوا أصدقاءً على الإطلاق، إخلاصهم ضحل. لا بُدَّ من الظفر بـ(ريقررن)، وقریبًا. كلُّما طالَ الحصار تشجَّع متمردون آخرون على شاكلة تايِتوس بلاكوود.

عند المخاضة أطلق السير كينوس الكايسي دفقةً من بوق هيروك. هذا كفيل بإخراج السمكة السوداء إلى الشُّرفات. قاد السير هيوجو والسير درموت چایمی عبر النَّهر خائضين في المياه البنيَّة المحمَّرة الموحلة وقد رفعاً راية الحرس الملكي البيضاء وراية وعل وأسد تومن لتخفقا في الرِّيح، وتبعتهما بقية الركب بلا إبطاء.

تردَّدت أصوات المطارق الخشبيَّة في معسكر لانستر حيث يرتفع بُرج حصار جديد، وقد وقف بُرجان آخَران مكتملين وكلُّ منهما نصف مغطى بجلد الخيل الخام، وبينهما يستقرُّ مدكُّ دَوار مصنوع من جذع شجرةٍ وله رأسٌ مقوَّى بالنَّار ومعلَّق بالسَّلاسل تحت سقفٍ خشبي. يبدو أن ابن خالي لم يتوانَ في عمله. سأله بك: «أين تُريد خيمتك يا سيِّدي؟».

- «هناك، فوق هذا المرتفع»، وأشار بيده الذهبية -مع أنها ليست مناسبةً لهذا- وأضاف: «المؤن هناك، خطوط الخيول هناك. سنستخدم المراحيز التي تكرم ابن خالي بحفرها لنا. سير أدام، افحص محيطنا واحرص على ملاحظة أيِّ نقاط ضعف». لا يتوقَّع چایمی هجومًا، لكنه لم يتوقَّع (الغابة الهامسة) كذلك.

سأله دافن: «هل أستاذعي بنات عرس لمجلس الحرب؟».

أجاب چایمی: «ليس قبل أن أتكلَّم مع السمكة السوداء»، وأشار إلى چون بتلي الحليقي قائلاً: «ارفع راية سلامٍ واحمل رسالةً إلي القلعة. بلغ السير برايندن تلي أنني أرغبُ في الحديث معه مع أول خيوط الضوء غدًا. سأذهبُ إلى حافة الخندق وأقابله على الجسر المتحرِّك».

لاحَ الانزعاج على بك، وقال: «سيِّدي، الرُّماة يُمكنهم أن...».

ترجَّل چایمی قائلاً: «لن يفعلوا. انصبوا خيمتي وارفعوا رايتي». وسنرى من يأتي جريًا وبأيِّ سرعة.

لم يتطلَّب الأمر طويلاً. كانت پيا تُحاول إشعال النَّار في فحم المستوقد، فذهب بك يُساعدُها. في الفترة الأخيرة كثيرًا ما يخلد چایمی إلى النَّوم على صوت جماعهما في رُكن الخيمة. بينما يحلُّ جاريت مشابكٍ واقفي سابقه انفتحت الخيمة، وقالت عمة چایمی بصوتٍ جهير: «وصلت أخيرًا؟». كانت تحتل الباب بالكامل، وقد حدَّق زوجها ابن فراي من ورائها. «تأخَّرت. ألن تُعانيك السمينة العجوز؟»، وفتحت ذراعيها فلم تترك له خيارًا إلا عناقها.

في شبابها كانت چينا لانستر امرأةً متناسقة الجسد يبدو نهذاها دومًا على

وشك الخروج من صدارها، أمّا الآن فالشكل الوحيد الذي يتّخذ جسدّها هو المربّع، ولها وجه عريض أملس وعُنق كعمودٍ وردي غليظ وثديان هائلان، وفي بطنها لحم يكفي لصنع اثنين من زوجها. احتضنها چایمی بطاعةٍ وانتظر أن تقرض أذنّه كما تعودت أن تفعل طيلة حياته، لكنها أحجّت عن ذلك اليوم، وبدلاً منه طبعت قبلة ناعمة مبتلة على كلّ من وجنتيه، ثم قالت: «أسفة لخسارتك».

ردّ: «لديّ يد جديدة مصنوعة من الذهب»، وأراها إياها.

قالت الليدي چينا بحدة: «جميل. هل سيصنعون لك أباً من الذهب أيضاً؟ تايوين الخسارة التي قصدتها».

أعلن زوجها: «رجل تايوين لانستر لا يأتي إلّا مرّة كلّ ألف عام». إمون فراي رجل عصبي الطباع له يدان متوتّرتان، ولكان وزنه ثقيلًا لو ارتدى ثياباً مبتلةً والحلقات المعدنية، لكنه أشبه بعودٍ من البوص يرتدي الصوف وليس له ذقن يُذكر، وهو عيب جعله بروز تقاحة حلقه يبدو أكثر سخافةً. قبل بلوغه الثلاثين كان نصف شعره قد سقط، والآن وهو في السّتين تبقت له شعيرات محدودة.

قالت الليدي چينا بعد أن صرف چایمی بيا ومُرافقيه: «بلغتنا حكايات عجيبة في الفترة الأخيرة. المرء يكاد لا يدري ماذا يُصدّق. أحقيقي أن تيريون قتل تايوين أم أن هذا افتراء أذاعته أختك؟».

- «حقيقي». كان وزن يده الذهب قد بدأ يُضايقه، فبدأ يحلّ الأحزمة التي تُثبّتها إلى معصمه.

قال السير إمون: «أنّ يرفع الابن يده ضد أبيه... عمل وحشي. هذه أيام سوداء في (وستروس). إنني أخشى علينا جميعاً بعد رحيل اللورد تايوين».

ردّت چينا: «كنت تخشى علينا جميعاً وهو موجود»، وأراحت عجيزتها الكبيرة على أحد الكراسي، فصرت تحت وزنها على نحو مزعج، واستطردت: «حدّثنا عن ابننا كليوس وطريقة موته يا ابن أخي».

حلّ چایمی آخر الأحزمة ووضع يده جانباً قائلاً: «هاجمنا خارجون عن القانون وشتمهم السير كليوس، لكن هذا كلّفه حياته». أتته الأكذوبة بسهولة، ورأى أنها سرّتهما بالفعل.

- «كان فتى شجاعاً، لطالما قلتُ هذا، الشّجاعة في دمه». عندما يتكلّم السير إمون تلتمع على شفّتيه رغبة وردية باهتة من جرّاء التّبغ المرّ الذي يحب أن يمضغه.

أعلنت الليدي چينا: «المفترض أن يُدفن رُفاته تحت (الصخرة) في (قاعة الأبطال). أين قبره؟».

لا قبر له. الممثّلون السّفّاحون جرّدوا جسّته من كلّ شيء وتركوا لحمه وليمةً

لغربان الجيف. أجابَ كاذبًا: «إلى جوار جدول. عندما تضع هذه الحرب أوزارها سأجدُ المكان وأرسله إلى الوطن». الرُّفات هو الرُّفات، وما أسهل العثور عليه هذه الأيام.

قال اللورد إمون: «هذه الحرب...»، وتنحنحَ لتتحركَ تفاحة حلقه إلى أعلى وأسفل، وتابع: «لا بُدَّ أنك رأيت آلات الحصار، المِدَكَّات والمقاذيف والأبراج. لن يصلح هذا يا چايمي. دافن يُريد هدم أسواري وتحطيم بوابتي، يتكلم عن القار المشتعل وإحراق القلعة، قلعتي!»، ودسَّ يده في كُمِّه وأخرجَ رقا رفعه في وجه چايمي مواصلًا: «إن معي المرسوم الموقع من الملك، من تومن. انظر، ها هو ذا الختم الملكي، الوعل والأسد. أنا سيّد (ريفررن) الشرعي، ولن أسمح بتحويلها إلى أطلالٍ محترقة». قالت زوجته محتدة: «أوه، ضع هذا الشيء السخيف جانبًا. ما دام السمكة السوداء داخل (ريفررن) يُمكنك أن تمسح مؤخرتك بهذه الورقة التي لم تنفعنا بشيء». على الرغم من كونها من آل فراي طيلة خمسين عامًا تظلُّ الليدي چنا إلى حدٍّ كبير ابنة لانستر. ابنة لانستر كبيرة الحجم للغاية. «چايمي سيُسَلِّمك القلعة».

قال السير إمون: «بالتأكيد. سير چايمي، ثقة السيّد والدك بي كانت في محلّها، سترى. إنني أنوي أن أكون حازمًا لكن عادلاً مع أتباعي الجدد. بلاكوود وبراكِن وچيسون ماليستر وفانس وپاير، كلهم سيتعلمون أن إمون فراي مولى عادل... وأبي أيضًا، نعم. إنه سيّد (المعبر)، لكنني أنا سيّد (ريفررن). صحيح أن واجب الابن أن يُطيع أباه، لكن على حامل الرّاية أن يُطيع مولاه».

أوه، بحَقِّ الآلهة. «أنت لست مولاه أيها الفارس. اقرأ الوثيقة. لقد مُنحت (ريفررن) وأراضيها ودخولها لا أكثر، لكن پيتر بايلش هو سيّد أراضي (الثالوث) الأعلى.

(ريفررن) ستخضع لحُكم (هارنهال)».

لم يسرَّ ردُّه اللورد إمون، فقال محتجًا: «(هارنهال) خراب، مسكونة وملعونة، وبايلش... إنه عدّاد غُملّة، ليس لورد حقيقيًا، ميلاده...».

- «إذا لم تكن راضيًا عن هذه التّرتيبات فإذهب إلى (كينجز لاندنج) واطرح الأمر على أختي الجميلة». لا شكَّ لديه في أن سرسي ستلتهم إمون فراي حيًّا وتُسَلِّك أسنانها بعظامه. ما لم تكن مشغولةً بمضاجعة أوزموند كِتلبلاك.

أطلقت الليدي چنا نخيرًا ساخرًا، وقالت: «لا داعي لإزعاج جلالتها بهذا الهراء. إم، هلّا خرجت تشمُّ الهواء؟».

- «أشمُّ الهواء؟».

- «أو تبوّل إذا أردت. أنا وابن أخي لدينا أمور عائليّة نتناقش فيها».

احتقنَ وجه اللورد إمون، وقال: «نعم، الملكان دافن هــا».

سـأنتظرُ فـي الخـارج يـا سـيِّدتي. أيـها الفـارس»، و طوى حـضرة اللـورد وثيقتـه وانحنـى لـچايمي وخرجـ من الخيمة.

ليس احتقار إمون فراي عسيرًا. لقد وصلَ إلى (كاسترلي روك) في سِنِّ الرَّابِعة عشرة ليتزوَّج لبؤةً يكبرها مرَّتين. اعتادَ تيريون أن يقول إن اللورد تايوين قلبَ معدته على سبيل هدية الرِّفاف. وچنا لعبت دورًا أيضًا. يذكُر چايمي مادب كثيرة جلسَ خلالها إمون يعبث بطعامه بوجومٍ في حين تتبادل زوجته المزاح البذيء مع أيِّ فارس جالس إلى يسارها وتتخلَّل محادثاتهما انفجارات الضحك المدوِّي. لكنها أنجبتَ لفراي أربعة أبناء، أو على الأقل تقول إنهم أبناءُه. لا أحد في (كاسترلي روك) يملك شجاعة التلميح إلى غير هذا، لا سيَّما السير إمون.

لم يكد الرجل يُغادر حتى دوَّرت السيِّدة زوجته عينيهما في محجريهما باستياءٍ قائلة: «زوجي وسيِّدي. فيمَ كان أبوك يُفكِّر حين قلده سيادة (ريقرن)؟». - «أظنُّ أنه كان يُفكِّر في أبنائك».

- «أنا أيضًا أفكِّرُ فيهم. إم سيكون لورد سيِّئًا للغاية. ربما يُبلي تاي بلاءً أحسن إذا كان عاقلًا وتعلَّم مني لا من أبيه»، وتلقَّت عمَّته متسائلة: «هل عندك نبيد؟».

وجدَ چايمي إبريقًا وصَبَّ لها بيدٍ واحدة قائلاً: «ماذا تفعلين هنا يا سيِّدتي؟ كان عليك أن تبقي في (كاسترلي روك) حتى ينتهي القتال».

- «ما إن سمعَ إم بأنه أصبحَ من اللوردات أصرَّ على أن يأتي في الحال ويتسلَّم مقرَّه»، وجرَّعت الليدي چنا من نبيدها ومسحتَ فمها بكُمِّها، ثم قالت: «كان على أبيك أن يمنحنا (داري). كليوس تزوَّج واحدةً من بنات الحارث كما تذكُر، وأرملته الثكلى غاضبة لأن ابنيها لم يُمنحا أراضي السيِّد والدها. أُمي البوابة تنتمي إلى عائلة داري من جانب أمِّها فحسب، وچاين أرملة ابني خالتها، أخت الليدي ماريا الشَّقِيقة».

ذكَّرها چايمي قائلاً: «أخت أصغر، ثم إن تاي سيحظى بـ(ريقرن)، غنيمة أعظم من (داري)».

- «غنيمة مسمومة. سلالة الذُّكور في عائلة داري بادت، أمَّا في عائلة تلي فلا. ذلك الأبله السير رايمان يضع أنشودةً حول عُنق إدميور لكنه يأبى أن يشنُّقه، وثمة سمكة ترويت تنمو في يطن روزلين فراي. لن يأمن أحفادي في (ريقرن) أبدًا ما دامَ وريث من آل تلي حيًا».

يعلم چايمي أنها ليست مخطئة، فقال: «إذا أنجبتَ روزلين فتاةً...».

- «... فيمكنها أن تتزوَّج تاي، شريطة أن يقبل اللورد والدر. نعم، فكَّرْتُ في هذا. إلَّا أن احتمال أن تلد صبيًا قائم بالقدر نفسه، وسيُعقِّد قضيه الصَّغير الأمور.

وإذا خرج السير برايندن حيًّا من هذا الحصار فربما تجده ميَّالًا إلى أخذ (ريقرن) باسمه... أو باسم روبرت آرن الصَّغير».

يَذْكُرُ چايمي روبرت الصَّغير في (كينجز لاندنج)، لا يزال يرضع من ثديي أمِّه في سِنِّ الرَّابِعة. «أَرْن لَنْ يَعِيشَ حَتَّى يُنْجِبَ، وَمَا حَاجَةُ سَيِّدِ (العُش) إِلَى (رِيْفَرَرَن)؟».

- «مَا حَاجَةُ رَجُلٍ يَمْلِكُ جَرَّةً مِنَ الذَّهَبِ إِلَى أُخْرَى؟ الْبَشَرُ جَشْعُونَ. كَانَ عَلَى تَايَوِين أَنْ يَمْنَحَ كِيْفَان (رِيْفَرَرَن) وَام (دَارِي). كُنْتُ لَأَقُولَ لَهُ هَذَا لَوْ كَلَّفَ نَفْسَهُ عَنَاءَ سَوَالِي، لَكِنْ مِنْذُ مَتَى يَسْتَشِيرُ أَبُوكَ أَحَدًا فِي شَيْءٍ إِلَّا كِيْفَان؟»، وَأُطْلِقَتْ عَمَّتُهُ تَنْهِيْدَةً عَمِيْقَةً، وَأَضَافَتْ: «لَا أَلُوْمُ كِيْفَان عَلَى رَغْبَتِهِ فِي مَقَرٍّ أَكْثَرَ أَمْنًا لِابْنِهِ، إِنَّنِي أَعْرِفُهُ جَيِّدًا».

- «سَتَّانَ بَيْنَ مَا يَرْغَبُ فِيهِ كِيْفَانُ وَمَا يَرْغَبُ فِيهِ لَانْسَلْ». أَخْبَرَهَا بِقَرَارِ لَانْسَلِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ زَوْجَتِهِ وَأَرَاذِيهِ وَلَوْرْدِيَّتِهِ مِنْ أَجْلِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ الْعَقِيْدَةِ الْمَقْدَّسَةِ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا كُنْتُ لَا تَزَالِينَ رَاغِبَةً فِي (دَارِي) فَاكْتُبِي لِسِرْسِي وَأَعْرِضِي عَلَيْهَا الْأَمْرَ».

لَوَّحَتْ اللَّيْدي چِنَا بِكَأْسِهَا اسْتِهَانَةً، وَقَالَتْ: «لَا، فَاتَ أَوَانُ هَذَا. إِمَّا يَخَالُ أَنَّهُ سَيَحْكُمُ أَرَاذِي النَّهْرِ، وَلَانْسَلْ... أَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَقَّعَ هَذَا مِنْذُ زَمَنِ. الْحَيَاةُ لِحِمَايَةِ السَّيِّتُونَ الْأَعْلَى لَا تَخْتَلِفُ عَنْ الْحَيَاةِ لِحِمَايَةِ الْمَلِكِ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ. أَحْشَى أَنْ كِيْفَانُ سَيَغْضَبُ كَمَا غَضِبَ تَايَوِين عَنْ دَمَا وَضَعْتَ فِي رَأْسِكَ أَنْ تَخْدُمَ فِي الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ. عَلَى الْأَقْلِ سَيَبْقَى مَارْتَنُ وَرِيثًا لِكِيْفَان. يُمَكِّنُهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ أُمِّي الْبَوَابَةِ بَدَلًا مِنْ لَانْسَلِ، لِيَحْمِنَا (السَّبْعَةُ) جَمِيعًا»، وَعَادَتْ تَنْهَدُ ثُمَّ قَالَتْ: «وَعَلَى ذِكْرِ (السَّبْعَةِ)، لِمَ تَسْمَحُ سِرْسِي لِلْعَقِيْدَةِ بِحَمْلِ السِّلَاحِ مَجْدَّدًا؟».

هَزَّ چايمي كَتْفِيْهِ مَجِيْبًا: «أَنَا وَاثِقٌ بِأَنْ لَدِيْهَا أَسْبَابًا».

رَدَّدَتْ اللَّيْدي چِنَا: «أَسْبَابًا؟»، وَأُطْلِقَتْ صَوْتًا بَذِيئًا، وَأَرْدَقَتْ: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا وَجِيْهَةً. السُّيُوفُ وَالنُّجُومُ أَزْعَجُوا آلَ تَارْجَارِيْنَ أَنْفُسَهُمْ. الْفَاتِحُ ذَاتَهُ تَعَامَلٌ بِحَذَرٍ مَعَ الْعَقِيْدَةِ كَيْ لَا تُعَارِضَهُ، وَلَمَّا مَاتَ إِجُونُ وَتَمَرَّدَ اللَّوْرْدَاتُ عَلَى ابْنِيهِ كَانَتْ كُلُّنَا الْجَمَاعَتَيْنِ فِي قَلْبِ هَذَا التَّمَرُّدِ. اللَّوْرْدَاتُ الْأَكْثَرُ تَدِيْنًا أَيْدُوْهُمْ، وَكَثِيْرُونَ مِنَ الْعَوَامِ، وَأَخِيْرًا اضْطَرَّ الْمَلِكُ مِيْجُورٌ إِلَى وَضْعِ مَكَافَأَةٍ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَدَفَعَ تَنِيْنًا مُقَابِلَ رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ أَبْنَاءِ الْمُحَارِبِ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ تَمَرُّدِهِ، وَأَيْلًا فَضِيًّا مُقَابِلَ فِرْوَةِ رَأْسِ كُلِّ صُعْلُوكٍ، إِذَا كُنْتُ أَذْكُرُ التَّارِيْخَ الَّذِي تَعَلَّمْتُهُ. قُتِلَ أَلْفٌ، لَكِنْ أَلْفٌ غَيْرُهُمْ ظَلُّوا يَجُوبُونَ الْبِلَادَ بِتَحَدٍّ، إِلَى أَنْ قَتَلَ الْعَرْشَ الْحَدِيْدِي مِيْجُورٌ وَوَافَقَ الْمَلِكُ چِهِيْرْسَ عَلَى الْعَفْوِ عَنْ كُلِّ مَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الْقِتَالِ».

قَالَ مُعْتَرِفًا: «نَسِيْتُ أَغْلِبَ هَذَا».

رَدَّتْ عَمَّتُهُ: «أَنْتِ وَأَخْتُكَ»، وَأَخَذَتْ جَرْعَةً أُخْرَى مِنَ التَّبِيْذِ، وَسَأَلَتْهُ: «أَصْحِيْحٌ أَنْ أَبَاكَ كَانَ مُبْتَسِمًا فَوْقَ تَابُوْتِهِ؟».

- «كَانَ يَتَعَفَّنُ فَوْقَ تَابُوْتِهِ، وَجَعَلَ هَذَا فَمَهُ يَلْتَوِي».

- «أهَذَا كُلُّ مَا هُنَاكَ؟». بِدَا إِنْ الْإِجَابَةَ أَحْزَنْتَهَا. «يَقُولُ كَثِيرُونَ
إِنْ تَأْيُوبُ لَمْ يَبْتَئِسْ قَطُّ، لَكِنْ هُوَ ابْتَئَسَ حِينَ تَزَوَّجَ أُمِّكَ، وَحِينَ جَعَلَ
إِيْرَسَ يَدَهُ. وَلَمَّا انْهَارَ (بِهِوَ تَارِيكَ) عَلَى رَأْسِ تِلْكَ الْحَقِيرَةِ الْمَتَامِرَةِ
الْيَدِيِّ إِيْلَيْنِ، قَالَ تَاجٍ إِنَّهُ ابْتَئَسَ حِينَهَا أَيْضًا... وَابْتَئَسَ يَوْمَ مَوْلَدِكَ يَا چَايْمِي،
رَأَيْتُ هَذَا بَعَيْنِي. أَنْتَ وَسِرْسِي كُنْتُمَا مَتَوَرِّدَيْنِ مِثَالَيْنِ وَمَتَمَاثِلَيْنِ... بِاسْتِثْنَاءِ
بَيْنِ السَّاقَيْنِ طَبْعًا. يَا لِرُنَاتِكُمَا الْقَوِيَّةِ!».

قَالَ چَايْمِي بِابْتِسَامَةٍ وَاسِعَةٍ: «اسْمَعُوا زَيْرُنَا. يَنْقُصُ أَنْ تَقُولِي لِي إِنَّهُ أَحَبُّ
الضَّحْكَ كَثِيرًا أَيْضًا».

- «لَا، تَأْيُوبُ لَمْ يَكُنْ يَثِقُ بِالضَّحْكَ. لَقَدْ سَمِعَ كَثِيرِينَ يَضْحَكُونَ مِنْ جِدِّكَ»،
وَقَطَّبَتْ عَمَّتُهُ جَبِينَهَا مُسْتَطْرِدَةً: «أُوَكِّدُ لَكَ أَنَّ مَهْزَلَةَ الْحَصَارِ هَذِهِ مَا كَانَتْ
لِتُسَرَّهُ».

كَيْفَ تَتَوَى أَنْ تَضَعَ حَدًّا لَهَا الْآنَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ هُنَا؟».

- «سَأَتَفَاوَضُ مَعَ السَّمَكَةِ السَّودَاءِ».

- «لَنْ يَنْجَحَ هَذَا».

- «أُنْوِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْهِ شُرُوطًا جَيِّدَةً».

- «الشُّرُوطُ تَتَطَلَّبُ الثِّقَّةَ. أَلْ فَرَايَ اغْتَالُوا ضِيُوفًا تَحْتَ سَقْفِهِمْ، وَأَنْتَ... لَا أَقْصِدُ
إِسَاءَةً يَا حَبِيبِي، لَكِنَّكَ قَتَلْتَ مَلَكًا مَعِينًا أَقْسَمْتَ عَلَى حِمَايَتِهِ».

- «وَسَأَقْتُلُ السَّمَكَةَ السَّودَاءَ إِذَا لَمْ يَسْتَسْلِمَ». خَرَجَتْ نَبْرَتُهُ أَكْثَرَ خَشُونَةً مِمَّا
انْتَوَى، لَكِنَّهُ لَيْسَ فِي مَزَاجٍ يَسْمَحُ بِالْقَاءِ إِيْرَسَ تَارْجَارَيْنِ فِي وَجْهِهِ.

سَأَلَتْهُ بِتَهْكُمٍ: «كَيْفَ؟ بِلِسَانِكَ؟ رُبَّمَا أَكُونُ عَجُوزًا بَدِينَةً، لَكِنْ مَا فِي رَأْسِي مُخْ
لَا جُبْنَةٌ يَا چَايْمِي، وَكَذَا السَّمَكَةُ السَّودَاءُ. التَّهْدِيدَاتُ الْفَارِغَةُ لَنْ تُثَبِّطَ هَمَّتَهُ».

- «وَيْمَ تَنْصَحِينِ؟».

هَزَّتْ كَتْفَيْهَا بِبُطْءٍ، وَقَالَتْ: «إِمَّ يُرِيدُ أَنْ يُقَطَّعَ رَأْسُ إِدْمِيورَ، وَرُبَّمَا
يَكُونُ مُحَقًّا عَلَى سَبِيلِ التَّغْيِيرِ. السَّيْرُ رَايْمَانَ جَعَلَنِي أَضْحَكَةً
بِمَشْنَقَتِهِ إِيْهَا. عَلَيَّ أَنْ تُرَى السَّيْرُ بَرَايْنَدَنْ أَنْ لَتَهْدِيدَاتِكَ أَنْيَابًا».

- «رُبَّمَا يُقَوِّي قَتْلَ إِدْمِيورَ عَزِيمَةَ السَّيْرِ بَرَايْنَدَنْ».

- «الْعَزِيمَةُ شَيْءٌ لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَيْهِ بَرَايْنَدَنْ السَّمَكَةُ السَّودَاءُ قَطُّ. كَانَ بِإِمْكَانِ
هُوسْتَرِ تَلِيَّ أَنْ يُخْبِرَكَ بِهَذَا»، وَأَفْرَغَتْ الْيَدِيَّ جِنَا مَا تَبَقِيَ مِنَ التَّبِيدِ فِي
جَوْفِهَا، وَأَرْدَفَتْ: «طَيِّبٌ، لَنْ أَجْرُو أَبَدًا عَلَى إِخْبَارِكَ بِكَيْفِيَّةِ خَوْضِ الْحُرُوبِ، إِنَّنِي
أَعْرِفُ مَنْزِلَتِي... عَلَى عَكْسِ أَخْتِكَ. أَصَحِيحٌ أَنْ سِرْسِي أَحْرَقَتْ (الْقَلْعَةَ
الْحُمْرَاءَ)؟».

- «(بُرْجُ الْيَدِ) فَقَطُّ».

دَوَّرَتْ عَمَّتَهُ عَيْنِيهَا، وَقَالَتْ: «كَانَ خَيْرًا لَهَا أَنْ تُبْقِيَ عَلَى الْبُرْجِ وَتُحْرِقَ الْيَدَ. هَارِيسَ سَوِيفْتَ؟! إِذَا كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ جَدِيرًا بِرَمْزِهِ فَهُوَ السَّيْرُ هَارِيسَ. وَجَايِلُ رُوزْبِي، لِيَحْمِنَا (السَّبْعَةُ)، حَسْبَتُهُ مَاتَ مِنْذُ زَمَنٍ. مِيرِيوِيذَر... أَبُوكَ تَعُودُ دَعْوَةُ جَدِّهِ بِالْمُقَهْقَهَةِ، أَرِيدُكَ أَنْ تَعْلَمَ. قَالَ تَايُويْنُ إِنَّ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَصْلُحُ لَهُ مِيرِيوِيذَرُ هُوَ الْقَهْقَهَةُ لِـدُعَابَاتِ الْمَلِكِ. حَضْرَةُ اللَّـوَرْدِ ظَلَّ يُقَهِّقُهُ حَتَّى نُفِيَ عَنِّي عَلَى مَا أَذْكَرُ. سَرَسِي وَضَعَتْ نَغْلًا مَا فِي الْمَجْلِسِ أَيْضًا، وَرَجَلًا وَضَعًا فِي الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ، وَسَمَحَتْ لِلْعَقِيدَةِ بِالتَّسْلُحِ، وَالْبَرَاقُوسِيُّونَ يُطَالِبُونَ بِسَدَادٍ مَا لَهُمْ مِنْ دِيُونٍ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ (وَسْتَرُوس). مَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لِيَحْدُثَ لَوْ أَنَّهَا تَحَلَّتْ بِالْعَقْلِ وَجَعَلَتْ عَمَّكَ كَيْفَانَ الْيَدَ».

- «السَّيْرُ كَيْفَانَ رَفَضَ الْمَنْصِبَ».

- «هَذَا مَا قَالَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ السَّبَبَ. أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ لَمْ يَقُلْهَا، رَفَضَ أَنْ يَقُولَهَا»، وَرَسَمَتْ الْيَدِي چِنَا الْاِمْتِعَاضَ عَلَى مَلَامِحِهَا، وَتَابَعَتْ: «لَطَالَمَا فَعَلَ كَيْفَانُ مَا يُطَلَّبُ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْ طِبَاعِهِ أَنْ يُؤَلِّيَ الْوَاجِبَ ظَهْرَهُ. فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا خَطَأُ، بِاسْتِطَاعَتِي أَنْ أَشْمَهُ».

- «قَالَ إِنَّهُ مَتَعَبٌ». وَقَالَتْ سَرَسِي وَهُمَا وَاقِفَانِ عِنْدَ نَعَشِ أَبِيهِمَا إِنَّهُ يَعْرِفُ بِأَمْرِهِمَا.

زَمَّتْ عَمَّتَهُ شَفِيفَتِيهَا قَائِلَةً: «مَتَعَبٌ؟ أَظُنُّ أَنَّهُ حَقُّهُ. كَانَ صَعْبًا عَلَيَّ كَيْفَانُ أَنْ يَعْيشَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي ظِلِّ تَايُويْنِ، صَعْبًا عَلَيَّ إِخْوَتِي جَمِيعًا. الظِّلُّ الَّذِي أَلْقَاهُ تَايُويْنُ كَانَ طَوِيْلًا أَسْوَدًا، وَاضْطَرَّ كُلُّ مَنْ هَمَّ إِلَيَّ الْمَعَانَاةَ حَتَّى يَجِدَ بَصِيرًا مِنْ الشُّبُهَةِ لِنَفْسِهِ. تَابَعْتُ حَاوِلًا أَنْ يَسْتَقِلَّ بِذَاتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِيعْ قَطُّ أَنْ يُضَاهِيَ أَبَاكَ، وَأَفْضَى هَذَا إِلَى جَعْلِهِ أَكْثَرَ غَضَبًا مَعَ مَرُورِ السِّنِّينِ. أَمَّا جِيرِيُّونَ فَكَتَفُوا بِالسُّخْرِيَةِ. كَانَ أَفْضَلُ لَهُ أَنْ يَسْخَرَ مِنَ اللَّعِبَةِ مِنْ أَنْ يَلْعِبَهَا وَيَخْسِرَ. لَكِنَّ كَيْفَانَ رَأَى طِبَاعَ الْأُمُورِ مُبَكِّرًا، فَصَنَعَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا إِلَى جَانِبِ أَبِيكَ».

سَأَلَهَا چَايْمِي: «وَأَنْتِ؟».

- «لَمْ تَكُنْ لُعْبَةً لِلْفَتَيَاتِ. كُنْتُ أُمِيرَةً أَبِي الْغَالِيَةِ... وَأُمِيرَةً تَايُويْنِ أَيْضًا، إِلَى أَنْ خَبَيْتُ أَمْلَهُ، وَأَخِي لَمْ يَتَعَلَّمْ أَنْ يُحِبَّ مَذَاقَ خَبِيَةِ الْأَمَلِ إِطْلَاقًا»، وَنَهَضَتْ عَمَّتَهُ مُسْتَطْرِدَةً: «لَقَدْ قُلْتُ مَا جِئْتُ لِأَقُولَهُ وَلَنْ أَخْذَ الْمَزِيدَ مِنْ وَقْتِكَ. أَفْعَلْ مَا كَانَ تَايُويْنُ لِيَفْعَلَهُ».

سَمِعَ چَايْمِي نَفْسَهُ يَسْأَلُهَا: «هَلْ أَحْبَبْتِهِ؟».

حَدَجَّتْهُ عَمَّتَهُ بِنَظَرَةٍ غَرِيبَةٍ، وَقَالَتْ: «كُنْتُ فِي السَّابِعَةِ حِينَمَا أَقْنَعُ وَالِدَ فَرَايِ السَّيِّدِ وَالِدِي بِإِعْطَاءِ إِمْرِي، ابْنَهُ الثَّانِي وَلَيْسَ وَرِثَتِهِ حَتَّى. أَبِي نَفْسَهُ كَانَ ابْنًا ثَالِثًا، وَالْإِخْوَةُ الصِّغَارُ يَشْتَهَوْنَ رِضَا إِخْوَتِهِمُ الْأَكْبَرِ. فَرَايِ اسْتَشْعَرَ نُقْطَةَ الضَّعْفِ

تلك فيه، ولم يقبل أبي لسبب أفضل من إرضائه. أعلّنت خطبتي في أثناء مأدبة حضرها نصف الغرب، وضحكت إيلين تارك وخرج الأسد الأحمر غاضباً من القاعة، أمّا الآخرون فانعقدت ألسنتهم. وحده تايوين جرّو على الاعتراض على الزّيجة. كان صبياً في العاشرة. شحب وجه أبي حتي أصبح كالحليب، وارتعش والدر فراي»، وابتسمت مواصلةً: «كيف يُمكنني ألاّ أحبه بعد هذا؟ لكن هذا لا يعني أنني وافقتُ على كلّ ما فعله أو استمتعتُ كثيراً بصُحبة الرجل الذي صارَه... لكن كلّ فتاة صغيرة تحتاج إلى أخ كبير يحميها، وتايوين لأنّ كبيراً حتّى في صغره»، وزفرت متسائلةً: «مَن سيحمينا الآن؟».

قبّلها چايمي على وجنتها، وقال: «لقد خلّف ابنًا».

- «نعم، وهذا أخشى ما أخشاه في الحقيقة».

أدهشه تعليقها الغريب، فسألها: «وماذا تخشين؟».

قالت جاذبةً أذنه: «چايمي يا عزيزي، أنا أعرفك منذ كنت ترضع من ثديي چوانا. إنك تبتسم كجيريون وتُقاتل كتايچ، وفيك القليل من كيغان أيضاً، وإلاّ ما كنت لترتدي هذا المعطف... لكن تيريون هو ابن تايوين لا أنت. قلتُ هذا ذات مرّة في وجه أبيك فقضى نصف عامٍ لا يُكلّمني. الرّجال حمقى كبار صاخبون حقاً، حتّى مَن يجود بهم الدّهر كلّ ألف عامٍ».

قِطَّةُ الْقَنَوَاتِ

استيقظت قبل شروق الشمس في الغرفة الصغيرة تحت الإفريز، التي تتقاسمها مع ابنتي بروسكو.

كان أول من يصحو دومًا. تحت الأغشية مع تاليا وبريا دافئ مريح، وباستطاعتها أن تسمع أنفاسهما الهادئة المنتظمة، وحين تحرّكت واعتدلت جالسةً تبحث عن خُفّيتها تمتمت بريا بشكوى ناعسة وانقلبت على جانبها. اقشعرَّ جلد كات من جرّاء البرد المنبعث من الجدران الحجر الرّماديّة، فأسرعت ترتدي ثيابها في الظلام، وبينما تضع سُترتها على جسدها فتحت تاليا عينيها، وقالت لها: «كات، كوني طيّبةً واجلبي لي ثيابي». تاليا فتاة خرقاء، جسدها جلد على عظم ومرفقاها بارزان، ودائمًا تشتكي من البرد.

أحضرت لها كات ملابسها فارتدتها تحت الأغشية، ومعًا سحبتا الأخت الكبيرة من الفراش وقد راحت بريا تُهمهم بالتهديدات الناعسة.

حين نزلت ثلاثتهن السَلَم من الغرفة الواقعة تحت الإفريز كان بروسكو وابناه قد خرجوا بالفعل إلى القارب في القناة الصغيرة وراء المنزل. زعق بروسكو في الفتيات أن يُسرعن مثلما يفعل كلّ صباح، وساعدَ ابناه تاليا وبريا على ركوب القارب، أمّا كات فمهممتها أن تحلّ الحبل الذي يربطه بالدّعامَة، ثم تُلقي الحبل لبريا وتدفع القارب مبعدهً إياه عن المرسى بحذاءها. بدأ كلا ابني بروسكو التّجذيف بالعصا، وجرت كات ووثبت فوق الفجوة التي أخذت تتسع بين المرسى والقارب.

بعدها لم يعد هناك ما تفعله إلّا الجلوس والتّثاؤب لوقتٍ طويل بينما يمضي بهم بروسكو وابناه في عتمة ما قبل الفجر عبر شبكة من القنوات الصغيرة. يبدو هذا التّهار نادرًا، معتدل البرودة صافيًا ساطعًا، بينما المعتاد أن (برافوس) لا تعرف إلّا ثلاثة أنواع فقط من الطقس. الضّباب سيّئ، والمطر أسوأ، والمطر المتجمّد الأسوأ، لكن كلّ فترةٍ طويلةٍ يأتي صباح يطلع فيه الفجر ورديًا وأزرق ويكون هواؤه منعشًا مالحًا، وتلك أكثر أيامٍ تحبها كات.

حين بلغوا المجرى المائي العريض المستقيم المسمّى (القناة الطويلة) انعطفوا جنوبًا نحو سوق الأسماك، وقد جلسّت كات مربّعةً ساقيها تُقاوم التّثاؤب وتُحاول أن تتذكّر تفاصيل حلمها. مرّةً أخرى أحلمُ بأنني ذئبة. أكثر ما تذكّره الرّوائح؛ الأشجار والتّربة وإخوتها في القطيع والخيول والغزلان والبشر، كلّ منها غير الأخرى، ورائحة الخوف القويّة اللاذعة التي لا تختلف أبدًا. في بعض الليالي تكون أحلام الذّئاب شديدة الجلاء لدرجة أنها تظلّ تسمع عواء إخوتها حتى وهي تستيقظ، وفي مرّةٍ زعمت بريا أنها كانت تُزمر في نومها وتتلوّى تحت الأغشية، فحسبتها كذبةً سخيفةً إلى أن قالت تاليا الكلام نفسه.

أخبرت الفتاة نفسها: لا يجدر بي أن أحلم أحلام الذئاب. إنني الآن قطعة لا ذئبة، قطعة القنوات. أحلام الذئاب تنتمي إلى آريا سليلة عائلة ستارك، ولكن على الرغم من كل محاولاتها ما زالت لا تستطيع تخليص نفسها من آريا. لا فرق بين نومها تحت المعبد أو في الغرفة الصغيرة تحت الإفريز مع ابنتي بروسكو، فلم تزل أحلام الذئاب تطاردها ليلاً... وأحياناً أحلام أخرى أيضاً.

أحلام الذئاب هي الجيدة، ففيها تكون سريعة قوية، تنقض على فرائسها وفي أعقابها قطيعها. الحلم الآخر هو ما تكرهه، الحلم الذي لها فيه ساقان بدلاً من أربع وتمشي متعثرة في أرض يباب ملأى بالأوحال والدماء والنيران. دائماً تُمطر السماء في ذلك الحلم وتسمع صراخ أمها، لكن وحشاً برأس كلب يُعيقها عن الذهاب لإنقاذها. في ذلك الحلم تبكي دوماً كأنها فتاة صغيرة مذعورة. القطط لا تبكي أبداً، ولا تبكي الذئاب. إنه مجرد حلم سخيف.

أخذت (القناة الطويلة) قارب بروسكو إلى أسفل قباب (قصر الحقيقة) النحاسية الخضراء وأبراج عائلتي پرستاین وآنثاریون الطويلة المربعة، قبل أن يمر من إحدى قناطر نهر المياه العذبة الرمادية الهائلة إلى المنطقة المعروفة باسم (بلدة الغرين)، حيث المباني أصغر حجماً وأقل فخامة. في وقت لاحق من النهار ستختنق القناة بالقوارب الأفعوانية والصنادل، لكن الآن في ظلمة ما قبل الفجر لا يتحرك في المجرى المائي غيرهم تقريباً. يحب بروسكو أن يصل إلى سوق الأسماك قبل أن يهدر (المارد) معلناً شروق الشمس ويتردد صوته المدوي عبر الهور خافتاً بعيداً ولكن مسموعاً بما فيه الكفاية لإيقاظ المدينة النائمة.

عندما ربط بروسكو وابناه القارب عند سوق الأسماك كان المكان يعج بباعة الرنجة وأسماك القد والمحار وأم الخلول، وبالوكلاء والطهاة وبائعات الخردة وبخارة القوادس، يسـاوم بعضـهم بعضـاً بأصـوات عالية بينما يفحصون صيد الصباح. سـار بروسـكو من قـارب إـلى قـارب ملقياً نظرة على الأصـداف بأنواعـها، وبين الحين والآخر ينـقر على برميـل أو قفـص بعضـاه، ويقول: «هـذا، نعـم». طق طق. «هـذا». طق طق. «لا، ليس هـذا. هـذا». طق. قلـمـا يتكـلم بروسـكو، وتقول تـاليا إن أبـاها يبخل بكلامه كما يبخل بنقوده. المحار وأم الخلول والسراطين وبلح البحر والحلزونيات وأحياناً القريدس... يشتري بروسكو كل شيء حسب ما يبدو الأفضل هذا اليوم، وعلى الآخرين حمل الأقفاص والبراميل التي نقر عليها إلى القارب، فبروسكو يعاني ألماً في ظهره ولا يستطيع أن يحمل شيئاً أثقل من دورق من الميزر البني.

دائماً تفوح من كات رائحة السمك والملح لدى بدء رحلة عودتهم إلى البيت، لكنها اعتادت تماماً حتى إنها لم تعد تشمها تقريباً، كما أنها لا ترى ما يعيبها في هذا العمل، وعندما تؤلمها عضلاتها من الرفع أو يتوجع ظهرها من وزن برميلي تقول لنفسها إن قوتها تزداد.

بمجرّد تحميّل جميع البراميّل والأقفاص على القارب دفعه بروسكو من جديد وعاد بهم ابنه إلى (القناة الطويلة)، في حين جلست بريّا وتاليا عن يد المقيّمة تتهاّمسان. تعلم كات أنّهما تتكلمان عن فتى بريّا الذي تتسلّق إلى سطح المنزل لتُقابله بعد خلود أبيها إلى النّوم.

حين أرسلها إلى المدينة قال لها الرّجل الطيّب أمرًا: «تعلّمي ثلاثة أشياء جديدة قبل أن تعودي إلينا»، وهذا ما تفعله دائمًا. أحيانًا لا يكون ما تتعلّمه أكثر من ثلاث كلمات جديدة من البرافوسيّة، وأحيانًا تعود بحكايات من البحّارة عن الأشياء الغريبة العجيبة الحادثة في العالم الواسع اللّيل حول (برافوس)، عن الحروب وأمطار الضّفادع والتّنانين الوليدة. أحيانًا تتعلّم ثلاث دُعابات جديدة أو ثلاث أحاجي جديدة أو حيل هذه التّجارة أو غيرها، وكلّ فترة طويلة تعرف شيئًا ما.

(برافوس) مدينة من الأسرار، مدينة ضباب وأقنعة وهمسات، وجودها ذاته ظلّ سريًا طيلة قرنٍ كامل كما تعلّمت الفتاة، وموقعها ظلّ خفيًا ثلاثة أضعاف هذه المدة. قال لها الرّجل الطيّب: «المُدُن التّسع الحرّة بنات (فاليريا) التي كانت، لكن (برافوس) طفلتها النّغلة التي فرّت من البيت. نحن شعب هجين، أولاد الرّقيق والعاهرات واللصوص، وأتى أسلافنا من عشرات البلدان إلى هذا الملاذ ليهربوا من سادة التّنانين الذين استعبدهم، ومعهم أتى عشرات الآلهة، لكن هناك إلهًا واحدًا يشتركون فيه جميعًا».

- «هو ذو الوجوه العديدة».

- «والأسماء العديدة. في (كوهور) هو الكبش الأسود، وفي (بي تي) أسد اللّيل، وفي (وستروس) الغريب. كلّ البَشَر ينحنون له في النّهاية، سواء أكانوا يعبّدون الآلهة السّبعة أم إله الضّيّاء أم القمر أم الإله الغريق أم الرّاعي الأعظم. كلّ البَشَر ينتمون إليه... وإلاّ لكان في مكانٍ ما من العالم قوم يحيون إلى الأبد. هل تعرفين قومًا يحيون إلى الأبد؟».

فُتّجيب الفتاة: «لا. كلّ البَشَر يُدرّكهم الموت».

دومًا تجد كات الرّجل الطيّب في انتظارها حينما تعود إلى المعبد فوق الهضبة ليلة اسوداد القمر، ودومًا يسألها: «ما الذي تعلّمته ولم تكوني تعلمينه لمّا تركّينا؟».

- «أعلّم ما يضعه يكو الضّرير في الصّلصة الحارّة التي يستخدمها مع محارّه. أعلّم أنّ الممثّلين في (القنديل الأزرق) سيعرضون (سيّد الملامح الأليمة) وأنّ الممثّلين في (السّفينة) ينوون الرّدّ بـ (سبعة ملاحين سكارى). أعلّم أنّ بائع الكُتب لوثو لورنل ينام في منزل الرّبّان التّاجر موريدو پرستايّ متى خرج الرّبّان التّاجر التّبيل إلى رحلة في البحر، ومتى عادت سفينته (الثعلبة) إلى الوطن غادر لوثو».

- «جَيِّدٌ أَنْ تَعْلَمِي هَذِهِ الْأَشْيَاءَ. وَمَنْ أَنْتِ؟».

- «لَا أَحَدٌ».

- «تَكْذِيبِينَ. أَنْتِ كَاتِ قِطَّةِ الْقَنَوَاتِ، إِنْنِي أَعْرِفُكِ جَيِّدًا. اذْهَبِي وَنَامِي أَيْتَهَا الصَّغِيرَةَ، فَعَدًّا عَلَيْكِ أَنْ تَخْدُمِي».

- «كُلُّ الْبَشَرِ وَاجِبٌ لَهُمُ الْخِدْمَةُ». وَهَذَا مَا تَفْعَلُهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ. عِنْدَمَا يَسُودُ الْقَمَرُ لَا تَكُونِ أَحَدًا، مَجَرَّدَ خَادِمَةٍ لِلَّهِ عَدِيدِ الْوُجُوهِ تَرْتَدِي الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ. تَمْشِي إِلَى جَوَارِ الرَّجُلِ الطَّيِّبِ فِي الظَّلَامِ الْعَطِرِ حَامِلَةً مَصْبَاحَهَا الْحَدِيدَ، وَتُعَسِّلُ الْمَوْتَى وَتُغْرِزُ ثِيَابَهُمْ وَتُحْصِي مَالَهُمْ، وَأَحْيَانًا تَعُودُ إِلَى مَسَاعِدَةِ أَوْمًا فِي الْمَطْبَخِ مَقْطِعةً الْفِطْرِ الْأَبْيَضَ الْكَبِيرِ وَنَازِعَةً أَشْوَكَ السَّمَكِ... لَكِنَّ فِقْطَ حَبْنِ يَسُودُ الْقَمَرِ، أَمَّا بَقِيَّةُ الْوَقْتِ فَهِيَ فَتَاةٌ يَتِيمَةٌ تَنْتَعِلُ حِذَاءً مِمَزَّقًا أَكْبَرَ مِنْ قَدَمَيْهَا وَتَرْتَدِي مَعْطَفًا بَنِيًّا مَهْتَرًا الْحَاشِيَةَ، وَتَصِيحُ: «بَلَحْ بَحْرٍ وَحَلْزُونٍ وَأَمِ الْخُلُولِ!» بَيْنَمَا تَدُورُ بِعَرَبَتِهَا فِي (مِينَاءِ رَاجِمَانَ).

تَعْلَمُ أَنَّ الْقَمَرَ سَيَكُونُ أَسْوَدَ اللَّيْلَةِ، فَلَيْلَةٌ أَمْسٍ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ شِظِيَّةٍ صَغِيرَةٍ فِي السَّمَاءِ، وَمَا إِنْ يَرَاهَا الرَّجُلُ الطَّيِّبُ سَيَسْأَلُهَا: «مَا الَّذِي تَعْلَمْتِهِ وَلَمْ تَكُونِي تَعْلَمِيهِ لَمَّا تَرَكْتِنَا؟». أَعْلَمُ أَنَّ بَرِيَا ابْنَةَ بَرُوسِكُو تَلْتَقِي فِتْنَى عَلَى السَّطْحِ عِنْدَمَا يَنَامُ أَبُوْهَا. تَالِيَا تَقُولُ إِنْ بَرِيَا تَتْرُكُهُ يَتَحَسَّسُهَا مَعَ أَنَّهُ مَجَرَّدُ جَرْدٍ سَطُوحٍ، وَالْمُفْتَرِضُ أَنَّ جَمْرِيْعَ جَرْدَانِ السَّطُوحِ لَصُوصٍ. عَلَى أَنَّ هَذَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَنَحْتَاجُ كَلَامَاتٍ إِلَى شَيْئَيْنِ آخَرَيْنِ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ قَلْقَةً، فَعِنْدَ السَّفِينِ أَشْيَاءٌ جَدِيدَةٌ تَتَعَلَّمُهَا طِيلَةُ الْوَقْتِ.

حِينَ عَادُوا إِلَى الْمَنْزِلِ سَاعَدَتِ كَلَامَاتُ ابْنَتِي بَرُوسِكُو عَلَى تَفْرِيعِ الْقَارِبِ مِنْ الْبُضَائِعِ، وَقَسَمَ بَرُوسِكُو وَابْنَتَاهُ الْأَصْدَافُ عَلَى ثَلَاثِ عَرَبَاتٍ وَرُصُوهَا عَلَى طَبَقَاتٍ مِنَ الطَّحَالِبِ الْبَحْرِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ بَرُوسِكُو لِلْفَتَيَاتِ كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ صَبَاحٍ: «عُذْنِ عِنْدَمَا تَبْعُنِ كُلَّ شَيْءٍ»، وَخَرَجَتْ ثَلَاثَتُهُنَّ يُنَادِينَ عَلَى الصَّيْدِ. سَتَذْهَبُ بَرِيَا بِعَرَبَتِهَا إِلَى (الْمِينَاءِ الْأَرْجَوَانِي) لِتَبِيعَ مَا مَعَهَا لِلْبَحَّارَةِ الْبَرَاقُوسِيِّينَ الَّذِينَ تَرَسُّو سُفْنَهُمْ هُنَاكَ، وَتَالِيَا إِلَى الْأَزَقَةِ الْمَحِيْطَةِ بِ(بِرْكَةِ الْقَمَرِ) أَوْ تَدُورُ بَيْنَ الْمَعَابِدِ عَلَى (جَزِيرَةِ الْأَلْهَةِ)، فِي حِينَ انْتَبَهَتْ كَاتِ إِلَى (مِينَاءِ رَاجِمَانَ) كَمَا تَفْعَلُ تِسْعَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ عَشْرَةٍ.

وَحَدَّهُمُ الْبَرَاقُوسِيُّونَ مِنَ (الْبَلَدَةِ الْغَارِقَةِ) وَ(قَصْرِ أَمِيرِ الْبَحْرِ) مَسْمُوحٌ لَهُمْ بِاسْتِخْدَامِ (الْمِينَاءِ الْأَرْجَوَانِي)، أَمَّا السَّفِينُ الْآتِيَةُ مِنَ الْبُحْرِ الْبَحْرِيَّةِ الْبَرَاقُوسِيَّةِ (بَرَاقُوسِيَّةِ) فَتَسْتَخْدِمُ (مِينَاءَ رَاجِمَانَ) الْأَكْثَرِ تَوَاضُعًا وَاضْطِرَابًا وَاتِّسَاعًا، كَمَا أَنَّهَا عَلَى صَخْبٍ أَيْضًا، إِذْ يَزْدَحُمُ الْبَحَّارَةُ وَالْجَارُّ مِنَ عَشِيرَاتِ الْبَلَدِ عَلَى أَرْضِ فَتَاهُ وَفِي أَزْقَتِهِ مَخْتَلَطِينَ بَمَنْ يَخْدُمُونَهُمْ وَيَحْتَالُونَ عَلَيْهِمْ. إِنَّهُ أَكْثَرُ مَكَانٍ تَحُبُّهُ كَاتِ فِي

(برافوس)، إذ تحلو لها الصّوضاء والرّوائح الغربية ورؤية السفن التي وصلت مساء أمس ومعرفة تلك التي أقلعت. يروقها البحارة أيضاً؛ التايروشيون المجعّعون بأصواتهم الجهورية وشواربهم المصبوغة، واللايسينيون الشّقر الذين يحولون دوماً بخس أسعارها، لكنها تُفضّل بني (جزر الصّيف) ببشرتهم الملساء القائمة كخشب السّاج، الذين يرتدون معاطف من الرّيش الأحمر والأخضر والأصفر ويركبون سفناً بجعية رائعة طويلة الصّواري بيضاء القلوع. وأحياناً تُقابل وستروسيين أيضاً، بحارة وملاحين من قراقر (البلدة القديمة)، والقوادم التجاريّة من (وادي الغسق) و(كينجز لاندنج) و(بلدة النّوارس)، وأكواج التّبذ كبيرة البطون من (الكرمة). تعرف كات المرادفات البرافوسية لبلح البحر والحلزون وأمّ الخلول، غير أنها تُنادي على بضاعتها في (ميناء راجمان) بلغة التّجارة، لغة الأرصفة والمراسي وحانات البحارة، وهي فوضى خشنة من الكلمات والجمل من لغات عدّة تصحبها إشارات وإيماءات أكثرها مهين، وتلك أكثر ما يروق كات.

أيّ رجل يُضايقها من شأنه أن يرى التّينة أو يسمع نفسه يُوصَف بقضيب الحمار أو فرج النّاقة. «ربما لم أر ناقةً من قبل، لكنني أعرفُ فرج النّاقة حين أشمه». كلّ فترة طويلة يُغضب قول كهذا أحدهم، لكنها تكون جاهزةً بسكّينها الرّفع الذي تُحافظ على حدّته الشّديدة وتعرف كيف تستخدمه أيضاً، كما أراها روجو الأحمر ذات أصيل في (الميناء السّعيد) بينما ينتظر فروغ لانا. علّمها روجو كيف تُخبّئه في كُمّها وتُخرجه عندما تحتاج إليه، وكيف تشقّ كيس نقودٍ بنعومة وسرعة تُسقطان منه العملات كلّها قبل أن يلحظ صاحبها. مفيد أن تتعلّم هذا - كما أكّد الرّجل الطيّب نفسه - لا سيّما ليلاً حين يخرُج مُبارزو البرافو وجرذان السطوح.

كوّنت كات صداقاتٍ على الأرصفة، وأصداؤها عتّالون وممثّلون وصنّاع حبال ومُصلحو أشرعة وأصحاب حانات وخمّارون وخبّازون وشحّاذون وعاهرات. منها يشترون أمّ الخلول والحلزون، ولها يحكون قصصاً حقيقيّةً عن (برافوس) وأكاذيب عن حيواتهم، ويضحكون من نُطقها عندما تُحاول أن تتكلّم البرافوسية، لكنها لا تدع هذا يُزعجها أبداً، وبدلاً من ذلك تُريهم التّينة وتقول لهم إنهم فروج نوق، وهو ما يجعل ضحكهم يُدوّي أكثر. علّمها جاييلورو دوثار أغاني بذيئة، وأخبرها أخوه جاييلينو بأفضل البقاع لصيد ثعابين الماء، وأراها ممثّلو (السّفينة) كيف يقف البطل ولقنوها خطاباتٍ من (أغنية الروين) و(الفاتح وزوجته) و(سيّدة التّاجر الشّبعة)، وعرضَ عليها كويل -الرّجل الصّغير حزين العينين الذي يُؤلّف المسرحيّات الهزليّة البذيئة لـ (السّفينة)- أن يُعلّمها كيف تُقبّل النّساء، لكن تاجانارو لطمه بسمكة قد ووضّع نهايةً لهذا، بينما علّمها كوزومو الحاوي خفة اليد. يستطيع كوزومو أن يبتلع الفئران ويُخرجها من أذنيه قائلاً: «إنه السّحر»، فتردّ كات: «لا، الفأر كان في كُمّك طوال الوقت. لقد رأيته يتحرّك».

«محار وأم الخُلُول وحلزون» الكلمات السِّحْرِيَّة، وككَلِ الكلمات السِّحْرِيَّة الجَيِّدة فمن شأنها أن تأخذها إلى أي مكان تقريبًا. لقد صعدت إلى متون سُفِينِ مِنْ (ليس) و(البلدة القديمة) و(ميناء إيبين) وباعَت محارها على سطوحها، وفي بعض الأيام تمرُّ بعربتها على بروج الأثرياء وتعرض أم الخُلُول المخبوزة على الحرس الواقفين على الأبواب، وفي مرَّةٍ نادت على بضاعتها على درجات (قصر الحقيقة)، ولمَّا حاولَ بائع متجول آخر أن يطردها قلبت عربته وبعثرت محاره على الأرض.

يشترى منها مأمورو الجمارك في (المرفأ المربَّع)، وكذا مجذِّفو (البلدة الغارقة) الذين تبرز قبابهم وأبراجهم المغمورة من مياه الهُور الخضراء، وفي مرَّةٍ عندما أرقَد النَّزِيْف القمري بريًا في فراشها دفعت كَلات عربتها إلى (الميناء الأرجواني) لبَيْع السَّرَاطِين والقريـدس لمـلَّاحي قـارب نـزهة أمـير البحر المغـطى من أقصاه إلى أقصاه برسوم الوجوه الضاحكة، وفي أيامٍ أخرى تتبّع نهر المياه العذبة إلى (بركة القمر)، حيث تباع لمُبارزي البرافو المختالين في حريهم المخطَّط وحملَة المفاتيح والقضاة الذين يرتدون المعاطف البنيَّة والرَّماديَّة الباهتة، لكنها دومًا تعود إلى (ميناء راجمان).

«محار وأم الخُلُول وحلزون!»، صاحَت الفتاة دافعةً عربتها على الأرصفة. «بلح بحر وقريدس وحلزون!». جاءت قطعة بُرتقاليَّة متسخة تمشي وراءها وقد اجتذبتها الصِّيَاح، وبَعْد مسافةٍ ظهرت قطعة ثانية، واحدة رُماديَّة حزينة ممرَّغة بالأوساخ ذيلها قصير. تحبُّ القِطط رائحة كات، وفي بعض الأيام تجد دسَّتة منها ماشيةً وراءها قبل مغيب الشَّمس. من حين إلى آخر تُلقِي لها كات محارةً وتُشاهد لتري مَنْ يظفر بها، وقد لاحظت أن أكبر القِططة حجمًا نادرًا ما يربح، وغالبًا تذهب الغنيمة إلى القِطط الأصغر الأسرع بنحولها وشراستها وجوعها. مثلي. قِطها المفضل عجوز له أذن مقضومة يُذكِّرها بقِط آخر اعتادت مطاردته ذات يومٍ في (القلعة الحمراء). لا، كانت تلك فتاةً ما أخرى ليست أنا.

رأت كات أن سفينتين من التي كانت هناك البارحة رحلتا، لكن خمسًا جديدات جنن، هي قرقور صغير اسمه (القرد النحاسي)، وسفينة صيد حيتان إيبنيزيَّة تفوح منها روائح القطران والدَّم وزيت الحيتان، وكوجان باليان من (پنتوس)، وقادس أخضر رشيق من (قولانتيس القديمة). توقفت كات عند قدم كلِّ لوح عبور تُنادي على أم الخُلُول والمحار، مرَّةً بلُغة التَّجارة ومرَّةً بعـاميَّة (وسـتروس). سـبَّها أحد أفراد الطاقم على سـفينة صـيد الحيتان بصوتٍ مدوٍّ أخـاف قـططها، وسـألها أحد المـلَّاحين الـپنتوشيين كم تُريد مقابل المحارة التي بين ساقِها، لكنها وجدت خطأً أفضل عند السفن الأخرى، والتهم مساعد رُبَّان على متن القادس الأخضر نصف دسَّتة من المحار وحكى لها كيف قتل القراصنة اللإيسينيون الرُبَّان عندما حاولوا الاستيلاء على سفينتهم قُرب (الأعتاب)، وأضاف: «كان ذلك الوغد سان ومعه (ابن الأم العجوز) وسفينته

الكبيرة (فاليريان). لقد فررنا منهم، ولكن بالكاد».

أُتضح أن القرقور الصَّغير (القرد النُّحاسي) من (بلدة التَّوارس)، وقد سعدَ طاقمه الـوستروسي للكلام مع أحدٍ باللغة العامية. سأَلها أحدهم عما أفضى بفتاةٍ من (كينجز لاندنج) إلى بيع بلح البحر على أرصفة المواني في (برافوس)، فقَصَّت عليهم حكايتها، وقال لها واحد آخر: «سنبقى هنا أربعة أيام وأربع ليالٍ طويلة. أين يجد المرء القليل من التَّسلية؟».

أخبرتَهم كات: «الممثِّلون في (السَّفينَة) سـيَقْدِّمون (سـبـعة مـلـاحين سـكـارى)، وهنـاك عـراك ثـعـابـين المـاء في (القـبـو المـرـقـط) عـنـد بـوآبـة (البلـدة الغـارقـة)، أو إذا أردتـم فيمكنكم الذَّهاب عند (بركة القمر) حيث يتنازل مُبارزو البرافو ليلاً».

قال بحار آخر: «نعم، لا بأس بهذا، لكن ما يُريده وات حقاً هو امرأة».

- «أفضل العاهرات في (الميناء السَّعيد)، حيث ترسو (السَّفينَة)»، وأشارت في اتِّجاه المكان. بعض عاهرات أرصفة المواني متوحِّشات، وأحياناً لا يدري البحَّارة الآتون لتؤمهم من البحر من هن كـذلك. سفرون أسـوأهن، ويقـول الجمـيع إنـها سـرقت وقتـلـت دسـتة من الرِّجال ودحرجت جُثثهم إلى القنـوات لتطعم ثعـابـين المـاء، والابنة السيِّكة لينة العريكة عندما تكون مفيقة فقط وليس حين تشرب، وچاين القُرحة في الحقيقة رجل. «اسألوا عن مري. اسمها الحقيقة ميرالين، لكن الكلَّ يدعوها بمري، وهي مرحة حقاً». تشتري مري دسـتة من المحار كلِّما ذهبت كات إلى الماخور وتتقاسمه مع فتياتها، ويتفق الجميع على طيبة قلبها، «ثم إن لي أكبر ثديين في (برافوس) كلِّها»، كما يحلو لمري نفسها أن تتباهى.

فتياتها أيـضاً لطيفـات؛ يثـاني الخجـول وزوجـة البـحـار، ويـانا ذات العـين الواحـدة التـي تـرى مـسـتـقـبـلك في قطرة من الدَّم، ولانـا الصَّغيرة الحسـناء، وحتـى آسـادورا الإيـنـيـزيـة ذات الشَّارب. ربما لا يكن جميلات حقاً، لكنهن يترقن بها. أكدت كات لرجال (القرد النُّحاسي) قائلة: «كلَّ العتالين يذهبون إلى (الميناء السَّعيد). مري تقول: الفتيان يُفرغون أحمال السفن وفتياتي يُفرغن أحمال من يُبحرون بها».

- «وماذا عن العاهرات المممتازات اللاتي يُغنَّون عنهن؟»، سأَلها أصغر القردة، صبي أحمر الشَّعر منمَّش الوجه لا يُمكن أن تزيد سنُّه على السَّادسة عشرة. «أهن جميلات كما يقولون؟ أين أجد واحدة منهن؟».

نظرَ إليه رفاقه البحَّارة وضحكوا، وقال أحدهم: «بحقَّ الجحائم السَّبع يا فتى، ربما يستطيع الرُّبَّان أن يحصِّل لنفسه على محظية، لكن فقط إذا باع السَّفينَة اللعينة. هذا النوع من الفروج للوردات وأمثالهم وليس لنا».

محظيات (برافوس) شهيرات في جمـيع أنـحاء العـالم، يُغـنِّي عنـهن

المطربون، ويُغِدِق عليهن الصَّاعَة وصُنَاع الجواهر بالهدايا، ويتوسَّل الحرفيون شرف أن يكُن زبائنهم، ويدفع الأمراء التَّجَار أسعارًا فلكيَّة كي يتأبَّطن أذرعهم في الحفلات والمآدب وعروض الممثلين، ويقتل بعض مُبارزي البرافو بعضًا باسمهن. أحيانًا بينما تدفع عربتها بطول القنوات تلمح كات إحداهن مارةً في قاربٍ أو في طريقها إلى أمسيَّةٍ مع عشيقٍ ما. لكلِّ محظيَّةٍ صندلها الخاص وخدمها الذين يُجرون بها إلى مواعيدها. الشَّاعرة في يدها كتابٌ دومًا، وظلُّ القمر لا ترتدي إلا الأبيض والفضي، ومملكة البحار لا تُرى أبدًا من دون وصيفاتها عرائس البحر، أربع عذراوات في ريعان الإزهار يحملن ذيل قُستانيها ويُصَفِّفن شعرها. كلُّ محظيَّةٍ أروع جَمالًا من الأخرى، وحتى الليدي المثلثة جميلة، وإن كان من تتخذهم عُشاقًا فقط يرون وجهها.

قالت كات للبحَّارة: «بعثُ ثلاثة حلزونات لمحظيَّة. نادَّتني وهي تنزل من صندلها». كان بروسكو قد شدَّد عليها ألا تُخاطب أيَّ محظيَّةٍ ما لم تُبادِرها المحظيَّة بالكلام أولًا، لكن المرأة ابتسمت لها ونقذتها أجرها فضةً تفوق قيمة الحلزونات بعشرة أضعاف.

- «مَن هي؟ ملكة الحلزونات؟».

أجابتهن: «اللؤلؤة السوداء». تدَّعي مري أن اللؤلؤة السوداء أشهر المحظيَّات جميعًا، وقالت المرأة لكات: «إنها سليلة التَّنانين. اللؤلؤة السوداء الأولى كانت ملكةً قُرصانةً اتَّخذها أمير وستروسي عشيقَةً وأنجبَ منها ابنةً كبرت لتُصبح محظيَّةً، ثم تبعتها ابنتها وابنة ابنتها، وهكذا دواليك حتى اللؤلؤة السوداء الحاليَّة. ماذا قالت لكِ يا كات؟».

ردَّت الفتاة: «قالت: سأخذُ ثلاثة حلزونات، وسألَّتني: هل معكِ صلصة حارَّة أيتها الصَّغيرة؟».

- «وماذا قلتِ؟».

- «قلتُ: لا يا سيِّدتي، ولا تُناديني بالصَّغيرة، إن اسمي كات. المفترض أن تكون معي صلصة حارَّة. يَكُو معه، ويبيع ثلاثة أضعاف ما يبيعه بروسكو من المحار».

حكَّت كات عن اللؤلؤة السوداء للرجل الطيِّب أيضًا، وقالت له: «اسمها الحقيقي بيليجير أوثيريس». كان هذا واحدًا من الأشياء الثلاثة التي تعلَّمتها.

قال الكاهن برفق: «صحيح. أمُّها كانت بيلونارا، لكن اللؤلؤة السوداء الأولى كان اسمها بيليجير أيضًا».

على أن كات تعرف أن رجال (القرد النحاسي) لن يأبھوا لاسم أمِّ محظيَّة، وبدلًا من ذلك سألتهم عن أخبار (الممالك السَّبع) والحرب.

أجاب أحدهم ضاحكًا: «الحرب؟ أيُّ حرب؟ ليست هناك حرب».

وقال آخر: «ليس في (بلدة التَّوارس) وليس في (الوادي). اللورد الصَّغير أبقانا

بمنأى عنها مثلما فعلت أمّه».

مثلما فعلت أمّه. سيّدة (الوادي) أخت أمّها. «الليدي لايسا. هل...».

- «... ماتت؟»، أنهى الفتى ذو النّمش الممتلئ رأسه بالمحظيّات سؤالها. «نعم، قتلها مغنيّها».

- «أوه». لا يعني الأمر لي شيئاً. قطّة القنوات لم تكن لها خالة قطُّ. رفعت كات عربتها ودفعتها بعيداً عن (القرد إلنحاسي) لتَهْتَزَّ على حجارة الرّصف، ونادَتْ: «مُحَار وَاُمُ الخُلُول وحلزون! مُحَار وَاُمُ الخُلُول وحلزون!». باعَت أكثر ما معها من أُم الخُلُول للعتّالين الذين يُفْرِغُونَ حمولة كُوج التّبِيد الكبير الآتي من (الكرمة)، والبقية للرجال الذين يُصْلِحُونَ قَادِسًا تجاريًا من (مير) دكّته العواصف.

على مسافةٍ أبعد على الرّصيف وجَدَت تاجانارو جالسًا مسندًا ظهره إلى دعامةٍ إلى جوار كاسو ملك الفقّمات، وابتاعَ منها الرجل بعض بلح البحر، ونبَحَ كاسو وتركها تهزُّ زعنفته. استحثّها تاجانارو قائلاً وهو يمتصُّ بلح البحر من الصّدف: «تعالِي واعملي معي يا كات». إنه يبحث عن شريكٍ جديد منذ غرست الابنة السيّكرة سيّكيناها في يد ناربو الصّغير. «سأنقذك أجراً أكثر من بروسكو ولن تكون رائحتك كالسّمك».

ردّت: «كاسو يحبُّ رائحتي»، ونبَحَ ملك الفقّمات كأنه موافق. «ألم تتحسن يد ناربو؟».

قال تاجانارو متذمّراً بين بلحتين: «ثلاثة من أصابعه لا تنثنى. ما فائدة نَشَالٍ لا يسـتطيع اسـتخدام أصابعه؟ ناربو كـان بارعاً في النّشل وليس كـذلك في اختيـار العاهرات».

- «مِري تقول المثل». شعرت كات بالحُزن. لقد أحبّت ناربو الصّغير على الرغم من كونه لصاً. «ماذا سيفعل؟».

- «يقول إنه سيعمل على مجذاف. يظنُّ أن إصبعين كافيان لهذا، وأمير البحر يبحث دائماً عن ملاحين جُدد. قلتُ له: لا يا ناربو، هذا البحر أبَرِد من عذراء وأقسى من عاهرة. أفضل لك أن تقطع يدك وتتسوّل. كاسو يعرف أنني محق، أليس كذلك يا كاسو؟».

نبَحَ كلب البحر وابتسمت كات، وألقت له حلزونًا آخر قبل أن تذهب في حال سبيلها.

كان النّهار قُرب آخره عندما بلغت كات (الميناء السّعيد) قُبالة مرسى (السّفينة)، وقد جلسَ عدد من الممثّلين أعلى السّفينة الضّخمة المائلة يَمَرُّون قِربة نبيذٍ من يدٍ إلى يدٍ، لكن حين رأوا عربة كات نزلوا ليشتروا بعض المحار. سألتهم عن أخبار عرض (سبعة ملاحين سكارى)، فهزَّ چوس المكتئب رأسه مجيباً: «كوينس ضبطَ ألاكو في الفِراش مع سلوي أخيراً، وتبارزَ الاثنان

بِسَيْفِي مَمَثِّلِينَ ثُمَّ تَرَكَانَا. يَبْدُو أَنَا سَنَكُونُ خَمْسَةَ مَلَّاحِينَ سَكَارَى فَقَطِ اللَّيْلَةَ».

أَعْلَنَ مِيرْمَلُو: «سَنَبْذُلُ قَصَارَى جَهْدِنَا لِنُعَوِّضَ غِيَابَ الْمَلَّاحِينَ بِالسُّكْرِ. أَنَا عَنْ نَفْسِي قَادِرٌ عَلَى هَذَا».

أَخْبَرَتْهُمْ كَات: «نَارِبُو الصَّغِيرِ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَلَّاحًا. إِذَا حَصَلَتْهُمْ عَلَيْهِ تُصَيِّحُونَ سِتَّةً».

قَالَ لَهَا چوس: «الأفضل أَنْ تذهبي إِلَى مِري. تَعْلَمِينَ كَيْفَ تَكُونُ عِنْدَمَا لَا تَأْكُلِ الْمَحَارَ».

لَكِنْ حِينَ دَخَلَتْ كَات الْمَاخُورَ وَجَدَتْ مِري جَالِسَةً بِعَيْنَيْنِ مَغْمُضَتَيْنِ تُصْغِي إِلَى دَارِيُونِ الَّذِي يَعْزِفُ عَلَى قِيثَارَتِهِ الْخَشَبِيَّةِ. كَانَتْ بَانَا مَوْجُودَةً أَيْضًا، تُضَفِّرُ شَعْرَ لَانَا الذَّهَبِيِّ الطَّوِيلِ الْجَمِيلِ. أَغْنِيَّةُ حُبِّ سَخِيفَةٍ أُخْرَى. دَائِمًا تَتَوَسَّلُ لَانَا إِلَى الْمَطْرَبِ أَنْ يُغَنِّيَ لَهَا أَغَانِي الْحُبِّ السَّخِيفَةِ. إِنَّهَا أَصْغَرَ الْعَاهِرَاتِ سِنًا، فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ فَقَطْ، وَتَعْلَمُ كَات أَنَّ مِري تَطْلُبُ مُقَابَلَهَا ثَلَاثَةَ أَضْعَافٍ مَا تَطْلُبُهُ ثَمَنًا لِلْفَتَيَاتِ الْآخَرِيَّاتِ.

أَغْضَبَتْهَا رُؤْيَا دَارِيُونِ الْجَالِسِ هُنَاكَ مُخْتَلًا، يَرْمِي لَانَا بِنَظَرَاتِ الشَّهْوَةِ بَيْنَمَا تَتَرَاقَصُ أَصَابِعُهُ عَلَى أَوْتَارِ الْقِيثَارَةِ. تُسَمِّيهِ الْعَاهِرَاتُ الْمَغْنِيِّ الْأَسْوَدَ، مَعَ أَنَّ السَّوَادَ يَكْدَادُ يَغِيْبُ عَنْهُ تَمَامًا الْآنَ، فَبِالْمَالِ الَّذِي يَجْنِيهِ مِنْ غِنَائِهِ حَوْلَ الْعُرَابِ نَفْسَهُ إِلَى طَاوُوسِ. الْيَوْمَ يَرْتَدِي مُعْطَفًا مُتَرَفِّقًا مِنْ الْمَخْمَلِ الْمَبْطُنِ بِالْفَرَسِيِّ وَسُتْرَةً مَخْطُوتَةً بِالْأَبْيَضِ وَالْأَرْجَوَانِيِّ الْفَاتِحِ وَسِرَاوِيلَ مُبَارِزِي الْبِرَاقِ الْمَبْرِقْشَةِ، لَكِنْهُ يَمْلِكُ مُعْطَفًا حَرِيرِيًّا أَيْضًا، وَوَاحِدًا مِنَ الْمَخْمَلِ الْخَمْرِيِّ الْمَبْطُنِ بِقُمَاشِ الذَّهَبِ. الْأَسْوَدُ الْوَحِيدُ فِي ثِيَابِهِ حَذَاؤُهُ، وَسَمِعَتْهُ كَات يَقُولُ لِلَانَا إِنَّهُ أَلْقَى الْبَقِيَّةَ كُلَّهَا فِي قَنَاءَ، وَأَعْلَنَ: «لَقَدْ ضَقْتُ ذَرْعًا بِالظَّلَامِ».

بَيْنَمَا يُغَنِّي دَارِيُونُ عَنْ لَيْدِي سَخِيفَةً أَلْقَتْ نَفْسُهَا مِنْ فَوْقِ بُرْجٍ سَخِيفٍ لِأَنَّ أَمِيرَهَا السَّخِيفَ مَاتَ فَكَرَّتِ الْفَتَاةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ. الْمَفْتَرَضُ أَنَّ تَذَهَبَ اللَّيْدِي وَتَقْتُلَ مَنْ قَتَلُوا أَمِيرَهَا وَأَنْ يَكُونَ الْمَغْنِي عَلَى (الْجِدَارِ). مَعَ بَدَايَةِ تَرَدُّدِ دَارِيُونِ إِلَى (الْمِينَاءِ السَّعِيدِ) كَادَتْ أَرِيَا تَسْأَلُهُ أَنْ يَأْخُذَهَا مَعَهُ وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ)، ثُمَّ إِنَّهَا سَمِعَتْهُ يُخْبِرُ بِثَانِي بَأَنَّهُ لَنْ يَعُودَ أَبَدًا، وَيَقُولُ: «أَسْرَةُ صُلْبَةٍ وَسَمَكٌ قَدْ مَمْلَحٌ وَحِرَاسَةٌ بِلَا نَهَايَةٍ، هَذَا هُوَ (الْجِدَارُ). ثُمَّ إِنَّ (الْقَلْعَةَ الشَّرْقِيَّةَ) لَيْسَتْ فِيهَا وَاحِدَةٌ بِنِصْفِ جَمَالِكِ. كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتْرُكَكِ؟». سَمِعَتْهُ كَات يَقُولُ الْكَلَامَ نَفْسَهُ لِلَانَا، وَلَوْاحِدَةٍ مِنَ عَاهِرَاتِ (الْمَقْطُطَةِ)، بَلْ وَلِلْعَنْدَلِيبِ لَيْلَةً غَنَى فِي (دَارِ الْقَنَادِيلِ السَّبْعَةِ).

لَيْتَنِي كُنْتُ هُنَا يَوْمَ ضَرْبَةِ السَّمَمِينَ. مَا زَالَتْ الْحَادِثَةُ تُضْجِكُ عَاهِرَاتِ مِري، وَتَقُولُ يَا لَانَا إِنَّ الصَّبِي السَّمَمِينَ أَحْمَرٌ كَالْبَنْجَرِ كُلِّمَا

لمستَه، لكِن حين بدأ يُثير المتاعب جعلتهم مِري يجرُّونه إلى الخارج ويُلقونه في القنّاة.

كانت كات تُفَكِّر في الصَّبِي السَّمِين وتذكّر إنقاذها إياه من تيرو وأوربيلو عندما وجدتَ زوجة البحّار إلى جوارها تُغمِّم بنعومةٍ بعاميّة (وستروس): «يُغَنِّي أغاني جميلة. لا بُدَّ أن الآلهة تحبُّه ما دامت أنعمت عليه بهذا الصّوت وهذا الوجه الوسيم».

فكّرت آريا: إنه وسيم الوجه وقبيح القلب، لكنها لم تقلها. في مرّة تزوّج داريون زوجة البحّار التي لا تُضاجع إلا من يتزوَّجونها. أحيانًا يشهد (الميناء السّعيد) ثلاثة أو أربعة زفّاتٍ في الليلة، وغالبًا ما يُؤدّي الرّاهب الأحمر البشوش السيّكير إزيليّو الطقوس، وإن لم يكن هو فايوستس الذي كان في الماضي سيّتون في (سيّت ما وراء البحر)، وفي حال غيـاب الرّاهب والسيّتون تهرع إحدى العاهرات إلى (السّفينـة) لتأتي بأحد الممثّلين. دائمًا تزعم مِري أن الممثّلين رُهبان أفضل من الرّهبان، خصوصًا ميرملو.

الرّفّات صاحبة مرحة وتندقّق فيها أنهار النّبذ، وكلّما تمرُّ كات في أثناء أحدها يعربتها تصرُّ زوجة البحّار على أن يبتاع زوجها الجديد بعض المحار لتقوينه من أجل إتمام الزّيجة. إنها فتاة طيّبة ضحوك، وإن خطرَ لكات أن فيها شيئًا من الحُزن أيضًا.

تقول العاهرات الأخريات إن زوجة البحّار تزور (جزيرة الآلهة) في أيام إيناع زهرتها وتعرف كلّ الآلهة المقيمة هناك، بما فيها تلك التي نسيّتها (برافوس). يقلن إنها تذهب للصّلاة من أجل زوجها الأول، زوجها الحقيقِي الذي ضاع في البحر حين كانت فتاةً في سنِّ لانا، وقالت يانا العوراء التي تعرفها من فترةٍ أطول من الأخريات: «تظنُّ أنها إذا وجدتَ الإله السّليم فسيرسل الرّيح لتدفع إليها بحبيبها القديم، لكنني أصلي ألا يحدث هذا أبدًا. لقد مات حبيبها وتذوّقتُ هذا في دمها.

إذا عادَ إليها فسيعود جثّة».

كانت أغنيّة داريون في نهايتها أخيرًا، وإذ تلاشت النّغمات الأخيرة في الهواء تنهّدت لانا ووضعَ المغنّي قيثارته جانبًا وجذبَ الفتاة إلى حجره، وما إن بدأ يُدغِغها حتى رفعت كات صوتها قائلة: «معي محار إذا كان أحد يُريد»، فانفتحت عينا مِري من فورها، وقالت: «عظيم. هاتيه أيتها الصّغيرة. يانا، أحضري الخُبز والخل».

حين خرجت كات من (الميناء السّعيد) ومعها صُرةٌ ممتلئة بالنّقود وعربة خالية إلا من الملح والطّحالب كانت الشّمس الحمراء المنتفخة عالقةً في السّماء وراء صفٍّ من الصّواري. خرجَ معها داريون أيضًا، إذ كان قد وعدَ بالغناء في الخان المسمّى (تُعبان الماء الأخضر) هذا المساء، كما قال لها وهما يمشيان جنبًا

إلى جنب، وأضاف متبـاهياً: «كَلِّمـَا غَنِّيـتُ هُنَاكَ أَعُوذُ بِـالْفَضَّةِ، وَفِي بَعْضِ اللَّيْلِـالِي يَحْضُرُ رَبَابِنَةٌ وَمُلَّاكٌ». عَبَرَ الجَسْرَ الصَّغِيرَ وَشَقَّ طَرِيقَـهُمَا فِي شَارِعٍ خَلْفَـي مَلَتْـُ وَوَقَدَ بَدَأَتِ الـظُّلَالُ تَسـتَـطِيلُ، وَوَأَصَلَ دَارِيـُونَ: «قَرِيبًا سَأَغْنِي فِي (الْمِينَاءِ الأَرْجَوَانِي)، وَبَعْدَهُ فِي (قَصْرِ أَمِيرِ البَحْرِ)». كُنْتُ عَرَبَةً كُنْتُ تُقَعِّقُ عَلَيَّ حِجَارَةَ الرِّصْفِ مَصْدَرَةً مُوسِقِيَّاهَا الْخَاصَّةُ، وَالْمَغْنِي يُتَابَعُ: «الْبَارِحَةُ أَكَلْتُ الرِّجَّةَ مَعَ الْعَاهِرَاتِ، لَكِنْ خَلَالَ عَامٍ سَأَكُلُ السَّرَاطِينَ الإِمْبَرَاطُورِيَّةَ مَعَ الْمُحْظِيَّاتِ».

قَالَتْ كَات: «مَاذَا حَدَثَ لِأَخِيكَ؟ ذَلِكَ السَّمِينُ، هَلْ وَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ)؟ قَالَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ يُجَرَّ عَلَى مَتْنِ (الليدي أوشانورا)».

- «كُنَّا كَذَلِكَ. إِنَّهُ أَمَرَ اللُّوردَ سَنُو. قُلْتُ لِسَامٍ أَنْ يَتْرُكَ الْعَجُوزَ، لَكِنْ الْأَحْمَقُ الْبَدِينُ لَمْ يُصْغِ»، وَالتَّمَعَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ الْآخِرِ فِي شَعْرِ دَارِيُونَ إِذْ أَضَافُ: «فَاتَ أَوَانُ ذَلِكَ».

قَالَتْ كَات إِذْ خَطَوَا إِلَى عَتَمَةِ زُقَاقٍ صَغِيرٍ مَلَتْ: «بِالضَّبْطِ».

لَدَى عَوْدَتِهَا إِلَى مَنْزِلِ بَرُوسْكَو كَانَ ضَبَابُ الْمَسَاءِ يَحْتَشِدُ فَوْقَ الْقَنَاةِ الصَّغِيرَةِ. رَكِبَتْ عَرَبَتَهَا وَوَجَدَتْ بَرُوسْكَو فِي حُجْرَتِهِ، وَبِقُوَّةٍ وَضَعَتْ صُرَّةَ النُّقُودِ عَلَى الطَّاوِلَةِ أَمَامَهُ، ثُمَّ إِنَّهَا وَضَعَتْ الْحِذَاءَ أَيْضًا.

رَبَّتْ بَرُوسْكَو عَلَى الصُّرَّةِ، ثُمَّ قَالَ: «عَظِيمٌ، لَكِنْ مَا هَذَا؟».

- «حِذَاءٌ».

قَالَ بَرُوسْكَو: «الْعَثُورُ عَلَى الْأَحْذِيَةِ الْجَيِّدَةِ صَعْبٌ، لَكِنْ هَذَا صَغِيرٌ لِلْغَايَةِ عَلَى قَدَمَيَّ»، وَرَفَعَ فَرْدَةً وَزَرَ عَيْنَيْهِ يَتَفَحَّصُهَا.

- «الْقَمَرُ سَيَكُونُ أَسْوَدَ اللَّيْلَةِ».

رَدَّ بَرُوسْكَو: «خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَذْهَبِي لِلصَّلَاةِ إِذْنَ»، وَأَزَاحَ الْحِذَاءَ جَانِبًا وَصَبَّ الْعُمَلَاتِ لِيُحْصِيَهَا مُضِيْقًا: «قَالَار دُوَهَايِرْس».

قَالَار مَوْرَجُولِس.

ارْتَفَعَ الضَّبَابُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حَوْلَهَا بَيْنَمَا تَقْطَعُ شَوَارِعَ (بِرَاقُوس)، وَلَدَى دُخُولِهَا مِنْ مَصْرَاعِ بَابِ (دَارِ الأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ) الْمُنْحَوْتِ مِنْ خَشَبِ الْوِيرُودِ كَانَتْ تَرْتَجِفُ بَعْضُ الشَّيْءِ. شَمُوعٌ قَلِيلَةٌ مُشْتَغِلَةٌ هَذَا الْمَسَاءِ، يَتَذَبَذَبُ لَهَا كَالشَّهْبِ، وَفِي الظَّلَامِ كُلُّ الْآلِهَةِ غُرَبَاءَ.

فِي الْأَقْبِيَةِ حَلَّتْ مُعْطَفُ كَاتِ الْمُهْتَرَّى وَخَلَعَتْ سُتْرَةَ كَاتِ الْبَيْتَةِ ذِفْرَةَ الرَّائِحَةِ وَرَكَلَتْ حِذَاءَ كَاتِ الْمَبْقَعِ بِالْمِلْحِ وَتَجَرَّدَتْ مِنْ ثِيَابِ كَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، ثُمَّ اسْتَحَمَّتْ بِالْمَاءِ وَاللَّيْمُونِ لِتَغْسَلَ عَنْ جَسَدِهَا رَائِحَةَ قِطَّةِ الْقَنَوَاتِ، وَحِينَ خَرَجَتْ وَقَدْ نَظَّفَتْ نَفْسَهَا بِالصَّابُونِ وَفَرَكَتْ جِلْدَهَا حَتَّى تَوَرَّدَ وَالتَّصَقَّ شَعْرُهَا بِوَجْنَتَيْهَا لَمْ

تَعُدُّ كَاتٍ مَوْجُودَةً. ارْتَدَّتْ ثَوْبًا نَظِيفًا وَانْتَعَلَتْ حُفَّيْنِ نَاعِمَيْنِ مِنَ الْقُمَاشِ، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ لِيَطْلُبَ الْقَلِيلَ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ أَوْمًا. كَانَ الْكُهْنَةُ وَالْمُعَاوَنُونَ قَدْ أَكَلُوا بِالْفِعْلِ، لَكِنِ الطَّاهِيَةُ أَبْقَتْ لَهَا قِطْعَةً مِنْ سَمَكِ الْقُدِّ الْمَحْمَرِّ اللَّذِيزِ وَالْقَلِيلَ مِنَ اللَّفِيفِ الْأَصْفَرِ الْمَهْرُوسِ. التَّهَمَّتْ طَعَامَهَا بِنَهْمٍ وَغَسَلَتْ الطَّبْقَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ تُعَاوِنُ اللَّقِيطَةَ عَلَى إِعْدَادِ عَقَاقِيرِهَا.

أَغْلَبَ دَوْرُهَا إِحْضَارَ مَا تَطْلُبُهُ اللَّقِيطَةُ، فَتَصْعَدُ سُلَّمًا لِتَجِدَ الْأَعْشَابَ وَأَوْرَاقَ الْأَشْجَارِ. قَالَتْ لَهَا اللَّقِيطَةُ وَهِيَ تَطْحَنُ الْقَلِيلَ مِنْهَا فِي الْهَاوِنِ: «حُلُو الْكُرَى أَلْطَفُ السُّمُومِ. بَضْعُ حَبَّاتِ تَجْعَلِ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ السَّرِيعَةِ تَبْطِئًا وَتُوقِفِ الْيَدَ عَنِ الْارْتِحَافِ وَتَجْعَلِ الْمَرْءَ يَشْعُرُ بِالْهَدْوِ وَالْقُوَّةِ. رَشَّةٌ وَاحِدَةٌ تَمْنَحُ الْمَرْءَ لَيْلَةً مَرِيحًا نَوْمِ الْعَمِيقِ بِلَا أَحْلَامٍ، وَثَلَاثُ رَشَّاتٍ تَجْلِبُ النَّوْمَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي أَبَدًا. الطَّعْمُ حُلُوٌ لِلْغَايَةِ، وَلِذَا فَمَنْ الْأَفْضَلُ اسْتِخْدَامُهُ فِي الْكَعْكِ وَالْفَطَائِرِ وَالْخُمُورِ الْمَحْلُولَةِ بِالْعَسَلِ.

هَآكِ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَشْمِي رَائِحَتَهُ الْخُلُوةَ»، وَتَرْكُتُهَا تَتَشَمَّمُ ثُمَّ أَرْسَلَتْهَا تَصْعَدُ السُّلَّمُ لِتَجِدَ قَارُورَةً زُجَاجِيَّةً حُمْرَاءَ. «هَذَا سُمٌّ أَقْسَى، لَكِنَّهُ بِلَا طَعْمٍ أَوْ رَائِحَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ إِخْفَاؤُهُ أَسْهَلُ. يُسَمُّونَهُ دُمُوعَ لَيْسٍ، وَيَذَوِّبُ فِي النَّبِيذِ أَوْ الْمَاءِ لِيَجْعَلَ أَمْعَاءَ الْمَرْءِ وَمَعْدَتَهُ تَتَأَكَّلُ وَيَقْتُلُهُ كَأَنَّهُ مَرِيضٌ فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ. تَشَمِّمِيهِ»، فَتَنْشَقُّ آريَا وَلَمْ تَشَمَّ شَيْئًا. ثُمَّ إِنَّ اللَّقِيطَةَ وَضَعَتْ الدُّمُوعَ جَانِبًا وَفَتَحَتْ حَرَّةً حَجْرِيَّةً مَنْتَفَخَةً قَائِلَةً: «هَذَا الْمَعْجُونُ مِثْلُ بَدْمَاءِ الْبَازِيلِيسْقِ، يُعْطِي اللَّحْمَ الْمَطْبُوخَ رَائِحَةً مَشْهِيَّةً، لَكِنْ إِذَا أَكَلَ أَفْضَى إِلَى جَنُونٍ عَنِيفٍ فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ. سَتَجِدِينَ الْفَأَرَ يُهَاجِمُ الْأَسَدَ إِذَا ذَاقَ دِمَاءَ الْبَازِيلِيسْقِ».

مَضَعَتْ آريَا شَفْطَهَا مَتَسَائِلَةً: «هَلْ يَصْلُحُ مَعَ الْكَلَابِ؟».

أَجَابَتْ اللَّقِيطَةُ: «مَعَ كُلِّ حَيَوَانٍ حَارِ الدِّمَاءِ»، وَصَفَعَتْهَا.

رَفَعَتْ يَدَهَا إِلَى وَجْهِهَا شَاعِرَةً بِالذَّهْشَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْأَلَمِ، وَقَالَتْ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هَذَا؟».

- «آريَا سَلِيلَةُ عَائِلَةٍ سِتَارِكٍ هِيَ مَنْ تَمَضُّعُ شَفْطِهَا مَتَى فَكَّرَتْ. هَلْ أَنْتِ آريَا سَلِيلَةُ عَائِلَةٍ سِتَارِكٍ؟».

رَدَّتْ غَاضِبَةً: «أَنَا لَا أَحَدٌ. مَنْ أَنْتِ؟».

لَمْ تَتَوَقَّعْ أَنْ تُجِيبَهَا اللَّقِيطَةُ، لَكِنَّهَا فَعَلَتْ. «وُلِدْتُ طِفْلَةً وَحِيدَةً فِي عَائِلَةٍ عَرِيقَةٍ وَكُنْتُ وَرِثَةً أَبِي النَّبِيلِ. مَاتَتْ أُمِّي فِي صِغَرِي وَلَا أَذْكُرُهَا، وَحِينَ كُنْتُ فِي السَّادِسَةِ تَزَوَّجَ أَبِي ثَانِيَةً، وَعَامَلْتَنِي زَوْجَتُهُ الْجَدِيدَةُ بِطَبِيبَةٍ إِلَى أَنْ أَنْجَبَتْ ابْنَةً مِنْ لَحْمِهَا وَدَمِهَا، وَعِنْدَهَا أَرَادَتْنِي أَنْ أَمُوتَ كَمَا تَرِثُ ابْنَتُهَا ثَرَوَةَ أَبِي. كَانَتْ لِتَسْعَى إِلَى عَطِيَّةِ الْإِلَهِ عَدِيدِ الْوُجُوهِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتَحَمَّلِ التَّضَحِيَةَ الَّتِي كَانَ لِيَطْلُبَهَا مِنْهَا، وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ خَطَرَ لَهَا أَنْ تُسَمِّمَنِي بِنَفْسِهَا. تَرَكْنِي السُّمُّ كَمَا تَرِينَنِي الْآنَ لَكِنْنِي لَمْ أُمْتُ، وَلَمَّا أَخْبَرَ الْمُعَالِجُونَ فِي (بَيْتِ الْأَيْدِي الْحُمْرَاءِ) أَبِي

بما فعلته جاء هنا وقدّم قربانًا، عارضًا ثروته بأكملها ومعها أنا، وأجاب هو ذو الوجوه العديدة دُعاءه وجيء بي إلى المعبد لأخدم، وتلقت زوجة أبي الهدية». تفرّست آريا فيها بحذرٍ سائلةً: «أهذه حكاية حقيقية؟».

- «فيها حقيقة».

- «وأكاذيب أيضًا؟».

- «هناك نقيض للحقيقة، وهناك مبالغة».

كانت تُراقب وجه اللقيطة طيلة الوقت وهي تحكي قصتها، إلا أن أمارّة لم تظهر على وجه الفتاة الأخرى. قالت لها: «الإله عديد الوجوه أخذ ثلثي ثروة أبيك وليس كلها».

- «بالضبط، هذه هي المبالغة».

ارتسمت على وجه آريا ابتسامة عريضة، ثم إنها أدركت أنها تبتسم فقرصت وجنتها، وقالت لنفسها: تحكّمي في وجهك. ابتسامتي خادمتي، ويجب أن تأتي بأمرٍ فقط. «وما الكذبة؟».

- «لا كذبة. لقد كذبتُ بشأن الكذب».

- «حقًا؟ أم أنكِ تكذبين الآن؟».

لكن قبل أن تُجيبها اللقيطة دخلَ الرَّجل الطيّب الحُجرة مبتسمًا، وقال: «عُدتِ إلينا».

- «القمر أسود».

- «نعم. ما الأشياء الثلاثة الجديدة التي تعلّمتِها ولم تكوني تعلمينها لما تركتينا؟».

كادت تقول: أعلمُ ثلاثين شيئًا جديدًا، وأجابت: «ثلاثة من أصابع ناربو الصّغير لا تنثني، ويُريد أن يُصبح ملاحًا».

- «جيد أن تعلمي هذا. وماذا أيضًا؟».

استرجعت أحداث يومها في رأسها، ثم قالت: «كوينس وآلاكو تشاجرا وتركنا (السّفينة)، لكنني أظنّ أنهما سيعودان».

- «تظنّين فقط أم تعلمين؟».

قالت مضطّرةً على الرغم من يقينها: «أظنّ فقط». الممثّلون يحتاجون إلى كسب رزقهم كغيرهم، وكوينس وآلاكو لا يصلحان كفاية لـ (القنديل الأزرق).

قال الرَّجل الطيّب: «بالضبط. والشّيء الثالث؟».

هذه المرّة أجابت بلا تردّد: «داريون مات، المغيّبي الأسود الذي ينام في (الميناء السّعيد). كان متهرّبًا من حرس اللّيل في الحقيقة. أحدهم ذبحه وألقاه في

القناة، لكنه احتفظَ بحذائه».

- «العثور على الأحذية الجيدة صعب».

قالت محاولةً الحفاظ على جمود ملامحها: «بالضبط».

- «تُرى من فعلَ هذا؟».

- «آريا سلية عائلة ستارك». كانت تُراقب عينيه وفمه وعضلات فكِّه.

- «تلك الفتاة؟ حسبتها غادرت (برافوس). مَنْ أنتِ؟».

- «لا أحد».

ردّ: «تكذابين»، والتفتَ إلى اللَّقِيطَة قائلاً: «خَلقي جاف. أسدي لي صنيعةً واجلبي لي كوبًا من التَّبِيدِ وحليبًا دافئًا لصديقتنا آريا التي رجعت إلينا على غير توقّع».

في طريقها عبر المدينة تساءلت آريا عمّا سيقوله الرَّجُل الطَّيِّب عندما تُخبره بأمر داريون. ربما يغضب منها، أو ربما يُسرُّ لأنها أعطت المغنيّ هديّة الإله عديد الوجه.

عشرات المرات دَوَّرت هذا الحديث في مخيلتها كممثل في مسرحيّة، لكن ما لم يخطر لها هو الحليب الدّافئ! حين وصلَ الحليب شربته آريا، وكانت له رائحة محروقة بعض الشيء وخلف في فمها مذاقًا مُرًّا.

قال لها الرَّجُل الطَّيِّب: «اذهبي إلى النّوم الآن أيتها الصّغيرة. غدًا واجبك أن تخدمي».

ليلتها حلّمت من جديدٍ بأنها ذئبة، لكن حُلْمها هذا كان مختلفًا عن الأحلام الأخرى. في هذا الحُلْم لم يكن لها قطيع، وراحت تمضي وحيدةً، تجري فوق أسطح المباني وتمشي بصمتٍ على ضفاف قناةٍ متربّصةٍ بظلالٍ في الضباب. ولمّا استيقظت في الصّباح التّالي وجدت نفسها عمياء.

سامويل

(ريـح القرفة) سـفينة بجـعـيـة مـن (بـلـدة الأشـجار الطـويلـة) فـي (جُـزـر الصَّيـف)، حـيـث الرِّجـال سُود والنِّسـاء لعـوبـات والآلـهـة ذاتـها غـريـبـة، وـلـيـس عـلـى الـمـتـن سـيـتـون يـقـودهم في صـلاة الجـنازة، فـوقـعت المـهـمـة عـلـى عاتق سامويل تارلي في مكانٍ ما عند ساحل (دورن) الجنوبي المتلطي بالشمس.

ارتدى سام ثيابه السوداء الثقيلة من أجل التَّأبين، على الرغم من حرارة الأصيل ورطوبته وغياب نفحات الرِّيح إلَّا قليلًا. استهلَّ كلامه قائلاً: «كان رجلًا صالحًا...» لكن ما إن خرجت الكلمات من فمه حتى علم أنها خطأ. «لا، بل كان رجلاً عظيمًا. كان مايسـتر من (القلعة)، مسـلـسـًا ومـحـلِّقًا، وأخـًا فـي حـرس الـلـيل شـيـمته الإخلاص. حين وُلِدَ أطلقوا عليه اسم بطل مات في ريعان الشَّباب، ومع أنه عاشَ طويلًا جدًّا فحياته لم تكن أقلَّ بطولَةً. لم يكن هناك رجل أكثر منه حكمةً أو حنانيًا أو طيبةً. لقد عرفَ (الجدار) دسـتـةً من القادة الذين أتوا وذهبوا خلال سنين خدمته، لكنه كان موجودًا دومًا لِيُسدِّدهم النَّصيحة، بل وكان ناصحًا لملوكٍ أيضًا.

كان بإمكانه أن يكون هو نفسه ملـكًا، لكن لمَّا عرضوا عليه التَّاج قال إن عليـهم أن يُعطوه لأخيـه الصَّغـير. كم رجـلًا يُمكنه أن يفعـل شـيـئًا كـهـذا؟». أحـسَّ سـام بـالعـبرات تـتـرقـرق فـي عـيـنيه، فـأدرك أنـه لا يـقـدر عـلـى الـاسـتـمرار طويـلًا، وختـمَ بقولـه: «كان مـن دم التَّيـن، لكن نيرانـه هـمـدت. كان إيـمـون تـارـجـاريـن، والآن انتـهت حـراسـته».

تمتَّ جيلي بَعده وهي تُهزِّه الرِّضيع بين ذراعيها: «والآن إنتهت حراسته»، وردَّت كـوچا مـو الكـلمات بـلغة (وسـتـروس) العامية ثم كرَّرتها بـلغة الصَّيف لزوندو وأبيها وبقيَّة الطاقم المجتمع. طأطأ سام رأسه وانفجر في البكاء، نحيبه عالٍ عنيف لدرجة هزَّت جسده كله، فذهبت جيلي إليه ووقفت إلى جواره تاركةً إياه يبكي على كتفها، وقد اغرورقت عيناها بالدموع أيضًا.

الهواء رطب دافئ ساكن تمامًا، و(ريح القرفة) طافية على صفحة بحر أزرق عميق بعيدًا تمامًا عن اليابسة. قال زوندو: «سام الأسود قال كلمات جيِّدة. الآن نشرب لحياته»، وزعق بشيءٍ ما بـلغة الصَّيف، فجيءَ ببرميل من الرَّم المتبل إلى مؤخِّرة السفينة، وفُتِحَ ليشرب الحاضرون كوبًا في ذكرى التَّيْن العجوز الكفيف الذي لم يعرفه الطاقم إلَّا فترةً قصيرةً، لكن بني (جُـزـر الصَّيـف) يُوقِرون المسنِّين ويحتفون بموتاهم.

لم يشرب سام الرَّم من قبل، ووجد الشَّراب غريبًا مسكرًا، حُلواً في البداية لكنه

يترك على اللسان مذاقاً نارياً لسع فمه. كم هو متعب. كل عضلة في جسده تؤلمه، وثمة آلام أخرى في مواضع لم يكن يعلم أن فيها عضلات، وركبتاه متخشبتان، ويداه تُعْطِيهما قروح جديدة ورُقْع لزجة رطبة من الجلد حيث انفتحت القروح القديمة، وإن كان يبدو أن الشراب والحزن معاً يُزيحان ألمه. قال لجيلي بينما يرشغان من الرّم فوق سلوقيّة (ريح القرفة) العالية: «لو استطعنا فقط أن نأخذه إلى (البلدة القديمة) فلربما أنقذه رؤساء المايسترات. مُعالجو (القلعة) هم الأفضل في (الممالك السبع) كلّها. لفترةٍ حسبت... أملت...».

في (برافوس) بدا تماثل إيمون للشيّفاء ممكناً، وخيّل إلى سام أن حديث زوندو عن الثّنانين يكاد يُعيد العجوز إلى طبيعته. ليلتها أكل كلّ لُقمة وضعها سام أمامه، وقال: «لا أحد بحث عن فتاة قط. كان الموعد أميراً لا أميرة. اعتقدت أنه ريجار... الدُّخان كان من الحريق الذي التهم (قلعة الصّيف) يوم مولده، والملح من دموع من بكوا الموتى. كان يُشاركني اعتقادي في صِغره، وإن بات لاحقاً على قناعة بأن النبوءة تتحقق في ابنه لا فيه هو، ذلك أن مذنباً شوهد فوق (كينجز لاندنج) ليلة حبلت إليا بإجون، وريجار كان واثقاً بأن النّجم التّازف ما هو إلا مذنب. كم كنا حمقى إذ خلنا أنفسنا آية في الحكمة! الخطأ ناجم عن التّرجمة. الثّنانين ليست ذكوراً أو إناثاً، وقد رأى بارث حقيقة هذا، وإنما هكذا لحظة وهكذا لحظة، كاللّهب دائمة الثّقْلَب. اللّغة ضللتنا جميعاً طيلة ألف عام. دنيرس هي الموعودة المولودة وسط الملح والدُّخان، والثّنانين تثبت هذا». بدا أن مجرد الكلام عنها يجعله أقوى. «يجب أن أذهب إليها، يجب! ليتني كنت أصغر عشرة أعوامٍ فقط».

كان العجوز عاقد العزم حتى إنه صعد على لوح العبور إلى متن (ريح القرفة) على قدميه بعد أن اتّفق سام على رحلتهم. قبلها كان سام قد أعطى زوندو سيفه وغمده بالفعل، تعويضاً لوكيل الرّبّان الكبير عن المعطف الرّيش الذي تلف حين نجده من الغرق. الشّيء الوحيد ذو القيمة الذي تبقى لهم بعدها هو الكُتب التي أتوا بها من أقبيّة (القلعة السوداء)، وقد تخلى سام عنها بكأبة، وردّ عن دما سألته زوندو عن سبب عبوسه: «كأن المفتاح أن نأخذها إلى (القلعة)»، ولمّا ترجم الوكيل ردّه ضحك الرّبّان، ثم قال له زوندو مترجماً: «كاهورو مو يقول إن الرّجال الرّماديين سيحصلون على هذه الكُتب، لكن الفرق أنهم سيشترونها الآن من كاهورو مو. المايسترات يدفعون فضة جيّدة مقابل الكُتب التي ليست عندهم، وأحياناً الذهب الأحمر والأصفر».

أراد الرّبّان سلسلة إيمون أيضاً، إلّا أن سام رفض وشرح أنه عار عظيم أن يتخلّى أيّ مايستر عن سلسلته، واضطرّ زوندو إلى تكرار هذا الجزء ثلاث مرّات حتى قبل كاهورو مو، ولدى إبرام الاتّفاق لم يعد سام يملك إلّا حذاءه وثيابه السوداء وملابسه التّحتيّة والبوق المكسور الذي وجدّه چون عند (قبضة البشر الأوائل).

قال لنفسه: لم أملك الخيار. لم نكن نستطيع البقاء في (برافوس)، وما لم نلجأ إلى السرقة أو الشجادة فلم يكن هناك سبيل آخر لدفع ثمن الرحلة. كان ليعدّ التكلفة رخيصةً حتى إذا دفعوا ثلاثة أضعاف لو أنهم فقط نجحوا في أخذ المايستر إيمون بأمانٍ إلى (البلدة القديمة).

غير أن الرحلة إلى الجنوب كانت عاصفةً، وخصمت كل هبة ريح من قوة العجوز ومعنوياته. في (پنتوس) طلب أن يأخذه سام إلى السطح ليرسم له صورة للمدينة بكلماته، لكنّها كانت آخر مرة يبرح فيها فراش الربّان، وسرعان بعدهما بدأ عقله يتوه من جديد، ولدى مرور (ريح القرفة) بـ(البرج النّازف) لتدخل ميناء (تايروش) كان إيمون قد كفّ عن الكلام عن محاولة العثور على سفينته تحملّه شرقاً، وبدلاً من ذلك تحوّل كلامه إلى (البلدة القديمة) ورؤساء المايسترات في (القلعة)، وقال: «يجب أن تُخبرهم يا سام، يجب أن تُخبر رؤساء المايسترات، يجب أن تجعلهم يفهمون. الرجال الذين كانوا في (القلعة) وقت وجودي هناك ماتوا من ذ خمسـين عاماً. أولئك الآخرون لم يعرفوني قط. رسائلتي... لا بُدّ أنهم حسـبوها في (البلدة القديمة) هـذيان شـيخ فقـد عقله. يجب أن تُقنعهم بما فشلت في إقناعهم به. أخبرهم يا سام... أخبرهم بالوضع على (الجدار)... الجثث الحيّة والمشاة البيض والبرد الزّاحف...».

وعده سام قائلاً: «سأفعل، سأضمّ صوتي إلى صوتك أيها المايستر. كلانا سيُخبرهم، نحن الاثنان معاً».

ردّ العجوز: «لا، يجب أن تُخبرهم أنت. أخبرهم. النبوءة... حلم أخي... الليدي مليساندرا أساءت تفسير العلامات. ستانيس... ستانيس في عروقه القليل من دماء التّين، نعم، وأخواه أيضاً. رايلا ابنة إيج الصّغيرة، ورثوها عن طريقها... أم أبيهم... اعتادت أن تُناديني بالعم المايستر في طفولتها. تذكّرتُ هذا فسمحتُ لنفسني بالأمل... ربما أردتُ أن... كلنا نخدع أنفسنا عندما نريد أن نصدّق شيئاً، بالذات مليساندرا على ما أظن. السيف ليس سليماً، يجب أن تعلم هذا... ضوء بلا حرارة...

سيجر فارغ... السيف ليس سليماً، ولا يُمكن للضوء الزائف إلّا أن يتوغّل بنا في الظلمات أكثر يا سام. دنيرس أملنا. أخبرهم بهذا في (القلعة)، اجعلهم يُصغون.

يجب أن يُرسِلوا إليها مايستر. لا بُدّ من نصّح دنيرس وتعليمها وحمايتها. طيلة هذه الأعوام عشتُ وانتظرتُ وراقبتُ، ثم يأتي اليوم المنتظر وقد طعنتُ في السن.

إنني احتضرُ يا سام». سالت الدّموع من عيني إيمون البيضـاوين مع هذا الاعتراف، وتابع: «لا يُفترَض أن يُخيف الموت

عجوزًا مثلي، لكنه يُخيفني. أليس هذا سخيًّا؟ إنني أعيش في ظلام دامس، فلم أخشى الظلام؟ ورغم ذلك لا أستطيع إلا أن أتساءل عما سيأتي عندما يتسرَّب الدِّفء كله من جسدي. هل سأحتفلُ إلى الأبد في بهو (الأب) الذهبي كما يقول السيِّتونات؟ هل سأتكلمُ مع إج ثانيةً وأجدُ داريون سليمًا سعيدًا وأسمعُ أختي تَغَيَّان لأطفالهما؟ ماذا لو كانت الحقيقة عند سادة الخيول؟ هل سأركبُ في سماء الليل إلى الأبد على صهوة جوادٍ من لهب؟ أم سأعودُ ثانيةً إلى وادي الآلام هذا؟ مَنْ يدري حقًّا؟ مَنْ اجتازَ جدار الموت ليرى؟ فقط الجثث الحيَّة، ونحن نعلم ماهيتها، نحن نعلم.

لم يجد سام إلا القليل ليقوله ردًّا، لكنه واسى العجوز قدر المس تطاع، ثم جاءت جيلي بعدها وغتت له أغنيَّة بلا معنى تعلمتها من بعض زوجات كراس-تر الأخريات، لكنها جعلت العجوز يتسم وساعدته على الخلود إلى التَّوم.

كان هذا واحدًا من آخر أيامه الجيدة، وبعدها قضى العجوز فتراتٍ أطول في التَّوم أكثر من اليقظة، وقد تمدَّد تحت كومةٍ من الأغصان الفرو في قمرة الرُّبان. أحيانًا كان يُتمِّم في نومه، وحين يستيقظ يطلبُ سام قائلًا بإصرار إن عليه أن يُخبره بشيء، لكن في أغلب الأحيان كان ينسى ما أراد أن يقوله لدى وصول سام، وحتى حينما يتذكر كإن كلامه مرتبًا مشوشًا. تكلَّم عن أحلام لكنه لم يذكر الحالم، وتكلَّم عن شـمعة زُجاجية غير قابلةٍ للإشعال وبيضاتٍ لا تفقـس، وقال إن أبـا الهول هو الأحجية لا صانع الأحاجي (أيًا كان ما يعنيه ذلك)، وطلبَ من سام أن يقرأ له من كتابٍ للسيِّتون بارث الذي أحرقت كتاباته في عهد بيلور المبارك، وفي مرَّةٍ استيقظ باكياً وولول: «لا بدَّ أن تكونَ للثَّنين ثلاثة رؤوس، لكنني أكثر هرمًا ووهنًا من أن أكون أحدها. كان يجب أن أكون معها لأريها الطريق، لكن جسدي خائني».

إذ شقَّت (ريح القرفة) طريقها عبر (الأعتاب) صارَ المايستر إيمون ينسى اسم سام أكثر الوقت، وأحيانًا حسبَه أحد إخوته الموتى.

أعلى السلوقيَّة بعد رشفةٍ أخرى من الرَّم قال لـسام لـجـيلي: «كان أضعف من أن يحتمل رحلةً طويلةً كهذه. كان على جون أن يتوقَّع هذا. إيمون كان عُمره مئةً واثنين عام، وما كان يجب إرساله إلى البحر على الإطلاق. لو ظلَّ في (القلعة السوداء) فلربما عاشَ عشرة أعوامٍ أخرى».

- «أو لكانت المرأة الحمراء قد أحرقتَه». حتى هنا على بُعد ألف فرسخ من (الجدار) تعرض جيلي عن لفظ اسم الليدي مليساندرا. «لقد أرادت دم الملوكة من أجل نيرانها. قال كانت تعلم هذا، وكذا اللورد سنو، ولذا جعلاني آخذُ ابن دالا وأتركُ ابني في مكانه. المايستر إيمون نام ولم يصحَّ ثانيةً، لكن لو مكثَ هناك لأحرقتَه».

فَكَرَّ سَامُ بِبُؤْسٍ: مَا زَالَ سَيَحْتَرِقُ. الْفَرْقُ أَنَّ عَلِيَّ أَنَا أَنْ أَفْعَلَهَا الْآنَ. اعْتَادَ آلُ تَارْجَارَيْنَ دَوْمًا إِطْعَامَ النَّارِ بِمَوْتَاهُمَا، لَكِنْ كَاهُورُو مَوْ لَمْ يَسْمَحْ بِإِشْعَالِ مُحْرِقَةِ جَنَازَةٍ عَلَى مَتْنِ (رِيحِ الْقَرْفَةِ)، فَوُضِعَ جُثْمَانُ إِيْمُونِ فِي بَرْمِيلٍ مِنْ رَمِّ التُّوتِ الْأَسْوَدِ لِحَفْظِهِ حَتَّى تَبْلُغَ السَّفِينَةُ (الْبَلَدَةَ الْقَدِيمَةَ).

وَاصَلَتْ جِيلِي: «فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ لِمَوْتِهِ سَأَلَنِي أَنْ أَتْرَكَهُ يَحْمِلُ الصَّبِيَّ. خَشِيتُ أَنْ يُسْقِطَهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، بَلْ هَزَهَزَهُ وَدَنَدَنَ لَهُ أَغْنِيَّةً، وَرَفَعَ ابْنَ دَالَا يَدَهُ وَمَسَّ وَجْهَهُ وَشَدَّ شَفْتَهُ بِطَرِيقَةٍ جَعَلْتَنِي أَحْسِبُهُ يُؤْلِمُهُ، لَكِنْ الْعَجُوزُ ضَحَكَ فَقَطْ»، وَمَلَسَتْ عَلَى يَدِ سَامٍ مُرْدِفَةً: «يُمْكِنُنَا أَنْ نُسَمِّيَ الصَّغِيرَ مَائِسْتَرَ إِذَا أَرَدْتَ، عِنْدَمَا يَكْبُرُ، لَيْسَ الْآنَ، لَكِنْ يُمْكِنُنَا هَذَا».

- «مَائِسْتَرُ لَيْسَ اسْمًا، لَكِنْ يُمْكِنُنَا أَنْ نُسَمِّيَهُ إِيْمُونًا».

فَكَرَّتْ جِيلِي لِحِظَةٍ، ثُمَّ قَالَتْ: «دَالَا وَلَدَتَهُ فِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ بَيْنَمَا تُغَيِّي السُّيُوفَ حَوْلَهَا. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اسْمُهُ، إِيْمُونُ وَلِيدُ الْمَعْرَكَةِ، إِيْمُونُ أَغْنِيَّةُ الْفُولَادِ».

اسْمُ رِبْمَا يُعْجِبُ أَبِي نَفْسَهُ، اسْمُ مُحَارِبٍ. فِي الزَّيْهَائَةِ الصَّبِيَّ ابْنُ مَرَانَسٍ رَايَ دَرَّ وَحَفِيْدَ كِرَاسِ تَرَّ، وَلَيْسَ فِي عُرُوقِهِ قَطْرَةٌ مِنْ دَمَاءِ سَامِ الْجَبَانَةِ. «نَعَمْ، لَيْكُنْ هَذَا اسْمُهُ».

وَعَدَتْهُ قَائِلَةً: «عِنْدَمَا يَبْلُغُ الثَّانِيَةَ وَلَيْسَ قَبْلَ هَذَا».

خَطَرَ لِسَامٍ أَنْ يُسْأَلَ: «أَيْنَ الصَّبِي؟». بَيْنَ الرَّمِّ وَالْأَسَى اسْتَغْرَقَ كُلُّ هَذِهِ الْمَدَّةِ حَتَّى أَدْرَكَ أَنَّ الرِّضِيعَ لَيْسَ مَعَ جِيلِي.

- «مَعَ كُوجَا. طَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تَأْخُذَهُ قَلِيلًا».

- «أَوْه». كُوجَا مَوْ ابْنَةُ الرَّبَّانِ، أَطْوَلُ قَامَةٍ مِنْ سَامٍ وَمَمْشُوقَةٌ الْقَوَامِ كَالْحَرْبَةِ وَلَيْهَا بَشِيرَةٌ مَلْسَاءٌ كَالْكَهْرْمَانِ الْأَسْوَدِ الْمَصْقُولِ. تَقْوِدُ الْفَتَاةَ زُمَاةَ السَّفِينَةِ الْحُمْرِ أَيْضًا، وَتَحْمِلُ قَوْسًا مَزْدُوجَ الْمَنْحَنِ مِنْ خَشَبِ الْقَلْبِ الذَّهَبِيِّ بِإِمكَانِهَا أَنْ تُطْلِقَ مِنْهُ السِّهَامَ حَتَّى مَسَافَةً أَرْبَعِمِائَةٍ يَارِدَةً، وَحِينَ هَاجَمَهُمُ الْقِرَاصِنَةُ فِي (الْأَعْتَابِ) أَرَدَتْ سِهَامَ كُوجَا دَسْتَةً مِنْهُمْ فِي حِينَ سَقَطَتْ سِهَامُ سَامٍ فِي الْمَاءِ. الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي تَحِبُّهُ كُوجَا أَكْثَرَ مِنْ قَوْسِهَا هُوَ هَزَهَزَةُ ابْنِ دَالَا عَلَى رُكْبَتِهَا وَالْغَنَاءُ لَهُ بِلُغَةِ الصَّيْفِ، وَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ الْهَمْجِي مَحْبُوبَ جَمِيعِ نِسَاءِ الطَّاقَمِ، وَيَبْدُو أَنَّ جِيلِي تَأْتَمِنُهُنَّ عَلَيْهِ كَمَا لَمْ تَأْتَمِنْ أَيُّ رَجُلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

قَالَ سَامُ: «هَذَا لَطْفٌ مِنْ كُوجَا».

- «كُنْتُ أَخَافُهَا فِي الْبَدَايَةِ. إِنَّهَا سُودَاءُ جَدًّا وَأَسْنَانُهَا كَبِيرَةٌ وَبَيَضَاءُ جَدًّا، فَخَشِيتُ أَنَّهَا مَسْخٌ أَوْ وَحْشٌ مَا، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ. إِنَّهَا طَيِّبَةٌ وَأَحَبُّهَا».

- «أَعْرِفُ هَذَا». الرَّجُلُ الْوَحِيدُ الَّذِي عَرَفَتْهُ جِيلِي مَعْظَمَ حَيَاتِهَا كَانَ كِرَاسْتَرُ الْمَخِيفِ، أَمَّا بَقِيَّةُ عَالَمِهَا فَإِنَاثُ. الرَّجَالُ يُخَيِّفُونَهَا وَالنِّسَاءُ لَا. إِنَّهُ يَفْهَمُ هَذَا. فِي

(هورن هيل) كان سام يُفَضِّلُ صُحبة الفتيات أيضًا وعاملته أخواته بطيبة، وعلى الرغم من أن الفتيات الأخريات كن يسخرن منه أحيانًا فتجاهل الكلمات القاسية كان أسهل من الضربات واللطمات التي تلقاها من صبية القلعة. حتى هنا والآن على متن (ريح القرفة) يَشْعُرُ سام بالارتياح لكوجا مو أكثر من أبيها، ولو أن السَّبب ربما يكون أنها تتحدَّث العامية ولا يتحدثها هو.

همست جيلي: «وأحبُّك أيضًا يا سام. وأحبُّ هذا الشراب، إن مذاقه كالنَّار».

نعم، شراب يليق بتنين. فرغ كوابهما فذهبا سام إلى البرميل وملاهما ثانية. رأى أن الشمس انخفضت في الغرب وتضخمت إلى ثلاثة أضعاف حجمها، وقد جعل نورها الضارب إلى الحمرة وجه جيلي يبدو مخضبًا بالأحمر. شربا كوجا لكوجا مو وواحدًا لابن دالا وواحدًا لابن جيلي على (الجدار)، وبعدها لم يكن هناك مفر من أن يشربا كوين لإيمون سليل عائلة تارجارين، ثم قال سام متنشِّقًا: «عسى (الأب) أن يحكم عليه بالعدل». كانت الشمس قد أوشكت على الغياب تمامًا حين فرغا من المايستر إيمون، ولم يتبق إلا خط أحمر رفيع يتوهج في الأفق الغربي كشقٍّ طويل في السماء. قالت جيلي إن الشراب يجعل السفينة تميد بها، فساعدها سام على نزول السلم إلى مسكن النساء تحت المقدِّمة.

ثمّة مصباح معلق داخل باب القمرة مباشرةً، وقد اصطدم رأسه به وهو يدخل، فقال: «أوا!»، وقالت جيلي: «هل جُرحت؟ دعني أري»، ومالت عليه...
... وقبّلته على فمه.

ووجد سام نفسه يُقبِّلها أيضًا. قال لنفسه: لقد حلفتُ اليمين، لكن يديها كانتا تشدَّان معطفه الأسود وتحلَّان أربطة سراويله، فقطعَ القُبلة قائلاً: «لا يُمكننا»، إلا أن جيلي ردَّت: «بـل يُمكننا»، ومرةً أخرى غطَّت ثغره بثغره. من حولهما دارت (ريح القرفة)، وذاق سام طعم الرَّم على لسان جيلي، وإذا بثديها عاريان ويتحسَّسهما. ثانيةً قال لنفسه: لقد حلفتُ اليمين، لكن إحدي حلمتيها وجدَّت طريقها إلى مابين شفتيه. كانت وردية منتصبةً، وحبين مصَّة ملاً لبنها فمه ممزجًا بمذاق الرَّم، ولم يتذوق سام في حياته كلِّها شيئًا بهذا الجمال أو الحلاوة أو الروعة. فكَّر: إذا فعلتُ هذا فلستُ أفضل من داريون، لكنه يشعُر بمتعة أعجزته عن التَّوقف. وفجأةً كان ذكره خارج سراويله منتصبًا كسارية وردية غليظة، يبدو سخيًّا للغاية حتى إن سام كان ليضحك، لكن جيلي دفعتَه على ظهره فوق سريرها القش ورفعت ثورتها حول فخذيها وأنزلت نفسها عليه مطلقَةً آهةً ناعمةً، وكان هذا أفضل وأفضل من حلمتيها، وقال سام لنفسه شاهقًا: إنها مبتلةٌ للغاية. لم أعرف قط أن امرأةً يُمكن أن تبتل هكذا هناك. همست منزلةً إلى أعلى وأسفل: «أنا زوجتك الآن»، وتأوّه سام وقال في

أعماقه: لا، لا، لا يُمكنك أن تكوني زوجتي، لقد حلفتُ اليمين، حلفتُ اليمين، لكن الكلمة الوحيدة التي بدرت منه هي «نعم».

بعدها غابت في النوم مطوّقة إياه بذراعيها ورأسها على صدره. يحتاج سام إلى النوم أيضًا، لكنه ثمل بالرّم ولبن الأم وجيلي. يعلم أن عليه أن يعود إلى سريره المعلق في قمرة الرّجال، غير أنه شعور رائع أن تلتصق به هكذا، وبشكلٍ ما لا يقوى على الحركة.

دخل آخرون القمّرة، رجال ونساء، وسَمَعَهُمْ يُقَبِّلُ بعضَهم بعضًا ويضجّون ويتطارحون الغرام. بنو (جزر الصّيْف)، هكّذا يُعَلِنون الـجِدَاد، يردّون على الموت بالحياة. قرأ سام هذا في مكانٍ ما منذ فترةٍ طويلة، ويتساءل إن كانت جيلي تعرفه، إن كانت كوچا مو قد أخبرتها بما تفعله.

تنسّم عبير شعرها وحدّق إلى المصباح المتأرجح بالأعلى مفكّرًا: (العجوز نفسها لا تستطيع أن تُخرجني بأمانٍ من هذا المأزق. أفضل ما يستطيع أن يفعله الآن أن ينسلّ مبتعدًا ويُلقِي نفسه في البحر. إذا غرقتُ فلن يعلم أحد أبدًا أنني أخزيتُ نفسي وحنثتُ بقسمي، وستجد جيلي لنفسها رجلًا أفضل ليس جبانًا بديئًا.

استيقظ في اليوم التّالي في سريره المعلق في قمرة الرّجال على صوت زوندو يجأر بشأن الرّيح، وظلّ وكيل الرّبّان يزعم: «الرّيح تهبُّ! الرّيح تهبُّ! استيقظ واعمل يا سام الأسود! الرّيح تهبُّ!». ما يفتقر إليه زوندو من مفردات عاميّة (وستروس) يُعوّضه بصوته الجهوري. نهض سام من سريره وشعرَ بالندم في الحال. رأسه كأنه سينفلق، وأحد القروح في كَفِّه انفتح ليلاً، ويحس كأنه على وشك التّقْيُوء.

لكن زوندو بلا رحمة، ولم يستطع سام إلّا أن يرتدي ثيابه السّوداء بصعوبة. وجدها على الأرض تحت السّرير المعلق في كومةٍ رطبة، وتشمّمها ليري مدى سوء رائحتها، فاستنشق روائح الملح والبحر والقطران والأشربة المبتلة والعفن الفطري والفاكهة والأسماك ورَم الثّوب الأسود، وتوابل غريبة وأخشابًا عجيبة، وقدراً وفيراً من عرق جسده الجاف، لكن في ملابسه رائحة جيلي أيضًا، رائحة شعرها النّظيفة ورائحة لبنها الحلو، ولذا ارتداها مسرورًا. كان ليدفع ثمنًا كبيرًا مقابل جوربٍ جافٍ ثقيل، إذ بدأ نوع ما من الفطر ينمو بين أصابع قدميه.

لم يكن صندوق الكُتب كافيًا على الإطلاق كَثْمَن رحلةٍ لأربعة من (برافوس) إلى (البلدة القديمة)، على أن (ريح القرفة) تُعاني نقصًا في الأيدي العاملة، وهكذا وافق كاهورو مو على أن يأخذهم على المتن شريطة أن يعملوا في الطريق، ولمّا احتجّ سام قائلاً إن المايستر إيمون ضعيف للغاية والصّبي ما زالَ رضيعًا وجيلي مرعوبة من البحر، ضحك زوندو وردّ: «سام الأسود رجل كبير بدين، سام الأسود سيعمل لأربعة».

الحقيقة أن سام أخرق لدرجة أنه يشك في قيامه بعمل فريد واحد جيد، لكنه يحاول رغم ذلك، فيُنظف سطح السفينة ويحكه بالحجارة، ويسحب سلاسل الرسو، ويلف الحبال، ويصطاد الجرذان، ويرتق القلوع الممزقة، ويسد الثغرات في الخشب بالقطران المغلي، وينزع أشواك السمك ويُقطع الفواكه للطاهي. وجيلي أيضًا تُحاول، كما أنها أبرع منه في لف حبال الأشرعة، وإن كان منظر المياه الخالية يجعلها تُغلق عينيها من حين إلى حين.

جيلي، ماذا أفعل مع جيلي؟ هذا النهار طويل لزج، وجعله رأس سام الذي لم يكف عن الدق أطول وأطول. شغل نفسه بالحبال والأشرعة والواجبات الأخرى التي كلفه بها زوندو، وحاول ألا يترك عينيها تخونانه وتذهب إلى برميل الرم الذي يحوي جثة المايستر إيمون... أو إلى جيلي. لا يستطيع أن يواجه الفتاة الهمجية الآن بعد ما فعلاه ليلة البارحة.

حين تصعد إلى السطح ينزل، حين تذهب إلى الأمام يذهب إلى الخلف، حين تبسم له يُشيع بوجهه شاعرًا بالتعاسة. كان يجدر بي أن أثب في البحر وهي نائمة.

لقد كنتُ جبانًا دومًا، لكني لم أكن حائنًا بالقسم حتى الآن.

لو لم يمّت المايستر إيمون لسأله سام ماذا يفعل. لو كان چون سنو على متن السفينة، أو حتى پيب وجرن، للجا إليهم، لكن بدلًا منهم هناك زوندو. لن يفهم زوندو ما أقوله، أو إذا فهم لقال لي أن أنكح الفتاة ثانية. «ينكح» هي أول كلمة تعلمها زوندو من اللغة العامية، ومغرم بقولها جدًا.

من حسن حظّه أن (رياح القرفة) سفينة كبيرة، أمّا على متن (الطائر الأسود) فكانت جيلي لتلحق به وتُحاصره في غضون لحظات. في (الممالك السبع) تُسمّى مراكب أهـل (جزر الصيـف) السفن البجعية، لقلوعها البيضاء المنتفخة وتمثيل مقدماتها التي يتخذ أكثرها أشكال طيور. على الرغم من كبر أحجامها تتركب السفن البجعية الأمواج برشاقة تخصها وحدها من دون الفلك، وما دامت تدفعها رياح سريعة قوية تستطيع (رياح القرفة) أن تسبق أيّ قادم، وإن كانت تعجز تمامًا عند سكون الأجواء... ثم إن على السفينة مواضع عدّة يستطيع أن يختبئ فيها الجبان.

قرب نهاية عمله حوَّص سام أخيرًا. كان ينزل سلّمًا عندما أطبق زوندو على ياقته قائلاً: «سام الأسود يأتي مع زوندو»، وجره عبر سطح السفينة وألقاه عند قدمي كوجا مو.

بعيـدًا إلى الشـمـال يـلـوح سـديم غـامض منخـفـض فـي الأفـق، وقد أشرّت كوجا إليه قائلة: «هذا ساحل (دورن). رمال وصخور وعقارب، ولا بُقعة صالحة للرسو بطول مئة فرسخ. يُمكنك أن

تسبح إلى هنا إذا أردت ثم تمشي إلى (البلدة القديمة).
عليك أن تقطع الصحراء الشاسعة وتتسلق بعرض الجبال وتسبح
في (التورنتين)، أو يمكنك أن تذهب إلى جيلي.»
- «لست تفهمين. ليلة أمس...».

- «... كرمتما ميتكما والآلهة التي خلقتكما. زوندو فعل المثل. كان الطفل معي،
ولولا هذا لكنت معه. أنتم معشر الوستروسيين تصمون الغرام بالعار. ليس في
الغرام عار. إذا كان سيتوناتكم يقولون هذا فلا بُدَّ أن آلهتكم شياطين. في جزرنا
نفهم أكثر منكم. الآلهة وهبت لنا سيقانًا تجري بها وأنوقًا نشمُّ بها وأيادي
نتلمس ونتحسس بها. ما الإله المتوحش المجنون الذي يُعطي المرء عيني
ويقول له إن عليه أن يُغلقهما حتي يموت ولا ينظر أبدًا إلى ما في العالم من
جمال؟ إله وحش، شيطان من الظلام»، ووضعت كوجا يدها بين ساقي سام
مضيفة: «الآلهة وهبت لك هذا لسبب أيضًا، من أجل... ما الكلمة
الوستروسيّة؟»
ساعدها زوندو قائلاً: «النكاح!».

- «نعم، من أجل النكاح، للإمتاع وإنجاب الأطفال. لا عار في هذا».
قال سام متراجعًا: «لقد حلفتُ يمينًا. لن أتخذ لنفسني زوجةً أو أنجب أولادًا.
قلتُ هذه الكلمات».

- «جيلي تعرف الكلمات التي قلتها. إنها طفلة في بعض النواحي، لكنها ليست
عمياء، تعلم لِمَ ترتدي الأسود وسبب ذهابك إلى (البلدة القديمة)، وتعلم أنها لا
تستطيع الاحتفاظ بك. إنها تُريدك فترةً قصيرةً لا أكثر. لقد فقدت أباهما وزوجها
وأُمَّها وأخواتها، فقدت بيتها وعالمها. ليس عندها الآن إلّاك والصَّغير، فاذهب
إليها أو اسبح».

رمى سام السديم الذي يُعلِّم السَّاحل البعيد بيأسٍ عالمًا أنه لا يستطيع أن
يسبح هذه المسافة.

وهكذا ذهب إلى جيلي، وقال لها: «ما فعلنا... ليو أني
أسطيع الزواج لفضلتك علي أي أميرة أو ابنة أعين، لكنني لا
أسطيع. إنني ما زلتُ غريبًا. لقد حلفتُ اليمين يا جيلي، ذهبتُ مع چون
إلى الغابة وقلتُ الكلمات أمام شجرة قلوب».

قالت جيلي ماسحةً الدُموع عن وجنتيه: «الأشجار تحرسنا، في الغابة ترى كلَّ
شيء... لكن لا توجد أشجار هنا. فقط الماء يا سام، فقط الماء».

سرسي

النَّهار بارد غائم بليلى. طيلة الصَّباح هطَلَت الأمطار بلا انقطاع، وحتى عندما توقفت أخيراً بعد الظَّهيرة رفضَ السَّحاب أن ينقشيع ولم يروا الشَّمس مرَّةً. طقس رديء لهذه الدَّرجة تكفل بثبط الملكة الصَّغيرة نفسها عن الخروج، وبدلاً من ركوب الخيل مع دجاجاتها وحاشيتهن من الحرس والمعجبين قضت النَّهار كله في (قفص العذراوات) مع الدَّجاجات في الاستماع إلى غناء الشَّاعر الأزرق. لم يكن نهار سرسي أفضل كثيراً، ثم حَلَّ المساء. إذ استحالَت السَّماء من الرَّمادي إلى الأسود أخبروها بأن (الجميلة سرسي) عادت محمولةً على تيار المساء، وبأن أوران ووترز في الخارج يطلِّب مقابلتها.

سـمحت لـه الملكة بالدُّخول فـي الحـال، ومـا كـاد يخطو إلـى عُـرْفـها الشَّمسـيَّة حتـى علـمت أنـه يحمـل نبأ سـاراً، وبابتسامةٍ عريضة قـال لـها: «(دراجونس-تون) لك يـا جـلالة الملكة».

ردَّت: «رائع»، والتقطت يديه ولثمته على الخدين، ثم قالت: «أعرفُ أن تومن سيُسَرُّ أيضاً. معنى هذا أننا نستطيع إطلاق أسطول اللورد ردواين وطرده الحديديين من (الثروس)». مع وصول كلِّ عُذافي جديد تبدو الأخبار الآتية من (المرعى) أكثر مدعاةً للقلق، فمن الواضح أن الحديديين ليسوا قانعين بصخورهم الجديدة، إذ شنوا غاراتٍ قويَّة على ضفاف (المان-در) وتمادوا إلى حدِّ مهاجمة (الكرمة) والجزر الأصغر التي تُحيط بها. لم يكن آل ردواين قد أبقوا أكثر من دسنةٍ من السفن الحربيَّة في مياهم، وكلها حُطِّمَ أو أسير أو أغرق، والآن ثمة تقارير تقول إن ذلك الرَّجل المجنون الذي يُسمِّي نفسه يورون عين الغراب يُرسِل سُفناً طويلةً عبر (النَّهر الهامس) نحو (البلدة القديمة) نفسها.

أخبرها اللورد ووترز: «اللورد باكستر كان يُجَمِّل المؤن من أجل رحلة العودة عندما أقلعت (الجميلة سرسي)، وأتصوَّر أن أسطوله الأساسي في البحر بالفعل الآن».

قالت الملكة: «لنأمل أن يتمتَّعوا برحلةٍ سريعةٍ وطقسٍ أفضل من اليوم»، وسحبَت ووترز ليجلس على مقعد النَّافذة إلى جوارها، وسألته: «هل ندين بالشُّكر للسَّير لوراس على هذا النَّصر؟».

اختفت ابتسامته، وأجاب: «هذا ما سيقوله بعضهم يا صاحبة الجلالة». رمقته بفضولٍ متسائلةً: «بعضهم ولكن ليس أنت؟».

قال ووترز: «لم أر فارساً أشجع منه، لكنه حوَّل ما كان يُمكن أن يكون نصراً بلا دماءٍ إلى مذبحة. لقد مات ما يُقرب من ألف رجل، أكثرهم من رجالنا، وليسوا جميعاً مجرد جنودٍ تقليديين يا جلالة الملكة، بل منهم فُرسان ولوردات صغار،

الأفضل والأشجع».

- «والسير لوراس نفسه؟».

- «سيُصبح الأول بعد الألف. لقد حملوه إلى داخل القلعة بعد المعركة، لكن إصاباته بليغة وفقد دماء كثيرة لدرجة أن المايسترات يرفضون أن يعلّقوا له العلق».

- «أوه، هذا محزن. قلب تومن سينكسر. إنه معجب للغاية بفارس الزهور الباسل».

قال أميرالها: «والعامّة أيضًا. في أنحاء البلاد كلّها ستبكي الفتيات حين يموت لوراس».

تعلم الملكة أنه ليس مخطئًا. يوم أبحر السير لوراس احتشد ثلاثة آلاف من العامّة عند (بوابة الطمي) لتوديعه، ولم يُفص المنظر إلّا إلى إفعام نفسها بالازدراء.

أرادت أن تصرّخ فيها قائلةً إنهم خراف، أن تُخبرهم بأن كلّ ما سينالونه منه لن يتجاوز ابتسامة ووردة، وبدلًا من ذلك أعلنته أشجع فارس في (الممالك السبع) وابتسمت فيما قدّم له تومن سيفًا محلى بالجواهر يحمله في المعركة. عانقه الملك أيضًا، وإن لم يكن هذا الجزء من ترتيب سرسي، لكنه لم يعدّ بهم، وبإمكانها أن تكون كريمة. لوراس تايرل يُحتضر.

أمرته سرسي قائلةً: «أخبرني. أريد أن أعرف كلّ ما حدث، من البداية إلى النهاية».

كانت الغرفة قد أظلمت لدى فروغه من الرواية، فأشعلت الملكة بعض الشموع وأرسلت دوركاس إلى المطابخ لتجلب لهما القليل من الخبز والجبنّة مع اللحم البقري المسلوق بالفجل الحار، وبينما تناولا العشاء طلبت من أوران أن يحكي الحكاية ثانية كي تتذكرها بجميع تفاصيلها بشكل سليم. «... فلست أريد أن تسمع غاليتنا مارچري هذا الخبر من غريب. سأخبرها بنفسي».

قال ووترز مبتسمًا: «جلالتك في غاية اللطف». ابتسامة خبيثة. الحقيقة أن أوران لا يُشبه الأمير ريجار بالقدر الذي حسّبه في البداية. إن له شعراً أشبه به، ولكن كذا نصف العاهرات في (ليس) إذا صدقت الحكايات. ريجار كان رجلاً، أمّا هذا فصبيٌّ ماهر لا أكثر، غير أنه مفيد على طريقته.

وجدت مارچري في (قفص العذراوات) تشرب النبيذ وتُحاول أن تفهم قواعد لعبة جديدة ما من (قولانتيس) مع بنات عمومته الثلاث. على الرغم من تأخر الساعة أدخلها الحراس في الحال، وخاطبت مارچري قائلةً: «جلالة الملكة، الأفضل أن تسمعي الخبر مني. أوران عاد من (دراجونستون). أخوك بطل».

- «لطالما عرفتُ هذا». لم تلح دهشة على مارچري. ولم تدهش؟ لقد توقّعت

هذا منذ اللحظة التي توسّل لوراس فيها القيادة. لكن لدى انتهاء سרسي من القصة كانت الدّموع تلتمع على وجه الملكة الصّغيرة. «ردواين جعل عمّال مناجم يحفرون نفقًا تحت سور القلعة، لكن فارس الزّهور رأى تقدّم العمل بطيئًا للغاية. لا ريب أنه كان يُفكّر في معاناة قوم السيّد والدك في (الثّروس). اللورد ووترز يقول إنه أمرّ بالهجوم خلال أقلّ من نصف يومٍ من تولّيه القيادة، بعد أن رفض أمين قلعة اللورد ستانيس عرضه تسيوية الحصار بالنّزال الفردي بينهما. كان لوراس أول من يعبر الثّغرة عندما حطم المدكّ بوّابة القلعة، ويقولون إنه انطلقَ داخلًا فم التّنين مباشرةً وقد ارتدى الأبيض ولوّح بكُرته الشّائكة حول رأسه مقيلاً ذات اليمين وذات اليسار».

عندئذٍ كانت مِجا تايرل تبكي جهراً، وسألت: «كيف مات؟ من قتله؟». أجابت سרسي: «هذا الشّرف ليس لرجل واحد. السير لوراس أصيبَ بسهمٍ في الفخذ وآخر في الكتف، لكنه واصلَ القتال ببسالةٍ على الرغم من الدّم السّائل منه.

بعدها أصيبَ بضربةٍ من هراوة كسرت بعض ضلوعه، ثم... لا، أريدُ أن أعفيك من معرفة أسوأ ما حدث».

قالت مارچري: «أخبريني، هذا أمر».

أمر؟ صمّنت سרسي وهلةً، ثم قرّرت أن تتغاضي عن هذا، وقالت: «المُدافعون تقهقروا إلى الحصن الدّاخلي ما إن سقط السّور، وقادَ لوراس الهجوم هناك أيضاً.

لقد غمّروه بالزّيّ المغلي».

امتقعَ وجه الليدي آلا حتى صارَ كالطّبّاشير، وهرعت تُغادر الغُرفة.

واصلت سرسي: «المَيسـترات يفعلـون كـلّ ما بـالإمكان كمـا أكّد لي اللـورد ووتـرز، لكنـي أخشـى أن حـروق أخيـك فادحـة»، وأخـذت مارچري بيـن ذراعـيها ثواسـيها مضيـفةً: «لقد أنقذَ البلاد»، ولمّا قبّلت الملكة الصّغيرة على وجنتها تذوّقت ملوحة دموعها، ثم أردفت: «سيّدِج چايمي جميع مآثره في (الكتاب الأبيض)، وسيُعني المطربون عنه لألف عام».

تملّصت مارچري من حضنها بعُنفٍ كادَ يُسقط سרسي، وقالت: «الاحتضار ليس موتًا».

- «نعم، لكن المَيسـترات يقولون...».

- «الاحتضار ليس موتًا!».

- «أردتُ فقط أن أعفيك من...».

- «أعرفُ ما تُريدن. اخرجي».

الآن تعلمين بِمَ أَحَسَسْتُ ليلة ماتَ چوفري. حنّت سرسي رأسها ووجهها قناع من الكياسة الباردة، وقالت: «ابنتي العزيزة، إنني حزينة للغاية من أجلكِ. سأترككِ لحُزنكِ».

لم تظهر الليدي ميريوذر ليلتها، وجفا جنب سرسي عن الفراش ولم تستطع النوم، وبينما تغطّ چوسلين سويقت إلى جوارها فكّرت: لو رأني اللورد تايوين الآن لعرف أن له وريثًا، وريثًا جديرًا بـ(الصخرة). قريبًا ستذرف مارچري الدُموع المريرة التي كان عليها أن تذرفها من أجل چوفري، وربما يبكي مايس تايرل أيضًا، لكنها لم تُعطه سببًا لخصامها، فما الذي فعلته على كلّ حالٍ أكثر من تشريف السير لوراس بثقتها؟ لقد طلبَ القيادة جاثيًا على رُكبته على مرأى من نصف البلاط.

عندما يموت عليّ أن أبني له تمثالًا في مكانٍ ما وأشيّع له جنازةً لم تشهد لها (كينجز لاندنج) مثيلًا. سيروق هذا العوام، وتومن أيضًا. بل وربما يشكرني مايس أيضًا، ذلك المسكين. وبالنسبة إلى السيِّدة والدته فإذا شاءت الآلهة سيقتلها الخبر.

لأن هذا أجمل شروقٍ رأته سـرسي من ذسـنوات، وسـرعان ما ظهرت تـاينا واعتـرفت بأنـها أمـضت الـليل فـي مواسـاة مارچري ورفيقاتـها وشـاركتهن الشـرب والبـكاء وحكاية القصـص عـن لـوراس، وإذا ارتـدت الملكة ثيابـها من أجـل البـلاط قـالت لـها: «مارچري ما زالت مقتنعةً بأنـه لـين يموت. إنـها تنـوي إرسـال مايسـترها الخـاص للعناية به، وبنات عمومتها يُصلّين طلبًا لرحمة (الأم)».

قالت سـرسي: «أنـا أيـضًا سـأصلّي. غـدًا تعـالي معـي إلـى (سـپت بـيلور) وسـنُشعل مئـة شـمعة لفـارس الزهـور الباسـل»، ثم التفتت إلـى وصـيفتها قائلـة: «دوركـاس، أحضري لي تاجي، التاج الجديد إذا سمحت». إنه أخف من القديم، مصنوع من الذهب المغزول الباهت المرصع بالزُّمرّد الذي يبرّق حين تُدير رأسها.

قال السير أوزموند عندما أدخلته چوسلين: «هناك أربعة أتوا بشأن العِفريت هذا الصّباح».

- «أربعة؟». أدهشَ هذا الملكة على نحو سار. ثمّة سلسلة متواصلة من المُخبرين الذين يأتون إلى (القلعة الحمراء) زاعمين أن لديهم معلوماتٍ عن تيريون، لكن أربعةً في يومٍ واحد عدد غير معتاد. أجابَ أوزموند: «أجل. أحدهم معه رأس لك».

- «سأراه أولًا. خُذه إلى عُرفتي الشَّمسيّة». أرجو ألا يكون هناك خطأ هذه المرّة، أرجو أن أنال ثأري أخيرًا ليرفد چوفري في سلام. يقول السيِّتونات إن الرّقم 7 مقدّس عند الآلهة، وربما يكون هذا الرأس السّابع الدّواء الذي تبتغيه

روحها.

اتَّضح أن الرَّجل تايروشي قصير ممتلئ يُبَلِّل وجهه العرق، وله ابتسامة متملِّقة لزجة ذكَّرتها بفارس، ولحية مشعَّبة مصبوعة بالوردي والأخضر. لم يُعجِب الرَّجل سرسي بمجرد النَّظر، لكنها مستعدَّة للتَّغاضي عن عيوبه إذا كان رأس تيريون داخل هذا الصندوق الذي يحمله بالفعل. الصندوق من خشب الأزر المزخرف بنقش من العاج يُصوِّر نباتات متسلِّقة وأزهارًا، وله مفصلات وأقفال من الذهب الأبيض، منظره جميل حقًا، لكن الملكة لا تكثرث إلَّا لما قد يكون في داخله. إنه كبير كفاية على الأقل. رأس تيريون كان كبيرًا على نحوٍ شاذ بالنِّسبة إلى شخصٍ صغير ناقص النُّمو.

انحنى التايروشي بشدَّة مغمغمًا: «صاحبة الجلالة، أرى أن ما يُحكى عن جَمالكِ صادق. حتى وراء (البحر الضيِّق) سمعنا عن براعة حُسنكِ والحُزن الذي يُمزِّق قلبكِ المرهف. لا أحد يستطيع أن يُعيد إليك ابنكِ الشُّجاع، لكن أُملي أن أقدم لكِ على الأقل بلسمًا لألمكِ»، ووضع يده على صندوقه مضيقًا: «أُتيتكِ بالعدالة، أُتيتكِ برأس فالونكارِك».

بعثت الكلمة الثاليريَّة القديمة رعدةً في جسدها، وإن استشعرت وخز الأمل أيضًا، وأعلنت: «العِفريت لم يَعد أخي، إن كان كذلك من الأصل، ولن أنطق اسمه.

لقد كان اسمًا ساميًا ذات يوم، قبل أن يُلوَّته».

- «فـي (تـايروش) نـدعوه بـذي اليـدين الحـمـراوين للـدِّماء السَّائلـة من بـين أصـابعه، دماء ملـكٍ ودماء أب. يقـول بعضـهم إنـه قـتل أمـه أيـضًا مـمزقًا رـحمـها بمخالبـه ليخـرج».

يا للهراء. «صحيح. إذا كان رأس العِفريت في هذا الصندوق فسأرفعكِ إلى اللوردية وأهبُّ لكِ أراضٍ خصبةً وقلاعًا». الألقاب أرخص من الثُّراب، وأراضٍ النَّهر ملأى بالقلاع المتهدِّمة الواقفة في عُزلتها وسط حقولٍ مهجورة وقرى محروقة. «إن بلاطي ينتظرني. افتح الصندوق ولنر».

فتح التايروشي الصندوق بحركةٍ مسرحيَّة وتراجَع مبتسمًا، وفي الدَّاخل كان رأس قزمٍ مستقرًّا على طبقةٍ من المخمل الأزرق النَّاعم ينظر إليها.

ألقت سرسي نظرةً طويلةً، ثم قالت وفي فمها مذاقٍ مرير: «هذا ليس أخي». أظنُّ أنني بالغتُ في الأمل، خصوصًا بعد لوراس. الآلهة ليست بذلك الكرم أبدًا. «هذا الرَّجل عيناه بَنِيَّتَان. تيريون كانت له عين سوداء وعين خضراء».

- «العينان، بالضبط... جلالة الملكة، عينا أخيك... تعفَّتا بعض الشَّيء، فسمحتُ لنفسِي باستبدالهما بالزُّجاج... لكن لونه خطأ كما تقولين».

لم يُفْلِح قوله إلَّا في زيادة حنقها، وردَّت: «ربما تكون عينا رأسكِ من الزُّجاج، أمَّا

عيناى أنا فلا. فى (دراجونستون) كَراجل⁶⁵ أشبه بالعِفريت من هذا المخلوق. إنه أصلع وفى ضِعف سِنِّ أخى! ماذا حدثَ لأسنانه؟».

انكَمَشَ الرَّجل من الغضب فى صوتها، وقال: «كان لديه طقم ممتاز من الأسنان الذهبية يا جلالة الملكة، لكننا... يُؤسِفني...».

- «أوه، لم تأسف بعدُ، لكنك ستفعل». حريُّ بي أن أمر بإعدامه خنقًا. فلينازع محاولًا التقاط أنفاسه بينما يسودُّ وجهه مثل ابني الجميل. كانت الكلمات على شفيتها بالفعل.

- «خطأ غير مقصود. كلُّ الأقزام متشابهون، و... لا بُدَّ أن جلالتك لاحظتِ أنه بلا أنف...».

- «إنه بلا أنف لأنك قطعته!».

صاح: «لا!»، لكن جبهته المتصببة عرقًا وشَت بكذب إنكاره.

ردَّت سرسي: «نعم»، وتسَلَّلت عذوبة سامَّة إلى نبرتها إذ أردفت: «على الأقل فكرت فى هذا. آخر أحق جاءني حاولَ إقناعي بأن ساحرًا متجولًا أنبته من جديد. على كلِّ حال يبدو لي أنك مدين لهذا القزم بأنف. عائلة لانستر تُسدِّد ديونها، وكذا ستفعل أنت. سير مرين، خذ هذا المحتال إلى كايبرن».

أخذَ السير مرين ترانت التايروشي من يده وسحبَه وهو لا يزال يصيح محتجًا، وحين خرجا التفتت سرسي إلى أوزموند كِتلبلاك قائلة: «سير أوزموند، أبعد هذا الشَّيء عن نظري وأدخل الثلاثة الآخرين الذين يدَّعون معرفتهم بمكان العِفريت».

- «حاضر يا جلالة الملكة».

لكن للأسف اتَّضح أن ثلاثة المدَّعين ليسوا ذوي جدوى أكثر من التايروشي. قال أحدهم إن العِفريت مختبئ فى ماخور بـ(البلدة القديمة) ويخدم الرِّجال بفمه، وهي صورة طريفة لكن سرسي لم تُصدِّقها لحظة. الثاني زعمَ أنه رأى القزم فى عرض ممثَّلين فى (براڤوس)، والثالث أكد أن تيريون أصبحَ ناسكًا فى أراضى النَّهر ويعيش فوق تَلٍّ مسكون ما. أجابت الملكة كلاً منهم بالوعد نفسه: «إذا تفضلت بقيادة مجموعة من فُرساني الشُّجعان إلى هذا القزم فستلقى مكافأة سخية، شريطة أن يكون العِفريت حقًا... وإن لم يكن هو... إن فُرساني لا صبر لهم على الخداع أو الحمقى الذين يُرسلونهم لمطاردة الأشباح. قد تفقد لسانك»، وبهذه السرعة فقدَ الثلاثة ثقتهم فجأة وقال كلُّ منهم إنه ربما رأى قزمًا آخر ما.

لم تكن سرسي تُدرك أن هنالك أقزامًا كثيرين هكـذا، ووقالت متذمِّرة مـع خروج آخر المُخبرين: «هل اجتـاح هؤلاء البوحوش المشـوهون العـالم؟ كم يُمكن أن يكون عددهم؟».

قالت الليدي ميريويدز: «أقل مما كان. هل لي بشرف اصطحاب جلالتك إلى البلاط؟».

- «إذا كان يُمكنك احتمال الملل. روبرت كان أحمق في معظم الأشياء، لكنه أصاب في شأن واحد. حُكم المملكة عمل متعب».

- «يُحزنني أن أرى جلالتك مثقلة بالهموم. رأيي أن تَهْرُبِي وتلعبِي وتترُكي سماع الالتماسات المتعبة ليد الملك. يُمكننا أن نتنكر في هيئة خادمتين ونقضي اليوم وسط العامة ونسمع ما يقولونه عن سقوط (دراجونستون). إنني أعرفُ الخان الذي يُغني فيهِ الشَّاعر الأزرق حين لا يكون في حضور الملكة الصَّغيرة، وأعرفُ قبوًا معيَّنًا يُحوَّل فيه ساحر الرِّصاص إلى ذهب والماء إلى نبيذ والفتيات إلى فِتيّة. ربما يُلقي تعاويذه علينا. هل يُسلي جلالتك أن تكوني رجلًا ليلة؟».

لو كنتُ رجلًا لأردت أن أكون چايمي، لو كنتُ رجلًا لحكمت هذه البلاد باسمي بدلًا من اسم تومن. قالت عالمة ما تُريد تاينا أن تسمعه: «بشرط أن تبقي امرأة. أنتِ شريرة لإغرائِي هكذا، لكن أيُّ ملكة أنا إذا تركتُ مملكتي بين يدي هاريس سويغت الرَّاجفتين؟».

مطَّت تاينا شفيتها قائلة: «جلالتك دءوب للغاية».

ردَّت سرسي: «نعم، ومع نهاية اليوم سأندم على هذا»، وتأبَّطت ذراع الليدي ميريويدز مضيفة: «هلمِّي».

كان چالابار شو أول الملتمسين يومها كما يليق بمقامه كأمر منفي، لكن على الرغم من مظهره الفاخر في معطفه الرِّيش الزَّاهي لم يأتِ الرَّجل إلَّا ليشحذ. تركته سرسي كعادته يلتمس الرِّجال والسِّلاح لاسترداد (وادي الزَّهرة الزَّرقاء)، ثم قالت: «جلالته يخوض حربًا بالفعل أيها الأمير چالابار، وليس عنده رجال يستغني عنهم لحربك الآن. ربما العام المقبل». هكذا أجابه روبرت دومًا. العام المقبل ستقول له: «لن يحدث»، لكن ليس اليوم. إن (دراجونستون) لها.

جاء اللورد هالايين من رابطة الخيميائيين ليطلب الإذن لپايرومانسراته في محاولة إفقاس أيّ بيضات تنانين تظهر في (دراجونستون) ما دامت الجزيرة قد عادت آمنة إلى الأيدي الملكيَّة، فقالت له الملكة: «لو كانت بيضات كهذه تبقت لباعها ستانيس لينفق على تمرده»، وإن أحجمت عن إضافة أنها خطة جنونيَّة. منذ نفق آخر تنانين آل تارجارين انتهت كلُّ المحاولات المشابهة بالموت أو المصائب أو المهانة.

مثلت أمامها مجموعة من التُّجار الذين توسَّلوا إلى العرش أن يتوسَّط لهم عند مصرف (برافوس) الحديدي، فالبراڤوسيون يُطالبون بسداد الديون واجبة الدِّفع ويرفضون من أيّ قروض جديدة. قالت سرسي لنفسها: نحن محتاجون إلى مصرفنا الخاص، مصرف (لان-سپورت) الذهبي. ربما

تسـتطيع أن تفعل ذلك عنـدما تُؤمّن عرش تومن، أمّا في الوقت الرّاهن فليس بإمكانها إلا أن تقول للتّجار أن يردّوا لمُرابّي (براقوس) مالهم.

وصلَ وفد العقيدة بقيادة صديقها القديم السيّتون راينارد، وقد رافقه سنّة من أبناء المُحارب عبر المدينة. معًا يصنعون سبعة، وهو رقم مقدّس مبشّر بالخير، وهكذا يفعل السيّتون الأعلى -أو العُصفور الأعلى كما لقّبه فتى القمر- كلّ شيءٍ بالسّبعات. يتمنطق الفرسان بأحزمة سيوفٍ مخطّطة بألوان العقيدة السّبعة، ويُزيّن البلور قبائع سيوفهم الطويلة وريشات خوذاتهم العظيمة، ويحملون ثروسًا لوزيّة الشّكل من طرازٍ لم يَعد شائعًا منذ غزوة إجون عليها شعار لم يُر في (الممالك السّبع) منذ قرون؛ سيف بألوان قوس قزح يلتمع على خلفيّة مظلمة. ما يَقْرُب من مئة فارسٍ أتوا بالفعل ليتعهّدوا بحيواتهم وسيوفهم لأبناء المُحارب طبقًا لتقارير كايرن، ومزيد منهم يجيء كلّ يوم. أسكّرتهم الآلهة جميعًا. من كان ليتخيّل أن في البلاد كلّ هذه الأعداد؟ أكثرهم فرسان حراسة وفرسان متجوّلون، لكن منهم كريمي المحتد كذلك، من أبناء أصغر ولوردات صغار ومسيّنين يبتغون التّوبة عن خطايا قديمة... ثم إن هناك لانيسل أيضًا. لقد حسّبت أن كايرن يمزح عندما أخبرها بأن المغفل ابن عمّها تخلّى عن قلعته وأراضيه وزوجته وعادَ إلى المدينة لينضمّ إلى جماعة أبناء المُحارب النّبيلة العظيمة، لكن ها هو ذا مع الحمقى المتديّنين بالفعل.

لا يروق سرسي هذا على الإطلاق، ولا يسرّها استمرار تشدّد العُصفور الأعلى ونكرانه على الإطلاق. سألت السيّتون راينارد: «أين السيّتون الأعلى؟ لقد استدعيته هو».

انتحل السيّتون راينارد نبرةً أسفّةً مجيبًا: «صاحب القداسة الأعلى أرسلني بدلًا منه وطلبَ مني أن أخبر جلالتك بأن الآلهة أرسلته يُكافح الشرور».

- «كيف. بالتّبشير بالعفة في (شارع الحرير)؟ هل يظنُّ أن الصّلاة على العاهرات ستُعِيد إليهن عذريّتهن؟».

ردّ راينارد: «أجسادنا شكّلها أبونا وأمنا الإلهان كي يتزاوج الذّكر والأنثى لإنجاب أولادٍ شرعيّين. من الرّذيلة والإثم أن تبيع النّساء أعضاءهن المقدّسة بالمال».

لربما كان هذا الرّأي المحمّل بالتّقوى أكثر إقناعًا لو أن الملكة لا تعلم أن للسيّتون راينارد صديقاتٍ معيّنات في كلّ ماخور بـ(شارع الحرير). لا شكّ أنه قرّر أن تردّده تغريد العُصفور الأعلى أفضل من تنظيف الأرضيّات. قالت له: «لا تُحاول أن تعظني. أصحاب المواخير يشتكون، ولهم الحق».

- «إذا تكلم الآثمون فلم يُصغي إليهم الصّالحون؟».

ردّت الملكة بـلا مواربة: «هؤلاء الآثمون يُغذّون الخزانة الملكيّة، بنسـاتهم نـدفع أجـور ذوي المعـاطف الـذهبيّة ونينـي القـوادم للـدّفاع عـن سـواحلنا. ويحبـب وضمـع التّجارة في الاعتبار أيضًا. إذا خلت (كينجز

لاندنچ) من المواخير فستذهب السفن إلى (وادي الغسق) أو (بلدة النوارس). صاحب القداسة الأعلى وعدني بالسّلام في شوارعي، والعِهر يُساعد على حفظ السّلام. العامّة المحرومون من العاهرات يجنحون إلى الاغتصاب. فليلتزم صاحب القداسة الأعلى من الآن فصاعدًا بالصّلاة في السيّت حيث ينتمي».

توقّعت الملكة أن تسمع من اللورد جايلز أيضًا، لكن بدلًا منه ظهر المايستر الأكبر پايسل بوجهٍ مربدٍ ونبرةٍ اعتذاريةٍ يُخبرها بأن روزبي أوهى من أن يبرح فراشه، وأضاف: «يُحزنني أن أقول إن اللورد جايلز سيلحق بأسلافه النبلاء قريبًا. عسى (الأب) أن يحكم عليه بالعدل».

إذا مات روزبي فسيحاول مايس تايرل والملكة الصّغيرة فرض جارت السّمين عليّ مجددًا. قالت بتبرّم: «اللورد جايلز مصاب بهذا السّعال منذ سنين ولم يَقتله. لقد ظلّ يسعّل خلال نصف حكم روبرت وطيلة حكم چوفري. إذا كان يُحتضر الآن فالسبب الوحيد أن أحدًا يُريد موته».

حملق المايستر الأكبر پايسل إليها مذهولًا، وقال: «جلالة الملكة، مِمّن قد يُريد موت اللورد جايلز؟».

- «وريثه ربما». أو الملكة الصّغيرة. «امرأة ما نبذها في الماضي». مارچري ومايس وملكة الأشواك، لِمَ لا؟ جايلز في طريقهم. «عدوٌ قديم، عدوٌ جديد، أنت».

امتقع وجه العجوز، وتلعثم قائلاً: «ج-جلالة الملكة تمزح. لقد... لقد سقيت حضرة اللورد مسهلًا للبطن وعلقت له العلق وعالجته بالكّمادات والأنقعة... الرّذاذ يُريحه بعض الشّيء، وحلّو الكرى يُخفّف عُنف سعاله، لكنني أخشى أن قطعًا من الرّتتين تخرّج مع الدّم الآن».

- «بغضّ النّظر عن هذا، ستعود إلى اللورد جايلز وتُبلغه بأنني لا أسمح له بالموت».

انحنى پايسل بجمودٍ قائلاً: «كما تأمر صاحبة الجلالة».

جاء المزيد منهم، والمزيد، والمزيد، كلّ ملتمس أكثر إثارةً للملل من سابقه. ليلتها، بعد أن رحل جميعهم أخيرًا وجلست تتناول عشاءً بسيطًا مع ابنها قالت له: «تومن، عندما تُصلي قبل النّوم اشكّر (الأم) و(الأب) لأنك ما زلت طفلًا. المُلْك عمل شاق، وأؤكد لك أنك لن تحبّه. إنهم ينقرونك كسربٍ من الغريبان، كلّ منهم يرغب في قطعةٍ من لحمك».

قال تومن بنبرةٍ حزينة: «حاضر يا أمّاه». كان قد بلغها أن الملكة الصّغيرة أخبرته بما جرى للسّير لوراس، وقال السّير أوزموند إن الصّبي بكى. إنه صغير. حين يبلغ سنّ چوف سيكون قد نسي شكل لوراس. واصل ابنها: «لكنني لا أمانع أن ينقروني. المفترض أن أذهب معك إلى البلاط كلّ يومٍ لأنصت. مارچري تقول...».

بحدّةٍ قاطعتَه سرسي: «... أكثر من اللازم. مقابل نصف جروت سيسرني أن أقطع لسانها».

صاحَ تومن فجأةً وقد احتقنَ وجهه المستدير الصّغير: «إياك أن تقولي هذا! دعي لسانها وشأنه، إياك أن تلمسيها. أنا الملك لا أنت».

حدّقت إليه مشدوهةً، وقالت: «ماذا قلت؟».

- «أنا الملك، أنا من أمرُ بقطع الألسنة لا أنت. لن أسمح لك بإيذاء مارچري، لن أسمح. أحرّج عليك أن تفعلي ذلك».

أمسكته سرسي من أذنه وجرّته صارخًا إلى الباب حيث يقف السير بوروس بلاونت حراسةً، وقالت: «سير بوروس، جلالة الملك نسي نفسه. من فضلك خذه إلى مسكنه واثبت به. أريد أن يجلد تومن الصّبي بنفسه هذه المرّة، وأن يستمرّ حتى تنزف فلقنا مؤخرته. إذا رفض جلالته أو اعترض بكلمة واحدة فاستدع كايبرن وقل له أن يقطع لسان پايت ليتعلّم جلالته ثمن قلة الأدب».

نفخ السير بوروس رافعًا الملك بارتباك، وقال: «كما تأمرين. تعالَ معي يا جلالة الملك إذا سمحت».

مع حلول اللّيل على (القلعة الحمراء) أوقدت چوسلين نارًا في مستوقد الملكة بينما أشعلت دوركاس الشّموع إلى جوار الفراش. فتحت سرسي النّافذة طلبًا لنسمة هواء، فرأت أن السّحب عادت تحتشد مواربةً النّجوم، وتمتمت دوركاس: «ليلة مظلمة يا جلالة الملكة».

فكرت: نعم، لكن ليست بظلمة (قفص العذراوات) أو (دراجونستون) حيث ينطرح لوراس تايرل محروقًا ينزف، أو في الزّنازين السّوداء تحت القلعة. لا تدري الملكة لِمَ خطرَ لها هذا بعد أن عزمّت على عدم التّفكير في فاليس ثانيةً. نزال فردي. كان على فاليس أن تكون أعقل من أن تتزوّج مهرّجًا مثله. الأخبار من (پستوكوورث) أن الليدي تاندا ماتت ببردٍ في الصّدر أفضى إليه وركها المكسور، وأعلّنت لوليس البلهاء سيّدةً على (ستوكوورث) والسير برون سيّدها. تاندا ماتت وجاليز يموت. جيّد أن فتى القمر لم يزل معنا وإلا حُرِمَ البلاط المهرّجين بالكامل. ابتسمت الملكة إذ أراحت رأسها على الوسادة، وقالت لنفسها: حين لثمتُ وجنتها تذوّقتُ الملح في دموعها.

رأت حُلماً قديمًا فيه ثلاث فتيات يرتدين المعاطف البنيّة وحيزبون لها لُغد وخيمة تعبق برائحة الموت.

كانت خيمة الحيزبون قاتمةً ذات سقفٍ مدبّب طويل، ولم تُرد سرسي أن تدخلها مثلما لم تُرد وهي في العاشرة، لكن الفتاتين الأخريّين كانتا تُراقبانها ولم تستطع التّراجع. في الحُلُم كن ثلاثًا كما كن في الواقع. تخلّفت چاين فارمان السّمينية عن رفيقتيها كما فعلت دومًا، وإنها لأعجوبة أن الفتاة قطعت كلّ هذا الشّوط معهما من الأصل، أمّا ميلارا هي-ذرسيون فكـانت أكبر سِنًا

وأجراً وتتحلى بنوع من ممش من الحُسن. بعد أن تسللن من أسرتهن وارتدين معاطف من الخيش ورفعن قلنسواتها عبرت الفتيات الثلاث مضمار النزال وسعين إلى العرافة. كانت ميلارا قد سمعت الخادمت يتهاَمسن عن قدرتها على إلقاء اللعنات على المرء أو جعله يقع في الحب واستدعاء الشياطين والتنبؤ بالمستقبل.

في الواقع كانت الفتيات مبهورات طائشات، يمشين متبادلات الهمس شاعرات بحماسة تكافئ خوفهن، لكن الحلم كان مختلفاً. في الحلم كانت السُرادق مظلمة، والفُرسان والخدم الذين مرّون بهم من ضباب. جالت الفتيات فترة طويلة قبل أن يجدن خيمة الحيزبون، وحين بلغنها كانت المشاعل كلها تتذبذب توطئة للانطفاء. شاهدت سرسي ثلاثهن متلاصقات يتهاَمسن، فحاولت أن تقول لهن: عُدن، ارحلن، لا شيء لكن هنا، إلا أن صوتاً لم يخرج منها رغم أن فاها تحرك.

سبقت ابنة اللورد تاويون رفيقتيها إلى الدُخول من سديلة الخيمة، تتبعها ميلارا وراءها مباشرة، وفي النهاية جارين فارمان التي حاولت الاختباء وراء الأخريين كعادتها الدائمة. في الدّاخل أفعمت هواء الخيمة الرّوائح؛ القرفة وجوز الطيب، والفلفل أحمره وأبيضه وأسوده، وحليب اللوز والبصل، والقرنفل وحشيشة الليمون والزّعفران الثمين، وتوابل أخرى أغرب وأندر. الضوء الوحيد كان ينبعث من مستوقد حديدي على شكل رأس بازيليوسق، ضوء أخضر خافت جعل حوائط الخيمة تبدو باردة ميتة تتعفن. هل كانت تبدو هكذا في الواقع أيضاً؟ لم تستطع سرسي أن تتذكر.

في الحلم كانت المشعوذة نائمة كما وجدنها في الواقع، وأرادت الملكة أن تصيح: دَعنها وشأنها. أيتها الحمقاوات الصّغيرات، إياكن وإيقاظ مشعوذة نائمة، لكن بلا لسان لم يكن بمقدورها إلا أن تُشاهد الفتاة تنتزع معطف العرافة وتركل فراشها قائلة: «استيقظي، تُريد قراءة طالعنا».

حين فتحت ماجي الضّفدعة عينيها أطلقت جارين فارمان صرياً مرعوباً وفرت من الخيمة مندفعة إلى الليل في الخارج من جديد. جارين الصّغيرة البدينة الحمقاء الجبّانة، شاحبة الوجه مكتنزة خائفة من كل ظل. لكنها كانت الحكيمة بيننا. ما زالت جارين تعيش على (الجزيرة القصية)، وقد تزوّجت أحد حملة راية أخيها اللورد وأنجبت دسنة من الأطفال.

كانت عينا المرأة صفراوين وتُحيط بهما قشرة شيء كريح. في (لانسپورت) أشيع أنها كانت شابة جميلة عندما عاد بها زوجها من الشّرق مع شحنة من التّوابل، لكن الزّمن والشّر تركا آثارهما عليهما. كانت قصيرة ممتلئة، في وجهها ثآليل ولها لُعْد متغصّن مخضّر، وقد سقطت أسنانها جميعاً وتدلّى ثدياها حتى رُكبتيها. إذا وقفت قريباً منها

فبإمكانك أن تشم رائحة المرض، لكن حين فتحت فمها كانت لأنفاسها رائحة غريبة قويّة كريهة، وبهمسة مبحوحة قالت للفتاتين: «ارحّلا».

قالت لها سرسي الصغيرة: «جئنا لأجل قراءة طالعنا».

نعبت العجوز ثانية: «ارحّلا».

قالت ميلارا: «سمعنا أنك ترين الغد. نريد فقط أن نعرف الرّجلين اللذين سننزوّجهما».

ومرّة ثالثة نعبت ماجي: «ارحّلا».

ولو كان للملكة لسان لصرّحت: أصغيا إليها. ما زالت فرصة الهرب سانحة. اهربا أيتها الحمقاوان! وضعت الفتاة ذات الخصلات الذهبية يديها على وركيها قائلة: «اقرئي طالعنا وإلا ذهبْتُ إلى السيّد والدي وجعلته يأمر بجلدك لوقاحتك».

وأضافت ميلارا متوسّلة: «أرجوك، أخبرينا بمستقبلنا فقط ثم سنرحل».

تمتّ ماجي بصوتها العميق الرّهيب: «بعض من هنا بلا مستقبل»، ثم إنها سحبت معطفها حول كتفيها وأشارت إلى الفتاتين بالاقتراب، وقالت: «أقبلًا إذن ما دُمتما لن ترحّلا. أنتما حمقاوان. نعم، أقبلًا، يجب أن أذوق دمكما».

شحب وجه ميلارا لكن سرسي حافظت على رباطة جأشها، فاللبؤة لا تخاف الضّفدعة مهما كانت عجوزًا قبيحة. كان عليها أن ترحل، كان عليها أن تُصغي، كان عليها أن تفرّ، وبدلًا من ذلك أخذت الخنجر الذي ناولتها ماجي إياه ومرّرت النّصل الحديدي الملتوي على أنملة إبهامها، ثم فعلت المثل مع ميلارا.

في الخيمة الخضراء المعتمدة بدا الدّم أقرب إلى الأسود من الأحمر، وقد ارتعش فم ماجي الخالي من الأسنان لمرأه، وهمست: «ناوليني يدك»، فلمّا فعلت سرسي امتصّت العرّافة الدّم من إصبعها بلثةٍ ليّنةٍ كثةٍ طفلٍ حديث الولادة، ولا تزال الملكة تذكّر كم كان فمها غريبًا باردًا.

ما إن شربت الحيزبون حتى قالت: «لك ثلاثة أسئلة. لن تُعجبك إجاباتي. سَلي أو ارحلي».

فكرت الملكة الحالمة: ارحلي، الزمي الصّمت واهربني، لكن الفتاة كانت أقلّ عقلًا من أن تخاف.

سألت: «متى سأنزوّج الأمير؟».

- «لن تنزوّجيه أبدًا، ستنزوّجين الملك».

تحت خصلاتها الذهبية التوت ملامحها حيرةً، وطيلة سنواتٍ بعدها فسّرت الكلام بأنها لن تنزوّج ريجار إلا بعد موت أبيه إيرس.

سألت سرسي الصغيرة: «لكنني سأكون الملكة؟».

التمع الحقد في عيني ماجي الصّفراوين إذ أجابت: «ملكة ستكونين، إلى أن

تأتي أخرى أصغر منك وأجمل، لتطيح بك وتسلبك كل ما تعدينه عزيزاً». ومضَ الغضب على وجه الفتاة، وقالت: «إذا حاولت سأجعل أخى يقتلها». حتى في ذلك الحين لم تتوقف تلك الطفلة العنيدة، فما زال لها سؤال أخير، لمحة أخرى من حياتها الآتية، وهكذا سألت: «هل سأنجبُ والملك أطفالاً؟» - «أوه، أجل. ستة عشر له وثلاثة لك».

وجدت سرسي الجواب بلا معنى. كان إبهامها يؤلمها حيث جرحته ودمها يقطر على البساط. أرادت أن تطلب تفسيراً، لكنها فرغت من أسئلتها. على أن العجوز لم تفزع من هذا، وتابعت: «ذهبتي ستكون تيجانهم وذهبتي أكفانهم، وحين تغرقك دموعك ستطوق القالونكار جيـدك الأبـيض الشاحب بيـديه ويخنقك حتى الموت». قالت الفتاة الذهبية التي لم تفهم النبوة: «ما هو القالونكار؟ وحش ما؟ أنت كذابة وضفدعة مغطاة بالثآليل وهمجية عجوز كريهة الرائحة، ولا أصدق كلمة مما تقولين. هيا بنا يا ميلارا، إنها لا تستحق أن نسمعها». ردت صديقتها بإصرار: «إن لي ثلاثة أسئلة أيضاً»، ولما شدتها سرسي من ذراعها تملصت وعادت تلتفت إلى الشمطاء سائلةً باندفاع: «هل سأتزوج چايمي؟».

فكرت الملكة شاعرةً بالغضب منها حتى الآن: أيتها البلهاء، چايمي لا يدري أن لك وجوداً أصلاً. آنذاك كان أخوها يعيش فقط للسيوف والكلاب والخيول... ومن أجلها، توأمته.

أجابت ماجي: «ليس چايمي ولا أي رجل غيره. يكرتك سيفضها الدود. إن موتك هنا الليلة أيتها الصغيرة. هل تشمين أنفاسها؟ إنها دانية للغاية».

قالت سرسي: «الأنفاس الوحيـدة التـي نشـمها أنفاسك». على الطاولة قرب مرفقها كان برطمان فيه عـقار تخين مـاء، فاختطفتـه وألقتـه فـي عـيني العجوز. فـي عالم الواقع صرخت الحيزبون فيهما بلغة أجنبية غريبة ما وصبت عليهما لعناتها إذ فرتا من الخيمة، لكن في الحلم تبدد وجهها وذاب مستحيلاً إلى خيوط من الضباب الرمادي، ثم لم يتبق منه إلا عينان صفراوان ضيقتان، عينا الموت.

سمعت الملكة من يقول: سيطوق القالونكار جيدك بيديه، لكنه لم يكن صوت العجوز، وبرزت اليدان من غيوم حلمها والتفتا حول عنقها، يدان غليظتان قويتان يطفو فوقهما وجهه الناظر إليها شزراً بعينه غير المتمثلتين. حاولت الملكة أن تصيح: لا، لكن يدي القزم انغرستا أكثر في لحم رقبتها خانقتين مقاومتها، وراحت تركل وتصرخ بلا طائل، وسرعان ما صارت تصدر الصوت ذاته الذي خرج من ابنها، صوت الامتصاص الرفيع الشنيع الذي صاحب آخر أنفاس يلفظها خوف

في دُنياه.

استيقظت شاهقةً في الظلام لتجد دثارها معقودًا حول عنقها، فانتزعت سرسني بعنفي مزقه واعتدلت جالسةً تلتهث، وقالت لنفسها: خلّم، خلّم قديم وحدثار معقود، هذا كلُّ ما هنالك.

هذه الليلة أيضًا تقضيها تايًا مع الملكة الصغيرة، وبدلًا منها تنام إلي جوارها دوركاس. هزتها سرسني من كتفها بخشونةٍ قائلةً: «استيقظي واعثري على پايسل.

أظنه سيكون مع اللورد جايلز. أحضره في الحال»، فنهضت دوركاس شبيهة نائمة ونزلت من الفراش لتقطع الغرفة مترجحةً وتبحث عن ثيابها، وقد احتكت قدمها الحافيتان بالحصائر.

بعد عصور دخل المايس-تر الأكبر پايسل يجرُّ قدميه ووقوفًا أمامها برأسٍ محني، يطرف بعينيّه ثقييلتي الجفنين ويقيم يوم التثاؤب، ويبعدو كأن وزن سلسلة المايس-تر الضخمة حول عنقه المتهدل يسحبه سحبًا إلى الأرض. كان پايسل عجوزًا طيلة معرفة سرسني به، ولكنه شهدَ زمانًا تمتع فيه بالبهاء أيضًا، إذ تعود ارتداء الأقمشة الفاخرة وأحاط به طابع من الجلال وميزته كياسة منقطعة النظير، ومنحته لحيته البيضاء الهائلة سمت الحكمة... إلا أن تيريون حلقَ لحيته، وما نبتَ منها من جديدٍ يُثير الشفقة، مجرد رقع قليلة من الشعر الهش لا تُخفي إلا القليل من الجلد الوردي الرخو تحت ذقنه المتدلي. ليس هذا رجلًا وإنما أطلال رجل. الزنازين السوداء سلبته ما فيه من قوة، هي وموسى القزم.

بادرته سرسني سائلةً: «كم سنك؟».

- «أربعة وثمانون عامًا، بعد إذن صاحبة الجلالة».

- «كنتُ أفضل رجلًا أصغر».

لعق شفتيه قائلاً: «كنتُ في الثانية والأربعين فقط عندما استدعاني مجمع المايسترات. كايث كان في الثمانين حين اختاروه، وإليندور كان في التاسعة والثمانين.

كلاهما سحقتَه أعباء المنصب وماتَ في غضون عامٍ من ترقيته، وخلقهم ميريون في سن السادسة والسنتين، لكنّه ماتَ بالبرد في طريقه إلى (كينجز لاندنج)، وبعدها طلبَ الملك إجون من (القلعة) أن تُرسل رجلًا أصغر، فكان أول ملكٍ خدمته».

وتومن سيكون الأخير. «أحتاجُ إلى عقارٍ منك، شيء يُساعدني على النوم».

- «كأس من النّبيذ قبل النوم غالبًا ما...».

- «إنني أشربُ النّبيذ أيها الأبله القميء. أريدُ شيئًا أقوى، شيئًا لا يجعلني

أحلم».

- «صاحبة... صاحبة الجلالة لا تريد أن تحلم؟».

- «ماذا قلت لتوي؟ هل وهنت أذناك كقضيبك؟ أيمكنك أن تصنع لي عقارًا كهذا أم أن عليّ أن أمر كايرن بتصحيح فشل آخر لك؟».

- «لا، ليس هناك داعٍ لتدخل هذا ال... لتدخل كايرن. نوم بلا أحلام. ستحصلين على عقارك».

قالت: «عظيم. يُمكنك أن تذهب»، لكن إذ التفت نحو الباب اسـتوقفتـه متسائلة: «شيء آخر. ما الذي تُدرّسه (القلعة) بـخصوص التـنبؤ؟ هل التـكهن بالـغد ممكـن؟».

تردد العجوز، وتحسست يده صدره بحركة عفوية كأنها أرادت التملّيس على اللحية التي زالت، وبتؤدة ردّد: «هل التّكهن بالغد ممكن؟»، ثم إنه قال: «ربما. ثمة تعاويز معينة في الكتب القديمة... لكن ربما على جلالتك أن تسألني: هل ينبغي التّكهن بالغد؟ وعلى هذا أردُّ بلا. خيرٌ للإنسان أن يظلّ بعض الأبواب مغلقًا».

- «أحرص على إغلاق بابي عندما تخرج». كان يجدر بها أن تعلم أن إجابته ستكون عديمة الفائدة مثله.

فـي الصّباح التّالـي تنـاولت إفطارها مـر عـتـومـن، وقـد بـدا الصّبـي خاضعًا للغاية. واضح إذن أن جلـده پايت آتـى أكلـه. أكـلا البـيض المقلـي والـخبز المحمّر والـلحم المقـدّد والـقليل من البـرتقال الدّموي الذي وصل حديثًا على سفينة من (دورن). صاحبت ابنها هُريراته، وإذ توثبت ولعبت حول قدميه أحست سرسي بشيء من التّحسن.

لا أذى سيمسُّ تومن ما دمت حيّة. ستقتل نصف لوردات (وستروس) وعامتها كافة إذا كان ذلك ما يتطلبه الحفاظ على سلامته. بعد الأكل قالت للصّبي: «اذهب مع چوسلين»، ثم إنها أرسلت تستدعي كايرن، ولمّا جاء سألته: «أما زالت الليدي فاليس حيّة؟».

- «حيّة، نعم، لكن ربما لا تكون... مستريحة».

غمغمت سرسي: «مفهوم»، وفكرت برهة قبل أن تُردف: «هذا الرّجل برون... لا أستطيع أن أقول إن فكرة وجود عدو بهذا القرب تُعجّبنني. إن قوّته كلّها مستمدة من لوليس، فإذا كشفنا عن أختها الكبيرة...».

قال كايرن: «للأسف أخشى أن الليدي فاليس لم تعد قادرةً على حُكم (ستوكوورث)، أو على إطعام نفسها حتى. يسرّني أن أقول إنني تعلّمت الكثير منها، لكن الدّروس لم تكن بلا مقابل. أملُ أنني لم أتجاوز تعليمات جلالتك».

- «نعم». أيّا كان ما انتوّته فقد فات أوانه، ولا جدوى من إطالة التّفكير فيه.

الأفضل أن تموت، فليست تُريد أن تُواصل الحياة من دون زوجها. على الرغم من سذاجته بدت الحمقاء مغرمةً به. «ثمّة مسألة أخرى. ليلة أمس رأيتُ حُلماً مخيفاً».

- «شيء يُصيب البشر كلّهم من حينٍ إلى آخر».

- «الحُلم يخصُّ ساحرةً زُرّتها في طفولتي».

- «ساحرة غابات؟ أكثرهن غير مؤذيات، يعرفن القليل من العلاج بالأعشاب والقبالة، لكن فيما عدا هذا...».

- «كانت أكثر من ذلك. نصف أهل (لانسپورت) اعتادوا الذّهاب إليها من أجل التّمائم والعقاقير. كانت أمّ أحد اللوردات الصّغار، تاجر ثري رقاها جدّي، وقد وجدّها أبو هذا اللورد بينما يُتاجر في الشّرق. قال بعضهم إنها ألقت عليه تعويذة، مع أن الأرجح أن التعويذة الوحيدة التي احتاجت إليها كانت بين فخذيهما. لم تكن بشعة الخلقة دائماً، أو هكذا قالوا. لا أذكر اسمها. كان اسماً شرقياً طويلاً غريباً، لكن العامّة تعوّدوا دعوتها بماجي».

- «مايجي؟».

- «أهكذا يُنطق؟ كانت المرأة تمتصُّ قطرة دمٍ من إصبعك وتُخبرك بما يُخبّئه مستقبلُك».

- «السّحر الدّموي أكثر أنواع الشّعوضة سواداً، ويقول بعضهم إنه الأقوى كذلك».

قالت سرسي التي لا تُريد أن تسمع هذا: «هذه المايجي تنبأت بأشياء معيّنة. في البدء ضحكْتُ منها، لكنها... تنبأت بموت واحدةٍ من رفيقات فراشي. وقت النبوءة كانت الفتاة في الحادية عشرة، في صحّة ممتازة كمُهرّة وآمنةً في (الصّخرة)، لكنها سقطت بعد فترةٍ قصيرةٍ في بئرٍ وغرقت». توسّلت ميلارا إليها ألا تتكلّم أبداً عمّا سمعته تلك الليلة في خيمة المايجي. إذا لم نتكلّم عمّا حدث فسرعان ما سننساه، وعندها سيكون مجرّد حُلُم سيّئ رأيناه. الأحلام السيّئة لا تتحقّق أبداً. كانت كلتاها صغيرّة، فبدا الكلام أقرب إلى الحكمة.

سألها كايرن: «أما زلتِ حزينةً على صديقة طفولتك؟ أهذا ما يُزعجك يا جلاله الملكة؟».

- «ميلارا؟ لا. إنني أذكرُ شكلها بالكاد. غير أن... المايجي علّمت كم طفلاً سأنجب، وعلّمت بأمر نغول روبرت، قبل سنواتٍ من إنجابه أولهم علّمت. لقد وعدتني بأنني سأصيرُ ملكةً، لكنها قالت إن ملكةً أخرى ستأتي...». أصغر وأجمل. «... ملكةً أخرى ستسلبني كلّ ما أحبُّ».

- «وترغبين في تحاشي تحقّق هذه النبوءة؟».

أكثر من أيّ شيء. «أهذا ممكن؟».

- «أوه، نعم. لا تشكّكي في هذا أبداً».

- «كيف؟».

- «أظنُّ أن جلالتك تعرف الجواب».

وهي تعرفه بالفعل. كنتُ أعرفه طيلة الوقت، حتى في الخيمة. «إذا حاولتُ سأجعلُ أخي يَقْتُلُها».

إلا أن معرفة ما عليها أن تفعله شيء ومعرفة كيف تفعله شيء آخر. إنها لا تستطيع الاعتماد على چايمي. أفضل الحلول أن يفتك بها مرض مفاجئ، لكن الآلهة نادرًا ما تكون بذلك الكرم. كيف إذن؟ سيكين؟ وسادة؟ كوب من آفة القلوب؟ كل هذه الخيارات يتضمّن مشكلات. حين يموت رجل مسن في نومه لا يُفَكِّر أحد في الأمر مرّتين، لكن العثور على فتاة في السادسة عشرة ميتة في فراشها سيُفْضِي بكل تأكيد إلى أسئلة تتعدّد إجابتها، ثم إن مارچري لا تنام بمفردها أبدًا، وحتى مع احتضار السير لوراس ما زال الحرس المسلحون حولها ليل نهار.

لكن لكل سيفٍ حدّان. الرّجال أنفُسهم الذين يجرّسونها يُمكن استغلالهم في الإطاحة بها. يجب أن يكون الدليل دامغًا لدرجة ألا يجد السيّد والد مارچري ذاته خيارًا غير الموافقة على إعدامها، ولن يكون ذلك سهلًا. ليس واردًا أن يعترف عُشاقها عالمين أن معنى هذا قطع رؤوسهم مع رأسها، ما لم...

في اليوم التّالي وُجِدَت الملكة أوزموند كِتْلِبلاك يُبارز أحد التّوأمين ردواين في السّاحة. لا تدري أيُّهما، إذ لم تتمكن قط من التّمييز بينهما. شاهدت المبارزة فترةً، ثم نادّت السير أوزموند، وقالت له: «تمشّ معي واصدّقني القول. لا أريدُ زهوًا فارغًا أو كلامًا عن أن أيّ ابن لِكِتْلِبلاك أفضل ثلاث مرّاتٍ من أيّ فارسٍ آخر. الكثير يعتمد على إجابتك. أخوك أوزني، ما مدى براعته في استخدام السيّف؟».

- «إنه بارع. لقد رأيته. ليس قويًّا مثلي أو مثل أوزفريد، لكنه سريع القتل».

- «إذا دعت الحاجة، فهل يستطيع أن يهزم السير بوروس بلاونت؟».

أطلق السير أوزموند ضحكةً مكتومةً، وقال: «بوروس الكرش؟ كم سيّئه؟ أربعون عامًا؟ خمسون؟ إنه نصف ثمل نصف الوقت، وبدين حتى وهو مغيق. إذا كان يستسيغ القتال من قبل فلم يَعد يفعل. أجل يا جلالة الملكة، إذا كان قتل السير بوروس مطلوبًا فأوزني كفيل بهذا بسهولة. لماذا؟ هل ارتكب بوروس خيانةً ما؟».

أجابّت: «لا»، لكن أوزني ارتكبها.

بريان

صادفوا أولى الجُثث على بُعد ميلٍ من مفترق الطرق.

كان الرجل يتأرجح من فرع شجرة ميتة ما زال جذعها المتفجّم يحمل ندوب صاعقة البرق التي قتلتها، وقد أدّت الغربان عملها في وجهه، والتهمت الذئاب وليمةً من لحم ساقيه حيث تتدليان قرب الأرض، فلم يتبقّ أسفل الركبتين إلا العظم والأسمال... بالإضافة إلى فردة حذاءٍ ممضوغة تمامًا ويكاد يُغطيها الطمي والعفن.

سأل بودريك: «ما هذا الذي في فمه؟».

اضطربت بريان إلى اسـتجماع أطراف شجاعتها لتلقي نظرة. وجه الرجل رمادي وأخضر وفظيع، وفمه مفتوح منتفخ إذ دسّ أحدهم صخرة بيضاء مـحززة بين أسنانه، صخرة أو...

قال السيبتون ميريبولد: «إنه ملح».

بعد خمسين ياردةً أبصروا الجثة الثانية. كان أكلو الجيف قد سحبوها أرضًا، وما تبقى منها مبعثر على الأرض تحت جبلٍ عالٍ مربوط حول فرع شجرة دردار. كانت بريان لتمرّ بها دون أن تلاحظ، لولا أن كلب التقط رائحتها ووثب بين الحشائش ليتشمّمها من كتب.

سأل السير هايل: «ماذا وجدت يا كلب؟»، وترجّل ولحق بالكلب، ثم عاد بخوذة قصيرة لا تزال تحوي جمجمة الميت بالإضافة إلى القليل من الدّيدان والخنافس، وأعلن: «فولاذ جيّد، ليس منبجعا لهذه الدرجة، ولو أن الأسد فقد رأسه. پود، هل تريد خوذة؟».

- «ليس هذه، إن فيها دودًا».

- «يُمكنك أن تغسلها من الدّود يا فتى. إنك شديد الحساسية كالبنات».

قالت له بريان عابسةً: «إنها كبيرة عليه للغاية».

- «سيكبر حتى تُناسيه».

قال بودريك: «لا أريدها»، فهزّ السير هايل كتفيه وألقى الخوذة ذات ريشة الأسد المكسورة وسط الحشائش، ونبح كلب وذهب يرفع ساقه على الشجرة.

بعد ذلك لم تكد مئة ياردة تمرّ بلا جُثث مدلاة من أشجار المُران وجار الماء والزّان والبتولة والأرز والدردار، ومن أشجار الصّفاف العجوز الزّغية وأشجار الكستناء المهيبة. كلُّ رجلٍ حول رقبتِه أنشودة معلقة من حبلٍ من القنب، وكلُّ رجلٍ فمه محشو بالملح. يرتدي بعضهم معاطف رمادية أو زرقاء أو قرمزية، وإن أبهتتها الشمس والأمطار لدرجة تُصعب التّمييز بين لونٍ وآخر، وعلى صدور بعضهم شارات مخيطة، ورأت بريان فؤوسًا وسهامًا وعدة أسماك سلمون وشجرة صنوبر

وورقة سَنديان وخنافس وديوكًا ورأس خنزير برّي ونصف دسّة من الرّماح الثلاثيّة. رجال مكسورون، فلول عشرة جيوشٍ أو أكثر، فضالة اللوردات.

بعض الموتى أصلع وبعضهم ملتج، وبعضهم شاب وبعضهم عجوز، وبعضهم قصير وبعضهم طويل، وبعضهم بدين وبعضهم نحيل، لكن مع انتفاخ الجُثث وتأكّل الوجوه وتعفُّنها يتشابه الجميع. على مشانق الأشجار كلُّ البشر إخوة. قرأت بريان هذه المقولة في كتابٍ ما، وإن نسيّت اسمه.

هايل هنت هو من أعربَ عمّا أدركوه جميعًا إذ قال: «هؤلاء هم الرّجال الذين أغاروا على (الملّاحات)».

قال ميريبولد الذي كان صديق سيّتون البلدة الشّيخ: «عسى (الأب) أن يحكّم عليهم بالعذاب».

لا تهمُّ هُويّاتهم بريان بقدر ما يهمُّها مَنْ شنقَهم. يُقال إن الأنشطة وسيلة الإعدام المثاليّة عند بريك دونداريون وجماعته من الخارجين عن القانون، وإذا كان مَنْ يُسمّى سيّد البرق شانقهم حقًا فربما يكون قريبًا.

نبحَ كلب، فتلقّت السيّتون ميريبولد حوله بتجهم، وقال: «هلاً حثنا الخُطى؟ الشّمس موشكة على الغروب، والجُثث صُحية رديئة ليلاً. هؤلاء كانوا رجالًا فُساةً خطرين في حياتهم، وأشكُّ أن الموت جعلهم ألطف معشرًا».

علّق السير هايل: «أخالفك الرّأي. إنهم بالضبط النّوع الذي يُحسّن الموت طباعه كثيرًا»، على أنه همزَ حصانه وتحركَ بسُرعةٍ أكبر.

على مسافةٍ أبعد بدأت الأشجار تقلُّ، ولكن ليس الجُثث. أفسحت الغابة الطريق للحقول الموحلة وفروع الشّجر للمشانق، وحلّقت سحابات من الغُربان صارخةً مع دنوّ المُسافرين ثم عادت تستقرُّ على الجُثث ما إن مروا. ذكرت بريان نفسها قائلة: كانوا رجالًا أشرارًا، وعلى الرغم من هذا أحزنها المشهد. أرغمت نفسها على النّظر إلى كلّ رجلٍ بدوره ياحثةً عن وجوهٍ تالفها، وخطرَ لها أنها تعرّفت بعض مَنْ رأتهم في (هارنْهال)، إلّا أن حالتهم جعلت التّيقن عسيرًا. لا أحد من المشنوقين يعتمر خوذةً على شكل رأس كلب، لكن قلّة منهم تعتمر خوذاتٍ من شتّى الأنواع، وإن جرّد أكثرهم من الأسلحة والدروع والأحذية قبل إعدامهم.

عن-دما س-أل پودري-ك عن اس-م الخان ال-ذي ي-أملون قضاء ال-لّيل في-ه، انت-هز السيّتون ميريبولد الفرصة بحماسٍ -ربما ليصرف تفكّيرهم عن ال-خُرّاس المريعين على جانب الطريق- وقال: «يُسمّيه بعضهم (الخان القديم). ثمة خان كان قائمًا هناك عدّة مئاتٍ من السّنين، ولو أن الخان الموجود حاليًا بُنيَ في عهد چهيرس الأول، الملك الذي شقّ (طريق الملوك)، ويُقال إن چهيرس وملكته اعتادا التّوم هناك خلال رحلاتهما، وهكذا ظلّ المكان معروفًا فترةً باسم (خان التّاجين) تكريمًا لهما، إلى أن شيّد أحد أصحابه

بُرج جرسٍ وغيّر الاسم إلى (خان قارع الجرس). بعدها انتقل المكان إلى فارسٍ مُعاق اسمه چون هديل الفارع اشتغل في الحدادة حين تقدّمت به السيّن ولم يَعد يقوى على القتال، فصنع لافتةً جديدةً للسّاحة، تَينًا ثلاثي الرؤوس من الحديد الأسود علّقه من سارية خشبيّة. كان التّين كبير الحجم لدرجة أنه تَكون من عدّة قطع رُبطت معًا بالحبّال والأسلاك، وحين تهب الرّيح كان يُصلّص ويرن، فاشتهر الخان في كلّ مكانٍ باسم (التّين الرّنان).
سأل پودريك: «أما زالت لافتة التّين موجودة؟».

أجاب السيّتون ميريبولد: «لا. عندما تقدّم ابن الحدّاد في السيّن بدوره تمرّد ابن نغل لإجون الرّابع على أخيه الشرعي واتّخذ لرمزه تَينًا أسود. وقتها كانت هذه الأراضي تنتمي إلى اللورد داري، وكان حضرة اللورد مخلصًا للملك لأقصى درجة، فأغضبه منظر التّين الأسود وقطع السّارية الخشب وحطّم اللافتة وألقاها في النّهر. بعدها بسنوات كثيرة جرفت المياه أحد رؤوس التّين إلى (جزيرة الهدوء)، ولو أن حُمرّة الصّدأ كانت قد صبّغت عندئذٍ. لم يُعلّق صاحب الخان لافتةً أخرى، ونسيّ النّاس التّين وأصبحوا يدعون المكان بـ(خان النّهر). آنذاك كان (الثّالوث) يتدفّق أسفل الباب الخلفي، ونصف الغُرف كان مَينًا فوق المياه مباشرة. يقولون إن الضيوف كـان بإمكانهم صـيد أسـماك التـرويت من نوافـذ غُرفـهم بـالصّنانير. كـان هـناك مرسـى عـبّارة أيـضًا، ليسـ تطيع الضيوف العبـور إلـى (بلـدة اللـورد هـاروواي) و(الأسوار البيضاء)».

قالت بريان: «لقد تركنا (الثّالوث) في الجنوب وركبنا شمالًا وغربًا... ليس نحو النّهر بل بعيدًا عنه».

- «أجل يا سيّدي. مجري النّهر تبدّل. كان هذا منذ سبعين عامًا، أم أنها ثمانين؟ وقتها كان جدّ العجوز ماشا هديل يملك المكان، وهي من حكّت لي تاريخه كلّه.

امرأة طيّبة ماشا، مولعة بالتّبغ المرّ وكعك العسل. عندما لا تكون عندها غُرفة شاغرة لي كانت تتركني أنام إلى جوار المستوقّد، ولم تُودّعني قطّ دون أن تُعطيني خُبزًا وجُبنةً وبعض الكعكات البائتة».

سأله پودريك: «أهي صاحبة الخان الآن؟».

- «لا. لقد شـنقها الأسـود. سـمعتُ أن بـعد رحيلـهم حـاولَ أحـد أبـناء إخوتـها إعـادة فتـح الخـان من جـديد، لكـن الحـروب جـعلت سـفر العـامّة علـى الطـرق محفـوفًا بالأخطار، فلم يأت زبائن كثيرون. جلبَ الرّجل عاهرات، لكن حتى هذا لم ينفعه. سمعتُ أن أحد اللوردات قتله أيضًا».

رسم السير هايل تعبيرًا ساخرًا على وجهه، وقال: «لم أتخيّل قطّ أن امتلاك خانٍ من شأنه أن يكون خطرًا مميتًا هكذا».

رَدَّ السَّيِّتُونَ مِيرَبُولدَ: «الخطر أن تكون من أولاد العامَّة وقت أن يلعب اللوردات لعبة العروش، أليس كذلك يا كلب؟»، فنبَحَ الكلب مؤيِّدًا.
سألَ يودريك: «إذن هل للخان اسم الآن؟».

- «العامَّة يُسمُّونه خان مفترَق الطُّرق. الأخ الكبير أخبرني بأن اثنتين من بنات إخوة ماشا هِدِل أعادتا فتح المكان للزَّبان»، ورفعَ السَّيِّتُونَ نُبُوته مضيِّقًا: «بمشيئة الآلهة سيكون الدُّخان المرتفع من وراء المشنوقين من مداخن الخان».

قال السير هايل: «يُمكنهم أن يُسمُّوا المكان خان المشانق!».

بِأَيِّ اسْمِ الخان كبير، يرتفع ثلاثة طوابق فوق الطُّرق الموحلة، وجدرانُه وشرفاته ومداخله من حجرٍ أبيض ناعم يلتمع بشحوبٍ شبحي تحت السَّمَاء الرَّمادية.

الجناح الجنوبي مشيِّد فوق دعائم خشبيَّة ثقيلة أعلى مساحةٍ غائصة مشقَّقة من الحشائش والعُشب البني الميت، وثمَّة أسطبل بسقفٍ من القشِّ وُبرج جرس ملحقان بالجانب الشِّمالي، والمكان كله محاط بسورٍ واطئٍ من حجارةٍ بيضاء مكسرة تنمو عليها الطحالب بكثافة.

على الأقل لم يُحرقه أحد. في (الملاحات) لم يجدوا إلَّا الموت والدَّمار. لدى وصول بريان ورفاقه بالعَبَّارة من (جزيرة الهدوء) كان النَّاجون قد هربوا والموتى وُوروا التُّراب، لكنَّ جثة البلدة نفسها تبقى متفجِّمة لم تُدفن، ما زالت في الهواء رائحة الدُّخان، ويكاد صياح الدُّنوارس المحلقة بالأعلى يكون بشريًّا كأنه نواح أطفالٍ ضاعوا من أهاليهم. حتى القلعة بدت كئيبة مهجورة. رمادية هي كرماد البلدة المحيطة بها، وتتكوَّن من حصنٍ مربعٍ محاط بسورٍ ومشيدٍ بحيث يطل على الميناء.

وجدت بريان والآخرون المكان مغلقًا بإحكامٍ إذ قادوا دوابَّهم من العبَّارة، ولا شيء يتحرَّك في الشُّرفات إلَّا الرَّايات، واستغرق الأمرُ ربع ساعةٍ من نباح كلب وطرق السَّيِّتُونَ مِيرَبُولد البوابة الأمامية بنُبوته قبل أن تظهر امرأة من فوقهم لتسألهم عما يُريدون.

عندئذٍ كانت العبَّارة قد رحلت وبدأت السَّمَاء تُمطر، ورفعَ مِيرَبُولد صوته مجيبًا: «أنا سيِّتون من العقيدة يا سيِّدتي الكريمة، وهؤلاء مُسافرون شُرفاء. نسألُكم المأوى من المطر ومكانًا إلى جوار النَّار الليلة».

على أن مناشدته لم تُؤثِّر في المرأة، وردَّت: «أقرب خان عند مفترَق الطُّرق إلى الغرب. لا تُريد أغرابًا هنا، ارحلوا»، وما إن غابت لم تُفْلِح صلوات مِيرَبُولد أو نباح كلب أو سباب السيل هايل في إعادتها، وفي النِّهاية أمضوا الليل في الغابة تحت سقفٍ صنعوه من الغصون المجدولة.

لكن في خان مفترق الطرق حياة. حتى قبل بلوغهم البوابة سمعت بريان صوت الدق خافتا لكن ثابتا وله رنين فولاذي.

قال السير هايل: «ورشة. إما أن عندهم حدادا وإما أن شيخ صاحب الخان القديم يصنع تيننا حديديا آخر»، وهمز حصانه مضيقا: «أمل أن عندهم طبّاخا شبّحا أيضا. دجاجة مشوية ناضجة كفيلة بجعل كل شيء على ما يُرام».

ساحة الخان بحر من الأوحال البنية التي مصّت حوافر خيولهم. رنين الفولاذ أعلى هنا، ورأت بريان وهج الورشة الأحمر عند طرف الاسطبل القصي وراء عربة ثيران لها عجلة مكسورة. رأت أحصنة في الاسطبل أيضا، وصبيّا صغيرا يتأرجح على سلسلة المشنقة البالية الصّدة التي ترتفع فوق السّاحة، وقد وقفت أربع فتيات في شرفة الخان الأمامية يُشاهدنه. أصغرن العارية لا تتجاوز العامين، وأكبرهن -التي تبلغ التاسعة أو العاشرة- تقف ضامّة الصّغيرة بذراعيها حمايةً.

ناداهن السير هايل قائلا: «أيتها الفتيات، أسرعن ونادين أمكن».

وثب الصّبي من السلسلة وهرع إلى الاسطبل، في حين وقفت الفتيات الأربع متململات، وبعد وهلة قالت إحداهن: «ليست لنا أمّهات»، وأضافت أخرى: «كانت لي واحدة لكنهم قتلوها»، ثم تقدّمت أكبر الأربعة دافعة الصّغيرة وراءها، وسألت: «مَن أنتم؟».

- «مُسافرون شرفاء نبحث عن مأوى. اسمي بريان، وهذا هو السيّتون ميريبولد المعروف في أراضي النّهر، والصّبي هو مُرافقِي يودريك پاين، والفارس هو السير هايل هنت».

توقّفت الدّقات فجأة، وتطلّعت إليهم الفتاة الواقعة في الشّرفة بحذر لا تتحلّى به إلا طفلة في العاشرة، ثم قالت: «أنا ويلو. هل تُريدون أسرة؟».

ترجّل السير هايل مجيئا: «أسرة ومِزرا وطعاما ساخنا. هل أنت صاحبة الخان؟».

هزّت رأسها نفيا، وقالت: «إنها أختي چاي-ن، لكنّها ليست هنا. ليس عن-دنا ما نأكله إلا لحم الخيل، ولا توجد عاهرات إذا كنت-م قد جئتم من أجل-هن، أختي طردت-هن. لكن عندنا أسرة، بعضها محشو بالرّيش لكن أغلبها بالقش».

قال السير هايل: «وكُلّها تسكّنه البراغيث لا شك».

- «هل معكم مال تدفعون به؟ فضّة؟».

ضحك السير هايل، وقال: «فضّة؟ للمبيت ليلة وفخذ حصان؟ هل تُحاولين سرقتنا أيتها الصّغيرة؟».

- «ستدفعون بالفضّة، أو يُمكنكم النّوم في الغابة مع الموتى»، ورمقت ويلو الحمار وما على ظهره من براميل وحُزَم متسائلة: «أهذا طعام؟ أين حصلتهم

عليه؟».

أجاب ميريبولد: «(بركة العذارى)»، ونبَحَ كلب.

سأل السير هايل: «أتستجوبون ضيوفكم جميعًا بهذه الطريقة؟».

- «لا يأتينا ضيوف كثيرون منذ بدأت الحرب. أكثر من على الطريق هذه الأيام عصفير أو أسوأ».

ردَّت بريان: «أسوأ؟».

قال صوت صبيٍّ من الاسطبل: «لصوص وقُطّاع طُرق».

والتفتت بريان فرأت شبحًا.

رنلي. لا ضربة من مطرقةٍ كانت لتُردِّبها بهذه القوَّة. شهقت: «سيّدي؟».

أزاح الصَّبي خُصلةً نافرةً من الشَّعر الأسود عن عينيه قائلاً: «سيِّدك؟ إنني مجرد حدّاد».

تبَيَّنَت بريان أنه ليس رنلي حقًّا. رنلي ميت، رنلي ماتَ بين ذراعي رجلًا في الحادية والعشرين. هذا مجرد صبي. صبيٌّ يُشبه رنلي عندما زارَ (تارث) أول مرة. لا، أصغر.

فَكَهَ مربَّع أكثر وحاجباه أكثف. رنلي كان نحيلاً ممشوقًا، أمّا هذا الصَّبي فله الكتفان الثقيلتان والذِّراع اليُمْنى مفتولة العضلات التي كثيرًا ما تُرى في الحدّادين.

يرتدي مئزرًا جلّديًا طويلاً لكـن صـدره عـار تحتـه، ويُغَطِّي زغب دالـكـن وجنتيـه وذقنـه، وشـعـره كُتـلـة سـوداء غزيـرة تنمـو متجـاوزةً أذنيـه. شـعـر الملـك رنلـي كـان أسـود فاحمًا كهذا، لكنه حرصَ دومًا على غسله وتمشيطة وتصفيفه. أحيانًا كان يُقَصِّره وأحيانًا يتركه ينسدل على كتفيه أو يربطه وراء رأسه بشريطٍ ذهبي، لكنه لم يكن قط ملبّدًا أو مبللًا بالعرق. وعلى الرغم من أن لون عينيه كان هذا الأزرق العميق نفسه، فإنهما كانتا دائمًا دافئتين مرجبتين ضاحكتين، في حين تنضح عينا الصَّبي بالغضب والارتياب.

رأى السيِّبتون ميريبولد هذا أيضًا، فقال: «لا نقصد أدّى يا فتى. وقت امتلاك ماشا هديل هذا الخان كانت تُطعمني كعك العسل دومًا، وأحيانًا تُعطيني فراشًا إذا لم يكن المكان ممتلئًا».

ردَّ الصَّبي: «لقد ماتت، الأسود شَنَقوها».

قال السير هايل هنت: «يبدو أن الشَّنَق الرِّياضة المفضَّلة هذه الأيام. ليتني أملك أرضًا في هذه الأنحاء. كنتُ لأزرع القنب وأبيع الحبال وأجني ثروة».

سألت بريان الفتاة ويلو: «هؤلاء الأطفال، أ هم... إخوتك وأخواتك؟ أقاربك وأولاد عمومك؟».

قالت ويلو محدّقةً إليها بنظرةٍ تحفظها عن ظَهر قلب: «لا، إنهم فقط... لا أدري... أحيانًا يأتي بهم العصافير، وهناك آخرون يأتون من تلقاء أنفسهم. ما دمتِ امرأةً فلمَ ترتدين ثياب الرجال؟».

أجابها السيّتون ميريبولـد: «الليـدي بريـان فتـاة مُحاربة فـي مـهمّة، لكنـها تحتـاج الآن إلـى فراش جـاف وناـر تتـدفّأ بـها، ونحـن أيـضًا. عظامي العجـوز تُنبئـني بـأن المـطر سيُعاوِد السُّقوط قـريبًا. هل عندكم عُرف لنا؟».

قال الصّبي الحدّاد: «لا»، وقالت الفتاة ويلو: «نعم».

تبادلَ الاثنان نظرةً، ثم دبّبت ويلو بقدمها قائلةً: «إن معهم طعامًا يا جندري. الصّغار جائعون»، وأطلقت صغيرًا فخرجَ مزيد من الأطفال كأنما بفعل السّحر.

زحفَ صبيان شُعث الشّعـر يرتدون الأسـمال خارجين من تحت الشّرفة، وظهرت صياها كامنات في التّوافذ المطلة على السّاحة، قد حملَ بعضهم نُشائبات ملقمة جاهزة للإطلاق.

قال السير هايل: «يُمكنهم تسميته خان النّشابية».

فكرت بريان: خان اليتامى اسم أجدر.

قالت ويلو: «وات، ساعدهم على ربط الخيول. ويل، ضَع هذه الصّخرة، إنهم لم يأتوا لأدبّتنا. تانسلي، پايت، أسرعاً بإحضار حطب للنّار. چون پني، ساعد السيّتون على إنزال الحمولة. سآخذهم إلى عُرفهم».

في النّهاية أخذوا ثلاث عُرفٍ متجاورة في كلّ منها فراش بحشيّة من الرّيش ووعاء فضلات ونافذة، وفي عُرفة بريان مستوفدٌ أيضًا، فدفعَت بضعة بنسات إضافيّة من أجل الحطب. بينما تفتح النّافذة سألها يودريك: «هل سأنامُ في عُرفتكَ أم عُرفة السير هايل؟»، فأجابته: «لسنا في (جزيرة الهدوء). يُمكنك أن تنام معي». في اليوم التّالي تنوي أن يتحرّك الاثنان وحدهما. السيّتون ميريبولد سيّتجه إلى (نوتن) و(ريفر بند) و(بلدة اللورد هاروواي)، لكن بريان لا ترى جدوى من أن تتبعه فترةً أطول. إن معه كلـب رفـيقًا، والأخ الكبـير أقنعهـا بأنـها لـن تجـد سـانزا سـتارك علـى ضـفاف (الثالوث). «أنوي أن أسـتيقظ قبل شـروق الشّمس والسـير هـايل لا يزال نائمًا». لم تُسامحه بريان على (هايجاردن)... وكما قال هَنت بنفسه، إنه لم يُقسِم على شيءٍ بخصوص سانزا.

- «أين سنذهب أيتها الفارس؟ أعني يا سيّديتي؟».

لا تملك بريان إجابةً جاهزةً. إنهما عند مفترق الطّرق حرفيًا، المكان الذي يتقاطع فيه (طريق الملوك) و(الطريق العالي) وطريق النّهر معًا. (الطريق العالي) يأخذهما شرقًا عبر الجبال إلى (وادي آرن)، حيث كانت خالة سانزا تحكُم حتى

موتها، وإلى الغرب طريق النَّهر الذي يمضي بمحاذاة (الفرع الأحمر) إلى (ريفررن) وعمِّ أمَّ سانزا المحاصر وإن كان حيًّا، أو يُمكنهما أن يَسْلُكا (طريق الملوك) إلى الشَّمال ويمرَّ بـ (التَّوأمَتين) إلى منطقة (العُنق) بمستنقعاتها ومياهها الآسنة، وإذا استطاعت أن تجد وسيلةً لاجتياز (خندق كايِلن) ومَنْ يُسَيِّر عليها الآن فسيأخذهما (طريق الملوك) حتى (وينترفل) نفسها.

أو يُمكنني أن أسلك (طريق الملوك) إلى الجنوب، أن أعود خلسةً إلى (كينجز لاندنج) وأعترف بفشلي للسَّير چايمي وأعيد إليه سيفه، ثم أجد سفينةً تحملني إلى (تارث) كما أوعزَ إليَّ الأخ الكبير. فكرة مريرة، لكن جزءًا منها يحنُّ إلى (بهو المساء) وأبيها، وثمة جزء آخر يتساءل إن كان چايمي سيؤاسيها إذا بكت على كتفه. هذا ما يُريده الرِّجال، أليس كذلك؟ نساءً رقيقات الحاشية مهيضات الجناح يحتجن إلى حمايتهم؟ - «أيتها الفارس، سيديتي، سألتكِ أين سنذهب».

- «إلى القاعة العامَّة لتتناول العشاء».

كانت القاعة العامَّة تعجُّ بالأطفال. حاولت بريان أن تُحصيهم، لكنهم لا يقفون ثابتين ولو لحظةً، فعَدَّت بعضهم مرَّتين أو ثلاثًا وبعضهم لم تعدَّه على الإطلاق، وفي النِّهاية استسلمت. كانوا قد دفعوا الموائد معًا مكوِّنين ثلاثة صفوفٍ طويلة، والصِّبية الأكبر سنًّا يجرون الدِّكَّ بصعوبةٍ من المؤخِّرة. «الأكبر سنًّا» معناها أنهم في العاشرة أو الثانية عشرة. جندي أقربهم إلى الرُّجولة، لكن ويلو هي مَنْ تصيح بالأوامر كأنها ملكة في قلعتها والأطفال الآخرون خدمها فحسب.

لو أنها رفيعة النَّسب لكانت القيادة من صفاتها الطَّبِيعِيَّة والإذعان من طباع البقيَّة. تساءلت بريان إن كانت ويلو أكثر مما تبدو. الفتاة أصغر سنًّا وملامحها أكثر تقليديَّة من أن تكون سانزا ستارك، لكنها في السِّنِّ المناسبة لأن تكون الأخت الصَّغيرة، وحتى الليدي كاتلين نفسها قالت إن آريا تفتقر إلى جَمال أختها. شعرها بَنِّي، عيناها بَنِّيَّتان، نحيلة... أيُمكن أن تكون هي؟ تذكّر بريان أن شعر آريا ستارك بَنِّي، لكنها ليست متأكَّدة من لون عينيها. بَنِّي وبَنِّي، أليس كذلك؟ أيُمكن أن يتَّضح أنها لم تَمُت في (الملاحات)؟ في الخارج يتلاشى ضوء النَّهار، وفي الدَّاخِل جعلتهم ويلو يُشعلون أربع شمعاتٍ من الشَّحم وقالت للفتيات أن يُحافظن على تاجح نار المستوقد. ساعد الصِّبية پودري-ك پاين على إنزال حمولة الحم-ار ودخلوا ح-املين سَم-ك ال-قد المم-لح وال-ضَّان والخض-راوات والمك-سرات وق-والب الجُبنة، في حين ذهب السيِّتون ميريبولد إلى المطبخ ليتولَّى إعداد الثَّريد، وقال لأحد الصِّبية الصَّغار: «للأسف نغد بُرتقالي، وأخشى أنني لن أرى بُرتقالةً أخرى قبل الرِّبيع. هل أكلت البُرتقال من قبل يا بُني؟ هل اعتصرت واحدةً وامتنصت عصيرها؟»، فلمَّا هزَّ الطِّفل رأسه نفيًا نفش السيِّتون شعره قائلاً: «سأجلبُ لك واحدةً إذن عندما يأتي الرِّبيع إذا كنت صبيًّا طيِّبًا وساعدتني على تقليب الثَّريد».

خلعَ السير هایل حذاءه لِيُدْفِي قدميه عند النَّار، وحين جَلَسَتْ بريان إلى جواره أشارَ برأسه إلى طرف القاعة القصيِّ قائلاً: «ثُمَّةُ بُقْع دم هناك على الأرض حيث يتشمَّم كلب. لقد نُطِقتَ لكن الدَّم تخلَّل الخشب ولا يُمكن الخلاص منه». ذكَّرتَه قائلةً: «هذا هو الخان الذي قتلَ فيه ساندور كليجان ثلاثةً من رجال أخيه».

- «صحيح، ولكن مَنْ يدري إن كانوا أول مَنْ ماتوا هنا... أو آخِرهم؟».

- «أأنت خائف من أطفال قلائل؟».

- «أربعة قلائل، عشرة كثرة، وهؤلاء حشد. المفترَض أن يُلفَّ الأطفال بالقمط ويُعلَّقوا على الحائط إلى أن تنبت للفتيات أذاء ويبدأ الفِتيّة حلاقة ذقونهم».

- «أشعرُ بالأسف من أجلهم. كلُّهم فقدوا أمَّهاتهم وآباءهم، وبعضهم رآهم يُقتلون».

دَوَّرَ هَنْتَ عينيه في محجريهما باستخفافٍ قائلاً: «نسيْتُ أنني أكلِّمُ امرأة. إن لكِ قلباً لِيَتَا كثيرُ السيِّتون. أيُمكن أن في مكانٍ ما في أعماق مُبارزتنا أم تتوق إلى إنجاب الأطفال؟ ما ترغبين فيه حقاً هو رضيع جميل متورِّد يرضع من ثديكِ»، وابتسمَ السير هایل ابتسامةً عريضةً مضيقاً: «سمعتُ أنكِ تحتاجين إلى رجلٍ لأجل هذا، ويُفضَّل أن يكون زوجاً. لِمَ لا يكون أنا؟».

- «إذا كنت ما زلت تأمل أن تفوز برهانك...».

- «ما أريـدُ الفوز بـه أنتِ، ابنة اللـورد سـلـوين الحـيَّة الوحيـدة. لقد عرفتُ رجـالاً تزوجوا البلـهاوات والرضـيعات في سـبيل غنـائم بعشـير مسـاحة (تـارث). لسـتُ رنـلي بـاراثيون، أعترفُ بـهذا، لكنـي أتمـتُّ بفضـيلة وجـودي على قـيـد الحـياة. ربـما يـقول بعضـهم إنـها فضـيلتي الوحيـدة. الزّواج سـينفع كلـينـا، الأراضـي لـي وقلعة مـلأى بهؤلـاء لكِ»، ولوَّحَ هَنْتَ بيده نحو الأطفال مردفاً: «أؤكِّدُ لكِ أنني قادر. لقد أنجبتُ نغلةً واحدةً على الأقل على حدِّ علمي. لا تقلقي، لن أبـتليكِ بها. آخر مرّةٍ ذهبتُ لزيارتها سكبتُ أمها عليّ مرجلاً من الحساء».

قالت والأحمر يزحف على عُنقها: «أبي في الرَّابعة والخمسين فقط، ليس أكبر من الزّواج ثانيةً وإنجاب ابنٍ من زوجته الجديدة».

- «هذه مخاطرة... إذا تزوّج أبوك ثانيةً، وإذا كانت زوجته خصيبةً، وإذا أنجبت ابناً. لقد راهنتُ على ما هو أسوأ».

- «وخسرت الرّهان. مارس ألعابك مع واحدةٍ غيري أيها الفارس».

- «تقول هذا الفتاة التي لم تلعب مع أحدٍ قطُّ. حالما تفعلين سيتغيّر رأيك. في الظّلام ستكونين جميلةً كأي امرأةٍ أخرى. إن شفـتيكِ مخلوقتان للقلبات».

- «إنهما شفـتان. الشِّفاه كلُّها واحدة».

قال هَتَ بِمرح: «وكلُّ الشَّيفاه مخلوقة للقبَلات. لا تُنْزِلِي مزلاج باب عُرفتِك اللَّيلة وسأُنْسلُ إلى فِرَاشِك وأُثبتُ لك حقيقَة ما أقوله». رَدَّت بريان: «وإذا فعلت فسُتْغادر مخصيًّا»، ونهَضَت مبتعدةً عنه.

متجاهلاً الفتاة الصَّغيرة التي تحبو عاريةً على المائدة، سألَ السَّيِّتون ميريبولد إن كان يُمكنه أن يقود الأطفال في صلاة، فأجابَت ويلو بالإيجاب رافعةً الصَّغيرة قبل أن تَبْلُغ الثَّريد، وهكذا حنوا رؤوسهم معًا وشكروا (الأب) و(الأم) على نعمتهما... جميعهم باستثناء الصَّبي الحَدَّاد فاحم الشَّعر، الذي جلسَ عاقدًا ذراعيه على صدره يُحَدِّقُ إليهم عابسًا فيما يُصلُّون. ليست بريان الوحيدة التي لاحظت، وبعد الصَّلَاة تطلع السَّيِّتون ميريبولد عبر المائدة متسائلًا: «ألا تحبُّ الآلهة يا بُني؟».

قال جندري: «ليس ألَهِتكم»، ونهَضَ فجأةً مستطردًا: «عندي عمل»، وخرَجَ دون لُقمة طعام.

سألَ هايل هَتَ: «هل يحبُّ إلَهاً آخر؟».

بصوتٍ رفيع أجاب صبيُّ هزيل في السَّادسة أو نحوها: «إله الضَّياء».

ضربتَه ويلو بملعقة، وقالت: «بن ذو الفم الكبير، هناك طعام، عليك أن تأكله لا أن تُزَعِج ضيوفنا بكلامك».

انقَضَ الأطفالُ على العِشاء كما تنقَضُ الذِّئاب على غزالٍ جريح، يتشاجرون على سَمَك القُدِّ ويُمَرِّقون خُبز الشَّعير وينثرون الثَّريد في كلِّ مكان، وحتى قِالب الجُبنة الضخم لم ينجُ منهم طويلًا. قنعت بريان بالسَّمك والخُبز والجزر، بينما أطعمَ السَّيِّتون ميريبولد كلب لُقمتين مقابل كلِّ لُقمة لنفسه. في الخارج بدأ المطر يسقط، وفي الدَّاخل طقطقت النَّار وملأت القاعة العامَّة أصوات المضغ وضرب ويلو الأطفال بملعقتها. علَّق السير هايل قائلاً: «ذات يومٍ ستُصبح هذه الفتاة زوجةً مخيفةً لرجلٍ ما، صبيِّ الحَدَّاد المسكين على الأرجح».

- «المفترَض أن يأخذ إليه أحدهم القليل من الطَّعام قبل أن ينفد».

- «أنتِ أحدهم».

لَقَّت شريحةً من الجُبنة ورغيفًا من الخُبز وتَفَّاحةً مجفَّفةً وقطعتين من سَمَك القُدِّ المقلي بمنديلٍ مرَبَّع، ولمَّا نهَضَ پودريك ليتبعها إلى الخارج قالت له أن يجلس ويأكل، وأضافت: «لن أتأخَّر».

كان المطر ينهمر بغزارةٍ على السَّاحة، فغطَّت بريان الطَّعام بطيَّةٍ من معطفها، وإذ مرَّت بالاسطبل صهَلَ بعض الخيول، فقالت لنفسها: هي أيضًا جائعة.

وجدت جندري في ورشته عاري الجذع تحت مئزره الجلد، يهوي بالمطرقة على سيفٍ كأنه يتمنَّى لو أنه عدو، وقد سقط شَعره المبلَّل عن آخره بالعرق على

جبهته.

راقبتَه فترةً مفكّرةً: إن له عيني رنلي وشعره ولكلّ ليس بنيانَه.
الورد رنلي كأن أقرب إلى الرّشاقة من انفتال العضلات... على
عكس أخيه روبرت صاحب القوّة الشهيرة.

لم يرها جندري واقفةً هناك حتى توقف يمسح جبهته، فسألها: «ماذا
تريدين؟».

أجابت: «أحضرتُ لك عشاءك»، وفتحت المنديل ليري.

- «لو أردتُ طعامًا لأكلت».

- «على الحدّاد أن يأكل ليُحافظ على قوّته».

- «أنتِ أمّي؟».

قالت واضعةً الطّعام: «لا. من أمك؟».

- «ولمَ تُريدن أن تعرفي؟».

- «أنت مولود في (كينجز لاندنج)». لكنته تجعلها واثقةً بهذا.

قال: «أنا وكثيرون غيري»، وغمس السّيف في حوضٍ من ماء الأمطار ليُطفئ
ناره، فمسّس الفولاذ الساخن غاضبًا.

سألتَه بريان: «كم سنّك؟ أما زالت أمك حيّة؟ وأبوك، من كان؟».

ردّ: «تلقين أسئلةً كثيرة»، ووضع سيفه مضيئًا: «أمّي ماتت وأبي لم أعرفه
قط».

- «أنت نغل إذن».

اعتبر كلامها إهانةً، وقال حانقًا: «أنا فارس. هذا السّيف سيكون لي ما إن أفرغ
منه».

لماذا يعمل فارس في ورشة حدادة؟ «إن لك شعراً أسود وعينين زرقاوين،
وولدت في ظلّ (القلعة الحمراء). ألم يُعلّق أحد على وجهك من قبل؟».

- «وما عيب وجهي؟ إنه ليس قبيحًا كوجهك».

- «لا بدّ أنك رأيت الملك روبرت في (كينجز لاندنج)».

هزّ كتفيه قائلاً: «أحيانا، في المباريات من بعدي، ومرّةً في
(سيت بـيلور). ذوو المعاطف الذهبية دفعونا لنفسح له الطريق.
في مرّةٍ أخرى كنتُ العَبُّ قُرب (بوابة الطّمي) وهو عائد من الصّيد. كان
سكران تمامًا وكادّ يدعسني بحصانه. كان سكيّرًا بديئًا، لكن ملكًا أفضل من
ابنيه».

ليس ابنيَه. ستانيس قال الحقيقة يوم التقى رنلي. خوفري

وتومن لـم يكون! ابـنـي روبرت قَطّ، أمّا هـذا الصّبـي... بدأت برىـان
تتكلّم قائلـة: «اسـمعني...»، إلّا أنّها سمعت كلب ينبح بصوتٍ عالٍ هائج،
فقالت: «أحدهم قادم».

قال جندري بلا مبالاة: «أصدقاء».

سألته بريان: «أصدقاء من أيّ نوع؟»، وذهبت إلى باب الورشة تُلقي نظرةً عبر
المطر.

هزّ كتفيه مجيبًا: «ستلتقيهم قريبًا».

فكرت بريان إذ دخل أول الخيالة السّاحة خائضًا في برك الوحل: ربما لا أريدُ أن
ألتقيهم. تحت طقطقة المطر ونباح الكلب سمعت الصّلة الخافتة الصّادرة من
سـيوفهم وقمصـانهم المعـدنيّة أسـفل معاطفـهم المـهترئة، وعـدّتهم
واحـدًا تـلو الآخر. 2، 4، 6، 7. وشّت الطريقـة التـي يـركب بـها بعضـهم
بكونـهم جـرحى، ثـم جـاء آخـرهم الضّخم الذي يُعادل اثنين من الآخرين معًا
في الحجم، حصانه منهكٌ دامٍ ويترجّج تحت ثقل راكبه. كان الخيالة جميعهم
يرفعون قلنسواتهم لتقيهم من جلدات المطر، جميعهم باستثناءه هو، فلاحَ
وجهه العريض الحليق الشّاحب كالديدان ووجنتاه المستديرتان اللتان تُغطّيهما
القروح المفتوحة.

حبـست برىـان أنفاسـها واسـتلتّ (حـافظ العـهد)، وفـكّرت جافـلةً خـوفًا:
كثيرون للغاية، عـددهم كبـير جـدًا، ثـم إنّها قـالت بصـوتٍ خـفيض:
«جنـدري، سـتحتاج إلـى سيفٍ ودرع. هؤلاء ليسوا أصدقاءً، ليسوا أصدقاء
أحد».

قال الصّبـي: «عمّ تتكلّمين؟»، وجاء يقف إلى جوارها حاملًا مطرقته.

سطعَ البرق في الجنوب بينما يترجّل الخيالة، ولينصف لحظةً استحال الظّلام
إلى نهار، لتلتمع فأس بالأزرق الفضي ويتوهّج الضوء على القمصان المعدنيّة
والدروع، وتحت قلنسوة الخيال القائد القائمة لمحت بريان خطمًا حديدًا وصقّين
من الأسنان الفولاذ، فم كلبٍ يُزْمَجِر.

رأى جندري أيضًا الخوذة، فقال: «هو».

- «لـيس هـو، بـل خـوذتـه». حـاولت برىـان أن تـمنـع الخـوف مـن
التّسـلّل إلـى صـوتها، لكنـها وجـدت فـمـها جـافًا كـالثّراب. إنّ لـديها
تخمينًا لا بأس به على الإطلاق بخصوص من يعتمر خوذة كلب الصّيد.
فكرت: الأطفال.

انفتح باب الخان بقوةٍ وخرجت ويلو إلى المطر رافعةً نُشّابيّةً، وصاحت الفتاة في
الوافدين لكن الرّعد هزمَ في السّاحة طاغيًا على كلامها، وإذ خفت سمعت
بريان مَن يعتمر خوذة كلب الصّيد يقول: «أطلقني عليّ سهمًا وسأدسُ هذه

التَّشَابِيَّةُ فِي كَيْدِكِ وَأَنْكَحِكِ بَهَا، ثُمَّ سَأَقْتُلُ عَيْنِيكَ وَأَجْعَلَكَ تَاكَلِيْنَهُمَا».

دَفَعَ الْغَضَبُ فِي صَوْتِ الرَّجُلِ وَبَلَغَ إِلَى التَّرَاجُعِ خُطْوَةً مُرْتَجِفَةً، وَثَانِيَةً فَكَّرَتْ بَرِيَانُ بِيَّاسَ: سَبْعَةٌ. تَعْلَمُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ لَهَا فِي التَّغْلِبِ عَلَى سَبْعَةٍ. لَا فُرْصَةٌ وَلَا خِيَارٌ.

خَرَجَتْ إِلَى الْمَطَرِ حَامِلَةً (حَافِظَ الْعَهْدِ)، وَقَالَتْ: «دَعُوهَا وَشَأْنُهَا. إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَغْتَسِبُوا أَحَدًا فَجَرِّبُونِي».

التفتَ إليَّها الخارجون عن القـانـون في أنٍ واحد. ضحك أحدهم، وقال آخر شيئاً بلغه تجهلها بريان، وصدر من الضخم ذي الوجه الأبيض العريض هسيسسسسسسسسسس محمل بالغل، ثم انفجر الرجل الذي يعتمر خوذة كلب الصيد ضاحكًا، وقال: «إنكِ أقبح مما أذكرُ. أوثر أن أغتصب حصانكِ».

قال أحد الجرحى: «الأحصنة، هذا ما نريد، أحصنة جديدة والقليل من الطعام. هناك خارجون عن القانون يطاردونا. أعطونا أحصنتكم وسنذهب، لن نُؤذيكُم».

اختطف المجرم معتمر خوذة كلب الصيد فأَسَّا حربيَّةً من سَرجه قائلاً: «تبًّا لهذا. أريدُ أن أقطع ساقيها اللعينتين. سأضعها على جدعتيهما لتُشاهدني أغتصب فتاة الشَّابِيَّة».

قالت بريان باستهزاء: «بماذا؟ شاجويل قال إنهم بتروا ذكرك مع أنفك». أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَفْزِهَ، وَنَجَحَتْ.

جَائِرًا بِالشَّتَائِمِ انْقِضَ عَلَيْهَا، تَنْثُرُ قَدَمَاهُ مَاءَ الْبِرِّكَ الْأَسْوَدِ إِذْ رَكُضَ نَحْوَهَا، فِي حِينِ ظَلِّ الْآخَرُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ لِيَتَفَرَّجُوا عَلَى الْعَرَضِ كَمَا أَمَلَتْ أَنْ يَفْعَلُوا. وَقَفَتْ بَرِيَانٌ ثَابِتَةً كَالْحَجَرِ تَنْتَظِرُ. السَّاحَةُ مَظْلَمَةٌ، وَالْوَحْلُ زَلَقٌ تَحْتَ الْأَقْدَامِ. الْأَفْضَلُ أَنْ أَتْرَكَهُ يَهْجُمْنِي. بِمَشْيِئَةِ الْآلِهَةِ سَيَزِلُّ وَيَسْقُطُ.

ولم تشأ الآلهة، لكن سيفها كان جاهزاً. خمس خطوات، أربع خطوات، الآن، وفلق (حافظ العهد) الهواء مرتفعاً يصدُّ انقضاضته، وارتطم الفولاذ بالفولاذ إذ شقَّ نصلها أسماله وقميصه المعدني في اللحظة نفسها التي هوت فيها فأسه، فالتوت إلى الجانب وسدَّت ضربةً أخرى إلى صدره بينما تتراجع.

وَتَبِعَهُ -ا متعِثِّرًا ي-نرف وي-هدر ث-ائراً: «ع-اهرة! مس-خ! حق-يرة! س-أعطي كلب-ي إي-اك لينكح-ك أيت-ها الحق-يرة!». دَارَتْ فأس-ه ف-ي أق-واس قاتل-ة، ظِلْ أس-ود غاش-م يص-طبغ بالفضي كلما ومضَ البرق. لا تحمل بريان تُرسًا تصدُّ به الضربات، ولا تستطيع إلا التملص منه مندفعة في هذا الاتجاه أو ذاك لتتفادى رأس الفأس الهاوي عليها.

مَرَّةً انْزَلَقَ كَعْبُهَا فِي الْوَحْلِ وَكَادَتْ تَسْقُطُ، لَكِنَّا اسْتَعَادَتْ تَوَازُنَهَا بِوَسِيلَةٍ مَا، وَلَوْ أَنَّ الْفَأْسَ كَشَطَتْ كَتَفَهَا الْيُسْرَى مَخْلِفَةً حَرِيقًا مِنَ الْأَلَمِ. صَاحَ أَحَدُ الْآخَرِينَ: «أَصَبْتَ الْحَقِيرَةَ!»، وَقَالَ آخَرُ: «لَنَرَّ كَيْفَ سَتَرْقُصُ الْآنَ».

ورقصت بريان شاعرةً بالراحة لاكتفائهم بالمشاهدة. أفضل لها أن يُشاهدوا من أن يتدخلوا، فليس بمقدورها أن تُقاتل سبعةً بمفردها على الرغم من إصابات واحدٍ أو اثنين منهم. السير جودوين العجوز في قبره منذ سنين، لكنها سمعته يهمس في أذنها: سيبخس الرجال قدركِ دومًا، وستجعلهم كبرياؤهم يرغبون في هزيمتكِ سريعا خشية أن يُقال إن امرأةً أرهقتهم ودوّختهم. اتركيهم يسـتهلكون طاقتهم في الهجمات الضارية بينما تدّخرين طاقتكِ. انتظري وراقبي يا فتاة، انتظري وراقبي. وانتظرت بريان، وشاهدت، تتحرك إلى الجانب، ثم إلى الخلف، ثم إلى الجانب ثانية، تُسدّد ضربةً إلى وجهه، إلى ساقيه، إلى ذراعيه، والآن صارت ضرباته أبطأ إذ ثقّلت فأسه، ودفعته بريان إلى الدوران ليكون المطر في عينيّه ثم أسـرعت تتراجع خطواتين، ورفع فأسه مرةً أخرى لاعـنًا وكـرّ عليـها، وانزلت قـدمه في الوحل...

... ووثبت ثقباله وكلتا يديها على مقبض سيفها. وضعته انقضاضته المباشرة عند رأس السيف بالضبط، وانغرس (حافظ العهد) في القماش والمعدن والجلد والمزيد من القماش، وغاص في أحشائه وانثق من ظهره مصدرًا صوتًا خشنًا إذ احتكّ بعموده الفقري. سقطت فأسه من أصابع ارتخت، وتصادم الاثنان ليضرب وجه بريان خوذة رأس الكلب وتشعر ببرودة المعدن المبتل على وجنتها. سال المطر على الفولاذ أنهارًا، وحين سطع البرق من جديد لمحت الألم والخوف والدُّهول الخالص عبر فتحتي الرؤية. همست له: «صغير»، ودوّرت نصلها بقسوة أرسلت في جسده الرعدة، وتراخي وزنه الثقيل عليها، ودُفعةً واحدةً أصبح ما تحتضنه هناك تحت المطر الأسود جثةً. تراجعت وتركته يسقط...

... وارتطم بها العضاض صارخًا.

سقط عليـها كتيةـور من الـصوف المبتلّ والـلحم الأبيض كـالحليب، يرفعها في الهواء ثم يرميها على الأرض بمنتهى العنف لتحط في بركةٍ ويتناثر الماء داخل أنفها وعينيها. أفرغت الصدمة كلّ ما في صدرها من هواء، وضرب رأسها حجرًا شبه مدفون بصوتٍ حاد، ولم تجد وقتًا إلا لتقول: «لا»، قبل أن يسقط فوقها ليغوص بها وزنه أكثر في الوحل. امتدت إحدى يديه إلى شعرها تسحب رأسها إلى الخلف، والأخرى إلى عنقها. لم تجد (حافظ العهد) معها إذ أفلتته قبضتها، ولا تملك إلا يديها تصدّه بهما، لكن حين لكمته في وجهه فكانها لكمّت كرةً من العجين الأبيض المبتل، وأجاب لكمتها مهسّسًا في وجهها.

ضربته مرةً أخرى وأخرى بكعب يدها في عينه، فبدا كأنه لا يشعر بضرباتها. خمشت معصميه، لكنه أحكم قبضته عليها مع أن الدماء سالت من الجروح التي خلفتها أظفارها. إنه يسحقها، يخنقها. دفعت كتفيه، لكنه ثقيل كالحصان، زحزحته مستحيلة. عندما حاولت أن تضربه برُكبتها بين ساقيه لم

تنجح إلّا في إصابة بطنه، وأطلق العضاض صوتًا كقباغ الخنازير ومزّق خُصلةً من شعرها.

خنجر ريّ. تشبّث بريّان بالخاطر بيّأس. دسّت يدها بينهما وراحت أصابعها تحفر تحت لحمه الخائق الكريه، تبحث وتبحث إلى أن وجّدت المقبض أخيرًا. أغلق العضاض كلتا يديه على عنقها وبدأ يضرب رأسها بالأرض. ومض البرق مجددًا، هذه المرة داخل جمجمتها، لكن أصابعها انقبضت بوسيلة ما وجذبت الخنجر من غمده. اعتلاؤه إياها هكذا يحول دون أن ترفع النّصل وتطعنه به، فسحبته بقوة على بطنه بالعرض، وتفجّر شيء دافئ بليل بين أصابعها. هسهس العضاض ثانيةً بصوت أعلى، وتخلّى عن رقبتها فقط ليَلِكُمها في وجهها، وسمعت بريان عظامًا تتهشم وأعماها الألم لحظةً. عندما حاولت أن تشقّ لحمه بخنجرها ثانيةً انتزعها من يدها وهوى برُكبتها على ساعدها كاسرًا إياه، ثم عادَ يطبق على عنقها ويحاول اجتثاته من كتفيها.

سمعت بريان كلب ينبج والرجال يصيحون حولها، وبين قصفات الرعد سمعت الفولاذ يُقارع الفولاذ، ففكرت: السير هائل، السير هائل انضمّ إلي القتال، لكن كلّ هذا بدأ بعيدًا لا يهم. عالمها الآن يقتصر على اليدين اللتين تُطوّقان عنقها والوجه الذي فوقها. سالّ المطر على قلنسوته إذ مالَ عليها أكثر، تفوح من أنفاسه رائحة بغيضة كالجُبنة العفنة.

كان صدر بريان مشتعلًا ناريًا والعاصفة وراء عينيها تُعميها والعظام يطحن بعضها بعضًا في داخلها. فغرّ العضاض فاه باتّساع مستحيل، ورأت أسنانه الصفراء المعوجة المدبّبة، ولما انغلقت على لحم وجنتها اللدن شعرت بها بالكاد، وأحسّت بدوامة تحملها غائصة في الظلام. لا يُمكن أن أموت الآن، ما زال هناك شيء عليّ أن أفعله.

انترّع العضاض فمه المليء بالدماء واللحم، وبصق وابتسم. ابتسمامة عريضة ثم عادَ يغرس أسنانه المدبّبة في لحمها، وهذه المرة مضّغه وابتلعّه. قالت لنفسها مدركةً ما يفعلّه: إنّه يأكّلني، إلّا أن طاقة لم تتبقّ فيها لتقاومه. شعرت كأنها طافية فوق نفسها، تُشاهد هذا الرعب كأنه يحدث لامرأة أخرى، لفتاةٍ حمقاء حسبّت نفسها فارسًا. سينتهي الأمر قريبًا، وعندها لن يهمّ إذا أكلّني. ألقي العضاض رأسه إلى الوراء فاتحًا فمه ليعوي، ثم أخرج لسانه، لسانًا مدببًا يَقْطُر منه الدّم، أطول من أيّ لسانٍ طبيعي، وقد راح ينزلق خارجًا من فمه أحمر مبتلًا لامعًا، منظره قبيح شنيع، وقبيل أن يطويها الظلام فكرت بريان: لسانه طوله قدم كامل، يكاد يُشبه السيف.

چایمی

للدُّبُّوس الذي يُثَبِّت معطف السير برايندن تلي شكل سمكة سوداء من السَّبَج والذهب، وقميصه المعدني رمادي كئيب، ومعه يرتدي قُفَّازين وصفائح تقوي ساقيه وركبتيه وعُنقه وكتفيه، جميعها من الفولاذ الأسود، وليس منها ما هو حالك كالنَّظرة على وجهه إذ انتظرَ چایمی لانستر عند طرف الجسر المتحرِّك، وحده على صهوة جوادٍ كستنائي يكسوه الأحمر والأزرق.

هذا الرَّجل لا يحبُّني. لتلي وجه صخري عميق التَّجاعيد لَوَّحتَه الرِّيح تحت شَعْرَه الشَّائب اليبس، لكن چایمی ما زالَ يرى الفارس العظيم الذي فتنَ مُرافِقًا صغيرًا بحكاياتٍ عن ملوك البنسات التَّسع ذات يوم. طَقَطَت حوافر أوثر على ألواح الجسر المتحرِّك، وعلى متنه چایمی الذي فكر مليًّا في ارتداء دِرْعَه الذَّهَبِيَّة أم البيضاء في هذا اللِّقاء، وفي النِّهاية اختار سُترةً من الجِلد ومعطفاً قرمزيًّا.

توقَّف على بُعد ياردة من السير برايندن وحنى رأسه للعجوز، فقال تلي: «قَاتِل الملك».

اختياره أن يكون هذا اللَّقب أول ما يَخْرُج من فمه يقول الكثير، غير أن چایمی عزمَ على تمالك أعصابه، وأجاب: «السَّمكة السوداء، أشكرُك لمجيئِك».

قال السير برايندن: «أفترضُ أنكَ أتيت لتفدي بقَسَمِك لابنة أخي. أَذْكَرُ أنكَ وعدت كاتلين بإعادة ابنتيها مقابل حرِّيتِكَ»، وتقلَّص فمه مضيقًا: «لكنني لا أرى الفتاتين. أين هما؟».

أوجب أن يجعلني أقولها؟ «ليستا معي».

- «مؤسف. هل ترغب في استئناف حبسك إذن؟ ما زالت زنانتك القديمة متاحة، وفرشنا حصائر جديدة على الأرض».

ووضعتم دلوًا جديدًا أتبرَّز فيه أيضًا لا شك. «أشكر لك مراعاتك أيها الفارس، لكن أخشى أن عليَّ أن أرفض. أَفْضِلُ راحة سُرادقي».

- «بينما تستمتع كاتلين براحة قبرها؟».

كان ليقول: لم تكن لي يد في موت اللّيدي كاتلين، وابنتاها اختفَتا قبل أن أصل إلى (كينجز لاندنج)، وكان على لسانه أن يذكُر بريان والسَّيف الذي أعطاهما إياه، لكن السَّمكة السوداء كان يرميه بالنَّظرة عينها التي رماه بها إدارد ستارك لحظة أن رآه على العرش الحديدي ودماء الملك المجنون على سيفه. «أتيتُ أتكلِّمُ عن الأحياء لا الموتى، عَمَّن لا داعي لموتهم لكنهم سيموتون...».

- «... ما لم أسَلِّمكم (ريقررن). هل سَنُهَدِّد بشـنق إدمـيور الآن؟». تحت حاجبيه الكثيفين كانت عيناي تلـي حجـرًا وهـو يقـول: «ابن أخي محكـوم عليـه بـالموت مـهما فعلتُ، فاشنُقوه وافرغوا من الأمر. أظن أن

إدميور سئمَ من الوقوف على هذه المشنقة كما سئمتُ من رؤيته عليها». رايمان فراي أحمق كبير. واضح تمامًا أن تمثيلتيه مع إدميور والمشنقة نجحت فقط في جعل السمكة السوداء يتعنت أكثر. «إنك تحتجز الليدي سيبل وسترلينج وثلاثة من أولادها. سأعيد ابن أخيك مقابلهم».

- «كما أعدت ابنتي الليدي كاتلين؟».

لم يسمح چايمي لنفسه بأن يُستقَرَّ، وقال: «امرأة عجوز وثلاثة أطفال لقاء سيّدك، هذه صفقة أفضل من أيّ شيء كنت تأمله».

ابتسم السير برايندن بقسوة قائلاً: «لست تفتقر إلى الجرأة يا قاتل الملك، لكن إبرام الصفقات مع الحائثين في أيّمانهم كالبناء على الرّمال المتحرّكة. كان على كات أن تكون أعقل من أن تثق بأمثالك».

كاد چايمي يقول: لقد وثقت بتيريون. العفريت أيضاً خدعها، لكنه ردّ: «وعودي لليدي كاتلين كانت تحت تهديد السيف».

- «وقسمك لإيرس؟».

أجاب شاعرًا بأصابعه الشّبحيّة تختلج: «لا صلة لإيرس بهذا. هل ستبادل أولاد وسترلينج بإدميور؟».

- «لا. مليكي ائتمني على ملكته وأقسمتُ على الحفاظ على سلامتها. لن أسلمها إلى آل فراي ليَشْنُقوها».

- «الفتاة نالت عفواً. لن يمسخها سوء، لك كلمتي».

قال السير برايندن: «كلمة شرف؟»، ورفع حاجبه مضيئاً: «هل تعرف ما الشرف أصلاً؟».

حصان. «سأقسمُ لك على ما تشاء».

- «اعفني يا قاتل الملك».

- «هذا ما أريدُ أن أفعله. أنزل رأي-اتك وافتح بوابتك وس-أمنح رجالك حياتهم. مَنْ ي-رغب من-هم ف-ي البقاء ف-ي (ريقرن) وخ-دمة اللورد إمرؤن فليفع-ل، وللباقين أن يذهبوا حيث يُريدون، وإن كنتُ أطلبُ أن يُسلموا أسلحتهم ودروعهم».

- «تُرى ما المسافة التي سيقطعونها وهم عُزل قبل أن يُهاجمهم «الخارجون عن القانون»؟ إنك لن تجرؤ على السّماح لهم بالانضمام إلى اللورد بريك، وكلانا يعلم هذا. هل ستستعرضوني في (كينجز لاندنج) لأموت مثل إدارد ستارك؟».

- «سأسمحُ لك بالالتحاق بحرس اللّيل. نغل ند ستارك القائد على (الجدار الآن».

ضيق السمكة السوداء عينيه قائلاً: «أهذا أيضاً من ترتيب أبيك؟ أذكرُ أن كاتلين

لم تثق بهذا الصَّبي قَطَّ كما لم تثق بشيُون جَرايچوي، ويبدو أنها كانت محقَّةً بشأن الاثنين. لا أيُّها الفارس، لا أظن. سَاموْتُ دافئًا بَعْدَ إِذْنِكَ وفي يدي سيف تسيل عليه دماء الأسود الحمراء».

- «دماء تلي حمراء أيضًا. إذا لم تُسَلِّم القلعة فعليَّ أن أقترحها. سيموت مئات».

- «مئات من رجالي وآلاف من رجالك».

- «ستهلك الحامية عن آخرها».

- «أعرفُ هذه الأغنيَّة. هل تُغَيِّبها على لحن (أمطار كاستامير)؟ رجالي يُؤثرون الموت واقفين يُقاتلون على أن يموتوا راكعين بفأس الجَلَاد».

الحوار لا يمضي على ما يُرام إطلاقًا. «لا جدوى من هذا التَّحدِّي أيُّها الفارس. الحرب انتهت وماتَ ذئبكم الصَّغير».

- «اغتيالَ في انتهاكٍ لجميع شرائع الصِّيافة».

- «هذا عمل فراي لا عملي».

- «سمِّه كما تشاء، لكن رائحة تايوين لانستر تفوح منه».

لم يستطع چايمي أن يُنكر هذا، وقال: «أبي أيضًا مات».

- «عسى (الأب) أن يحكم عليه بالعدل».

يا لها من فكرةٍ مريعة. «لو استطعتُ بلوغ روب ستارك في (الغابة الهامسة) لقتلته، لكن بعض الحمقى اعتَرَضوا طريقي. هل يهمُّ كيف ماتَ الصَّبي؟ إنه ما زالَ ميتًا، ومعه ماتت مملكته».

- «لا بُدَّ أنك أعمى علاوةً على عاهتك أيُّها الفارس. ارفع عينيك وسترى أن الذئب الرَّهيب لا يزال يخفق فوق جُدراننا».

- «لقد رأيته، يبدو وحيدًا. (هارنهال) سقطت، وكذا (سيجارد) و(بركة العذارى)، وآل براكن ركعوا ويُحاصرون تايئوس بلاكوود في (شجرة الغدْفان). پاير، قانس، موتون، جميع حملة رايتكم استسلموا ولم يبقَ إلَّا (ريفرن). إن معنا عشرين ضِعف أعدادكم».

- «عشرون ضِعفًا من الرِّجال تعني عشرين ضِعفًا من الطَّعام. ما أخبار مؤنكم يا سيِّدي؟».

- «تكفي لأن نبقى هنا حتى نهاية الزَّمن إذا لزم الأمر، بينما تتصوَّرون أنتم جوعًا وراء أسواركم». نطقَ چايمي الكذبة بكلِّ ما استطاعَ من جراءةٍ متمنِّيًا ألا تخونه ملامحه.

على أنها لم تنطلِ على السَّمكة السَّوداء الذي قال: «حتى نهاية زمنكم ربما. مؤننا وفيرة، ولو أنني أخشى أننا لم نترك الكثير في الحقول للزَّائرين».

- «نستطيع الإتيان بالطَّعام من (التَّوأمتين)، أو عبر التَّلال من الغرب إذا دَعَت

الحاجة».

- «كما تقول. مُحال أن أشكّك في كلمة فارسٍ شريفٍ مثلك». -
أغضبَ التّهكُّم في نبرته چایمی، فقال: «هناك طريقة أسرع لتسوية المسألة.
نزال فردي، نصيري ضد نصيرك».

قال السير برايندن ضاحكًا: «كنتُ أتساءلُ متى ستَبْلُغ هذه النقطة. مَنْ
سيكون؟ العُفر؟ أدام ماربراند؟ والدر فراي الأسود؟»، ومالَ إلى الأمام مضيقًا:
«ولمَ لا يكون النّزال بيننا نحن أيها الفارس؟».

لكـان ذلك قتـالاً رائـعاً فـي الماضـي، حكايةٌ يُغني عنـها المغـنّون.
«عنـدما أطلـقت اللـيـدي كـاتلـين سـراحي جعـلتني أقسـم عـلى عـدم
حملـ السـلاح ضـد آل سـتارك أو تـلـي ثـانية».

- «قسم ملائم للغاية أيها الفارس».

اربدَّ وجهه، وسأل: «هل تنعتني بالجبن؟».

أجابَ السّمكة السوداء: «لا، أنعتك بالعجز»، وأشارَ برأسه إلى يد چایمی
الذهبيّة مردفًا: «كلانا يعلم أنك لا تستطيع القتال بهذه».

ردّ: «إن لي يدين»، وهمسَ صوت في داخله: هل تُفَرِّط في حياتك من أجل
الكبرياء؟ «ربما يقول بعضهم إن معاقًا وعجوزًا نذيين مثاليين. حلّني من قسَمي
لليدي كاتلين وسأواجهك سيفًا بسيف. إذا فزتُ فـ(ريفررن) لنا، وإذا قتلتني
فسنرفع الحصار».

عادَ السير برايندن يضحك، وقال: «على الرغم من ترحيبي بفرصة أخذ سيفك
الذهبي منك واقتلاع قلبك الأسود به، فعودك بلا قيمة. لن أجنّي شيئًا من
موتك إلا متعة قتلك، ولن أخطر بحياتي في سبيل ذلك... مع أنها مخاطرة
محدودة».

من حُسـن حَظّ چایمی أنـه لا يحمـل سـيفًا، وإلّا لكـان اسـتله، ولو
لـم يقتلـه السـير براينـدن لأرداه الرُّمـاة عـلى الأسـوار بكـلِّ تأكيـد.
«هل من أيّ شـروطٍ يُمكن أن تقبلها؟».

قال السير برايندن: «منك؟»، وهزَّ كتفيه مجيبًا: «لا».

- «لماذا خرجت تتكلّم معي إذن؟».

- «الحصار مملٌ لدرجةٍ مميتة. أردتُ أن أرى جدعتك هذه وأسمع ما لديك من
ذرائع تُبرّر بها أحدث جرائمك، لكنها أوهي مما أملت. دائمًا تُخَيِّب الأمل يا قاتِل
الملك»، ودارَ السّمكة السوداء بحصانه وخَبَّ عائدًا إلى (ريفررن)، ونزلت الشّبكة
الحديدية بعد دخوله بسرعةٍ وانغرست أطرافها المدببة بعمقٍ في الأرض
الموحلة.

دور چايمي رأس أوتر استعدادًا لرحلة العودة الطويلة إلى خطوط حصار جيش لانستر وقد شعر بالأعين المسلطة عليه، أعين رجال تلي في الشرفات وأعين رجال فراي عبر النهر. إن لم يكونوا غُميًا فلا بُدَّ أنهم راوه يُلقِي عرضي في وجهي. لا مناص من اقتحام القلعة. طيب، ما أسهل أن يحنث قاتل الملك في يمين أخرى. مزيد من الخراء في الدلو. قرّر چايمي أن يكون أول رجل يتسلق إلى الشرفات. وييدي الذهبية هذه ساكون أول من يموت على الأرجح.

في المعسكر أمسك ليو الصغير لجام حصانه فيما ساعده بك على النزول، فسأل نفسه: أَيْحسبونني عاجزًا لدرجة احتياجي إلى مَنْ يُعينني على التّرجُل؟ سأله السير دافن ابن خاله: «كيف أبليت يا سيّدي؟».

- «لا أحد أصابَ كفل حصاني بسهم، لكن فيما عدا هذا لم يُميّزني الكثير عن السير رايمان»، وتجهّم چايمي مضيغًا: «والآن لا مفرّ من أن يزداد (الفرع الأحمر) حُمْرَةً». لم نفسك على هذا أيها السّمكة السوداء. لم تترك لي خيارًا كثيرة. «اجمع مجلس الحرب. السير أدام والعُفر وفورلي وپرس-تر، ولوردات النهر أي-ضًا...»

والأصدقاء أولاد فراي، السير رايمان واللورد إمون وأيا كان من يُريدون حضوره». اجتمعوا سريعًا. جاء اللورد پاير وكلا اللوردين قانس للكلام نيابةً عن لوردات (الثالوث) الثائبين الذين سيُختبر ولاؤهم خلال فترة قصيرة، في حين مثل الغرب كلٌّ من السير دافن والعُفر القوي وأدام ماربراند وفورلي پرستر، وانضم إليهم اللورد إمون فراي وزوجته، وقد اتّخذت الليدي چنا كُرسیها بنظرة تتحدّى أيّ رجلٍ هناك أن يحتجّ على وجودها، فلم يفعل أحد. أرسل آل فراي والدر ريفرز المسمّى والدر التّغل، ومعه إدوين أكبر أبناء السير رايمان، وهو رجل شاحب ناحل له أنف مضغوط وشعر داكن هزيل. تحت معطفٍ أزرق من صوف الجملان يرتدي إدوين سُترَةً ممتازة التفصيل من جلد العجول الرّماديّ مزينة بزخارف لولبية منمّقة، وقد أعلن: «سأتحدّث نيابةً عن عائلة فراي. أبي متوعك هذا الصّباح».

أطلق السير دافن نخيرًا ساخرًا، وقال: «أهو سكران أم يشعُر بالغيثان فحسب من نبذ ليلة البارحة؟».

قال إدوين الذي له فم البُخلاء القاسي الخبيث: «لورد چايمي، أيجب أن أتحمّل هذه الجلافة؟».

سأله چايمي: «أهذا صحيح؟ هل أبوك سكران؟».

زَمَّ فراي شفّتيه ورمق السير إلين باين الواقف عند سديلة الخيمة بقميصه المعدني الصّدئ وسيفه البارز من وراء كتفه النّحيلة، ثم قال: «إنه... أبي معتلّ البطن يا سيّدي. التّبذ يُساعده على الهضم».

علّق السير دافن: «لا بُدَّ أن ما يهضمه ماموث لعين إذن»، فضحك العُفر وقهقهت

الليدي چنا.

قال چايمـي: «كفى. هنـاك قلعة عليـنـا أن نظفر بـها». أوقات اجتماع أبيه بمجلسه كان يترك قاداته يتكلمون أولاً، وقد انتوى أن يحذو حذوه، فسألهم: «كيف نتصرف؟».

أجاب اللورد إمون فراي بالحاح: «نشئ إدميور تلي كبدية. سيعلّم هذا السير برايندن أننا نعني ما نقول. إذا أرسلنا رأس السير إدميور إلى عمه فربما يدفعه هذا إلى الاستسلام».

- «برائندن السمكة السوداء لا يدفع إلى شيء بهذه البساطة»، قال كاريل فانس سيد (استراحة عابري السبيل) ذو الملامح الكثيرة، الذي تغطي وحمه قانية نصف عنقه وجانب وجهه. «أخوه نفسه لم يستطع أن يدفعه إلى فراش الزوجية».

هز السير دافن رأسه الأشعث قائلاً: «يجب أن نقتحم الأسوار كما أقول من البداية. أبراج حصار، سلالم، مدك نخترق به البوابة، هذا ما نحتاج إليه».

قال العفر: «سأقود الهجوم. نجعل السمكة يذوق الفولاذ والنار، هذا رأيي». ردّ اللورد إمون باستهجان: «هذه أسواري، وهذه بوابتي التي تريدون اختراقها»، وأخرج وثيقته من كمه مضيقاً: «الملك تومن نفسه منحني...».

قاطع إموين فراي بحدة: «كلنا رأينا ورقتك يا عمي. لم لا تُري السمكة السوداء إياها على سبيل التغيير؟».

قال أدام ماربراند: «اقتحام الأسوار سيكون عملاً داميّاً. أقترح أن ننتظر ليلة يغيب فيها القمر ونُرسل دسّته من رجالنا المنتقين عبر النهر بقارب مكتوم المجاذيف. يمكنهم أن يتسلّفوا الأسوار بالحبال والخطاطيف ويفتحوا البوابة من الداخل. سأقودهم بنفسي إذا أراد المجلس».

أعلن النغل والدر ريفرز: «حماقة. السير برايندن ليس بالرجل الذي تنطلي عليه تلك الحيل».

أيدّه إموين فراي قائلاً: «السمكة السوداء هو العقبة. إن ريشة خوذته سمكة سوداء تجعل تميّزه من بعدي سهلاً. أقترح أن نُقرب أبراج الحصار من القلعة ونملأها بالرّماة ونتظاهر بالهجوم على البوابة، وسيدفع هذا السير برايندن إلى الشرفات بخوذته. فليلوّث كل رام سهامه بالفضلات ويجعل تلك الخوذة هدفه. ما إن يموت السير برايندن حتى تُصبح (ريفرز) لنا».

ردّ اللورد إمون بنبرة حادة: «لي، (ريفرز) لي!».

ازدادت وحمه اللورد كاريل قتامةً، وقال: «هل ستكون الفضلات مساهمتك يا إموين؟ لا أشك في كونها سماً قاتلاً».

قال العُفْر: «السَّمكة السوداء يستحقُّ ميتةً أنبل، وأنا من سيُعطيه إياها»، ودَقَّ الطَّاولَة بقبضته مردِّفًا: «سأتحدّاه في نزالٍ فردي. ليكن بالهراوة الشَّائكة أو الفأس أو السَّيف الطَّويل، لا فرق، سأفتكُّ بالعجوز».

خاطبه السير فورلي پرستر قائلاً: «ولم يتنازل ويقبل التَّحدِّي أيها الفارس؟ ماذا سيجني من قتالٍ كهذا؟ هل سترفع الحصار إذا فاز؟ لا أصدِّق ذلك، ولن يُصدِّقه هو. النِّزال الفردي لن يُثمر شيئاً».

قال نوربرت فانس سيّد (أترانتا): «إنني أعرفُ برايندن تلي منذ كنا مُرافقَيْن معاً في خدمة اللورد داري. بعد إذنكم أيها السَّادة، دعوني أذهبُ وأتحدّث معه وأحاولُ أن أجعله يفهم موقفه اليائس».

ردَّ اللورد پاير: «إنه يفهمه جيّداً». للرَّجل قامَة قصيرة وجسد ممتلئ وساقان مقوّستان وشعر أحمر نائر، وهو أبو أحد مُرافقي چايمي كما يشي الشَّبه الجلي بينهما. «الرَّجل ليس غيباً يا نوربرت. إن له عينين... وعقلاً أكبر من أن يستسلم لأمثال هذين»، ولوّح بيده بفظاظَةٍ نحو إدوين فراي ووالدر ريفرز.

غاضباً قال إدوين: «إذا كان اللورد پاير يُلَمِّح إلى...».

- «لستُ أُلَمِّحُ يا فراي، بل أقولُ ما أعني مباشرةً كرجل صادق، لكن ماذا تعرف أنت عن الصّادقين؟ إنك ابن عرس خائن كذاب كجميع ذوّيك. أحيّدُ أن أشرب كوباً من البول على الثِّقة بكلمة أيِّ فراي»، ومالَ پاير عبر المائدة متابعاً: «أين مارك؟ أجبنني. ماذا فعلتم بابني؟ لقد كان ضيقاً في زفافكم اللعين».

قال إدوين: «وسيطلُّ ضيفنا المكرَّم إلى أن تُثبت ولاءك لجلالة الملك تومن».

- «خمسة فُرسان وعشرون جُندياً ذهبوا مع مارك إلى (التَّوأمَتين). أهُم ضيوفكم أيضاً يا فراي؟».

- «بعض الفُرسان ربما. الآخرون نالوا ما استحقُّوا. خيرٌ لك أن تصون لسانك الخائن يا پاير، ما لم تكن تُريد أن يرجع إليك وريثك قِطعاً».

فكَّر چايمي: لم يحدّث هذا في مجلس أبي قَطُّ، وهَبَّ پاير بجسده الصَّغير مزمجرًا: «قل هذا مجدّداً بسيفٍ في يدك يا فراي، أم أنك تُقاتِل بالفضلات فقط؟».

شحبَ وجه إدوين الممصوص، وإلى جواره نهَضَ والدر ريفرز قائلاً: «إدوين ليس رجل قتال... لكنني كذلك يا پاير. إذا كان لديك المزيد من التَّعليقات فاخرُجْ معي وألقها».

قال چايمي: «هذا مجلس حرب وليس حرباً. فليجلس كلاكما»، ولمّا لم يتحرَّك أحدهما صاحَ: «الآن!».

جلسَ والدر ريفرز، أمّا اللورد پاير فلم يخَفْ بهذه السُّهولة، وهمهمَ بشتيمةٍ ما ثم خرجَ من الخيمة بخُطواتٍ واسعة، فسألَ السير دافن چايمي: «هل أرسلُ

وراءه رجالًا يجرُّونه ويعودون به يا سيّدي؟».

قال إدوين فراي: «أرسل السير إلين. لسنا محتاجين إلّا إلى رأسه».

التفت كاريل فانس إلى چايمي قائلاً: «اللورد پاير تكلم بدافع الحزن. مارك ابنه البكر، والفرسان الذين ذهبوا معه إلى (التوأمتين) أبناء إخوة وعمومة جميعاً».

علق إدوين فراي: «تعني أنهم خونة ومتمرّدون».

حدّجه چايمي بنظرة باردة، وقال «(التوأمتان) انضمّتا إلى قضية الذئب الصّغير أيضاً، ثم خُنتموه، وهو ما يجعل خيانتكم أفدح من خيانة پاير مرّتين». استمتع بمرأى ابتسامة إدوين الرّفيعة تذبّل وتموت، وقال لنفسه: احتملتُ ما يكفي من النّصائح اليوم، ثم أعلن: «انتهينا. راجعوا استعداداتكم أيها السّادة. سنهجم مع أول خيوط الضوء».

كانت الرّياح تهبّ من الشّمال عندما غادر القادة الخيمة. حتى هنا تتناهى إلى أنف چايمي رائحة معسكر فراي التّنتة على ضفّة (الجلمود) الأخرى، وعبر الماء يقف إدميور تلي بسحنة مكفّهرة فوق المشنقة الرّماديّة الطويلة وحول رقبتة حبل.

كانت عمّته آخر المغادرين، وفي أعقابها زوجها إمون الذي قال معترضاً: «سيّدي، هذا الهجوم على مقرّي... يجب ألا تُنفّذه»، وازدرد لُعبه لتتحرك تقاحة حلّقه إلى أعلى وأسفل، وتابع: «يجب ألا تفعلها. إنني... إنني أمنعك». كان يَمضغ التّبغ المرّ ثانيةً كما تنم الرّغوة الوردية الملتمة على شفّتيه. «القلعة ملكي. إن معي الوثيقة الموقّعة من الملك، من تومن الصّغير. أنا سيّد (ريفررن) الشرعي و...».

قاطعتّه الليدي چنا: «لست كذلك ما دام إدميور تلي حيّاً. إنه ضعيف القلب والعقل، أعلمُ هذا، لكنه حيٌّ ولا يزال يُشكّل خطراً. ماذا تتوي أن تفعل يا چايمي؟».

السّمكة السّوداء الخطر لا إدميور. «اتركي إدميور لي. سير لایل، سير إلين، تعاليا معي من فضلكما. حان الوقت لأن أزور تلك المشنقة».

(الجلمود) أعمق وأسرع جرياناً من (الفرع الأحمر)، وأقرب مخاضة تبعد عدّة فراسخ في اتّجاه المنبع. كانت العبّارة قد تحرّكت حاملةً والدريفرز وإدوين فراي لتوها عندما وصل چايمي ورفيقاه إلى النّهر، وإذ انتظروا عودتها أخبرهم چايمي بما يُريد، وبصق السير إلين في الماء.

حين نزل ثلاثتهم من العبّارة على الضّفّة الشّماليّة عرضت تابعة معسكرات سكرانة على الغفر أن تُمتّعه بفمها، فقال السير لایل دافعاً إياها نحو السير إلين: «متّعي صديقي»، وضاحكة أخذت المرأة خُطوةً لتُقبل پاين على فمه، ثم إنها رأت عينيه وانسحبت منكمشةً على نفسها.

الممرّات بين بؤر الدّار من الطّمي البّي الخام المختلّط بـروث
الخيّل، وتحمل أثّار الحوافر والأحذية على حدّ سواء، وفي كلّ
صوب رأى چایمی بُرجي عائلة فراي التّوأمین على الرّایات
والـتروس، أزرق على رمادي، ومعهما رموز عائلات أدنی شـأناً

مقسمة على الولاء لـ(المعبر)، كبّـشون⁶⁶ عائلة إرينفورد ومذراة
عائلة هاي وعُصينات نیتة الدّبق الثّلاث رمز عائلة کارلتون. لم یمرّ وصول قاتل
الملك مرور الكرام، إذ توقفت عجوز تبیع الخنازیر الصّغيرة من سلّة تُحدّق إليه،
وجثا فارس له وجه شبّه مـألوف على رُکبتـه، واسـتدار جُنـديّان
یتبولان في حفرة ینظران فـلّل کلاهما الآخر، ونـاداه أحـدهم: «سـیر
چایمی»، لكنـه واصل طریقـه دون أن یلتفت.

حولـه لمـح وجـوه رجـالٍ بذل أقصـى جـهده لیقتلهم في (الغابة
الهامسة) حیث قاتل آل فراي تحت رایة ذیـب روب سـتارك الـرهیب،
وشـعر بیـده الـذهبیّة المعلقـة إلى جانبـه ثقیلة.

سُردق رایمان فراي المستطیل هو الأكبر والأوسع في المعسکر، وتتخذ
جُدرانـه الرّمادیّة المصنوعة من قماش القنب شکل مربّعات مخیطة معاً لتشبه
الأحجار، بینما تُحاکی قمتاه (التّوأمین). أبعد ما یكون التّوعک، کان السیر رایمان
یستمتع بوقته، إذ سُمعت من داخل الخیمة ضحکات امرأة ثملة ممتزجة بأنغام
أوتار قیثاره خشبیّة وصوت مغنی. سـاتعاملُ معـك لاحـقاً أيـها الفـارس.
کـان والدـر ریفرز واقفاً أمام خیمتـه المتواضـعة یتکـلم مع جُنـدیین،
یحمل ثرسـه رمز عائلة فراي بالوان معکوسة، وثمة شريط أحمر مائل إلى
اليسار على البرجین. عبس الثّغل حین رأى چایمی، فقال لنفسه: یا لها من
نظرة باردة شکاکة. هذا الرّجل أخطر من أيّ من إخوته الشرعیین.

تـرتفع المشـنقة عـشرة أقدام عـن الأرض، وقـد وقـف اثـنـان مـن
حـاملي الـجـراب عـنـد قاعـدة سـلالـمها، وقـال أحـدهما لچایمی: «لا
تسـطیع أن تصـعد دون إذن السـیر رایمان».

رَبّت چایمی على مقبض سیفه قائلاً: «هذا یقول إنني أستطیع. السّؤال الآن،
هل عليّ أن أخطو فوق جثتك؟».

وانزاح الرّجلان.

فوق المشنقة یقف سیّد (ریفررن) رامقاً الكوّة الأفقیّة تحتـه، قدماه سوداوان
مغلّقتان بالطّمي وساقاه عاریتان، ویرتدي صُدرة حریریّة متسخة یلوح علیها
أحمر وأزرق عائلة تلـي، وثـحـیط بعنقـه أنشـوطة مـن القـنب. لـدی
سـماع خـطوات چایمی رفـع إدمیور رأسـه ولعـق شـفتیه الجـافتین
المشـفقتین، وغمغم بدهشـة: «قـاتل الملك؟»، ولمّا رأى السیر إلین
اتّسعت عیناه، وقال: «السّیف أفضل من الحبل. افعلها یا پاین».

قال چايمي: «كما سمعت اللورد تلي يا سير إلين، افعلها».

بكلتا يديه سحبَ الفارس الصّامت سيفه العظيم، سيفه الطّويل الثّقيل المتناهي في الحدّة بقدر ما يسمح الفولاذ التّقليدي. تحرّكت شفتا إدميور المشقّقتان بلا صوت، وإذ رفعَ السير إلين التّصل أغلقَ عينيه، ووضعَ يَين ثِقْله كلّه وراءَ الضّربة.

سمعوا من يصيح: «لا! توقّف! لا!»، وظهرَ إدوين فراي لاهثًا يقول: «أبي قادم بأقصى سرعة. چايمي، يجب...».

- «يُناسِبني أكثر أن تُخاطِبني بـ«سيّدي» يا فراي، وخيرٌ لك أن تتجنّب استخدام «يجب» في أيّ كلام تُوجّهه إليّ».

صعدَ السير رايمان سلالَم المشنقة بخطواتٍ ثَقيلة وفي صُحبته بغيٌّ شَعرها بلون القشّ سكرانةٍ مثله، أربطة فُستانها من الأمام لكن أحدهم حلّها حتى السّرة، فتدلّى نهذاها الكبيران الثّقيلان وظهرت حلمتاها البنيّتان الكبيرتان، وقد استقرّت على رأسها بانحرافٍ دائرة رفيعة من البرونز المطرّق منقوشة عليها حروف بأبجديةٍ قديمة وتبرّز منها سيوف سوداء صغيرة. حين رأت المرأة چايمي ضحكت، وقالت: «مَن هذا بحقّ الجحائم السّبع؟».

ردّ چايمي بكياسةٍ باردة: «حضرة قائد الحرس الملكي. السّؤال نفسه لك يا سيّدتني».

- «سيّدتك؟ لستُ سيّدةً، أنا الملكة».

- «سيّدِهش أختي أن تسمع هذا».

قالت: «اللورد رايمان توجّني بنفسه»، وهزّت وركيها الكبيرين مضيفةً: «أنا ملكة العاهرات».

لا، أختي الجميلة تحمل هذا اللّقب أيضًا.

أخيرًا استطاعَ السير رايمان أن يتكلّم، فقال: «أخِرسِي أيتها القذرة، اللورد چايمي لا يُريد أن يسمع هُراء مومس». ابن فراي هذا رجل غليظ البنية عريض الوجه صغير العينين وذقنه طريّ لحيم، ومن أنفاسه تفوح رائحة التّبيد والبصل.

سأله چايمي بهدوء: «هل تصنع الملكات يا سير رايمان؟ غباء، غباء لا يقلُّ عمّا تفعله باللورد إدميور».

- «لقَدْ حذّرتُ السّمكة السوداء، قلتُ له إن إدميور سيّيموت مرّا لم تسلم القلعة، وأمرتُ ببناء هذه المشنقة لأريهم أن السير رايمان فراي لا يُلقِي تهديداتٍ فارغة. في (سيجارد) فعلَ ابني المثل مع پاتريك مالمستر واستسلمَ اللورد چيسون، ولكن... السّمكة السوداء رجل بارد. لقد رفض، ف...».

- «... فشنت اللورد إدميور؟».

احتقنَ وجه الرَّجل، وقال: «السَّيِّدُ جَدِّي... إذا شنقناه فسنخسر رهينتنا أيها الفارس. هل فكرت في هذا؟».

- «فقط الأحمق يُلقي تهديداتٍ ليس مستعدًّا لتنفيذها. هَبْ أنني هدّدتك بالضرب ما لم تخرس ثم تكلمتَ، فماذا تحسبني سأفعلُ؟».

- «أيها الفارس، أنت لا تفـ...».

وضربَه چایمی. كانت الضربة بظَّهر يده الذهبية، لكنها دفعت السير رايمان إلى التَّعثر إلى الوراء ساقطًا بين ذراعَي عاهرتة، ثم قال چایمی: «إن لك رأسًا سمينًا يا سير رايمان، وعُنقًا غليظًا أيضًا. سير إلين، بكم ضربة يُمكنك أن تقطع هذا العُنق؟».

رفع السير إلين يده واضعًا إصبعًا واحدًا على أنفه.

ضحك چایمی، وقال: «خيلاء فارغة. أقولُ إنها ثلاث ضربات».

خَرَّ رايمان فراي على رُكبتيه قائلاً: «لم أفعل شيئًا...».

- «... إلَّا الشُّرب ونكاح العاهرات، أعرفُ».

- «أنا وريث (التَّوأمَتين). لا يُمكنك...».

قاطعَه چایمی: «لقد حدّرتك من الكلام»، وشاهدَ وجه الرَّجل يمتقع مفكرًا: سَكِّير وأبله وجبان. خيرٌ لآل فراي أن يموت هذا قبل اللورد والدر وإلَّا انتهى أمرهم.

«يُمكنك الانصراف أيها الفارس».

- «الانصراف؟».

- «كما سمعتني، ارحل».

- «ولكن... أين أذهبُ؟».

- «إلى الجحيم أو إلى الوطن، كما تُفَضِّل. احرص على عدم وجودك في المعسكر عند شروق الشَّمس. يُمكنك أن تأخذَ ملكة العاهرات معك، ولكن ليس تاجها هذا»، ثم التفتَ چایمی عن السير رايمان إلى ابنه قائلاً: «إدوين، إنني أسلمك قيادة أبيك. حاول ألا تكون غيبًا مثله».

- «لن يكون هذا عسيرًا يا سيّدي».

- «أرسل خبرًا إلى اللورد والدر. التَّاج يَطْلُب جميع سُجنائه»، ولوّح چایمی بيده الذهبية مستطردًا: «سير لایل، اجلبه».

كان إدميور تلي قد تهاوى على وجهه فوق المشنقة حينما قطع سيف السير إلين الحبل، الذي ظلت قطعة منه طولها قدم مدلاة من الأنشودة المحيطة برقبته، فشدها العُفر لِيُوقِفَه على قدميه، ثم قال ضاحكًا بسخرية: «سمكة بمَقوَد، منظر لم أره من قبل قط».

أفسح لهم رجال فراي الطّريـق، وكانت مجموعة من الآخريـن قد ازدحمت عنـد قاعـدة المشـنقة، منها دسـتة من تـابعات المعسـكرات علـى درجـاتٍ مختلفـة من الفوضـى، ولاحظَ چايمي رجلاً يحمل قيثارةً خشبيّةً، فقال له: «أنت، أيها المغنيّ، تعالَ معي». رفعَ الرّجل قبعته قائلاً: «أمر سيّدي».

لم يلفظ أحد كلمةً فيما ساروا إلى العبّارة وفي أثرهم مغنيّ السير رايمان، لكن إذ تحرّكوا مبتعدين عن ضفّة (الجلمود) نحو الجانب الجنوبي أطبقَ إدميور تلي على ذراع چايمي متسائلاً: «لماذا؟!».

اللانستر يُسدّد ديونه، ولم تتبقَ لي عملة إلّاك. «اعتبرها هديّة زفاف». رمقه إدميور بعينين حذرتين، وردّد: «هدية... زفاف؟».

- «قيلَ لي إن زوجتك حسناء. لا بُدَّ أن تكون كذلك كي تُضاجعها في أثناء اغتيال أختك وملكك».

لعقَ إدميور شفّتيه، وقال: «لم أعرف. كان خارج الغرفة عازفو كمنجة...». - «والليدي روزلين كانت تُلهيك».

- «إنها... لقد جعلوها تفعلها، اللورد والدر والآخرون. روزلين لم تُرد أن... لقد بكت، لكنني حسبتُ السبب...».

- «منظر ذكرك الهائل؟ نعم، إنني واثق بأن شيئاً كهذا سيجعل أيّ امرأة تبكي». - «إنها تحمل طفلي».

لا، بل إن ما ينمو في بطنها موتك.

فـي سُرّادقـه صـرفَ چايمي السـير لـايـل والسـير إلـين، لكنـه أبـقى علـى المغـيّ قـائلاً: «ربما احتـاجُ إلـيـك بـعد قـليـل. لـيو، سـخـن مـاءً لـحـمّام ضـيفي. پيـا، جـدي لـه ثيـاباً نظيفَةً، لا شيء عليه أسد إذا سمحت. بك، نبذ للورد تلي. أنت جائع يا سيّدي؟».

أوماً إدميور برأسه إيجاباً، لكن الشكّ لم يبرح عينيه.

استقرّ چايمي على كُرسيّ بينما استحمّ تلي الذي زالت القذارة عن جسده في سحاباتٍ سوداء، وقال له: «بعد أن تأكل سيصحبك رجالي إلى (ريفررن)، وما يحدث عندئذٍ يتوقف عليك».

- «ماذا تعني؟».

- «عمّك رجل عجوز. شجاع، نعم، لكن أفضل سنين حياته انقضى. خير ما يأمله السمكة السوداء الآن ميتة مشرّفة... أمّا أنت فما زالت أمامك سنوات يا إدميور.

أنت سيّد عائلة تلي الشرعي لا هو، والمفترض أن يُطيعك عمّك. مصير (ريفررن) بين يديك».

حملقَ إليه إدميور مرَدِّدًا: «مَصر (ريفررن)...».

- «سَلِّم القلعة ولن يموت أحد. يستطيع رعاياك الرّحيل في سلام أو البقاء لخدمة اللورد إمون، وسيُسمَح للسّير برايندن بالالتحاق بحرس اللّيل مع كلّ رجل من الحامية يختار الانضمام إليه. أنت أيضًا إذا كان (الجدار) يستهويك، أو يُمكنك الذهاب إلى (كاسترلي روك) باعتبارك أسيري وتستمتع بكلّ سُبُل الرّاحة التي تليق برهينةٍ بمنزلتك. سأرسلُ زوجتك إليك إذا أردت، وإذا أنجبت صبيًا فسيخدم عائلة لانستر كوصيف ومُرافق، وعندما ينال الفُروسية سَنهب له بعض الأراضي. وإذا أنجبت روزلين بنتًا فسأحرصُ على أن يكون مَهرها لائقًا عندما تَبْلُغ سِنّ الزّواج. أنت نفسك من الممكن أن تنال إطلاق سراحٍ مشروط ما إن تنتهي الحرب، وما عليك إلّا تسليم القلعة».

رَفَعَ إدميور يديه من الحوض وشاهدَ الماء يجري بين أصابعه متسائلًا: «وإذا لم أسَلِّمها؟».

أُجب أن تجعلني أقولها؟ كانت پيا واقفةً عند سديلة الخيمة حاملةً ثيابًا، وكان مُرافقوه والمغنّي يُصغون أيضًا. فليسمعوا، فليسمع العالم كلّهُ، لا يهَم. أرغمَ چایمی نفسه على الابتسام، وقال: «لقد رأيت أعدادنا يا إدميور، رأيت السّلام والأبراج والمقاذيف والمدكّات. إذا أُلقيتُ الأمر فسيلقي ابن خالي جسرًا على خندقكم ويحطّم بوابتكم. مئات سيموتون، أكثرهم من رجالكم. موجة الهجوم الأولى ستكون من حملة رايتكم السّابقين، وهكذا سيبدأ يومكم بقتل آباء وإخوة الرّجال الذين ماتوا في سبيلكم في (التّوأمتين). الموجة الثّانية ستكون من رجال فراي، فلستُ أعاني نقصًا فيهم، وسيتبعهم جنودي الغربيون عندما تنفذ سهام رُماتكم وبصير فُرسانكم عاجزين عن رفع سيوفهم من فرط الإنهاك. ثمّ لَمّا تَسْقُط القلعة سيقتل كلّ مَنْ فيها، ستُذبح حيواناتكم وتُدمر أيكّة ألّهتكم وتحترق حصونكم وأبراجكم. سأهدمُ أسواركم وأحوّلُ مجرى (الجُلمود) ليغمر الأطلال، وحين أفرغُ لن يعرف أحد أن قلعةً كانت قائمةً هناك ذات يوم»، ونهَضَ چایمی مضيقًا: «قد تضع زوجتك مولودها قبل ذلك. أتوقّع أنك ستُريد طفلك، وسأرسله إليك حين يُولد... بالمنجنيق».

تلا الصّمت كلامه. جلسَ إدميور في حوضه، وضمتْ پيا الملابس إلى صدرها، وشدَّ المغنّي وترًا في قيثارته، وفرّغ ليو الصّغير رغيفًا من الخُبز البائت ليصنع طبقًا متظاهرًا بأنه لم يسمع. بالمنجنيق. لو أن عمته هنا الآن فهل كانت لتصرّ على أن تيربون هو ابن تايوين؟ أخيرًا عثرَ إدميور تلي على صوته، وقال: «يُمكنني أن أخرج من هذا الحوض وأقتلك حيث تقف يا قاتِل الملك».

رَدَّ چایمی: «يُمكنك أن تُحاول»، فلمّا لم يتحرّك إدميور قال: «سأتركك تستمتع بطعامك. أيها المغنّي، سلّ ضيفنا بينما يأكل. مؤكّد أنك تعرف الأغنية».

- «أغنية الأمطار إياها؟ أجل يا سيّدي، أعرفها».

بدا أن إدميور رأى الرَّجل للمرَّة الأولى، وقال: «لا، ليس هو. أبعدُه عني». قال چايمي: «إنها مجرد أغنيَّة، ولا يُمكن أن يكون صوته بهذا السُّوء».

سرسي

كان المايستر الأكبر پايسل عَجُوزًا منذ عرَفَته، وإن يبدو كأنه شاخَ مئة عامٍ أخرى خلال اللَّيالي الثلاث الماضية. استغرقَ الرَّجلُ أَدِيَّةً ليركع ثانيًا رُكْبتيه المتَيِّسَتين أمامها، ولمَّا فعلَ لم يستطعَ النهوض من جديدٍ إلى أن سحَبَه السير أوزموند بقوةٍ ووقفه.

تمعَّنت فيه سرسي باستياءٍ قائلةً: «اللورد كايرن أبلغَنِي بأن اللورد جايلز لفظَ سُعلاته الأخيرة».

- «نعم يا جلالة الملكة. لقد بذلتُ أفضل ما في وسعي لأخفِّف عنه سَكَرات الموت».

قالت الملكة: «حقًّا؟»، والتفتت إلى الليدي ميريويذر تسألها: «ألم أقل إنني أريدُ روزبي حيًّا؟».

- «بلى يا جلالة الملكة».

- «سير أوزموند، ماذا تذكُر عن تلك المحادثة؟».

- «أنكِ أمرتِ المايستر الأكبر پايسل بإنقاذ الرَّجل يا صاحبةِ الجلالة، كلُّنا سمعنا».

انفتحَ فم پايسل وانغلقَ، ثم قال: «يجب أن تعلم مولاتي أنني فعلتُ كلَّ ما في الإمكان لإنقاذ الرَّجل المسكين».

- «كما فعلت مع چوفري؟ ومع أبيه زوجي الحبيب؟ روبرت كان من أقوى الرَّجال في (الممالك السَّبع)، ومع ذلك فقدته بسبب خنزيرٍ برِّي. أوه، ودعنا لا ننسى چون آرِن. لا شكَّ أنكَ كنتِ لتَقْتُلِ نَدَس-تاركِ أيَّ ضًا لو تركتَه لَكَ فترةً أطول. أخبرني أيها المايس-تر، هل تعلَّمت في (القلعة) أن تتنصَّل من مسؤولياتك وتختلِّق الحُجج؟».

رَدَّ الرَّجل الهرم وقد أجفلتَه نبرتها: «لا أحد كان يستطيع أن يفعل المزيد يا جلالة الملكة. لقد... لقد خدمتُ دومًا بإخلاص».

- «عندما أشرت على الملك إيرس أن يفتح بواباته عند اقتراب جيش أبي، أكانت تلك فكرتك عن الخدمة بإخلاص؟».

- «هذا... لقد أسأتُ التقدير...».

- «أكانت تلك نصيحةً سديدةً؟».

- «مؤكَّد أن صاحبةِ الجلالة تعلم...».

- «ما أعلمه أنك كنتِ أقلَّ نفعًا من فتى القمر عندما سُمِّمَ ابني، ما أعلمه أن التَّاج في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى الذهب واللورد الخازن مات».

انتَهَرَ الأحمق المسنُّ الجزء الأخير من رَدِّها قائلاً: «س... سأصنعُ قائمةً بالرجال الصّالحين لشغل مكان اللورد جايلز في المجلس».

قالت سرسي التي وجدت اقتراحه طريقاً: «قائمة. يُمكنني أن أتخيّل نوع القائمة التي ستمدّني بها، قائمة بالشيوخ والحمقى الجشعين وجارث السّمين»، وزمّت شفّتها مضيغةً: «إنك تقضي أوقاتاً طويلةً في صُحبة الليدي مارچري في الفترة الأخيرة».

- «نعم، نعم، إنني... الملكة مارچري مضطربة للغاية بسبب السير لوراس، وأزوّد جلالتها بعقاقير النّوم و... أنواع أخرى من الأدوية».

- «لا ريب. أخبرني، هل ملكتنا الصّغيرة هي من أمرتك بقتل اللورد جايلز؟».

اتّسعت عينا المايستر الأكبر پايسل حتى صارتا كبيضتين مسلّوكتين، وقال: «قـ... قتل؟ لا يُعقل أن جلالتك تعتقدين... لقد مات بالسّعال، أقسمُ بكلّ الآلهة أنني...»

جلالتها لا يُمكن أن... إنها لم تكن ضغينةً للورد جايلز. لماذا ترغب الملكة مارچري في...».

- «... موته؟ لتزرع وردةً أخرى في مجلس تومن بالتّأكيد. أنت أعمى أم مرتشٍ؟ روزبي كان يعترض طريقها فوضّعتَه في قبره... وأنت تسترّ عليها».

رَدَّ الرَّجل بغمٍ يرتعش: «جلالة الملكة، أقسمُ لك أن اللورد جايلز مات بالسّعال. لطالما كان إخلاصي للتّاج والبلاد... وعائلة لانستر».

بهذا التّرتيب؟ كان خوف پايسل صريحاً ملموساً. لقد نضجَ بما فيه الكفاية. حان الوقت لاعتصار الثّمرة وتذوق عصيرها. «إذا كنت مخلصاً كما تدّعي فلماذا تكذب عليّ؟ لا تُحاول الإنكار. لقد بدأت تتراقص حول العذراء مارچري قبل ذهاب السير لوراس إلى (دراجونستون)، فاعفني من المزيد من حكاياتك الخياليّة عن رغبتك في مواساة زوجة ابننا في حُزنها. لماذا تتردّد إلى (قفص العذراوات) بهذه الكثرة؟ مؤكّد أن السّبب ليس أحاديث مارچري المضجّرة. هل تخطّب وُدّ سيّبتها ذات الوجه المجذور إياها؟ تُداعِب الليدي بولوار الصّغيرة؟ هل تلعب لحسابها دور الجاسوس وتُخبرها بما أفعله لتستغله في مكائدها؟».

- «إنني... إنني أطيعُ. المايستر يُقسِم على الخدمة...».

- «المايستر الأكبر يُقسِم على خدمة البلاد».

- «يا صاحبة الجلالة، إنها... إنها الملكة...».

- «أنا الملكة».

- «أعني... أنها زوجة الملك، و...».

- «أعرفُ مَنْ هي. ما أريدُ أن أعرفه هو سبب حاجتها إليك. هل زوجة ابننا

مريضة؟».

ردّد: «مريضة؟»، وشيّد العجوز الشّيء الذي يُسمّيه لحيّة، رُقّع الشّعْر الأبيض الخفيف الثّابت من اللّغد الوردي المتهدّل تحت ذقنه، وقال: «لـليست مريضة يا جلالة الملكة، ليس بالضبط. إن قَسَمي يمنعني من الإفصاح...».

- «قَسَمك لن يكون مصدر عزاءٍ كبير في الزّنازين السّوداء. سأسمعُ منك الحقيقة أو أكبّلك بالسّلاسل».

خَرّ پايسل على رُكبتيه قائلاً بضراعة: «أتوسّلُ إليك... لقد كنتُ رجل السيّد والدك، وصديقاً لك في مسألة اللورد آرن. لن أحتمل البقاء في الزّنازين، ليس ثانية...».

- «لماذا تستدعيك مارچري؟».

- «إنها ترغب في... إنها... إنها...».

- «قلها!».

جفل هامساً: «شاي القمر، شاي القمر من أجل...».

- «أعرفُ فيمَ يُستخدَم شاي القمر». هكذا إذن. «ليكن. انهض على هاتين القدمين الواهنتين وحاول أن تتذكّر كيف تكون رجلاً». حاولَ پايسل النّهوض بعُسْر لكنه استغرق وقتاً طالَ حتى أمرت السير أوزموند مضطّرةً بأن يسحبه ثانية، ثم قالت: «بالنسبة إلى اللورد جايلز فلا ريب أن (الأب في الأعلى) سيحكمُ عليه بالعدل.

ألم يترك أولاداً؟».

- «لا أولاد من صُلبه، لكن هناك ربيباً...».

- «... ليس من دمه»، ولوّحت سرسي بيدها متجاهلةً هذا، وأردفت: «جايلز كان يعرف بحاجتنا الملحّة إلى الذهب. لا شكّ أنه أخبرك برغبته في ترك كلّ أراضيه وثروته لتومن». سيُساعِد ذهب روزبي على إنعاش خزائنها، ويُمكنها أن تهب قلعة (روزبي) وأراضيها لأحد رجالها مكافأةً على خدمته الوفيّة. اللورد ووترز ربما.

منذ فترةٍ وأوران يُلمّح إلى حاجته إلى مقر، فدون مقرّ ليست لورديتّه إلّا لقباً فارغاً. تعلم سرسي أن عينه على (دراجونستون)، لكن طموحه أكبر من اللازم هنا، أمّا (روزبي) فأنسب لمولده ومنزلته.

كان پايسل يقول: «اللورد جايلز أحبّ جلالة الملك حُبّاً جمّاً، ولكن... ربيبه...».

- «... سيَتفهّم بالتأكيد ما إن يسمعك تتكلّم عن أمنيّة اللورد جايلز الأخيرة. اذهب ونفّذ هذا».

قال المايستر الأكبر پايسل: «كما تأمر جلالة الملكة»، وكاد يتعثّر في ثوبه مع

استعجاله الخروج.

أغلقت الليدي ميريويذر الباب وراءه، ثم التفتت إلى الملكة قائلة: «شاي القمر. يا لحماقتها. لماذا تفعل شيئاً كهذا وتُخاطر بنفسها؟».

- «الملكة الصَّغيرة لها رغبات تومن أصغر من أن يُشبعها». هذا الخطر قائم دومًا عندما تتزوَّج امرأة بالغة طفلًا. وقائم أكثر إذا كانت أرملةً. ربما تزعم أن رنلي لم يمسه قط، لكنني أرفض أن أصدق هذا. النساء لا يشربن شاي القمر إلا لسبب واحد، أما العذراوات فلا يحتجن إليه على الإطلاق. «مارجري خانت ابني. إن لها عشيقًا. هذه خيانة عظيمة عقوبتها الموت». أملها الآن أن تعيش أم مايس تايرل الشَّمطاء المتغصنة لتشهد المحاكمة. بإصرارها على زواج تومن ومارجري في الحال حكمت الليدي أولينا علي ورددتها الغالية بسيف الجلاد. «چايمي أخذ السير إلين باين معه. أظن أن علي أن أجد عدالة ملكٍ جديدًا يقطع رأسها».

اقترح أوزموند كِتلبلاك بابتسامة واسعة تلقائية: «سأفعلها أنا. مارجري لها عُنق جميل، صالح لأن يَبْثُرَه سيف حاد بسهولة».

قالت تاينا: «نعم، لكن لتايرل جيشًا عند (ستورمز إند) وآخر في (بركة العذارى). هم أيضًا يحملون سيوفًا حادة».

أنا محاصرة بالورود. وهذا مزعج حقًا. إنها لم تزل محتاجةً إلى مايس تايرل وإن لم يكن إلى ابنته. حتى هزيمة ستانيس على الأقل، ثم لن أحتاج إلى أحد منهم.

لكن كيف تُخَلِّص نفسها من الابنة دون أن تفقد الأب؟ قالت: «الخيانة هي الخيانة، لكن يجب أن تُبرهن عليها، وأن يكون البرهان ملموسًا أكثر من شاي القمر. إذا ثبتت خيانتها فعلى السيّد والدها نفسه أن يُدينها وإلا أصبح عارها عاره».

مضغ كِتلبلاك طرف شاربه قائلاً: «يجب أن نضبطهما متلبسين بفعلتهما».

- «كيف؟ إنها نُصب أعين كايبرن ليل نهار، وخدمها يأخذون مالي ولا يأتوننا بغير التَّفَاهات، لكن أحدًا لم يرَ عشيقها هذا. الأذان خارج بابها تسمع غناءً وضحكًا ونميمةً، لا شيء مفيدًا».

قالت الليدي ميريويذر: «مارجري أمكر من أن تُضبط بهذه السُّهولة. إن نساءها أسوار قلعتها، ينمن معها ويلبسنها ثيابها ويصّلين معها ويقرآن معها ويخطن معـها، وعنـدما لا تَخـرُج لـركوب الخيـل أو الصيـد بـالصقور تلعب (تعـالـ إلى قلعتي) مـرـع الـيسـين بـولوار الصـغيرة، وفـي حـضـور الرّجـال تـكـون معـها سـيـتـها أو بـنـات عـمـومتـها».

قالت الملكة بإصرار: «لا بدّ أنها تُخَلِّص نفسها من دجاجاتها أحيانًا»، ثم إن فكرةً خطرت لها بغتةً، فأضافت: «ما لم تكن رفيقاتها جزءًا من الأمر أيضًا... ليس

جميعهن ربما ولكن بعضهن».

قالت تاينا بريية: «بنات العمومة؟ ثلاثهن أصغر من الملكة وأكثر براءة».

- «فأجرات متنكرات في عفة العذارى، وهو ما يجعل خطاياهن صادمة أكثر. سيُكَلَّلُ أسماءهن العار». فجأة تكاد الملكة تتذوق ملامح الخطئة. «تاينا، السيد زوجك كـبـير قـضـاتي. يجب أن يتنـاول كـلاكمـا العـشـاء معـي اللـيـلـة تـجـديداً». عليـها أن تـسـارع بالتـنـفيـذ قـبـل أن يـعـن لـمـارچري أن تـعـود إلـى (هـايجاردن) أو تـبـجر إلـى (دراجونستون) لتقف مع أخيها الجريح على باب الموت. «سامر الطهارة بشواء خنزير بري لنا، وبالطبع يجب أن نستمع إلى الموسيقى لتُسَاعِدنا على الهضم».

لم تتوان تاينا عن إدراك التلميح، فقالت: «موسيقى، بالتأكيد».

- «أذهبي وأخبري السيد زوجك ورثتي مجيء المغني. سير أوزموند، لا تذهب، هناك تفاصيل كثيرة نتكلم عنها. سأحتاج إلى كايرن أيضاً».

للأسف اتضح أن المطابخ تفتقر إلى الخنازير البرية في الوقت الحالي، ولا وقت يكفي لإرسال صيادين إلى الغابة، فبدلاً من ذلك ذبح الطهارة إحدى خنزيرات القلعة وقدموا لهم لحمها متبلاً بالقرنفل ومسقى بالعسل والكرز المجفف. ليست الوجبة التي أرادت سيرسي، لكنها تدبرت أمرها بها، وبعدها أكلوا التفاح المخبوز مع الجبنة البيضاء اللاذعة. تلذذت الليدي تاينا بكل قسمة، على عكس أورتون ميريويذر الذي ظل وجهه المستدير شاحباً مبقعاً بالبثور من طبق المرق إلى طبق الجبنة، وأفرط في الشراب وظل يختلس النظرات إلى المغني.

أخيراً قالت سيرسي: «مؤسف للغاية رحيل اللورد جايلز، ولو أنني أظن أن أحداً منا لن يفتقد سعاله».

- «نعم، نعم، أظن هذا».

- «سنحتاج إلى خازن جديد. لو لم تكن الأوضاع مضطربة في (الوادي) لأرسلت أستدعي بيتر بايلش، ولكن... أفكر في تجربة السير هاريس في المنصب. لا يمكن أن يبلي بلاء أسوأ من جايلز، وعلى الأقل لا يسعل».

قالت تاينا: «السير هاريس يد الملك».

السير هاريس رهينة، وحتى هذا ليس فعالاً فيه. «آن أوان أن يكون لتومن يد أقوى».

رفع اللورد أورتون عينيه عن كأسه قائلاً: «أقوى، بالتأكيد»، وتردد لحظة قبل أن يسأل: «من...».

- «أنت يا سيدي. إن اليدوية في دمك. جدك حل محل أبي نفسه كيد إيرس». لا شك أن استبدال تاوين لانستر بأوين ميريويذر كان أشبه باستبدال جواد

حربي بحمار، لكن أوين كان رجلًا في شتاء العُمر عندما رَقاه إيرس، وديعًا لم يأتِ بالتَّائج المنشودة، أمَّا حفيده فأصغر، و... وله زوجة قويَّة. مؤسف أن تاينا لا يُمكن أن تشغل منصب يد الملك. إنها تفوق زوجها رجولَةً ثلاث مرَّات، ثم إنها مصدر تسليَّة أفضل كثيرًا، لكنها مولودة في (مير)، علاوةً على كونها أنثى، ولذا فلا مفرَّ من الاكتفاء بأورتون. «لا شكَّ لديَّ في أنك أقدر من السير هاريس». محتويات وعاء فضلاتي أقدر من السير هاريس. «هل تُوافق على الخدمة؟». - «أنا... نعم، بالطبع. جلالتك تُسيغين عليَّ شرفًا عظيمًا».

شرفًا أعظم مما تستأهل. قالت: «لقد خدمتني باقتدار في منصب كبير القضاة يا سيدي، وستستمرُّ في فعل هذا خلال... الأوقات العصيبة التي تنتظرنا»، ولمَّا رأت أن ميربوي-ذر أدرك ما تُنوّه به التفاتت الملكة تبتسم للمغنيِّ قائلَةً: «وأنت أي-ضًا يجب أن تُكافأ على الأغاني الجميلة التي غنيتَها لنا بينما نأكل. لقد أنعمت عليَّك الآلهة بموهبةٍ رائعة». انحنى المغنيِّ مجيبًا: «لطف من جلالتك أن تقول لي هذا».

قالت سرسبي: «ليس لطفًا بل مجرد شهادةٍ بالحقيقة. تاينا قالت لي إنك تُسمَّى الشاعر الأزرق».

- «نعم يا صاحبة الجلالة». حذاء المطرب من جلد العجول اللين، وسراويله من الصوف الأزرق الناعم، والسَّترة التي يرتديها من الحرير الأزرق الباهت المشرَّط بالسَّتان الأزرق اللَّامع، بل ويصبُّ شعره بالأزرق أيضًا على غرار أهل (تايروش)، وشعره هذا طويل مجعَّد ينسدل على كتفيه وتفوح منه رائحة تشي بأنه مغسول بماء الورد. ماء وردٍ أزرق لا ريب. على الأقل له أسنان بيضاء. أسنانه نضيدة وليس فيها اعوجاج على الإطلاق. - «أليس لك اسم آخر؟».

اصطبغت وجنتاه بشيءٍ من الورد إذ أجاب: «في صغري كان اسمي وات. اسم لا بأس به لصبيٍّ من الأرياف، لكنه أقلُّ جدارةً بمغنيٍّ».

لعينيَّ الشاعر الأزرق لون عينيَّ روبرت ذاته، ولهذا السَّبب وحده كرهته. «من السَّهل أن أرى سبب كونك مغنيٍّ الليدي مارچري الأثير».

- «جلالة الملكة لطيفة، تقول إنني أمتَّعها».

- «أوه، إنني واثقة. هل لي أن أرى عودك؟».

- «كما تأمر صاحبة الجلالة». تحت كياسته كانت لمحة خافتة من التَّوتر، وإن ناولها عوده على الرغم من هذا، فلا أحد يَرُفُض للملكة طلبًا.

داعبت سرسبي وترًا وابتسمت للنَّغمة، ثم قالت: «صوت جميل وحزين كالْحُب. أخبرني يا وات... أول مرَّة أخذت مارچري إلى الفِراش، أكان هذا قبل زواجها بابني أم بعده؟».

للحظة لم يبدو أنه فهم، ولمّا فعل اتّسعت عيناه، وقال: «معلومات جلالتك مغلوطة. أقسم لك أنني لم...».

صاحت سرسي: «كـاذب!»، وضربت المغنيّ في وجهه بالعود بقوة فجرت الخشب إلى شظايا، ثم قالت: «لورد أورتون، اسـتدع حرسـي وخـذ هـذا المـخلـوق إلـى الزّنازين». قال أورتون ميريويذر بوجهٍ بلّله عرق الخوف: «هذه الـ... أوه، المخزاة... كيف جرؤ على إغواء الملكة؟».

- «أخشى أن العكس حدث، لكنه يظلّ خائنًا. فليُغنّ للورد كايرن». امتقع وجه الشّاعر الأزرق، وقال والدّم يقطر من شفته حيث مزّقها العود: «لا، إنني لم...»، ولمّا أطبق ميريويذر على ذراعه صرخ: «رُحماك يا أمّنا، لا!». قالت له سرسي: «لستُ أمّك».

حتى في الزّنازين الـسّوداء لم تـنل منـه إلّا الإنكـار والتّضـرُّع والاسـيـتـرحام، ولم يمض وقت طويـل حتـى سـالت الـدّماء علـى ذقنـه من أسـنانه المحطّمة وبـلّل سـراويله الزّرقاء الدّاكنة ثلاث مرّات، وعلى الرغم من كلّ هذا أصرّ الرّجل على أكاذيبه. سألت سرسي: «أيمكن أنه المغنيّ الخطأ؟».

- «كلّ شيء ممكن يا جلالة الملكة. لا تخافي، سيعترف الرّجل قبل أن تنتهي اللّيلة». هنا في الزّنازين يرتدي كايرن الصّوف الخشن ومئزر حدّادٍ جلدّيّ، وقد خاطب الشّاعر الأزرق قائلاً بنبرة رفيقة مهمومة: «أعتذر إذا عاملك الحُرّاس بخشونة. إنهم يفتقرون إلى الكياسة للأسف. لسنا نريد منك إلّا الحقيقة». قال المغنيّ منتحبًا والقيود الحديدية تُثبّته إلى الجدار الحجري البارد بقوة: «لقد قلتُ الحقيقة».

- «ونحن نعرف أنك لم تقلها». كان كايرن يُمسك بيده موسي تلتمع حافتها بخفوتٍ في ضوء المشاعل، وبها قطع ثياب الشّاعر الأزرق إلى أن صار عاريًا إلّا من حذائه الأزرق طويل العنق، ووجدت سرسي مرأى الشّعـر البني بين ساقيه طريقًا. قالت امرأة: «أخيرنا كيف كنت تُرفّه عن الملكة الصّغيرة».

- «لم... لقد غنّيتُ، هذا كلّ شيء، غنّيتُ وعزفتُ. ستُخبرك رفيقاتها. إنهن معها طوال الوقت، بنات عمومتهـا».

- «وكم منهن واقعت؟».

- «ولا واحدة. إنني مجرد مغنٍّ. أرجوك».

قال كايرن: «جلالة الملكة، ربما غنّى هذا المسكين فقط لمارجري بينما تستضيف عُشاقًا آخرين».

- «لا، أرجوك. إنها لم... لقد غَنَيْتُ، غَنَيْتُ فقط...».

مرّر اللورد كايرن يده على صدر المغني قائلاً: «هل تأخذ حلمتيك في فمها عندما تتطارحان الغرام؟»، والتقط واحدة بسببته وإبهامه ولواها متابعًا: «بعض الرجال يستمتع بهذا، حلماتهم حساسة كالنساء»، وومضت الموسيقى وصرخ المغني، وعلى صدره ذرقت عين حمراء مبتلة الدم.

شعرت سرسي بالغثيان، وأراد جزء منها أن تغلق عينيها، أن تُشيع بوجهها، أن تضع حدًا لهذا، لكنها الملكة وهذه خيانة. ما كان اللورد تاوين ليُشيع بوجهه. في النهاية حكى الشاعر الأزرق قصة حياته كلها منذ يوم ميلاده الأول. كان أبوه متعهد تموين سُفن ونشأ وات على هذه الحرفة، لكنه اكتشف في صباه أنه أكثر مهارة في صنع الأعواد من البراميل، ولمَّا بلغ الثانية عشرة هرب لينضم إلى فرقة من الموسيقيين سمع أداءهم في مهرجان، وجاب نصف أنحاء (المرعى) قبل مجيئه (كينجز لاندنج) على أمل أن يجد خطوة في البلاط.

قهقه كايرن قائلاً: «خطوة؟ أهكذا تُسميها النساء الآن؟ أخشى أنك وجدت قدرًا كبيرًا للغاية منها يا صديقي... ومن الملكة الخطأ. الملكة الحقيقية تقف أمامك». نعم. تلوم سرسي مارچري تايرل على هذا. لولاها فلربما عاش وات حياة طويلة ثمرة، يردّد أغانيه ويضاجع راعيات الخنازير وبنات المزارعين. تأمرها أرغمني على هذا. لقد لوّثتني بخيانتها.

قبل مطلع الفجر كانت الدماء تملأ حذاء المغني الأزرق طويل العنق، وأخبرهما كيف تُداعب مارچري نفسها بينما تُشاهد بنات عُمومتها يمتّعن بأفواههن، وفي أوقات أخرى يُغني لها فيما تُشيع شهواتها مع عُشاق آخرين. سألت الملكة: «من هم؟»، فذكر المأفون وات أسماء السير تالاد الطويل ولامبرت ترنبري وچالابار شو والتوأمين ردواين وأوزني كيتلبلاك وهيو كليفتون... وفارس الزهور.

أثار هذا استياءها. إنها لا تجرؤ على تلويث اسم بطل معركة (دراجونستون)، ثم إن لا أحد يعرف السير لوراس سيصّدق هذا. كذلك، لا يمكن أن يكون التوأمان ردواين جزءًا من الأمر، فدون (الكرمة) وأسطولها لا أمل للبلاد في الخلاص من يورون عين الغراب ورجاله الحديديين الملاحين. «لست تلفظ إلا أسماء رجال رأيتمهم في مسكنها. تُريد الحقيقة!».

- «الحقيقة». نظر إليها وات بالعين الزرقاء الواحدة التي تركها له كايرن، وبقبت الدماء من الفتحات التي كانت أسنانه تحتلها، وقال: «ربما... أسأت التذكر».

- «لم يكن لهوراس وهوبر دور في الأمر، أليس كذلك؟».

- «بلى، ليس هما».

- «وبالنسبة إلى السير لوراس فأنا واثقة بأن مارچري تُجشّم نفسها عناء كبيرًا لإخفاء ما تفعله عن أخيها».

- «نعم، الآن أذكرُ. في مرّةٍ اختبأتُ تحت الفراش حين أتى السير لوراس لزيارتها. قالت لي: يجب ألا يعرف أبدًا».

- «أفضّلُ هذه الأغنيّة على الأخرى». فلتترك اللوردات الكبار خارج الأمر، هذا أفضلُ. أمّا الآخرون... السير تالاد كان فارسًا متجولًا من قبل، وچالابار شو شحّاذ منفي، وكليفتون الوحيد المذكور من حرس الملكة الصّغيرة. وأوزني أساس المسألة كلّها. «أعرفُ أنك مرتاح أكثر الآن وقد قلت الحقيقة. عليك أن تتذكّرها عندما تمثّل مارچري للمحاكمة. إذا بدأت تكذب ثانية...».

- «لن أفعل، سأقولُ الحقيقة، وبَعدها...».

- «سيُسمَح لك بالانضمام إلى حرس اللّيل، لك كلمتي»، والتفتت سرسي إلى كايرن قائلةً: «أحرص على تنظيف جروحه وتضميدها، واسقِه حليب الخشخاش لتخفيف الألم».

ردّ كايرن: «جلالتك شديدة اللّطف»، وأسقطَ الموسى الدّامية في دلوٍ من الخل، وقال: «ربما تتساءل مارچري أين ذهبَ شاعرُها».

- «المغنّون يروحون ويأتون، إنهم شهيرون بهذا».

صعدت سرسي درجات الزّنازين السّوداء الحجريّة القائمة لاهثةً، وقالت لنفسها: يجب أن أستريح. الحصول على الحقيقة عمل مضمّن، كما أنها تخشى الخطوة التّالية. لا بُدّ أن أكون قويّة. لا أفعلُ ما أفعله إلّا في سبيل تومن والبلاد. مؤسف أن ماجي الضّفدعة ماتت. بولٌ على نپوءتك أيتها العجوز. ربما أكبرُ الملكة الصّغيرة سنًا، لكنها لم تكن أجمل مني قط، وقريبًا ستموت.

كانت الليدي ميريوذر منتظرةً في غُرفة نومها. ما زالَ اللّيل حالكًا، أقرب إلى الفجر من الغسق، وچوسلين ودوركاس كلتاها نائمتا، ولكن ليس تاينا التي سألتها: «أكان الأمر شنيعًا؟».

- «لن تتصوّر. احتاجُ إلى النّوم لكن أخشى أن أحلم».

ملّست تاينا على شَعرها قائلةً: «كلُّ هذا من أجل تومن».

ردّت سرسي: «أعلمُ، أعلمُ أنه كذلك»، وارتجفت مردفةً: «حَلقي جاف. كوني حلوةً وصيّبي لي قليلًا من النّبذ».

- «إذا كانت هذه مشيئتكِ. لا أبغي إلّا أن ألبّيها».

كاذبة. إنها تعلم ما تبغيه تاينا. ليكن إذن. ما دامت المرأة مفتونةً بها فسيُساعدُها افتتاحها على ضمان إخلاصها وزوجها، وفي عالم زاهر بالخيانة يستحقُّ هذا بضع قبلات. ليست أسوأ من أكثر الرّجال. على الأقل خطر الحمل منها غير وارد.

ساعدها النّبذ ولكن ليس كفايةً، وإذ وقفت الملكة في التّافذة حاملّةً كأسها قالت متذمّرةً: «أشعرُ بأنني ملوّثة».

قالت الليدي ميريويدز: «الاستحمام كفيل بعلاج هذا يا جميلتي»، وأيقظت دوركاس وچوسلين وأرسلتهما تجلبان ماءً ساخناً، وبينما ملأتا الحوض ساعدت الملكة على خلع ثيابها، فحلت أربطة فُستانها بأصابع رشيقة وأنزلته عن كتفها برفق، ثم إنها خلعت فُستانها بدورها وتركته يتكؤم على الأرض.

نزلت الاثنتان في الحوض معاً، وتمددت سرسبي على ظهرها بين ذراعي تايئا، وقالت للمايريّة: «لا بُدَّ من إعفاء تومن من معرفة أسوأ التفاصيل. ما زالت مارجري تأخذه كلَّ يومٍ إلى السَّيِّت ليطلباً من الآلهة أن تشفي أخاها». لا يزال السير لوراس متشيّثاً بالحياة على نحوٍ مزعج. «إنه مغرم ببنات عمومته أيضاً. سيشق عليه أن يفقدهن جميعاً».

اقتُرحت الليدي ميريويدز قائلةً: «ربما لا تكون ثلاثهن مذنبات، ربما لم تشترك واحدة منهن مع الأخريات. إذا أخزاها وأغناها ما رآته...».

- «... فربما يُمكن إقناعها بالشَّهادة على البقيّة. نعم، ممتاز، لكن أيُّهن البريئة؟».

- «آلا».

- «الخجول؟».

- «هكذا تبدو، لكن فيها خُبثاً أكثر من الخجل. اترُكيها لي يا جميلتي».

- «بكلِّ سرور». اعتراف الشَّاعر الأزرق وحده لن يكفي أبداً، إذ إن دأب المغيِّين أن يكسبوا رزقهم بالكذب، لكن آلا تايرل ستُساعدها كثيراً إذا استطاعت تايئا أن تجعلها تعترف. «السير أوزني أيضاً سيعترف، ويجب إفهام الآخرين أن من خلال الاعتراف وحده يُمكنهم أن ينالوا عفو الملك والذهاب إلى (الجدار)». سيجد چالابار شو الحقيقة جذابةً، ولو أنها أقلُّ ثقةً بالآخرين، وإن كان كايبرن يُجيد الإقناع...

كان الفجر يَبْزُغ على (كينجز لاندنج) عندما خرجتا من الحوض وقد ابيضَّت بشرة الملكة وتجعَّدت من انغمارها الطويل في الماء. قالت لتايئا: «ابقي معي، لا أريدُ أن أنام وحدي»، ثم إنها ردَّدت دُعَاءً قبل أن تَدْخُل تحت الأغطية، تُناشد (الأم) الأحلام الطيِّبة.

على أن دُعَاءها كان مضيعةً لأنفاسها، فكالمعتاد صمَّت الآلهة آذانها. حلَّت سرسبي بأنّها في الزَّنازين السوداء من جديد، لكن الفرق هذه المرّة أنّها هي المقيدة بالسَّلاسل إلى الجدار بدلاً من المغيِّ. كانت عاريةً والدَّم يَقْطُر من طرفي ثدييها حيث مَرَّق العفريت حلمتيها بأسنانه، وقالت له متوسِّلةً: «أرجوك، أرجوك، ليس أطفالِي، لا تُؤذي أطفالِي»، لكن تيريون اكتفى بالنَّظر إليها شزراً. هو أيضاً كان عارياً، يُغَطِّي جسده شعر خشن يجعله يبدو أقرب إلى قردٍ من إنسان، وقال لها: «سترينهم يُتَّوَجَّون وسترينهم يموتون»، ثم أخذ ثديها النَّازف في فمه وبدأ يمصُّ، وسرى الألم فيها

كسكين ساخن.

استيقظت مرتعدة بين ذراعي تاينا، وقالت: «حُلم سيئ. هل صرختُ؟ آسفة». - «في نور النهار تتحوّل الأحلام إلى تُراب. أهو القزم مرّة أخرى؟ لماذا يُخيفك ذلك الرجل الصّغير السّخيف هكذا؟».

- «سيقُتلني. إنها نبوءة منذ كنتُ في العاشرة. أردتُ أن أعرف مَنْ سأُتزوَّج، لكنها قالت...».

- «مَنْ قالت؟».

- «المايجي». تدفّقت منها الحكاية وهي لا تزال تسمع ميلارا هيذرسيون تقول مصرّة إن امتناعهما عن الكلام عن النبوءة سيحول دون تحقيقها. لكنها لم تصمّت في البئر، بل صاحت وصرخت. «تيريون هو الغالونكار. هل تستخدمون هذه الكلمة في (مير)؟ إنها فاليريّة فُصحى، تعني الأخ الصّغير». كانت قد سألت السيّطة سارانيلّا عن الكلمة بعد غرق ميلارا.

التقطت تاينا يدها وملّست عليها قائلة: «كانت امرأةً مفعمّةً بالكُره، عجوزًا مريضةً قبيحةً، وكنتِ أنتِ صغيرةً جميلةً مفعمّةً بالحياة والكبرياء. قلتِ إنها عاشت في (لانسپورت)، أي أنها سمعت بالتأكيد بمولد القزم وكيف قتلَ أمك. تلك المخلوقة لم تجسُر على ضربك بيدها نظرًا لمقامك، فسعت إلى جرحك بلسان الحيّة».

أهذا ممكن؟ كم تُريد سرسي أن تُصدّق هذا. «لكن ميلارا ماتت كما قالت النبوءة، ولم أتزوَّج الأمير ريجار، وچوفري... القزم قتلَ ابني أمام عيني».

قالت الليدي ميريويذر: «ابن واحد، لكن لكِ آخر جميلًا قويًا، ولا أذى سيمسّه أبدًا».

- «مستحيل ما دمتُ على قيد الحياة». مجرد القول جعلها تُصدّق. في نور النهار تتحوّل الأحلام إلى تُراب، نعم. في الخارج تسطع شمس الصّباح متخلّلةً سديمًا من السّحاب، وخرجت سرسي من تحت الأغطية قائلة: «سأفطر مع الملك هذا الصّباح. أريدُ أن أرى ابني». لا أفعلُ ما أفعله إلّا في سبيله.

ساعدتها تومن على استعادة رباطة جأشها. لم تحسّ به غاليًا نفيسًا من قبل كهذا الصّباح إذ راح يثرثر عن هُريراته وهو يصبّ العسل على قطعةٍ من الخُبز الأسمر الساخن، وقال لها: «السير پاونس اصطادَ فأرًا، لكن الليدي ويسكرز سرقته منه».

لم أكن قطُّ بهذه العذوبة أو البراءة. كيف يأمل أن يقوى على حُكم هذه البلاد القاسية؟ تُريد الأم في داخلها أن تحميه، والملكة في داخلها تعلم أن عليه أن يصير أقوى وإلا التهمته العرش الحديدي لا محالة. قالت له: «على السير پاونس أن يتعلّم أن يدافع عن حقوقه. في هذا العالم

يق-ع الضَّعفاء ض-حايًا للأقوياء طوال الوقت». ففكر الملك في قولها وهو يلقي العسل من على أصابعه، ثم قال: «لَمَّا يعود السير لوراس سأتعلم القتال بالرمح والسيف والكُرّة الشائكة مثله». قالت الملكة: «ستتعلم القتال ولكن ليس من السير لوراس. إنه لن يعود يا تومن».

- «مارجري تقول إنه سيعود. نحن نُصَلِّي من أجله، نسأل (الأم) أن ترحمه و(المُحارب) أن يُعطيه القوّة. إلينور تقول إن هذه أصعب معارك السير لوراس». ملّست على شعره، على الخُصل الذهبية التي تُذكرها كثيرًا بجوف، وسألته: «هل ستقضي بعد الظهر مع زوجتك وبنات عمومته؟».

- «ليس اليوم. قالت إن عليها أن تصوم وتُطهّر نفسها».

تصوم وتُطهّر نفسها... أوه، من أجل عيد (العذراء). لقد مرّت سنوات منذ كان على سرسي الاحتفال بهذا العيد الديني تحديدًا. تزوّجت ثلاث مرّات ولا تزال تُريدنا أن نعتقد أنها بكر. سترتدي الملكة الصّغيرة ثيابًا بيضاء محتشمة وتقود دجاجاتها إلي (سيت بيلور) لتُضيء الشموع البيضاء الطويلة عند قدمي (العذراء) وتُعلّق أكاليل من الرّقوق حول عُنقها المقدّس. بعض دجاجاتها على الأقل. في عيد (العذراء) تُمنع الأمّهات والأرامل والعاهرات على حدّ سواء من دخول السيّئات، وكذا الرّجال، خشية تدنيس ترانيم البراءة المقدّسة. وحدهن العذراوات مسموح لهن...

- «هل قلتُ شيئًا خطأ يا أمّي؟».

قبّلت سرسي جبهة ابنها، وقالت: «بل قلتُ شيئًا في غاية الحكمة يا عزيزي. والآن اذهب والعب مع قِططك».

بعدها استدعت السير أوزني كتلبلاك إلى عُرفتها الشمسية، فجاء متبخترًا يتصبّب عرقًا من التدريب في السّاحة، وبينما جثا أمامها جرّدها من ملابسها بنظراته كما يفعل دومًا.

- «انهض أيها الفارس وتعال اجلس إلى جوارِي. لقد أسديتني صنيعة شجاعًا من قبل، لكن الآن لديّ مهمّة لك تتطلب صلابة أكثر».

- «نعم، وأنا لديّ شيء صُلب لك».

ردّت: «يجب أن تُرجئ ذلك»، ومرّرت أناملها بخفّة على ندوب وجهه متابعه: «أتذكر العاهرة التي أصابتك بهذه النُّدوب؟ سأعطيك إياها عندما تعود من (الجدار).

هل تحبُّ هذا؟».

- «أريدك أنت».

كانت إجابته الصَّحيحة، فقالت: «أولاً عليك أن تعترف بخيانتك. من شأن ترك خطايا المرء تتعقَّن في داخله أن يُسمِّم روحه. أعرفُ أن الحياة مع ما اقترفت صعبة عليك، وحانَ الوقت لأن تُخَلِّص نفسك من عارك».

بدا أوزني حائراً إذ قال: «عاري؟ لقد قلتُ لأوزني إن مارچري تُعائِشني فقط، ولا تتركني أفعلُ أكثر من...».

بترت سرسي عبارته: «شهادة منك أن تحميها، لكنك فارس أنبل من أن تُواصل الحياة مع جريمته. لا، يجب أن تأخذ نفسك إلى (سييت بيلور الكبير) الليلة تحديداً وتتكلم مع السيِّتون الأعلى. حين تكون ذنوب المرء بهذا السَّواد لا يستطيع إلّا صاحب القداسة الأعلى نفسه إنقاذه من عذاب الجحيم. أخبره كيف كنت تُضاجع مارچري وبنات عمومته».

حملقَ إليها سائلاً: «ماذا؟ بنات عمومته أيضاً؟».

أجابَتْ وقد حزمت أمرها: «مِجا وإلينور فقط وليس آلا». هذه التَّفصيلة الصَّغيرة ستجعل القصة أكثر قابليَّةً للتَّصديق. «آلا اعتادت الجلوس باكيةً تتوسَّل إلى الأخريات أن يتوقَّفن عن المعصية».

- «مِجا وإلينور فقط أم مارچري أيضاً؟».

- «مارچري أيضاً بكلِّ تأكيد. إنها وراء الأمر برُمته».

أخبرته بكلِّ ما تُفكِّر فيه، وإذ أنصتَ أوزني زحفَ الفهم بتؤدَّةٍ على وجهه، ولمَّا فرغت قال: «بعد أن تقطعي رأسها أريدُ أن أنال تلك القبلَّة التي لم تمنحني إياها».

- «لك أن تنال كلَّ ما ترغب من قُبَل».

- «ثم (الحدار)؟».

- «لفترةٍ قصيرة. تومن ملك غفور».

حكَّ أوزني وجنته النَّديَّة قائلاً: «عادةً عندما أكذبُ بخصوص امرأةٍ أقولُ أنا إنني لم أضاجعها وتصرُّ هي على العكس. هذا... إنني لم أكذب على سيِّتون أعلى من قبل! أظن أن المرء يذهب إلى جحيمٍ ما لهذا، إلى واحدةٍ من الجحائم السيِّئة».

اندهشت الملكة. آخر ما توقَّعته من أحد الإخوة كِتْلِبلاك هو التَّقوى. «هل ترُفض أن تُطيعني؟».

قال أوزني متحمِّساً شَعرها الدَّهبي: «لا. المسألة أن أفضل الأكاذيب يحوي شيئاً من الحقيقة... إنها تُعطيها نكهةً إن جازَ التَّعبير، وأنتِ تُريدينني أن أعترف بأنني ضاجعتُ ملكة...».

كادت تصفعه على وجهه... كادت، لكنها قطعت شوطاً طويلاً بالفعل وهناك

الكثير على المحك. لا أفعلُ ما أفعله إلّا في سبيل تومن. دوّرت رأسها والتقطت يدي السير أوزني ولثمت أصابعه الصلبة الخشنة من حمل السيوف. روبرت كانت يداه كهاتين.

طوّقت سرسي عُنقه بذراعيها، وبصوتٍ مبجوح همست: «لا أريدُ أن يُقال إنني جعلتك تكذب. أعطيني ساعةً ثم قابِلني في غرفة نومي».

قال أوزني: «انتظرنا بما فيه الكفاية»، ودسَّ أصابعه في صدر فُستانها وشدّه ممزّقاً الحرير بصوتٍ مرتفعٍ حتّى إن سرسي خشيت أن يصف قاطني (القلعة الحمراء) سمعوه، ثم إنه أضاف: «اخلعي البقيّة قبل أن أمزّقها أيضاً، لكن يُمكنك الاحتفاظ بالتّاج. إنني أحبُّك بالتّاج».

الأميرة في البرج

سجنها سجنٌ مترف.

وجدت آريان في هذا سلوانًا، فلم يجشيم أبوها نفسه كل هذا العناء ويوفر لها جميع وسائل الراحة في محبسها لو أنه حكم عليها بالموت ميتة الخونة؟ مرة قالت لنفسها: لا يمكن أنه ينوي أن يقتلني. القسوة ليست من طباعه. أنا دمه ونسله، وريثته، ابنته الوحيدة. إذا لزم الأمر ستلقي نفسها على عجلتي مقعده المتحرك وتتعرف بغلظتها وتتوسل غفرانه، وستبكي أيضًا، وحين يرى الدُموع تسيل على وجهها سيسامحها.

لكنها لا تحس بالثقة نفسها بقدرتها على أن تسامح نفسها.

خال الرحلة الطويلة الجافة من (الدم الأخضر) إلى (ص-نسبير) اس-تجدت أسيرها قائله: «آريو، لم أريد قط أن يصيب الفتاة أذى، ص-دقني»، فلم يرد هوتا إلا بزمجرة، وشعرت آريان بغضبه. لقد فلت منه النجم المظلم، العضو الأخطر على الإطلاق في مجموعتها الصغيرة من المتأمرين، ضل مطارديه جميعًا واختفى في الصحراء العميقة والدماء تلوّث سيفه.

قالت آريان والفراسخ تمر: «أنت تعرفني أيها القائد، تعرفني منذ صغري، ودائمًا حميتني كما حميت السيدة والدتي منذ جئت معها من (نورفوس الكبرى) لتكون حارسها في هذا البلد الغريب. إنني محتاجة إلى مساعدتك. لم تكن نيتي أن...».

قاطعها آريو هوتا بملامح من حرج: «نيتك لا تهم يا أميرتي الصغيرة، فقط ما فعلت. آسف، لكن لأميري الأمر وعلى هوتا الطاعة».

توقعت آريان أن يأخذها إلى مقعد أبيها العالي تحت القبة الزجاج المطلية بالرصاص في (برج الشمس)، لكن بدلًا من ذلك أخذها هوتا إلى (برج الحربة)، ووضعها تحت وصاية ريكاسو قهرمان أبيها والسير مانفري مارتل أمين القلعة. قال لها الأول: «أرجو أن تسامحي عجوزًا أعمى مثلي على عدم الصعود معك أيتها الأميرة».

هاتان الساقان لا تصلحان لتسلق الدرجات الكثيرة. ثمة غرفة مجهزة لك سيصحبك إليها السير مانفري لتنتظري استدعاء الأمير».

- «تعني غصبة الأمير. هل سيحبس أصدقائي هنا أيضًا؟». افترقت آريان عن جارين ودراي والبقية بعد القبض عليهم، ورفض هوتا أن يخبرها بما سيحدث لهم، ولم يقل بخصوص هذه المسألة إلا: «القرار للأمير». على أن السير مانفري كان أكثر تعاطفًا، فأجابها: «لقد أخذوا إلى (بلدة الأخشاب) وسينقلون بالسفين إلى (جاستون جراي) إلى أن يُقرر الأمير

دوران مصيرهم».

(جاس-تون ج-راي) قلعة قديمة متهدمة قابضة على صخرة في (بحر-دورن)، معتقل كئيب مخيف لا يُرسل إليه إلا أسوأ المجرمين ليتعقنوا ويموتوا. قالت آري-ان مشدوهة: «هل ينوي أبي أن يقتلهم؟! إنهم لم يفعلوا ما فعلوه إلا محبة لي. إذا كان أبي يريد الدم فليكن دمي».

- «كما تقولين أيتها الأميرة».

- «أريد أن أتكلّم معه».

قال السير مانفري: «هكذا حسب»، وأخذها من ذراعها وساقها صاعدًا السّلام، إلى أعلى وأعلى حتى تقطعت أنفاسها. يرتفع (برج الحربة) مئة وخمسين قدمًا، وتقع زنانتها قرب القمة. رمقت آريان كل باب مرًا به متسائلة إن كانت إحدى أفاعي الرّمال حبيسة في الدّاخل.

بعد أن أغلق بابها وأوصد استكشفت آريان بيتها الجديد. الغرفة واسعة جيدة التهوية، ولا تفتقر إلى سبل الراحة، فعلى الأرض بسط مايريّة، وثمة نبذ أحمر تشربه وكُتب تقرأه-، وفي أحد الأركان تس-تقر طاولة س-ايغاس منمقة بقطع منحوتة من العاج والجزع-ولو أن لا أحد هنالك يلعب معها إذا أرادت أن تلعب- وهناك أيضًا فراش بحشيّة من الرّيش، ومرحاض بمقعد من الرّخام تُعطره سلّة ملأى بالأعشاب، كما أن المناظر من هنا خلابة، إذ تطلّ على الشرق نافذة ترى منها الشّمس تُشرق من وراء البحر، وتُتيح لها أخرى أن تنظر إلى (برج الشّمس) بالأسفل، بالإضافة إلى الأسوار الملتفة (والبوابة الثلاثية).

استغرق الاستكشاف وقتًا أقلّ مما كانت لتقضيه في عقد أربطة صندلها، لكنه نجح على الأقل في الحيلولة دون انهيار دموعها فترة. وجدت آريان حوضًا وإبريقًا من الماء الفاتر وغسلت يديها ووجهها، لكن مهما فركت نفسها فلن يُمكنها تنظيفها من الحزن. أريس، فارسي الأبيض. ملأت الدّموع عينيها، وفجأة انفجرت في البكاء ورَجّ النّحيب جسدها كله رجًا. تذكّرت كيف شقت فأس هوتا الثّقيلة لحمة وعظمه، وكيف طار رأسه ودار في الهواء. لماذا فعلتها؟ لماذا فرّطت في حياتك؟ لم أقل لك أن تفعلها، لم أرغب في هذا، أردت فقط... أردت... أردت...

ليلتها بكت حتى النوم... للمرّة الأولى وإن لم تكن الأخيرة. حتى في أحلامها لم تجد س-لامًا. حلّمت ب-أريس أوك-هات يُمسّد جسدها، يبتسم لها، يقول لها إنه يحبّها... لكن طيلة الوقت كانت السيّام منغرسّة في-ه وتبكي جروح-ه دما محيلة أبيض-ه إلى أحمر. جزء من-ها إن يدرك أن هذا ك-ابوس حتى في أثناءه، وأخبرت الأميرة نفسها: كلُّ هذا سيختفي حين يطلع الصّبح، لكن الصّبح طلّع وهي لا تزال في زنانتها، ولا يزال السير أريس ميتًا، ومارسلا... لم اريد هذا قط، لم ارده.

لم تكن نيتي أن يمسّ الفتاة سوء، لم أرد لها إلا أن تكون ملكة. لو لم نتعرّض للخيانة...

قال هوتا إن أحدهم وشى، ولم تزل الذكري تُغضبها، ولقد تشبّثت آريان بهذا الغضب وأزكت به النار في قلبها. الغضب أفضل من الدُموع، أفضل من الأسى، أفضل من الندم. أحدهم وشى، أحد وثقت به، ومن جرّاء هذا مات آريس أوكهارت، قتلتها همسة الخائن كما قتلتها فأس قائد الحرس، والدّم الذي سَالَ على وجه مارسلا من صنْع الخائن أيضًا. أحدهم وشى، أحد أحبّته، وهذا أبلغ الجروح قاطبة.

وجدت صندوقًا من خشب الأرز مليئًا بشبابها عند قدم الفراش، فخلعت ملابسها التي وسّخها السّفر ونامت بها ثم ارتدت أكثر غلالة كاشفة وجدتها، خيوطًا من الحرير تُغطّي كلّ شيء ولا تُخفي شيءًا. ربما يُعاملها الأمير دوران كأنها طفلة، إلا أن هذا تـأبى أن تلبس ثياب طفلة، وتعلم أن ما ترتديه سيُزعج أبائها حين يأتي يُوخّنها على الهرب بمارسلا، بل وتعتمد على هذا. إذا كان عليّ أن أزحف وأبكي فليزعج هو أيضًا.

توقّعت أن يأتيها اليوم، لكن حين انفتح الباب أخيرًا لم يظهر إلا خدمها بوجبة منتصف النهار. سألتهم: «متى أرى أبي؟»، لكن أحدًا لم يُجِبها. قدّموا لها جدّيًا مشويًا بالليمون والعسل، ومعه ورق عنـب محشـوًا بخلـيط مـن الزبيب والبصل وعيش الغراب وفلفل التّين الحـريـف. فـي طريقـهم إلـى (جاسـتون جـراي) يـأكل أصدقاـء آريان بسكويت السّفن واللحم البقري المملح، فقالت: «لست جائعة». خذوا هذا وائتوني بالأمير دوران، لكنهم تركوا الطّعام ولم يأت أبوها، وبعد مدّة أضعف الجوع تصميمها، فجلست وأكلت.

ما إن أكلت آريان لم تجد ما تفعله. دارت في بُرجها مرّة وثلاثًا وتسعًا، وجلست إلى طاولة السايڤاس وحركت فيلًا بفتور، واستراحت علي المقعد المجاور للنّافذة وحاولت أن تقرأ كتابًا إلى أن تشوّشت الكلمات وأدركت أنها تبكي مجددًا. آريس أيها العزيز، فارسي الأبيض، لماذا فعلتها؟ كان يجب أن تستسلم. حاولت أن أقول لك لكن الكلام احتبس في فمي. أيها الأحقق الشُّجاع، لم تكن نيتي أن تموت، أو لمارسلا أن... أوه، بحقّ الآلهة، تلك الصّغيرة...

في النّهاية عادت إلى فراشها. كان العالم قد أظلم، ولا شيء تفعله إلا النّوم. أحدهم وشى، أحدهم وشى. جارين ودراي وسيلفا الرّقطاء أصدقاء طفولتها، أعزّاء عندها كابنة عمّه تايين، ولا تُصدّق أن أحدهم قد يشي بها... لكن هكذا لا يتبقي إلا النّجـم المظلم فقط، وإذا كان هو الخائن فلم انقلب بسيفه على المسكينة مارسلا؟ أراد أن يقتلها بدلًا من أن تُتوجّها. هذا ما قاله في (شانديستون)، قال إنني هكذا سأنال الحرب

التي أريدها. لكن لا يُعقل أن داین الخائن. إذا كان السير چيرولد السُّمّ في العسل حقاً، فلمْ انقلبَ بسيفه على مارسلّا؟ أحدهم وشى. أيُمكن أنه السير آريس؟ هل تغلب إحساس الفارس الأبيض بالدّنب على شهوته؟ هل أحبّ مارسلّا أكثر منها وخان أميرته الجديدة تكفيراً عن خيانتة أميرته القديمة؟ هل أحسّ بالعار مما فعله لدرجة أنه فضل التّفريط في حياته على ضفاف (الدّم الأخضر) على العيش ومواجهة الخزي؟ أحدهم وشى. حين يأتي أبوها يراها ستعرف مَنْ. على أن الأمير دوران لم يأت في اليوم التّالي ولا التّالي، وتُركت الأميرة وحدها تذرّع العُرْفَة وتبكي وتلعق جراحها. في ساعات النَّهار تُحاول أن تقرأ، لكن الـكُتب التي تركوها لها ممّلة حدّ الموت؛ كُتب تاريخ قديمة ثقيلة، وكُتب جغرافيّا وخرائط مزوّدة بحواشٍ، ودراسة جافّة كالثّراب عن قوانين (دورن)، ونُسخة من (النّجمة السّباعيّة) و(سير السّپتونات العلّاء)، ومجلّد ضخّم عن التّنانين جعلها بوسيلةٍ ما أقلّ تشويقاً من سَمندل الماء.

كـانت آريـان لتـدفع ثـمناً باهظاً لقاء نُسخةٍ من (عشرة آلاف سـفينة) أو (أحبـاب الملكة نـايميـريا)، لقاء أيّ شيءٍ يشـغل بالـها ويجعلـها تهـرب من بُرجـها ساعةً أو ساعتين، لكنهم حرموها تلك التّسلية.

عليها فقط أن تنظر من نافذتها لترى القبة العظيمة المبنية بالذهب والزّجاج الملونّ بالأسفل حيث يجلس أبوها قليلاً. قريباً سيستدعيني.

الرّوّار الوحيدون المسموح بدخولهم عليها خدمها؛ بورس بشعر فكّه القصير الخشن، وتيموث الطّويل الذي يشعّ اعتداداً، والأختان مورا وميلي، وسيدرا الصّغيرة الحسناء، وبيلاندر العجوز التي كانت رفيقة فراش أمّها. يأتونها بالوجبات، ويبدّلون أغطية سريرها، ويفرغون وعاء الفضلات تحت مرحاضها، لكن لا أحد منهم يُخاطبها. عنـدما تطلّب مزيـداً من النّبيـذ يـذهب تـيموث ويجلبـه، وإذا رغـبت فـي أكـل مفضـلة -التيـن أو الزّيتـون أو الفـلـل المحشـو بالجبنـة- فـمـا عليـها إلّا أن تُخـبر بيلاندر فتُلبّي طلبها. تأخذ مورا وميلي ملابسها المتّسخة وتعودان بها نظيفة طيّبة الرائحة، وكلّ يومين يأتونها بحوض استحمامٍ وتغسل سيدرا الصّغيرة الخجول ظَهرها بالصّابون وتُمشّط شعرها.

إلّا أن أحداً منهم لا ينبس لها ببنت شفة، ولا يتعطّفون عليها حتى بإخبارها بما يجري في العالم خارج قفصها المبنى بالحجر الرّملي. في يومٍ سألت بورس: «هل قبضوا على النّجم المظلم؟ أما زالوا يُطارّدونه؟»، لكن الرّجل أولاها ظَهره وابتعد، فصاحت فيه آريان بحدّة: «هل أصابك الصّمم؟ ارجع وأجبنني، هذا أمر»، لكن جوابه الوحيد كان صوت بابٍ ينغلق.

فـي يـومٍ آخـرٍ حـاولتُ ثـانيـةً قـائلـةً: «تـيموث، مـاذا حـدثَ للأمـيرة مارـسـلا؟ لـم أقـصـد قَطُّ أن يُصـيـبها الأذى». آخـر مـرّةٍ رأتُ الأمـيرة الأخرى كـانـت فـي طـريق العـودـة إلـى (صـنـسـپـير). كـانـت مارـسـلا أضـعـف مـن أن تـركـب حـصـانًا فـوضـعوها فـي هـودج، وقـد ضُـمِّدَ رأسـها بـالحـريـر حـيـث جـرحـهـا النّـجـم المـظـلـم واثّـقـدت عـيـنـها الخـضـراوان بالحُمّى. «قُل لـي إنـها لـم تـمُت، أتوسَّلُ إلـيـك. ما الضّرر من معـرفـتي؟ أخـبرني كيف حالـها»، غـير أن تـيموث اـمتنـعَ عـن الإـجابـة.

وبـعد بضـعة أيـامٍ قالـت آريـان: «بيـلانـدرا، إذا أحـببتِ أمـي يـومًا فأشـفـقـي عـلى ابنتـها المسـكـينة وأخـبرني مـتى يـنوي أبـي أن يأتـي ويرانـي، أرجـوك، أرجـوك»، لـكن بيـلانـدرا أيـضًا فقـدت لسانـها.

أهـذه فـكرة أبـي عـن التّعـذـيب؟ لـيس الحـديـد السّاخـن أو المـخلـعة وإنـما -بـبـساطـة- الصّـمـت؟ لـم يُدْهـشـها أن يـنحو دوران مارـتل هـذا النّـحو حتـى إنـها ضـحكت رـغمًا عـنها.

يظنُّ نـفسـه فـطـنًا بيـنما يـتصرّف بـضعفٍ لا أكـثر. قرّـرت أن تـستـمتع بالهـدوء، أن تـستـغلّ الوـقت فـي التّعـافي وشـدّ أزر نـفسـها اسـتعدادًا لـما سيأتـي.

تـعلـم أن لا جـدوى مـن الإـسـهـاب فـي التّفكـير فـي السـنـسـپـير آريـس، وبـدلًا مـن ذلـك جـعـلت نـفسـها تُفكّر فـي أفـاعي الرّمـال، بالذّات تـايـين. تحبُّ آريـان بـنـات عمّـهـا الـتّغـلات جـمـيعـهن، مـن أوبارا العـنـيفة صـعبة المـراس إلـى لوريـزا أصـغـرهن الـتي تـبلُغ السّادـسة فحسب، وـلـكنـها أحـبّت تايـين أكـثر مـن الأخـريات دوّمًا، الأخت الجـمـيلة الـتي لـم تحظّ بـها قَط. لـم تـكن الأمـيرة قـريـبةً مـن أخويـها، بـما إن كويـنـتن غائـب فـي (يرونوود) مـنذ سـنـين وتريـسـتان صـغير للـغايـة. لا، لطالـما كـانـت هـي وتايـين، ومـعـهما جارـين ودراي وسـيلقا الرّقـطـاء. أحـيـانًا كـانـت نـيـم تنـضمّ إلـيـهم فـي لعبـهم، وتُحـاول سـارـيـلا دوّمًا أن تُقـجـم نـفسـها حـيـث لا تنـتمـي، لكـن أغـلـب الـوـقت كـانـت صُحـبـتـهم مـن خـمسة. فـي مـسابـح ونوافـير (الحـدائق المائـية) لعبوا، وتعلّـمت هـي وتايـين القـراءة معًا، وركوب الخيل معًا، والرّقص معًا، ولـمّا كـانـتا فـي العاشـرة سـرقت آريـان إبريق نبيذ وسـكـرت الاثـنـان معًا. كـانـتا تتقاسـمان الطّعام والسّرير والحليّ، وكان يُمكن أن تتقاسـما رجليهما الأول أيـضًا لولا أن هـياج دراي جـعلـه يقذف عـلى أصابع تايـين لحظة أن سـحبت ذكـره مـن سراويله. يداها خطرتان. جعلتها الذّكرى تبتسم.

كلّـما فكّـرت الأمـيرة فـي بـنات عمّـها افتقدتـهن أكـثر. عـلى حدّ علـمي ربـما يـكن تحـتي مـباشـرة. ليلـتها جرّبت آريـان الدّق عـلى الأرضيـة بكعب صندلـها، وحين لـم يُجـبـها أحـد مالـت مـن النّافـذة ونظـرت إلـى أسـفل، فرأت نوافـذ أخرى أصـغر مـن نافذتها، بـعضـها لـيس أوسـع مـن فتحة رماية. نادّت: «تايـين! تايـين، هل أنتِ هـنا؟ أوبارا؟ نيم؟ هل تسمـعـني؟ إلـاريا؟ هل مـن أحـد؟ تايـين؟». قضت الأمـيرة نـصف

الليل مطلةً من النَّافذة تُنادي حتى بُحَّ صوتها، لكن لا أحد أجابها، وأخافها هذا لأقصى حد. لو كانت أفاعي الرِّمال مسجوناً في (بُرج الحربة) لسمعناها بالتأكيد، فلمَ لم يُجِبْن؟ إذا أذهن أبي فلن أسامحه أبداً أبداً.

بعد مضيِّ أسبوعين على هذا المنوال شاربَ صبرها على النَّفاد، وقالت لبورس بأقوى نبرةٍ أمرةٍ لديها: «سأتكلَّم مع أبي الآن. ستأخذني إليه»، فلم يأخذها إليه، وقالت لتيموث: «أنا مستعدةٌ لرؤية الأمير»، لكنه التفت عنها كأنه لم يسمع. في الصَّباح التَّالي كانت آريان منتظرةً إلى جوار الباب عندما انفتح، واندفعت متجاوزةً بيلان-درا ليتحطَّم طبق البـيض المتـبل الـذي تحملـه علـى الـجدار، لكن الـحرس أمسكوهـا قبل أن تبتعد ثلاث يـاردات. هُم أيـضاً تعرفـهم، لكنـهم صـمّوا آذانـهم عن توسّلاتها وجروها إلى زنانتها راكلةً محاولةً التملص.

قررت آريان أن عليها أن تكون أكثر مكرًا. أفضل آمالها سِدرًا، فالفتاة صغيرة غريبة ساذجة، وتذكر الأميرة أن جارين تباهى بمضاجعتها مرّةً. هكذا، وقت حمّامها التَّالي، وبينما تغسل سِدرًا ظهرها بالصَّابون، بدأت تتكلَّم عن كلِّ شيءٍ ولا شيء، وقالت: «أعلمُ أنكِ مأمورة بعدم الكلام معي، لكن لا أحد أمرني بعدم الكلام معكِ». تكلّمت عن حرِّ النَّهار وما تناولته الليلة السابقة علي العشاء وكيف أصبحت بيلان-درا المسكينة بطيئةً متخشبة الحركة. لقد سلَّح الأمير أوبرين كلا من بناته كي لا يكن عزلاوات أبداً، لكن سلاح آريان مارتل الوحيد مكرها، ولذا ابتسمت وتودّدت ولم تطلب من سِدرًا شيئاً في المقابل، لا كلمة ولا إيماءة.

في اليوم التَّالي على العشاء عادت تُثرثر فيما قدّمت الفتاة الطَّعام، وهذه المرّة دبرت ذريعةً للكلام عن جارين، ولدى سماع اسمه رفعت سِدرًا عينيها بخجلٍ وكادت تسكب النبيذ الذي تصبّه. هكذا إذن؟ خلال حمّامها التَّالي تكلّمت عن أصدقائها المسجونين، خصوصاً جارين، وقالت للخادمة: «هو أكثر من أخشى عليه. الأيتام أحرار بالسَّليقة، يعيشون للتَّجوال.

جارين يحتاج إلى ضوء الشَّمس والهواء الطَّلَق. إذا حبسوه في زنانيةٍ حجريةٍ رطبة فكيف يعيش؟ لن يحتمل عامًا في (جاستون جراي)». لم تردّ سِدرًا، لكن آريان رأت شحوب وجهها عندما نهضت من الحوض، وكانت الفتاة تعصر الإسفنج بقوة جعلت الصَّابون يسيل على البساط المايري.

وعلى الرغم من هذا مرّت أربعة أيامٍ أخرى وحمّامان إضافيان قبل أن تصير الفتاة لها. بعد أن رسمت آريان صورةً حيّةً لجارين يُلقي نفسه من نافذة زنانتها ليزوق الحريّة مرّةً أخيرةً قبل أن يموت—بعدها همست سِدرًا أخيرًا: «أرجوك، يجب أن تُساعديه، أرجوك لا تتركه يموت».

رَدَّتْ هَامْسَةً: «لا يُمكنني أن أفعل شيئًا ما دمتُ حبيسةً هنا. أبي يَرُقُضُ أن يراني. أنتِ الوحيدة التي تستطيع إنقاذ جارين. هل تحبِّينه؟». همست سِدرًا بخجل: «نعم. لكن كيف أساعدكِ؟».

قالت الأميرة: «يُمكنكِ أن تُهرَّبِي رسالةً مني. هلَّا فعلتِ هذا؟ هلَّا خاطرتِ... من أجل جارين؟». اتَّسعت عينا سِدرًا وأومأت برأسها إيجابًا.

فكَّرت آريان بظفر: الآن عندي غُداً، لكن إلى مَنْ أُرسله؟ الوحيد من رفاقها في المؤامرة الذي فَرَّ من شباك أبيها هو التَّجم المظلم، لكن من الوارد بشدَّة أن السير چيرولد قد سقط بالفعل، وإن لم يكن فمؤكَّد أنه هربَ من (دورن). بعده خَطَرَت لها أم جارين وأيتام (الدَّم الأخضر). ليس هُم، لا. يجب أن يكون أحدًا ذا سُلطة حقيقيَّة، أحدًا لم يلعب دورًا في مؤامرتنا ولكن ربما يكون لديه سبب للتَّعاطف معنا. فكَّرت في مناشدة أمِّها، لكن الليدي ميلاريو بعيدة في (نورفوس)، ثم إن الأمير دوران لم يُصغِ إلى السيِّدة زوجته منذ سنوات. ولا هي أصغت إليه. إنني محتاجة إلى لورد، إلى واحدٍ عظيم بما يكفي لإرغام أبي على إطلاق سراحِي.

أقوي لوردات (دورن) أندرز يرونوود، صاحب الدَّم الملكي وسيِّد (يرونوود) وحاكم (الطريق الحجري)، لكن آريان أعقل من أن تطلِّب العون من الرَّجل الذي ربَّى أخاها كوينتن. لا. السير ديزيل دالت أخو دراي تطلَّع في الماضي إلى الزَّواج بها، لكنه أوفى من أن يُعارض أميره، كما أن قُدرة فارس (غابة اللِّيمون) على تخويف لورد صغير لا تعني أنه يملك قوَّة التَّأثير على أمير (دورن). لا. والشَّيء نفسه ينطبق على أبي سيلفا الرِّقطاء. لا. قرَّرت آريان أخيرًا أن لها أُمَليْن حقيقيَّين اثنين؛ هارمن أولر سيِّد (هضبة الجحيم) وفرانكلين فاوُلر سيِّد (قلعة السَّماء) وحاكم (ممر الأمير).

يقول المَثَل الدورني: نصف آل أولر أنصاف مجانيْن، والنِّصف الآخر أسوأ. إلاريا ساند ابنة اللورد هارمن الطَّبيعيَّة، وهي وصغيراتها حبيسات مع بقيَّة أفاعي الرِّمال.

لا بُدَّ أن هذا أغضبَ اللورد هارمن، وآل أولر خطرون عند الغضب. ربما أخطر من اللازم. والأميرة لا ترغب في تعريض المزيد من الأنفُس إلى الخطر.

قد يكون اللورد فاوُلر خيارًا أسلم. الرَّجل ملقَّب بالصَّقر العجوز، ولم يتَّفَق قطُّ مع أندرز يرونوود، فبين العائلتين ضغائن منذ ألف عام، منذ انحاز آل فاوُلر إلى آل مارتل بدلًا من آل يرونوود في حرب نايميريا، والتَّوأمان فاوُلر صديقان شهيران لليدي نيم أيضًا، ولكن ما وزن هذا عند الصَّقر العجوز؟ تحيَّرت آريان أيامًا بينما تُجَهِّز رسالتها السَّريَّة. بدأتها بقولها: «أعطِ الرَّجل الذي يُسَلِّمُك هذه الرِّسالة مئة أيلٍ فضِي»، فبهذا تضمن توصيل الرِّسالة. كتبت مكانها وتوسَّلت النِّجدة،

وأضافت: «لن أنسى من يُنقذني من هذه الزّزانة أيّا كان عندما أتزوّج». وهذا كفيل بجعل الأبطال يهرعون إليّ. ما لم يكن الأمير دوران قد حرّمها الميراث فإنها تظلّ وريثة (صنسبير) الشرعيّة، أي أن مَنْ يتزوّجها سيحكّم (دورن) إلى جوارها ذات يوم. ليس بإمكان آريان إلّا أن تُصلي أن يكون منقذها أصغر من المسنين الذين عرضهم أبوها عليها على مرّ السنين. حين رفضت آخرهم قالت له: «أريد زوجًا لم تسفط أسنانه».

لم تجرؤ على طلب ورقٍ خشبيّة إثارة شكوك سجانيتها، فخطّت آريان رسالتها على هامش صفحة قطعتها من النّجمة (السباعيّة)، ووضعتها في يد سیدرا يوم الحّمّام التّالي قائلة لها: «ثمّة مكان مجاور لـ (البوّابة الثلاثيّة) تأخذ منه القوافل المؤمن قبل عبور الرّمال العميقة. اعثري على مُسافرٍ متّجه إلى (ممر الأمير) وعديه بمئة أيلٍ فضّي إذا وضع هذه الرّسالة في يد اللورد فاوُلر».

خبّأت سیدرا الرّسالة في صدر فُستانها، وقالت: «سأفعل، سأجدُ أحدًا قبل مغيب الشّمس أيتها الأميرة». - «عظيم. غدًا أخبريني ماذا فعلت».

لكن الفتاة لم ترجع في اليوم التّالي ولا الـذي تـلاه، ولمّا حان موعد اسـتحمام آريان أتت بدلًا منـها مـورا ومـيلي وملأتـا حوضـها وغسـلتا ظهـرهـا ومشطـتا شعـرهـا.

سألتهما الأميرة: «هل سیدرا مريضة؟»، فلم تُجيبا، ولم يَجُل بخاطرها إلّا أنها ضيّبت. هل من تفسيرٍ آخر؟ ليلتها نامت بالكاد خشية ما قد يحدث.

في الصّباح التّالي عندما جاءها تيموث بإفطارها طلبت أن ترى ريكاسو بدلًا من أبيها. واضح أنها لا تستطيع إجبار الأمير دوران على رؤيتها، لكن مؤكّد أن مجرد قهرمان لن يتجاهل استدعاء وريثة (صنسبير) الشرعيّة.

لكنه فعل، وحين رأت تيموث المرّة التّالية سألتها: «هل أخبرت ريكاسو بما قلته؟ هل أخبرته بأنني أحتاج إليه؟»، فلمّا لم يُجبها الرّجل اختطفّت آريان إبريق النّبيذ وسكّبتّه على رأسه، وتراجعت الخادم مغمورًا بالأحمر ووجهه قناع من الكرامة الجريحة. أبي ينوي أن يتركني هنا أتعفن، أو أنه يُخطّط لتزويجي بعجوزٍ أحمق مقرّر وسيتركني حبيسةً حتى الإضجاع.

ترعرعت آريان مارتل متوقّعة أنها ذات يومٍ ستتزوّج واحدًا من كبار اللوردات من اختيار أبيها، وتعلّمت أن لهذا تحيا الأميرات... ولو أن أحدًا لا يُنكر أن عمّها أوبرين كانت له وجهة نظرٌ مختلفة، إذ قال الأفعوان الأحمر لبناته: «إذا أردتن الزّواج فتزوّجن، وإن لم يكن فيلن المُتعة حيث تجدنها، فليس منها في هذا العالم إلّا القليل. لكن أوصيكن بحسن الاختيار. إذا وجدت إحداكن نفسها مع أحمقٍ أو غاصب فلا أريدها أن تتطلّع إليّ لأخْلِصها منه. لقد أعطيتكن الأدوات التي تُتيح

لكن أن تفعلن هذا بأنفسكن».

على أن الحرية التي سمح بها الأمير أوبرين لنغلته لم يكن فيها نصيب لوريثة الأمير دوران الشرعية. يجب أن تتزوج آريان، وقد قبلت هذا. كانت تعلم أن دراي يُريدها، وكذا أخوه ديزيل فارس (غابة الليمون)، وديمون ساند أقدم على طلب يدها بالفعل، إلا أن ديمون نغل، والأمير دوران لم يُريدها أن تتزوج دورنياً.

وقبلت آريان هذا أيضاً. في أحد الأعوام جاء أخو الملك روبرت لزيارتهم وبذلت كل ما في وسعها لإغرائه، لكنها كانت فتاة صغيرة وبدا أن محاولاتها مع اللورد رنلي أثارت حيرته أكثر من إلهاب رغبته. لاحقاً، حين طلب هويستر تلي أن تذهب إلى (ريفررن) وتلتقي وريته، أشعلت شمعة لـ (العذراء) شكراً، لكن الأمير دوران رفض الدعوة. كانت الأميرة لتضع ويلاس تايرل نفسه في الاعتبار على الرغم من ساقه الكسحة، لكن أباهما أبى أن يُرسِلها إلى (هايجاردن) لتلتقيه، فحاولت الذهاب رغماً عنه بمساعدة تايين... إلا أن الأمير أوبرين قبض عليهما في (فايث) وأعادهما، وفي العام نفسه حاول الأمير دوران أن يخطبها لين بيزبوري، وهو لورد بسيط في الثمانين من العمر على الأقل، أعمى وسقطت أسنانه.

تُوفي بيزبوري بعد بضعة أعوام، وواسها هذا بعض الشيء في محنتها الحالية، فلا يمكن إجبارها على الزواج به مرة دامت قديماً... كما أن سيد (المعبر) تزوج مجدداً، ولذا فهي آمنة منه أيضاً. لكن إلدن إسترمونت ما زال حياً أعزب، وكذلك اللورد روزبي واللورد جرانديسون. يدعى جرانديسون بذي اللحية الشائبة، لكن حين التقته كانت لحيته قد صارت ناصعة البياض، وفي مأدبة الاستقبال غاب في النوم بين طبقي السمك واللحم. تحدّأها جارين أن تربط عُقدة في لحيته دون أن تُوقظه لكن آريان امتنعت، إذ بدا جرانديسون رجلاً طيباً، أقل شكوى من إسترمونت وأفضل صحة من روزبي، غير أنها ما كانت لتتزوج أبداً. حتى لو وقف هوتا ورائي بفأسه.

لم يأت أحد يتزوجها في اليوم التالي أو التالي، ولا عادت سِدرًا. حاولت آريان الظفر بمورا وميلي بالطريقة نفسها ولكن بلا طائل. ربما هناك أمل إذا استطاعت أن تتكلم مع إحداهما بمفردها، لكن الأختين معاً جدار مصمت.

والآن تكاد الأميرة تُرجب بلمسة من الحديد الساخن أو ليلة على المخلعة، فالوحدة على وشك إصابتها بالجنون. أستحق فأس الجلاد لما اقترفت، لكن حتى هذا يباه علي، ويؤثر أن يسجنني وينسى أنني كان لي وجود يوماً. تساءلت إن كان المايستر كاليوت يخط بياناً بتسمية أخيها كوينتن وريث (دورن).

واحدًا تلو الآخر مرّت الأيام، أيام طويلة كثيرة لدرجة أن آريان لم تعد تدري منذ متى وهي حبيسة، ووجدت نفسها تقضي أوقاتاً أطول وأطول في الفراش، إلى أن بلغت حدّ عدم القيام منه على الإطلاق إلا لقضاء حاجتها.

لِكُلِّ وَجِبَةٍ يَجْلِبُهَا الْخَدَمُ لَا تُمَسُّ حَتَّى تَبْرُدَ، وَتَنَامُ أَرِيَانُ وَتَصْحُو
وَتَنَامُ ثَانِيَةً وَتَصْحُو شَاعِرَةً بِإِرْهَاقٍ يَحُولُ دُونَهَا وَالنَّهْوضِ. تُصَلِّي لـ (الأم)
طَالِبَةً الرَّحْمَةِ وَلـ (المُحَارِبِ) طَالِبَةً الشَّجَاعَةِ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى النَّوْمِ. تَحُلُّ وَجِبَاتِ
طَارِجَةِ مَحَلِّ الْقَدِيمَةِ وَلَا تَزَالُ لَا تَأْكُلُهَا، وَفِي مَرَّةٍ أَحْسَنَتْ فِيهَا بِالْقُوَّةِ عَلَى غَيْرِ
الْعَادَةِ حَمَلَتْ الطَّعَامَ إِلَى النَّافِذَةِ وَرَمَتْهُ فِي السَّاحَةِ كَيْ لَا يُغْرِيهَا بِأَكْلِهِ،
فَأَرْهَقَهَا الْمَجْهُودُ وَعَادَتْ إِلَى الْفِرَاشِ وَنَامَتْ نِصْفَ يَوْمٍ كَامِلًا.

ثُمَّ أَتَى يَوْمٌ وَهَزَّتْهَا يَدُ خَشْنَةٍ مِنْ كَتْفِهَا تُوقِظُهَا، وَقَالَ صَوْتُ تَعْرِفُهُ مِنْذُ الطُّفُولَةِ:
«أَمِيرَتِي الصَّغِيرَةُ، انْهَضِي وَارْتَدِي ثِيَابِكِ. الْأَمِيرُ يَطْلُبُكِ».

كَانَ أَرِيُو هَوْتَا صَدِيقَهَا الْقَدِيمَ وَحَامِيَهَا وَاقِفًا فَوْقَهَا، وَيُخَاطِبُهَا! ابْتَسَمَتْ أَرِيَانُ
نَاعِسَةً. حَمِيلٌ أَنْ تَرَى هَذَا الْوَجْهَ يَتَجَاعِدُهُ وَنَدْوَهُ وَتَسْمَعُ الصَّوْتَ الْعَمِيقَ
الْغَلِيظَ وَاللَّكْنَةَ النُّورْفُوشِيَّةَ الثَّقِيلَةَ. سَأَلَتْهُ: «مَاذَا فَعَلْتُمْ بِسِيدِرَا؟».

أَجَابَ هَوْتَا: «الْأَمِيرُ أَرْسَلَهَا إِلَى (الْحَدَائِقِ الْمَائِيَّةِ)، سَيُخْبِرُكَ بِهَذَا، لَكِنْ أَوَّلًا عَلَيْكَ
أَنْ تَغْتَسِلِي وَتَأْكُلِي».

لَا بُدَّ أَنَّهَا تَبْدُو فِي حَالَةٍ مَزْزِيَّةٍ. نَهَضَتْ أَرِيَانُ مِنَ الْفِرَاشِ بِضَعْفِ هُرَيْرَةٍ وَلِيدَةٍ،
وَقَالَتْ لَهُ: «قُلْ لِمُورَا وَمِيلِي أَنْ تُجَهِّزَا حَمَامًا، وَاجْعَلْ تَيْمُوثَ يَجْلِبُ لِي طَعَامًا. لَا
شَيْءَ ثَقِيلًا، الْقَلِيلَ مِنَ الْحَسَاءِ الْبَارِدِ وَالْخُبْزِ وَالْفَاكِهِة».

قَالَ هَوْتَا: «حَاضِرٌ»، وَفِي حَيَاتِهَا لَمْ تَسْمَعْ أَرِيَانُ صَوْتًا أَعَذِبَ.

انْتَظَرَ الْقَائِدُ فِي الْخَارِجِ بَيْنَمَا اغْتَسَلَتْ أَرِيَانُ وَصَقَّفَتْ شَعْرَهَا وَأَكَلَتْ قَلِيلًا مِنْ
الْجُبْنَةِ وَالْفَوَاكِهَ وَشَرِبَتْ الْقَلِيلَ مِنَ النَّبِيذِ لَتُهَيِّئَ مَعْدَتَهَا. إِنْنِي خَائِفَةٌ، لِلْمَرَّةِ
الْأُولَى فِي حَيَاتِي أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ مِنْ أَبِي. أَضْحَكُهَا الْخَاطِرُ حَتَّى خَرَجَ النَّبِيذُ مِنْ
أَنْفِهَا. لَمَّا حَانَ وَقْتُ ارْتِدَاءِ مَلَابِسِهَا اخْتَارَتْ قُسْتَانًا مِنَ الْكُتَّانِ الْعَاجِيِ عَلَى
كُمِّيهِ وَصَدْرِهِ زَخْرَفَةٌ عَلَى شَكْلِ فُرُوعِ كَرْمٍ وَعِنَاقِيدِ عِنَبٍ أَرْجَوَانِيَّةٍ، وَلَمْ تَضَعْ حُلِيًّا.
يَجِبُ أَنْ أَكُونَ مُحْتَشِمَةً مُتَوَاضِعَةً مُبْدِيَةً التَّذَمُّرِ، يَجِبُ أَنْ أَلْقِيَ نَفْسِي عَلَى
قَدَمَيْهِ وَإِلَّا فَرِيحًا لَا أَسْمَعُ صَوْتَ إِنْسَانٍ ثَانِيَةً أَبَدًا.

كَانَ الْغَسَقُ قَدْ حَلَّ عِنْدَمَا اسْتَعَدَّتْ لِلْخُرُوجِ. حَسَبَتْ أَرِيَانُ أَنَّ هَوْتَا سَيَقُودُهَا
إِلَى (بُرْجِ الشَّمْسِ) لِتَسْمَعَ حُكْمَ أَبِيهَا، لَكِنَّهُ أَخَذَهَا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى غُرْفَةِ
الْأَمِيرِ الشَّمْسِيَّةِ، حَيْثُ وَجَدَا دُورَانَ مَارْتِلَ جَالِسًا إِلَى طَاوِلَةٍ
سَـايِفَاسٍ، وَقَدْ أَرَاكَ سَـاقِيَهُ النَّقْرَسَ يَتَيْنِ عَلَى مَسْنَدٍ مَزُودٍ بَوْسَائِدَ
وَرَاكِيتٍ لَاعِبٍ بِفِيْلٍ مِنْ أَلْجَزْعِ بِيَدَيْهِ الْمَحْمَرَّتَيْنِ الْمُتَوَرِّمَتَيْنِ. بَدَأَ الْأَمِيرُ
فِي أَسْوَأِ حَالٍ رَأَاهُ عَلَيْهَا، وَجْهَهُ شَاحِبٌ مُنْتَفَخٌ وَمَفَاصِلُهُ مُلْتَهَبَةٌ لِدَرَجَةٍ أَنْ مَجَرَّدَ
النَّظَرِ إِلَيْهَا أَلَمَهَا. رُؤْيَاهُ هَكَذَا جَعَلَتْ قَلْبَ أَرِيَانُ يَنْفَطِرُ مِنْ أَجْلِهِ... وَعَلَى الرَّغْمِ
مِنْ هَذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَبْعَثَ نَفْسَهَا عَلَى الرُّكُوعِ وَالتَّوَسُّلِ كَمَا انْتَوَتْ، وَبَدَلًا مِنْ
ذَلِكَ قَالَتْ: «أَبِي».

حِينَ رَفَعَ رَأْسَهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا رَأَتْ عَيْنَيْهِ مَلْبَدَتَيْنِ بِالْأَلَمِ،

فتسـاءـلـت آريـان فـي نفـسـها: هـل النـقـرس السـبـب أـم أـنـا؟ تـمـتـم
واضـعًا فـيـلـه: «قـوم غـربـاء مـا كـرون هـؤـلاء الفـولانتـينيـون. لـقد زـرتُ
(فولانتيس) مِرَّةً فـي طـريقـي إـلى (نورفوس)، حـيـث التـقيـتُ مـيـلاريـو أـول مِرَّة. كـانت
الأجـراس تـدق والدِّبـة تـرقـص عـلى الدَّرَجـات. آريـو يـذكـر هـذا الـيـوم».

رَدَّ آريـو هـوتـا بـصـوتـه العـمـيق: «أذكـره. رقصـت الدِّبـة ودقَّت الأجـراس، وارتـدى الأـمير
الأحـمر والذَّهـبي والبـرتـقـالي، وسألـتني سيـدتي عـن هُويَّة هـذا الرِّجـل المتألق».

ابتسـم الأـمير دورـان بشـحـوب، وقـال: «اتركـنا أيـها القـائد».

دَقَّ هـوتـا الأرض بكـعب فأسـه ودارَ عـلى عـقبـيه وانصـرف، ولَمَّا صارَ الاثنان وحدهما
قال أبـوها: «أمرتهم بوضع طاولة سايفاس فـي غُرفـتك».

- «ومع مَن كان يُفـتـرَضُ أن ألـعب؟». لـمـاذا يـتـكـلـم عـن لُعبـة؟ هـل أفقـده النـقـرس
صوابـه؟ - «مع نفـسـك. أحيـانًا الأفضـل أن تدرسي اللـعبة قـبـل أن تلـعبـها. مـا مـدى
معرفـتك بالـلـعبة يا آريـان؟».

- «أعرفها بـما يكفـي لـأن ألـعبها».

قال: «ولكن ليس بـما يكفـي لـأن تـربـحي. لـقد أحـبَّ أخـي القـتـال فـي حـدِّ ذاتـه،
لكنـي لا أخـوضُ إلَّا الألـعـاب الـتي أـسـتـطـيعُ أن أربـحـها»، وتفرَّسَ فـي وجـهـها مـدَّةً
طالـت قـبـل أن يُردِّف: «لـمـاذا؟ أخـبرـيني يا آريـان، أخـبرـيني لـمـاذا».

- «مـن أجـل شـرف العائـلة». أغضبـتها نـبـرة أبيـها الحـزينة المتخـاذلة الضَّعيفة،
وأرادت أن تـزعـق فـيـه: أنت أـمير! المـفـتـرَضُ أن تـثور ثورتـك!

«خنوعـك يُخـزي (دورن) بأسـرها يا أبت. أخـوك ذهـبَ إـلى (كينـجز لاندنج) بدلًا مـنـك
وقـتلـوه!».

- «أتظنن أنـي لا أعرفُ هـذا؟ أوبرين معـي كَلِّمـا أغمضتُ عـيـني».

قالـت جالـسةً قُبالـة أبيـها إـلى طاوـلة السـايـفـاس: «يقول لك أن تفتـحـهما لا شـك».

- «لم أـسـمـح لك بالـجلوس».

- «استدع هـوتـا إذن واجـعله يجـلـدني لوقـاحتـي. أنت أـمير (دورن)، تـسـتـطـيعُ أن
تفـعل ذلـك»، ومسَّت إحدى قِطـع السـايـفـاس، الحـصـان الثـقـيل، وسألـته: «هـل
قبضتم عـلى السـير چيرولد؟».

هَزَّ رأسـه نفـيًّا، وقـال: «لـيتـنا فـعلـنا. كـنت حـمـقـاء عـندما جـعلـتـه جزـءًا مـن خـطـتـك.
النَّجـم المـظـلم أخطـر رـجـلٍ فـي (دورن)، وكـلاكـما آذانا بشـدَّة».

سألـته آريـان متخوِّفَةً مـن الإـجابـة: «مارسـلا، هـل...».

- «... ماتت؟ لا، ولو أن النَّجـم المـظـلم بذلَ أفـضـل ما لـديـه لـيـقـتـلـها. الأعيـن كُتِّها
كـانت عـلى فارـسـك الأبيض، ولـذا فـلا أحـد متأكـد مـما حـدث بالـضُّبط، لكن يـبدو أن
حـصـانـها جـفـل مـن حـصـانـه فـي اللّحـظـة الأخـيرة، وإلَّا لكـان قـد قـطـع

قِمَّةَ رَأْسِ الْفَتَاةِ. الضَّرْبَةُ الَّتِي أَصَابَتْهَا شَقَّتْ خَدَّهَا حَتَّى الْعَظْمِ وَبَتَرَتْ أُذُنَهَا الْيُمْنَى. اسْتَطَاعَ الْمَایِسْتَرُ كَالِيُوتِ إِنْقَاذَ حَيَاتِهَا، لَكِنْ لَا كَمَّادَةَ أَوْ شَرِبَةَ مِنْ شَيَانِهَا عِلَاجَ وَجْهِهَا. كَانَتْ رَبِیَّتِي يَا آریَانُ، مَخْطُوبَةٌ لِأَخِيكَ وَتَحْتَ حِمَايَتِي. لَقَدْ لَطَخْتُ شَرَفَنَا جَمِيعًا».

قَالَتْ آریَانُ بِإِصْرَارٍ: «لَمْ تَكُنْ نِیَّتِي أَنْ يَمَسَّهَا أَدَى. لَوْ لَمْ يَتَدَخَّلْ هُوَذَا...».

- «... لَكِنْ قَدْ تَوَجَّهَتْ مَارِسلَا مُلَكَةً لِبَدْءِ تَمَرُّدٍ ضِدَّ أَخِيهَا، وَكَانَتْ لَتَفْقِدَ حَيَاتَهَا بَدَلًا مِنْ أُذُنِهَا».

- «فَقَطْ إِذَا خَسَرْنَا».

- «إِذَا؟ تَعْنِي عِنْدَمَا. (دُورِنُ) أَقَلُّ بَلَدٍ مَأْهُولٍ بِالسُّكَّانِ فِي (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ). لَقَدْ سَرَّ النَّبِيِّينَ الصَّغِيرُ أَنْ يُهَوِّلَ أَعْدَادُنَا حِينَ أَلْفَ كِتَابِهِ لِيُضْفِي عَلَى غَزْوَتِهِ مَزِيدًا مِنْ الْمَجْدِ، وَسَرَّنا أَنْ نَرْوِيَ الْبَذْرَةَ الَّتِي زَرَعَهَا وَنَدْعَ أَعْدَاءَنَا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّنا أَقْوَى مِنْهُمْ فِي الْوُقُوعِ، لَكِنَّ الْحَرْيَّ بِالْأَمِيرَةِ أَنْ تَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ. الشَّجَاعَةُ بِدِيلِ رَدِيٍّ لِلْأَعْدَادِ، وَلَا أَمَلُ لِي. (دُورِنُ) فِي الْإِنْتِصَارِ فِي حَرْبٍ ضِدَّ الْعَرْشِ الْحَدِيدِيِّ وَحْدَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا يَكُونُ هَذَا مَا أَوْصَلْتِنَا إِلَيْهِ بِالْفِعْلِ. أَتَشْعُرِينَ بِالْفَخْرِ؟»، وَلَمْ يُعْطِهَا الْأَمِيرُ فُرْصَةً لِلْإِجَابَةِ إِذْ سَأَلَ: «مَاذَا أَفْعَلُ بِكِ يَا آریَانُ؟».

أَرَادَ جُزْءَ مِنْهَا أَنْ يَقُولَ: سَامِحْنِي، لَكِنْ كَلَامُهُ أَصَابَهَا بِجَرَحٍ غَائِرٍ، فَقَالَتْ: «مَا تَفْعَلُهُ دَائِمًا، لَا شَيْءَ».

- «إِنَّكَ تُصَعِّبُنِي عَلَيَّ ابْتِلَاعَ غَضَبِي».

رَدَّتْ: «الْأَفْضَلُ أَنْ تَكْفَى عَنِ الْإِبتِلَاعِ إِذْنًا وَإِلَّا اخْتَنَقْتُ بِهِ»، وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ الْأَمِيرُ قَالَتْ: «أَخْبِرْنِي كَيْفَ عَلِمْتُ بِخَطَّتِي».

- «أَنَا أَمِيرُ (دُورِنُ)، النَّاسُ يَسْعَوْنَ إِلَى حِظِّوْتِي».

أَحَدُهُمْ وَشَى. «كَنتَ تَعْلَمُ وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكْتَنَا نَرْحَلُ بِمَارِسلَا، فَلِمَ؟».

- «كَانَتْ هَذِهِ غِلْطَتِي، وَثَبَتْ أَنَّهَا غِلْطَةٌ فَادِحَةٌ. أَنْتِ ابْنَتِي يَا آریَانُ، الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي اعْتَادَتْ أَنْ تَهْرَعَ إِلَيَّ إِذَا جَرَحَتْ رُكْبَتَهَا. وَجَدْتُ تَصْدِيقَ تَأْمُرِكَ ضَدِي صَعْبًا، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ».

- «وَالآنَ تَعْرِفُهَا. أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَنْ أَبْلَغَ عَنِي».

- «كَنتُ لَأُرِيدُ الْمِثْلَ لَوْ أَنَّني فِي مَكَانِكَ».

- «هَلْ سَتُخْبِرْنِي؟».

- «لَا أَسْتَطِيعُ التَّفَكِيرَ فِي سَبَبٍ يَدْفَعُنِي إِلَى ذَلِكَ».

- «أَتَحْسَبُ أَنَّني لَا أَقْدِرُ عَلَى اكْتِشَافِ الْحَقِيقَةِ وَحْدِي؟».

قَالَ الْأَمِيرُ دُورَانُ: «لَكَ أَنْ تُجِـلِّوْلِي، وَلَكِنَّ حَتَّى ذَلِكَ الْحَيْنَ عَلَيَّ الْآلَا

تثقي بأحد من هم... والقليل من الريبة شيء مفيد للأميرات»، وزفر مضيقاً: «خبيبت أمني يا أريان».

- «هكذا يقول الغراب للغداف. إنك تُخَيِّب أمني منذ سنوات يا أبي». لم تكن تقصد أن تُخاطبه بهذه الفظاظ، لكن الكلام انسكب منها رغماً عنها. ها قد قلتها.

- «أعرف. أنا شديد الخنوع والضّعف والحرص، متساهل للغاية مع أعدائنا. على أنك في حاجة إلي شيء من هذا التساهل تحديداً كما يبدو لي. الأحرى بك أن تتوسلي مغفرتي بدلاً من محاولة استفزازي أكثر».

- «لا أطلبُ التساهل إلا مع أصدقائي».

- «يا لنبلك».

- «ما فعلوه كان بدافع محبتهم لي، ولا يستحقون الموت في (جاستون جراي)».

- «يتصادف أنني أوافقك. باستثناء النجم المظلم لم يكن رفاقك في المؤامرة أكثر من أطفال حمقى، لكنها لم تكن مجرد مباراة سايفاس غير مؤذية. أنت وأصدقاؤك ارتكبتم خيانة. كان بإمكانني أن أضرب أعناقهم».

- «كان بإمكانك لكنك لم تفعل. داین ودالت وسانتاجار... لا، لست تجرؤ على مُعادة تلك العائلات».

- «ما أجرؤ عليه لا تتخيلينه... لكن دعك من هذا حالياً. السير أندراي أُرسِل إلى (نورفوس) ليعلم السيدة والدتك ثلاثة أعوام. جارين سيقضي العامين التاليين في (تايروش)، وأخذت مالا ورهائن من أهل الأيتام. الليدي سيلفا لم تتلق عقيباً مني، لكنّها في سن الزواج، وأُرسِل لها أبوها إلى (الحجر الأخضر) لتتزوج اللورد إسترمونت. وبالنسبة إلى أريس أوكهارت فقد اختار مصيره ولاقاه بشجاعة. فارس في الحرس الملكي... ماذا فعلت معه؟!».

- «ضاجعته يا أبي. أنت أمرتني بتسليّة ضيوفنا الكرام على ما أذكر».

احتقن وجهه، وسألها: «أهذا كل ما تطلبه الأمر؟».

- «قلتُ له إن مارسلا ستسمح لنا بالزواج فور تنويجها. لقد أرادني زوجةً له».

قال أبوها: «إنني واثق بأنك تفانيت في منعه من الحنث في يمينه».

هذه المرة احتقن وجهها هي. لقد استغرق إغراؤها السير أريس نصف عام، وعلى الرغم من ادّعاءه أنه عرف نساء أخريات قبل انخراطه في الحرس الملكي فالطريقة التي تصرّف بها لم تنم عن هذا إطلاقاً. لمساته كانت خرقاء، وقبلاته متوترة، وأول مرة في الفراش معاً أفرغ لذته على فخذها بينما تقوده إلى داخلها

بيدها. الأسوأ أن الخزي التهمه التهامًا، ولو نالت تنيًا ذهبيا كل مرة همس فيها: «لا يجدر بنا أن نفعل هذا»، لصارت أثرى من آل لانستر. هل انقض على أريو هوتا أملًا في إنقاذي أم فعلها للفرار مني وغسل عاره بدمائه؟ سمعت نفسها تقول: «لقد أحبني ومات من أجلي».

- «إذا كان هذا صحيحًا فربما يكون أول كثريرين. أنت وابنات عمك أردت الحرب، وقد تلتلن رغبتك. ثمة فارس آخر في الحرس الملكي يدنو من (صنسيبر) بينما نتكلم. السير بالون سوان قادم إلي برأس الجبل. حملة رايتي يُعطّلونه ليكسبوا لي بعض الوقت. آل وايل جعلوه يقضي ثمانية أيام في الصيد والقنص على (طريق العظام)، واللورد يرونود احتفى به أسبوعين كاملين حين خرج من الجبال. في الوقت الراهن هو في (الرّبوة)، حيث رُتبت الليدي چورداين مباريات على شرفه، ولما يصل إلى (تل الأشباح) سيجد الليدي تولاند عازمة على التفوق عليها. لكن عاجلاً أو آجلاً سيبُلغ السير بالون (صنسيبر)، وحين يفعل سيتوقع أن يرى الأميرة مارسلا... والسير آري س أخاه المحلف. ماذا نقول له يا آري-ان؟ هل أخبره بأن أوكهارت مات في حادثه صيد أم سقط على سلالم زلقة؟ ربما كان السير آري س في (الحدائق المائية) وانزلق على الرّخام وصدم رأسه وغرق؟».

قالت آري-ان: «لا. قل إنه مات مدافعاً عن أميرته الصغيرة، قل للسير بالون إن النّجم المظلم حاول أن يقتلها فاعترض السير آري س طريقه وأنقذ حياتها». هكذا ينبغي أن يموت فرسان الحرس الملكي، تضحية بحياتهم في سبيل من أقسموا على حمايتهم. «ربما يشك السير بالون كما شككت أنت حين قتل آل لانستر أختك وطفليها، لكنه لن يجد دليلاً...».

- «... حتى يتكلم مع مارسلا، أم أن على الطفلة الشجاعة أن تتعرض لحادثة مأساوية أيضاً؟ معنى ذلك الحرب. لا كذبة ستُنقذ (دورن) من غضبة الملكة إذا ماتت ابنتها وهي في عنايتي».

قالت آريان لنفسها وقد أدركت الموقف: إنه محتاج إليّ. لهذا أرسل يستدعيني. - «يُمكّني أن أُملي على مارسلا ما تقوله، ولكن لم أفعل ذلك؟».

تموّج الغضب على وجه أبيها إذ قال: «إنني أحذرك يا آريان، لقد نفذ صبري».

- «عليّ؟». ليست هذه عادته. «مع اللورد تايوين وآل لانستر تعاملت بحلم بيلور المبارك، أمّا مع دمك فلا».

- «إنك تخلطين بين الصبر والحلم. لقد عملت على إسقاط تايوين لانستر منذ يوم أخبروني بما جرى لإليا وطفليها. كان أُملي أن أجرده من كل نفيس لديه قبل أن أقتله، لكن يبدو أن ابنه القزم سلبني تلك المسرة، ولو أنني أجد قليلاً من العزاء في حقيقة أنه مات ميتة قاسية على يدي الوحش الذي أنجبه من

صُلبه. علي كلّ حال، اللورد تايوين يعوي في الجحيم... وآلاف سيلحقون به قريبًا إذا استحوّلت حماقتك إلى حرب»، وكشّر أبوها كان مجرد نطق الكلمة يُوجعه، وسألها: «أهذا ما تُريدين؟».

قالت الأميرة رافضة أن يُرهبها: «أريدُ إطلاق سراح بنات عمّي، أريدُ الثّار لأبيهم، أريدُ حقوقي».

- «حقوقك؟!».

- «(دورن)».

- «ستحصّلين على (دورن) عندما أموث. أنتِ متشوّقة لهذه الدّرجة للخلاص مني؟».

- «عليّ أن أسألك السؤال ذاته يا أبت. أنت من يُحاول الخلاص مني منذ أعوام».

- «غير صحيح».

- «حقًا؟ هلّا سألنا أخي؟».

- «تريستان؟».

- «كوينتن!».

- «ماذا عنه؟».

- «أين هو؟».

- «مع جيش اللورد يرونوود على (طريق العظام)».

- «أنت تُجيد الكذب يا أبي، أعتزُّ بهذا. لم يرفّ لك جفن حتى. كوينتن ذهب إلى (ليس)».

- «ما الذي وضعَ هذه الفكرة في رأسك؟».

- «صديق أخبرني». هي أيضًا تستطيع الاحتفاظ بأسرارها.

- «صديقك كذب. لكِ كلمتي، أخوك لم يذهب إلى (ليس)، أقسمُ بالشّمس والحربة والآلهة السّبعة».

لكن آريان لا تنخدع بهذه البساطة، وهكذا قالت: «هل ذهبَ إلى (مير) إذن؟ أو (تايروش)؟ أعلمُ أنه في مكانٍ ما وراء (البحر الضيّق)، يستأجر المرتزقة لسرقه حقّي الشرعي».

أربد وجه أبوها، وقال: «هذا الارتياب لا يُشرّفك يا آريان. المفترض أن يكون كوينتن هو من يتأمّر ضدي. لقد صرفته من البلاط وهو مجرد طفل أصغر من أن يفهم احتياجات (دورن). أندرز يرونوود كان أبًا له أكثر مني، ومع ذلك يظلُّ أخوك وفيًا مطيعًا».

- «ولمَ لا؟ إنك تُفَضِّلُه ولطالما فعلت. إنه يُشَبِّهُكَ ويُفَكِّرُ مِثْلَكَ، وتنوي أن تُعْطِيَه (دورن). لا تُحاول الإنكار، لقد قرأتُ رسالتك». ما زالت الكلمات مشتعلة كالنَّار في ذاكرتها. «كتبت له: ذات يومٍ ستجلس حيث أجلسُ وتَحْكُمُ (دورن) كلَّها. أخبرني يا أبي، متى قرَّرت أن تحرمني ميراثي؟ يومٌ وُلِدَ كوينتن أم يومٌ وُلِدْتُ؟ ماذا فعلتُ لأجعلك تكرهني هكذا؟». على الرغم من غضبها كانت في عيني آريان دموع.

قال الأمير بصوتٍ رقيقٍ للغاية محمّل بالأسى: «لم أكرهك قطُّ. آريان، أنتِ لا تفهمين».

- «هل تُنكِرُ أنك كتبت تلك الرِّسالة؟».

- «لا. كان هذا في بداية ذهاب كوينتن إلى (يرونود). نعم، كانت نيَّتي أن يخلفني، أمّا أنتِ فكانت لديّ حُطّط أخرى لك».

قالت ساخرةً: «أوه، نعم، ويا لها من حُطّط. جايلز روزبي، بن بيزبوري الأعمى، جرانديسون ذو اللحية الشَّائبة. هذه هي حُطّطك!»، ولم تُعْطِه فُرْصَةً للردِّ إذ واصلت: «أعرف أن واجبي أن أنجب وريثًا لـ (دورن) ولم أنسَ هذا البتّة. كنتُ لأتزوَّج وبكلِّ سرور، لكن الزَّيجات التي عرضتها عليّ كانت مهينةً. كلُّ واحدةٍ منها بمثابة بصفة. إذا أحببتني حقًا فلمَ تعرضني على والدر فراي؟!».

- «لأنني علمتُ أنك ستَرُفُضِينِه. كان يجب أن يراني النَّاس أحاولُ أن أجد لك زوجًا حالما بلغتِ سنًا معيَّنة خشية إثارة الشُّكوك، لكنني لم أجروُ على أن أعرض عليكِ رجلًا تقبلينه. لقد كنتِ موعودةً يا آريان».

موعودة؟ حدّقت إليه آريان مندهشةً، وقالت: «ماذا تعني؟ أهذه كذبة أخرى؟ لم تَذْكُر قط...».

- «الاتِّفاق أبرمَ سرًّا. كنتُ أنوي أن أخبرك حين تكبرين... حين تَبْلُغين، ولكن...».

- «أنا في الثالثة والعشرين، امرأةٌ بالغة منذ سبع سنوات».

- «أعرفُ. إذا حُجبتُ عنك الحقيقة طويلاً فالسَّبب كان حمايتك فقط. آريان، إن طبيعتك... بالنِّسبة إليك الأسرار مجرَّد حكاياتٍ مثيرة تهمسين بها لجارين وتايين في الفراش ليلاً. جارين ثرثار ككلِّ الأيتام، وتايين لا تُخفي شيئًا عن أوبارا والليدي نيم، وإذا علمتا... أوبارا مغرمة بالنَّبِذ، ونيم قريبة للغاية من التَّوأمين فاوُلر، ولمَن كان التَّوأمين ليبوحا بالسِّر؟ لم أستطع أن أجازف».

شعرت بالحيرة والارتباك. موعودة، كنتُ موعودةً. «مَن هو؟ لمَن كنتُ مخطوبةً طيلة هذه الأعوام؟».

- «لا يهمُّ، لقد مات».

ضاعفَ هذا حيرتها مرارًا، وقالت: «المستُّون ضُعفاءٌ للغاية. كيف مات؟ بوركٍ مكسور أم البرد أم النِّقرس؟».

أجابَ الأمير دوران: «بِقَدْر من الذَّهَب المصهور. نحن الأمراء نرسم خُططنا بعناية ثم نُحَطِّمُهَا بِالْأَلْهَةِ»، وَلَوْحٌ بيده المحمَّرة الملتهبة بتعبٍ مردِّفًا: «(دورن) ستكون لك، إنني أعطيك كلمتي إذا كان ما زالَ لها معنى عندك، أمَّا أخوك كوينتن فعليه أن يَسْلُكَ دربًّا أصعب».

رمقته آريان بشكٍّ قائلةً: «وما هذا الطَّرِيق؟ ما الذي تُخفيه؟ لِيُنْقِذْنِي (السَّبعة)، لقد ضَعُفْتُ ذِرْعًا بِالْأَسْرَار. أَخْبِرْنِي بِالْبَقِيَّةِ يَا أَبِي... أو سَمِّ كوينتن وريثك واستدع هوتا وفأسه ودعني أُمُوتُ إلى جوار بنات عمِّي».

رَدَّ أبوها عابسًا: «هل تعتقدين حقًّا أنني أَسْتَطِيعُ إيذاء بنات أخي؟ أوبارا ونيم وتايين لا يعوزهن شيء إلا الحَرِّيَّة، وإلاريا وبناتها مقيمات بسعادةٍ في (الحدائق المائية). دوريا تمشي هنا وهناك مسقطَةً البُرْتقال من الأشجار بكُرْتها الشَّائكة، وإليا وأوبلا أَصْبَحَتَا رُعب المسابح»، وتنهَّد ثم واصلَ: «لم يمضِ زمن طويل منذ كنتِ تلعبين في تلك المسابح. اعتدتِ أن تركبي على كتفي فتاةٍ أكبر سنًّا... فتاة طويلة لها شَعْر أَصْفَر خفيف...».

- «چاي-ن فاولر، أو أختها چين-يلين». مرَّت أعوام من-ذ ف-كُرت آريان في هذا. «أوه، وفرايني. لكان أبوها ح-دَادًا وشعرها بي-يًّا. لكن ج-ارين لكان رفيقي المفضَّل. لا أجد استطاع هزيمتنا وأنا راكبة على كتفيه، حتى نيم وتلك الفتاة التايروشيَّة ذات الشَّعر الأخضر».

- «تلك الفتاة التايروشيَّة ذات الشَّعر الأخضر كانت ابنة الأركون. كان يُفترَض أن أرسلك إلى (تايروش) بدلًا منها لتخدمني الأركون كساقية وتلتقي خطيبك سرًّا، لكن أُمِّكَ هَدَّدَتْنِي بإيذاء نفسها إذا سَرَقْتُ أَحَدًا آخر من أطفالها، ولم... لم أقوَ على أن أفعل ذلك بها».

حكايته تزداد غرابةً. «هل ذهبَ كوينتن إلى (تايروش) إذن؟ ليتودَّد إلى ابنة الأركون خضراء الشَّعر؟».

التقطَ أبوها إحدى قطع السايقاس قائلاً: «يجب أن أعرف كيف عرفت بوجود كوينتن خارج البلاد. أخوك ذهبَ مع كليتوس يرونوود والمايستر كدري وثلاثة من أفضل فرسان اللورد يرونوود الشُّبَّان في رحلةٍ طويلة محفوفة بالمخاطر ربما لا يجد في نهايتها ترحيبًا. لقد ذهبَ ليجلب لنا بُغِيَّة قلوبنا».

ضَيَّقت عينيها متسائلةً: «وما بُغِيَّة قلوبنا؟».

بصوتٍ خافت كأنه يخشى أن أَحَدًا يتنصَّت عليهما أجابَ: «النَّار، العدالة»، ودَسَّ الأمير دوران التَّيْن المنحوت من الجَزَع في كفِّها بيده الملتهبة، وأضافَ: «النَّار والدم».

إليني

دَوَّرَت الحلقة الحديدية ودَفَعَت الباب صانعةً فرجةً صغيرةً لا أكثر، وقالت: «عُصفوري الجميل، هل تسمح لي بالدُّخول؟».

أجَابَتْها جرتشل العجوز وهي تَفْرُكُ يديها: «احذري يا سيّدتِي، حضرة اللورد ألقى المايستر بوعاء الفضلات».

- «ليس هناك ما يُلقيني به إذن. أليس عندك عمل؟ وأنتِ يا مادي، هل أغلقتِ التّوافذ وأسدتِ السّتائر؟ هل غطيتِ الأثاث كلّهُ؟».

ردّت مادي: «نعم يا سيّدتِي».

قالت إليني: «الأفضل أن تتأكّدي»، ودخلت غُرفة النّوم المظلمة مردفةً: «هذه أنا يا عُصفوري الجميل».

تنشّق أحدهم في الظّلام، وسألها: «أأنتِ وحدكِ؟».

- «نعم يا سيّدي».

- «اقتربي إذن، أنتِ فقط».

أغلقت إليني الباب بإحكام. فلتنصّت مادي وجرتشل كما تُريدان، لكن الباب من خشب السّنديان المصمت وسُمكه أربع بوصات، ولن تسمعا شيئاً. لا بأس، فلئن كانت جرتشل تصون لسانها فمادي تنشر النّميمة بلا حياء.

سألها الصّبي: «هل أرسلك المايستر كولمون؟».

أجابت كاذبةً: «لا، سمعتُ أن سيّدي متوجّع». بعد حادثة وعاء الفضلات هرع المايستر إلى السير لوثر برون، ثم جاءها الفارس قائلاً: «إذا أقنعت سيّدتِي بالقيام من الفراش فلن اضطرّ إلى جرّه منه عنوةً».

قالت لنفسها: لا يُمكننا أن نسمح بهذا. حين يُعامل روبرت بخشونة فغالبًا ما تُصيبه نوبة الرّجفة. سألت اللورد الصّغير: «أأنت جائع يا سيّدي؟ هل أرسلُ مادي تُحضّر توتًا وقشدةً أو القليل من الخبز الدّافئ والزّبدة؟». متأخّرًا جدّا تذكّرت أن لا خبز دافئًا عندهم، فالمطابخ أغلقت بالفعل والأفران باردة. إذا أدّى إشعال فُرن إلى نهوض روبرت من الفراش فالأمر يستحق.

قال اللورد الصّغير بنبرةٍ مشاكسةٍ حادة: «لا أريدُ طعامًا. سأبقى في الفراش اليوم. يُمكنك أن تقرأي لي إذا أردتِ».

بسبب السّتائر الثّقيلة المسدّلة على التّوافذ كانت الغُرفة مظلمةً كأنه اللّيل، فقالت إليني: «الظّلام شديد هنا، لا يصلح للقراءة. هل نسي عُصفوري الجميل ما سنفعله اليوم؟».

- «لا، لكنني لن أذهب. أريدُ أن أبقى في الفراش. اقرأي لي عن الفارس المجنّح».

الفارس المجنَّح هو السير آرتيس آرن، وتقول الأسطورة إنه طردَ البَشَر الأوائِل من (الوادي) وطارَ إلى قَمَّة (رُمح العملاق) على متن صقِرٍ ضخمٍ لِيَقْتُل ملكَ الجَرافِن.

هناك مئة قصَّةٍ عن مغامراته، وروبرت الصَّغير يحفظها كلَّها عن ظَهر قلبٍ ويستطيع حكايتها بحذافيرها من الذاكرة، لكنه يحبُّ أن تُقرأ له رغم ذلك. قالت إليني للصَّبِّي: «يجب أن نذهب يا عزيزي، لكنني أعدك بأن أقرأ لك حكايتين عن الفارس المجنَّح عندما نصل إلى (بوَّابات القمر)».

رَدَّ من فوره: «ثلاث حكايات». مهما عرضت عليه يرغب روبرت دومًا في المزيد.

- «ثلاث حكايات. هل لي أن أدع الشَّمس تَدخُل؟».

- «لا، الضَّوء يُؤَلِم عيني. تعالي إلى الفِراش يا إليني».

لكنها ذهبت إلى النَّافِذة رغم ذلك، دائِرةً حول وعاء الفضلات المحطَّم الذي تشمُّه أفضل ممَّا تراه، وقالت: «لن أفتحها عن آخره، فقط بما يكفي لرؤية وجهه عُصفوري الجميل».

قال متنشِّقًا: «ليكن».

السَّتائر من القطيفة الزَّرقاء، وقد أزاحت إحداها مسافةً لا تربو على طول إصبعٍ وربطتها، لتسبح ذرَّات التُّراب في عمودٍ من ضوء الشَّمس، وتلوح ألواح زُجاج النَّافِذة الصَّغيرة ذات الشَّكل الماسي المكتسبة بالصَّقيع. مسحت إليني إحداها بكعب يدها بما يكفي لرؤية زُرقة السَّماء الصَّافية ونصوع الأبيض على جانب الجبل.

(العُش) متدبِّرة بمعطفٍ من الجليد، وقمَّة (رُمح العملاق) بالأعلى مدفونة بالثلوج الكثيفة.

حين التفتت كان روبرت آرن جالسًا مسندًا ظَهره إلى الوسائد وينظر إليها. سيِّد (العُش) وحامي (الوادي). تحت الخصر يُغطِّيه دثار من الصُّوف، وفوقه لا يرتدي شيئًا، صبيٌّ شاحب شَعْره طويل كالفتيات. لروبرت ذراعان وساقان طويلة نحيلة وصدر لِيْن مقعَّر وبطن صغير وعينان محمَّرتان دامتَان دومًا. لا حيلة له في هذا.

لقد وُلِدَ صَغيرًا سيِّقِيما. «تبدو قويًّا للغاية هذا الصَّبَّاح يا سيِّدي». يحبُّ الصَّبِّي أن يُقال له كم هو قوي. «هل أجعلُ مرادي وجرتشل تُحَضِران ماءً ساخنًا للاستحمام؟ ستدعك مادي ظَهرُك وتغسل شَعْرُك لتذهب في رحلتك بمظهرٍ نظيف يليق بك كلورد. أن يكون هذا لطيفًا؟».

- «لا. أنا أكره مادي. إن لها ثُلُولَةً على عينها وتدعكني بشدَّةٍ تُؤَلِمني. مامي لم تُؤَلِمني بينما تُحَمِّمني قَط».

- «سأقولُ لمادي ألا تدعك عُصفوري الجميل بشدَّة. عندما تستحم وتنتعش

ستتحسن».

- «قلتُ لا حمّام. رأسي يُؤلمني للغاية».

- «هل أحضر لك قُماشَةً دافئةً تضعها على جبهتك؟ أو كوبًا من نبيذ النّوم؟ القليل فقط. ميا ستون تنتظرنا في (سماء) وستستاء إذا نمت وتركتها منتظرةً. أنت تعلم كم تحبُّك».

رَدَّ روبرت: «أنا لا أحبُّها. إنها فتاة البغال لا أكثر»، وتنشَّق متابعًا: «المَياستر كولمون وضعَ شيئًا كريهًا في حليبي ليلة أمس، لقد تذوّقته. قلتُ له إنني أريدُ الحليب الحلو لكنه رفضَ، حتى عندما أمرته! أنا اللورد، وعليه أن يفعل ما أقوله له. لا أحد يفعل كما أقول».

- «سأتكلّمُ معه، لكن فقط إذا نهضت من الفراش. الطّقس جميل في الخارج يا عُصفوري الجميل والشمس ساطعة، يوم مثالي لنزول الجبل. البغال منتظرة في (سماء) مع ميا...».

ارتعشَ فمه وبدا كأنه سيجهش بالبكاء إذ قال: «أكرهُ تلك البغال ورائحتها الكريهة. في مرّةٍ حاولَ واحد أن يعضني! قلبي لميا تلك إنني سأبقى هنا. لا أحد يستطيع أن يؤذيني ما دمتُ هنا. (العُش) منيعة!».

- «ومَن قد يرغب في إيذاء عُصفوري الجميل؟ لورداتك وفُرسانك يهيمون بك والعامّة يهتفون باسمك». إنه خائف، وله حق. منذ سقطت السيّدة والدته والصّبي معرضٌ عن مجرّد الوقوف في الشّرفة، وخطورة الطريق من (العُش) إلى (بوابات القمر) كفيلة بإرهاب أيّ أحد. كان قلب إليني بين قدميها حين صعّدت مع الليدي لايسا واللورد بيتسر، والجميع متفقون على أن النزول أكثر إزعاجًا لأنك تنظر إلى أسفل طيلة الوقت، وميّا تحكي عن لوردات عظام وفُرسانٍ شُجعان امتقّعت وجوههم وبلّلوا أنفُسهم على الجبل. ولا أحد منهم كان مبتلى بداء الرّجفة.

على أن التّلكُؤَ لن ينفـع. على أرض الوادي ما زالَ الخريف لابلًا، لكن الشّيتاء أطبقَ على قمم الجبل، وقد نجوا بفعل من ثلاث عواصف ثلجيّة وعاصفةٍ أخري جليديّةٍ أحالت القلعة إلى بلّور منذ أسبوعين. ربما تكون (العُش) منيعةً، لكنها ستُصبح مسدودةً أيضًا عمّا قريب، والطريق إلي أسفل يزداد خطورةً كلّ يوم. أكثر خدم القلعة وجنودها غادروا بالفعل، ولم يتبق هنا بالأعلى إلّا دسّته منهم للعناية باللورد روبرت.

قالت برفق: «عُصفوري الجميل، النّزول سيكون سارًّا للغاية، سترى. السير لوثر سيكون معنا، وميا أيضًا. بغالها صعّدت ونزلت هذا الجبل ألف مرّة».

رَدَّ بإصرار: «أكرهُ البغال، إنها بغیضة. قلتُ لك إن واحدًا حاولَ أن يعضني وأنا صغير».

تعلم إليني أن روبرت لم يتعلّم الرُّكوب كما ينبغي. البغال أو الخيول أو الحمير، لا فرق، كلها عنده وحوش مخيفة لا تختلف عن الثَّنانين أو الجَرافين. لقد جيءَ به إلى (الوادي) لما كان في السَّادسة، وقد ركبَ موسِّدًا رأسه بين ثديي أمِّه المليئين باللبن، ومنذ ذلك الحين لم يبرح (العُش) مرَّةً.

لكن عليهم أن يذهبوا قبل أن يُغلق الجليد القلعة تمامًا، فلا أحد يدري إلى متى سيستمر الطَّقس الصَّحو. قالت إليني: «ميا ستمنع البغال من العَصِّ، وسأكون راكبةً وراءك مباشرةً. إنني مجرد فتاة، لست شُجاعةً أو قويَّةً مثلك. إذا كان باستطاعتي أن أفعلها فمؤكد أنك تستطيع أيضًا يا عُصفوري الجميل».

قال اللورد روبرت: «أستطيع أن أفعلها، لكنني أختارُ ألا أفعل»، ومسحَ أنفه السَّائل بظَّهر يده مواصلاً: «قولي لميا إنني سأبقى في الفراش. ربما أنزلُ غدًا إذا شعرتُ بتحسن. اليوم بارد للغاية في الخارج ورأسِي يُؤلمني. يُمكنك أن تشربي الحليب الحلو أيضًا، وسأقولُ لجرتشل أن تُحضِر لنا قُرص عسل. سننام ونتبادل القُبلات ونلعب، وستقرأين لي عن الفارس المجتَح».

- «سأفعلُ، ثلاث حكاياتٍ كما وعدتُ... حين نَبْلُغ (بوابات القمر)». يكاد صبر إليني ينفد، وقالت لنفسها مذكِّرةً: يجب أن نذهب وألا سنكون فوق مستوى الثلوج عند الغروب. «اللورد نستور يُجَهِّزُ مَأدبةً للتَّرحيب بك، حَساء فِطر ولحم غزلان وكعكات. لست تُريد تخيب أمله، أليس كذلك؟».

- «هل ستكون كعكات ليمون؟». يحبُّ اللورد روبرت كعكات اللَّيمون، ربما لأن إليني تحبُّها.

- «كعكات ليمون ليمونيَّة كلُّها ليمون، ويُمكنك أن تأكل منها كما شِئت».

- «مئة؟ هل يُمكنني أن أكل مئة؟».

قالت: «إذا أردت»، وجلست على طرف الفراش وملست على شعِّره النَّاعم الطَّويل مذكِّرةً: شعِّره جميِّل حقًا. اعتادت الليدي لايسا تمشي يده بنفْسها كلَّ ليلةٍ وقصَّه عندما يطول، لكن بعد سقوطها أصيبَ روبرت بنوبات رجفةٍ عنيفةٍ متى دنا منه أحدهم بمقص، فأمرهم بيتر بأن يتركوا شعِّره ينمو. لَقَّت إليني خُصلةً حول إصبعها متسائلةً: «والآن هل ستقوم من الفراش وتتركنا نلِيسك؟».

- «أريدُ مئة كعكة ليمون وخمس حكايات!».

أريدُ أن أصفعك على مؤخِّرتك مئة مرَّة وألطمك على وجهك خمس مرَّات. لم تكن لتجرؤ على التَّصرُّف بهذه الطَّريقة لو كان بيتر هنا. الحقيقة أن اللورد الصَّغير يخشى زوج أمِّه لدرجةٍ لا بأس بها. أرغمت إليني نفسها على الابتسام قائلةً: «كما يرغب سيدي، لكن لا شيء من هذا قبل أن تغتسل وترتدي ثيابك وتبدأ النُّزول».

هيا قبل أن يمرَّ الصَّباح»، وأمسكته بحزمٍ من يده وسحبته من الفراش. لكن قبل أن تستدعي الخادمتين طَوَّقها العُصفور الجميل بذراعيه النَّاحلتين وقبَّلها. كانت قُبلة صبيٍّ صغير خرقاء، وكلُّ ما يفعله روبرت آرن أخرق. إذا أغلقتُ عينيَّ فيُمكنني التَّظاهرُ بأنه فارس الزُّهور. ذات مرَّة أعطى السير لوراس سانزا ستارك وردةً حمراء، لكنه لم يُقبِّلها... ولا أحد من آل تايرل سيُقبِّل إليني ستون أبدًا.

على الرغم من جَمالها فإنها في النِّهاية ابنة حرام. إذ مسَّت شفتا الصَّبي شفتيها وجدَّت نفسها تُفكِّر في قُبلةٍ أخرى، ولا تزال تذكُر كيف شعرت حين انضغط فمه القاسي على فمها، وقد أتى سانزا في الظَّلام بينما تملأ النِّيران الخضراء السَّماء. أخذَ أغنيَّة وقُبلة⁶⁷ ولم يترك لي إلَّا معطفاً داميًّا.

لا يهمُّ. ذلك الزَّمن انتهى، وكذا سانزا. أبعدت إليني اللورد الصَّغير قائلةً: «كفى. يُمكنك أن تُقبِّلني ثانيةً عندما نصل إلى (بوابات القمر)، بشرط أن تغي بكلمتك».

كانت مادي وجرتشل منتظرتين في الخارج، ومعهما المايستر كولمون الذي غسلَ شعره من الفضلات وبدَّل رداءه، وظهرَ أيضًا تيرانس وجايلز مُرافقا روبرت اللذان بإمكانهما دومًا أن يشمَّا رائحة المتاعب.

قالت إليني للخادمتين: «اللورد روبرت أقوى الآن. أحضِرا ماءً ساخنًا لحمامه لكن احْرِصا على ألا يسفعه، ولا تشدَّا شعره في أثناء تمشيط عُقده لأنه يكره هذا». أطلقَ أحد المُرافقين ضحكةً شبيهةً مكتومة، إلى أن قالت: «تيرانس، جهِّز ثياب ركوب حضرة اللورد وأثقل معاطفه. جايلز، يُمكنك تنظيف وعاء الفضلات المكسور».

ردَّ جايلز جرافتون بامتعاض: «لستُ عاملة نظافة». قال المايستر كولمون: «افعل كما تأمر الليدي إليني وإلَّا أخبرتُ لوثور پرون»، ثم قطعَ البرُواق مرَّع إليني ونزلَ معها السَّلالِم الملتفة، حيث قال لها: «أنا ممتن لتدخلكِ يا سيِّدتي. إنكِ قادرة على التَّعامل معه»، وتردَّد لحظةً قبل أن يسألها: «هل لاحظتِ رجفةً وأنتِ معه؟».

- «كانت أصابعه ترتجف بعض الشَّيء حين أمسكتُ يده، هذا كلُّ شيء. يقول إنك وضعت شيئًا كريهًا في حليبه».

ردَّد كولمون: «شيئًا كريهًا؟»، وحدَّق إليها وتحرَّكت تفاحة حلقه إلى أعلى وأسفل، ثم أردف: «وضعتُ فقط... هل ينزف من أنفه؟».

- «لا».

غمغم: «جيد، هذا جيد»، وصلّت حلقات سلسلته بخفوتٍ إذ أومأ برأسه الثابت من رقبتة الطويلة الرفيعة لدرجة سخيفة، وقال: «النزول... سيديتي، قد يكون الأضمن أن أخلط لحضرة اللورد القليل من حليب الخشخاش. هكذا تستطيع ميا ستون أن تربطه على ظهر أكثر بغالها ثباتاً بينما يغيب في السُّبات».

- «لا يمكن أن ينزل سيّد (العُش) جبله مربوطاً كجوالٍ من الشَّعير». إليني متيقّنة من هذا، إذ حدّرها أبوها من أن يدعوا مبلغ هشاشة روبرت وجُبنه يغدو معرفةً مشاعاً. ليت هنا، كان ليعلم ماذا نفعل.

غير أن بيتر بايلش بعيد على الجانب الآخر من (الوادي)، يحضر زفاف اللورد لايونل كوربراي، وهو أرمل تجاوز الأربعين من العمر وبلا أطفال، وسيتزوَّج ابنةً قويّة البنية في السادسة عشرة لأحد تُجَّار (بلدة النّوارس) الأغنياء. رتب بيتر الزّيجة بنفسه، ويُقال إن مهر العروس باهظ، ولا بُدّ أنه كذلك بالفعل بما أنها من أولاد العائمة. سيحضر أتباع كوربراي الزّفاف، بالإضافة إلى اللوردات واكسلي وجرافتون وليندرلي، وبعض اللوردات الصّغار والفُرسان مُلاك الأراضي... واللورد بلمور الذي تصالح مع أبيها في الفترة الأخيرة، في حين من المتوقع أن يتجنّب لوردات البيان الآخرون الزّفاف، ولذا فحضور بيتر ضروري. تعي إليني كلّ هذا جيّداً، لكن معناه وقوع عبء إنزال العُصفور الجميل بأمانٍ إلى سفح الجبل على عاتقها هي.

قالت للمايستر: «اسقِ حضرة اللورد كوباً من الحليب الحلو، سيمنعه من الارتجاف خلال رحلة النزول».

ردّ كولمون معترضاً: «لقد شربَ واحداً قبل أقل من ثلاثة أيام».

- «وأرادَ آخر ليلة البارحة، لكنك رفضت».

- «لأن وقتاً كافياً لم يمض. لست تفهمين يا سيّديتي. كما أخبرتُ اللورد الحافظ، رشّة واحدة من حُلُو الكرى مع الحليب تمنع الرّجفة، لكن الجسد لا يتخلّص منه، ومع الوقت...».

- «الوقت لن يهّم إذا أصابت حضرة اللورد نوبة وسقطَ من فوق الجبل. لو أن أبي هنا فانا واثقة بأنه كان ليقول لك أن تُحافظ على هدوء اللورد روبرت بأيّ ثمن».

- «إنني أحاولُ يا سيّديتي، لكن التّوبات تزداد عُنفًا، ودمه خفيف للغاية حتى إنني لم أعد أجروّ على أن أعلق له العلق. حُلُو الكرى... أنتِ واثقة بأنه لم ينزف من أنفه؟».

- «كان يتنشّق، لكنني لم أرَ دمًا».

- «يجب أن أتكلّم مع اللورد الحافظ. هذه المأدبة... تُرى أمِن الحكمة أن يحضرها

بَعْدَ مَجْهُودِ النَّزُولِ؟».

طَمَأَنَّتْهُ قَائِلَةً: «لَنْ تَكُونَ مَادِبَةً كَبِيرَةً. أَرْبَعُونَ ضِعْفًا عَلَى الْأَكْثَرِ. اللورد نستور وأهل بيته وفارس البوابة وبضع لوردات أدنى شأنًا وحاشيتهم...».

- «تعلمين أن اللورد روبرت لا يحبُّ الغُرباءَ، وسيكون هناك شُرب وضوء... وموسيقى. الموسيقى تُخيفه».

قَالَتْ مَصْحَحَةً: «الموسيقى تُهْدِئُهُ، خصوصًا القيثارة السَّاميَّة. ما لا يُطيقُهُ هُوَ الغِنَاءُ مِنْ ذِكْرِ مَارِيلْيُونِ أُمِّهِ». نَطَقَتْ إِلَيْنِي هَذِهِ اللَّكْذِبَةُ مِرَارًا لِدَرَجَةٍ أَنْهَا تَذَكَّرُ الْمَوْقِفَ هَكَذَا أَغْلِبَ الْوَقْتُ بِالْفِعْلِ، أَمَّا مَا حَدَثَ حَقًّا فَلَمْ يَعُدْ أَكْثَرَ مِنْ حُلْمٍ سَيِّئٍ يُقْلِقُ مَنَامَهَا أحيانًا. «اللورد نستور لن يسمح بالغناء خلال المأدبة. ستكون هناك نايات وكمُنجات فحسب للرقص». ماذا تفعل عندما يبدأ عزف الموسيقى؟ سؤال مزعج لقلبها عدَّة إجابات عنه. سانزا تحبُّ الرقص، لكن إليني... «اسقِه كوبًا من الحليب الحلو قبل أن نذهب وآخر في أثناء المأدبة ولن تقع متاعب».

قَالَ: «ليكن»، وعندما توقَّفا عند قاعدة السَّلالم أضاف: «لكن يجب أن يكون الأخير لمدَّة نصف عامٍ على الأقل».

رَدَّتْ: «يَحْسُنُ أَنْ تَقْتَرِحَ هَذَا عَلَى اللورد الحافظ»، وفتحت الباب وخرجت تقطع السَّاحة. تعلم إليني أن كولمون لا يُريد إلَّا الأفضل لعُهدته، لكن الأفضل لروبرت الصَّبي والأفضل للورد آرِن ليسا الشَّيء ذاته دومًا. هذا ما قاله بيتر وهذه هي الحقيقة. لكن المايستر كولمون مهتم بالصَّبي فقط، أمَّا أنا وأبي فعلى كاهلنا هموم أكبر.

يكسو الثَّلَج القَدِيم السَّاحَةَ، وتَدَلَّى كُتَلُ الْجَلِيدِ كَحِرَابٍ مِنْ الْبَلُورِ مِنْ الشُّرَفَاتِ وَالْأَبْرَاجِ. (الْعُش) مَبْنِيَّةٌ بِأَحْجَارٍ بِيضَاءٍ نَاعِمَةٍ، وَقَدْ جَعَلَهَا غَطَاءُ الشَّيْتَاءِ أَكْثَرَ بَيَاضًا. جَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ، مَنِيعَةٌ لِلْغَايَةِ. لَيْسَ بِمَقْدُورِهَا أَنْ تَحَبَّ هَذَا الْمَكَانَ مَعَهَا حَاولَتْ. حَتَّى قَبْلَ رَحِيلِ الْحَرَسِ وَالْخِدْمِ كَانَتِ الْقَلْعَةُ تَبْدُو خَالِيَةً كَمَقْبَرَةٍ، وَبَدَتْ كَذَلِكَ أَكْثَرَ بَعْدَ رَحِيلِ بَيْتِرِ بَايْلِش. لَا أَحَدٌ يُغْنِي هُنَا مِنْذَ مَارِيلْيُونِ، وَلَا أَحَدٌ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَحَتَّى الْأَلْهَةُ نَفْسُهَا صَامِتَةٌ. فِي (الْعُش) سَبِيتَ لَكِنْ لَا سَبِيتُونَ، وَأَيُّكَةُ آلِهَةٍ لَكِنْ لَا شَجَرَةٌ قُلُوبٍ. كَثِيرًا تُفَكِّرُ: لَا أَدْعِيَةَ تُجَابَ هُنَا، وَإِنْ كَانَتْ أَحْيَانًا تَشْعُرُ بِوَحْدَةٍ تَحْدُو بِهَا إِلَى الْمَحَاوَلَةِ. لَا يُجِيبُهَا هُنَا إِلَّا الرِّيحُ، تَهْفُ بِلَا نَهَايَةٍ حَوْلَ الْأَبْرَاجِ الْبَيْضَاءِ الرَّفِيعَةِ السَّبْعَةِ وَتَرَجُ (بَابُ الْقَمَرِ) مَتَى هَبَّتْ. وَسَيَكُونُ الْوَضْعُ أَسْوَأَ فِي الشَّيْتَاءِ. فِي الشَّيْتَاءِ سَيَكُونُ هَذَا سَجَنًا أَبْيَضَ بَارِدًا.

وَمَعَ ذَلِكَ تَكَادَ فِكْرَةُ الرَّحِيلِ تُخِيفُهَا مِثْلَمَا تُخِيفُ رُوبَرْتِ، وَالْفَرْقُ أَنَّهَا تُجِيدُ إِخْفَاءَ خَوْفِهَا. قَالَ أَبُوهَا إِنْ لَا شَيْءٌ يُخْجَلُ فِي الشُّعُورِ بِالْخَوْفِ، إِنْ الْخَجَلُ يَأْتِي فَقَطْ مِنْ إِبْدَائِهِ، وَأَضَافَ: «كُلُّ الْبَشَرِ يَتَعَايَشُونَ مَعَ الْخَوْفِ». لَيْسَتْ إِلَيْنِي وَاثِقَةٌ بِأَنَّهَا

تعتقد ذلك، فلا شيء يُخيف بيتر بايلش. لم يقل هذا إلا لِيُشَجِّعَنِي. عليها أن تكون شجاعَةً في الأسفل، حيث فرصة افتضاح أمرها أكبر كثيرًا جدًّا. لأن أصدقاء بيتر في البلاط قد أبْلغوه بإرسال الملكة رجلاً يبحثون عن العفريت وسأنا ستارك، وقد ذكرت نفسها وهي تنزل سلّمًا حجريًا متجلِّدًا: سأفقد رأسي إذا اكتشفوا هويّتي. يجب أن أكون إليني طيلة الوقت، قلبًا وقلبًا.

وجدت لوثر برون في غرفة الرّافعات يُساعد مورد السّجّان واثنين من الخدم على رَصِّ صناديق الملابس ولغائف الأقمشة في سِتّة دلاءٍ ضخمة من خشب السّنديان، كلٌّ منها يتّسع لثلاثة رجال. الرّافعات ذات السّلاسل أسهل وسيلة لبلوغ القلعة الفرعية (سماء) الواقعة أسفلهم بسِتّة قدم، وإلا فعليّ أن تنزل المدخنة الحجرية الطّبيعية من القبو التّحتي. أو تُغادر كما غادر ماريليون والليدي لايسا من قبله.

سألها السير لوثر: «هل قام الصّبي؟».

- «إنه يستحمُّ. سيكون مستعدًّا خلال ساعة».

- «لنأمل هذا. ميا لن تنتظر بعد انتصاف النّهار». ليست في غرفة الرّافعات تدفئة، فخرجت كلُّ كلمةٍ منه مصحوبةً بالبُخار.

- «ستنتظر، يجب أن تنتظر».

- «لا تكوني متأكّدة هكذا يا سيّدتِي. الفتاة نفسها نصف بغلة. أظنُّ أنها تُفَضِّل تركنا جميعًا نموت جوعًا قبل أن تُعرّض حيواناتها للخطر». ابتسمَ حين قال هذا، ففكرت: دائمًا يبتسم عندما يتكلّم عن ميا ستون. ميا أصغر كثيرًا من السير لوثر، لكن حين كان أبو إليني يتوسّط في زواج اللورد كوربراي وابنة التّاجر أخبرها بأن الفتيات الشّابات يكن أسعد دائمًا مع الرّجال الأكبر، وقال: «البراءة والخبرة تصنعان زيجةً مثاليّةً».

تساءلت إليني عن رأي ميا في السير لوثر. بأنفه العريض وفكّه المربّع وشعره الصّوفي الأشيب لا يُمكن وصف برون بالسّامة، لكنه ليس قبيحًا كذلك. وجه تقليدي لكنّه صادق. على الرّغم من تقليد هذه الفُروسية فالسير لوثر وضيع المولد للغاية. في ليلةٍ أخبرها بأنّه قريب لآل برون أولاد (الغور البنيّ)، وهُم عائلة قديمة من الفُرسان من (الرّأس المتصدّع)، وباح لها قائلاً: «ذهبتُ إليهم عندما مات أبي، لكنهم ازدروني وقالوا إنني لستُ من دمهم». لم يقل ما جرى بعدها، وذكر فقط أنه تعلّم كلُّ ما يعرفه عن السّلاح بالطريقة الصّعبة. إنه رجل هادئ حين يكون مفيقًا، لكنه لا يفتقر إلى القوّة. وبيتر يقول إنه مخلص ويثق به كثيرًا. تحسب إليني أن برون زوج لا بأس به لفتاةٍ نغلة كميا ستون. ربما كان الأمر ليختلف لو أن أباهَا اعترفَ بها، لكنه لم يفعل، ومادي تقول إنها ليست عذراء أيضًا.

التقطَ مورد سوطه وهوى بضربة، وتحرك أول زوجين من الثيران بتثاقل في دائرة لتدور الرافعة، وانحلت السلسلة مصلصلةً إذ احتكت بالحجر، وتأرجح الدلو السنديان إذ بدأ نزوله الطويل إلي (سما). ثيران مسكينة. قبل أن يغادر مورد سيذبحها ويتركها للصقور، وما يتبقى منها عند إعادة فتح (العش) سيُشوى من أجل مائدة الربيع، هذا إذا لم يفسد. تدعى جرتشل العجوز أن مخزونًا وافرًا من اللحم المتجمد يعد بربيع من الرخاء.

قال السير لوثر: «سيدتي، الأفضل أن تعلمي أن ميا لم تصعد وحدها. الليدي ميراندا معها».

- «أوه». لم تصعد الجبل لمجرد أن تنزله ثانية؟ ميراندا رويس ابنة اللورد نسيور، وكانت غائبة في المرة الوحيدة التي زارت فيها سانزا (بوابات القمر) في الطريق إلى أعلى مع الليدي لايسا واللورد پيتر، لكنها سمعت الكثير عنها من جنود وخادمات (العش). ماتت أمها منذ زمن طويل، ولذا تتولى الليدي ميراندا أعمال قلعة أبيها، ويُشاع أن وجودها يجعل الملك أكثر نشاطًا بكثيرة من غيابها، وقد نبهت پيتر إلى بني قائلًا: «عاجلاً أو آجلاً ستلتقين ميراندا رويس، وعن دما تفعلين فعلين فعليّك بالحذر. إنها تحب لعب دور البلهاء المرحّة، لكنها في أعماقها أخطر من أبيها. صوني لسانك في حضورها».

سأصونه، لكنني لم أتوقع أن أفعل بهذه السرعة. «سيفرح روبرت». الصبي يحب ميراندا رويس. «بعد إذنك أيها الفارس، يجب أن أنهي حزم أغراضي». وحدها صعدت الدرج إلى غرفتها للمرة الأخيرة. كانت النوافذ قد أوصدت وأسدلت ستائرهما وعُطي الأثاث، وقد نُقل بعض حاجياتها بالفعل وخُزنت البقية. تقرر أن تبقى جميع ملابس الليدي لايسا المفصلة من الحرير والسّميت، وكذا كل ثوب من الكتان الشفاف والمخمل الفاخر والتطريز الفخم وشرائط الزينة المايرية. هناك بالأسفل على إيني أن ترتدي ثيابًا متواضعة تليق بفتاة متواضعة. لا يهم. لم أجرؤ على ارتداء أفضل الثياب هنا أيضًا.

كانت جرتشل قد خلعت ملابسها وفراش ووضعت عليّها بقية ملابسها. تحت ثورتها ترتدي إيني بالفعل جوربًا طويلاً من الصوف مع طبقتين من الثياب الداخلية، والآن أضافت سترة من صوف الجملان ومعطفًا من الفرو مزودًا بقلنسوة ثبتت به دبوس على شكل طائر مُحاكٍ مطلي بالمينا كأن هدية من پيتر. لفّت عنقها بوشاح أيضًا، ودست يديها في فقايز من الجلد المبطن بالفرو يتماشيان مع حذاءها، ولما ارتدت كل شيء أحست كأنها بدينة مكسوّة بالفرو كدب صغير.

ذكرت نفسها قائلة: على الجبل سيكون هذا من دواعي سروري. ألقت نظرة

أخيرةً على العُرفة قبل أن تَخْرُجَ مفكِرةً: كنتُ آمنةً هنا، لكن بالأسفل... حين عادت إليني إلى عُرفة الرّافعات وجدتُ ميا ستون منتظرةً بصبر نافذ مع لوثر برون ومورد. لا بُدَّ أنها صعدت في الدّلو لترى ما يُؤخّرنا. على الرّغم من تحولها تبدو ميا متينةً كسراويل الرّكوب الجلد التي ترتديها تحت قميص من الحلقات المعدنيّة المفضّضة، ولها شعر أسود كجناح الغداف، قصير وأشعث لدرجة أن إليني تظنُّ أنها تقطعه بالخنجر لا المقص. أفضل ملامح ميا عيناها الزّرقاوان الكبيرتان. من الممكن أن تبدو حسناء إذا ارتدت ثياب الفتيات. وجدت إليني نفسها تتساءل إن كان السير لوثر يحبُّها أكثر وهي ترتدي الحديد والجلد أم يحلم بها مرتديّة الحرير وشرائط الزّينة. تحبُّ ميا أن تقول إن أباه كان كبشًا وأمّها بومة، لكن إليني سمعت القصّة الحقيقيّة من مادي، والآن تنظر إليها مفكِرةً: نعم، هاتان عيناها، ولها شعره أيضًا، الشعر الأسود الكثيف الذي اشترك فيه مع رنلي.

سألتها النّغلة: «أين هو؟».

- «حضرة اللورد يستحمُّ ويرنّدي ثيابه».

- «يجب أن يُسرّع. الطّقس يزداد برودةً، ألا تشعّرين به؟ يجب أن نتجاوز (ثلج) قبل غروب الشّمس».

- «ما مدى سوء الرّيح؟».

ردّت ميا: «يُمكن أن تكون أسوأ... وس تكون كذلك بَعْدَ هبّ-وط ال-ظلام»، وأزاحت خُصلةً نـافرةً عن عينها مضيفةً: «إذا قضى وقـتًا أطول في الاس-حمام فس-نبقى حبيسين هنا طيلة الشّتاء ولا شيء نأكله إلّا بعضنا بعضًا».

لم تدر إليني بِمَ تردُّ، لكن لحسن الحظّ أعفاها وصول روبرت آرن، وقد ارتدى اللورد الصّغير المخمل الأزرق السّماوي وسلسلةً من الذهب والصّفيّر ومعطفاً أبيض من فرو الدّببة، ورفع كلُّ من مُرافقيّه أحد طرفيه وراءه كي لا يجرّه على الأرض. اصطحبهم المايستر كولمون مرتديًا معطفاً رماديًا خفيقًا مبطّنًا بفرو السّناجب، ولحقت بهم جرتشل ومادي.

جبنَ روبرت لمّا شعرَ بالرّيح على وجهه، وإن حالَ وقوف تيرانس وجايلز وراءه دونه والفرار، وسألته ميا: «هلّا نزلت معي يا سيّدي؟».

فكرت إليني: لهجتها جافّة للغاية. كان يجدرُ بها أن تُحيّيه بابتسامةٍ وتقول له كم يبدو قويًا شجاعًا.

قال اللورد روبرت: «أريدُ إليني. لن أذهب مع غيرها».

- «الدّلو يسع ثلاثة».

- «أريدُ إليني فقط. أنتِ رائحتكِ سيّئة كالبالغال».

رَدَّتْ مِيا بلا تعبيرٍ على وجهها: «كما ترغب».

بعض سلاسل الرافعات مربوط بسلاسل من الخيزران، وبعضها بالدلاء السنديان القويّة التي يفوق أكبرها إليني طولًا وتُحيط بأضلاع البنيّة الدّاكنة حلقات من الحديد تُثَبِّتُها معًا، وعلى الرغم من هذا كان قلبها بين قدميها إذ التقطت يد روبرت وساعدته على الدّخول. ما إن انغلقت الكوّة وراءهما أحاط بهما الخشب من كلّ جانبٍ ولم يبقَ إلّا أعلاهم مفتوحًا. قالت لنفسها: هكذا أفضل، فلا يُمكننا النّظر إلى أسفل. تحتها ليس هناك إلّا (سماء) والسماء، ستمئة قدمٍ كاملة من السّماء، وللحظةٍ وجَدَت نفسَها تتسأّل كـم من الوقت اسـتغرق سقوط هذه المسافة خالتها وماذا كانت آخر فكرة تدور بخلدها إذ اندفعَ الجبل إلى أعلى يستقبلها. لا، يجب ألا أفكر في هذا، يجب!

زعقَ السير لوثر: «هيا!»، ودفعَ أحدهم الدّلو بقوةٍ ليتأرجح ويميل ويحتكّ بالأرض ثم يتدلى حُرًّا. سمعتَ إليني كُرباج مورد يشقّ الهواء وصلصلة السِّلْسلة، ثم بدأ الدّلو ينزل بهما بحركاتٍ مضطربة متشجّجة أولًا ثم يرفق أكثر. رأت وجه روبرت شاحبًا وعينيّه منتفختين، لكن يديه ظلّتا ثابتتين. تقلّصت (العُش) من فوقهما، وجعلت زنازين السّماء في المستويات الأدنى القلعة تبدو كقرص عسلٍ من أسفل، ففكرت إليني سامعةً صفير الرّيح حول الدّلو: قرص عسلٍ من الجليد، قلعة من الثلج.

بعد نزولهما مئة قدمٍ أصابت الدّلو هبةٌ مباغتة جعلته يميل إلى الجانب ودوّرته في الهواء، ثم صدمته بقوةٍ بوجه الجبل الصّخري لتنهال عليهما شظايا الجليد والثلج ويصرّ السنديان.

شهقَ روبرت وتشبّث بها دافئًا وجهه بين ثدييها، فقالت إليني شاعرةً به برتجف: «سيّدي شجاع. أنا خائفة للغاية حتى إنني أكادُ أعجزُ عن الكلام، أمّا أنت فلا».

شعرت به يومئ برأسه، وقال لصدرها بفخر: «الفارس المجنّح كان شجاعًا، وأنا كذلك. إنني من آل آرن».

سألته: «هلّا تمسّك بي عُصفوري الجميل بقوة؟»، ولو أن الصّبي كان متمسّكًا به بشدّة بالفعل لدرجة أنها تستطيع التقاط أنفاسها بالكاد.

همسَ: «إذا أردت»، وعلى هذه الحال واصلًا الطّريق المباشر إلى (سماء) بالأسفل.

حين انفتحت كوّة الدّلو ليخرُجا داخل القلعة الفرعيّة فكرت إليني: وصف هذا المكان بالقلعة كوصف بركةٍ على أرض المرحاض بالبحيرة. ليست (سماء) أكثر من جدار هلالٍ يَشْكُل من الحجارة القديمة غير المملّطة يحتوي إفريزًا صخريًا ومدخل كَهَفٍ كـبير. في الدّاخل مخازن واسـطبلات

وقاعة طويلة طبيعياً والدعامات المنحوتة التي تقود إلى (العُش)، وفي الخارج تتناثر على الأرض الحجارة والجلاميد المكسورة، ويمكن صعود الجدار على منحدرات من التربة المكوّمة. على ارتفاع ستمئة قدمٍ بالأعلى تبدو (العُش) صغيرةً للغاية حتى إنها تستطيع إخفاءها بيدها، لكن بعيداً بالأسفل يمتدّ (الوادي) ذهبياً وأخضر.

داخل القلعة الفرعية ينتظرهم عشرون بغلاً مرع اثنتين من سائقي البغال والليدي ميراندا رويس، وقد اتّضح أن ابنة اللورد نس-تور قصيرة ممتلئة في سِنِّ مي-استون، ولكن لئن كانت ميا نحيلة متينة البنيان فميراندا ليّنة الجسد وطيبة الرائحة، ولها وركان عريضان وخصر ثخين ونهدان عامران، وتصنع خُصلها الكستنائية الغزيرة إطاراً حول وجنتين مستديرتين وفمٍ صغيرٍ وعينين بَيَّتين مرحتين. حين خرج روبرت بحذرٍ من الدلو ركعت في رُقعةٍ من الثلج ولثمت يده وخديه، وقالت: «كم كبرت يا سيّدي!». قال روبرت مسروراً: «حقاً؟».

ردّت الليدي كاذبة: «قريباً ستصير أطول مني»، ونهضت نافضةً الثلج عن ثنورتها، وبينما عاد الدلو يرتفع إلى (العُش) خاطبت إليني قائلة: «ولا بُدّ أنك ابنة اللورد الحافظ. لقد سمعتُ أنك جميلة، والآن أرى صحة هذا».

انحنّت إليني، وقالت: «لطف من سيّدي أن تقول هذا».

ضحكّت الفتاة الأكبر سناً قائلة: «لطف؟ الـلطف مم-ل. إنني أطمح إلى الإثارة. يجب أن تُفصّحي لي عن أسراركِ كلّها في الطريق إلى أس-فل. هل تس-محين لي بأن أدعوكِ بإليني؟».

- «إذا أردتِ يا سيّديتي». لكنكِ لن تنالي مني أسراراً.

- «أنا «سيّديتي» في (بوابات القمر)، لكن هنا على الجبل تستطيعين دعوتي براندا. كم سنّكِ يا إليني؟».

- «أربعة عشر عاماً يا سيّديتي». كانت قد قرّرت أن تكون إليني ستون أكبر من سانزا ستارك.

- «راندا. كأن مئة عامٍ مرّت منذ كنتُ في الرابعة عشرة. كم كنتُ بريئةً. أما زلتِ بريئةً يا إليني؟».

تورّد وجهها، وقالت: «لا يجدر بك... نعم، بالطبع».

سألتها الليدي ميراندا مداعبة: «تدّخرين نفسك للورد روبرت؟ أم أن هناك مُرافقاً غيوراً يحلم بمحاسنكِ؟».

أجابّت إليني: «لا»، في حين قال روبرت: «إنها صديقتي. ليس لتيرانس وجايلز أن ينالاهما».

عندئذٍ كان دلو ثانٍ قد وصلَ وحطّ برفقٍ على كومةٍ من الثلج المتجلّد، وخرجَ

الميايستر كولمون مع المرافقين تيرانس وجايلز، ثم وصلَ الثالث بمادي وجرتشل مع ميا ستون. لم تُبَدِّ الفتاة التَّغلة وقتًا قبل أن تتولَّى القيادة، وقالت لسائقي البغال الآخرين: «لسنا نريد أن نعلق هنا على الجبل. سأخذ اللورد روبرت ورفاقه. أوسي، ستنزل بالسير لوثر والآخرين، لكن اتركني أسبقك بساعة. كاروت، أنت المسؤول عن الصناديق والأقفاص»، والتفتت إلى روبرت آرن متسائلة: «أي بغل ستركب اليوم يا سيدي؟».

- «كلُّها كربه الرائحة. سأركبُ الرَّمادي ذا الأذن المقضومة. أريدُ أن تركب إليني معي، وميراندا أيضًا».

- «ليكن، أينما اتَّسع الطريق كفاية. هلمَّ يا سيدي، لنضعك على ظَهر بغلك. في الهواء رائحة ثلج».

مرَّ نصف ساعةٍ آخر قبل أن يسرعوا للتَّحرُّك، ولمَّا امتطى جميعهم البغال ألقت ميا ستون أمرًا حازمًا ففتح اثنا من جنود (سِماء) البوابة. قادتهم ميا إلى الخارج ووراءها مباشرةً اللورد روبرت متدثرًا بمعطف فرو الدِّبَّة، وتبعتهما إليني وميراندا رويس، ثم جرتشل ومادي، ثم تيرانس ليندرلي وجايلز جرافتون، وفي النهاية الميايستر كولمون الذي يقود بغلاً ثانيًا محملاً بصناديق الأعشاب والعقاقير.

وراء الجدار تهبُّ الرِّيحُ بحدَّة، إذ إنهم فوق مستوى الأشجار هنا ومكشوفون لعوامل التَّعرية. أحسَّت إليني بالامتنان لارتدائها ثيابًا ثقيلة، وقد راحَ معطفها يخفق بإزعاج من ورائها ودفعَت هبةً مفاجئة قلنسوتها. ضحكَّت، لكن أمامها ببضع ياردات رأت اللورد روبرت يتوتَّر، وقال: «الطقس بارد للغاية. يجدر بنا أن نعود وننتظر أن يدفأ».

قالت له ميا: «سيكون أدفأ على أرض الوادي يا سيدي. سترى حين نصل». ردَّ روبرت: «لا أريدُ أن أرى»، لكن ميا لم تُعِره انتباهًا.

طريقهم سلسلة متعرَّجة من الدَّرجات الحجرية المنحوتة في جانب الجبل، لكن البغال تحفظ كلَّ بوصةٍ منه، وقد سرَّ هذا إليني. هنا وهناك الحجارة محطمة من ضغط فصولٍ لا تُحصى جمَّدتها وأذابتها مرارًا، وعلى جانبي الطريق تكسو الصُّخور رُقع الثلج البيضاء لدرجةٍ تُعمي. الشمس ساطعة والسماء زرقاء، وبالأعلى صقور تدور راكبةً الرِّيح.

هنا حيث الجُرف شديد التَّحدُّر تلتفُّ الدَّرجات جيئةً وذهابًا بدلًا من النُّزول إلى أسفل مباشرةً. سانزا ستارك صعدت الجبل لكن إليني ستون تنزله. وجدتِ الخاطر غريبًا. تذكُر أن في رحلة الصُّعود نبَّهتَها ميا إلى إبقاء عينيها على الطريق أمامها، وقالت: «إن ظري إلى أعلى لا أسفل»... لكن ذلك ليس ممكِّنًا في أثناء النُّزول.

يُمكنني أن أغلق عيني. البغل يعرف الطريق وليس محتاجًا إليَّ. على أن ذلك

بدا كشيء تفعله الفتاة الخائفة سائرا، أمّا إليني فامرأة أكبر سنّا وتتحلّى بشجاعة النّغول.

في البداية تحرّكوا في طابورٍ فردي، لكن بعد فترة اتّسع الطّريق بما يكفي لركوب اثنين جنبًا إلى جنب، فلحقت بها ميراندا رويس، وببساطة قالت كأنهما جالستان تمارسان أشغال الإبرة مع سيّتتهما: «جاءتنا رسالة من أبيك. يقول إنه في طريق العودة، ويأمل أن يرى ابنته العزيزة قريبًا. كتب أن لايونل كوبراي يبدو مسرورًا بعروسه، وأكثر سرورًا بالمهر. أمل أن يتذكر اللورد لايونل من يأخذ منهما إلي الفراش. اللورد پيتر يقول إن الليدي واينوود حضرت مأدبة الزّفاف مع فارس (النّجوم التّسع) لدهشة الجميع».

- «آنيا واينوود؟ حقًا؟». يبدو إذن أن عدد لوردات البيان انخفض من ستّة إلى ثلاثة. يوم نزل پيتر بايلش الجبل كان واثقًا بكسب سايموند تمپلتون إلى صفّه، ولكن ليس الليدي واينوود. سألت: «أهناك المزيد؟». (العُش) مكان موحش للغاية، وإليني متشوّقة إلى أيّ أخبارٍ من العالم الخارجي مهما كانت بسيطةً تافهةً.

- «ليس من أبيك، لكن طيورًا أخرى وصلت إلينا. الحرب مستمرة في كلّ مكانٍ إلّا هنا. (ريقرن) استسلمت، لكن (دراجونستون) و(ستورمز إند) ما زالتا صامدتين متمسّكتين باللورد ستانيس».

- «كانت حكمة من الليدي لايسا أن تُبقينا خارج الصّراع».

منحتّها ميراندا ابتسامةً خبيثةً صغيرةً، وقالت: «نعم، سيّدتنا الكريمة كانت آيةً في الحكمة»، واعتدلت في جلستها مردفةً: «أوجب أن تكون البغال نحيلةً سيّئة المزاج؟ ميا لا تُطعمها كفايةً. ركوب البغال السّمينّة مريح أكثر. هل علمت أن هناك سيّتون أعلى جديدًا؟ أوه، وحرس اللّيل لهم قائد صبي الآن، ابن نغل ما لإدارد ستارك».

اندفعت تسأل مندهشةً: «چون سنو؟».

- «سنو؟ نعم، لا بُدّ أن اسمه سنو على ما أظن».

لم تُفكّر في چون منذ دهر. إنه مجرد أخ غير شقيق، ومع ذلك... بعد موت روب وبران وريكون لا يبقى لها إخوة إلّا چون سنو. والآن أنا نغلة أيضًا، مثله تمامًا. أوه، كم سيكون جميلًا أن أراه مرّةً أخرى. لكن بالطبع لا يُمكن أن يحدث ذلك أبدًا، فاليني ستون ليس لها إخوة شرعيّون أو غير شرعيّين.

تابعت ميراندا رويس غير مدركةٍ ما يجول ببالها: «ابن عمومتنا يون البرونزي أقام التحامًا جماعيًا في (رونستون)، واحدًا صغيرًا للمُرافقين فحسب. كان الغرض أن يفوز به هاري الوريث، وقد فعل».

- «هاري الوريث؟».

- «ربيب الليدي واينوود، هارولد هاردينج. أظن أن علينا أن ندعوه بالسير هاري الآن. يون البرونزي قلده الفُروسية».

- «أوه». شعرت إليني بالحيرة. لماذا يكون ربيب الليدي واينوود وريثها؟ إن لها أبناءً من ذُرِّيَّتها، أحدهم فارس (البوابة الدَّامية) السير دونل. إلا أنها لم ترغب في أن تبدو حمقاء، فاكتفت بقول: «أتمنى أن يُثبَّت جدارته بالفُروسية».

قالت الليدي ميراندا ساخرة: «أتمنى أن يُصاب بالجُدري. إن له ابنةً نغلةً من إحدى بنات العوام. كان السيّد والدي يأمل أن يُزوِّجني هاري، لكن الليدي واينوود رفضت تمامًا. لا أدري إن كانت قد وجدّتي غير لائقة أم السَّبب مَهري فحسب»، وزفرت مضيفة: «إنني في حاجةٍ إلى زوجٍ آخر فعلاً. كان لي واحد لكنني قتلته».

سألتها إليني مصدومة: «حقاً؟!».

«أوه، نعم، لقد مات فوقِي، في داخلي في الحقيقة. آملُ أنك تعرفين ما يحدث في فراش الزَّوجية، أليس كذلك؟».

فكّرت في تيريون وفي كلب الصِّيد وقُبلته وأومات برأسها إيجاباً، ثم قالت: «لا بدّ أن هذا كان فظيلاً يا سيّديتي، أن يموت، أعني هناك... بينما... بينما...».

- «... ينكحني؟»، وهزّت ميراندا كتفيها قائلة: «كان هذا مزعجاً بالتّأكيد، ناهيك بافتقاره إلى الكياسة. إنه لم يتحلّ بلطف أن يزرع طفلاً في داخلي حتى. المستنون نُطفتهم ضـعيفة، وهانـذي أرملـة لكـن مسـتعـمـلة بـالكاد. لكن إمكـن أن يجـد هـاري زوجـة أسـوأ بكـثير، وأتصوّر أنـه سـيفعل. علـى الأرجـح سـتزوِّجه الليـدي واينـوود إحدى حفـيداتـها أو حفـيدات يون البرونزي».

قالت إليني متذكّرة تحذير بيتر: «كما تقولين يا سيّديتي».

- «راندا. هيا، يُمكنك أن تقوليها. رانـدا».

- «راندا».

- «هذا أفضل. أخشى أن عليّ أن أعذر إليك. أعرفُ أنك ستحسبيني فاسقةً، لكنني ضاجعتُ ذلك الفتى الوسيم ماريليون. لم أكن أعلمُ أنه وحش. كان غناؤه جميلاً ويستطيع أن يفعل أحلى الأشياء بأصابعه. ما كنتُ لأخذه إلى الفراش إطلاقاً لو عرفتُ أنه سيدفع الليدي لايسا من (باب القمر). إنني -كمبدأ- لا أضاجعُ الوحوش»، وتفرّست ميراندا في وجه إليني وصدرها، وتابعت: «أنت أجمل مني، لكن ثديي أكبر. المايسترات يقولون إن الأثداء الكبيرة لا تدرُّ لبناً أكثر من الصَّغيرة، لكنني لا أصدّق هذا. هل عرفتِ مُرضعةً بثديين صغيرين من قبل؟ ثدياك كبيران بالنِّسبة إلى فتاةٍ في سنِّكِ، لكن ما داما ثديي نغلة فلن أشغل بالي بهما»، ودنت أكثر ببغلها سائلة: «هل تعلمين أن عزيزتنا ميا ليست بِكراً؟».

تعلم. ذات مرّة حين جلبت لهم ميا المؤمن من أسفل همست لها مادي البدينة بالسّر. «مادي أخبرتني».

- «طبعًا أخبرتك. إن لها فمًا كبيرًا كفخذيها، وفخذاها هائلتان! مايكل ردفورت هو من فعلها معها. كان مُرافق لين كوربراي وقتها، مُرافقًا حقيقيًا وليس كالجلف الذي يُرافق السير لين الآن ويقولون إنه قبله في سبيل المال فحسب. مايكل كان أفضل مُبارز شاب في (الوادي) كلّهُ، وشهيمًا... أو أن هذا ما حسبته المسكينة ميا إلى أن تزوّج واحدةً من بنات يون البرونزي. إنني واثقة بأن اللورد هورتون لم يُعطه خيارًا، لكنه ما زالَ تصرّفًا قاسيًا في حقّ ميا».

قالت إليني: «السير لوثر مغرم بها»، ورمقت فتاة البغال التي تسبقهما بعشرين درجةً مضيفةً: «أكثر من مغرم».

رفعت ميراندا حاجبًا متسائلةً: «لوثر برون؟ هل تعرف؟»، ولم تنتظر جوابًا، وأردفت: «لا أمرل لهذا المسكين. أبي حاول تزويج ميا لكنّها ترفضهم جميعًا. إنّها نصف بغلة».

رغمًا عنها وجدت إليني نفسها تحسُّ بالوُدِّ نحو الفتاة الأخرى. إنّها لم تحظَ بصديقةٍ تتبادل معها القيل والقال منذ حينٍ يؤول المسكينة. سألت الفتاة التي تكبرها سنًا وتبدو عليمّةً بالعالم: «هل تظنين أن السير لوثر يحبّها كما هي في الحلقات المعدنية والجلد أم يحلم بها ترفل في الحرير والمخمل؟».

- «إنه رجل، أي أنه يحلم بها عارية».

تُحاول أن تجعل وجهي يتورّد ثانيةً.

لا بُدَّ أن الليدي ميراندا سمعت أفكارها، إذ قالت: «إنكِ تتخضّبين بدرجةٍ جميلة من الوردي حقًا. عندما يتورّد وجهي أبدو كتفّاحة، لكنه لم يتورّد منذ سنوات»، ومالت عليها متسائلةً: «هل ينوي أبوك الزّواج ثانيةً؟».

- «أبي؟». لم تُفكّر إليني في ذلك، وبشكلٍ ما وتّرتها الفكرة، ووجدت نفسها تتذكّر التعبير علي وجه لايسا آن إذ هوت من (باب القمر).

قالت ميراندا: «كلُّنا نعلم كم كان مخلصًا لليدي لايسا، ولكن لا يجوز أن يظلّ حزينًا عليها إلى الأبد. إنه في حاجةٍ إلى زوجةٍ شابةٍ حسناء تغسل أحزانه. أظنّ أنه يستطيع اختيار مَنْ يشاء من نصف عذارى (الوادي) التّيبيلات، فهل من زوج أفضل من لوردنا الحافظ الجريء؟ وإن كنتُ أتمنّى لو أن له اسمًا أفضل من الإصبع الصّغير. صغير لأيّ درجة؟ هل تعرفين؟».

عادَ وجهها يتورّد، وقالت: «إصبعه؟ لا... إنني لم...».

أطلقت الليدي ميراندا ضحكةً صاخبةً دفعت ميا ستون إلى النّظر إليهما من فوق كتفها، وقالت: «لا عليك يا إليني، إنني واثقة بأنه كبير بما فيه الكفاية».

مرّوا من تحت قنطرةٍ نحتتها الرّيح، حيث تتدلّى كتل الجليد من الحجارة

الشَّاحِبَة وَيَقْطُرُ مِنْهَا الْمَاءُ عَلَيْهِمْ. عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ يَضِيقُ الطَّرِيقُ وَيَنْحَدِرُ بِحَدِّ لَمْتَةٍ قَدِيمٍ أَوْ أَكْثَرٍ، فَتَرَا جَعَتِ مِيرَانُ دَا مَرْغَمَةً وَسَلِمَتْ إِلَيْنِي الْقِيَادَةَ لِبَغْلِهَا، وَدَفَعَتْهَا شِدَّةُ انْحِدَارِ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ مِنْ الرِّحْلَةِ إِلَى التَّشَبُّثِ بِسَرَجِهَا بِقِيَّةٍ. الدَّرَجَاتُ هُنَا مِتَاكَلَةٌ بِفَعْلٍ حَدَوَاتٍ كُلِّ الْبَغَالِ الَّتِي وَطَّأَتْهَا، إِلَى أَنْ أَصْبَحَتْ تُحَاكِي سِلْسِلَةً مِنَ التَّجَاوِيفِ الْحَجَرِيَّةِ الضَّحْلَةِ الَّتِي يَمْلَأُ الْمَاءُ قِيَعَانَهَا مُلْتَمَعًا بِالذَّهَبِيِّ فِي شَمْسِ الْأَصِيلِ.

إِنَّهُ مَاءُ الْآنَ، لَكِنْ مَعَ حُلُولِ الظَّلَامِ سَيَتَحَوَّلُ كُلُّهُ إِلَى جَلِيدٍ. انْتَبَهْتَ إِلَيْنِي إِلَى أَنَّهَا تَحْبِسُ أَنْفَاسَهَا فَأُطْلِقَتْهَا. الْآنَ تُوشِكُ مِيَا سَتُونُ وَاللُّوردُ رُوبَرْتُ عَلَى بُلُوغِ الْقِمَّةِ الصَّخْرِيَّةِ الْمُسْتَدَقَّةِ الَّتِي يَسْتَوِي عِنْدَهَا الْمُنْحَدَرُ مِنْ جَدِيدٍ، فَحَاوَلْتُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِمَا فَقَطَّ قَائِلَةً لِنَفْسِهَا: لَنْ أَسْقُطَ، بَغْلُ مِيَا سَيَعْبُرُ بِي. صَدَحَتْ الرِّيحُ مِنْ حَوْلِهَا وَهِيَ تَنْزِلُ مَتَخَيِّطَةً دَرَجَةً دَرَجَةً، وَبَدَأَ لَهَا كَانَ هَذَا الْجُزْءُ اسْتِغْرَقَ عُمُرًا كَامِلًا.

وَفَجْأَةً صَارَتْ فِي قَاعِ الْمُنْحَدَرِ مَعَ مِيَا وَاللُّوردِ الصَّغِيرِ الْمُنْكَمَشِ تَحْتَ قِمَّةِ صَخْرِيَّةٍ مُحْزَزَةٍ. أَمَامَهُمْ يَمْتَدُّ سِنَادٌ حَجَرِيٌّ مُرْتَفِعٌ ضَيِّقٌ يَكْسُوهُ الْجَلِيدُ، وَإِذْ سَمِعَتْ إِلَيْنِي الرِّيحُ تَصْرُخُ وَشَعَرَتْ بِهَا تَشَدُّ مُعْطَفُهَا تَذَكَّرْتُ هَذِهِ الْبُقْعَةَ مِنْ رَحْلَةِ الصُّعُودِ، وَقَدْ أَخَافْتُهَا حِينَئِذٍ وَتُخَيِّفُهَا الْآنَ. كَانَتْ مِيَا تَقُولُ لِلُّوردِ رُوبَرْتِ بِنَبْرَةٍ مَرَحَةٍ: «إِنَّهُ أَوْسَعُ مِمَّا يَبْدُو، عَرْضُهُ يَارِدَةٌ وَطَوْلُهُ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِ يَارِدَاتٍ، هَذَا لَا شَيْءَ».

رَدَّدَ رُوبَرْتُ: «لَا شَيْءَ»، وَكَانَتْ يَدُهُ تَرْتَجِفُ.

أَوْهَ، لَا، أَرْجُوكَ، لَيْسَ هُنَا، لَيْسَ الْآنَ.

- «الْأَفْضَلُ أَنْ نَقُودَ الْبَغَالَ مَتَرَجِّلِينَ. بَعْدَ إِذْنِ سَيِّدِي سَأَعْبُرُ بِبَغْلِي أَوَّلًا ثُمَّ أَعُودُ لِأَعْبُرَ بِكَ»، لَكِنَّ اللَّوردَ رُوبَرْتِ لَمْ يُجِبْ وَظَلَّ يُحَدِّقُ إِلَى السَّيْنِ إِذِ الضَّيِّقُ بَعَيْنِيهِ الْمَحْمَرَّتَيْنِ، فَوَعَدْتُهُ مِيَا قَائِلَةً: «لَنْ أَتَأَخَّرَ يَا سَيِّدِي»، وَإِنْ شَكَّتِ إِلَيْنِي فِي أَنْ الصَّبِي سَمِعَهَا مِنَ الْأَصْلِ.

حِينَ خَرَجَتِ النَّعْلَةُ بِبَغْلِهَا مِنْ تَحْتَ الْقِمَّةِ الْمُسْتَدَقَّةِ أَطْبَقَتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ بِأَسْنَانِهَا، وَارْتَفَعَ مُعْطَفُهَا يَتَلَوَّى وَيُرْفَرِفُ فِي الْهَوَاءِ، وَتَرَنَّتْ مِيَا وَبَدَأَ لِأَقْلٍ مِنْ لَحْظَةٍ أَنْ الرِّيحُ سَتَلْقِيهَا فِي الْهَاوِيَةِ، لَكِنَّهَا اسْتَعَادَتْ تَوَازُنَهَا بِوَسِيلَةٍ مَا وَوَاصَلَتْ طَرِيقَهَا.

أَمْسَكَتِ إِلَيْنِي يَدَ رُوبَرْتِ الْمُقْفَظَةَ لِتَمْنَعَهُ مِنَ الْارْتِجَافِ، وَقَالَتْ: «عُصْفُورِي الْجَمِيلُ، إِنْنِي خَائِفَةٌ. أَمْسِكْ يَدِي وَسَاعِدْنِي عَلَى الْعُبُورِ. أَعْلَمُ أَنَّكَ لَسْتَ خَائِفًا».

رَمَقَهَا بِبُؤْيُؤَيْنِ كَثْقَبَيْنِ دَاكِنَيْنِ فِي عَيْنَيْنِ مَتَّسَعَتَيْنِ مَبِضَّتَيْنِ كَالْبَيْضِ، وَقَالَ: «لَسْتُ خَائِفًا؟».

- «لَيْسَ أَنْتِ. أَنْتِ فَارْسِي الْمَجْتَحِّ أَهْلُهَا السَّيْرِ الْعُصْفُورِ الْجَمِيلِ».

همسَ روبرت: «الفارس المجنَّح كان يستطيع الطيران». رَدَّت: «أعلى من الجبال»، واعتصرت يده.

كانت الليدي ميراندا قد انضمت إليهما عند القمة المستدقة، ولما رأت ما يحدث رَدَّت: «كان يستطيع الطيران حقاً».

قال اللورد روبرت: «السير العُصفور الجميل»، وأدركت إليني أنها لا تستطيع انتظار رجوع ميا، وهكذا ساعدت الصبي على التَّرجُل، وبِيدَين متعانقتين خرجا إلى السَّيْناد الحجري العاري بمعطفين يخفقان ويتلويان من ورائهما، لا يُحيط بهما إلَّا الهواء الفارغ والسَّماء، وعلى الجانبين الأرض بعيدة بعيدة، وتحت أقدامهما جليد وحجارة مكسَّرة تنتظر أن يتعثَّر فيها أحدهم ويلتوي كاحله. كانت الرِّيح تعوي بشراسة، ففكرت سانزا: كأنه صوت ذئب، ذئب شبحي جَبَّار كالْجبال.

ثم إذا بهما على الجانب الآخر. ضحكت ميا ستون ورفعت الصبي محتضنة إياه، فقالت لها إليني: «احترسي، يُمكنه أن يؤذيك عندما يُلَوِّح بأطرافه. لستِ تظنين هذا لكنه يستطيع». وجدا مكانًا له في صدع في الصَّخر يقيه من الرِّيح الباردة، واعتنت إليني به حتى انقضت الرَّجفة، فيما عادت ميا لمساعدة الآخرين على العبور.

فـي (ثـلـج) وجـدوا بـغـالاً جـديـدة فـي انتـظارهـم، ووجـبـة سـاخـنة مـن يـخـنـة المـاعـز والبـصـل. أكـلت إلـيني مـرـع مـيا ومـيرانـدا، وقـالت لـها الثـانـيـة: «أنتِ شـجـاعـة عـلاوـة عـلى حُسنكِ».

جعلت المجاملة وجهها يتورَّد مجدِّداً، وقالت: «لا، لستِ شجاعة. كنتُ خائفةً. لا أظنُّ أنني كنتُ لأقوى على العبور دون اللورد روبرت»، والتفتت إلى ميا ستون قائلة: «كدتِ تسقطين».

رَدَّت ميا التي نزلَ شعرها على وجنتها مخفياً عينها: «أنتِ مخطئة. إنني لا أسقط أبداً».

- «قلتُ كدتِ. لقد رأيتكِ. ألم تكوني خائفةً؟».

هَزَّت ميا رأسها نفياً مجيبةً: «أذكرُ رجلاً يُلقيني في الهواء وأنا صغيرة للغاية، يقف طويلاً كالسَّماء ويُلقيني عالياً جداً فأشعرُ كأنني أطيروُ، وكلانا يضحك، يضحك بقوةٍ لدرجة أنني أكادُ لا أستطيعُ التقاط أنفاسي، وأخيراً يتعالى ضحكي حتى إنني أبِلُّ ثيابي، فيجعله هذا يضحك أكثر وأكثر. لم أشعر بالخوف قطُ بينما يُلقيني، وكنْتُ أعرفُ أنه سـيكون مـوجوداً دوماً لـيـلتقـطني»، وأزاحت شعرها النَّافر متابعَةً: «وفـي يـومٍ لـم يَعد مـوجوداً. الرِّجـال يـأتون ويـذهبون، يكـذبون أو يمـوتون أو يـترُكونكِ. لكـن الجـبـل لـيس رـجـلاً، والحـجارة ابـنـة الجـبـل. إنـي أثـق بـأبي وأثـق بـبـغـالي ولـن أسـقط»، ووضعت يدها على صخرةٍ مـحززة ونـهضت مـسـتـطردهً: «أنـهـيا

طعامكما. ما زالَ طريقنا طويلًا وأشمُّ رائحة عاصفة».

بدأت الثلوج تسقط لدى خروجهم من (حجر)، أكبر وأدنى القلاع الفرعية الثلاث التي تُدافع عن الطريق إلى (العُش). كان الغسق ينتشر وقتها، واقتَرحت الليدي ميراندا أن يعودوا أدراجهم ويقضوا الليل في (حجر) ثم يسـتأنفوا الـنـزول مـرـع شـروق الشـمـس، إلّا أن ميـا رـفـضت قائلـة: «ربما يكـون غـمـق الثـلـوج خمـسة أـقـدام عندها، وستكون الدّرجات خدّاعةً حتى بالنسبة إلى البغال. الأفضل أن نواصل الطريق. سنتحرّك ببطء».

وقد كان. أسفل (حجر) الدّرجات أعرض وأقلُّ انحدارًا، تتخلّل أشجار الصنوبر والحارس الطويلة التي تكسو منحدرات (رُمح العملاق) السفلى، كما يبدو أن بغال ميا تعرف كلّ جذرٍ وصخرةٍ في الطريق إلى أسفل، وكلُّ ما تنساه الدّواب تذكره الفتاة.

كان نصف الليل قد مرّ بالفعل عندما أبصروا أضواء (بوابات القمر) من خلال الثلج المتساقط، وكانت المرحلة الأخيرة من رحلتهم الأكثر هدوءًا وسلامًا. سقط الثلج بوتيرة ثابتة مغليًا العـالم بـالأبيض، وغاب العـصـفور الجميل في النّوم فوق سرجه وراح يتمـايـل إلى الأمام والخلف مـرـع حركـة بغلـه، وحتـى اللـيـدي ميراندا بدأت تتأب وتشتكي من الإرهاق، وقالت لإليني: «جهّزنا مساكن لكم جميعًا، لكن يُمكنك أن تُشاركيني فراشي الليلة. إنه يسع أربعة».

- «سيكون هذا من دواعي شرفي يا سيّدتى».

- «راندا. اعتبري نفسك محظوظةً لأنني متعبة. لست أريدُ إلّا الخلود إلى النّوم، لكن عادةً عندما تُشاركني الفتيات الفراش فعليهـن أن يدفعن ضريبة الوسادة ويُخبرنني بالأشياء المثيرة التي فعلنها».

- «وماذا لو لم يفعلن أشياء مثيرة؟».

أجابت ميراندا: «عليهن إذن أن يعترفن بالأشياء المثيرة التي يُردن أن يفعلنها. ليس أنت بالطبع. إنني أرى عفتك بمجرد النّظر إلى وجنتيك المتورّدتين هاتين وعينيك الزرقاوين الكبيرتين»، وعادت تتأب، ثم أضافت: «أملُ أن قدميكِ دافئتان. أكرهُ رفيقات الفراش باردات الأقدام».

حين وصلوا إلى قلعة أبيها أخيرًا كانت الليدي ميراندا قد أخذها الوسن أيضًا وإليني تحلم بالفراش قائلةً لنفسها: سيكون فراشًا بحشيّة من الرّيش، ناعمًا ودافئًا ووثيرًا وعليه كومة من الأغطيّة الفـرو. سـأرى حـلـمًا جميـلًا ولـمّا أسـتيقظ سـأسمـع كـلّابًا تنـبح ونسـوة يتبـادلن النّـميمة عنـد البـئر وسـيقوفاً تصـلّ في السّاحة، ولاحـقاً ستقام مأدبة فيها موسيقى ورقص. كم تحنُّ إلى الصّياح والضّحك بعد صمت (العُش) المميت.

لكن بينما ترجل الرّاكبون عن بغالهم خرج أحد حُرّاس بيتر من الحصن قائلاً لها:

«ليدي إليني، اللورد الحافظ في انتظارك».
سألته مبعوثاً: «هل عاد؟».

- «في المساء. ستجدينه في البرج الغربي».
السّاعة أدنى إلى الفجر من الغسق وأكثر أهل القلعة نيام، ولكن ليس بيتر بايلش الذي وجدته إليني جالساً إلى جوار نار تُطَقِّق ويشرب التّبِيذ المتبّل الساخن مع ثلاثة رجال لا تعرفهم. نهضوا جميعاً لدى دخولها، وابتسم لها بيتر بدفءٍ قائلاً: «إليني، تعالي وقبلي أباًك».
عانقته بطاعة وطبعت قبلةً على خدّه، ثم قالت: «أسفةً لتطُقّلي يا أبي. لم يُخبرني أحد بأن معك رفاقاً».

- «لست تتطُقّلين أبداً يا خلوتي. كنتُ أحكي لهؤلاء الفرسان الكرام لتوّي عن ابنتي المطيعة».
قال فارس شاب أنيق ينسدل شعره الأشقر الكثيف متجاوزاً كتفيه: «مطيعة وجميلة».

- «أجل»، قال الفارس الثّاني، وهو رجل متين البنيان له لحية كثّة وخطّها الشّيب وأنف أحمر منتفخ تلوح زُرقة عروقه المكسورة ويدان خشنتان كبيرتان كأفخاذ الخنازير. «لم تذكّر هذا الجزء يا سيّدي».

- «كنتُ لأفعل المثل لـ لو كنت ابنتي، تحديداً في وجود أمثـالنا من الأجلـاف»، قال الفارس الثّالث ذو القامة القصيرة والقوام النّحيل والابتسامة المعوجة والأنف المدبّب والشّعر البُرْتُقالي الثّائر.
ضحكت إليني، وقالت مداعبةً: «أنتم أجلاف؟ حسبتُ ثلاثكم فرساناً باسليين».
قال بيتر: «هم فرسان، أمّا بسالتهم فما زالَ عليهم إثباتها، لكن لنأمل خيراً. اسمحي لي بتقديم السير بايرون والسير مورجارث والسير شادريك. أيها الفرسان، هذه إليني ابنتي الطّبيعيّة شديدة الذّكاء... والتي يجب أن أتحدّث معها إذا تفضّلتم وسمحتم لنا».

انحنى الفرسان الثلاثة وانسحبوا، ولو أن الطّويل الأشقر لثمَ يدها قبل أن يُغادر، ثم سألت إليني بعدما انغلق الباب: «فرسان متجولون؟».

- «فرسان جائعون. رأيتُ أن الأفضل أن يُحيط بنا المزيد من المسلّحين. الأيام تزداد إثارةً للاهتمام يا خلوتي، وعندما تُثير الأيام اهتمام المرء فلا شيء اسمه الإسراف في الحماية. (ملك البحار) رجعت إلى (بلدة النّوارس)، وأوزويل العجوز عاد بوضع حكايات».

لم تسأله عن كنه تلك الحكايات، فلو أرادها بيتر أن تعلم لأخبرها. قالت: «لم أتوقع عودتك بهذه السرعة. إنني مسرورة لأنك أتيت».

رَدَّ: «ما كنتُ لأخمنَ هذا من قبلكِ»، وجذبَها إليه وأمسكَ وجهها بيديه وقبلَها على شفتيها طويلاً، ثم قال: «هذه هي القُبلة التي تقول للمرأة: مرحباً بعودتك. احرصي على هذا المرة القادمة».

قالت شاعرةً بالحُمرَة تصبغ وجهها: «نعم يا أبي».

قال وقد قرَّرَ التَّغاضي عن قُبَلتها الفاترة: «لن تُصدِّقي نصف ما يجري في (كينجز لاندنج) يا حلوتي. سرسي تزلُّ من حماقةٍ إلى أخرى بمساعدةٍ مجلسها المكوَّن من الـصَّمِّ والبُلَه والْعُمَي. لطالما توقَّعتُ أن تُفقر البـلاد وتُدَمِّر نفيسـها، لكنني لم أخـال قط أن تفعلـها بهذه السـرعة! أمر مزعـج حقاً. لقد أملتُ أن أحظى بأربعة أو خمسة أعوام لأزرع بعض البذور وأترك بعض الثمار ينضج، لكن الآن... من الجيِّد أنني أتغذى على الفوضى. أخشى أن القدر القليل من السَّلام والنِّظام اللذين تركهما لنا الملوك الخمسة لن يدوما طويلاً في ظلِّ الملكات الثلاث».

ردَّدت حائرةً: «الملكات الثلاث؟».

اختارَ بيتر ألا يُفسِّر، وبدلاً من ذلك ابتسمَ قائلاً: «جلبتُ لفتاتي الغالية هديَّةً». تساوى سرور إليني بدهشتها، وسألته: «أهو فُستان؟». كانت قد سمعتُ أن في (بلدة النَّوارس) خيَّاطاتٍ بارعات، كما أنها سئمت من ارتداء الثياب التقليديَّة. - «شيء أفضل. خميني ثانية».

- «جواهر؟».

- «لا جوهرة تُداني جَمال عيني ابنتي».

- «ليمون؟ هل عثرت على ليمون؟». لقد وعدت العُصفور الجميل بكعك الليمون، وكعك الليمون يتطلب ليموناً.

سحبَها بيتر بايلش من يدها وأجلسَها في حجره قائلاً: «اتَّفقتُ لكِ على زيجة». - «زيجة...». شعرت بحلقها يضيق. إنها لا تُريد الزَّواج ثانيةً، ليس الآن، وربما أبداً. «لست... لا يُمكنني أن أتزوَّج. أبي، إنني...»، ورمقت إليني الباب لتستوثق من إغلاقه، ثم همست: «إنني متزوَّجة بالفعل، أنت تعرف هذا».

وضعَ بيتر إصبعًا على شفتيها يُسكِتها، وقال: «القزم تزوَّج ابنة ند ستارك لا ابنتي، لكن بغضِّ النَّظر عن هذا، هذه مجرد خطبة، أمَّا الزَّواج فعليه أن ينتظر إلى أن ينتهي أمر سرسي وتترمَّل سائزاً، ثم إن عليك أن تلتقي الفتى وتحظي بقبوله. الليدي واينوود لن تجعله يتزوَّج رغم إرادته، وقد شدَّدت على هذا بمنتهى الحزم».

تساءلت إليني عاجزةً عن التَّصديق: «الليدي واينوود؟ لماذا تزوَّج أحد أبنائها ب... ب...».

- «...نغلة؟ بدايةً أنت ابنة اللورد الحافظ، لا تنسي. واينوود عائلة عريقة للغاية وأبنة للغاية، وإن لم تكن بالثراء الذي يحسبه المرء، كما اكتشفتُ عندما بدأتُ شراء ديونها. على أن هذا لا يعني أن الليدي آنيا قد تباع ابناً لها مقابل الذهب، أمّا إذا كان ربيباً... هاري الشاب مجرد ابن عمومة، والمهر الذي عرضته على حضرة الليدي أكبر من الذي قبضه لا يونل كوربراي لتوّه. كان يجب أن يكون كذلك كي تُخاطر بإغضاب يون البرونزي، لأن هذه الزيجة تُفسد خطته. أنت موعودة لهاري هاردينج يا حُلوتي، شريطة أن تظفري بقلبه الغرير... وهو ما لن يستعصي عليك».

- «هاري الوريث؟». حاولتُ إليني أن تتذكّر ما أخبرتها به ميراندا عنه على الجبل، ثم قالت: «لقد قُلِدَ الفُروسيّة، وله بنت نغلة من فتاةٍ من العامّة».

- «وطفل آخر في الطريق من واحدةٍ أخرى. لا شكّ أن هاري يُجيد الإغواء. شعره رملي ناعم وعيناه زرقاوان عميقتان وتظهر غمّازاته حين يبتسم، ويُقال لي إنه شـهم للغاية أيـضاً»، وداعبهـا بيتـر بابتسـامةٍ متـابعاً: «نغلة أو غـير نغلة يـا حُلوتي، عنـدما تُعـلَن الخطبة سـتكونين محـطّ حـسد كـلّ فتاةٍ مـن الـنبلاء فـي (الـوادي)، وبعض بنات أراضـي النّهر و(المرعى) أيضاً».

حائرةٌ سألتـه إليني: «لماذا؟ السير هارولد... كيف يكون وريث الليدي واينوود؟ أليس لها أبناء من دمها؟».

أجاب بيتـر: «ثلاثة، وبنات وأحفاد أيضاً».

سألتـه إليني ورائحة النّبـيذ في أنفاسه تتناهى إلى أنفها ممتزجةً بجوز الطّيب والقرنفل: «ألن يسبقوا هاري؟ لا أفهم».

- «ستفهمين. أنصتي»، والتقطَ بيتـر يدها ومَرّر إصبعه بخفّةٍ على راحتها مردفاً: «اللورد چاسپـر آرـن، لنبدأ به. إنه أبو چون آرـن، وقد أنجبَ ثلاثة أولاد، ابنين وبناتاً.

كان چون الأكبر، فورثَ (العُش) واللوردية، وتزوّجت أخته أليس السير إليس واينوود عمُّ الليدي واينوود الحالية»، وارتسمَ الامتعاض على وجهه إذ تابع: «إليس وأليس، أليس هذا طريقاً؟ ابن اللورد چاسپـر الأصغر، السير رونل آرـن، تزوّج فتاةً من عائلة بلمور، لكنه لم يُعاشِرْها إلّا مرّةً أو مرّتين قبل أن يموت بمرض في البطن. كان ابنه إلبرت يُولَد في فراشٍ بينما يُحتضِر رونل المسكين في فراشٍ آخر في عُرفةٍ مجاورة. أنتِ منتبهةٌ يا حُلوتي؟».

- «نعم، كان هناك چون وأليس ورونل، لكن رونل مات».

- «عظيم. والآن، چون آرـن تزوّج ثلاث مرّات، لكن أول زوجتين لم تُنجبا له أطفالاً، ولذا ظلَّ إلبرت ابن أخيه وريثه سنواتٍ طويلة. في تلك الأثناء كان إليس يُمارس واجباتـه الزوجية مـع أليس التـي وضعت طفلاً كـلّ عام، وأنجبت له تسعة أولاد، ثم اني فتيت وصبيّاً عزيزاً واحداً اسمه هو الآخر چاسپـر، ثم ماتت وقد خارت قواها. كان چاسپـر الصّبي غافلاً عن الجهود البطولية

التي بُذِلَتْ من أجل المجيء به إلى الحياة، وفي سِنِّ الثَّالِثَةِ رَفَسَهُ حِصَانٌ فِي رَأْسِهِ، وَبَعْدَهَا بِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ فَتَكَ الْجُدْرِي بـاثْنَتَيْنِ مِنَ أَخَوَاتِهِ تَارْكَاسَ وَأَخَوَاتِ الْكُبْرَى تَزَوَّجَت السَّيْرَ دِينَـسَ آرَنَ، ابْنَ عُمُومَةٍ بَعِيدَةٍ لِسُلْطَانَةِ (الْعُش). لِعَائِلَةِ آرَنَ فَرُوعٌ عِدَّةٌ مَبْعَثَرَةٌ هُنَا وَهُنَاكَ فِي (الْوَادِي)، كُلُّهَا يَتَحَلَّى بِالْكِبْرِيَاءِ وَيَعُوزُهُ الْمَالُ، بِاسْتِثْنَاءِ فِرْعَ آرَنَ فِي (بَلَدَةِ النَّوَارِسِ) الَّذِي تَمَتَّعَ أَوْلَادُهُ بِالْعَقْلِ وَتَزَوَّجُوا تُجَارًا. إِنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ لَكِنْهُمْ يَفْتَقِرُونَ إِلَى الطِّبَاعِ الْحَمِيدَةِ، وَلِذَا لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ عَنْهُمْ. كَانَ السَّيْرُ دِينَـسَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَحَدِ الْفُرُوعِ الْفَخُورِ الْفَقِيرَةِ... لَكِنَّهُ كَانَ مُنَازِلًا ذَائِعَ الصَّيْتِ أَيْضًا وَوَسِيمًا وَشُجَاعًا وَيَنْضَحُ كِيَاسَةً، وَتَمَتَّعَ كَذَلِكَ بِاسْمِ آرَنَ السَّحَرِيِّ الَّذِي جَعَلَهُ زَوْجًا مِثَالِيًّا لِأكْبَرِ فَتَيَاتِ وَايْنُود. هَكَذَا يَكُونُ أَوْلَادُهُمْ مِنْ آلِ آرَنَ وَوَرَثَةِ (الْوَادِي) الثَّالِثِينَ إِذَا أَصَابَ الْبَرْتُ سُوءًا، وَمَا حَدَثَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمَجْنُونِ إِيْرَسَ أَصَابَ الْبَرْتَ. هَلْ تَعْرِفِينَ هَذِهِ الْقِصَّةَ؟».

تَعْرِفُهَا. «الْمَلِكُ الْمَجْنُونُ قَتَلَهُ».

- «بِالْفِعْلِ، وَسُـرْعَانَ مَا تَرَكَ السَّيْرَ دِينَـسَ زَوْجَتَهُ الْخُبْلَى ابْنَةَ وَايْنُودَ لِيْـذْهَبَ إِلَى الْحَرْبِ. مَاتَ دِينَـسَ فِي مَعْرَكَةِ الْأَجْرَاسِ بِجُرْعَةٍ مَفْرُطَةٍ مِنَ الشُّجَاعَةِ وَضَرْبَةِ فَأْسٍ، وَحِينَ أَبْلَغُوا زَوْجَتَهُ بِمَوْتِهِ مَاتَتْ بِدَوْرَهَا مِنَ الْحُزْنِ وَتَبَعَهَا ابْنُهَا حَدِيثُ الْوِلَادَةِ بَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ. لَا يَهُمُّ. كَانَ جُونُ آرَنَ قَدْ حَصَلَ لِنَفْسِهِ عَلَى زَوْجَةٍ شَابَّةٍ فِي أَثْنَاءِ الْحَرْبِ، زَوْجَةٍ يَثِقُ بِخُصُوبَتِهَا. إِنْنِي وَاثِقٌ بِأَنَّ أَمْلَهُ كَانَ كَبِيرًا، لَكِنْ كُلِّينَا يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا نَالَهُ مِنْ لَايْسَا كَانَ الْإِجْهَاضَ وَالْإِمْلَاصَ وَغُصْفُورَنَا الْجَمِيلَ الْمَسْكِينَ».

وَهُوَ مَا يُعِيدُنَا إِلَى بَنَاتِ إِيْلِسَ وَأَلْيَسَ الْخَمْسِ الْمَتَبَقِّيَّاتِ. الْكُبْرَى شَوَّهَهَا الْجُدْرِيُّ الَّذِي قَتَلَ شَقِيقَتَيْهَا، فَأَصْبَحَتْ سَيِّئَةً. وَاحِدَةٌ أُخْرَى أَغْوَاهَا مَرْتَزَقٌ، فَطَرَدَهَا السَّيْرُ إِيْلِسَ وَانْضَمَّتْ إِلَى الْأَخَوَاتِ الصَّامِتَاتِ بَعْدَ أَنْ مَاتَ نَغْلُهَا فِي بَطْنِهَا. الثَّالِثَةُ تَزَوَّجَتْ سَيِّدَ (جَزِيرَةِ التَّلِّينِ) لَكِنْ اتَّضَحَ أَنَّهَا عَاقِرٌ. الرَّابِعَةُ كَانَتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَى أَرَاظِي النَّهْرِ لِتُتَزَوَّجَ وَاحِدًا مِنْ أَبْنَاءِ عَائِلَةِ بَرَاكِنَ عِنْدَمَا اخْتَطَفَتْهَا قَبِيلَةُ الرِّجَالِ الْمُحْرُوقِينَ. هَكَذَا تَبَقَّى الصَّغِيرَى التِّي تَزَوَّجَتْ فَارِسًا مِنْ مُلَّاكِ الْأَرَاظِي فِي خِدْمَةِ آلِ وَايْنُودَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ ابْنًا سَمَّيْتَهُ هَارُولِدَ ثُمَّ مَاتَتْ»، وَدَوَّرَ پَيْتَرُ يَدَهَا وَطَبَعَ قُبْلَةً خَفِيفَةً عَلَى مَعْصَمِهَا، وَسَأَلَهَا: «أَخْبِرِينِي إِذْنِ يَا حُلُوتِي، مَا الَّذِي يَجْعَلُ هَارِي الْوَرِثَ إِذْنًا؟».

اتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا، وَقَالَتْ: «إِنَّهُ لَيْسَ وَرِثُ اللَّيْدِي وََايْنُودَ، بَلْ وَرِثُ رُوبَرْتِ. إِذَا مَاتَ رُوبَرْتٌ...».

قَاطَعَهَا پَيْتَرُ مَقْوَسًا حَاجِبَهُ: «عِنْدَمَا يَمُوتُ رُوبَرْتُ. غُصْفُورُنَا الْجَمِيلُ الشُّجَاعُ صَبِيٌّ سَقِيمٌ بِشَدَّةٍ. إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ وَقْتٍ لَا أَكْثَرَ. عِنْدَمَا يَمُوتُ رُوبَرْتُ يُصْبِحُ هَارِي الْوَرِثُ اللَّـوْرْدُ هَارُولِدَ حَامِي (الْوَادِي) وَسَيِّدَ (الْعُش). حَمْلَةٌ رَائِيَّةٌ جُونُ آرَنَ لَنْ يَحْبُونِي أَبَدًا، وَلَا رُوبَرْتُ السَّخِيفُ الرَّاجِفُ،

لكنهم سـيحبون صـقرهم الصـغـير... وحـين يجتمعون معاً لحضور زفافه
وتخرجين بشعرِك الكستنائي الطويل مرتديةً معطف عذراءٍ لونه أبيض ورمادي
ومطرز على ظهره الذئب الرهيب... عندها سيتعهد كلُّ فارسٍ في (الوادي)
بسيفه ليستردَّ لك حقك بالميلاد. هذه إذن هداياي لك يا عزيزتي سانزا...
هاري، و(العُش)، و(وينترفل). ألا يستحقُّ هذا قُبلةً أخرى؟».

بريان

قالت لنفسها: هذا حُلم شرير، لكن إذا كان حُلمًا فلم الألم الممض؟ كفَّ المطر عن الهطول، إلَّا أن العـالم بأكمله بليـل. تشـغر بمعطفـها ثقيـلًا كقميصـها المعـدني، والحبـل الـذي يُكَيِّل رُسـغيها متشـبّع تمـامًا بـالماء الـذي جعـلـه أضـيق وأضيق، ومهما دَوَّرت يديها لا تستطيع تخلص نفسها منه. لا تفهم مَن قيَّدها ولم، وحاولت أن تسأل الظلال فلم تُجبها. ربما لم تسمعها، ربما لا تكون حقيقِيَّةً من الأصل. تحت طبقات الصوف المبتلِّ والحلقات المعدنيَّة التي بدأ الصَّدأ يأكلها بشرتها ملتهبة محمومة، وتتساءل بريان إن كان كلُّ هذا حُلمًا محضًا تمخضت عنه الحُمى.

تحتها حصان، وإن كانت لا تذكُر أنها امتطته، وقد انطرحت على وجهها فوق عجيزته كأنها جوال من الشُّوفان وقِيَّد رُسغاها وكاحلاها معًا. الهواء رطب، والأرض مستترة بالضباب، ورأسها يدق مع كلِّ خُطوة، وتسمع أصواتًا لكنها لا ترى إلَّا التُّربة تحت حوافر الحصان. في داخلها أشياء مكسورة، وتحسُّ بوجهها متورِّمًا وبدمٍ لزج على وجنتها، وكلُّ رجَّة أو ردَّةٍ تطعن ذراعها وتُشعل فيها الألم. تسمع پودريك يُناديها كما لو أنه في مكانٍ بعيد، ما برح يُرَدِّد: «أيتها الفارس، أيتها الفارس، سيِّدتي، أيتها الفارس، سيِّدتي». صوته خافت عصيٌّ على السَّمع، وفي النِّهاية لم تَعُد تسمع إلَّا الصَّمَت.

حلمت بنفسها في (هارنهل)، في جُبِّ الدُّبِّ من جديد، وهذه المرَّة كان العضَّاض مَن يُواجهها، ضخم أصلع أبيض كالديِّدان، وفي وجنتيه القروح المفتوحة. عاريًا انقضَّ عليها، يُدَلِّك عُضوه ويصرُّ بأسنانه المدبَّبة، وفَرَّت منه بريان صائحَةً: «سيفي، (حافظ العهد)، أرجوكم»، لكن المتفَرِّجين لم يُجيبوا. كان رنلي هناك، ومعه ديك الرِّشيق وكاتلين ستارك، وأتى شاجويل وبيج أيضًا، والجُثث المشنوقة من الأشجار بوجناتها الغائصة وألسنتها المنتفخة ومحاجر عيونها الخالية. ولولت بريان رُعبًا لمرآها، وأطبق العضَّاض على ذراعها وشدَّها إليه وقضمَ قطعةً من وجهها، وسمعت نفسها تصرُّخ: «چايمي، چايمي!».

حتى في أعماق الحُلم لازمَتها الآلام. وجهها ينبض، وكتفها تنزف، وأنفاسها تُوجع، والألم يتقد في ذراعها كالبرق.

صاحت طالبةً مايستر، فأجابها صوت فتاة: «ليس هناك مايستر، فقط أنا».

أبحثُ عن بنت، بنتٍ رفيعة النَّسب في الثالثة عشرة لها عينا زرقاوان وشعر كستنائي. تمتمت: «سيِّدتي؟ ليدي سانزا؟».

ضحك رجل، وقال: «تظنُّك سانزا ستارك».

- «لا يُمكنها أن تستمرَّ هكذا طويلًا، ستموت».

- «ويقلُّ عدد الأسود واحدًا. لن أبكيها».

سمعت بريان أحدهم يُصلي فخطر لها أولاً أنه السيبتون ميريبولد، لكن الكلمات خطأ. الليل مظلم ومفعم بالاهوال، وكذلك الأحلام.

في غابةٍ موحشةٍ يركبون، مكان مظلم صامت رطب يتراص في شجر الصنوبر ويتلاصق، والأرض لينّة تحت حوافر الحصان، والآثار التي تتركها وراءها تمتلئ بالدماء. إلى جوارها يركب اللورد رنلي وديك كراب وفارجو هوت، ومن خلق رنلي يسيل الدم، ومن أذن الكبش الممزقة ينز القيح. سألت بريان: «أين سنذهب؟ إلى أين تأخذونني؟»، ولم يجبها أحد. وكيف يجيبون؟ إنهم موتى جميعاً. أعني هذا أنها ميتة أيضاً؟ كان اللورد رنلي يسبقها، مليكها الباسم الجميل يقودها عبر الأشجار، ورفعت بريان عقيرتها تقول له كم تحبه، لكن حين التفت يرمقها عابساً رأت أنه ليس رنلي أصلاً، فرنلي لم يكن يعبس قط. فكرت: لطالما ابتسم لي... ولو أن...

بصوت هامس حائر قال رنلي: «يا للبرودة»، وتحرك ظل لا يلقيه رجل، وتدققت دماء سيدها الجميل من فولاذ واقى عنقه الأخضر لتغرق يديها. كان رجلاً دافئاً، إلا أن دماؤه باردة كالجليد. ليس هذا حقيقياً، إنه حلم سيئ آخر، وقريباً سأصحو.

توقّف حسانها فجأة، وأطبقت عليها أيدٍ خشنة. رأت خيوط ضوء الأصيل الأحمر تتخلل غصون شجرة، وحصاناً يبحث بسنابكه وسط الأوراق الميتة عن ثمارها الساقطة، ورجلاً يتحركون على مقربةٍ منها ويتكلمون بأصوات خفيضة، عشرة رجال أو اثني عشر رجلاً وربما أكثر. لم تتعرّف بريان وجوههم، وكانت على الأرض وظهرها يستند إلى جذع شجرة.

قال صوت الفتاة: «اشربي هذا يا سيّدي»، ورفعت كوباً إلى شفيتها. كان المذاق قوياً كريهاً، فبصقت بريان ما شربته، وقالت: «ماء، أرجوك، ماء».

ردّت الفتاة: «الماء لن يُساعدك على احتمال الألم، أمّا هذا فسيُساعد... بعض الشيء»، وعادت ترفع الكوب إلى شفيتها.

حتى الشرب يؤلم. سالّ التّبيذ على ذقنها وقطر على صدرها، ولما فرغ الكوب أعادت الفتاة ملأه من قربة، وجرعت بريان التّبيذ حتى لفظته رغماً عنها، وقالت: «كفى».

- «أكثر. إن ذراعك مكسورة وبعض ضلوعك تصدّع، اثنان وربما ثلاثة».

- «العضاض»، قالت بريان متذكّرة ثقله فوقها وكيف ارتطمت ركبته بصدرها.

- «أجل، وحش حقيقي».

تذكّرت كلّ شيء؛ البرق من فوق والطّمي من تحت، ورنين قطرات المطر الخافت على فولاذ خوذة كلب الصيد الأسود والقوّة الغاشمة في يدي العضاض. فجأة لم تعدّ تحتمل قيودها وحاولت التّملص من الحبل، غير أن هذا لم

يُفضِ إلّا إلى إيلامها أكثر. معصماها مقيّدان بإحكامٍ شديد، وعلى الحبل دم جاف. سألت مرتعدةً: «هل مات؟ العضاض، هل مات؟». الآن تذكّر أسنانه تُمزّق لحم وجهها، وفكرة أنه لا يزال طليقًا يتنفس في مكانٍ ما تجعلها تُريد أن تصرّخ. - «مات. جندري غرس رأس حربٍ في مؤخرة عنقه. اشربي يا سيّدتى وإلّا صبّته في حلقك».

وشربت بريان، وبين رشفتين همست: «إنني أبحث عن بنت». كادت تقول: أختي. «بنت رفيعة النسب في الثالثة عشرة لها عينان زرقاوان وشعر كستنائي».

- «لست هي».

نعم. ترى بريان هذا. الفتاة نحيلة لدرجة أنها تبدو كأنها تُعاني جوعًا مزمنًا، وتجدل شعرها البني في ضفيرة، ونظرة عينيها أكبر من سيّنها. شعر بني وعينان بيّتان وملامح تقليدية. إنها ويلو لكن أكبر بستّة أعوام. «أنت الأخت، صاحبة الخان».

زرت الفتاة عينيها مجيبةً: «ربما. ماذا لو أنني هي؟».

سألتها بريان: «ما اسمك؟»، وقرّرت معدتها فخشيت أن تتقيأ.

- «هدل، مثل ويلو، چاين هديل».

- «چاين، حلّي وثاقي، أرجوك، أشفقي عليّ. الحبل يكشط جلد معصمي ويُدميهما».

- «ليس مسموحًا لي. ستبقين مقيّدةً حتى...».

- «... حتى تقفين أمام سيّدتى». كان رنلي واقفًا وراء الفتاة، يُزيح شعره الأسود عن عينيها. ليس رنلي، بل جندري. «سيّدتى تريدك أن تدفعي ثمن جرائمك».

- «سـيّدتي». كأن النبيّ يذُي راسها ويجعل التّفكـير صـعبًا. «قلـب الحجـر. أهـي مـن تعـني؟». إنـها المـرأة التـي ذكـرهـا اللـورد رانـدل فـي (بركة العـذارى). «اللـيـدي قـلـب الحجـر؟».

- «بعضهم يدعوها بهذا وبعضهم بأسماء أخرى؛ الأخت الصّامّة، أم القسوة، الشّناقة».

الشّناقة. حين أغلقت بريان عينيها رأت الجُثث تتأرجح من الفروع البنيّة الجرداء بوجوه مسوّدة منتفخة، وفجأة اسـتبدّ بـها خـوف عـارم، وقـالت: «پودريـك، مُرافقي، أين پودريك؟ والآخرون... السير هایل والسّيتون ميريبولد وكلب. ماذا فعلتم بكلب؟».

تبادل جندري والفتاة نظرةً، وكافحت بريان لتنهض، واستطاعت أن ترفع رُكبةً

واحدةً قبل أن يُميد بها العالم، وقَبيل أن تبتلعها الظلّمة سمعتَ جندري يقول: «أنتِ التي قتلتِ الكلب يا سيّدتِي».

ثم إذا بها في (قلعة الهمس) من جديد، تقف بين الأطلال وتواجه كلارنس كراب. كان ضخمًا شرسًا ويمتطي ثورًا بريًا شعره أكثر شعثًا منه، وراح الحيوان يضرب الأرض ببرائنه بغضبٍ حافِرًا فيها أخاديد عميقة. لكراب أسنان مدبّبة، ولمّا مدّت يدها إلى سيفها تمتشقه وجدّت الغمد خاليًا، وإذ انقضّ السير كلارنس صاحَت: «لا!». ليس هذا عدلًا. إنها لا تستطيع القتال دون سيفها السّحري، السّيف الذي أعطاهَا السير چايمي إياه، وفكرة أن تخذله كما خذلت اللورد رنلي تجعلها تُريد الانفجار في البُكاء. «سيفي، أرجوكم، يجب أن أجد سيفي».

أعلن صوت: «تُريد سيفها».

- «وأنا أريدُ أن تمصّ لي سرسي لانستر قضيبِي، وماذا في هذا؟».

- «چايمي سمّاه (حافظ العهد)، أرجوكم!». إلّا أن الأصوات لم تُصغ، وكَرّ كلارنس كراب عليها كالرّعد وأطاح برأسها، وغاصت بريان في ظلّمة أعمق.

حلمت بنفسها ممدّدة في قارب ورأسها يتوسّد حجر أحدهم وحولهما من كلّ جانب ظلال، رجال يُخفون وجوههم بالقلنسوات ويرتدون الحلقات المعدنيّة والجِلد ويسلّكون بهما نهرًا يكسوّه الضّبّاب بمجاذيف مكتومة. كأنّك ملتَهبة تتصبّب عرقًا، ولكّـن بوسيلةٍ ما تـرتجف أيّـضًا. الضّبّاب ملـيء بالـوجه، وهمـست أشـجار الصّفـاف على الصّفاف: المـليحة، لكن البوص رَدّ: المسخ، المسخ. ارتعشت بريان، وقالت: «أسكِتوها، فليُسكِتها أحد».

عندما استيقظت المرّة الثّالثة كانت چاين ترفع كوبًا من الحساء الساخن إلى فمها. مرق بصل. شربت منه ما استطاعت، إلى أن احتبست قطعة من الجزر في حلّقها وكادَت تخنّقها، وكان السّعال عذابًا. قالت الفتاة: «تمهّلي».

قالت بصوتٍ مصحوب بالصّفير: «جندري، يجب أن أتكلّم مع جندري».

- «لقد عادَ أدراجه عند النّهر يا سيّدتِي، رجّع إلى ورشته، إلى ويلو والصّغار ليحميهم».

لا أحد يستطيع حمايتهم. بدأت تسيّعل ثانيةً، فقال أحدهم: «آه، اتركيها تخرنق ووفري لنا الحبّل»، وتحرك أحد الطّلال ودفع الفتاة جانبًا. رأتَه يرتدي الحلقات المعديّة الصّدئة ويتمنّط بـحزامٍ مطعّم بالحديد، ومن وركيـه يتدلّى سيف طويـل وخنجر، وقد التصّق بكتفيـه معطف أصفر ضخم متسخ ومشبّع بالماء، ومن هاتين الكتفين يرتفع رأس كلبٍ من الفولاذ يُكشّر عن أنيابه.

وأنت بريان، وقالت: «لا! لا، أنت ميت، لقد قتلتك».

ضحك كلب الصيد، وردّ: «العكس هو الصحيح. أنا من سيقُتلك. كنتُ لأفعلها الآن لولا أن سيّدتني ترغب في رؤيتك مشنوقة».

مشنوقة. زلزلتها الكلمة خوفاً. نظرت إلى الفتاة چاين مفكّرةً: إنها أصغر من أن تكون بهذه القسوة، وشهقت قائلةً لها: «العيش والملح. الخان... السيّتون ميريبولد أطعم الأطفال... لقد أكلنا عيشًا وملحًا مع أختك...».

قالت الفتاة: «لم يعد حقّ الضيافة يعني الكثير منذ عادت سيّدتني من الزّفاف. بعض المتدليّن عند النّهر حسبوا أنفسهم ضيوفاً أيضاً».

وقال كلب الصيد: «ونحن حسبنا شيئاً آخر. أرادوا أسرّة فأعطيناهاهم الأشجار». أضاف ظلّ آخر بعين واحدة يعتمر خوذةً مستديرةً صدئةً: «عندنا أشجار أكثر من الأسرّة، دائماً عندنا أشجار أكثر».

لَمَّا حَانَ وقت التّجرُّك مجدّداً وضَعوا على رأسها غطاءً من الجلد بلا فتحتين للرؤيّة، وكتَمَ الجلد الأصوات المحيطة بها. ظلّ مِذاق البصل على لسانها لاذعاً كمعرفتها بفشلها. ينوون شنقي. فكّرت في چايمي وفي سانزا وفي أبيها في (تارث)، وامتنت لوجود الغطاء على وجهها إذ أخفى الدّموع المتفرقة في عينيها. بين الحين والآخر تسمع الخارجين عن القانون يتكلّمون دون أن تُميّز ما يقولونه، وبعد فترة سلّمت نفسها إلى الإنهاك وحركة حصانها البطيئة الرّتيبة.

هذه المرّة حلّمت بنفسها في الوطن في (بهو المساء). من نوافذ بهو أبيها الطويلة المقنطرة رأت الشّمس تبدأ رحلة المغيب، وقالت لنفسها: كنتُ آمنةً هنا، كنتُ آمنةً.

كانت ترتدي الحرير المطرّز، فُستاناً أزرق وأحمر مربّع النّقش تُزيّنه الشّموس الذهب والأهله الفضة. على بدن فتاةٍ أخرى كان ليبدو فُستاناً جميلاً، أمّا عليها هي فلا. كانت في الثّانية عشرة، خرقاء متوتّرةً، تنتظر لقاء الفارس الشاب الذي اتّفق أبوها على زواجها به، الفتى الذي يكبرها بسنة أعوام ومن المؤكّد أنه سيُصبح بطلاً بعيد الصّيت ذات يوم. كم تخشى مجيئه. ثدياها صغيران للغاية، ويداهما وقدهماها كبيرة للغاية، وشعرها لا ينفكّ ينفر، وفي البُقعة الغائرة إلى جوار أنفها بثرة.

وعدها أبوها قائلاً: «سيُعطيك وردةً»، لكن الوردة لا جدوى منها، لا يُمكنها أن تحتمي بوردة. ما تُريده سيف. (حافظ العهد). يجب أن أعثر على الفتاة، يجب أن أعثر على شرفه.

أخيراً انفتَح الباب ودخَلَ خطيبها بهو أبيها بخطواتٍ واسعة. حاولت أن تُحيّيَه كما أمرَليَ عليها، فخطت لتدقّ الدّماء من فمها. كانت قد قضّمت لسانها بينما تنتظر، وبصقته عن دقّ دمّي الفارس الشاب ورأت الاشـمئزاز على ملامحه. بنبرةٍ ساخرة قال لها: «بريـان

المليحة. لقد رأيتُ خن-ازير أجمل منكِ»، وألقى الوردة في وجهها، وإذ ابتعدَ تموجت الجرافن على معطفه وتشوّشت واستحالت إلى أسود. أرادت أن تصيح: چايمي! چايمي، عُد إلي! إلا أن لسانها كان على الأرض إلى جوار الوردة تُلطّخه الدماء.

واستيقظت بريان فجأةً تلهث.

لم تدر أين هي. الهواء بارد ثقيل ويعبق بروائح الثّربة والدُّود والعفن، وهي مستلقية على سرير من القشّ تحت كومةٍ من جلود الغنم، فوق رأسها صخور ومن الجدران تبرز جذور، والضوء الوحيد في المكان ينبعث من شمعةٍ من الشّحم يتصاعد دُخانها وتُحيط بها بركة شمعٍ ذائب.

أزاحت الأغطية، ورأت أن أحدهم جرّدها من ثيابها ودرعها، وبدلاً منها ترتدي الآن قميصاً طويلاً من الصوف البني، خفيفاً لكن مغسولاً حديثاً. كان ساعدها مثبّتاً بجبيرةٍ ومربوطاً بالكُتان، وأحسّت بأحد جانبي وجهها مبتلاً يابساً، ولما مسّته وجدت ضمادةً رطبةً تُغطّي وجنتها وفكّها وأذنها. العضاض...

نهضت بريان على قدمين من ماء وبرأسٍ خفيف كالهواء، وتساءلت: «هل من أحدٍ هنا؟».

تحرك شيء ما في إحدى الفجوات الظليلة وراء الشمعة، رجل عجوز أشيب يرتدي الأسمال. سقطت الأغطية التي التحفّ بها إلى الأرض، واعتدل جالساً وفرك عينيه قائلاً: «ليدي بريان؟ لقد أفرعتني. كنتُ أحلم».

لا، كنتُ أنا الحالمة. «ما هذا المكان؟ أهذه زنزانة؟».

- «كهف. كالجرذان علينا أن نهرع إلى جحورنا حين تخرُج الكلاب تتشمّم آثارنا، والكلاب تزداد عدداً كلّ يوم». يرتدي الرّجل بقايا مهترئةٍ لثوبٍ طويل قديم كان لونه أبيض ووردياً، وشعره طويل شائب متليّد، ويُغطّي زغب خشن جلد وجنتيه وذقنه المتهدّل. سألتها: «أأنتِ جائعة؟ هل تستطيعين أن تشربي كوباً من الحليب بلا قيء؟ ربما القليل من الخُبز والعسل؟».

- «أريـدُ ملابسـي وسـيفي». دون قميصـها المعـدني تشـعُر كأنـها عاريـة، وتُريـد (حـافـظ العـهد) إلـى جانبـها. «طريق الخـروج، أرنـي طريق الخـروج». أرضي الكـهف تُراب وحجارة، خشنة تحت أخمصي قدميها، وحتى الآن تشعُر بالدّوار كأنها طافية. كان الضّوء المتذبذب يُلقي ظلالاً غريبةً، ففكرت: أرواح القتلى ترقص حولي، تختبئ كلّما التفتت أنظرُ إليـها. فيـي كـلّ ناحيـة تـرى فـجـواتٍ وصـدوعاً وشـروخاً، لكـن لا سـبيل إلـى معرفـة الطّريق إلـى الذي يأخـذها إلـى الخـارج، أو الطّريق إلـى الذي يتـوغـل بـها في الكهف أكثر أو يقودها إلى نهايةٍ مسدودة. كلها أسود كالقار.

سألتها سجّانها: «هل تسمحين بأن أتحمّس جبهتك يا سيّدتني؟». يده نديبة يابسة الجلد، لكنها رقيقة على نحو غريب، وقد أعلن بصوتٍ منكّه بلكنات المَدن

الحُرَّة: «زَالَتِ الحُمَّى. عظيم. حتى البارحة كان ملمس جِلْدِكَ كأنه مشتعل نارًا، وخشيتُ چاين أن نفقدك». - «چاين. الفتاة الطَّويلة؟».

- «هي بالضبط، ولو أنها لا تُضاهيك في الطُّول يا سيِّدتي. يدعونها بچاين الفارعة. هي التي جبرت ذراعك وضمّدتَه ببراعة أيِّ ماستر. لقد بذلت كلَّ ما استطاعتُ لعلاج وجهك أيضًا، غسّلت الجروح بالمِزر المغلي لتُوقِف التَّعَفُّن، لكن رغم ذلك... عضّة الإنسان شيء قذر. إنني واثق بأنها كانت السَّبب في الحُمَّى»، ومَسَّ الأَشيبَ وجهها المضمَّد مردفًا: «اضطربنا إلى قطع القليل من اللحم. أخشى أن وجهك لن يعود جميلًا». لم يكن كذلك قطُّ. «أتعني النُّدوب؟».

- «سيِّدتي، ذلك المخلوق مضغَ نِصف وجنتك».

جفَلت بريان رغماً عنها. حين سألت السير جودوين أن يُعلِّمها القتال بالسَّيف قال لها محدِّراً: كلُّ فارسٍ يحمل ندوب المعارك. أهذا ما تُريدين يا بنيتي؟ على أن قِيِّمَ السِّلاح العجَّوز كـ أن يقصِّد إصابات السيِّوف، وما كـ أن لـ يتوقع أسـنان العـضاض المـدبّبة مطـلـقاً. «لمـاذا تـجـبـرون عظامي وتغسـلون جـروحي إذا كنتـم تنـتـوون شنقي؟».

قال: «لماذا حقًّا؟»، ونقلَ بصره إلى الشَّمعة كأنه لم يَعد يُطبق النّظر إليها، وتابَعَ: «قيلَ لي إنك قاتلتِ بشجاعةٍ عند الخان. لم يكن يَجْدُر بليم أن يَتْرُك مفترق الطرق. كانت تعليماته أن يبقى قريبًا متواربًا، وأن يأتي في الحال إذا رأى الدُّخان يتصاعَد من المدخنة... لكن حين بلغه خبر برؤية كلب (الملاحات) المسعور يشق طريقه شمالًا بمحاذاة (الفرع الأخضر) ابتلَعَ الطعم. كنا نُلَاحِظ تلك المجموعة منذ فترةٍ طويلة جدًّا... ومع ذلك كان عليه أن يكون أكثر حيلةً. هكذا مرَّ نِصف يومٍ قبل أن يُدرك أن الممثّلين استخدموا جدولًا لإخفاء آثارهم وداروا من ورائه، ثم ضاعَ منه المزيد من الوقت في الدَّوران حول فرقةٍ من فُرسان فراي. لولاك لما وجدَ ليم ورجاله في الخان إلَّا الجُثث عندما عادوا. لهذا ضمّدت چاين جروحك ربما. أيّا كان ما فعلته غير هذا فقد كسبت هذه الجروح بشرفٍ وفي سبيل أفضل الغايات».

أيّا كان ما فعلته غير هذا. «وما الذي تحسبونني فعلته؟ مَن أنتم؟».

- «كنا رجال الملك حين بدأنا، لكن رجال الملك يحتاجون إلى ملك، ونحن لا ملك لنا. كنا إخوةً أيضًا، لكن أخوتنا انفصمت عُراها. الحقيقة أنني أجهلُ مَن نحن أو إلّا مَ نَنجّه. لا أدري إلّا أن الطريق مظلم، والنَّيران لم تُرني ما يقبع في نهايته». أعرفُ ما في نهايته. لقد رأيتُ الجُثث على فروع الأشجار. ردّدت بريان: «النَّيران»، وفجأةً فهمت، فقالت: «أنت الرَّاهب المايري، السَّاحر الأحمر».

خفضَ عينيه إلى ثوبه المهترئ وابتسمَ بكآبةٍ قائلاً: «المدَّعي الوردى بمعنى أدق. أنا (ثوروس) الذي كان من (مير)، نعم... راهب سيِّئ وساحر أسوأ».

- «أنت تركب مع دونداريون سيِّد البرق».

- «البرق يسطع ويخفت ثم ينطفئ تمامًا، وكذا البَشَر. لقد انطفأت نار اللورد بريك في هذا العالم، والآن يقودنا ظِلُّ أكثر جهامةً في مكانه».

- «كلب الصَّيد؟».

زَمَّ الرَّاهِب شفتيه مجيبًا: «كلب الصَّيد مات ودُفِنَ».

- «لقد رأيته في الغابة».

- «حُلُم حُمَّى يا سيِّدتي».

- «قال إنه سيَشْنُقني».

- «حتى الأحلام تكذب. سيِّدتي، متى أكلتِ آخر مرَّة؟ مؤكِّد أنك تتصوَّرين جوعًا».

أدركت أنها كذلك حقًّا، وأحسَّت بخواء معدتها، فقالت: «الطَّعام... سأرجِّب بالطَّعام، شكرًا».

- «وجبة إذن. اجلسي. سنتكلَّم أكثر، لكن الوجبة أولًا. انتظري هنا»، وأشعلَ ثوروس فتيلًا من شمعةٍ ذائبة واختفى في فجوةٍ سوداء تحت إفريز صخري، ووجدت بريان نفسها بمفردها في الكهف الصَّغير. لكن إلى متى؟ ذرعت الملكان باحثَةً عن سـلاح. كأن أيُّ سـلاح ليصـلح؛ عصا أو مراوَّة أو خنجر، لكنها لم تجد إلا الصُّخور. ناسبت إحداها يدها تمامًا... ثم إنَّها تذكَّرت (قلعة الهمس) وما جرى لشاجويل حين حاول القتال بحجرٍ ضد سيِّكين، ولمَّا سمعت خُطوات الرَّاهب العائدة تركت الصَّخرة تسقط على أرض الكهف وجلست من جديد.

رجعَ ثوروس حاملًا خُبزًا وجُبنةً ووعاءً من اليخنة، وقال لها: «أسفٌ، آخر حليبنا حمضٌ والعسل كله نفذ. الطَّعام أصبح شحيحًا، لكن هذا سيُشبعك».

كانت اليخنة باردةً مليئةً بالدهون والخُبز جامدًا والجُبنة أكثر جمودًا، وفي حياتها كلِّها لم تتذوَّق بريان شيئًا بهذه اللذادة. سألت الرَّاهب بينما تمسح ثُمالة اليخنة بالخُبز: «هل رفاقي هنا؟».

- «السيِّتون أطلقَ سراحه وذهبَ في حال سبيله. لم يكن الرَّجل مؤذيًا. الآخَران هنا، ينتظران الحُكم».

قطَّبت وجهها قائلةً: «الحُكم؟ يودريك پاين مجرد صبي».

- «يقول إنه مُرافق».

- «أنت تعرف كم يحبُّ الصَّبية التَّباهي».

- «مُرافق العِفريت. لقد قاتلَ في معركةٍ باعترافه، بل ويقول إنه قتلَ كذلك». -
- «إنه صبي. أشفيقوا عليه».

قال ثوروس: «سَيِّدتي، لا أشكُّ في أن الرَّأفة والرَّحمة والمَغفرة ما زالَ لها وجود في مكانٍ ما في (الممالك السَّبْع)، لكن لا تتطلعي إليها هنا. هذا كهف لا معبد. حين يُرغم النَّاس على المعيشة كالجرذان في الظلام تحت الأرض فسرعان ما تنفد منهم الشَّفقة كما ينفد الحليب والعسل». -
- «والعدالة؟ أيمكن العثور عليها في كهف؟».

ابتسمَ ثوروس بشحوبٍ قائلاً: «العدالة. إنني أذكرُ العدالة. كان لها مذاق سار. العدالة كانت تُغيثنا وقت أن قاذنا بريك، أو هكذا أخبرنا أنفسنا. كنا رجال الملك، فُرسانًا وأبطالًا... لكن بعض الفُرسان قلبه مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال يا سَيِّدتي. الحرب تُحيلنا جميعًا إلى وحوش». -
- «هل تقول إنكم وحوش؟».

- «أقولُ إننا بشر. لستِ الوحيدة المثخنة بالجراح يا ليدي بريان. بعض إخوتي كانوا رجالًا صالحين حين بدأنا، وبعضهم كانوا... لنقل إنهم كانوا أقلَّ صلاحًا. ولو أن هناك من يقولون إن بداية الرَّجل لا تهم، وإنما نهايته فقط. أظن أن الشَّيء نفسه ينطبق على النِّساء»، ونهَضَ الرَّاهبُ مردِّفاً: «أخشى أن وقتنا معاً انتهى. إنني أسمعُ إخوتي قادمين. سَيِّدتنا تَطْلُبُك». -
سمعتَ بريان وقعَ أقدامهم ورأتِ ضوءَ مشعلٍ يتذبذب في الممر، وقالت: «ذكرت أنها ذهبت إلى (السُّوق القصية)». -
- «بالفعل، وعادت ونحن نائمون. إنها لا تنام أبداً».

قالت لنفسها: لن أخاف، لكن أوان ذلك فات بالفعل، فوعدت نفسها: لن أدعهم يرون خوفي.

أتاها أربعة، رجال قُساة وجوههم تعبئة يرتدون الحلقات والصفائح المعدنية والجلد، وقد تعرّفت أحدهم، الأعور الذي رآته في أحلامها.

لأن أكبر الأربعة حجماً يرتدي معطفاً أصفر رثاً متّسخاً، وخاطبها قائلاً: «هل استمتعت بالطعام؟ أتمنّى هذا. إنها آخر وجبة ستأكلينها». له شَعْر بنيّ ولحيّة وعضلات مفتولة وأنف انكسر والتحم على نحو سيّئ. فكرت بريان: أعرف هذا الرَّجل، وقالت له: «أنت كلب الصَّيد».

ابتسمَ باتِّساع كاشفاً منظر أسنانه المعوجّة النَّخرة الشَّنيع، ورَدَّ: «أظنُّ أنني هو بما أن سَيِّدتي قتلتَ السَّابق»، ودوّر رأسه وبصق.

قالت متذكّرة وميض البرق والوُجل تحت قدميها: «رورج هو من قتلتُ. لقد أخذَ الخوذة من على قبر كليجاين وأنت سرقتها من جثته».

- «لم أسمععه يعترض».

شهق ثوروس فزعًا، وسأل: «أهذا صحيح؟ خوذة رجلٍ ميت؟ هل انحدرنا لهذه الدرجة؟».

أجابَه الرَّجل الكبير عابسًا: «إنه فولاذ جيّد».

قال الرَّاهب الأحمر: «لا شيء جيّدًا في هذه الخوذة أو في الرَّجلين اللذين اعتادا اعتمارها. ساندور كليجاين كان رجلًا معدّبًا، ورورج وحشًا في هيئة إنسان».

- «لستُ مثلهما».

- «لماذا تُري العالم وجههما إذن؟ هذا وجه شرس شائه مزمجر... أهذا من تُريد أن تكون يا ليم؟».

- «منظرها سيُخيف أعدائي».

- «منظرها يُخيفني أنا».

قال ذو المعطف الأصفر: «أغمض عينيك إذن»، ثم لَوَّح بيده بحدّةٍ مستطردًا: «أحضروا العاهرة».

لم تُقاوم بريان. إنهم أربعة وهي واهنة وجريحة وعارية تحت القميص الصوف الطويل. اضطرت إلى حني عُنقها كي لا يختبط رأسها بالسقف إذ ساقوها في الممرّ المتعرج، ثم ارتفع الطريق أمامهم بحدّةٍ وانعطف مرّتين قبل أن يخرجوا إلى كهفٍ أكبر مليء بالخارجين عن القانون.

في منتصف الأرضيّة حفرة نار يصبغ دُخانها الهواء بالأزرق، وقد تلملم الرجال قُرب النَّار مدفّنين أنفُسهم من برد الكهف، ووقف آخرون عند الحوائط أو جلسوا مرّبعين السيقان على أسرّةٍ من القش. رأت نساءً أيّضًا، بل وبضعة أطفالٍ يختلسون النَّظر من وراء تنانير أمّهاتهم. الوجه الوحيد الذي تعرّفته بريان هو وجهه چاين هدل الفارعة.

على الجانب الآخر من الكهف طاولة منصوبة في صدع في الصّخر، ووراءها تجلس امرأة ترتدي الرّمادي وتُخفي قلنسوة معطفها وجهها، وفي يدها تاج هو دائرة رفيعة من البرونز الذي تبرز منه سيوف حديدية صغيرة، وكانت المرأة تتفرّس فيه وتتحمّس أصابعها النّصال كأنها تختبر حدّتها، وتحت القلنسوة تلتمع عيناها.

الرّمادي لون الأخوات الصّامتات، وصيفات (الغريب).

أحسّت بريان بالقشعريرة تسري على عمودها الفقري، وقالت لنفسها: قلب الحجر.

قال الرَّجل الكبير: «ها هي ذي يا سيّدتِي».

أضاف الأعور: «أجل، عاهرة قاتل الملك».

سألت جافلة: «لماذا تنعتني بهذا؟».

- «لو نلتُ أيلًا فضيًا كلَّ مرَّةٍ نطقتُ فيها اسمه لصرتُ ثريًا كأصدقائكِ أولاد لانستر».

- «كان هذا مجرد... لستم تفهمون...».

قال الكبير ضاحكًا: «حقًا؟ أظنُّ أننا نفهم تمامًا. رائحة الأسود فائحة منكِ أيتها السيِّدة».

- «غير صحيح».

تقدَّم واحد آخر من الخارجين عن القانون، رجل أصغر سنًا يرتدي سُترَةً من جلد الأغنام مبقَّعةً بالشَّحم، وفي يده (حافظ العهد)، وقد قال بلكنةٍ يكسوها صقيع الشمال: «هذا يقول إنه صحيح»، ثم سحب السَّيف من غمده ووضعه أمام الليدي قلب الحجر. في ضوء بؤرة النَّار بدَّتْ تموجات النِّصل الحمراء والسُّوداء كأنها تتحرَّك، لكن المرأة ذات المعطف الرَّمادي سلَّطت نظراتها على القبيعة وحدها، على رأس الأسد الذهبي ذي العينين الياقوت المتألقين كنجمتين حمراوين.

قال ثوروس المايري: «هناك هذه أيضًا»، وسحبَ من كُفِّهِ رَقًا وضعه إلى جوار السَّيف مضيقًا: «الورقة تحمل ختم الملك الصَّبي وتقول إن حاملها مكلف منه».

وضعت الليدي قلب الحجر السَّيف وقرأت الرِّسالة.

قالت بريان: «لقد أعطيتُ السَّيف لهدفٍ وجيه. السير چايمي حلفَ يمينًا لكاتلين ستارك...».

قاطعها الكبير ذو المعطف الأصفر: «لا بُدَّ أن هذا كان قبل أن يذبحها أصدقاؤه. كلُّنا يعرف قاتل الملك وأيمانه».

فكَّرت بريان: لا فائدة. لا شيء أقوله سـ يُقنعهم، إلَّا أنـها انـدفعـت رـغم ذـلك تـقول: «لقـد وعـدَ اللـيـدي كـاتـلين بـابنتيـها، لكـن لـديـ بلوغـنـا (كـينـجز لـانـدنـج) كـانـتا قـد رـحـلتـا. چايمي أرسلني أبحث عن الليدي سانزا...».

سألتها الشمالي الشاب: «وإذا عثرتِ على الفتاة فماذا كنتِ ستفعلين بها؟».

- «أحميها، أخذها إلى مكانٍ آمن».

ضحك الكبير متسائلًا: «أين؟ زنازة سرسي؟».

- «لا».

- «أنـكـري كـمـا شـئتـ. السـيـف يـقـول إنـك كاذبـة. هـل يُفـتـرـض أن نُصـدِّق أن آل لانـسـتر يُعـطـون أعـداءهم سـيـوفًا مرصـعةً بالـذهـب واليـاقوت؟

أن قـاـئـل الملـك أـرـادك أن تُخفي الفتاة عن توأمته؟ وأظن أنك تحملين الورقة المذيّلة بختم الملك الصّبي تحسباً لأن تحتاجي إلى مسح مؤخرتك بها؟ ثم إن هناك رفيقك...»، والتفت الكبير وأشار، فانشقت صفوف الخارجين عن القانون وجيء بأسيرين آخرين، وقال لليدي قلب الحجر: «الصّبي كان مُرافق العفريت يا سيّدتى، والآخر واحد ملعون من فرسان راندل تارلي اللعين».

تلقى هايل هنت ضرباً مبرحاً لدرجة أنها كادت لا تتعرّف وجهه المتورّم، وإذ دفعوه تعثر وكاد يسقط، لكنّ بودريك أمسكه من ذراعه، ولمّا رأى الصّبي بريان قال ببؤس: «أيتها الفارس، أعني يا سيّدتى، أنا أسف».

ردّت بريان: «ليس هناك ما تأسف له»، والتفتت إلى قلب الحجر قائلة: «أيّا كانت الخيانة التي تحسبيني ارتكبتها يا سيّدتى فلم يكن ليودريك والسير هايل دور فيها».

قال الأعور: «إنهما أسدان، وهذا يكفي. أقول أن يُشنقا. تارلي شنقَ عشرين من رجالنا، وأنّ أوان أن نشنق أحداً من رجاله».

منحّ السير هايل بريان ابتسامةً منطفئةً، وقال: «سيّدتى، كان حريّاً بك أن تتزوّجيني عندما عرضتُ عليك، والآن أخشى أنكِ ستموتين عذراء وأننى ساموثٌ فقيراً».

قالت بريان بضراعة: «أطلقوا سراحهما».

لم تُحب المرأة ذات المعطف الرّمادي، بل أمعنت النّظر إلى السيّف والورقة والتّاج البرونز والحديد، وأخيراً رفعت يدها تضعها تحت فكّها وأمسكت رقبتها بإحكامٍ كأنها تُريد أن تخنق نفسها، لكنّها بدلاً من ذلك تكلمت... صـوتها متقـطع، مكسـور، معـذب، وبـبدو كأنه يـخرُج من حلقـها لا فـمـها، جزء منـه نـعـيب، جزء منـه صـغير، جزء منه خشخشة الموت. لغة الملعونين.

قالت بريان: «لا أفهم. ماذا قالت؟».

أجاب الشّمالي الشاب ذو السّترة الجِلد: «سألت عن اسم سيفك هذا».

- «حافظ العهد».

هسهست المرأة من بين أصابعها، عيناها حُفرتان حمراوان متّقدتان في الظلال... وتكلّمت ثانية.

- «تقول لا، تقول إن عليك أن تُسمّيه ناقض العهد، إنه مصنوع للخيانة والغيلة. تُسمّيه الصّديق الغادر، مثلك».

- «بمن غدرت؟».

قال الشّمالي: «بها. أيمكن أن سيّدتى نسيّت أنها أقسمت على خدمتها؟».

ثُمَّ امرأة واحدة أقسمت لها عذراء (تارث) على الخدمة، فقالت: «مستحيل. لقد ماتت».

تمتت چاين هدل الفارعة: «ما عادَ الموت وَحَقُّ الضَّيَافَةِ يعنِيان الكثير كالسَّابِق».

خَفَضَت الليدي قلب الحجر قلنسوتها وحَلَّت الوشاح الصُّوف الرَّمادي عن وجهها. شَعَرها جاف متَقَصِّف أبيض كالعظم، وجبهتها مزيج من الأخضر والرَّمادي ومبقعة بشروخ التَّحَلُّل البَنِيَّة، ولحم وجهها شِرائط متهتكة من عينيها إلى فكِّها، بعض شقوقه عليه قشرة من الدِّماء الجافَّة، وبعضها مفتوح يكشف الجمجمة من تحته.

وجَّهها، وجهها كان قويًّا وسيِّمًا، وجِلدها أملس ناعمًا. ملأت الدُّموع عيني بريان، وقالت: «ليدي كاتلين؟ قالوا... قالوا إنكِ مُتَّة».

قال ثوروس المايري: «إنها ميتة. آل فراي شقُّوا حَلَقها من الأذن إلى الأذن. حين وجدناها على ضِفَّة النَّهر كانت ميتة منذ ثلاثة أيام. توسَّل إليَّ هاروين أن أعطيها قُبْلَةَ الحِياة، لكِن وقَّتًا طويلاً جَدًّا كَأَن قَد مَضَى. رفضتُ أن أفعلَها ثانيَّةً، فوضَع اللورد بريك شِفْتيه على شِفْتيها بدلًا مني وانتَقَلَ لِيَهَب الحِياةَ إليَّها منهُ، و... نهَضت. فليحْمنا إله الضَّياء، لقد نهَضت!».

أما زلتُ أحلمُ؟ أهذا كابوس آخر ولدَّته أسنان العَضاض؟ «لم أخنها قَطُّ، قُلْ لها هذا. أقسمُ بالآلهة السَّبعة، أقسمُ بسيفي».

وَضَعَ الشَّيْء الذي كان كاتلين ستارك يده على حَلَقه ثانيَّةً وضَمَّت أصابعه الشَّقَّ الطَّويل الفظيع في عُنقه، وخرَجَ منه المزيد من الكلمات المخنوقة، ثم قال الشَّمالي لبريان: «تقول إن الكلام هواء، تقول إن عليك إثبات إخلاصك».

- «كيف؟».

- «بسيفك. تُسمِّينه (حافظ العهد)؟ سيِّدتي تقول أن تحفظي عهدك لها إذن».

- «ماذا تُريد مني؟».

قال الكبير: «تُريد ابنها حيًّا أو مَن قتلوه موتى. تُريد أن تُطعم الغربان كما فعلوا في الزَّفاف الأحمر، آل فراي وآل بولتون، نعم. هؤلاء سنُعطيها العدد الذي ترغبه منهم. كُلُّ المطلوب منك چايمي لانستر».

چايمي. كان الاسم سَكِينًا يتلوَّى في بطنها. «ليدي كاتلين، إنني... لست تفهمين. چايمي... لقد أنقذني من الاغتصاب حين أسرنا الممثلون السَّقَّاحون، ولاحقًا عادَ مِن أَجْلِـي ووَثَبَـي فـي جُبِّ الدَّبِّ وهو أعزل... أقسمُ لك أنهُ لَمْ يَعدَ الرَّجُل الذي كانهُ. لقد أرسَلَنِي أبِحْثُ عَن سَـانْزَا لأحميها، ولا يُمكن أنهُ لَعَبَ دورًا فـي الزَّفاف الأحمر».

انغرسَت أصابع الليدي كاتلين في حَلَقِها، وخرَجَت منها الكلمات مخشخشةً
مخنوقةً مكسورةً، تتدفَّقُ جدولًا باردًا كالجليد، ثم قال الشَّمالِي: «تقول إن
عليك أن تختاري. خُذي السَّيف واقتُلي قاتِل الملك وإلَّا شُيقتِ كخائنة. تقول إمَّا
السَّيف وإمَّا الأنشودة. تقول اختاري، فهيا اختاري».

تذكَّرت بريان حُلْمها وانتظارها في بهو أبيها الرَّجل الذي كانت ستتزوَّجه. في
الحُلْم قَطَعَت لسانها بأسنانها. وكان فمي مليئًا بالدم. التقطت نفسًا مهتزًّا،
وقالت: «لن أختار».

رأى صمت طويل، ثم تكلمت الليدي قلب الحجر ثانيةً، وهذه المرَّة فهمت بريان
ما قالته بصوتٍ كالنَّعيب. كانتا كلمتين لا أكثر: «اشنُقوهم جميعًا».

قال الكبير: «كما تأمرين يا سيِّدتي».

عادوا يُقَيِّدون رُسُغَي بريان بالحبال وساقوها من الكهف صاعدين ممراً حجريًّا
متعرِّجاً إلى السَّطح. رأت مندهشةً أن الصَّباح طلعَ في الخارج، وقد تخللت
خيوط ضوء الفجر الشَّاحب الأشجار. أشجار كثيرة جدًّا ينتقون منها. لن يضطُّروا
إلى أخذنا بعيدًا.

ولم يفعلوا. تحت صَفْصافة ملتوية وضعَّ الخارجون عن القانون أنشودةً حول
عُنُقها وشدُّوها بإحكامٍ وألقوا طرف الحبل الآخر من فوق أحد الفروع. أعطوا
هايل هُنت وپودريك باين شجرتي دَرْدَار، وكان السير هايل يصيح قائلاً إنه
سيقتُل چایمی لانستر، لكن كلب الصَّيد لطمه على وجهه فأخرسه. كان قد
اعتمر الخوذة ثانيةً، وقال لها: «إذا كانت هناك جرائم تُريدن الاعتراف بها لآلهتكِ
فالآن الوقت المناسب».

- «پودريك لم يؤذيكُم قطُّ. سيدفع أبي فديته. (تارث) تُسمِّي جزيرة الصَّغير.
أرسلوا پودريك مع رُفاتي إلى (بهو المساء) وستنالون صَغيرًا وفضَّةً، أيَّا كان ما
تُريدون».

قال كلب الصَّيد: «أريدُ أن تعود إليَّ زوجتي وابنتي. هل يستطيع أبوكِ إعادتهما
لي؟ إن لم يستطيع فليذهب إلى الجحيم إذن. سيتعقَّن الصَّبي إلى جواركِ
وستنهب الذَّئاب عظامكما».

سأله الأعور: «هل تنوي أن تشنُق الحقيرة يا ليم أم تقتُلها بكلامك؟».

اختطفَ كلب الصَّيد طرف الحبل من الرَّجل الذي يُمسيكه قائلاً: «لنرَ إن كانت
تُجيد الرِّقص»، وشدَّ الحبل.

شعرت بريان بالقيِّب يضيق منغرسًا في جِلدها دافعًا ذقنها إلى أعلى. كان
السير هايل يلعنهم بأطايب الألفاظ، ولكن ليس الصَّبي، إذ لم يرفع پودريك عينيه
عن الأرض، حتى عندما افترقت قدماه عنها. إذا كان هذا حُلْمًا آخرَ فحان الوقت
لأن أصحو، وإن لم يكن فهذه ساعة مماتي. لم ترَ إلَّا پودريك والأنشودة حول

عُنْقَهُ الرَّفِيعَ وَرَعِشَةَ سَاقِيهِ. انْفَتَحَ فَمُهَا، وَكَانَ يُوَدِّرِيكَ يَرْكُلًا، يَخْتَنِقُ، يَمُوتُ.
اِمْتَصَّتْ بَرِيَانَ الْهَوَاءِ بِيَأْسٍ بَيْنَمَا يَخْنُقُهَا الْحَبْلُ خَنْقًا، تَتَأَلَّمُ كَمَا لَمْ تَتَأَلَّمْ مِنْ قَبْلِ
قَطْ.

ثُمَّ إِنَّهَا صَرَخَتْ بِكَلِمَةٍ.

سرسي

السَّيِّئَةُ مويل عجوز شمطاء ملامحها حادَّة كالْفَاس وفمها مزمووم باستنكار دائم. فكَّرت سرسي: أراهنُ أنها لا تزال محتفظةً بغشاء بكارتها، ولو أنه الآن يابس صُلب كالجلد المقوَّى. يصحب المرأة سِتَّة من فُرسان السَّيِّتُون الأعلى الذين يحملون الثُّروس ذات الشَّكل اللوزي، المزيَّنة بسيف قوس قزح رمز جماعتهم الوليدة من جديد.

قالت سرسي الجالسة عند قاعدة العرش الحديدي مرتديَّة الحرير الأخضر وشرائط الزَّينة الذهبية: «أيتها السَّيِّئَةُ، أخبري صاحب القداسة الأعلى بأننا مستاءون منه. إنه يتعدَّى حدوده». كان الزُّمرد يلتمع على أصابعها وفي شعرها الذهبي، وأعين البلاط والمدينة عليها، وهي تعتزم أن تُريهم وجه ابنة اللورد تاويين. مع بلوغ هذه المهزلة نهايتها سيعلمون أن لهم ملكةً حقيقيَّةً واحدةً فقط. لكن علينا أولاً أن نرقص ونرقص ولا نُقوِّت خُطوةً. «الليدي مارچري زوجة ابني المخلصة الرقيقة، رفيقته وشريكة حياته. لم يكن لصاحب القداسة الأعلى الحقُّ في أن يضع يدًا عليها أو يحتجزها وبنات عمومته الصَّغيرات العزيزات علينا جميعًا. أطالبكم بإطلاق سراحهن».

لم يهتزَّ التَّعبير الصَّارم على وجه السَّيِّئَةِ مويل، وقالت: «سأنقلُ كلام جلالتكِ إلي صاحب القداسة الأعلى، لكن يُؤسفني أن أقول إن إطلاق سراح الملكة الصَّغيرة ورفيقاتها ليس ممكنًا إلى أن وما لم تثبَّت براءتهن».

- «براءتهن؟ ما عليكِ إلَّا أن تنظري إلى وجوههن الجميلة لتري كم هن بريئات».

- «كثيرًا ما يُخفي الوجه الجميل قلبًا مليئًا بالخطايا».

تكلم اللورد ميريويدر من مكانه على طاولة المجلس متسائلًا: «ما الجُرم الذي اتَّهمت به أولئك الصَّغيرات ومَن اتَّهمهن؟».

أجابَت السَّيِّئَةُ: «مِجا تايرل وإلينور تايرل متَّهمتان بالفسق والخلاعة والتَّأمُر على ارتكاب الخيانة العُظمى، وألا تايرل متَّهمة بشهادة عارهما والتَّسبُّر عليه. الملكة مارچري متَّهمة بكلِّ هذا أيضًا، بالإضافة إلى الزَّنى والخيانة العُظمى».

وضعت سرسي يدها على صدرها قائلةً: «أخبريني مَن ينشُر هذه الافتراءات عن زوجة ابني! لا أصدِّق كلمةً من هذا. ابني الغالي يحبُّ الليدي مارچري بكلِّ قلبه، ولا يُمكن أن تكون قاسيةً خداعةً هكذا».

- «المُدَّعي فارس من أهل بيتك. السير أوزني كِتلبلاك اعترفَ بمعرفته الحميمة بالملكة للسَّيِّتُون الأعلى نفسه أمام مذبح (الأب)».

على طاولة المجلس شهقَ هاريس سويفت وأشاح المايستر الأكبر پايسل بوجهه، وامتلأ الهواء بالطنين كان في قاعة العرش ألف دُبور. بدأت بعض الليديَّات في الشُّرفة ينسحبن، يتبعهن صَفٌّ من اللوردات والفُرسان الصِّغار من

مؤخّرة القاعة. تركّهم ذوو المعاطف الذهبية يخرجون، لكن الملكة كانت قد أملت على السير أوزفريد أن يُسجّل أسماء كلِّ مَنْ يفرّ. فجأة لم يعد عبير وردة تايرل أخاذًا كما كان.

قالت الملكة: «لا أنكرُ أن السير أوزني شابٌّ له شهواته، لكنه فارس مخلص رغم هذا. إذا قال إنه ضالّع في... لا، مستحيل. مارجري عذراء!».

- «ليست عذراء. لقد فحستها بنفسني نزولاً عند رغبة صاحب القداسة الأعلى. غشاء يكارتها مفضوض. ستؤكد السيّطة أجلانتين والسيّطة ميليسنت هذا، علاوة على نس-تيريكاسيطة الملكة مارجري، التي أح-تجزّت في صومعة توبة بسبب الدور الذي لعبته في عار الملكة. فحسنا الليدي مجا والليدي إل-ينور أي-ضًا، ووج-دنا بكارة الاثنتين مفضوضة».

تعالى طنين الدبابير لدرجة أن الملكة استطاعت سماع أفكارها بالكاد. أتمنّى أن الملكة الصّغيرة وبنات عمومتهاستمتعن برحلات ركوب الخيل.

ضرب اللورد ميريويدر الطاولة بقبضته قائلاً: «الليدي مارجري حلفت أيمانًا مقدّسةً تؤكد عُذريّتها لصاحبة الجلالة ووالدها الرّاحل، وهناك شهود كثيرون على هذا، كما شهد اللورد تايرل أيضًا على براءتها، بالإضافة إلى الليدي أولينا التي نعلم جميعًا أنها فوق مستوى الشبهات. هل تريدوننا أن نصدّق أن كلّ هؤلاء كذبوا علينا؟».

ردّت السيّطة موبل: «ربما خدعوا أيضًا يا سيّدي، ليست عندي بينة على هذا. أستطيع فقط أن أقسم على صحّة ما اكتشفته بنفسني حين فحست الملكة».

كانت صورة هذه الحيزبون العجوز المتجهمّة تضع أصابعها المتغصّنة في فرج مارجري الوردي الصّغير طريفةً لدرجة أن سرسي كادت تضحك. قالت: «إننا مصرون على أن يس-مح صاحب القداسة الأعلى ليميس-تراتنا بفح-ص زوجة ابن-ي للبتّ في صحّة هذه المطاعن. أيها المايس-تر الأكبر پايس-ل، ستصحب السيّطة موي-ل إلى سيّط المحبوب بيلور وترجع إلينا بحقيقة بتولة مارجري».

كان لون وجه پايس-ل يُحاكي الحل-يب الخاثر، ففكّرت الملكة: في اجتماعات المجلس لا يصمّت الأحمق العجوز المأفون أبدًا، لكن الآن عندما أريده أن يلفظ بض-ع كلمات يفقد القدرة على الكلام. ثم إن العجوز نطق أخيرًا، وبصوت راجفٍ قال: «ليس هناك داع لأن أفحص... أعضائها الحميمة. يحزنني أن أقول إن... الملكة مارجري ليست بكّرًا. لقد طلبت مني أن أعدّ لها شاي القمر، ليس مرّة بل عدّة مرّات».

الهدير الذي تبع قوله كان ما أملته سرسي لانستر بالضبط.

حتى دقات الح-اجب الملك-ي بعصاه على الأرض لم تُفليح في إسكات الصّخب، وتركته الملكة يغمرها بض-ع لحظات مس-تطعمة خزي

الملكة الصَّغيرة، ولمَّا طَالَ مِدَّةُ كافِيَّةٍ نهَضَتْ بمَلامح حَجَرِيَّةٍ وأَمَرَتْ ذُوِي
المعاطف الذَّهَبِيَّةَ بإخلاء القاعة، وقالت لنفسها بجدل: انتهى أمر مارچري تايرل.
أحاطَ بها فُرسانها البِيضُ إذ خَرَجَتْ من باب الملك وراء العرش الحديدي؛ بوروس
بلاونت وميرين ترانت وأوزموند كِتْلِبلاك، آخر الباقيين من رجال الحرس الملكي في
المدينة.

كان فتى القمر واقفًا وراء الباب ممسكًا خُشْخِيشته ويُحَمِّقُ إلى الفوضى
بعينه المستديرتين الكبيرتين. ربما يكون مهرِّجًا، لكنه صادق في تهريجه. كان
على ماجي الضفدعة أن ترتدي ثياب المهرِّجين أيضًا لجهلها بالغد. تدعو
سرسي الآلهة أن المحتالة العجوز تَصْرُخَ في قرار الجحيم. الملكة الأصغر التي
تنبأت بمجيئها انطوت صفحتها، وإذا كان يُمكن أن تخيب هذه النبوءة فالبقية أيضًا
ستخيب. لا أكفان ذهبيَّة، لا قالونكار. أخيرًا تحرَّرتُ من نعيك الحاقد.

تبعها باقي أعضاء مجلسها الصَّغير إلى الخارج، وقد بدا هاريس سويفت دائخًا
وتعثر عند الباب وكادَ يَسْقُطُ لولا أن أوران ووترز أمسكته من ذراعه، وحتى أورتون
ميريويذر لاحَ عليه التَّوتُّرُ إذ قال: «العامَّة شغوفون بالملكة الصَّغيرة. لن يَتْرُكُوا
شيئًا كهذا يمرُّ مرور الكرام. أخشى ما قد يَحْدُثُ يا جلالة الملكة».

قال اللورد ووترز: «اللورد ميريويذر محقٌّ. بعد إذن صاحبة الجلالة، سأطلقُ بقيةَ
دُرموناتنا. منظرها في (النَّهر الأسود) وراية الملك تومن تخفق فوقها سيُذكر
المدينة بَمَن يَحْكُمُ هنا، بالإضافة إلى الحفاظ على سلامتها إذا بدأ الغوغاء
الشَّغب من جديد».

ترك أوران البقية بلا ذكر. حالما تَخْرُجُ الدُرمونات إلى الماء ستستطيع منع مايس
تايرل من العودة بجيشه عبر النَّهر، تمامًا كما منعَ تيريون ستانيس من قبل.
ليست لـ(هايجاردن) قوَّة خاصَّة بها في هذا الجانب من (وستروس)، ويعتمد آل
تايرل على أسطول ردواين العائد في الوقت الرَّاهن إلى (الكرمة).

أعلنت الملكة: «خطوة سيّدة. إلى أن تمرَّ هذه العاصفة أريدُ أن تُجَهِّزَ سُفنك
بأطقمها وتَخْرُجَ إلى النَّهر».

لأن وجه السير هاريس سويفت شاحبًا مخضلاً بالعرق حتى
إنه بدا على وشك فقدان الوعي إذ قال: «حين يَبْلُغَ الخبر اللورد
تايرل لن تكون لغضبتك حدود.

ستسيل الدِّماء في الشَّوارع...».

قالت سرسي لنفسها متأملَّة: فارس الدَّجاجة الصَّفراء. حريٌّ بك أن تتخذ دودةً
رمزًا لك أيها الفارس. بالنِّسبة إليك الدَّجاج أشجع من اللازم. إذا كان مايس تايرل
لا يستطيع الهجوم على (ستورمز إند)، فكيف تخاله يجسُر على مهاجمة
الآلهة؟ لمَّا فرغَ من تثيرته قالت: «يجب ألا يبلُغ الأمر حدَّ إراقة الدِّماء. سأذهبُ
إلى (سِيت بيلور) لأتكلم مع الملكة مارچري والسَّيِّتون الأعلى. أعلمُ أن تومن

يحبُّ الاثنين، ولا ريب أنه سيرغب في أن أقيم السَّلام بينهما». ربَّت السير هاريس على جبهته بكُمِّه المخملي مجفِّقًا عرقه، وقال: «السَّلام؟ إذا كان السَّلام ممكناً... هذه شجاعة بالغة منك».

قالت الملكة: «ربما يكون ضروريًّا أن تُعقد محاكمة ما تدحض هذه الافتراءات والأكاذيب الوضيعة وتُري العالم أن مارچري بالبراءة التي نعرفها عنها حقًا». قال ميريويدز: «أجل، لكن ربما يرغب السيِّتون الأعلى في محاكمة الملكة بنفسه كما اعتادت العقيدة محاكمة النَّاس قديمًا».

هذا ما آمله. ليس واردًا أن تنظر محكمة كتلك بعين العطف إلى الملكة الخائنة التي فتحت ساقبها للمغنيين ودنست طقوس (العذراء) المقدَّسة لتُواري عارها. «المهمُّ أن نكتشف الحقيقة، إنني واثقة بأننا جميعًا متفقون على هذا. والآن أيها السَّادة أرجو أن تعذروني، يجب أن أذهب لأرى ابني، فلا ينبغي أن يكون وحده في وقت كهذا».

كان تومن يصطاد القِطط حين عادت أمُّه إليه. تحبُّ الهُريرات مطاردة الفأر الذي صنَّعته له دوركاس من فُصاصات الفرو وربطته بخيط طويل في طرف صنَّارة قديمة، ولا يحبُّ الصَّبِي شيئًا أكثر من جرِّه على الأرض بينما تتوثب هُريراته محاولةً الظَّفر به. بدت عليه الدَّهشة عندما رفعته سرسي بين ذراعيها وقبلته على جبهته، وسألها: «لماذا تُقبِّليني يا أمَّاه؟ ولمَ تبكين؟». أرادت أن تقول له: لأنك آمن، لأن لا أذى سيُصيبك أبدًا. «أنت مخطئ. الأسد لا يبكي أبدًا». سيكون هناك وقت فيما بعد لإخباره بأمر مارچري وبنات عمومته. «ثمَّة أذن أريدك أن تُوقَّعها».

لأجل خاطر الملك لم تضع الملكة الأسماء على أذن الاعتقال، فذيلها تومن بتوقيعه خاليةً وضغط ختمه في الشَّمع الدَّافي بسعادةٍ كعادته، وبعدها صرفته سرسي مع چوسلين سويفت.

وصل السير أوزفريد كِتلبلاك بينما يجفُّ الحبر الذي كتبت به سرسي الأسماء بنفسها؛ السير تالاد الطويل وچالابار شو وهاميش ذو القيثارة وهيو كليفتون ومارك مالدور وبايارد نوركروس ولامبرت ترنبري وهوراس ردواين وهوبر ردواين، بالإضافة إلى ريفيٍّ معيَّن اسمه وات ويدعو نفسه بالشَّاعر الأزرق.

- «كثيرون جدًّا»، قال السير أوزفريد مقلِّبًا الأذن بحذرٍ من الكلمات كأنها صراصير تزحف على الورق. لا أحد من الإخوة كِتلبلاك يقرأ.

- «عشرة. تحت قيادتك ستَّة آلاف من ذوي المعاطف الدَّهبيَّة، عدد يكفي للقبض على عشرة على ما أظنُّ. ربما قرَّ بعض الأذكفاء منهم بالفعل إذا تناهت الأخبار إلى مسامعهم في الوقت المناسب. إن حدث هذا فلا يهمُّ، سيجعلهم غيابهم يبدون مذنبين أكثر. السير تالاد ساذج نوعًا وربما يُحاول مقاومتكم.

أحرص على عدم موته قبل أن يعترف، ولا تُؤذي أبًا من الآخرين. قد يكون بينهم أبرياء». من المهم للغاية أن تجد المحكمة التّوأمين ردواين متّهمين زورًا، إذ سيُبرهن هذا على عدل الأحكام الصّادرة على الآخرين.

قال السير أوزفريد: «سنقبض عليهم جميعًا قبل شروق الشّمس يا جلالة الملكة»، وتردّد لحظةً قبل أن يُردف: «هناك زحام خارج باب (سيّت بيلور)».

- «زحام من أيّ نوع؟». أيّ شيء غير متوقّع يُثير فيها غريزة الحذر، وتذكّرت ما قاله اللورد ووترز عن الشّغب. لم أضع ردّة فعل العامّة في الاعتبار. مارچري كانت حيوانتهم الأليفة. «كم؟».

- «مئة أو نحوها. يزعمون مطالبين السيّتون الأعلى بالإفراج عن الملكة الصّغيرة. يمكننا أن نطردهم إذا أردت».

- «لا، دعهم يزعمون إلى أن تُبحّ أصواتهم. زعيمهم لن يُؤثّر على العُصفور. إنه لا يُصغي إلّا إلى الآلهة». في تخييم الرّعاع الغاضبين على عتبة باب صاحب القداسة الأعلى سخرية قدريّة معيّنة، إذ رفعه رعا ع مشابهون إلى اعتمار النّاج البلّوري. الذي باعه من فوره. «العقيدة لها فُرسانها الآن، فليُدافعوا هم عن السيّت. أوه، وأغلق بوابات المدينة أيضًا. لا أحد يدخّل (كينجز لاندنج) أو يخرج منها دون إذني إلى أن تُسوّى هذه المسألة تمامًا».

قال السير أوزفريد: «كما تأمرين يا صاحبة الجلالة»، وانحنى ثم ذهبَ يجد أحدًا يقرأ له الأذن.

لدى غروب الشّمس يومها كان المتّهمون بالخيانة جميعًا رهن الاعتقال. انهار هاميش ذو القيثارة عندما أتوا يقبضون عليه، وجرّح تالاد الطويل ثلاثة من ذوي المعاطف الذهبية قبل أن يقهره الآخرون، وأمرت سرسي بوضع التّوأمين ردواين في مسكنٍ مريح في بُرج وإرسال البقية إلى الزّنازين.

أخبرها كايرن حين أتى لزيارتها ليلتها: «هاميش يُعاني صعوبةً في التّنفّس ويطلب مايستر».

ردّت: «قُل له إن واحدًا سيذهب إليه ما إن يعترف»، وفكّرت لحظةً ثم أضافت: «إنه أكبر سنًّا من أن يكون واحدًا من العُشّاق، لكن لا شكّ أن مارچري جعلته يعزف ويغنيّ لها بينما تستضيف رجالًا آخرين. سنحتاج إلى تفاصيل».

- «سأعينه على تذكّرها يا جلالة الملكة».

في اليوم التّالي ساعدتها الليدي تاينا ميريويدر على ارتداء ثيابها من أجل زيارتهما الملكة الصّغيرة، وقد قالت لها سرسي: «لا شيء مترفّ أو زاهي الألوان. الأنسب أن ارتدي شيئًا محتشمًا داكنًا للسيّتون الأعلى. غالبًا سيجعلني أصليّ معه»، وفي النّهاية انتقت فُستانًا من الصّوف النّاعم كساها من الرّقبة إلى الكاحلين، على صدره وكُمّيه القليل من فروع الكرم الصّغيرة

المطرزة بخيط ذهبي يُخَفِّف جهامة خطوطه بعض الشيء. الأفضل أن لونه البني سيساعد على إخفاء الوسخ إذا ركعت.

«بينما أواسي زوجة ابني ستكلمين مع بنات عمومتهن الثلاث. اربحي ألا إذا استطعت، لكن توخي الحذر في ما تقولين. ربما لا تكون الآلهة الوحيـدة التي تسمعكما».

لطالما قال چايمي إن أصعب جزء من أي معركة هو الذي يسبقها مباشرة في أثناء انتظار بدء المعركة. حين خرجت سرسي رأت السماء غائمة كئيبة، ولما كانت لا تستطيع المجازفة بالتعرض إلى وابل من المطر ودخول (سيت بيلور) مبتلة ملطخة بالأوساخ فقد قررت ركوب الهودج. لحراستها أخذت عشرة من رجال لانستر وبوروس بلاونت، بعد أن قالت للسير أوزموند: «ربما لا يملك دهماء مارچري الذكاء الكافي للتمييز بين كتيلاك وآخر، ولا يُمكنني أن أدعك ترفع سلاحك ضد العوام. الأفضل أن تبقى بعيدًا عن الأنظار فترة».

إذ شقنا طريقهما عبر (كينجز لان-دنچ) خامرتاينا شكًا مفاجئًا، وقالت بخفوت: «هذه المحاكمة، ماذا لو طالبت مارچري بحسم براءتها من ذنبها عن طريق التّزال؟».

دأبت ابتسامة شفّتي سرسي، وأجابت: «باعتبارها الملكة فلا بُدّ من أن يُدافع عن شرفها أحد رجال الحرس الملكي. كل طفل في (وستروس) يعلم أن الأمير إيمون الفارس الثّنين ناصر أخته الملكة نيريس في مواجهة اتّهامات السير مورجيل... لكن مع إصابة السير لوراس فأخشى أن دور الأمير إيمون سيقع على عاتق أحد إخوته المحلفين»، وهزت كتفيها مواصلةً: «لكن من؟ السير أريس والسير بالون بعيدان في (دورن)، وچايمي في (ريفرن)، والسير أوزموند شقيق الرّجل الذي يتّهمها، وهكذا لا يتبقى إلّا... أوه، ويلى...».

قالت الليدي تاينا ضاحكةً: «بوروس بلاونت ومرين ترانت».

- «نعم، والسير مرين متوّعك منذ فترة. ذكّرني بأن أقول له هذا عندما نعود إلى القلعة».

- «سأفعل يا جميلتي»، والتقطت تاينا يدها وقبّلتها مردفةً: «آملُ ألا أسوء إليك أبدًا. إنك رهيبة حين تُستشارين».

- «كلُّ أمّ تفعل المثل لحماية أطفالها. متى تنتوين المجيء بابتك إلى البلاط؟ اسمه راسل، أليس كذلك؟ يُمكنه أن يتمرن مع تومن».

- «سيتحمس الصّبي لهذا، أعرف... لكن الأمور مضطربة للغاية الآن، وخطر لي أن الانتظار أفضل إلى أن يمرّ الخطر».

- «عمّا قريب. أرسلني خبرًا إلى (الطاولة الطويلة) وقولي لراسل أن يحزم أفضل ستراته وسيفه الخشبي. صديق صغير جديد هو بالضبط ما سيُعين تومن على

نسيان خسارته بعد أن يطير رأس مارچري».

نزلتا من الهودج تحت تمثال بيلور المبارك، وسُرَّت الملكة لرؤية السّاحة نظيفة من العظام والقذارة. صدق قول السير أوزفريد، فالزّحام ليس شديدًا أو فوضويًا كزحام العصفير، وقد وقفَ المحتشدون في مجموعاتٍ صغيرة يرمقون باب (السّيت الكبير) بوجوم، حيث يقف صفٌّ من السّيتونات المبتدئين حاملين التّبايت. لا فولاذ. ليست واثقة إن كانت هذه حكمةً بالغة أم بلاهةً مفرطةً.

لم يُحـاول أحد اعتراض طريقهما، وانزاح لهما العمامة والمبتدئون إذ مرّتا، وبمجرّد دخولهما اسـتقبلهما ثلاثة من الفُرسـان في (بـهو القنـاديل)، يرتدي كلٌّ منـهم معطف أبناء المُحارب ذي ألوان قوس قزح. قالت لهم سرسي: «أنا هنا لرؤية زوجة ابني».

أجابها أحدهم: «صاحب القداسة الأعلى كان يتوقّع حضورك. أنا السير ثيودان الصّادق، المعروف سابقًا باسم السير ثيودان ولز. أرجو أن تتفضّلي معي يا صاحبة الجلالة».

كان العُصفور الأعلى على رُكبتيه كالعادة، هذه المرّة يُصَلّي عند مذبح (الأب)، ولم يقطع صلاته لدى اقتراب الملكة، بل جعلها تنتظر بصبر يكاد ينفد حتى فرغ، وعندها فقط نهضَ وانحنى لها قائلاً: «جلالة الملكة، هذا يوم حزين».

- «حزين للغاية. هل لنا الإذن في الكلام مع مارچري وبنات عمومتها؟». اختارت أن تتّبع أسلوبًا حليماً متواضعًا، فهذا أكثر ما يصلح مع رجلٍ مثله.
- «إذا أردت. تعالي إليّ بعدها يا بنيتي. يجب أن نُصَلّي معًا».

الملكة الصّغيرة حبيسة أعلى أجدابراج (السّيت الكبير) الرّفيعة، زنانتها طولها ثمانية أقدام وعرضها ستة، ولا أثاث فيها إلا سرير من القشّ ودكّة للصّلاة، بالإضافة إلى إبريق ماء ونُسخة من (التّجمة السّباعيّة) وشمعة لقراءتها على ضوءها، والنّافذة الوحيدة ليست أوسع كثيرًا من فتحة رماية.

وجدت سرسي مارچري حافيةً ترتجف، ترتدي ثوبًا من الخيش على غرار الأخوات المبتدئات، وشعرها متشابك وقدماهما متسختان. ما إن صارتا وحدها قالت لها الملكة الصّغيرة: «لقد أخذوا ثيابي. كنتُ أرتدي فُستانًا من الحرير العاجي صدره مزين بلآلئ المياه العذبة، لكن السّيتوات وضعن أيديهن عليّ وجردوني من ثيابي كلّها. فعلن المثل مع بنات عمومتي أيضًا. مجاً دفعت إحداهن وسط الشّموع وأشعلت النّار في ثوبها، لكنني أخشى على آلا. لقد شحبَ وجهها كالحليب ومنعها خوفها من مجرد البكاء».

- «الصّغيرة المسكينة». ليست في المكان مقاعد، فجلست سرسي إلى جوار الملكة الصّغيرة على سريرها، وقالت: «الليدي تاينا ذهبت تتكلّم معها لتجعلها تعلم أنها لم تُنس».

قالت مارچري مغتاطة: «إنه يَرُقُض أن يَتَرُكُنِي أراهن حتى، وفصلَ كلَّ واحدةٍ منا عن الأخريات. إلى أن جئت لم يكن مسموحًا لي بزُورَ إلا السَّيِّتوات. واحدةٍ منهن تأتي كلَّ ساعةٍ لتسألني إن كنتُ أرغب في الاعتراف بفسوقي. حتى النَّوم حرمَني إياه، ويوقِظُني ويَطالِبُني باعترافي. ليلة البارحة اعترفتُ للسَّيِّتة أنلا برغبتني في خزق عينيها».

مؤسفٌ أنك لم تفعلني. كان إعماء سيِّتة عجوز مسكينة كفيلاً بإقناع العُصفور الأعلى بذنبك بالتأكيد. «إنهن يستجوبن بنات عمومتك بالطريقة نفسها».

- «عليهن اللعنة إذن، فليذهبن إلى الجحائم السَّبع. ألا رقيقة خجول. كيف يفعلن بها هذا؟ ومجا... أعرف أن ضحكتها صاخبة كعاهرةٍ على أرضة الميناء، لكنها ما زالت بنتاً صغيرةً في قلبها. إنني أحبهن وهن يحبَّني. إذا كان هذا العُصفور يُريد أن يجعلهن يكذبن بشأني...».

- «أخشى أنهن متَّهَمات أيضاً، ثلاثهن».

امتقعَ وجه مارچري، وقالت: «بنات عمومتي؟ آلا ومجا بالكاد أكبر من طفلتين. جلالة الملكة، هذا... هذا قُبَح. هل ستُخرجيننا من هنا؟».

ردَّت بصوتٍ مفعم بالأسى: «ليتنى أقدرُ. صاحب القداسة الأعلى أمرَ قُرسانه الجُدُد بحراستكن. لتحريركن عليَّ إرسال ذوي المعاطف الذهبية وتدنيس هذا المكان المقـدَّس بـالقتل»، والتقيـطت سـرسي يـدي مارچري متابعـة: «لكنني لـم أضـيع الـوقت سُدّي. لقيـد جمعتُ كلَّ من ذكـر السـير أوزنـي أنـهم عُشاقـك. إنـني واثقـة بأنـهم سيـشهدون لصاحب القداسة الأعلى ببراءتك ويُقسِمون عليها في محاكمتك».

كان في نبرة الفتاة خوف حقيقي الآن وهي تقول: «محاكمتي؟ أوجب أن تكون هناك محاكمة؟».

قالت سرسي: «كيف ستثبتين براءتك دونها؟»، واعتصرت يد مارچري مطمئنةً، وأردفت: «من حقك أن تُقرري نوع المحاكمة بالطبع. إنك الملكة، وفُرسان الحرس الملكي مقسمون على الدفاع عنك».

فهمت مارچري في الحال، فقالت: «محاكمة بالنزال؟ لكن لوراس مصاب، وإلاّ لكان...».

- «إن له سِتّة إخوان».

حدّقت مارچري إليها، ثم سـحبت يـديها قائلـة: «أهـذه مزحـة؟ بـوروس جبـان، ومـرين عـجـوز وبـطيء، وأخـوك مُعـاق، والآخـران فـي (دورن)، وأوزمونـد مـن عائلـة كـتلبلاك اللعينة. لوراس له إخوان لا سِتّة. ما دامت المحاكمة بالنزال فأريدُ أن يُناصِرني جارلان».

- «السير جارلان ليس عُضواً في الحرس الملكي. عندما يكون شرف الملكة

مثار خلاف يفرض القانون والعُرف أن يكون نصيرها من سبعة الملك المحلّفين. أخشى أن السيّتون الأعلى سيصرُّ». سأحرصُ على هذا.

لم تردّ مارجري في الحال، لكن عينيها البنيّتين ضاقتا شكًّا، وأخيرًا قالت: «بلاونت أو ترانت، لا مفرّ من أن يكون النّصير أحدهما. سيُعْجِبُكِ هذا، أليس كذلك؟ أوزني كِتْلَبلاك يستطيع تمزيق أيّهما إربًا».

بحقّ الجحائم السيّع. تظاهرت سرسي بالألم قائلة: «أنتِ مخطئة في حقّي يا ابنتي. لستُ أريدُ إلا...».

- «... ابنك، لك وحدك. لن تكون له زوجة لا تكرهينها أبدًا. وأنا لستُ ابنتك والشكر للآلهة. اترُكيني».

- «إنكِ تتكلّمين بحماقة. أنا هنا لمساعدتكِ فقط».

- «لمساعدتي على الذهاب إلى قبري. طلبتُ منك أن ترحلي. هل ستجعليني أنادي سجّاناتي ليجرّنكِ إلى الخارج أيتها الحقيرة الشريرة المتآمرة الكريهة؟».

لملمت سرسي ثُورتها بكرامة، وردّت: «لا بُدّ أن الموقف يُخيفك بشدّة. سأغفرُ لك ما قلّته». هنا، كما في البلاط، لا يدري المرء إن كان أحدهم يتنصّت. «كنتُ لأخاف أيضًا لو أنني في مكانك. المايستر الأكبر پايسل أقرّ بتزويدك بشاي القمر، والشاعر الأزرق... لو كنتُ في مكانك يا سيّدي لطلبتُ من (العجوز) الحكمة ومن (الأم) رحمتها. أخشى أنك قد تصيرين في حاجةٍ ماسّة إلى الاثنتين قريبًا».

اصطحبت أربع سيّتوات ذابلات الملكة إذ نزلت سلالم البُرج، وقد بدّت كلّ من الحيزبونات أوهن من الأخرى. حين بلغن الأرض واصلن الطريق إلى أسفل في قلب (تل فيزينيا)، وانتهت الدّرجات تحت الأرض بمسافةٍ طويلة، حيث يُضيء صَف من المشاعل المتذبذبة ردهةً طويلةً.

وجدت السيّتون الأعلى منتظرًا إياها في غرفة اجتماعاتٍ صغيرة سُباعيّة الجوانب، غرفة تقليديّة متواضعة جدرانها الحجريّة عارية من الطلاء وفيها طاولة خشبيّة غير متقنة الصّنع وثلاثة مقاعد ودكّة صلاة. على الجدران نُقِشت وجوه (السبعة)، وقد عدّت سرسي النقوش بدائيّةً قبيحةً، ولو أن فيها قوّة معيّنة، خصوصًا في الأعين الكرويّة المصنوعة من الجزّع والملّكيت وحجارة القمر الصّفراء، والتي تبعث الحياة في الوجوه بشكلٍ ما.

قال السيّتون الأعلى: «تكلّمت مع الملكة».

قاومت الرّغبة في أن تقول: أنا الملكة، وردّت: «نعم».

- «كلُّ البشر يرتكبون الذُّنوب، حتى الملوك والملكات. أنا نفسي ارتكبتُ ذنوبًا ونلتُ المغفرة. لكن لا مغفرة دون اعتراف، والملكة ترُفض أن تعترف».

- «ربما تكون بريئة».

- «ليست بريئة. السيِّتوات الموقَّرات فحسبها ويشهدن بانفضاض غشاء يكرتها. لقد شربت شاي القمر لتقتل ثمرة زناها في رحمها، وثمة فارس أقسم على سيفه بمعرفته الحميمة بها وباثنتين من بنات عمومتها. يقول إن آخرين عاشروها أيضًا، وذكر أسماء رجالٍ كثر، منهم الوضع ومنهم عالي المقام».

- «ذوو المعاطف الذهبية أخذوهم جميعًا إلى الزنازين. واحد فقط خضع للاستجواب حتى الآن، مطرب اسمه الشاعر الأزرق. وما قاله مزعج. على الرغم من هذا أدعو الآلهة أن تثبت براءة زوجة ابني عند مثولها للمحاكمة»، وتردَّدت سرسي لحظةً، ثم قالت: «تومن يحبُّ ملكته الصَّغيرة كثيرًا يا صاحب القداسة، وأخشى أن يكون إصدار حُكم عادل عليها من قبله أو قبل لورداته صعبًا. ربما الأفضل أن تتولَّى العقيدة المحاكمة؟».

شبَّكَ العُصفور الأعلى يديه قائلاً: «خطرَ لي الفكرة ذاتها يا صاحبة الجلالة. كما سلبَ ميجور المتوجِّش العقيدة سيوفها حرمانًا چهيرس المُصلح موازين العدل، لكن من يصلح حقًا للحُكم على ملكةٍ إلا (السَّبعة في الأعالي) والمقسمون على خدمتهم على الأرض؟ ستتولَّى محكمة موقرة من سبعة قضاة القضية، ثلاثة من جنسك الأنثوي، عذراء وأم وعجوز. مَنْ أجدر منهن بالحُكم على آثام النِّساء؟».

- «سيكون هذا أفضل، لكن لا شكَّ أن لمارجري الحَقَّ في المطالبة بإثبات ذنبها أو براءتها بمحاكمةٍ بالنِّزال، وفي تلك الحالة يجب أن يكون نصيرها من حرس تومن السَّبعة».

- «فُرسان الحرس الملكي يخدمون كمناصرين شرعيَّين للملك والملكة منذ عهد إجون الفاتح. صوت التَّاج والعقيدة واحد في هذه المسألة».

دفنت سرسي وجهها بين يديها متظاهرةً بالحُزن، ولمَّا رفعت رأسها ثانيةً التمعت عبرة في عينيها، وقالت: «هذه أيام حزينة بالفعل، لكن يسرُّني أن أجدا على وفاقٍ تام. أعرفُ أن تومن كان ليَشْكُرَكَ لو أنه هنا. أنا وأنت يجب أن نَعْتُرَ على الحقيقة معًا».

- «سنفعل».

- «يجب أن أرجع إلى القلعة. بعد إذنك سأخذُ السير أوزني كتلبلاك معي. سيُريد أعضاء المجلس الصَّغير استجوابه وسماع اتِّهاماته بأنفسهم».

ردَّ السيِّتون الأعلى: «لا».

مجرد كلمة، كلمة واحدة صغيرة، غير أنها بمثابة ماء مثلج قذفه في وجهها. حدَّقت إليه وقد اهتزَّت ثقتها قليلًا، وقالت: «سنحتجز السير أوزني في مكانٍ أمين، أعدك».

- «إنه محتَجَز في مكانٍ آمِن هنا. تعالي، سأريكِ».

شعرت سرسي بأعين (السبعة) ترمقها، أعين من اليبس والملَكيت والجزع، وسرت في جسدها رعدة خوفٍ مباغته باردة كالجليد، لكنها قالت لنفسها: أنا الملكة، ابنة اللورد تايوين، وبترددٍ تبعته.

لم يكن السير أوزني بعيدًا. توقفًا عند غرفةٍ مظلمة مغلقة بابٍ حديديٍّ ثقيل، وأخرج السيِّتون الأعلى مفتاحًا والتقطَ مشعلًا من على الجدار ليضيء الغرفة من الداخل قائلاً: «بعدك يا جلالة الملكة».

في الداخل كان أوزني يكتلب لأك مع لقا عاريًا من السَّقْف، يتأرجح من سلسلتين حديديتين ثقيلتين، مجلودًا تكاد ضربات السُّوط تكشف لحم ظهره وكتفيه كـله وتتقاطع الجروح على ساقيه ومؤخرته.

لم تحتمل الملكة النَّظر إليه، والتفتت إلى السيِّتون الأعلى قائلةً: «ماذا فعلتم؟!».

- «سعينًا إلى معرفة الحقيقة بكلِّ جدية».

- «لقد قال الحقيقة، أذاك بإرادته الحرة واعترف بخطاياها».

- «نعم، فعلَ هذا. لقد سمعتُ اعترافات رجالٍ كثيرين يا صاحبة الجلالة، لكن نادرًا ما سمعتُ رجلًا مسرورًا بذنوبه لهذه الدرجة».

- «لقد جلدتموه!».

- «لا توبة دون ألم. لا يجدرُ بامرئ أن يستغني عن ضربات السيِّاط كما أخبرْتُ السير أوزني. إنني نادرًا ما أشعرُ بقُربي من الإله كما أشعرُ حين أجلدُ تكفيرًا عن خطاياي، ولو أن أسوأ خطاياي ليس بسواد خطاياها».

قالت متلعثمةً: «لـلكنك تُبشِّر برحمة (الأم)».

- «وسيتذوق السير أوزني هذا اللِّين العذب في العالم الآخر. مكتوب في (النَّجمة السُّباعية) إن الآلهة تغفر الذنوب كلها ولكن لا بُدَّ من عقاب المرء على ما يقترفه من جرائم. أوزني كِتلبلاك مذنَّب بالخيانة والقتل، وعقوبة الخيانة الموت».

إنه مجرد رَاهِب، لا يُمكنه أن يفعل هذا. «ليس للعقيدة أن تحكم على أحدٍ بالموت مهما كانت جريرته».

ببطءٍ ردَّد السيِّتون الأعلى الكلمات وازنًا إياها: «مهما كانت جريرته»، ثم أردف: «الغريب يا جلالة الملكة أنه كلما أخلصنا في جلد السير أوزني تغيَّرت جرائمه. الآن يُريدنا أن نُصَدِّق أنه لم يلمس مارچري تايرل بتاتًا، أليس كذلك يا سير أوزني؟».

فتح أوزني كِتلبلاك عينيه، ولمَّا رأى الملكة واقفةً أمامه لعقَ شفثيه

المتورّمتين، وقال: «(الجِدَار)، لقد وعدتني بـ(الجِدَار)».

قالت سرسي: «إنه مجنون، قُدموه إلى الجنون».

سألَ السِّيتون الأعلى بصوتٍ حازمٍ واضح: «سير أوزني، هل لك معرفة حميمة بالملكة؟».

صلصَلت القيود بخفوتٍ إذ تلوّى أوزني، وأجابَ: «أجل، هذه الملكة، هي الملكة التي نكحتها، التي أرسلتني لقتل السِّيتون الأعلى السَّابق. لم يكن له حرس. دخلتُ وهو نائم وخنقته بالوسادة».

ودارت سرسي على عقبيها تجري.

حاولَ السِّيتون الأعلى الإمساك بها، لكنه مجرّد عُصفورٍ عجوز وهي اللَّبؤة ابنة (الصَّخرة). دفَعته جانبًا واندفعت من الباب صافقةً إياه وراءها بصوتٍ صახب.

الأخوان كِتلبلاك، أحتاجُ إلى الأخوين كِتلبلاك. سأرسلُ أوزفريد بذوي المعاطف الذهبية وأوزموند بالحرس الملكي، وما إن يُحرّروه سيُنكر أوزني كلَّ شيءٍ وأُخْلِصُ نفسي من هذا السِّيتون الأعلى كما تخلصتُ من سلفه. اعترضت السِّيتوات المسنَّات الأربع طريقها ومددن أيديهن المتغضنة محاولات القبض عليها، لكنها أسقطت إحداهن على الأرض وخمشت أخرى على وجهها واستطاعت بلوغ السَّلام. في منتصف الطريق إلى أعلى تذكرت تاينا ميريويدر وتعثرت لاهثة. لِنَقِذني (السَّبعة).

تاينا تعرف كلَّ شيء. إذا أخذوها أيضًا وجلدوها...

جرت حتى صحن السِّيت لكنها لم تستطع الابتعاد أكثر من هذا. هناك نسوة ينتظرنها، المزيد من السِّيتوات والأخوات الصَّامتات أيضًا، أكثر شبابًا من الشَّمطاوات الأربع بالأسفل. صاحت متراجعةً: «أنا الملكة. سأقطعُ رؤوسكن لهذا، سأقطعُ رؤوسكن جميعًا. اترُكنني أمرًا»، وبدلًا من ذلك وضعن أيديهن عليها. جرت سرسي إلى مذبح (الأم)، إلا أنهن أمسكن بها هناك، نحو عشرين منهن، وجررنها راكلةً على سلالم البُرج من جديد، وداخل زنانتها ثبَّتتها ثلاث أخوات صامتات بينما جرّدتها سِيتة اسمها سكوليرا من كلِّ ما تلبسه، بما فيه ثيابها الداخليّة، وألقت لها سِيتة أخرى ثوبًا من الخيش. ظَلَّت الملكة تصرّخ فيهن: «لا يُمكنكن أن تفعلن هذا. إنني من آل لانستر. اترُكنني. سيقتلكن أخي، سيشقكن چايمي من الحلق إلى الفرج. اترُكنني! أنا الملكة!».

قالت السِّيتة سكوليرا: «على الملكة أن تُصَلِّي»، قبل أن يترُكنها عاريةً في الرِّزانة الباردة الموحشة.

ليست سرسي خائفةً كما رجى تايرل لترتدي الثوب الحقيق وتستسلم للسِّجن. سأعلِمهن معنى حبس الأسد في قفص. مرّقت الثوب مئة قطعة، والتقطت إبريق الماء وهشّمته على الحائط، ثم فعلت المثل بوعاء الفضلات،

فلَمَّا لم يأتِ أحدٌ بدأتِ تدقُّ البابَ بقبضتيها. حُرَّاسُهَا بالأسفلِ في السَّاحةِ، عشرةٌ من رجالِ لانسْتِر والسَّيرِ بوروسِ بلاونت. حالما يسمعونَ سيأتونَ لإطلاقِ سراحِي، وسأجرُّ العُصفورَ الأعلى الملعونَ إلى (القلعةِ الحمراء) مكبَّلاً بالسَّلاسلِ.

عندَ البابِ وعندِ النَّافِذةِ صرختِ وركلتِ وعوتِ حتَّى بُحَّ صوتُها، ولم يردِّ عليَّ أحدٌ، ولم يأتِ يُنقِذْها أحدٌ. بدأتِ الزَّزانةُ تُظلمُ وتزدادُ برودةً، وأخذتِ سرسِي تترتجفُ. كيف يَتَرُكُّني هكَذَا دونَ نَارٍ؟ إنني ملكتُهن. بدأ الـنَّدَمُ يُسـوِّدُها على تمزيقِ الثَّوبِ الخيشِ. على السَّريرِ القَشِّ في الـرُّكنِ دثارٌ من الصَّوفِ البَيِّضِ الخفيفِ الخشنِ، لكنه كلُّ ما لديها، وقد انكمشتِ سرسِي على نفسها تحته لتُوقِفَ رجفتها، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ قبل أن تغيبَ في نومٍ مرهَقٍ.

ثم إذا بيدٍ ثَقِيلَةٍ تهزُّها، واستيقظتِ في زَزانةٍ سوداءِ كالقار لتجدَ امرأةً قبيحةً ضخمةً تركعُ إلى جوار السَّريرِ حاملةً شمعَةً. سألتها الملكة: «مَنْ أنتِ؟ هل جئتِ لإطلاقِ سراحِي؟».

- «أنا السَّيِّئَةُ أُونلا، جئتُ أسمعُ اعترافكِ بالقتلِ والزَّنى».

ضربتِ سرسِي يدها مزيجَةً إياها، وقالت: «سأقطعُ رأسكِ. إياكِ أن تلمسيني، ابتعدي».

نهضتِ المرأةُ قائلةً: «جلالةُ الملكة، سأعودُ بعدَ ساعة. ربما تكونينِ مستعدَّةً للاعترافِ حينها».

ساعةٌ تلو الساعةِ تلو الساعةِ. هكذا مرَّت على سرسِي لانسْتِر أطولُ ليلةٍ في حياتها باستثناء ليلةِ زفافِ چوفري. حَلَقها مسحوجٌ من فرطِ الصَّياحِ لدرجة أنها تبتلعُ ريقها بصعوبةٍ، وبرودةِ الزَّزانةِ تُجمِّدُ. كانت قد حطمتِ وعاءَ الفضلاتِ، فاضطرتْ إلى القرفصةِ في رُكنٍ لتتبولَ وتُشاهدَ البولَ يسيلُ على الأرضِ. كلما أغلقتِ عينيها تجدُ أُونلا فوقَ رأسِها من جديدٍ، تهزُّها وتسالها إن كانت تُريدُ الاعترافَ بخطاياها.

لم يجلبَ لها النَّهارُ راحةً. مع شروقِ الشَّمسِ أُنْتها السَّيِّئَةُ مويلٌ بوعاءٍ من عصيدةٍ رماديَّةٍ مسيخةٍ، فألقتهِ سرسِي على رأسِها، لكن حينَ أُنْتها بَابريقِ ماءٍ جديدٍ لم يَتَرُكْ لها عطشُها الشَّدِيدُ خيـارًا إلَّا الشُّربَ، ولمَّا أُنْتها بثوبٍ آخرٍ رمادي رقيقٍ زينِخِ الرَّائجةِ تناولتهِ وغطتِ بهِ عُرْيَها، ولبتِها عنـدما عادتِ مويلُ الكَلِّ الخُبزِ والسَّمكِ وطلبتِ نبيذًا، لكن نبيذًا لم يظهر، فقط السَّيِّئَةُ أُونلا في زيارتها المحسوبةِ بالسَّاعةِ تسألُ الملكةَ إن كانت مستعدَّةً للاعترافِ.

بينما بدأتِ شريحةُ السَّماءِ الرَّفيعةُ خراجَ نافذتها تُظلمُ ثانيةً تساءلتِ سرسِي في قرارةِ نفسها: كيف يَحْدُثُ هذا؟ لِمَ لم يأتِ أحدٌ ينتزعني من هنا؟ لا تُصدِّقِ

أن يتخلّى الأخوان كِتْلِبلاك عن شقيقهما. وأعضاء مجلسها، ماذا يفعلون؟ رعايد وخبونة. حين أخرج من هنا سأمُ بضرب أعناقهم جميعًا وأجدُ رجالًا أفضل يحلون محلهم.

ثلاث مرّاتٍ يومها ترمى إلى مسامعها صياح بعيد من السّاحة، لكن الرّعاع كانوا يهتفون باسم مارچري لا اسمها.

قُرب فَجر اليوم التّالي فيما تعلق سرسي ما تبقى من الثّريد في قاع الوعاء انفتحَ باب الزّزانة بلا سابق إنذار ودخلَ اللورد كايبرن. بذلت أقصى جهدها كي لا تُلقِي نفسها بين ذراعيه، وهمست: «كايبرن، أوه، يا للآلهة، كم أنا سعيدة لرؤية وجهك. خُذني إلى البيت».

- «لن يُسمَح بذلك. ستمثّلين أمام محكمةٍ موقّرة من سبعة قضاة بتهمة الاغتيال والخيانة والزّنى».

كانت سرسي مرهقةً للغاية حتى إن الكلام بدا لها فارغًا في البداية، وقالت: «تومن. أخبرني بأمر ابني، ألا يزال الملك؟».

- «بلى يا صاحبة الجلالة. إنه بسلامٍ وخير، آمِن وراء جُدران (حصن ميجور) ويحميه الحرس الملكي، لكنه يشعُر بالوحدة والاضطراب، ويسأل عنك وعن ملكته الصّغيرة. لم يُخبره أحد بعدُ ب... ب...».

- «... أزمّتي؟ وماذا عن مارچري؟».

- «ستمثّل للمحاكمة أيضًا أمام القضاة أنفسهم. لقد سلّمتُ الشّاعر الأزرق إلى السيّبتون الأعلى وفقًا لأوامرك. إنه هنا الآن في مكان ما بالأسفل. هامسوي أخبروني بأنهم يجلدونه، لكنه حتى الآن يُغني الأغنية الجميلة نفسها التي لقّناه إياها».

فكّرت بذهنٍ خدرٍ من جرّاء الحاجة إلى النّوم: الأغنية الجميلة نفسها. وات، اسمه الحقيقي وات. إذا شاءت الآلهة سيموت وات بضربات الكُراچ تاركًا مارچري بلا سبيل إلى دحض شهادته. «أين فُرساني؟ السير أوزفريد... السيّبتون الأعلى سيقتل أخاه أوزني. لا بدّ أن يتحرّك ذوو المعاطف الذهبيّة...».

- «لم يعد أوزفريد كِتْلِبلاك يقود حرس المدينة. الملك نحّاه من منصبه وعيّن قائد (بوابة التّنين) في مكانه، اسمه همفري ووترز».

كانت سرسي منهكةً للغاية، ولا شيء من هذا له معنى. «لماذا فعلَ تومن هذا؟».

- «اللّوم ليس على الصّبي. حين يضع مجلسه مرسومًا أمامه يُدّله بتوقيعه ويمهره بختمه».

- «مجلسي... مَن... مَن فعلَ هذا؟ أنت؟».

- «لقد صُرفتُ من المجلس للأسف، لكنهم يسمحون لي بالاستمرار في العمل

مع هامسي الخصي في الوقت الحالي. البلاد يحكمها السير هاريس سويقت والمايستر الأكبر پايسل، وقد أرسلًا عُداً إلى (كاسترلي روك) داعيين عمك إلى العودة إلى البلاط وتولي الوصاية على العرش. إذا كان سيقبل فالأفضل أن يُسرّع. مايس تايرل تخلى عن حصار (ستورمز إند) ويزحف على المدينة بجيشه، وراوندل تارلي في الطريق من (بركة العذارى) أيضاً.»

- «هل وافق اللورد ميريويدز على هذا؟».

- «ميريويدز استقال من منصبه في المجلس وفرّ عائداً إلى (الطاولة الطويلة) مع زوجته التي كانت أول من أبلغنا نبأ... الاتهامات... ضد جلالتك.».

- «تركوا تاينا تذهب إذن». هذا أفضل شيء سمعته منذ قال السيبتون الأعلى لها لا. كان يمكن أن تحكم تاينا عليها بالهلاك. «وماذا عن اللورد ووترز؟ سفته... إذا جلب أطقمها إلى اليايسة فسيكون معه رجال يكفون ل...».

- «بمجرد أن بلغت أخبار أزمة جلالتك الحالية النهر رفع اللورد ووترز قلوعه وأنزل مجاذيفه وأخذ أسطوله إلى البحر. السير هاريس يخشى أنه ينوي الانضمام إلى اللورد ستانيس، وپايسل يعتقد أنه مبحر إلى (الأعتاب) ليكون قُرصاناً.».

- «كُلُّ دُرمون-اتي الجميلة». كـادَت سـرسي تـضـحـك. «اعتـادَ أبـي أن يـقـول إن النـغـول مـخـادعون بـالفـطرة. لـيتـني أصـغـيُ إلـيـه»، وارتجفت مضيفة: «لقد ضعت يـا كايبرن».

ردّ: «لا»، والتقط يدها مواصلاً: «ما زال الأمل باقياً. لجلالتك الحق في إثبات براءتك بالنزال، ونصيرك جاهز يا مولاتي. لا أمل لرجل في (الممالك السبع) بأسرها في الصمود أمامه. إذا ألقيت الأمر فقط...».

هذه المرة ضحكت. كان الأمر طريفاً، طريفاً على نحو رهيب، طريفاً على نحو بشع. «الآلهة تُحيل آمالنا وخططنا جميعاً إلى دُعابات. لي نصير لا يقوى رجل على هزيمته لكنني ممنوعة من استخدامه. أنا الملكة يا كايبرن، وليس لأحد أن يدافع عن شرفي إلا أخ محلف في الحرس الملكي».

ماتت الابتسامة على وجه كايبرن، وقال: «مفهوم. إنني حائر يا جلالة الملكة، ولا أدري بم أنصحك...».

حتى في حالة الإرهاق والخوف هذه تعلم الملكة أنها لا تستطيع ائتمان محكمة من العصافير على مصيرها، ولا يمكنها الاعتماد على تدخل السير كيثان بعد ما قيل بين هما في لقاء هما الأخـير. يجب أن تكون محاكمة بالقتال، لا سبيل آخر. «كايبرن، لأجل حبك لي أنوسل إليك أن تبعث برسالة من أجلـي. أرسل عُداً إن أستطعت، وإن لم تستطع فأرسل خيلاً. يجب أن تُرسل إلى أخي في (ريقرن). أخبره بما جرى واكتب... اكتب...».

- «نعم يا جلالة الملكة؟».

لَعَقَتْ شَفَتَيْهَا مَرْتَعِدَةً، ثُمَّ قَالَتْ: «تَعَالَ فِي الْحَالِ. سَأَعِدْنِي.
أُنْقِذْنِي. إِنِّي مُحْتَاجَةٌ إِلَيْكَ الْآنَ كَمَا لَمْ أَحْتَاجْ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلُ قَطُّ.
أَحْبُوكَ، أَحْبُوكَ، أَحْبُوكَ. تَعَالَ فِي الْحَالِ».

- «كما تأمرين. «أحبُّك» ثلاث مرَّات؟».

- «ثلاث مرَّات». يجب أن تُؤثِّرَ فيه. «سيأتي، أعلمُ أنه سيأتي، يجب أن يأتي.
چايمي أُملي الوحيد».

قال كايرن: «مولاتي، هل... نسيتِ؟ السير چايمي فقدَ يدَ سيفه. إذا ناصركِ
وخسر...».

... فسُتْغَادِرُ هَذَا الْعَالَمَ مَعًا كَمَا جِئْنَا مَعًا. «لن يخسر، ليس چايمي، ليس
وحياتي على المحك».

چایمی

كان سيّد (ريقررن) الجديد غاضبًا إلى حدّ الارتجاف وهو يقول: «لقد خُدِعنا، هذا الرَّجُلُ تلاعبَ بنا!»، وتطايّر اللعاب الوردي من فمه إذ أشار بإصبعه إلى إدميور تلي متابعًا: «سأقطعُ رأسه! أنا الحاكم في (ريقررن)، مرسوم الملك يقول إنني...».

قاطعت زوجته: «إمون، حضرة القائد على درايةٍ بمرسوم الملك، السير إدميور على درايةٍ بمرسوم الملك، عمّال الاسطبلات على درايةٍ بمرسوم الملك». - «أنا اللورد، وأريدُ أن يُقطعَ رأسه!».

- «بأيّ جريمة؟». على الرغم من هزاله يبـدو إدمـيور أكثر وقارًا من إمون فراي، وقد ارتدى سراويل زرقاء ومعطفًا مبطّنًا من الصوف الأحمر على صدره تطريز لسمكة الترويت الواثبة، وانتعل حذاءً من الجلد الأسود، وغسل شعره الكستنائي وهذبه وشذب لحيته الحمراء بعناية. «لقد فعلتُ كلَّ المطلوب مني».

لم يكن چایمی لانستر قد نامَ منذ فتحت (ريقررن) بوابتها، وأحسَّ برأسه يدقُّ إذ قال: «أوه؟ لا أذكرُ أنني طلبتُ منك أن تتركَ السير برايندن يهرُب».

- «طلبت مني أن أسلّم القلعة لا عمّي. لماذا الأمرُ إن كان رجالك هم من تركوه ينسلُّ من بين صفوفهم؟».

لم تُرضِ الإجابة چایمی، وسألَ مبدئيًا حنقه: «أين هو؟». لقد فتّش رجاله (ريقررن) ثلاث مرّات ولم يجدوا للسير برايندن تلي أثرًا.

- «لم يذكُر لي أين سيذهب».

- «وأنت لم تسأله. كيف خرج؟».

أجاب إدميور مبتسمًا: «السّمك يعوم، حتى السّمك الأسود».

راودت چایمی رغبة شديدة في أن يلكمه في فمه بيده الذهبية، فبضع أسنانٍ مفقودة كفيلة بوضع حدٍّ لابتساماته هذه. بالنسبة إلى رجل سيقضي ما تبقى له من عمـرٍ سـجنيًا يبـدو إدمـيور تـلي مسـرورًا للغاية بنفسه. هكذا

خاطبه قائلًا: «عنـدنا تحـت (كاسـتـرلي روك) ديـاميس⁶⁸ تنضـغط على جسـد المرء بضيقٍ بزّةٍ مدرّعة، لا يُمكنك أن تدور فيها أو تجلس أو تمد يدك إلى قدميك حين تبدأ الجرذان تقضم أصابعهما. هل ترغب في إعادة النّظر في هذه الإجابة؟».

اختفت ابتسامة إدميور، وقال: «لقد أعطيتني كلمتك بأنني سأعاملُ بتكريمٍ يليق بمقامي».

ردّ چایمی: «وهكذا ستعامل. فُرسان أنبل منك ماتوا متوجّعين في تلك

الدَّيَّامِيس، وعدّة لوردات عظام أيضًا، ناهيك بملكٍ أو اثنين إن كنتُ أذكرُ ما تعلّمتُه من التاريخ. يُمكن لزوجتك أن تنزل بالدَّيَّماس المجاور لك إذا أردت، فليستُ أرغبُ في التّفريق بينكما».

قال إدميور عابسًا: «لقد خرجَ عومًا حقًّا». للرّجل عينا أخته كاتلين الزّرقاوان، وفيهما يرى چايمي الازدراء نفسه الذي رآه من قبل في عينيها. «رفعنا شبكة (بوّابة الماء) الحديدية، ليس عن آخرها، نحو ثلاثة أقدام فقط، ما يكفي لترك ثغرة تحت الماء بينما تظلُّ البوّابة تبدو مغلقة. عمّي سبّاح قوي، وبعد حلول الظلام خرجَ من تحت الشبكة».

وسبحَ من تحت السِّلْسلة بالطريقة نفسها لا ريب. ليلة بلا قمر وحرّاس ضجّرون وسمكة سوداء في نهرٍ أسود يحملها التّيّار يهدوئ نحو المصبِّ. لو سمعَ روتيجر أو يـاو أو أجـد رجالهما الميـاه تتنـأثر لـعزوا الـصّوت إلـى سـمكة تـرويت أو سلحفـاة. لكن إدميور قد انتظرَ أغلب النّهار قبل أن يُنزل راية ذئب سـتارك البرّهيـب دلالةً علـى الاستسلام، ومع فوضى تسليم القلعة لم يعرف چايمي أن السمكة السوداء ليس ضمن الأسرى إلّا صباح اليوم التّالي.

ذهبَ إلـى النّافـذة وتطلّع إلـى النّهر الـذي تتـلألأ أشـعة الشّمس علـى صـفحتـه فـي هـذا النّهار الخريفي الصّحـو، وفـكر: ربـمـا يكـون السّمكة الـسّوداء قد ابتـعـدَ عشـرة فراسخ بالفعل. قال إمون فراي بإصرار: «يجب أن تَعثروا عليه».

ردّ چايمي بثقة لا يشعُر بها: «سنعثُر عليه. لقد أرسلتُ كلاب صيدٍ وصيَّادين يقتفون أثره بالفعل». يقود السير أدام ماربراند البحث على ضفة النّهر الجنوبيّة، ويقوده السير درموت ابن (الغابة المطيرة) على الشماليّة. كان چايمي قد فكّر في الاستعانة بلوردات النّهر أيضًا، لكن الأرجح أن يُساعد فانس وپاير ومن هُم على شاكلتهما السمكة السوداء على الهرب بدلًا من تقييده بالأصفاد. إجمالًا لا يرى أملًا، لكنه قال: «ربما يُراوغنا بعض الوقت لكنه سيظهر في النّهاية».

- «وماذا لو حاولَ أن يأخذ قلعتي؟».

- «إن معك حاميةً قوامها مئتا رجل». حامية أكبر من اللازم في الحقيقة، لكن اللورد إمون ينزع إلى القلق دومًا. على الأقل لن تُواجهه مشكلة في إطعامها، إذ تركَ السمكة السوداء (ريقرن) مزوّدةً بغائض من المؤن، تمامًا كما ادّعى. «بعد ما تجشّمه السير برايندن كي يتركنا أشكُّ في أنه سيعود». ما لم يكن على رأس جماعةٍ من الخارجين عن القانون. ما لا يشكُّ فيه هو نيّة السمكة السوداء استكمال القتال.

قالت الليدي چينا لزوجها: «هذا مقرُّك وعليك الحفاظ عليه. إن لم تكن تستطيع هذا فأضرم فيه النّار وارجع إلى (الصخرة)».

فرك اللورد إمون فمه لِيَلَطِّخَ التَّبَغُ المُرَّ يده بالأحمر اللّزج، وقال: «بالتأكيد. (ريفررن) لي، ولا أحد سِيَأْخُذْهَا مِنِّي أَبَدًا»، وحدج إدميور تلي بنظرة ريبية أخيرة بينما سحبتَه الليدي چنا من الغُرفة الشَّمْسِيَّة.

لَمَّا صارا وحدهما سأل چايمي إدميور: «هل من شيءٍ آخر ترغب في إخباري به؟».

قال تلي: «هذه غُرفة أبي الشَّمْسِيَّة. مِن هنا حكمَ أراضي النّهر بالعقل والعدل. كان يحبُّ الجلوس عند تلك النّافذة. الإضاءة جيّدة هناك، ومتى رفعَ ناظريه عن عمله كان يرى النّهر، ولمّا تتعب عيناه كان يجعل كات تقرأ له. في مرّةٍ بنيتُ قلعةً من القوالب الخشب مع الإصبع الصّغير، هناك إلى جوار الباب. لن تعلم أبداً كم تُعْثِنِي رؤيتك في هذه الغُرفة يا قاتِل الملك، لن تعلم أبداً كم أحتقرُك».

لكنه مخطئ في هذا. قال چايمي: «لقد احتقرني رجال أفضل منك يا إدميور»، ونادى أحد الحرس وأمره قائلاً: «خُذَ حضرة اللورد إلى بُرجه واحرص على إطعامه».

وخرج سيّد (ريفررن) صامتاً. غداً سيبدأ رحلته غرباً، وسيقود السير فورلي پرستر حراسته المؤلفة من مئة رجلٍ منهم عشرون فارساً. يَحْسُنُ أن أضعف هذا العدد.

قد يُحاول اللورد بريك تحرير إدميور قبل أن يَبْلُغُوا (النّاب الذهبِي). لا يُريد چايمي أن يضطرَّ إلى أسر تلي للمرّة الثالثة.

عادَ إلى مقعد هوستر تلي والتقطَ خريطة (الثالوث) وسوّاها بيده الدّهبيّة متسائلاً: أين أذهبُ لو كنتُ السّمكة السّوداء؟ ظهرَ حارس عند الباب المفتوح قائلاً: «حضرة القائد، الليدي وسترلينج وابنتها منتظرتان في الخارج كما أمرت».

أزاح چايمي الخريطة، وقال: «أدخل-هما». على الأقل لِمَ تخبّئ الفتاة أيّضاً. كانت چاين وسترلينج ملكة روب ستارك، الفتاة التي كلّفته كلّ شيء، وإذا كان في بطنها ذئب فهي أخطر من السّمكة السّوداء.

لا تبدو چاين خطيرة. فتاة غصّة هي، لا تتجاوز الخامسة أو السادسة عشرة من العمر، وتبدو أقرب إلى الدّخق من الرّزانة، ولها وركبان قويّان وثديان بحجم تفّاحتين وشعر بنيّ ضارب إلى الحمرة وعينا طبيّةٍ بَنِيَّتَانِ رقيقَتان. حسناء كفايةً بالنّسبة إلى طفلة، لكنها ليست فتاةً تستحقّ خسارة مملكةٍ من أجلها. رأى وجهها منتفخاً وقشرة جرحٍ على جبهتها تُخفيها خُصلة من شعرها جزئياً، فسألها: «ماذا حدث لك؟».

أشاحت الفتاة بوجهها، وقالت أمّها بحزم: «لا شيء». المرأة صارمة الملامح، ترتدي فُستاتاً من المخمل الأخضر وتُحيط بعُنقها الطويل الرّفيع قلادة من الأصداف الدّهبيّة. «رفضت التّخلي عن التّاج الذي أعطاه المتمرّد إياه، وحين

حاولتُ أن آخذه منها قاومتني الطِفلة العنيدة».

قالت چاين باكيةً: «كان ملكي. لم يكن لكِ حق. روب جعلهم يصنعونه من أجلي. لقد أحببته!».

رفعت أمها يدها تصفعها، لكن چايمي اعترض طريق الليدي سبيل وقال لها محدراً: «إياك وهذا»، ثم أردف: «فلتجلس كلتاكما»، فانكشيت الفتاة على مقعدها كحيوان خائف، في حين جلست أمها بجمودٍ رافعةً رأسها باعتداد. سألهما: «هل تشربان نبيذاً؟»، فلم تُجب الفتاة، أما أمها فقالت: «لا، شكرًا».

غمغم چايمي: «كما تُريدين»، والتفت إلى الفتاة قائلاً: «آسفٌ لخسارتك. الصبي كان شجاعاً، أعترف بهذا. ثمة سؤال يجب أن ألقيه عليك... هل تحملين طفله يا سيديتي؟».

هبت چاين من مقعدها، وكانت لتهرع هاربةً من الغرفة لولا أن الحارس على الباب أمسك ذراعها، وبينما قاومت ابنتها محاولةً الإفلات أجابت الليدي سبيل: «ليست حاملاً، لقد تيقنتُ من هذا كما طلبَ مني السيد والدك».

أوماً چايمي برأسه. لم يكن تايوين لانستر بالرجل الذي يُغفل تفصيلاً كهذه. قال للحارس: «أتزك الفتاة. فرغتُ منها في الوقت الحالي»، وإذ أسرعت چاين تنزل السلالم تطلع إلى أمها، وقال: «عائلة وسترلينج نالت العفو، وأخوك رولف نُصّب سيّداً على (كاستامير). ماذا تُريدين منا غير هذا؟».

- «السيد والدك وعدني بزيعةٍ لائقةٍ لچاين وأختها الصغيرة، وعدَ بأن يكون زوج كلٍّ منهما من اللوردات أو ورثتهم لا الأبناء الأصغر أو فرسان أهل بيتهم».

من اللوردات أو ورثتهم، بالتأكيد. وسترلينج عائلة عريقة فخورة، لكن الليدي سبيل نفسها وليدة عائلة سپايسر، وتنحدر من ذرية تجار ناسبوا من هم أعلى منهم مقاماً. كانت جدتها عرافةً شبيهةً مجنونةً من الشرق على ما يذكر، وآل وسترلينج فقراء. في مسار الأحداث الطبيعي لكان الأبناء الأصغر أفضل ما تأمله ابنتا سبيل سپايسر، لكن جرةً كبيرةً من ذهب لانستر كفيلة بجعل أرملة متمردٍ ميت جذابةً لأحد اللوردات. قال چايمي: «ستحصلين على الزيجتين، لكن يجب أن تنتظر چاين سنتين كاملتين قبل أن تتزوج ثانيةً». إذا تزوجت الفتاة من جديد بعد فترةٍ قصيرة وأنجبت ابناً فمن المحتم أن يتهامس بعض الناس قائلين إن الذئب الصغير هو الأب.

ذكرته الليدي وسترلينج قائلةً وفي نبرتها لمحة من التأنيب: «إن لي ابنين أيضاً. رولام معي، لكن راينالد كان فارساً وذهب مع المتمردين إلى (التوأميتين). لو عرفتُ ما سيحدث هناك لما سمحتُ له بالذهاب علي الإطلاق. لم يكن راينالد يعلم شيئاً عن... التفاهم مع السيد والدك. ربما يكون أسيراً في (التوأميتين)».

أو ربما يكون ميتاً. لم يكن والدر فراي ليعلم بأمر هذا «التفاهم» أيضاً. «سأستعلم عنه. إذا كان السير راينالد أسيراً فسندفع فديته».

- «السيد والدك ذكر ترتيب زيجة له أيضًا، بعرويس من (كاسترلي روك). قال إن راينالد سينال منه چوي إذا سار كل شيء كما نأمل».

حتى من القبر ما زالت يدا اللورد تايوين الميتين تُحرّكانا جميعًا. «چوي ابنة عمي الرّاحل جيريون الطّبيعيّة. يُمكن عقد الخطبة إذا أردت، لكن على الزّواج أن ينتظر. چوي كانت في التّاسعة أو العاشرة عندما رأيتهَا آخر مرّة».

بدت الليدي سيبيل كأنها ابتلعت ليمونة وهي تقول: «ابنته الطّبيعيّة؟! أتريد ابناً لعائلة وسترلينج أن يتزوّج نغلة؟!».

- «ليس أكثر مما أريد أن تتزوّج چوي ابن حقيرة متأمرة خائنة. إنها تستحقّ أفضل». كان لئسعد چايمي لحظتها أن يَخُنق المرأة بقلادة الأصداف المحيطة بعُنقها.

چوي طفلة رقيقة وإن كانت وحيدة، وكان أبوها عمّ چايمي الأثير. «ابنتك برقة عشر منك يا سيّديتي. ستُغادرون مع إدميور والسير فورلي غدًا، وحتى ذلك الحين خير لك أن تغرّبي عن وجهي»، وزعق منادياً حارساً، وذهبت الليدي سيبيل بشفتين مزمومتين عن آخرهما. تساءل چايمي رغماً عنه عن قدر ما عرفه اللورد جاون عن تأمر زوجته. وما قدر ما نعرفه نحن الرّجال أبداً؟ حين رحل إدميور وآل وسترلينج ذهب معهم أربعمئة رجل، ففي اللّحظة الأخيرة قرّر چايمي مضاعفة الحراسة مرّة أخرى، وركب معهم بضعة أميال ليتحدّث مع السير فورلي پرستر. على الرغم من وجود رأس ثور على سترته الطويلة وقرنين على خوذته لا يبدو على السير فورلي أنه يمت بأيّ صلة للثيران، فهو رجل قصير نحيل خشن، وبأنفه الضيق ورأسه الأصـلـع ولحيته البنيّة المنقطـة بالرمادي يبدو أقرب إلى صاحب خان من فارس. قال له چايمي مذكّراً: «لسنا نعرف مكان السمكة السوداء، لكن إذا استطاع تحرير إدميور فسيُفعل».

كأكثر أصحاب الخانات ليس السير فورلي بأحمق، وقد أجاب: «لن يحدّث يا سيّدي. سيسبقنا الكشّافة في أثناء الزّحف وسنُحصّن معسكراتنا ليلاً. انتقيت عشرة رجال للبقاء مع تلي لي نهار، أفضل رجل الي من رُماة القوس الطويـل. إذا حادّ قداماً واحداً عن الطّريق سـيُطـلـقـون عليـه سـهـاماً يكفـي ريشـها لجعل أمّه نفسـها تحسبه إوزة».

- «عظيم». يُخبّذ چايمي أن يصل تلي إلى (كاسترلي روك) سالماً، إلّا أن موته أفضل من هربه. «الأفضل أن تضع بعض الرُّماة قُرب ابنة اللورد جاون أيضاً».

قال السير فورلي مندهشاً: «ابنة جاون؟ إنها...».

- «... أرملة الذّئب الصّغير، وأخطر مرّتين من إدميور إذا هربت منا».

- «كما تقول يا سيّدي، سنضعها تحت المراقبة».

اضطرَّ چایمی إلى المرور خبئًا بآل وسترلینج في طريق العودة إلى (ریقرن).
أومًا له اللورد جاون بتجهّم إذ رآه، لكن الليدي سبیل رمقته بعينين من جليد،
في حين لم تره چاین أصلًا. كانت الأرملة راكبةً بعينين مُطرقتين، وقد رفعت
قلنسوة معطفها الذي تلوح من تحت طبّاته الثّقيلة ثياب أنيقة لكن ممزّقة.
مزّقتها بنفسها علامةً على الجِدَاد. لا يُمكن أن هذا سرّ أمّها. وجدَ نفسه
يتساءل إن كانت سرسي ستشقُّ فُستانها إذا أتاها نبأ موته ذات يوم.

لم يَعد إلى القلعة مباشرةً، بل عبرَ (الجُلمود) مرّةً أخرى ليزور إدوين فراي
ويُناقش معه نقل سُجناء جِدّه الكبير. كان جيش فراي قد بدأ يحلُّ معسكراته
خلال ساعاتٍ من استسلام (ریقرن)، وراحَ حملة راية اللورد والدر ومُحاربوه غير
النّظاميين يقتلعون الخوازيق من الأرض استعدادًا للرّحيل. رأى رجال فراي
الباقين يحلون معسكرهم أيضًا، لكن إدوين كان مع عمّه النّغل في سُرادق
الثاني.

وجدَ الاثنين مائلين فوق خارطةٍ يتجادلان بانفعال، لكنهما بترا كلامهما لدى
دخول چایمی، وقال ريفرز بكياسةٍ باردة: «حضرة القائد»، لكن إدوين اندفعَ يقول:
«دم أبي على يدك أيها الفارس».

أدهشَ هذا چایمی بعض الشّيء، وتساءلَ: «كيف؟».

- «أنت الذي أرسلته إلى الدّيار، أليس كذلك؟».

كان على أحدهم أن يفعل. «هل وقعَ للسّير رايمان سوء؟».

قال والدر ريفرز: «شُنِقَ مع مجموعته كلّها. الخارجون عن القانون هاجمّوهم
على بُعد فرسخين من (السوق القصيّة)».

- «دونداريون؟».

- «هو أو ثوروس أو تلك المرأة قلب الحجر».

قطّب چایمی وجهه. رايمان فراي كان أبله وجبانًا وسكّيرًا، وليس واردًا أن يفتقده
أحد كثيرًا، بالذات أهله من آل فراي. إذا كانت عينا إدوين الجاقتان قرينةً فحتى
أبنـاؤه أنفـسـهم لـن يحزنـوا عليـه طويـلًا. ولـو... هؤلاء
الخارجون عن القانون يزدادون جرأةً ما داموا قد شـنقوا وريـث
اللورد والدر على بُعد أقلّ من يومٍ من (التّوأمتين). «كم رجلًا كان
مع السّير رايمان؟».

أجابَ ريفرز: «ثلاثة فُرسان ودسته من الجنود. كأنهم كانوا يعرفون أنه عائد إلى
(التّوأمتين) بحراسةٍ خفيفة».

التوى فم إدوين، وقال: «أراهن أن لأخي يدًا في هذا. لقد سمحَ للخارجين عن
القانون بالهرب بعد أن قتلوا ميريت وپيتّر، وهذا هو السّبب. بموت أبينا لا يتبقى
إلاي بين والدر الأسود و(التّوأمتين)».

قال والدريقرز: «لا دليل لديك على هذا».

- «لست محتاجاً إلى دليل، إنني أعرف أخي».

ردّ ريفرز بإصرار: «أخوك في (سيجارد). أتى له بأن يعرف بعودة السير رايمان إلى (التوأمتين)؟».

أجاب إدوين بمرارة: «أحدهم أبلغه. إن له جواسيسه في معسكرنا، لك أن تثق بهذا».

وأنت لك جواسيسك في (سيجارد). يعرف چايمي أن العداوة بين إدوين ووالدريقرز عميقة، لكنه لا يُبالي مقدّر ذرّة بخلافه أيهم لجدّهما الأكبر في سيادة (المعبر).

قال بنبرة جافّة: «إذا سمحتما لي بالتطّقل عليكما في حزنكما، ثمّة أمور أخرى علينا تسويتها. لدى عودتكما إلى (التوأمتين) أرجو منكما إبلاغ اللورد والدريقرز بأن الملك تومن يطلب جميع الأسرى الذين أخذتموهم في الزّفاف الأحمر».

ردّ السير والدريقرز عابساً: «هؤلاء الأسرى قيّمون أيها الفارس».

- «لم يكن جلالته ليطلبهم لو أنهم بلا قيمة».

تبادل فراي وريفرز نظرة، ثم قال إدوين: «سيتوقّع السيّد جدّي تعويضاً عن هؤلاء الأسرى».

وسيناله ما إن تثبت لي يد جديدة. قال بكياسة: «كلّنا لنا توقّعاتنا. أخبرني، هل السير راينالد وسترلينج بين هؤلاء الأسرى؟».

قال إدوين هازناً: «فارس الأصداف؟ ستجد الأسماك تتغذى عليه في قاع (الفرع الأخضر)».

أضاف والدريقرز: «كان في السّاحة عندما خرج رجالنا لقتل الذّئب الرّهيب. طالبه والن بسيفه فسلمه بإذعان، لكن حين بدأ رُماة النّشابيّة إطلاق سهامهم على الذّئب انزعّ فأس والين وأطلق سراح الوحش من الشّبكة التي ألقيه عليه. والين يقول إنه أصيب بسهم في كتفه وآخر في بطنه، ومعه ذلك اس تطاع بلوغ أعلى السور وإلقاء نفسه في النّهر».

قال إدوين: «ترك أثراً من الدّم على السّلام».

سأل چايمي: «هل عثرت على جثته بعدها؟».

- «عثرنا على ألف جثة بعدها. بعدما يقضون بضعة أيام في مياه النّهر يبدون متشابهين جميعاً».

علّق چايمي: «سمعتُ المثل عن المشنوقين»، ثم انصرف.

بحلول الصّباح التّالي لم يتبقّ من معسكر فراي إلّا الدّباب وروث الخيول ومشنقة

السير رايمان المرتفعة بكآبة على ضفة (الجلمود). أراد ابن خاله أن يعرف ماذا يفعل بها وبمعدّات الحصار التي بناها، المدكات والسلاحف⁶⁹ والأبراج والمجانيق، واقترح دافن أن يجروا كل هذا إلى (شجرة الغدافن) لاستخدامه هناك، لكن چایمی قال له أن يضرّم النار في كل شيء بدايةً بالمشنقة، وأضاف: «أنوي أن أتعامل مع اللورد تايئوس بنفسی. لن يتطلّب الأمر أبراج حصار». ابتسم دافن ابتسامة عريضة من تحت لحيته الكثّة، وقال: «نزال فردي يا ابن العمّة؟ لا يبدو هذا عدلاً. تايئوس شيخ طاعن في السنّ». شيخ طاعن في السنّ له يدان.

ليلتها تقا تلّ مع السير إلین ثلاث ساعات. كانت واحدة من أفضل لياليه، فلو كان قتالهما حقيقاً لفتك به پايـن مرتين، أمّا المعتاد فإن يموت ست مرّات على الأقل، وفي بعض الليالي يكون الأمر أسوأ. أعلن چایمی: «إذا استمررت على هذا المنوال سنة أخرى فربما أصير ببراعة بك»، فأصدّر السير إلین صوت الطقطقة إياه الذي يعني أنه يضحك. «هلمّ، لنشرب المزيد من نبيذ هوستر تلي الأحمر الممتاز».

أمسى التّبيذ جزءاً من طقوسهما اللّيلة. السير إلین نديم الشّراب المثالي، إذ لا يُقاطعه أبداً أو يُخالفه أو يشتكى أو يطلب خدماتٍ أو يحكي قصصاً طويلة لا غاية منها. كل ما يفعله هو الشّرب والإنصات.

قال چایمی بينمـا يمـلاً كأسيهما: «حريّ بي أن أقطع السنة أصـدقائي جمیعاً، وأهلـی أيـضاً. كم ستكون سرسي الصّامتة رائعة، ولو أنـی سـأفتقد لسـانها حين أقبلها»، ورشف من التّبيذ الأحمر القاني. كان خلواً قوياً، وقد دفّاه إذ ابتلعه. «لا أذكر متى بدأنا التّقبيل، لكنه كان بريئاً في البداية، ثم لم يعد كذلك»، وأفرغ باقي التّبيذ في جوفه ووضع كأسه جانباً مضيقاً: «أخبرني تيريون ذات مرّة بأن أكثر العاهرات لا يُقبّلن زبائنهن، قال إنهن يُضاجعنك حتى العمى، لكنك لن تشعّر بشفاهن على شفّتك أبداً. هل تحسب أن أختي تُقبّل كتلبلاك؟». لم يُجب السير إلین، فتابع چایمی: «لا أظن أنه يليق بي أن أقتل أخي المحلّف. عليّ أن أخصيه وأرسله إلى (الجدار). هذا ما فعلوه بلوكامور الشّهواني. بالطبع ربما لا يتقبّل كتلبلاك الإخصاء ببساطة، ويجب وضع أخويه في الاعتبار أيضاً، فالإخوة خطرون أحياناً. بعد أن أعدم إجون غير الجدير السير تيرانس توين لنومه مع عشيقته بذل إخوة توين قصارى جهدهم لقتله، ولكن بفضل الفارس التّنين لم يكن قصارى جهدهم كافياً، وإن لم يكن للتّواني في المحاولة. كل هذا مدوّن في (الكتاب الأبيض)، كل شيء باستثناء ما أفعله بسرسي».

مرّر السير إلین يده على خلقه.

قال چایمی: «لا. تومن فقدّ أخاه والرّجل الذي يحسبه أباه. إذا قتلت أمّه

سيكرهني... وستجد زوجته الصَّغيرة الجميلة وسيلةً لصَبِّ هذه الكراهية في مصلحة (هايجاردن)».

ابتسم السير إلين بطريقةٍ لم تَرُقَ چايمي، فقال لنفسه: ابتسامة قبيحة وروح قبيحة، وقال للرجل: «إنك تتكلم كثيرًا».

في اليوم التَّالي رجعَ السير درموت ابن (الغابة المطيرة) خاوي الوفاض، ولدى سؤاله عمَّا وجده أجاب: «الذِّئَاب، مئات من تلك الحيوانات اللَّعينة». بسبب الذِّئَاب فقدَ حارسين عندما خرجت من الظَّلام لتفترسهما. «رجلان مسلَّحان يرتديان الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى، ولم يُخِفا الوحوش على الإطلاق. قبل أن يموت چايت قال إن القطيع تقوده ذئبة هائلة الحجم، ذئبة رهيبة على حدِّ تعبيره. هاجمت الذِّئَاب الملعونة صفوف خيولنا أيضًا وقتلت جوادي المفضَّل». قال چايمي: «ربما تتكفل حلقة من النّار حول معسكركم ليلاً بإبعادها»... ولو أنه يتساءل هل يُمكن أن تكون ذئبة السير درموت الرَّهيبة الذَّئبة نفسها التي نهشت چوفري قُرب مفترق الطرق؟ ذئاب أو لا ذئاب، أخذ السير درموت خيولاً جديدةً ومزياً من الرّجال في الصَّبّاح التَّالي لاسـتئناف البحث عن براينـدن تلي. بعد ظهر اليوم نفسه أتى لوردات (الثَّالوث) چايمي يَطْلُبون إذنه في العودة إلى أراضيهم، ومنحهم إياه. أرادَ اللورد پاير أن يعرف ما سيحدث لابنه مارك، فوعده چايمي قائلاً: «ستُدفع فدية جميع الأسرى».

إذ غادرَ لوردات أراضي النّهر تخلفَ كاريل فانس ليقول: «لورد چايمي، يجب أن تذهب إلى (شجرة الغدقان). تايئوس لن يستسلم أبداً ما دامَ چونوس على أبوابه، لكنني أعلمُ أنه سيركع لك»، فشكره چايمي على نصيحته.

كان العُفر القوي الرّاحل التَّالي، وقد أرادَ العودة إلى (داري) ليُقاتل الخارجين عن القانون كما وعد، وقال: «لقد قطعنا نصف البلاد اللعينة، ومن أجل ماذا؟ كي تجعل إدميور تلي يُبَلِّل سراويله؟ لا أغنيّة في هذا. أريدُ أن أقاتل!»

أريدُ كلب الصَّيد يا چايمي، هو أو لورد (الثُّخوم)».

- «رأس كلب الصَّيد لك إذا استطعت أن تقطعه، لكن عليك أن تقبض على بريك دونداريون حيًّا كي يُؤخذ إلى (كينجز لاندنج). يجب أن يراه ألف من النّاس يموت وإلا فلن يظلّ ميتاً»، فدمدمَ العُفر معترضاً لكنه وافقَ في النّهاية، وفي اليوم التَّالي رحلَ مع مُرافقه وجنوده، بالإضافة إلى چون بتلي الحليق الذي قرّر أن مطاردة الخارجين عن القانون خير من العودة إلى زوجته الشَّهيرة بدمامتها، والتي يُفترض أن لها اللّحية التي يفتقر إليها بتلي.

ما زالَ على چايمي أن يتعامل مع الحامية، وقد أقسمَ رجالها عن آخرهم أنهم لا يعلمون شيئاً عن خطط السير برايندن أو أين ذهب. قال إمون فراي بالحاج: «كـاذبون»، لكن چايمي لا يحسب هـذا، وردّ: «إذا لم تُطـلع

أحدًا على حُططكَ فلا يُمكن أن يخونكَ أحد»، فاقترحت الليدي جن-إخضاع عدي من الرجال للاستجواب، لكنه رفض قائلاً: «لقد وعدتُ إدميور بأن تُغادر الحامية بسلامٍ إذا استسلمَ».

قالت عمته: «وكانت هذه شهامة منك، لكن ما نحتاج إليه هنا هو القوة وليس الشَّهامة».

سَلِي إدميور عَن شَهامتي، سَلِيه عَن المنجن-يق. بش-كلٍ ما لا يحسب چايمي أن الماييس-ترات س-يخلطون بين-ه وبين الأمير إيمون الفارس التَّيْن ح-ين يُدَوِّنون س-يرته، وعلى الرغم من ذلك يحس بقناعةٍ عجيبَةٍ. الح-رب تُوشِك على وض-ع أوزاره-ا. (دراجونس-تون) س-قطت ولا شكَّ أن (س-تورمز إن-د) س-تلحق ب-ها عَمَّا ق-ريب، وهن-يئاً لستانيس ب-(الجدار)، فلن يحبه الشماليون أبداً أكثر مما أحبه لوردات أراضى العواصف، وإذا لم يبطش به رويس بولتون فسيُدَمِّرُه الشِّتاء.

ولقد قامَ بدوره هنا في (ريقرن) دون أن أن يحمل السِّلاح ضد آل ستارك أو تلي، وما إن يَعُثُر على السَّمكة السوداء سيكون حُرّاً في العودة إلى (كينجز لاندنج) حيث ينتمي. مكاني مع مليكي، مع ابني. تُرى هل يُريد تومن أن يعرف ذلك؟ من شأن الحقيقة أن تُكَلِّف الصَّبِي عرشه. هل تُؤثِّر أن تحظي بأبٍ أم كُرسِيٍّ يا فتى؟ يتم-نِّي چايمي ل-و يعرف الج-واب. إن-ه يحب وض-ع ختم-ه على الأوراق ح-قاً. ربم-ا لا يُصَدِّق-ه الصَّبِي من الأصل طب-عاً، إذ س-تقول س-رسي إن-ه يك-ذب. أخت-ي الجميلة المخادعة. علي-ه أن يحد طريق-ة لان-تزع ت-ومن من براثن-ها قبل أن يتحوَّل إلى جوفري آخر، وبينم-ا يفع-ل ه-ذا علي-ه أن يحد للصَّبِي مجل-ساً ص-غيراً ج-ديداً أي-ضاً. إذا أزيحت س-رسي فربما يُوافق السير كيثان على أن يكون يد تومن. وإن لم يقبل فلا بأس، (الممالك السَّبع) لا تفتقر إلى الرجال القادرين. فورلي پرستر اختيار جيّد، أو رولاند كراكهول، وإذا دَعَت الحاجة إلى رجل غير غربي لإرضاء آل تايرل فماتيس روان متاح دائماً... أو حتي پيتر بايلش. الأصبع الصَّغير وديع بقدر ما هو ذكي، لكن مولده أكثر تواضعاً من أن يُهَدِّد أباً من كبار اللوردات، إذ إن لا جُنْد تحت إمرته. اليد المثالي.

رحلت حامية تلي في الصَّباح التَّالي بَعْد تجريدِها من السِّلاح والدُّروع، وقد سُمِحَ لكلِّ رجلٍ بطعامٍ يكفي ثلاثة أيام والثياب على ظَهره، بَعْد حلفه يميناً مغلظةً بعدم رفع السِّلاح ضد اللورد إمون أو عائلة لانستر أبداً.

قالت الليدي چنا: «إذا كنت محظوظاً فربما يصون رجل واحد من كلِّ عشرة يمينه».

- «جيّد. أفصِّلُ أن أواجه تسعة رجالٍ على عشرة، فربما كان العاشر قاتلي».

- «سَيَقْتُلُكَ التَّسعة الآخرون بالسَّريعة نفسها».

- «أفضل من أن أموت في الفراش». أو في المرحاض.

اختارَ رجلان ألا يرحلا مع الآخرين. فضّل السير دزموند جرل -قيّم سلاح اللورد هوستر العجوز- ارتداء أسود حرس الليل، وكذا السير روبن رايجر قائد الحرس في (ريقرن)، وقال جرل: «هذه القلعة بيتي منذ أربعين عامًا. تقول إن لي حرية الرحيل، ولكن إلى أين؟ إنني أكبر سنًا وأكثر بدانةً من أن أصير فارسًا متجولًا، لكنهم يُرجّبون بالرجال دومًا على (الجدار)».

على الرغم من انزعاجه البالغ قال چايمي: «كما ترغبان»، وسامح للرجلين بالاحتفاظ بأسلحتهما ودروعهما، وكتب دسسته من رجال جريجور كليج-اين باصطحبهما إلى (بركة العذاري). عهدَ إلى رافورد الملقب بالمعسول بالقيادة، وقال له: «أحرص على بلوغ الأسيرين (بركة العذاري) دون أن يُصيبهما أذى، وإلا لبدا ما فعله السير جريجور بالكبش كدُعابةٍ مرحة مقارنةً بما سأفعله بك».

مرت أيام أخرى، وجمعَ اللورد إمون (ريقرن) كلَّها في الساحة، قوم اللورد إدميور وقومه، وكلّهم لما يقرب من ثلاث ساعاتٍ عن المتوقع منهم الآن وقد صار سيدهم ومولاهم، ملوحًا بين الحين والآخر بورقته فيما أصغى عمال الاسطبلات والخادمت والخادون بصمتٍ واجمٍ وسقط عليهم جميعًا مطر خفيف.

كان المغني مع المنصتين، هذا الذي أخذه چايمي من السير رايمان فراي، وقد وجده واقفًا تحت بابٍ مفتوح حيث لا يُبَلِّله المطر. قال الرجل: «كان جديرًا بحضرة اللورد أن يحترف الغناء. هذه الخطبة أطول من أغنية شعبية من (التخوم)، ولا أظنه توقف يلتقط أنفاسه».

ضحك چايمي رغمًا عنه، وقال: «اللورد إمون ليس في حاجةٍ إلى التنفّس ما دام يستطيع المضغ. هل ستؤلف أغنيةً عن هذه الخطبة؟».

- «واحدةً طريفةً، سأسميها (كلام مع الأسماك)».

- «فقط لا تُغنيها على مسمع من عمّتي». لم يُلْقِ چايمي للرجل بالًا من قبل. إنه صغير الحجم، ويرتدي سراويل خضراء بالية وسترة مهترئة لونها الأخضر أفتح درجةً ومرفعةً بقطع من الجلد البني، وله أنف طويل حاد وابتسامة واسعة طليقة، وينسدل شعره البني الخفيف حتى ياقته ملبدًا متسخًا. في الخمسين من العمر على الأقل، مطرب متجول أكلت عليه الحياة وشربت. سأله چايمي: «ألم تكن رجل السير رايمان لما وجدتكَ؟».

- «لمدة أسبوعين فقط».

- «كنت لأحسبك رحلت مع آل فراي».

قال المغني مشيرًا برأسه إلى اللورد إمون: «هذا من آل فراي، وهذه القلعة تبدو مكانًا لطيفًا مريحًا لقضاء الشتاء. وات ذو الابتسامة البيضاء عادَ إلى دياره

مع السـير فورلـي، فخطر لـي أن أرى إن كنـتُ أسـتطيعُ الظَّفـر بمكانـه. واثـم يتمـتَّع بـتلـك النِّبـرة العـالـيـة العـذبة التـي لا أـمـل لأـمـثـالي فـي مـضـاهاتـها، لكنـي أعـرفُ ضـعـف مـا يـعـرفـه مـن الأـغـاني البـذيئة، بـعد إـذـن سيـدي».

قال چايمي: «هذا كفيل بجعلك تُعَجِب عَمَّتِي للغاية. إذا كنت تأمل أن تقضي الشتاء هنا فاحرص على أن يسرَّ غناؤك الليدي چنا، فهي المهمة».

- «وليس أنت؟».

- «مکانی مع الملك. لن أمکت هنا طويلًا».

- «يُؤَسِّفُنِي أَنْ أَسْمَعَ هَذَا يَا سَيِّدِي. إِنِّي أَعْرِفُ أَغَانِي أَفْضَلَ مِنْ (أَمْطَارِ كَاسْتَامِير). كَانَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أُغَنِيَ لَكَ... أَوْه، أَغَانِي مِنْ شَتَّى الْأَصْنَافِ».

- «مَرَّةً أُخْرَى. مَا اسْمُكَ؟».

رَفَعَ الْمُغَنِّي قَبْعَتَهُ مَجِيئًا: «توم ابن (الجداول السَّبْعَة)، بَعْدَ إِذْنِ سَيِّدِي، لَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ يَدْعُونَنِي بِتُومِ أَبِي السَّعَاتِ».

- «غناءً جميلاً يا توم يا أبا السَّعَاتِ».

لِيلَتَهَا حَلَمَ چَايْمِي بِنَفْسِهِ فِي (سَيِّت بِيَلُور) الْكَبِيرِ، مَا زَالَ وَاقِفًا يَحْرُسُ جُثَّةَ أَبِيهِ. كَانَ السَّيِّت سَاكِنًا مَظْلَمًا إِلَى أَنْ بَرَزَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قَلْبِ الظَّلَالِ وَمَشَتْ الْهُوْنِي نَحْوَ النَّعْشِ، فَسَأَلَهَا: «أَخْتَاه؟».

غير أنها لم تكن سرسي. كانت مسربلةً بالرّمادي، أختًا صامتةً تُخفي قلنسوةً ولثام ملامحها، لكنه رأى ضوء الشُّموع المنعكس في يركتي عينيها الخضراوين. قال: « أيتها الأخت، ماذا تُريدين مني؟»، وتردّدت أصداء كلمته الأخيرة في جنبات السَّيْت، مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني.

رَدَّتْ: «لَسْتُ أُخْتِكَ يَا چایمی»، ورفعت يَدًا شاحبةً ناعمةً وأنزلت قلنسوتها متسائلةً: «هل نسيتني؟».

كيف أنسى أحدًا لم أعرفه قطُّ؟ احتبست الكلمات في حلقه. إنه يعرفها بالفعل، لكن زمنًا طويلًا مضى...

- «هَلْ سَتَنْسِي السَّيِّدَ وَالِدَكَ أَيُّضًا؟ تُرَى هَلْ عَرَفْتَهُ بِحَقِّ يَوْمًا؟». عَيْنَاهَا خَضِرَاوَانٌ، وَشَعْرُهُ زَهَبٌ مَغْزُولٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ تَخْمِينَ سِنَّهٗا. فِي الْخَامِسَةِ عِشْرَةِ أَوِ الْخَمْسِينَ. ارْتَقَتِ الدَّرَجَاتُ لَتَقِفَ إِلَى جَوَارِ النَّعْشِ قَائِلَةً: «لَمْ يَتَحَمَّلْ قَطُّ أَنْ يَضْحَكَ مِنْهُ النَّاسُ. هَذَا أَكْثَرُ شَيْءٍ كَرِهَهُ».

- «مَنْ أَنْتَ؟». رَجَبٌ أَنْ يَسْمَعَهَا تَقُولُهَا.

- «السُّؤال هو مَنْ أنت؟».

- «هذا حلم».

قالت: «أهو كذلك؟»، وابتسمت مضيئةً: «احصِ يديك يا صغيري».

واحدة. يد واحدة مطبقة بإحكامٍ على مقبض سيفه، واحدة فقط. «في أحلامي لي يدان اثنتان دومًا». رفعَ ذراعه اليمنى وحدَّقَ غير قادرٍ على الاستيعاب إلى قُبْحِ عاهته.

- «كلُّنا يحلم بما لا يستطيع أن يحظى به. تايوين حلمَ بأن يصير ابنه فارسًا عظيمًا وتصير ابنته ملكةً، حلمَ بأن يكونا قويَّين شجاعين جميلين لا يضحك منهما أحد أبدًا».

- «أنا فارس، وسرسي ملكة».

سالت دمعة على وجنة المرأة، وعادت ترفع قلنسوتها وأولته ظهرها. ناداها چايمي، لكنها كانت تبتعد بالفعل، تهمس تئورتها بتهويدٍ إذ تكس الأرض بنعومة.

أرادَ أن يصيح: لا تتركيني، لكنها -بالطبع- تركتهم منذ زمنٍ طويل فعلاً. استيقظَ في الظلام مرتجفًا ليجد الغرفة باردةً كالجليد. بقوةٍ أزاحَ الأغطية بجدعة يد سيفه، ورأى أن نار المستوقد همدت والنّافذة انفتحت. قطعَ الغرفة دامية الظلام ليُغلق مصراعيها، لكن حين بلغها داست قدمه الحافية شيئًا مبتلًا، فتراجعَ چايمي مذعورًا لحظةً، وأول ما جالَ بباله أن هذا دم، ولكن لما كان الدّم بهذه البرودة.

كان الثلج ينجرِف من النّافذة.

بدلاً من إغلاق المصراعين فتحهما عن آخرهما، ورأى السّاحة بالأسفل مغطاةً بدثار أبيض خفيف يزداد سُُمكًا بينما يُشاهد، وقد اكتست شُرَافَات الشُّرفات بالبياض أيضًا. سقطت نُدْف الثلج بصمتٍ ودفعَ الهواء بعضها من النّافذة ليزوب على وجهه، وفي هذه اللحظة استطاعَ چايمي أن يرى أنفاسه.

ثلوج في أراضي النّهر. ما دامَ الثلج يسقط هنا فمن الوارد أنه يسقط على (لانسپورت) و(كينجز لاندنج) أيضًا. الشّتاء يزحف على الجنوب ونصف مخازننا خاوي على عروشِه. إذا كانت هناك محاصيل غير محصودة في الحقول حتى الآن فهي هالكة. لا مزيد من الزّرع ولا أمل في حصادٍ أخير. وجدَ نفسه يتساءل عما سيفعله أبوه لإطعام البلاد، قبل أن يتذكر أن تايوين لانستر مات.

حين بزغ الصُّبح كان الثلج عميقًا تغوص فيه القدم حتى الكاحل، وأعمق في أكمة الآلهة حيث تراكمَ تحت الأشجار. عادَ المرافقون وعُمال الاسطبلات والوصفاء النبلاء إلى طفولتهم من جديد متأثرين بالتّعويذة البيضاء الباردة، وخاضوا حربًا بكُرات الثلج في السّاحات والشُّرفات، وسمعهم چايمي يضحكون.

في وقتٍ لم يمضِ عليه زمن طويل كان ليصنع كُرات الثلج مع أفضلهم ليرمي تيريون بها عندما يمرُّ أو يضع واحدةً في ظهر قُستان سرسي. لكنك تحتاج إلى يدين لتصنع كُرة ثلج جيّدة.

دَقَّ أحدهم الباب، فقال: «انظر من الطَّارق يا بك».

كان مايستر (ريفرن) العجوز، يحمل رسالةً بيده المتغصّنة، وقد بدا وجه فايمان شاحبًا كالثلوج المتساقطة. قال چايمي: «أعرف، وصل غُداً أبيض من (القلعة).

الشتاء هنا».

رَدَّ المايستر: «لا يا سيّدي، الرّسالة من (كينجز لاندنج). سمحتُ لنفسي بأن... لم أكن أعرف...»، وناولَه الرّسالة.

قرأها چايمي وهو جالس على الكرسي المجاور للنّافذة مغمورًا بضوء الصّباح الأبيض البارد. كانت كلمات كايرن مقتضبةً وفي الصّميم، وكلمات سرسي محمومةً ملتهبةً. تعالَ في الحال. ساعدني. أنقِذني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتج إليك من قبل قط. أحبُّك، أحبُّك، أحبُّك. تعالَ في الحال.

كان فايمان يحوم قُرب الباب، وشعرَ چايمي ببك يرقُبه أيضًا، وبعد فترة صمتٍ طالَت تساءلَ المايستر: «هل يرغب سيّدي في الرّد؟».

حطَّت رُقاقة ثلج على الورقة، وإذ ذابت بدأ الحبر يتلطّخ، ثم عادَ چايمي يطوي الرّسالة بكلِّ ما تُتيح يده الواحدة من إحكام، وناولَ بك إياها مجيبًا: «لا، ألقيها في النّار».

سامويل

أخطر مرحلةٍ من الرحلة كانت الأخيرة. تمامًا كما حذروهم في (تايروش)، وجدوا (بوغاز ردواين) يعج بالسفن الطويلة. في غياب القوة الأساسية لأسطول (الكرمة) على الجانب الآخر من (وستروس)، نهبَ الحديدون (مرفأ ريام) واستولوا على (بلدة العنب) و(ميناء نجم البحر)، مستخدمين إياهما كقاعدتين لاقتناص السفن المتجهة إلى (البلدة القديمة).

ثلاث مرّات شوهدت السفن الطويلة من منصة المراقبة، إلّا أن اثنتين منها كانتا وراءهم بمسافةٍ طويلة وسرعان ما سبقتهما (ريح القرفة)، أمّا الثالثة فظهرت قرب الغروب لتعترض سبيلهم إلى (النهر الهامس)، ولمّا أبصروا مجاذيفها ترتفع وتنخفض ماخضة المياه النحاسية ومحيلةً لونها إلى الأبيض، أرسلت كوجا مو رُماتها إلى أعلى بأقواسهم العظيمة المصنوعة من خشب القلـب الذهبـي، والتي يُمكنـها إطلاق السهم على مدى أبعد وإصابة الأهداف بدقة أكبر من أقواس خشب الطقسوس الدورية نفسها. انتظرت كوجا حتى دخلت السفينة الطويلة حيز المئتي ياردة قبل أن تُلقي أمر الإطلاق، وأطلق سام سهامه مع الآخرين، لكنه يحسبها بلغت الهدف هذه المرة. لم يتطلب الأمر أكثر من وابلٍ واحد، وانحرفت السفينة الطويلة إلى الجنوب بحثًا عن فريسةٍ أكثر وداعةً.

كانت السماء تتشح بزُرقة الغسق العميقة إذ دخلوا (النهر الهامس)، وقد وقفت جيلي عند المقدمة حاملةً الرضيع وتتطلع إلى قلعةٍ قائمة فوق الجُروف، فأخبرها سام: «إنها (الأبراج الثلاثة)، مقرُّ عائلة كوستاين». مرسومةً على خلفية من نجوم المساء بينما تتذبذب أضواء المشاعل في نوافذها، تصنع القلعة منظرًا مبهّرًا، وإن أحزن سام لأن رحلتهم تُشارف على الانتهاء.

قالت جيلي: «عالية للغاية».

- «انتظري حتى تري (البرج العالي)».

بدأ طفل دالا يبكي، ففتحت جيلي سترتها وألقمته ثديها، وبينما أرضعته ابتسمت وملست على شعره البني الناعم. فكر سام: أصبحت تحبه مثلما أحببت الآخر الذي تركته. يأمل أن تحنو الآلهة على كلا الطفلين.

كان الحديدون قد توغلوا في مياه (النهر الهامس) المحمية، وبحلول الصباح إذ استمرت (ريح القرفة) في طريقها إلى (البلدة القديمة) بدأت ترتطم بالجُثث الطافية المحمولة إلى البحر. بعض الجُثث عليه جماعات من الغربان طارت متذمرةً بصخبٍ حين أزعجها مرور السفينة البجعية بأطوافها المنتفخة الشنيعة، وعلى الضفاف ظهرت الحقول المحروقة والقرى المتفجّمة، وتناثرت المراكب المحطمة في المياه الضحلة وعلى الامتدادات الرملية

المرتفعة، الأشـيع بينـها السُّفـن التجـارية وقـوارب الصـيـد، لكنـهم رأوا
سُفـنًا طويـلة مـهـجـورة أيـضًا، وخطام دُرمونتَيْن كبـيرتين، وقـد
احتـرقت إحـدهما حتـى خـط المـاء ولاحت في جـانب الثـانيـة فـجـوة
كبـيرة حـيث دُكَّ بدنـها.

قال زوندو: «معركة هنا. ليس من وقتٍ طويل.»

- «مَن المخبول الذي يُغير على هذه المقربة من (البلدة القديمة)؟»

أشارَ زوندو إلى سفينةٍ طويلةٍ شبيهة غارقة في المياه الضحلة، من مؤخرتها
تتدلى بقايا راية مهترئة ملطخة بالسُخام، وعليها رمز لم يره سام من قبل على
الإطلاق؛ عين حمراء بؤبؤها أسود تحت تاج من الحديد الأسود يحمله غرابان.
سألَ سام: «راية مَن هذه؟»، لكن زوندو هَزَّ كَتْفِيه دلالةً على جهله.

طلـعَ التـهـار التـالـي بـارـدًا ضـبابيًّا، وبينمـا تمـرُّ (ريـح القـرفـة) بقـريـة
صـيـدٍ مـنـهـوبة أـخـرى خـرجَ قـادس حـربي مـن الضـباب مـتـجـهًا صـوبـهم
بتـؤدـة. تحمـل السـفـينـة اسـم (القنـاصـة) مـكتوبًا بالـطلاء ورائـة تمثـال مـقـدِّمةٍ
لفتاة ممشوقة القوام ترتدي أوراق الشجر وتُلَوِّح بحربتها مهْدَدَةً. بَعد لحظةٍ ظهَرَ
قادسان أصغر حجمًا على جانبيها كزوجين متماثلين مـن كـلاب الصيـد
يتحرَّكـان في أعقاب سـيـدَهما، وتنفـس سـام الصـعـداء لمـرأى أسـد
ووعـل المـلـك تـومـن عـلـى القـوادس الـثـلاث فـوق بُرج (البلـدة
القديمة) الأبيض المدرَّج بقمّته النَّارية.

رُبَّان (القنـاصـة) رجـل طويـل القامة يرتـدي معطـفًا رمـاديًّا كالـدُّخان
حاشـيته عـلـى شـكل ألسـنة لـهبٍ مـن السـيـاتان الأحمـر، وقـد
حاذى (ريـح القـرفـة) بقادسـه ورفـعَ مجاذيفه وصاحَ أنه قادم إلى متنها،
وبينما تبادلَ رُماته ورُماة كوجا مو النَّظرات عبر مساحة الماء الضيقة عبرَ الرَّجل
مع نصف دستةٍ من الفرسان وحيا كاهورو مو بإيماءةٍ من رأسه وطلبَ أن يرى
مخازنه، فتشاور الأب والابنة فترةً وجيزةً ثم وافقا.

بَعد انتهاء التفتيش قال الرُّبَّان: «تقبَّلوا اعتذاري. يُؤسفني أن يتعرَّض النَّزهاء
لفظاظٍ كهذه، لكنها خيرٌ من دخول الحديديين (البلدة القديمة). قبل أسبوعين
فقط اسـتولى بعـض هـؤلاء الأوغـاد المـلاعـين عـلـى سـفـينـة تجـاريـة مـن
(تـايـروش) فـي البوغـاز، وقـتلـوا رجـالـها وارـتـدوا ثيابـهم واسـتـخدموا
الأصـبـاغ التـي وجـدوها لتـلـوين لحاهم بعـشرات الألوان. ما إن يجتازوا الأسوار
كانوا ينتوون إشعال النَّار في الميناء وفتح البوابة من الدَّاخل بينما تُكافح الحريق،
وكانت خطتهم لتنجح لولا أن (سيِّدة البُرج) اعترضت طريقهم. زوجة وكيل رُبَّانها
تايروشيَّة، فلمَّا رأى اللحي الخضراء والأرجوانية حيَّاهم بلُغة (تايروش)، ولم
يستطع أحد منهم أن يردَّ عليه.»

قال سام مغزوعًا: «لا يُمكن أنهم ينوون الإغارة على (البلدة القديمة)!».

رمقه رَبَّان (القنَّاصَة) بفضولٍ قائلاً: «هؤلاء ليسوا مجرد مُغيرين. لطالما أغارَ حديدِيُّو الميلاَد أينما استطاعوا، يُهاجِمون على حين غرَّةٍ من البحر ويسرقون الذهب ويختطفون الفتيات ثم يرحلون، لكن نادراً ما يزيد عدد سُفنهم الطويلة على واحدةٍ أو اثنتين، ولا يزيد أبداً على ستَّة. الآن تبتلينا مئات من سُفنهم التي تُبحر من (جُزر الـتُروس) وبعـض الصُخـور المحيطة بـ(الكرمة). لـقـد اسـتـولـوا علـى (السـرطان الحجري) و(جزيرة الخنـازير) و(قصر عـروس البحر)، وثـمَّة أوكـار أخرى لـهم علـى (صخرة الحدوة) و(مهد النُّغول). دون أسطول اللورد ردواين نفتقر إلى السفن الكافية لردعهم».

اندفعَ سام يقول: «وماذا يفعل اللورد هايتاور؟ اعتادَ أبي أن يقول إنه ثريٌّ كآل لانستر، وتحت إمرته ثلاثة أضعاف سيوف حملة راية (هايجاردن) الآخرين».

قال الربَّان: «وأكثر إذا جند كُناسة الشَّوارع، لكن السيوف لا تصلح في مواجهة الحديدِيِّين ما لم يكن حاملوها يمشون على الماء».

- «لا بُدَّ أن يفعل (البرج العالي) شيئاً!».

- «بالتأكيد. اللورد لايتون حبسَ نفسه على قمة بُرجه مع العذراء المجنونة ويستشير كُتب التَّعاوِذ. ربما يستطيع أن يحشد جيشاً من الأعماق... وربما لا. بيلور يبني القوادم، وجونثور مسؤول عن الميناء، وجارث يُدرب المجنَّدين الجُدد، وهمفري ذهبَ إلى (ليس) لاستئجار القراصنة. إذا استطاع الظفر بأسطولٍ مناسب من العـاهرة أخته فربما نشـرع فـي الـردِّ علـى الحـديديِّين بـالمِثـل، لكـن حتـى ذلـك الحـين فأفضـل مـا فـي وسـعنا أن نحـمـي التـهر وننتظر أن تُطـلِق المـلكة الحـقـيرة فـي (كـينـجز لاندنج) سراح أسطول اللورد باكستر».

صدمت الممرارة في نبرة الربَّان سام بقدر ما صدمته أقواله، وبينما ابتعدت (القنَّاصَة) وأختها فكرت: إذا خسرت (كينجز لاندنج) كلاً من (البلدة القديمة) و(الكرمة) فستنهار البلاد بأكملها.

جعلَه هذا يتساءل إن كانت (هورن هيل) آمنة حقاً. أراضي عائلة تارلي تقع وسط تلالٍ كثيفة الغابات على بُعد مئة فرسخ شمال شرق (البلدة القديمة) وبعيداً عن أيِّ ساحلٍ، وهكذا يُفترض أن تكون بمنأى تماماً عن متناول الحديدِيِّين والسفن الطويلة، حتى مع غياب أبيه الذي يُقاتل في أراضي النهر والحراسة الخفيفة على القلعة. لا شكَّ أن الذئب الصَّغير اعتقدَ أن الشَّيء نفسه ينطبق على (وينترفل) حتى الليلة التي تسبق فيها ثيون المارق أسواره. لا يستطيع سام احتمال فكرة أنه ربما قطعَ بجيلي وصغيرها كلَّ هذا الطريق الطويل ليحميهما من الأذى، فقط ليتخلَّى عنهما في غمار الحرب.

ظلَّ يُصارع شكوكه وتُصارعه طيلة ما تبقى من الرِّحلة ويتساءل ماذا يفعل. قد يُمكنه إبقاء جيلي معه في (البلدة القديمة)، فأسوار المدينة أقوى كثيراً من

أسوار قلعة أبيه، وهناك آلاف يُدافعون عنها، على عكس القلعة التي لا بُدَّ أن اللورد راندل تركها في (هورن هيل) عندما زحفَ على (هايجاردن) لتلبية استدعاء اللورد وليّ أمره. لكن إذا أبقاها فعليه أن يُخفيها في مكانٍ ما، ذلك أن (القلعة) لا تسمح للمبتدئين بالاحتفاظ بزوجاتٍ أو خليلات، ليس جهازًا على الأقل. ثم إنني إذا بقيتُ مع جيلي فترةً أطول فكيف سأجدُ القدرة على تركها؟ عليه أن يتركها... إمّا هذا وإمّا أن يتهرّب من خدمته. لقد حلفتُ اليمين. إذا تهرّبتُ فسأدفعُ الثمن برأسي، وكيف يُساعد شيءٌ هكذا جيلي؟ فكر في أن يتوسّل إلى كوچا مو وأبيه أن يأخذ الفتاة الهمجيةَ معهما إلى (جُزر الصّيف). على أن ذلك الطريق له أخطاره أيضًا، فحينما ترحل (ريح القرفة) من (البلدة القديمة) فعليها أن تعبّر (بوغاز ردواين) ثانيةً، وهذه المرّة ربما لا يُحالفها الحظ. ماذا لو خمدت الرّيح ووجدَ طاقم السفينة نفسه عاجزًا عن الحركة؟ إذا صحت الحكايات التي سمعها فسُتختطف جيلي ويجعلون منها قنّةً أو زوجةً ملحيّةً، وعلى الأرجح سيرمون الرّضيع في البحر خلاصًا من إزعاجه.

أخيرًا حزمَ سام أمره. يجب أن تكون (هورن هيل). ما إن نبلُغ (البلدة القديمة) سأستأجرُ عربةً وخيولًا وأخذها إلى هناك بنفسِي. بهذه الطريقة يُمكنه الاستيثاق من دفاعات القلعة وحاميتها، وإذا لم يُعجبه أيُّ شيءٍ يراه أو يسمعه فسيعود أدراجه بجيلي إلى (البلدة القديمة).

وصّلوا إلى (البلدة القديمة) ذات صـباح باردٍ رطبٍ كثيف الضباب لدرجة أن منارة (البرج العالي) الـجزء الوحيـد المرأى من المدينة. عبر الميناء تمتدّ سلسلة رابطةٍ دستتين من السفن الثقيلة النخرة، ووراءها مباشرةً صفٌّ من السفن الحربيّة التي تقودها ثلاث دُرُمونات كبيرة وسفينة قيادة اللورد هايتاور الهائلة ذات السطوح الأربعة المسمّاة (شرف البلدة القديمة). ثانيةً خضعت (ريح القرفة) للتفتيش، وهذه المرّة كان جونثور ابن اللورد لايتون هو من صعدَ إلى متنها مرتديًا معطفًا من فُماش الفضة وبزة رمادية من الصّفائح المعـدنية المطلية بالمينا. درسَ السير جـونثور في (القلعة) سنينًا عدّةً ويُجيـد لُغة الصّيف، فـذهب مـع كاهـورو مـو إلى قـمـرة الرّبـان ليتشاورا على انفراد.

استغلّ سام هذا الوقت في شرح نيّاته لجيلي، وقال: «أولًا (القلعة) لأقـدّم لهم رسائلٍ جون وأخبرهم بوفاة المايستر إيمون. أظنُّ أن رؤساء المايسترات سيُرسِلون عربةً لنقل جثمانه. ثم سأرتبُ لأن تأخذك عربة تجرّها الخيول إلى أمي في (هورن هيل). سأعودُ في أسرع وقتٍ ممكن، لكن ربما لا يكون هذا قبل الغد».

ردّدت: «الغد»، وأعطته قُبلةً للحظّ.

أخيرًا خرجَ السير جونثور وأعطى إشارةً بفتح السلسلة كي تدخل (ريح القرفة)

إلى المرسى، وانضمَّ سام إلى كوچا مو وثلاثة من رُماثها قُرب لوح العبور بينما ربط بنو (جُزر الصَّيف) السَّفينَة وقد عادوا يتألَّفون في معاطفهم الرِّيش التي لا يتردونها إلَّا على اليابسة، فشعرَ وهو واقف إلى جوارهم بانعدام هندامه وقد ارتدى سراويله السَّوداء الفضفاضة ومعطفه الباهت وانتعلَ حذاءه المبقع بالملح. سألَ كوچا: «كم ستبقون في المرسى؟».

- «يومين أو عشرة، مَنْ يدري؟ ما سيستغرقه إفراغ مخازننا وملؤها ثانية»، وأضافت كوچا بابتسامةٍ واسعة: «ويجب أن يزور أبي المايسترات الرَّماديين أيضًا. إن معه كُتُبًا يبيعهم إياها».

- «هل يُمكن أن تبقى جيلي على المتن حتى أرجع؟».

أجابَتْ: «يُمكن لجيلي أن تبقى كما شاءت»، ووكَّزَت سام بإصبعها في بطنه مردفةً: «إنها لا تأكل كثيرًا كبعض النَّاس».

ردَّ بلهجةٍ دفاعيَّة: «لم أعد بالبدانة نفسها كما كنتُ». تكفَّلت بهذا الرِّحلة جنوبًا، كلُّ نوبات الحراسة ولا شيء يُؤكَّل إلَّا الفواكه والأسماك، وأهل (جُزر الصَّيف) يحبُّون الفواكه والأسماك.

تبعَ سام الرُّماة نازلًا اللُّوح، لكنَّ بمجرد أن أصبحوا على اليابسة افترقوا وذهب كلُّ منهم في حال سبيله. يأمل أنه ما زالَ يذكُر كيف يصل إلى (القلعة)، ف-(البلدة القديمة) متاهة، ولا وقت لديه لضلال الطريق.

جعلتْ رطوبة النَّهار حجارة الرِّصْف مبتلَّة زلقة تحت قدميه والأزقة ملتحفة بالضباب والغموض، وقد تحاشاها سام قدر الإمكان والتزمَ الطَّريق الذي يمضي متممِّجًا بمحاذاة (نهر البتع) في قلب المدينة القديمة. أحسَّ بالسرور لوجود أرض ثابتة تحت قدميه من جديد بدلًا من سطح سفينة يتمايل، لكن المشي أصابه بالاضطراب رغم ذلك، إذ شعرَ بالأعين تنظر إليه من الشُّرفات والتَّوافذ وتراقبه من المداخل المظلمة. على متن (ريح القرفة) كان يعرف كلَّ وجه، أمَّا هنا فكلمًا التفت يرى غريبًا آخر. الأدهى فكرة أن يراه أحد يعرفه، فاللورد راندل معروف في (البلدة القديمة) لكن أهلها لا يحبُّونه كثيرًا. لا يدري سام أيُّهما أسوأ، أن يتعرَّفه أحد أعداء السيِّد والده أم أحد أصدقائه، وهكذا رفع قلنسوة معطفه وجَدَّ الخطى.

على جانبي بَوَّابة (القلعة) تمثالان أخضران شامخان لأبي الهول وأم الهول، لكلٍّ منهما جسم أسد وجناحا نسر وذيل أفعى، وبعدهما تقع (دار الكتبة) التي يأتيها أهل (البلدة القديمة) بحثًا عن مُعاونين يكتُبون وصاياهم ويقرؤون رسائِلهم، وقد جلس عدد من المُعاونين الضَّجَّرين في أكشاكٍ مفتوحة ينتظرون الرُّبائن. في أكشاكٍ أخرى تُباع الكُتب وتُشترى، فتوقَّف سام عند واحدٍ يبيع الخرائط وراجع خارطة مرسومة باليد لـ(القلعة)

ليتحقق من الطريق الأقصر إلى (بهو القهرمان).

يتفرع الطريق حيث يمتطي تمثال الملك دايرون الأول حصانه الحجري الطويل رافعاً سيفه في اتجاه (دورن)، وقد جثم نورس على رأس التين الصغير واثنان آخران على نصله. سلك سام الفرع الأيسر الذي يمضي بحذاء النهر، وعند (مرسى البكائين) شاهد اثنين من معاونين يساعدان عجوزاً علي ركوب قارب سيحمله في رحلة قصيرة إلى (الجزيرة الدامية)، وبعده ركبت أم شابة بين ذراعيها رضيع بالك لا يكبر ابن جيلي كثيراً، في حين خاض مساعد طاهٍ ما في المياه الضحلة تحت المرسى يجمع الضفادع، وهرع طاوور طويل من المبتدئين الصغار نحو السيپتري. كان علي أن آتي هنا حين كنت في سيئهم. لو هربت واتخذت اسماً مستعاراً لاختفيت وسط المبتدئين الآخرين وتظاهر أبي بأن يكون ابنه الوحيد. أشك في أنه كان ليُجشِّم نفسه عناء البحث عني ما لم أخذ بغلة أركبها. عندها كان ليُطارِدني بلا هوادة، ولكن من أجل البغلة فقط.

70

خارج (بهو القهرمان) كان الموجّهون يُثبِّتون مُعاوناً أكبر سناً إلى هيكل تشهير ، وشرح أحدهم السبب للمعاونين المنتظرين رجم السجين بالخضراوات الفاسدة قائلاً: «يسرق الطعام من المطابخ». حدج جميعهم سام بنظرات الفضول إذ مرّ بهم بخطى سريعة ومعطفه الأسود منتفخ من ورائه كشراع السفينة.

وراء الباب وجد بهواً أرضيته حجريّة ونوافذه عالية مقنطرة، يجلس في أقصاه رجل ذو وجهٍ ممصوص على منصّة مرتفعة يُدَوِّن شيئاً ما في دفتر بريشته، ورغم أنه يرتدي ثياب المايسترات الرّماديّة فلا تُحيط بعُنقه سلسلة. تنحنح سام، وحيّاه قائلاً: «طاب يومك».

رفع الرجل عينيه وبدا أن ما رآه لا يُعجبه إذ قال: «رائحة المبتدئين تفوح منك». ردّ سام: «أمل أن أكون منهم قريباً»، وأخرج الرسائل التي أعطاه چون سنو إياها متابعاً: «جئتُ من (الجدار) مع المايستر إيمون، لكنه مات خلال الرحلة. إذا كان يُمكن أن أتكلّم مع القهرمان...».

- «اسمك؟».

- «سامويل، سامويل تارلي».

خطّ الرجل الاسم في دفتره ولوّح بريشته نحو دكّة عند الحائط، وقال: «اجلس. سنُناديك حين تُريدك».

وجلس سام على الدكّة.

جاء آخرون وذهبوا. سلّم بعضهم رسائل وغادروا، وتكلّم بعضهم مع الرجل على المنصّة ثم سُمِحَ لهم بالدخول من الباب ورائه وصعدوا سلماً ملتفاً، وانضمّ آخرون إلى سام على الدكّة في انتظار مناداة أسمائهم. عددٌ ممّن تُودوا أتى

بعده، وهو شبه متأكد من هذا، وبعد تكراره للمرّة الرَّابِعة أو الخامسة نهضَ سام وقطعَ البهو سائلاً الرَّجل: «هل سأظلُّ منتظراً طويلاً؟».

- «القهرمان رجل مهمٌّ».

- «لقد قطعْتُ طريقاً طويلاً من (الجدار)!».

- «إذن فلا مشكلة في أن تنتظر فترةً أطول قليلاً»، ولوّح الرَّجل بالريشة مضيئاً: «إلى الدِّكة هناك، تحت النَّافذة».

عادَ سام إلى الدِّكة، ومَرَّت ساعة أخرى. وصلَ آخرون وتكلّموا مع الرَّجل على المنصّة وانتظروا دقائق قليلةً ثم دخلوا، ولم يُكلِّف الحاجب نفسه مجرد التَّنظر إلى سام طوال هذا الوقت. انقشع الضّباب في الخارج مع مرور النَّهار الثَّقل البطيء وتسلَّل نور الشَّمس الشّاحِب من التّوافذ، ووجدَ سام نفسه يتفرّج على ذرّات الغبار ترقُص في خيوط الضّوء. تشاءَب مرّةً ثم أخرى، وداعبَ قرحاً مفتوحاً في راحة يده، ثم إنه أرجعَ رأسه إلى الوراء وأسبلَ جفنيه.

لا بُدَّ أنه غفا، فإذا بالحاجب الجالس على المنصّة يُنادي اسمًا، فهَبَّ سام واقفاً ثم عادَ يجلس لما أدرك أنه ليس اسمه.

قال صوت من جواره: «عليك أن ترشو لوركاس بنس وإلّا ظلت جالساً هنا ثلاثة أيام. ماذا يفعل حرس اللَّيل في (القلعة)؟».

المتكلّم شاب نحيل مشيق وسيم، يرتدي سراويل من جلد الطّباء وسُترةً جلديةً خضراء ضيّقةً مطعّمةً بالحديد، وله بشرة بلون المِزر البنيّ الفاتح وشعر أسود قصير ينسحب عند مقدّمة رأسه فوق عينيه السّوداوين الكبيرتين.

ردّ سام: «حضرة القائد يُرمّم القلاع المهجورة ويُعيد فتحها. نحتاج إلى المزيد من المايسترات للعناية بالغدّافان... هل قلت بنساً؟».

- «بنس واحد يكفي. مقابل أيّ فـصّي سـيحملك لوركاس إلى القهرمان بالأعلى على ظهره. إنه مُعاون من ذخمسين عامّاً ويكره المبتدئين، تحديداً المبتدئين أبناء الثّبلاء».

- «وما أدراك بأنني من أبناء الثّبلاء؟».

- «بالطريقة نفسها التي تدري بها أنني نصف دورني». قيلت الإجابة بابتسامةٍ ولكنةٍ دورنيّة خفيفة.

دَسَّ سام يده في جيبه يبحث عن بنس، وقال: «أأنت مبتدئ؟».

- «مُعاون. اسمي أليراس، لكن بعضهم يدعوني بأبي الهول».

هَزَّ الاسم سام، وقال باندفاع: «أبو الهول الأحجية لا صانع الأحاجي. هل تعرف معنى هذا؟».

- «لا. أهذه أحجية؟».

- «ليتني أعرف. أنا سامويل تارلي، سام».

- «أهلاً بك. وما شأن سامويل تارلي عند المايستر الرئيس ثيوبولد؟».

سأله سام حائراً: «أهو القهرمان؟ المايستر إيمون قال إن اسمه نورن».

- «لم يعد كذلك منذ قمرين. هناك واحد جديد كل سنة، يشغل المنصب بالاقتراع من بين رؤساء المايسترات. أكثرهم يعدّه واجباً لا يُشكر عليه يُعطّله عن عمله الحقّ يقى. هذا العام سـحب المايستر الرئيس والجـريـف الحجر الأسود، لكن عقـل والجـريـف يتـوه كثيراً، فتطوّع ثيوبولد بقضاء مـدّته بدلاً منـه. إنـه رجـل فطـل لكنـه صالح. هل قلت المايستر إيمون؟».

- «نعم».

- «إيمون تارجارين؟».

- «في السابق. أكثرنا كان يدعو به إيمون فقط. لقد توفّي خلال الرحلة إلى الجنوب. كيف تعرفه؟».

- «وكيف لا؟ إنه لم يكن أكبر مايستر على قيد الحياة فقط، بل أكبر رجل في (وستروس)، وشهد تاريخاً أكثر مما تعلم المايستر الرئيس بيرستان في حياته كلها. كان ليحكى لنا الكثير والكثير عن عهد أبيه وعمّه. هل تعلم كم كان عُمره؟».

- «مئة عامٍ واثنان».

- «وماذا كان يفعل في البحر في سِنّه تلك؟».

تأمل سام السؤال وهلّة متسائلاً كم يجـدُر به أن يقول. أبو الهول الأحجية لا صانع الأحاجي. أيمكن أن المايستر إيمون كان يعني أبـا الهول هـذا؟ لا يبدو ذلك محتملاً. بتردد بدأ يشرح: «حضرة القائد سنو صرفه لإنقاذ حياته»، ثم إنه تحدّث بارتباك عن الملك ستانيس ومليساندرا الأشاوية ناوياً أن يكتفي بهذا القدر، لكن شيئاً قاد إلى آخر ووجد نفسه يحكي عن مانسي رايدر والهـمج ودماء الملوك والتنانين، وقبل أن يدري ما يجري تدفقت البقية كلها منه... الجُثث الحية على (قبضة البشـر الأوائـل)، (الآخر) على حصانه الميت، اغتـيـال الدب العجـوز فـي (قلعة كراسـتر)، جـيلي وهروبـهما، (وايتـري) وپول الصـغير، ذو اليـدين البـاردتين والغـدفان، انتخاب چون قائداً، (الطائر الأسود)، داريون، (برافوس)، التنانين التي رآها زوندو في (كارث)، (ريج القرفة) وكل ما همس به المايستر إيمون قرب النّـهاية. أحجم فقط عن ذكر الأسرار التي أقسم أن يحفظها إزاء بران ستارك ورفاقه وتبديل چون سنو الطـفـلين، وختم حكايته قائلاً: «دنيرس هي الأمل الوحيد. إيمون قال إن على (القلعة) أن تُرسـل إليها مايستر في الحال ليعود بها إلى (وستروس) قبل فوات الأوان».

أَصْغَى الْيِرَاسَ بِاهْتِمَامٍ شَدِيدٍ، يُحَدِّقُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ لَكِنْ لَا يَضْحَكُ أَوْ يُقَاطِعُهُ أَبَدًا، وَحِينَ فَرَّغَ سَامَ مَسَّ سَاعِدَهُ بِرَفْقٍ بَيِّنَةٍ نَحِيلَةٍ، وَقَالَ: «وَقَرِّ بِنَسْكَ يَا سَام. لَنْ يُصَدِّقَ ثِيوبُولْدُ نِصْفَ هَذَا الْكَلَامِ، لَكِنْ هُنَاكَ آخَرِينَ قَدْ يُصَدِّقُونَهُ. هَلَا أَتَيْتَ مَعِي؟».

- «أين؟».

- «للکلام مع أحد رؤساء المایسترات».

قَالَ الْمَإِيسُ تَرِ إِيْمُونُ: يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَهُمَ يَا سَامَ، يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَ
رُؤَسَاءَ الْمَإِيسِ تَرَاتٍ، وَهَكَذَا رَدَّ سَامٌ: «لَيْكُنْ». يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى
الْقَهْرْمَانِ غَدًا وَفِي يَدِهِ بَنَسُ. «هَلْ سَنَبْتَكَ كَثِيرًا؟».

- «ليس المكان بعيدًا، (جزيرة الغدبان)».

لَمْ يَحْتَاجَا إِلَى رُكُوبِ قَارِبٍ لِّلْوَغِ (جزيرة الغدبان)، إذ يربطها جسر متحرك خشبي بـالْبَصِيفَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وبينما عبَرا فوق مجرى (نهر البتـع) البطيء قال له أليراس: «(المِغْدفة) أقدم مباني القلعة. يُقال إنها كانت في عصر الأبطال معقل لورد قُرْصان استقرَّ هنا ليسطو على السفن التي تَدْخُلُ النَّهْرَ».

رَأَى سَامَ الطَّحَالِبِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمَعْتَرِشَةَ تُغَطِّي الْجُدْرَانَ، وَالْغِدْفَانَ تَذَرَعُ الشُّرَفَاتِ
بَدَلًا مِنَ الرُّمَامَةِ. هَذَا الْجِسْرُ الْمَتَحَرِّكُ لَمْ يُرَفَّعْ مِنْذُ سَنَيْنِ عَصِيَّةٍ عَلَى الْحُسْبَانِ.

داخل القلعة الأجواء معتمة مائلة إلى البرودة، وفي السّاحة شجرة وبيروود عتيقة تحتلها منذ بدأ بناء هذه الأحجار، تكسو الوجه المنقوش على جذعها الطحالب الأرجوانية الثقيلة نفسها التي تتدلى من فروعها الشّاحبة، وقد بدا نصف غصونها ميتاً، وإن ظهرت في بقاع أخرى بضع أوراقٍ حمراء لا تزال تحفّ. هناك تحبّ الغدبان الجثوم، والشّجرة مرّلاً بـها، وثمة المزيـد منها في التّوافد المقنطرة بالأعلى وفي كلّ أنحاء السّاحة، وعلى الأرض تنـاثـر فضلاتها. إذ قطع السّاحة ضرب أحدّها الهواء بجناحيه فوقهما وسمع سام بعض الغدبان الأخرى ينبع لبعض. قال له أليراس: «مسكن المايستر الرّئيس والجريف في البرج الغربي، تحت المِغْدفة البيضاء. الغدبان البيضاء والسّوداء تتشاجر كاهل (دورن) و(التخوم) ولذا يُفَرّقون بينها».

تساءلَ سام: «هل سيفهم المايستر الرئيس والجريث ما أخيره به؟ قلت إن عقله يتوه كثيرًا».

أجابَ أليراس: «تمرُّ عليه أيامٌ جيِّدةٌ وأخرى سيِّئةٌ، لكنك لست ذاهبًا لرؤية والجريش»، وفتحَ بابَ البُرجِ الشِّمالي وبدأ يصعد الدَّرَجَ، وتبعَه سامٌ سامعًا الخفقات والتَّمتمات من أعلى، وهنا وهناك صرخةٌ غاضبةٌ كأن الغدِّفان تشتكي من إقلاق راحتها.

عند قَمَّة السِّلالم يجلس شاب أشقر شاحب في سِنِّ سام خارج بابٍ من السِّنديان والحديد، يُحَدِّق بتركيزٍ إلى لهب شمعةٍ بعينه اليمنى، وقد توارت اليُسرى تحت خُصلةٍ من الشَّعر الأشقر المائل إلى الرَّمادي. سأله أليراس: «عمَّ تبحث؟ قدرك؟ حتفك؟».

التفت الأشقر عن الشَّمة طارفاً بعينه، وقال: «عن النِّساء العاريات. مَنْ هذا؟».

- «سام، مبتدئ جديد جاءَ للقاء المشعوذ».

قال الأشقر متـذمِّراً: «لـم تَعُد (القلعة) كمـا كـانت. هـذه الأيـام تقبـل أيَّ شـيء؛ الكـلاب الـسَّوداء والـدورنـيين ورُعاة الخـنازير والمُعـاقين ومعتـلي العقـول، والآن هـذا الحوت الذي يتردي الأسود. وأنا الذي كُنتُ أحسبُ اللُّويثانات رماديَّةً». من على أحد كتفيه تنسدل حرملة قصيرة مخططة بالأخضر والذهبي، وملامحه وسمية للغاية، ولو أن عينيه خبيثتان وفمه قاسٍ.

يعرف سام هذا الشاب، وقد خاطبه قائلاً: «ليو تايرل». مجرد لفظ الاسم أشعره بأنه لا يزال صبيّاً في السَّابعة على وشك أن يُبلِّل ثيابه الدَّاخليَّة. «أنا سام من (هورن هيل)، ابن اللورد راندل تارلي».

قال ليو: «حقاً؟»، ورمقه بنظرةٍ أخرى، ثم أردف: «أظنُّك هو. أبوك قال لنا جميعاً إنك مُت، أم أن هذا ما كان يأمله فقط؟»، وأضاف بابتسامةٍ واسعة: «أما زلت جباناً؟».

أجاب سام كاذباً: «لا». هكذا أمره جون. «لقد ذهبتُ وراء (الجدار) وخضتُ معارك، ويُلَقَّبونني بسام القاتل». لا يدري لِمَ قالها، لكن الكلمات تدفقت منه رغماً عنه. ضحك ليو، لكن قبل أن يردَّ انفتح الباب من ورائه، ودمدم الرَّجل الواقف على عتبه: «ادخل أيها القاتل، وأنت أيضاً يا أبا الهول، الآن».

قال أليراس: «سام، هذا هو المايستر الرَّئيس ماروين».

حول عنـق مـاروين الغلـيط سـلسلة مـن عـدة مـعادن، لكـن فيمـا عـدا هـذا يـبدو الرّجـل أقـرب إلـى بـلطجـي مـن مـاء مـن مـايـسـتر، فرأسـه كبـير للغايـة بالنِّسـبة إلـى بـدنه، والطريقة التي يَبْرُزُ بها إلى الأمام من بين كتفيه، بالإضافة إلى فكِّه العريض، تجعله يبدو كأنه على وشك اجتثاث رأس أحدهم من رقبتة، وعلى الرغم من قامته القصيرة وقوامه الممتلئ فله صدر عريض وكتفان قويَّتان، وبطن مستدير صُلب كالحجر يضغط على أربطة سترته الجلديَّة التي يرتديها بدلاً من ثياب المايسترات. من أنفه ومنخريه ينبت الشَّعر الأبيض الخشن النَّائر، وله جبهة ناتئة وأنف انكسر أكثر من مرَّة، ويَبْقَع التَّبغ المُرُّ أسنانه بالأحمر، ويده أكبر يدين رأهما سام على الإطلاق.

حين تردَّد سام أطبقت إحدى هاتين اليدين على ذراعه وشدَّته عبر الباب إلى

غُرْفَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ وَاسِعَةٍ مَكْتَنَّةٌ بِالْكَتَبِ وَالْمَخْطُوطَاتِ الْمَتَنَاثِرَةِ عَلَى الطَّاوِلَاتِ وَالْمَرْصُوعَةِ عَلَى الْأَرْضِ فِي أَكْوَامٍ تَرْتَفِعُ أَرْبَعَةَ أَقْدَامٍ. تُغَطِّي المَعْلَقَاتِ الْبَاهِتَةِ وَالْخِرَائِطِ الْمَهْتَرَةِ الْجُدْرَانَ الْحَجَرِيَّةَ، وَفِي الْمَسْتَوَقْدِ نَارٌ مَشْتَعِلَةٌ تَحْتَ مَرَجَلٍ نُحَاسِيٍّ تَفْوُحُ مِنْهُ رَائِحَةٌ شَيْءٍ مُحْرَقٍ. بَعِيدًا عَنْ هَذَا يَنْبُعُ الضَّوُّ الْوَحِيدُ فِي الْمَكَانِ مِنْ شَمْعَةٍ سُودَاءٍ طَوِيلَةٍ فِي مَنْتَصَفِ الْغُرْفَةِ.

ضَوْءُ الشَّمْعَةِ سَاطِعٌ عَلَى نَحْوِ مَزْعَجٍ، وَثَمَّةٌ شَيْءٍ عَجِيبٍ فِيهَا، إِذْ إِنْ لَهَبَهَا لَا يَتَذَذِبُ، حَتَّى عَنْدَمَا صَفَقَ الْمَاسِي-تَرِ الرَّئِيسِ مَارُوِينَ الْبَابَ بِقُوَّةٍ طَيَّرَتِ الْأَوْرَاقَ الْمَوْضُوعَةَ عَلَى الطَّاوِلَةِ الْقَرِيبَةِ. ثَمَّ إِنْ لِلضَّوِّ تَأْثِيرًا غَرِيبًا عَلَى الْأَلْوَانِ كَذَلِكَ، فَالْأَبْيَضُ نَاصِعٌ كَالثَّلْجِ الطَّازِجِ، وَالْأَصْفَرُ يَتَأَلَّقُ كَالذَّهَبِ، وَالْأَحْمَرُ اسْتَحَالَ إِلَى لَهَبٍ، لَكِنَّ الظُّلَالَ سُودَاءَ حَالِكَةٍ لِدَرَجَةٍ أَنْهَا تَبْدُو كَثْقُوبٍ فِي الْعَالَمِ. وَجَدَ سَامُ نَفْسَهُ يُحْمَلِقُ إِلَى الشَّمْعَةِ. طَوَّلَهَا ثَلَاثَةَ أَقْدَامٍ، وَرَفِيعَةً كَالسَّيْفِ، وَمِنْ حَزْزَةِ مَلْتَوِيَّةٍ، وَسَوَادَهَا لَامِعٌ. قَالَ سَامُ: «أَهَذَا...».

- «... زُجَاجٌ بُرْكَانِي»، قَالَ الرَّجُلُ الْآخَرُ فِي الْغُرْفَةِ، شَابٌ شَاحِبٌ لَحِيمٌ لَهُ كَتِفَانِ مُسْتَدِيرَتَانِ وَيدَانِ طَرِيتَانِ وَعَيْنَانِ ضَيِّقَتَانِ، وَتُلَوُّثُ رَدَاءِهِ بُقْعُ الطَّعَامِ.

قَالَ الْمَاسِي-تَرِ الرَّئِيسِ مَارُوِينَ: «سَمِّهِ زُجَاجُ التَّنِينِ»، وَرَمَقَ الشَّمْعَةَ السَّودَاءَ لَحْظَةً، ثَمَّ أَرْدَفَ: «يَشْتَعِلُ وَلَكِنْ لَا يُسْتَهْلَكُ». سَأَلَهُ سَامُ: «مَا الَّذِي يُغَذِّي اللَّهَبَ؟».

جَلَسَ مَارُوِينَ عَلَى كُرْسِيِّ قَائِلًا: «وَمَا الَّذِي يُغَذِّي نِيرَانَ التَّنَانِينِ؟ كُلُّ السِّحْرِ الْغَالِيرِيِّ جَذْوَرُهُ ضَارِبَةٌ فِي أَلْدَمِّ أَوْ النَّارِ. كَانَ بِإِمْكَانِ سِحْرَةِ الْمَعْقَلِ الْخَرُّ أَنْ يَرَوْا عِبْرَ الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالصَّحَارِيِّ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الشُّمُوعِ الزُّجَاجِيَّةِ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ أَمَامَهَا وَيَدْخُلُونَ أَحْلَامَ الْمَرءِ وَيَمْنَحُونَهُ رُؤًى وَيُكَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَنِصْفُ الْعَالَمِ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ. أَتَظُنُّ هَذَا مَفِيدًا أَيُّهَا الْقَاتِلُ؟».

- «لَنْ نَعُودَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْغِدْفَانِ».

قَالَ الْمَاسِي-تَرِ الرَّئِيسِ: «بَعْدَ الْمَعَارِكِ فَقَطْ»، وَقَشَّرَ وَرْقَةً مِنْ حَزْمَةٍ مِنَ التَّبَغِ الْمُرِّ وَدَسَّهَا فِي فَمِهِ وَشَرَعَ يَمْضَغُهَا مُسْتَطَرِدًّا: «أَخِيرَنِي بِكُلِّ مَا قُلْتَهُ لِأَبِي الْهَوْلِ الدُّورَنِيِّ».

إِنِّي أَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِنْهُ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنْ رُبَّمَا فَاتَنِي بَعْضُ التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ».

لَيْسَ هَذَا رَجُلًا يُرْفَضُ لَهُ طَلَبٌ. تَرَدَّدَ سَامُ لَحْظَةً، ثَمَّ عَادَ يَحْكِي حِكَايَتَهُ فِيمَا أَصْغَى مَارُوِينَ وَالْإِيرَاسَ وَالْمَبْتَدِئَ الْآخَرَ، ثَمَّ قَالَ: «الْمَاسِي-تَرِ إِيْمُونٌ اعْتَقَدَ أَنْ نَبِوءَةً تَتَحَقَّقُ فِي دُنِيرِسَ تَارْجَارِينَ... هِيَ وَلَيْسَ سَتَانِيسَ أَوْ الْأَمِيرُ رِيْجَارُ أَوْ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ الَّذِي هَشَّمُوا رَأْسَهُ عَلَى جِدَارٍ».

قال ماروين: «سَيُولَدُ وسط الملح والدُّخان تحت نجمٍ ينزف. أعرفُ هذه النبوءة»، ودَوَّرَ رأسه وبصقَ كُتْلَةً من البلغم الأحمر على الأرض، ثم واصل: «ولا أثقُ بها. قديمًا كتبَ جورجان ابن (جيس القديمة) أن النبوءة مِثْلُهَا مِثْلُ مرآةٍ مخادعة، تأخذُ عَضُوكَ في فمها وتأخذُ أنتَ تتأوَّه استمتاعًا مفكِّرًا كم أن هذا جميل ممتع رائع... ثم تنغلق أسنانها وتستحيل نأوْهاتك إلى صرخ. قال جورجان إن تلكَ طبيعتها، إن النبوءة ستقضم عَضُوكَ كلَّ مرَّة»، و«لاكَ تبغهُ قليلًا، ثم أضاف: «ومع ذلك...».

وَقَفَّ أَلِيرَاسٌ إِلَى جَوَارِ سَامٍ قَائِلًا: «كَانَ إِيْمُونٌ لِيَذْهَبَ إِلَيْهَا لَوْ تَمَتَّعَ بِالْقُوَّةِ. أَرَادَنَا أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهَا مَا يَسْتَرِ يَنْصَحُهَا وَيُحْمِيهَا وَيُعِيدُهَا أَمْنَةً إِلَى الْوَطَنِ».

هَزَّ مَارُوَيْنِ كَتْفَيْهِ، وَقَالَ: «حَقًّا؟ لَعَلَّ مِنْ الْخَيْرِ إِذْنُ أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ (الْبَلَدَ الْقَدِيمَةَ)، وَإِلَّا فَرُبَّمَا اضْطَرَّتْ الْخُرَافُ الرَّمَادِيَّةُ إِلَى قَتْلِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ لِيُزْعِجَ أَعْرَاءَنَا الْعَجَائِزَ الْمَسَاكِينَ».

سَأَلَ سَامُ مَصْدُومًا: «قَتَلَهُ؟ لِمَاذَا؟».

رَدَّ ماروين: «لو أخبرتك فربما يضطُّرون إلى قتلِكَ أيضاً»، وابتسمَ ابتسامةً بشعةً لتسيل عُصرةُ التَّبَغِ المُرِّ الحمراء من بين أسنانه، وقال: «مَنْ تحسبه قتلَ الثَّنائين كُلِّها آخرَ مرَّة؟ قَتَلَتِ الثَّنائينُ الأشاوسَ المسلَّحونَ بالسُّيوف؟»، وبصقَ ثم تابع: «العالم الذي تبنيه (القلعة) لا مكان فيه للسِّحَرِ أو التَّنَبُّؤِ أو الشَّمْعِ الزُّجَاجِيَّةِ، ناهيك بالثَّنائين. سَلْ نفسك لماذا يُسَمَّحُ لإيمون تارجارين بتبديد حياته على (الجدار) في حين كان الواجب أن يُرْفَقَ إليّ مايستر رئيس. دماؤه السَّبَب. لم يستطيعوا أن يثقوا به أكثر مما يستطيعون الثِّقَةَ بي».

سأله ألبراس أبو الهول: «ماذا ستفعل؟».

- «سَأْخُذُ نَفْسِي إِلَى (خَلِيجِ النَّخَّاسِينَ) بَدَلًا مِنْ إِيْمُونِ السَّفِينَةِ الْبَجْعِيَّةِ الَّتِي حَمَلَتِ الْقَاتِلَ كَفِيلَةً بِتَلْيِيهِ حَاجَتِي. لَا شَكَّ أَنَّ الْخِرَافَ الرَّمَادِيَّةَ سَتُرْسِلُ رَجُلَهَا عَلَى قَادِسٍ. إِذَا كُنْتَ الرَّيَّاحَ مُوَاتِيَةً فَسَأُسَبِّقُهُ إِلَى دَنْيَرِسَ»، وَرَمَقَ مَارُوَيْنَ سَامَ مَقْطَبًا وَجْهَهُ، وَقَالَ: «أَنْتَ... أَنْتَ عَلَيَّ أَنْ تَبْقَى وَتُكُونَنَّ سِلْسِلَتِكَ. لَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ لَفَعَلْتُهَا سَرِيعًا. سَيَأْتِي وَقْتُ تَكُونُ فِيهِ حَاجَةً إِلَيْكَ عَلَى (الْجِدَارِ)»، وَالتَفَتَ إِلَى الْمُبْتَدِئِ الشَّاحِبِ قَائِلًا: «جِدْ حُجْرَةً جَاقَةً لِلْقَاتِلِ. سَيَنَامُ هُنَا وَيُسَاعِدُكَ عَلَى الْعَنَاءِ بِالْغَدْفَانِ».

متلعثماً قال سام: «لـلـلـكن... رؤساء المايسترات الآخرون... القهرمان... ماذا أقولُ لهم؟».

-«قُلْ لَهُمْ كَمْ هُمْ حُكَمَاءَ صَالِحُونَ، قُلْ لَهُمْ إِنْ إِيْمُونُ أَمَرَكَ بِوَضْعِ نَفْسِكَ فِي أَيْدِيهِمْ، قُلْ لَهُمْ إِنَّكَ حَلَمْتَ دَوْمًا بِأَنْ تَسْتَطِيعَ ذَاتَ يَوْمٍ تَكْوِينَ السِّلْسِلَةَ وَخِدْمَةَ الصَّالِحِ الْعَامِ، إِنْ الْخِدْمَةُ أَرْفَعَ شَرَفَ وَالطَّاعَةُ أَسْمَى فَضِيلَةٍ. لَكَ أَنْ لَا تَقُولَ شَيْئًا عَنِ النَّبِوءَةِ أَوْ التَّنْزِيلِ مَا لَمْ تَكُنْ تَحِبُّ إِلَيْهِمْ فِي

طعـامك»، واختطفَ مـاروين معطفاً جلدياً متسخاً من على مشجبٍ قرب الباب وربطه بإحكامٍ قائلاً: «اعتنِ به يا أبا الهول».

ردَّ أليراس: «سأفعلُ»، لكن المايستر الرئيس كان قد خرجَ بالفعل، وسمعوا حذاه يدق السلالم.

سألَ سام حائراً: «أين ذهبَ؟».

أجابَه أليراس: «إلى الميناء. المشعوذ ليس رجلاً يؤمن بتضييع الوقت»، وابتسمَ مستطردّاً: «عندي اعتراف. لقائنا لم يكن صدفةً يا سام. المشعوذ أرسلني لألحقك قبل أن تتكلم مع ثيوبولد. كان يعلم بمجيئك».

- «كيف؟».

أشارَ أليراس برأسه إلى الشمعة الزجاجية، فحدَّقَ سام إلى اللهب الباهت الغريب لحظةً، ثم طرف بعينه وأشاح ببصره. كان الظلام يحلُّ خارج النافذة.

قال الشاب الشاحب: «ثمّة حُجيرة نوم شاغرة تحت حُجيرتي في البرج الغربي، وفيها سلالم تقود إلى مسكن والجريف مباشرة. إذا كان نقيب الغدبان لا يُزعجك فإنها تطلُّ على منظرٍ جيّد لـ(نهر البتع). هل يُناسبك هذا؟».

- «أظنُّ». عليه أن ينام في مكانٍ ما على كلِّ حال.

- «سأجلبُ لك بعض الأغذية الصوف. الجدران الحجرية تَبْرُد ليلاً، حتى هنا».

- «أشكرك». في هذا الشاب الشاحب اللّحيم شيء ما لا يروقه، لكن سام لا يرغب في أن يبدو فظاً، فأضاف: «اسمي ليس القاتل حقاً. أنا سام، سامويل تارلي».

قال الآخر: «أنا پايت، كفتى الخنازير».

في تلك الأثناء على الجدار...

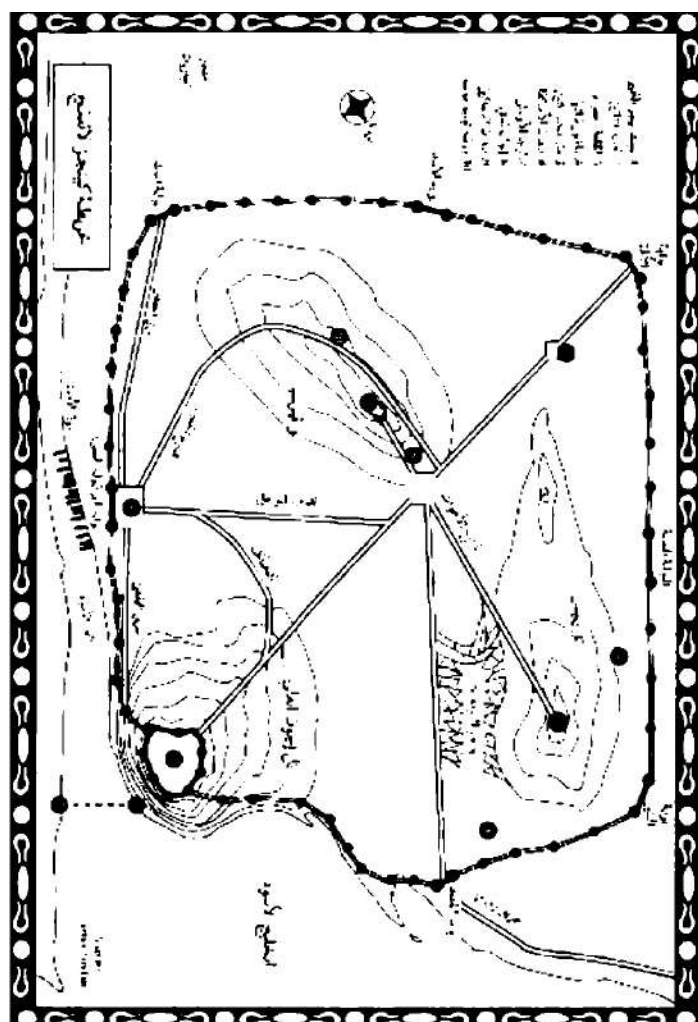
لا بُدَّ أن بعضكم يقول الآن: «مهلاً، انتظر لحظةً، انتظر لحظةً، انتظر لحظةً! أين داني والثَّنانين؟ أين تيريون؟ لقد رأينا چون سنو بالكاد. لا يُمكن أن يكون هذا كلُّ شيء...».

بالطَّبع لا. هناك المزيد في الطَّريق، كتاب آخر بحجم هذا الكتاب. لم أنسَ أن أكتب عن الشَّخصيَّات الأخرى. بالعكس تمامًا، كتبتُ الكثير عنها، صفحاتٍ وصفحاتٍ وصفحاتٍ، فصولًا والمزيد من الفصول. كنتُ ما زلتُ أكتبُ حين اتَّضح لي أن الرواية أصبحت أطول من أن تُنشر في كتابٍ واحد... ولم أكن قد دنوتُ من النِّهاية بعدُ. لحكاية القصة التي أريدُ أن أحكيها كان عليَّ أن أقسم الكتاب إلى اثنين.

أبسط طريقةٍ لفعل ذلك أن آخذ ما لديَّ وأشطره عند المنتصف وأُنهي بعبارة «يُتبع»، لكنَّ كلَّما أطلتُ التَّفكير في هذا شعرتُ بأن الأصلح للقارئ أن يكون كتابًا يحكي القصة الكاملة لنصف الشَّخصيَّات بدلًا من نصف قصة كلِّ الشَّخصيَّات، وهكذا قرَّرتُ أن أسلك هذا السَّبيل.

تيريون وچون وداني وستانيس ومليساندرا وداقوس سيوورث وجميع الشَّخصيَّات التي تحبونها أو تحبُّون أن تكرهوها سيعودون العام المقبل -كما أملُ بشدَّة- في «رقصة مع الثَّنانين»، وهو الكتاب الذي سيُرَكِّز على الأحداث على (الجدار) وعبر البحر، تمامًا كما ركَّز الكتاب الحالي على (كينجز لاندنج).

چورچ ر. ر. مارتين
يوليو/حزيران 2005



مُلحق (1) الملوك وبلاط كلِّ منهم الملكة الوصيَّة على العرش



سرسي لانستر الأولى، أرملة (الملك روبرت باراثيون الأول)، الملكة الأم، حامية البلاد، سيِّدة كاسترلي روك، الملكة الوصيَّة على العرش،

- أولاد الملكة سرسي:

- (الملك جوفري باراثيون الأول)، ماتَ مسمومًا في مأدبة زفافه، صبي في الثَّانية عشرة،

- الأميرة مارسلا باراثيون، فتاة في الثَّاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل في صنسبير،

- الملك تومن باراثيون الأول، ملك صبي في الثَّامنة،

- قِططه، السير پاونس، الليدي ويسكرز، بوتس،

- شقيقا الملكة سرسي:

- السير چايمي لانستر، توأمها، لقبه قاتل الملك، قائد الحرس الملكي،

- تيريون لانستر ولقبه العفريت، متَّهم ومدان باغتيال الملك وقتل الأقربين،

- بودريك پاين، مُرافق تيريون، صبي في العاشرة،

- أعمام وأخوال الملكة سرسي وأولادهم:

- السير كيڤان لانستر، عمُّها،

- السير لانسل، ابن السير كيڤان، مُرافق الملك روبرت وعشيق سرسي سابقًا، نُصِّبَ سيِّدًا على داري حديثًا،

- (ويلم)، ابن السير كيڤان، قُتِلَ في ريفررن،

- مارتن، ابن السير كيڤان، مُرافق،

- چاني، ابنة السير كيڤان، فتاة في الثَّالثة،

- الليدي چنا لانستر، عمَّة سرسي، زوجة إمون فراي،

- (السير كليوس فراي)، ابن چنا، قَتَلَه الخارجون عن القانون،

- السير تايوين فراي، يُسمَّى تاي، ابن كليوس،
- ويلم فراي، ابن كليوس، مُرافق،
- السير لايونل فراي، ابن الليدي جِنا الثَّاني،
- (تيون فراي)، ابن جِنا، قُتِلَ في ريفرَرَن،
- والد فراي ولقبه والدر الأحمر، أصغر أبناء الليدي جِنا، وصيف في كاسترلي روك،
- تايرك لانستر، ابن عمّ سرسي الرّاحل تايجت،
- الليدي إرميساندهايفورد، زوجة تايرك الطّقة،
- چوي هيل، ابنة جيريون عمّ الملكة سرسي المفقود النّغلة، فتاة في الحادية عشرة،
- سيرينا لانستر، ابنة ستافورد خال سرسي الرّاحل،
- مارييل لانستر، ابنة ستافورد خال سرسي الرّاحل وأخت سيرينا،
- السير دافن لانستر، ابن خالها ستافورد،
- السير داميون لانستر، ابن خؤولة بعيد، زوج شيرا كراكهول،
- السير لوشن لانستر، ابنهما،
- لانا، ابنتهما، زوجة اللورد أنتاريو چاست،
- الليدي مارجو، ابن خؤولة أبعد، زوجة اللورد تايئوس بيك،
- **مجلس الملك تومن الصّغير:**
- (اللورد تايوين لانستر)، يد الملك،
- السير چايمي لانستر، قائد الحرس الملكي،
- السير كيچان لانستر، قيّم القوانين،
- قارس ولقبه الخصي، ولي الهامسين،
- المايستر الأكبر پايسل، مستشار ومعالج،
- اللورد مايس تايرل، اللورد مائيس روان، اللورد پاكستر ردواين، مستشارون،
- **حرس تومن الملكي:**
- السير چايمي لانستر، القائد،
- السير مرين ترانت،
- السير بوروس بلاونت، أُعفي من منصبه ثم أُعيدَ إليه،
- السير بالون سوان،
- السير أوزموند كتلبلاك،
- السير لوراس تايرل، فارس الزُّهور

- السير آريس أوكهارت، مع الأميرة مارسلا في دورن،
- أهل بيت سرسي في كينجز لاندنج:
- الليدي چوسلين سويقت، رفيقتها،
- سينل ودوركاس، رفيقتها في الفراش وخادمتها،
- لوم، لستر الأحمر، هوك ولقبه ساق الحصان، ذو الأذن القصيرة، پوكنز، حُرّاس،
- الملكة مارچري
- الملكة مارچري سليلة عائلة تايرل، فتاة في السادسة عشرة، أرملة الملك چوفري باراثيون الأول ومن قبله اللورد رنلي باراثيون،
- بلاط مارچري في كينجز لاندنج:
- مايس تايرل، سيّد هايجاردن، أبوها،
- الليدي آليري سليلة عائلة هايتاور، أمّها،
- الليدي أولينا تايرل، جدّتها، أرملة مسنّة لقبها ملكة الأشواك،
- أريك وإريك، حارسا الليدي أولينا، توأمان طولهما سبعة أقدام لقبهما شمال ويمين،
- السير جارلان تايرل، أخو مارچري ولقبه الهمام،
- الليدي ليونيت، زوجته، سليلة عائلة فوسواي،
- السير لوراس تايرل، أصغر إخوتها، فارس الزُّهور، أخ محلّف في الحرس الملكي،
- رفيقات مارچري:
- بنات عمومته، مجا وآلا وإلینور تايرل،
- خطيب إلینور، آلن أمبروز، مُرافق،
- الليدي أليسين بولوار، فتاة في الثامنة،
- ميريديث كرين، أو ميري،
- الليدي تاينا ميريوينر،
- الليدي آليس جريسفورد،
- السيتة نستيريكا، أخت في العقيدة،
- پاكستر ردواين، سيّد الكرمة،
- ابناء التّوأمان، السير هوراس والسير هوبر،
- المايستر بالابار، معالجه ومستشاره،
- ماثيس روان، سيّد البُستان الذهبي،
- السير ويلام وينرز، قائد حرس مارچري،

- هيو كليفتون، حارس شاب وسيم،
- السير پورتيفر وودرايت وأخوه السير لوكانتين،
- بلاط سرسي في كينجز لاندنج:
- السير أوزفريد كتلبلاك والسير أوزني كتلبلاك، أخوان أصغر للسير أوزموند كتلبلاك،
- السير جريجور كليجاين ولقبه الجبل راكب الخيول، يُحتَضَر متألِّماً بجرح مسموم،
- السير أدام ماربراند، قائد حرس المدينة في كينجز لاندنج «ذوو المعاطف الذهبية»،
- چالابار شو، أمير وادي الزهرة الحمراء، منفي من جزر الصَّيف،
- جايلز روزبي، سيّد روزبي، مصاب بسعال مزمن،
- أورتون ميريوذر، سيّد الطاولة الطويلة،
- تاينا، زوجته، امرأة من مير،
- الليدي تاندا ستوكورث،
- الليدي فاليس، ابنتها الكبرى ووريثتها،
- السير بالمان بيرش، زوج الليدي فاليس،
- الليدي لوليس، ابنتها الصّغرى، حُبلى وضعيفة العقل،
- السير برون فارس النهر الأسود، زوج الليدي لوليس، مرتزق سابق،
- (شاي)، تابعة معسكرات تخدم كرفيقة فراش لوليس، ماتت خنقاً في فراش اللورد تاويين،
- المايستر فرنكن، في خدمة الليدي تاندا،
- السير إلين پاين، عدالة الملك، جَلَد،
- رينيفر لونجوترز، رئيس مُشرفي السّجّانين في زنازين القلعة الحمراء،
- روجن، مُشرف سجّانين في الزّنازين السّوداء،
- اللورد هالاين الپايرومانسر، صاحب حكمة من رابطة الخيميائيين،
- نوهو ديميتيس، مبعوث من مصرف براقوس الحديدي،
- كايرن، نكرومانسر، مايستر سابق من القلعة، لاحقاً عُضو في رِفقة الشُّجعان،
- فتى القمر، المهرّج الملكي،
- پايت، صبي في الثّامنة، كبش فداء الملك تومن،
- أورموند ابن البلدة القديمة، عازف القيثارة والمغنّي الملكي،
- السير مارك مالدنور، الذي فقدَ قرّداً ونِصف ذراع في معركة النّهر الأسود،
- أوران ووترز، نغل دريفتمارك،
- اللورد أليساندر ستيدمون ولقبه عاشق البنسات،

- السير رونيت كوننجتون ولقبه رونيت الأحمر، فارس وكر الجرافين،
- السير لامبرت ترنبيري، السير درموت ابن الغابة المطيرة، السير تالاد ولقبه الطويل، السير بايارد نوركروس، السير بونيفر هاستي ولقبه الصالح، السير هيوغو فانس، فرسان مقسمون على الولاء للعرش الحديدي،
- السير لايل كراكهول ولقبه العُفر القوي، السير آلن ستاكسبير، السير چون بتلي ولقبه چون الحليق، السير ستقون سويقت، السير همفري سويقت، فرسان مقسمون على الولاء لكاسترلي روك،
- جوزمين پكلدون، مُرافق ومن أبطال معركة النهر الأسود،
- جاريت پايج وليو پايجر، مُرافقان ورهينتان،
- **أهل كينجز لاندنج:**
- السّيتون الأعلى، أبو المؤمنين وصوت الآلهة السّبعة على الأرض، رجل عجوز واهن،
- السّيتون توربرت، السّيتون راينارد، السّيتون لوشن، السّيتون أوليدور، أعضاء في مجلس القانتين، يخدمون الآلهة السّبعة في سبت بيلور الكبير،
- السّيتة مويل، السّيتة أجلانتين، السّيتة هيلسنت، السّيتة أونلا، عضوات في مجلس القانتين، يخدمن الآلهة السّبعة في سبت بيلور الكبير،
- «العصافير»، أكثر البشر تواضعًا، مخلصون في إيمانهم،
- شاتايا، مالكة ماخور مكلف،
- ألايايا، ابنتها،
- دانسي، ماري، من فتيات شاتايا،
- رايلا، خادمة، خدمت الليدي سانزا ستارك حديثًا،
- توبهو موت، من أساتذة الحدادة،
- هاميش ذو القيثارة، مطرب مسن،
- ألاريك الأيزيني، مطرب كثير التّجوال،
- وات، مطرب يُطلق على نفسه لقب الشاعر الأزرق،
- السير ثيودان ولز، فارس متديّن، عُرفَ لاحقًا باسم السير ثيودان الصالح.
- راية الملك تومن عبارة عن وعل باراثيون المتوّج، أسود على ذهبي، وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارعان.

الملك على الجدار



اتَّخَذَ ستانيس لرايته رمز قلب إله الضَّيَاء النَّارِي، وهو قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي على خلفيّة صفراء، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوّج بلونٍ أسود.

- ستانيس باراثيون الأول، الابن الثَّاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت، سيّد دراجونستون، يُسمّي نفسه ملك وستروس،
- الملكة سيليس سليلة عائلة إسترمونت، زوجته، حاليّاً في القلعة الشَّرقيّة على البحر،
- الأميرة شيرين، ابنتهما، فتاة في السَّابعة،
- ذو الوجه المرقع، مهرّج شيرين الأبله،
- إدريك ستورم، ابن أخيه النّغل، ابن الملك روبرت من الليدي ديلينا فلورنت، صبي في الثَّانية عشرة، على متن پرندوس المجنون في البحر الضيّق.
- السير أندرو إسترمونت، ابن خال الملك ستانيس، من رجال الملك، يقود حُرّاس إدريك،
- السير جيرالد جاور، لويس ولقبه السّمّاك، السير تريستون ابن هضبة تالي، أوامر بلاكبري، من رجال الملك حُرّاس إدريك وحُماته،
- بلاط ستانيس في القلعة السّوداء:
- الليدي مليساندرا الآشائية ولقبها المرأة الحمراء، من راهبات راهلور إله الضَّيَاء،
- مانس رايدر، ملك ما وراء الجدار، أسير ومحكوم عليه بالموت،
- ابن رايدر من زوجته (دالا)، وليد بلا اسمٍ بعدُ، «الأمير الهمجي»،
- جيلي، مُرضعته، فتاة همجيّة،
- ابنها، وليد آخر بلا اسمٍ بعدُ، من أبيها (كراستر)،
- السير ريتشارد هورپ، السير چاستن ماسي، السير كلايتون سوجز، السير جودفري فارنج ولقبه قاتل العمالقة، اللورد هاروود فل، السير كورليس پني، من رجال الملكة وفُرسانها،
- دقان سيوورث وبريان فارنج، مُرافقان ملكيّان،
- بلاط ستانيس في القلعة الشَّرقيّة:
- السير دافوس سيوورث ولقبه فارس البصل، سيّد الغابة المطيرة، أميرال البحر الضيّق، يد الملك،

- السير أكسل فلورنت، عم الملكة سيليس، أبرز رجال الملكة،
- سالادور سان، من ليس، قُرْصان، رُبَّان قَالِيرِيان وأسطول من القوادس،
- **حامية ستانيس في دراجونستون:**
- السير رولاند ستورم ولقبه نغل التغريدة، من رجال الملك، أمين القلعة في دراجونستون،
- المايستر پايلوس، معالج ومعلّم ومستشار،
- «سجان الثريد» و«سجان الشلق»، سَجَّانان،
- اللوردات المقسمون على الولاء لدراجونستون:
- مونتريس فيلاريون، سيّد المدّ والجَزَر وحاكم دريفتمارك، صبي في السّادسة،
- دورام بار إمون، سيّد الرّأس الحاد، صبي في الخامسة عشرة،
- **حامية ستانيس في ستورمز إند:**
- السير جيلبرت فارنج، أمين القلعة في ستورمز إند،
- اللورد إلود ميدوز، نائب السير جيلبرت،
- المايستر چورن، مستشار السير جيلبرت ومعالجه،
- **اللوردات المقسمون على الولاء لستورمز إند:**
- إلدون إسترمونت، سيّد الحجر الأخضر، خال الملك ستانيس، خال أبي الملك تومن الكبير، صديق حذر للاثنين،
- السير إيمون، ابن اللورد إلدون ووريثه، مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
- السير آلن، ابن السير إيمون، أيضًا مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
- السير لوماس، أخو اللورد إلدون، خال الملك ستانيس ومناصره في ستورمز إند،
- السير أندرو، ابن السير لوماس، يحمي إدريك ستورم في البحر الضيق،
- لستر موريجن، سيّد عُش الغربان،
- اللورد لوكوس تشيتزينج ولقبه لوكوس الصغير، شاب في السّادسة عشرة،
- دافوس سيوورث، سيّد الغابة المطيرة،
- ماريا، زوجته، ابنة نجّار،
- (دايل و آلارد و ماثوس و ماريك)، أبناؤهما الأربعة الأكبر، فقداهم في معركة النّهر الأسود،
- دقان، مُرافق مع الملك ستانيس في القلعة السّوداء،
- ستانيس، صبي في العاشرة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،
- ستفون، صبي في السّادسة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،

ملك الجُزر والشَّمال



راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيّة سوداء، وكلماتهم: «نحن لا نزرع».

ينحدر آل جرايچوي من الملك الأشيب الذي عاش في عصر الأبطال، وتقول عنه الأساطير إنه لم يَحْكَمْ الجُزر الغربيّة فحسب، بل البحر نفسه كذلك وتزوَّج عروس بحر. لآلاف السنين شكّل مُغيرو جُزر الحديد -الذين أطلقَ عليهم ضحاياهم لقب «الرّجال الحديديّين» رُعبًا مقيمًا عبر البحار، فقد أبحروا لمسافات بعيدة حتى ميناء إيبين وجُزر الصّيف، وتباهوا بشراساتهم في المعارك وحرّياتهم المقدّسة. كان لكلّ واحدةٍ من جُزر الحديد «ملك ملحي» و«ملك صخري»، وكان هؤلاء ينتخبون ملك الجُزر الأعلى من بينهم، إلى أن جعلَ الملك أوروون انتقال العرش بالوراثة عندما اغتالَ بقية الملوك أثناء اجتماعهم للانتخاب، ثم قُضيَ على سلالة أوروون كلها بعد ألف عامٍ عندما اكتسح الأنداليّون جُزر الحديد، وصاهر آل جرايچوي الغزاة كما فعلَ عدد من سادة الجُزر الآخرين.

بسطَ الملوك الحديديّون سيطرتهم لمسافاتٍ تجاوزت جُزر الحديد نفسها بكثير، وأقاموا ممالك كاملةً على اليابسة بالسّيف والنّار، حتى إن الملك كوريد كان يتفاخّر بأن أوامره تسري «حيثما يشمُّ النّاس المياه المالحة أو يسمعون تلاطم الأمواج». في القرون التّالية فقدَ أبناء كوريد الكرامة والبلدة القديمة وجزيرة الدّبية ومساحةً

كبيرةً من السّاحل الغربي، ومع ذلك ظلّ الملك هارن الأسود مسيطرًا على الأراضي الواقعة بين الجبال من العُنق وحتى النهر الأسود خلال حروب الغزو، لكن بعد مصـرعه مـع أبناؤه فـي سـقوط هارنـهال منـح إـجـون تـارجارين أراضي النـهر لعائلة تـلي، وسـمح للـوردات جُزر الحديد النـاجين بـإحياء تـقليـدهم القـديم واختيـار من يـحكمهم، فاختاروا اللورد فيكون جرايچوي ابن پايك.

سبقَ أن قادَ بالون جرايچوي سيّد جُزر الحديد تمرّدًا على العرش الحديدي، أخمده الملك روبرت باراثيون الأول وإدارد ستارك سيّد وينترفيل، لكن في خضمّ الفوضى التي تبعت موت روبرت نصّب اللورد بالون نفسه ملكًا ثانيّةً وأرسلَ سفنه الطويلة تُهاجم الشّمال.

(بالون جرايچوي)، تاسع من يحمل هذا الاسم منذ الملك الأشيب، ملك جُزر الحديد والشّمال، ملك الملح والصّخر، ابن رياح البحر، سيّد حصاد پايك، ماتَ ساقطًا من علٍ،
- أرملة الملك بالون، الملكة ألانيس سليلة عائلة هارلو،

- أولادهما:

- (رودريك)، قُتِلَ خلال تمرُّد بالون الأول،
- (مارون)، قُتِلَ خلال تمرُّد بالون الأول،
- آشا، ابنتهما، رُبَّان الرِّيح السَّوداء وغازية ربوة الغابة،
- ثيون، يُسمِّي نفسه أمير وينترفل، يُسمِّيهِ السَّمَالِيُّون ثيون المارق،
- إخوة الملك بالون الأشقاء وغير الأشقاء:
- (هارلون)، ماتَ بالداء الأرمد في شبابه،
- (كوينتون)، ماتَ في طفولته،
- (دونل)، ماتَ في طفولته،
- يورون ولقبه عين الغراب، رُبَّان الصَّمت،
- فيكتاريون، الرُّبان قائد الأسطول الحديدي، سيِّد النَّصر الحديدي،
- (يوريجون)، ماتَ بجرحٍ بليغ،
- آرون، من رُهبان الإله الغريق،
- روس ونورجن، اثنان من مُعاونيه، «الرُّجال الغرقى»،
- (روبن)، ماتَ في طفولته،
- أهل بيت الملك بالون في پايك:
- المايستر ويندامير، معالج ومستشار،
- هيليا، راعية القلعة،
- مُحاربو الملك بالون والمقسمون له:
- داجمر ولقبه ذو الفك المفلوق، رُبَّان ثُمالة البحر، يقود الحديديَّين في مربَّع تورين،
- ذو السن الزرقاء، رُبَّان سفينة طويلة،
- أولر وسكايت، ملاحان ومُحاربان،
- المطالبون بكُرسی حجر اليم في انتخاب الملك في ويك القديمة:
- جیلبرت فارویند، سيِّد المنارة الوحيدة،
- أنصار جیلبرت: أبناؤه جايلز ويجون ويون،
- إريك آيرونميكسر ولقبه محطم السنادين وإريك العادل، عجوز، رُبَّان ومُغير ذائع الصَّيت سابقًا،
- أنصار إريك: أحفاده أوريك وثورمور وداجون،
- دنستان دروم، دروم الكبير، اليد العظميَّة، سيِّد ويك القديمة،
- أنصار دنستان: ابنه دينس ودونل، وأندریک اللا مبتسم، رجل عملاق،
- آشا جرايجوري، ابنة بالون جرايجوي الوحيدة، رُبَّان الرِّيح السَّوداء،

- أنصار آشا: كارل البكر، تريستيفر بوتلي، السير هاراس هارلو،
- ربابنة آشا وداعموها: اللورد رودريك هارلو، اللورد بيلور بلاكتايد، اللورد ملدريد مرلين،
هارموند شارپ، فيكتاريون جرايچوي، أخو بالون جرايچوي، سيّد النّصر الحديدي، الرّبّان قائد
الأسطول الحديدي،

- أنصار فيكتاريون:

رالف ستونهاوس الأحمر، رالف الأعرج، نيوت الحلاق،

- ربابنة فيكتاريون وداعموه:

- هوثو هارلو، آلفن شارپ، فرالج القوي، رومني ويفر، ويل همبل، لينوود تاوني الصغير، رالف
كنينج، مارون قولمارك، جورولد جودبراذر،

- طاقم سفينة فيكتاريون:

وولف ذو الأذن الواحدة، راجنور پايك،

- رفيقة فيكتاريون في الفِراش امرأة سمراء خرساء بلا لسان، هديّة من أخيه يورون،

يورون جرايچوي ولقبه عين الغراب، أخو بالون جرايچوي، رُبّان الصّمت،

- أنصار يورون:

- جرموند بوتلي، اللورد أوركوود سيد أوركمونت، دونور سولتكليف،

- ربابنة يورون وداعموه:

- توروولد ذو السن البنية، چون ماير ذو الوجه المسحوب، رودريك المولود حرا، الملاح الأحمر،
لوكاس كود الأعسر، كويلون همبل، هارن النصف هور، كيميت پايك النغل، ذو اليد الحجر، رالف
الراعي، رالف سليل لوردزپورت،

- طاقم سفينة يورون:

- كراجورن،

- حملة راية بالون، لوردات جُزر الحديد:

في پايك:

- (ساوان بوتلي)، سيّد لوردزپورت، أغرقه يورون عين الغراب،

- تريستيفر، ابنه الثّاني ووريثه الشّرعي، طرده عمّه،

- سايموند و هارلون و فيكون و بيناريون، أبناؤه الأصغر، مطرودون أيضًا،

- جرموند، أخوه، نُصّب سيّدًا على لوردزپورت،

- ابنا جرموند، بالون و كويلون،

- سارجون و لوسيمور، أخوا ساوان غير الشّقيقتين،

- وكس، صبي أخرس في الثّانية عشرة، ابن سارجون النّغل، مُرافق ثيون جرايچوي،

- والدون وينش، سيّد غابة الحديد،

في هارلو:

- رودريك هارلو ولقبه القارئ، سيّد هارلو، سيّد البروج العشرة، زعيم عائلة هارلو في هارلو،

- الليدي جوينيس، أخته الكبيرة،

- الليدي ألانيس، أخته الصّغيرة، أرملة الملك بالون جرايچوي،

- سيجفريد هارلو ولقبه سيجفريد ذو الشعر الفضي، عمّه الكبير، سيّد بهو هارلو،

- هوثو هارلو ولقبه هوثو الأحذب، مقرّه بُرج البريق، ابن عمومة،

- السير هاراس هارلو ولقبه الفارس، فارس الحديقة الرّماديّة، ابن عمومة،

- بورموند هارلو ولقبه بورموند الأزرق، سيّد تَل هاريدان، ابن عمومة،

- حملة راية اللورد رودريك والمقسمون له:

- مارون قولمارك، سيّد قولمارك،

- ماير، ستوننتري، كنينج،

- أهل بيت اللورد رودريك:

- ذات الثلاث أسنان، وكيلته، امرأة عجوز،

في بلاكتايد:

- بيلور بلاكتايد، سيّد بلاكتايد، رُبّان طيّار اللَّيل،

- بن بلاكتايد الأعمى، من رُهبان الإله الغريق،

في ويك القديمة:

- دنستان دروم، دروم الكبير، رُبّان الرّاعد،

- نورن جودبراذر، سيّد الحجر المهشّم،

- ستونهاوس الكبير،

- تارل ولقبه تارل الغارق ثلاثاً، من رُهبان الإله الغريق،

في ويك الكُبرى:

- جورولد جودبراذر، سيّد هامرهورن،

- أبناؤه، جرايدون وجورموند وجران، توائم،

- ابنتاه، جايزلا وجوين،

- المايستر مورنميور، معلّم ومعالج ومستشار،

- تريستون فارويند، سيّد رأس الفقّعات،

- سيار الكبير،

- ابنه ووريثه، ستيفاريون،
- ملدريد مرلين، سيّد بلدة الحصى،

في أوركمونت:

- أوركوود سيد أوركمونت،
- اللورد تاوني،

في جُرف الملح:

- اللورد دونور سولتكليف،
- اللورد سندرلي،

في الجُزر والصُّخور الأصغر:

- جيلبرت فارويند، سيّد المنارة الوحيدة،
- النورس الرمادي العجوز، من رُهبان الإله الغريق.

ملحق (2) عائلات أخرى صغيرة وكبيرة عائلة آرن



راية آل آرن عبارة عن قمر وصقر أبيضين على خلفية ذات لون أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشرف».

تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سلالات النبلاء الأنجليين. لم تُشارك عائلة آرن في حرب الملوك الخمسة، واحتفظت بقواتها للدفاع عن وادي آرن.

روبرت آرن، سيد العش، حامي الوادي، سمّته أمّه حاكم الشرق الشرعي، صبي سقيم في الثامنة، يُسمّى أحياناً العُصفور الجميل،

- أمّه، (الليدي لايسا سليلة عائلة تلي)، أرملة اللورد جون آرن، مانت مدفوعة من باب القمر،
- زوج أمّه، بيتر بايلش ولقبه الإصبع الصغير، سيد هارنهال، سيد الثالوث الأعلى، اللورد حافظ الوادي،

- إليني ستون، ابنة اللورد بيتر الطبيعية، فتاة في الثالثة عشرة، هويتها الحقيقية سانزا ستارك،

- السير لوثر برون، مرتزق في خدمة اللورد بيتر، قائد حرس العش،

- أوزويل، جندي عجوز في خدمة اللورد بيتر، يُسمّى أحياناً كتلبلاك،

- أهل بيت اللورد روبرت في العش:

- ماريليون، مطرب شاب وسيم أثير عند الليدي لايسا ومثّهم بقتلها،

- المايستر كولمون، مستشار ومعالج ومعلم،

- مورد، سجان غاشم له أسنان من الذهب،

- جرتشل ومادي وميلا، خادمت،

- حملة راية اللورد روبرت، لوردات الوادي:

- اللورد نستور رويس، وكيل الوادي الأعلى وأمين قلعة بوابات القمر،

- السير ألبار، ابن اللورد نستور ووريثه،

- ميراندا وتُسمّى راندا، ابنة اللورد نستور، أرملة بعد زيجة قصيرة،

- أهل بيت اللورد نستور:
- السير ماروين بلمور، قائد الحرس،
- ميا ستون، سائقة وراعية بغال، ابنة الملك روبرت باراثيون الأول النغلة،
- أوسي وكاروت، سائقا بغال،
- لايونل كوربراي، سيّد بيت القلوب،
- السير لين كوربراي، أخوه ووريثه، حامل السيف الشهير سيّدة البؤس،
- السير لوكاس كوربراي، أخوه الأصغر،
- چون ليندرلي، سيّد غابة الثعابين،
- تيرانس، ابنه ووريثه، مُرافق شاب،
- إدموند واكسلي، فارس ويكندن،
- جيرولد جرافتون، سيّد بلدة النّوارس،
- جايلز، ابنه الأصغر، مُرافق،
- تريستون سندرلاند، سيّد الثلاث أخوات،
- جودريك دورل، سيّد الأخت العذبة،
- رولاند لونجثورپ، سيّد الأخت الطويلة،
- أليساندور تورنت، سيّد الأخت الصّغيرة،
- لوردات البيان، حملة راية عائلة آرن المتضافرون دفاعًا عن اللورد روبرت:
- يون رويس ولقبه يون البرونزي، سيّد رونستون، من الفرع الرّئيس لعائلة رويس،
- السير أندار، ابن يون البرونزي الحي الوحيد، وريث رونستون،
- أهل بيت يون البرونزي:
- المايستر هليويج، معلّم ومعالج ومستشار،
- السّبتون لوكوس،
- السير سامويل ستون ولقبه سام ستون القوي، قيّم السّلاح،
- حملة راية يون البرونزي والمقسمون له:
- رويس كولدووتر، سيّد غدير الماء البارد،
- السير دامون شفت، فارس بُرج النّوارس،
- أوثر توليت، سيّد الوادي الرّمادي،
- أنيا واينوود، سيّدة السّنديانة الحديدية،
- السير مورتون، ابنها الأكبر ووريثها،

- السير دونل، ابنها الثاني، فارس البوابة،
- والاس، ابنها الأصغر،
- هارولد هاردينج، ربيها، مُرافق شاب يُسمّى غالبًا هاري الوريث،
- بنيدار بلمور، سيّد الأغرودة،
- السير سايموند تمپلتون، فارس النجوم النّسع،
- (إيون هنتر)، سيّد بهو القوس الطّويل، مات قريبًا،
- السير جيلوود، ابن اللورد إيون الأكبر ووريثه، الآن يُسمّى اللورد هنتر اليافع،
- السير إيوستس، ابن اللورد إيون الثاني،
- السير هارلان، ابن اللورد إيون الأصغر،
- أهل بيت اللورد هنتر اليافع:
- المايستر ويلامن، مستشار ومعالج ومعلّم،
- هورتون ردفورت، سيّد ردفورت، تزوّج ثلاث مرّات،
- السير چاسپر، السير كرايتون، السير چون، أبناؤه،
- السير مايكل، ابنه الأصغر، فارس مستجد، زوج يسيلا رويس ابنة رونسون،
- زُعماء قبائل جبال القمر:
- شاجا بن دولف زعيم الغربان الحجرية، حاليًا يقود جماعةً في غابة الملوك،
- تيميت بن تيميت، زعيم الرجال المحروقين،
- تشلا بنت تشيك، زعيمة الأذان السوداء،
- كراون بن كالور، زعيم إخوة القمر.

عائلة فلورنت



رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلب يطلُّ برأسه من حلقة من الزهور.

آل فلورنت أولاد قلعة المياه الوضّاءة من حملة راية عائلة تايرل، على الرغم من أسبقية حقهم في هاجاردن استنادًا إلى صلة دم بينهم وبين عائلة جارندر التي حكم ملوكها المرعى قديمًا. لدى اندلاع حرب الملوك الخمسة تبغ اللورد آلستر فلورنت آل تايرل في إعلانهم تأييد الملك رنلي، لكن أخاه السير أكسل اختار الملك ستانيس، الذي خدمه أعوامًا كأمين القلعة في دراجونستون، وقد كانت سيليس ابنة أخيها وما زالت ملكة ستانيس. بعد موت رنلي عند ستورمز إند انضم آل فلورنت لستانيس بقوتهم كلّها، وهم أول من يفعل هذا من حملة راية رنلي. نصّب ستانيس اللورد آلستر يدًا له، وأعطى أخا زوجته السير إمري فلورنت قيادة أسطوله، وفي معركة النهر الأسود ضاع كلا الأسطول والسير إمري، وعدّ الملك ستانيس جهود اللورد آلستر للتفاوض على السلام خيانةً، وأعطى الرأية الحمراء مليساندرا إياه لثحره كقربان لراهلور.

(الستر فلورنت)، سيد قلعة المياه الوضّاءة،

- زوجته، الليدي ميلارا، سليلة عائلة كرين،

- أولادهما:

- أليكاين، وريث قلعة المياه الوضّاءة،

- ميليسا، زوجة اللورد راندل تارلي،

- ريا، زوجة اللورد لايتون هايتاور،

- أخواه:

- السير أكسل، أمين قلعة دراجونستون،

- (السير ريام)، مات حين سقط من فوق حصان،

- ابنة السير ريام، الملكة سيليس، زوجة الملك ستانيس،

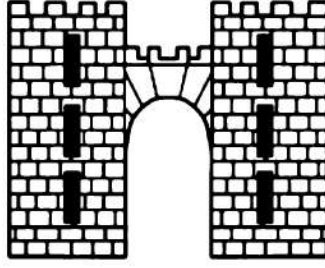
- ابن السير ريام الأكبر ووريثه، (السير إمري)،

- ابن السير ريام الثاني، السير إرن،

- السير كولين،

- ابنة السير كولين، ديلينا، زوجة السير هوسمان نوركروس،
- ابن ديلينا، إدريك ستورم، ابن غير شرعي للملك روبرت،
- ابن ديلينا، آلستر نوركروس،
- ابن ديلينا، رنلي نوركروس،
- ابن كولين، المايستر أومر، في خدمة أوك القديمة،
- ابن كولين، ميريل، مُرافق في الكرامة،
- أخته، رايلين، زوجة ريتشارد كرين.

عائلة فراي



يتمتع آل فراي بالقوة والثراء وعددٍ وفير من الأولاد، وهم حملة راية عائلة تلي ومقسمون على الولاء لريفرن، وإن كانوا لا يلتزمون دائماً بأداء واجبهم، فحين قاتل روبرت باراثيون ريجار تارجارين في معركة التالوث لم يصل رجال فراي إلا بعد انتهاء القتال، ومنذ ذلك الحين لقب هوستر تلي اللورد والدر باللورد فراي الممتلكي. لم يُوافق اللورد فراي على دعم روب ستارك إلا بعد أن وافق روب ستارك على خطبة واحدة من بناته أو حفيداته، ووعد بأن يتزوجها حين تنتهي الحرب، ثم عندما تزوج جايين وسترلينج بدلاً من ذلك تأمر آل فراي مع رووس بولتون واغتالوا الذئب الصغير وأتباعه في الحادثة التي صارت معروفة باسم الزفاف الأحمر.

والدر فراي، سيد المعبر،

- من زوجته الأولى، (الليدي پيرا) سليمة عائلة رويس:

- السير ستقرون، وريث التوأمتين،

- زوجته (كورينا سوان)، مائت بمرض مزمن،

- ابن ستقرون الأكبر، السير رايمان،

- ابن رايمان، إدوين، زوج چانيس هنتر،

- ابنة إدوين، والدا، فتاة في الثامنة،

- ابن رايمان، والدر، لقبه والدر الأسود،

- ابن رايمان، (پيتر)، لقبه پيتر ذو الدامل، زوج ميليندا كارون،

- ابنة پيتر، پيرا، فتاة في الخامسة،

- زوجته (چين ليدن)، مائت حين سقطت من على حصان،

- ابن ستقرون، (إجون)، أبله ملقب بذي الجلاجل،

- ابنة ستقرون، (مايجل)، مائت أثناء الوضع،

- السير دافين قانس،

- ابنة مايجل، ماريان، عذراء،

- ابن مايجل، والدر قانس، مُرافق فارس،

- ابن مايجل، پاتريك قانس،

- زوجته (مارسلا واينوود)، مائت أثناء الوضع،
- ابن ستقرون، والتون، زوج ديانا هاردينج،
- ابن والتون، ستقون، لقبه الحلو،
- ابنة والتون، والدا، لقبها والدا الحسنا،
- ابن والتون، برايان، مُرافق فارس،
- السير إمون، زوج جينا سليلة عائلة لانستر،
- ابن إمون، (السير كليوس)، زوج چين داري، قتله الخارجون عن القانون قُرب بركة العذارى،
- ابن كليوس، تايوين، مُرافق فارس في الحادية عشرة،
- ابن كليوس، ويلم، وصيف في آشمارك،
- ابن إمون، السير لايونل، زوج ميليسا كراكهول،
- ابن إمون، (تيون)، قتله ريكارد كاستارك وهو أسير في ريفرن،
- ابن إمون، والدر، لقبه والدر الأحمر، وصيف في كاسترلي روك،
- السير إينس، زوج (تيانا وايلد)، مائت أثناء الوضع،
- ابن إينس، إجون وليد الدم، خارج عن القانون،
- ابن إمون، ريجار، زوج چين بيزبوري،
- ابن ريجار، روبرت، صبي في الثالثة عشرة،
- ابنة ريجار، والدا، فتاة في العاشرة، لقبها والدا البيضاء،
- ابن ريجار، چونوس، صبي في الثامنة،
- پريان، زوجة السير ليزلين هاي،
- ابن پريان، السير هاريس هاي،
- ابن هاريس، والدر هاي، صبي في الرابعة،
- ابن پريان، السير دونل هاي،
- ابن پريان، السير آلين هاي، مُرافق فارس،
- من زوجته الثانية، (الليدي كايرينا) سليلة عائلة سوان:
- السير چارد، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،
- ابن چارد، (السير تاييتوس)، زوج زوي بلينتري، قتله ساندور كليجاين خلال الزفاف الأحمر،
- ابنة تاييتوس، زيا، فتاة في الرابعة عشرة،
- ابن تاييتوس، زاكري، صبي في الثانية عشرة، يتدرّب في سبت البلدة القديمة،
- ابنة چارد، (كايرا)، زوجة جارس جودبروك، قُتلت خلال الزفاف الأحمر،

- ابن كايرا، والدر جودبروك، صبي في التاسعة،
- ابنة تايروس، چين جودبروك، فتاة في السادسة،
- السيتون لوسيون، يخدم في سبت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،
- من زوجته الثالثة، (الليدي أماري) سليلة عائلة كراكهول:
- السير هوستين، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،
- ابن هوستين، السير آروود، زوج رييلا رويس،
- ابنة آروود، رييلا، فتاة في الخامسة،
- ابنا آروود التوأم، أندرو وآلين، في الثالثة،
- الليدي لايتين، زوجة اللورد لوشياس فايرن،
- ابنة لايتين، إليانا، زوجة السير چون وايلد،
- ابن إليانا، ريكارد وايلد، في الرابعة،
- ابن لايتين، السير ديمون فايرن،
- سايموند، زوج بيثاريوس البراقوسية،
- ابن سايموند، أليساندر، مغنٌ،
- ابنة سايموند، آلكس، فتاة في السابعة عشرة،
- ابن سايموند، برادامار، صبي في العاشرة، نشأ في براقوس ربيباً للتاجر أورو تندايريس،
- السير دانويل، زوج واينافري ونت،
- (وُلِدَ أبناؤهما إمّا موتى أو ماتوا في المهد)،
- (ميريت)، زوج ماريا داري، ماتَ شنعاً في الحجر العتيق،
- ابنة ميريت، أميري، تُسمّى آمي، أرملة في السادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق، قتلَه السير جريجور كليجاين)،
- ابنة ميريت، والدا، لقبها والدا السمينه، فتاة في الخامسة عشرة،
- ابنة ميريت، ماريسا، فتاة في الثالثة عشرة،
- ابن ميريت، والدر، لقبه والدر الصغير، صبي في الثامنة، ينشأ في وينترفل كريبب الليدي كاتلين ستارك،
- (السير چريمي)، مات غرقاً، كان زوج كارولي واينوود،
- ابن چريمي، ساندور، صبي في الثانية عشرة، مُرافق السير دونل واينوود،
- ابنة چريمي، سينثيا، فتاة في التاسعة، ربيبة الليدي أنيا واينوود،
- السير رايموند، زوج بيوني بيزبوري،
- ابن رايموند، روبرت، في السادسة عشرة، يتدرّب في قلعة البلدة القديمة،

- ابن رايموند، مالوين، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في ليس،
- ابنتا رايموند التَّوأم، سيرا وسارا، فتاتان في الرَّابِعة عشرة،
- ابنة رايموند، سرسي، في السَّادسة، لقبها النحلة الصغيرة،
- من زوجته الرَّابِعة، (الليدي أليسا) سليلة عائلة بلاكوود:
- لوثر، ابنهما الأكبر، لقبه لوثر الكسيح، زوج ليونلا ليفورد،
- ابنة لوثر، تايسين، فتاة في السَّابعة،
- ابنة لوثر، والداء، فتاة في الرَّابِعة،
- ابنة لوثر، إمبريلي، فتاة في الثَّانية،
- السير چاموس، زوج سالي پايج،
- ابن چاموس، لقبه والدر الكبير، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفيل كريبب الليدي كاتلين ستارك،
- ابنا چاموس التَّوأم، ديكون وماثوس، في الخامسة،
- السير والن، زوج سيلوا پايج،
- ابن والن، هوستر، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافق السير ديمون پايج،
- ابنة والن، ماريان، تُسمَّى مري، فتاة في الحادية عشرة،
- الليدي موريا، زوجة السير فليمنت براكس،
- ابن موريا، روبرت براكس، في التَّاسعة، ينشأ كوصيف في كاسترلي روك،
- ابن موريا، والدر براكس، صبي في السَّادسة،
- ابن موريا، چون براكس، صبي في الثَّالثة،
- تايئا، لقبها تايئا العذراء، في التَّاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، (الليدي ساريا) سليلة عائلة ونت:
- لا أولاد،
- من زوجته السَّادسة، (الليدي بثاني) سليلة عائلة روزبي:
- السير پروين، ابنهما الأكبر،
- السير (بنفري)، ابن اللورد والدر السَّادس عشر، ماتَ بجرحٍ أصابه خلال الزَّفاف الأحمر، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
- ابنة بنفري، دلا، لقبها دلا الصماء، في الثَّالثة،
- ابن بنفري، أوزموند، صبي في الثَّانية،
- المايستر ويلامن، يخدم في قلعة القوس الطَّويل،
- أوليفار، مُرافق في خدمة روب ستارك،

- روزلين، فتاة في السادسة عشرة،
- من زوجته السابعة، (الليدي أنارا) سليلة عائلة فارنج:
- أروين، فتاة في الرابعة عشرة،
- وندل، ابنهما الأكبر، صبي في الثالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كوصيف،
- كولمار، موعود بالخدمة في العقيدة، في السابعة،
- والتير، يُسمَّى تير، صبي في العاشرة،
- إلمار، خطيب آريا ستارك، صبي في التاسعة،
- شيري، فتاة في السادسة،
- من زوجته الثامنة، (الليدي جوينيوس) سليلة عائلة إيرينفورد:
- لا أولاد بعد،
- أولاد اللورد والدر غير الشرعيين من أمهات مختلفات:
- والدر ريفرز، لقبه والدر النغل،
- ابن والدر النغل، السير إيمون ريفرز،
- ابنة والدر النغل، والدا ريفرز،
- المايستر ملويس، يخدم في روزبي،
- چين ريفرز، مارتن ريفرز، رايجر ريفرز، رونل ريفرز، ميلارا ريفرز، آخرون.

عائلة هايتاور



رمز عائلة هايتاور بُرج أبيض مدرّج متوّج بالنّار على خلفيّة بلون الدُّخان، وكلماتهم: «نُشير الطّريق».

آل هايتاور أولاد البلدة القديمة من أعرق عائلات وستروس الكُبرى وأكثرها إباءً، وتنحدر أصولهم من البَشَر الأوائل. قديمًا كانوا ملوكًا يَحْكُمون البلدة القديمة والأنحاء المحيطة بها منذ فجر العصور، ورَحَّبوا بالأنداليين بدلًا من مقاومتهم، ولاحقًا خضعوا لملوك المرعى متخلّين عن تيجانهم وإن احتفظوا بجميع امتيازاتهم العتيقة. على الرغم من سطوتهم وثرائهم الفاحش لطالما فضّل لوردات البُرج العالي التّجارة على القتال، ونادرًا ما لعبوا دورًا كبيرًا في حروب وستروس. كان آل هايتاور عاملاً أساسيًا في إنشاء القلعة وما زالوا يحمونها حتى اليوم، ولحصافتهم ورقّيّهم كانوا دومًا رُعاةً للعلم والعقيدة، ويُقال إن بعضًا معيّنًا منهم اشتغل أيضًا في الخيمياء واليايرومانسي والنّكرومانسي وغيرها من فنون السّحر.

لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة، سيّد المرفأ، سيّد البُرج العالي، حامي القلعة، منارة الجنوب، يُسمّى شيخ البلدة القديمة،

- الليدي ريا سليلة عائلة هايتاور، زوجته الرَّابعة،
- أكبر أبناء اللورد لايتون ووريثه، السير بيلور ولقبه بيلور البشوش، زوج روندا روان،
- ابنة اللورد لايتون، مالورا ولقبها العذراء المجنونة،
- ابنة اللورد لايتون، أليري، زوجة اللورد مايس تايرل،
- ابن اللورد لايتون، السير جارت ولقبه الفولاذ الرمادي،
- ابنة اللورد لايتون، دينيس، زوجة السير دزموند ردواين،
- ابنها، دينس، مُرافق،
- ابنة اللورد لايتون، لايلا، زوجة السير چون كوپس،
- ابنة اللورد لايتون، أليس، زوجة اللورد آرثر أمبروز،
- ابنة اللورد لايتون، لينيس، زوجة اللورد چورا مورمونت، والآن كبيرة محظيّات تريجار أورمولن في ليس،
- ابن اللورد لايتون، السير جونثور، زوج چاين فوسواي من فرع عائلة فوسواي الأخضر،

- ابن اللورد لايتون الأصغر، السير همفري،

- حملة راية اللورد لايتون:

- تومن كوستاين، سيد الأبراج الثلاثة،

- أليسين بولوار، سيّدة النَّاج الأسود، فتاة في الثامنة،

- مارتن مالندور، سيد النُّجود،

- وارن بيزبوري، سيد ربوة العسل،

- برانستون كاي، سيد بهو عبّاد الشَّمس،

- أهل البلدة القديمة:

- إماء، ساقية في الريشة والدَّورق، حيث النساء شبقات وخمر التُّفّاح قويّة للغاية،

- روزي، ابنتها، فتاة في الخامسة عشرة ستتكلف بكارتها تنينًا ذهبيًا،

- رؤساء المايسترات في القلعة:

- المايستر الرئيس نورن، قهرمان العام الحالي، خاتمه وصولجانه وقناعه من معدن الإلكترولوم،

- المايستر الرئيس ثيوبولد، قهرمان العام المقبل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الرصاص،

- المايستر الرئيس إيبروز، المعالج، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفضة،

- المايستر الرئيس ماروين ولقبه ماروين المشعوذ، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفولاذ القاليري،

- المايستر الرئيس بيرستان، المؤرّخ، خاتمه وصولجانه وقناعه من النحاس،

- المايستر الرئيس قايلين ولقبه الخل، الفلكي، خاتمه وصولجانه وقناعه من البرونز،

- المايستر الرئيس ريام، خاتمه وصولجانه وقناعه من الذهب الأصفر،

- المايستر الرئيس والجريّف، عجوز تائه العقل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الحديد الأسود،

- جالارد، كاستوس، زارايو، بنيدكت، جاريزون، نايموس، سيثريس، ويليفر، مولوس، هارودون،

جايني، أجريقان، أوكلي، كلّهم رؤساء مايسترات،

- مايسترات ومُعاونو ومبتدئو القلعة:

- المايستر جورمون، يخدم غالبًا في مكان والجريّف،

- آرمن ويُسمّى المعاون، مُعاون في سلسلته أربع حلقات،

- أليراس ولقبه أبو الهول، مُعاون في سلسلته ثلاث حلقات، قوَّاس بارع،

- روبرت فراي، في السادسة عشرة، مُعاون في سلسلته حلقتان،

- لوركاس، مُعاون في سلسلته تسع حلقات، في خدمة القهرمان،

- ليو تايرل ولقبه ليو الكسول، مبتدئ من النبلاء،

- مولاندر، مبتدئ مولود بقدمٍ معوجة،

- پايت، يعتني بغد فان المايستر الرئيس والجريث، مبتدئ غير واعد،
- ررون، مبتدئ صغير.

عائلة لانستر



راية آل لانستر عبارة عن أسد ذهبي على خلفية قرمزية، وكلماتهم: «اسمعوا زيري».

يبقى آل لانستر أولاد كاسترلي روك أقوى المؤيدين لدعوى الملك تومن للعرش الحديدي، ويأتي نسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المحتال الذي عاش في عصر الأبطال، وقد جعلهم ذهب كاسترلي روك والناب الذهبي أثرى العائلات الكبرى.

(تايوين لانستر)، سيد كاسترلي روك، حامي لانسپورت، حاكم الغرب، يد الملك، قتله ابنه القزم في مرحاضه،

- أولاد اللورد تايوين:

- سرسي، توأمة چايمي، الآن سيّدة كاسترلي روك،

- چايمي، توأم سرسي ولقبه قاتل الملك،

- تيريون ولقبه العفريت، قزم وقَاتِل أقربين،

- إخوة اللورد تايوين وأولادهم:

- السير كيقان لانستر، زوج دورنا سليلة عائلة سويفت،

- الليدي چنا، زوجة إمون فراي، الآن سيّدة ريفررن،

- ابن چنا الأكبر، (السير كليوس فراي)، زوج چاين سليلة عائلة داري، قتله الخارجون عن القانون،

- ابن كليوس الكبير، السير تايوين فراي ويُسمّى تاي، الآن وريث ريفررن،

- ابن كليوس الثاني، ويلم فراي، مُرافق،

- ابن چنا الثاني، السير لايونل فراي،

- ابن چنا الثالث، (تيون فراي)، قُتِل وهو أسير في ريفررن،

- ابن چنا الأصغر، والدر فراي ولقبه والدر الأحمر، وصيف في كاسترلي روك،

- وات ذو الابتسامة البيضاء، مطرب في خدمة الليدي چنا،

- السير تايجت لانستر، مات بالجُدري،

- تايرك، ابن تايجت، مفقود ويُخشى أنه مات،

- الليدي إرميساند هايفورد، زوجة تايرك الطّفة،
- (جيريون لانستر)، مفقود في البحر،
- چوي هيل، ابنة جيريون النّغلة، فتاة في الحادية عشرة،
- **أهل اللورد تايوين المقربون الآخرون:**
- (السير ستافورد لانستر)، ابن عم اللورد تايوين وأخو زوجته، قُتِلَ في معركة أوكسكروس،
- سيرينا و ماريل، ابنتا ستافورد،
- السير دافن لانستر، ابن ستافورد،
- السير داميون لانستر، ابن عم، زوج شيرا كهراكهول،
- ابنتهما، السير لوشن،
- ابنتهما، لانا، زوجة أنتاريو چاست،
- الليدي مارجو، ابنة عمومة، زوجة اللورد تايئوس بيك،
- أهل بيت اللورد تايوين في كاسترلي روك:
- المايستر كرايلن، معالج ومعلّم ومستشار،
- قايلار، قائد الحرس،
- السير بنيدكت بلوم، قيّم السّلاح،
- وات ذو الابتسامة البيضاء، مطرب،
- **حملة راية ومقسمون على الولاء، لوردات الغرب:**
- دامون ماربراند، سيّد آشمارك،
- السير أدام ماربراند، ابنه ووريثه، قائد حرس المدينة في كينجز لاندنج،
- رولاند كراكهول، سيّد كراكهول،
- أخو رولاند، (السير برتون)، قتلّه الخارجون عن القانون،
- ابن رولاند ووريثه، السير تايبولت،
- ابن رولاند، السير لایل ولقبه العفر القوي،
- ابن رولاند الأصغر، السير مرلون،
- سيباستون فارمان، سيّد الجزيرة القصيّة،
- چاين، أخته، زوجة السير جاريت كليفتون،
- تايئوس براكس، سيّد وادي القرون،
- السير فليمنت براكس، أخوه ووريثه،
- كوينتن بانفورت، سيّد بانفورت،

- السير هاريس سويفت، حمو السير كيڤان،
- ابن السير هاريس، السير ستفون سويفت،
- ابنة السير ستفون، جوانا،
- ابنة السير هاريس، شيرل، زوجة السير ملوين سارسفيلد،
- ريجينارد إسترن، سيّد ويندهول،
- جاون وسترلينج، سيّد الجُرف،
- زوجته، الليدي سيبل سليلة عائلة سپايسر،
- أخوها، السير رولف سپايسر، نُصّبَ حديثًا سيّدًا على كاستامير،
- ابن عمّها، السير سامويل سپايسر،
- أولادهما:

- السير راينالد وسترلينج،
- چاين، أرملة روب ستارك،
- إلينا، فتاة في الثّانية عشرة،
- رولام، صبي في الثّاسعة،
- اللورد سلموند ستاكسبير،
- ابنه، السير ستفون ستاكسبير،
- ابنه الثّاني، السير آلن ستاكسبير،
- تيرانس كنينج، سيّد كايس،
- السير كينوس الكايسي، فارس في خدمته،
- اللورد أنتاريو چاست،
- اللورد روبن مورلاند،
- الليدي أليسين ليفورد،
- لويس ليدن، سيّد الوكر العميق،
- اللورد فيليب پلوم،
- أبناؤه، السير دنيس پلوم، السير پيتر پلوم، السير هاروين پلوم ولقبه الحجر الصلب،
- اللورد جاريسون پرستر،
- السير فورلي پرستر، ابن عمّه،
- السير جريجور كليجاين ولقبه الجبل راكب الخيول،
- ساندور كليجاين، أخوه،

- السير لورنت لورك، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير جارت جرينفيلد، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير لايموند فيكاري، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير راينارد روتيجر، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير مانفريد ياو، فارس من مُلّاك الأراضي،
- السير تايبولت هينرسبون، فارس من مُلّاك الأراضي،
- (ميلارا هينرسبون)، ابنته، غرقت في بئرٍ وهي ربيبة في كاسترلي روك.

عائلة مارتل



راية عائلة مارتل عبارة عن شمس حمراء تخترقها حربة ذهبية، وكلماتهم «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

كانت دورن آخر الممالك السَّبع التي أقسمت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعت حرب الملوك الخمسة لم تُشارك دورن فيها. بعد خطبة مارسلا باراثيون للأمير تريستان أعلنت صنسبير تأييدها الملك جوفري واستدعت راياتها.

دوران نايميروس مارتل، سيّد صنسبير، أمير دورن،

- زوجته، ميلاريو، من مدينة نورفوس الحرّة،

- أولادهما:

- الأميرة أريان، وريثة صنسبير،

- جارين، أخو أريان في الرّضاعة، من أيتام الدّم الأخضر،

- الأمير كوينتن، فارس مستجد، ربيب منذ الطّفولة للورد يرونود سيّد يرونود،

- الأمير تريستان، خطيب مارسلا باراثيون،

- أخوا الأمير دوران:

- (الأميرة إليا)، اغتُصبت وقُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،

- (ريينس تارجارين)، ابنتها الصّغيرة، قُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،

- (إجون تارجارين)، رضيع، قُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،

- (الأمير أوبرين) ولقبه الأفعوان الأحمر، قتله السير جريجور كليجاين في محاكمةٍ بالنّزال،

- إلاريا ساند، خليعة الأمير أوبرين، ابنة اللورد هارمن أولر الطّبيعيّة،

- أفاعي الرمال، بنات أوبرين النّغلات:

- أوبارا، في الثّامنة والعشرين، ابنة أوبرين من عاهرة في البلدة القديمة،

- نايميريا ولقبها الليدي نيم، في الخامسة والعشرين، ابنة أوبرين من امرأةٍ نبيلةٍ من قولانتيس،

- تايين، في الثّالثة والعشرين، ابنة أوبرين من سِبتة،

- ساريلا، في التاسعة عشرة، ابنته من تاجرة، رُبَّان قُبلة الرِّيش،
- إليا، في الرَّابعة عشرة، ابنته من إليا ساند،
- أوبلا، في الثَّانية عشرة، ابنته من إليا ساند،
- دوريا، في الثَّامنة، ابنته من إليا ساند،
- لوريزا، في السَّادسة، ابنته من إليا ساند،
- بلاط الأمير دوران في الحقائق المائيَّة:
- آريو هوتا، من نورفوس، قائد الحرس،
- المايستر كاليوت، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- نحو ستَّين من الأطفال من عليَّة القوم والعامَّة، أبناء وبنات لوردات وفُرسان وأيتام وتُجَّار وحرفيَّين وفلَّاحين، أربَّاءه،
- بلاط الأمير دوران في صنسبير:
- الأميرة مارسلا باراثيون، ربيبتة، خطيبة الأمير تريستان،
- السير آريس أوكهارت، حارس مارسلا الشَّخصي،
- روزاموند لانستر، رفيقة فراش مارسلا ووصيفتها، ابنة عمومة بعيدة،
- السَّيِّدة إجْلانتين،
- المايستر مايلز، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- ريكاسو، قهرمان صنسبير، عجوز كفيف،
- السير مانفري مارتل، أمين القلعة في صنسبير،
- الليدي آليس ليديبرايت، اللورد الخازن،
- السير جاسكوين ابن الدَّم الأخضر، حارس الأمير تريستان الشَّخصي،
- بورس و تيموث، خادمان في صنسبير،
- بيلاندرا و سدرا والأختان مورا و ميلي، خادمات في صنسبير،
- حملة راية الأمير دوران، لوردات دورن:
- أندرز يرونوود، سيِّد يرونوود، حاكم الطَّريق الحجري، صاحب الدَّم الملكي،
- السير كليتوس، ابنه، معروف بعينه الكسول،
- المايستر كدري، معالج ومستشار ومعلِّم،
- هارمن أولر، سيِّد هضبة الجحيم،
- إلاريا ساند، ابنته الطَّبيعيَّة،
- السير أولويك أولر، أخوه،

- ديلون أليريون، سيّدة عطية الآلهة،
- السير ريون، ابنه ووريثه،
- السير ديمون ساند، ابن ريون الطّبيعي، نغل عطية الآلهة،
- داجوس مانوودي، سيّد مقبرة الملك،
- مورس و ديكون، ابناه،
- السير مايلز، أخوه،
- لارا بلاكمونت، سيّدة بلاكمونت،
- چينيسا، ابنتها ووريثتها،
- بيروس، ابنها، مُرافق،
- نايملا، سيّدة تل الأشباح،
- كوينتن كورجايل، ابن حجر الرّمْل،
- السير چوليان، ابنه الأكبر ووريثه،
- السير أرون، ابنه الثّاني،
- السير ديزيل دالت، فارس غابة اللّيمون،
- السير أندراي، أخوه ووريثه ويُسمّى دراي،
- فرانكلين فاوُلر، سيّد قلعة السّماء، لقبه الصقر العجوز، حاكم ممر الأمير،
- چاين و چينيلين، ابنتاه الثّوأم،
- السير سايمون سانتاجار، فارس الغابة الرّقطاء،
- سيلفا، ابنته ووريثته، تُسمّى سيلفا الرّقطاء بسبب نمشها،
- إدريك داين، سيّد ستارفول، مُرافق،
- السير چيرولد داين ولقبه النجم المظلم، فارس الصّومعة العالية، ابن عمّه وحامل رايته،
- تريبور چورداين، سيّد الرّبوة،
- ميريا، ابنته ووريثته،
- تريموند جارجالن، سيّد ساحل الملح،
- دايرون فايت، سيّد الكُثبان الحمراء.

عائلة ستارك



راية آل ستارك عبارة عن ذئب رهيب رمادي على خلفية بيضاء ثلجية، وكلماتهم: «الشتاء قادم».

يعود نسب آل ستارك إلى براندون البنّاء وملوك الشتاء القدامى، ولآلاف السنين حكموا من مقرهم في وينترفيل كملوك في الشمال، إلى أن اختارَ تورين ستارك -الملك الذي ركع- أن يُقسِم على الولاء لإجون التّنين بدلاً من مُواجهته في المعركة. حين أعدمَ الملك جوفري اللورد إدارد ستارك تخلى الشماليّون عن ولائهم للعرش الحديدي وأعلنوا روب ابن اللورد إدارد ملكاً في الشمال، وخلال حرب الملوك الخمسة انتصرَ روب في كلّ معاركه، لكن آل فراي وآل بولتون خانوه واغتالوه في التّوأميتين في زفاف خاله.

(روب ستارك)، الملك في الشمال، ملك الثّالوث، سيّد وينترفيل، أكبر أبناء اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين سليلة عائلة تلي، شاب في السادسة عشرة يُسمّى الذئب الصغير، اغتيل في الزّفاف الأحمر،

- (جراي ويند)، ذئبه الرّهيب، قُتل في الزّفاف الأحمر،

- إخوته الأشقاء:

- سانزا، أخته، زوجة تيريون لانستر،

- (ليدي)، ذئبتها الرّهيبة، قُتلت في قلعة داري،

- آريا، فتاة في الحادية عشرة، مفقودة ويُعتَقَد أنها ماتت،

- نايميريا، ذئبتها الرّهيبة، تجوب أراضي النّهر،

- براندون ويُسمّى بران، طفل مُعاق في التّاسعة، وريث وينترفيل، يُعتَقَد أنه مات،

- سمر، ذئبه الرّهيب،

- رفاق بران وحّماته:

- ميررايد، فتاة في السادسة عشرة، ابنة اللورد هاولاند ريد سيّد قلعة المياه الرّماديّة،

- چوچن ريد، أخوها، في الثّالثة عشرة،

- هودور، عامل اسطبل بسيط العقل، طوله سبعة أقدام،

- ريكون، طفل في الرّابعة، يُعتَقَد أنه مات،

- شاجيدوج، ذئبه الرّهيب، أسود وشرس،

- رفيقة ريكون، أوشا، همجيّة أسيرة سابقة في وينترفيل،

- أخوه النّعل غير الشّقيق، چون سنو، أخ في حرس اللّيل،
- جوست، ذئب چون الرّهيب، أبيض وصامت،
- المقسمون لروب على الولاة:
- (دونل لوك، أوين نوري، داسي مورمونت، السير وندل ماندري، روبن فلينت)، قُتلوا في الزّفاف الأحمر،
- هالس مولين، قائد الحرس، ينقل رُفات اللورد إدارد ستارك إلى وينترفل،
- چاكس، كوينت، شاد، حرس،
- أعمام وأخوال روب:
- بنجن ستارك، أصغر أعمامه، فُقِدَ في جولةٍ وراء الجدار ويُعتَقَد أنه مات،
- (لايسا آرن)، خالته، سيّدة العُش، زوجة اللورد چون آرن، ماتت سقوطاً من علٍ،
- ابنهما، روبرت آرن، سيّد العُش وحامي الوادي، صبي سقيم،
- إدميور تلي، سيّد ريفررن، خاله، أُسِرَ في الزّفاف الأحمر،
- الليدي روزلين سليلة عائلة فراي، عروس إدميور،
- السير برايندن تلي ولقبه السمكة السوداء، عمُّ أمّه، أمين القلعة في ريفررن،
- حملة راية الذئب الصّغير، لوردات الشّمال:
- رووس بولتون، سيّد معقل الخوف، المارق،
- (دومريك)، ابنه الشرّعي ووريثه، ماتَ بمرضٍ في البطن،
- رامزي بولتون (رامزي سنو سابقاً)، ابن رووس الطّبيعي ويُسمّى نغل بولتون، أمين القلعة في معقل الخوف،
- والدر فراي ووالدر فراي ويُسمّيان والدر الصّغير و والدر الكبير، مُرافقاً رامزي،
- (ريك)، جُندي معروف برأئحته الكريهة، قُتِلَ في أثناء انتحاله شخصيّة رامزي،
- «آريا ستارك»، أسيرة اللورد رووس، فتاة زائفة مخطوبة لرامزي،
- والتون ولقبه ذو الساقين الفولاذ، قائد حرس رووس،
- بث كاسل، كايرا، تورنيپ، پالا، باندي، شايرا، پالا، العجوز نان، نسوة من وينترفل أسيرات في معقل الخوف،
- چون أومبر ولقبه چون الكبير، سيّد المستوقّد الأخير، أسير في التّوأمتين،
- (چون) ولقبه چون الصّغير، ابن چون الكبير ووريثه، قُتِلَ في الزّفاف الأحمر،
- مورس ولقبه أكل الغراب، عم چون الكبير، أمين القلعة في المستوقّد الأخير،
- هوثر ولقبه باقر العاهرة، عم چون الكبير، أيضاً أمين القلعة في المستوقّد الأخير،
- (ريكارد كارستارك)، سيّد كارهولد، قُطِعَ رأسه لارتكابه الخيانة وقتل الأسرى،

- (إدارد)، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- (تورين)، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- هاريون، ابنه، أسير في بركة العذارى،
- آليس، ابنة اللورد ريكارد، فتاة في الخامسة عشرة،
- عمُّ ريكارد، أرنولف، أمين القلعة في كار هولد،
- جالبارت جلوفر، سيّد ربوة الغابة، أعزب،
- روبت جلوفر، أخوه ووريثه،
- زوجة روبت، سيبيل سليلة عائلة لوك،
- **طفلاهما:**
- جاون، صبي في الثالثة،
- إرينا، رضيعة،
- ربيب جالبارت، لارنس سنو، ابن (اللورد هالس هورنود) الطَّبَّيعي، صبي في الثالثة عشرة،
- هاولاند ريد، سيّد قلعة المياه الرَّمَادِيَّة، من شعب المستنقعات،
- زوجته، جيانا، من شعب المستنقعات،
- **طفلاهما:**
- ميرا، صيَّادة شابَّة،
- چوچن، صبي موهوب البصيرة الخضراء،
- وايمان ماندرلي، سيّد الميناء الأبيض، شديد البدانة،
- السير وايليس ماندرلي، ابنه الأكبر ووريثه، بدين جدًّا، أسير في هارنهال،
- زوجة وايليس، ليونا سليلة عائلة وولفيلد،
- واينافريد، ابنتهما، فتاة في التاسعة عشرة،
- وايلا، ابنتهما، فتاة في الخامسة عشرة،
- (السير وندل ماندرلي)، ابنه الثاني، قُتِلَ في الزَّفَاف الأحمر،
- السير مارلون ماندرلي، ابن عمّه، قائد الحامية في الميناء الأبيض،
- المايستر ثيومور، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- مج مورمونت، سيّدة جزيرة الدّبية،
- (داسي)، ابنتها الكُبرى ووريثتها، قُتِلَتْ في الزَّفَاف الأحمر،
- أليسين، لايرا، چوريل، ليانا، بناتها،
- (چبور مورمونت)، أخوها، قائد حرس اللَّيل، اغتالَه رجاله،

- السير چورا مورمونت، ابن اللورد چيور، سيّد جزيرة الدّبة الشرّعي سابقًا، فارس مدان ومنفي،
- (السير هلمان تولهارت)، سيّد مربّع تورين، قُتل في وادي الغسق،
- (بنفريد)، ابنه ووريثه، قتله الحديثيون على السّاحل الحجري،
- إدارا، ابنته، أسيرة في مربّع تورين،
- (ليوبولد)، أخوه، قُتل في وينترفيل،
- زوجة ليوبود، بيرينا سائلة عائلة هورنود، أسيرة في مربّع تورين،
- ابناهما براندون وبيرين، أيضًا أسير في مربّع تورين،
- رودريك ريزويل، سيّد الغدران،
- باربري داستن، ابنته، سيّدة بلدة الرّوابي، أرملة (اللورد ويلام داستن)،
- هارود ستاوت، من أتباعه، لورد صغير من بلدة الرّوابي،
- (بثاني بولتون)، ابنته، زوجة اللورد رووس بولتون الثّانية، مائت بالحمّى،
- روجر ريزويل، ريكارد ريزويل، رووس ريزويل، أبناء عمومته وحملّة رايته المشاكسون،
- (كلاي سروين)، سيّد سروين، قُتل في وينترفيل،
- چونل، أخته، عذراء في الثّانية والثلاثين،
- ليبسا فلينت، سيّدة قلعة الأرملة،
- أوندرو لوك، سيّد القلعة العتيقة، عجوز،
- هيوجو وول ولقبه الدلو الكبير، زعيم عشيرته،
- بارندون نوري ولقبه النوري، زعيم عشيرته،
- تورين ليدل ولقبه الليدل، زعيم عشيرته.

عائلة تلي



راية آل تلي عبارة عن سمكة ترويت فضيَّة واثبة على خلفيَّة متموِّجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشَّرَف».

كان اللورد إدمين تلي سيّد ريفررن من أوائل لوردات النّهر الذين أقسموا على الولاء لإيجون الفاتح، وكافأه إيجون المظفر بتنصيبه حاكمًا على جميع أراضي نهر الثّالوث.

إدميور تلي، سيّد ريفررن، أخذ أسيرًا في أثناء زفافه وسجين لدى آل فراي،

- الليدي روزلين سليلة عائلة فراي، عروس إدميور الشّابة،

- (الليدي كاتلين ستارك)، أخته، أرملة اللورد إدارد ستارك سيّد وينترفيل، قُتلت في الزّفاف الأحمر،

- (الليدي لايسا آرن)، أخته، أرملة اللورد چون آرن سيّد الوادي، ماتت مدفوعةً من العُش،

- السير برايندن تلي ولقبه السمكة السوداء، عمّ إدميور، أمين القلعة في ريفررن،

- أهل بيت اللورد إدميور في ريفررن:

- المايستر قايمان، مستشار ومعالج ومعلم،

- السير دزموند جرل، قيّم السّلاح،

- السير روبن رايجر، قائد الحرس،

- ليو الطويل، إلوود، دليّ، حرس،

- أوثيرايدس واين، وكيل ريفررن،

- حملة راية إدميور، لوردات الثّالوث:

- تاييتوس بلاكوود، سيّد شجرة الغدقان،

- (لوكاس)، ابنه، قُتل في الزّفاف الأحمر،

- چونوس براكن، سيّد السّياج الحجري،

- جيسون ماليستر، سيّد سيجارد، سجين في قلعته،

- باتريك، ابنه، سجين مع أبيه،

- السير دينس ماليستر، عمّ اللورد جيسون، رجل في حرس اللّيل،

- كليمنت بايبر، سيّد قلعة العذراء الوردية،
- ابنه ووريثه، السير مارك بايبر، أخذ أسيرًا في الزفاف الأحمر،
- كاريل فانس، سيّد استراحة عابري السيل،
- ابنته الكبرى ووريثته، ليان،
- ابنتاه الصغيرتان، رياتا و إمفيريا،
- نوربرت فانس، سيّد أترانتا الأعمى،
- ابنه الأكبر ووريثه، السير رونالد فانس ولقبه السيئ،
- أبناؤه الأصغر، السير هيوغو، السير إليري، السير كيرث، المايستر جون،
- ثيومان سمولود، سيّد بهو البلوط،
- زوجته، الليدي رافيل سليلة عائلة سوان،
- ابنتهما، كاريلين،
- ويليام موتون، سيّد بركة العذارى،
- شيلا ونت، سيّدة هارنهال المنحاة،
- السير ويليس وود، فارس في خدمتها،
- السير هالمون پايج،
- اللورد لايموند جودبروك.

عائلة تايرل



راية آل تايرل عبارة عن وردة ذهبية على خلفية بلون أخضر كالعشب، وكلماتهم: «ننمو بقوة».

صعد آل تايرل إلى السلطة كوكلاء لملوك المرعى، الذين ضمت أملاكهم السهول الخصبة في الجنوب الغربي من تخوم دورن والنهر الأسود وحتى سواحل بحر الغروب. يأتي نسب آل تايرل من جهة الإناث من جارت جرينهاند، ملك البشر الأوائل البستاني الذي ارتدى تاجاً من أوراق الشجر والزهور واستغل خصوبة الأرض وزرعها حتى ازدهرت، وعندما مات الملك مرن التاسع -آخر ملوك عائلة جاردنر- في معركة حقل النيران، سلم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتح وأقسم له على الولاء، فمنحه إجون القلعة وحكم المرعى.

أعلن اللورد مايس تايرل تأييده الملك رنلي في بداية حرب الملوك الخمسة وزوجه ابنته مارچري، وبعد موت رنلي تحالفت مايجاردن مع عائلة لانستر، وخطبت مارچري للملك چوفري.

مايس تايرل، سيد هايجاردن، حاكم الجنوب، حافظ التخوم، عاهل المرعى الأعلى،

- زوجته، الليدي أليري، سليله عائلة هايتاور من البلدة القديمة،

- أبناؤهما:

- ويلاس، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

- السير جارلان، لقبه الهمام، الابن الثاني،

- زوجته، الليدي ليونيت، سليله عائلة فوسواي،

- السير لوراس، فارس الزهور، الابن الأصغر، أخ محلف في الحرس الملكي،

- مارچري، ابنتهما، فتاة في الرابعة عشرة من العمر،

- رفيقات مارچري:

- بنات عمومتهما مجا وآلا وإلنور،

- خطيب إلنور، آلن أمبروز، مرافق،

- الليدي أليسين بولوار، فتاة في الثامنة،

- ميريديث كرين، تسمى ميري،

- تاينا المايرية، زوجة اللورد أورتون ميريويندر،

- الليدي آليس جريسفورد،
- السّيتة نستيريكا، أخت في العقيدة،
- أمّه الأرملة، الليدي أولينا، سليلة عائلة ردواين، لقبها ملكة الأشواك،
- أختاه:
- مينا، زوجة باكستر ردواين، سيّد الكرمّة،
- أولادهما:
- السير هوراس ردواين، توأم هوبر، يُسمّى هورور سُخريةً،
- السير هوبر ردواين، توأم هوراس، يُسمّى سلوبر سُخريةً،
- دسميرا ردواين، فتاة في السّادسة عشرة،
- چانا، زوجة السير چون فوسواي،
- أعمامه وأولادهم:
- أخو أبيه، جارت، لقبه السمين، وكيل هايجاردين،
- ابنه غير الشّرعيّين، جارس وجارت فلاورز،
- السير مورين، قائد حرس البلدة القديمة،
- ابن مورين، (السير لوثور)، زوج الليدي إلين نوريدج،
- ابن لوثور، السير ثيودور، زوج الليدي ليا سري،
- ابنة ثيودور، إلينور،
- ابن ثيودور، لوثور، مُرافق،
- ابن لوثور، المايستر مدويك،
- ابنة لوثور، أولين، زوجة السير ليو بلاكبار،
- ابن مورين، ليو، لقبه ليو الكسول،
- أخو أبيه، المايستر جورمون، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- ابن عمّه، (السير كوينتن)، مات في آشفورد،
- ابن كوينتن، السير أوليمر، زوج الليدي لايسا ميدوز،
- ابنا أوليمر، رايموند و ريكارد،
- ابنة أوليمر، مجا،
- ابن عمّه، المايستر نورموند، في خدمة التّاج الأسود،
- ابن عمّه، (السير فيكتور)، قتله الفارس الباسم رجل أخوة غابة الملوك،
- ابنة فيكتور، فيكتاريا، تزوّجت (اللورد چون بولوار)، ماتت بحُمى صيفيّة،

- ابنتهما، الليدي أليسين بولوار، فتاة في الثامنة،
- ابن فيكتور، السير ليو، تزوّج الليدي آليس بيزبوري،
- ابنتا ليو، آلا و ليونا،
- أبناء ليو، لايونل و لوكاس و لورنت،
- أهل بيته في هايجاردن:
- المايستر لوميس، مستشار، مُعالج، معلّم،
- إيجون فيرويل، قائد الحرس،
- السير فورتيمر كرين، قيّم السلاح،
- برميل الزبدة، نكّات ومهرّج مفرط البدانة،
- اللوردات حملة رايته:
- راندل تارلي، سيّد هورن هيل،
- باكستر ردواين، سيّد الكرمة،
- أروين أوكهارت، سيّدة السنديانة القديمة،
- ماثيس روان، سيّد البستان الذهبي،
- ألستر فلورنت، سيّد قلعة المياه الوضّاءة، متمرّد يدعم ستانيس باراثيون،
- لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة وسيّد المرفأ،
- أورتون ميريويزر، سيّد الطاولة الطويلة،
- اللورد آرثر أمبروز.
- فرسانه والمقسّمون له:
- السير مارك مولندور، شلّ في معركة النّهر الأسود،
- السير چون فوسواي، من فرع التّفاحة الخضراء من عائلة فوسواي،
- السير تانتون فوسواي، من فرع التّفاحة الحمراء من عائلة فوسواي.

ملحق (3)

متمردون ومجرمون عوام وإخوة محلفون لوردات صغار ومتجولون وعامة

- السير كرايتون لونجبو والسير إيليفر المفلس، فارسان متجولان وبطلان،
- هيبالد، تاجر جبان بخيل،
- السير شادريك ابن الوادي الظليل ولقبه الفأر المجنون، فارس متجول في خدمة هيبالد،
- بريان وتسمى عذراء تارث وبريان المليحة، عذراء في مهمة،
- اللورد سلوين نجم المساء، سيد تارث، أبوها،
- (بن بوشي الكبير)، السير هايل هنت، السير مارك مالندور، السير إدموند أمبروز، (السير ريتشارد فارو)، (ويل اللقلق)، السير هيو بيزبوري، السير رايموند
- نايلاند، هاري سوير، السير أوين إنشفيلد، روبن پوتر، خاطبو ودها السابقون،
- رينفريد ريكز، سيد وادي الغسق،
- السير روفوس ليك، فارس بساق واحدة في خدمته، أمين قلعة النبة في وادي الغسق،
- ويليام موتون، سيد بركة العذارى،
- إيلنور، ابنته الكبرى ووريثته، في الثالثة عشرة،
- راندل تارلي، سيد هورن هيل، يقود قوات الملك تومن على ضفاف النالوث،
- ديكون، ابنه ووريثه، مرافق صغير،
- السير هايل هنت، فارس في خدمة عائلة تارلي،
- السير آلن هنت، ابن عم السير هايل، أيضا في خدمة عائلة تارلي،
- ديك كراب ولقبه ديك الرشيق، من آل كراب أولاد الرأس المتصدع،
- إيوستس برون، سيد عرين داير،
- بينارد برون، فارس الغور البني، ابن عمه،
- السير روجر هوج، فارس قرن الخنزيرة،
- السيتون ميريبولد، سيتون حافي القدمين،
- كلبه، كلب،
- الأخ الكبير، من جزيرة الهدوء،
- الأخ ناربرت، الأخ جيلام، الأخ راوني، إخوان تائبون على جزيرة الهدوء،

- السير كوينسي كوكس، فارس الملاحات،
- في خان مفترق الطرق:
- جاين هدل ولقبها جاين الفارعة، فتاة طويلة شابة في الثامنة عشرة،
- ويلو، أختها، تُعاقب بالضرب بالملعقة،
- تانسي، پايت، چون پني، بن، أيتام في الخان،
- جندري، صبي حداد وابن غير شرعي للملك روبرت باراثيون الأول، يجهل أصله،
- في هارنهل:
- رافورد ولقبه راف المعسول، فم الخراء، دانسن، من رجال الحامية،
- بن ذو الإبهام الأسود، حداد وصانع سلاح،
- بيا، خادمة كانت حسناء،
- المايستر جوليان، معالج ومعلم ومستشار،
- في داري:
- الليدي أميري فراي ولقبها أمي البوابة، أرملة شهوانية شابة مخطوبة للانسل لانستر،
- أم الليدي أميري، الليدي ماريا سليلة عائلة داري، أرملة ميريت فراي،
- أخت الليدي أميري، ماريسا، فتاة في الثالثة عشرة،
- السير هاروين پلوم ولقبه الحجر الصلب، قائد الحامية،
- المايستر أوتومور، معالج ومعلم ومستشار،
- في خان الرجل الرّاع:
- شارنا، صاحبة الخان، طاهية وقابلة،
- زوجها وتسمّيه زوجي،
- الصبي، من يتامى الحرب،
- هوت پاي، ابن خباز يتيم.

خارجون عن القانون ورجال مكسورون

- (بريك دونداريون)، سيّد المرفأ الأسود السّابق، قُتِلَ ستّ مرّات،
- إدريك داين، سيّد ستار فول، صبي في الثّانية عشرة، مُرافق اللورد بريك،
- القناص المجنون من السّيت الحجري، حليفه أحيانًا،
- ذو اللحية الخضراء، مرتزق تايروشي، صديقه غير الموثوق به،
- أنجاي القواس، رام من تُخوم دورن،
- ميريت ابن بلدة القمر، واتي الطحان، مج فتاة المستنقعات، چون ابن قرية نوتن، خارجون عن القانون في جماعته،
- الليدي قلب الحجر، امرأة تُخفي ملامحها، تُسمّى أحيانًا أم القسوة والأخت الصّامّة والشّناقفة،
- ليم ويُسمّى ليم ذو المعطف الليموني، جُندي سابق،
- ثوروس المايري، راهب أحمر،
- هاروين، الشّمالي ابن هالن، خدّم اللورد إدارد ستارك سيّد وينترفل سابقًا،
- چاك المحظوظ، رجل مطلوب، تنقّصه عين،
- توم ابن الجداول السبعة، مطرب سيّئ السّمعة، لقبه توم سبعة أوتار و توم أبو السبعات،
- لوك الراجح، نوتش، مودچ، ديك الحليق، خارجون عن القانون،
- ساندور كليجاين ولقبه كلب الصيد، حارس الملك چوفري الشّخصي سابقًا، ثم أخ محطّف في الحرس الملكي، شوهد آخر مرّة محمومًا يُحتضَر على ضفّة الثّالوث،
- (فارجو هوت)، من مدينة كوهور الحرّة، لقبه الكبش، قائد مرتزقة ألثغ، قتله السير جريجور كليجاين في هارنهال،
- رجاله في رفقة الشّجعان، جماعة المرتزقة المعروفة أيضًا باسم الممثّلين السّفّاحين:
- أورزويك ولقبه الوفي، نائبه،
- (السّيتون أوت)، شنقه اللورد بريك دونداريون،
- تيميون الدورني، زولو السمين، رورچ، العضاض، پيج، شاجويل المهرج، توج چوث الإيبينيزي، مشنّتون وهاربون،
- في ماخور التّفّاحة في السّيت الحجري:
- تانسي، مالكة المكان حمراء الشّعر،
- آليس، كاس، لانا، چايزين، هيلي، بلا، بعض خواتها،
- في بهو البلوط، مقر عائلة سمولود:

- اللّيدى راقبلا، من عائلة سوان سابقًا، زوجة اللورد ثيومانر سمولوود،
- هنا وهناك:
- اللورد لايموند لايتشستر، رجل مسنٌ خَفَّ عقله، هزَمَ السير ماينارد عند الجسر ذات مرّة،
- وكيله الشاب، المايستر روون،
- شبح القلب العالى،
- سيّدة الأوراق،
- السّبتون فى سالىدانس.

إخوة حرس الليل المحلفون

جون سنو، نغل وينترفيل، قائد حرس الليل الثامن والتسعون بعد التسعمئة،

- جوست، ذئبه الرهيب الأبيض،

- وكيله، إديسون توليت ولقبه إد الكئيب،

رجال القلعة السوداء:

- بنجن ستارك، الجوال الأول، مفقود منذ فترة طويلة ويُعتقد أنه مات،

- السير وينتون ستاوت، جوال مسن تائه العقل،

- كدج ذو العين البيضاء، بدويك ولقبه العملاق، ماثار، دايوين، جارت جرايفذر، أولمر ابن غابة

الملوك، إلرون، پايبير ويُسمى بيب، جرن ولقبه الثور، برنار ويُسمى برنار الأسود، جودي، تيم

ستون، چاك بولوار الأسود، جيوف ولقبه السنجاب، بن الملتحي، جواله،

- باون مارش، قيم الوكلاء،

- هوب ذو الثلاثة أصابع، وكيل وكبير الطهاة،

- (دونال نوي)، حداد وصانع سلاح بزارع واحدة، قتل ماغ الجبار عند البوابة،

- أوين ولقبه الجحش، تيم المتهته، كوچن، دونل هيل ولقبه دونل المرح، ليو الأعسر، چيرن، ويك

المهزول، وكلاء،

- أوثيل يارويك، البناء الأول،

- ذو النعل الواحد، هالدر، ألبت، كجز، بنائون،

- كونواي و جورن، مجندان متجولان،

- السيتون سلا دور، رجل دين سكير،

- السير أليس ثورن، قيم السلاح السابق،

- اللورد چانوس سلينت، قائد حرس المدينة السابق في كينجز لاندنج، سيد هارنهال لفترة وجيزة،

- المايستر إيمون (تارجارين)، معالج ومستشار، عجوز كفيف في المئة والاثنين من العمر،

- وكيل إيمون، كلايداس،

- وكيل إيمون، سامويل تارلي، بدين ومحب للقراءة،

- إميت الحديدي، من رجال القلعة الشرقية سابقاً، قيم السلاح،

- هارث ولقبه الجواد، التوأمان أرون و إمريك، ساتان، روبن النطاط، مجندون تحت التدريب،

رجال برج الظلال:

- السير دينس ماليستر، قائد القلعة،

- وكيله ومُرافقه، والاس ماسي،

- المايستر مولين، معالج ومستشار،
- (كورين ذو النصف يد)، كبير الجوّالة، قتله چون سنو وراء الجدار،
- إخوان بُرج الظلال:
- (المرافق دالبريدج، إيجن)، مُرافقان، قُتِلَا في الممر الصّادح،
- ثعبان الحجر، جوّال، مفقود في الممر الصّادح،
- رجال القلعة الشرقية على البحر ،
- كوتر پايك، قائد القلعة،
- المايستر هارميون، معالج ومستشار،
- ذو الأسمال المألحة العجوز، رُبّان الطّائر الأسود،
- السير جلندون هيويت، قيّم السّلاح،
- إخوان القلعة الشرقيّة:
- داريون، وكيل ومطرب،
- في قلعة كراستر (الخونة):
- ديرك، الذي قتل مضيفه كراستر،
- أولو الأبتر، الذي قتل قائده اللورد مورمونت،
- جارث جرينواي، ماوني، جروبز، آلان ابن روزبي، جوّالة سابقون،
- كارل ذو القدم المعوجة، أوس اليتيم، بيل المتمتم، وكلاء سابقون.

الهَمَج أو شعب الأحرار

- مانس رايدر، ملك ما وراء الجدار، أسير في القلعة السوداء،
- (دالا)، زوجته، ماتت في أثناء الوضع،
- ابنهما حديث الولادة، وليد المعركة، بلا اسم بعد،
- قال، أخت دالا الصَّغيرة، «الأميرة الهمجية»، أسيرة في القلعة السوداء،
- زُعماء الهَمَج وقادتهم:
- (هارما) ولقبها رأس الكلب، قُتِلَت عند الجدار،
- هاليك، أخوها،
- سيد العظام ولقبه ذو القميص المخشخس سُخْريَّة، قائد فرقة حربيَّة، أسير في القلعة السوداء،
- (إيجريت)، زوجة حربة شابَّة، حبيبة چون سنو، قُتِلَت خلال الهجوم على القلعة السوداء،
- رايك، لقبه ذو الحربة الطويلة، من فرقته،
- راجوايل، لاينل، من فرقته،
- (ستير)، ماجنر ثِن، قُتِلَ خلال الهجوم على القلعة السوداء،
- سيجورن، ابن ستير، ماجنر ثِن الجديد،
- تورموند، ملك البِتغ في البهو القاني، ألقابه بلية العماليق، المهذار، نافخ البوق، و كاسر الجليد، وأيضًا قبضة الرعد، زوج الدبية، كليم الآلهة، و أبو الجيوش،
- أبناؤه، توريج الطويل، تورويند المروض، دورموند، درين، وابنته، موندا،
- (أورل ولقبه أورل النسر)، مبدِّل جِلدة قتلَه چون سنو في الممر الصَّادح،
- ماج مار تون دوه ويج ، لقبه ماج الجبار، ملك العمالقة،
- فارامير، لقبه ست جلود، سيِّد لثلاثة ذئاب وقِطَّ ظِلٍّ ودُبِّ ثلوج،
- البكاء، مُغير وقائد فرقة حربيَّة،
- (ألفين قاتل الغربان)، قتلَه كورين ذو النِّصف يد رجل حرس اللَّيل،
- (چارل)، مُغير شاب، حبيب قال، ماتَ سقوطًا من على الجدار،
- جريج التيس، إروك، كورت، بودچر، دل، بثرة الكبير، دان القنبي، هنك ذو الدفة، لن، توفينجر، ذو الإبهام الحجري، هجَّانة،
- (كراستر)، سيِّد قلعة كراستر الذي لا يركع لأحد،
- جيلي، ابنته وزوجته،
- ابنها حديث الولادة، بلا اسم بعد،
- ديا، فيرني، نلا، ثلاث من زوجاته التَّسع عشرة.

ملحق (4) وراء البحر الضيق الملكة وراء البحر



راية آل تارجارين عبارة عن تنين أحمر ذي ثلاثة رؤوس -يرمز لأجون وأختيه- على خلفية سوداء، وكلماتهم: «النَّار والدم».

دنيرس تارجارين الأولى، كاليسي الدوثرافي، تُسمَّى دنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، أم التنانين، آخر من تبقى من أولاد الملك إيرس تارجارين الثاني وأرملة الدوثرافي كال دروجو،

- تنانينها النامون: دروجون، قسيريون، ريجال،

- حرسها الملكي:

- السير چورا مورمونت، سيّد جزيرة الدّبة السّابق، منفي لإتجاره بالرّقيق،

- چوجو، كو وخیال دم، السّوط،

- آجو، كو وخیال دم، القوس،

- راكارو، كو وخیال دم، الأراخ،

- بلواس القوي، عبد خصيّ سابق في حلبات القتال بميرين،

- مرافقه المسنّ، آرستان، لقبه ذو اللحية البيضاء، رجل من وستروس،

- وصيفتاها:

- إيرري، فتاة من الدوثرافي، في الرّابعة عشرة،

- چيگوي، فتاة من الدوثرافي، في الخامسة عشرة،

- جروليو، ربّان الكوج العظيم بالريون، ملاح في خدمة إليريو موباتيس،

- أهلها الرّاحلون:

- (ريجار)، أخوها، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي، قتله روبرت باراثيون في معركة الثّالوث،

- (ريينس)، ابنة ريجار من إليا الدورنيّة، قُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،

- (إجون)، ابن ريجار من إلبا الدورنيّة، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
- (قسيرس)، سمّي نفسه الملك قسيرس الثالث، لقبه الملك الشحاذ، قُتِلَ في قايس دوثراك على يد كال
دروجو،

- (دروجو)، زوجها، كال الدوثراكي العظيم، لم يُهَزَمَ قَطُّ في معركة، مات متأثراً بجرح،
- (رييجو)، ابن دنيرس وكال دروجو الجهيض، قُتِلَ في الرّحم على يد ميرى ماز دور،
- أعداؤها المعروفون:

- كال پونو، كو دروجو السّابق،

- كال چهاكو، كو دروجو السّابق،

- ماجو، خيال دمه،

- خالدو كارث، جماعة من الدّجالين،

- پيات پري، دجال كارثيني،

- الرجال الآسفون، جماعة من المغتالين الكارثيين،

- تحالفاتها غير المضمونة في الماضي والحاضر:

- زارو زون داكسوس، أمير تاجر من كارث،

- كويث، أسرة ظلال مقنّعة من آشاي،

- إليريو موياتيس، ماچستر من مدينة پنتوس الحرّة، ربّ زواج دنيرس بكال دروجو،

- في أستاپور:

- كرازنس مو نوكلوز، تاجر رقيق ثري،

- أمته، ميسانداي، فتاة في العاشرة، من شعب ناث المسالم،

- جرازدان مو أولهور، تاجر رقيق عجوز فاحش الثّراء،

- عبده، كليون، جزّار وطبّاخ،

- الدودة الرمادي، خصي من المطهرين،

- في يونكاي:

- جرازدان مو إراز، مبعوث ونيل،

- ميرو البراقوسي، لقبه نغل المارد، قائد الأبناء الثّانين، جماعة حرّة،

- بن پلوم البني، رقيب في الأبناء الثّانين، مرتزق مختلط النّسب،

- پرنال نا غزن، مرتزق جيسكاري، قائد غربان العاصفة، جماعة حرّة،

- سالور الأصلع، مرتزق كارثيني، قائد غربان العاصفة،

- داريو نهارييس، مرتزق تايروشي مبهرج، قائد غربان العاصفة،

- في ميرين:

- أوزناك زو پال، بطل من المدينة.

تسري دماء التّنين في عروق آل تارجارين الذين ينحدرون من كبار لوردات معقل فاليريا الحُر القديم، ويتبدّى ميراثهم في جمالهم الأخاذ (الذي يقول بعض الناس إنه غير بشري)، والأعْيُن ذات الـلّون الأرجواني أو النّيلجي أو البنفسجي، والشّعـر الذهبي الفضيّ أو الأبيض كـالـپلاتين. فرّ أسـلاف إـجون التـنـيّـن من مـلاك فاليريـا والفوضى والمذابح التي تبعته واسـتقروا فـي دراجونسـتون، الجزيرة الصّخـريّة الواقعة فـي البـحـر الضيق، ومن هـنـاك أبـحـر إـجـون مـع أختيـه لـغزو المـمـالك السـبـع.

للحفاظ على الـدّم المـلـكي وصيانة نقائـه، غـالباً ما اتّـبـع آل تـارـجـاريـن التّـقـلـيـد القـالـيري القديم وزوّجوا الأخ أخته، وقد تزوّج إـجـون نفسـه أختيـه وأنجـب أبـناء من كلتيهما.

في براقوس

فيريجو أنتاريون، أمير بحر براقوس،

- كارو فولنتين، مُبارز براقوس الأول، حارسه،

- بيليجير أوثيريس ولقبها اللؤلؤة السوداء، محظيّة من سلالة الملكة القرصانة ذات الاسم نفسه،

- الليدي المثلثة، ملكة البحار، ظلالقمر، ابنة الغسق، العنديل، الشاعرة، محظيّات شهيرات،

- ترنيسيو تيريس، الرّبّان التّاجر مالك القاليون ابنة المارد،

- يوركو ودينو، ابنه،

- موريدو پرستين، الرّبّان التّاجر مالك الثعلبة،

- لوثو لورنل، تاجر كُتب ومخطوطات قديمة،

- إزيلينو، راهب أحمر سكير،

- السّيتون إيوستس، معزول ومطروود،

- تيرو و أوربيلو، مُبارزا براقو،

- بكو الضرير، تاجر أسماك،

- بروسكو، تاجر أسماك،

- ابنتاه، تاليا و بریا،

- ميرالين و تُسمّى مري، مالكة الميناء السّعيد، ماخور قُرب ميناء راجمان،

- زوجة البحار، عاهرة في الميناء السّعيد،

- لانا، ابنتها، عاهرة صغيرة،

- بثناني الخجول، يانا العوراء، آسادورا الإيبينيزية، من عاهرات الميناء السّعيد،

- روجو الأحمر، جاييلورو دوثار، جاييلينو دوثار، مؤلف يُدعى كويل، كوزومو الحاوي، من مُرتادي الميناء السَّعيد،
- تاجانارو، نشَّال ولص في الميناء،
- كاسو، ملك الفقعات، كلب بحر مدرَّب،
- ناربو الصغير، شريكه أحيانًا،
- ميرملو، چوس المكتئب، كوينس، آلاكو، سلوي، ممثلون يعملون كلَّ ليلة في السَّفينة،
- سفرون، عاهرة قاتلة،
- الابنة السكير، عاهرة متقلِّبة المزاج،
- چاين القرحة، عاهرة غير موثوق بجنسها،
- الرجل الطيب، اللقيطة، خادمان للآله عديد الوجوه في دار الأبيض والأسود،
- أوما، طاهية المعبد،
- الرجل الوسيم، الرجل البدين، اللورد الصغير، ذو الوجه الصارم، ضيق العينين، الرجل المهزول، خدم سرَّيون لذي الوجوه العديدة،
- آريا سليلة عائلة ستارك، فتاة تحمل عُملَةً من الحديد، معروفة أيضًا بأسماء آري و نان و بنت عرس و الكتكوت و ملح و كات،
- كاهورو مو، من بلدة الأشجار الطويلة في جُزر الصَّيف، رُبَّان ريح القرفة،
- كوچا مو، ابنته، رامية حمراء،
- زوندو دورو، وكيل رُبَّان على متن ريح القرفة.

شكر وتقدير

كان هذا الكتاب مصيبةً.

مرّة أخرى أتوجّه بشكري وتقديري إلى صاحبات الأنفس الشجاعة، محرّراتي: نيتا توبليب وچوي تشامبرلين وچين چونسون، وبالذات آن لزلي جرويل لنصائحها وروحها المرحّة وصبرها البالغ.

الشكر أيضًا لقُرّائي على رسائلهم اللطيفة المشجّعة، وعلى صبرهم كذلك. أحیی بشكل خاص كلاً من لودي ذي القبضات الثلاث، ويود الأرنب الشيطاني، وتريبلا وداچ الملكين التافهين، وكارس العذبة بنت الجدار، ولانس ترقاتل السنّاجب، وبقية أخوة الـلا رايات، تلك الرفقة السّغيرة شبّه المجنونة من الفرسان الشجعان والليديّات الجميلات، الذين يقيمون أفضل الحفلات خلال المهرجان العالمي للخيال العلمي عامًا بعد عامٍ بعد عام. ودعوني أطلق النّفير أيضًا لإليو وليندا اللذين يبدو أنهما يعرفان الممالك السّبع أفضل مما أعرفها ويُساعداني على اتّساق التفاصيل. إن موقعهما وفهرسهما عن وستروس مسرّة وأعجوبة.

وشكرًا إلى والتر چون ويليامز على قيادتي عبر بحارٍ أكثر ملوحةً، وساج ووكر على العلق والخمى والعظام المكسورة، وياتي نيجل على الـ«HTML» وتدوير الثّروس ونشر أخباري بسرّعة، وإلى ميلندا سنودجراس ودانييل إبراهيم لخدماتهما التي تعدّت حدود الواجب. إنني لا أتقدّم إلّا بالقليل من العون من أصدقائي.

ولا كلمات تُوفي حقّ باريس التي كانت موجودةً في الأيام الجيدة والسيّئة ومع كلّ صفحة. كلّ ما يمكن أن يُقال إنني لم أكن لأستطيع غناء هذه الأغنية من دونها.

كلمة المُترجم

قد يبدو غريباً أن تجد كلمة المُترجم في نهاية الكتاب لا بدايته، لكن هذا الجزء من السلسلة غير معتاد في حدّ ذاته، ولمّا كانت هناك معلومات عن الرواية ربما يرغب القارئ العربي في معرفتها، فقد وجدتُ أن إيرادها في البداية سيحرق عددًا من الأحداث ويُفسد ما ارتأى المؤلف أن يتركه للنّهاية، وهكذا فضّلتُ أن أذكرها هنا لمن يُريد الاطّلاع عليها بعد الفروع من قراءة النصّ.

يقول جورج ر. ر. مارتن إن الكتاب في رأيّه نوعان؛ الأول يُشبّهه بالـمهندس المعماري حين يخطّط لكلّ شيءٍ مسبقاً قبل الشروع في بناء المنزل، فيعرف كم عُرفه سيضمّ وطرّاز السطح وأماكن الأسلاك والمواسير في الجدران، أي أن هناك تصميمًا كاملاً للبناء كلّ قبل أن تُصبّ الأساسات ويُدقّ أول مسمار. النوع الثّاني هو البُستاني الذي يحفر في الأرض حُفرةً ويغرس فيها بذرة ويسقيها عَالماً نوعها وما إن كانت ببذرة فانتازيا أم غموض أم غيرهما، لكن مع بروز النبتة من التربة واستمراره في سقيها لا يدري البستاني كم سيكون فيها من غصونٍ وأوراق، ويكتشف هذا شيئاً فشيئاً مع نموّها.

ينتمي مارتن في كتابته الروائيّة إلى النوع الثّاني، وأكبر دليل على هذا في ما يخصّ «أغنيّة الجليد والنّار» أنه حسب الفكرة تصلّح قصّة قصيرة حين جالت بباله للمرّة الأولى في صيف عام 1991، ثم بدأ يستكشفها أكثر فأكثر فوجدّها تصلّح لثلاثيّة الروايات الملحميّة التي كان يرغب في كتابتها منذ سنوات عمله في هوليوود، وبعدها «كبرت الحكاية» كما قال مستعيراً مقولة تولكين عن تجربته المشابهة حين بدأ يكتب «سيد الخواتم»، فتحوّلت الثلاثيّة إلى خماسيّة ثم إلى سداسيّة، وفي النّهاية إلى سباعيّة.

نُشرت «وليمة للغربان» في أكتوبر/تشرين الأول 2005، بعد خمسة أعوام وشهرين من الجزء السّابق، وقد نجمَ ماذا عن تغيّر خطة مارتن في أثناء الكتابة. في البداية كانت نيّته أن يُطلق على الكتاب الرّابع عنوان «رقصة مع الثّنانين»، وأن تبدأ الأحداث بعد خمس سنوات من «عاصفة السيّوف»، وكان من أسبابه أن تكون الشّخصيّات الصّغيرة قد تقدّمت في العمر بعض الشيء، على أن مارتن اكتشف خلال عمليّة الكتابة نفسها أن ماذا سيقوده إلى الاعتماد أكثر من الـلازم على

الاسترجاع (Flashback) في سبيل حكاية ما جرى في تلك السّنوات الخمس، وبعد عامٍ أو نحوه من الكتابة قرّر أن يتخلّى عن جزء كبير من المكتوب ويبدأ من جديد، هذه المرّة مواصلاً الأحداث من حيث انتهت في «عاصفة السيّوف»، وقد أعلن قراره هذا في المهرجان الدّولي للخيال العلمي بفيلا دلفيا في 2001.

علاوة على هذا، كان مارتن قد بدأ يُقدّم أحداثاً من وجهات نظر شخصيّات جديدة لا تظهر إلّا في فصلٍ أو اثنين، ثم إنه كتب فصلاً تمهيدياً وقع في مئتين وخمسين صفحة، إلّا أنه حذف معظمه لاحقاً ووزّع ما تبقى على أحداث الرواية، التي أدرك قُرب اكتمالها أنها أطول كثيراً من «عاصفة السيّوف»، ولمّا أخبر ناشره بهذا طلب منه أن يقسمها جزأين، ثم اقترح صديقه المؤلف دانيل إبراهيم أن يقسمها حسب الشّخصيّات والأماكن، بحيث يتلو الكتاب التّالي أيضاً

أحداث الجزء الثالث مباشرة مع شخصيات أخرى وفي أماكن مختلفة، وهو ما وجدّه مارتن مقبولا، وإن أدّى إلى المزيد من التأخير في النشر من أجل تنسيق الأحداث بين الكتابين.

تعدّ «وليمة للغربان» أول جزء من السلسلة يصل إلى قائمة النيويورك تايمز للأعلى مبيعا، وقد رُشّحت كأفضل رواية لجائزتي «ميوجو» و«كوي-ل» وجائزة الفانتازيا البريطانية في عام 2006، وترجمت حتى الآن إلى أكثر من عشرين لغة.

أمّا في مسلسل Game of Thrones «الفتن» من «أغنية الجليد والنار» فقد غاب السواد الأعظم من الكتاب عن الأحداث، وما تبقى قدّم على الشاشة بشكل مختلف كثيرا.

كمترجم، كانت قراءة روايات «أغنية الجليد والنار» والمتعة الشديدة الذي وجدتّها فيها هي الفيصل في اتخاذ قرار ترجمتها إلى العربية، وهذه الترجمة التي بين يديك الآن هي نتاج عمل شهور طويلة مرهقة لتقديم عالم جورج مارتن المعقد وشخصياته المتشابكة للقارئ العربي بأفضل شكل ممكن.

المؤلف

چورچ ر. ر. مارتن



عشر سنوات قضاهـا چورچ ريتشـارد رايموند مارتن فـي العمل فـي هولـيوود، واشـترك خـلالـها فـي كـتابة وإنتـاج عـدد مـن المسـلسلات التـلفزيونيـة المـعروفة فـي عـقد الثمـانينات، مـنـها "Beauty and the Beast" و "The Twilight Zone"، لكـن مـع مـجـيء العـام 1994 كـان مارتن قـد ضـاق ذرعـاً بـرفض القـائمين علـى الاستوديوهات الكـبيرة المـستمـر للمـشاريع الـتي يقدّمـها لـهم للإنتـاج فـي التـلفزيون أو السـينما -بزعم أن الأفـكار الـتي يطرحـها شـديدة الضـخامة وسـتتكلّف مبالغ كـبيرة جدّاً لا قبل لـهم بإنفـاقها- وقال إنـه اكتفى تـمامًـا مـن القـيود الـتي تفرضـها التكاليف علـى الإنتاج، ومـن ثم قدرة الشاشـة علـى تقديم ما يـرغب فـيـه حقّاً علـى المـستوى المـطلوب، بـينما يـستطيع علـى الصـفحة المـطبوعة أن يـحكي كل ما يـريده مـن قصص بـكل التـفاصيل الـتي تتفق عـنها مـخيلته النـشطة. هـكذا اتخـذ مارتن القرار بأن يترك العمل فـي هولـيوود ويـعود إلـى تـأليف الكـتب وتـقديم أفـكاره كلـها فـيـها، حـيث لا توجـد عـقبات إنتاجيـة أو ماليـة تعوقـه عـن بـناء العـوالم الضـخمة الـتي يـتخيلـها وتقدّمـها بأدق وأصغر تـفاصيلها.

وُلد مارتن فـي سبـتمبر 1948 فـي ولاية نيو چرسـي لأب مـن أصول إيطالية يـعمل فـي تـفريغ وتـحميل البضائع علـى السفن وأم مـن أصول أيرلندية، وفـي عائلـة تملك جـذوراً إنـجليزيـة وألمانيـة وفرنسيـة، ومـو مـا يفسـر شـغفه الشـديد بـالتاريخ الأوروبـي، خصوصاً حـقبة العـصور الوسـطى الـتي اسـتلهم مـنـها الكـثير فـي كـتاباته. يـقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخص فـي الذهاب إلـى المدرسة والعودة إلـى المنزل، ومشاهدة السفن الـتي تتوافد علـى ميناء نيـوآرك مـن جميع أنحاء العالم مـن نافذة غرفته الصـغيرة، واضعاً قائمة بأعلام الدول الـتي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هـذا ما شـجعه علـى القراءة بنهم شديد علـى سبيل زيارة تلك الدول فـي خياله، قبل أن يتجه إلـى الكـتابة فـي سن صـغيرة، حـيث بدأ يبيع القصص الـتي يكتـبها لأطفال الحي مقابل بنس للـقصة، وأحياناً ما كان يقرأ عليهم هـذه القصص كـذلك.

ظل مارتن شغوفاً بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانويـة أضاف قصص الكومكس إلـى هواياته،

حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت مجلة «Galaxy» منه واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عملٍ احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي ليحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية كان من النشطاء المعارضين لحرب فيتنام.

عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنية ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll» كأفضل مجموعة قصصية لهذا العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى بعنوان «موت الضياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وُترجمت إلى تسع لغات.

مع حلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النجوم والظلال» و«التنين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصده المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلاً ذريعاً في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى أنه قال إنه «دُمّر مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين». لكن سرعان ما تعافى مارتن من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنية الجليد والنار» والكتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه لهوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقر بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنية الجليد والنار» تمامًا لو كان قد تمها للأستوديوهات الكبيرة لتحولها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلاً من شبكة HBO» التي حولتها إلى مسلسل «Game of Thrones» والذي يعمل عليه كمشرف ومنتج. تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمها الرابع، ويعيش حالياً في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية باريس متفرغاً لكتابة الجزئين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحر من الجمر.

المترجم هشام فهمي



درسَ الأدب الإنجليزي والترجمة في جامعة الإسكندرية، وعملَ مترجمًا وكاتبًا في عددٍ من الصُّحف والمجَلَّات والمواقع، وترجمَ عددًا من الأعمال لكُتَّاب عالميِّين، منـها «الـهوبيت» لتولـكـين، «فرانكنشتاين» لمـاري شـلـي، «1408» لسـتيفن كـينج، «النـاجي الأخـير» و«أغنية المـهد» لتـشـاك پـولـانـك، و«المحيط في نـهاية الـدَّرب» لـنـيـل جـايـمان، و«حرب الفن» لسـتيفن پـرسـفيلد.

موقع المترجم:

www.hishamfahmy.com

شُكر من المترجم

امتنان أعجزُ عن وصفه للشَّجرة العطرة الليدي ريندا الوكيل. شُكرًا على الدَّعم المعنوي والعملي قبل وطيلة شهور العمل على هذا الكتاب. مَنْ يَكْتُبُ أو يُترجم وله قارئٌ مثلكِ محظوظ.

وشُكر خاصٍ جدًّا للأصدقاء من حول العالم في "SchwiftySquwad" على مساعداتهم في الصُّعوبات اللُّغويَّة وشرح وجهات النُّظر المختلفة في بعض الأحداث ومناقشتها وتحليلها، وهو ما ساهم كثيرًا في إخراج التَّرجمة بأفضل شكلٍ ممكن.

وأخيرًا، قرَّرتُ أن أترك للمنظرين والأكاديميين مسألة أحقيَّة إهداء المترجم ترجمته إلى أحد، فهذه أمور لا تشغلنا كثيرًا هنا في وستروس، وعن نفسي أحبُّ أن أهدي هذه التَّرجمة إلى روح الرَّاحل الجميل الدكتور أحمد خالد توفيق، الرَّجل الذي تعلَّمتُ منه الكثير والكثير، ودومًا كنتُ به أسعدُ وله قلبي يطرب.

الفهرس

Telegram مكتبة)

Network1.....(

اهداء

الجزء الأول

تمهيد

النَّبي

قائد الحرس

سرسی

پریان

سامویل

آریا

سرسی

چایمی

پریان

سانزا

ابنة الكراكن

سرسی

الفارس الملوٲ

پریان

سامویل

چایمی

سرسی

[الربّان الحديدي](#)

[الغريق](#)

[پريان](#)

[صانعة الملكات](#)

[آريا](#)

[إليني](#)

[سرسی](#)

[الجزء الثاني](#)

[پريان](#)

[چايمي](#)

[سرسی](#)

[المُغير](#)

[چايمي](#)

[پريان](#)

[سرسی](#)

[چايمي](#)

[قطّة القنوات](#)

[سامويل](#)

[سرسی](#)

[پريان](#)

[چايمي](#)

[سرسی](#)

[الأميرة في البرج](#)

إليني

پريان

سرسى

چايمى

سامويل

فى تلك الأثناء على الجدار...

ملحق (1)

الملكة الوصيّة على العرش

الملك على الجدار

ملك الجزر والشمال

ملحق (2)

عائلة آرن

عائلة فلورنت

عائلة فراي

عائلة هايتاور

عائلة لانستر

عائلة مارتل

عائلة ستارك

عائلة تلي

عائلة تايرل

ملحق (3)

متمردون ومجرمون عوام وإخوة محلفون لوردات صغار

ومتجولون وعامة

خارجون عن القانون ورجال مكسورون

إخوة حرس الليل المحلفون

الهمج أو شعب الأحرار

ملحق (4)

الملكة وراء البحر

شكر وتقدير

كلمة المترجم

المؤلف جورج ر. ر. مارتن

المترجم هشام فهمي

شكر من المترجم

Notes

[← 1]

البِتْع هو نبيذ العسل. (المترجم).

[2 ←]

العَلَقَات كائنات طفيلية تُشبه الديدان وتمتصُّ الدِّماء، وبدأ أسـتخدامها قبل ألفي عام بغرض تطهير الجسد من الدَّم الفاسـد بعملية كائنات تُعرَف بتعليق العلق، بالإضافة إلى الحفاظ على الدَّم من التَّجلُّط في أثناء الجراحة. (المترجم).

[3 ←]

المِزر نوع من البيرة يستغرق فترةً أقصر حتى يختمر، ومذاقه غير مُر. (المترجم).

[4 ←]

الحرملة رداء قصير واسع يُحيط بالعُنق ومفتوح من الأمام. (المترجم).

[← 5]

الدَّرواس كلب قبيح الشَّكل شديد الضَّخامة يُستخدَم في الصَّيد والحراسة. (المترجم).

[6 ←]

حلبة الجرذان منطقة مغلقة توضع فيها الجرذان لتقتلها الكلاب، وكان هذا النشاط يُمارس في أوروبا حتى منعه البرلمان البريطاني في منتصف القرن التاسع عشر. (المترجم).

[7 ←]

القنّانة وضـع اجتماعي واقتصادي ظهرَ في أوروبا خلال العصور
الوسـطى، فكأنّ الحقن يُجـبَر على خـدمة السّادة والعمل في أراضـيهم
وقلاعهم مقابل المأوى والملبس والحماية، وهو الاختلاف بينه وبين العبد.
(المترجم).

[← 8]

الكراكين وحش بحري أسطوري عملاق يظهر على سطح البحر كجزيرة، وله أذرع
أخطبوطية طويلة تلتف حول السفن وتغرقها. (المترجم).

[9 ←]

القادس نوع من السفن المزودة بمجاذيف، يتميز ببدنه الطويل الرفيع، والقدرة على الملاحة في الظروف غير المواتية، واستُخدم في الحرب والتجارة والقرصنة. (المترجم).

[← 10]

اللّويثان وحش بحري أسطوري هائل الحجم، له سبعة رؤوس. (المترجم).

[11 ←]

عندما تعرق الخيول نتيجةً للمجهود الشَّديد، تَخْرُجُ من مسامِّها مادَّة رغوِيَّة يتسبَّب بروتين معيَّن في إفرازها. (المترجم).

[12 ←]

الحرير الرَّملي نوع خشن من الحرير يُتَعَم بفركه بالرَّمْل، ويُسَاعِد على عدم ارتفاع حرارة الجسد في الأجواء الحارَّة. (المترجم).

[13 ←]

الدُّرمونة من السفن الحربيّة ذات الأشرعة والمجاذيف، تتميَّز بسُرعتها وحجمها الكبير وقُدّرتها على حمل عددٍ كبير من الرِّجال. (المترجم).

السَّمِيت نسيج حريري شديد الفخامة مضلَّع الحبكة. (المترجم).

[15 ←]

حليب الخشخاش مشروب حقيقي ذو أصل اسكندنافي، مخدّر ومسكّن للألم.
(المترجم).

[16 ←]

القاوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة على الرغم من لطف شكله وجَماله، وله فرو يُستخدم في صناعة الملابس الفاخرة. (المترجم).

[← 17]

الهيپوكراس مشروب صَحِّي يُعَدُّ من النَّبِذ المخلوط بالسُّكَّر والتَّوَابِل، وعادةً ما يتضمَّن القرفة، ابتكره أب.

الجميلون هو الجزء الأعلى من المثلث. (المترجم).

[19 ←]

الرَّجَالِ الْمَكْسُورُونَ هُمُ الْمَجْبُودُونَ إِلْزامِيًّا الَّذِينَ يَتَهَرَّبُونَ مِنَ الْخِدْمَةِ وَلَا
يَعُودُونَ إِلَى دِيَارِهِمْ، وَإِنَّمَا يُكُونُونَ عَصَابَاتٍ مِنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ، وَفِي
عَالَمِ الْوَاقِعِ ظَهَرَ الْمَصْطَلَحُ قَدِيمًا فِي أَيْرْلَنْدَا وَسُكُوتْلَنْدَا وَصَفًا لِمَنْ يَتَخَلَّوْنَ عَنْ وُلَائِهِمْ
لِقَبَائِلِهِمْ. (المترجم).

الصَّنوبر الجُندي والحارس شجرتان من ابتكار المؤلّف. (المترجم).

[← 21]

حشيشة الدّينار نبات عُشبي معمّر تدخُل زهرته في صناعة البيرة. (المترجم).

[22 ←]

الذئب الرَّهيب حيوان حقيقي منقرض كان يقطن الأمريكتين قبل عشرة آلاف سنة.
(المترجم). قراط وسُمِّيَ نسبةً إليه. (المترجم).

[← 23]

القنطور مخلوق أسطوري يَصِفُه السُّفلي حِصان والعُلوي إنسان. (المترجم).

[24 ←]

الأشنة كائنات تعايشية تتكوّن من ترافق بين الطّحالب الخضراء أو الجراثيم الزّرقاء والفطريّات، وتنمو على الأبنية القديمة والقبور، ولذا يُطلَق على ساحات المقابر هذا الاسم. (المترجم).

المِغْدَفَةُ عبارة عن قفصٍ كبيرٍ بمثابة عُشٍ لطيور الغُذاف. (المترجم).

[← 26]

القاليون سفينة أكبر من القادس، أشرعتها مربّعة وتُبَجِر بصفّين أو ثلاثة من المجاذيف، وكانت تعدُّ أكبر سُفن الأسطول العثماني. (المترجم).

[← 27]

المَزْغَل كلمة فارسيَّة الأصل بمعنى منفذ، وهو عبارة عن فتحة ضيقة في جدار الحصن لإلقاء الحجارة والزيت المغلي والقار وخلافه من أدوات الدفاع. (المترجم).

الهُورُ بُحيرةٌ ضحلةٌ تتَّصلُ بمياه البحر وتُحيطُ بها اليابسة. (المترجم).

العَرَّادَة ضرب من المنجنيق تُقَدَف به الأحجار والسِّهَام الكبيرة. (المترجم).

[30 ←]

شعيرة السَّهر طقس ديني ترجع أصوله إلى اليهودية واستمرَّ مع المسيحية، وينصُّ على أن يقف شخص أو أكثر حراسةً على الميت تكريمًا له لمدةً معينة، غالبًا من تمتدُّ من التَّابين وحتى الدَّفن. في ملة الآلهة السَّبعة في عالم الرواية يُؤدِّي هذه الشعيرة الفُرسان أيضًا كجزءٍ من طقوس تنصيبهم. (المترجم).

[31 ←]

الپایرومانسِر كلمة یونانیّة تعني) كاهن النَّار)، وكانت تُستخدَم قديمًا للإشارة إلى كلِّ من يحترف فنَّ التَّعامل مع النَّار لمختلف الأغراض. (المترجم).

[32 ←]

المانتيكور في الأساطير الفارسيّة حيوان له رأس إنسان وجسم أسد وجناحان كالوطواط وثلاثة صفوف من الأسنان الحادّة كسمكة القرش. أمّا في عالم الرواية فيُطلَق على حشرةٍ لها رأس شبيه بالإنسان وذيل شائك مقوّس مليء بالسُّم، وتستطيع أن تطوي أجنحتها كالجعران. (المترجم).

[← 33]

في عالم الرواية ساعة الذئب هي الفترة الأشدُّ حلكةً من الليل، تسبقها ساعة البومة وتأتي بعدها ساعة العندليب، ثم الفجر. (المترجم).

[34 ←]

الموظ أحد أنواع الأيائل، له عُنق قوي وقرنان جريدَّان، ويألف العيش في الغابات والمستنقعات. (المترجم).

[← 35]

الجريفيين مخلوق أسطوري له جسم أسد ورأس وجناح عُنقَاب. (المترجم).

[36 ←]

اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصان له قرن واحد ويتمتع بقدرات سحرية.
(المترجم).

[37 ←]

المِخلعة آلة تعذيب تعود إلى العصور القديمة، بحيث يُربط الشخص على لوحٍ خشبي وتُشدُّ أطرافه بالحبال حتى تتفكك مفاصله وتتمزق عضلاته. (المترجم).

[38 ←]

الشُرَّافَات هي الزَّوَائِد الحَجَرِيَّة التي تُبْنَى وبينها فراغات على قمم الأبراج والأسوار والحصون. (المترجم).

[39 ←]

الطِّفْل الطَّبَّيعِي مصطلح من القرون الوُسْطَى يُطَلَق على الأولاد غير الشرعِيِّين.
(المترجم).

[40 ←]

الجروت عُملة كانت متداولةً قديمًا في إنجلترا وأيرلندا وسكوتلندا، وتساوي أربعة بنسات. (المترجم).

[41 ←]

تُعرَف النَّارُ الشَّعْواءُ في عالم الواقع باسم نار الإغريق، وهي سائل حارق سريع الاشتعال تكرر استخدامه في المعارك البحريّة قديمًا، ولا أحد يعرف مكوّناته على وجه الدقّة. (المترجم).

[← 42]

إذا كان السّپت معادلًا للكنيسة في عالم الواقع، فالسّپتري يُعادل الدّير. (المترجم).

آلة موسيقيّة من خيال المؤلّف. (المترجم).

[44 ←]

في عالم الواقع قمر الصَّيَّادين هو أول قمرٍ مكتمل يتلو قمر الحصاد في فترة الاعتدال الخريفي، وغالبًا يطلع في شهر سبتمبر أو أكتوبر ويكون لونه بُرتقاليًّا لاقترابه الشَّدِيد من الأفق. (المترجم).

[← 45]

المِطْرَد سلاح قديم يتألّف من رأس حربةٍ ورأس فأسٍ مثبتّين في القناة نفسها.
(المترجم).

[46 ←]

الكوج سفينة لها شراع واحد مربّع عادةً وأحيانًا شراعان، وتُبنى من خشب البلوط.
(المترجم).

[47 ←]

كلمة بلا معنى كانت تُستخدم كثيرًا في الأغاني الشعبية
في العصر الإليزابيثي في إنجلترا، وقد وردت في إحدى أغنيات
مسرحة (جعة بلا طحن) لشيكسبير. (المترجم).

[48 ←]

كانت السفن القديمة، خصوصًا الحربي منها، تُجَهَّز ببناءين محصَّنين في المقدِّمة والمؤخِّرة، يُطلَق على كلِّ منهما سَلَوقيَّة. (المترجم).

[49 ←]

الرُّخ طائر أسود صغير من الغُرَابِيَّات، ويختلف عن طائر الرُّخ الخُرَافِي المذكور في أساطير الإغريق. (المترجم).

[50 ←]

الرُّكام الرّعي نوع من السّحاب يتشكّل على نحوٍ عمودي كثيف ويحمل المطر ويتزامن مع هبوب العواصف الرّعيّة. (المترجم).

[51 ←]

الْغُرَيْر حيوان من أَكَلَة اللَّحُوم من فصيلة العرسيَّات، تجمع هيئته بين الكلب والسَّمُور، وله قوائم سوداء قصيرة. (المترجم).

[52 ←]

كُم السيِّدة من شعارات النَّبالة القديمة في فرنسا وسكوتلندا وإنجلترا، ويَصَوِّر دُون بقيَّة
القُستان دلالةً على عادة فصل السيِّدات أكرامهن وإعطائها للقُرسان دليلًا على
المحابة قبل نزولهم إلى مضامير النَّزال. (المترجم).

[53 ←]

الطَّاووس مجسَّم على شكل إنسان يدور على محور، يُستخدَم في التَّدريب على النِّزال، وعادةً ما يُثَبَّت ثُرس في إحدى يديه، وفي الثَّانية سيف أو رُمح غير حاد أو كيس رمل. (المترجم).

العُفْر نوع من الخنازير البرِّيَّة الضَّارِيَّة. (المترجم).

[55 ←]

قرن الوفرة رمز إقطاعي قديم، تعود أصوله إلى الأساطير الإغريقية، وهو عبارة عن قرن مليء عن آخره بالزهور والفاكهة والحلوى وغيره مما يدل على الوفرة والخصوبة. (المترجم).

[56 ←]

السِّنَارُ والجَرَامِكُنْ مخلوقان خيالِيَّان يرد ذكرهما في الحكايات الشَّعْبِيَّة في (وستروس)، الأول وحش ليس له وصف محدَّد، والثَّاني يُقال إنه يُحَقِّق الأمان بالسيِّحر. (المترجم).

[← 57]

القرقور سفينة ضخمة تحمل آلات الحرب والمؤن والعتاد، وتتسع لعددٍ كبير من المجذفين والبحّارة. (المترجم).

[← 58]

الْفَطُّ حيوان بحري شبيه بالفقمة، يتميز بشاربه الكثيف وفمه العريض الذي يَخْرُج منه زوجان من الأنياب العاجية الحادة. (المترجم).

[59 ←]

الأوجَر كائن أسطوري شبيه بالغول، يُوصَف بضخامة البدن والرأس وغزارة
الشعر والنهم الوحشي والقوّة البدنيّة الخارقة، وقد ظهر أولاً في
الحكايات الشعبيّة الفرنسيّة. (المترجم).

[60 ←]

البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميز بالقُدرة على القتل بسُمِّه الزُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي. (المترجم).

[← 61]

المياه المَسْوس هي المياه الأمّح من المياه العذبة والأعذب من المياه المالحة.
(المترجم).

[62 ←]

كَبَشِ الْفِدَاءِ كَانَ صَبِيًّا يَتَلَقَّى الْعِقَابَ جَلْدًا أَوْ ضَرْبًا يَدَلًّا مِنْ صِغَارِ الْعَائِلَاتِ الْمَلِكِيَّةِ فِي
أُورُوپَا فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ نَهَايَةِ الْعُصُورِ الْوُسْطَى وَبَدَايَةِ الثَّوْرَةِ الصَّنَاعِيَّةِ. (المترجم).

[← 63]

الأركون كلمة يونانية قديمة تعني حرفياً «الحاكم»، وإن كانت قد استُخدمت مع عددٍ مختلف من أصحاب المناصب الرّسميّة وكبار التّجار في روما القديمة والإمبراطوريّة البيزنطيّة، كما استخدمها العرب للإشارة إلى العظيم من الدّهقان الفُرس. (المترجم).

[64 ←]

الأسود الزَّواحِف الاسم الذي يُطْلِقُه الِوسْتروسيُّون على التَّماسيح التي تعيش في
المستنقعات. (المترجم).

[65 ←]

الكَرَاجِل مخلوقات أسطوريّة ذات مظهر مشوّه مخيف مصوّرة في منحوتاتٍ عدّة، وبالأخص على الجدران الخارجيّة لعددٍ من كنائس العصور الوُسطى، حيث تتخذ شكل ميزاب ناتئ. (المترجم).

[← 66]

البَلَّشون طائر طويل السَّاقين شهير بصوته العذب، ويُعرَف أيضاً باسم مالك الحزين.
(المترجم).

[67 ←]

الواقع أن تلك القُبلة التي سمّاها القرّاء «اللا قُبلة» لم تَحْدُثْ، ولدى سؤال المؤلّف عن هذا التّناقض أجابَ بأن سانزا راوية لا يُعتمد عليها في هذه الحالة، وأنه يترك التّفسير للقارئ كما يراه. (المترجم).

[68 ←]

الدِّيماس زلزانة تعذيب رأسيّة شديدة الضّيق لا يُمكن الوصول إليها إلّا من فتحة في السّقف، وكانت شائعة الاستخدام في قلاع القرون الوُسطى. (المترجم).

[69 ←]

السُّلْحَفَاءُ واحدةٌ من أنظمة الوقاية في الحروب القديمة، يرفعها الجنود فوق رؤوسهم في أثناء الهجوم على بوابات القلاع أو المُنْذَنَ لحمايةهم من السَّيْـام وغيرها، على غرار صدفة السُّلْحَفَاءِ. (المترجم).

[70 ←]

هيكَل التَّشْهِير أَدَاة كَانَتْ تُسْتَخْدَم مِنْذُ الْعُصُورِ الْوُسْطَى وَخِلَالِ عَصْرِ النَّهْضَةِ لِلْعُقَابِ الْبَدَنِى، عِبَارَةٌ عَنْ أَلْوَاحٍ خَشَبِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مَثْبُتَةٍ مَعًا بِحَيْثُ يَعْجُزُ الْمُقَيَّدُ إِلَيْهَا عَنْ تَحْرِيكِ قَدَمَيْهِ، وَأَحْيَانًا كَانَتْ تَوْضَعُ قِيُودُ الْيَدَيْنِ وَالرَّأْسِ أَيْضًا. (المترجم).